

الروض الألف

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
أختفي الشهلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ

ومعه
السيرة النبوية

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفى سنة ٢١٣ هـ

عُني عليه روض عمراني
محمدي به نصير به سيد الشري

تنبيه

وَضَعْنَا نَصَّ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ فِي أَعْلَى الصَّفَحَاتِ
وَوَضَعْنَا أَسْفَلَ مِنْهَا نَصَّ الرَّوْضِ الْأَلْفِ
وَفَصَّلْنَا بَيْنَهُمَا بِخَطِّ

منشورات

محمدي بيضوني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الروض الأنف

في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن

أخيه الشهابي

المتوفى سنة ٥٨١ هـ

ومعه
السيرة النبوية

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري

المتوفى سنة ٢١٣ هـ

عاش عليه روض مؤثر

بجزي به روض به سيد الشورى

تنبيه

وَضَعْنَا نَصَّ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِأَبْنِ هِشَامٍ فِي أَعْلَى الصَّفَحَاتِ

وَوَضَعْنَا أَسْفَلَ مِنْهَا نَصَّ الرَّوْضِ الْأَنْفِ

وَفَصَّلْنَا بَيْنَهُمَا بِحِطِّ

لِلْمَرْءِ الْأَوَّلِ

منشورات

محرر إلى بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدى محمد ﷺ وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

بين يديك أخي في الله خير ما تقرأ بعد كتاب الله جلّ وعلا، بين يديك أفضل القصص وأجملها، بين يديك السيرة العطرة التي تفوح منها أزكى وأنفس أنواع الطيب، إنها سيرة خاتم المرسلين وسيد ولد آدم وخير ما أخرجت الأرض وطوت، إنها سيرة خير من وطئت قدماه الأرض، إنه الشافع المشفع سيدنا وحبيبنا ومولانا وقدوتنا رسول الله - ﷺ --.

بين يديك أخي في الله العظمة والعبرة والحكمة في سيرة رسول الله ﷺ.

بين يديك أخي في الله السيرة النبوية فاحرص على قراءتها ودراستها دراسة متأنية واضعاً قول الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ نصب عينيك، وستجد فيها السلوى لما تراه وتسمعه اليوم من هو أن أتباع صاحب السيرة العطرة، وإنهم في ذيل القائمة، أصبحوا وقد تعلقوا بأذيال أحفاد القردة والخنازير، آخذين منهم القدوة والإمامة والقيادة، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ترجمة ابن إسحق

هو: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى، مولى قيس بن مخرمة، أبو عبد الله المدني أحد الأئمة، لا سيما في المغازي والسيرة.

ولد رحمه الله تعالى عام خمس وثمانين من هجرة صاحب السيرة العطرة - ﷺ - بالمدينة. وتوفي سنة إحدى وخمسين ومائة.

روى عن الأئمة، وأخرج له مسلم والبخاري استشهاداً، وأصحاب السنن الأربعة. وقد اختلف فيه جرحاً وتعديلاً، فمن أهل العلم من جرحه كالإمام مالك وأحمد بن حنبل وابن معين والدارقطني وغيرهم.

ومن أهل العلم من ذهب إلى تعديله كابن عيينة وأبي زرعة وابن معين أيضاً. وقد ألف رحمه الله تعالى - السيرة - بأمر أبي جعفر المنصور تعليماً لابنه المهدي. يقول ابن عدي فيه:

«لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك من الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق، وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجدها تهىء أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتهم في شيء بعد الشيء كما يخطئ غيره».

قلت: نعم كفاه فضلاً وشرقاً أنه ألف لنا هذه السيرة العطرة والتي قل أن تجد مثيلاً لها.

ترجمة ابن هشام

هو: صاحب السيرة والتي جمعها من مغازي وسير رسول الله ﷺ لابن إسحاق،
فهذه الأخير ولخصها. وإليه تُنسب.

توفي رحمه الله تعالى وجزاه الله عنا كل خير سنة ثلاث عشرة ومائتين من هجرة
صاحب السيرة.

ترجمة الإمام السهيلي

هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن، واسمه أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن قُتُوح، وهو الداخل إلى الأندلس، أبو القاسم وأبو زيد.

قال تلميذه ابن دحية: «هكذا أُملى عليّ نسبه، وقال: إنه من ولد أبي رُوَيْحَةَ الخثعمي الذي عقد له رسول الله ﷺ لواء علم الفتح» [انظر المطرب من أشعار المغرب: ٢٣٠].

وقد عُرِفَ السهيلي رحمه الله تعالى بثلاث كِنَى، اثنتان منها ذكرهما ابن دحية كما تقدم والثالثة هي: أبو الحسن. انظر التكملة لابن الأبار (٣/ ٥٧٠).

وفي الوفيات: السُّهَيْلِيُّ: بضم السين المهملة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها لام ثم ياء، هذه النسبة إلى سُهَيْل، وهي قرية بالقرب من مالقة سُمِّيَتْ باسم الكوكب، لأنه لا يُرى في جميع الأندلس إلا من جبل مطلّ عليها. ويقول الحميري سبب تسميتها [مالقة] بذلك: «وهناك جبل مُنِيف عالٍ يزعم أهل تلك الناحية أن النجم المسمّى سهيلاً يُرى من أعلاه، ولذلك سَمَى أبو القاسم الأستاذ الحافظ مؤلف الروض الأنف: السهيلي» انظر صفة جزيرة الأندلس: ١٨٠.

مولده:

ولد رحمه الله تعالى عام ثمانٍ وخمسمائة بمدينة مالقة، وتوفي في السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. انظر المطرب (٢٣٢-٢٣٣).

نشأته:

يقول تلميذه ابن دحية: «نشأ بمالقة، وبها تعرّف، وفي أكنافها تصرّف، حتى بزغت في البلاغة شمسهُ، ونزعت إلى مطامح الهمم نفسه». السابق (٢٣٠).

عماه:

اتفقت أغلب المصادر على أن أبا القاسم قد أضرَّ وهو في السابعة عشرة من عمره، ولكن ابن دحية لا يشير إلى هذا، كما أن كلامه في الروض كما سيأتي يدفع هذا. وانظر بغية الملتمس (٢٥٤).

تلاميذه:

كثير. منهم: أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين (٥٦٢ - ٦٤٥).

أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية (توفي سنة ٦٣٣).

أبو علي عمر بن عبد المجيد الرُبَذي (توفي سنة ٦١٦).

مؤلفاته:

ورغم عمل السهيلي بالتدريس إلا أن هذا لم يأخذه عن التصنيف والتأليف، فأخرج المصنفات الكثيرة والمسائل العديدة. ومنها:

١ - التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام.

٢ - كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية.

٣ - نتائج الفكر في النحو.

٤ - الأمالي.

٥ - مسألة السرِّ في عور الدجال.

٦ - مسألة رؤية النبي ﷺ في المنام.

٧ - الروض الأنف والشرح الرّوى في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى. وهو الذي تقدمه لك. وهو يعتبر بحق من أجل كتبه وأنفعها.

منهج السهيلي رحمه الله تعالى في الشرح:

يعرض السهيلي رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنا كل خير سيرة ابن هشام، شارحاً ما أبهم منها من كلمات ومعاني، ويزيد أكثرها إيضاحاً وبياناً، ثم هو كثيراً ما يتعرّض لنسب غامض فيُزيل غموضه، ثم نراه يتعرّض لإعراب بعض الكلمات فيأتي بالذّر من أعماق اللغة واضعاً إياها بين يديك بلا عناء أو مشقة.

وقد زاد شرحه للسيرة حُسناً فوق حسن، وجمالاً فوق جمال، فجاءت السيرة النبوية سهلة يسيرة متدفقة في نعمة بين يدي القارىء.

عملي في الكتاب

يعلم رب السموات والأرض - العليم الحكيم - قلة زادي من تقوى وعلم وفكر، وهو الغفور الرحيم، فقامت بالتحقيق الموجز الذي لا يُخرج قارئ السيرة من متابعته لحياة سيد البرية - ﷺ - إلى مصطلحات أهل الحديث من قولهم: هذا حديث معضل أو مرسل أو مضطرب أو ضعيف أو موضوع أو حسن لذاته أو لغيره، فأتى له بالشواهد والمتابعات التي قد تشتت ذهنه وتقطع عليه أنس الصحبة مع سيرة النبي ﷺ، فجاء التحقيق موجزاً، وأدعو الله أن يكون مع إيجازه مفيداً، فأقوم بتخريج الحديث من ثلاث أو خمس مصادر - دون الإطالة، وقد أزيد القارئ فأحيله على بعض المصادر التي تتحدث بإفاضة في المسألة المشار إليها فأقول: وانظر كذا وكذا وكذا. هذا وقد قمت بتحقيق النسخة التي قام بتحقيقها والتعليق عليها وشرحها فضيلة الشيخ: عبد الرحمن الوكيل - الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية - رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاءه الله عنا كل خير - والشيخ رحمه الله تعالى غني عن التعريف بمجهوداته في الدعوة ومؤلفاته العديدة النافعة.

وقد وجدته رحمه الله تعالى قام بالتعليق والشرح والتحقيق على خير وجه، إلا أنه رحمه الله تعالى قد يطيل في بعض المسائل مما يُخرج قارئ السيرة عما هو بين يديه، وقد وجدته أيضاً رحمه الله تعالى يخرج الحديث فيقول: رواه أحمد مثلاً - دون أن يشير إلى الجزء أو الصفحة، مما يعسر معه الوقوف على الحديث، خاصة إذا كان الحديث لم يأت به الشارح كاملاً، أيضاً قد يكون الحديث في الصحيحين فأحيل القارئ إلى مكانه في الجزء والصفحة إذا أراد أن يقرأه كاملاً أو شرحه لابن حجر أو النووي رحمهما الله تعالى.

ويجري على ما سبق أيضاً قوله: «في اللسان...» دون الإشارة إلى الجزء والصفحة أو الطبعة مما يسر على القارئ الوقوف عليه بسهولة ويُسر.

ثم إنه يُخَرِّج الحديث دون الإشارة إلى صحته أو ضعفه إذا كان في غير الصحيحين، فقامت بهذا حسبما يَسِّر الله تعالى، فأصْدَرَ الحديث ببيان درجته ثم تخريجه دون الكلام على الشواهد أو المتابعات إذا كان حسنًا أو ضعيفًا... الخ.

هذا وقد أبقيت الكثير من تعليقاته كما هي أو مختصرة جدًا، مع زيادة بيان وإيضاح كما تقدم.

هذا وقد فاته رحمه الله تعالى تخريج بعض الأحاديث فقامت بتخريجها، وكذا بعض الآيات.

هذا وقد وقع في الطبعة المحققة بعض الأخطاء المطبعية فقامت بتصحيحها، وكذا وقع الخطأ في بعض «ملازمه» فقامت بوضعها في مكانها الصحيح والحمد لله رب العالمين. هذا وقد وقع في الطبعة السابقة أن يقع الشرح في صفحات تلي متن السيرة مما يجعل قارئ السيرة يتصفح عدد من الصفحات حتى يضع يده على شرح السهيلي. كما وقع هذا في نهاية الجزء الأول وأول الجزء الثاني!!! فجاء في نهاية الجزء الأول شرح ما في أول الجزء الثاني. فادعوا الله تعالى ألا يقع مثل ما سبق في هذه الطبعة.

هذا وقد وقع في شرح السهيلي عند ذكر - النبي ﷺ - أن تكتب بدلاً من - ﷺ -: «ص». وأظنها من المطبعة، ثم إنني قد وجدت الشيخ رحمه الله تعالى سلك نفس المسلك - أو سلك «الطابع» نفس المسلك. فنبهت عليه مرة بعد مرة ثم تركت التنبيه، وكذا فعلت عند بيان ترجمة البكائي، نبهت مرة تلو الأخرى ثم تركت التنبيه إذ قد وصل ما أريده إلى عقل القارئ.

هذا ويمكن تلخيص عملي في الكتاب في:

١ - تخريج الآيات القرآنية - التي لم تُخَرِّج قبل.

٢ - تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها، مع بيان صحيحها من سقيها ما أمكن ذلك.

٣ - التعليق على بعض الكلمات بالعودة بها إلى أصلها في اللغة العربية في اللسان لابن منظور - ط. دار الكتب العلمية، ومقاييس اللغة لابن فارس، ط. مصطفى الحلبي - بتحقيق وشرح فضيلة الشيخ عبد السلام محمد هارون رحمه الله تعالى.

٤ - تصحيح ما وقع من أخطاء - سيرة - في الطبعة السابقة.

- ٥ - عمل ترجمة لابن هشام.
- ٦ - عمل ترجمة لابن إسحق.
- ٧ - عمل ترجمة للسهيلى رحمهم الله تعالى.

المؤلفات في السيرة

إليك أخي في الله بعض المؤلفات في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام - لمن أراد مزيد بيان وإيضاح.

١ - البداية والنهاية، لابن كثير، مطبعة دار السعادة، ١٩٣٢.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، ط. الدار.

٣ - الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ط. الدار.

٤ - خلاصة السيرة، محب الدين أبو الجعفر بن عبد الله الطبري، دلي برنتينك بريس دلس ١٣٤٣هـ.

٥ - زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم، المطبعة المصرية، الأولى، ١٣٤٧.

٦ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ﷺ - . للقاضي عياض، مطبعة عثمانية، إستانبول ١٣١٢هـ.

٧ - طبقات ابن سعد، محمد بن سعد، مطبعة بريل ليدن، ١٣٢٢.

٨ - مختصر سيرة الرسول - ﷺ - لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٩ - مروج الذهب، أبو الحسن علي المسعودي، مطبعة الشرق الإسلامية.

١٠ - الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري.

١١ - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ط. الدار.

نداء إلى أصحاب الطرق الصوفية

نداء أوجهه إلى أصحاب «الطرق» الصوفية: هذا هو «طريق» نبيكم ورسولكم محمد ﷺ، وهذه هي سيرته عليكم بها. تعلّموها وعلموها الناس، اعكفوا على دراستها بدلاً من العكوف على دراسة سِير البدوي والشاذلي والدسوقي والرفاعي، أقطاب الأرض الأربعة الموكلون بحفظ الأرض والقيام على ساكنيها بالرزق والمرض والحياة والموت!!!.

أفيقوا أيها الناس من غفلتكم وكفانا ذلاً وهواناً عانيناه منكم ومن خرافاتكم سنوات وقرون طويلة، هذه هي سيرة نبيكم احفظوها كما تحفظون حزب البحر والحزب الكبير والصغير والأوراد الشركية التي ما أنزل الله بها من سلطان. هذه هي سيرة نبيكم تعلّموا منها كيف جاهد وعلم أصحابه كيف يكون الجهاد مع النفس والجهاد أيضاً باللسان والبنان.

اعلموا أيها الناس «القوم» أن طريق محمد - ﷺ - واحد «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» اقرأوا أيها الناس هذه الآية مرة بعد مرة وسلّوا أنفسكم هل عملتم بها وأنتم تزعمون أنكم تحبونه وتتبعون ستكم، وهو القائل كما حكى القرآن ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾.

أقول لكم: لم تعملوا بها. ولا أقول هذا افتراء - بل هذا هو الواقع المؤلم المُشاهد منكم، فهو يقول: ﴿هذه سبيلي﴾ فجعلتموها سُبُل وطرق شتى، ولو كان ما تدعون إليه حقاً لكانت طريقاً واحداً وليست طرقاً شتى - بيومية ونقشبندية ورفاعية ودسوقية وشاذلية وبرهانية وبرهامية و... و... والكل يدّعي زوراً وبهتاناً أنه على «الطريق» المستقيم، بل ووصل الأمر ببعضهم أن زعم أن رسول الله ﷺ كان صوفيّاً - وهو يقول في دعاء الاستفتاح «وأنا أول المسلمين» فسلّبوا منه هذا الوصف العظيم

ونحلوه وألبسوه خرقة الصوفية، بل ويقول بعض أعلام ورؤوس الصوفية أن محمدًا هو الله مفسرًا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ فقال: «إِنَّ اللَّهَ حَلَّ بِالنَّبِيِّ فِي هَذَا الْوَقْتِ» - «سبحانك ربِّي هذا بهتان عظيم»، وكفر وإلحاد يُخْرِجُ صاحبه وَمَنْ اهْتَدَى بهديه من دائرة الإسلام بالكلية.

أقول لكم: لم تعلموا أيضًا بقوله: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾. فلم تدعوا إلى الله تعالى، سلمًا أو حربًا، بل انزويتم في كهوفكم وفي خيامكم تاركين الأمة الإسلامية فريسة سهلة في أيدي أهل الكفر والإلحاد والزندقة، وإذا دعوتهم إلى الله لم تدعوا على بصيرة ونور وهدى من القرآن والسنة، إنما أتيتهم وخرجتم علينا بالخزعبلات والأوهام والجبت، وعشتهم في عالم مليء بالأساطير والخيالات الفاسدة، فالنبي عندكم لا زال حيًا والخضر والأولياء الصالحين والطلالحين وأنهم يفعلون كذا وكذا وكذا، حتى سلبتم رب السموات والأرض أوصافه بل وأخص أوصافه من خلق ورزق وإحياء وإماتة وأمر ونهي فقدتم رأي شيوخكم على كلام الله تعالى وعلى سنة نبيه ﷺ، وأنتم تزعمون أنكم على «الطريق» المستقيم.

أفيقوا أيها الناس فالأمة الإسلامية في حاجة إليكم - موخدين مسلمين - وليس صوفيين - داعين إلى الله تعالى على بصيرة وكلنا داع إلى الله تعالى كما قال: ﴿أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾، أفيقوا أيها الناس من غفلتكم ومن شرككم، وصححوا منهجكم وعقيدتكم من قبل وليكن طريقنا واحد - هو طريق النبي ﷺ.

هذه سيرة نبيكم - اقرأوها وتعلموا منها دون تعصب وحمية لشيخ بعينه وتقديم النظر على الأثر. هداي الله وإياكم إلى «صراطه» المستقيم. آمين.

وبعد: بقي أن أنقل إليك أخي في الله قول علي بن الحسين: «كُنَّا نَعْلَمُ مَغَازِي النَّبِيِّ ﷺ كَمَا نَعْلَمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ». هذا والله أعلى وأعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل.

أخوكم في الله

مجددي بن منصور بن سيد الشورى

القاهرة/ مدينة السلام - ٢٨١٢٨٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

مقدمة الروض الأنف (٢)

حمداً لله المُقَدِّم على كل أمرٍ ذي بالٍ، وذكره - سبحانه - حَرِيّ الأَ يَقَارِقَ الخَلَدَ والبال، كما بدأنا - جلَّ وعلا - بجميل عوارفه قبل الضراعة إليه والابتهاال، فله الحمد - تعالى - حمداً لا يزال دائم الاقبال. ضافِي السُّبُال (٣)، جديداً على مَرِّ الجديدين (٤) غير بالٍ. على أن حمده - سبحانه - وشكره على نعمه، وجميل بلائه مِنَّةٌ من منته. وآلاء من آلائه. فسبحان مَنْ لا غاية لجوده ونعمائه! ولا حَدٌّ لجلاله، ولا حَضر لأسمائه (٥) والحمد لله الذي ألحقنا بعصاة (٦) الموحدين، ووقفنا للاعتصام بعروة هذا الأمر المتين،

(١) بدأ المصنف رحمه الله تعالى - وجزاه الله عنا كل خير - بالبسملة اقتداء بكتاب الله تعالى ويسنة نبيه ﷺ، حيث بدأ تعالى كتابه الكريم بالبسملة فقال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين﴾ فبدأ بالبسملة وثنى بالحمد، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. أما قول: ﴿كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر أو أجذم﴾. فهو قول ضعيف. وكان ﷺ يبدأ كتبه بالبسملة أيضاً.

(٢) الروض الأنف: أي دائم البهجة والجمال والرائحة الطيبة الكثير القطاف.

(٣) السربال: هو القميص والدرع.

(٤) الجديدين: أي الليل والنهار لتجددهما كل يوم وليلة.

(٥) حيث يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدلٌ في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سُمِّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...» الحديث. (صحيح، أخرجه أحمد ١/ ٣٩١، والحاكم ١/ ٥٠٩، والبيهقي في الصفات ص ٦- بتحقيقي) فدلَّ هذا الحديث على أن الله تعالى أسماءَ حُسنى استأثرت بها في علم الغيب عندها لا يعلمها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. أما الحديث الذي أخرجه الشيخان «إن لله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة». أي إن من أسماء الله تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها - فعِلِمَها وعِلِمَ معناها ومقتضاها وأثار هذه الأسماء ودعا الله بها كلُّ في موضعه، دخل الجنة. «انظر القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى للمحقق.

(٦) أي جماعة الموحدين.

وخلقنا في إبان الإمامة الموعود ببركتها على لسان الصادق الأمين، إمامة سيدنا الخليفة أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين^(١)، الساطعة أنوارها في جميع الآفاق. المطفئة بصوب سحابها، وجوب^(٢) كتابها جمرات الكفر والنفاق:

في دولة لحظ الزمان شعاعها فازتد منتكصا بعيني أزمَد
من كان مولده تقدم قبلها أو بعدها، فكأنه لم يولد

فله الحمد - تعالى - على ذلك كله، حمدا لا يزال يتجدد ويتوالى، وهو المسؤول - سبحانه - أن يخص بأشرف صلواته، وأكثر بركاته، المُنْتَجَبِي من خليفته، والمَهْدِي بطريقته، المؤدِّي إلى اللِّقْم الأَفْيَح^(٣) والهادي إلى معالم دين الله من أفلح، نبيه محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - كما قد أقام به الملة العَوْجَاء، وأوضح بهديه الطريقة البَلْجَاء^(٤)، وفتح به آدانا ضما وعيوننا غميا، وقلوبنا غلغا^(٥). فصلى الله عليه، وعلى آله صلاة تحله أعلى منازل الزُلْفَى.

الغاية من تأليف الكتاب:

(ويعد) فإنني قد انتحيت في هذا الإملاء بعد استخارة ذي الطُول^(٦)، والاستعانة بمن له القدرة والحول. إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله - ﷺ - التي سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحق المِطْلَبِي، ولخصها عبد الملك بن هشام المَعَاوِي^(٧) المِصْرِي النسابة^(٨) النحوي^(٩) مما بلغني علمه، وُسِّر لي فهمه: من لفظ غريب، أو إعراب غامض، أو كلام مُسْتَفْلِق^(١٠)، أو نَسَب عَوِيص، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته، مع الاعتراف بكُلُول الحَدِّ^(١١)، عن مبلغ ذلك

(١) يعني رحمه الله تعالى: أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذي تولى دولة الموحدين عام ٥٥٨ هـ هجرية بالمغرب. وقد كان الرجل رحمه الله فقيها حافظا متقنا. قاله ابن خلكان. وقد بدأ السهيلي رحمه الله تعالى في إملاء هذا الكتاب في المحرم من عام ٥٦٩ هـ، وانتهى من إملائه في جمادى الأولى من نفس العام.

(٢) الجوب: القميص تلبسه المرأة. والصوب: المطر بقدر ما ينفع.

(٣) اللقم الأفيح: الطريق الواضح البين.

(٤) البلجاء: الواضحة.

(٥) غلغا: عليها غشاوة. انظر مقاييس اللغة (٤/ ٣٤٠)

(٦) ذي الطول: صاحب الغنى والفضل.

(٧) المعافري: نسبة إلى معافر بن يعفر، وهم قبيل كبير نزع إلى مصر.

(٨) النسابة: العلم بالأنساب.

(٩) النحوي: العلم بالنحو.

(١٠) كلام مستفلق: يصعب فهمه.

(١١) كلول الحد: أي الضعف.

الْحَدِّ^(١)، فليس الغرضُ المعتمدُ أن أستوليَ على ذلك الأمدِ^(٢)، ولكن لا ينبغي أن يُدعَ الجَحْشُ^(٣) من بَدِهِ^(٤) الأعيار^(٥)، ومَن سافرت في العلم همتُهُ، فلا يُلْقِ عصا التَّسْيَارِ، وقد قال الأول:

افعلِ الخيرَ ما استطعتَ، وإن كا ن قليلاً فلن تُحيطَ بكُلَّةِ
ومتى تبلغَ الكثيرَ مِنَ الْفُضْلِ إذا كنت تاركاً لأقْلَةٍ؟
نسأل اللهَ التوفيقَ لما يرضيه، وشكراً يَسْتَجْلِبُ المزيدَ من فضله ويقتضيه.

لماذا اتقن التأليف:

قال المؤلف أبو القاسم: قلت هذا؛ لأنني كنت حين شرعت في إملاء هذا الكتاب خَيْلَ إليَّ أن المرامَ عسير، فجعلت أخطو خَطْوَ الْحَسِيرِ^(٦). وأنهض نَهْضَ الْبَرْقِ^(٧) الْكَسِيرِ، وقلت: كيف أُرِدَ مَشْرَعاً^(٨) لم يسبقني إليه فارط^(٩). وأسألك سبيلاً لم تُوطأ قبلي بِخُفٍّ ولا خَافِرٍ، فبينما أنا أتردد ترددَ الحائرِ، إذ سَفَعَ لي هنالك خاطِر: أنَّ هذا الكتابَ سَيَرِدُ الْحَضْرَةَ الْعَلِيَّةَ الْمُقَدَّسَةَ الْإِمَامِيَّةَ^(١٠). وأنَّ الإمامةَ ستلحظه بعين القبولِ، وأنه سَيُكْتَتَبُ لِلخزانةِ المباركة - عَمَرها الله - بحفظه وكَلَاءَتِهِ، وأمدَّ أميرَ المؤمنين بتأييده ورعايته، فينتظم الكتاب بِسِلْكٍ أَغْلَاقِهَا^(١١)، وَيَتَّسِقُ مع تلك الأنوار في مطالع إشرافها، فعند ذلك امتطيتُ صَهْوَةَ الْجَدِّ، وَهَزَزْتُ نَبْعَةَ الْعَزْمِ. وَمَرِنْتُ أَخْلَافَ الْحِفْظِ، وَاجْتَهَزْتُ^(١٢) يَنَابِيعَ الْفِكْرِ، وعصرتُ بِلَالَةَ الطَّيْعِ، فَالْفَيْتُ - بحمد الله - البابَ فَتْحاً^(١٣) وَسَلَكْتُ سُبُلَ رَبِّي ذُلَّلاً، فَتَبَجَّسْتُ لي - بِمَنْ الله تعالى - من المعاني الغريبة عُيُونُهَا، واثالثَ عَلَيَّ من الفوائد اللطيفة أَبْكَارُهَا وَعُيُونُهَا، وَطَفَّقْتُ عَقَائِلَ^(١٤) الْكَلِمِ يَزْدَلِفُنْ^(١٥) إِلَيَّ بَأَيِّتِهِنَّ أَبَداً، فأعرضت عن بعضها إيثاراً للإيجاز، ودفعت في صدورِ أكثرِها خشيةَ الإطالة والإملال، لكن تحصّل في هذا الكتابِ مِن فوائِدِ العلوم والآداب، وأسماءِ الرجال

-
- (١) الحد: أي النهاية.
(٢) الأمد: أي النهاية.
(٣) الجحش: ولد الحمار.
(٤) بده: غلبه وسبقه.
(٥) الأعيار: جمع عير وهو الحمار الوحشي.
(٦) الحسير: المنقطع.
(٧) البرق: الحمل.
(٨) مَشْرَعاً: سابق.
(٩) فارط: سابق.
(١٠) كتابة عن الإمام أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن.
(١١) أغلاقها: جمع علق - وهو الشيء النفيس.
(١٢) اجتَهَزْتُ: أي تقيت.
(١٣) أي مفتوحاً.
(١٤) العقائل: جمع عقيلة وهي: السيدة الكريمة المخدرة.
(١٥) يزْدَلِفُنْ: ازدلف: أي دنا وتقدم.

والأنساب، ومن الفقه الباطن اللُّبَاب^(١)، وتعليل النحو، وصنعة الإعراب، ما هو مُسْتَخْرَجٌ من نَيْفٍ على مائة وعشرين ديوانًا، سوى ما أنتجه صدري، وَنَفَحَهُ فِكْرِي. وَتَنَجَّه نظري، وَلَقِئْتُهُ عن مشيختي، من نَكَبٍ^(٢) عِلْمِيَّةٍ لم أُسَبِّقَ إليها، ولم أَزَحَمْ عليها، كل ذلك بِإِغْنَى الله، وبركة هذا الأمر الْمُخَيَّبِ لَخَوَاطِرِ الطَّالِبِينَ والمَوْقِظِ لَهُمَ الْمُسْتَرْشِدِينَ، والمحَرِّكِ للقلوب الغافلة إلى الاطلاع على معالم الدين، مع أنني قَلَّلْتُ الْفُضُولَ، وَشَدَّدْتُ أَطْرَافَ الْفُضُولِ، ولم أَتَّبِعْ شُجُونَ الْأَحَادِيثِ، وللحديث شُجُونَ، ولا جَمَحْتُ بِي خَيْلَ الْكَلَامِ إلى غاية لم أَردها، وقد عَنَّتْ^(٣) لي منه فُتُونٌ، فجاء الكتابُ من أَصْغَرِ الدَّوَابِ حَجَمًا. ولكنه كُنْتُفٌ^(٤) مُلِئٌ عِلْمًا، ولو أَلْفُهْ غَيْرِي لَقَلْتُ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِي هَذَا.

وكان بَدْءُ إِمْلَائِي هذا الْكِتَابَ فِي شَهْرِ الْمَحْرَمِ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وكان الْفَرَاغُ مِنْهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ ذَلِكَ الْعَامِ.

سَنَدُهُ:

فَالْكِتَابُ الَّذِي تَصَدَّقْنَا لَهُ مِنَ السَّيَرِ هُوَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَرَبِيِّ سَمَاعًا عَلَيْهِ قَالَ: ثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَرَّافِيُّ الشَّافِعِيُّ، قَالَ: ثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ النَّحَّاسِ، قَالَ: ثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْوَرْدِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ أَبِي زُرْعَةَ الزُّهْرِيِّ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ، وَحَدَّثَنَا بِهِ أَيْضًا - سَمَاعًا عَلَيْهِ - أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ بُوْثَةَ الْقُرَشِيِّ الْعَبْدَرِيِّ عَنْ أَبِي بَخْرٍ سُفْيَانَ بْنِ الْعَاصِ الْأَسَدِيِّ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ، هِشَامِ بْنِ أَحْمَدَ الْكِنَانِيِّ.

وَحَدَّثَنِي بِهِ أَيْضًا أَبُو مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ بُزَّالٍ، عَنْ أَبِي عَمْرِو أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُقَرِّي الطَّلَمَنْكِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَوْنِ اللَّهِ بْنِ حُدَيْرٍ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْوَرْدِ عَنْ الْبَرْقِيِّ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ.

وَحَدَّثَنِي بِهِ أَيْضًا - سَمَاعًا وَإِجَازَةً - أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْأَشْيَبِيِّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْغَسَّانِيِّ، عَنْ أَبِي عَمْرِو الثَّمَرِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ أَشْيَاخِهِ عَنِ الطَّلَمَنْكِيِّ بِالْإِسْنَادِ الْمَتَّقَمِ.

(١) اللباب: لب الشيء: خالصه.

(٢) النكة: هي المعلومة المستخرجة بإعمال العقل.

(٣) عنت: أي خضعت. قال تعالى: ﴿وَعنت الوجوه للحي القيوم﴾.

(٤) الكنيف: وعاء العلم.

ترجمة ابن إسحق:

(فصل) ونبدأ بالتعريف بمؤلف الكتاب، وهو: أبو بكر محمد بن إسحق بن يسار المَظَلِّيُّ بالولاء؛ لأن ولاءه لقيس بن مَخْرَمَةَ بن المطلب بن عبد مناف، وكان جدّه يسار من سبي عين التمر^(١)، سباه خالد بن الوليد.

ومحمد بن إسحق هذا - رحمه الله - ثبت في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسِّيَر، فلا تُجهل إمامته فيها. قال ابن شهاب الزُّهْرِيُّ^(٢): مَنْ أَرَادَ الْمَغَازِي، فَعَلِيهِ بَابُنْ إِسْحَق. ذكره البخاري في التاريخ، وذكر عن سفيان بن عيينه^(٣) أنه قال: ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحق في حديثه، وذكر أيضاً عن شعبة بن الحجاج أنه قال: ابن إسحق أمير المؤمنين يعني: في الحديث، وذكر أبو يحيى الساجي - رحمه الله - بإسناد له عن الزُّهْرِيِّ أنه قال: خرج إلى قريته باذام، فخرج إليه طلاب الحديث، فقال لهم: أين أنتم من الغلام الأحول: أو: قد خَلَفْت فيكم الغلام الأحول يعني: ابن إسحق، وذكر الساجي أيضاً قال: كان أصحاب الزهري يَلْجُؤُونَ إلى محمد بن إسحق فيما شَكُّوا فيه من حديث الزهري، ثقة منهم بحفظه، هذا معنى كلام الساجي نقلته من حفطي، لا من كتاب.

وذكر عن يحيى بن مَعِين^(٤)، وأحمد بن حنبل^(٥)، ويحيى بن سعيد القطان^(٦) أنهم

(١) عين التمر: بلد فتحه المسلمون عام ١٢هـ.

(٢) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله القرشي الزهري الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإمامته وهو من رؤوس الطبقة الرابعة. مات سنة خمس وعشرين [ومائة] وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. أخرج له أصحاب الكتب الستة. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: أصح الأسانيد: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه علي. وقال البخاري: أصح الأسانيد: الزهري عن سالم عن أبيه. التهذيب (٩/٤٤٥).

(٣) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تَغَيَّرَ حفظه بآخره، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات، من رؤوس الطبقة الثامنة، وكان أثبت الناس عن عمرو بن دينار. مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعون سنة. أخرج له أصحاب الكتب الستة. انظر ترجمته في تهذيب الكمال (١١/١٧٧)، التهذيب (٤/١١٧)، التقريب (١/٣١٣).

(٤) هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ، إمام الجرح والتعديل، من الطبقة العاشرة. وله الكتاب الآم في الجرح والتعديل الموسوم بهذا الاسم. مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة بالمدينة النبوية وله بضع وسبعون سنة. أخرج له أصحاب الكتب الستة. انظر ترجمته في التهذيب (١١/٢٨).

(٥) هو إمام أهل السنة، الإمام المبتلي أحمد بن حنبل وكفاه فخراً أنه الإمام أحمد بن حنبل.

(٦) هو الثقة الحافظ المتقن الإمام القدوة: يحيى بن سعيد القطان البصري من كبار التاسعة، مات سنة =

وَتَقُوا ابْنَ إِسْحَاقَ، وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِهِ، وَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ عَمْرِو الدَّارِقُطَنِيِّ فِي السُّنَنِ حَدِيثَ الْقُلْتَيْنِ مِنْ جَمِيعِ طَرَفِهِ^(١)، وَمَا فِيهِ مِنَ الْاضْطِرَابِ، ثُمَّ قَالَ فِي حَدِيثٍ جَرَى: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى حِفْظِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَشِدَّةِ إِتْقَانِهِ.

قَالَ الْمُؤَلَّفُ: وَإِنَّمَا لَمْ يَخْرُجَ الْبُخَارِيُّ عَنْهُ، وَقَدْ وَثَّقَهُ، وَكَذَلِكَ وَثَّقَهُ مُسْلِمٌ مِنَ الْحِجَاجِ، وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ أَيْضًا إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا فِي الرُّجْمِ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ، مِنْ أَجْلِ طَعْنِ مَالِكٍ فِيهِ، وَإِنَّمَا طَعَنَ فِيهِ مَالِكٌ - فِيمَا ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ الْأَوْدِيِّ - لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ قَالَ: هَاتُوا حَدِيثَ مَالِكٍ، فَأَنَا طَبِيبٌ بَعْلُكِهِ، فَقَالَ مَالِكٌ: وَمَا ابْنُ إِسْحَاقَ؟! إِنَّمَا هُوَ دَجَّالٌ مِنَ الدَّجَالَةِ، نَحْنُ أَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، يَشِيرُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - إِلَى أَنَّ الدَّجَالَ لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ^(٢). قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: وَمَا عَرَفْتُ أَنَّ دَجَالَ! يُجْمَعُ عَلَى دَجَالَةٍ، حَتَّى سَمِعْتُهَا عَنْ مَالِكٍ، وَذَكَرَ أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ مَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِائَةً، وَقَدْ أَدْرَكَ مَنْ لَمْ يَدْرِكْهُ مَالِكٌ، رَوَى حَدِيثًا كَثِيرًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ الثَّيْمِيِّ، وَمَالِكٌ إِنَّمَا يُرَوَّى عَنْ رَجُلٍ عَنْهُ، وَذَكَرَ الْخَطِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بَنَ ثَابِتٍ فِي تَارِيخِهِ^(٣) - فِيمَا ذَكَرَ لِي عَنْهُ - أَنَّهُ - يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ - رَأَى أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءَ، وَالصَّبِيَّانِ خَلْفَهُ يَسْتَنْدُونَ^(٤)، وَيَقُولُونَ: هَذَا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لَا يَمُوتُ حَتَّى يَلْقَى الدَّجَالَ، وَذَكَرَ الْخَطِيبُ أَيْضًا أَنَّهُ رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وَذَكَرَ أَنَّ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيَّ شَيْخَ مَالِكٍ رَوَى عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: وَرَوَى عَنْهُ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَالْحَمَادَانِ: حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ، وَحَمَادُ بْنُ زَيْدٍ بَنَ دِرْهَمٍ، وَشُعْبَةُ. وَذَكَرَ عَنِ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَخَّرَ فِي الْمَغَازِي، فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، فَهَذَا مَا بَلَّغْنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ^(٥).

= ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً وَلَهُ ثَمَانٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. أَخْرَجَ لَهُ أَصْحَابُ الْكُتُبِ السَّتَةَ.

(١) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطَنِيُّ (٢٦/١) بِتَحْقِيقِي.

(٢) يَشِيرُ إِلَى حَدِيثِ مُسْلِمٍ: أَنَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ مُحَرَّمَتَانِ عَلَى الدَّجَالِ أَنْ يَدْخُلَهُمَا.

(٣) انْظُرْ تَارِيخَ بَغْدَادَ (٢١٤/١). (٤) يَسْتَنْدُونَ: أَيِ يَسْرَعُونَ.

(٥) يَقُولُ الْحَافِظُ فِي تَقْرِيبِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ: صَدُوقٌ مَدْلُوسٌ رُوِيَ بِالتَّشْتِيعِ وَالْقَدْرِ. التَّقْرِيبُ (٥٧٤٣). وَفِي التَّهْذِيبِ: رَأَى أَنَسًا وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعَمَّتِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمُوسَى وَالْأَعْرَجَ وَ... ثُمَّ قَالَ: وَرَوَى عَنْهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ وَزَيْدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ وَهُمَا مِنْ شُيُوخِهِ وَجَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ وَ... ثُمَّ قَالَ: قَالَ الْمَفْضَلُ الْغَلَابِيُّ سَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ عَنْهُ فَقَالَ: كَانَ ثِقَةً وَكَانَ حَسَنَ الْحَدِيثِ. فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَأَى ابْنَ الْمُسَيَّبِ. فَقَالَ: إِنَّهُ لَقَدِيمٌ. وَقَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَسُئِلَ عَنْ مَغَازِيهِ [أَيِ مَغَازِي ابْنِ إِسْحَاقَ] فَقَالَ: هَذَا

وأما الرواة الذين رَووا هذا الكتاب عنه فكثير. منهم: يونس بن بكير الشَّيبَانِي^(١)، ومحمد بن فُلَيْح^(٢)، والبَكَاثِي^(٣)، وإبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن إدريس، وسلمة بن الفضل الأسدي، وغيرهم. ونذكر البَكَاثِي لأنه شيخ ابن هشام، وهو: أبو محمد زياد بن عبد الله بن طَفِيل بن عامر القيسي العامري، من بني عامر بن صَغَصَعَة، ثم من بني البكاء، واسم البَكَاة: ربيعة، وسُمِّي البَكَاة لخبر يَسْمُجُ ذِكْرُهُ، كذلك ذكر بعض النسابين. والبَكَاثِي هذا ثقة، خرج عنه البخاري في كتاب الجهاد، وخرج عنه مسلم في مواضع من كتابه، وحَسْبُكَ بهذا تَرْكِيَّة.

وقد روى زياد عن حميد الطويل، وذكر البخاري في التاريخ عن وكيع قال: زياد

= أعلم الناس بها. وقال البخاري: رأيت علي بن عبد الله يحتج بحديث ابن إسحق قال: وقال علي [يعني ابن المديني] ما رأيت أحدًا يتهم ابن إسحق قال: وقال لي إبراهيم بن المنذر ثنا عمر بن عثمان أن الزهري كان يتلقف المغازي عن ابن إسحق فيما يحدثه عن علم بن عمر بن قتادة. والذي يُذكر عن مالك من ابن إسحق لا يكاد يتبين. وكان إسماعيل بن أبي أويس من أتبع مَنْ رأينا لمالك أخرج إليّ كتب ابن إسحق عن أبيه في المغازي وغيرها فانتخبت منها كثيرًا. قال: وقال لي إبراهيم بن حمزة: كان عند إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي وإبراهيم بن سعد من أكثر أهل المدينة حديثًا في زمانه. قال: ولو صحَّ عن مالك تناوله من ابن إسحق فلربما تكلم الإنسان فيرمي صاحبه بشيء ولا يتهمه في الأمور كلها. قال ولم ينبُج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم نحو ما يُذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي وكلام الشعبي في عكرمة ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان وحجة. وقال عبيد بن يعيث ثنا يوسف بن بكير سمعت الشعبي يقول: ابن إسحق أمير المؤمنين لحفظه قال: وقال لي علي بن عبد الله: نظرت في كتب ابن إسحق فما وجدت عليه إلا من حديثين ويمكن أن يكونا صحيحين. وهو في التهذيب (٤١/٩). وقال ابن عدي: لو لم يكن له من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء إلا الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومبدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق إليها وقد صنفها بعده قوم فلم يبلغوا مبلغه قال أحمد: هو حسن الحديث. وقال ابن المديني: حديثه عندي صحيح. أخرج له مسلم مقرونًا وفي التابعات وعلّق له البخاري. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ (١٦٣/١)، الميزان (٢١/٣)، التهذيب (٣٨/٩)، إرشاد الأريب (١٩٩/٦)، تاريخ بغداد (١/٢١٤)، التاريخ الكبير (٦١/١)، الكاشف (٤٧٨٥/٣)، الجرح (١٠٨٧/٧).

(١) انظر ترجمته في التهذيب (٤٣٤/١١)، التقريب (٣٨٥/٢) وهو صدوق يخطئ.

(٢) انظر ترجمته في التهذيب (٤٠٧/٩)، التقريب (٢٠١/٢) وهو صدوق يهم.

(٣) هو: زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري البكاثي - بفتح الموحدة وتشديد الكاف: أبو محمد الكوفي صدوق ثبت في المغازي وفي حديثه عن غير ابن إسحق لين ولم يثبت أن وكيعًا كذبه وله في البخاري موضع واحد متابعة. التقريب (٢٦٩/١).

أشرف من أن يكذب في الحديث، وَوَهَمَ التِّرْمِذِيُّ فقال في كتابه عن البخاري: قال: قال وكيعٌ: زيادُ بن عبد الله - على شرفه - يكذب في الحديث، وهذا وَهْمٌ، ولم يقل وكيع فيه إلا ما ذكره البخاري في تاريخه، ولو رماه وكيع بالكذب ما خرج البخاري عنه حديثًا، ولا مسلم، كما لم يخرجوا عن الحارث الأعور^(١) لما رماه الشُّعْبِيُّ بالكذب، ولا عن أبان بن أبي عيَّاش^(٢) لما رماه شُعبَة بالكذب، وهو كوفي توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة.

ترجمة ابن هشام^(٣):

وأما عبد الملك بن هشام، فمشهور بحمل العلم، متقدّم في علم النسب والنحو، وهو جَمِيرِيّ مَعَاوِرِيّ من مصر، وأصله من البصرة، وتوفي بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين، وله كتاب في أنساب جَمِيرٍ وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السَّيَر من الغريب - فيما ذكر لي - والحمد لله كثيرًا، وصلواته على نبيّه محمد وسلامه.

(١) هو الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور: ضعيف. اتهمه ابن المديني بالكذب.
(٢) أبان بن أبي عيَّاش: متروك. التقريب (٣١/١).
(٣) انظر ترجمته في وفيات الأعيان (١/٢٩٠).

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين.

ذكر سرد النسب الزكي

«من محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى آدم عليه السلام»

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام:

هذا كتاب سيرة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب: شَيْبَة بن هاشم، واسم هاشم: عَمْرُو بن عبد مَنَاف،

تفسير نسب رسول الله ﷺ

قد ذكرنا في كتاب التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام معاني بدیعة، وحكمة من الله بالغة في تخصيص نبيه محمد - ﷺ - بهذين الاسمين: محمد وأحمد، فلتنظر هناك، ولعلنا أن نعود إليه في باب مولده من هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى^(١).

عبد المطلب:

وأما جدّه عبد المطلب، فاسمه عامر في قول ابن قُتَيْبَة^(٢)، وشَيْبَة في قول ابن إسحق وغيره، وهو الصحيح. وقيل: سُمِّيَ شَيْبَة لأنه ولد، وفي رأسه شَيْبَة^(٣)، وأما غيره من العرب ممن اسمه شيبه، فإنما قصد في تسميتهم بهذا الاسم التفاؤل لهم، ببلوغ سنّ الحُنُكَة

(١) وأنا بدوري سأرجىء الكلام حول هذين الاسمين إلى ما أشار إليه رحمه الله تعالى.

(٢) انظر كتاب المعارف لابن قتيبة.

(٣) انظر تاريخ الطبري (٥٠١/١). ويقول ابن كثير في البداية (٢/٢٣٥): «وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشمًا لما مرّ في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن ليث بن حزام بن خدّاش بن خندف بن عدي بن النجار الخزرجي البخاري وكان سيد قومه فأعجبه ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها فزوّجها منه واشترط عليه مقامها عنده، وقيل بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة فلما رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى فتركها بالمدينة =

والرأي، كما سُمُوا بِهَرَمٍ وكبير، وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وكان لِدَّةً^(١) عُبَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ الشَّاعِرِ، غَيْرَ أَنْ عُبَيْدًا مَاتَ قَبْلَهُ بِعَشْرِينَ سَنَةً، قَتَلَهُ الْمُنْذِرُ أَبُو النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَيُقَالُ: إِنْ عَبْدَ الْمَطْلَبِ أَوَّلَ مَنْ خَضَبَ بِالسَّوَادِ مِنَ الْعَرَبِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد ذكر ابن إسحاق سَبَبَ تَلْقِيهِ بِعَبْدِ الْمَطْلَبِ. وَالْمَطْلَبُ مُفْتَعِلٌ مِنَ الطَّلَبِ.

هاشم:

وَأَمَّا هَاشِمٌ فَعَمْرٌ - كَمَا ذَكَرَ - وَهُوَ اسْمٌ مَنْقُولٌ مِنْ أَحَدِ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْعَمْرِ الَّذِي هُوَ الْعَمْرُ، أَوِ الْعَمَرِ الَّذِي هُوَ مِنْ عُمُورِ الْأَسْنَانِ، وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: أَوِ الْعَمَرِ الَّذِي هُوَ طَرَفُ الْكُمِّ، يُقَالُ: سَجَدَ عَلَى عَمَرِيهِ أَيِ: عَلَى كُمِّيهِ، أَوِ الْعَمْرِ الَّذِي هُوَ الْقَرْطُ، كَمَا قَالَ التَّوْحِيْدِيُّ:

وَعَمَرُوْهُ هِنْدٌ كَانَ اللَّيْلَةُ صَوْرُهُ عَمَرُوْهُ بَنِ هِنْدٍ يَسُوْمُ النَّاسَ تَغْنِيَتَا

وَزَادَ أَبُو حَنِيفَةَ وَجْهًا خَامِسًا، فَقَالَ فِي الْعَمْرِ الَّذِي هُوَ اسْمٌ لِنَخْلِ السَّكْرِ، وَيُقَالُ فِيهِ عَمْرٌ أَيْضًا، قَالَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْوُجُوهِ الَّتِي بِهَا سُمِّيَ الرَّجُلُ: عَمْرًا وَقَالَ: كَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى يَسْتَاكُ بِعَسِيبِ^(٢) الْعَمْرِ^(٣).

عبد مناف:

وَعَبْدُ مَنْافٍ اسْمُهُ: الْمَغْيِرَةُ - كَمَا ذَكَرَ - وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنَ الْوَصْفِ، وَالْهَاءُ فِيهِ لِلْمِبَالْغَةِ، أَيِ: إِنَّهُ مُغَيِّرٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ أَوْ مُغَيِّرٌ مِنْ أَغَارِ الْحَبْلِ، إِذَا أَحْكَمَهُ، وَدَخَلَتْهُ الْهَاءُ، كَمَا دَخَلَتْ فِي عَلَامَةِ وَنَسَابَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ قَصَدُوا قَصْدَ الْغَايَةِ، وَأَجْرَوْهُ مَجْرَى الطَّائِمَةِ وَالذَّاهِيَةِ، وَكَانَتْ الْهَاءُ أَوْلَى بِهَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّهُ مَخْرَجُهَا غَايَةُ الصَّوْتِ، وَمَتْنَاهُ، وَمَنْ تَمَّ لَمْ يُكْسَرْ مَا كَانَتْ فِيهِ هَذِهِ الْهَاءُ، فَيُقَالُ فِي عَلَامَةِ: عَلَالِيمٍ، وَفِي نَسَابَةٍ: نَسَائِيبٍ؛ كَيْ لَا يَذْهَبَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى الْمِبَالْغَةِ، كَمَا لَمْ يُكْسَرْ الْاسْمُ الْمُضْعَرُّ؛ كَيْ لَا تَذْهَبَ بَيِّنَةُ التَّصْغِيرِ وَعَلَامَتُهُ.

= وَدَخَلَ الشَّامَ فَمَاتَ بِغَزَاةٍ وَوَضِعَتْ سُلْمَى وَلَدَاهَا فَسَمَّيْتَهُ شَيْبَةً، فَأَقَامَ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَارِ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَ عَمَّهُ الْمَطْلَبُ بْنُ عَبْدِ مَنْافٍ فَأَخَذَهُ خَفِيَةً مِنْ أُمِّهِ فَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ وَرَأَوْهُ عَلَى الرَّاحِلَةِ قَالُوا مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ: عَبْدِي. جَاؤُوا فَهَنَّتُوهُ بِهِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لِذَلِكَ فَغَلَبَ عَلَيْهِ وَسَادَ فِي قَرِيْشٍ سَيَادَةُ عَظِيْمَةً وَذَهَبَ بِشَرْفِهِمْ وَرَتَّاسَتِهِمْ أَهْدَ.

(١) اللَّدَّةُ: مَنْ وَلَدَ مَعَكَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. (٢) الْعَسِيبُ: جَرِيدُ النَّخْلِ.

(٣) وَقِيلَ سُمِّيَ هَاشِمًا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ بِمَكَّةَ وَأَطْعَمَهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

عَمَرُوْهُ الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيْدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْنِنُوْنَ عِجَافٌ

وَالِيَهُ ذَهَبَ الْقِسْطَانِي فِي الْمَوَاهِبِ الدُّنْيَا. وَانْظُرِ الْبَدَايَةَ لِابْنِ كَثِيرٍ. وَالطَّبْرِيَّ فِي تَارِيخِهِ.

واسم عبد مناف: المغيرة بن قصي، بن كلاب، بن مرة بن كعب بن لؤي بن

ويجوز أن تكون الهاء في مُغيرة للتأنيث، ويكون منقولاً من وصف كَتِيبة، أو خيل مُغيرة، كما سُموا بعسكر. وعبد مناف هذا كان يُلقَّب قَمَر البَطحاء - فيما ذكر الطبري^(١) - وكانت أمه حُبَيِّ قد أخذته مَتَا^(٢)، وكان صَنَمًا عظيمًا لهم، وكان سُمِّي به عبد مناة، ثم نظر قُصَي فرآه يوافق عَبْدَ مَتَا بن كِنَانَةَ، فحوَّله: عَبْدُ منافٍ. ذكره البزقي والزبير أيضًا، وفي المُعيطي عن أبي نعيم قال: قلت لمالك: ما كان اسم عبد المطلب؟ قال: شيبة. قلت: فهاشم؟ قال: عمرو، قلت: فعبدُ مناف؟ قال: لا أدري^(٣).

قصي:

وقُصِي اسمه: زَيْدٌ، وهو تصغير قُصَي أي: بعيد لأنه بَعُد عن عشيرته في بلاد قُضَاعَةَ حين احتملته أمه فاطمة مع زائِه^(٤) ربيعة بن حرام، على ما سيأتي بيانه في الكتاب - إن شاء الله تعالى - وصُعِّر على فُعَيْل وهو تصغير فُعَيْل، لأنهم كَرِهوا اجتماع ثلاث ياءات، فحذفوا إحداها وهي الياء الزائدة الثانية التي تكون في فعيل نحو قضيب، فبقي على وزن فُعَيْل، ويجوز أن يكون المحذوف لام الفعل، فيكون وزنه فُعَيًْا، وتكون ياء التصغير هي الباقية مع الزائدة، فقد جاء ما هو أبلغ في الحذف من هذا، وهي قراءة قُتِل: يا بُنَيَّ ببقاء ياء التصغير وحدها، وأما قراءة حفص يا بُنَيَّ فلإنما هي ياء التصغير مع ياء المتكلم، ولام الفعل محذوفة، فكان وزنه فُعَيَّ ومن كسر الياء: قال يا بُنَيَّ فوزنه: يا فُعَيْل، وياء المتكلم هي المحذوفة في هذه القراءة^(٥).

كلاب:

وأما كِلَاب فهو منقول: إما من المصدر الذي هو معنى المكالبة نحو: كَالَبْتُ الْعَدُوَّ مُكَالِبَةً وكِلَابًا، وإما من الكِلَاب جمع كَلْب، لأنهم يريدون الكثرة، كما سُموا بسباع

(١) انظر تاريخ الطبري (٢٣٧/١) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) أخذته مناة: أي وهبته لخدمة «مناة» الصنم الجاهلي.

(٣) وقيل أن مناف اسم صنم لهم في الجاهلية. من ناف ينوف إذا ارتفع وعلا. قاله ابن دريد في الاشتقاق.

(٤) الراب: هو زوج الأم يربي ابنها من غيره، ومنه أيضًا: الربيبة. يقول تعالى: ﴿وربائبكم اللاتي في جحوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ [النساء: ٢٣].

(٥) يعني ما جاء في سورة هود آية رقم (٤٢) وهي قوله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال لابنه محدثًا له الطوفان: «يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين».

وَأَمَّا^(١). وَقِيلَ لِأَبِي الرُّقَيْشِ الْكَلَابِيِّ الْأَعْرَابِيِّ: لِمَ تُسَمُّونَ أَبْنَاءَكُمْ بِشَرِّ الْأَسْمَاءِ نَحْو: كَلْبٍ وَذئْبٍ، وَعَبِيدَكُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ نَحْو: مَرْزُوقٍ وَرَبَاحٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا نَسَمِّي أَبْنَاءَنَا لِأَعْدَائِنَا، وَعَبِيدُنَا لِأَنْفُسِنَا، يَرِيدُ أَنْ الْأَبْنَاءَ عِدَّةُ الْأَعْدَاءِ، وَسَهَامٌ فِي نَحْوِهِمْ، فَاخْتَارُوا لَهُمْ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ^(٢).

مُرَّة:

وَمُرَّةٌ مَنَقُولٌ مِنْ وَصْفِ الْحَنْظَلَةِ وَالْعَلَقَمَةِ، وَكَثِيرًا مَا يَسْمُونَ بِحَنْظَلَةٍ وَعَلَقَمَةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ لِلْمَبَالِغَةِ، فَيَكُونُ مَنَقُولًا مِنْ وَصْفِ الرَّجُلِ بِالْمَرَارَةِ، وَيَقْوِي هَذَا قَوْلُهُمْ: تَمِيمٌ بَنُ مُرٍّ، وَأَحْسِبُهُ مِنَ الْمُسَمَّيْنَ بِالنَّبَاتِ، لِأَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُرَّةَ بَقْلَةٌ ثَقُلُهَا، فَتَوَكَّلُ بِالْخَلِّ وَالزَّيْتِ يَشْبَهُ رَرَقَهَا وَرَقَّ الْهَنْدَبَاءِ.

كَعْب:

وَأَمَّا كَعْبٌ فَمَنَقُولٌ إِمَّا مِنَ الْكَعْبِ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ السَّمَنِ، أَوْ مِنْ كَعْبِ الْقَدَمِ وَهُوَ عِنْدِي أَشْبَهُ، لِقَوْلِهِمْ: ثَبَّتَ ثُبُوتَ الْكَعْبِ، وَجَاءَ فِي خَبَرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ يَوْمَ قُتِلَ، وَحِجَارَةُ الْمُنَجِّيقِ^(٣) تَمَرٌ بِأَذْنِيهِ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ كَأَنَّهُ كَعْبٌ رَاتِبٌ^(٤).

وَكَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ هَذَا أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ يَوْمَ الْعُرُوبَةِ وَلَمْ تُسَمَّ الْعُرُوبَةُ^(٥). الْجُمُعَةُ إِلَّا مَنْذُ جَاءَ الْإِسْلَامُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمَّاهَا الْجُمُعَةَ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَيُخَاطَبُهُمْ وَيَذْكُرُهُمْ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ - ﷺ - وَيُعَلِّمُهُمْ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَيُنْشِدُ فِي هَذَا آيَاتًا مِنْهَا قَوْلُهُ:

يَا لَيْتَنِي شَاهِدٌ فَخَوَاءَ دَعْوَتِهِ إِذَا قُرَيْشٌ تَبَغَّيَ الْحَقَّ خِذْلَانًا^(٦)

(١) أُنْمَارٌ: جَمْعُ نَمِرٍ. وَقِيلَ الْمَطَالِبُ هُوَ: الْجَرِيُّ. قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ فِي الْأَشْتِقَاقِ عَنْ أَهْلِ الْحِجَازِ.

(٢) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ حَدِيثَ رَقْمٍ (٢١٣٩) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقَالَ: «أَنْتِ جَمِيلَةٌ». وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ (٥٣/٨) أَنَّهُ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ جَدِّ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مِنْ «حَزَنٍ» إِلَى «سَهْلٍ» إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ أَبِي وَقَالَ: «لَا السَّهْلُ يُوطَأُ وَيُمْتَهَنُ». قَالَ سَعِيدٌ [رَأَوِي الْحَدِيثَ] فَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَصِيبُنَا بَعْدَهُ حَزُونَةٌ. أَخْرَجَهُمَا أَيْضًا أَبُو دَاوُدَ رَقْمَ (٤٩٥٢/٤٩٥٦ - بِتَحْقِيقِي) إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى اخْتِيَارِ أَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَاجْتِنَابِ سَيِّئِهَا. وَالتَّرَغِيبُ فِي أَسْمَاءِ بَعِيْنِهَا وَالنَّهْيُ عَنْ أَسْمَاءِ بَعِيْنِهَا.

(٣) الْمُنَجِّيقُ: آكَةٌ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ، وَكَانَتْ تَسْتَعْمَلُ فِي قَذْفِ الْأَحْجَارِ عَلَى الْأَسْوَارِ لِهَدْمِهَا.

(٤) رَاتِبٌ: أَيُّ ثَابِتٌ مُسْتَمِرٌّ عَلَى شَأْنِهِ. (٥) الْعُرُوبَةُ: اسْمُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

(٦) هَذَا الْكَلَامُ مُرَدُّودٌ إِذْ أَنَّ الْبَشَارَةَ بِنَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَهُمْ مُتَلَقَّةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَكِنْ =

وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأحكام له:

لؤي:

وأما لؤي، فقال ابن الأنباري هو تصغير اللأي، وهو الثور الوحشي وأنشد:

يَعْتَادُ^(١) أَذْجِيَّةَ^(٢) بَقِيْنٍ بِقَفْرَةٍ مَيْثَاءَ^(٣) يَسْكُنُهَا اللَّأْيُ وَالْفَرْقَدُ^(٤)

قال أبو حنيفة: اللأي هي البقرة، قال: وسمعت أعرابيا يقول: بكم لاءك هذه، وأنشد

في وصف فلاة:

كَظْهَرِ اللَّأْيِ لَوْ يَنْتَضِي رِيَّةً بِهَا نَهَارًا لِأَعْيَتْ فِي بُطُونِ الشَّوْاجِنِ^(٥)

الشواجن: شَعَبُ الجبال، والرّية: مَقْلُوبٌ مِنْ وَرَى الزُّنْدِ^(٦)، وأصله: وَرِيَّةٌ، وهو الْحَرَّاقُ الَّذِي يُشْعَلُ بِهِ الشَّرَرَةُ مِنَ الزُّنْدِ، وهو عِنْدِي تَصْغِيرُ لَأْيٍ، وَاللَّأْيُ: الْبُطَاءُ، كَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ مَعْنَى الْأَنَاءِ، وَتَرَكَ الْعَجَلَةَ، وَذَلِكَ أَنِّي أَلْفَيْتُهُ فِي أَشْعَارِ بَذَرٍ مُكَبَّرًا عَلَى هَذَا اللَّفْظِ فِي شِعْرِ أَبِي أُسَامَةَ، حَيْثُ يَقُولُ:

فَدُونُكُمْ بَنِي لَأْيٍ أَخَاكُمْ وَدُونِكَ مَالِكًا يَا أُمَّ عَمْرِو^(٧)

مع ما جاء في بيت الْحُطَيْيَةِ^(٨) في غيره:

أَتَتْ آلَ شَمَّاسٍ بَنٍ لَأْيٍ، وَإِنَّمَا أَتَاهُمْ بِهَا الْأَحْلَامُ وَالْحَسَبُ الْعِدْ

وقوله أيضًا:

فَمَاتَتْ أُمُّ جَارَةَ آلٍ لَأْيٍ وَلَكِنْ يَضْمَنُونَ لَهَا قَرَاهَا

وفي الحديث من قول أبي هريرة.

وَالرَّأْوِيَةُ يَوْمَنْذُ يُسْتَقَى عَلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاءٍ وَلَايٍ، فَالْأَيُّ هُنَا جَمْعُ اللَّأْيِ، وَهُوَ

الثور، مَثَلُ الْبَاقِرِ وَالْجَامِلِ، وَتَوَهُمُ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ قَوْلَهُ: لَاءٍ مَثَلُ مَاءٍ فَخَطَأَ الرِّوَايَةَ، وَقَالَ: إِنَّمَا

= جميعهم يجهل نسبته إلى أي قبيلة من قبائل العرب يكون نبي آخر الزمان - ﷺ - .

(١) يعتاد: أي يتتاب.

(٢) الأدجية: أمكنة بيض النعام.

(٣) ميثاء: لينة سهلة.

(٤) الفرقد: ولد البقر.

(٥) البيت للطرماح. كما في لسان العرب (٣٥١/١٤). ط. دار الكتب العلمية.

(٦) وري الزند: خرجت ناره.

(٧) ستأتي القصيدة كاملة في قتلى بدر.

(٨) الحطية هو: أبو مليكة جرول الشاعر المعروف.

فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، واسم مدركة: عامر بن إلياس بن

هو آلاء مثل: العاع جمع لأي، وليس الصواب إلا ما تقدم، وأنه لاء مثل جاء^(١).

فهر وغيره:

وأما فِهْر^(٢) فقد قيل: إنه لَقَبٌ، والفهر من الحجارة: الطويل، واسمه قُرَيْشٌ، وقيل: بل اسمه فِهْر، وقريش لقب له على ما سيأتي الاختلاف فيه - إن شاء الله تعالى - ومالك والنضر وكنانة لا إشكال فيها:

خزيمة:

وخُزَيْمَةُ والدُ كِنَانَةَ تصغيرُ خَزَمَةٍ، وهي واحدة الخَزَمِ^(٣)، ويجوز أن يكون تصغير خَزَمَةٍ، وكلاهما موجود في أسماء الأنصار وغيرهم، وهي المَرَّةُ الواحدة من الخَزَمِ، وهو: شد الشيء وإصلاحه، وقال أبو حنيفة: الخَزَمُ مثل الدَّوْمِ تُشَخِّدُ من سَعَفَةِ الجبال، ويَصْنَعُ من أسافله خلايا للنحل، وله ثمر لا يأكله الناس، ولكن تألفه الغربان وتستطيعه.

مدركة وإلياس:

وأما مُدْرِكَةٌ^(٤) فمذكور في الكتاب، وإلياس أبوه، قال فيه ابن الأثيري: إلياس بكسر الهمزة، وجعله موافقاً لاسم إلياس النبي - ﷺ -، وقال في اشتقاقه أقوالاً منها: أن يكون فِعْيَالاً من الألس^(٥)، وهي الخديعة وأنشد: من فَهَّةِ الجَهْلِ والأَلْسَةِ^(٦).

ومنها أن الألس: اختلاط العقل، وأنشدوا:

إني إذا لَصَعِيفُ العقلِ مألوسُ

(١) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (٣٠٩/٢).

(٢) الفهر: الحجر الأملس. ويقولون الفهر: أن يجامع الرجل المرأة ويفرغ في غيرها. مقياس اللغة لابن فارس (٤٥٦/٤).

(٣) الخزم: الخاء والزاء والميم أصل يدل على انشقاب الشيء. فكل مثقوب مخزوم. والطير كلها مخزومة؛ لأن وترات أنفها مخزومة. ومنه خزمت البعير إذا جعلت في وتره أنفه خزيمة من شعر والحبال خزمات، والشجرة خزمة وذلك أن لها لحاء يُقتل منه الحبال. السابق (١٧٨/٢).

(٤) مدركة: عامر أو عمرو بن إلياس وقيل في تسميته مدركة: أن إبلاً له نفرت فخرج إليها فأدركها. فسُمِّيَ مدركة. الطبري (٥١٣/١).

(٥) ألس: الهمزة واللام والسين كلمة واحدة وهي: الخيانة. العرب تسمي الخيانة ألساً. يقولون: لا يُدَالِس ولا يُؤَالِس مقياس اللغة (١٣١/١).

(٦) فهة الجهل والألسة: العي والزلل.

ومنها: أنه إفعال من قولهم: رَجَلَ أَيْسٌ، وهو الشجاع الذي لَا يَفِرُّ. قال العجاج:

أَيْسٌ عَنْ حَوْبَائِهِ^(١) بَسْخِي

وقال آخر:

أَيْسٌ كَالنُّشْوَانِ وَهُوَ صَاح

وفي غريب الحديث للْقُتَيْبِيِّ^(٢) أَنْ فَلَاتَا: أَيْسٌ أَهْيَسُ^(٣) أَلْدُمْلَحَسُ^(٤). إِنْ سُئِلَ أَرْزَ^(٥)، وَإِنْ دُعِيَ انْتَهَزَ. وقد فسره، وزعم أن أَهْيَسُ مقلوبُ الواو، وأنه مرة من الْهَوَسِ، وجُعِلَتْ وَاوُهُ يَاءً لازدواج الكلام، فالأَيْسُ: الثابت الذي لَا يَنْبَرِحُ، والذي قاله غير ابن الأنباري أصحُّ، وهو أنه الْيَاسُ سُمِّيَ بضدِّ الرجاء، واللام فيه للتعريف، والهمزة همزة وصل، وقاله قاسمُ بن ثابت في الدلائل^(٦)، وأنشد أبياتًا شواهد منها قول قُصَيٍّ:

إِنِّي لَدَى الْحَرْبِ رَخِي اللَّبِّ^(٧) أُمَّهَتِي خَنْدِفُ^(٨) وَالْيَاسُ أَبِي

ويقال: إنما سُمِّيَ السُّلُّ دَاءً يَاسٍ؛ وداءُ الْيَاسِ، لأنَّ الْيَاسَ بنُ مُضَرٍّ مات منه. قال ابن هزْمة:

يقول العاذلون إذا رَأَوْنِي أَصِبتُ بداءِ يَاسٍ، فهو مُودِي

وقال ابن أبي عاصية:

فلو كان داءُ الْيَاسِ بي، وأعاني

وقال عُزُوة بن حِرَام:

بي الْيَاسُ أو داءُ الْهَيْامِ أَصابني فإِيَّاكَ عَنِّي لَا يَكُنْ بِكَ ما بيا

(١) الحوباء: النفس.

(٢) يعني ابن قتية. قاله في غريب الحديث (١/٣٤) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) أهيس: كثير الأكل.

(٤) ملحس: حريص.

(٥) الأرز: الممتلئ.

(٦) هو ابن حزم الأندلسي الفقيه المتوفى سنة ٣٠٢ هـ.

(٧) رخي اللب: أي واسع البال لا يضيق بها.

(٨) أمهتي خندف: روى الطبري بسند منقطع عن هشام بن محمد قالوا: خرج إلياس من نجعة له، فنفرت إليه من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها فسُمِّيَ مدركة، وأخذها عامراً فطبخها فسُمِّيَ طابخة، وانقمع عمير في الجفاء فلم يخرج فسُمِّيَ قمعة، وخرجت أمهم تمشي فقال لها: إلياس أين تخندين؟ فسُمِّيَت خندف. والخندة ضرب من المشي. (الطبري ١/٥١٣).

مُضَرَّ بن نِزَار بن مَعَدَّ بن عَدْنَان بن أَدَّ ويقال أَدَدَ بن مَقَّوم بن ناحور بن تَنِيح بن

وَيُذَكَّرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَا تَسُبُّوا إِلْيَاسَ، فَإِنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا^(١) وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ فِي صَلَاتِهِ تَلْبِيَةَ النَّبِيِّ - ﷺ - بِالْحَجِّ^(٢). يُنْظَرُ فِي كِتَابِ الْمَوْلِدِ لِلْوَاقِدِيِّ.

وإِلْيَاسُ أَوَّلُ مَنْ أَهْدَى الْبُذْنَ لِلْبَيْتِ. قَالَه الزَّيْبِر. وَأُمُّ إِلْيَاسَ: الرَّبَابُ بِنْتُ حُمَيْرَةَ بِنِ مَعَدَّ بنِ عَدْنَان قَالَه الطَّبْرِي، وَهُوَ خِلَافُ مَا قَالَه ابْنُ هِشَامٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ^(٣).

وَأَمَّا مُضَرُّ، فَقَدْ قَالَ الْقُتَيْبِيُّ^(٤) هُوَ مِنَ الْمَضِيرَةِ، أَوْ مِنَ اللَّبَنِ الْمَاضِرِ، وَالْمَضِيرَةُ شَيْءٌ يُصْنَعُ مِنَ اللَّبَنِ، فَسَمِيَ: مُضَرُّ لِبَيَاضِهِ، وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْأَبْيَضَ أَحْمَرَ، فَلِذَلِكَ قِيلَ: مُضَرُّ الْحَمْرَاءُ، وَقِيلَ بَلْ أَوْصَى لَهُ أَبُوهُ بِقُبَّةٍ حَمْرَاءَ، وَأَوْصَى لِأَخِيهِ رِبِيعَةَ بِفَرَسٍ، فَقِيلَ: مُضَرُّ الْحَمْرَاءُ، وَرِبِيعَةُ الْفَرَسِ.

ومُضَرُّ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ لِلْعَرَبِ حُدَاءَ الْإِبِلِ^(٥)، وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْنًا فِيمَا زَعَمُوا - وَسَنَذَكَرُ سَبَبَ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ: «لَا تَسُبُّوا مُضَرَّ وَلَا رِبِيعَةَ، فَإِنَّهُمَا كَانَا مُؤْمِنِينَ»^(٦) ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ.

نِزَارُ وَمَعَدُّ:

وَأَمَّا نِزَارُ، فَمِنَ النَّزْرِ وَهُوَ الْقَلِيلُ، وَكَانَ أَبُوهُ حِينَ وُلِدَ لَهُ، وَنَظَرَ إِلَى النُّورِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَهُوَ نُورُ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَ يَنْتَقِلُ فِي الْأَصْلَابِ^(٧) إِلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا بِهِ،

(١) رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ (٣٠/١/١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ مَرْسَلًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا مُضَرَ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ».

(٢) لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى الْكَذِبِ مِنْ أَجْلِهِ ﷺ - وَكَفَانَا تَشْرِيفُ الْقُرْآنِ لَهُ وَاصْطِفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ وَإِرْسَالُهُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، وَيَقُولُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». وَيَقُولُ أَيْضًا: «لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» وَإِنَّمَا وَقَعَ وَدَبَّ الشَّرُّ لَا فِي بَنِي آدَمَ عِنْدَ مَغَالَتِهِمْ فِي الصَّالِحِينَ. انْظُرْ تَفْسِيرَ سُورَةِ الْجِنِّ لِابْنِ كَثِيرٍ وَغَيْرِهِ.

(٣) قَالَ الطَّبْرِيُّ: «وَأُمُّهُ الرَّبَابُ بِنْتُ حَيْدَةَ بِنِ مَعَدَّ (٥١٣/١) فَلَا وَجْهَ لِلْمُخَالَفَةِ.

(٤) يَعْنِي ابْنَ قُتَيْبَةَ كَمَا مَرَّ.

(٥) ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ (٤١٠/١): أَنَّ مُضَرَ سَقَطَ عَنْ بَعِيرِهِ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَدَاءَ - فَأَتَتْهُ الْإِبِلُ.

(٦) أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي مَسْنَدِ الْفَرْدُوسِ (١١٠/٩) وَفِي الْكَتَرِ (٣٤١١٩) وَالْفَتْحِ (١٤٦/٧).

(٧) كَذَبَ وَافْتَرَأَ لَا أَصْلَ لَهُ - أَسْطُورَةٌ طُفِفَتْ بِهَا بَعْضُ كُتُبِ السِّيَرَةِ تَحْكِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ نُورًا فِي جِهَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ انْتَقَلَ النُّورُ إِلَى جِهَةِ وَلَدِهِ ثُمَّ إِلَى وَلَدِ وَلَدِهِ وَهَكَذَا - وَخَيَالَاتٌ وَأَوْهَامٌ فَاسِدَةٌ تَجْعَلُ مِنْ سِيَرَةِ وَلَدِ آدَمَ ضَرْبٍ مِنَ الْقَصَصِ الطُّفُولِيِّ وَالْخَيَالِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي لَا يَرْفُضُهُ الْعَقْلُ وَيَأْبَاهُ - كَقَوْلِهِمْ أَنَّهُ ﷺ «نُورُ عَرْشِ اللَّهِ» وَأَنَّهُ لَوْلَاهُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْأَفْلاكَ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنَّهُ كَذَا وَكَذَا حَتَّى صَيَّرُوهُ إِلَهًا، بَلْ مِنْهُمْ [الصُّوفِيَّةُ] مَنْ صَرَّحَ بِأَنَّهُ «اللَّهُ» =

وَنَحَرَ وَأَطْعَمَ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا كُلَّهُ نَزَرَ لِحَقِّ هَذَا الْمَوْلُودِ، فَسُمِّيَ: نِزَارًا لِذَلِكَ^(١).

وَأَمَّا مَعَدُّ أَبُوهُ فَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ، أَحَدُهَا، أَنْ يَكُونَ مَفْعَلًا مِنَ الْعَدَّ، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ فَعْلًا مِنْ مَعَدَّ فِي الْأَرْضِ أَيَّ: أَفْسَدَ كَمَا قَالَ:

وَحَارِبَيْنِ حَرَبًا فَمَعَدًا مَا يَخْسِبَانِ اللَّهَ إِلَّا رَقْدًا^(٢)

وَإِنْ كَانَ لَيْسَ فِي الْأَسْمَاءِ مَا هُوَ عَلَى وَزْنِ فَعَلٍ بَفَتْحِ الْفَاءِ إِلَّا مَعَ التَّضْعِيفِ، فَإِنَّ التَّضْعِيفَ يُدْخِلُ فِي الْأَوْزَانِ مَا لَيْسَ فِيهَا كَمَا قَالُوا. شَمَّرَ وَقُشْغَرِيَّةَ، وَلَوْلَا التَّضْعِيفُ مَا وَجَدَ مِثْلَ هَذَا، وَنَحْوُ ذَلِكَ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَعْدِّينَ، وَهُمَا مَوْضِعُ عَقَبِي الْفَارَسِ مِنَ الْفَرَسِ^(٣) وَأَصْلُهُ عَلَى الْقَوْلَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ مِمَّنِ الْمَعْدُّ بِسُكُونِ الْعَيْنِ، وَهُوَ الْقُوَّةُ، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْمَعْدَةِ.

عَدْنَان:

وَأَمَّا عَدْنَانُ فَفَعْلَانٌ مِنْ عَدَنَ إِذَا أَقَامَ، وَلِعَدْنَانُ أَخْوَانُ: نَبَتْ وَعَمَرُوا فِيمَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ^(٤).

النسب قبل عدنان:

وَأَدَدٌ مَضْرُوفٌ. قَالَ ابْنُ السَّرَاجِ. هُوَ مِنَ الْوُدِّ وَانْصَرَفَ، لِأَنَّهُ مِثْلُ ثَقَبٍ، وَلَيْسَ مَفْعُولًا كَعَمَرَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ سَيَبَوِيهِ.

= فَقَالَ: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَلَّ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْكَافِرُونَ عَلَوًا كَبِيرًا - وَقَدْ حَذَرْنَا ﷺ مِنْ هَذِهِ الْمَغَالَةِ، وَقَدْ حَذَرَ اللَّهُ قَوْمًا مِنَ الْمَغَالَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وَلَكِنْ إِنَّمَا السُّنَنُ وَالتَّقْلِيدُ إِذْ كَيْفَ يَقُولُ النَّصَارَى عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ الْمَتَالِيَةُ: أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ - وَعِنْدَ الْبَعْضِ هُوَ «اللَّهُ». كَيْفَ يَقُولُوا هَذَا وَلَا يَقُولُ الصُّوفِيَّةُ أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ اللَّهُ - فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ هَذِهِ التَّرَهَاتِ وَالْخِرَافَاتِ الَّتِي قَضَتْ عَلَى عَقِيدَةِ أَكْثَرِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى صَارُوا عِبَادَ قُبُورٍ مِلْتَمَسِ الْبَرَكَةِ وَالْمَدَدِ مِنْ رَاقِدِيهَا.

(١) وَقِيلَ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِضَعْفِهِ إِذْ كَانَ مَهْزُولَ الْبَدَنِ وَفِي الْفَارْسِيَّةِ: نَزَارَ أَيَّ مَهْزُولٍ.

(٢) وَقِيلَ وَعَدَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَبْعَدَ فِي الذَّهَابِ. وَقَالَ ابْنُ فَارَسٍ فِي مَقَابِيصِهِ (٣٣٦/٥) الْمِيمَ وَالْعَيْنَ وَالدَّالَّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى غُلْظٍ فِي الشَّيْءِ - وَالْمَعْدُّ: شَدُّ الشَّيْءِ وَانْجِذَابُهُ.

(٣) فِي اللَّسَانِ: الْمَعْدَانُ: الْجَنَانُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ.

(٤) ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ (٥١٥/١).

وقد قيل في عدنان: هو ابن مَيْدَعَةَ وقيل ابن يَحْثُمَ^(١) قاله الْقُتَيْبِيُّ وما بعد عدنان من الأسماء مُضْطَرَب فيه، فالذي صحَّ عن رسول الله - ﷺ - أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه، بل قد رُوِيَ عن طريق ابن عباس أنه لما بلغ عدنان. قال: «كَذَبَ النَّسَابُونَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»^(٢)، والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود^(٣)، وَرُوِيَ عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: إنما نتسب إلى عدنان، وما فوق ذلك لا ندري ما هو وأصحُّ شيء رُوِيَ فيما بعد عدنان ما ذكره الدُّوْلَابِيُّ^(٤) أبو بشر من طريق موسى بن يعقوب، عن عبد الله بن وهب بن زَمْعَةَ الزَّمْعِيِّ، عن عَمَّتِهِ، عن أُمِّ سَلَمَةَ عن النبي - ﷺ - أنه قال: مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانَ بْنِ أَدَدَ بْنِ زَنْدَ - بالنون - بن الَيْرَى بن أَعْرَاقِ الثُّرَى^(٥) قالت أُمُّ سَلَمَةَ. فزَنْدُ هُوَ الَهْمَيْسَجُ، والَيْرَى هُوَ: نَبْتُ، وَأَعْرَاقُ الثُّرَى هُوَ: إِسْمَاعِيلُ؛ لِأَنَّهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِبْرَاهِيمُ لَمْ تَأْكُلْهُ النَّارُ، كَمَا أَنَّ النَّارَ لَا تَأْكُلُ الثُّرَى.

وقد قال الدَّارِقُطْنِيُّ: لا نعرف زَنْدًا إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَزَنْدُ بْنُ الْجَوْنِ وَهُوَ أَبُو دُلَامَةَ الشَّاعِرُ.

قال المؤلف: وهذا الحديث عندي ليس بمعارض لما تقدم من قوله: كذب النسابون^(٦)، ولا لقول عمر - رضي الله عنه - لأنه حديث مُتَأَوَّلٌ يحتمل أن يكون قوله: «ابن

(١) قاله ابن قتيبة في المعارف: «يجثوم».

(٢) «ضعيف» أخرجه ابن سعد (٢٨٠/١) وابن عساكر (٢٨٠/١) والقرطبي في تفسيره (٣٤٤/٩) عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعاً - به - فيه هشام بن محمد بن السائب متروك. ووالده محمد بن السائب: كذاب. قال سفیان الثوري: قال لي الكلبي: كل ما حدثت بك به عن أبي صالح فهو كذب.

(٣) أخرجه القرطبي في السابق (٣٤٤/٩).

(٤) هو: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد الأنصاري الدولابي - متكلم فيه.

(٥) «إسناده ضعيف». أخرجه الحاكم (٤٦٥/٢) والطبراني في الصغير (٦٢/٢) عن موسى بن يعقوب عن عمه الحرث بن عبد الله عن أبيه عن أُمِّ سَلَمَةَ. وموسى بن يعقوب: ضعيف. ترجمه الحافظ في التقریب فقال: صدوق سيء الحفظ. وقد نفرد به. وأخرجه الطبري في تاريخه (٥١٦/١) كما ذكر المصنف. وفيه أيضاً موسى بن يعقوب. وقال ابن دحية: «أجمع العلماء على أن رسول الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه». ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى في «الزاد»: «إلى هاهنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف فيه البتة، وما فوق «عدنان» مختلف فيه. ولا خلاف بينهم أن «عدنان» من ولد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، (٧١/١).

(٦) تقدم تخريج الحديث وسابقه وبيان ضعفهما فلا حاجة بنا إلى التأويل.

اليرى، ابن أعراق الثرى» كما قال: «كُلُّكُمْ بنو آدَمَ، وآدَمُ من تراب»^(١) لا يريد أن الهميسع ومن دونه ابن لإسماعيل لصلبه، ولأ بُد من هذا التأويل أو غيره؛ لأن أصحاب الأخبار لا يختلفون في بُعد المدة ما بين عدنان وإبراهيم، ويستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو سبعة، كما ذكر ابن إسحق، أو عشرة أو عشرون؛ فإن المدة أطول من ذلك كُلِّه، وذلك. أن معد بن عدنان كان في مدة بُخْتَنَصْر^(٢) ابن ثنئي عشرة سنة.

قال الطبري: وذكر أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان إلى إرمياء بن حلقيا^(٣) أن اذهب إلى بُخْتَنَصْر، فأعلمه أني قد سلطته على العرب، واحمل معداً على البراق كيلا تصيبه النعمة فيهم، فإني مُسْتَخْرِج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل، فاحتمل معداً على البراق إلى أرض الشام، فنشأ مع بني إسرائيل، وتزوج هناك امرأة اسمها: مُعَانَةُ بنت جَوْشَن من بني دُب بن جُزْهم، ويقال في اسمها: ناعمة. قاله الزبير، ومن ثمَّ وَقَعَ في كتاب الإسرائيليين نسب معد، ثبت في كتبه رخيا، وهو يورخ^(٤) كاتب إرمياء. كذلك ذكر أبو عمر التَّمَرِيُّ^(٥) حدث بذلك عن العسائي عنه، وبينه وبين إبراهيم في ذلك النسب نحو من أربعين جداً، وقد ذكرهم كلهم أبو الحسن المسعودي على اضطراب في الأسماء، ولذلك - والله أعلم - أعرض النبي - ﷺ - عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل، لما فيه من التخليط، وتغيير في الألفاظ، وعواصة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في تحصيلها. وقد ذكر الطبري نسب عدنان إلى إسماعيل من وجوه ذكر في أكثرها نحواً من أربعين أباً، ولكن باختلاف في الألفاظ، لأنها نُقلت من كتب عبرانية، وذكر من وجه قوي في الرواية عن نساب العرب، أن نسب عدنان يرجع إلى قَيْذَر بن إسماعيل، وأن قَيْذَر كان الملك في زمانه، وأن معنى قَيْذَر: الملك إذا فُسر، وذكر الطبري في عمود هذا النسب بُورًا بن شوحًا، وهو أول من عتَرَ الْعَتِيرَةَ، وأن شوحًا هو: سَعْدُ رَجَب، وأنه أول من سنَّ رَجَبًا للعرب. والعتيرة هي الرَجَبِيَّةُ^(٦).

(١) «حسن». أخرجه البزار (٤٣٥/٢) (٢٢٤/٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) هو أحد ملوك بابل.

(٣) ذكره الطبري في تاريخه (٣٢٦/١) وإسناده منقطع. والقصة مستقاة من العهد العتيق. وهي في حاجة إلى إثبات صحة ما جاء فيها.

(٤) هو يورخ كما في سفر أرميا.

(٥) هو أبو عمر بن عبد البر الحافظ المحدث المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

(٦) تاريخ الطبري (٥١٧/١) وفيه أن قَيْذَر: أي صاحب ملك. وكان أول من ملك من ولد إسماعيل.

يَعْرُوبُ بن يَشْعَبَ بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن راعو بن فالخ بن عَيَّير بن شالَح بن أَرْفَخْشَد بن سام بن نوح بن لَمَك بن مَثُوشَلَح بن أَخْنُوخ، وهو إدريس النبي - فيما يزعمون - والله أعلم، وكان أول بني آدم أُعطي النبوة، وخط بالقلم - ابن يَزْد بن مهْلِيل بن قَيْنَن بن يانِش بن شِيث بن آدم ﷺ.

وذكر في هذا النسب عُبَيْدُ بن ذِي يَزَن بن هَمَادًا، وهو الطَّعَان، وإليه تُنسَبُ الرُّمَاحُ الْيَزَنِيَّةُ^(١)، وذكر فيهم أيضًا دَوْسُ الْعُتْقُ، وكان من أحسن الناس وجهًا، وكان يقال في المثل: أَعْتَقَ مِنْ دَوْسٍ^(٢)، وهو الذي هزم جَيْشَ قَطُورًا بن جُرْهُم.

وذكر فيهم إسماعيلَ ذا الْأَعْوَج، وهو فرسه، وإليه تُنسَبُ الْخَيْلُ الْأَعْوَجِيَّةُ^(٣)، وهذا هو الذي يشبه، فَإِنْ بُخْتَنَصَّرَ كان بعد سليمان بمئتين من السنين، لأنه كان عاملاً على العراق «لكي لهراسب» ثم لابنه «كي بستاسب» إلى مدة بهمن قبل غلبة الإسكندر على دارا بن دارا بهمن، وذلك قريب من مدة عيسى ابن مريم فأين هذه المدة من مدة إسماعيل؟ وكيف يكون بين مَعَدٍّ وبنيه مع هذا سبعة آباء، فكيف أربعة والله أعلم؟.

وكان رجوع مَعَدٍّ إلى أرض الحجاز بعد ما رفع الله بأسه عن العرب ورجعت بقاياهم التي كانت في الشواهي إلى مَحَالِّهِمْ ومبَاهِجِهِمْ بعد أن دَوَّخَ بلادَهُمْ بُخْتَنَصَّرُ، وخرب المعمور، واستأصل أهل حَضُور^(٤)، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾^(٥) الأنبياء الآية؛ وذلك لقتلهم شَعِيبَ بن ذِي مَهْدَمَ نبيًا أرسله الله إليهم^(٦)؛ وقبره بِصَيْنِينَ جبل باليمن، وليس بشَعِيبِ الأول صاحب مَدْيَنَ. ذلك شَعِيبُ بن عَيْفِي، ويقال فيه: ابْنُ صَيْفُون، وكذلك أهل عَدَنَ، قتلوا نبيًا أرسل إليهم اسمه: حَنْظَلَةُ بن صفوان، فكانت سَطْوَةُ الله بالعرب لذلك، نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.

عود إلى النسب:

ثم نعود إلى النسب. فأما مَثُومُ بكسر الواو، وأبو أَدَدٍ فمفهوم المعنى، وتبرَحَ فَيَعْلَ مِنْ التَّرَحَّةِ إِنْ كَانَ عَرَبِيًّا. وكذلك ناحور من التَّخَرِ، وَيَشْعَبُ من الشَّجَبِ، وإن كان المعروف أن يقال: شجب بكسر الجيم يشجب بفتحها^(٧)، ولكن قد يقال في المغالبة: شاجبته،

(١) في الطبري (٥١٧/١): «هو عبيد وهو يزن الطعان وهو أول من قاتل بالرماح فنسبت إليه».

(٢) مثل يضرب في الكلام والشرف. (٣) الأعوج: فعل كريم تُنسَبُ إليه الخيل الكرام.

(٤) حضور: بلدة باليمن. (٥) سورة الأنبياء آية رقم (١١).

(٦) لم يصرح القرآن بنبوة شعيب. (٧) الشجب: الحزن.

فَشَجَبَتْهُ أَشْجُبُهُ بضم الجيم في المستقبل، وفتحها في الماضي؛ كما يقال من العلم: عالمتة فَعَلَمَتْهُ بفتح اللام أَغْلَمَهُ بضمها. وقد ذكرهم أبو العباس الناشيء في قصيدته المنظومة في نسب النبي - ﷺ - إلى آدم كما ذكرهم ابن إسحق.

وإبراهيمُ معناه: أَبٌ راحمٌ، وآزر قيل: معناه: يا أعوجُ، وقيل: هو اسم صَنَمٍ، وانتصب على إضمار الفعل في التلاوة، وقيل: هو اسم لأبيه؛ كان يسمى تارح وآزر، وهذا هو الصحيح لمجيئه في الحديث منسوباً إلى آزر وأُمّه: نوناً، ويقال في اسمها. ليوثي، أو نحو هذا وما بعد إبراهيم أسماء سُريانية فسر أكثرها بالعربية ابنُ هشام في غير هذا الكتاب، وذكر أن فالع معناها: القسام، وشالّخ معناها: الرسول، أو الوكيل، وذكر أن إسماعيل تفسيره: مطيع الله، وذكر الطبري أن بين فالغ وعابر أبا اسمه: قَيْنٌ^(١) أسقط اسمه في التوراة؛ لأنه كان ساحراً، وأزْفَحْشُدُ تفسيره: مصباحٌ مُضيءٌ، وشاذٌ مخفف بالسريانية «الضياء ومنه: حم شاذ» بالسُريانية وهو رابع الملوك بعد «جيومرث»، وهو الذي قتله الضحّاك، واسمه «بيوراسب بن إندراسب» والضحّاك مُعَيَّرٌ من أزدِهاق. قال حبيب:

وكأنه الضَّحَّاكُ في فَتَكَاتِهِ بالعالمين وأنت أفريدون
لأن أفريدون هو الذي قتل الضحّاك، بعد أن عاش ألف سنة في جُورٍ وعَثُوٍّ وطُغْيَانٍ عظيم؛ وذلك مذكور على التفصيل في تاريخ الطبري وغيره.

نوح ومن قبله:

وذكر نُوحًا - عليه السلام - واسمُه: عبدُ الغفار؛ وسُمِّيَ نُوحًا لِتَوَجُّهِهِ عَلَى ذَنْبِهِ^(٢)، وأخوه: صابىء بن لاميك؛ إليه يُنسب دينُ الصابئين^(٣) فيما ذكروا واللَّهُ أعلم.
وذكر أن لاميك والدُ نوح عليه السلام. ولاميك أول من اتخذ العودَ للغناء بسببِ يَطُولِ ذِكْرِهِ، واتخذ مصانع الماء. وأبوه: مُتَوْشَلَخُ. وذكره الناشيء في قصيدته^(٤) فقال: مُتَوْشَلَخُ، وتفسيره: مات الرسول؛ لأن أباه كان رسولاً وهو^(٥) خنوخ؛ وقال ابن إسحق وغيره: هو

(١) الطبري في تاريخه (٥١٨/١).

(٢) أما اسمه «عبد الغفار» ففي حاجة إلى دليل قاطع، وأما وجه تسميته نُوحًا لِتَوَجُّهِهِ عَلَى ذَنْبِهِ، وقبل أن يُذنب تُرى ماذا كان اسمه؟!.

(٣) الصابئين: هم عبدة الملائكة والكواكب، الخارجين من دين إلى دين.

(٤) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الناشيء. والقصيدة ذكرها ابن كثير في البداية والقصيدة والأمم لابن عبد البر. رحمهم الله تعالى.

(٥) في الطبري: «خنوخ».

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ بِهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ مِنْ نَسَبِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ إِدْرِيسَ وَغَيْرِهِ.

قال ابن هشام: وَحَدَّثَنِي خَلَادُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ خَالِدِ السُّدُوسِيِّ، عَنْ شَيْبَانَ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ شَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ عَنْ قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ، أَنَّهُ قَالَ:

إِدْرِيسُ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الْكِتَابِ الْكَبِيرِ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْقَلَمِ إِدْرِيسُ»^(١) وَعَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنَّهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ»^(٢) وَقَالَ أَبُو عُمَرَ: وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ أَصَحُّ مِنْ رِوَايَةِ مَنْ رَوَى: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ؛ وَالْخِلَافُ كَثِيرٌ فِي أَوَّلِ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ. وَفِي أَوَّلِ مَنْ أَدْخَلَ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ أَرْضَ الْحِجَازِ. فَقِيلَ: حَزْبُ بْنُ أُمَيَّةَ. قَالَ الشَّعْبِيُّ. وَقِيلَ: هُوَ شُعْبَانُ بْنُ أُمَيَّةَ. وَقِيلَ: عَبْدُ بْنُ قُصَيٍّ تَعَلَّمَ بِالْحِيرَةِ أَهْلُ الْحِيرَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْبَارِ^(٣).

إِدْرِيسَ:

قال المؤلف: ثُمَّ نَرْجِعُ الْآنَ إِلَى مَا كُنَّا بِصَدَدِهِ. فنقول: إِنَّ إِدْرِيسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَدْ قِيلَ: إِنَّهُ إِيْلَاسُ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِجَدِّ لُتُوحٍ. وَلَا هُوَ فِي عَمُودِ هَذَا النِّسَبِ. وَكَذَلِكَ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْحَافِظَ أَبَا بَكْرٍ^(٤) - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ - وَيَسْتَشْهَدُ بِحَدِيثِ الْإِسْرَاءِ - فَإِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَلَّمَا لَقِيَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ لَقِيَهُمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ. وَقَالَ لَهُ آدَمُ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ. كَذَلِكَ قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. وَقَالَ لَهُ إِدْرِيسُ: وَالْأَخِ الصَّالِحِ. فَلَوْ كَانَ فِي عَمُودِ نَسَبِهِ، لَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ لَهُ أَبَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ، وَأَبُوهُ آدَمُ، وَلَخَاطَبَهُ بِالْبُتُوَّةِ، وَلَمْ يَخَاطَبْهُ بِالْأُخُوَّةِ. وَهَذَا الْقَوْلُ عِنْدِي أَتْبَلُ، وَالنَّفْسُ إِلَيْهِ أَمِيلُ لَمَّا عَضَّدَهُ مِنْ هَذَا الدَّلِيلِ.

وقال: إِدْرِيسُ بْنُ يَزِيدَ^(٥)، وَتَفْسِيرُهُ: الضَّابِطُ. ابْنُ مَهْلَائِيلَ، وَتَفْسِيرُهُ: الْمُمَدِّحُ، وَفِي زَمَنِهِ كَانَ بَدْءُ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَشَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: ضَعِيفٌ. (٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْقَصْدِ وَالْأَمَمِ.

(٣) الْأَنْبَارُ: مَدِينَةُ قَرَبَ بَلُخٍ بِخُرَّاسَانَ.

(٤) يَعْنِي الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاوَرِيِّ - الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٥٤٣ هـ.

(٥) فِي الطَّبَرِيِّ: يَارْدُ. (٥١٨/١).

إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - ابن تارح - وهو آزر - بن ناحور بن
أسرغ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أَرْفَخْشَد بن سام بن نوح بن لَمَك بن
مَثُوشَلَح بن أَخْنُوخ بن يَزْد بن مهلائيل بن قايِن بن أَنُوش بن شيث بن آدم ﷺ.

عمل ابن هشام في سيرة ابن إسحق

قال ابن هشام: وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم وَمَنْ

«ابن قَيْثَان» وتفسيره: المستوى. «ابن أَنُوش» وتفسيره: الصادق، وهو بالعربية: أنش؛
وهو أول مَنْ غَرَس النخلة، وَبَوَّبَ الْكَعْبَةَ^(١) وَبَذَرَ الْحَبَّةَ فيما ذكروا، «ابن شيث» وهو
بالسريانية: شاث. وبالعبرانية: شيث. وتفسيره: عِطِيَّةُ الله «ابن آدم».

آدم:

وفيه ثلاثة أقوال: قيل: هو اسم سُرياني وقيل: هو أَفْعَل من الأذمة. وقيل: أخذ من
لفظ الأديم^(٢). لأنه خُلِقَ من أديم الأرض. وَرَوِيَ ذلك عن ابن عباس. وذكر قاسم بن
ثابت في الدلائل عن محمد بن المستنير. وهو: فَطُرِبَ أنه قال: لو كان من أديم الأرض
لكان على وزن فاعل، وكانت الهمزة أَصْلِيَّةً فلم يكن يمنعه من الصرف مانع، وإنما هو على
وزن أَفْعَل من الأذمة. ولذلك جاء غير مجرى^(٣).

قال المؤلف: وهذا القول ليس بشيء؛ لأنه لا يَمْتَنِع أن يكونَ من الأديم ويكونَ على
وزن أَفْعَل. تدخل الهمزة الزائدة على الهمزة الأصلية كما تدخل على همزة الأذمة. فأول
الأذمة همزة أصلية. فكذلك أول الأديم همزة أَصْلِيَّة. فلا يَمْتَنِع أن يَنْتَهِى منها أَفْعَل. فيكون
غير مجرى. كما يقال: رجل أَغْبِيَنُ وَأَزْأَسُ من العين والرأس. وَأَشَوَّقُ وَأَغْنَقُ من السَّاقِ
والعُنُق. مع ما في هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم منه لساناً، وأدكى
جَنَاناً.

حكم التكلم في الأنساب

قال المؤلف: وإنما تَكَلَّمْنَا في رَفَع هذا النسب على مذهب مَنْ رأى ذلك من العلماء.

(١) بَوَّب الكعبة: أي جعل لها أبواب. وهذا مخالف للصحيح من الأخبار التي ثبتت أن إبراهيم
وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام هما أول مَنْ أقاما الكعبة.

(٢) الأديم: الجلد. وروى الطبري في تاريخه (٦٣/١) عن سعيد بن جبيرة قال: إنما سُمِّيَ آدم لأنه
خلق من أديم الأرض.

(٣) غير مجرى: أي ممنوع من التنوين.

وَلَدَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِنْ وَلَدِهِ، وَأَوْلَادُهُمْ لِأَصْلَابِهِمْ، الْأَوَّلَ
فَالْأَوَّلَ، مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَمَا يَغْرُضُ مِنْ
حَدِيثِهِمْ، وَتَارَكَ ذِكْرَ غَيْرِهِمْ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ لِلِاخْتِصَارِ، إِلَى حَدِيثِ
سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَتَارَكَ بَعْضَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا
الْكِتَابِ، مِمَّا لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فِيهِ ذِكْرٌ، وَلَا نَزَلَ فِيهِ مِنَ
الْقُرْآنِ شَيْءٌ، وَلَيْسَ سَبَبًا لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَلَا تَفْسِيرًا لَهُ، وَلَا شَاهِدًا عَلَيْهِ؛ لِمَا
ذَكَرْتُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ وَأَشْعَارًا ذَكَرَهَا لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَعْرِفُهَا، وَأَشْيَاءَ
بَعْضُهَا يَشْتَعُ الْحَدِيثُ بِهِ، وَبَعْضُ يَسُوءُ بَعْضَ النَّاسِ ذِكْرُهُ، وَبَعْضٌ لَمْ يُقَرِّ لَنَا الْبُكَائِيُّ
بِرَوَايَتِهِ، وَمُسْتَقْصٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْهُ بِمَبْلَغِ الرِّوَايَةِ لَهُ، وَالْعِلْمُ بِهِ.

وَلَمْ يَكْرِهْ كَابِنُ إِسْحَاقَ وَالطَّبْرِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَالزُّبَيْرِيُّ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَأَمَّا مَالِكٌ
- رَحِمَهُ اللَّهُ - فَقَدْ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَرْفَعُ نَسَبَهُ إِلَى آدَمَ فَكَرِهَ ذَلِكَ. قِيلَ لَهُ: فَإِلَى إِسْمَاعِيلَ،
فَأَنْكَرَ ذَلِكَ أَيْضًا. وَقَالَ: وَمَنْ يُخْبِرُهُ بِهِ؟! وَكَرِهَ أَيْضًا أَنْ يَرْفَعَ فِي نَسَبِ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ أَنْ
يُقَالَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ قُلَانَ بْنِ قُلَانَ. قَالَ: وَمَنْ يُخْبِرُهُ بِهِ؟ وَقَعَ هَذَا الْكَلَامُ لِمَالِكٍ فِي الْكِتَابِ
الْكَبِيرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الْمُعِيطِيِّ وَإِنَّمَا أَصْلُهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حُثَيْنٍ^(١). وَتَمَمَهُ الْمُعِيطِيُّ،
فَنَسَبَ إِلَيْهِ. وَقَوْلُ مَالِكٍ هَذَا نَحْوُ مِمَّا رُوِيَ عَنْ عُزْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ: مَا وَجَدْنَا أَحَدًا
يَعْرِفُ مَا بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَ عَدْنَانَ
وَإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يَعْرِفُونَ.

(١) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ لِلزُّرْقَانِيِّ «ابْنُ جَبْرِ».

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أبناء إسماعيل عليه السلام:

قال ابن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي^(١)، عن محمد بن إسحاق المصطفي قال:

وَلَدَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا: نَابِتًا - وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ - وَقَيْدَرٌ، وَأَذْبُلٌ^(٢)، وَمَنْشَاءٌ، وَمِسْمَعَاءٌ، وَمَاشِيٌّ، وَدِمَاءٌ، وَأَذَرٌ، وَطِيْمَاءٌ، وَيَطُورَاءٌ، وَنَيْشٌ، وَقَيْدُمًا. وَأَمَهُمْ: بِنْتُ مِصْضَاضَ بْنِ عَمْرِو الْجَزْهَمِيِّ^(٣) - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: مِصْضَاضٌ. وَجَزْهَمٌ بْنُ قَحْطَانَ - وَقَحْطَانُ أَبُو الْيَمَنِ كُلِّهَا، وَإِلَيْهِ يَجْتَمِعُ نَسَبُهَا - ابْنُ عَابِرِ بْنِ شَالَخِ بْنِ أَرْقَحْشَدَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ.

قال ابن إسحاق: جَزْهَمٌ بْنُ يَقْطَنَ بْنِ عَيْبَرَ بْنِ شَالَخِ، وَيَقْطَنُ هُوَ قَحْطَانُ بْنُ عَيْبَرَ بْنِ شَالَخِ.

ذكر إسماعيل صلى الله عليه وبنيه

وقد كان لإبراهيم - عليه السلام - بَنُونَ سِوَى إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ مِنْ قَطُورَا بِنْتِ يَقْطَرٍ وَهُمْ: مَذْيَانُ وَزَمْرَانُ وَسِرْجٌ بِالْجِيمِ وَنَقْشَانُ - وَمِنْ وَلَدِ نَقْشَانَ الْبَزْزَرُ فِي أَحَدِ الْأَقْوَالِ - وَأَمَهُمْ رِغْوَةٌ. وَمِنْهُمْ نَشَقُ وَلَهُ بَنُونَ آخَرُونَ مِنْ حَاجُونَ بِنْتُ أَهْمِينَ، وَهُمْ: كَيْسَانُ وَسُورَجٌ وَأَمِينٌ وَلُوطَانُ وَنَافَسٌ. هَؤُلَاءِ بَنُو إِبْرَاهِيمَ.

(١) تقدمت ترجمة البكائي وبيان ضعفه.

(٢) في الطبري: «أذبل» ومنشأ ومسمع ودما وماس وأدد ووطور ونفيس وطما وقيدمان (١/١٨٩).

(٣) قال الطبري: «وهي التي قال لها إبراهيم إذ قديم مكة وهي زوجة إسماعيل: قولي لزوجك إذا جاء: قد رضيت لك عتبة بابك» (١/١٨٩).

وفاة إسماعيل، وموطن أمه:

قال ابن إسحاق: وكان عُمرُ إسماعيل - فيما يذكرون - مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات - رحمة الله وبركاته عليه - ودُفن في الْحَجَرِ مع أمه هاجر، رحمهم الله تعالى.

قال ابن هشام: تقول العرب: هاجر وآجر، فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا: هَرَأَقَ الماء، وأراق الماء وغيره: وهاجر من أهل مصر.

وقد ذكر ابن إسحاق أسماء بني إسماعيل، ولم يذكر بنته، وهي نَسَمَةُ^(١) بنت إسماعيل، وهي امرأة عيصو بن إسحاق^(٢)، وولدت له الروم وفارس - فيما ذكر الطبري^(٣) - وقال: أشك في الأشبان هل: هي أمهم، أم لا؟ وهم من ولد عيصو، ويقال فيه أيضًا: عيصًا، وذكر في ولد إسماعيل طيما، وقيدته الدارقطني: ظميا بظاء منقوطة بعدها ميم كأنها تأنيث أظمى، والظمى مَقْصُورٌ: سُمْرَةٌ في الشَّفَتَيْنِ.

وذكر دِمْأ، ورأيت للبكري أن دُومَةَ الْجَنْدَلِ عُرِفَتْ بدُوما بن إسماعيل وكان نَزَلَهَا، فلعل دِمْأ مُعَيَّرٌ منه، وذكر أن الطور سُمِّيَ بِيَطُور بن إسماعيل، فلعله محذوف الياء أيضًا - إن كان صح ما قاله - والله أعلم.

وأما الذي قاله أهل التفسير في الطور، فهو كل جبل يُنبت الشجر، فإن لم يُنبت شيئًا فليس بطور^(٤)، وأما قَيْدَرُ فتفسيره عندهم: صاحب الإبل، وذلك أنه كان صاحب إبل إسماعيل. قال: وأمّه: هاجر. ويقال فيها: آجر، وكانت سُرِّيَّةً^(٥) لإبراهيم، وهبتها له سارة بنت عمه، وهي سارة بنت ثوبيل بن ناحور، وقيل: بنت هاران بن ناحور، وقيل: هاران بنت تارح.

وهي بنت أخيه على هذا، وأخت لوط. قاله القُتَيْبِيُّ في المعارف، وقاله النقاش في التفسير، وذلك أن نكاح بنت الأخ كان حلالاً إذ ذاك فيما ذكر، ثم نقض النقاش هذا القول في تفسير قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]. إن هذا يدل على تحريم بنت الأخ على لسان نوح - عليه السلام - وهذا هو الحق، وإنما توهموا

(١) في الطبري: «يسمة».

(٢) عند الطبري «عيسو» وفي سفر التكوين: «عيسو».

(٣) الطبري في تاريخه (١/١٩٠).

(٤) الطور: الطاء والواو والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الامتداد في شيء من مكان أو زمان. والطور جبل. مقاييس اللغة (٣/٣٤٠) بتصرف.

(٥) سُرِّيَّة: أي أمة مملوكة.

حديث في الوصاة بأهل مصر:

قال ابن هشام: حَدَّثَنَا عبد الله بن وَهَب عن عبد الله بن لَهِيعة، عن عمر مولى عُفْرَةَ أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - قال:

«اللَّهُ اللّهُ فِي أَهْلِ الذِّمَّةِ، أَهْلُ الْمَدَرَةِ السُّودَاءِ، السُّخْمِ الْجَعَادِ، فَإِنْ لَهُمْ نَسَبًا وَصِهْرًا»^(١).

أنها بنت أخيه، لأن هاران أخوه، وهو هاران الأصغر، وكانت هي بنت هاران الأكبر، وهو عمّه، وبَهَارَانْ سُمِّيت مدينة حَرَّانْ؛ لأن الحاء هاء بلسانهم، وهو سُريانيّ وذكر الطبري أن إبراهيم إنما نطق بالعبرانيّة حين عَبَرَ النهر فارًّا من النمرود، وكان النمرود قد قال لِلطَّلَبِ^(٢) الذين أرسلهم في طلبه: إذا وجدتم فتى يتكلم بالسُريانيّة، فزُدوه، فلما أدركوه استنطقوه، فحوّل اللّهُ لسانه عِبْرانيًّا، وذلك حين عَبَرَ النهر، فُسِّمَت الْعِبْرانيّة بذلك^(٣)، وأما السُريانيّة فيما ذكر ابن سلام - فسُميت بذلك؛ لأن الله - سبحانه - لما عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، عَلَّمَهُ سِرًّا من الملائكة! وأنطقه بها حينئذ^(٤)، وكانت هاجر قبل ذلك لملك الْأَرْدُنْ، واسمه صَادُوق - فيما ذكر الْقَتَّيْبِي - دفعها إلى سَارَةَ حين أخذها من إبراهيم عَجَبًا منه بجمالها، فَضَرَعَ مكانه، فقال: اذْغِي اللّهُ أَنْ يُطْلِقَنِي. الحديث، وهو مشهور في الصُّحاح، فأرسلها، وأخذها هاجر، وكانت هاجر قبل ذلك الملكِ بنت ملكٍ من ملوك الْقِبْطِ بمصرَ ذكره الطبري من حديث سيف بن عمر أو غيره أن عمرو بن العاص حين حاصر مصرَ، قال لأهلها: إن نَبَّيْنَا عليه السلام قد وعدنا بفتحها، وقد أمرنا أَنْ نَسْتَوْصِيَ بأهلها خيرًا، فإنَّ لهم نَسَبًا وَصِهْرًا، فقالوا له: هذا نَسَبٌ لَا يَحْفَظُ حَقَّهُ إِلَّا نَبِيٌّ، لَأَنَّهُ نَسَبٌ بَعِيدٌ. وَصَدَقَ، كانت أمُّكم امرأة لملك من ملوكنا، فحَارَبْنَا أَهْلَ عَيْنِ شَمْسٍ، فكانت لهم علينا دَوْلَةٌ، فقتلوا الملك واحتملوها، فمن هناك تَصَيَّرَتْ إلى أبيكم إبراهيم - أو كما قالوا - وذكر الطبري أن الملك الذي أراد سَارَةَ هو سَيَّانُ بْنُ عُلوَانَ، وأنه أخو الضحَّاك الذي تقدّم ذكره، وفي كتاب التيجان لابن هشام أنه عَمْرُو بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ بَابِلْيُونِ بْنِ سَبَّأَ، وكان على مصرَ والله أعلم.

وهاجر أول امرأة نُفِيت أذنّاها، وأول مَنْ خَفَضَ من النساء^(٥)، وأول مَنْ جَرَّتْ ذيلها، وذلك أن سَارَةَ غَضِبَتْ عليها، فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها، فأمرها إبراهيم

(١) إسناده ضعيف. فيه عبد الله بن لهيعة: ضعيف. وعمر مولى غفرة: ضعيف كثير الإرسال. التقريب (٥٩/٢) وقد أرسله.

(٢) الطبري (١/١٨٥).

(٣) لِلطَّلَبِ: أي طالبيه.

(٤) الخفض: أي الختان.

(٥) تأويل بعيد جدًا.

قال عمر مولى عُفْرَة: نسبهم: أنَّ أم إسماعيل النبي - ﷺ - منهم. وصهرهم، أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - تَسَرَّرَ فيهم.

قال ابن لهيعة: أم إسماعيل: هاجر، من «أُمِّ الْعَرَبِ» قرية كانت أمام الْقَرَمَا من مصر.

وَأُمُّ إِبْرَاهِيمَ: مارية سُرَيَّة النبي - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - التي أهداها له الْمُقَوْسُ من حَفْن، من كُورَة أَنْصِنَا.

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ السُّلَمِيِّ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - قال:

«إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا» فَقُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ الزُّهْرِيِّ: مَا الرَّحِمُ الَّتِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - لَهُمْ؟ فَقَالَ: «كَانَتْ هَاجِرُ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ»^(١).

- عليه السلام - أَنَّ تَبَرَّ قَسَمَهَا بِثَقْبِ أُذُنَيْهَا وَخَفَاضِهَا، فَصَارَتْ سُنَّةً فِي النِّسَاءِ، وَمِمَّنْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي نَوَادِرِهِ.

وإسماعيل عليه السلام نبي مرسل، أرسله الله تعالى إلى أخواله من جُرْهُم وإلى العماليق الذين كانوا بأرض الحجاز، فأمن بعض وكفر بعض.

وقوله: وَأُمَّهُمْ بِنْتُ مِضَاضٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهَا. واسمها: السيدة ذكره الدَّارَقُطْنِيُّ. وقد كان له امرأة سواها من جُرْهُم، وهي التي أمره أبوه بتطليقها حين قال لها إبراهيم: قولي لزوجك: فَلْيَغَيِّرْ عَتَبَتَهُ^(٢) يقال اسمها: جداء بنت سعد، ثم تزوج أخرى، وهي التي قال لها إبراهيم في الزُّورَةِ الثانية قولي لزوجك: فليثبَّتْ عَتَبَةَ بَيْتِهِ: الحديث، وهو مشهور في الصُّحاح أيضًا يقال اسم هذه الآخرة: سَامَةُ بِنْتُ مُهْلَهْلٍ، وذكرهما، وذكر التي قبلها الواقدي في كتاب «انتقال النور» وذكرها المسعودي أيضًا^(٣) وقد قيل في الثانية: عاتكة.

(١) «إسناده مرسل». أخرجه الطبري في تاريخه (١٥٠/١) عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب - مرسلًا. والحاكم (٥٥٣/٢) عن الزهري عن ابن كعب عن أبيه وصححه على شرطهما.

(٢) أخرج البخاري في كتاب «الأنبياء» أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يزور ولده إسماعيل، وفي مرة لم يجده فسأل زوجته عن عيشهم فقالت: نحن في ضيق وشدة، فقال لها: أخبري زوجك أن يغيّر عتبه داره [كناية عن فارقها] وحضر إسماعيل عليه الصلاة والسلام فأخبرته زوجته بما حدث فقال لها: «هذا أبي وقد أمرني أن أفارقك».

(٣) ذكرها المسعودي في مروج الذهب (٤٧/٢).

أصل العرب وأولاد عدنان ومعذ وقضاعة:

قال ابن هشام: فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، ويقول: إسماعيل أبو العرب كلها.

قال ابن إسحاق: عادُ بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح، وشمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وطسّم وعِملاق وأمّيم بنو لاوذ بن سام بن نوح. عربُ كلهم فولدُ نابتُ بن إسماعيل: يَشْجُبُ بن نابت، فولدُ يشْجُبُ يَغْرُبُ بن يشْجُب، فولدُ يعرب: تَيْرِجُ بن يعرب، فولد تيرج: ناحورُ بن تيرج، فولدُ ناحور: مُقَوِّمُ بن ناحور: فولدُ مُقَوِّمُ أدَدُ بن مقوم: فولدُ أدَد: عدنان بن أدَد. قال ابن هشام: ويقال: عدنان بن أد.

هدايا المقوقس:

وقوله: في حديث عُمر: مولى غُفْرَة^(١)، وغفرة هذه هي أخت بلال بن رباح. وقول مولى غفرة هذا: إن صيهرهم لكون رسول الله - ﷺ - تَسَرَّرَ^(٢) منهم، يعني: مارية بنت شمعون التي أهداها إليه الْمُقَوِّقُسُ، واسمُه: جُرَيجُ بن ميناء، وكان رسول الله - ﷺ - قد أرسل إليه حاطبُ بن أبي بلتعةَ وجبرًا مولى أبي زُهَمِ الغفاري، فقارب الإسلام وأهدى معهما إلى النبي - ﷺ - بغلته التي يقال لها دُلْدُلُ، والدُلْدُلُ: القُنْفُذُ العظيم، وأهدى إليه مارية بنت شمعون، والمارية: بتخفيف الياء: البقرة الفتيّة بخط ابن سراج يذكره عن أبي عمرو المطرز.

وأما المارية بالتشديد، فيقال قِطَاةٌ ماريةُ أي: مَلَسَاءُ قاله أبو عبيد في الغريب المصنف.

وأهدى إليه أيضًا قَدْحًا من قواريِر، فكان رسولُ الله - ﷺ - يشرب فيه. رواه ابن عباس، فيقال: إن هِرْقَلَ عزله لما رأى من ميله إلى الإسلام. ومعنى المقوقس: الْمُطَوَّلُ للبناء، والقُوسُ: الصُّومَةُ العالية، يقال في مَثَلٍ: أنا في القُوسِ وأنت في القَرْقُوسِ متى نجتمع؟ وقولُ ابن لهيعةَ بالقَرَمَا من مصر. القَرَمَا: مدينة كانت تُنسَبُ إلى صاحبها الذي بناها، وهو القَرَمَا بن قيلقوس، ويقال فيه: ابن قليس، ومعناه: مُحبُّ الغرس، ويقال فيه: ابن بليس. ذكره المسعودي. والأول قول الطبري، وهو أخو الإسكندر بن قليس اليوناني، وذكر الطبري أن الإسكندر حين بنى مدينة الإسكندرية قال: أبني مدينةً فقيرة إلى الله، غَنِيَّةٌ

(١) تقدمت ترجمته وبيان ضعفه.

(٢) تسرّر منهم: أي اتخذ منهم سرية - أمة لفراشه.

قال ابن إسحاق: فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - فولد عدنان رجلين: معد بن عدنان، وعك بن عدنان.

عن الناس، وقال الفرما: أبني مدينة فقيرة إلى الناس، غنية عن الله، فسلب الله على مدينة الفرما الخراب سريعاً، فذهب رُسْمُهَا، وعفا أثرُهَا، وبقيت مدينة الإسكندر إلى الآن، وذكر الطبري أن عمرو بن العاص حين افتتح مصرَ، وقف على آثارِ مدينة الفرما، فسأل عنها، فَعُدَّتْ بهذا الحديث، والله أعلم.

مصر وحفن:

وأما مِصْرُ فسميت بمصر بن النبيط، ويقال: ابن قبط بن النبيط من ولد كُوش بن كَنْعَانَ^(١). وأما حَفْنُ التي ذكر أنها قرية أم إبراهيم بن النبي - ﷺ - فقريّة بالصعيد معروفة، وهي التي كلّم الحسن بن علي - رضي الله عنهما - معاوية أن يضع الخراج عن أهلها، ففعل معاوية ذلك حفظاً لوصية رسول الله - ﷺ - بهم، ورعاية لحُرْمَةِ الصَّهْرِ، ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال^(٢): وذكر «أَنْصِنَا» وهي قرية بالصعيد يقال: إنها كانت مدينة السَّحَرَةِ. قال أبو حنيفة: ولا يثبت اللَّبْحُ إلا بَأَنْصِنَا، وهو عود تُشْر منهُ ألواحٌ للسفن، وربما رَعَفَ ناشرُهَا، ويباغ اللوح منها بخمسين دينارًا، أو نحوها، وإذا شُدَّ لوحٌ منها بلوْحٍ، وطرح في الماء سنة التَّأَمَّا، وصاروا لوحًا واحدًا.

عَك:

فصل: وذكر عَكُ بن عَدْنَانَ، وأن بعضَ أهل اليمن يقول فيه: عَكُ بن عَدْنَانَ بن عبد الله، بن الأزْد، وذكر الدَّارِقُطْنِي في هذا الموضع عن ابن الحباب أنه قال فيه: عَكُ بن عبد الله، بن عَدْنَانَ بالثاء المثلثة، ولا خِلاف في الأول أنه بنوَيْن، كما لم يُختلف في دَوْسِ بن عَدْنَانَ، أنه بالثاء، وهي قبيلة من الأزْد أيضًا، واسم عَكُ: عامرٌ. والذَّيْثُ الذي ذكره هو بالثاء، وقاله الزبير: الذَّيْبُ بالذال والياء، ولعدنان أيضًا ابن اسمه: الحارث، وآخر يقال له المَذْهَبُ^(٣)، ولذلك قيل في المثل: أَجْمَلُ من المَذْهَبِ، وقد ذكر أيضًا في بَنِيهِ الضَّحَّاكُ وقيل في الضَّحَّاكِ إنه ابن معدٍّ، لا ابن عَدْنَانَ، وقيل إنَّ عَدْنَ الذي تُعرف به مدينة

(١) ذكر الطبري (١٢٧/١) أن القبط هم أولاد قوط بن حام بن نوح، وفي رواية أن مصريم بن حام بن نوح هو والد المصريين. وفي مروج الذهب للمسعودي (٣٥٧/١) أن الأقباط هم أولاد قبط بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح وأنه قيل لكل قبط مصر.

(٢) الأموال لأبي عبيد (٣٧٥).

(٣) المذهب: أي المملوء ذهبًا.

قال ابن هشام: فصارت عك في دار اليمن، وذلك أن عكا تزوج في الأشعرين، فأقام فيهم، فصارت الدار واللغة واحدة، والأشعريون: بنو أشعر بن ثبث بن أد بن زيد بن هَمَيْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن يَشْجُب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَغْرِب بن قحطان، ويقال: أشعر: ثبث بن أد، ويقال: أشعر: بن مالك، ومالك: مَذْجِج بن أد بن زيد بن هَمَيْسَع. ويقال أشعر: بن سبأ بن يَشْجُب.

عدن، وكذلك أبين هما: ابنا عدنان، قاله الطبري. ولعدنان بن أد أخوان: ثبث بن أد، وعمرو بن أد. قاله الطبري أيضًا^(١).

ذكر قحطان والعرب العاربة:

أما قحطان فاسمه مهزَم - فيما ذكر ابن مأكولا - وكانوا أربعة إخوة فيما روي عن ابن مَثْبُيْه: قحطان وقاحط ومقحط وقالغ. وقحطان أول من قيل له: أبيت اللعن^(٢)، وأول من قيل له: عم صباحا^(٣)، واختلف فيه، فقيل: هو ابن عابر بن شالغ، وقيل: هو ابن عبد الله أخو هود، وقيل: هو هود نفسه، فهو على هذا القول من إرم بن سام، ومن جعل العرب كلها من إسماعيل قالوا فيه: هو ابن تيمَن بن قَيْدَر بن إسماعيل. ويقال: هو ابن الهَمَيْسَع بن يَمَن ويمن سُميت اليمن في قول، وقيل: بل سُميت بذلك لأنها عن يمين الكعبة. وتفسير الهَمَيْسَع: الصُّراع. وقال ابن هشام: يَمَن هو. يَغْرُب بن قحطان، سمي بذلك؛ لأن هودا عليه السلام قال له: أنت أيمَن ولدي نقيية^(٤) في خبر ذكره. قال؛ وهو أول من قال القريض والرجز، وهو الذي أجلى بني حام إلى بلاد المغرب بعد أن كانوا يأخذون الجزية من ولد قوطة بن يافث. قال: وهي أول جزية وخراج أخذت في بني آدم. وقد احتجوا لهذا القول أعني: أن قحطان من ولد إسماعيل^(٥) عليه السلام يقول النبي - ﷺ -: «ارمؤا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا»^(٦) قال هذا القول لقوم من أسلم بن أفضى، وأسلم أخو خزاعة وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهم من سبأ بن يَشْجُب بن يَغْرُب بن قحطان، ولا حجة عندي في هذا الحديث لأهل هذا القول: لأن اليمن لو كانت من إسماعيل - مع أن عدنان كلها من إسماعيل بلا شك - لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب إلى إسماعيل معنى؛ لأن غيرهم من العرب أيضًا أبوه إسماعيل، ولكن في الحديث دليل.

(١) الطبري في تاريخه (١/١٥٠). (٢) أي أبيت إلا اللعن.

(٣) عم صباحا: أي أنعم الله صباحك أو نعم صباحك.

(٤) نقيية: أي نفسا.

(٥) انظر الطبري (١/١٢٧) والإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر (ص ٥٥ - ٥٧).

(٦) «صحيح». أخرجه البخاري (٦/٥٩) وأحمد (٤/٥٠) والبيهقي في الكبرى (١٠/١٧).

وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر، وأبو عبدة، لعباس بن مزداس، أحد بني
سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان، يفخر بعك:

وعك بن عدنان الذين تَلَقَّبوا بغَسَّان حتى طَرَدوا كل مَطَرَد

وهذا البيت في قصيدة له. وغَسَّان: ماء يسد مأرب باليمن، كان شِرْبًا لولد
مازن بن الأسد بن العوث، فسمُّوا به، ويقال: غَسَّان: ماء بالْمُشَلَّل قريب من الجُحفة،
والذين شربوا منه تحزبوا، فَسَمُّوا به قبائل من وَلَد مازن بن الأسد بن العوث بن
نَبْت، بن مالك، بن زيد بن كهلان، بن سبأ، بن يَشْجَب بن يَعْرُب، بن قحطان.

- والله أعلم - على أن خزاعة من بني قَمْعَة^(١) أخي مُذَرَّة بن إلياس بن مضر، كما سيأتي
بيانه في هذا الكتاب عند حديث عمرو بن لُحَيٍّ - إن شاء الله - وكذلك قول أبي هريرة
- رضي الله عنه - «هي أُمُّكُمْ يا بني ماء السماء»^(٢) يعني: هاجر، يَحْتَمِلُ أن يكون تأوَّل في
قحطان ما تأوَّلَه غيره، وَيَحْتَمِلُ أن يكون نَسَبُهُم إلى «ماء السماء على زَعِيهِمْ» فإنهم يَنْسَبُونَ
إليه، كما ينتسب كثير من قبائل العرب إلى حاضنتهم وإلى زَائِهِم، أي: زوج أمهم - كما
سيأتي بيانه في باب قبضة إن شاء الله.

سبأ وأميم ووبار:

وسبأ اسمه: عبد شمس - كما ذكر - وكان أول من تَتَوَّج من ملوك العرب، وأول من
سَبَى فُسْمَي سَبَأ، ولست من هذا الاشتقاق على يقين؛ لأن سبأ مهموزٌ وَالسَّبْيُ غير مهموز.
وذكر أميمًا، ويقال فيه: أميم: وجدت بخط أشياخ مشاهير: أميم، وأميم بفتح الهمزة
وتشديد الميم مكسورة، ولا نظير له في الكلام، والعرب تضطرب في هذه الأسماء القديمة
قال المعري^(٣):

يراه بنو الدهر الأخير بحاله كما قد رآته جُزْهُم وأمِيم

فجاء به على وزن فَعِيل، وهو الأكثر، وأميم - فيما ذكروا - أول من سَقَفَ البيوت
بالخشب المنشور، وكان ملكًا، وكان يُسَمَّى: آدم، وهو عند الفُرس: آدم الصغير، وولده:

(١) قمعة: لقبٌ لعيمير بن إلياس بن مضر.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٥٩/٦).

(٣) هو: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المصري التنوخي الشاعر الفيلسوف - توفي سنة
٤٤٩هـ.

وَبَارٍ^(١)، وهم أمة هلكت في الرَّمْل، هالت الرِّياح الرمل على فِجَاجِهِمْ وَمَنَاهِلِهِمْ فُهَلَكُوا.
قال الشاعر:

وَكَزَّ دَهْرٌ عَلَى وَبَارٍ فَأَهْلِكَتْ عَشْوَةٌ وَبَارُ

والنسب إليه أَبَارِي على غير قياس، ومن العماليق^(٢) ملوك مصر الفراعنة^(٣)، منهم:
الوليد بن مُضْعَبٍ صاحب موسى^(٤) وقابوس بن مُضْعَب بن عمرو بن معاوية بن إِرَاشَةَ بن
معاوية بن عَمَلِيْق أَخو الأول، ومنهم: الرِّثَانُ بن الوليد صاحب يوسف عليه السلام، ويقال
فيه: ابن دَوَمَعٍ فيما ذكر المسعودي^(٥).

وأما طَسَمٌ وَجَدِيسٌ فأفنى بعضهم بعضاً قتلت طَسَمٌ جَدِيسًا لسوء مَلَكَتِهِمْ إِيَّاهُمْ،
وَجَوْرِهِمْ فِيهِمْ، فأفلت منهم رجل اسمه: رَبَاحُ بن مُرَّة، فاستَصْرَحَ بَتَّبِعَ، وهو حَسَّان بن ثُبَّان
أُسْعَدَ، وكانت أُخْتُهُ اليمامة، واسمها عَتْرُ نَاكِحًا في طَسَمَ، وكان هوأها معهم، فأندرتهم،
فلم يقبلوا، فَصَبَّحَتْهُمْ جنودٌ تُبِعَ فَأَفْتَوْهُمْ قِتْلًا، وَصَلَبُوا اليمامة الزُّرْقَاءَ بباب جَوْ، وهي
المدينة، فسميت جَوْ بِالْيَمَامَةِ من هنالك إلى اليوم وذلك في أيام ملوك الطوائف، وبقيت بعد
طَسَمَ يَبَابًا^(٦) لا يأكل ثَمَرَهَا إِلَّا عَوَافِي الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ، حتى وقع عليها عُبَيْدُ بن ثَعْلَبَةَ
الحنفي، وكان رائدًا لقومه في البلاد، فلما أكل الثمر قال: إن هذا لَطَعَامٌ، وَحَجَرٌ بعصاه
على موضع قَصَبَةِ الْيَمَامَةِ، فَسُمِّيَتْ: حِجْرًا^(٧)، وهي منازلُ حَنِيفَةَ إلى اليوم، وخبر طَسَمَ
وَجَدِيسَ مشهورٌ اقتصرنا منه على هذه التَّبْدَةِ لشهرته عند الإخباريين.

(١) وبار: أرض باليمن.

(٢) العماليق: هم ولد عمليق أو عملاق ابن لاوذ بن إرم بن سام. وقد تفرقوا في الشام والحرم
وفارس وغيرهم.

(٣) الفرعون: لقب يطلق على كل من يملك مصر.

(٤) ليس هناك دليل صحيح يعتمد عليه أن الوليد بن مصعب أو رمسيس الثاني هو صاحب موسى عليه
الصلاة والسلام.

(٥) ذكره المسعودي في مروج الذهب (٣٠٨/١) واختلاف الناس في فرعون.

(٦) اليباب: أي الخراب.

(٧) حجر: هي ديار ثمود بوادي القرى وهي مدينة بين الشام والحجاز.

نسب الأنصار

قال حسان بن ثابت الأنصاري - والأنصار بنو الأوس والخزرج، ابني حارثة، بن ثعلبة بن عمرو، بن عامر، بن حارثة، بن امرئ القيس، بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث:

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعَشَرٌ نُجِبُ الْأَسَدُ نَسَبُنَا وَالْمَاءُ غَسَانُ
وهذا البيت في أبيات له.

ذكر نسب الأنصار

وهم الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، والأَوْسُ: الذُّثْبُ وَالْعَطِيَّةُ أيضًا^(١)، والخَزْرَجُ^(٢): الريح الباردة، ولا أحسب الأَوْسَ في اللغة إلا الْعَطِيَّةَ خاصةً، وهي مصدر أُشْتُهُ وَأَمَّا أَوْسٌ الذي هو الذُّثْبُ فَعَلَّمْ كاسم الرَّجُلِ، وهو كقولك: أَسَامَةٌ في اسم الأسد. وليس أَوْسٌ إذا أردت الذُّثْبَ، كقولك: ذُثْبٌ وَأَسَدٌ، ولو كان كذلك لَجَمَعَ وَعُرِفَ - قال - كما يُفعل بأسماء الأجناس، ولقيل في الأنثى: أَوْسَةٌ كما يقال: ذُثْبَةٌ، وفي الحديث ما يقوي هذا، وهو قوله عليه السلام: «هَذَا أَوْسٌ يَسْأَلُكُمْ مِنْ أَمْوَاجِكُمْ» فقالوا: «لَا تَطِيبُ لَهُ أَنْفُسُنَا بِشَيْءٍ»^(٣) ولم يَقُلْ: هَذَا الْأَوْسُ فَتَأَمَّلْهُ، وليس أَوْسٌ على هذا من الْمُسَمَّيْنَ بِالسَّبَاعِ، ولا منقولاً من الأجناس إلا من العطية خاصة.

-
- (١) أَوْسٌ: الهمزة والواو والسين كلمة واحدة وهي العطية، وقالوا: أُشْتُ الرجل أَوْسَهُ أَوْسًا أعطيته. ويقال الأَوْسُ: العوض. وأَوْسٌ: الذُّثْبُ. مقاييس اللغة (١/١٥٦ - ١٥٧).
- (٢) الخَزْرَجُ: الريح الباردة. وقال ابن سيده: ريح الجنوب. وقال الفراء: هي الجنوب غير مجرة. والخَزْرَجُ اسم رجل. والخَزْرَجُ قبيلة الأنصار. لسان العرب (٢/٢٥٥).
- (٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/٤٠).

وفيه عَمَرُو، وهو مُزَيَّقِيَاءُ، لأنه - فيما ذكروا - كان يُمزَّق كل يوم حُلَّةً. ابنُ عامر، وهو: ماءُ السماء. ابن حارثةُ الغَطْرِيفِ^(١) بن امرئ القيس، وهو: البُهْلُولُ بن ثعلبة الصنم ابن مازن السراج ابن الأسد، ويقال لثعلبة أبيه: الصنم، وكان يقال لثعلبة ابن عَمَرُو جد الأوس والخزرج: ثُعْلَبَةُ العَنَقَاءِ^(٢)، وكانهم ملوك مُتَوَجِّون، ومات حارثَةُ بن ثعلبة العَنَقَاءِ والدُ الأوس والخزرج بالمدينة بعدَ ظهورهم على الروم بالشام، ومُصَالِحَةِ غَسَّانَ لملك الروم، وكان موتُ حارثَةَ وجذعُ بنِ سِنَانٍ من صَنِحَةٍ كانت بين السماء والأرض سُمِعَ فيه صَهِيلُ الخيل، وبعد موت حارثة كان ما كان من نَكْبِ يَهُودَ العُهودِ، حتى ظهرت الأوس والخزرج عليهم بمن استنصروا به من ملوك جَفْنَةَ ويقال في الأسد: الأزْد بالسَّين^(٣) والزاي واسمُه: الأزْدَاءُ^(٤) بن الغوث. قاله وَثِيمةُ بن موسى بن الفرات. وقال غيره: سُمِّيَ أسدًا لكثرة ما أسدى إلى الناس من الأيادي^(٥). ورفع في النسب إلى كهلاً بن سبأ، وكهلاً كان ملكًا بعد جَمَيْر، وعاش - فيما ذكروا - ثلاثمائة سنة ثم تحول المُلْكُ إلى أخيه جَمَيْر، ثم في بنِيهم، وهم: وإيل^(٦) ومالك وعَمَرُو وعامر وسَعْد وعوف.

وذكر لَطَمَةَ وَلِدِ عَمَرُو بن عامر لأبيه، وأنه كان أصغرَ ولِدِه. قال المسعودي: واسمُه: مالك، وقال غيره: ثعلبة. وقال: ويقال إنه كان يتيمًا في حجره. وقول حسان^(٧):

إِذَا سَأَلْتِ فَإِنَّا مَعَشَرُ أَنْفٍ الْأَسَدُ نِسْبَتُنَا، وَالْمَاءُ غَسَّانُ
يَا أُخْتُ آلِ فِرَاسٍ إِنْسِي رَجُلٌ مِنْ مَعَشَرٍ لَهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانُ
وَاشْتَقَاقُ غَسَّانَ اسْمُ ذَلِكَ الْمَاءِ مِنَ الْعُسِّ، وَهُوَ الضَّعِيفُ كَمَا قَالَ:

عُسُّ الْأَمَانَةِ ضَنْبُورٌ فَضَنْبُورٌ^(٨)

(١) عند ابن دريد في الاشتقاق (٤٣٥): «الطريق». وعند الطبري (٣٦٠/١): كما ذكر المصنف.

(٢) لُقِّبَ بهذا لطول عتقه: قاله الخليل. انظر مقاييس اللغة (١٦١/٤).

(٣) وهو الأنصح. (٤) في نهاية الأرب (ص ٣١١/٢): ذراء أو ذزم.

(٥) من الأيادي: من النعم. (٦) في نهاية الإرب: وائلة.

(٧) هو: حسان بن ثابت صاحب وشاعر رسول الله ﷺ.

(٨) عس: الغين والسين ليس فيه إلا قولهم: رجل عس إذا كان ضعيفًا. ومنه قول أرس:

مُخَلَّفُونَ وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ عُسُّ الْأَمَانَةِ ضَنْبُورٌ فَضَنْبُورٌ
انظر مقاييس اللغة (٣٨٢/٤).

فَقَالَتِ الْيَمَنُ: وَبَعْضُ عَكَ، وَهُمْ الَّذِينَ بِخِرَاسَانَ مِنْهُمْ: عَكَ بْنُ عَدْنَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَسَدِ بْنِ الْغَوْثِ، وَيُقَالُ: عُدْنَانُ بْنُ الدَّيْثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَسَدِ بْنِ الْغَوْثِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَوُلِدَ مَعْدٌ بْنُ عَدْنَانَ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ: نَزَارُ بْنُ مَعْدٍ، وَقَضَاعَةُ بْنُ مَعْدٍ، وَكَانَ قَضَاعَةُ بَكَرَ مَعْدٌ الَّذِي بِهِ يَكْنَى - فِيمَا يَزْعُمُونَ - وَقُتْنَصُ بْنُ مَعْدٍ، وَإِيَادُ بْنُ مَعْدٍ.

فَأَمَّا قَضَاعَةُ فَتَيَامَنْتَ إِلَى حَمِيرَ بْنِ سَبَأَ - وَكَانَ اسْمُ سَبَأَ: عَبْدُ شَمْسٍ، وَإِنَّمَا سَمِّيَ سَبَأَ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَبَى فِي الْعَرَبِ - ابْنُ يَشْجُبَ بْنِ يَغْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَقَالَتِ الْيَمَنُ وَقَضَاعَةُ: قَضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرَ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَرَّةَ الْجُهَنِيِّ، وَجُهَيْنَةُ بْنُ زَيْدٍ، بَنُ لَيْثَ بْنِ سَوْدٍ، بَنُ أَسْلَمٍ، بَنُ الْحَافِ بْنِ قَضَاعَةَ:

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْهَجَانِ الْأَزْهَرِ قَضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرَ
النَّسَبِ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُنْكَرِ فِي الْحَجَرِ الْمَنْقُوشِ تَحْتَ الْمُنْبَرِ

وَيُرْوَى غُسِّي، وَيُقَالُ لِلْهَرِّ إِذَا زُجِرَ: غُسٌّ بِتَخْفِيفِ السَّيْنِ قَالَهُ صَاحِبُ الْعَيْنِ. وَالْغُسِّيَّةُ مِنَ الرُّطْبِ: الَّتِي يَبْدَأُهَا الْإِرْطَابُ مِنْ قَبْلِ مِغْلَاقِهَا، وَلَا تَكُونُ إِلَّا ضَعِيفَةً سَاقِطَةً.

سَبَأُ وَسَبِيلُ الْعَرَمِ:

فَصْلٌ: وَذَكَرَ تَفَرَّقَ سَبَأَ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: تَفَرَّقُوا أَيَدِي سَبَأَ وَأَيَادِي سَبَأَ نَضْبًا عَلَى الْحَالِ، وَإِنْ كَانَ مَعْرِفَةً فِي الظَّاهِرِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: مِثْلُ أَيَدِي سَبَأَ وَالْيَاءُ سَاكِنَةٌ فِيهِ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ، لِأَنَّهُ صَارَ بِمَنْزِلَةِ اسْمَيْنِ جُعِلَا اسْمًا وَاحِدًا مِثْلُ: مَعْدِي كَرِبَ، وَلَمْ يَسْكُنْهَا فِي ثَمَانِي عَشْرَةَ، لِأَنَّهَُا مَتَحَرِّكَةٌ فِي ثَمَانِيَةِ عَشَرَ.

فَصْلٌ: وَذَكَرَ سَبِيلُ الْعَرَمِ، وَفِي الْعَرَمِ أَقْوَالٌ^(١): قِيلَ: هُوَ الْمُسْنَاءُ أَيُّ: السَّدُّ وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ الْوَادِي، وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ، وَقِيلَ: هُوَ الْجُرْدُ الَّذِي خَرَّبَ السَّدَّ، وَقِيلَ: هُوَ صِفَةُ لِلْسَّيْلِ مِنَ الْعَرَامَةِ، وَهُوَ مَعْنَى رَوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الْبَخَارِيُّ: الْعَرَمُ: مَاءٌ أَحْمَرُ حَفَرَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى ارْتَفَعَتْ عَنْهُ الْجَبْتَانِ، فَلَمْ يَسْقِهُمَا، حَتَّى يَبْسُتَ، وَلَيْسَ الْمَاءُ الْأَحْمَرُ مِنَ السَّدِّ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَذَابًا أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ. انْتَهَى كَلَامُ الْبَخَارِيِّ.

(١) عَرَمٌ: الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ وَحْدَةٍ. يُقَالُ: عَرَمَ الْإِنْسَانُ يَعْرُمُ عَرَامَةً وَهُوَ عَارِمٌ، وَأَمَّا سَبِيلُ الْعَرَمِ فَيُقَالُ: الْعَرْمَةُ: السُّكْرُ، وَجَمْعُهَا عَرِمٌ. وَهَذَا صَحِيحٌ، لِأَنَّ الْمَاءَ إِذَا سُكِّرَ كَانَ لَهُ عَرَامٌ مِنْ كَثَرَتِهِ، وَمَحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ الْعَرْمَةُ الْكُدْسُ الْمَدُّوسُ الَّذِي لَمْ يَذَرَّ يُجْعَلُ كَهَيْئَةِ الْأَرْجِ. مَقَائِيسُ اللَّغَةِ (٤/ ٢٩٢-٢٩٣). وَاللَّسَانُ (١٢/ ٣٩٤).

والعرب تضيف الاسم إلى وَصْفِهِ، لأنهما اسمان، فَتَعْرِفُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ. وحقيقة إضافة الْمُسَمَّى إلى الاسم الثاني، أي: صاحب هذا الاسم كما تقول: ذو زيد أي. المسمى بزيد، ومنه سَعْدُ نَاشِرَةٌ وَعَمْرُو بَطَّةٌ.

وقول الأعشى^(١):

ومأرب عقى عليها العَرم

يقوى أنه السَّيْلُ. ومأرب بسكون الهمزة: اسم لقصر كان لهم، وقيل: هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ، كما أن ثُبَّعًا اسم لكل من وَلِيَ اليمن، وَحَضْرَمَوْتَ وَالشُّخْر. قاله المسعودي. وكان هذا السد من بناء سبأ بن يَشْجُب بن يَغْرَب، وكان ساق إليه سبعين واديًا، ومات قبل أن يستتمه، فأتته ملوك جَمِير بعده. وقال المسعودي: بناء لقمان بن عاد، وجعله قَرْسَخًا، وجعل له ثلاثين مَقْبَأً^(٢).

وقول الأعشى:

إذا جاء مَوَازُهُ لَمْ يَرِم

من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾^(٣). فهو مفتوح الميم، وبعضهم يزويه مضموم الميم، والفتح: أَصَحُّ. ومنه قولهم: دَمَ مائِرُ أي: سائل. وفي الحديث: «أَمِرُ الدَّمِ بما شئت»^(٤) أي أرسله، ورواه أبو عبيد أمر بسكون الميم، جعله من مَرَيْتُ الضَّرْع. والنفس إلى الرواية الأولى أميل من طريق المعنى، وكذلك رواه النقاش، وفسره.

وقوله: لم يَرِم، أي لم يُمْسكه السد حتى يأخذوا منه ما يحتاجون إليه. وقوله: فأروى الزروع وأعابها أي: أعتاب تلك البلاد، لأن الزروع لا عنب لها.

وأنشد لأُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْت:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من سَيْلِهِ الْعَرِمَا^(٥)

(١) هو: أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، وشطر البيت تجده في ديوانه (ص ٤٣).

(٢) وقيل أنها بلفظ. (٣) سورة الطور آية رقم (٩).

(٤) «صحيح». أخرجه أبو داود (٢٨٢٤) وأحمد (٣٧٧/٢٥٨/٤) والبيهقي في الكبرى (٢٧٩/٧) والحاكم (٢٤٠/٤).

(٥) البيت في اللسان (٣٩٦/١٢):

من سبأ الحاضرين مأرب إذ شَرَّدَ من دون سَيْلِهِ الْعَرِمَا
قال: أنشد ابن بري للجعدي.

قنص بن معد ونسب النعمان

قال ابن إسحاق: وأما قنص بن معد فهلك بقتلهم - فيما يزعم نساب معد - وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري: أن النعمان بن المنذر كان من ولد قنص بن معد. قال ابن هشام: ويقال: قنص.

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن شيخ من الأنصار من بني زريق أنه حدثه: أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين أتى بسيف النعمان، بن المنذر، دعا جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي - وكان جبير من أنسب قریش لقریش، وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب - فسألحه إياه، ثم قال: ممن كان يا جبير: النعمان بن المنذر؟ فقال: كان من أشلاء قنص بن معد^(١).

قال ابن إسحاق: فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من لحم، من ولد ربيعة بن نصر، فالله أعلم أي ذلك كان.

وهذا أبين شاهد على أن العرم هو السد، واسم أبي الصلت: ربيعة بن وهب بن عِلَاجِ الثَّقَفِيِّ وأمه: رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف.

ذكر معد وولده

قوله: وَوَلَدَ مَعَدُّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ، أما نزارٌ فمُتَّفَقٌ عَلَى أَنَّهُ ابْنُ مَعَدٍّ، وسائر ولد معد فمختلف فيه، فمنهم جشم بن معد وسيلهم بن معد وجنادة بن معد، وقناسة بن معد، وقنص بن معد وستام بن معد، وعوف - وقد انقرض عقبه - وحيدان، وهم الآن في قضاة، وأود، وهم في مدحج ينسبون بني أود بن عمرو، ومنهم عبدة الرماح وحيدة وحيدة وجند وقخم، فأما قضاة فأكثر النسابين يذهبون إلى أن قضاة هو: ابن معد، وهو مذهب الزبيريين، وابن هشام، وقد روي من طريق هشام بن عروة عن عائشة عن النبي - ﷺ - أنه سئل عن قضاة، فقال: هو ابن معد، وكان بكره. قال أبو عمر: وليس دون هشام بن عروة من يحتج به في هذا الحديث^(٢)، وقد عارضه حديث آخر عن عقبه بن عامر الجهني. وجهينة:

(١) انظر تاريخ الطبري (٣٦١/١) والإنباه (ص ١٠٥).

(٢) الإنباه لابن عبد البر (ص ٥٩).

هو ابن زَيْد بن لَيْث بن سَوْد بن أَسْلَم - بضم اللام - ابن الْحَافِ بن قُضَاعَةَ أنه قال: يا رسول الله: لِمَنْ نحن؟ فقال: «أنتم بنو مالك بن جَمِير»^(١). وقال عَمْرُو بن مُرَّة - وهو من أصحاب رسول الله - ﷺ - وَيَكْنَى أبا مريم:

يَأْيُهَا الدَّاعِي اذْعُنَا وَأُبْشِرْ وَكُنْ قُضَاعِيًّا وَلَا تَنْزُرْ
نحن بنو الشيخ الْهَجَانِ الْأَزْهَرِ قُضَاعَةُ بن مالك بن جَمِير

قال ذُو الْحَسْبَيْنِ: قال الزبير: الشعر لأفلح بن الْيَغُوب. وعَمْرُو بن مُرَّة هذا له عن رسول الله - ﷺ - حديثان أحدهما: في أعلام النُّبُوَّة، والآخر: «مَنْ وَلِيَ أَمْرَ النَّاسِ، فَسَدَّ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ، وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ سَدَّ اللَّهُ بَابَهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَمَسْكِنَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢). ومما احتج به أصحاب القول الأول أيضًا قول زهير^(٣):

قُضَاعِيَّةٌ أَوْ أُخْتُهَا مُضَرِّيَّةٌ يُحَرِّقُ فِي حَافَاتِهَا الْحَطَبُ الْجَزْلُ
فجعل قُضَاعَةَ وَمُضَرَ أخوين: وأشعار كثيرة للبيد وغيره، وقد قال الْكُمَيْتُ^(٤) يعاتب قُضَاعَةَ في انتسابهم إلى اليمن:

عَلَامَ نَزَلْتُمْ مِنْ غَيْزِ قَفْرِ وَلَا ضَرَاءَ مَنْزِلَةَ الْحَمِيلِ^(٥)

والحميل: الْمَسْبِيُّ لأنه يُحْمَلُ من بلد إلى بلد. قال الْأَعْمَشُ: كان أَبِي حَمِيلًا قَوْرَةً مَسْرُوقًا^(٦). أراد أن مسروقًا كان يرى التوارث بولادة الأعاجم. وقال ابن الماجشون: كان أَبِي وَمَالِكُ وابْن دِينَارِ والمغيرةُ يقولون في الحميل - وهو الْمَسْبِيُّ - يقول ابن هُرْمُزٍ ثم رجع مالك قبل موته ببسير إلى قول ابن شهاب، وأنهم يتوارثون بشهادة الْعُدُولِ، ولما تعارض القولان في قُضَاعَةَ، وتكافأت الحجاج نَظَرْنَا فإذا بعضُ النَّسَابِينَ - وهو الزُّبَيْرُ - قد ذكر ما يدل على صدق الفريقين وذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن امرأة مالك بن جَمِيرَ،

- (١) «ضعيف». أخرجه الطبراني (٣٠٤/١٧) من حديث عقبه بن عامر. وفيه ابن لهيعة: ضعيف. وشيخه معروف بن سويد: يقول.
- (٢) «حسن». أخرجه أبو داود (٢٩٤٨) بتحقيقي بنحوه.
- (٣) هو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني. توفي سنة ٤١هـ.
- (٤) هو: أبو المستهل الكميّ بن زيد الأسدي الكوفي - توفي سنة ١٢٦هـ.
- (٥) الحميل: الدَّعِي - أي المطعون في نسبه المنسوب إلى غير أبيه. والحميل أيضًا هو الطفل المنبوذ. انظر الإنباه (٦٣).
- (٦) مسروق هو ابن الأجدع بن مالك من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه.

واسمها: عُكْبَرَةُ^(١) آمَتْ مِنْهُ^(٢) وهي تُرْضِعُ قُضَاعَةً، فتزوجهَا مَعَدُّ، فهو رَأِيَهُ^(٣)، فتَبَّاهُ، وتكئى به، ويقال: بل ولدته على فراشه، فنُسِبَ إليه، وهو قول الزبير، كما نُسِبَ بنو عَبْدِ مَنَاةَ بنِ كِنَانَةَ إلى عليّ بن مسعود بن مازن بن الذُّبِّ الأَسَدِي، لأنه كان حَاضِنَ أبيهم، وزوج أمهم، فيقال لهم: بنو عليّ إلى الآن، وكذلك عُكْلُ^(٤)، وهو حاضن بني عوف بن وَدَّ بن طابخة، ولكن لا يُعرفون إلا بِعُكْلٍ، وكذلك سعد بن هُذَيْمٍ^(٥) إنما هم بنو سَعْدِ بن زيد بن قُضَاعَةَ، وهُذَيْمٌ كان حَاضِنَ سَعْدٍ، فنُسِبَ إليه، وهذا كثيرٌ في قبائل العرب، وسيأتي منه في الكتاب زيادةٌ - إن شاء الله - وتفسير قُضَاعَةَ فيما ذكر صاحب العين: كَلْبُ الماء، فهو اسم منقولٌ منه، وهو لقب له، واسمه: عَمْرُو، ويُكنى أبا حَسَنٍ وكُنْيَتُهُ: أبا حكم فيما ذكروا^(٦).

وقول ابن إسحاق: كان بكرٌ مَعَدُّ، فالبكر أولُ ولدِ الرجلِ، وأبوه بكرٌ والثَّنيُّ ولده الثاني، وأبوه ثُنيٌّ، والثُلثُ ولده الثالث، ولا يقال للأب ثُلثٌ، ولا يقال فيما بعد الثالث شيءٌ من هذا، قاله الخطاب. ومما عوتبت به قُضَاعَةُ في انتسابهم إلى اليمن قول أعشى بني تغلب، وقيل هي لرجل من كلب، وكلبٌ من قُضَاعَةَ:

أَرْتُنِيْثُمْ عَجُوْزَكُمْ، وكانت قديمًا لا يُشَمُّ لها جِمار

عجوز لو دنا منها يمان للاقى مثل ما لاقى يَسَارُ

يريد: يَسَارُ الكواعب الذي هم بهنَّ فَخَصَيْنَهُ^(٧)، وقال بعض شعراء جَمِيْرٍ في قُضَاعَةَ:

مَرَرْنَا عَلَى حَيْثِي قُضَاعَةَ غُدُوْرَةً وقد أخذوا في الرُّقْنِ والرُّقْنَانِ^(٨)

فقلت لهم: ما بال رُقْنِكُمْ كذا لِعُرْسٍ نرى ذا الرُّقْنِ أو لِحَتَانِ

(١) عكبرة: أي المرأة الجافية الخلق. (٢) آمَتْ مِنْهُ: أي فقدت زوجها.

(٣) رأيه: أي رياه.

(٤) عكل: هو عوف بن عبد مناة، حضنته أمة تدعى: عكل فلُقِبَ به.

(٥) هو: سعد بن زيد، حضنته عبد أسود يسمى هذيم، فلُقِبَ به.

(٦) قُضَاعَةُ: القاف والضاد والعين أصلٌ صحيحٌ، وقياسه الفهر والغلبة. قالوا: القُضْعُ: الفهر. قال الخليل: وبذلك سُمِّيَتْ قُضَاعَةُ. وذكر ناسٌ أن قُضَاعَةَ سُمِّيَ بذلك لأنه انقضع عن قومه أي انقطع، فإن كان هذا صحيحًا فهو من باب الإبدال، تكون الضاد مبدلةً من طاء. وقال ابن دريد: «تَقْضَعُ القوم: تفرقوا» وهذا من الإبدال أيضًا. مقاييس اللغة (٩٨/٥). وفي القاموس: قُضَاعَةُ: كلبة الماء وغبار الدقيق.

(٨) الرقن: الرقص. مقاييس اللغة (١٤/٣).

(٧) انظر الإنباه (ص ٦٢).

فقالوا: ألا إنا وَجَدْنَا لَنَا أَبَا فَقُلْتُ: لِيَهْنِئْتُكُمْ! بَأَيِّ مَكَانٍ؟

فقالوا: وَجَدْنَاهُ بِجَرْعَاءَ مَالِك^(١) فَقُلْتُ: إِذَا مَا أُمُّكُمْ بِحَصَانٍ^(٢)

فَمَا مَسَّ خُصِيًّا مَالِكٍ فَرَجَ أُمُّكُمْ وَلَا بَاتَ مِنْهُ الْفَرْجُ بِالْمُتَدَانِي

فقالوا: بلى والله حتى كَانَمَا خُصِيَّاهُ فِي بَابِ اسْتِهَا جُعَلَانٍ^(٣)

ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِ الْإِنْبَاءِ لَهُ^(٤)، وَقَالَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ^(٥)، وَهُوَ مِنْ بَنِي حُنَ بْنِ رَبِيعَةَ مِنْ قُضَاعَةَ يَصِفُ بُيُوتَهُ، وَهِيَ مِنْ حُنَ أَيْضًا:

رَبَّتْ^(٦) فِي الرُّوَابِي^(٧) مَنْ مَعَدَّ، وَفُضِّلْتُ عَلَى الْمُخَصَّنَاتِ الْبَيْضِ وَهِيَ وَلِيدُ^(٨)

وَقَالَ جَمِيلٌ أَيْضًا وَهُوَ يَحْدُو بِالْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ:

أَنَا جَمِيلٌ فِي السَّنَامِ مَنْ مَعَدَّ الضَّارِبِينَ النَّاسَ فِي الرُّحْنِ الْأَشَدِّ^(٩)

ذَكَرَ قَنَصُ بْنُ مَعَدَّ

وَكَانَ قَنَصُ بْنُ مَعَدَّ قَدْ انْتَشَرَ وَلَدُهُ بِالْحِجَازِ، فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آبَائِهِمْ حَرْبٌ، وَتَضَايَقُوا فِي الْبِلَادِ، وَأَجْذَبَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ، فَسَارُوا نَحْوَ سُودِ الْعِرَاقِ، وَذَلِكَ أَيَّامَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فَقَاتَلَهُمُ الْأَرْدَانِيُّونَ^(١٠) وَبَعْضُ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ، وَأَجْلَوْهُمْ عَنِ السُّودِ، وَقَتْلُوهُمْ إِلَّا أَشْلَاءَ لَحِقَتْ بِقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَدَخَلُوا فِيهِمْ، وَاتَّسَبَوْا إِلَيْهِمْ.

فَصَلَّ: وَذَكَرَ ابْنَ إِسْحَاقَ حَدِيثَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ حِينَ أَتَى عُمَرَ بِسَيْفِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ، وَكَانَ جُبَيْرٌ أَنْسَبَ النَّاسِ - الْحَدِيثُ. وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ سَيْفَ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ إِنَّمَا

(١) جَرَعَاءُ مَالِكٍ: الْجَرَعَاءُ: الرَّمْلَةُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ شَيْئًا - مَقَائِيسُ اللُّغَةِ (١/٤٤٤).

(٢) الْحَصَانُ: الْعَفِيفَةُ.

(٣) جَعْلَانُ: مَثْنَى جُعْلٍ. وَهُوَ حَيَوَانٌ صَغِيرٌ يَشْبَهُ الْخَنْفَسَاءَ، يَكْثُرُ فِي الْمَوَاضِعِ النَّدِيَّةِ.

(٤) الْإِنْبَاءُ (ص ٦٣). وَفِيهِ: «مَنْ تَحْتَ» بِدَلَالَةٍ مِنْ: «فِي بَابٍ».

(٥) هُوَ: جَمِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ الْمَعْرُوفُ بِجَمِيلِ بَيْتُهُ.

(٦) رَبَّتْ: أَيَّ شَبَّتْ.

(٧) الرُّوَابِي: الْبُيُوتُ الشَّرِيفَةُ.

(٨) الْبَيْتُ مِنَ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (١/٢٢٣) وَلَفْظُهُ:

نَمَتَ فِي الرُّوَابِي مِنْ مَعَدٍّ وَأَفْلَجَتْ عَلَى الْخَفَرَاتِ الْغُرَّ وَهِيَ وَلِيدٌ

(٩) انْظُرِ الْأَغَانِي (٨/٩٠/١٣٤).

(١٠) الْأَرْدَانِيُّونَ: طَائِفَةٌ مَلَكَتْ بَابِلَ وَهُمْ أَنْبَاطُ السُّودِ، وَالْأَنْبَاطُ قَوْمٌ مِنَ السَّامِيِّينَ، يَرْجِعُونَ إِلَى أَصْلَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَرَامِي وَالْآخَرُ عَرَبِيٌّ. انْظُرِ تَارِيخَ الطَّبْرِيِّ (١/١٣٠) وَتَارِيخَ ابْنِ خَلْدُونِ (٧/٣٤١).

لخم بن عدي:

قال ابن هشام: لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن هَمَيْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ؛ ويقال: لَحْم بن عدي بن عمرو بن سبأ، ويقال: ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن.

أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سد مأرب:

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن - فيما حدثني أبو زيد الأنصاري أنه رأى جُرَدًا يخفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على الثقلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له، ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فقال

أتني به عمر حين افتتحت المدائن -، وكانت بها خرائب كسرى ودخائرهم، فلما غلب عليها قرأ إلى إصطخر^(١)، فأخذت أمواله ونفائس عُدِّه، وأخذ له خمسة أسياف لم ير مثلها. أحدها: سيف كسرى أبرويز، وسيف كسرى أنوشروان وسيف النعمان بن المنذر الذي كان استلبه منه، حين قتله غَضَبًا عليه، وألقاه إلى الفيلة فخبطته بأيديها، حتى مات. وقال الطبري: إنما مات في سجنه في الطاعون الذي كان في الفرس، وسيف خاقان ملك الترك، وسيف هرقل، وكان تصير إلى كسرى أيام غلبته على الروم في المدة التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿آلَمْ غَلِبْتَ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾^(٢) الآية. فهذا كان سبب تصير سيف النعمان إلى كسرى أبرويز، ثم إلى كسرى يزدجرد، ثم إلى عمر - رضي الله عنه - وكان الذي قتل النعمان منهم أبرويز بن هرمز بن أنوشروان^(٣) وكان لأبرويز فيما ذكر ألف فيل، وخمسون ألف فرس، وثلاثة آلاف امرأة - فيما ذكر الطبري^(٤) - وتفسير أنوشروان بالعربية: مُجَدُّ الْمُلِك - فيما ذكروا والله أعلم - وكذلك تفسير أبرويز: الْمُطْفَر. قاله المسعودي والطبري أيضًا، وزاد الطبري في حديث جببر حين سأله عمر عن نسب النعمان قال: كانت العرب تقول إنه من أشلاء قُص بن معد، وهو ولد عجم بن قُص إلا أن الناس لم يدروا ما عجم فجعلوا مكانه لَحْمًا فقالوا: هو من لخم، ونسبوا إليه. وأبرويز هو الذي كتب إليه النبي - ﷺ - فمزق كتابه، فدعا عليهم النبي - ﷺ - أن يمزقوا كل ممزق.

(١) إصطخر: بلد بفارس.

(٢) أنوشروان: ملك فارس.

(٣) الطبري في تاريخه (١/١٦٣) والمسعودي في مروج الذهب (١/٢٧٩).

عمرو: لا أَقِيم ببلد لَطَم وجهي فيه أصغرُ ولدي، وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتَنِمُوا غَضَبَ عمرو فاشتروا منه أمواله. وانتقل في ولده وولد ولده. وقالت الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان. فحاربتهم عك، فكانت حربهم سجالاً. ففي ذلك قال عباس بن مِرْدَاس البيت الذي كتبنا، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرقوا في البلدان، فنزل آل جَفْنَةَ بن عمرو بن عامر الشام، ونزلت الأوس والخزرج يشرب، ونزلت خُزاعة مَرًا، ونزلت أزدُ السُرَاة السُرَاة. ونزلت أزدُ عُمَانَ عُمَانَ. ثم أرسل الله تعالى على السدِّ السيلَ فهدمه، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد - ﷺ -: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَيِّئًا فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئْتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ فَاَعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِنِ أَكْلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبا: ١٥، ١٦].

والعَرِم: السد، واحدته: عَرِمَة، فيما حدّثني أبو عُبَيْدة.

قال الأعشى: أعشى بني قَيْس بن ثعلبة بن عُكَّابَة بن صَعْب بن عَلِيّ بن بكر بن وائل بن هَنْب بن أَفْصَى بن جَدِيلَة بن أَسَد بن ربيعة بن نِزار بن معدّ قال ابن هشام: ويقال: أَفْصَى بن دُعَيْم بن جَدِيلَة، واسم الأعشى: ميمون بن قيس بن جَنْدَل بن شَرَّاجِيل بن عوف بن سَعْد بن ضَبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة:

وفي ذاك للمؤتسي أسوة	ومأرب عفى عليها العرم
رُخَامَ بَنَتْهُ لَهُمْ حَمِيرُ	إذا جاء مَوَّازُهُ لَمْ يَرِمِ
فأروى الزروع وأغنائها	على سعة ماؤهم إذ قُسم
فصاروا أيادي ما يقدر	ن منه على شرب طفل قُطم

وهذه الأبيات في قصيدة له.

وقال أُمَيَّة بن أبي الصلت الثَّقَفِي - واسم ثَقِيف: قَيْسِي بن مُنَبَّه بن بكر بن هوازن بن مَنصور بن عِكْرِمَة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان.

مِنْ سَبَا الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

وهذا البيت في قصيدة له. وتُروى للتابعة الجعدي، واسمه: قَيْس بن عبد الله أحد بني جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وهو حديث طويل، منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار.

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة: قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نَصْر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته، وقَطَعَ بها، فلم يدع كاهنًا، ولا ساحرًا، ولا عاقفًا، ولا مُنْجِمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتي، وقَطَعْتُ بها، فأخبروني بها وبأوليلها، قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا مَنْ عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيجٍ وشِقٍّ، فإنه ليس أحدٌ أعلمُ منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

واسم سَطِيجٍ: رَبِيع بن ربيعة بن مَسْعُود؛ بن مازن، بن ذئب، بن عدي، بن مازن غَسَّان.

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

وبعضهم يقول فيه: نصر بن ربيعة، وهو في قول نُسَّاب اليمن: ربيعة بن نصر بن الحارث بن ثُمَارَة بن لَحْم. وقال الزُّبَيْر في هذا النسب: نَصْر بن مالك بن شَعَوْد بن مالك بن عَجْم بن عَمْرٍو بن ثُمَارَة بن لَحْم^(١) ولَحْم أخو جُذَام، وَسُمِّي لَحْمًا لأنه لَحِم أخاه، أي: لطمه، فعَضَهُ الآخر في يده فجذَمها، فسمي جُذَامًا، وقال قُطْرُب: اللُّحْم سَمَكَة في البحر بها سُمِّي الرجل لَحْمًا وأكثر المؤرخين يقولون فيه: نَصْر بن ربيعة وقد تقدم ما قاله سعيد بن جُبَيْر في نسب النعمان، وهو من ولد ربيعة، وأن لَحْمًا في نسبه تَضْجِيفٌ من عَجْم بن قَنَص.

وذكر رؤياه وَسَطِيحًا الكاهن^(٢) ونسبه، وقد خالفه محمد بن حبيب التَّسَابَة في شيء

(١) لحْم: غلظ وجفا.

(٢) الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار. قاله ابن الأثير في مفرداته. وقد نهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان فقال: «مَنْ أتى عَرَافًا أو كَاهِنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». أخرجه أبو داود «٣٩٠٤ - بتحقيقي وهو صحيح» وفي مسلم في السلام (١٢٥) قوله ﷺ: «مَنْ أتى عَرَافًا فسأله عن شيء لم تُقْبَلْ له صلاة أربعين ليلة».

وَشَيْقُ: بن صَعْب بن يَشْكُر، بن رُهم، بن أَفْرَك بن قَسْر بن عَبْقَر بن أنمار بن نزار، وأنمار أبو بَجِيلَة وَخَثْعَم.

نسب بَجِيلَة: قال ابن هشام: وقالت اليمن: وبجيلة: بنو أنمار، بن إراش بن لِيْخِيَان، بن عمرو، بن الْعَوْث، بن ثَبِت، بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: إراش بن عمرو بن لِيْخِيَان بن العوث. ودار بَجِيلَة وخثعم يمانية.

قال ابن إسحق: فبعث إليهما، فَقَدِمَ عليه سَطِيحٌ قَبْلَ شَيْقُ، فقال له: إني رأيت رؤيًا هالتي، وَقَطَعْتُ بها، فأخبرني بها، فإنك إن أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا. قال: أَفْعَلْ. رأيت حُمَمَه، خرجت من ظُلْمَة، فوقعت بأرض تَهَمَه، فأكلت منها كل ذات جُمُجُمَة، فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئًا يا سَطِيح، ما عندك في تأويلها، فقال: احلف بما

من هذا النسب في كتابِ الْمُحَبَّر، وكان سَطِيحٌ جَسَدًا مُلْقَى لا جوارح له - فيما يذكرون - ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس، وكان شَيْقُ شَيْقُ إنسان - فيما يذكرون - إنما له يَدٌ واحدة، ورجلٌ واحدة، وعينٌ واحدة^(١)، ويُذَكَّر عن وَهْب بن مُنْبَه^(٢) أنه قال: قيل لسطيح: أتى لك هذا العلم؟ فقال: لي صاحبٌ من الْجِن استمع أخبار السماء من طورِ سَيْنَاء حين كلم الله تعالى منه موسى - عليه السلام - فهو يُوَدِّي إليّ من ذلك ما يُوَدِّيهِ.

وَوُلِدَ سَطِيحٌ وَشَيْقُ في اليوم الذي ماتت فيه طريفةُ الكاهنة امرأةَ عمرو بن عامر، وهي بنت الْخَيْرِ الْجُمَيْرِيَّة، ودَعَتْ بسطيح قبل أن تموت، فَأُتِيَتْ به، فتَفَلَّت في فيه، وأخبرت أنه سَيَخْلُقُهَا في علمها، وكهانتها، وكان وجهه في صدره لم يكن له رأس ولا عُنُق ودعت بِشَيْقُ، ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح، ثم ماتت، وقَبَرُها «بِالْجُحْفَة»^(٣)، وذكر أبو الفرج أن خالد بن عبد الله الْقَسْرِي^(٤) كان من وَلَدِ شَيْقُ هذا، فهو خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كُرْز، وذكر أن كُرْزًا كان دَعِيًّا، وأنه كان من اليهود، فجنى جنابة فَهَرَبَ إلى بَجِيلَة^(٥)، فانتسب فيهم، ويقال: كان عبدًا لعبد الْقَيْس، وهو ابن عامر ذي الرُّقعة، وسُمِّيَ بذي الرقعة؛ لأنه كان أعور يُعْطِي عينه برقعة. ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شَيْقُ الكاهن بن صَعْب.

(١) وانظر مروج الذهب (١٧٩/٢) (١٩٢).

(٢) وهب بن منبه أحد رواة الحديث الذين أكثر من ذكر الإسرائيليات وأخبار أهل الكتاب.

(٣) الجحفة: قرية كبيرة على طريق مكة.

(٤) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، أمير الحجاز ثم الكوفة.

(٥) بَجِيلَة: هم إخوة خثعم. وبجيلة هي: أهمهم. انظر تاريخ ابن خلدون (٥٢٦/٨).

بين الحرّتين^(١) من حَنَش، لتهبطن أرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبين إلى جَرَش، فقال له الملك: وأبيك يا سَطِيح، إن هذا لنا لغائظ مُوجع، فمتى هو كائن؟ أفي زمني هذا، أم بعده؟ قال: لا، بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين قال: أفيدوم ذلك من مُلكهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يقتلون ويخرجون منها هارين؛ قال: ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟

وقوله في حديث الرؤيا: أكلت منها كل ذات جُمُجَمَة، وكلّ ذات نَسَمَة. نصب كلّ أصحّ في الرواية، وفي المعنى؛ لأنّ الحُمَمَة نار، فهي تأكل، ولا تؤكل، على أن في رواية الشيخ برفع كلّ، ولها وَجْه، لكنّ في حاشية كتابه أن في نسخة البرقي التي قرأها على ابن هشام: كلّ ذات، بنصب اللام.

وقوله: «خرجت من ظُلْمَة» أي من ظُلْمَة، وذلك أن الحُمَمَة قطعة من نار، وخروجها من ظُلْمَة يشبه خروج عَسْكَر الحَبَشَة من أرض السودان، والحُمَمَة: الفَحْمَة، وقد تكون جَمْرَة مُخرقة، كما في هذا الحديث، فيكون لفظها من الحميم، ومن الحُمَى أيضًا لحرارتها، وقد تكون مُنطفئة، فيكون لفظها من الحُمَة، وهي السواد، يقال حَمَمْتُ وَجْهَهُ إذا سَوَدَّتْهُ، وكلا المعنيين حاصل في لفظ الحُمَمَة ههنا.

وقوله: بين رَوْضَة وأَكَمَة؛ لأنها وَقَعَتْ بين صَنْعَاء وأخوازها^(٢).

وقوله: في أرض تَهَمَة أي: مُنخفضة، ومنه سُمِّيَتْ تهامة.

وقوله أكلت منها كل ذات جُمُجَمَة، ولم يقل كلّ ذي جُمُجَمَة، وهو من باب قوله تعالى سبحانه: ﴿وَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَرَزَّ آخَرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِثْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر: ١٨].

لأن القصد إلى النَّفْسِ والنَّسَمَة، فهو أعمّ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح، ولو جاء بالتذكير، لكان إمّا خاصًا بالإنسان، أو عامًا في كل شيء حيّ أو جماد، ومنه قوله - ﷺ -: «[تَنَحَّ عني، فإن] كُلُّ بَائِلَة تَفِيحُ»، أي: يكون منها إفاخة، وهي الحدث، وقال النحاس: هو تأنيث الصّفة والخلقة.

وقوله: لَيَهْطُنَ أرضكم الحبش هم: بنو حَبَش بن كُوش بن حام بن نوح، وبه سُمِّيَتْ الحبشة.

(١) الحرّتين: الحرة: أرض ذات حجارة سوداء. (٢) أخوازها: نواحيها.

قال: يليه إزم ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه، أم ينقطع؟

قال: لا، بل ينقطع.

قال: ومن يقطعه؟ قال: نبي زكي، يأتيه الوحي من قبل العلي، قال: ومن هذا النبي؟.

قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

وقوله: ما بين أبين إلى جرش ذكره سيبويه بكسر الهمزة على مثل إضبع، وجوز فيه الفتح، وكذلك تقيد في هذا الكتاب، وقال ابن ماکولا: هو أبيّ بن زهير بن أئمن بن الهميسع من حمير، أو من ابن حمير سُميت به البلدة، وقد تقدم قول الطبري أن أبيّ وعَدَن ابنا عدن، سُميت بهما البلدتان.

وقوله: بغلام لا دني ولا مدن. الدني معروف، والمدن الذي جمع الضغف مع الدناءة. قاله صاحب العين.

وقوله: لحق ما فيه أنص: أي: ما فيه شك ولا مُستراب، وقد عمر سطیح زماناً طويلاً بعد هذا الحديث، حتى أدرك مولد النبي - ﷺ - فرأى كسرى أنو شروان بن قباد بن فيروز ما رأى من ارتجاس الإيوان^(١) وخمود النيران، ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام^(٢)، وسقطت من قصره أربع عشرة شرفة، وأخبره المُوبدَان، ومعناه: القاضي، أو المفتي بلغتهم أنه رأى إبلاً صعباً، تقود خيلاً عرباً^(٣)، فانتشرت في بلادهم، وغارت بحيرة ساوة^(٤)، فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن نُقيلة العسائي إلى سطیح، وكان سطیح من أخوال عبد المسيح، ولذلك أرسله كسرى فيما ذكر الطبري^(٥) إلى سطیح يستخبره علم ذلك، ويستغبره رؤيا المُوبدَان، فقدم عليه، وقد أشقى على الموت، فسلم عليه فلم يُخر إليه سطیح جواباً فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن أم فاذ فازلّم به شأو العنن

(١) الإيوان: بوزن الديوان وهو بناء أزج غير مسدود الوجه.

(٢) وفي هذا معجزة للنبي ﷺ أعلى مرتبة من خمود النار حين ألقى فيها إبراهيم عليه السلام، فإنها أطفئت وخمدت بملامسته لها، ونار كسرى خمدت وطفئت على بعد ما بينها وبين النبي ﷺ.

(٣) خيلاً عرباً: أي عربية.

(٤) ساوة: إحدى قرى فارس، وكانت بحيرة ساوة بحيرة كبيرة بين همدان وقم.

(٥) الطبري في تاريخه (٣٩/٥ - ١٠٥).

قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يومٌ يُجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون، قال: أحق ما تخبرني؟ قال: نعم. والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قَدِمَ عليه شق، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم، رأيت حُممة، خرجت من ظُلْمة، ف وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال: فلما قال له ذلك، عرف أنهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد إلا أن سطيحاً قال: «وقعت بأرض تَهْمَة، فأكلت منها كل ذات جُمُجمة».

يا فاصلَ الخُطْطَةِ أَغَيْثَ مَنْ وَمَنْ	أتاك شيخَ الحَيِّ من آلِ سَنَنْ
وأُمُّه من آلِ ذَيْبِ بْنِ حَجَّجَنْ	أبيضُ قَضَقَاضُ الرِّدَاءِ والبَدَنْ
رسولُ قَيْلِ العُجْمِ يَسْري للوَسَنْ	لا يرهَبُ الرُّغْدَ، ولا زَيْبَ الزَّمَنْ
تجوبُ بي الأرضَ عَلَثْدَاةَ شَرْزَنْ	ترفعني وَجْناً وتهوي بي وَجَنْ
حتى أتى عاري الجَاجِي والْقَطَنْ	تَلْفُهُ في الريحِ بَوغَاءِ الدُّمَنْ

كأنما حُثِجَتْ من جِضْنِي نَكَنْ^(١)!

نكن: اسم جبل، فلما سمع سطيحٌ شِعْرَه رفع رأسه، فقال: عبدُ المسيح على جملٍ مُشِيح^(٢) جاء إلى سطيح، حين أوفى على الضريح، بعثك ملكُ بني سَاسَانَ لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا المُوبِذَان. رأى إبلاً صِعباً، تقود خيلاً عِراباً، قد قطعت دِجْلَةً، وانتشرت في بلادها. يا عبد المسيح: إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحبُ الهراوة، وخمدت نارُ فارس، وغارت بحيرة سَاوَة، وفاض وادي السَماوَة^(٣) فليست الشَّامُ لسطيح شاماً، يملك منهم مُلوْكٌ ومَلَكاتٌ، على عدد الشُّرُفَاتِ، وكل ما هو آتٍ آت، ثم قضى سطيحُ مكانه.

وقوله: فازَ لَمْ به معناه: قُبِضَ، قاله ثعلب، وقوله: شَأُو العَنَنْ. يريد: الموت، وما عَنُّ منه قاله الخطابي. وفاد: مات. يقال منه: فاد يَفُود، وأما يَفِيدُ فمعناه: يَتَبَخَّرُ.

وقول ابن إسحق في خبر ربيعة بن نَصْرِ، فجَهَّزَ أهله وبنه إلى الحيرة، وكتب لهم إلى ملكٍ يقال له: سابورُ بن خُرَزَاد.

(١) انظر الطبري (١٦٧/٢) واللسان (٤٨٣/٢). (٢) جمل مشيح: أي مسرع.

(٣) وادي السماوة: وادي بين الكوفة والشام.

وقال شقّ: «وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كلّ ذات نسمة.

فقال له الملك: ما أخطأت يا شقّ منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟.

قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أثين إلى نجران.

من تاريخ ملوك الفرس:

قال المؤلف الشيخ الحافظ أبو القاسم - عفا الله عنه - ولا يعرف خُرَزَادَ في ملوك بني سَاسَانَ من الفرس؛ وهم من عهد أَرْدَشِير بن بابك إلى يَزْدَجَرْدَ الذي قُتِلَ في أول خلافة عثمان - رضي الله عنه - معروفون مُسمَّونَ بأسمائهم، وبمقادير مُدَدِهِمْ. مشهور ذلك عند الإخباريين والمؤرخين^(١) ولكنه يحتمل أن يكون ابنُ خُرَزَادَ هذا ملكاً دون الملك الأعظم منهم، أو يكون أحد ملوك الطوائف، وهو الظاهر في مدة ربيعة بن نصر لأنه جدُ عمرو بن عديّ وابنُ أختٍ جديمة الأبرش^(٢)، وكان ملكُ جديمة أوله فيما أحسب في مدة ملوك الطوائف، وآخره في مدة الساسانيين، وأول من ملك الحيرة من الساسانية: سابور بن أَرْدَشِير، وهو الذي خَرَّبَ الحضر، وكانت ملوك الطوائف متعادين يُغير بعضهم على بعض، قد تحصن كل واحد منهم في حصن، وتحوّز إلى خيَز منهم عَرَبٌ. ومنهم أشغانيون على دين الفرس، وأكثرهم ينتسبون إلى الفرس من ذُرِّيَّةِ دارا بن دارا، وكان الذي فرّقهم وشتت شملهم، وأدخل بعضهم بين بعض؛ لثلاثا يستوثق لهم ملك، ولا يَقُومُ لهم سلطان: الإسكندر بن فيلبس اليوناني، حين ظهر على دارا، واستولى على بلاد مملكته، وتزوج بنته روشنك. بوصية أبيها دارا له بذلك حين وجده مُثَخَّنًا في المعركة، ولم يكن الإسكندر أراد قتله؛ لأنه كان أخاه لأُمّه فيما زعموا، فوضع الإسكندر رأسه على فخذه - فيما ذكروا - وقال: يا سيد الناس لم أَرِدُ قتلَكَ، ولا رضىته، فهل لك من حاجة؟ قال: نعم. تزوّج ابنتي روشنك، وتقتل من قتلني، ثم قبضى دارا، ففعل ذلك الإسكندر، وفرّق الفرس، وأدخل بينهم العَرَبَ. فتجاجزوا، وشُمُّوا: ملوك الطوائف؛ لأن كل واحد منهم كان على طائفة من الأرض، ثم دام أمرهم كذلك أربعمائة وثمانين سنة في قول الطبري، وقد قيل أقل من ذلك^(٣)، وقال المسعودي: خمسمائة وعشرين سنة، وفي أيامهم بُعث عيسى ابن مريم - عليه السلام - وذلك بعد موت الإسكندر بثلاثمائة سنة. فابن خُرَزَادَ هذا - والله أعلم - من أولئك. وبنو ساسان القائمون بعد ملوك الطوائف، وبعد ملوك الأشغانيين: هم بنو

(١) انظر تاريخ الطبري (٢٣٣/٢) وتاريخ ابن خلدون (١٠١/٢).

(٢) ويلقب أيضاً بالوضاح. (٣) انظر تاريخ الطبري (٣٣٦/١).

فقال له الملك: وأبيك يا شِقْ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع، فمتى هو كائن؟ أفي زمني، أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يَسْتَقْدِمُ منهم عظيم ذو شأن، ويَذِيقهم أشدَّ الهوان.

ساسان بن بهمن. وهو من الكينية، وإنما قيل لهم الكينية؛ لأن كل واحد منهم يضاف إلى كي، وهو البهاء. ويقال معناه: إدراك الثأر. وأوّل مَنْ تَسَمَّى بِكي: أفرِيدُونُ بن أثفيان قاتل الضحاك بشار جدّه جَم، ثم صار الملك في عَقِبِهِ إلى منوشهر الذي بُعث موسى - عليه السلام - في زمانه إلى كي قاووس. وكان في زمن سليمان - عليه السلام - وسيأتي طرف من ذكره في الكتاب إلى كي يستاسب الذي وَلِيَ بُخْتَنْصَرَ وَمَلَكَهُ. وَنُحْتُ نَصَرَ هو الذي حَبَّر الحيرة حين جعل فيها سَبَايا العرب، فتَحَبَّرُوا هناك، فَسُمِّيت الحيرة^(١)، وأُخِذَ اسمه من بُوخت وهي النخلة؛ لأنه وُلِدَ في أصل نخلة. ثم كان بعد كي يستاسب بهمن بن إسبندياز بن يستاسب.

وكان له ابنان: دارا وساسان، وكان ساسان هو الأكبر، فكان قد طمع في الملك بعد أبيه، فصرف بهمن الأمر عنه إلى دارا لخبر يطول ذكره حَمَلَتْهُ على ذلك «خمانا أم دارا»، فخرج «ساسان» سائِحًا في الجبال، ورفض الدنيا، وهانت عليه، وعهد إلى بنيه متى كان لهم الأمر: أن يقتلوا كل أشغاني وهم نسل «دارا»، فلما قام «أزدشير بن بابك» وقيده الدَّارَقُطِيُّ «أردشير» بالراء المهملة، ودعا ملوك الطوائف إلى القيام معه على مَنْ خالفه، حتى ينتظم له مُلك فارس، وأجابه إلى ذلك أكثرهم، وكانوا يَدًا على الأقل، حتى أزالوه، وجعل «أزدشير» يقتل كُلَّ مَنْ ظهر عليه من أولئك الأشغانيين، فقتل ملكًا منهم يقال له: الأزدَوَان، واستولى على قصره، فألقى فيه امرأة جميلة رائعة الحُسن، فقال لها: ما أنت؟ فقالت: أمة من إماء المَلِكِ، وكانت بنت المَلِكِ الأزدَوَان لاذت بهذه الحيلة من القتل، لأنه كان لا يُبقي منهم دَكْرًا ولا أنثى، فصدق قولها، واستَسَرَّها^(٢) فحملت منه، فلما أثقلت استَبَشَرَتْ بالأمان منه، فأقرَّت أنها بنت الأشغاني الذي قُتل، واسمه أزدَوَان - فيما ذكروا - فدعا وزيرًا له ناصحًا - وقد سمَّاه الطبري في التاريخ^(٣) - فقال: استَوْدِعْ هذه بطنَ الأرض، فكره الوزير أن يقتلها، وفي بطنها ابنٌ للملك، وكره أن يعصي أمره، فاتخذ لها قصرًا تحت الأرض، ثم خَصَّى نفسه، وصَبَّر مذاكيره، وجعلها في حريرة، ووضع الحريرة في حُقٍّ، وخَتَمَ عليه، ثم جاء به الملك فاستودعه إياه، وجعل لا يدخل إلى المرأة في ذلك القصر سواه، ولا تراها إلا عيَّه،

(١) عند الطبري (٣٣١/١): أن تبع خرج على جبل طيبٍ ثم سار يريد الأنبار، فلما انتهى إلى الحيرة - وذلك ليلاً - تحير، فأقام وسَمَّى ذلك الموضع الحيرة اهـ بتصرف.

(٢) استَسَرَّها: أي اتخذها سَرِيَّةً له. (٣) الطبري في تاريخه (٣٤١/١).

قال: وَمَنْ هَذَا الْعَظِيمُ الشَّأْنُ؟ قال: غلام ليس بِذَنِّي، وَلَا مُدَنَّ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

حتى وضعت المولودَ ذَكَراً، فكره أن يسميه قبل أبيه، فسماه: شاهبُورَ، ومعناه: ابن الملك، فكان الصبي يُدعى بهذا، ولا يعرف لنفسه اسماً غيره، فلما قبل التعليمَ نظر في تعليمه، وتقويم أودِه. واجتهد في كل ما يصلحه إلى أن ترعرع الغلام. فدخل الوزير يوماً على أزدشير، وهو واجم، فقال: لا يسوءك الله أيها الملك! فقد ساءني إطراقك ووجومك، فقال: كبرتُ سنِّي، وليس لي ولد أفلده الأمر بعدي، وأخاف انتشار الأمر بعد انتظامه، وافتراق الكلمة بعد اجتماعها، فقال له: إن لي عندك ودعة أيها الملك، وقد احتجت إليها، فأخرج إليه الحُقَّةَ بخاتمها، ففَضَّ الخاتمَ، وأخرج المذاكير منها، فقال له الملك: ما هذا؟ فقال: كرهت أن أعصي الملك حين أمرني في الجارية بما أمر، فاستَوْدَعْتُها بطنَ الأرض حَيَّةً، حتى أخرج الله منها سليلَ الْمَلِكِ حَيًّا، وأرضعته وحضته، وها هو ذا عندي، فإن أمرَ الملك جئتُ به، فأمره أزدشير بإحضاره في مائة غلام من أبناء فارس، بأيديهم الصوالج^(١) يَلْعَبُونَ الكرة، فلعبوا في القصر، فكانت الكرة تقع في إيوان الملك، فيتهيئون أخذها حتى طارت للغلام، فوقعت في سرير الملك، فتقدم حتى أخذها، ولم يهب ذلك، فقال الملك: ابني والشمس! متعجباً من عِزَّةِ نفسه وصرامته، ثم قال له: ما اسمك يا غلام؟ فقال له: شاهبُور، فقال له: صدقت! أنت ابني. وقد سميتك بهذا الاسم، وبور: هو الابنُ، وشاه: هو الملك بلسانهم، وإضافتهم مقلوبة، يقدِّمون المضاف إليه على المضاف، كما تقدم في «الكي» الكلمة التي كانت في أوائل أسماء الملوك الكينية، فكانوا يضافون إلى الكي، ثم إن أزدشير عهد إلى ابنه شاهبُورَ، وسيأتي في الكتاب في قول الأعشى:

أقام به شاهبُورُ الجنودَ حَوْلَيْنِ يضرب فيه القدمَ

ثم غيَّرت العرب هذا الاسم، فقالوا: سابور، وتسمَّى به ملوك بني ساسان منهم: سابور ذو الأكتاف الذي وطىء أرض العرب، وكان يخلع أكتافهم، حتى مرَّ بأرض بني تميم، ففرَّوا منه، وتركوا عَمْرَو بن تميم. وهو ابن ثلاثمائة سنة، لم يقدر على الفرار، وكان في قُفَّةٍ مُعلَّقا من عمود الخيمة من الكِبَرِ، فأخذ، وجيء به المَلِكُ، فاستَنَقَطَهُ سابور، فوجد عنده رأياً ودهاءً، فقال له: أيها الملك: لِمَ تفعل هذا بالعرب؟ فقال: يزعمون أن مُلْكنا يصل إليهم على يد نبيٍّ يُبعث في آخر الزمان، فقال عمرو: فأَيَّنَ جِلْمُ الملوكِ وعقْلُهُمْ؟ إن يكن هذا الأمرُ باطلاً فلا يضرك، وإن يكن حقاً أَلْفَاك، وقد اتخذتُ عندهم يداً، يكافئونك عليها،

(١) الصوالج: جمع صولج. وهي عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة.

قال: أفيدوم سلطانه، أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مُرسَل يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدّين والفضل، يكون المُلْك في قومه إلى يوم الفُضْل؛ قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تُجْزَى فيه الوُلاة، ويُدعى فيه من السماء بدَعَوَات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويُجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لَمَن اتقى الفوز والخيرات.

ويحفظونك بها في دُوك، فيقال: إن سابور انصرف عنهم، واستبقى بقيّتهم، وأحسن إليهم بعد ذلك والله أعلم.

وأما أبرُويز بن هُرْمُز - وتفسيره بالعربية: مُظْفَر - فهو الذي كتب إليه النبي - ﷺ - وسيأتي طرف من ذكره، وهو الذي عُرض على الله تعالى في المنام^(١)، ف قيل له: سلّم ما في يدك إلى صاحب الأهراوة، فلم يزل مَدْعُورًا من ذلك، حتى كتبَ إليه النعمانُ بظهور النبي - ﷺ - بِتَهَامَةٍ، فعلم أن الأمر سيصير إليه، حتى كان من أمره ما كان، وهو الذي سُئِلَ عنه رسول الله - ﷺ - مَا حُجَّةُ الله على كسرى؟ فقال: إن الله تعالى أرسل إليه مَلَكًا، فسَلَّك يده في جدار مجلسه، حتى أخرجها إليه، وهي تَتَلَأَلُ نُورًا، فارتاع كسرى، فقال له المَلَك: لم تُرْغ يا كسرى. إن الله قد بعث رسوله، فأسلم تسلم [دنياك وآخرتك]^(٢)، فقال: سأنظر. ذكره الطبري، في أعلام كثيرة من النبوة^(٣)، عُرضت على أبرُويز أضربنا عن الإطالة بها، في هذا الموضع، وتَسَمَّى أيضًا سابور بعد هذا سابور بن أبرُويز أخو شيرويه، وقد ملك نحوًا من شهرين في مدة النبي - ﷺ - وملك أخوه شيرويه نحوًا من ستة أشهر، ثم ملكت بُورانُ أختُهما، فبلغ ذلك النبي - ﷺ - فقال: «لا يُفلح قوم ملكتهم امرأة»^(٤)، فملك سنة، وهلكت وتشتت أمرهم كُلُّ الشتات. ثم اجتمعوا على يَزْدَجِرْدَ بن شَهريار، والمسلمون قد غلبوا على أطراف أرضهم، ثم كانت حروبُ القادسية معهم إلى أن قهرهم الإسلام، وفتحت بلادهم على يدي عُمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، واستؤْصِلَ أمرُهم، والحمدُ لله.

وسابور تُنسبُ إليه الثياب السَّابِرِيَّة^(٥)، قاله الخطابي، وزعم أنه من النَّسب الذي عُيِّرَ، فإذا نَسَبوا إلى نيسابور المدينة، قالوا: نَيْسَابُورِيٌّ على القياس، وزعم بعضهم أن: ني هي: القصب، وكانت مَقْصَبَةً، فبناها سابور مدينة، فَتَسَبَّتْ إليه، والله أعلم.

(١) أي رأى «الله» تعالى في المنام. وهو قول باطل فاسد.

(٢) ما بين القوسين زيادة من الطبري. (٣) أسطورة لا صحة لها وهي ظاهرة البطلان.

(٤) «صحيح». أخرجه البخاري (١٠/٦) (٧٠/٩) والترمذي (٢٢٦٢) والنسائي (٢٢٧/٨) ورغم النهي الصريح الذي تضمنه الحديث بالأُ تَوَلَّى المرأة ملك البلاد إلا أن أحد أصحاب العمائم في مصر الحبيبة فسّر الحديث تفسيرًا غريبًا أباح فيه أن تكون المرأة وزيرة وسفيرة!!.

(٥) الثياب السابرية: نوع من أجود الثياب وأرقها.

قال: أحق ما تقول؟ قال: إي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رَفَعٍ وَخَفَضٍ،
إن ما أنبأتك به لَحَقُّ ما فيه أَمْضُ.

قال ابن هشام: أمض. يعني: شكًا، هذا بلغة حمير، وقال أبو عمرو: أمض أي:
باطل.

فوقع في نفس ربيعة بن نَصْر ما قالوا، فجهَّز بنيه، وأهل بيته إلى العراق بما
يُضْلِحُهُمْ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له: سابور بن خُرْزاذ فأسكنهم
الحيرة.

نسب النعمان بن المنذر:

فمن بَقِيَّة ولد ربيعة بن نصر النُعمان بن المنذر، فهو في نسب اليمن وعلمهم:
النعمان بن المُنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، ذلك
الملك.

قال ابن هشام: النعمان بن المنذر بن المنذر، فيما أخبرني خلف الأحمر.

رجوعه إلى حديث سطيح وذو يزن:

فصل: وقول سطيح في حديث ربيعة: إِرَمَ ذِي يَزَنَ، المعروف: سيف بن ذِي يَزَنَ،
ولكن جعله إِرَمًا، إمَّا لأن الإِرَمَ هو العَلَمُ فمدحه بذلك، وإمَّا شبهه بَعَادِ إِرَمَ فِي عَظَمِ الْخَلْقِ
وَالْقُوَّةِ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾^(١).

وربيعة بن نَصْر هذا هو: أحد ملوك الحيرة، وهم آل المُنذر، والمنذر هو: ابن ماء
السماء، وهي: أمه عَرَفَ بها، وهي من الثَّمرِ بن قاسط وابنته عَمْرُو بن هُند عَرَفَ بِأُمِّه أَيْضًا،
وهي بنت الحارث أكل الثَّرَارِ جَدَّ امرئ القيس الشاعر، ويُعرف عَمْرُو بِمُحَرَّقٍ لَّأنه حَرَّقَ
مدينة، يقال لها: مَلْهَم، وهي عند اليمامة، وقال المبرِّد والقُتَيْبِيُّ سُمِّي: مُحَرَّقًا، لَّأنه حَرَّقَ
مائة من بني تميم، وذكر خبرهم^(٢).

وولد نصر بن ربيعة هو: عَدِيٌّ، وكان كاتبًا لِجَذِيْمَةَ الْأَبْرَشِ، وابنته: عَمْرُو، وهو ابن
أخت جَذِيْمَةَ، وَيَكْنَى جَذِيْمَةَ: أبا مالك في قول المسعودي، وهو منادم الْفَرَقْدَيْنِ، واسمُ
أخت جَذِيْمَةَ: رَقَاش بنت مالك بن فَهْم بن غَنَم بن دَوْس، وهو الذي اختطفته الجنُّ، وفيه

(١) سورة الفجر آية رقم (٦ - ٧).

(٢) انظر الاشتقاق (٤٣٥) والجمهرة لابن حزم (٢٢).

استيلاء أبي كرب تبان أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق: فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْكُ اليمن كله إلى حسان بن تَبَّانٍ أسعد أبي كرب - وتَبَّانُ أسعد هو: تُبَّعُ الآخر - ابن كُلَيْكِ كَرَبِ بن زيد، وزيد هو تُبَّعُ

جرى المثل: شَبَّ عَمْرُو عن الطُّوقِ^(١). وهو قاتل الزُّبَاء بنت عَمْرُو واسمها: نائلة في قول الطَّبْرِي وَيَعْقُوب بنِ السَّكَيْت، وَمَيْسُونُ في قول دُرَيْد، واستشهد الطبري بقول الشاعر^(٢):

أَتَعْرِفَ مَنزِلًا بَيْنَ الْمُتَقَى وَبَيْنَ مَجَرٍّ نَائِلَةِ الْقَدِيمِ
وقد أملينا في غير هذا الموضع ذكر نسبها وطرقًا من أخبارها.

وأخو عمرو بن هند: النعمان بن المُنْذَر، وهو ابن مَامة، وكان ملكه بعد عمرو، وفي مُلْكِ عَمْرُو وُلِدَ رسول الله - ﷺ^(٣) - وفي زمن كسرى أنو شروان بن قباد.

وأسقط ابن إسحاق من هذا النسب رجلين، وهما: النعمان بن امرئ القيس وأبوه: امرؤ القَيْس بن عَمْرُو بن عَدِي. وقد قيل، إن النعمان هذا هو أخو امرئ القيس، وملك بعده، وسيأتي ذكر النعمان بعد هذا عند ذكر صاحب الحَضْرِ إن شاء الله تعالى، وأنه الذي بنى الحَوْزَتَيْنِ وَالسَّيْدِير.

قوم تُبَّعُ

فصل: وقوله في نسب حَسَّان: بن تَبَّانٍ أسعد: هو تَبَّانُ أسعد. اسمان جُعِلَا اسْمًا واحدًا، وإن شئت أضفْتَ كما تضيف معدي كرب، وإن شئت جعلت الإعراب في الاسم الآخر، وتَبَّان من التَّبَّانَةِ، وهي: الذكاء والفطنة. يقال: رجل تَبِّنٌ وَطِبِّنٌ.

وكُلَيْكِ كَرَبُ اسمٌ مركَّبٌ أيضًا وسيأتي معنى الكَرَبِ في لغة جَمِير عند ذكر مَغْدِي كرب - إن شاء الله تعالى - وكان ملك كلَيْكِ كَرَبِ خمسًا وثلاثين سنة، وكان مُضْعَفًا ساقط الهمَّة لم يَغْزُ قَطً.

وقوله: في نسب حَسَّان: ابن تَبَّانٍ أسعد وتَبَّانٍ الأسعد [هو] تُبَّعُ. [الآخر] نقص من النسب أسماء كثيرة وملوكًا؛ فَإِنْ عَمْرُو ذا الأذعار^(٤) كان بعده ناشِرُ بن عَمْرُو، ويقال له:

(١) الطوق: حلِّي للعنق. وفي قصة خطف الجن للناس: نظر.

(٢) هو: القعقاع بن الدُرِّ ماء الكلبي. انظر تاريخ الطبري (١/٣٦٤).

(٣) المشهور أن النبي ﷺ ولد عام ٥٧١ ميلادية، وقتل عمرو في الغارة على الشام سنة ٥٦٧ ميلادية.

(٤) ذو الأذعار: قيل أنه لُقِّب بهذا لأنه جلب النسناس إلى اليمن فذعر الناس منه. انظر الاشتقاق لابن=

الأوّل بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرّيش - قال ابن هشام: ويقال: الرّائش - قال ابن إسحق: بن عديّ بن صيفي بن سبأ الأصغر، بن كعب، كَهَف الظُّلم بن زَيْد بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن العَوْث، بن قَطَن، بن عَرِيب بن زَهير، بن أَيْمَن بن، الهَمَيْسَع بن العَرَنَجَج، والعَرَنَجَج: جَمِير بن سبأ الأكبر بن يَعْرُب، بن يَشْجُب بن قَحْطَان.

قال ابن هشام: يَشْجُب بن يعرب بن قَحْطَان.

قال ابن إسحق: وتُبَّان أسعد أبو كَرَب الذي قَدِم المدينة، وساق الجَبْرين من يهود المدينة إلى اليمن، وعَمَّر البيت الحرام وكساه، وكان ملكه قبل مُلْك ربيعة بن نصر.

ناشر النعم، [ابن عمرو بن يَعْفَر^(١)] وإنما قيل له ناشر؛ لأنه نَشَرَ المُلْك، واسمه مالك. مَلَك بعد قتل رجيم بن سُلَيْمَان عليه السلام بالشام، وهو الذي انتهى إلى وادي الرُّمْل، وماتت فيه طائفة من جنده جَرَتْ عليهم الرُّمال، وبعده: ثُبَّع الأقرن وأفريقس بن قَيْس الذي بنى إفريقية: وبه سميت، وساق إليها البَرْبَر من أرض كُثْعان، وثُبَّع بن الأقرن وهو الثُّبَّع الأوسط، وشَمِر بن مالك الذي سُمِّيت به مدينة سَمَرْقَنْد، ومالك هو: الأملوك، وفي بني الأملوك يقول الشاعر:

فَنَقَّبَ عَنِ الْأَمْلُوكِ وَاهْتَفَ بِبَعْفَرٍ وَعِشَ جَارَ عِزٍّ لَا يَغَالِبُهُ الدَّهْرُ

وقد قيل: إن الأملوك كان على عهد منوشهر، وذلك في زمن موسى - عليه السلام - كل هؤلاء المذكورون بأخبارهم في غير هذا الكتاب.

وعَمَرُو ذو الأذعار كان على عهد سليمان، أو قبله بقليل، وكان أُوغَل في ديار المغرب، وسبأ أمةٌ وجوهها في صُدورها، فذُعِر الناس، منهم فُسْمِي: ذا الأذعار^(٢)، وبعده ملكت بنت بَلْقَيْس هُدَاهِد بن شَرَحْبِيل صاحبة سليمان - عليه السلام - واسم أمها يَلَمَقَة بنت جني، وقيل: رَوَاحَة بنت سَكِين. قاله ابن هشام. وزعم أيضًا أنها قتلت عَمْرًا ذا الأذعار بحيلة ذكرها، وأنه سُمِّي ذا الأذعار لكثرة ما دُعِر الناس منه لجوره، وأنه ابن أبرهة ذي المنار بن الصُّعْب، وهو ذو القرنين بن ذي مرائل الحِميري، وأبوه: أبرهة ذو المنار سُمِّي

= دريد (٥٤٢).

(١) عند الطبري (٣٣١/١): ياسر بن عمرو بن يعفر.

(٢) والتأويل الأول مقبول كما تقدم ذكره في الاشتقاق. أما أن سبأ أمة وجوهها في صُدورها. فقول مردود بصريح القرآن.

قال ابن هشام: وهو الذي يقال له:

لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرِبَ أَنْ يَسُدَّ خَيْرُهُ خَبْلَهُ

سبب غضب تبان على أهل المدينة:

قال ابن إسحاق: وكان قد جعل طريقه - حين أقبل من المشرق - على المدينة، وكان قد مرَّ به في بَدْأَتِهِ، فلم يَهْجِ أَهْلَهَا، وخَلَّفَ بين أظهرهم ابْنًا لَهُ، فَقُتِلَ غِيلَةً، فَقَدِمَهَا وهو مُجْمَع لإخراجهَا، واستنْصَلَ أَهْلَهَا، وقطع نخلها، فجمع له هذا الحيُّ من الأنصار، ورئيسهم عَمْرُو بن طَلَّةَ أخو بني النَجَّار، ثم أحد بني عمرو بن مَبْدُول، واسم مَبْدُول: عامر بن مالك بن النَجَّار، واسم النجار: تيم الله بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر.

بذلك؛ لأنه رفع نيرانًا في جبال؛ ليهتدي بها^(١).

وأما حَسَّانُ الذي ذَكَرَ فهو الذي استباح طَسَمًا، وصَلَبَ الِيمَامَةَ الزُّرْقَاءَ، وذلك حين اسْتَضْرَخَهُ عليهم رَبَّاحُ بن مُرَّةَ أخو الزرقاء، وهو من قُلِّ جَدِيسٍ، وقد تقدم الإيماء إلى خبرهم.

ومعنى تُبَّعَ في لغة اليمن: الملك المتبوع، وقال المسعودي: لا يقال للملك: تُبَّعَ حتى يغلبَ اليمن والشَّخَرُ وَحَضْرَمَوْتَ. وأوَّلُ التَّبَاعَةِ: الحارثُ الرائش، وهو ابن هَمَّال بن ذي شَدَدٍ وَسُؤْيٍ: الرائش، لأنَّه رَأَشَ النَّاسَ بما أوسعهم من العطاء، وقسم فيهم من الغنائم، وكان أول مَنْ غَنِمَ، فيما ذكروا.

وأما العَرَنْجَجُ الذي ذكر أنه جَمِير بن سَبَأ، فمعناه بالحميرية: العتيق. قاله ابن هشام، وفي عهد رَمَن تَبَّع الأوسط - وهو حَسَّان بن تَبَّان أسعد - كان خروج عَمْرُو بن عامر من اليمن من أجل سيل العَرَم، فيما ذكر القُتَيْبِيُّ.

وأما عَمْرُو أخو حَسَّان الذي ذكر ابن إسحاق قصته، وقتله لأخيه. فهو المعروف بمَوْتَبَّان. سُمِّيَ بذلك للزومه الوثاب وهو [السري] الفِراش وقلة غَزْوه. قاله القُتَيْبِيُّ.

وأما ما ذكره من غَزْوِ تَبَّع المدينة، فقد ذكر القُتَيْبِيُّ أنه لم يقصد غَزْوَهَا، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم، فلم يَفِ لهم بذلك يهودٌ، واستضافوهم، فاستغاثوا

(١) قيل أنه أول مَنْ ضرب المنار على طريقه في مغازيه. انظر القاموس.

عمرو بن طَلَّة ونسبه:

قال ابن هشام: عمرو بن طَلَّة: عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النَجَّار، وطَلَّة: أمه، وهي: بنت عامر بن زُرَيْق، بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن عَضْب بن جُشَم بن الخزرج.

بَتَّبِع، فعند ذلك قَدِمَهَا وقد قيل: بل كان هذا الخبرُ لأبي جُبَيْلَةَ الْعَسَّانِي، وهو الذي اسْتَصْرَحَتْهُ الْأَوْسُ والخزرج على يهود، فالله أعلم.

وَالرَّجُلُ الذي عدا على عَذِي الملك، وَجَدَهُ من بني النَجَّارِ هو: مالك بن الْعَجْلَانِ فيما قال الْفُتَيْي، ولا يصحّ هذا عندي في القياس لُبَعْد عهد تُبَيْع من مدة ملك ابن العجلان.

وَحَبَرُ ملك ابن الْعَجْلَانِ إنما هو مع أبي جُبَيْلَةَ الْعَسَّانِي حين اسْتَصْرَحَتْ به الْأَنْصَارُ على اليهود، فجاء حتى قَتَلَ وَجُوهًا من يهود. وأما تُبَيْع فحدثه أَدُمٌ من ذلك. يقال: كان قبل الإسلام بسبعمئة عام، والصحيح في اسم أبي جُبَيْلَةَ: جُبَيْلَةُ غير مَكْنَى، ابنُ عَمْرُو بن جَبَلَةَ بن جَفْنَةَ، وَجَفْنَةُ هو: غَلْبَةُ ابن عَمْرُو بن عامر ماء السماء. وَجُبَيْلَةُ هو: جد جيلة بن الْأَيَّهِم^(١) آخر ملوك بني جَفْنَةَ، ومات جُبَيْلَةُ الغساني من عِلَاقَةِ شَرِبَهَا في ماء، وهو مُنْصَرَف عن المدينة.

وذكر أن تُبَيْعًا أراد تخريبَ المدينة، واسْتَصْصَالَ اليهود، فقال له رجل منهم، له مائتان وخمسون سنة: الملك أَجَلٌ من أن يطير به نَزَقٌ^(٢). أو يَسْتَحِقُّهُ عَضْب، وأمره أعظم من أن يضيقَ عَنَّا حِلْمُهُ، أو تُخَرِّمَ صَفْحَهُ، مع أن هذه الْبَلَدَةُ مُهَاجِرٌ نَبِيٌّ يبعث بدين إبراهيم. وهذا اليهوديُّ هو أحد الْحَبْرَيْنِ اللَّذَيْنِ ذكر ابن إسحاق، قال: واسمُ الْحَبْرَيْنِ: سُحَيْتٌ، والآخر: مُنْبَةُ. ذكر ذلك قاسمُ بن ثابت في الدلائل^(٣)، وفي رواية يونس عن ابن إسحاق، قال: واسمُ الْحَبْرِ الذي كلَّم الملك: بليامين، وذكر أن امرأة اسمها: فُكَيْهَةُ من بني زُرَيْق كانت تحمل له الماء من بئر رُومَةٍ^(٤) بعدما قال له الْحَبْرَانِ ما قالَا، وكفَّ عن قتالِ أَهْلِ المدينة، وَدَخَلُوا عَسْكَرَهُ، فأعطى فُكَيْهَةَ، حتى أغناها، فلم تَزَلْ هي وعشيرتها من أغنى الْأَنْصَارِ حتى

(١) جيلة بن الأيهم هو الذي ارتدَّ [عياذًا بالله من الردة] ولحق بالروم. انظر الإنباه (١١١).

(٢) النزق: النون والزاء والقاف كلمة تدلُّ على عجلة. من ذلك النزق: الخفة والعجلة. ويقولون: أنزق فلان بالضحك. مقياس اللغة (٤١٦/٥).

(٣) وعند الطبري (٤٢٦/١): أن اسم الحبرين هما: كعب وأسد، وكانا من بني قريظة، وكانا ابن عم.

(٤) بئر رومة: بئر بالمدينة المنورة.

جاء الإسلام، ولما آمن الملك بمحمد - ﷺ - وأعلم بخبره، قال:

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ
فَلَوْ مُدُّ عُمْرِي إِلَى عُمْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ، وَابْنَ عَمِّ
وَجَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ أَعْدَاءَهُ وَفَرَّجْتُ عَنْ صَدْرِهِ كُلَّ هَمٍّ^(١)

وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وذكره أيضًا أبو إسحاق الزجاج في كتاب المغازي له، أن قبرًا خُفِرَ بَصْنَعَاءَ، فوجد فيه امرأتان، معهما لَوْحٌ مِنْ فِصَّةٍ مَكْتُوبٌ بِالذَّهَبِ، وفيه: هذا قبر لَمِيسَ وَحُبَى ابْنَتَي تُبَّعِ مَاتَا، وهما تشهدان: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما^(٢)، وقال رسول الله - ﷺ -: «لا أدري أُنْبِئَ لَعِينٌ أَمْ لَا»^(٣) وَرَوَى عَنْهُ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا تَبَّعًا؛ فَإِنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا»^(٤)، فَإِنْ صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ الْآخِيرُ، فَإِنَّمَا هُوَ بَعْدَمَا أَعْلِمَ بِحَالِهِ، وَلَا نَدْرِي: أَيُّ التَّبَايَعَةِ أَرَادَ، غَيْرَ أَنْ فِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُتَبِّعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «لَا تَسُبُّوا أَسْعَدَ الْجَمْفَرِيِّ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ»^(٥)، فَهَذَا أَصَحُّ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَأَيُّنَ، حَيْثُ ذَكَرَ فِيهِ أَسْعَدُ. وَتُبَّانُ أَسْعَدُ الَّذِي تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ، وَقَدْ كَانَ تُبَّعُ الْأَوَّلُ مُؤْمِنًا أَيْضًا بِالنَّبِيِّ - ﷺ - وَهُوَ الرَّائِثُ، وَقَدْ قَالَ شَعْرًا يُنْبِئُ فِيهِ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ - ﷺ - يَقُولُ فِيهِ:

وَيَأْتِي بَعْدَهُمْ رَجُلٌ عَظِيمٌ نَبِيٌّ لَا يُرْخَصُ فِي الْحَرَامِ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ الْقَاتِلُ:

مَنَعَ الْبَقَاءَ تَصَرُّفُ الشَّمْسِ وَطَلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُمْسِي
الْيَوْمَ أَعْلَمُ مَا يَجِيءُ بِهِ وَمَضَى بِفَصْلِ قَضَائِهِ أَمْسٍ
وَطَلُوعُهَا بِيضَاءَ مُشْرِقَةٍ وَغُرُوبُهَا صَفَرَاءَ كَالْوُزْسِ
تَجْرِي عَلَى كَيْدِ السَّمَاءِ، كَمَا يَجْرِي جِمَامُ الْمَوْتِ فِي النَّفْسِ

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٥٤/٢) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا من «القبور» (٣١).

(٣) أخرجه ابن عساکر (٢٥٦/٥) من حديث أبي هريرة.

(٤) «ضعيف جدًا». أخرجه الطبراني (٢٩٦/١١) وابن عساکر في تهذيبه (٤٠٩/١٠) والخطيب

(٢٠٥/٣) وأحمد (٣٤٠/٥). فيه عمرو بن جابر متهم بالكذب.

(٥) ذكره ابن كثير البداية (١٥٤/٢) نقلاً عن المصنف. وأورده السيوطي في الدرر (٣١/٦).

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة

قال ابن إسحاق: وقد كان رجل من بني عدي بن النجار، يقال له: أحمر عدا على رجل من أصحاب ثُبُع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجده في عَذَقٍ له يَجْدُهُ، فضربه بِمَنْجَلِهِ فقتله، وقال: إنما التمر لمن أَبْرَهُ، فزاد ذلك ثُبُعًا حَنَقًا عليهم، فاقتتلوا، فترَعُمَ الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، وَيَقْرُوْنَهُ بِاللَّيْلِ، فيعجبه ذلك منهم، ويقول: والله إن قومنا لكرام.

فبينما تُتَبَّعُ على ذلك من قتالهم، إذ جاءه خَبْران من أحبار اليهود، من بني قُرَيْظَةَ - وقُرَيْظَةُ والنَّضِير والنَّجَام وعمرو - وهو هَذَلٌ - بنو الخزرج بن الصريح بن الثَّومان، بن السَّبْط بن اليَسَع، بن سعد، بن لاوي، بن خَيْر، بن النَّجَام، بن تَنْحُوم، بن عازَر، بن

وقد قيل: إن هذا الشعر لِيُتَبَّعِ الآخر [وقيل لأسقف نجران]، فالله أعلم، ومن هذا أخذ أبو تمام قوله:

ألقى إلى كعبة الرُّخْمَنِ أَرْحَلَهُ والشَّمْسُ قد نفضت وزسا على الأَصْلِ

غريب حديث تُبُع

ذكر فيه: فَجَدُّ عَذَقِ الملك. العَذَق: النخلة بفتح العين، والعِدَق بالكسرة: الكِبَاسة بما عليها من التَّمَر^(١)، وذكر في نسب قُرَيْظَةَ والنضير عَمْرًا، وهو هَذَلٌ بفتح الدال، والهاء، كأنه مصدر هَذَلٌ هَذَلًا إذا استرخت شفتاه، وذكره الأمير ابن ماکولا عن أبي عبدة التَّسَابَةِ فقال فيه: هَذَلٌ بسكون الدال.

وذكر فيه ابن الثَّومان على وزن فعلان، كأنه من لفظ التَّوَم^(٢)، وهو الدُّرُّ أو نحوه.

وفيه ابن السَّبْط بكسر السين، وفيه ابن تَنْحُوم بفتح التاء وسكون النون والحاء المهملة، وهو عِبْرَانِيٌّ، وكذلك عازَر، وعِزْرَى بكسر العين من عِزْرِي.

وقاهت، وبالتاء المنقوطة باثنتين. وهكذا وقع في نسخة الشيخ أبي بحر. وفي غيرها بالتاء المثلثة، وكلها عِبْرَانِيَّة. وكذلك إسرائيل، وتفصيله بالعربية: سَرِيُّ الله^(٣).

(١) عَذَق: العين والذال والقاف أصلٌ واحدٌ يدل على امتداد في شيء وتعلق شيء بشيء. من ذلك العِدَقُ عَذَقَ النخلة، وهو شِمارَخ من شماريخها. انظر مقاييس اللغة (٤/٢٥٧).

(٢) التَّوَم: مفردة تومة بضم التاء وفتح الميم.

(٣) وقيل المؤتمر بأمر الله.

عَزْرَى، بن هارون، بن عمران، بن يَضْهر، بن قاهث، بن لاوي، بن يعقوب - وهو إسرائيل - بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن - صَلَّى الله عليهم - عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد جيل بينك وبينها، ولم تأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذلك؟ فقالا: هي مُهاجِرُ نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى عن ذلك، ورأى أن لهما علماً، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، وأتبعهما على دينهما، فقال خالد بن عبد العزى بن عَزِيَّة بن عمرو بن عبد بن عوف بن غُثْم بن مالك بن النجار يفخر بعمره بن طَلَّة:

أَصْحَا أَمْ قَدْ نَهَى ذُكْرَهُ	أَمْ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهُ
أَمْ تَذَكَّرْتَ الشُّبَابَ، وَمَا	ذَكَرَكَ الشُّبَابَ أَوْ عُصْرَهُ
إِنَّهَا حَرْبٌ رِبَاعِيَّةٌ	مِثْلَهَا آتَى الْفَتَى عِبْرَهُ
فَاسْأَلَا عِمْرَانَ، أَوْ أَسَدَا	إِذْ أَتَتْ عَذَوًا مَعَ الزُّهْرَةِ
فَنِلَقَ فِيهَا أَبُو كَرِبٍ	سُبَّغَ أَبْدَانُهَا دَفْرَهُ

وقوله في شعر خالد بن عبد العزى: أصحا أم قد نهى ذُكْرَهُ. الذُّكْرُ: جمعُ ذُكْرَةٍ. كما تقول: بُكْرَةٌ وَبُكَرٌ، والمستعمل في هذا المعنى ذكرى بالالف، وقلما يجمع فعلى على فُعْلٍ، وإنما يجمع على فِعَالٍ، فإن كان أراد في هذا البيت جمع: ذُكْرَى، وشَبَّهَ أَلْفَ التَّأْنِيثِ بهاءِ التَّأْنِيثِ، فله وَجْهٌ: قد يحملون الشيء على الشيء إذا كان في معناه.

وقوله: ذَكَرَكَ الشُّبَابَ أَوْ عُصْرَهُ، أراد: أَوْ عُصْرَهُ. والعَصْرُ والعُصْرُ لغتان. وحرك الصَّاد بِالضَّمِّ^(١) قال ابن جني: ليس شَيْءٌ عَلَى وَزْنِ فُعْلٍ بسكون العين، يمتنع فيه فُعْلٌ.

وقوله: إِنَّهَا حَرْبٌ رِبَاعِيَّةٌ. مَثَلٌ. أي: ليست بصغيرة ولا جَذَعَةٌ^(٢). بل: هي فوق ذلك، وضُرِبَ سَنُ الرِّبَاعِيَّةِ مَثَلًا، كما يقال: حَرْبٌ عَوَانٌ^(٣). لأنَّ الْعَوَانَ أَقْوَى مِنَ الْفَتِيَّةِ وَأَذْرَبُ.

وقوله: عَذَوًا مَعَ الزُّهْرَةِ. يريد: صَبَّحَهُمْ بَغْلَسٍ قَبْلَ مَغِيبِ الزُّهْرَةِ^(٤) وقوله: أَبْدَانُهَا دَفْرَةٌ،

(١) العصر: أي الدهر ويجمع على أعصار وعصور وأعصر وعُصِرَ.

(٢) جذعة: الجذعة قبل الشني، والشني هي التي أَلْقَتْ بَشِئَتِهَا فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ ذَاتِ الظَّلْفِ وَالْحَافِرِ، وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ ذَاتِ الْخَفِ.

(٣) العوان: النض في سَنَها في كل شيء. (٤) الزهرة: يعني كوكب الزهرة.

ثم قالوا: مَنْ نَزَّوْمُ بِهَا ابني عَوْفٍ، أم النُّجْرَه؟
 بل بني النُّجَارِ إِنَّ لَنَا فِيهِمْ قَتْلَى، وَإِنَّ تَرَه
 فَتَلَقَّوْهُمْ مُسَافِقَةً مَدُّهَا كَالْعَبِيَّةِ النَّثْرَه

يعني: الدُّرُوع. وَدَفْرَة من الدَّفَر. وهي سَطُوع الرائحة طيبةً كانت، أو كريهةً. وأما الدَّفَر، بالبدال المهملة، فإنما هو فيما كره من الروائح، ومنه قيل للدنيا: أُمُّ دَفَر، وذكره القالي في الأمالي بتحريك الفاء، وغلط في ذلك، والدَّفَرُ بالسكون أيضًا: الدفع.

وقوله: أم النُّجْرَة. جمع ناجر، والناجر والنجار: بمعنى واحد، وهذا كما قيل: المناذرة في بني المُنْذِر والنجار، وهم: تَيْم الله بن ثُعَلْبَة بن عَمْرُو بن الْخَزْرَج، وَسُمِّي النجار؛ لأنه نَجَرَ وَجَهَ رجل بقدوم فيما ذَكَر بعضُ أهل النسب.

وقوله: فِيهِمْ قَتْلَى وَإِنَّ تَرَه. أظهر إن بعد الواو. أراد: إن لنا قَتْلَى وَتَرَه، والثَّرة: الْوِثْرُ، فأظهر المضمَر، وهذا البيت شاهد على أن حُرُوف العطف يُضْمَر بعدها العامل المتقدم نحو قولك: إن زَيْدًا وَعَمْرًا في الدار، فالتقدير: إن زَيْدًا، وإن عَمْرًا في الدار، ودَلَّت الواو على ما أردت، وإن احتجبت إلى الإظهار أظهرت؛ كما في هذا البيت إلا أن تكون الواو الجامعة في نحو اختصم زيد وَعَمْرُو، فليس ثم إضمار لقيام الواو مقامَ صيغة التثنية، كأنك قلت: اختصم هذان، وعلى هذا تقول: طلع الشمس والقمر، فنغلب المذكر، كأنك قلت: طلع هذان النيران، فإن جعلت الواو، هي التي تُضْمَر بعدها الفعل، قلت: طلعت الشمس والقمر، وتقول في نفي المسألة الأولى: ما طلع الشمس والقمر، ونفي المسألة الثانية: ما طلعت الشمس، ولا القمر تُعيد حرف النفي. لينتفي به الفعل المضمَر. ويتفرع من هذا الأصل في النحو مسائل كثيرة، لا نطوّل بذكرها.

وقوله: فتلقّتهم مُسَافِقَة بكسر الباء أي كتيبة مسافقة. ولو فتحت الباء، فقلت: مسافقة لكان حالاً من المصدر التي تكون أحوالاً مثل: كَلِمَتُهُ مُسَافِقَةٌ، ولعل هذه الحال أن يكون لها ذكر في الكتاب، فنكشف عن سرّها، ونبيّن ما خَفِيَ على الناس من أمرِها، وفي غير نسخة الشيخ: فَتَلَقَّوْهُمْ مُسَابِقَةً بالباء والقاف. وَالْعَبِيَّةُ: الدَّفْعَةُ من المطر^(١).

وقوله: الثَّيْرَة أي: المنتثرة، وهي التي لا تُمَسِك ماء. وقوله: [مَلَى] الإله من قولهم:

(١) الغيبة: الغين والباء والحرف المعتل (غبي) أصل صحيح يدل على تسرّ شيء حتى لا يهتدى له. من ذلك الغيبة وهي الزبية، وسُمِّيَت لأن المصيد جهلها حتى وقع فيها. ومنه: غَبِيَ فَلَانَ غباوة إذا كان قليل الفطنة وهو غبن، وغبيت عن الخبر: إذا جهلته. ويقال: جاءت غَبِيَّة من مطر، وذلك إذا جاءت بظلمة واشتداد وتكاثف. مقاييس اللغة (٤/٤١١).

فِيهِمْ عَمَرُو بَن طَلَّة مَ لَى إِلَاه قَوْمَه عُمَرَه
سَيِّد سَامَى الْمَلُوكُ وَمَنْ رَامَ عَمْرًا لَا يَكُن قَدَرَه
وهذا الحي من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تُبَع على هذا الحي من يهود

تَمَلَّيْتُ حَيًّا أَي: عشت معه حيًّا، وهو مأخوذ من الْمَلَاوَةِ وَالْمَلَوَيْنِ^(١) قال ابن أخمر:
أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ^(٢) أَمَلٌ عَلَيْهَا بِالْبَلَى الْمَلَوَانِ
أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ لَا هَجَرَ بَيْنَنَا وَلَا كُنَّ روعات من الْحَدَثَانِ
نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِبٌ مَلَوَاهُمَا على كُلِّ حَالِ النَّاسِ يَخْتَلِفَانِ
معنى قول الشاعر: دَائِبٌ مَلَوَاهُمَا. وَالْمَلَوَانِ: الليل والنهار. وهو مُشْكَلٌ؛ لأن الشيء
لَا يُضَافُ إِلَى نَفْسِهِ. لكنه جاز ههنا لأن الْمَلَا هو: الْمُتَسَّعُ من الزمان والمكان، وَسُمِّيَ
الليل والنهار: مَلَوَيْنِ، لانفصاحهما، فكأنه وَضَفَ لهما، لا عبارة عن ذاتيهما؛ ولذلك جازت إضافته
إليها، فقال: دَائِبٌ مَلَوَاهُمَا أَي: مداهما وانفصاحهما. وقد رأيت معنى هذا الكلام في هذا
البيت بعينه لأبي عَلِيٍّ الْفُسُورِيِّ في بعض مسائله الشيرازية.

وقوله: لَا يَكُنْ قَدَرَه. دعاء عليه: والهاء عائدة على عَمَرُو. أراد لا يكن قَدَرٌ عليه.
وحذف حرف الجر، فتعدى الفعل، فنصب، ولا يجوز حذف حرف الجر في كل فعل،
وإنما جاز في هذا، لأنه في معنى: اسْتَطَاعَه، أو أَطَاعَه، فَحُمِلَ على ما هو في معناه،
ونظائره كثيرة، والبيت الذي أنشده:

لَيْتَ حَفْظِي مِنْ أَبِي كَرْبٍ^(٣) أَنْ يَسُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَه
قال الْبِرْقِيُّ: نُسِبَ هذا البيت إلى الأعشى، ولم يصحَّ قال: وإنما هو لعجوز من بني
سالم. أحبه قال في اسمها: جميلة، قالت حين جاء مَالِكُ بْنُ الْعَجْلَانِ بخبر تُبَع، فدخل
سرًّا، فقال لقومه: قد جاء تُبَع، فقالت العجوزُ البيت.

وقوله في حديث تُبَع: وقومٌ يزعمون أن حَتَفَه إنما كان على هذين السَّبْطَيْنِ من يهود
يقوي ما ذكرناه قبل هذا عنه.

(١) ملئ: الميم واللام والحرف المعتل كلمة واحدة هي: الزمن الطويل. وأقام مليًا أي دهرًا طويلاً.
وتملئت الشيء إذا أقام معك زمانًا طويلاً. والملوان: طرفا الليل والنهار. والملاوة: الحين. مقاييس
اللغة (٣٤٦/٥).

(٢) السبعان: مكان من ديار بكر أو ديار قيس.

(٣) هو: ابن ملك كرب بها من الذي كان على اليمن سنة (٣٧٨) ميلادية.

الذين كانوا بين أظهرهم، وإنما أراد هلاكهم، فمنعهم منه، حتى انصرف عنهم، ولذلك قال في شعره:

حَنَقًا عَلَى سِبْطَيْنِ حَلًّا يَشْرِبَا أُولَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُفْسِدِ^(١)
قال ابن هشام: الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته.

والشعر الذي زعم ابن هشام أنه مصنوع قد ذكره في كتاب التيجان، وهو قصيد مطول أوله:

ما بال عينك لا تنام، كأنما كُجِلَتْ مَاقِيهَا بِسُمِّ الْأَسْوَدِ
حَنَقًا عَلَى سِبْطَيْنِ حَلًّا يَشْرِبَا أُولَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُفْسِدِ
وذكر في القصيدة ذا القرنين، وهو الصُّغْبُ بن ذي مَرَّائِد، فقال فيه:
ولقد أذل الصعب صَغْبَ زمانه وأناط عُروَةَ عَزَّهْ بِالْفَرْقَدِ
لم يدفع الْمَقْدُورَ عَنْهُ قُوَّةً عندَ الْمُتُونِ، ولا سَمَوَ الْمُخْتَدِ
والصنعة بادية في هذا البيت، وفي أكثر شعره، وفيه يقول:

فأتى مغَارَ الشمس عند غروبها في عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَاطَ حَزَمَدِ
وَالْخُلْبُ: الطين، وَالثَّاطُ الْحَزَمَدُ: وهو الْحَمَأُ الْأَسْوَدُ، وروى ثَقَلَةُ الْأَخْبَارِ أَنَّ ثُبْعًا لَمَّا
عمد إلى البيت يريد إخراجه رُمِيَ بِدَاءٍ تَمَخَّضَ مِنْهُ رَأْسُهُ قَيْحًا وَصَدِيدًا يُثْجُ ثُجًّا، وَأَتْنَنَ، حَتَّى
لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ قَيْدَ الرُّمَحِ، وَقِيلَ: بَلْ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِ رِيحٌ كَتَعَتْ مِنْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ،
وَأَصَابَتْهُمْ ظِلْمَةٌ شَدِيدَةٌ حَتَّى ذَفَّتْ خَيْلَهُمْ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَكَانُ: الدَّفَّ، فَدَعَا بِالْحُزَاةِ^(٢)
وَالْأَطْبَاءِ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ دَائِهِ، فَهَالَهُمْ مَا رَأَوْا مِنْهُ، وَلَمْ يَجِدْ عَنْدهُمْ فَرْجًا. فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ
الْحَبْرَانِ: لَعَلَّكَ هَمَمْتَ بِشَيْءٍ فِي أَمْرِ هَذَا الْبَيْتِ، فَقَالَ: نَعَمْ أَرَدْتُ هَذَا. فَقَالَا لَهُ: تَبَّ إِلَى
اللَّهِ مِمَّا نَوَيْتَ فَإِنَّهُ بَيْتُ اللَّهِ وَحَرَمُهُ، وَأَمْرَاهُ بِتَعْظِيمِ حُرْمَتِهِ فَفَعَلَ فَبَرِئَ مِنْ دَائِهِ، وَصَحَّ مِنْ
وَجَعِهِ. وَأَخْلِقَ بِهَذَا الْخَبَرِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ
بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. أَيْ: وَمَنْ يُسْهِمَ فِيهِ بِظُلْمٍ. وَالبَاءُ فِي قَوْلِهِ: بِظُلْمٍ
تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْمَعْنَى، وَأَنْ مَنْ هَمَّ فِيهِ بِالظُّلْمِ - وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ - عَذَّبَ تَشْدِيدًا فِي حَقِّهِ
وَتَعْظِيمًا لِحُرْمَتِهِ، وَكَمَا فَعَلَ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَهْلَكَهُمْ قَبْلَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ.

(١) انظر تاريخ الطبري (١/٤٢٨).

(٢) الحزاة: جمع حازي وهو الكاهن أو الذي ينظر في النجوم ويقضي بها.

تُبَّعَ يَعْتَقُ النَصْرَانِيَّةَ وَيَدْعُو قَوْمَهُ إِلَيْهَا:

قال ابن إسحاق: وكان تُبَّعَ وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجَّه إلى مكة، وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عُسْفَانَ، وَأَمَّجَ، أتاه نفر من هُذَيْل بن مُذْرِكَةَ بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد، فقالوا له: أيها الملك، ألا ندلك على بيت مال دائر، أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزَّبَرْجَدُ والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبد أهله، ويصلون عنده. وإنما أراد الَهْذَلِيُّونَ هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك مَنْ أَرَادَهُ من الملوك وَبَعَى عنده. فلما أجمع لما قالوا، أرسل إلى الْحِجْرَيْنِ، فسألهم عن ذلك، فقالا له: ما أراد القومُ إلا هلاكك وهلاك جندك. ما نعلم بيتاً لله اتخذ في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دَعَوُكَ إليه، لتهلكن، وليهلكن مَنْ معك جميعاً، قال: فماذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قَدِمْتُ عليه؟ قالوا: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به وتعظمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده وتذل له، حتى تخرج من عنده، قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالوا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكنَّ أهلكم حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يُهْرِيقُونَ عنده، وهم نَجَسُ أهل شرك - أو كما قالوا له - فعرف نصحبهما وصِدَقَ حديثهما فقتلوا نفر من هُذَيْل، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قَدِمَ مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام - فيما يذكرون - ينحر بها للناس، ويُطعم أهلها، ويسقيهم العسل، وأرَى في المنام أن يكسو البيت، فكساه الْخَصْفَ ثم أَرَى أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المَعَاظِرَ، ثم أَرَى أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المُلَاءَ والوصلات، فكان تُبَّعَ - فيما يزعمون - أول مَنْ كسا البيت، وأوصى به ولاته من جُزْهَمَ، وأمرهم بتطهيره وألاً يُقَرَّبُوهُ دَمًا، ولا ميتة، ولا

وقوله: فكسا البيت الْخَصْفَ. جَمْعُ: خَصْفَةٍ، وهي شيء يُنْسَجُ من الخوص والليف، وَالْخَصْفُ أيضًا: ثيابٌ غلاظ. وَالْخَصْفُ لغة في الْخَرْفِ في كتاب العين. وَالْخَصْفُ بضم الخاء وسكون الصاد هو: الْجَوْزُ^(١). وَيُرْوَى أن تُبَّعًا لَمَّا كسا البيت المسوح والأنطاع. انتفض البيت فزال ذلك عنه، وفعل ذلك حين كساه الْخَصْفَ، فلما كساه المُلَاءَ والوصلات قبلها. ومَنْ ذكر هذا الخبر: قاسم في الدلائل. وأما الوصلات فثيابٌ موصلة من ثياب اليمن. واحداثها: وصيلة.

وقوله: ولا تقربوه بمثلات، وهي: المحاض. لم يُرِدِ النساءَ الْحَيْضُ؛ لَأَنَّ حائضًا لا

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/١٨٦).

مثلات، وهي المحايض، وجعل له بابًا ومفتاحًا، وقالت سُبَيْعة بنت الأَحَبِّ، بن زَبِينة، بن جذيمة، بن عوف، بن معاوية، بن بكر، بن هَوَازِن، بن منصور، بن عِكْرَمَة، بن خَصْفَة بن قيس بن عيلان وكانت عند عبد مناف، بن كعب، بن سعد، بن تَيْم، بن مُرَّة، بن كعب بن لؤي، بن غالب، بن فُهْر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، لابن لها منه يقال له: خالد: تُعْظَم عليه حُرْمَة مكة، وتنهاه عن البغي فيها، وتذكر تُبْعًا وتذللها لها، وما صنع بها:

أُبْنِي: لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بُنِي ولا يغرثك الغروز
أُبْنِي: مَنْ يظلم بمكة يلق أطراف الشروز
أُبْنِي: يُضْرَب وجهه ويلخ بخديه السعير
أُبْنِي: قد جرثئها فوجدت ظالمها يبور
اللَّهُ أَمْنُهَا، وَمَا بُنيت بعزصتها قصور
ولقد غزاها تُبْع فكسا بنيتها الحبير
وأذل ربي مُلْكَه فيها فأوفى بالنُدور
يَمْشِي إليها - حافيًا بفنائها - ألفا بعير
يَسْقِيهِم العسل المَصْفَى وَالرَّحِيضَ من الشعير
والفيل أهلك جَيْشَه يُرْمَوْنَ فيها بالصخور
والملك في أقصى البلاد وفي الأعاجم والخزير
فاسمع إذا حَدَّثَتْ، وافهم كيف عاقبة الأمور

قال ابن هشام: يوقف على قوافيها لا تعرب.

يجمع على محائض^(١)، وإنما هي جمع مَحِيضَة، وهي خِزْقة المحيض، ويقال للخرقة أيضًا: مثلاة، وجمعها: المآلي قال الشاعر^(٢):

كَأَنَّ مُصَفَّحَاتٍ^(٣) فِي ذُرَاهُ وَأَنْوَاحًا عَلَيْهِنَّ الْمَالِي

(١) المرأة تحيض حيضًا ومحيضًا فهي حائض وحائضة وجمعها: حوائض وحيض.

(٢) هو: لبيد.

(٣) المصفحات: السيوف.

أصل اليهودية باليمن:

ثم خرج منها متوجّهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبَرَيْنِ حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبَوْا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكِ الْفَرَزِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ يَحَدِّثُ: أَنَّ ثُبَعًا لَمَّا دَنَا مِنَ الْيَمَنِ لِيَدْخُلَهَا حَالَتْ حِمْيَرٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَقَالُوا: لَا تَدْخُلَهَا عَلَيْنَا، وَقَدْ فَارَقْتَ دِينَنَا، فَدَعَاهُمْ إِلَى دِينِهِ وَقَالَ: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ، فَقَالُوا: فَحَاكِمْنَا إِلَى النَّارِ. قَالَ نَعَمْ. قَالَ: وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ - فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ - نَارٌ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، تَأْكُلُ الظَّالِمَ وَلَا تَضُرُّ الْمَظْلُومَ، فَخَرَجَ قَوْمُهُ بِأَوْثَانِهِمْ وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ فِي دِينِهِمْ، وَخَرَجَ الْحَبَرَانِ بِمَصَاحِفِهِمَا فِي أَعْنَاقِهِمَا مُتَقَلِّدَيْنِهَا، حَتَّى قَعَدُوا لِلنَّارِ عِنْدَ مَخْرَجِهَا الَّذِي تَخْرُجُ مِنْهُ، فَخَرَجَتِ النَّارُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ حَادَوْا عَنْهَا وَهَابُوهَا، فَذَمَّرَهُمْ مَنْ حَضَرَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَأَمْرُوهُمْ بِالصَّبْرِ لَهَا، فَصَبَرُوا حَتَّى غَشِيَتْهُمْ، فَأَكَلَتِ الْأَوْثَانُ وَمَا قَرَّبُوا مَعَهَا، وَمَنْ حَمَلَ ذَلِكَ مِنْ

وهي هنا خَزَقٌ تَمْسُكُهُ النَّوَاحَاتُ بِأَيْدِيَهُنَّ، فَكَانَ الْمَثَلُ كُلُّ خَزَقَةٍ دَنَسَةٍ لِحَبِصٍ كَانَتْ، أَوْ لغيره وَزَنَها مِفْعَلَةٌ مِنَ الْوُثْ: إِذَا قَصُرَتْ وَضِيعَتْ، وَجَعَلَهَا صَاحِبُ الْعَيْنِ فِي بَابِ الْإِلَیَّةِ وَالْأَلِیَّةِ، فَلَامَ الْفِعْلَ عِنْدَهُ يَاءٌ عَلَى هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَيُرَوَّى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: مَثَلًا بَنَاءٌ مِثْلُهُ، وَمِنْ قَوْلِهِ حِينَ كَسَا الْبَيْتَ:

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ

مُلَاءٌ مُعَضَّدًا وَبِرُودًا^(١)

فَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا

وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا^(٢)

وَنَحَرْنَا بِالشَّعْبِ سِتَّةَ أَلْفٍ

فَتَرَى النَّاسَ نَحْوَهُنَّ وَرُودًا

ثُمَّ سَرْنَا عَنْهُ نَوْْمٌ سُهَيْلًا

فَرَفَعْنَا لَوَاءَنَا مَعْقُودًا

وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ، كَانَتْ قِصَّةُ ثُبُعٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِسَبْعِمِائَةِ عَامٍ^(٣).

وقوله بنت الأَحَبِّ بِالحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ابْنُ رَیْبَةَ: بِالزَّيِّ وَالْبَاءِ وَالنُّونِ: فَعِيلَةٌ مِنْ

(١) بِرُودًا: نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ الْمَخْطُوطَةِ.

(٢) إِقْلِيدًا: أَيُّ مِفْتَاحًا.

(٣) وَقِيلَ قِيلَهُ بِأَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ.

رجال حمير، وخرج الخبران بمصاحفهما^(١) في أعناقهما تَغْرَق جباههما لم تضمرهما، فأصفت عند ذاك حمير على دينه، فمن هنالك، وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن. قال ابن إسحق: وقد حدثني محدث^(٢) أن الخبرين، ومن خرج من حمير، إنما اتبعوا النار، ليردوها، وقالوا: من ردّها فهو أولى بالحق، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم، ليردوها فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها، ودنا منها الخبران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما، حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصفت عند ذلك حمير على دينهما. والله أعلم أي ذلك كان.

الزُّبْن^(٣)، والنسب إليه زَبَانِيٌّ على غير قياس. ولو سُمِّي به رجلٌ لقليل في النسب إليه. زَبْنِيٌّ على القياس. قال سيبويه: الأحب بالحاء المهملة. يقوله أهل النسب، وأبو عبيدة يقوله بالجيم، وإنما قالت بنت الأحب هذا الشعر في حربٍ كانت بين بني السَّبَّاقِ بن عبد الدار، وبين بني علي بن سَعْد بن تميم حتى تَفَانُوا. ولحقت طائفة من بني السَّبَّاقِ بَعَكُ. فهم فيهم. قال: وهو أولُ بَغِيٍّ كان في قريش. وقد قيل: أولُ بغي كان في قريش بغي الأفايش، وهم بنو أَفَيْش من بني سَهْم، بغي بعضهم على بعض، فلما كثر بغيهم على الناس أرسل الله عليهم فآرةً تحمل فتيلةً، فأخرقت الدار التي كانت فيها مساكنهم، فلم يبق لهم عَقَبٌ.

كسوة الكعبة:

وقولها: وكسا بَنِيَّتَهَا الْحَبِير. تريد: الْحَبِرَاتِ^(٤) والرحيض من الشعر أي المُنْتَقَى والمصْفَى منه، وقال ابن إسحق في غير هذا الموضع: أول من كسا الكعبة الديباج: الحجاج، وذكر جماعة سواه منهم الدَّارِقُطْنِي. فُتَيْلَةُ بنت جَنَاب أم العباس بن عبد المطلب. كانت قد أضلّت العباسَ صَغِيرًا، فنزرت: إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج، ففعلت ذلك حين وجدته. وكانت من بيت مملكة، وسيأتي ذكر نسبها فيما بعد - إن شاء الله.

وقال الزبير النسابة: بل أول من كساها الديباج عبدُ الله بن الزُّبَيْر^(٥).

(١) بمصاحفهما: أي بكتبهما. وهي التوراة.

(٢) مجهول.

(٣) الزبن: الدفع. يقال: الحرب تزبن الناس إذا صدمتهم. انظر مقاييس اللغة لابن فارس (٤٦/٣).

(٤) الحبرات: جمع حبرة - نوع من الثياب المخططة.

(٥) وذكر الواقدي أن أول من كساها الديباج هو يزيد بن معاوية، واتباع ابن الزبير أثره.

مصير رثام

قال ابن إسحاق: وكان رثام بيتًا لهم يعظمونه، وينحرون عنده، ويكلمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الخبران لتبع: إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه، قال: فشأنكما به، فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبًا أسود فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت، فبقياه اليوم - كما ذكر لي - بها آثار الدماء التي كانت تُهراق عليه.

ملك حسان بن تبان وقتل عمرو أخيه له:

فلما ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبي كرب، سار بأهل اليمن، يريد أن يطأ به أرض العرب، وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق - قال ابن هشام: بالبحرين، فيما ذكر لي بعض أهل العلم - كرهت جُمير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلّموا أخًا له يقال له عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتل أخاك حسان، ونملكك علينا، وترجع بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعت على ذلك إلا ذا رعين الحميري، فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه. فقال ذو رعين:

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتَ قَرِيرَ عَيْنٍ

رثام

وذكر البيت الذي كان لهم يقال له: رثام، وهو فعال من رثمت الأثى ولدها تَرَأْمُه رِثْمًا ورثامًا: إذا عطفت عليه ورحمته. فاشتقوا لهذا البيت اسمًا لموضع الرحمة التي كانوا يلتصقون في عبادته، والله أعلم.

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق أن رثامًا كان فيه شيطان، وكانوا يملؤون له حياضًا من دماء القربان، فيخرج فيصيب منها، ويكلمهم، وكانوا يعبدونه، فلما جاء الخبران مع تبع نشرا التوراة عنده، وجعلوا يقرآنها؛ فطار ذلك الشيطان حتى وقع في البحر.

لغة ونحو: وقوله في حديث عمرو أخى حسان وهو الذي كان يقال له: مَوْثَبَان^(١) وقد تقدم: لِمَ لُقِّبَ بذلك. وقول ذِي رُعَيْن له في البيتين:

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتَ قَرِيرَ عَيْنٍ^(٢)

(١) عند الطبري (٤٣٣/١) أنه سُمِّيَ بذلك لأنه وثب على أخيه حسان لقتله.

(٢) انظر الطبري (٤٣٢/١).

فإِذَا جَمِيزٌ غَدَرْتُ، وخانت فمَعْدَرَةُ الإِلَهِ لَذي رُغَيْنِ^(١)

ثم كتبهما في رقعة، وختم عليها، ثم أتى بهما عَمْرًا، فقال له: ضع لي هذا الكتاب عندك، ففعل، ثم قتل عمرو أخاه حَسَّانَ، ورجع بَمَنْ معه إلى اليمن. فقال رجل من حمير:

لَا عَيْنَا الَّذِي رَأَى مِثْلَ حَسَّانَ قَتِيلًا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ^(٢)

معناه: أَمَنْ يَشْتَرِي، وَحَسُنَ حَذْفُ أَلِفِ الاستفهام ههنا لتقدم همزة ألا. كما حَسُنَ في قول امرئ القيس: أَحَارَ تَرَى بَرْقًا أَرِيكَ وَمِیْضَهُ. أراد: أترى وفي البيت حَذْفُ تَقْدِيرُهُ: بَلْ مَنْ يَبِيتَ قَرِيرَ عَيْنٍ هُوَ السَّعِيدُ. فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه. وفي كتاب ابن دريد: سَعِيدٌ أَمْ يَبِيتُ بِحَذْفِ مَنْ، وهذا من باب حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه؛ لأن من ههنا نكرة موصوفة، ومثله قول الراجز:

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَأْتِمْ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمِیْسَمٍ

أي: مَنْ يَفْضُلُهَا، وهذا، إنما يوجد في الكلام إذا كان الفعل مضارعًا لا ماضيًا، قاله ابن السراج وغيره.

وَذُو رُغَيْنٍ تَصْغِيرُ رَغْنٍ، وَالرَّغْنُ: أَنْفُ الْجَبَلِ، وَرُغَيْنِ جَبَلٌ بِالْيَمَنِ قَالَه صَاحِبُ الْعَيْنِ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ ذُو رُغَيْنِ^(٣).

وقوله في الأبيات بعد هذا: لَا^(٤) مَنْ رَأَى مِثْلَ حَسَّانَ أَرَادَ لِلَّهِ وَحَذْفُ لَامِ الْجَوْرِ وَاللَّامِ الْأُخْرَى مَعَ أَلِفِ الْوَصْلِ، وَهَذَا حَذْفٌ كَثِيرٌ. وَلَكِنَّهُ جَازٌ فِي هَذَا الْاسْمِ خَاصَّةً لَكثْرَةِ دَوْرِهِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ. مِثْلُ قَوْلِ الْفَرَّاءِ: لِهَيْئِكَ مِنْ بَرَقٍ عَلِيٍّ كَرِيمٍ. أَرَادَ: وَاللَّهُ إِنَّكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ لِأَنَّكَ وَأَبْدَلَ الْهَمْزَةَ هَاءً. وَهَذَا بَعِيدٌ، لِأَنَّ اللَّامَ لَا تَجْمَعُ مَعَ إِنَّ، إِلَّا أَنْ تُوْخَّرَ اللَّامُ إِلَى الْخَبَرِ، لِأَنَّهُمَا حَرْفَانِ مُؤَكَّدَانِ، وَلَيْسَ انْقِلَابُ الْهَمْزَةِ هَاءً بِمُزِيلٍ الْعَلَّةِ الْمَانِعَةِ مِنْ اجْتِمَاعِهِمَا.

(١) انظر تاريخ الطبري (٤٣٢/١).

(٢) الأحقاب: الأزمان. قال تعالى: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣].

(٣) انظر مقاييس اللغة (٤٠٧/٢).

(٤) لا: أي تحير. انظر «اللباب في تفسير فاتحة الكتاب» للمحقق.

قتلته مَقَاوِلَ خَشِيَّةَ الْحَبْسِ غَدَاةً قَالُوا: لَبَابٍ لَبَابٍ
مِثْلُكُمْ خَيْرُنَا وَخَيْرُكُمْ رَبٌّ عَلَيْنَا، وَكُلُّكُمْ أَرْبَابِي^(١)

قال ابن إسحق: وقوله: لباب لباب: لا بأس لا بأس، بلغة حمير. قال ابن هشام: ويروى: لياب لياب.

هلاك عمرو:

قال ابن إسحق: فلما نزل عمرو بن تَبَّانَ الْيَمَنَ مُنِعَ مِنَ النُّومِ، وَسُلِطَ عَلَيْهِ السَّهَرُ، فَلَمَّا جَهَّذَهُ ذَلِكَ سَأَلَ الْأَطْبَاءَ وَالْخُزَاةَ مِنَ الْكُهَّانِ وَالْعُرَافِينَ عَمَّا بِهِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْهُمْ: إِنَّهُ مَا قَتَلَ رَجُلٌ قَطُّ أَخَاهُ، أَوْ ذَا رَجْمِهِ بَغْيًا عَلَى مِثْلِ مَا قَتَلْتَ أَخَاكَ عَلَيْهِ، إِلَّا ذَهَبَ نَوْمُهُ، وَسُلِطَ عَلَيْهِ السَّهَرُ، فَلَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ جَعَلَ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ أَمَرَهُ بِقَتْلِ أَخِيهِ حَسَّانَ مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ، حَتَّى خَلَصَ إِلَى ذِي رُعَيْنٍ، فَقَالَ لَهُ ذُو رُعَيْنٍ: إِنَّ لِي عِنْدَكَ بَرَاءَةً، فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْكِتَابُ الَّذِي دَفَعْتُ إِلَيْكَ، فَأَخْرَجَهُ فِإِذَا الْبَيْتَانِ، فَفَرَكَهُ، وَرَأَى أَنَّهُ قَدْ نَصَحَهُ. وَهَلَكَ عَمْرُو، فَمَرَجَ أَمْرُ حَمِيرٍ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَفَرَّقُوا.

المقاول^(٢):

وقوله: قتلته المقاول: يريد الأقيال، وهم الذين دون التَّابِعة واحدهم: قِيلَ مِثْلَ سَيِّدٍ، ثُمَّ خَفَّفَ وَاسْتَعْمَلَ بِالْيَاءِ فِي إِفْرَادِهِ وَجَمْعِهِ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ الْوَاوُ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: الَّذِي يَقُولُ وَيُسْمَعُ قَوْلُهُ، وَلَكِنَّهُمْ كَرِهُوا أَنْ يَقُولُوا: أَقْوَالُ، فَيَلْتَبِسُ بِجَمْعِ قَوْلٍ، كَمَا قَالُوا: عِيدٌ وَأَعْيَادٌ، وَإِنْ كَانَ مَنْ عَادَ يَعُودُ لَكِنْ أَمَاتُوا الْوَاوَ فِيهِ إِمَاتَةً، كَي لَا يُشَبَّهَ جَمْعُ الْعُودِ، وَإِذَا أَرَادُوا إِحْيَاءَ الْوَاوِ فِي جَمْعِ قِيلٍ، قَالُوا: مَقَاوِلُ كَأَنَّهُ جَمْعُ مِقْوَلٍ، أَوْ جَمْعُ: مَقَالٍ وَمَقَالَةٍ، فَلَمْ يَبْعُدُوا مِنْ مَعْنَى الْقَوْلِ، وَأَمِنُوا اللَّبْسَ، وَقَدْ قَالُوا: مُحَاسِنٌ وَمَذَاكِرُ لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، وَكَأَنَّهُمْ ذَهَبُوا أَيْضًا فِي مَقَاوِلِ مَذْهَبِ الْمَرَازِبِ، وَهُمْ مُلُوكُ الْعَجَمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

على أنهم قالوا: أقيال وأقوال، ولم يقولوا في جمع عيد إلا أعياد، ومثل عيد وأعياد. رِيحٌ وَأَرْيَاحٌ فِي لُغَةِ بَنِي أَسَدٍ، وَقَدْ صَرَّفُوا مِنَ الْقِيلِ فَعْلًا، وَقَالُوا: قَالَ عَلَيْنَا فُلَانٌ، أَيْ: مَلَكٌ وَالْقِيَالَةُ: الْإِمَارَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي تَسْبِيحِهِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ: «سُبْحَانَ

(١) انظر تاريخ الطبري (١/٤٣٢).

(٢) المقاول: القاف والياء واللام أصل كلمة الواو، وإنما كُتِبَ هَاهُنَا لِلْفُظِّ. فالقيل: الملك من ملوك حمير وجمعه أقيال. وَمَنْ جَمَعَهُ عَلَى الْأَقْوَالِ فَوَاحِدُهُمْ قِيلٌ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ. انظر مقاييس اللغة (٥/٤٤ - ٤٥).

خبر لخنيسة وذئ نواس

فوثب عليهم رجل من جَمِير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له: لَخْنِيسَة ينوف ذو شَنَاتر، فقتل خيارَهم، وعَثَ بيوت أهل المملكة منهم، فقال قاتل من جَمِير للخنيسة:

تَقْتُلُ أبناءها وتَنفِي سَرائِها وتبني بأيديها لَهَا الذلَّ جَمِيرُ
تُدْمِرُ دُنْيَها بِطَيشِ حُلُومِها وما ضيَّعت من دينها فهو أَكْثَرُ
كَذلك القرون قبل ذاك بظلمها وإسرافها تأتي الشرورَ فتخسر

الذي لبس العزَّ، وقال به^(١). أي مَلَك به وقهر. كذا فسره الهَرَوِيُّ في الغُريين.

خبر لخنيسة وذئ نواس

وقال فيه ابن دريد: لَخْنِيسَة وقال: هو من اللَّخَع، وهو استرخاء في الجِسم^(٢)، وذُو شَنَاتر. الشَّنَاتِرُ: الأصابع بلغة جَمِير، واحدا: شُنْثَرَةٌ، وذُو نواس^(٣) اسمه: زُرْعَة، وهو من قولهم للغلام: زَرَعَكَ اللَّهُ، أي أنبتك، وسُمُوا بزراع كما سُمُوا بنبات، وقال الله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤] أي: تنبتونه، وفي مُسْنَدِ وَكِيع بن الجراح عن أبي عبد الرحمن الجُبَلِيِّ أنه كان يكره أن يقول الرجل: زَرَعْتَ في أرضي كذا وكذا، لأن اللَّهَ هو الزارع، وفي مُسْنَدِ الْبَزَّار - مرفوعاً - إلى النبي - ﷺ - النهي عن ذلك أيضًا^(٤)، وقد تكلمنا على وجه هذا الحديث، في غير هذا الإملاء فقد جاء في الصحيح: «ما من مُسْلِمٍ يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً» الحديث^(٥). وفي كتاب الله أيضًا قال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ [يوسف: ٤٧]، وسُمِّيَ ذا نواس بغديرتين كانتا له تنوسان، أي ضفيران من شعر، والنُّوسُ: الحركة والاضطرابُ فيما كان متعلقاً، قال الراجز:

لو رأتنِي والنَّعاسُ غَالِبِي على البعير نائِسا دَبَّابِي

(١) «إسناده ضعيف». أخرجه الترمذي (٣٤١٩) من حديث ابن عباس. مطولاً. وفيه «سبحان الذي تعطف العز وقال به، سبحان الذي لبس المجد وتكرم به». قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي ليلى من هذا الوجه. وفيه ابن أبي ليلى: ضعيف. وداود بن علي بن عبد الله بن عباس. مقبول. التقريب (٢٣٣/١).

(٢) لخع: اللام والخاء والعين كلمة واحدة. قال ابن دريد: اللخع: استرخاء في الجسم. مقاييس اللغة (٢٤١/٥).

(٣) نوس: النون والواو والسين أصلٌ يدل على اضطراب وتذبذب. وسُمِّيَ أبو نواس لذؤابتين له كانتا تنوسان. مقاييس اللغة (٣٦٩/٥).

(٤) أخرجه البزار (٩٦/٢).

(٥) أخرجه البخاري (١٣٥/٣) ومسلم في المساقاة (١٢) والترمذي (١٣٨٢) وأحمد (٢٢٩/٣).

وكان لخنينة امرأ فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، فكان يُرسل إلى الغلام من أبناء الملوكة، فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك، لثلاً يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده، قد أخذ مسواكاً، فجعله في فيه، أي: ليُعلمهم أنه قد فرغ منه، حتى بعث إلى رزعة ذي نواس بن ثبان أسعد أخي حسان، وكان صبيّاً صغيراً حين قُتل حسان، ثم شَبَ غلاماً جميلاً وسيماً، ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسوله، عرف ما يريد منه، فأخذ سكيناً جديداً لطيفاً، فخبأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس، فَوَجَّاهُ حتى قتله. ثم حَزَّ رأسه، فوضعه في الكوة التي كان يُشرف منها، ووضع مسواكه في فيه، ثم خرج على الناس، فقالوا له: ذا نواس أرطب أم يباس؟ فقال: سَلْ نَخماس استرطبان ذو نواس. استرطبان لا بأس. قال ابن هشام: هذا كلام حُمير. ونخماس: الرأس. فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنينة مقطوع، فخرجوا في إثر ذي نواس حتى أدركوه، فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرختنا من هذا الخبيث.

يريد: دَبَاذِبَ الْقَمِيصِ، وقال ابن قتيبة: أراد بالدَّبَاذِبِ مَذَاكِيرَهُ، وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ بِالْمَعْنَى.

وذكر قول ذي نواس للحرس حين قالوا له: أَرَطْبُ أَمْ يَبَّاسُ، وَالْيَبَّاسُ وَالْيَبَّاسُ: مثل الكِبَارِ وَالْكَبِيرِ فقال لهم: سَلْ نَخماسَ، والنخماسُ في لغتهم هو الرأس كما ذكر، ووقع في نسخة أبي بحر التي قيدها على أبو الوليد الوراق: نَخماس بنون وخاء منقوطة، ولعل هذا هو الصحيح إذ يحتمل أن يكون النخماس في لغتهم هو: الرأس ثم صُحُفٌ وقيد كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق والحاء المهملة - فيما ذكر لي - وقوله: اسْتَرَطْبَانِ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ مُشْكِلاً يفسره ما ذكره أبو الفرج في الأغاني قال: كان الغلام إذا خرج من عند لخنينة، وقد لَاطَ به قطعوا مَشَافِرَ ناقته ودَنَبَهَا: وصاحوا به: أَرَطْبُ أَمْ يَبَّاسُ، فلما خرج ذو نواس من عنده، وركب ناقته له يقال لها: السَّرَابُ؛ قالوا: ذا نواس أَرَطْبُ أَمْ يَبَّاسُ، فقال: «ستعلم الأحرارُ استَ ذي نواس استَ رَطْبَانِ أَمْ يَبَّاسُ» فهذا اللفظ مفهومٌ. والذي وقع في الأصل هذا معناه، ولفظه قريب من هذا، ولعله تغيير في اللفظ - والله أعلم - وكان ملك لخنينة سبعا وعشرين سنةً، وملك ذو نواس بعده ثمانين سنةً. قاله ابن قتيبة^(١).

(١) انظر تاريخ الطبري (١/٤٣٣). الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/٣٢٨).

ملك ذي نواس:

فملكوه، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير. وهو صاحب الأخدود، وتسمى: يوسف، فأقام في ملكه زمانًا.

بقايا من أهل دين عيسى بنجران:

وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل. أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له: عبد الله بن الثامر. وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين يقال له: قَيْمِيُون، وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه. فدانوا به.

ابتداء وقوع النصرانية بنجران

حديث فيميون

قال ابن إسحق^(١): حَدَّثَنِي الْمَغِيرَةُ بْنُ أَبِي لَيْدٍ مَوْلَى الْأَخْنَسِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبَهٍ الْيَمَانِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ مَوْقِعَ ذَلِكَ الدِّينِ بَنْجَرَانُ كَانَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَقَايَا أَهْلِ دِينِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يُقَالُ لَهُ قَيْمِيُونُ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، مُجَابِدُ الدَّعْوَةِ،

حديث فيمؤن

وَيُذَكَّرُ عَنِ الطَّبْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ فِيهِ: قَيْمُونُ بِالْقَافِ، وَشَكَّ فِيهِ، وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ فِيهِ: رَجُلٌ مِنْ آلِ جَفْتَةَ مِنْ عَسَافٍ جَاءَهُمْ مِنَ الشَّامِ، فَحَمَلَهُمْ عَلَى دِينِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلَمْ يَسْمَعْهُ، وَقَالَ فِيهِ النِّقَاشُ: اسْمُهُ: يَحْيَى، وَكَانَ أَبُوهُ مَلِكًا فَتَوَفَّى، وَأَرَادَ قَوْمُهُ أَنْ يَمْلِكُوهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَفَرَّ مِنَ الْمَلِكِ، وَلَزِمَ السِّيَاحَةَ^(٢)، وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي دَعَا لِابْنِهِ، فَشَفِيَ بِأَتَمِّ مِمَّا ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: قَيْمُونُ حِينَ دَخَلَ مَعَ الرَّجُلِ، وَكُشِفَ لَهُ عَنْ ابْنِهِ: «اللَّهُمَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِكَ دَخَلَ عَلَيْهِ عِدُوُّكَ فِي نِعْمَتِكَ، لِيَفْسِدَهَا عَلَيْهِ، فَاشْفِهِ وَعَافِهِ وَامْنَعِهِ مِنْهُ»^(٣)، فَقَامَ الصَّبِيُّ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا أَنَّ الصَّبِيَّ كَانَ مَجْنُونًا لِقَوْلِهِ: دَخَلَ عَلَيْهِ عِدُوُّكَ، يَعْنِي: الشَّيْطَانُ، وَلَيْسَ هَذَا فِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

(١) انظر تاريخ الطبري (٤٣٤/١).

(٢) السَّيَاحَةُ فِي الْأَرْضِ: الْإِنْتِقَالُ فِيهَا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ.

(٣) الطبري (٤٣٤/١).

وكان سائحًا ينزل بين القرى، لا يُعْرِفُ بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كَسَبَ يديه. وكان بَنَاءُ يعمل الطين، وكان يعظّمُ الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئًا، وخرج إلى فلاة من الأرض يصلّي بها حتى يُمسي. قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيًا، ففطن لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له: صالح، فأحبّه صالح حبًّا لم يحبّه شيئًا كان قبله. فكان يتبعه حيث ذهب. ولا يفطن له فَيَميُون، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض. كما كان يصنع، وقد اتّبعه صالح وَفَيَميُون لا يدري - فجلس صالح منه منظر العين مستخفيًا منه. لا يحبّ أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلّي، فبينما هو يصلّي إذ أقبل نحوه الثَّنين - الحية ذات الرؤوس السبعة - فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح ولم يدِرْ ما أصابها، فخافها عليه. ففعلَ عَوْلُهُ. فصرخ: يا فَيَميُون! الثنين قد أقبل نحوك، فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى، فانصرف، وعَرَفَ أنه قد عُرِفَ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه. فقال له: يا فيميون! تعلم والله أنني ما أحببت شيئًا قطّ حبّك، وقد أردت صحبتك، والكينونة معك حيث كنت، فقال: ما شئت. أمري كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبدُ به الضّرّ دعا له فشفي، وإذا دُعِيَ إلى أحد به ضرّ لم يأتَه، وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير، فسأل عن شأن فَيَميُون، فقيل له: إنه لا يأتي أحدًا دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر فعمد الرجل إلى ابنه ذلك، فوضعه في حُجْرته، وألقى عليه ثوبًا، ثم جاءه فقال له: يا فيميون، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه، فأشارتك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجّرتَه، ثم قال له: ما تريد أن تعمل في بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتشَطَ الرجلُ الثوبَ عن الصبيّ ثم قال له: يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له، فدعا له فَيَميُون، فقام الصبيّ ليس به بأس، وعرف فيميون أنه قد عُرِفَ، فخرج من القرية، واتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض

وذكر ابن إسحق في الرواية الأخرى عن محمد بن كعب القُرظيّ، وعن بعض أهل نَجْران، وما ذكروه من خبر فيميون، قال: ولم يُسمّوه لي بالاسم الذي سمّاه ابن مُتَبِّه. قال المؤلف رحمه الله: يحتمل أنهم سمّوه: يحيى، وهو الاسم الذي تقدم ذكره، وما قاله النقاش والقُتَيْبِيُّ.

وفيه ذكر قرية نجران في هذا الحديث، ونجران اسم رجل كان أول من نزلها، فسُميت به، وهو نَجْران بن زَيْد بن يَشْجُب بن يَغْرُب بن قحطان. قاله البكري.

الشام، إذ مرَّ بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال: يا فيميون. قال: نعم. قال: ما زلتُ أنظرك، وأقول: متى هو جاء؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو. لا تَبْرُخْ حتى تقوم عليّ، فلاني ميت الآن. قال: فمات، وقام عليه حتى وراه ثم انصرف، وتبعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدوا عليهما، فاختطفتهما سَيَّارة من بعض العرب، فخرجوا بهما، حتى باعوهما بَنَجْران، وأهلُ نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد في كل سنة، إذا كان ذلك العيد عُلِّقُوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحلّي النساء ثم خرجوا إليها، فحكفوا عليها يومًا.

فابتاع فيميون رجل من أشرافهم، وابتاع صالحًا آخر، فكان فيميون إذا قام من الليل - يتهجّد في بيت له أسكنه إياه سيده - يصلي، استسرج له البيت نورًا، حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به، وقال له فَيَمِيُونُ: إنما أنتم في باطل. إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبد، لأهلكها، وهو الله وحده لا شريك له، قال: فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه. قال: فقام فيميون، فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحًا فجَعَفَتْها من أصلها فألقته فاتبعه عند ذلك أهلُ نَجْران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بَنَجْران في أرض العرب.

قال ابن إسحق: فهذا حديث وَهْب بن مُثَنٍّ عن أهل نجران^(١).

وذكر أصحاب الأخدود، وما أنزل الله تعالى فيهم، وقد روى ابن سنجر عن جُبَيْر بن نُفَيْر، قال: الذين خددوا الأخدود ثلاثة: تُبَيْع صاحب اليمن، وقُسْطَنْطِينُ بن هِلاني - وهي أمه حين صرف النصارى عن التوحيد، ودين المسيح إلى عبادة الصليب، وبُخْتَنْصَرُ من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا إليه، فامتنع دانيال وأصحابه، فآلقاهم في النار، فكانت بردًا وسلامًا عليهم، وحرقت الذين بغوا عليهم.

(١) انظر الطبري (٤٣٤/١ - ٤٣٥) وتاريخ ابن الأثير (٣٢٨/١ - ٣٣٠).

أمر عبد الله بن الثامر، وقصة أصحاب الأخدود

فيميون والساحر:

قال ابن إسحق: وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضًا بعض أهل نَجْران عن أهلها: أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريبًا من نَجْران - ونجران: القرية العظمى التي إليها جَماعُ أهل تلك البلاد - ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحرَ، فلما نزلها فَيَمِيُون - ولم يسمُوه لي باسمه الذي سَمَّاه به وهب بن مُتَبِّه، قالوا: رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران، وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يُرْسِلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، يعلمهم السحر، فبعث إليه الثَّامِرُ ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مرَّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه حتى أسلم، فوَّخِد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فُقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكتمه إياه وقال له: يا بن أخي إنك لن تحمله،

خبر ابن الثامر

التفاضل بين الأسماء الإلهية:

وذكر فيه الاسم الأعظم، وقول الراهب له: إنك لن تطيقه. أي: لن تطيق شروطه، والانتهاض بما يجب من حقه، وقد قيل في قوله الله تعالى: ﴿وقال الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب﴾ [النمل: ٤٠] إنه أُوتِيَ الاسم الأعظم الذي إذا دعى اللُّهُ به أجاب، وهو آصف بن برخيا في قول أكثرهم، وقيل غير ذلك. وأعجب ما قيل فيه: إنه ضَبَّةُ بن أَد بن طابخ قاله النقاش، ولا يصح، وهي مسألة اختلف فيها العلماء، فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى، وقالوا: لا يجوز أن يكون اسمٌ من أسمائه أعظم من الاسم الآخر، وقالوا: إذا أمر في خبر، أو أثر ذكرُ الاسم الأعظم، فمعناه: العظيم؛ كما قالوا: إني لأَوْجَلُ أي: وَجَلًا، وكما قال بعضهم في أكبر من قولك: الله أكبر: إن أكبرَ بمعنى كبير، وإن لم يكن قول سيبويه، وذكروا أن أهوَنَ بمعنى: هَيِّنَ من قوله عزَّ وجل: ﴿وهو أهوَنُ عليه﴾ [الروم: ٢٧] وأكثرُوا الاستشهادَ على هذا ونسب أبو الحسن بن بَطَّال هذا القولَ إلى جماعةٍ منهم: ابن أبي زيد، والقاسي وغيرهما، ومما احتجُّوا به أيضًا: أن رسول الله - ﷺ - لم يكن ليحرِّم العلمَ بهذا الاسم، وقد علمه مَنْ هو دونه مَنْ ليس بنَبِيٍّ؛ ولم يكن ليدعو حين اجتهد في الدعاء لأُمته ألاَّ يجعل بأسهم بينهم، وهو رؤوف بهم، عزيز عليه عَنَتُهُمْ إلا بالاسم الأعظم، لِيُسْتَجَابَ له فيه، فلما منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلا وهو

أَخْشَى عَلَيْكَ ضَعْفَكَ عَنْهُ - والثامر أبو عبد الله لا يظنّ إلا أنّ ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبدُ الله أنّ صاحبه قد ضنّ به عنه، وتخوّف ضَعْفَهُ فيه، عمَدَ إلى قَدَاح فجمعها، ثم لم يُتَبَيَّنْ لَه اسمًا يعلمه إلاّ كَتَبَه في قِدَح، لكلِّ اسمٍ قِدَحٌ، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارًا، ثم جعل يقذفها فيها قِدَحًا قِدَحًا، حتى إذا مرَّ بالاسم الأعظم قذف فيها بِقِدَحِهِ، فوثب القِدَح حتى خرج منها لم تضربه شيئًا. فأخذه ثم أتى صاحبه،

كسائر الأسماء في الحكم والفضيلة، يستجيب الله إذا دُعِيَ ببعضها إن شاء، ويمنع إذا شاء، وقال الله سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وظاهرُ هذا الكلام: التسوية بين أسمائه الحسنى، وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهم من العلماء إلى أنه ليس شيء من كلام الله تعالى أفضل من شيء، لأنه كلام واحد من رب واحد، فيستحيل التفاضل فيه.

قال الشيخ الفقيه الحافظ أبو القاسم - عفا الله عنه: وجه استفتاح الكلام معهم أن يقال: هل يستحيل هذا عقلاً، أم يستحيل شرعاً؟ ولا يستحيل عقلاً أن يفضل الله سبحانه عملاً من البرّ على عمل، وكلمة من الذكر على كلمة، فإن التفضيل راجع إلى زيادة الثواب ونقصانه، وقد فضّلت الفرائض على النوافل، بإجماع، وفضّلت الصلاة والجهاد على كثير من الأعمال والدعاء، والذكرُ عملٌ من الأعمال، فلا يبعد أن يكونَ بعضُهُ أقربَ إلى الإجابة من بعض، وأجزلَ ثواباً في الآخرة من بعض، والأسماء عبارة عن المسمّى، وهي من كلام الله سبحانه القديم^(١)، ولا نقول في كلام الله: هو هو، ولا هو غيره، كذلك لا نقول في أسمائه التي تضمنها كلامه: إنها هو، ولا هي غيره فإن تكلمنا نحن بها بألستنا المخلوقة والفاظنا المُحدّثة، فكلامنا عمل من أعمالنا، والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وما تعملون﴾ [الصفات: ٣]، وقُبْحًا للمعتزلة^(٢)؛ فإنهم زعموا أن كلامه مخلوق فأسماءه على أصلهم الفاسد مُحدّثة غير المسمّى بها، وسوّوا بين كلام الخالق، وكلام المخلوق في

(١) القديم: ليس اسمًا من أسماء الله تعالى. انظر للمحقّق «القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى» والقواعد المثلى لفضيلة الشيخ العثيمين حفظه الله تعالى. والأولى والصحيح أن نقول أنه تعالى هو: «الأول» إذ هو الاسم الذي ورد به القرآن. والله أعلى وأعلم.

(٢) المعتزلة: أتباع واصل بن عطاء، وسبب تسميتهم بهذا لاعتزالهم مجلس الحسن البصري، وهم القائلون بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، إنما هو في منزلة بين منزلتين. فخالفوا بهذا الخوارج القائلين بكفره وخلوده في النار، والمرجئة القائلين بأنه كامل الإيمان [كإيمان النبي ﷺ] وإن ارتكب ما ارتكب إذ الإيمان عندهم هو تصديق القلب أو إقراره فقط، مخالفين أيضًا أهل السنة والجماعة القائلين بعصيانه أو فسقه أو كفره مع الإيمان أيضًا. انظر حكم تارك الصلاة لابن القيم رحمه الله تعالى. آمين.

فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتبه، فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف عَلمته؟ فأخبره بما صنع، قال: أي ابن أخي، قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

الْقَبْرِيَّةُ والحدوث، وإذا ثبت هذا، وصحَّ جواز التفضيل بين الأسماء إذا دعونا بها، فكَذلك القول في تفضيل السور، والآي بعضها على بعض، فإن ذلك راجع إلى التلاوة، التي هي عملنا، لا إلى المثلِّ الذي هو كلام ربنا، وصفة من صفاته القديمة، وقد قال - ﷺ - لأبي: «أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟» فقال: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»، فقال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»^(١)، ومُحال أن يريد بقوله: أعظم معنى عظيم؛ لأن القرآن كله عظيم، فكيف يقول له: أَيُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ عَظِيمَةٌ، وكل آية فيه عظيمة كذلك؟ وكل ما استشهدوا به من قولهم: أكبر بمعنى كبير، وأهون بمعنى هين باطل عند حُذَّاق النحاة، ولولا أن نخرج عما نحن بصدده، لأوضحنا بطلانه، بما لا قِبَلَ لَهُمْ به، ولو كان صحيحاً في العربية، ما جاز أن يُخْمَلَ عليه قوله: «أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ»، لأن القرآن كله عظيم، وإنما سألَه عن الأعظم منه، والأفضل في ثواب التلاوة، وقرب الإجابة، وفي هذا الحديث دليل أيضاً على ثبوت الاسم الأعظم، وأن لِّلَّهِ اسماً هو أعظم أسمائه، ومُحال أن يَخْلُوَ القرآن عن ذلك الاسم، والله تعالى يقول: ﴿مَا قَرَأْتَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢) [الأنعام: ٣٨]، فهو في القرآن لا مَحَالَةٌ. وما كان الله ليحرمه محمداً، وأمتَه، وقد فضله على الأنبياء، وفضلهم على الأمم، فإن قلت: فأين هو في القرآن؟ فقد قيل: إنه أخفي فيه، كما أخفيت الساعة في يوم الجمعة، ولبلة القدر في رمضان؛ ليجتهد الناس ولا يتكلموا. قال الفقيه الحافظ أبو القاسم - رضي الله عنه - في قول النبي - ﷺ - لأبي: أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ، ولم يقل: أفضل إشارة إلى الاسم الأعظم أنه فيها، إذ لا يَتَصَوَّرُ أن تكون هي أعظم آية، ويكون الاسم الأعظم في أخرى دونها. بل: إنما صارت أعظم الآيات؛ لأن الاسم الأعظم فيها. ألا ترى كيف هُتِّأَ رسولُ الله - ﷺ - أُنْبِأَ، بما أعطاه الله تعالى من العلم، وما هُتِّأَ إلا بعظيم بأن عرف الاسم الأعظم، والآية العظمى التي كانت الأمم قبلنا لا يعلمه منهم إلا الأفراد، عبدُ الله بن الثامر، وأصف صاحب سليمان عليه السلام، وبلعوم قبل أن يتبعه الشيطان^(٣) فكان من الغاوين، وقد جاء مَنصُوصاً في حديث أم سلمة - رضي الله عنها - الذي خَرَّجَه الترمذي وأبو داود، ويروى أيضاً عن أسماء بنت يزيد - وكنيتها: أم سلمة -

(١) أخرجه مسلم في المسافرين (٢٥٨). (٢) وقيل هو اللوح المحفوظ.
(٣) قوله أن عبد الله بن الثامر وأصف صاحب سليمان وبلعوم قبل أن يتبعه الشيطان كانوا على علم باسم الله الأعظم في حاجة إلى دليل صحيح يعضده.

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نَجْران لم يَلْقَ أَحَدًا به ضَرْ إلا قال: يا عبد الله، أتوَحِد الله، وتدخل في ديني، وأدعو الله، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوَحِد الله ويُسلم، ويدعو له فَيُشْفَى، حتى لم يبق بنَجْران أَحَدٌ به ضَرْ إلا أتاه فأتبعه على أمره، ودعا له فعُوفي، حتى رُفِع شأنه إلى ملك نَجْران، فدعاه فقال له: أفسدت عَلَيَّ

فلعل الحديث واحد أنها سألت رسول الله - ﷺ - عن الاسم الأعظم، فقال رسول الله - ﷺ -: «هو في هاتين الآيتين ﴿الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ و﴿أَلَمْ يَلَمْ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الآية أي: فادعوه بهذا الاسم، ثم قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تنبيهًا لنا على حمده وشكره، إذ عَلَّمنا من هذا الاسم العظيم ما لم نكن نعلم، فإن قلت: فقد روى أبو داود والترمذي أيضًا أن رسول الله - ﷺ - سمع رجلاً - وهو زيد أبو عَيَّاشِ الزُّرْقِيَّ - ذكر اسمه الحُرث بن أبي أسامة في مسنده - يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، بَأَن لَكَ الْحَمْدُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فقال: لقد دعا الله باسمه الأعظم»^(٢). ويُرَوَّى أنه قال له في هذا الحديث: غفر الله له غفر الله له. وروى الترمذي نحو هذا فيمن قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ؛ فَإِنَّكَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لم تلد ولم تُولد»^(٣) وهذا معارض لحديث أم سلمة، قلنا: لا مُعارضة بين هذا، وبين ما تقدم، فإنَّ لم نقل: إن الاسم الأعظم، هو الحي القيوم، بل: الحي القيوم: صفتان تابعتان للاسم الأعظم. وتتميم لذكره، وكذلك المَنَّان. وذو الجلال والإكرام في حديث أبي داود، وقد خرَّجه الترمذي أيضًا في الدعوات، وكذلك الأحد الصَّمَدُ في حديث الترمذي. وقولك: الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: هو الاسم، لأنه لا سَمِيَّ له، ولم يَتَسَمَّ به غَيْرُهُ، وقد قال بعض العلماء في التسعة والتسعين اسمًا: إنها كلها تابعة للاسم الذي هو الله، وهو تمام المائة، فهي مائة على عَدَدِ درج الجنة، إذ قد ثبت في الصحيح أنها مائة دَرَجَةٍ^(٤) بين كل دَرَجَتَيْنِ مسيرة مائة عام، وقال في الأسماء: «مَنْ أَحْصَاهَا دخل الجنة»^(٥) فهي على عدد درج الجنة، وأسماءه تعالى

- (١) «إسناده ضعيف». أخرجه الترمذي (٣٤٧٢) وأبو داود (١٤٩٦) بتحقيقي وابن ماجه (٣٨٥٥) وفيه شهر بن حوشب ضعيف وعبيد الله القداح متكلم فيه.
- (٢) «حسن». أخرجه النسائي (٥٢/٣) وأبو داود (١٤٩٥).
- (٣) «حسن». أخرجه أبو داود (٤٨٥) والنسائي (٥٢/٣) والترمذي (٣٤٧١) وابن ماجه (٣٨٥٧).
- (٤) انظر البخاري في الجهاد باب رقم (٤) ومسلم في الإمارة (١١٦) وفي الفتن (١١٠).
- (٥) أخرجه البخاري (٢٥٩/٣) ومسلم في الذكر والدعاء (٦) والترمذي (٣٥٠٦).

أَهْلَ قَرْيَتِي، وَخَالَفَتْ دِينِي وَدِينَ آبَائِي، لَأُمَثِّلَنَّ بكَ، قَالَ: لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: فَجَعَلَ يُرْسِلُ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ الطَّوِيلِ، فَيُطْرَحُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيَقَعُ إِلَى الْأَرْضِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ بِهِ إِلَى مِيَاهِ بَنْجَرَانٍ، بُحُورٌ لَا يَقَعُ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَلَكَ، فَيُلْقَى فِيهَا، فَيُخْرِجُ

لا تُحْصَى، وإنما هذه الأسماء هي المفضلة على غيرها، والمذكورة في القرآن. يدلّ على ذلك قوله في الصحيح: «أسألك بأسمائك الحُسنى ما علمتُ منها وما لم أعلم»^(١) ووقع في جامع ابن وَهْب: «سبحانك لا أحصي أسماءك» ومما يدل على أنه الاسم الأعظم أنك تضيف جميع الأسماء إليه، ولا تضيفه إليها. تقول: العزيز اسم من أسماء الله، ولا تقول: اللَّهُ اسْمٌ من أسماء العزيز، وفُحِّمَت اللَّامُ من اسمه - وإن كانت لا تُفَحِّمُ لام في كلام العرب إلا مع حروف الإطباق نحو الطلاق، ولا تُفَحِّمُ لام في شيء من أسمائه، ولا شيء من الحروف الواقعة في أسمائه التي ليست بمستعلية إلا في هذا الاسم العظيم المنتظم من ألفٍ ولا مِئينٍ وهاء. فالألف من مبدأ الصوت، والهاء راجعة إلى مخرج الألف، فشاكل اللفظ المعنى، وطابقه. لأن المسمّى بهذا الاسم منه المبدأ، وإليه المعاد. والإعادة أهون من الابتداء عند المخاطبين، فكذلك الهاء أخفّ وألين في اللفظ من الهمزة التي هي مبدأ الاسم. أخبرت بهذا الكلام أو نحوه في الاسم وحروفه عن ابن قُورْكَ رحمه الله. ذكره أبو بكر شَيْخُنَا في كتاب شرح الأسماء الحُسنى له. فإن قيل: فأين ما ذكروه عن الاسم الأعظم، وأنه لا يُدعى الله به إلا أجاب، ولا يُسأل به شيئاً إلا أعطاه.

قلنا: عن ذلك جوابان، أحدهما: أن هذا الاسم كان عند من كان قبلنا - إذا علمه - مصوناً غير مبتذل، معظماً لا يمسه إلا طاهر، ولا يلفظ به إلا طاهر، ويكون الذي يعرفه عاملاً بمقتضاه مُتَأَلِّهاً مُخْبِتاً، قد امتلأ قلبه بعظمة المسمّى به لا يلتفت إلى غيره، ولا يخاف سواه، فلما ابتذل وتكلّم به في مَعْرِضِ الْبَطَالَاتِ والهزل، ولم يُعْمَلْ بمقتضاه ذهب من القلوب هيئته، فلم يكن فيه من سرعة الإجابة، وتعجيل قضاء الحاجة للداعي ما كان قبل.

ألا ترى قولَ أيوب عليه السلام في بلائه: «قد كنت أُمَرّ بالرجلين يتنازعان، فيذكران الله - يعني في تنازعهما، أي تخصمهما - فأرجع إلى بيتي، فأفكّر عنهما كراهة أن يُذَكَّرَ اللهُ إلا في حق» وفي الحديث عن النبي - ﷺ -: «كرهت أن أذكر الله إلا على طُهر»^(١) فقد لاح لك تعظيم الأنبياء له.

(١) وفي الحديث: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك». أخرجه أحمد (٣٩١/١) والبيهقي في الصفات (٦) بتحقيقه.

(٢) «صحيح». أخرجه أبو داود (١٧) وابن ماجه (٣٥٠) والنسائي (٣٣/١).

ليس به بأس، فلما غلبه، قال له عبد الله بن الثامر: إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله، فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت ذلك، سلطت عليّ فقتلتني. قال: فوحد الله تعالى ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعضاً في يده، فشجّه شجرة غير كبيرة، فقتله، ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نَجْران على دين عبد الله بن الثامر - وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحكمه - ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنَجْران، والله أعلم بذلك.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القُرظي وبعض أهل نَجْران عن عبد الله بن الثامر، والله أعلم أي ذلك كان^(١).

والجواب الثاني: أن الدعاء به إذا كان من القلب، ولم يكن بمجرّد اللسان استجيب للعبد، غير أن الاستجابة تنقسم كما قال - عليه السلام - إمّا أن يُعجل له ما سأل وإمّا أن يُدخر له، وذلك خير مما طلب، وإمّا أن يُصرّف عنه من البلاء بقدر ما سأل من الخير^(٢)، وأما دعاء النبي - ﷺ - لأُمته ألا يجعل بأسهم بينهم^(٣)، فمِنَعَهَا، فقد أُعطي عوضاً لهم من ذلك: الشفاعة لهم في الآخرة، وقد قال: «أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها في الآخرة عذاب، عذابها في الدنيا: الزلازل والفتن». خرجه أبو داود^(٤)، فإذا كانت الفتنة سبباً لصرف عذاب الآخرة عن الأمة، فما خاب دعاؤه لهم. على أنني تأملت هذا الحديث، وتأملت حديثه الآخر حين نزلت: «قُلْ هو القادر على أن يَبْعَثَ عليكم عَذَابًا من فوقكم» [الأنعام: ٦٥]. فقال: أعوذ بوجهك. فلما سمع: «أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» قال: أعوذ بوجهك، فلما سمع: «أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيَذِيقَ بعضكم بأس بعض». قال: هذه أهون^(٥).

فَمِنْ هَاهُنَا - والله أعلم - أُعيدت أُمته من الأولى والثانية، ومنع الثالثة، حين سألها بعد. وقد عرضت هذا الكلام على رجل من فقهاء زماننا، فقال: هذا حسن جداً، غير أنا لا

(١) انظر تاريخ الطبري (٤٣٥/١) والكامل في التاريخ لابن الأثير (١/٣٣٠ - ٣٣٣) والبداءة والنهاية (١١٩ - ١٢١).

(٢) يشير إلى قوله ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله ثلاث: إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها...» الحديث. أخرجه أحمد (١٨/٣) والبخاري في الأدب (٧١٠).

(٣) انظر مسلم في كتاب الفتن (٢٠) وأحمد (١٨٢/١) والطبراني في الكبير (١/٦٥).

(٤) «حسن». أخرجه أبو داود (٤٢٧٨ - بتحقيقي) والحاكم (٤/٤٤٤).

(٥) «صحيح». أخرجه البخاري (٧١/٦).

ندري: أكانت مسألته بعد نزول الآية، أم لا؟ فإن كان بعد نزول الآية، فأخْلِقْ بهذا النظر أن يكون صحيحًا. قلت له: أليس في التَّوْطُّأ أنه دعا بها في مسجد بني معاوية، وهو في المدينة، ولا خلاف أن سورة الأنعام مكيّة؟ فقال: نعم، وسلّم وأذعن للحق، وأقرّ به. رحمه الله.

هل الشهداء أحياء في قبورهم؟

فصل: وذكر من وجدان عبد الله في خربة من خرب نجران. يصدقه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية وما وجد في صدر هذه الآية من شهداء أحد، وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدُّهُور الطويلة كحمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - فإنه وُجد حين حفر معاوية العينَ صحيحًا لم يتغير، وأصابَت الفأسُ أصبعه، فدميت، وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام، وعَمْرُو بن الْجُمُوح، وطلحة بن عبد الله - رضي الله عنهم - استخرجته بنتُه عائشة من قبره حين رآته في المنام، فأمرها أن تنقله من موضعه، فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير. ذكره ابن قتيبة في المعارف. والأخبار بذلك صحيحة. وقد قال - عليه السلام -: «إن الله حَرَمَ على الأرض أن تَأْكُلَ أجساد الأنبياء»^(١). خَرَجَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ. وذكر أبو جَعْفَر الداوودي في كتاب الناس هذا الحديث بزيادة: ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين، وهي زيادة غريبة لم تقع لي في مسند، غير أن الداوودي من أهل الثقة والعلم. وفي المسند من طريق أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الأنبياء أحياء يصلُّون في قبورهم»^(٢). انفرد به ثابت البناني عن أنس، وقد رُوِيَ أن ثابتًا التمس في قبره بعدما دُفِن، فلم يوجد، فذكر ذلك لبيته. فقالت: كان يصلِّي فلم تَرَوْه، لأنني كنت أسمعُه إذا تهجَّد بالليل يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يُصَلِّي في قبره بعد الموت». وفي الصحيح: أن رسول الله - ﷺ - قال: «مررت بموسى - عليه السلام - وهو يصلِّي في قبره»^(٣).

(١) «صحيح». أخرجه ابن ماجة (١٠٨٥) وأبو داود وأحمد (٨/٤) والبيهقي (٢٤٩/٣) والحاكم (٥٦٠/٤).

(٢) «ضعيف». أخرجه البيهقي في «حياة الأنبياء» (٤). فيه أحمد بن علي الحسنوي متهم بالكذب ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: ضعيف.

(٣) «صحيح». أخرجه مسلم في الإيمان (٢٧٦) وفي الفضائل (١٦٥) والنسائي (٢١٦/٣). وهذه خصوصية لموسى عليه السلام. وما حاول السهيلي رحمه الله تعالى إثباته من حياة الشهداء في قبورهم يقتدر إلى الأثر الصحيح أو النقل الصريح، ولكنهم «أحياء عند ربهم - وليس في قبورهم - يرزقون».

أصحاب الأخدود ومعناه

فسار إليهم ذو نواس بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيّرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل، فخذّ لهم الأخدود، فحرق من حرق بالنار، وقتل من قتل بالسيف، ومثل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج].

أصحاب الأخدود

وحديث عبد الله بن الثامر إنما رواه ابن إسحاق موقوفاً على محمد بن كعب القرظي عن بعض أهل نجران، ليصل به حديث فيمؤن، وهو حديث ثابت عن رسول الله - ﷺ - من طريق ابن أبي ليلى عن صهيب عن رسول الله - ﷺ - فهو أولى أن يُعتمد عليه: وهو يخالف حديث ابن إسحاق في ألفاظ كثيرة. قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا حدّث بهذا الحديث يعني حديثاً تقدم قبل هذا الحديث يحدث بهذا الحديث الآخر. قال: كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهنٌ يَكْهَنُ له، فقال الكاهن: انظروا لي غلاماً فهِمًا أو قال: قَطَنًا لَقِنًا؛ فأعلمه علمي هذا، فإني أخاف أن أموت؛ فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه، قال: فنظروا له غلاماً على ما وصف، فأمروه أن يحضّر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه، فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهبٌ في صومعة قالَ مَغْمَر: أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين^(١). قال: فجعل الغلام يسأل الراهب كلّمًا مرّ به، فلم يزل به حتى أخبره، فقال: إنما أعبد الله، قال: فجعل الغلام يمكث عند الراهب، ويبطئ على الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك، فقال له الراهب: إذا قال لك الكاهن: أين كنت، فقل: كنتُ عند أهلي، فإذا قال لك أهلك: أين كنت؟ فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن، قال: فبينما الغلام على ذلك إذ مرّ بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابةً، فقال بعضهم: إن تلك الدابة كانت أسداً، فأخذ الغلام حجراً، فقال: اللهم إن كان ما يقول الراهب حقاً فأسألك أن تقتله، قال: ثم رمى، فقتل الدابة، فقال الناس: مَنْ قتلها؟ فقالوا: الغلام، ففرّج الناس، وقالوا: لقد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد. قال: فسمع به أعمى، فقال له: إن أنت ردّدت بصري فلك كذا وكذا، فقال له: لا أريد منك هذا، ولكن أرايت إن رجع إليك بصرك أتؤمن بالذي ردّه؟

(١) المسلم: كلٌّ من استسلم لأمر الله تعالى وانقاد له بلا مقاومة.

قال: نعم. قال: فدعا الله، فردّ عليه بصره فأمن الأعمى، فبلغ الملك أمرهم، فبعث إليهم، فأتى بهم، فقال: لأقتلنّ كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه، فأمر بالراهب وبالرجل الذي كان أعمى، فوضع المنشارَ على مَفْرِقِ أحدهما فقتله، ثم قتل الآخر بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام، فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا، فالقوه من رأسه، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل، فلما انتَهَوْا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه، جعلوا يتهافون من ذلك الجبل، ويتردّون منه، حتى لم يبقَ منهم إلا الغلام، قال: ثم رجع فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر، فيلقونه فيه، فانطلقَ به إلى البحر، فغرقَ الله الذين كانوا معه، وأنجاه، فقال الغلام للملك: إنك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني، وتقول إذا رَمَيْتَنِي: «باسم الله ربّ هذا الغلام». قال: فأمر به، فُصِّلَ ثم رماه، فقال: باسم الله ربّ هذا الغلام: فوضع الغلام يده على صُدْغِهِ حين رمي ثم مات، فقال الناس: لقد علم هذا الغلامُ علماً ما عَلِمَهُ أَحَدٌ، فإنّا نؤمن بربّ هذا الغلام، قال: فقيل للملك: أجزعت أن خالفك ثلاثة، فهذا العالم كلُّهم قد خالفوك، قال: فخذْ أَخْذُودًا، ثم ألقى فيه الحطب والنار، ثم جمع الناس، فقال: مَنْ رجع عن ذنبه تَرَكْنَاهُ، وَمَنْ لم يرجع أَلْقَيْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ، فجعل يلقيهم في ذلك الأخدود. قال: يقول الله سبحانه -: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ حتى بلغ: ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ [البروج]. قال: فأما الغلامُ فإنه دُفِنَ. قال: فيذكر أنه أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - وَأَصْبَعَهُ عَلَى صُدْغِهِ، كما وضعها حين قُتِلَ. رواه الترمذي عن محمود بن غَيْلَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، وَرواه مُسْلِمٌ عَنْ هَذَّابِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، ثُمَّ اتَّفَقَا عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ غَيْرِ أَنْ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ أَنَّ الْأَعْمَى الَّذِي شَفِيَّ، كَانَ جَلِيسًا لِلْمَلِكِ، وَأَنَّهُ جَاءَهُ بَعْدَ مَا شَفِيَ، فَجَلَسَ مِنَ الْمَلِكِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ، قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟! فَقَالَ: اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكَ، فَأَمَرَ بِالْمِنْشَارِ، فَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاقُهُ، وَأَمَرَ بِالرَّاهِبِ ففعل به، مثل ذلك، وزاد مسلم في آخر الحديث. قال: فأُتِيَ بِامْرَأَةٍ لَثَلَقَى فِي النَّارِ، وَمَعَهَا صَبِيٌّ يَرْضِعُ فَقَالَ لَهَا الْغَلَامُ: يَا أُمِّهِ لَا تَجْزَعِي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، وَذَكَرَ ابْنُ قَتِيْبَةَ أَنَّ الْغَلَامَ الرَضِيعَ كَانَ مِنْ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ^(١).

حديث الحبشة:

وذكر فيه دَوْسًا ذَا ثَغْلِبَانَ الَّذِي أَتَى قَيْصَرَ. ودوس: هو ابن تُبَّعِ الَّذِي قَتَلَهُ أَخُوهُ، قَالَه ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنِ هِشَامٍ.

(١) أخرجه مسلم في الزهد (٧٣) والترمذي في التفسير (٨٥) وأحمد في مسنده (١٧/٦).

وذكر فيه قيصرَ وكتابه للنجاشي. وقيصر اسم علم لكل من ولي الروم وتفسيره بلسانهم: البقير الذي يُقَرَّ^(١) بطنُ أمه عنه، وكان أول من تسمّى به بُقَيْرًا، فلما ملك وعُرف به، تسمّى به كل من ملك بعده. قاله المسعودي. وإنما كتب بذلك إلى النجاشي؛ لأنه على دينه، وكان أقرب إلى اليمن منه، وذكر غير ابن إسحاق أن ذا نُوَاس أدخل الحبشة صنعاء اليمن، حين رأى أن لا قبيل له بهم، بعد أن استنفر جميع المَقَاوِل، ليكونوا معه يدًا واحدة عليهم، فأبوا إلا أن يحمي كل واحد منهم حوزته على حدته، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله، على أن يُسالموه ومن معه، ولا يقتلوا أحدًا فكتبوا إلى النجاشي بذلك، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منهم، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح، وأمرهم أن يقبضوا ما في بلاده من خزائن أمواله، ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه: أن اقتلوا كل ثور أسود، فقتل أكثر الحبشة، فلما بلغ ذلك النجاشي وجه جيشًا إلى أبرهة، وعليهم أرباط وأمره أن يقتل ذا نُوَاس، ويخرب ثلث بلاده، ويقتل ثلث الرجال، ويسبي ثلث النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة. وأبرهة بالحبشة: هو الأبيض الوجه، وفي هذا قوة لقول من قال: إن أبرهة هذا هو أبرهة بن الصُّبَّاح الحميري! وليس بأبي يَكْسُوم الحَبَشِي، وإن الحبشة كانوا قد أمروا أبرهة بن الصُّبَّاح على اليمن، وهذا القول ذكره ابن سلام في تفسيره، واقتحم ذو نُوَاس البحر، فهلك وقام بأمره من بعده ذو جَدَن، واسمه: عَلَس بن الحارث أخو سُبَيْع بن الحارث، والجَدَن: حُسن الصوت، يقال: إنه أول من أظهر الغناء باليمن فسُمي به، وجَدَن أيضًا: مفازة باليمن، زعم البكري أن ذا جَدَن إليها يُنسب، فحارب الحبشة بعد ذي نُوَاس فكسروا جُنْدَه، وغلبوه على أمره، ففَرَّ إلى البحر كما فعل ذو نُوَاس، فهلك فيه، وذكروا سبب منازعة أبرهة لأرباط، وأن ذلك إنما كان، لأن أبرهة بَلَغ النجاشي أنه استبد بنفسه، ولم يرسل إليه من جباية اليمن شيئًا، فوجه أرباطًا إلى خلعه، فعند ذلك دعاه أبرهة إلى المبارزة - كما ذكر ابن إسحاق - وذكر الطبري^(٢) أن عَتَوْدَةَ الغلام الذي قتل أرباطًا. والعَتَوْدَةُ: الشدة، وقد قيل في اسمه أَرَبَجْدَةُ. قال له أبرهة: احتكم عليّ، قال: احتكم: أن لا تزف امرأة إلى بعلها، حتى أكون أنا الذي أبدأ بها قبله، ففعل ذلك أبرهة، وعَبَّر العبدُ زمانًا يفعل ذلك، فلما اشتد الغيظُ بأهل اليمن، قتلوا عَتَوْدَةَ غيلة، فقال لهم الملك: قد أني لكم ي أهل اليمن أن تفعلوا فعل الأحرار، وأن تغضبوا لِحُرْمِكُمْ، ولو علمت أن هذا العبد يسألني هذا الذي سأل ما حكمته، ولكن والله لا يؤخذ منكم فيه دية، ولا تُطلبون بدخل^(٣).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٤٣٧/١).

(١) بقر: شق.

(٣) الذحل: الحقد والثأر.

قال ابن هشام: الأَخْدُوْدُ: الحفر المستطيل في الأرض، كالخندق والجدول ونحوه، وجمعه: أخاديد. قال ذو الرُّمَّة - واسمُه: غِيلان بن عُقْبَة، أحد بني عدي بن عبد مناف بن أَد بن طابخة بن إلياس بن مُضَر.

مِنَ العِراقِيَّة اللاتِي يُحِيل لها بين الغَلَاة وبين النخل أَخْدُوْد

وحيشما وقع اسم أرباط في رواية يونس، لم يسمه بهذا الاسم، إنما سمّاه رَوْزَنَة أو نحو هذا.

وذكر الطبري^(١) أن سيف بن ذي يزن لما فعل ذو نواس بالحبشة ما فعل، ثم ظفروا به بعث عظيمهم^(٢) إلى أبي مُرّة سيف بن ذي يزن، فانتزع منه ربحانة بنت عُلَقَمَة بن مالك، وكانت قد ولدت له مَعدي كرب. فملكها أبرهة. وأوْلَدَها مسروق بن أبرهة، وعند ذلك توجه سيف إلى كسرى أنو شِزْوان يطلب منه الغوث على الحبشة، فوعده بذلك وأقام عنده سنين، ثم مات وخلفه ابنُه مَعْدِي كَرِب في طلب الثأر، فأدخل على كسرى، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: رجل يطلب إرث أبيه، وهو وَعْد الملك الذي وَعَد به، فسأل عنه كسرى: أهو من بيت مملكة أم لا؟ فأخبر أنه من بيت مُلْك فوجّه معه وهرَزَ الفارس في سبعة آلاف وخمسمائة من الفرس، وقال ابن إسحق: في ثمانمائة غرق منهم مائتان، وسلم ستمائة: والقول الأول قول ابن قتيبة وهو أشبه بالصواب، إذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة، وإن كان قد جمع إليهم من العرب - كما ذكر ابن إسحق - ما جمع. ثم إن مَعْدِي كَرِب بن سيف لما قتل الحبشة وملك هو وَوَهْرَزَ اليمَن أقام في ذلك نحو أربع سنين. ثم قتلته عبيد له، كان قد اتخذهم من أولئك الحبشة، خرج بهم إلى الصيد فَوَزَقُوهُ^(٣) بحرابهم، ثم هربوا فأُتبعوا فقتلوا. وتفرّق أمر اليمَن بعده إلى مخالف^(٤) عليها مقاول كملوك الطوائف لا يدين بعضهم لبعض إلا ما كان من صنعاء، وكون الأبناء فيها، حتى جاء الإسلام.

فصل: واستشهد ابن هشام في هذا الخبر على الأخدود ببيت ذي الرُّمَة، وهو: غِيلان بن عُقْبَة بن بُهَيْش بضم الباء والشين: وسمي ذا الرُّمَة ببيت قاله في التود: أشعث باقي رُمَة التَّقْلِيد. وقيل إن مَيَّة سَمَتَه بذلك، وكان قد قال لها: أصِلْحي لي هذا الدلو، فقالت له: إني خَرَقَاء^(٥)، فولّى وهي على عنقه بِرُمَتِها، فنادته: يا ذا الرُّمَة إن كنتُ خرقاء فإن لي أمة صَنَاعًا؛ فلذلك سمّاها بِخَرَقَاء، كما سَمَتَه بذِي الرُّمَة.

(١) الطبري (٤٣٨/١) والكامل في التاريخ (٣٣٤/١).

(٢) سمّاه الطبري في تاريخه: أبرهة كما سيأتي في سياق الكلام.

(٣) زرقوه: أي طعنوه.

(٤) مخالف: أمير لبلدة أو حاكم لبلدة وما أشبه.

(٥) خرقاء: أي لا أحسن صنعة.

يعني: جدولاً. وهذا البيت في قصيدة له. قال: ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد وأثر السوط ونحوه: أخذود: وجمعه أخاديد.

مصير عبد الله بن الثامر:

قال ابن إسحق: ويقال: كان فيمن قتل ذو نواس، عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم.

قال ابن إسحق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث: أن رجلاً من أهل نَجْران كان في زمان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حفر خربة من خرب نَجْران لبعض حاجته، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دَفْن منها قاعداً، واضعاً يده على ضربة في رأسه، ممسكاً عليها بيده، فإذا أُخْرِث يده عنها تنبعث دمًا، وإذا أُرْسِلت يده ردها عليها، فأمسكت دَمَها، وفي يده خاتم مكتوب فيه: «رَبِّي الله» فكَتَبَ فيه إلى عمر بن الخطاب يُخَبِّرُ بأمره، فكتب إليهم عمر رضي الله عنه: أن أقرؤه على حاله ورُدُّوا عليه الدَفْنَ الذي كان عليه، ففعلوا^(١).

أمر دوس ذي ثعلبان، وابتداء ملك الحبشة وذكر أرباط المستولي على اليمن:

دوس يستنصر بقيصر:

قال ابن إسحق: وأقلت منهم رجلٌ من سبأ، يقال له دَوْس ذو ثُعْلَبان على فرس له، فسلك الرملَ فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصرَ ملكَ الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بَعُدَتْ بلادُك منَّا، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره.

هزيمة ذي نواس وانتحاره:

فَقَدِمَ دَوْسٌ على التَّجَاشِي بِكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفًا من الحبشة، وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له: أرباط - ومعه في جنده أبرهة الأشرم - فركب أرباط البحرَ حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دوس ذو ثُعْلَبان وسار إليه ذو نواس في جُمَيْر، ومَنْ أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل

(١) انظر تاريخ الطبري (١/٤٣٦) وفيه مجهول.

به ويقومه، وجّه فرسه في البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضَحْضَاح البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرِهِ، فأدخله فيه، وكان آخر العهد به. ودخل أزياط اليمن، فملكها.

ما قيل من شعر في دوس:

فقال رجل من أهل اليمن - وهو يذكر ما ساق إليهم دُوس من أمر الحبيشة:

لا كدُوسٍ ولا كأعلاق رَحْلِهِ^(١)

فهي مثل باليمن إلى هذا اليوم. وقال ذو جَدَنٍ الحميري^(٢):

هَوْنُكَ ليس يَرُدُّ الدمعُ ما فاتا لا تَهْلِكِي أسفاً في إثر مَنْ ماتا

أبعد بَيْنُون لا عَيْنٌ ولا أثرٌ وبعد سَلَجِين يَبْنِي النَّاسُ أبياتا^(٣)

فصل: وقوله: فخاض ضَحْضَاح البحر إلى غَمْرِهِ. الضَحْضَاحُ من الماء: الذي يظهر منه القعر، وكان أصله من الضَّح وهو حرُّ الشمس، كأن الشمس تُدَاخِلُهُ لِقَلَّتْهُ^(٤)، فقلبت فيه إحدى الحاءين ضادًا، كما قالوا في ثَرَّةٍ ثَرْتَارَةٌ، وفي تَمَلُّلٍ تَمَلَّمَلٌ وهو قول الكوفيين من النحويين، ولست أعرف أصلًا يدفعه، ولا دليلاً يردّه، ويقال له أيضًا: الرَّقْرَاق والضَّهْل، وقد يُستعار في غير الماء، كقول النبي - ﷺ - في عمّه أبي طالب حين سُئِلَ عنه، فقال: «هو في ضَحْضَاح من النار، ولولا مكاني لكان في الطَّنْطَام»^(٥) وفي البخاري: وجدته في غَمْرَةٍ من النار، فأخرجته إلى الضَحْضَاح، والغَمْرُ هو الطَّنْطَام، وأما قول ذي جَدَنٍ:

هَوْنُكَ لَنْ يَرُدُّ الدمعُ ما فاتا

وهكذا رُوِيَ هذا القسم ناقصًا قاله البَرْقِيُّ، وقد رُوِيَ عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام: هَوْنُكَمَا لَنْ يَرُدَّ. قال: وهو من باب قول العرب للواحد: أَفْعَلًا، وهو كثير في القرآن والكلام.

وفيه:

أَبْغَدَ بَيْنُونٌ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وبعد سَلَجِين يَبْنِي النَّاسُ أبياتا

(١) تاريخ الطبري (٤٣٧/١).

(٢) ذو جدن الحميري: لُقِبَ بهذا لِحُسْنِ صوته.

(٣) السابق.

(٤) ضَحْضَاح: الضاد والحاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على رَقَّةٍ شيءٍ يعينه. من ذلك: الضَحْضَاح: الماء إلى الكعبين. سُمِّيَ بذلك لِرَقَّتِهِ. والضَحْضَاحَةُ: ترققُ الشراب. ومنه الضَّح: وهو ضوء الشمس وإذا استمكن من الأرض. مقياس اللغة (٣٥٩/٣).

(٥) «صحيح». أخرجه البخاري (٦٥/٥) ومسلم في الإيمان (٣٥٧) وأحمد (٢٦/١). وفيه: «ولولا أنا =

يَبْنُونَ وَسَلْجِينِ وَعُغْدَان: من حصون اليمن التي هدمها أرباط، ولم يكن في الناس

قَبَيْثُونَ وَسَلْجِينِ مدينتان خَرِبَهُمَا أَرْيَاطُ كما ذكر. قال البكري في كتاب «مُعْجَم ما اسْتَعْجِمَ»: سُمِّيَتْ بَيْنُون لأنها كانت بَيْنَ عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ، فهي إِذَا على قوله: فَعَلُّونَ من الْبَيْنِ، والياء أصلية، وقياس النحويين يمنع من هذا؛ لأن الإعراب إذا كان في النون لزمَت الاسم الياء في جميع أحواله، كَقَسْرَيْنِ^(١) وَفَلَسْطَيْنِ ألا ترى كيف قال في آخر البيت: وبعد سَلْجِينِ، فكَذلك كان القياسُ، أن يقول على هذا: أبعد بَيْنَيْنِ، وعلى مذهب مَنْ جعله مِنَ العرب بالواو في الرفع، وبالياء في الخفض، والنَّضْب. يقول أيضاً: أبعد بَيْنَيْنِ، وليس للعرب فيه مذهب ثالث فثبت أنه ليس من الْبَيْنِ، إنما هو فَيَعُول، والواو زائدة من أَبْنُ بالمكان، وَيَنْ إذا أقام فيه، لكنه لا ينصرف للتعريف والتأنيث، غير أن أبا سعيد السيرافي ذكر وجهاً ثالثاً للعرب في تسمية الاسم بالجمع المسلم، فأجاز أن يكون الإعراب في النون، وثبت الواو، وقال في زَيْثُون: إنه فَعَلُّونَ من الزَّيْتِ، وأجاز أبو الفتح بن جني أن يكون الزيتون فَيَعُولاً من الزَّيْتِ، ولكن من قولهم زَتَنَ المكان إذا أنبت الزَّيْثُون، فإن صَحَّت هذه الحكاية عن العرب، وإلا فالظاهر أنه من الزَّيْتِ، وأنه فَعَلُّونَ، وقد كثر هذا في كلام الناس غير أنه ليس في كلام العرب القدماء، ففي المعروفين من أسماء الناس: سُخْنُونُ وَعَبْدُونُ قال الشاعر - وهو ابن المعتز:

سَقَى الْجَزِيرَةَ ذَاتَ الظِّلِّ وَالشَّجَرِ وَذَيْرَ عَبْدُونٍ هَطَّالٌ مِنَ الْمَطْرِ

وَذَيْرُ عَبْدُونٍ معروفٌ بالشام، وكذلك ذَيْرُ فَيْنُونٍ غير أنَّ فَيْنُونٍ يحتمل أن يكون فَيَعُولاً، فلا يكون من هذا الباب، كما قلنا في بَيْثُون، وهو الأظهر.

وأما حَلَزُون - وهو دود يكون بالعشب، وأكثر ما يكون في الرَّمْثِ - فليس من بابِ فِلَسْطَيْنِ وَقَسْرَيْنِ، ولكن النون فيه أصلية، كَزَرْجُون، ولذلك أدخله أبو عبيد في باب فَعَلُّونَ، وكذلك فعل صاحب كتاب العين أدخله في باب الرُّبَاعِي، فدلَّ على أن النون عنده فيه أصلية وأنه فَعَلُولُ بلامين.

وقولُ ذي جَدَن: وبعد سَلْجِينِ يقطع على أن يَبْنُونَ: فَيَعُول على كل حال؛ لأن الذي ذكره السيرافي من المذهب الثالث إن صَحَّ، فإنما هي لغة أخرى غير لغة ذي جَدَن الحميري، إذ لو كان من لغته، لقال: سَلْحُون، وأعرب النون مع بقاء الواو، فلما لم

= لكان في الدرك الأسفل من النار.

(١) قنسرين: مدينة شامية.

مثلها . وقال ذو جَدَنَ أَيضًا :

دعيني - لا أبا لك - لن تطيقي	لحاكِ اللُّهُ! قد أنزفتِ رِيقِي
لَدَى عَزَفِ القِيَانِ إِذِ انتَشَيْنَا	وَإِذْ نُشْقَى مِنَ الخمرِ الرَحيقِ
وَشُرْبِ الخمرِ ليس عليّ عارًا	إِذَا لَمْ يَشْكُنِي فِيهَا رَفِيقِي
فإنَّ الموتَ لا ينهَاهُ نَاهٍ	وَلَوْ شَرِبَ الشِّفاءَ مع النُّشُوقِ
ولا مُترَهَّبٌ في أسْطُوانٍ	يناطح جُذْرَهُ بَينَ الأثُوقِ
وَعُمدانِ الذي حَدَّثَ عنه	بَنُوهُ مُسَمِّكًا فِي رَأْسِ نِيقِ
بِمَنْهَمَةٍ، وَأَسفلُهُ جُرُونِ	وَحُرِّ المَوْحِلِ اللُّثْقِ الزَلِيقِ
مصابيح السُّلَيطِ تلوح فيه	إِذَا يُنْسِي كَثُومَاضِ البُرُوقِ
ونخلُتُهُ التي غُرِسَتْ إِلَيْهِ	يَكَادُ البُسْرُ يَهْصِرُ بالعُدُوقِ
فأصبح بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا	وغيرَ حَسَنِهِ لَهَبُ الحَرِيقِ
وَأَسْلَمَ ذُو نُواسٍ مُسْتَكِينًا	وَحَذَرَ قَوْمَهُ صَنَكِ المَضِيقِ ^(١)

يفعل علمنا أن المعتقد عندهم في بَيْنُون: زيادة الياء، وأن النونين أصليتان كما تقدم.
وقوله:

دعيني - لا أبا لك - لن تطيقي

أي: لن تطيقي صَرْفِي بِالْعَدَلِ عَنْ شَأْنِي، وحذف النون من تطيقين للنصب أو للجزم على لغة مَنْ جَزَمَ بَلَرًا إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ لَغَتِهِ، والياء التي بعد القاف: اسم مضمَر في قول سيبويه، وحرف علامة تَأْنِيثٍ فِي قول الأَخْفَشِ، وللحجة لهما، وعليهما موضع غير هذا.
وقوله: قد أَنزَفْتُ رِيقِي.

أي: أَكثَرْتُ عَلَيَّ مِنَ الْعَدْلِ حَتَّى أَتَيْسَتْ رِيقِي فِي فَمِي، وقلة الريق من الحَصْرِ، وكثرته من قوة النَّفْسِ، وثبات الجأش قال الراجز:

إني إِذَا زَبَبَتِ الأَشْدَاقُ
وَكَثُرَ اللَّجَاجُ وَاللَّفْلَاقُ
نَبْتُ الْجَنَانِ مِرْجَمٌ وَدَاقُ

(١) انظر تاريخ الطبري (١/٤٣٧).

زَبَبَتِ الْأَشْدَاقُ: مِنَ الزَّبَبَتَيْنِ، وَهُوَ مَا يَنْعَقِدُ مِنَ الرِّيقِ فِي جَانِبِي الْفَمِ عِنْدَ كَثْرَةِ الْكَلَامِ، وَقَوْلُهُ: وَذَاقَ: أَيِ يَسِيلُ كَالْوَذَقِ. يَرِيدُ: سَيْلَانُ الرِّيقِ، وَكَثْرَةُ الْقَوْلِ، كَمَا قَالَ أَبُو الْمَخْشُ فِي ابْنِهِ: كَانَ أَشْدَقَ^(١) خُرْطَمَانِيًّا^(٢) إِذَا تَكَلَّمَ سَالَ لَعَابُهُ. وَقَوْلُهُ:

وَلَوْ شَرِبَ الشِّفَاءَ مَعَ النَّشْوَقِ

أَيِ: لَوْ شَرِبَ كُلُّ دَوَاءٍ يُسْتَشْفَى بِهِ، وَتَنَشَّقُ كُلُّ نَشْوَقٍ يُجْعَلُ فِي الْأَنْفِ لِلتَّدَاوِي بِهِ، مَا نَهَى ذَلِكَ الْمَوْتَ عَنْهُ.

وقواله: وَلَا مُتَرَهَّبٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَفَعَهُ عَطْفًا عَلَى نَاهٍ، أَيِ: لَا يَرِدُ الْمَوْتُ نَاهٍ، وَلَا مُتَرَهَّبٌ. أَيِ: دُعَاءُ مُتَرَهَّبٍ يَدْعُو لَكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَرَهَّبٌ رَفْعًا عَلَى مَعْنَى: وَلَا يَنْجُو مِنْهُ مُتَرَهَّبٌ. كَمَا قَالَ: تَاللَّهِ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ذُو جَيْدٍ. الْبَيْتِ. وَالْأَسْطُوانُ: أَفْعَالٌ. النَّونُ أَصْلِيَّةٌ، لِأَنَّ جَمْعَهُ أَصَاطِينُ، وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ أَفَاعِينُ. وَقَوْلُهُ:

يَسَاطِحُ جُذْرَهُ بَيَضُ الْأَثْوَقِ

جُذْرُهُ: جَمْعُ جِدَارٍ، وَهُوَ مُخَفَّفٌ مِنْ جُذُورٍ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُذُرٍ﴾^(٣) تَقِيدُ بِضَمِّ الْجِيمِ، وَالْجَذْرُ أَيْضًا بِفَتْحِ الْجِيمِ: الْحَاطُّ، وَلَكِنَّ الرِّوَايَةَ فِي الْكِتَابِ هَكَذَا كَمَا ذَكَرْنَا. وَالْأَثْوَقُ: الْأَنْثَى مِنَ الرَّحْمِ^(٤)! يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: أَعَزُّ مِنْ بَيَضِ الْأَثْوَقِ، إِذَا أَرَادَ مَا لَا يَوْجَدُ؛ لِأَنَّهَا تَبْيَضُ حَيْثُ لَا يُدْرِكُ بَيَضُهَا مِنْ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ. هَذَا قَوْلُ الْمَبْرَدِ فِي الْكَامِلِ، وَلَا يُوَافِقُ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ قَالَ الْخَلِيلُ: الْأَثْوَقُ: الذَّكَرُ مِنَ الرَّحْمِ، وَهَذَا أَشْبَهُ بِالْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الذَّكَرَ لَا يَبْيَضُ، فَمَنْ أَرَادَ بَيَضُ الْأَثْوَقِ، فَقَدْ أَرَادَ الْمُحَالَ، كَمَنْ أَرَادَ: الْأَبْلَقُ الْعَقُوقُ وَقَدْ قَالَ الْقَالِي فِي الْأَمَالِيِّ: الْأَثْوَقُ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنَ الرَّحْمِ.

وقوله:

وَعُمْدَانُ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ

هُوَ الْحِصْنُ الَّذِي كَانَ لِهَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ مَلِكِ الْيَمَامَةِ، وَسَيَّاتِي طَرَفٍ مِنْ ذِكْرِهِ. وَمُسَمَّكََا: مُرْفَعًا مِنْ قَوْلِهِ: سَمَكَ السَّمَاءَ، وَالتَّيْقُ: أَعْلَى الْجَبَلِ. وَقَوْلُهُ: بِمَنْهَمَةٍ هُوَ مَوْضِعُ الرَّهْبَانِ. وَالرَّاهِبُ يُقَالُ لَهُ: التَّهَامِيُّ وَيُقَالُ لِلنَّجَارِ أَيْضًا: نِهَامِيٌّ، فَتَكُونُ الْمَنْهَمَةُ أَيْضًا عَلَى هَذَا مَوْضِعٍ نَعِيرٍ.

(١) أشدق: بليغ.

(٢) خرطماني: كبير الأنف.

(٣) سورة الحشر آية رقم (١٤).

(٤) الرحم: نوع من الطير غزير الريش.

وقوله: وأسفلُّه جُرون. جمعُ جُرن، وهو الثَّقِيرُ من جَرَنَ الثوبُ: إذا لان [وانسحق]. وروايةُ أبي الوليد القُشَيِّ: جُروب بالباء. وكذلك ذكره الطبري بالباء أيضًا. وفي حاشية كتاب الوقشي: الجروب: حجارةٌ سود. كذا نقل أبو بحر عنه في نسخة كتابه، فإن صحَّ هذا في اللغة وإلا فالجروب: جمعُ جريب على حذف الياء من جريب، فقد يُجمع الاسمُ على حذف الزوائد، كما جمعوا صاحبًا على أصحاب. وقالوا: طَوِيَّ وأطواء وغير ذلك. والجريب والجربة: المزرعة.

وقوله: وحُرُّ المُوَحِّل بفتح الحاء، وهو القياس لأنه من وَحَلَ يُوَحِّل. ولو كان الفعل منه وَحَلَ على مثل وَعَدَ، لكان القياسُ في الموحِّل الكسر لا غير، وقد ذكر القُشَيُّ فيه اللغتين: الكسر والفتح، والأصل ما قدّمناه.

وقوله: وحُرَّ بضم الحاء، وهو خالص كل شيء، وفي كتاب أبي بحر عن القُشَيِّ: وحَرَ المُوَحِّل بفتح الحاء، والجيم من الموحِّل مفتوحة، وفسر المُوَحِّل، فقال: حجارةٌ مُلَسَّ لينةٌ، والذي أذهب إليه أن الموحِّل ههنا واحدُ المواجهل، وهي مناهل الماء، وفتحت الجيم، لأن الأصل: مأجَل كذلك قال أبو عبيد: هي المَاجِل، وواحدُها: مأجَل. وفي آثار المُدَوِّنة سُئل مالكٌ - رحمه الله - عن مَواجِل بُرْقة، يعني: المناهل، فلو كانت الواو في الكلمة أصلًا لقليل في الواحد: مَوْجَل مثل موضع، إلا أن يراد به معنى الوَجَل، فيكون الماضي من الفعل مكسور الجيم والمستقبل مفتوحًا، فيفتح الموحِّل حينئذ، ولا معنى له في هذا الموضع.

وقوله: اللَّثِقُ الرُّلِق. اللَّثِقُ: من اللَّثِق، وهو أن يخلط الماء بالتراب فيكثر منه الرُّلُق، قال بعض الفصحاء: غاب الشَّقُّ، وطال الأَرَقُّ، وكثر اللَّثِقُ، فَلْيَنْطِقْ مَنْ نَطَقَ. وفي حاشية كتاب أبي بحر: اللَّبِقُ بالباء المنقوطة بواحدة، وذكر أنه هكذا وجد في أصل ابن هشام، ولا معنى لِلْبِق ههنا، وأظنه تصحيفًا من الراوي - والله أعلم.

وقوله في الشعر: يكاد البُسْرُ يَهْصِرُ بالعذوق.

أي: تميل بها، وهو جمع عَذَق بكسر العين، وهي الكِبَاسَةُ أو جمع عَذَق بفتح العين، وهي التُّخلة، وهو أبلغ في وصفها بالايقار أن يكون جَمْع عَذَق بالفتح. وقوله: وأسلم ذو نواس مستكينًا. أي: خاضعًا ذليلاً، وفي التنزيل: ﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا لِلرَّبِّهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، قال ابن الأنباري فيه قولان: أحدهما: أن يكون من السكون، ويكون الأصل: اسْتَكَنَ على

وقال ابن الذّئبة الثقفي في ذلك - قال ابن هشام: الذّئبة أمّه، واسمه: ربيعة بن عبْد
ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِيّ:

لَعَمْرُكَ ما للفتى من مَفَرٍّ	مع الموت يلحقه والكِبَرُ
لَعَمْرُكَ ما للفتى صُحْرَة	لَعَمْرُكَ ما إن له مِن وَرَرٍ
أَبْعَدَ قَبَائِلَ مِن جَمِيرٍ	أُبِيدُوا صباحاً بذات العَبَرِ
بألفِ ألوفٍ وحرّابة	كمثل السماء قُبَيْلِ المطرِ
يُصِمُّ صياحهم المُقَرَّبَاتِ	وينفون مَن قاتلوا بالذُّفَرِ

وزن افْتَعَلَ، ومَكَّنُوا الفتحه، فصارت ألفاً كما قال الشاعر^(١):

وإنني حيثما يَشْنِي الهوى بَصْرِي من حيث ما سَلَكَوا أذنو فأنظُور

وقال آخر: يا ليتها جَرَّت على الكَلْكَال. أراد الكَلْكَال. والقول الآخر: أن يكون
استفعل من كان يكون مثل: استقام من قام يقوم. قال المؤلف رحمه الله: هذا القول الأخير
جيد في التصريف، مستقيم في القياس، لكنه بعيد في المعنى عن باب الخضوع والذلة،
والقول الأول قريب في المعنى، لكنه بعيد عن قياس التصريف؛ إذ ليس في الكلام فعل على
وزن افْتَعَالَ بِألف، ولكن وجدت لغير ابن الأنباري قولاً ثالثاً: إنه استفعل من الكَيْنُ وَكَيْنُ
الإنسان: عَجَزُهُ ومُؤَخَّرُهُ، وكان المستكين قد حنا ذلك منه، كما يقال: صَلَّى، أي: حنا
صَلَاةً، وَالصَّلَاةُ: أسفل الظهر، وهذا القول جيد في التصريف، قريب المعنى من الخضوع.

وذكر قول ابن الذّئبة، واسمه، وهو: ربيعة بن عبْد ياليل، وقال فيه: لَعَمْرُكَ ما للفتى
صُحْرَة، وهو الْمُتَسَعُّ، أُخِذَ من لفظ الصحراء، وَالْوَرَرُ: الْمَلْجَأُ، ومنه اشتق: الْوَزِيرُ؛ لأن
الملك يُلْجَأُ إلى رأيه، وقد قيل من الْوَرَرِ لأنه يحمل عن الملك أثقالاً، وَالْوَرَرُ: الثَّقُلُ، ولا
يصح قول مَنْ قال: هو من أَرَزَهُ إذا أعانته، لأن فاء الفعل في الوزير واو، وفي الأَرَزَ الذي
هو أَلْعُون هَمْزَة.

وذات العَبَرِ أي: ذات الحزن، يقال: عَبَرَ الرجل إذا حزن، ويقال لأُمّه الْعَبْرُ، كما
يقال: لأُمّه الثُّكُلُ. وَالْمُقَرَّبَاتُ: الخيل العِتاق التي لا تسرح في المرعى، ولكن تُحبس قرب
البيوت مُعَدَّةً للعدو. وقوله: وَيَنفُونَ من قاتلوا بالذُّفَرِ. أي: بريحهم وأنفاسهم ينفون مَنْ
قَاتَلُوا، وهذا إفراط في وصفهم بالكثرة، قال البرقي: أراد ينفون مَنْ قاتلوا بَذْفَرِ آبَائِهِمْ، أي

(١) هو: الفراء.

سَعَالِيٍّ مِثْلُ عَدِيدِ التَّرَا ب تَيْبَسَ مِنْهُمْ رِطَابُ الشَّجَرِ
وقال عمرو بن مَعْدِي كَرِبَ الرُّبَيْدِي فِي شَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَيْسِ بْنِ مَكْشُوحِ
الْمُرَادِيِّ، فَلَبَّغَهُ أَنَّهُ يَتَوَعَّدُهُ، فَقَالَ يَذْكُرُ جَنْمِيرَ وَعِزَّهَا، وَمَا زَالَ مِنْ مُلْكُهَا عَنْهَا:

أَتَوَعَّدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ بِأَفْضَلِ عَيْشَةٍ، أَوْ ذُو نُوَاسِ
وَكَائِنُ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ نَعِيمِ وَمُلْكُ ثَابِتٍ فِي النَّاسِ رَاسِي
قَدِيمٍ عَهْدِهِ مِنْ عَهْدِ عَادٍ عَظِيمٍ قَاهِرِ الْجَبْرُوتِ قَاسِي
فَأَمْسَى أَهْلُهُ بِأَدْوَا، وَأَمْسَى يُحَوِّلُ مِنْ أَنْاسٍ فِي أَنْاسِ

يَنْتَنُّهَا وَالذَّفَرُ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ تَسْتَعْمَلُ فِي قُوَّةِ الرِّيحِ الطَّيِّبَةِ وَالْخَبِيثَةِ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ
اللَّهُ - فَإِنْ كَانَ أَرَادَ هَذَا فَإِنَّمَا قَصَدَهُ، لِأَنَّ السُّودَانَ أَتَتْهُ النَّاسُ أَبَاطًا وَأَعْرَاقًا.

وقوله: سَعَالِيٍّ: شَبَّهَهُمُ بِالسَّعَالِيِّ مِنَ الْجِنَّ جَمْعُ سِغْلَةٍ [أَوْ سَعْلَاءَ]. وَيُقَالُ: بَلْ هِيَ
السَّاحِرَةُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَوْلُهُ: كَمِثْلِ السَّمَاءِ أَيْ كَمِثْلِ السَّحَابِ لِأَسْوَدَادِ السَّحَابِ، وَظَلَمَتْهُ قُبَيْلُ
الْمَطَرِ.

فصل: وقوله: عَمَرُو بَنُ مَعْدِي كَرِبَ، وَمَعْدِي كَرِبُ بِالْجَمِيرَةِ: وَجْهُ الْفَلَّاحِ.
الْمَعْدِي هُوَ: الْوَجْهَ بَلَّغَتْهُمْ، وَالْكَرِبُ هُوَ: الْفَلَّاحُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَبُو كَرِبَ، فَمَعْنَاهُ عَلَى هَذَا:
أَبُو الْفَلَّاحِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ. وَكَذَلِكَ تَقَدَّمَ كُلُّكِي كَرِبُ، وَلَا أُدْرِي مَا
كُلُّكِي.

وقوله: قَيْسُ بْنُ مَكْشُوحِ الْمُرَادِيِّ، إِنَّمَا هُوَ حَلِيفُ لِمُرَادٍ، وَاسْمُ مُرَادٍ: يَحَابِرُ بْنُ سَعْدِ
الْعَشِيرَةِ بْنِ مَذْجِجٍ، وَنَسَبُهُ فِي بَجِيلَةٍ، ثُمَّ فِي بَنِي أَخْمَسَ وَأَبُوهُ مَكْشُوحُ اسْمُهُ: هُبَيْرَةُ بْنُ
هَلَاكٍ، وَيُقَالُ: عَبْدُ يَغُوثِ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ
أَخْمَسَ بْنِ الْغُوْثِ بْنِ أَنْمَارٍ، وَأَنْمَارٌ: هُوَ وَالِدُ بَجِيلَةٍ وَخَثْعَمَ، وَسُمِّيَ أَبُوهُ مَكْشُوحًا، لِأَنَّهُ
ضُرِبَ بِسَيْفٍ عَلَى كَتِفِهِ^(١)، وَيَكْنَى قَيْسٌ: أَبَا شَدَادٍ، وَهُوَ قَاتِلُ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ الْكَذَّابِ هُوَ
وَدَاوُدُ يَهُوَى وَفِيروز، وَكَانَ قَيْسٌ بَطْلًا بَنِيْسًا قُتِلَ مَعَ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمَ صُفَيْنَ، وَلَهُ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ مَوَاقِفَ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا عَنْ بُهْمَةٍ^(٢) مِنَ الْبُهَمِ، وَكَذَلِكَ لَهُ فِي حُرُوبِ الشَّامِ مَعَ
الرُّومِ وَقَاتِعَ وَمَوَاقِفَ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا، عَنْ أَحَدٍ بَعْدَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.

(١) الْكَشْحُ: بِضَمِّ الْكَافِ وَسُكُونِ الشَّيْنِ: مَا بَيْنَ الْخَاصِرَةِ إِلَى الضِّلَعِ الْخَلْفِيِّ.

(٢) الْبُهْمَةُ: الشُّجَاعُ. انْظُرْ مَقَائِيسَ اللُّغَةِ (١/٣١١).

نسب زبيد:

قال ابن هشام: زُبَيْدُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ مَازِنَ بْنِ مُنْبَهٍ بْنِ صَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ بْنِ مَذْجِجٍ، ويقال: زُبَيْدُ بْنُ مَنْبَهٍ بْنِ صَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ، ويقال زُبَيْدُ بْنُ صَعْبٍ. ومُرَاد: يُحَابِرُ بْنُ مَذْجِجٍ.

عود إلى شعر عمرو بن معدى كرب:

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة، قال:

كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى سلمان بن ربيعة الباهلي، وباهلة بن يعضر بن سعد بن قيس بن عيلان. وهو إزمينية يأمره أن يُفَضِّلَ أصحاب الخيل العَرَابَ على أصحاب الخيل المَقَارِفِ في العطاء، فعرض الخيل، فمرَّ به فرس عمرو بن مَعْلِي كَرِبٍ، فقال له سلمان: فرسك هذا مُقَرِّفٌ، فغضب عمرو، وقال: هجين عرف هجيناً مثله، فوثب إليه قيس فتوَعَّدَه، فقال عمرو هذه الأبيات.

وعمر بن مَعْلِي كَرِبٍ - رضي الله عنه - يكتئ: أبا ثور تُضْرِبُ الأمثال بفروسيته ويسالته، وفيه يقول الشاعر حين مات:

فقل لزُبَيْدٍ بَلْ لِمَذْجِجٍ كُلُّهَا رُزِيتُمْ أبا ثورٍ قَرِيعَكُمْ عَمْرَا
وَصُمَصَامَتُهُ^(١) المشهورة كانت من حديدة، وجدت عند الكعبة مدفونة في الجاهلية، فضُيِّعَ منها ذُو الْفَقَارِ^(٢) والصُّمَصَامَةُ، ثم تَصَيَّرَتْ إلى خالد بن سعيد بن العاصي. يقال إن عَمْرًا وهبها له ليد كانت له عليه، وذلك أن رِيحَانَةَ أُخْتِ عمرو التي يقول فيها عمرو:

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَزِّقُنِي وَأَصْحَابِي مُجُوع
كان أصابها خالد بن سعيد في سبني سباه، فَمَنَّ عليها، وخرى سبيلها، فشكر ذلك له عمرو أخوها، وفي آخر الكتاب من خبر قيس بن مكشوح وعمرو بن معدى كرب أكثر مما وقع ههنا، والشعر السيني الذي ذكره ابن إسحق وأوله: أتوعدني كأنك ذو رعين. ذكر المسعودي أن عَمْرًا قاله لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - حين أراد ضربه بالذرة في حديث ذكره، وفي الشعر زيادة لم تقع في السيرة وهو قوله:

فَلَا يَغْرُزُكَ مُلْكُكَ، كُلُّ مُلْكٍ يصير لِدَلَّةٍ بَعْدَ الشَّمْسِ^(٣)

(١) الصمصام: السيف الذي لا يثني.

(٢) سيف كان في الجاهلية للعاص بن منبه - قتل يوم بدر كافرًا فصار إلى سيد ولد آدم - ۞ --

(٣) الشمس: الظهور.

عُود إلى شق وسطيح:

قال ابن هشام: فهذا الذي عَنَى سَطيح الكاهن بقوله: «ليهبطن أرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبيّن إلى جُرش» والذي عَنَى شِقَّ الكاهن بقوله: «لينزلن أرضكم السودان، فَلْيَغْلِيَنَّ على كل طَفَلَة البنان، وليملكن ما بين أبيّن إلى نجران».

غلب أبرهة الأشرم على أمر اليمن، وقتل أرياط:

قال ابن إسحق: فأقام أزياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسَل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئاً، فابرز إليّ، وأبرز إليك، فأبنا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فأرسل إليه أرياط: أنصفت فخرج إليه أبرهة - وكان رجلاً قصيراً لحيمًا، وكان ذا دين في النصرانية - وخرج إليه أرياط وكان رجلاً جميلاً عظيمًا طويلاً، وفي يده حربة له، وخلف أبرهة غلام له، يقال له: عَتُودَة، يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة، فضرب أبرهة يريد يافوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فَشَرَمَتْ

وذكر سَلْمَان بن ربيعة حين هَجَرَ فَرَسَ عَمْرُو، ونسبه إلى باهلة بن أغصُر، وكذلك هو عند أهل النسب: باهلي، ثم أحد بني قُتَيْبَة بن مَعْنٍ، وباهلة: أمهم^(١) وهي بنت صُغْب بن سعد العُشَيْرَة بن مَذْجَج، وأبوهم يَغْصُر، وهو مُتَبَّه بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان، وسُمِّي: يَغْصُرًا لقوله:

أَعْمَيْرُ إن أَبَاكَ غَيْرُ لَوْنِهِ مَرُّ اللَّيَالِي واختلاف الأغصُر

فيقال له: أغصُر وَيَغْصُر، وكان سَلْمَان بن ربيعة قاضيًا لَعْمَر بن الخطاب - رضي الله عنه - على الكوفة، ويقال: سلمان الخيل، لأنه كان يتولى النظرَ فيها، قال أبو وائل: اختلفت إلى سلمان بن ربيعة أربعين صَبَاحًا، وهو قاضٍ، فما وجدت عنده أحدًا يختصم إليه، واستشهد سلمان بإزمينية سنة تسع وعشرين.

وذكر خبر عَتُودَة غلام أبرهة، وقد فرغنا من حديثه فيما مضى، وما زاد فيه الطبري وغيره، وأن العتودة: الشدة في الحرب.

وذكر أن أرياطًا علا بالحربة أبرهة، فأخطأ يافوخه. واليافوخ: وسط الرأس. ويقال له

(١) وفي الاشتقاق لابن دريد (٧١): أنها حاضتهم.

حاجبَه وأنفه وعينه وشفته، فبذلك سُمِّي: أبرهة الأشرم، وحمل عَتَوْدَة على أرباط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرباط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، ووَدَى أبرهة أرباط.

موقف النجاشي من أبرهة:

فلما بلغ النجاشي غَضَبَ غَضَبًا شديدًا وقال: عدا على أميري، فقتله بغير أمري، ثم حلف: لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده، ويجزّ ناصيته، فحلق أبرهة رأسه، وملأ جرابًا من تراب اليمن، ثم بعث إلى النجاشي، ثم كتب إليه:

«أيها الملك، إنما كان أرباط عبدك، وأنا عبدك، فاختلطنا في أمرك، وكل طاعته لك، إلا أنني كنت أقوى على أمر الحبشة، وأضبط لها، وأُسوسَ منه، وقد حلقْتُ رأسي كله حين بلغني قَسَمُ الملك، وبعثتُ إليه بجراب تراب من أرضي؛ ليضعه تحت قدميه، فيبرِّ قسمه فيّ».

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه، وكتب إليه: أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتِكَ أمري، فأقام أبرهة باليمن.

أمر الفيل، وقصة النساء كنيسة أبرهة

ثم إن أبرهة بنى القُلَيْس بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من

من الطفل: غَاذِيَة بالذال، فإذا اشتدَّ وَصَلَبُ سُمِّي: يَأْفُوخًا بالهمز على وزن يَفْعُول، وجمعه: يَأْفِيخ قال الْعَجَّاج:

ضَرَبْتُ إِذَا صَابَ الْيَأْفِيخَ حَقَر

وقوله: شَرَمَ أَنْفَه وشفته أي: شَقَّه^(١).

خبر القُلَيْس مع الفيل، وذكر بنيان أبرهة للقليس

وهي الكنيسة التي أراد أن يصرف إليها حجَّ العرب، وسُمِّيَت هذه الكنيسة: القُلَيْس لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه القلائس لأنها في أعلى الرؤوس، ويقال: تَقْلَسُ الرجل وتَقْلَسُ

(١) شرم: الشين والراء والميم أصل واحد لا يُخلف وهو يدل على خرق في الشيء ومزق. انظر مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥).

الأرض، ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لملك كان قبلك، ولست بمُتته حتى أصرف إليها حَجَّ العرب، فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي، غضب رجل من النّساء، أحد بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

إذا لبس القلنسوة، وقَلَسَ طعاماً أي: ارتفع من معدته إلى فيه، وكان أبرهة قد استدلَّ أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وجُسمهم فيها أنواعاً من السُّخَر، وكان ينقل إليها العدَد من الرُّخَام المَجَزَّع، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان - عليه السلام - وكان في موضع هذه الكنيسة على فِراسح، وكان فيه بقايا من آثار مُلكها، فاستعان بذلك على ما أَراده في هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة، ومنابر من العاج والآبُس، وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يُشْرِف منها على عَدَن، وكان حُكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده، فنام رجل منهم ذات يوم، حتى طلعت الشمس، فجاءت معه أمه، وهي امرأة عجوز، فتضرّعت إليه تستشفع لابنها، فأبى إلا أن يقطع يده، فقالت: اضرب بِمِغْوَلِك اليوم، فاليوم لك، وغداً لغيرك، فقال: وَنَحْكَ ما قلت؟! فقالت: نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك، فكَذلك يصير منك إلى غيرك، فأخذته موعظتها، وأعفى الناس من العمل فيها بعد. فلما هلك ومُزّقت الحبشة كل مُمَزَّق، وأقفر ما حول هذه الكنيسة، فلم يَعْمَرها أحد، وكثرت حولها السُّباع والحَيّات، وكان كل مَنْ أراد أن يأخذ شيئاً منها أصابته الجنُّ^(١)، فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصّع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير من المال، لا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئاً إلى زمن أبي العباس، فذكر له أمرها، وما يتهبّب من جُنْها وحَيّاتها، فلم يَرعه ذلك. وبعث إليها بابين الرّبيع عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة^(٢)، فخرّبها، وحصلوا منها مالاً كثيراً يبيع ما أمكن بيعه من رُخامها وآلاتها، فعفا بعد ذلك رسمها، وانقطع خبرها، ودرست آثارها، وكان الذي يصيبهم من الجنّ ينسبونه إلى كُغَيْب وامراته صنمين كانت الكنيسة عليهما، فلما كُسر كُغَيْب وامراته أصيب الذي كسره بجُذام فافتتن بذلك رَعاع اليمن وطغاهم^(٣)، وقالوا: أصابه كعيب، وذكر أبو الوليد الأزرقي أن كُغَيْباً كان من خشب طوله: ستون ذراعاً^(٤).

(١) أسطورة في حاجة إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

(٢) الجلادة: يعني الشدة والقوة.

(٣) الطغام: أوغاد الناس وأردالهم.

(٤) أسطورة وخرافة مردودة. وانظر قصة بناء الكنيسة في تاريخ الطبري (١/٤٤٠) والكامل لابن الأثير (١/٣٤٢) والمتنظم لابن الجوزي (١/٣٩٧) والبداية لابن كثير (٢/١٥٨).

النسيء

والتَّسَاءُ: الذين كانوا ينسَوْنِ الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرِّمون مكانه الشهر من أشهر الحِلِّ، ويؤخِّرون ذلك الشَّهر، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّونَهُ عَمَّا يُحَرِّمُونَهُ عَمَّا لِيُؤْطُوا عِدَّةً مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧].

قال ابن هشام: ليواطئوا: ليوافقوا، والمواطأة: الموافقة، تقول العرب: واطأتك على هذا الأمر، أي وافقتك عليه، والإيطاء في الشعر: الموافقة، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد، وجنس واحد، نحو قول العجاج - واسم العجاج: عبد الله بن ربيعة أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار:

في أثعبانِ المَنجَنُونِ المرسل

ثم قال:

مدَّ الخليج في الخليج المرسل

وهذان البيتان في أرجوزة له:

قال ابن إسحاق: وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحلت منها ما أحل، وحرمت منها ما حرم: القَلَمْسُ، وهو حُدَيْفَةُ بن عَبْدِ بن فُقَيْم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيْمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عَبَاد بن حذيفة، ثم قام بعد عَبَاد: قَلْع بن عباد، ثم قام بعد قَلْع أمية بن قَلْع، ثم قام بعد أمية:

النسيء والنساء

وذكر التَّسَاءُ والنَّسِيء من الأشهر. فأما التَّسَاءُ فأولهم: القَلَمْسُ، واسمه: حُدَيْفَةُ بن عبد بن فُقَيْم، وقيل له: القَلَمْسُ لجوده، إذ القَلَمْسُ من أسماء البحر^(١)، وأنشد قاسم بن ثابت:

إلى نَضْدٍ^(٢) من عَبْدِ شَمْسٍ، كأنهم
قلامسة ساسوا الأمور فأحكمت
هَضابُ أجَا^(٣) أركانه لم تَقْصِفِ
سياستها حتى أَقْرَثَ لِمُرْدِفِ

(١) القلمس: السيد. وهذا مما زيدت فيه اللام، وهو من القَمَس والقاموس وهو معظم الماء شُبّه بقاموس البحر. مقياس اللغة (١١٦/٥).

(٢) النضد: الشرف.

(٣) أجَا: أحد جبلي طيء.

عُوف بن أمية، ثم قام بعد عُوف أبو ثُمَامَة: جُنَادَة بن عُوف. وكان آخَرَهُمْ، وعليه قام

وذكر أبو علي القالي في الأمالي أن الذي نَسَا الشُّهُورَ منهم: نُعَيْم بن تَغْلَبَة، وليس هذا بمعروف^(١)، وأما نَسْوُهُم للشهر، فكان على ضربين: أحدهما: ما ذكر ابن إسحق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شَنِّ الغارات، وطلب الثارات، والثاني: تأخيرهم الحج عن وقته تَحَرُّيًا منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخِّرونه في كل عام أحدَ عشر يومًا، أو أكثر قليلًا، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»^(٢) وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته، ولم يحج رسول الله - ﷺ - من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته، ولطوافهم بالبيت عُرَاة - والله أعلم - إذ كانت مكة بحكمهم، حتى فتحها الله على نبيه - ﷺ - قال شيخنا أبو بكر: نرى أن قول الله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ٣٨٩].! وخصَّ الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالأوقات، تأكيدًا لاعتباره بالأهلة دون حساب الأعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا في الحج من الاعتبار بالشهور العجمية، والله أعلم.

وذكر ابن هشام قول العجَّاج:

في أَثْعَبَانِ الْمُنْجَنُونَ^(٣) الْمُرْسَل. الْأَثْعَبَان: ما يندفع من الماء من شَعْبِه. وَالْمُنْجَنُونَ: أداة السَّانِيَة، والميم في المنجنون أصلية في قول سيبويه، وكذلك النون، لأنه يقال فيه: مَنْجَنِينَ مثل عَزْطَلِيل^(٤) وقد ذكر سيبويه أيضًا في موضع آخر من كتابه أن النون زائدة إلا أن بعض رواة الكتاب قال فيه: مَنْحَنُونَ بالحاء، فعلى هذا لم يتناقض كلامه - رحمه الله - وفي أداة السانية: الدُّوْلَابُ بضم الدال وفتحها، والشَّهْرَقُ، وهو الذي يُلْقَى عليه جبل الأقداس، واحدها: قدس، والعامَّة تقول: قادوس، والعَصَامِير: عيدان السَّانِيَة قاله أبو حنيفة: وقال صاحب العين: الْعُضْمُورُ: عود السَّانِيَة. وقوله: مَدَّ الْخَلِيج. الخليج: الجبل، والخليج أيضًا: خليج الماء. وذكر اسم العجَّاج ولم يَكُنْه، وكُنِيته: أَبُو الشَّغَفَاء، وَسُمِّي العجَّاج بقوله: حَتَّى يَمِجَّ عِنْدَهَا مَنْ عَجْجَا.

(١) انظر الأمالي (٤/١) وقول السهيلي هنا: مردود.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٨٣/٦) ومسلم في القسامة (٢٩) وأبو داود (١٩٤٧ - بتحقيقي).

(٣) المنجنون: الدُّوْلَابُ يَسْتَقِي عليه.

(٤) العرطليل: الضخم. والعرطويل: الحسن الشباب والقُد.

الإسلام، وكانت العرب إذا فرغت من حجّها اجتمعت إليه، فحرّم الأشهر الحرم الأربعة: رجباً، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم. فإذا أراد أن يُحلّ شيئاً أحلّ المحرم فأحلّوه

وقال عمير بن قيس: كرام الناس أن لهم كراماً. أي آباء كراماً، وأخلاقاً كراماً. وقوله: وأيّ الناس لم تُغلك لجاماً. أي: لم تُقَدِّعْهم، ونكفهم كما يُقَدِّع الفرس باللجام. تقول: أغلكت الفرس لجامه: إذا رددته عن تنزّعه، فمضغ اللجام كالغلك من نشاطه، فهو مقدّوع قال الشاعر:

وإذا احتبى قُرْبوسه بعنانه^(١) علك^(٢) اللجام إلى انصراف الزائر

وكان عمير هذا من أطول الناس، وهو مذكور في مقبلي الظعن، وسُمي جذل الطعان لثباته في الحرب، كأنه جذل شجرة واقف، وقيل؛ لأنه كان يُسْتَشْفَى برأيه، ويُستراح إليه، كما تَسْتريح البهيمة الجُزباء إلى الجَذل تَحْتَكُ به ونحو منه قول الحُباب [ابن المنذر]: أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ، وعُذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ وقول الأعرابي يصف ابنه: إنه لَجَذْلُ جِكَائِكِ^(٣) ومِذْرَه^(٤) لِكَائِكِ. وَاللَّكَاكُ: الزَّحَام.

فصل: وذكر جُنادة بن عَوْفٍ من النِّسَاء، وعليه قام الإسلام، ولم يذكر هل أسلم أم لا، وقد وجدت له خيراً يدلّ على إسلامه حضر الحج في زمن عمر، فرأى الناس يزدهمون على الحج، فنأدى: أيها الناس إني قد أجزّته منكم، فخفق عمر بالدِّرّة، وقال: ويحك: إن الله قد أبطل أمر الجاهلية. وذكر البرقي عن ابن الكلبي، قال: فنسأ قَلْعُ بن عَبَاد سَبْعَ سنين، ونسأ بعده أُمَيَّةُ بن قَلْع إحدى وعشرين سنة، ثم نسأ من بعده جُنادة، وهو أبو أمانة وهو الْقَلْمُسُ أربعين سنة.

الأشهر الحُرُم:

وقول ابن هشام: أول الأشهر الحُرُم: المحرم قول، وقد قيل: أوّلها ذو القعدة، لأن رسول الله - ﷺ - بدأ به حين ذكر الأشهر الحُرُم، ومَن قال: المحرم أولها، احتجّ بأنه أول السنة، وفقه هذا الخِلاف أن مَن نذر صيام الأشهر الحُرُم، فيقال له على الأول: ابدأ بالمحرم، ثم برجب ثم بذى القعدة، وذى الحجة، وعلى القول الآخر يقال له: ابدأ بذى القعدة حتى يكون آخر صيامك في رجب من العام الثاني.

(١) احتبى قريوسه بعنانه: أي لبسه واشتمله. والقريوس: حنو السرج.

(٢) العلك: ما يمضغ.

(٣) الجذل المحكك: عود يُنصب للجري لتحتك به.

(٤) المذره: بكسر الميم وفتح الراء: السيد الشريف.

وحرم مكانه صفر فحرموه؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحُرُم. فإذا أرادوا الصَّدْر، قام فيهم فقال: «اللَّهُمَّ إني قد أحللت لك أحد الصَّفَرَيْن، الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل». فقال في ذلك عُمَيْر بن قَيْس «جِذْلُ الطَّعَان» أخذ بني فِرَاس بن عَنَم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، يفخر بالنساء على العرب:

لقد علمت مَعَدُّ أَنْ قَوْمِي كرامُ النَّاسِ أَنْ لَهُم كِرَامَا
فَأَيُّ النَّاسِ فَاتُونَا بَوَثِرٍ وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ تُغْلِكَ لَجَامَا
أَلَسْنَا النَّاسِيْنَ عَلَى مَعَدُّ شُهُورِ الْجِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامَا
قال ابن هشام: أول الأشهر الحُرُم: المحرَّم.

القيود على المقابر:

وقوله: خرج الكناني حتى قعد في القُلَيْسِ أي: أحدث فيها، وفيه شاهد لقول مالك، وغيره من الفقهاء في تفسير القيود على المقابر المنهي عنه، وأن ذلك للمذاهب^(١)، كما قال مالك، والله أعلم.

أنساب:

وذكر قول نُفَيْلِ الْخَثْعَمِيِّ: وهاتان يداي لك على شَهْرَانِ وناهس، وهما قبيلة خَثْعَم، أما خثعم: فاسم جَبَلٍ سُمِّيَ به بنو عِفْرِيسٍ^(٢) بن خُلْف بن أَقْتَل بن أنمار؛ لأنهم نزلوا عنده، وقيل: إنهم تَخَثَّمُوا بالدم عند حلف عقده بينهم، أي: تلطخوا، وقيل: بل خَثْعَم ثلاث: شَهْرَانِ وناهس وأكْلَب غير أن أكْلَب عند أهل النسب هو: ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا في خَثْعَم، وانتسبوا إليهم فالله أعلم. قال رجل من خثعم:

ما أَكْلَبُ مِنَّا، ولا نحن منهم وما خَثْعَمُ يَوْمَ الْفَخَارِ وَأَكْلَبُ
قبيلةٌ سوءٌ من ربيعةٍ أصلُها فليس لها عمٌ لَدَيْنَا، ولا أبُ
فأجابه الأَكْلَبِيُّ فقال:

إني من القوم الذين نَسَبَتْنِي إليهم كريمُ الجَدِّ والعمِّ والأبِ
فلو كنتَ ذا علم بهم ما نَفَيْتَنِي إليهم ترى أني بذلك أَثْلَبُ
فإن لا يَكُنْ عَمَّاي خُلْفًا وناهسًا فلإني امرؤٌ عَمَّاي: بَكْرٌ وَتَغْلِبُ
أبونا الذي لم تُزَكِّبْ الخيلُ قبله ولم يذر مَرَّةً قبله كيف يَزَكِّبُ

(١) المذاهب: المتوضىء.

(٢) العفرس: القهر والغلبة.

سبب حملة أبرهة على الكعبة:

قال ابن إسحق: فخرج الكِنَانِي حتى أتى القُلَيْس فقعده فيها - قال ابن هشام: يعني أحدث فيها - قال ابن إسحق: ثم خرج فَلَحِقَ بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة فقال: مَنْ صنع هذا؟ فِقِيلَ له: صنع هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكة لَمَّا سمع قولك: «أصرف إليها حجّ العرب» غضب فجاء، فقعده فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل. فغضب عند ذلك أبرهة وحلف: ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحَبْشَةَ فتَهَيَّأت وتجهّزت، ثم سار وخرج معه بالليل، وسمعت بذلك العرب، فأعظموه وفطّعوها به، ورأوا جهاده حقاً عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هَدمَ الكعبة، بيت الله الحرام.

يريد أنه من ربيعة، وربيعه كان يقال له: ربيعة الفرس.

وأما ثَقِيفٌ وما ذكر من اختلاف النسابين فيهم، فبعضهم ينسبهم إلى إِيَاد، وبعضهم ينسبهم إلى قيس، وقد نسبوا إلى ثُمُودَ أيضًا. وقد رُوِيَ في ذلك حديثٌ عنه - عليه السلام - رواه مَعْمَرُ بن راشد في جامعه، وكذلك أيضًا رُوِيَ في الجامع أن أبا رِغَالٍ من ثُمُودَ، وأنه كان بالحرم حين أصاب قومه الصيحة، فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومه، فدُفِنَ هناك، ودُفِنَ معه غصنان من ذهب، وذُكِرَ أن رسول الله - ﷺ - مرّ بالقبر، وأمر باستخراج الغصنين منه، فاستخرجا^(١). وقال جرير أو غيره:

إِذَا مَاتَ الْفَرَزْدَقُ فَارْجُبُوهُ كَرَجِبِكُمْ لِقَبْرِ أَبِي رِغَالٍ

ووقع في هذه النسخة في نسب ثَقِيفِ الأول: ابنُ إِيَاد بن معد. وفي الحاشية أن القاضي أبا الوليد غيره، فجعل مكان ابن معد: مِنْ مَعَدٍّ، وذلك - والله أعلم - لأن إِيَاد هذا هو: ابنُ نَزَارٍ، وليس بابن مَعَدٍّ لَصُلْبِهِ، ولمعدُّ ابنُ اسمِهِ: إِيَاد، وهو: ابْنُهُ لَصُلْبِهِ، وقد ذكره ابن إسحق، وقد قدّمنا ذكره مع بني معد في أول الكتاب، وهو عمُّ إِيَاد، والإِيَادُ في اللغة: التراب الذي يُضَمُّ إلى الخبَاءِ لِقِيَّهِ من السَّيْلِ ونحوه، وهو مأخوذ من الأَيْدِ، وهي القوة، لأن فيه قوةً للخباء، وهو بين الثُّؤْيِ والخباء، والثُّؤْيُ يشتق من الثَّائِي، لأنه خَفِيرٌ يتأى به المطر، أي: يبعد عن الخباء.

وأشدد لأُمِيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ، واسم أبي الصَّلْتِ: ربيعة بن وَهَبٍ في قول الزبير:

قُومِي إِيَادَ لو أنهم أَمَّ أولو أقاموا، فَتُهَزَّلَ التُّعَمُ

(١) لا يظهر عليه نور النبوة. انظر البداية (١٥٩/٢).

ذو نفر ونفيل يحاولان حماية البيت :

فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفَر، فدعا قومَه، ومَنْ أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهادَه عن بيت الله الحرام، وما يريد من هَدمه وإخراجه، فأجابه إلى ذلك مَنْ أجابه، ثم عَرَضَ له فقاتله، فهُزِمَ ذو نَفَر وأصحابُه، وأخذ له ذو نَفَر، فَأَتَى به أسيرًا، فلما أراد قتله، قال له ذو نَفَر: أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرًا لك من قتلي، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعَمَ عرض له نَقِيل بن حَبِيب الخَثْعَمِيّ في قَبِيلِي خَثْعَمَ: شَهْران وناهس، ومَنْ تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نَقِيلَ أسيرًا، فَأَتَى به فلما هم بقتله قال له نَقِيل: أيها الملك، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قَبِيلِي خَثْعَمَ: شَهْران وناهس بالسمع والطاعة، فحُلِيَ سبيلَه.

بين ثقيف وأبرهة :

وخرج به معه يدله، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعْتَب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن عَوْف بن ثَقِيف في رجال ثَقِيف.

واسم ثقيف: قَسِي بن النَّبِيت بن منبّه بن منصور بن يَظْم بن أَفْصى بن دُعَمِي بن إِياد بن نزار بن معدّ بن عدنان.

قال أمية بن أبي الصَّلْت الثَّقَفِي :

قومي إِيادٌ لو أنهم أَمُّ أو: لو أقاموا فَتَهَزَلُ النُّعَمُ
قومٌ لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعًا والقِطُ والقَلَمُ

يريد: أي: لو أقاموا بالحجاز، وإن هُزِلَتْ نَعْمُهُمْ؛ لأنهم انتقلوا عنها، لأنها ضاقت عن مسارحهم، فصاروا إلى ريف العراق؛ ولذلك قال: والقِطُ والقَلَمُ، والقِطُ: ما قُطَّ^(١) من الكَاغِد^(٢) والرق^(٣) ونحوه، وذلك أن الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا إليها، وقد قيل لقرّيش: مِمَّنْ تعلمتم القِط؟ فقالوا: تعلمناه من أهل الحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل

(٢) الكاغد: القرطاس.

(١) ما قُطَّ: أي ما قطع.

(٣) الرق: جلد رقيق يُكتب فيه.

وقال أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت أَيْضًا:

فَلِمَا تَسْأَلِي عَنِّي - لَبَيْتِي

وَعَنْ نَسَبِي - أَخْبَرْتُكَ الْيَقِينَا

فَلِمَا لِلتُّبَيْتِ أَبِي قَسِيٍّ

لَمَنْصُورِ بْنِ يَقْدُمِ الْأَقْدَمِينَا

قال ابن هشام: ثَقِيف: قَسِيٌّ بن مُنْبَه بن بَكْر بن هَوَازن بن مَنْصُور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نَزَار بن معدّ بن عدنان، والبيتان الْأَوَّلان والآخِران في قصيدتين لأُمَيَّة.

قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عَبِيدُكَ سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بَيْتُنا هذا الْبَيْتُ الذي تريد - يعنون اللات - إنما يريد الْبَيْتُ الذي بمكة، ونحن نبعث معك مَنْ يَدُلُّكَ عليه، فَتَجَاوَزَ عنهم.

واللات: بيت لهم بالطائف كانوا يَعْظُمُونَهُ نَحْوَ تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام: أنشدني أَبُو عُبَيْدة النُحَوي لِيُضْرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ الْفَهْرِيِّ:

وَقَرَّتْ ثَقِيفٌ إِلَى لَا تِهَا

بِمُنْقَلَبِ الْخَائِبِ الْخَاسِرِ

وهذا البيت في أبيات له.

قصة أَبِي رِغَالٍ وَقَبْرِهِ الْمَرْجُومِ:

قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أَبَا رِغَالٍ يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ، فخرج أبرهة ومعه أَبُو رِغَالٍ حَتَّى أَنْزَلَهُ الْمُعَمَّسُ، فلما أَنْزَلَهُ بِهِ مَاتَ أَبُو رِغَالٍ هُنَاكَ، فَرَجَمَتْ قَبْرَهُ الْعَرَبُ، فَهُوَ الْقَبْرُ الَّذِي يَرْجُمُ النَّاسُ بِالْمُعَمَّسِ.

الأنبار، ونصب قوله: فَتَهَزَّلَ النَّعْمُ بِالْفَاءِ عَلَى جَوَابِ التَّمَنِّيِ الْمَضْمُونِ فِي لَوْ، نحو قوله تعالى: ﴿قُلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] وأما تسمية قَسِيٍّ بِثَقِيفٍ، فسيأتي سبب ذلك فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

المغمس:

وقوله: فلما نزل أبرهة الْمُعَمَّسُ هَكَذَا أَلْفَيْتُهُ فِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرِ الْمُقَيْدَةِ عَلَى أَبِي الْوَلِيدِ الْقَاضِي بِفَتْحِ الْمِيمِ الْآخِرَةِ مِنَ الْمُعَمَّسِ. وذكر الْبَكْرِيُّ فِي كِتَابِ الْمَعْجَمِ عَنْ ابْنِ دَرِيدٍ وَعَنْ غَيْرِهِ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ أَنَّهُ الْمُعَمَّسُ. بِكسر الميم الْآخِرَةِ، وَأَنَّهُ أَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّهُ يُرْوَى بِالْفَتْحِ، فعلى رواية الْكسْرِ هُوَ: مُعَمَّسٌ مُفْعَلٌ مِنْ عَمَسْتُ، كَأَنَّهُ اشْتَقَّ مِنَ الْعَمِيسِ وَهُوَ الْعَمِيرُ، وَهُوَ النَّبَاتُ الْأَخْضَرُ الَّذِي يَنْبَتُ فِي الْخَرِيفِ تَحْتَ الْيَابِسِ، يَقَالُ:

عدوان الأسود على مكة:

فلما نزل أبرهة المُعَمَّس، بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مِئَتَيْ بَعِير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبيرُ قريش وسيِّدُها، فهَمَّت قريش وكنانة وهذيل، ومَنْ كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى عبد المطلب:

وبعث أبرهة حُناطَةَ الحميريِّ إلى مكة، وقال له: سَلْ عن سيِّد أهل هذا البلدِ وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آتٍ لحربكم، إنما جئت لِهَدمِ هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يُرِدْ حَرْبِي، فَأَتِنِي به، فلما دخل حُناطَةُ مَكَّةَ، سأل عن سيِّد قريش وشريفها، فقيل له: عبدُ المطلب بن هاشم فجاءه، فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربَه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يَمْنَعُهُ منه، فهو بيتهُ وحرمة، وإن يُخَلَّ بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْعٌ عنه؛ فقال له حُناطَةُ: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

الشافعون عند أبرهة لعبد المطلب:

فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعضُ بَنِيهِ، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفَرٍ، وكان له صديقًا، حتى دخل عليه وهو في مَخْبِئَةٍ، فقال له: يا ذا نَفَرٍ هل عندك من

عَمَسِ المَكَانُ وَعَمَّرَ إذا نبت فيه ذلك، كما يقال؛ صَوَّحَ، وشَجَّرَ^(١)، وأما على رواية الفتح، فكأنه من عَمَسَتِ الشَّيْءَ، إذا غَطَّيْتَهُ، وذلك أنه مكان مَسْتَوٍ إمَّا بهضابٍ وإمَّا بِعُضَاهِ^(٢)، وإنما قلنا هذا؛ لأن رسول الله - ﷺ - إذ كان بمكة، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المُعَمَّسِ، وهو على ثلث فَرَسَخٍ منها، كذلك رواه علي بن السُّكَنِ في كتاب السُّنَنِ له، وفي السُّنَنِ لأبي داود أن رسول الله - ﷺ - كان إذا أراد البراز أَبْعَدَ^(٣)، ولم يُبَيِّنْ مقدارَ البعد، وهو مُبَيِّنٌ في حديث ابن السكن - كما قدَّمنا - ولم يكن رسول الله - ﷺ - ليأتي مكانًا لِلْمَذْهَبِ إلا وهو مَسْتَوٍ منخفض، فاستقام المعنى فيه على الروایتين جميعًا.

(١) صوح النبات: يس حتى تشقق. وشجر: أي صار شجرًا. انظر مقاييس اللغة (٣/٣١٩).

(٢) العضاة: كل شجر له شوك.

(٣) «صحيح». أخرجه أبو داود (٢) بتحقيق. وابن ماجه (٣٣٦) والحاكم (٤/١٤٠).

عَتَاءٌ^(١) فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نَفَرٍ: وما عَتَاءٌ رجل أسير بيدي مَلِكٍ ينتظر أن يقتله غَدُورًا أو عَشِيًّا؟! ما عندنا عَتَاءٌ في شيء مما نزل بك إلا أن أُنَيْسًا سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حَقَّك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلِّمه بما بدا لك. ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك، فقال: حسبي. فبعث ذو نَفَرٍ إلى أُنَيْسٍ، فقال له: إن عبد المطلب سيّد قريش، وصاحب عِير مَكَّة، يُطْعِم الناس بالسَّهْل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مِثْتي بعير، فاستأذن له عليه، وأنقعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلَّم أُنَيْسُ أبرهة، فقال له: أيها الملك، هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عِير مَكَّة، وهو يُطْعِم الناس في السَّهْل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذن له عليك، فيكلِّمك في حاجته، قال: فأذن له أبرهة.

عبد المطلب وأبرهة

قال: وكان عبد المطلبِ أوسَمَ الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجَلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحَبَشَةُ يجلس معه على سرير مُلكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لِتَرْجَمَانِهِ: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك التَرْجَمَانُ، فقال: حاجتي أن يردَّ عليَّ الملكُ مِثْتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لِتَرْجَمَانِهِ: قل له: قد كنتُ أعجبُني

وسامة عبد المطلب

وقوله في صفة عبد المطلب: أوسَمَ الناس وأجمله. ذكر سيبويه هذا الكلام مَخَكِيًّا عن العرب، ووجهه عندهم أنه محمول على المعنى، فكأنك قلت: أحسن رجل وأجمله، فأفرد الاسمَ الْمُضْمَرَّ التفاتًا إلى هذا المعنى، وهو عندي مَحْمُولٌ على الجنس، كأنه حين ذكر الناس قال: هو أجمل هذا الجنس من الخلق، وإنما عدلنا عن ذلك التقدير الأول، لأن في الحديث الصحيح: «خيرُ نساءٍ زَكَبْنَ الإبلَ صوالِحُ نساءٍ قُرَيْشٍ: أَخْتَاهُ على وَلَدِهِ في صِغَرِهِ، وأزعه على زَوْجٍ في ذات يده»^(٢)، ولا يستقيم ههنا حملُه على الأفراد، لأن المفرد ههنا امرأة، فلو نظر إلى واحد النساء لقال: أحنأها على وَلَدِهِ، فإذا التقدير: أحنى هذا الجنس الذي هو النساء، وهذا الصنف، ونحو هذا.

(١) من عَتَاءٍ: أي ما يُغْتَى.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٨٥/٧) ومسلم في الفضائل (٢٠١/٢٠٠) وأحمد (٢٦٩/٢).

حين رأيْتُكَ، ثم قد زَهَدْتَ فيكَ حين كَلَّمْتَنِي، أَتَكَلِّمُنِي في مِثِّي بَعِيرِ أَصْبَحْتُهَا لَكَ، وَتَتْرَكَ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ، لَا تَكَلِّمُنِي فِيهِ!!؟ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ^(١) الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ، قَالَ: مَا كَانَ لِيَمْتَنَعَ مِنِّي، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

وكان - فيما يزعم بعض أهل العلم - قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حُناطَةٌ، يَغْمُرُ بْنُ نُفَّاثَةَ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الدُّثُلِ بْنِ بَكْرِ بْنِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ - وهو يومئذ سيد بني بكر - وخويلدُ بْنُ واثلةِ الهذلي - وهو يومئذ سيّد هذيل - فعرضوا على أبرهة ثَلَاثَ أَمْوَالٍ يَهَامَةُ، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم. والله أعلم، أكان ذلك، أم لا، فردّ أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له.

عبد المطلب يستغيث بالله:

فلما انصرفوا عنه، انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرّز في شَعَفِ الجبال والشُعاب: تخوفاً عليهم من مَعَرَّةِ الجيش،

وذكر قول عبد المطلب:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمُ — نَعَزْخُلُهُ فَا مَنَعَ جَلَالُكَ

العرب تحذف الألف واللام من اللُّهُمَّ، وتكتفي بما بقي، وكذلك تقول: لاهِ أبوك تريد: لله أبوك، وقد تقدم. قول مَنْ قَالَ فِي لِهَيْتُكَ [أَوْ: لِهَيْتُكَ]، وَأَنْ الْمَعْنَى: وَاللهِ إِنَّكَ، وَهَذَا لِكَثْرَةِ دَوْرِ هَذَا الْأَسْمِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَقَدْ قَالُوا فِيْمَا هُوَ دُونَهُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ: أَجْنُكَ تَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا. أَيِ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ تَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا وَالْجَلال فِي هَذَا الْبَيْتِ: الْقَوْمُ الْخُلُولُ فِي الْمَكَانِ، وَالْحَلال مَرْكَبٌ مِنْ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

بَغِيرِ جَلالٍ غَادَرْتَهُ مُجَحْفَلٍ

وَالْجَلال أَيْضًا: مَتاعُ الْبَيْتِ، وَجائزُ أَنْ يَسْتَعِيرَهُ هُنَا، وَفِي الرِّجْزِ بَيْتٌ ثَالِثٌ لَمْ يَقَعْ فِي الْأَصْلِ وَهُوَ قَوْلُهُ:

وَأَنْصُرْ عَلَى آلِ الصَّلِيبِ وَعَابِدِيهِ الْيَوْمَ أَلْكَ

وفيه حجة على النُّحَاسِ وَالزُّبَيْدِيِّ حَيْثُ زَعَمَا، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمَا أَنَّهُ لَا يَقَالُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ، لِأَنَّ الْمُضْمَرَ يَرِدُ الْمَعْتَلَّ إِلَى أَصْلِهِ، وَأَصْلُهُ: أَهْلٌ فَلَا يُقَالُ إِلَّا: وَعَلَى أَهْلِهِ، وَبِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ خَتَمَ النُّحَاسُ كِتَابَهُ الْكَافِي. وَقَوْلُهُمَا خَطَأً مِنْ وَجْهِ، وَغَيْرُ مَعْرُوفٍ فِي

(١) رَبُّ الْإِبِلِ: أَيِ صَاحِبِهَا.

ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نَفَرٌ من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو أخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حَلَاكَ

لا يَغْلِبَنَّ صُلَيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَا مَحَالِكَ

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها^(١).

شاعر يدعو على الأسود:

قال ابن إسحق: وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن

قُصَيٍّ:

لا هُمَّ أَخْزِ الْأَسْوَدَ بِنَ مَقْصُودِ الْآخِذُ الْهَجْمَةَ فِيهَا التَّقْلِيدِ

بَيْنَ حِرَاءٍ وَتَبِيرٍ فَالْبِيدِ يَخْبِسُهَا وَهِيَ أَوْلَاثُ التَّطْرِيدِ

فَضَمَّهَا إِلَى طَمَاطِمِ سُودِ أَخْفِرْهُ يَا رَبِّ وَأَنْتَ مَخْمُودِ

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها، والطماطم: الأعلاج.

قال ابن إسحق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه

من قريش إلى شَعَفِ الجبال، فتحَرَّزُوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعِلٌ بمكة إذا دخلها.

قياس ولا سماع، وما وجدنا قط مضمراً يردّ معتلاً إلى أصله إلا قولهم: أَعْطَيْنَاكُمْوه بردّ الواو، وليس هو من هذا الباب في وِزْدٍ ولا صَدْرٍ، ولا نقول أيضاً: إِنْ أَلَا أَصْلُهُ: أَهْلٌ، ولا هو في معناه، ولا نقول: إِنْ أَهْيَلًا تصغيرُ آلٍ، كما ظن بعضهم، ولتوجيه الحجاج عليهم موضعٌ غير هذا، وفي الكامل من قول الكتاني لمعاوية حين ذكر عبد الملك من ألك، وليس منك.

وقول عكرمة بن عامر: الْآخِذُ الْهَجْمَةَ فِيهَا التَّقْلِيدِ^(٢): الْهَجْمَةُ: هي ما بين التسعين

إلى المائة، والمائة منها: هُتَيْدَةٌ، والمائتان: هَيْدٌ، وقال بعضهم: والثلاثمائة أَمَامَةٌ، وأنشدوا:

تَبَيَّنَ رُوَيْدًا مَا أَمَامَةٌ مِنْ هَيْدِ

وكان اشتقاق الهجمة من الهجيمة، وهو: الثخين من اللبن، لأنه لما كَثُرَ لبثها لكثرتها،

لم يُمَزَجْ بماءٍ، وشرب صِرْفًا ثَخِينًا، ويقال للقدح الذي يُحَلَبُ فيه إذا كان كبيرًا: هَجْمٌ.

(١) انظر البداية (١٥٩/٢) والكامل (٣٤٢/١). (٢) التقليد: أي القلائد.

أبرهة والفيل والكعبة

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهياً فيله، وعبى جيشه - وكان اسم الفيل محمودا - وأبرهة مُجْمَعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجَّهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفَيْل بن حَبِيب حتى قام إلى جَنْبِ الفيل، ثم أخذ بأذنه، فقال: ابرك محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه. فبرك الفيل، وخرج نُفَيْل بن حَبِيب يشتد حتى أضعد في الجبل، وضربوا الفيلَ ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطَّبْرَزين؛ ليقوم فأبى، فأدخلوا مَحَاجِنَ لهم في مَرَاقِهِ فَبَزَعُوهُ بها ليقوم فأبى، فوجَّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجَّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى المَشْرِقِ ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثالَ الحَطَّاطِيفِ والبَلَّسانِ، مع كلِّ طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثالُ الحِجْمِصِ والعَدَسِ، لا تُصِيبُ منهم أحداً إلا هلك، وليس كلُّهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريقَ الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفَيْل بن حَبِيب، ليدلَّهم على الطريقِ إلى اليمن، فقال نُفَيْلُ حين رأى ما أنزل الله بهم من نِقْمَتِهِ:

أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْإِلَهَ الطَّالِبُ والأشْرُمُ الْمَغْلُوبُ ليس الغالبُ

قال ابن هشام: قوله: «ليس الغالب» عن غير ابن إسحق.

قال ابن إسحق: وقال نفيل أيضاً:

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا	نَعْمَنَّاكَم مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ - وَلَا تَرَيْنِي	لِذِي جَنْبِ الْمُحْصَبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَعَذَّبْتَنِي وَحَمِدْتَ أَمْرِي	وَلَمْ تَأْسِنِي عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا
حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا	وَحِفْتُ حِجَارَةً ثَلَقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ	كَأَنَّ عَلِيَّ لِلْحَبْشَانِ دَيْنَا

في حديث الفيل

وقوله: أَخْفِزُهُ يَا رَبِّ. أي انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه، يقال: أَخْفَزْتَ الرَّجُلَ، إِذَا نَقَضْتَ عَهْدَهُ، وَخَفَزْتَهُ أَخْفِرُهُ: إِذَا أَجَزْتَهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَضْبُطَ هَذَا إِلَّا بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِهَا، لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له.

وقوله: إِلَى طَمَاطِمِ سُدٍّ. يعني: الْعُلُوجِ. ويقال لكل أعجمي: طُمُطَمَانِي وَطُمُطِمَ وَيُذَكَّرُ عَنِ الْأَخْفَشِ: طُمُطِمَ بفتح الطاء.

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة: كلما سقطت أنملة، أثبتتها منه مدة تمت قنبحا ودما، حتى قديموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون.

قال ابن إسحق: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث: أن أول ما رويت الحَضْبَة والجُدْرِيّ بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُوي بها مرائر الشجر: الحَزْمَلِ والْحَنْظَلِ والعُشْر ذلك العام.

قصة الفيل في القرآن:

قال ابن إسحق: فلما بعث الله تعالى محمداً - ﷺ - كان مما يُعذُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما ردَّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^(١). وقال: ﴿لَا يَلَاقِي قُرَيْشٌ إِيْلَافَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٢). أي لثلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه، وأما السَّجِيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب، قال رؤبة بن العجاج:

ومسَّهم ما مسَّ أصحابَ الفيلِ ترميهم حجارٌ من سِجِّيلٍ
ولعبثَ طيرٌ بهم أبابيلٍ

وهذه الأبيات في أرجوزة له. ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سِنْجٌ وجِلٌ يعني بالسنج: الحجر، وبالجِل: الطين، يعني: الحجارة من هذين الجنسيتين: الحجر والطين. والعَصْفُ: ورق الزرع الذي

وقوله: عَبَى جيشه. يقال: عَبَيْتُ الجيشَ بغير همزة، وَعَبَّأتُ المتاعَ بالهمز، وقد حُكي عَبَّأتُ الجيشَ بالهمز وهو قليل.

(٢) سورة قريش.

(١) سورة الفيل.

لم يُعَصَف، وواحدته عَصْفَةٌ. قال: وأخبرني أبو عُبيدة النحوي أنه يقال له: العَصَافَة والعَصِيفَة. وأنشدني لعلقمة بن عَبْدَة أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مائة بن تميم:

تَسْقَى مَذَانِبَ قَد مَالَتْ عَصِيفَتُهَا حَدَوْرُهَا مِنْ أَيْيِ الْمَاءِ مَطْمُومٌ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الراجز:

فَضِيرُوا مِثْلَ كَعَصَفٍ مَأْكُولٍ

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير في النحو.

وقوله: فبرك الفيل. فيه نظر؛ لأن الفيل لا يَبْرُكُ، فيحتمل أن يكون بُرُوكُهُ: سقوطه إلى الأرض، لما جاءه من أمر الله سبحانه، ويحتمل أن يكون فَعَلَ الْفِعْلَ الْبَارِكُ الَّذِي يَلْزَمُ موضعه، ولا يبرح، فَعَبَّرَ بِالْبُرُوكِ عَنْ ذَلِكَ، وقد سمعت مَنْ يقول: إن في الْفِيلَةِ صَنْفًا مِنْهَا يَبْرُكُ كَمَا يَبْرُكُ الْجَمَلُ، فَإِنْ صَحَّ وَإِلَّا فَتَأْوِيلُهُ مَا قَدَّمَاهُ.

والأَسْوَدُ بن مقصود صاحب الفيل: هو الْأَسْوَدُ بن مقصود بن الحارث بن مُتَبَّه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عَمْرُو بن عِلَّةَ ويقال فيه: عُلَّةٌ عَلَى وَزْنِ عَمْرٍ، ابن خالد بن مَذْجَج، وكان الْأَسْوَدُ قد بعثه النجاشي مع الفيلة والجيش، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلاً، فهلكت كلها إلا محموداً، وهو فيل النجاشي؛ من أجل أنه أبى من التوجه إلى الحرم والله أعلم.

وَنُقَيْلٌ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ: نُقَيْلُ بن عبد الله بن جُزْء بن عامر بن مالك بن واهب بن جَلِيحَةَ بن أَكْلَب بن ربيعة بن عِفْرَس بن جلف بن أَفْتَل، وهو: خَتَم. كذلك نسبة البرقي. وفي الكتاب: نفيل بن حبيب، ونفيل من الْمَسْمُومِينَ بِالنَّبَاتِ قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ. وقال: هو تصغير نَفْلٍ، وهو نبت مُسْلَنْطِخٌ^(١) عَلَى الْأَرْضِ.

وذكر النقاش أن الطير كانت أنيابها كَأَنْيَابِ السَّبُعِ وَأَكْفُهَا كَأَكْفِ الْكِلَابِ، وذكر البرقي أن ابن عباس قال: أصغرُ الحجارة كُرَاسُ الْإِنْسَانِ، وكبارُها كَالْإِبِلِ^(٢). وهذا الذي ذكره البرقي ذكره ابن إسحاق في رواية يونس عنه. وفي تفسير النقاش أن السَّيْلَ اخْتَمَلَ جِشْمَهُمْ،

(١) مسلنطخ: أي منبسط.

(٢) جاء بعض أصحاب العمائم وأصحاب العالمية الأزهرية ليقول لنا إن ما وقع إنما هو داء ومرض دب في أصحاب الفيل ولا صحة لحديث الطير الأبايل وما تحمله من حجارة، جاء مَنْ أَنْكَرَ وَكَذَّبَ صَرِيحَ الْقُرْآنِ، جاء مَنْ أَنْكَرَ وَجُودَ نَبِيِّ مَرْسَلٍ يُسَمَّى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقُولُ: إِنَّ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فَلَا يَكُنْ هَذَا فِي إِبْثَابِ وَجُودِهِمَا. وَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ مِنْ رُؤُوسِ زَمَانِنَا وَعَمْدَانِهَا.

فألقاها في البحر، وكانت قصة الفيل أول المُحَرَّم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين.

وقوله: فضربوا رأسه بالطَّبْرَزين هكذا تقيد في نسخة الشيخ أبي بحر بسكون الباء، وذكره البكري في المعجم، وأن الأصل فيه طَبْرَزين بفتح الباء، وقال: طَبْر هو الفأس وذكر طَبْرَسْتَان بفتح الباء، وقال معناه: شَجَرٌ قُطِعَ بفأس؛ لأنها قبل أن تُبنى كانت شَجَرَاء فَقُطِعَتْ، ولم يقل في طَبْرِيَّة مثل هذا. قال: ولكنها نسبت إلى طَبَارَاء، وهو اسم الملك الذي بناها، وقد أَلْفَيْتُهُ في شعرٍ قديم: طَبْرَزين - بفتح الباء - كما قال البكري، وجائز في طَبْرَزين - وإن كان ما ذكر أن تسكن أَلَاء - لأن العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبًا لا يُقرُّها على حال. قاله ابن جني.

وقوله: فبزغوه، أي: أذمَّوه، ومنه سُمِّيَ المَبْزَغُ، وفي رواية يونس عن ابن إسحاق أن الفيلَ رَبَضَ، فجعلوا يقسمون بالله أنهم رَأَوْه إلى اليمن، فحرك لهم أذنيه، كأنه يأخذ عليهم عهدًا بذلك، فإذا أقسموا له، قام يهرول، فبرَّذونه إلى مكة، فَبَرِضَ، فيحلفون له، فيحرك لهم أذنيه كالمؤكد عليهم، ففعلوا ذلك مرارًا.

وقوله: أمثال الحِمَص والعَدَس يقال: حِمَص، وحِمَص، كما يقال: جَلَق وجَلَقَ قاله الزبيدي، ولم يذكر أبو حنيفة في الحِمَص إلا الفَتَح وليس لهما نظير في الأبنية إلا الحِلْزَة وهو القصير، وقال ابن الأنباري: الحِلْزُ: البخيل بتشديد الزاي، وصوب القالي هذه الرواية في الغريب المصنف، لأن فَعَلًا بالتشديد ليس من الصفات عند سيبويه. ويعني بمماثلة الحجارة لِلْحِمَص أنها على شكلها - والله أعلم - لأنه قد رُوِيَ أنها كانت ضَخَامًا تكسر الرؤوس، ورُوِيَ أن مخالِب الطير كانت كأكْف الكلاب - والله أعلم - وفي رواية يونس عن ابن إسحاق قال: جاءتهم طيرٌ من البحر كرجال الهند، وفي رواية أخرى عنه أنهم استَشْعَرُوا العذاب في ليلة ذلك اليوم؛ لأنهم نظروا إلى النجوم كالحة إليهم، تكاد تكلمهم من اقترابها منهم، ففزعوا لذلك^(١).

وقول نُقِيل:

وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا

نَصَبَ بَيْنَا نَصَبَ المصدر المؤكَّد لما قبله، إذ كان في معناه، ولم يكن على لفظه، لأن فات: معنى: فارق وبان، كأنه قال: على ما فات قَوْتًا، أو بان بيننا، ولا يصح لأن يكون

(١) روايات كثيرة تفتقر إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

مفعولاً من أجله يعمل فيه تأسى، لأن الأسى باطنٌ في القلب، والبين ظاهر، ولا يجوز أن يكون المفعول من أجله إلا بعكس هذا. تقول: بكى أسفاً، وخرج خوفاً، وانطلق حزناً على كذا، ولو عكست الكلام كان خلفاً من القول وهذا أحد شروط المفعول من أجله، ولعل له موضعاً من الكتاب فنذكره فيه.

وقوله: نَعْمَنَّاكُمْ مع الإصباح عَيْنًا: دعاء، أي: نِعْمنا بكم، فعُدِّي الفعل لما حذف حرفَ الجرِّ، وهذا كما تقول: أنعم الله بك عينا. وقوله في أول البيت: أَلَا حُيِّيتَ عَنَّا يَا رُذَيْنَا. هو اسم امرأةٍ، كأنها سُمِّيت بتصغير رُذْنَةٍ، وهي القطعة من الرَّذَن وهو الحرير. ويقال لِمُقَدِّمِ الكُمِّ: رُذْنٌ، ولكنه مذكَّر، وأما دُرَيْنَةٌ بتقديم الدال على الراء، فهو اسمٌ للأحمق^(١) قاله الخليل.

وقوله: في خير أبرهة: تبعثها مدة تَمُثُ قَيْنًا ودَمًا. أَلْفَيْتُهُ في نسخة الشيخ: تَمُثُ، وتَمُثُ بالضم والكسر. فعلى رواية الضم يكون الفعل متعديًا، ونصب قَيْنًا على المفعول، وعلى رواية الكسر يكون غير مُتَعَدٍّ، ونَصَبَ قَيْنًا على التمييز في قول أكثرهم، وهو عندنا على الحال، وهو من باب: تصبَّب عرقًا، وَتَفَقَّأ شَحْمًا، وكذلك كان يقول شيخنا أبو الحسين في مثل هذا، وقد أفصح سيبويه في لفظ الحال في: ذَهَبَنَ كَلَاكِلًا وَصُدُورًا. وأشرق كاهلًا، وهذا مثله، ولكشف القناع عن حقيقة هذا موضع غير هذا وإنما قلنا: إن مَنْ رواه تَمُثُ بضم الميم، فهو مُتَعَدٍّ، كأنه مضاعف، والمضاعف إذا كان متعديًا كان في المستقبل مضمومًا نحو: رَذَهُ يَرُذُهُ إِلَّا مَا شَذَّ مِنْهُ، نحو عَلَّ يَمْلُ وَيَعْلُ، وَهَرَّ الكَأْسُ يَهْرُ وَيَهْرُ، وإذا كان غير متعَدٍّ كان مكسورًا في المستقبل نحو: خَفَّ يَخِفُّ، وَفَرَّ يَفِرُّ إِلَّا سَتَةَ أَفْعَالٍ جَاءَتْ فِيهَا اللَّغَتَانِ جَمِيعًا، وهي في أدب الكاتب وغيره، فغنيينا بذلك عن ذكرها. على أنهم قد أغفلوا: هَبَّ يَهْبُ وَخَبَّ يَخْبُ وَأَجَّ يَوْجُ إذا أسرع، وشك في الأمر يشك، ومعنى تَمُثُ قَيْنًا: أي: تسيل، يقال: فلان يَمُثُ كما يَمُثُ الرُّقُّ^(٢).

وقوله: يسقط أئْمَلَةٌ أئْمَلَةٌ^(٣) أي: ينتثر جسمه، والأئْمَلَةُ: طرف الأصبع، ولكن قد يُعَبَّرُ بها عن طرف غير الأصبع، والجزء الصغير. ففي مُسْنَدِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أَسَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -: إن في الشجرة شجرةً هي مثل المؤمن، لا تسقط لها أئْمَلَةٌ. ثم قال: هي النخلة، وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة.

(٢) الزق: وعاء من جلد يُصْنَعُ للشراب.

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٠).

(٣) أئْمَلَةٌ: مفرد أنامل وهي أطراف الأصابع.

وقوله: مراثر الشجر يقال: شجرة مُرَّة، ثم تجمع على مراثر، كما تجمع: حُرَّة على حرائر، ولا تعرف فُعْلَةٌ تجمع على فعائل إلا في هذين الحرفين^(١)، وقياس جمعهما فُعل نحو: دُرَّة ودُرر، ولكن الحُرَّة من النساء في معنى: الكريمة والعقيلة، ونحو ذلك، فأجرؤها مَجْرَى ما هو في معناها من الفُعيلة، وكذلك المُرُّ قياسه: أن يقال فيه: مرير؛ لأن المرارة في الشيء طبيعة، فقياسُ فَعْلِهِ: أن يكون فَعْلٌ كما تقول: عَذَّبَ الشيءَ وَقَبَحَ. وَعَسِرَ إذا صار عسيرًا، وإذا كان قياسه فَعْلٌ فقياسُ الصفة منه أن تكون على فَعِيل، والأنثى: فَعِيلَةٌ، والشيء المُرُّ عَسِيرٌ أَكْلُهُ شَدِيدٌ، فأجروا الجمع مجرى هذه الصفات التي هي على فَعِيل؛ لأنها طباع وخصال، وأفعالُ الطباع والخصال كلها تجري هذا المجرى.

وَذَكَرَ الْعُشْرَ. وهو شَجَرٌ مُرٌّ يحمل ثَمَرًا كَالْأَثْرَجِ، وليس فيه مُنْتَفَعٌ، ولبن العُشْرِ تُعَالَج به الجلودُ قبل أن تجعل في المَمِيقَةِ، وهي: المدبغة كما تعالج بالغلقة، وهي شجرة، وفي العُشْرِ: الخَرْفُ والخَرْفُ، وهو شبه القطن ويُجنى من العُشْرِ: المغافير، واحدها: مُغْفَر، ومَغْفِر، وواحدها: مِغْفَر، ويقال لها: سَكْرُ العُشْرِ، ولا تكون المغافير إلا فيه، وفي الرُّمِثِ، وفي الثَّمَامِ، والثَّمَامُ: أكثرُها لَثَى، وفي المثل: هذا الجَنَى لا أن يُكَدَّ المِغْفَرُ^(٢) من كتاب أبي حنيفة.

وذكر ابنُ هشام: الأَبَابِيلَ، وقال: لم يُسَمَّعَ لها بواحدٍ، وقال غيره: واحدها: إِبَالَه، وإِبُول، وزاد ابن عزيز: وإِبِيل، وأنشد ابن هشام لرؤبة:

وَضِيْرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

وقال: ولهذا البيت تفسير في النحو، وتفسيره: أن الكاف تكون حرفَ جَرٍّ، وتكون اسمًا بمعنى: مثل، ويدلُّك أنها حرف: وقوعها صِلَةً للذي؛ لأنك تقول: رأيت الذي كزيد، ولو قلت: الذي مثل زيد لم يحسن، ويدلُّك أنها تكون اسمًا دخولَ حرف الجرِّ عليها، كقوله: وَرُحْنَا بِكَابِنِ المَاءِ يَنْقُضُ رَأْسَهُ. ودخول الكاف عليها، وأنشدوا: وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفِنِ^(٣) [أو يُؤْتَفِنِ]. وإذا دخلت على مثل، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فهي إذا حرف؛ إذ لا يستقيم أن يقال: مثلٌ مثله، وكذلك هي حرف في

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين (٦٤/٦٣) والبخاري في شرح السنة (٣٠٧/١) وأحمد في مسنده (١٢/٢). بلفظ: «لا يسقط ورقها، لا يتحات ورقها».

(٢) المغفر: صمغ حلو يسيل من شجر العرنج أو العرفط.

(٣) جزء من قصيدة لخطام بن نصر بن عياض بن يربوع. هو: المجاشعي.

وإيلاف قريش: إيلافهم الخروج إلى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خَزْجَتان: خَزْجة في الشتاء، وخَزْجة في الصيف. أخبرني أبو زيد الأنصاري: أن العرب تقول: أَلِفْتُ الشيءَ إلفًا، وألفته إيلافًا، في معنى واحد، وأنشدني لذي الرُّمَّة:

من المُؤَلِّفات الرملَ أدماءَ حُرَّة شعاع الضحى في لونها يتوضَّحُ

بيت رُؤبة: «مثل كَعَصِف» لكنها مُقحمة لتأكيد التشبيه، كما أقحموا اللام من قوله: يا بُؤْسَ للحرب، ولا يجوز أن يقحم حرفٌ من حروف الجر سوى اللام، والكاف، أما اللام؛ فلأنها تعطي بنفسها معنى الإضافة، فلم تغيّر معناها، وكذلك الكاف تعطي معنى التشبيه، فأقحمت لتأكيد معنى المماثلة، غير أن دخول مثل عليها كما في بيت رُؤبة قبيح، ودخولها على مثل كما في القرآن أحسن شيء؛ لأنها حرف جرّ تعمل في الاسم، والاسم لا يعمل فيها، فلا يتقدم عليها إلا أن يقحمها كما أقحمت اللام.

وأنشد شاهدًا على العَصيفة قول علقمة، وآخره:

جُدُورُها من أَيْيِ الماءِ مَطْمُومٌ. وهذا البيت أنشده أبو حنيفة في النبات جُدُورُها: هو جمع جَذَرٍ بالجيم، وهي الحواجز التي تحبس الماء، ويقال للجذر حُبَّاسٌ أيضًا: وفي الحديث: «أَمْسِكِ الماءَ حَتَّى يَبْلُغَ الْجَذَرَ، ثم أَرْسِلِيهِ»^(١). وقد ذكر غيره رواية الجيم، وقال: إنما قال: جُدُورُها من أَيْيِ الماءِ مَطْمُومٌ. وأفرد الخبر، لأنه رَدَّه على كُلِّ واحدٍ من الْجَذَرِ كما قال الآخر:

ترى جوانبها بالشَّخْمِ مفتوقا

أي: ترى كل جانب فيها.

فصل: ويقال للعَصيفة أيضًا: أَدْنَةُ^(٢)، ولما تُحيط به الجُدُور التي تمسك الماءَ دَبْرَةً وجبس ومِشارة، ولمَفْتَحِ الماء منها: آغِيَةٌ بالتخفيف والتثقيل [أو أَيْيِ].

وذكر إيلاف قريش للرحلتين، وقال: هو مصدر أَلِفْتُ الشيءَ وألفته فجعله من الإلْفِ للشيء، وفيه تفسير آخر أليق، لأن السفر قطعة من العذاب، ولا تألفه النفس، وإنما تألف الدَّعَةُ والكَيْنُونَةُ مع الأهل. قال الهروي: هي حبال، أي: عهدٌ كانت بينهم وبين ملوك العجم، فكان هاشم يؤلف إلى مَلِكِ الشام، وكان المُطَلِّبُ يؤلف إلى كِسرى، والآخِران يؤالفان أحدهما إلى مَلِكِ مصر، والآخِر إلى ملك الحبشة، وهما: عَبْدُ شمس ونوفل. قال:

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٤٥/٣) وأبو داود (٣٦٣٧) والترمذي (١٣٦٣-٣٠٢٧).

(٢) أدنة: ورق الحنة.

وهذا البيت في قصيدة له، وقال مطرود بن كعب الخزاعي:

الْمُنْعِمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْإِيلَافِ

وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى. والإيلاف أيضًا: أن يكون للإنسان ألف من الإبل، أو البقر: أو الغنم، أو غير ذلك. يقال: ألف فلان إيلافًا. قال الكُميت بن زيد، أحد بني أسد بن خزيمة بن مذكرة بن إلياس بن مضر بن نزار معدّ:

بِعَامٍ يَقُولُ لَهُ الْمُؤَلِّفُو نَ هَذَا الْمُعِيمُ لَنَا الْمُزْجِلُ

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضًا: أن يصير القوم ألفًا، يقال ألف القوم إيلافًا. قال الكُميت بن زيد:

ومعنى يؤلف: يعاهد ويصالح، ونحو هذا، فيكون الفعل منه أيضًا ألفَ على وزن فاعِل، والمصدر إلافًا بغير ياء مثل: قتالًا، ويكون الفعل منه أيضًا ألفَ على وزن أفعل مثل: آمن، ويكون المصدر: إيلافًا بالياء مثل: إيمانًا، وقد قرئ لإلاف قريش بغير ياء، ولو كان من أَلَفْتُ الشيءَ على وزن أفعلت إذا ألفتَه لم تكن هذه القراءة صحيحة، وقد قرأها ابن عامر، فدلَّ هذا على صحة ما قاله الهروي، وقد حكاه عمن تقدّمه. وظاهر كلام ابن إسحق أن اللام من قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ متعلقة بقوله سبحانه: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَضِفٍ مَأْكُولٍ﴾ وقد قاله غيره، ومذهب الخليل وسيبويه: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أي: فليعبدوه من أجل ما فعل بهم. وقال قوم: هي لامُ التعجب، وهي متعلقة بمضمر، كأنه قال: اعجب لإيلاف قريش، كما قال - ﷺ - في سعد بن معاذ - رضي الله عنه!! - حين دفن: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَهَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ضَمَّ فِي قَبْرِهِ، حَتَّى فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ!!»^(١). وقال في عبد حبشي مات بالمدينة: «لَهَذَا الْعَبْدِ الْحَبَشِيِّ جَاءَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَاتِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا»^(٢). أي: اعجبوا لهذا العبد الصالح.

وَأُنْشِدَ لِلْكُمَيْتِ:

بِعَامٍ يَقُولُ لَهُ الْمُؤَلِّفُو نَ: أَهَذَا الْمُعِيمُ لَنَا الْمُزْجِلُ

المؤلف: صاحب الألف من الإبل، كما ذكر، والمُعِيمُ بالميم: من الغنم أي: تجعل تلك السنة صاحب الألف من الإبل يعام إلى اللبن، وتزجله، فيمشي راجلاً، لعَجَفِ الدوابِّ

(١) أخرجه أحمد (٣٢٧/٣) والحاكم (٣٠٦/٣) وصححه.

(٢) أحمد في مسنده (١٣٠/٤).

وَأَلْ مُزَيَقِيَاءَ غَدَاةً لَأَقَوْا بني سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ مُؤَلَفِينَا
وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضًا: أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه
ويلزمه، يقال: ألفتَه إياه إيلافًا. والإيلاف أيضًا: أن تصيّر ما دون الألف ألفًا، يقال:
ألفتَه إيلافًا.

مصير الفيل وسائسه:

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن
سعد بن زُرَّازة، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لقد رأيتُ قائدَ الفيل وسائسه بمكة
أَعْمَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ»^(١).

ما قيل في صفة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق: فلما ردّ الله الحبشة عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النعمة،
أعظمت العربُ قريشًا، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونةَ عدوهم،
فقالوا في ذلك أشعارًا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة، وما ردّ عن قريشٍ من كيدهم.

فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِي بن عَدِي بن قَيْس بن عَدِي بن سَعِيد بن سَهْم بن
عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فهر:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ، إِنَّهَا كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا

وهزأها.

وذكر قول ابن الزُّبَيْرِي: تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ. البيت، ونسبه إلى عَدِي بن سَعِيد بن
سَهْم، وكرر هذا النسب في كتابه مرارًا وهو خطأ، والصواب: سَعْد بن سَهْم، وإنما سَعِيدُ:
أخو سَعْد، وهو في نسب عَمْرُو بن العاص بن وائل. . وقد أنشد في الكتاب ما يدل على
خلاف قوله: وهو قول المُبَرِّق، وهو عبدُ الله بن الحارث بن عَدِي بن سَعْد:

فإِنْ تَكُ كَانَتْ فِي عَدِيٍّ أَمَانَةٌ عَدِي بن سَعْدٍ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ

فقال: عدي بن سعد، ولم يقل: سَعِيد، وكذلك ذكره الواقدي والزُّبَيْرِيُّون وغيرهم.

حول الشعر الذي قيل في الفيل

وقوله: تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا. وهذا خَرَم في الكامل، وقد وجد في غير هذا البيت

(١) أخرجه البزار ورجاله ثقات، قاله الهيثمي في المجمع (٢٨٥/٣).

لم تخلق الشعري ليالي حُرِّمَتْ
سائِلُ أمير الجَيْش عنها ما رَأَى
سُتُونُ الْفَأْ لم يثوبوا أَرْضَهُمْ
كانت بها عادٌ، وَجُزُّهُمْ قَبْلَهُمْ
قال ابن إسحق: يعني ابنُ الزبيري بقوله:

بعد الإياب سقيمها

أبرهة، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصنعاء.

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ثم الخطمي، واسمه: صَيْفِي. قال ابن هشام: أبو قيس: صَيْفِي بن الأسلت بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عامرة بن مرة بن مالك بن الأوس:

ومن صُنْعِهِ يومَ فَيْلِ الحَبْوِ
مَحَاجِثُهُم تَحْتَ أَقْرَابِهِ
وقد جَعَلُوا سَوْطَهُ مِغْوَلًا
فولَّى وأذْبَرَ أَذْرَاجَهُ
فأَرْسَلَ مَنْ قَوَّعَهُمْ حَاصِبًا
تَجُضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ
قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

والقصيدة أيضًا تُروى لأمية بن أبي الصلت.

قال ابن إسحق: وقال أبو قيس بن الأسلت:

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبُّكُمْ، وَتَمَسَّحُوا
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدِّقٌ
كَتَبَتْهُ بِالسَّهْلِ ثُمْسِي، وَرَجَلُهُ
فلما أَتَاكُمْ نَضَرُ ذِي العَرْشِ رَدَّهُمْ
فولَّوْا سَرَاعًا هَارِبِينَ ولم يَؤُبْ
بَارَكَانَ هَذَا البَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
غَدَاةُ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الكِتَابِ
على القاذفات في رُؤُوسِ المَنَاقِبِ
جنودُ المَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبٍ
إلى أَهْلِهِ مِلْجِنَشٍ غَيْرُ عَصَائِبِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله:

على القاذفات في رؤوس المناقب

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس، سأذكرها في موضعها إن شاء الله. وقوله: «غداة أبي يكسوم»: يعني: أبرهه، كان يكنى أبا يكسوم.

قال ابن إسحق: وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب:

ألم تعلموا ما كان في حزب داحس وجيش أبي يكسوم إذا ملؤوا الشُّعْبَا

فلولا دفاعُ الله لا شيءٌ غيرُهُ لأصبحتم لا تمنعونَ لكم سِرْبَا

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثَّقَفِي في شأن الفيل، ويذكر الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام. قال ابن هشام: تُروى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثَّقَفِي:

إنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ثَائِبَاتٌ لَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ

خَلِقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلُّ مُسْتَبِينٍ حِسَابُهُ مَقْدُورٌ

ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٍ بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنُشُورٌ

حُبِسَ الْفِيلُ بِالْمُعَمَّسِ، حَتَّى ظَلَّ يَخْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورٌ

لَا زِمَا حَلَقَةُ الْجِرَانِ كَمَا قُطِّعَ مِنْ صَخَرٍ كَبْكَبٍ مَخْدُورٌ

حَوْلَهُ مِنْ مَلُوكٍ كِنْدَةُ أَبْطَا لَمْ يَلَاوِيكَ فِي الْحُرُوبِ صُقُورٌ

خَلَفُوهُ ثُمَّ ابْدَعُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُورٌ

كُلُّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ بِهِ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ بُورٌ

قال ابن هشام: وقال الفرزدق - واسمه هَمام بن غالب أحد بني مُجاشع بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَة بن مالك بن زَيْد مَنَاة بن تميم - يمدح سليمان بن عبد الملك بن مَرْوَان، ويهجو الحَجَّاج بن يوسف، ويذكر الفيل وجيشه:

فَلَمَّا طَغَى الْحَجَّاجُ حِينَ طَغَى بِهِ غَنَى قَالَ: إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلَالِمِ

فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ: سَارْتَقِي إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمِ

رَمَى اللّهُ فِي جُثْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى عَنْ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ
جُنُودًا تَسُوقُ الْفِيلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ هَبَاءً، وَكَانُوا مُطَرِّخِمِي الطَّرَاخِمِ
نُصِرَتْ كَنْصَرِ الْبَيْتِ إِذْ سَاقَ فِيْلَهُ إِلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الْأَعَاجِمِ
وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن قيس الرقيّات. أحد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة - وهو الأشرم - والفيل:

كَادَهُ الْأَشْرَمُ الَّذِي جَاءَ بِالْفِيلِ لَ فَوَلَّى وَجَيْشُهُ مَهْزُومٌ
وَاسْتَهْلَتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجَدِّ نَدَلَ حَتَّى كَأَنَّهُ مَرْجُومٌ
ذَاكَ مَنْ يَغْرُزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعُ. وَهُوَ قَلٌّ مِنَ الْجِيُوشِ دَمِيمٌ
وهذه الأبيات في قصيدة له .

ولدا أبرهة:

قال ابن إسحاق: فلما هلك أبرهة، مَلَكَ الْحَبْشَةُ ابْنُهُ يَكْسُومُ بْنُ أَبْرَهَةَ، وَبِهِ كَانَ يَكْنَى، فَلَمَّا هَلَكَ يَكْسُومُ بْنُ أَبْرَهَةَ، مَلَكَ الْيَمَنَ فِي الْحَبْشَةِ أَخُوهُ مَسْرُوقُ بْنُ أَبْرَهَةَ.

في أشعار هذا الكتاب الْخَرْمُ فِي الْكَامِلِ، وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَدْخُلَ الْخَزْمُ فِي مُتَفَاعِلٍ، فَيُحْذَفُ مِنَ السَّبَبِ حَرْفٌ، كَمَا حُذِفَ مِنَ الْوَتْدِ فِي الطَّوِيلِ حَرْفٌ، وَإِذَا وَجَدَ حَذْفَ السَّبَبِ الثَّقِيلَ كُلَّهُ، فَأَحْرَى أَنْ يَجُوزَ حَذْفُ حَرْفٍ مِنْهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ ابْنِ مُقَرَّغٍ:

هَامَةٌ^(١) تَدْعُو صَدَى بَيْنَ الْمُشَقَّرِ^(٢) وَالْيِمَامَةِ^(٣)
وَهُوَ مِنَ الْمُرْقَلِّ، وَالْمَرْقَلُّ مِنَ الْكَامِلِ. أَلَا تَرَى أَنْ قَبْلَهُ:

وَشَرِيئْتُ بُزْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُزْدٍ كُنْتُ هَامَةً

فَالْمَحْذُوفُ مِنَ الطَّوِيلِ إِذَا خُرِمَ حَرْفٌ مِنْ وَتْدٍ مُجْمُوعٍ، وَالْمَحْذُوفُ مِنَ الْكَامِلِ إِذَا خُرِمَ: حَرْفٌ مِنْ سَبَبٍ ثَقِيلٍ، بَعْدَهُ سَبَبٌ خَفِيفٌ، وَلَمَّا كَانَ الْإِضْمَارُ فِيهِ كَثِيرًا، وَهُوَ إِسْكَانُ التَّاءِ مِنْ مُتَفَاعِلِينَ، فَمِنْ ثَمَّ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: لَا يَجُوزُ فِيهِ الْخَزْمُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤْوِلُ إِلَى الْإِبْتِدَاءِ بِسَاكِنٍ، وَهَذَا الْكَلَامُ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ بَارِدٌ غَثٌّ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي يَدْخُلُهَا الْخَزْمُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ فِيهَا إِضْمَارٌ نَحْوُ: تَنْكَلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ، وَالَّتِي يَدْخُلُهَا الْإِضْمَارُ، لَا يَتَصَوَّرُ فِيهَا الْخَزْمُ نَحْوُ: لَا

(١) الهامة: من طير الليل وهو الصدى. (٢) المشقر: حصن بين البحرين ونجران.

(٣) اليمامة: بلد بنجد.

يَتَعَدَّن قومي، ونحو قوله: «لَمْ تُخْلَقِ الشُّعْرَى لِيَالِي حُرْمَتِ» فتعليقه في هذا الشعر إذا لا يفيد شيئاً، وما أبعد العرب من الالتفات إلى هذه الأغراض التي يستعملها بعض النحاة، وهي أوهى من نسج الخَزَزَتِي^(١).

وقوله:

لَمْ تُخْلَقِ الشُّعْرَى لِيَالِي حُرْمَتِ

إن كان ابن الزُبَيْرِي قال هذا في الإسلام فهو مُتَنَزَّعٌ من قول النبي - ﷺ -: «إن الله حَرَّمَ مَكَّةَ، ولم يحرمها الناس»^(٢). ومن قوله في حديث آخر: «إن الله حَرَّمَها يوم خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ»^(٣)، والتربة خُلِقَتْ قبل خلق الكواكب، وإن كان ابن الزُبَيْرِي، قال هذا في الجاهلية، فإنما أخذه - والله أعلم - من الكتاب الذي وجدوه في الحجر بالخط المُسَنَّد حين بَنَوْا الكعبة، وفيه: أَنَا اللَّهُ رَبُّ مَكَّةَ خَلَقْتُهَا يوم خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ. الحديث.

وقوله: «ولم يَعِشْ بعد الإِيَابِ سَقِيمُهَا» هكذا في النسخة المقيمة على أبي الوليد المقابلة بالأضلين اللذين كانا عنده، وقابلها أبو بَحْرٍ - رحمه الله - بهما مرتين، وَحَسِبَ بعضهم أَنَّهُ كَسَرَ في البيت، فزاد من قَبْلِ نفسه، فقال: بل لم يَعِشْ. فأفسد المعنى، وإنما هو حَزَمٌ في أول القسم من عَجَزَ البيت كما كان في الصَّدْر من أول بيت منها.

وقول قيس بن الأسَلَبِ: مثل لَفَ الْقَرْمِ. الْقَرْمُ: صِغار الْعَنَمِ. ويقال: رُدَّال المال، ورَزَمَ: ثبت ولَزِمَ موضعه، وأزَمَ من الرِّزِمِ، وهو صوتٌ ليس بالقوي، وكذلك صَوْتُ الفيل ضَبِيلٌ على عِظَمِ خَلْقَتِهِ، وَيَفْرُقُ من الهَرِّ وَيَنْفِرُ منه، وقد اختلَّ على الْفَيْلَةِ في بعض الحروب مع الهند. أَحْضَرَتْ لها الهَرَّةُ، فَدَعَرَتْ وَوَلَّتْ، وكان سبباً لهزيمة القوم. ذكره المسعودي، ونَسَبَ هذه الحيلة إلى هُروَن بن موسى حين غزا بلادَ الهند، وأولُ مَنْ ذَلَّلَ الْفَيْلَةَ - فيما قال الطبري - أفريدون بن أثفيان، ومعنى أثفيان: صاحب البقر، وهو أولُ مَنْ نَتَجَ الْبَغَالَ، واتخذ للخيل السروج والوُكُفَ^(٤) - فيما ذكروا - وأما أولُ مَنْ سَخَّرَ الْخَيْلَ وركبها «فطمهورث» وهو الثالث من ملوك الأَرْضِ - فيما زعموا - وثَوَاجُ الْغَنَمِ: صَوْتُهَا، ووقع في النسخة: ثَجُّوا، وعليه مكتوب: الصواب: ثَأَجُوا كَثُوجَ الْغَنَمِ.

(١) الخزرنق: العنكبوت.

(٢) «صحيح». أخرجه أحمد (٢٨٥/٦) والترمذي (١٤٠٦).

(٣) «صحيح». أخرجه البخاري (١٩٤/٥) وابن ماجه (٣٠٠٩) وأحمد (٣٢/٤).

(٤) الوكف: جمع وكاف بردعة الحمار.

وقول ابن الأنسل: فقوموا، فصلُّوا رِئِكُمْ وَتَمَسَّخُوا. سيأتي شرحُ هذه الأبيات في القصيدة حيث يذكرها ابن إسحق بكمالها - إن شاء الله.

وذكر قول طالب بن أبي طالب: «فأصبحتم لا تمنعون لكم سَرْبًا» ويروى سَرْبًا بالكسر، والسَرْب بالفتح: المال الراعي^(١)، والسَرْب بالكسر: القطيع من البقر والظباء، ومن النساء أيضًا. قال الشاعر:

فلم تَرَعَيْنِي مثل سَرْبِ رَأْيْتِهِ خَرَجَنَ عَلَيْنَا من رُقَاق ابن واقف

وطالب بن أبي طالب كان أَسَنَ من عَقِيلٍ بعشرة أعوام، وكان عَقِيلٌ أَسَنَ من جعفر بعشرة أعوام، وجعفر أَسَنَ من عليّ - رضي الله عنه - بمثل ذلك، وذكروا أن طالبًا اختطفته الجنّ، فذهب، ولم يذكر أنه أَسَلَمَ^(٢).

وذكر شعر أبي الصَّلْت، واسمه: ربيعة بن وهب بن علاج. وفيه حبس الفيل بالمُعَمِّسِ وأن كسر الميم الآخرة أشهرُ فيه. وفيه: بِمَهَاةٍ شَعَاعُهَا منشور. والمَهَاة: الشمس، سُمِّيت بذلك لصفائها، والمَهَامِنُ الأجسام: الصافي الذي يُرى باطنه من ظاهره. والمهارة: البِلُورَةُ، والمهارة: الطَّبِيَّة. ومن أسماء الشمس: الْغَزَالَةُ إذا ارتفعت، فهذا في معنى المَهَاة. ومن أسمائها: الْبُتَيْرَاء. سُئِلَ عليّ بن أبي طالب - رضوان الله عليه - عن وقت صلاة الضحى، فقال: حتى ترتفع الْبُتَيْرَاء. ذكره الهروي والخطابي، ومن أسمائها: حَنَازٍ، وَبَرَاخ، والضُّح، ودُكَاء، والجارية والبيضاء، وبُوح، ويقال: يُوْحُ بالياء، وهو قول الفارسي، وبالباء ذكره ابن الأنباري، والشَّرْقُ والسَّراج.

وقوله: «حَلَقَهُ الْجِرَانُ» الْجِرَانُ: العُنُق يريد: ألقى بجرائه إلى الأرض، وهذا يقوي أنه برك كما تقدم، ألا تراه يقول: كما قَطَرَ^(٣) من صَخَرٍ كَبْكَبٍ، وهو: جَبَلٌ. مَحْدُورٌ أي: حَجَرَ حَذَرَ حتى بلغ الأرض.

وقوله: ابْذَعُرُوا: تفرقوا من دُغَرٍ، وهي كلمة مَنُحَوْتَةٌ من أصلين من البَذَرِ والدُّعَر. وقوله: إلا دين الحنيفة. يريد: بالحنيفة: الأمة الحنيفة، أي: المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف - ﷺ - وذلك: أنه حَتَفَ عن اليهودية والنصرانية، أي عدل عنها، فسَمِّيَ حنيفًا، أو حَتَفَ عَمَّا كان يعبد آباؤه وقومُه.

(٢) تقدم التنبيه إلى خرافة خطف الجن للإنس.

(١) المال الراعي: الماشية.

(٣) قَطَرَ: رمى به على جانبه.

خروج سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن

سيف وشكواه لقيصر:

فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن الحميري وكان يكنى

وقوله في شعر الفرزدق: كما قال ابن نوح. اسمه: يام، وقيل: كنعان.

وقوله: «مُطَرِّخُمِي الطَّرَاخِم» الْمُطَرِّخُم: الممتلىء كبراً أو غَضَبًا. والطَّرَاخِم: جمع مُطَرِّخٍ على قياس الجمع، فإن الْمُطَرِّخِمَ اسمٌ من ستة أحرف، فيُحذف منه في الجمع والتصغير ما فيه من الزوائد، وفيه زائدتان: الميم الأولى، والميم المدغمة في الميم الآخرة؛ لأن الحرف المضاعف حرفان، يقال في تصغير مُطَرِّخُم: طُرَيْخُم، وفي جمعه: طراخم، وفي مُسَبِّطٍ: سَبَّاطِر، وذكره يعقوبٌ في الألفاظ بالغين، فقال: اطرَعَمَ الرجلُ، ولم يذكر اللَّخَاءَ.

وذكر عبد الله بن قيس الرقيّات. واختلف في تلقيبه: قيس الرقيّات، فقيل: كان له ثلاث جدّات كلهنّ: رقية، فمن قال فيه: ابن الرقيّات، فإنه نسبه إلى جدّاته، ومن قال: قيس الرقيّات دون ذكر ابن، فإنه نُسِبَهُ، وقيل: بل شَبَبَ بثلاث نسوة كلهنّ تسمى: رقية، وقيل: بل بيت قاله وهو: «رُقِيَّةٌ ما رُقِيَّةٌ ما رُقِيَّةٌ أيها الرجل». وقال الزبير: كان يُشَبَّبُ بِرُقِيَّةَ بنت عبد الواحد بن أبي السرح من بني ضباب بن حُجَيْر بن عَبْدِ بن مَعِيص، وبابنة عمّ لها اسمها رقية، وهو ابن قيس بن شُرَيْح من بني حُجَيْر أيضًا، وحُجَيْرُ أخو حُجَر بن عبد بن مَعِيص بن عامر رهط عمرو بن أمّ مَكْتُوم الأعمى.

وقوله: «حتى كأنه مَرْجُومٌ» وهو قد رُجِمَ، فكيف شَبَّهه بالمرجوم وهو مَرْجُومٌ بالحجارة، وهل يجوز أن يُقال في مقتول: كأنه مقتول؟ فنقول: لما ذكر استهلال الطير، وجعلها كالسحابِ يَسْتَهْلُ بالمطر، والمطر ليس برجم، وإنما الرجم بالأكف ونحوها، شَبَّهه بالمرجوم الذي يَرْجُمُهُ الأدميون، أو مَنْ يَغْفُلُ ويتعمد الرجم من عدوّ ونحوه، فعند ذلك يكونُ المقتولُ بالحجارة مَرْجُومًا على الحقيقة، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك، وإنما أمطروا حجارةً فمن ثم قال: كأنه مرجوم.

سيف بن ذي يزن وكسرى

وذكر سيف بن ذي يزن خبره مع النعمان وكسرى، وقد ذكرنا قصته في أول حديث الحبشة، وأنه مات عند كسرى، وقام ابنه مقامه في الطلب، وهو سَيْفُ بن ذي يزن بن ذي أصْبَح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن

بأبي مُرّة، حتى قَدِمَ على قيصر ملك الرّوم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويُلِيَهُم هو، ويبيعث إليهم مَنْ شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُشكِه.

شفاعة النعمان لدى كسرى:

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر - وهو عامل كسرى على الحيرة، وما يليها من أرض العراق - فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وفادةً في كلّ عام، فأقيم حتى يكون ذلك، ففعل، ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه مثل القنقل العظيم - فيما يزعمون - يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، مُعلّقًا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يُدخل رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كُشِفَتْ عنه الثياب، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك، إلا بَرَكَ هيبَةً له، فلما دخل عليه سيفٌ بن ذي يزن بَرَك.

كسرى يعاون ابن ذي يزن:

قال ابن هشام: حدّثني أبو عبيدة: أن سَيْفًا لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك: إن هذا الأحمق يدخل عليّ من هذا الباب الطويل، ثم يطأطأ رأسه؟! فقيل ذلك لسيف، فقال: إنما فعلتُ هذا لهمي، لأنه يَضِيقُ عنه كلّ شيء.

قال ابن إسحق: ثم قال له: أيها الملك، غَلَبَتْنَا على بلادنا الأغرِبَةُ، فقال له كِسْرَى: أيّ الأغرِبَةِ: الحبشة أم السُّند؟ فقال: بل الحبشة، فجئتكَ لَتَنْصُرَنِي، ويكون مُلْكُ بلادِي لك، قال: بَعُدْتَ بلادُكَ مع قَلَّةِ خَيْرِها، فلم أكن لأورطَ جيشًا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازته بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كُسُوَّةً حسنة، فلما قبض ذلك منه سَيْفٌ خرج، فجعل ينثر ذلك الورق للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إن لهذا لشأنا، ثم بعث إليه، فقال: عَمَدْتَ إلى جِباة الملك تَنَثُرُهُ للناس، فقال: وما أصنع بهذا؟ ما جبال أَرْضِي التي جثت منها إلا ذَهَبٌ وفضة - يرغب فيها -

وائل بن العَوث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن الهمَيْسَع بن العَرَنَجَج وهو: جَمِيْر بن سبأ، وكسرى هذا هو: آثو شروان بن قَبَاذ، ومعناه مُجَدِّدُ المُلْك، لأنه جَمَعَ مُلْكَ فارس بعد شتات. والنُّعْمَانُ: اسمٌ منقول من النُّعْمَانِ الذي هو الدُم. قاله صاحبُ العين، والقنقل الذي شبه به التاج هو ميكال عظيم. قال الراجز يصف الكمأة:

مالك لا تَجْرُفُها بالقنقل لا خير في الكمأة إن لم تفعل

فجمع كسرى مَرَايَبَهُ، فقال لهم: ماذا تَرَوْنَ في أمر هذا الرجل، وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إن في سُجُونِكَ رجالاً قد حَسَبْتَهُمْ لِلْقَتْلِ، فلو أنك بعثتهم معه، فإنَّ يَهْلِكُوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظَفِرُوا كان مُلْكًا ازدَدَّتْهُ، فبعث معه كسرى مَنْ كان في سجونِه، وكانوا ثمانمائة رجل.

انتصار سيف وقول الشعراء فيه:

واستعمل عليهم رجلاً يقال له وَهْرَز، وكان ذا سَنٍّ فيهم، وأفضلهم حسَبًا وَبَيِّنًا، فخرجوا في ثمان سفائن، ففَرَقَتْ سفينتان، ووصل إلى ساحل عَدَن سِتُّ سفائن، فجمع سَيْفٌ إلى وَهْرَز مَنْ استطاع من قومه، وقال له: رَجُلِي مع رَجْلِكَ حتى نموت جميعًا، أو نظفر جميعًا. قال له وهْرَز: أنصفت، وخرج إليه مَسْرُوق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وَهْرَز ابناً له؛ ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقتل ابنُ وَهْرَز، فزاده ذلك حَقًّا عليهم، فلما تواقف الناس على مَصَافِهِمْ، قال وَهْرَز: أُرُونِي مَلِكَهُمْ، فقالوا له: أترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجه على رأسه، بين عَيْنَيْهِ ياقوتة حمراء؟ قال: نعم، قالوا: ذاك مَلِكُهُمْ، فقال: اتركوه، قال: فوقفوا طويلاً، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحوّل على الفَرَس، قال: اتركوه. فوقفوا طويلاً، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحوّل على البغلة. قال وَهْرَز: بنتُ الحمار ذلٌّ وذلٌّ مُلْكُهُ، إني سأزيمه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا، فاثبتوا حتى أؤذنكم، فإني قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به، فقد أصبتُ الرجل، فاحملوا عليهم. ثم وَثَرَ قوسه، وكانت فيما يزعمون لا يُؤثرها غيره من شدتها، وأمر بحاجيته، فعُصِّبَ له، ثم رماه، فصكَّ الياقوتة التي بين عينيه، فتغلغلت الثُّشَابَةُ في رأسه حتى خرجت من قفاه،

وفي الغربيين للهروي: الْقَتْلُ: مِكْيَالٌ يسع ثلاثة وثلاثين مَنًا، ولم يذكر كم الْمَنَّا، وأحسبه وزن رطلين، وهذا التاج قد أتى به عُمَرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - حين استلب مِنْ يَزْدَجَرْد بن شهريار، تصيّر إليه من قبل جدّه أنو شروان المذكور، فلما أتى به عمر رضي الله عنه، دعا سُرَاقَةَ بن مالك الْمُذَلِّجِي، فحلاه بأسورة كسرى، وجعل التاج على رأسه، وقال له: «قل: الحمد لله الذي نَزَعَ تاجَ كسرى، مَلِكِ الْأُمَلَاكِ من رأسه، ووضعَه في رأسِ أعرابي من بني مُذَلِّج، وذلك بعزِّ الإسلام وبركته لا بِقُوَّتِنَا» وإنما خَصَّ عمر سُرَاقَةَ بهذا؛ لأنَّ رسول الله - ﷺ - كان قال له: «يا سُرَاقُ كيف بك إذا وُضِعَ تاجُ كسرى على رأسِكَ وإسوارُه في يديك»^(١) أو كما قال ﷺ.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٣١/٣).

وَنُكِسَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَاسْتَدَارَتِ الْحَبْشَةُ وَلَاثَتْ بِهِ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْفُرْسُ، وَانْهَزَمُوا، فَقَتَلُوا وَهَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَأَقْبَلَ وَهْرَزُ، لِيَدْخُلَ صَنْعَاءَ، حَتَّى إِذَا أَتَى بَابَهَا، قَالَ: لَا تَدْخُلِي رَايَتِي مُنْكَسَةً أَبَدًا، أَهْدِمُوا الْبَابَ، فَهَدِمُوا، ثُمَّ دَخَلَهَا نَاصِبًا رَايَتَهُ فَقَالَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ الْحَمِيرِيُّ:

يَظُنُّ النَّاسُ بِالْمَلِكَيْنِ	أَنَّهُمَا قَدْ التَّامَا
وَمَنْ يَسْمَعُ بِالْأَمْهِمَا	فَإِنَّ الْخَطْبَ قَدْ قَعَمَا
قَتَلْنَا الْقَيْلَ مَسْرُوقًا	وَرَوَيْنَا الْكَثِيبَ دَمَا
وَإِنَّ الْقَيْلَ قَيْلَ النَّاسِ	سِ وَهَرَزُ مُفْسِمٌ قَسَمَا
يَذُوقُ مُشْغَشَعًا حَتَّى	يُفِيءَ السُّبْنِي وَالنَّعَمَا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له. وأنشدني خلاد بن قرّة السدوسي آخرها بيتاً لأعشى بني قيس بن ثعلبة في قصيدة له وغيره من أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

وذكر قُدوم سيف مع وَهْرَزٍ عَلَى صَنْعَاءَ فِي سِتْمَائَةَ، وَقَدْ قَدَّمْنَا قَوْلَ ابْنِ قُتَيْبَةَ أَنَّهُمْ كَانُوا سَبْعَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ، وَانْضَافَتْ إِلَيْهِمْ قِبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ.

صَنْعَاءُ:

وذكر دخول وَهْرَزٍ صَنْعَاءَ وَهَدَمَهُ بِبَابِهَا، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَسْمَى قَبْلَ ذَلِكَ أَوَالَ.

قال ابن الكلبي: وَسُمِّيَتْ: صَنْعَاءُ لِقَوْلِ وَهْرَزٍ حِينَ دَخَلَهَا: صَنْعَةُ صَنْعَةٍ، يَرِيدُ أَنَّ الْحَبْشَةَ أَخْكَمَتْ صَنْعَهَا، قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ يَذْكُرُ أَوَالَ:

عَمَدُ الْحُدَاةِ بِهَا لِعَارِضٍ قَرِيَةٍ وَكَأَنَّهَا سُفُنٌ بِسَيْفِ أَوَالَ
وقال جرير:

وَشَبِهَتْ الْحُدُوجُ غَدَاةَ قَوْ سَفِينِ الْهِنْدِ رَوْحَ مَنْ أَوَالَ
وقال الأخطل:

خُوصٍ، كَأَنَّ شَكِيمَهُنَّ مُعَلَّقٌ بِقَفَا رُدَيْئَةٍ، أَوْ جُدُوعِ أَوَالَ

وقد قيل إن صَنْعَاءَ اسْمُ الَّذِي بَنَاهَا، وَهُوَ: صَنْعَاءُ بْنُ أَوَالَ بْنِ عَبِيرِ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِحٍ، فَكَانَتْ تُعْرَفُ تَارَةً بِأَوَالَ، وَتَارَةً بِصَنْعَاءَ.

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، قال ابن هشام: وتروى
لامية بن أبي الصلت:

لِيَطْلُبَ الْوِثْرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزِينَ
يَمُومَ فَيَنْصَرَّ لِمَا حَانَ رِخْلَتُهُ
ثُمَّ انْثَنَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةِ
مَتَى أَتَى بَيْنِي الْأَخْرَارَ يَخْمِلُهُمُ
لِلَّهِ دَرُّهُمْ مِنْ غَضَبَةِ خَرَجُوا
بِضًا مَرَازِبَةً، غُلْبًا أَسَاوِرَةً
يَرْمُونَ عَنْ شُدْفٍ كَأَنَّهَا غُبُطٌ
أَرْسَلَتْ أَسَدًا عَلَى سُودِ الْكِلابِ فَقَدْ
فَاشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ الثَّاجُ مُزْتَفِقًا
وَاشْرَبَ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قُعْبَانٍ مِنْ لَبَنٍ
قال ابن هشام: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتًا قوله:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قُعْبَانٍ مِنْ لَبَنٍ

شرح لامية ابن أبي الصلت:

وقوله في شعر أمية بن أبي الصلت: رِيمٌ فِي الْبَحْرِ. أي: أقام فيه، ومنه الروايم،
وهي الأنافي، كذلك وجدته في حاشية الشيخ التي عارضها بكتابي «أبي الوليد الوقشي»،
وهو عندي غلط، لأن الروايم من رَأَمَتْ إِذَا عَطَفَتْ، وَرِيمٌ لَيْسَ مِنْ رَأَمٍ، وإنما هو من
الرَّيْمِ، وهو الدَّرَجُ، أو من الرِّيمِ الذي هو الزيادة والفضل، أو من رام يَريم إذا برح، كأنه
يريد: غاب زمانًا، وأحوالًا، ثم رجع للأعداء، وارتقى في دَرَجات المجد أحوالًا إن كان من
الرَّيْمِ الذي هو الدَّرَجُ، ووجدته في غير هذا الكتاب: حَيْثُ مَكَانَ رِيمٍ، فهذا معناه: أقام.

وقوله: عَمْرِي. أراد: لَعَمْرِي وقد قال الطائي:

عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ، وَإِنَّهُ لَمَنْ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفَقُ
وقوله: أَسْرَعَتْ قَلْقَلًا بَفَتْحِ الْقَافِ وَكسرها، وكقول الآخر: «وَقَلْقَلٌ يَبْغِي الْعَزَّ كُلَّ
مُقَلْقَلٍ» وهي شدة الحركة.

فإنه للنابعة^(١) الجعدي. واسمه: [جَبَّانُ بن] عبد الله بن قيس، أحد بني جَعْدَةَ بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَغَصَةَ بن معاوية بن بكر بن هوازن، في قصيدة له.

وقوله: «يرمون عن شُدْف كأنها غبط» الشُدْف: الشخص، ويجمع على شُدْف، ولم يرد ههنا إلا الْقَيْسِي، وليس شُدْف جمعاً لشُدْف، وإنما هو جمع شُدُوف، وهو النشيط المرح يقال: شَدِفَ، فهو شَدِيفٌ، ثم تقول: شُدُوف، كما تقول مَرُوح، وقد يستعار المَرَح والنشاط للْقَيْسِي لِحُسْن تَأْيِيها وجوده رَمِيها وإصابتها، وإنما احتجنا إلى هذا التأويل، لأن فَعَلًا لا يجمع على فَعُل إلا وَثَنٌ وَوُثْنٌ، فإن قلت: فيجمع على فُعُول مثل: أسود، فتقول: شُدُوف، ثم تجمع الجمع، فتقول: شُدْف، قلنا: الجمع الكثير لا يجمع، وإنما يجمع منه أَثْنِيَةُ القليل. نحو: أفعال وأفعل وأفعله، وأشبه ما يقال في هذا البيت: إنه جمع على غير قياس، هذا إن كان الشُدْف: الْقَيْسِي، ويجوز أن يكون جمع شَدَفًا على شُدْف مثل: أسد وأسد، ثم حَرَك الدال، وجائز أن يكون أراد: المَرَح من الخيل كما تقدم. وجعلها كَالْغُبُط لإشراف ظهورها وعلوها.

وقوله: يرمون عن شُدْف أي: يدفعون عنها بالرمي، ويكون الزُمَخْرُ: الْقَيْسِي^(٢)، أو النَّبَل. والغُبُط: الْهَوَادِجُ، والزُمَخْرُ: الْقَصَبُ الفارسي.

وقوله: في رأس غُمدان. ذكر ابن هشام أن غُمدان أسسه يعرب بن قحطان وأكملة بعده، واحتله وائل بن حمير بن سبأ، وكان ملكاً متوجاً كأييه وجده.

وقوله: شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ، أي: هلكوا، والنعام: باطنُ الْقَدَم، وشالت ارتفعت، ومَن هلك ارتفعت رِجلاه، وانكسر رأسه، فظهرت نَعَامَةُ قدمه، تقول العرب: تَنَعَّمَتْ إِذَا مشيت حافيًا، قال الشاعر:

تَنَعَّمْتُ لما جاءني سوء فعلهم ألا إنما البأساء لِلْمُتَنَعِّمِ
والنعامه أيضًا: الظلمة، والنعام: الدَّعَامَةُ التي تكون عليها الْبَكْرَةُ، والنعام: الجماعة من الناس، وابن النعام: عرق في باطن القدم.

النابعة وعدي بن زيد:

وذكر النابعة الجعدي واسمه: قيس بن عبد الله، وقيل إن اسمه: جَبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوح، وَالْوَحْوح في اللغة: وسط الوادي، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة، وهو أحد

(١) النابعة: الرجل العظيم الشأن.

(٢) الزمخر: المزمار والنشاب والكثير الملتف من الشجر.

قال ابن إسحاق: وقال عدي بن زيد الحيرتي، وكان أحد بني تميم. قال ابن هشام: ثم أحد بني امرئ القيس بن زيد مائة بن تميم، ويقال: عدي من العباد من أهل الحيرة:

ما بعد صنعاء كان يغمُرُها	ولاءُ مُلكٍ جَزَلٍ مواهبُها
رَفَعَهَا مَنْ بَنَى لَدَى قَزَعِ الْ	مُزْنِ وَتَنَدَى مِسْكَاً مَحَارِبُهَا
مَحْفُوفَةً بِالْجِبَالِ دُونَ عُرَى الْ	كَائِدِ مَا تُرْتَقَى غَوَارِبُهَا
يَأْتُسُ فِيهَا صَوْتُ الثُّهَامِ إِذَا	جَاوَبَهَا بِالْعَشِيِّ قَاصِبُهَا
سَاقَتْ إِلَيْهِ الْأَسْبَابُ جُنْدَ بَنِي الْأَخْ	رَارِ فِرْسَائِهَا مَوَاكِبُهَا
وَقَوَّزَتْ بِالْبِغَالِ تُوسِقُ بِالْ	حَتَفٍ وَتَسْعَى بِهَا تَوَالِبُهَا
حَتَّى رَأَاهَا الْأَقْوَالُ مِنْ طَرْفِ الْ	مَنْقَلٍ مُخَضَّرَةٍ كَتَائِبُهَا
يَوْمٍ يُنَادُونَ آلَ بَرْبِرٍ وَالْ	يَكْسُومِ لَا يُفْلِحَنَّ هَارِبُهَا
وَكَانَ يَوْمَ بَاقِي الْحَدِيثِ وَزَا	لَتْ إِمَّةٌ ثَابِتٌ مَرَاتِبُهَا
وَبُدِّلَ الْفَنَيجُ بِالزَّرَافَةِ وَالْأَيَا	مُ جُودٌ جَمٌّ عَجَائِبُهَا
بَعْدَ بَنِي تُبْعَ نَخَاوِرَةٌ	قَدْ أَطْمَأْنَتْ بِهَا مَرَاذِبُهَا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له. وأنشدني أبو زيد الأنصاري ورواه لي عن الْمُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ، قوله:

يوم ينادن آل بربر واليَكْسُومِ

وهذا الذي عنى سطيح بقوله: «إليه إرم ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن». والذي عنى شق بقوله: «غلام ليس بدني، ولا مُدن، يخرج عليهم من بيت ذي يزن».

النوابغ، وهم ثمانية ذكرهم البكري، وذكر الأعاشي وهم خمسة عشر. والناطقة شاعرٌ مُعَمَّرُ عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها في الجاهلية، وقدمه على رسول الله - ﷺ - وإنشاده إياه، ودعاء النبي - ﷺ - أَلَا يَقْضِ اللَّهُ فَاهَ مَشْهُورٌ^(١)، وفي كتب الأدب والخبر مسطور، فلا معنى للإطالة به.

(١) «إسناده ضعيف». أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٧٤/١) من طريق يعلى بن الأشدق وهو ساقط. انظر القصيدة في الأغاني (٦/٥) وانظر أيضًا الإصابة (٢١٨/٦) والمطالب العالية (٤٠٦٥/٤).

وذكر شعر عدي بن زيد العبادي، نُسب إلى العباد، وهم من عبد القيس بن أفضى بن دُعْمِي بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة، قيل: إنهم انتسلوا من أربعة: عبد المسيح، وعبد كلال، وعبد الله، وعبد ياليل، وكذلك سائرهم في اسم كل واحد منهم: عَدْد، وكانوا قَدِمُوا على ملك فَتَسَمَّوْا له، فقال: أنتم العباد فَسَمُّوا بذلك، وقد قيل غير هذا. وفي الحديث المسند: أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد^(١)، وأحسبهم هؤلاء؛ لأنهم تنصروا، وهم من ربيعة، ثم من بني عبد القيس، والله أعلم. والذي ذكره الطبري في نسب عدي بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصَيَّة بن امرئ القيس بن زيد مَنَاء بن تميم. وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مَنَاء في العباد. فلذلك ينسب عدي إليهم.

وقوله: صَوْتُ الثَّهَام، يريد ذَكَرَ اليوم، وقاصبُها: الذي يزمُر في القصب.

وقوله فيها: دُونِ غُرَى الكائِد يريد: غُرَى السماء وأسبابها^(٢)، ووقع في نسخة الشيخ: غُرَى بفتح العين، وهي الناحية، وأضافها إلى الكائد، وهو الذي كادهم، والباري - سبحانه وتعالى - كِيدُهُ متين.

وقوله: قَوَّزَتْ بالبغال أي: ركبَت المفاوز^(٣).

وقوله: تُوسِّقُ بالحتف، أي: أوسق البغالَ الحتوف، وتَوَالِبُها: جمع تَوَلَّب، وهو ولد الحمار، والتاء في تَوَلَّب بدل من واو، كما في تَوَّءَم^(٤) وتَوَلَّج^(٥) وفي تَوَرَّاة على أحد القولين، لأن اشتقاق التَوَلَّب من الوالبة، وهي ما يولده الزرع، وجمعها: أوَالِب.

وقوله: من طرف المُنْقَلِ أي: من أعالي حصونها، والمُنْقَالُ: الخَرْجُ ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية، فكان المُنْقَلُ من هذا، والله أعلم.

وقوله: مخضرة كتابها. يعني من الحديد، ومنه الكتيبة الخضراء.

وقوله: ينادون آل بربر؛ لأن البربر والْحَبَشَةَ من ولد حام. وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق.

(١) العباد: قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانية.

(٢) العرى: ما يستر الشيء عنك.

(٣) المفاوز: الصحراء. وقيل في تسميتها مفاوز من باب التناؤل؛ لأن مَنْ نجا منها فقد فاز، كما سمَّوا اللديغ سليماً.

(٤) تَوَّءَم: هو المولود مع غيره.

(٥) التولج: كناس الوحش.

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن:
مدة ملك الحبشة باليمن:

قال ابن إسحاق: فأقام وَهْرَزَ والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس: الأبناء الذين باليمن اليوم. وكان ملك الحبشة باليمن، فيما بين أن دخلها أزياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأُخْرِجَتِ الحبشة، اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة: أزياط، ثم أبرهة، ثم يَكْسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

أمراء الفرس على اليمن:

قال ابن هشام: ثم مات وَهْرَزَ، فأمر كسرى ابنه الْمَرْزُبَان بن وَهْرَزَ على اليمن، ثم

وقد قيل في جالوت إنه من الْخَزَرِ، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بَرْبَرَةً، وهي اختلاط الأصوات، فقال: ما أكثر بَرْبَرَتَهُمْ! فسُمُوا بذلك، وقيل غير هذا.

وقوله: والغرب أراد: الغربُ بضم الراء جمع: غراب، وإن كان المعروف: أغربة وغربان، ولكن القياس لا يدفعه، وعنى بهم السودان.

وقوله: وبدل الْفَيْحِ بالزرافة، وهو المنفرد في مشيته، والزرافة: الجماعة وقيل في الزرافة التي هي حيوان طويل العنق: إنه اختلط فيها النسل بين الإبل الوحشية، والبقر الوحشية والنعام، وإنها متولدة من هذه الأجناس الثلاثة. وكذلك ذكر الزبيدي وغيره، وأنكر الجاحظ هذا في كتاب الحيوان له، وقال: إنما دخل هذا الغلط عليهم من تسمية الْفُرْس لها «اشتر - كاو - ماه»^(١). والفرس إنما سُمِّته بذلك، لأن في خِلْقَتِها شَبْهاً من جَمَلٍ ونَعامة وبَقَرَةٍ، فاشتر هو: الجمل، وكاو: النعام، وماه: البقرة، والْفُرْس تركب الأسماء وتمزج الألفاظ إذا كان في المسمَّى شبه من شيئين، أو أشياء، ويقال: زرافة بتشديد الفاء حكاه أبو عبيد عن الْقَتَانِيِّ.

وقوله: بعد بني تُبَّعَ بَجَاوَرَةً. هكذا في نسخة سفيان بن أبي العاص الأسدي مصححاً عليه، وقد كتب في الحاشية: نَحَاوَرَةً في الأمين، وفي الحاشية التَّحَاوَرَةً: الكرام، وكذلك في المسموعة على ابن هشام يعني نسختي أبي الوليد الوقشي اللتين قابل بهما مرتين، ويعني بالحاشية حاشية «تينك الأمين»! وأن فيهما: نخاورة بالنون والخاء المنقوطة، وهم الْكِرَام كما ذكر.

(١) انظر كتاب الحيوان للجاحظ (٧/٧٦).

مات المَرْزُبَان، فأمر كسرى ابْنُهُ التَّيْجَان بن المَرْزُبَانِ على اليمن، ثم مات التَّيْجَان، فأمر كسرى ابن التَّيْجَان على اليمن، ثم عزله وأمر باذان، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً النبي - ﷺ - .

حديث يتبأ بقتل كسرى

فبلغني عن الزُّهري أنه قال:

كتب كسرى إلى باذان: أنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة، يزعم أنه نبي، فسير إليه فاستتبّه، فإن تاب، وإلا فابعث إليّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله - ﷺ - فكتب إليه رسول الله - ﷺ -: «إن الله قد وعدني أن يُقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا» فلما أتى باذان الكتاب تَوَقَّفَ لينظر، وقال: إن كان نبياً، فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله - ﷺ - قال ابن هشام: قتل على يدي ابنه شيرويه، وقال خالد بن حِقِّ الشَّيْبَانِي:

وَكِسْرَى إِذْ تَقَسَّمَهُ بَنُوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا افْتَسِمَ اللَّحَامُ
تَمَخَّضَتِ الْمَثُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَتَى، وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ يَمَامُ

باذان يسلم:

قال الزهري: فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله - ﷺ - فقالت الرسل من الفرس لرسول الله - ﷺ -: إلى من نحن يا رسول الله؟ قال: «أنتم منا وإلينا أهل البيت»^(١).

قال ابن هشام: فبلغني عن الزهري أنه قال: فَمِنْ ثَمَّ قال رسول الله - ﷺ -: «سَلَامٌ مِّنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(٢).

باذان وكسرى

وذكر قصة باذان، وما كتب به إلى كسرى، وكسرى هذا هو أَبَرْوَيْز بن هُرْمُز بن أنو شروان، ومعنى أَبَرْوَيْز بالعربية: المظفر، وهو الذي غلب الروم حين أنزل الله ﴿آلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ [أول الروم] وهو الذي غرض على الله في المنام، فقال

(١) انظر تاريخ الطبري (٤٥٥/١).

(٢) «إسناده ضعيف». أخرجه الحاكم (٥٩٨/٣) والطبراني (٢٦١/٦) والطبري في تاريخه (٩٢/٢).

له: سَلَّمَ ما في يديك إلى صاحب الهِراوة، فلم يزل مذكورًا من ذلك، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور النبي - ﷺ - بتهامة^(١)؛ فعلم أن الأمر سيصير إليه، حتى كان من أمره ما كان، وهو الذي كتب إليه النبي - ﷺ - وحفيده: يَزْدَجِرْدُ بن شهریار بن أَبَرْوِيز، وهو آخر ملوك الفرس، وكان سَلْبُ مُلكه، وهَدَمُ سلطانه على يدي عمر بن الخطاب، ثم قتل هو في أول خلافة عثمان، وَجِدَ مُسْتَخْفِيًا في رَحَى^(٢) فُقُتِلَ وطُرِحَ في قناة الرحي، وذلك بِمَرَوْ من أرض فارس.

وذكر حديث باذان ومقتل كسرى، وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة، وأسلم باذان باليمن في سنة عشر، وفيها بعث رسول الله ﷺ إلى الأبناء^(٣) يدعوهم إلى الإسلام، فمن الأبناء: وَهْبُ بن مُثَنَّب بن سَيْج بن دُكْبَار، وطاووس وذَادَوْنَه وفيروس اللذان قُتِلَا الأسود العنسي الكذاب، وقد قيل في طاووس: إنه ليس من الأبناء، وإنه من جَمَيْر، وقد قيل: من فارس، واسمه: دَكْوَانُ بن كَيْسَانَ وهو مولى بُجَيْر بن ريسان؛ وقد قيل: مولى الجَعْد، وكان يقال له طاووس القُرَاء لجماله.

وقول خالد بن جِقْ:

تَمَخَّضَتِ الْمَثُونُ له بيومٍ أنى؛ ولكل حاملةٍ تمام^(٤)

المَثُون: المَنيَّة، وهو أيضًا من أسماء الدهر، وهو مِن مَنَنْتُ الحبلَ إذا قطعته، وَقُول إذا كان بمعنى فاعِل، لم تدخل التاء في مؤنثه لِسرِّ بديع ذكرناه في غير هذا الكتاب، فيقال: امرأة صُبُورٌ وَشُكُورٌ، فمعنى المَثُون: المَقْطُوع، وتمخضت أي: حَمَلَتْ، والمَخَاضُ: الحمل، ووزنه: فَعَالٌ، وَمَخَاضَةُ الماء، ومخاضة [النهر] وزنه: مَفْعَلٌ من الخَوْض.

وقوله: أَنى، أي: حان، وقد قلبوه، فقالوا: آن يثين، والدليل على أَنَّ آن يثين مقلوب من: أَنى يَأْنِي، قوله: آناء الليل، وواحدها: إِنْي وإْنْي وإْنْي، فالنون مقدمة على الياء في كل هذا، وفي كل ما صُرِفَ منه نحو: الإناء، والآني: الذي بلغ أنه أي: منتهى وقته في التسخين، وهذا المعنى كقولهم في المثل: الدهر حُبلى لا يدري ما تضع، إن كان أراد

(١) لعله يقصد مكة.

(٢) الرحي من الأرض: مكان غليظ مستدير يكون بين رمال.

(٣) الأبناء: يعني أبناء فارس الذين استوطنوا اليمن.

(٤) وشرح البيت كما في اللسان: أن المنيّة تهيات لأن تلد له الموت. وهو منسوب إلى عمرو بن حسان.

عود إلى شق وسطيح:

قال ابن هشام: فهو الذي عنى سطيح بقوله: «نبي زكي، يأتيه الوحي من قبل العلي». والذي عنى شق بقوله: «بل ينقطع برسول مُرْسَل، يأتي بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفضل».

كتاب الحجر

قال ابن إسحاق: وكان في حَجَر باليمن - فيما يزعمون - كتاب بالزُّبور كُتِب في

بالمنون في البيت: الدهر، وإن كان أراد بالمنون: المنيّة، فبعيد أن يقال: تمخضت المئون له بهذا اليوم الذي مات فيه، فإن موته: منيته، فكيف تتمخض المنيّة بالمنية إلا أن يريد أسبابها، وما مُني له، أي: قُدِّر من وقتها، فتصح الاستعارة حينئذ، ويستقيم التشبيه.

وقول ابن جِقّ: وَكُسِرَى إِذْ تَقْسَمُ بِهِ. وإنما كان قتله على يدي ابنه شيرويه، لكن ذكر بنيه لأن بدء الشرّ بينه وبينهم أن فرخان رأى في النوم: أنه قاعد على سرير الملك في موضع أبيه، فبلغ أباه ذلك، فكتب إلى ابنه شهريار - وكان واليًا له على بعض البلاد: أَنْ أَقْتُلْ أَخَاكَ فرخان، فأخفى شهريار الكتاب من أخيه، فكتب إليه مرة أخرى، فأبى من ذلك، فعزله وولّى فرخان، وأمره بقتل شهريار، فعزم على ذلك، فأراه شهريار الكتاب الذي كتب له أبوه فيه، فتواطئا عند ذلك على القيام على أبيهما، وأرسلا إلى ملك الروم يستعينان به في خبر طويل، فكان هذا بدء الشرّ، ثم إن الفرس خلعت كسرى لأحداث أحدثها، وولّت ابنه شيرويه، فكان كسرى أَبْرَوَيْزَ ربما أشار برأي من مَخْبِسه، فقالت المَرَاذِية لشيرويه: لا يستقيم لك الملك إلا أن تقتل أباك^(١)، فأرسل إليه مَنْ يقتله، فيقال: إنه كان يُضْرَب بالسيف، فما يعمل فيه شيئًا، ففُتِّش فَوُجِدَ على عَصِدِهِ حجر معلق كالخَرَزَةِ، فَنَزَعَ فعملت فيه السلاح، وكان قبل يقول لابنه: يا قصير العمر، فلم يدم أمره بعده إلا أقل من ستة أشهر - فيما ذكروا - والله أعلم^(٢).

ذمار وحمير وفارس والحبشة

وقوله: وجد بحجر باليمن: لمن مُلِكَ ذُمار؟

وحكى ابن هشام عن يونس ذُمار بفتح الدال، قَدَل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر،

(١) القصة في حاجة إلى دليل «صحيح» يثبتها.

(٢) انظر تاريخ الطبري (٤٨٥/١) والكامل (٣٨١/١).

الزمان الأول: «لَمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ^(١)؟ لِحَمِيرِ الْأَخْيَارِ، لَمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ؟ لِلْحَبْشَةِ الْأَشْرَارِ، لَمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ؟ لِفَارَسِ الْأَحْرَارِ، لَمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ؟ لِقَرِيشِ التَّجَارِ».

وذِمَار: اليمن أو صنعاء. قال ابن هشام: ذِمَار: بالفتح، فيما أخبرني يونس.

الأعشى ونبوءة شق وسطيح:

قال ابن إسحاق: وقال الأعشى - أعشى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فِي وَقْعٍ مَا قَالَ سَطِيحٌ وَصَاحِبُهُ:

مَا نَظَرْتُ ذَاتَ أَشْفَارٍ كَنَظَرَتِهَا حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذُّثْيِيُّ إِذْ سَجَعَا
وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ لَسَطِيحٍ: الذُّثْيِيُّ؛ لِأَنَّهُ سَطِيحٌ بِنِ رَيْبَعَةَ بِنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ذُثْبٍ.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف؛ لأنه اسم لمدينة والغالب عليه التأنيث، ويجوز صرفه أيضًا؛ لأنه اسم بلد، وإذا فُتِحَتِ الذال، فهو مبني مثل: رَقَاشٍ وَحَذَامٍ، وبنو تميم يعربون مثل هذا البناء فيقولون: رَقَاشٌ [وَحَذَامٌ] فِي الرَّفْعِ وَرَقَاشٌ وَحَذَامٌ فِي النِّصْبِ وَالْخَفْضِ يَعْرَبُونَهُ، وَلَا يَصْرِفُونَهُ، فإذا كان لام الفعل راء اتفقوا مع أهل الحجاز على البناء والكسر. وذِمَارٍ: مَنْ دَمَرَتْ الرَّجُلُ إِذَا حَرَضَتْهُ عَلَى الْحَرْبِ.

وقوله: لحمير الأخيار؛ لأنهم كانوا أهل دين، كما تقدم في حديث فيمون وابن الثامر.

وقوله: لفارس الأحرار؛ فلان المُلْكُ فِيهِمْ متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت في زعمهم إلى أن جاء الإسلام، لم يدينوا لملك من غيرهم، ولا أدوا الأتاوة^(٢) لذي سلطان من سواهم فكانوا أحرارًا لذلك.

وأما قوله: للحبشة الأشرار فلما أحدثوا في اليمن من العُتْثِ والفساد وإخراب البلاد، حتى همّوا بهدم بيت الله الحرام، وسيهدمونه في آخر الزمان إذا رفع القرآن، وذهب من الصدور الإيمان، وهذا الكلام المستجّع ذكره المسعودي منظومًا^(٣).

(١) ذِمَار: قرية باليمن. وقيل اسم لصنعاء.

(٢) الأتاوة: الخراج أو الجزية.

(٣) انظر مروج الذهب (٨٨/٢).

حين شيدت دِمارٍ قيل: لَمَنْ أُنـ
ثم سِيلت: مَنْ بعد ذاك؟ فقالت:
ثم قالوا مِنْ بعد ذاك: لَمَنْ أُنـ
ثم قالوا مِنْ بعد ذاك: لَمَنْ أُنـ

وهذا الكلام الذي ذكر أنه وُجِدَ مكتوبًا بالحجر هو - فيما زعموا - من كلام هود - عليه السلام - وُجِدَ مكتوبًا في منبره، وعند قبره حين كشفت الريح العاصفة عن منبره الرمل، حتى ظهر، وذلك قبل ملك بلقيس يسير، وكان خَطَّهُ بالمُسْنَد، ويقال: إن الذي بنى دِمار هو شَمِر بن الأملوك، والأملوك هو: مالك بن ذي المنار، ويقال: دِمارٍ وظَفارٍ، ومنه المثل: مَنْ دخل ظفار حَمَرٍ أي تكلم بالجميرية.

زرقاء اليمامة

وذكر قول الأعشى:

ما نظرت ذات أشفار^(١) كَنَظَرَتِهَا

البيت. يريد: زَرْقَاءُ اليمامة، وكانت تُبصر على مسيرة ثلاثة أيام، وقد تقدم طرف من ذكرها في خبر جديس وطسم، وقبل البيت:

قالت: أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ
فكذبوها بما قالت، فصَبَّحَهُمْ
أَوْ يَخْصِفُ الثُّعْلَ لَهْفِي آيَةً صَنَعَا
دُوَّ آلِ حَسَّانٍ يُزْجِي الْمَوْتَ وَالسَّلْعَا^(٢)

وكان جيشُ حَسَّانٍ هذا قد أَمروا أَنْ يُخِيلُوا عليها بِأَنْ يُمَسِكَ كُلُّ واحدٍ منهم نَعْلًا كأنه يَخْصِفُهَا، وَكَتِفًا كأنه يَأْكُلُهَا، وَأَنْ يَجْعَلُوا على أَكْتَافِهِمْ أَغْصَانَ الشَّجَرِ، فلما أَبْصَرْتَهُمْ، قالت لقومها: قد جاءكم الشَّجَرُ، أو قد غَزَتْكُمْ جَمِيزٌ، فقالوا: قد كَبِرَتْ وَخَرِفَتْ، فكذبوها، فاستُشِيحَتْ بَيَضَتُهُمْ^(٣)، وهو الذي ذكر الأعشى.

(١) أشفار: جمع شفر: ويعني شفر الجفن الذي يثبت عليه الهدب.

(٢) السلع: شجر مز يثبت في اليمن. وانظر القصيدة عند الطبري في تاريخه (١/٤٩٧).

(٣) يبيضتهم: حمامهم.

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام: وحدثني خَلَادُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ خَالِدِ السُّدُوسِيِّ عَنْ جُنَادٍ، أَوْ عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالنِّسْبِ: أَنَّهُ يُقَالُ: إِنَّ النِّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ مِنْ وَلَدِ سَاطِرُونَ مَلِكِ الْحَضَرِ. وَالْحَضَرُ^(١): حِصْنٌ عَظِيمٌ كَالْمَدِينَةِ، كَانَ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ:

وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ لَمَّةٌ يُجْبَى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَزْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهِ وَكُورُ
لَمْ يَهْبَهُ رَيْبُ الْمَثُونِ فَبَانَ أَلْ مُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

والذي ذكره أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ فِي قَوْلِهِ:
وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحَضَرِ رَ عَلَى رَبِّ أَهْلِهِ السَّاطِرُونَ
وهذا البيت في قصيدة له. ويقال: إنها لخلف الأحمر، ويقال: لحمام الراوية.

كيف استولى سابور على الحضر

وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا سَاطِرُونَ مَلِكِ الْحَضَرِ، فَحَصَرَهُ سَنَتَيْنِ، فَأَشْرَفَتْ بِنْتُ سَاطِرُونَ يَوْمًا، فَنَظَرَتْ إِلَى سَابُورَ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ دِيْبَاجٌ، وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٌ بِالزُّبُرِجَدِ وَالْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ، وَكَانَ جَمِيلًا، فَدَسَّتْ إِلَيْهِ: أَتَزَوَّجُنِي إِنْ فَتَحْتَ لَكَ بَابَ الْحَضَرِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا أَمْسَى سَاطِرُونَ شَرِبَ حَتَّى سَكِرَ، وَكَانَ لَا يَبِيْتُ إِلَّا سَكْرَانًا، فَأَخَذَتْ مِفْتَاحَ بَابِ الْحَضَرِ مِنْ تَحْتِ رَأْسِهِ، فَبَعَثَتْ بِهَا مَعَ مَوْلَى لَهَا فَفَتَحَ الْبَابَ، فَدَخَلَ سَابُورُ، فَقَتَلَ سَاطِرُونَ، وَاسْتَبَاحَ الْحَضَرَ وَخَزَبَهُ، وَسَارَ بِهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَبَيْنَا هِيَ نَائِمَةٌ عَلَى فَرَّاشِهَا لَيْلًا إِذْ جَعَلَتْ تَتَمَلَّمُ لَا تَنَامُ، فَدَعَا لَهَا بِشَمْعٍ، فَفُتِّشَ فَرَّاشُهَا، فَوُجِدَ عَلَيْهِ وَرَقَةٌ آسَ، فَقَالَ لَهَا سَابُورُ: أَهَذَا الَّذِي أَسْهَرَكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا كَانَ

خبر الحضر والسايطرون

ذَكَرَ فِيهِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ النِّعْمَانَ مِنْ وَلَدِ السَّاطِرُونَ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحَضَرِ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: فَذَكَرَ شَرْحَ قِصَّةِ الْحَضَرِ وَصَاحِبِهِ، وَمَا قِيلَ فِي ذَلِكَ مَلْخَصًا بِعَوْنِ اللَّهِ. السَّاطِرُونَ بِالسَّرْيَانِيَةِ: هُوَ الْمَلِكُ، وَاسْمُ السَّاطِرُونَ: الضُّيَيْرُنُ بْنُ مَعَاوِيَةَ. قَالَ الطَّبْرِيُّ: هُوَ جَزْمَقَانِي^(٢)،

(١) الحضر: مدينة مبنية بالحجارة.

(٢) الجرامقة: قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام. وجرمق: بلدة بفارس.

أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج، ويلبسني الحرير، ويطعمني المخ، ويسقيني الخمر، قال: أفكان جزاء أبيك ما صنعت به؟ أنت إليّ بذلك أسرع، ثم أمر بها، فربطت قُرون رأسها بذنب قُرس، ثم ركض الفرس، حتى قتلها، ففيه يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

ألم تر للحضر إذ أهله بنغمي، وهل خالد من نعم
أقام به شاهبُور الجنو د حولين تضرِب فيه القُدُم
فلما دعا ربه دغوة أناب إليه فلم ينتقم
وهذه الأبيات في قصيدة له.

وقال عدي بن زيد في ذلك:

والحضر صابث عليه داهية من فوقه أيّد مناكبها
ربيعة لم تُوق والدّها لحينها إذ أضاع راقبها
إذ غبقت صهباء صافية والخمر وهل يهيم شاربها
فأسلمت أهلها بليلتها تظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس إذ جشّر الصر بجّ دماء تجري سبائبها
وخرب الحضر، واستببح، وقد أحرّق في خذرها مشاجبها
وهذه الأبيات في قصيدة له.

وقال ابن الكلبي: هو قُضاعي من العرب الذين تنخّوا بالسواد، فسُموا: تنوخ، أي: أقاموا بها، وهم قبائل شتى، ونسبه ابن الكلبي، فقال: هو ابن معاوية بن عبيد، ووجدته بخط أبي بحر: عُبَيْد بضم العين بن أَجْرَم من بني سَلِيح بن حُلوان بن الحاف بن قُضاعة، وأمه: جَهْلَة، وبها كان يُعرف، وهي أيضًا قُضاعية من بني تَزِيد الذين تُنسب إليهم الثياب التزيدية.

وذكر قول أبي ذؤاد:

وأرى الموت قد تدلّى من الحضر ر على رب أهله الساطرون
واسم أبي ذؤاد: جارية بن حجاج، وقيل: حنظلة بن شَرْقِيّ وبعد هذا البيت:
صرعته الأيام من بعد ملك ونعيم وجوهر مكنون^(١)

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي (٢/٢٥٦).

وكان الضَّيْزَنُ من ملوك الطوائف، وكان يقدِّمهم إذا اجتمعوا لحربٍ عدُوٍّ من غيرهم، وكانت الحَضْرُ بين دَجَلَةَ والفُرات، وكان ملكه يبلغ أطْرَارَ الشام، وكان سابور قد تغيب عن العراق إلى خُرَّاسَانَ، فأغار الضَّيْزَنُ على بلاده بَمَنٍ معه من العرب، فلما قُفِّلَ سابور، وأُخْبِرَ بصنع الضَّيْزَنِ نَهْدَ إليه، وأقام عليه أربع سنين.

وذكر الأغشى في شعره حَوْلَيْنِ لا يقدر على فتح الحصن، وكان للضيّزن بنت اسمها: النَّضِيرَةُ، وفيها قيل:

أَقْفَرَ الْحَضْرُ مِنْ نَضِيرَةٍ فَالْمِـ رَبَّاعٍ^(١) مِنْهَا فَجَانِبُ الثَّرْثَارِ^(٢)

وكانت سُنْتُهُم في الجارية إذا عَرَكَتْ أَي: حاضت، أخرجوها إلى رَبَضِ المدينة، فَعَرَكْتَ النَّضِيرَةَ، فَأُخْرِجَتْ إِلَى رَبَضِ الْحَضْرِ^(٣)؛ فَأَشْرَفَتْ ذات يوم فأبصرت سابور - وكان من أجمل الناس - فَهَوَيْتُهُ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وتفتح له الْحَضْرُ، واشترطت عليه، والتزم لها ما أرادت، ثم اخْتَلَفَ في السبب الذي دَلَّتْ عليه، فقال ابنُ إِسْحَاقَ ما في الكتاب، وقال المسعودي^(٤): دَلَّتْهُ عَلَى نَهْرٍ وَاسِعٍ [اسمه الثَّرْثَارُ] كان يدخل منه الماء إلى الْحَضْرِ، فقطع لهم الماء، ودخلوا منه.

وقال الطبري^(٥): دَلَّتْهُ عَلَى طَلْسَمٍ^(٦) [أَوْ طَلْسَمٍ] كان في الْحَضْرِ، وكان في علمهم أنه لا يُفْتَحُ حَتَّى تُوْخَذَ حِمَامَةٌ وَزَقَاءٌ، وَتُخَضَّبَ رِجْلَاهَا بِحَيْضِ جَارِيَةٍ بِكَرٍ زَقَاءٍ، ثم تُرْسَلُ الحِمَامَةُ، فتنزل على سور الْحَضْرِ، فيقع الطَّلْسَمُ، فيفتح الْحَضْرُ، ففعل سابور ذلك، فاستباح الْحَضْرُ، وأباد قبائلَ مَنْ قَضَاعَةٌ كانوا فيه، منهم: بنو عبید رهط الضَّيْزَنِ، لم يبق منهم عقب، وحرقت خزائن الضَّيْزَنِ، واكتسح ما فيها، ثم قُفِّلَ بنضيرة معه، وذكر الطبري في قتله إياها حين تَمَلَّكَتْ عَلَى الْفَرَّاشِ الْوُثِيرِ، ولين الحرير: أنه قال لها: ما كان يصنع بك أبوك؟ فقالت: كان يطعمني المخ والزبد وشهد أباكِ النحل وهو الخمر. وذكر أنه كان يرى مُخَهَا من صفاء بشرتها، وأن ورقة الآس أذمتها في عُكَّةٍ^(٧) من عُكْنِهَا، وأن الفرّاش الذي نامت عليه كان من حرير حَشْوُهُ الْقَزُّ. وقال المسعودي: كان حشوه رَعَبٌ^(٨) الطير، ثم اتفقوا في صورة قتلها كما ذكر ابن إِسْحَاقَ غير أن ابن إِسْحَاقَ قال: كان المستبَيحُ لِلْحَضْرِ سابور ذو

(١) المرباع: المكان ينبت نباته في أول الربيع. (٢) الثَّرْثَار: وإد عظيم بالجزيرة.

(٣) ربض الحضر: ربض المدينة. (٤) مروج الذهب (٢/٢٥٦).

(٥) الطبري في تاريخه (١/٣٩٥). (٦) نوع من التعويذات الشركية.

(٧) العكنة: طرفي البطن من السمن.

(٨) زغب الطير: الشعيرات الصفر على ريش الفرخ.

الأكتاف، وجعله غير سابور بن أردشير بن بابك، وقد تقدم أن أردشير هو أول من جمع ملك فارس، وأذل ملوك الطوائف، حتى دان الملك له، والضميرُ: كان من ملوك الطوائف، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذي الأكتاف، وهو سابور بن هُرمز، وهو ذو الأكتاف؛ لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل، وبينهم ملوكٌ مسمون في كتب التاريخ، وهم: هُرمز بن سابور، وبهرام بن هُرمز، وبهرام بن بهرام، وبهرام الثالث، ونرسي بن بهرام، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم.

وقول الأعشى: شاهبور الجنود بخفض الدال يدل على أنه ليس بشاهبور ذي الأكتاف، وأما إنشاده لأبيات عدي بن زيد:

وأخو الحَضر إذ بناه وإذ دجلة يُجَبَى إليه والخابُورُ

فللشعر خبر عجيب. حدَّثنا إجازة القاضي الحافظ أبو بكر، عن ابن أيوب عن البرقاني، عن أبي الحسن علي بن عمر، قال: حدَّثنا أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن إسحق بن البهلول، قال: حدَّثني جدي، قال: حدَّثني أبي، عن إسحاق بن زياد من بني سلمة بن لؤي، عن شبيب بن شيبه، عن خالد بن صفوان بن الأهتم، قال: أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد [أهل] العراق قال: فقَدِمْتُ عليه، وقد خرج مُتَبَدِّيًا بقرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه، فنزل في أرض قاع صَحَّصَ مُتَنَائِفٍ^(١) أَفِيحٍ^(٢) في عام [قد] بَكْرٍ^(٣) وَسَمِيهِ^(٤)، وتتابع وَلِيهِ^(٥)، وأخذت الأرض [فيه] زينتها من اختلاف أنوارِ نَبِيِّهَا من نورِ ربيعِ مُونِقٍ، فهو أحسن منظرًا، وأحسن مُسْتَنْظَرًا، وأحسن مُخْتَبَرًا بصعيد كان تراه قِطْعُ الكافور، حتى لو أن قطعة أُلْقِيَتْ فيه لم تَتَرَبَّ^(٦) قال: وقد ضُرب له سِرادق مِنْ جَبَرَةٍ كان تراه قِطْعُ الكافور، حتى لو أن قطعة أُلْقِيَتْ فيه لم تَتَرَبَّ^(٦) قال: أفرشة من خَزٍّ أحمر، مثلها مَرَّاقُهَا^(٧) وعليه دُرَاعَةٌ^(٨) من خَزٍّ أحمر، مثلها عمامتها، قال: وقد أخذ الناس مجالسهم، فأخرجت رأسي من ناحية الطاق، فنظر إلي شَيْبَةُ المُسْتَنْطِقِ [لي]؛ فقلت: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمة سَوَّغَكُهَا بِشُكْرِ، وجعل ما قُلْدُكَ من هذا الأمر رُشْدًا، وعاقبة ما تَوَوَّلَ إليه حمدًا، وأخلصه لك بالتُّقى، وكثره لك بالنماء، ولا كدر عليك

(١) متنايف: أي مرتفع.

(٢) أفحيح: واسع.

(٣) بكر: بادر.

(٤) وسميه: الوسمي: مطر الربيع الأول.

(٥) تتابع وليه: أي الذي يليه.

(٦) لم تترب: أي لم يصبها التراب.

(٧) مرافقها: ما يتكا عليه.

(٨) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم وثوب من صوف.

منه ما صفا، ولا خالط سروره الردي؛ فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومُستَرَاخًا. إليك يقصدون في أمورهم، وإليك يفزعون في مظالمهم، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئًا - جعلني الله فداءك - هو أبلغ في قضاء حقك وتوقيع مجلسك مما من الله [جَلَّ وعَزَّ] به عليّ من مُجَالَسَتِكَ، والنظر إلى وجهك من أن أذكرك نَعَمَ الله عليك، وأنبئك لشكرها، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئًا هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك، فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته عنه. قال: فاستوى جالسًا - وكان متكئًا - ثم قال: هات يا بن الأَهمم، [قال]: فقلت: يا أمير المؤمنين إن ملكًا من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامنا هذا إلى الْخَوَزَنَةِ^(١) والسدير^(٢) في عام قد بكر وسُمِيه، وتتابع ولّيه، وأخذت الأرض فيه زينتها من نور ربيع مُونِي، فهو في أحسن منظرٍ وأحسن مُسْتَنْظَرٍ، وأحسن مُخْتَبَرٍ بصعيد كأن ترابه قطع الكافور حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تثرَب. قال: وقد كان أُعْطِيَ فَنَاءَ السَّنِّ مع الكثرة والغلبة والقهر، قال: فنظر فأبعد النظر، فقال لجلسائه: لَمَن [مِثْلُ] هذا؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ [و] هل أُعْطِيَ أحد مثل ما أُعْطِيت؟ قال: وعنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الْحُجَّةِ، والمُضَيِّ على أدب الحق ومنهاجه. قال: ولن تخلّوا الأرض من قائم لله بحجته في عباده، فقال: أيها الملك إنك قد سألت عن أمرٍ: أَتَأْذُنُ في الجواب عنه؟ قال: نعم. قال: أَرَأَيْتَ ما أنت فيه: أشيء لم تزل فيه، أم شيء صار إليك ميراثًا من غيرك، وهو زائل عنك، وصائر إلى غيرك، كما صار إليك ميراثًا من لَدُنْ غيرك؟ قال: فَكَذَلِكَ هو. قال: فلا أراك [إلا] أعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلًا، وتغيب عنه طويلًا، وتكون غدا بحسابه مُرْتَهَنًا. قال: وَيَنُحِكُ فأين المهرب؟ وأين الْمَطْلَبُ؟ قال: إما أن تقيم في ملكك، تعمل فيه بطاعة [اللَّهِ] رَبِّكَ على ما ساءك وَسَرُّكَ، وَمَضُّكَ^(٣) وَأَرْمَضُّكَ^(٤)، وإما أن تضع تاجك، وتضع أظمارك^(٥)، وتلبس أمساحك^(٦)، وتغبد ربك في هذا الجبل حتى يأتِكَ أجلك. قال: فإذا كان في السحر فافترغ عليّ بابي، فأني مختار أحد الرأيين، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيرًا، لا تُعَصَى، وإن اخترت خلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقًا، لا تُخَالَف. قال: فقرع عليه بابَه عند السحر، فإذا هو قد وضع تاجه، [وخلع أظماره] ولبس أمساحه، وتهيا للسياحة، قال: فلزِمَا - والله - الجبل حتى أنتهما آجالهما، وهو حيث يقول أحد بني تميم: عدي بن

(١) الخورنق: قصر كبير بناه النعمان بن امرئ القيس.

(٢) السدير: موضع بالحيرة. وقيل: قصر قريب من الخورنق، وهو أشبه.

(٣) ومضك: ألكم.

(٤) أرمضك: أوجعك.

(٥) أظمار: جمع طمر. وهو الثوب الخلق.

(٦) المسوح: كساء من شعر.

[زيد] بن سالم المُرِّي العَدَوِي:

أيها الشامت المَعِير بالد
أم لَدَيْكَ العَهْدُ الوثيق من الأيا
مَنْ رَأَيْتَ المَثُونِ خُلْدَنَ، أم مِّنْ
أَيْنَ كَسَرَى كَسَرَى الملوِك أُو
وبنو الأَصْفَرِ الكرامِ ملوك الر
وأخو الحَضَرِ إِذْ بناه وإذْ دَجَ
شادَه مَزَمَرًا^(٢)، وَجَلَّلَه بِكِلْسَ
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّبُ المَثُونِ فبا
وتذَكَّرَ رَبَّ الخَوَزَنَقِ إِذْ
سَرَّه مَالُه وكثُرَتْ ما يملك
فازعَوَى قلبه^(٤)، وقال: وما غِبْطَةٌ
ثم أَضْحَوْا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ
ثم بَغَدَ الفلاح والمُلْكُ

هر أَنْتَ المُبْرَأُ المَوْفُورُ؟
م؟! بل أَنْتَ جاهِلٌ مَغْرور
ذا عليه من أَنْ يُضام خَفِير!
شِزْوان أم أَيْنَ قبله سابور؟
وم؟! لم يَبْقَ منهم مَذْكور
لَمَّا تُجْبَى إِلَيْه والخابور^(١)
ل^(٣) فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهِ وَكُور
ن المُلْكُ عنه، فبابه مَهْجور
أشرف يَوْمًا، وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
والبَحْرُ مُغْرَضًا والسَّدير
حَيٌّ إِلَى المماتِ يصِيرُ؟!
فألَوْتُ به^(٥) الصُّبا والدَّبُور
والإِمة^(٦) وارثَهُم هناك القُبُور

قال فبكى [والله] هشام حتى أَخْضَلَ^(٧) لِيَحْيَتَه، وبلَّ عمامته، وأمر بِتَرْعِ أبنِيته، وينقلان
قَرَابَتَه وأهْلِه وحَشَمِه وغاشِيَتِه من جلسائه، ولزم قَصْرَه. قال: فَأَبْلَتِ المِوالي والحَشَمُ على
خالد بن صفوان بن الأَهم، وقالوا: ما أَرَدْتَ إلى أمير المؤمنين؟! أفسدت عليه لَدَنَتَه،
ونَقَصْتَ عليه مَادِبَتَه. قال: إِلَيْكُمْ عني فَإِنِّي عاهدتُ الله [عَزَّ وَجَلَّ] عَهْدًا أَلَّا أَخْلُوَ بِمَلِكٍ إِلَّا
ذَكَرْتَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ.

والذي ذكره عدي بن زيد في هذا الشعر هو: النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن
المنذر، وأول هذا الشعر:

أَزْوَاحٌ مُّوَدَّعٌ أَمْ بُلْكَوْرُ [لَكَ] فَاَنْظُرْ لَأَيِّ ذَاكَ تَصِيرُ

(١) الخابور: نهر كبير مخرجه من رأس عين يصب إلى الفرات.

(٢) المرمر: الرخام.

(٣) الكلْس: الجير.

(٤) ارعوى قلبه: أي ارتدع.

(٥) ألوت به: ذهب به.

(٦) الإمة: النعمة.

(٧) أخضل لحيته: أي ابتلت.

قاله عدي، وهو في سجن النعمان بن المنذر، وفيه قُتل وهو: عَدِيُّ بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن مخروب بن عامر بن عَصِيَّة بن امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم. وقال عمرو بن آله بن الخنساء:

أَلَمْ يُنْبِئِكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي^(١) بما لاقت سَراة بني الْعَبِيد
وَمَضَرَ حَضِيرَ بْنِي أَبِيهِ وأخلاس الكتائب^(٢) من تَزِيد^(٣)
أَتَاهُم بِالْقُيُولِ مُجَلَّلَات وبالأبطالِ سَائُورَ الْجُودِ
فَهَدَمَ مِنْ أَوَاسِي^(٤) الْحَضَرَ صَخْرًا كَأَنَّ ثِقَالَه زُبْرُ الْحَدِيدِ^(٥)
وقال الأعشى:

أقام به شاهبورُ الجنو دِ حولين تضرب فيه القُدُم
وقد قَدَمْنَا أَنَّ شاهبورَ معناه: ابْنُ الملك، وأن بور هو: الابنُ بلسانهم، وفي هذا البيت دليل على ما قلناه من أن سابورَ مُعَيَّرٌ عن شاهبور. والقُدُم: جمع قَدُوم، وهو الفأس ونحوه، والقُدوم: اسمُ موضع أيضًا اخْتَنَنَ فيه إبراهيمُ عليه السلام الذي جاء في الحديث أن إبراهيمَ اخْتَنَنَ بِالْقُدُومِ^(٦) مُخَفَّفٌ أيضًا، وقد رُوِيَ فيه التشديد. وبعده:

فَهَلْ زَادَهُ رُبُّهُ قُوَّةً ومثل مُجاوره لم يَقُمْ
وكان دعا قومه دعوة هَلُمُّوا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمَ
فموتوا كرامًا بأسيا فكم أَرَى الْمَوْتَ يَجْشُمُهُ مِنْ جَشْمِ^(٧)

وفي الشعر: وهل خالِدٌ مَنْ نَعِمَ. يقال: نَعِمَ يَنْعَمُ وَيَنْعَمُ مثل حَسِبَ يَحْسِبُ وَيَحْسَبُ. وفي أدب الكاتب أنه يقال: نَعِمَ يَنْعَمُ مثل فَضْلُ يَفْضُلُ. حُكِيَ ذلك عن سيبويه، وهو غلط من الْقُتَيْبِيِّ، وَمَنْ تأمله في كتاب سيبويه تبَيَّنَ له غَلَطُ الْقُتَيْبِيِّ، وأن سيبويه لم يذكر الضَّمَّ إلا في فَضْلُ يَفْضُلُ.

(٢) أحلاس الكتائب: شجعانها الملازمون لها.

(٤) أواسي: جمع آسية. وهو الأساس.

(١) تنمي: تتشر.

(٣) تزيد: هو ابن حلوان.

(٥) زير الحديد: أي قطع الحديد الضخمة.

(٦) «صحيح». أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (١٧٠/٤) ومسلم في الفضائل (١٥١) وأحمد في مسنده (٤١٨/٢) والطبري في تاريخه (١٧٢/١) والبخاري في الأدب (١٢٤٤).

(٧) الأبيات للأعشى ميمون بن قيس. انظر تاريخ الطبري (٣٩٥/١).

وقول عدي بن زيد: رَبِيتُ لَمْ تُوقِ والدَّهًا. يحتمل أن تكون فَعِيلَة من رَبِيتُ إلا أن القياس في فَعِيلَة بمعنى: مفعولة أن تكون بغير هاء، ويحتمل أنه أراد معنى الرُّبُو والنماء، لأنها رَبَّتْ في نِعْمَة فتكون بمعنى فاعلة، ويكون البناء موافقًا للقياس، وأصَحُّ من هذين الوجهين أن يكون أراد: ربيتُ بالهمز، وسَهِّلَ الهمزة فصارت ياء، وجعلها ربيتُ؛ لأنها كانت طليعة حيث أطلعت، حتى رأت سابور وجنوده، ويقال للطليعة^(١) ذَكَرًا كان أو أنثى: ربيتُ، ويقال له: رباء على وزن فعال وأنشدوا: رباء شماء لا يأوي نفلتها، البيت.

وقوله أضاع راقبها، أي أضاع المَرْبَاةَ الذي يرقبها ويحرسها، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أي: أضاعها حافظها.

وقوله: والخمر وَهْل. يقال: وَهَلَ الرجلُ وَهْلًا وَوَهْلًا إذا أراد شيئًا، فذهب وهمه إلى غيره. ويقال فيه: وَهَمَ أيضًا بفتح الهاء، وأما وَهَمَ بالكسر، فمعناه: غلط، وأوهم بالآلف معناه: أسقط.

وقوله: سبائبها. السبائب جمع: سَبِيبة، وهي كالعمامة أو نحوها، ومنه السُّبُّ وهو: الخِمارُ.

وقوله: في خِذْرَها مشاجبها. المشاجِبُ: جمع مِشْجَب، وهو ما تُعَلَّقُ منه الثياب، ومنه قول جابر: وإن ثيابي لَعَلَى المِشْجَبِ^(٢) وكانوا يسمون القرية: شَجْبًا؛ لأنها جلد ماءٍ قد شَجِبَ أي: عطِب، وكانوا لا يسمكون القرية وهي الشَّجْبُ إلا مُعَلَّقةً، فَالْعُودُ الذي تُعَلَّقُ به هو المِشْجَبُ حقيقة، ثم اتسعوا، فَسَمَوْا ما تُعَلَّقُ به الثياب مِشْجَبًا تشبيهًا به.

وفي شعر عَدِيَّ المتقدم ذكر الخابور، وهو وادٍ معروف، وهو فاعول من خَبَرَتْ الأَرْضَ إذا حرثتها، وهو وادٍ عَظِيمٌ عليه مزارع. قالت ليلَى أَخَتْ الوليد بن طَرِيف الخارجي الشَّيباني، حين قتل أخوها الوليدُ: قتله يزيدُ بن مَزِيدِ الشَّيباني أيام الرشيد، فلما قتل قالت أخته:

أيا شَجَرَ الخابور مالك مُورِقًا كأنك لم تَحْزَنَ على ابن طَرِيف
فقدناه فُقْدَانُ الربيع وليتنا فَدَيْنَاهُ من ساداتنا بألوف

(١) الطليعة: الذي يرقب العدو من مكانٍ عالٍ لئلا يدهم قومه.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري في الصلاة. حديث رقم (٣٥٢) وأحمد (٢/٢٣٩).

ذكر ولد نزار بن معد

قال ابن إسحاق: فولد نزار بن معد ثلاثة نفر: مُضَر بن نزار، وَرَبِيعَة بن نزار، وأنمار بن نزار.

قال ابن هشام: وإياد بن نزار. قال الحارث بن دؤس الإيادي، ويروى لأبي دؤاد الإيادي، واسمه: جارة بن الحجاج:

وَقُتِرَ حَسَنٌ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍ
وهذا البيت في أبيات له.

فأمّ مضر وإياد: سَوْدَة بنت عكّ بن عدنان. وأمّ ربيعة وأنمار: شَقِيقَة بنت عكّ بن عدنان، ويقال: جُمُعَة بنت عكّ بن عدنان.

أولاد أنمار:

قال ابن إسحاق: فأنمار: أبو خَثْعَمَ وَبَجِيلَة. قال جرير بن عبد الله البجليّ وكان سيّد بَجِيلَة، وهو الذي يقول له القائل:

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بَجِيلَة نِعَمَ الْفَتَى، وَبِئْسَتِ الْقَبِيلَة
وهو ينافر الفرافصة الكلبيّ إلى الأقرع بن حابس التميمي.

يا أقرعُ بن حابسٍ يا أقرعُ إنك إن تضرع أخاك تُضرعُ

وأما الخافور بالفاء فنباتٌ تخفّر ريحُه أي: تقطع شهوة النساء، كما يفعل الحَبَق، ويقال له المَرُوء، وبهذا الاسم يعرفه الناس وهو الزُّعْبَرُ أيضًا^(١).

ذكر نزار بن معد ومن تناسل منهم

قد ذكرنا أولاد معد العشرة فيما تقدم، فأما مُضَر فقد تقدم ذكره في عمود نسب النبي - ﷺ - وذكرنا أنه أول من سنّ خُداء الإبل، وسببه - فيما ذكروا - أنه سقط عن بعير، فوثبت يده، وكان أحسن الناس صوتًا، فكان يمشي خلف الإبل، ويقول: وايدَيَاه وايدَيَاه، يترنّم بذلك فأغتنقت الإبل، وذهب كلالُها؛ فكان ذلك أصل الخُداء عند العرب، وذلك أنها تُنشط بحداتها الإبل، فتسرع.

(١) انظر تاريخ الطبري (١/٣٩٥).

فقال عمرو: بل أَطْبِخْ، فَلَحِقَ عَامِرٌ بِالْإِبِلِ فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا رَاحَا عَلَى أَبِيهِمَا حَدَّثَاهُ بِشَأْنِهِمَا، فَقَالَ لِعَامِرٍ: أَنْتَ مُذْرِكَةٌ، وَقَالَ لِعَمْرُو: وَأَنْتَ طَابِخَةٌ.

وَأَمَّا قَمْعَةٌ فَبِزْعَمٍ نُسَابُ مَضَرَ: أَنَّ خِرَاعَةً مِنْ وَلَدِ عَمْرُو بْنِ لُحَيٍّ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ إِيَّاسٍ.

قال:

ابْنِي نِزَارٍ انْصُرَا أَخَاكُمَا إِنَّ أَبِي وَجَدْتُهُ أَبَاكُمَا

لَنْ يُغْلِبَ الْيَوْمَ أَخٌ وَالْأَكُمَا

وقد تيامنث، فَلَحِقْتُ بِالْيَمَنِ.

قال ابنُ هشامٍ: قالت اليمَنُ: وَبَجِيلَةٌ: أَنِمَارُ بْنُ إِرَاشَ بْنِ لُحْيَانَ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ، وَيُقَالُ: إِرَاشُ بْنُ عَمْرُو بْنِ لُحْيَانَ بْنِ الْعَوْثِ. وَدَارُ بَجِيلَةٍ وَخَثْعَمٍ: يَمَانِيَّةٌ.

أولاد مضر:

قال ابن إسحاق: فولد مُضَرُّ بْنُ نِزَارِ رَجُلَيْنِ: إِيَّاسُ بْنُ مُضَرَ، وَعَيْلَانُ بْنُ مَضَرَ. قال ابن هشام: وأمهما: جُرْهُمِيَّةٌ.

أولاد إِيَّاسٍ:

قال ابن إسحاق: فولد إِيَّاسُ بْنُ مُضَرَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ: مُذْرِكَةُ بْنُ إِيَّاسٍ، وَطَابِخَةُ بْنُ إِيَّاسٍ، وَقَمْعَةُ بْنُ إِيَّاسٍ وَأَمَّهُمْ: خَثِيفُ: امْرَأَةٌ مِنَ الْيَمَنِ.

قال ابن هشام: خَثِيفُ بِنْتُ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ.

قال ابن إسحاق: وَكَانَ اسْمُ مُذْرِكَةَ عَامِرًا، وَاسْمُ طَابِخَةَ عَمْرًا، وَزَعَمُوا أَنَّهُمَا كَانَا فِي إِبِلٍ لَهَا يَزْعِيَانَهَا، فَاقْتَنَصَا صَيْدًا، فَقَعَدَا عَلَيْهِ يَطْبِخَانَهُ، وَعَدَّتْ عَادِيَّةٌ عَلَى إِبِلِهِمَا، فَقَالَ عَامِرٌ لِعَمْرُو: أَتَدْرِكُ الْإِبِلَ، أَمْ تَطْبِخُ هَذَا الصَّيْدَ؟

وَأَمَّا أَنِمَارُ بْنُ نِزَارٍ، وَهُوَ أَبُو بَجِيلَةٍ وَخَثْعَمٍ فَسُمِّيَ: بِالْأَنِمَارِ جَمْعَ نَيْرٍ، كَمَا سُمُّوا بِسَبَاعٍ وَكَلَابٍ، وَأُمُّ بَنِيهِ: بَجِيلَةٌ بِنْتُ صَغْبٍ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ وَلَدَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا أَفْتَلٌ وَهُوَ: خَثْعَمٌ، وَوُلِدَتْ لَهُ عَبَقَرٌ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ، سَمَّاهُمْ أَبُو الْفَرَجِ، عَنْهُمْ تَنَاسَلَتْ قَبَائِلُ بَجِيلَةٍ وَهُمْ: وَدَاعَةُ وَخَزِيمَةُ وَضَهْبِيَّةُ [فِي الْأَصْلِ: صَحِيمٌ] وَالْحَارِثُ وَمَالِكُ وَشَيْبَةُ وَطَرِيفَةُ وَفَهْمٌ

والغوث وسهل وعنقر وأشهل كلهم بنو أنمار، ويقال: إن بَجِيلَة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سَمِينَا، ولم تَحْضُنْ أَفْتَل، وهو: خُثْعَم، فلم يُنسَبْ إليها. روى التِّرْمِذِيُّ من طريق قَزْوَة بن مُسَيْك أنه لما أنزل الله في سبأ ما أنزل، قال رجل: يا رسول الله ما سبأ: امرأة أم أرض؟ قال: «ليس بامرأة ولا أرض، ولكنه رجل وَلَدَ عَشْرَةً من العَرَب، فتيا من منهم ستة، وتشام^(١) أربعة، فأما الذين تشاءموا: فَلُخَمٌ وَجُذَامٌ وَعَامِلَةٌ وَعَسَّان، وأما الذين تيامنوا^(٢): فالأَزْدُ والأَشْعَرُونَ وَحِمِيرٌ وَمَذْجَجٌ وَكِنْدَةٌ وَأَنمار»، قال الرجل: وَمَنْ أَنمار؟ قال: «الذين منهم خُثْعَمٌ وَبَجِيلَةٌ»^(٣). وقوله:

لولا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بِجِيلَةٍ نعم الفتى، ويئست القبيلة

قال لما سمع هذا: ما مُدِحَ رَجُلٌ هُجِيَ قَوْمُهُ، وجريِر هذا هو: ابن عبد الله بن جابر، وهو: الشَّلِيل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُثَم بن عُوَيْف بن جَذِيمَة بن عدي بن مالك بن سعد بن يزيد بن قَسِر، وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث، يَكْنَى: أبا عمرو، وقيل: أنا عبد الله، وفيه قال النبي ﷺ: «يطلع عليكم خيرُ ذي يَمَنٍ، عليه مَسْحَة ملك»^(٤) وكان عمر يسميه: يوسف هذه الأمة، وكان من مقبلي الطعن، وكانت نعله: طولها: ذراعٌ فيما ذكروا. ومن النذير بن قسر: العُرَيْثُونَ الذين قَدِمُوا على رسول الله - ﷺ - فَاجْتَوَوْا^(٥) المدينة، وحديثهم مشهور، وهم بنو عُرَيْنَة بن النذير، أو بنو عُرَيْنَة بن ربيعة بن نذير، لأنهما عُرَيْتَان، وأحدهما: عَم الآخر.

وقال ابن إسحق في السيرة: مَنْ بني قيس: كُبَّة من بجيلة.

وقوله: وهو ينافر الفُرافِصة [بن الأحوص] الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي. ينافر: أي يحاكم. قال قاسم بن ثابت: لفظ المنافرة مأخوذ من الثَّفر، وكانوا إذا تنازع الرجال، وأدعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه، تحاكموا إلى العَلَامَة، فَمَنْ فَضَّلَ منهما قيل: نَفَرَهُ عليه أي: فضل نفره على نَفَر الآخر: فمن هذا أُخِذَت المنافرة،

(١) تشام: قصدوا الشام.

(٢) تيامن: قصدوا اليمن.

(٣) «حسن» أخرجه الترمذي (٣٢٢٠) وأبو داود (٣٩٨٨ - بتحقيقي).

(٤) «إسناده ضعيف جداً». أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن السائب الكلبي. كذاب. انظر كتر العمال (٣٦٩٢٩) والحميري مطولاً (٨٠٠) وأحمد (٤/٣٦٠/٣٦٤).

(٥) اجتروا: أي أصابهم الجوى. وهو داء يصيب الجوف.

وقال زُهَيْر:

فإن الحقّ مقطّعه ثلاث يمين، أو نفاًز أو جلاء^(١)

والفُرافصة بالضم: اسمُ الأسد، وبالفِتح اسم الرجل، وقد قيل: كل فُرافصة في العرب بالضم إلا الفُرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفِتح.

وقوله: إنك إن تُضَرَّع أخاك تُضَرَّع. وَجِدْتَ في حاشية أبي بحر، قال: الأشهر في الرواية: إن يُضَرَّع أخوك، وإنما لم يَنْجِزْ الفعل الآخر على جواب الشرط؛ لأنه في نية التقديم عند سيويوه، وهو على إضمار الفاء عند المبرد، وما ذكر في أنمار من قول أهل اليمن يشهد له حديث الترمذي المتقدّم.

وذكر أم إلياس، وقال فيها: امرأة من جُرْهم، ولم يسمّها، وليست من جرهم، وإنما هي الرِّباب بنت حَيْدَةَ بن معدّ بن عدنان فيما ذكر الطبري، وقد قدّمنا ذلك في نسب النبي - ﷺ - .

وأما عَيْلان أخو إلياس، فقد قيل: إنه قيس نفسه لا أبوه، وسُمّي بفرس له اسمه: عَيْلان، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بَجيلة عُرِف بكبة اسم فرسه فُرّق بينهما بهذه الإضافة، وقيل: عَيْلان اسم كلب له، وكان يقال له: النَّاسُ، ولأخيه: إلياس، وقد تقدّم في أول الكتاب القول في عمود نسب رسول الله - ﷺ - وما فيه غُتِيَّة من شرح تلك الأسماء.

وذكر مدركة وطابخة وقَمعة وسبب تسميتهم بهذه الأسماء، وفي الخبر زيادة، وهو أن إلياس قال لأُمهم - واسمها ليلي، وأُمها: ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التي يُنسب إليها: جَمَى ضَرِيَّة، وقد أقبلت تُخْندِف في مشيتها: ما لكِ تُخْندِفين؟ فسُميت: خِندِف، والخُندَفَةُ: سُرْعَةُ في مشي وقال لمدركة:

وأنت قد أدركت ما طَلَبْنَا

وقال لطابخة:

وأنت قد أنصَحْتَ ما طَبِختا

وقال لِقَمعة وهو عُمَيْر:

وأنت قد قعدت فانقَمَعْنَا

(١) جلاء: بَيَّن.

قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب: حديث جرّ عمرو قُضِبَهُ في النار:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال:

حدثت أن رسول الله - ﷺ - قال: «رأيت عمرو بن لحي يجرّ قُضِبَهُ في النار، فسألته عمّن بيني وبينه من الناس، فقال: هلكوا»^(١).

وخنِيفُ التي عُرِفَ بها بنو إلياس، وهي التي ضُربت الأمثالُ بحزنها على إلياس، وذلك أنها تركت بنيتها، وساحت في الأرض تبكيه، حتى ماتت كمدًا، وكان مات يوم خميس، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره فمما قيل من الشعر في ذلك:

إذا مُؤْنِسٌ لاحت خَرَاطِيمُ شَمْسِهِ بكته به حتى ترى الشَّمْسُ تَغْرُبُ
فما رَدَّ بأسًا حُزْنُهَا وعوِيلُهَا ولم يُغْنِهَا حُزْنٌ ونَفْسٌ تَعْدُبُ

وكانوا يسمّون الخميس: مؤنسًا قال الزبير: وإنما نُسب بنو إلياس لأهمهم؛ لأنها حين تركتهم شغلًا لحزنها على أبيهم، رحمهم الناس فقالوا: هؤلاء أولاد خنِيف الذين تركتهم، وهم صغار أيتام، حتى عرفوا ببني خنِيف. وأما عَوَانة بنتُ سعد بن قيس عِيلَان فسميت: العَوَانة وهي الناقة الطويلة.

وذكر حديث عمرو بن لحي بن قَمْعَةَ بن إلياس، وقد تقدّم في نسب خزاعة وأسلم أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة، وأن ربيعة بن حارثة هو أبو خزاعة من بني أبي حارثة بن عامر، لا من حارثة، وسيأتي ذلك. وقول النبي - ﷺ - لأسلم: «ازموا يا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا»^(٢) وهو معارضٌ لحديث أكثم بن الجُزّون في الظاهر، إلا أن بعض أهل النسب ذكر أن عمرو بن لحي كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن آمنت من قَمْعَةَ، ولحيّ صغير. ولحيّ هو: ربيعة، فتيّاه حارثة، وانتسب إليه فيكون النسب صحيحًا بالوجهين جميعًا: إلى حارثة بالتبني، وإلى قَمْعَةَ بالولادة، وكذلك أسلم بن أَفْصَى بن حارثة، فإنه أخو خزاعة، والقول فيه كالقول في خزاعة، وقيل في أسلم بن أَفْصَى: إنهم من بني أبي حارثة بن عامر،

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٢٢٤/٤) ومسلم في الجنة (٥١) وأحمد (٢٧٥/٢).

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٥٩/٦) وأحمد (٥٠/٤) والبيهقي في الكبرى (١٧/١٠) والطبراني (١٧٤/٣) (٣٦/٧).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة - قال ابن هشام: واسم أبي هريرة. عبد الله بن عامر، ويقال اسمه: عبد الرحمن بن صخر - يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجؤن الخزاعي: «يا أكثم، رأيت عمرو لحي بن قمعة بن خثيف يجز قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به، ولا بك منه. فقال أكثم: عسى أن يضرنني شبهه يا رسول الله؟ قال: لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غيّر دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبخر البحيرة وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمل الحامي»^(١).

لا من بني حارثة، فعلى هذا لا يكون في الحديث حجة لمن نسب قحطان إلى إسماعيل، والله أعلم. ومن حجة من نسب خزاعة إلى قمعة مع الحديث المذكور في ذلك قول المفضل [الهدلي] يخاطب قوماً من خزاعة:

لعلكم من أسرة قمعية إذا حضروا لا يشهدون المعرفاً^(٢)

وقوله في حديث أكثم الذي يرويه أبو هريرة. اسم أبي هريرة: عبد الله بن عمرو، وقيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: هو الذي ذكره ابن هشام. وقال البخاري اسمه: عبد شمس بن عبد نهم، وقيل: اسمه عبد غنم، ويحتمل أن يكون هذا اسمه في الجاهلية، فبدله رسول الله ﷺ - كما بدل كثيراً من الأسماء، وقد قيل اسمه: يزيد بن عسرة، وقيل: كزدوس، وقيل: سكين. قاله النسوي، [لعله البغوي أو النفوسي] وقيل غير هذا. وكناه أبا هريرة رسول الله ﷺ - لهرة رآها معه، وقد ذكر أن الهرة كانت وخشيّة.

وأما أكثم الذي ذكره، فقد صرح في حديثه بنسب عمرو والد خزاعة، وذكره لقوة الشبه بين أكثم وبينه يدل على أنه نسب ولادة - كما تقدم ولا سيما على رواية الزبير؛ فإن فيها أنه قال: رأيت عمرو بن لحي والد خزاعة يجز قصبه في النار، وقوله لأكثم: «إنك مؤمن، وهو كافر» قد روى الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده أن رسول الله ﷺ - قال هذه المقالة في حديث الدجال لعبد العزى بن قطن، وأن عبد العزى قال: أضرني شبهه به يا رسول الله؟ يعني: الدجال، فقال كما قال لأكثم: «إنك مؤمن وهو كافر، وأحسب هذا وهماً في الحديث، والله أعلم كما ذكره البخاري عن الزهري. قال: ابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية، ولأكثم عن رسول الله ﷺ - حديثان. أحدهما: «خير

(١) «صحيح». أخرجه الطبري في تفسيره (٥٦/٧) والبغوي (١٠٠/٢).

(٢) المعرفا: يعني عرفة.

أول ما كانت عبادة الحجارة

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَيٍّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قَدِمَ مَآبَ من أرض البَلْقَاءِ، وبها يومئذ العماليق - وهم ولد عَمَلَقَ. ويقال: عَمَلِيق ابن لاوذ بن سام بن نوح - رأهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما

الرفقاء أربعة^(١) وقد تكلمنا على معناه في كتاب التعريف والإعلام. والآخر: اغزُ مع غير قومك، تحسن خلقك^(٢)، قال الإسكاف في كتاب فوائد الأخبار معنى هذا لأن الرجل إذا غزا مع غير قومه تحفُّظ، ولم يَسْتَرْسِلْ وتكَلَّف من رياضة نفسه ما لا يتكَلَّف في صحبة مَنْ يثق باحتماله لنظرهم إليه بعين الرضى، ولصحة إدلاله، فلذلك تحسن خلقه لرياضة نفسه على الصبر والاحتمال، فهذا حسن من التأويل غير أن الحديث مختلف في لفظه، فقد رُوِيَ فيه: سافر مع قومك، وذكر الروایتين أبو عُمَر رحمه الله.

وذكر في الحديث عمرو بن لُحَيٍّ، وأنه أول مَنْ بَحَرَ البحيرة، وقد رُوِيَ أيضًا أن أول مَنْ بَحَرَ البحيرة: رجل من بني مُدَلِج كانت له ناقتان، فجذع^(٣) أذانهما، وحَرَمَ ألبانهما. قال رسول الله - ﷺ -: «فرايته في النار يَخْطِطَانَهُ بأخفافهما، وَيَعْضَانَهُ^(٤) بأفواههما»، وقال عليه السلام: «قد عرفت أول مَنْ سَيَّب السائبة، ونصب الثُصْب. عمرو بن لُحَيٍّ رأيتهُ يؤذي أهل النار بريح قُضْبِهِ^(٥)». رواه ابن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلًا، ولم يقع في رواية البُكَائِيِّ عنه.

أصل عبادة الأوثان

يقال لكل صنم من حجر أو غيره: صنم، ولا يقال: وَثَنٌ إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه، وكان عمرو بن لُحَيٍّ حين غلبت خزاعة على البيت، ونفت جُزْهم عن مكة، قد جعلته العرب رِبًّا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة؛ لأنه كان يطعم الناس، ويكسو في الموسم، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بَدَنَةً، وكسا عشرة آلاف حُلَّةً حتى [قيل] إنه اللَّاتُ الذي، يَلْتُكَ السُّوقُ^(٦) لِلْحَجِيجِ على صخرة معروفة تسمى: صخرة اللات، ويقال إن الذي يَلْتُكَ كان من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو: إنه لم يمت، ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتًا يسمى: اللَّاتُ، ويقال: دام أمره وأمر ولده

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٨٢٧) والبيهقي في الكبرى (١٥٧/٩) وابن عساكر في تهذيبه (٣٩٦/٤).

(٢) انظر التخریج السابق. (٣) جذع: أي شق.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٣٩٦/٤). (٥) تقدم تخريجه صحيحًا.

(٦) السوق: طعام من الحنطة والشعير.

هذه الأصنام التي أراكم تَعْبُدُونَ؟ قالوا له: هذه أَصْنَامُ نَعْبُدُهَا، فَتَسْتَفْطِرُهَا فَتُمْطِرُنَا، وَتَسْتَنْصِرُهَا فَتَنْصِرُنَا، فَقَالَ لَهُمْ: أَفَلَا تُعْطُونِي مِنْهَا صَنْمًا، فَأَسِيرَ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، فَيَعْبُدُوهُ؟ فَأَعْطَوْهُ صَنْمًا يَقَالُ لَهُ: هُبْلَ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، فَتَّصَّبَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ.

قال ابن إسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل، أنه كان لا يَظْلَعَنَّ مِنْ مَكَّةَ ظَاعِنٌ مِنْهُمْ، حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ، وَالتَمَسُوا الْفُسْحَ فِي الْبِلَادِ، إِلَّا حَمَلَ مَعَهُ حَجَرًا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَمِ تَعْظِيمًا لِلْحَرَمِ، فَحَيْثُمَا نَزَلُوا وَضَعُوهُ، فَطَافُوا بِهِ كَطَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ، حَتَّى سَلَخَ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى أَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَا اسْتَحْسَنُوا مِنَ الْحِجَارَةِ، وَأَعْجَبَهُمْ، حَتَّى خَلَفَ الْخُلُوفَ، وَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ غَيْرِهِ، فَعْبَدُوا الْأَوْثَانَ، وَصَارُوا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْأُمَمُ قَبْلَهُمْ مِنَ الضَّلَالَاتِ، وَفِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بَقَايَا مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَا: مِنْ تَعْظِيمِ الْبَيْتِ، وَالطَّوَافِ بِهِ، وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى عِرْقَةِ وَالْمُزْدَلِفَةِ، وَهَذِي الْبُذُنِ، وَالْإِهْلَالِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، مَعَ إِدْخَالِهِمْ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ. فَكَانَتْ كِنَانَةُ وَقُرَيْشٌ إِذَا أَهْلَوْا قَالُوا: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَّكَ». فَيُوحِدُونَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يُدْخِلُونَ مَعَهُ أَصْنَامَهُمْ، وَيَجْعَلُونَ مِلْكَهَا بِيَدِهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمُحَمَّدٍ - ﷺ -: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] أَي مَا يُوحِدُونَنِي لِمَعْرِفَةِ حَقِّي إِلَّا جَعَلُوا مَعِيَ شَرِيكًا مِنْ خَلْقِي.

على هذا بمكة ثلثمائة سنة فلما هلك سُمِّيَتْ تِلْكَ الصَّخْرَةُ: اللَّاتُ مَخْفَفَةُ النَّاءِ، وَاتَّخَذَ صَنْمًا يَعْبُدُ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ، أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ الْأَصْنَامَ الْحَرَمَ، وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى عِبَادَتِهَا، وَسَيَّاتِي ذِكْرَ إِسَافٍ وَنَائِلَةَ، وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِهِمَا. وَذَكَرَ أَبُو الْوَلِيدِ الْأَزْرَقِيُّ فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ أَنَّ عَمَرَ بْنَ لُحَيٍّ فَقَا أَعْيُنَ عَشْرِينَ بَعِيرًا، وَكَانُوا يَقْفُؤُونَ عَيْنَ الْفَحْلِ إِذَا بَلَغَتْ الْإِبِلَ الْفَقَا، فَإِذَا بَلَغَتْ الْفَيْنَ فَقَفَّوْا الْعَيْنَ الْأُخْرَى قَالَ الرَّاجِزُ:

وَكَانَ شُكْرُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمِئْنِ كَيُّ الصَّحِيحَاتِ، وَفَقَّا الْأَغْيُنِ

وكانت التلبية من عهد إبراهيم: لَبَّيْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، حَتَّى كَانَ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُلَبِّي تَمَثَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ يَلْبِي مَعَهُ، فَقَالَ عَمْرُو: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَقَالَ الشَّيْخُ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَمْرُو، وَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ الشَّيْخُ قُلْ: تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَّكَ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِذَا، فَقَالَهَا عَمْرُو، فَدَانَتْ^(١) بِهَا الْعَرَبُ.

(١) دانت بها العرب: أي اتخذته دينًا وشرعة ومنهاجًا.

أصنام قوم نوح:

وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عكفوا عليها، قصَّ الله - تبارك وتعالى - خبرها على رسول الله - ﷺ - فقال: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٢، ٢٣].

أصنام القبائل العربية:

فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم، وسَمَوْا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل: هُذَيْلُ بن مُدْرِكَةَ بن إِيَّاس بن مِضَر، اتخذوا سُوَاعًا، فكان لهم بَرِهَاط. وكلب بن وَبَرَة من قُضَاعَة، اتخذوا وَدًّا بِدُومَةَ الْجَنْدَل.

وذكر ابن إسحاق ما كان في قوم نوح ومن قبلهم من عبادة الأصنام: وتلك هي الجاهلية الأولى التي ذكر الله في القرآن في قوله: ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١) [الأحزاب: ٣٣] وكان بدء ذلك في عهد مهلايل بن قَيْنَان فيما ذكروا، وقد ذكر البخاري عن ابن عباس قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، وهي أسماء قوم صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصِبُوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابًا، وسَمَوْها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وَتُتُوْسِيخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ». وذكر الطبري هذا المعنى وزاد أن سُوَاعًا كان: ابن شِيث، وأن يغوث كان: ابن سواع، وكذلك يَعُوقُ وَنَسْرُ كُلِّمَا هَلِكَ الْأَوَّلُ صُوِّرَتْ صُورَتُهُ^(٢)، وعُظِّمَتْ لموضعه من الدين، ولما عَهِدُوا في دعائه من الإجابة، فلم يزالوا هكذا حتى خَلَقَتْ الْخُلُوفُ، وقالوا: ما عَظَّمْ هَؤُلَاءِ آبَاؤُنَا إِلَّا لِأَنَّهُا تَرْزُقُ وَتَنْفَعُ وَتَضُرُّ، واتخذوها آلهة، وهذه أسماء سُريانية وقعت إلى الهند، فَسَمَوْا بها أصنامهم التي زعموا أنها صُورُ الدَّرَارِي السبعة، وربما كَلَّمْتَهُمُ الْجِنُّ مِنْ جَوْفِهَا فَفَتَنَتْهُمْ، ثم أدخلها إلى العرب عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ كما ذكر أو غيره، وعَلَّمَهُمْ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ، وَأَلْقَاهَا الشَّيْطَانُ عَلَى السِّتْنِهِمْ مُوَافَقَةً لِمَا كَانُوا فِي عَهْدِ نُوحٍ.

وذكر ابنُ إِسْحَاقَ أَنَّ كَلْبَ بْنَ وَبَرَةَ مِنْ قُضَاعَة. وَبَرَةُ بِسُكُونِ الْبَاءِ تَقِيدُ فِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ، وَهِيَ الْأُنْثَى مِنَ الْوَبَرِ^(٣) اتَّخَذُوا وَدًّا فِي دُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَدُومَةُ هَذِهِ - بِضَمِّ الدَّالِ -

(١) وانظر تفسير ابن كثير والطبري والرازي.

(٢) وقالوا: لو صَوَّرْنَا هَمَّكَ كَانَتْ أَشْوَاقُ لَنَا إِلَى الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَرْنَا هَمَّ. فَصَوَّرُوهُمْ. وَدَبَّ مِنْ هُنَا الشَّرْكَ فِي ذُرِّيَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَابِ «الْمَغَالَةِ فِي الصَّالِحِينَ».

(٣) الوبرة: دوية على قدر السنور.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك الأنصاري:

وَنَسَى اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَوَدًّا وَنَسَلَهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوقَا

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله.

قال ابن هشام: وَكَلْبُ بْنُ وَبَرَةَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ حُلُوانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قِضَاعَةَ.

قال ابن إسحاق: وَأَنْعَمُ مِنْ طَيْيٍّ، وَأَهْلُ جُرَشٍ مِنْ مَذْحِجٍ اتَّخَذُوا يَغُوثَ بِجُرَشٍ.

قال ابن هشام. ويقال: أَنْعَمُ. وَطَيْيٌّ بْنُ أَدَدَ بْنِ مَالِكٍ، وَمَالِكُ: مَذْحِجُ بْنُ أَدَدَ، وَيُقَالُ: طَيْيٌّ بْنُ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأٍ.

قال ابن إسحاق: وَخَيْوَانُ بَطْنٌ مِنْ هَمْدَانَ، اتَّخَذُوا يَغُوثَ بِأَرْضِ هَمْدَانَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ.

ذكروا أنها سُمِّيَتْ بِدُومَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ كَانَ نَزْلُهَا، وَدُومَةُ أُخْرَى بَضَمَ الدَّالَ عِنْدَ الْكُوفَةِ، وَدُومَةُ - بَفَتْحِ الدَّالِ - أُخْرَى مَذْكُورَةٌ فِي أَخْبَارِ الرُّدَّةِ، كَذَا وَجَدْتُهُ لِلْبَكْرِيِّ [فِي مُعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ] مَقِيدًا فِي أَسْمَاءِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ.

وَذَكَرَ طَيْيٌّ بْنُ أَدَدَ، أَوْ ابْنُ مَالِكِ بْنِ أَدَدَ عَلَى الْخِلَافِ، وَمَالِكُ هُوَ: مَذْحِجٌ، وَسُمُّوا مَذْحِجًا بِأَكْمَةٍ نَزَلُوا إِلَيْهَا. [وَطَيْيٌّ] مِنَ الطَّاءِ^(١)، وَهِيَ بَعْدَ الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ. قَالَ ابْنُ جَنِّي، وَلَمْ يَرْضَ قَوْلَ الْقَتِّبِيِّ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ طَوَى الْمَنَاهِلَ، لِأَنَّ طَيْيًّا مَهْمُوزٌ، وَطَوَيْتَ غَيْرَ مَهْمُوزٍ^(٢).

وَذَكَرَ جُرَشٍ فِي مَذْحِجٍ. وَالْمَعْرُوفُ أَنَّهُمْ فِي جَمِيرٍ، وَأَنَّ مَذْحِجَ بْنَ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ الْمُلُوكَ كَانَ لِكَهْلَانَ بَعْدَ حَمِيرٍ، وَأَنَّ مَلِكَهُ دَامَ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ عَادَ فِي بَنِي جَمِيرٍ، قَالَهُ الْمَسْعُودِيُّ^(٣). وَذَكَرَ الدَّارِقُطْنِيُّ أَنَّ جُرَشَ وَخُرَشَ بِالْحَاءِ أَخَوَانِ، وَأَنَّهُمَا ابْنَا عَلْنِيمَ بْنِ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ، فَهُمَا قَبِيلَانِ مِنْ كَلْبٍ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) الطاء: الإبعاد في الأرض.

(٢) انظر الاشتقاق لابن دريد (٣٨٠).

(٣) انظر مروج الذهب للمسعودي (٧٤/٢).

قال ابن هشام: وقال مالك بن نَمَطٍ الهمداني:

يَرِيشُ الله في الدنيا وَيَبْرِي وَلَا يَبْرِي يَعُوقُ وَلَا يَرِيشُ
وهذا البيت في أبيات له:

قال ابن هشام: اسم همدان: أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن
الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار.
ويقال: همدان بن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن
سبأ.

قال ابن إسحق: وذو الكلاع من حمير، اتخذوا نسراً بأرض حمير.

وكان لِحَوْلَانَ صَنْمٌ يقال له: عُمَيَانِسُ بأرض حَوْلَانَ، يَفْسَمُونَ له من أنعامهم
وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حقَّ عُمَيَانِسَ من حقِّ الله تعالى الذي
سمّوه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حقَّ عُمَيَانِسَ ردّوه عليه، وهم بطن
من حَوْلَانَ، يقال لهم: الأديم، وفيهم أنزل الله - تبارك وتعالى - فيما يذكرون: ﴿وَجَعَلُوا
لِلَّهِ مِمَّا دَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾
[الأنعام: ١٣٦].

قال ابن هشام: حَوْلَان بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ، ويقال: حَوْلَان بن
عمرو بن مرة بن أَدَد بن زيد بن مِهْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلَانَ بن سبأ،
ويقال: حَوْلَان بن عمرو بن سَعْدِ الْعَشِيرَةِ بن مَذْجَج.

وذكر مالك بن نَمَطٍ الهمداني [الخارفي]، وهو أبو ثور يَلْقَبُ ذَا الْمِشْعَارِ، وهو من
بني خارف، وقد قيل. إنه من يَامِ بن أَصْبِي، وكلاهما من همدان وقوله:

يَرِيشُ^(١) اللّهُ في الدنيا وَيَبْرِي

هو من رِشْتُ السهم وَبَرَيْتُهُ، استعير في النفع والضرر. قال سُوَيْد:

فَرِشْنِي طالما قَدْ بَرَيْتَنِي وخيرُ الموالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي

(١) يریش: رشت فلاناً إذا أعتته وقوّته.

قال ابن إسحاق: وكان لبني مِلْكَان بن كِنانة بن حُزَيْمة بن مُذَرِّكة بن إلياس بن مُضَرَّ صنم، يقال له: سَعْد: صَخْرَةٌ بَفَلَاةٍ من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني مِلْكَان بإبل له مُؤَبَّلَةٌ؛ ليقفها عليه، التماسَ بركته - فيما يزعم - فلما رآته الإبل وكانت مَرْعِيَّةً لا تُرْكَب، وكان يُهراق عليه الدماء نفرت منه، فذهبت في كل وجه، وغَضِبَ ربها المِلْكَاني، فأخذ حجرًا فرماه به، ثم قال: لا بارك الله فيك، نفرت عليَّ إِبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ، لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا فَشَتَّتْنَا سَعْدٌ، فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ
وَهَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ بَتَّنُوفَةٍ من الْأَرْضِ لَا تَدْعُو لِعَيٍّ وَلَا رُشْدٍ
وكان في دَوْس صنم لعمر بن حُمَمة الدَّوْسِي.

قال ابن هشام: سأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله.

ودَّوس بن عُذْشان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأَسَد بن الغوث. ويقال: دوس بن عبد الله بن زهران بن الأَسَد بن الغوث.

وذكر حديث المِلْكَاني وقوله:

فَشَتَّتْنَا سَعْدٌ، فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ

ويمتنع في العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار: لا، مثل أن تقول: لا زيد في الدار ولا عمرو، وذكر سيبويه قولهم: لا تَوَلَّكَ أن تفعل، وقال: إنما جازَ هذا؛ لأن معناه معنى الفعل، أي: لا ينبغي لك أن تفعل، وكذلك ينبغي أن يقال في بيت المِلْكَاني: أي: لم يقلها على جهة الخبر، ولكن على قصد التَّبَرِّي منه، فكان معنى الكلام: فلا نتولى سعدًا، ولا ندين به، فهذا المعنى حَسَنٌ دخول لا على الابتداء كما حَسَن: لا تَوَلَّكَ.

وقوله: إلا صخرة بَتَّنُوفَةٍ. التَّنُوفَةُ: الْقَفْرُ، وجمعها: تنائف بالهمز، ووزنها: فَعُولَةٌ، ولو كانت تَفْعَلَةٌ من التَّنُوفِ، وهو الارتفاع لجمعت تناوف، ولكنه لا يجوز أن تكون تَفْعَلَةٌ إِلَّا أن تُحَرِّكَ الواو بالضم؛ لثلا يشبه بناء الفعل، ولو قيل فيها: تَنُوفَةٌ بضم التاء لاحتمل حيثئذ أن تكون فعولة أو تَفْعَلَةٌ على مثال تنفلة؛ إذ ليس في الأفعال تَفْعَلٌ بالضم، وهذا من دقيق علم التصريف.

وأما مِلْكَان بن كِنانة فيكسر الميم. قال أبو جعفر بن حبيب التَّسَابُة: كل شيء في العرب فهو مِلْكَان بكسر الميم ساكن اللام، غير مَلْكَان في قضاة، ومَلْكَان في السُّكُون،

هَبِل وإِسَاف ونائلة:

قال ابن إسحاق: وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له: هَبِل.

قال ابن هشام: سأذكر حديثه إن شاء الله في موضعه.

قال ابن إسحاق: واتخذوا إسافاً ونائلة، على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلاً وامراً من جُزهم - هو: إساف بن بغي ونائلة بنت ديك - فوقع إساف على نائلة في الكعبة، فمسخهما الله حَجَرَيْن.

قال ابن إسحاق: حَدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارَةَ أنها قالت: سمعت عائشة - رضي الله عنها - تقول: ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلاً وامراً من جُزهم، أخذنا في الكعبة، فمسخهما الله تعالى حَجَرَيْن، والله أعلم.

فإنهما بفتح الميم واللام فَمَلَكَا قضاة هو: ابن جَزَم بن رَبَّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاة، ومَلَكَا السُّكُون هو: ابن عَبَّاد بن عِيَّاض بن عُقْبَةَ بن السُّكُون بن أشرس من كندة، وكذلك قال الهمداني في مَلَكَا بن جَزَم، وقال: مثل غَطَفَان، وقال ابن حبيب: مشايخ خزاعة يقولون: مَلَكَا بفتح اللام: قال أبو الوليد يعني ابن حبيب: ملكان بن أفضى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وذكر أبو علي القالي في أماليه عن أبي بكر بن الأنباري، عن أبيه، عن أشياخه: أن كل ملكان في العرب فهو ملكان بكسر الميم إلا مَلَكَا في جَزَم بن رَبَّان.

قال المؤلف: وابن حبيب النسابة مصروف اسم أبيه، ورأيت لابن المغربي قال: إنما هو ابن حَبِيب بفتح الباء غير مجرى، لأنها أمه، وأنكر ذلك عليه غيره، وقالوا: هو حبيب بن الْمُحَبَّر معروف غير منكر، وإنما ذكرناه هاهنا لما حكينا قوله في ملكان.

فصل: وذكر إسافاً ونائلة، وأنهما رجل وامراً من جرهم، وأن إسافاً وقع عليها في الكعبة فمسخا^(١)، وأخرجه رزين في فضائل مكة عن بعض السلف: ما أمهلها الله إلى أن يفجرا فيها، ولكنه قَبَلها، فمسخا حجرين، فأخرجا إلى الصفا والمروة، فنصبا عليهما، ليكونا عبرة وموعظة، فلما كان عَمْر بن لُحَي نقلهما إلى الكعبة، ونصبهما على زَمْرَم، فطاف الناس بالكعبة وبهما، حتى عبدا من دون الله.

(١) وذكر المسعودي في مروج الذهب (٥٠/٢) أنهما حجرين نُجِتا ومُثَلَا.

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وحيث يُنِيخ الأشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ بِمُقْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسَّحَ به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قَدِمَ من سفره تمسَّحَ به، فكان ذلك أولَ ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله محمداً - ﷺ - بالتوحيد، قالت قريش: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سَدَنَةٌ وَحُجَابٌ، وتُهْدِي لها كما تُهْدِي للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عَرَفَتْ أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده.

وأما هُبُلُ فَإِنَّ عَمْرُو بْنَ لُحَيٍّ جَاءَ بِهِ مِنْ هَيْتٍ^(١)، وهي من أرض الجزيرة حتى وضعه في الكعبة. وذكر الواقدي أن نائلة حين كسرها النبي - ﷺ - عام الفتح خرجت منها سَوْدَاءُ شَمْطَاءٌ تَخْمُشُ وَجْهَهَا، وتنادي بالوَيْلِ والثُّبُورِ، وذكر باقي الحديث.

وقولُ عائشة: أَخَذْنَا فِي الْكَعْبَةِ، أرادت أَلْحَدَتْ الذي هو الْفُجُورُ كما قال - عليه السلام -: «مَنْ أَخَذَتْ [فِيهَا] حَدَّنَا، أَوْ آوَى مُحَدِّنًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ [وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ]»^(٢). وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة: أَحْدَثْتُمْ. والله لئن عادت لَأُخْرِجَنَّ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ.

وقولُ أبي طالب: مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ، وهو ترخيْمٌ في غير النداء للضرورة، كما قال: أَمَالِ بْنِ حَنْظَلٍ.

وذكر قول الشاعر:

رَأَى قَدَعًا فِي عَيْنِهَا. وَالْقَدَعُ: ضَعْفُ الْبَصَرِ مِنْ إِدْمَانِ النَّظَرِ

وقوله فِي الْعُغْبَبِ: وَهُوَ الْمُنْحَرُ وَمِرَاقُ الدَّمِ^(٣)، كأنه سُمِّيَ بحكاية صوتِ الدَّمِ عند

(١) هيت: بلدة على الفرات سُميت باسم بانيها هيت بن البندي.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٣/٣١٣) ومسلم في الحج (٤٦٣/٤٦٧) وأحمد (٥٢٦/٢).

(٣) قيل أنه كان لمعتب بن قيس، بيت كانوا يحتجون إليه.

العُزَّى واللات ومناة:

فكانت لقريش وبني كنانة: العُزَّى بَنَخْلَة، وكان سَدَنَّتْهَا وَحُجَابُهَا بنو شَيْبَان من سُلَيْم، حلفاء بني هاشم.

قال ابن هشام: حلفاء بني أَبِي طَالِب خاصة، وسُلَيْم: سُلَيْم بن مَثُور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان.

قال ابن إسحق: فقال شاعر من العرب:

لَقَدْ أُنْكِحْتَ أَسْمَاءَ رَأْسَ بُقَيْرَةٍ من الأذى أهداها امرؤ من بني غَنَمِ
رَأَى قَدْعًا فِي عَيْنِهَا إِذْ يَسُوقُهَا إِلَى غَبَبِ الْعُزَّى فَوَسَّعَ فِي الْقَسَمِ
وَكَذَلِكَ كَانُوا يَصْنَعُونَ إِذَا نَحَرُوا هَذَا قَسْمُوهُ فِي مَنْ حَضَرَهُمْ. وَالْغَبَبُ: المنحر، ومُهْرَاق الدماء.

قال ابن هشام: وهذان البيتان لأبي خِرَاشٍ الْهُذَلِيِّ واسمه: حُوَيْلِدُ بن مُرَّة في أبيات له.

وَالسَّدَنَةُ: الذين يقومون بأمر الكعبة. قال رؤية بن العجاج:

فلا وربَّ الآمِنَاتِ الْقُطُنِ [يَعْمُرُنَ أَمْنًا بِالْحَرَامِ الْمَأْمَنِ]
بِمَخْبَسِ الْهَذِيِّ وَبِنِتِ الْمَسْدَنِ

وهذان البيتان في أرجوزة له، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه.

قال ابن إسحق: وكانت اللات لثَقِيف بالطائف، وكان سَدَنَّتْهَا وَحُجَابُهَا بنو مُعْتَب من ثَقِيف.

قال ابن هشام: وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه.

انبعاثه، ويجوز أن يكون مقلوبًا من قولهم: بثر بُغْيَغٌ وَيُغْيَغُ إذا كانت كثيرة الماء. قال الراجز: بُغْيَغٌ قَصِيرَةُ الرِّشَاءِ. ومنه قيل لعين أبي نِزَرٍ: الْبُغْيَغَةُ. ومعنى هذا البيت: الدُّمُ وتشبيه هذا الْمَهْجُوِّ بِرَأْسٍ بِقَرَّةٍ قد قربت أن يذهب بصرها، فلا تصلح إلا للذبح والقسم.

وذكر قلَسًا في بلاد طيء بين أجَا وسَلَمَى. ويذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن أجَا اسم رجل بعينه، وهو: أجَا بن عبد الحي، وكان فَجَرٌ بَسَلَمَى بنت حام، أو أئْهُم بذلك، فَصَلَبَا فِي ذُنَيْكِ الْجَبَلَيْنِ، وعندهما جبل يقال له: الْعَوْجَاء، وكانت الْعَوْجَاءُ حَاضِنَةً سَلَمَى - فيما ذكر - وكانت السفيرَ بينهما وبين أجَا، فَصَلَبَتْ فِي الْجَبَلِ الثَّالِثِ، فَسُمِّيَ بِهَا.

قال ابن إسحاق: وكانت مئة للأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بِقَدِيد.

قال ابن هشام: وقال الكُمَيْت بن زيد أحد بني أسد بن مُدْرَكَة.

وقد آلت قبائل لا تُؤلي مئة ظُهورها مُتَحَرِّفِينَا
وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: فبعث رسول الله - ﷺ - إليها أبا سفيان بن حَرْبٍ فهدمها، ويقال: علي بن أبي طالب.

ذو الْخَلْصَةِ وفلس ورضاء وذو الكعبات:

قال ابن إسحاق: وكان ذو الْخَلْصَةِ لَدَوْسٌ وَخَثْعَمٌ وَبَجِيلَة، ومن كان ببلادهم من العرب بَبَالَة.

قال ابن هشام: ويقال: ذو الْخُلْصَة. قال: رجل من العرب:

لو كنت يا ذا الْخَلْصِ الْمَوْتُورَا مِثْلِي وكان شِنْخُك الْمَقْبُورَا
لم تَنَّة عن قُتْل الْعُدَاة زُورَا

قال: وكان أبوه قُتِل، فأراد الطلبَ بشاره، فأتى ذا الْخَلْصَة، فاستَقَسَمَ عنده بالأزلام، فخرج السهم بَنَهِيه عن ذلك، فقال هذه الأبيات. ومن الناس من يَنْحَلُّهَا امرأ القيس بن حُجْر الكِنْدِي، فبعث إليه رسول الله - ﷺ - جرير بن عبد الله الْبَجَلِي، فهدمه.

وذكر ذا الْخَلْصَة، وهو بيت دوس. وَالْخَلْصُ في اللغة: نبات طيب الريح يتعلق بالشجر، له حَبٌ كعنب الثعلب. وَجَمْعُ الْخَلْصَة: خَلْصٌ^(١). وأن الذي اسْتَقَسَمَ بالأزلام هو: امرؤ الْقَيْسِ بن حُجْر. ووقع في كتاب أبي الفرج أن امرئ القيس بن حُجْر حين وَتَرَتْهُ بنو أسدٍ بقتل أبيه اسْتَقَسَمَ عند ذي الْخَلْصَة بثلاثة أزلام^(٢)، وهي: الزاجر والأمر والمُتَرَبِّص، فخرج له الزاجر، فسبَّ الصنم، ورماه بالحجارة، وقال له: اغضضْ بَظَرِ أَمْك، وقال الرُّجَزُ الذي ذكره ابن إسحاق: لو كنت يا ذا الْخَلْصِ الْمَوْتُورَا. إلى آخره، ولم يَسْتَقْسِمَ أحدٌ عند ذي الْخَلْصَة بعدُ حتى جاء الإسلام، وموضعه اليوم مسجدٌ جامعٌ لبلدية يقال لها: الْعَبْلَات من

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/٢٠٨).

(٢) الأزلام: جمع زلم وهو: القدح. أو السهم من سهام الاستقسام.

أَرْضَ خَنْعَمَ. ذكره المبرد عن أبي عُيَيْدَةَ. واسمُ امرئ القيس: خُنْدَج، وَالْخُنْدُجُ: بَقْلَةٌ تَنْبِتُ فِي الرَّمْلِ^(١). وَالْقَيْسُ: الشَّدَّةُ وَالنَّجْدَةُ. قال الشاعر:

وَأَنْتِ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَيْسٌ وَنَجْدَةٌ وَأَنْتِ عَلَى الْأَدْنَى هِشَامٌ وَنَوَقْلٌ
وَالنَّسَبُ إِلَيْهِ: مَرْقَسِيٌّ، وَإِلَى كُلِّ امْرِئٍ الْقَيْسِ سِوَاهُ: امْرِئِيٌّ. وقد قيل: إِنْ خُنْدَجًا
اسمُ امرئ القيس بن عَابِسٍ، وَلَهُ صُحْبَةٌ، وَهُوَ كِنْدِيٌّ مِثْلُ الْأَوَّلِ، فَوَقَعَ الْغُلَطُ مِنْ هَهُنَا.

وقوله: لَمْ تَنْهَ عَنْ قَتْلِ الْعُدَّةِ زُورًا. نصب: زُورًا عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمَصْدَرِ الَّذِي هُوَ
النَّهْيُ. أَرَادَ: نَهَيًْا زُورًا. وَانْتِصَابُ الْمَصْدَرِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ إِنَّمَا هُوَ حَالٌ، أَوْ مَفْعُولٌ
مُطْلَقٌ، فَإِذَا حُذِفَ الْمَصْدَرُ، وَأَقَمَتِ الصِّفَةُ مَقَامَهُ، لَمْ تَكُنْ إِلَّا حَالًا، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ
أَنَّكَ تَقُولُ: سَارُوا شَدِيدًا، وَسَارُوا زَوْنِدًا، فَإِنْ رَدَدْتَهُ إِلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ لَمْ يَجْزِ رَفْعُهُ؛
لأنه حال، ولو لَفِظْتَ بِالْمَصْدَرِ، فَقُلْتَ: سَارُوا سِيرًا زَوْنِدًا لَجَازَ أَنْ تَقُولَ فِيمَا لَمْ يُسَمَّ
فَاعِلُهُ: سِيرَ عَلَيْهِ سَيْرٌ زَوْنِدٌ هَذَا كُلُّهُ مَعْنَى قَوْلِ سَيَّوِيهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ حُكْمَهُ إِذَا لَفِظَ بِهِ غَيْرُ
حُكْمِهِ إِذَا حُذِفَ، وَالسَّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ الصِّفَةَ لَا تَقُومُ مَقَامَ الْمَفْعُولِ إِذَا حُذِفَ. لَا تَقُولُ:
كَلَّمْتُ شَدِيدًا، وَلَا ضَرَبْتُ طَوِيلًا، يَقْبُحُ ذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الصِّفَةُ عَامَّةً، وَالْحَالُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ؛
لأنها تجري مجرى الظرف، وَإِنْ كَانَتِ صِفَةً فَمَوْصُوفُهَا مَعَهَا، وَهُوَ الْأِسْمُ الَّذِي هِيَ حَالٌ
لَهُ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وذكر بعث جريرِ البَجَلِيِّ إِلَى هَدْمِ ذِي الْخَلَصَةِ، وَذَلِكَ قَبْلَ وِفَاةِ النَّبِيِّ - ﷺ - بِشَهْرَيْنِ
أَوْ نَحْوَهُمَا، قَالَ جَرِيرٌ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي مِائَةِ وَخَمْسِينَ رَاكِبًا مِنْ أَحْمَسَ إِلَى ذِي
الْخَلَصَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَا أَتَيْتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَدَعَا لِي، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ
هَادِيًا مَهْدِيًا» وَفِي كِتَابِ مُسْلِمٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ وَالشَّامِيَّةُ»^(٢)،
وَهَذَا مُشْكَلٌ، وَمَعْنَاهُ: كَانَ يُقَالُ: الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ وَالشَّامِيَّةُ يَعْنُونَ بِالشَّامِيَّةِ: الْبَيْتَ الْحَرَامَ،
فَزِيَادَةُ لَهُ سَهْوٌ، وَبِإِسْقَاطِهِ يَصِحُّ الْمَعْنَى. قَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ وَالْحَدِيثُ فِي جَامِعِ الْبَخَارِيِّ
بَزِيَادَةٍ: لَهُ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَلَيْسَ هَذَا عِنْدِي بِسَهْوٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ كَانَ يُقَالُ لَهُ: أَيُّ يُقَالُ
مِنْ أَجَلِهِ الْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ لِلْكَعْبَةِ، وَهُوَ الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ، وَلَهُ بِمَعْنَى مِنْ أَجَلِهِ لَا تُكْرَرُ، كَمَا قَالَ
ابْنُ أَبِي رِيْعَةَ:

وَقَمِيرٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَدْ لَا حَ، لَهُ قَالَتِ الْفَتَاتَانِ قُومًا

(١) الحنْدَجُ: هُوَ أَيْضًا الْكُثْبُ مِنَ الرَّمْلِ.

(٢) «صَحِيحٌ». أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ (٧٦/٤) وَمُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (١٣٧/١٣٥) وَابْنُ مَاجَةَ (١٥٩).

قال ابن إسحاق: وكانت فلُس لَطِيئَةً، وَمَنْ يَلِيهَا بِجَبَلِي طَبِيءٌ، يعني سَلَمَى وأجأ.

قال ابن هشام: فحدّثني بعض أهل العلم أَنَّ رسول الله - ﷺ - بعث إليها عليّ بن أبي طالب فهدمها، فوجد فيها سَيِّفَيْنِ، يقال لأحدهما: الرُّسُوبُ، وللآخر: المِخْدَمُ. فأتى بهما رسول الله - ﷺ - فَوَهَبَهُمَا لَهُ، فهما سَيِّفَا عليّ رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: وكان لِحِمَيْرٍ وأهل اليمن بَيْتٌ بصنعاء يقال له: رثام.

قال ابن هشام: قد ذكرت حديثه فيما مضى.

رُضَاءُ والمستَوْغَرُ:

قال ابن إسحاق: وكانت رُضَاءُ بَيْتًا لبني رَبِيعَةَ بن كَعْبٍ بن سَعْدٍ بن زيد مَنَاءَ بن تميم، ولها يقول المُسْتَوْغَرُ بن ربيعة بن كَعْبٍ بن سَعْدٍ حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددتُ على رُضَاءٍ شَدَّةً فتركناها قَفْرًا بقاع أسحما

قال ابن هشام: قوله:

فتركناها قَفْرًا بقاع أسحما

عن رجل من بني سَعْدٍ.

وذو الخُلُصَةِ بضم الخاء واللام في قول ابن إسحاق، ويفتحهما في قول ابن هشام، هو صنم سَيِّغَبَدٍ في آخر الزمان، ثبت في الحديث أنه: «لا تقوم الساعة حتى تَضْطَلِقَ أَلْيَاثُ نِسَاءِ دَوْسٍ وَخَثْعَمٍ حول ذي الخُلُصَةِ»^(١).

فصل: وذكر المُسْتَوْغَرُ بن ربيعة، واسمه: كَعْبٌ. قال ابن دُرَيْدٍ: سُمِّيَ مُسْتَوْغَرًا بقوله:

يَنْشِ الْمَاءُ فِي الرُّبَلَاتِ مِنْهُ نَشِيشَ الرُّضْفِ فِي اللَّبَنِ الْوَغِيرِ^(٢)

والوغير: فعيل من وَغَرَةَ الحرَّ وهي شدته، وذكر القُتَيْبِيُّ أَنَّ المُسْتَوْغَرَ حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنة، وقد هَرِمَ، والجَدُّ يقوده، فقال له رجل: ارفُقْ بهذا الشيخ، فقد طال

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٧٣/٩) ومسلم في الفتن (٥١) وأحمد (٢٧١/٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٣/١٥) وعبد الرزاق في مصنفه أيضًا (٢٠٧٩٥). ومعنى الحديث: أي حتى يرتدوا عن دينهم والعباد بالله، إلى عبادة الأصنام مرة أخرى.

(٢) البيت في كتاب الأصنام (٣٠) لابن الكلبي.

ويقال: إن المُستَوغِرَ عُمُرَ ثلثمائة سنة وثلثين سنة، وكان أطول مُضَرَّ كُلِّهَا عُمُرًا، وهو الذي يقول:

ولقد سِئِمْتُ من الحياة وطولها وعَمِرْتُ من عدد السنين مِئِينَا
مَائَةٌ حَدَّثَهَا بعدها مِئَتَانِ لِي وازْدَدْتُ من عدد الشهور سِنِينَا
هل ما بَقِيَ إلا كما قَدْ فاتنا يَوْمَ يَمُرُّ، وَلَيْلَةً تَحْدُونَا
وبعض الناس يَزُوي هذه الأبيات لِزُهَيْرِ بنِ جَنَابِ الكَلْبِيِّ.

قال ابن إسحق: وكان ذو الكَعْبَاتِ لبكر وتَغْلِبِ ابني وائل وإيادِ سِنْدَاد، وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

بَيْنَ الْخَوَزَنْقِ وَالسُّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الْكَعْبَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
قال ابن هشام: وهذا البيت للأسود بن يَغْفَرِ التَّهْلِيِّ: نهشل بن دارم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَمِيمٍ في قصيدة له، وأنشدنيهِ أَبُو مُخَرِّزٍ خَلْفُ الْأَحْمَرِ:
أَهْلُ الْخَوَزَنْقِ وَالسُّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ

ما رَفَقَ بك، فقال: وَمَنْ تراه؟ فقال: هو أبوك أو جدك، فقال: ما هو إلا ابن ابني، فقال: ما رأيت كالْيَوْمِ! ولا المُستَوغِرَ بن ربيعة! فقال: أنا المُستَوغِرُ. والأبيات التي أنشدها له:

ولقد سِئِمْتُ من الحياة وطولها وَعَمِرْتُ من عدد السنين مِئِينَا
إلى آخره. ذكر أنها تُروى لِزُهَيْرِ بنِ جَنَابِ الكَلْبِيِّ، وهو زُهَيْرُ بنِ جَنَابِ بن هُبَلِ بن عبد الله بن كنانة بن بَكْرِ بن عَوْفِ بن غُذَرَةَ بن زَيْدِ اللَّاتِ بن رُقَيْدَةَ بن ثَوْرِ بن كَلْبِ بن وَبَرَةَ. وزُهَيْرُ هذا من المُعَمَّرِينَ، وهو الذي يقول:

أَبْنِي إِنْ أَهْلِكَ فإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ بَنِيَهُ
وَتَرَكْتُكُمْ أولاد سادا يَزِنَادُهُمْ وَرِيئُهُ
مِنْ كُلِّ ما نال الفتى قَدْ نَلَتْهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ^(١)
يريد بالتحية: البقاء، وقيل: المُلْكُ، وأعقب هو وإخوته قبائل في كَلْبِ وهم: زُهَيْرُ وَعَدِيٌّ وحارثَةُ ومالكُ، ويعرف مالك هذا بالأصمِّ لقوله:

(١) فإصل كلمة التحية من الحياة: أي البقاء. ومنه قول المصلي في تشهده وقيل خروجه من بين يدي مالك الملك: «التحيات لله» أي الحياة الكاملة التي لا يعترها نقص، التي لم تُسَبِّحْ بعدم ولا يلحقها فناء: الحياة الكاملة لله. «التحيات لله».

أَصَمُّ عَنِ الْخَنَّا^(١) إِنْ قِيلَ يَوْمًا وَفِي غَيْرِ الْخَنَّا أَلْفَى سَمِيعًا

وأخوه: حارثة بن جَنَابٍ، وعُليم بن جَنَابٍ، ومن بني عُليم: بنو زَيْدٍ غير مصروفٍ.
عُرِفُوا بِأَمِهِمْ: زَيْدٌ بنت مالك، وهم: بنو كعب بن عُليمٍ منهم: الرُّباب بنت امرئ القيس
امراة الحسين بن علي، وفيها يقول:

أَحِبُّ لِحُبِّهَا زَيْدًا جَمِيعًا وَنَثَلَةٌ كُلُّهَا، وَبَنِي الرُّبَابِ
وَأُخْرَى لِأَنَّهَا مِنْ آلِ لَامٍ أَحْبَبَهُمْ وَطُرُّ بَنِي جَنَابِ

فمن المعتمرين من العرب سوى المُستَوغَر مما زادوا على المائتين والثلاثمائة: زهير
هذا، وعبيد بن شَرِيَّة، ودَغَلُ بن حَنْظَلَةَ النَّسَابَةِ، والربيع بن ضبع الفَرَارِيِّ، وذو الإصْبَعِ
[حُرثان بن مُحَرِّثِ] العَدَوَانِي، ونصر بن دُهْمَان بن أَشْجَع بن رَيْث بن عَطْفَانَ، وكان قد
اسْوَدَّ رَأْسُهُ بعد ابْيَاضِهِ، وتَقَوَّمَ ظَهْرُهُ بعد انحنائه، وفيه يقول القائل:

لِنَصْرِ بْنِ دُهْمَانَ الْهَنْدِيَّةِ^(٢) عَاشَهَا وَتَسْعِينَ حَوْلًا ثُمَّ قُومَ فَانْصَاطَا^(٣)

وعاد سوادُ الرأس بعد ابْيَاضِهِ ولكنه من بعد ذلك قد ماتا
وأمره عند العرب من أعجب العجَب، ومن أطول المُعَمَّرِينَ عُمرًا: دُوَيْدٌ، واسمه:
زيد بن نَهْدٍ من قضاة، وأبوه: نَهْدٌ إليه ينسب الحي المعروفون من قضاة: بنو نَهْدٍ بن
زيد^(٤) عاش دُوَيْدٌ أربعمئة عام - فيما ذكروا - وكان له آثار في العرب، ووقائع وغارات،
فلما جاء الموت قال:

اليوم يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ وَمَعْنَمٍ، يَوْمَ الوَعَى حَوِيْثُهُ
وَمِغْصَمٍ مُوشَمٍ لَوَيْتِهِ لو كان للدهر بِلَى أبلِيته

أو كان قِرْنِي واحدًا كَفَيْتُهُ

وقول المُستَوغَر:

ولقد شَذَذْتُ عَلَى رُضَاءِ شَدَّةٍ فتركها قَفْرًا بقاع أَنَحَمَا

يريد: تركتها سَخَمَاءَ من آثار النار، ويعده:

(١) الخنا: أي الفحشاء.

(٢) الهنديّة: اسم لكل مائة ناقة من الإبل. وقيل هي المائتان.

(٣) انصاتا: استوى.

(٤) هو: نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة.

وأعانَ عبد الله في مكروهاها وبمثل عبد الله أغشى المَحْرَمَا

ذكر ذا الكَعْبَات بيت وائل، وأنشد للأسود بن يَغْفَر:

أرض الخَوَزَنَةِ والسَّديِر ودَّارم والبيت ذي الشُّرَفَات من سِنْدَاد^(١)

وَالْخَوَزَنَةُ: قصر بناء النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور، ليكون ولده فيه عنده، وبناءه بنيانًا عجميًا لم تر العرب مثله، واسم الذي بناه له: سِنِمَار، وهو الذي رُدِّي من أعلاه، حتى قالت العرب: جزاني جزاء سِنِمَار، وذلك أنه لما تَمَّ الْخَوَزَنَةُ، وعجب الناس من حُسْنِهِ، قال سِنِمَار: أما والله لو شئت حين بنيتَه جعلته يدور مع الشمس، حيث دارت، فقال له الملك: أإنك لتحسن أن تَبْنِي أجملَ من هذا؟ وغارت نفسه أن يُبْنِي لغيره مثله، وأمر به فَطْرَح من أعلاه، وكان بناءه في عشرين سنة، قال الشاعر [عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي]:

جزاني جَزَاهُ الله شَرَّ جَزَائِهِ جزاء سِنِمَارٍ، وما كان ذا ذنب

سوى رَضِهِ البنيانَ عشرين جِجَّةً يُعَلَّى عليه بالقَرَامِدِ^(٢) والسَّكْبِ^(٣)

فلما انتهى البنيان يومًا تَمَامَهُ وَأَض^(٤) كمثل الطُّودِ والباذخ الصَّعْبِ

[وظَنَّ سِنِمَارٌ به كل حَبْوَةٍ وفاز لديه بالمودة والقُرْبِ]

رمى بِسِنِمَارٍ على حَاقٍ رأسه وذاك لَعَمْرُؤُا والله من أَتْبَحِ الخُطْبِ

ذكر هذا الشعرَ الجاحظُ في كتاب الحيوان، والسِّنِمَارُ من أسماء القمر، وأول شعر الأسود: ذهب الرقاد فما أحسن رقادِي^(٥).

وفيها يقول:

ولقد عَمِرْتُ، وإن تطاول في المَدَى إن السبيل سبيل ذي الأعواد

قيل: يريد بالأعواد النعش، وقيل: أراد عامر بن الظَّرب الذي قُرعت له العصا بالعود من النَهْمِ والخَرْبِ، وفيها يقول:

ماذا أَوْمَلُ بعد آلٍ مُحَرَّقٍ تركوا منازلهم وبعث إِيَاد

(١) البيت فيه مخالفة لما مضى السيرة.

(٢) القرامد: الأجر.

(٣) السكب: النحاس أو الرصاص.

(٤) أض: أي تحول.

(٥) انظر تاريخ الطبري (١/٤٠٤ - ٤٠٥).

أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي

قال ابن إسحاق: فأما البحيرة فهي بنت السائبة، والسائبة: الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، سئبت فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذننها، ثم خلّي سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة. والوصيلة: الشاة إذا أئامت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة. قالوا: قد وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيء، فيشتركوا في أكله، ذكورهم وإناثهم.

قال ابن هشام: ويروى: فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور بنينهم دون بناتهم.

قال ابن إسحاق: والحامي: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر، حمي ظهره فلم يركب، ولم يجز وبره، وخلّي في إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك.

قال ابن هشام: وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامي، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق. فالبحيرة عندهم: الناقة تشق أذننها فلا يركب ظهرها، ولا يجز وبرها، ولا يشرب لبنها إلا ضيف، أو يتصدق به، وتهمل لألهمهم. والسائبة: التي يئذّر الرجل أن يسيبها إن برىء من مرضه أو إن أصاب أمرًا يطلبه. فإذا كان أسباب

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم	ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض الخوزنق والسدير وبارق	والبيت ذي الكعبات من سنداد
جرت الرياح على محل ديارهم	فكأنما كانوا على ميعاد
وأرى النعيم، وكل ما يلهى به	يومًا يصير إلى بلى ونفاد

ومعنى السدير بالفارسية: بيت الملك. يقولون له: «سهدلي» أي: له ثلاث شعب، وقال البكري: سمي السدير؛ لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه، فتسدر من علوه، يقال: سدر بصره إذا تحير.

البحيرة والسائبة

فصل: وذكر البحيرة والسائبة، وفسر ذلك، وفسره ابن هشام بتفسير آخر. وللمفسرين في تفسيرهما أقوال منها: ما يقرب، ومنها ما يبعد من قولهما، وحسبك منها ما وقع في الكتاب؛ لأنها أمور كانت في الجاهلية قد أبطلها الإسلام، فلا تمس الحاجة إلى علمها.

ناقة من إبله، أو جملاً لبعض آلهتهم، فسابت فَرَعَتْ لا يُنتفع بها. والوَصيلة: التي تَلِدُ أمها اثنين في كل بطن، فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها، ولنفسه الذكور منها: فتلدُها أمها ومعها ذكر في بطن، فيقولون: وَصَلَتْ أخاها؛ فيُسيَّب أخوها معها، فلا يُنتفع به.

قال ابن هشام: حدّثني به يونس بن حبيب النحوي وغيره. روى بعض ما لم يَزِدْ بعض.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً - ﷺ - أنزل عليه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]. وأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءَ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩]. وأنزل عليه: ﴿قُلْ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]. وأنزل عليه: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبْئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٢ - ١٤٤].

قال ابن هشام: قال الشاعر:

حَوْلُ الْوَصَائِلِ فِي شَرِيفِ حِقَّةٍ وَالْحَامِيَّاتِ ظُهُورَهَا وَالسَّيِّبِ

وذكر ما أنزل الله في ذلك، منها قوله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] وفيه من الفقه: الرَّجُزُ عن التَّشْبِيهِ بهم في تخصيصهم الذكور دون الإناث بِالْهَبَاتِ. روت عمرة عن عائشة عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: يَغْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَالِ، فَيَجْعَلُهُ عِنْدَ ذَكَورٍ وَلَدِهِ. إِنَّ هَذَا إِلَّا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ رواه البخاري في التاريخ من حديث سليمان بن حجاج.

وقال تميم بن أبي بن مُقبل أحد بني عامر بن صَعَصَعَة:

فيه من الأَخْرَجِ المِزْبَاعِ قَرْقَرَةٌ هَذَرِ الدِّيَافِي وَسَطَ الهَجْمَةِ البُحْرِ
وهذا البيت في قصيدة له. وجمع بحيرة: بحائر وبُحُر. وجمع وصيلة: وصائل
ووصل. وجمع سائبة الأكثر: سوائب وسَيْب، وجمع حام الأكثر: حوام.

وأُشْد في البحيرة:

فيه من الأَخْرَجِ المِزْبَاعِ قَرْقَرَةٌ هَذَرِ الدِّيَافِي وَسَطَ الهَجْمَةِ البُحْرِ
هكذا الرواية: المِزْبَاعُ بالباء من الربيع، والمرباع هو: الفحل الذي يُبَكَّر بالإلفاح،
ويقال للناقة أيضًا: مِرباعٌ إذا بَكَّرَت بالثَّجَّاج، وللروضة إذا بَكَّرَت بالثَّبات.

يصف في هذا البيت حمار وحش يقول: فيه من الأخرج، وهو: الظليم الذي فيه
بياضٌ وسوادٌ، أي: فيه منه قَرْقَرَةٌ أي صَوْتٌ وهَذَرٌ مثل هَذَرِ الدِّيَافِي أي: الفحل المنسوب
إلى دِيَافٍ بلد بالشام، والهَجْمَةُ من الإبل: دون المائة، وجعلها بُحْرًا لأنها تأمن من
الغارات، يصفها بالَمَنَعَةِ والحماية، كما تأمن من البَحِيرَةِ من أن تُذْبَح أو تُنَحَر، ورأيت في
شعر ابن مُقبل: من الأخرج المرباع بالياء أخت الواو، وفسره في الشرح من راع يَرِيع إذا
أسرع الإجابة، كما قال طرفه: «تَرِيعُ إلى صوت المُهَيَّب»^(١) وتَنَقِّي^(٢).

والنفس إلى الرواية الأولى أسكن، وحِكِي عن ابن قُتَيْبَة أنه قال: في البُحْرِ: هي
الغزيرات اللَّبَن لا جمع بحيرة، كأنها: جمع بُحُورٍ عنده، فَظُنَّ هذا يُذْهِبُ المعنى الذي ذكرنا
من أَمْنِهَا وَمَنَعَتِهَا؛ إذ ليس هذا المعنى في الغزيرات اللَّبَن، لكنه أظهر في العربية؛ لأن
بحيرة: قَعِيلَة، وقَعِيلَة لا تُجْمَع على فَعْلٍ إِلَّا أن تُشَبَّه بسفينة وسُفْن، وخريدة وخُرْد، وهو
قليل. وقيل البيت في وصف روض:

بِعَازِبِ الثُّبُتِ^(٣) يَرْتَاخُ الفَوَازُ لَهُ رَأَدُ النَّهَارِ^(٤) لَأَضْوَاتِ مِنَ الثُّغَرِ^(٥)

وبعد البيت الواقع في السيرة:

والأَزْرَقُ الأَخْضَرُ السَّرْبَالِ مُنْتَصِبٌ قَيْدُ النِّعْصَا فَوْقَ ذِيَالِ مِنَ الزُّهَرِ
يعني بالأزرق: دُبَابُ الرُّوض، وكذلك الثُّغَر. وقوله في البيت الآخر: حَوْلُ الوصائل:

(١) المهيَّب: داعي الإبل.

(٢) تَنَقَّى: أي تَنَقَّى بذنب ذي خصل.

(٣) نبت عازب: لم يُرَع قط ولا وطئ.

(٤) رَأَدُ النَّهَار: نور الضحى.

(٥) الثغر: فراخ المصافير.

عدنا إلى سِياقة النسب نسب خزاعة

قال ابن إسحاق: وخزاعة تقول: نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن.

قال ابن هشام: وتقول خزاعة: نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن العوث، وخنيد أمها، فيما حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم. ويقال: خزاعة: بنو حارثة بن عمرو بن عامر. وإنما سُميت خزاعة، لأنهم تخزَعُوا من ولد عمرو بن عامر، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمر الظهران، فأقاموا بها. قال عون بن أيوب الأنصاري أحد بني عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة من الخزرج في الإسلام:

فلما هبطنا بطن مرٍّ تَخَزَعْتَ خزاعة مِنَّا في خيول كَرَائِرِ
حَمَتْ كُلُّ وَادٍ مِنْ تِهَامَةٍ واحتمتْ بِصُفِّ الْقَنَا والمُرْهَفَاتِ البَوَاتِرِ
وهذان البيتان في قصيدة له.

جمع حائل، ويقال في جمعها أيضًا: حَوْلَلْ، ومثله: عَائِطٌ وَعُوطِطٌ على غير قياس. والشَّرِيفُ^(١) اسم موضع.

نسب خزاعة

وقوله في نَسَبِ خُزَاعَةَ: تقول خُزَاعَةُ: نحن بنو عمرو بن عامر إلى آخر النسب، وقد تقدم أن عمروًا يقال له: مُزَيْقِيَاءُ. وأما عامرٌ فهو: ماء السماء، سُمِّيَ بذلك لجوده وقيامه عندهم مقامَ الغَيْثِ. وحارثَةُ بن امرئ القيس بن ثعلبة وهو الغَطْرِيفُ^(٢).

بطن مرّ:

وقول عون: فلما هَبَطْنَا بَطْنَ مَرٍّ. يريد: مرّ الظهران، وسُمِّيَ مرًّا لأن في عرقٍ من الوادي من غير لون الأرضِ شِبْه المِيمِ الممدودة، وبعدها را خُلِقَتْ كذلك، ويذكر عن كثير أنه قال: سُمِّيَتْ: مرًّا لمرّاتها، ولا أدري ما صحة هذا.

(١) الشريف: ماء لبني نمير.

(٢) الغطريف: السيد. والغطريف الكثير: عامر من بني مبشر.

وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري، أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس:

فلما هبطنا بطن مكة أحمَدت
خزاعة دار الأكل المُتَحامِل
فحلَّت أكاريسا، وشئت قنابلا
على كل حي بين نجد وساحل
نَفَوْا جُزُهُمَا عن بطن مكة، واختبوا
بعِزُّ خُزَاعِيٍّ شديد الكواهل
قال ابن هشام:

وهذه الأبيات في قصيدة له، وأنا إن شاء الله أذكر نَفْيَهَا جُزُهُمَا في موضعه.

فلما هبطنا بطن مَرَّ البيتين وبعدهما:

خُزَاعَتُنَا أَهْلُ اجْتِهَادٍ وَهَجْرَةٍ
وَأَنْصَارُنَا جَنْدُ النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِ
وَسِزْنَا إِلَى أَنْ قَدْ نَزَلْنَا بِيَثْرِبَ
بِلا وَهَنٍ مِنَّا وَغَيْرِ تَشَاوِرِ
وسارت لنا سَيَّارَةٌ ذات مَنْظَرٍ
بِكُومٍ ^(١) المطايا والخيول الْجُمَاهِرِ ^(٢)
يُؤْمِنُونَ أَهْلَ الشَّامِ حِينَ تَمَكَّنُوا
مَلُوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْبَرَابِرِ
أَوَّلَاكَ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ تَوَارَثُوا
دِمَشْقًا بِمُلْكٍ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ
الْحُلُولِ، جمع: حَالٌ، والكراديس جمع: كُرْدُوس: الخيل.

دمشق:

وقوله: دِمَشْقًا، سُمِّيت مدينة الشام باسم الرجل الذي هاجر إليها مع إبراهيم، وهو: دماشق بن الثُمُرُودِ بن كُتْعَان ^(٣)، أبوه: الملك الكافر عدُوَّ إبراهيم، وكان ابنه دماشق قد آمن بإبراهيم، وهاجر معه إلى الشام. كذلك ذكر بعض النُساب، وذكره البكري في كتاب المعجم. والدَمَشْقُ في اللغة: الناقة المُسَيَّة - فيما ذكر بعضهم - وكان يقال لِدِمَشْقٍ أَيْضًا: جَيْرُونُ سُمِّيت باسم الذي بناها، وهو: جَيْرُونُ بن سعد [بن عادٍ]، وفيها يقول أبو ذؤبل [الْجَمَحِي]:

صاح: حَيَّا إِلَهُ حَيَّا ودارا عند شَرْقِ القَنَاءِ مِنْ جَيْرُونٍ ^(٤)

(١) كوم: جمع كوما. وهي الناقة العظيمة السنام.

(٢) الجماهر: الضخم.

(٣) وقيل: دمشق، دِمَشاق، دماشقوش، دماشق بن كتعان.

(٤) جيرون: سقيفة مستطيلة على عمَد وسقائف. بدمشق.

أولاد مدركة وخزيمة وكنانة والنضر

قال ابن إسحاق: فولد مُدْرِكَة بن إلياس رجلين: خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة، وهُذَيْل بن مُدْرِكَة، وأُمُهَما: امرأة من قُضَاعَة [قيل: سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار - كما في نسب قريش]. فولد خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة أربعة نفر: كِنَانَة بن خُزَيْمَة، وأَسَد بن خُزَيْمَة، وأَسَدَة بن خُزَيْمَة، والهَوْن بن خُزَيْمَة، فَأُم كِنَانَة: عَوَانَة بنت سَعْد بن قَيْس بن عَيْلَان بن مُضَر.

قال ابن هشام: ويقال الهَوْن بن خُزَيْمَة.

قال ابن إسحاق: فولد كِنَانَة بن خُزَيْمَة أربعة نفر: النُّضَر بن كِنَانَة، ومالك بن كِنَانَة، وعبد مناة بن كِنَانَة، ومِلْكَان بن كِنَانَة فَأُم النضر: بَرَّة بنت مُر بن أَد بن طَابِخَة بن إلياس بن مُضَر، وسائر بني لامرأة أخرى.

قال ابن هشام: أم النضر ومالك ومِلْكَان. بَرَّة بنت مُر، وأم عبد مناة: هالة بنت سُويْد بن العُطْرِيف من أزد شَنْوَاءَة. وشَنْوَاءَة: عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَضْر بن الأسد بن الغوث، وإنما سُمُوا شَنْوَاءَة؛ لِشَتَائِ كَان بَيْنَهُمْ. والشَتَان: البغض.

قال ابن هشام: النُّضَر: قُرَيْشٌ، فَمَنْ كَان من ولده فهو قُرَشِيٌّ، وَمَنْ لَمْ يَكُن من ولده فليس بقُرَشِيٍّ. قال جرير بن عطية أحد بني كُليب بن يَرْبُوع بن خُظَلَة بن مالك بن زَيْد مناة بن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان:

فما الأم التي وَلَدَتْ قُرَيْشًا بِمُفْرِقَةِ النَّجَارِ وَلَا عَقِيمِ
وما قَرَمَ بِأَنْجَبٍ من أَيْكَم وما خَالَ بِأَكْرَمٍ من تَمِيمِ

بنو كنانة

وذكر بني كِنَانَة الأربعة: مَالِكَا ومِلْكَان والنُّضَر وعَبْد مناة. وزاد الطَّبَرِيُّ في وَلَد كِنَانَة: عامرًا والحارث والنضير وَعَنَمًا وسَعْدًا وَعَوْفًا وَجَزُولَ والحَدَالِ وَغَزْوَانَ. كلهم بنو كِنَانَة.

قريش:

فصل: وذكر النُّضَر بن كِنَانَة، وقول مَنْ قال إنه: قُرَيْشٌ، والقول الآخر في أن فِهْرًا هو: قُرَيْشٌ، وقد قيل: إن فِهْرًا لَقَبٌ، واسمه الذي سُمِّي به: قُرَيْشٌ^(١).

(١) وانظر فتح الباري (٤١٥/٦) ونسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري (ص ١٣).
مقاييس اللغة لابن فارس (٧٠/٥).

يعني: برة بنت مَرَأَتِ تميم بن مرّة، أم النضر. وهذان البيتان في قصيدة له.

وأما يَخْلُدُ بن النُّضَر، فذكر أبو عبد الله الزبير بن بَكَّارٍ في أنساب قريش له، قال: قال عَمِي: وأما بَنُو يَخْلُدُ بن النضر، فَذَكَرُوا [و] في بني عَمْرُو بن الحارث بن ملك بن كنانة، ومنهم: قريش بن بَذْر بن يَخْلُدُ بن النُّضَر، وكان دليلَ بني كِنانة في تجارتهم فكان يقال: قَدَمْتُ عَيْرَ قريش، فَسُمِّيَتْ قُرَيْشٌ به، وأبوه: بَذْر بن يَخْلُدُ صاحبُ بدرِ الموضع الذي لَقِيَ فيه رسول الله - ﷺ - قريشًا.

وقال عن غير عمه: قريش بن الحارث بن يَخْلُدُ، وابنه: بدر الذي سُمِّيَتْ به بدر، وهو اِخْتَفَرَهَا. قال: وقد قالوا: اسمُ فُهر بن مالك: قريش، وَمَنْ لم يلدْهُ فُهرٌ، فليس مِنْ قُرَيْشٍ، وذكر عن عمه أن فُهرًا هو: قُرَيْشٌ.

وقال أبو عبد الله: حَدَّثَنِي عَمْرُو بن أبي بكر المَوْمِلِي عن جَدِّي عبد الله بن مصعب - رحمه الله - أنه سمعه يقول: اسمُ فُهر بن مالك: قُرَيْشٌ، وإنما فُهرٌ لقب، وكذلك حَدَّثَنِي المَوْمِلِي عن عُثْمَانَ بن أبي سليمان في اسم فُهر بن مالك: أنه قريش، ومثل ذلك ذكر عن المَوْمِلِي عن أبي عُبَيْدَةَ بن عبد الله في اسم فُهر بن مالك: أنه قريش. قال: وحَدَّثَنِي إبراهيم بن المُنْذِر، وقال: حَدَّثَنَا أَبُو الْبُخْتَرِيِّ: وَهَبُ بن وَهْبٍ، قال: حَدَّثَنِي ابن أخي ابن شهاب عن عَمِّه أن اسم فُهر بن مالك الذي أسَمَتْهُ أمه: قريش، وإنما تَبَزَّاهُ فُهرًا، كما يُسمى الصبي: غِزارةً وَسَمْلَةً، وأشابه ذلك، قال: قال: وقد أَجْمَعَ السَّابُّ من قريش وغيرهم أن قريشًا إنما تفرقت عن فُهرٍ، والذي عليه من أدركته من نُسَاب قريش وغيرهم أن وَلَدَ فُهر بن مالك: قُرَيْشٌ، وأن مَنْ جاوز فُهر بن مالك بنسبه، فليس من قريش.

وذكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي فيما حَدَّثَهُ أبو الحسن الأثرمُ عنه أن النضر بن كنانة هو: قريش، وذكر عنه أنه قال في موضع آخر: ولد مالك بن النضر فُهرًا، وهو جُمَاعُ قريش، وقال: قال محمد بن حسن عن نَضْر بن مَزاحم، عن عَمْرُو بن محمد عن الشَّعْبِيِّ، قال: النضر بن كنانة هو قريش، وإنما سُمِّيَ قريشًا؛ لأنه كان يُقَرِّشُ عن خَلَّةِ الناس وحاجتهم، فيسَدُّها بماله، والتَّقْرِيشُ. هو التفتيش، وكان بنوه يُقَرِّشُونَ أَهْلَ الموسم عن الحاجة، فَيَرَفِدُونَهُمْ بما يبلغهم، فسمُّوا بذلك من فعلهم، وقُرَيْشُهُمْ: قريشًا. وقد قال الحارث بن جِلْزَةَ في بيان القُرَش:

أيها الناطقُ الْمُقَرِّشُ عِنا عند عَمْرُو، فهل له أنفَاء

وحَدَّثَهُ أبو الحسن الأثرم عن أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَر بن الْمُثَنَّى [التَّيْمِي]، قال: منتهى مَنْ وقع عليه اسم قريش: النضر بن كنانة، فولدَهُ: قريشٌ دون سائر بني كنانة بن حُزَيْمَةَ بن

ويقال: فَهْرُ بَنُ مَالِكٍ: قريش، فَمَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِهِ فَهُوَ قُرَشِيٌّ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِهِ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ قَرِيشٌ قَرِيشًا مِنَ التَّقْرِشِ، وَالتَّقْرِشُ: التَّجَارَةُ وَالْاِكْتِسَابُ. قَالَ رُوَيْةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

قَدْ كَانَ يُغْنِيهِمْ عَنِ الشَّغُوشِ وَالْخَشْلِ مِنْ تَسَاقُطِ الْقُرُوشِ
شَحْمٌ وَمَخْضٌ لَيْسَ بِالْمَغْشُوشِ

قال ابن هشام: والشَّغُوشُ: قمح يسمى: الشَّغُوشُ. والخشل: رؤوس الخلاخيل والأسورة ونحوه. والقروش: التجارة والاكْتِسَابُ، يقول: قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومخض، والمخض: اللبن الحليب الخالص.

مَذْرَكَةٌ، وَهُوَ عَامِرُ بْنُ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرٍّ، فَأَمَّا مَنْ وَلَدَ كِنَانَةَ سِوَى التَّضَرِّ فَلَا يُقَالُ لَهُمْ: قَرِيشٌ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بَنُو النَّضَرِ قَرِيشًا لِتَجْمَعَهُمْ، لِأَنَّ التَّقْرِشَ هُوَ التَّجْمَعُ. قَالَ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: التَّجَارُ يُتَقَارَشُونَ: يَتَجَرُونَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى اضْطِرَابِ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ قَرِيشًا لَمْ يَجْتَمِعُوا حَتَّى جَمَعَهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَلَمْ يَجْمَعْ إِلَّا وَلَدَ فَهْرِ بْنِ مَالِكٍ لَا مِزِيَّةَ عِنْدَ أَحَدٍ فِي ذَلِكَ، وَبَعْدَ هَذَا فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِأُمُورِنَا، وَأَرَعَى لِمَآثِرِنَا، وَأَحْفَظُ لِأَسْمَانِنَا، لَمْ نَعْلَمْ وَلَمْ نَدْعِ قَرِيشًا، وَلَمْ نُهَمَمْ إِلَّا وَلَدَ فَهْرِ بْنِ مَالِكٍ.

قال المؤلف: في جميع هذا الكلام من قول الزبير، وما حكاه عن النسابين نقلته من كتاب الشيخ أبي بحر - رحمه الله - ثم ألفتُه في كتاب الزبير كما ذكره، ورأيت لغيره أنَّ قُرَيْشًا تَصْغِيرُ الْقُرَشِ، وَهُوَ حَوْثٌ فِي الْبَحْرِ يَأْكُلُ حَيْثَانُ الْبَحْرِ، سُمِّيَتْ بِهِ الْقَبِيلَةُ، أَوْ سُمِّيَ بِهِ أَبُو الْقَبِيلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَرَدَّ الزَّبِيرُ عَلَى ابْنِ إِسْحَاقَ فِي أَنَّهَا سُمِّيَتْ قَرِيشًا لِتَجْمَعَهَا، وَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ قَرِيشٌ إِلَّا فِي بَنِي فَهْرٍ رَدًّا لَا يِلْزَمُ؛ لِأَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُمْ بَنُو قُصَيٍّ خَاصَّةً، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُمْ سُمُّوا بِهَذَا الْاسْمِ مَذْجَمَهُمْ قُصَيٍّ، وَكَذَا قَالَ الْمَبْرَدُ فِي الْمُفْتَضَّبِ: إِنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ إِنَّمَا وَقَعَتْ لِقُصَيٍّ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - غَيْرَ أَنَّا قَدَّمْنَا فِي قَوْلِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَسْمَى قَرِيشًا قَبْلَ مَوْلِدِ قُصَيٍّ وَهُوَ قَوْلُهُ: إِذَا قُرَيْشٌ تَبَغَّى الْحَقَّ خِذْلَانَا.

وذكر قول رُوَيْةٍ: قَدْ كَانَ يُغْنِيهِمْ عَنِ الشَّغُوشِ. وفسره: ضَرْبٌ مِنَ الْقَمْحِ، وَفَسَّرَ الْخَشْلَ: رُؤُوسَ الْخَلَائِلِ. وَفِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ قَالَ: إِنَّمَا الْخَشْلُ: الْمُقْلُ^(١)،

(١) خشل: الخاء والشين واللام أصل واحد يدل على حقايرة وصغر: وأصله الصغار من المُقْل. انظر مقاييس اللغة (٢/١٨٣).

وهذه الأبيات في أزجورة له. وقال أبو جلدة اليشكري، ويشكر بن بكر بن وائل:

إخوة قَرَشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا في حديث من عُمَرِنَا وَقَدِيمِ
وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحق: ويقال: إنما سُميت قريش: قريشًا لتجمعها من بعد تَفَرُّقِهَا.
ويقال للتجمع: التَّقَرُّشُ.

فولد النَّضْرُ بنِ كِنَانَةَ رجلين: مالك بن النضر، ويَخْلُدُ بن النضر، فأُم مالك:
عاتكة بنت عَدْوَان بن عمرو بن قَيْس بن عَيْلَانَ، ولا أدري أهي أُم يَخْلُد أم لا.

قال ابن هشام: والصَّلْت بن النَّضْرِ - فيما قال أبو عمرو المَدَنِي - وأُمهم جميعًا:
بنت سعد بن ظَرِب العَدَوَانِي. وعَدْوَان: بن عمر بن قيس بن عَيْلَانَ. قال كُثَيْب بن
عبد الرحمن - وهو كُثَيْب عَزَّة أحد بني مُلَيْح بن عَمْرٍو، من خُزاعة:

أليس أبي بالصَّلْت أم ليس إختوتي لكلِّ هِجَانٍ من بَنِي النَّضْرِ أَزْهَرَا
رَأَيْت ثِيَابَ الْعَصَبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى بنا وبهمم والحَضْرَمِيِّ الْمُخْضَرَا
[إذا مَا قَطَعْنَا من قَرِيشٍ قَرَابَةً بَأَيِّ نَجَادٍ يَحْمِلُ السِّيفَ مَيْسَرَا]
فإن لم تكونوا من بني النَّضْرِ، فاتركوا أَرَاكَ بِأَذْنَابِ الْقَوَائِحِ أَخْضَرَا
وهذه الأبيات في قصيدة له.

والذين يُغَزَوْنَ إلى الصَّلْت بن النَّضْرِ من خُزاعة: بنو مُلَيْح بن عمرو، رَهْطُ كُثَيْبِ
عَزَّة.

والقروش: ما تساقط من حُتَاتِهِ، وتَقَشَّر منه، وأنشد لكُثَيْب بن عبد الرحمن: أليس أبي
بالصَّلْت أم ليس إختوتي. البيت وبعده:

رَأَيْت ثِيَابَ الْعَصَبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى بنا وبهمم والحَضْرَمِيِّ الْمُخْضَرَا

والعَصَبُ: بُرُودُ اليمَنِ، لأنها تصبغ بالعَصَبِ، ولا يَنْبِت الْعَصَبُ، ولا الْوَرَسُ إلا
باليَمَنِ، وكذلك اللَّبَان. قاله أبو حَنِيفَةَ. يريد: إن قَدَوْنَا من قُدُودِهِمْ، فَسَدَى أَثْوَابُنَا،
مُخْتَلِطٌ بِسَدَى أَثْوَابِهِمْ. والحَضْرَمِيُّ: النَعَالُ الْمُخْضَرَّةُ التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة

أولاد مالك وابنه فهر:

قال ابن إسحاق: فولد مالك بن النضر: فهر بن مالك، وأمه: جندلة بنت الحارث بن مضاض الجُرهمي.

قال ابن هشام: وليس بابن مضاض الأكبر.

قال ابن إسحاق: فولد فهر بن مالك أربعة نفر: غالب بن فهر، ومُحارب بن فهر، والحارث بن فهر، وأسَد بن فهر، وأُمهم: ليلى بنت سعد بن هذيل بن مُدركة.

قال ابن هشام: وجندلة بنت فهر، وهي أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وأُمها: ليلى بنت سعد. قال جرير بن عطية بن الخطمي. واسم الخطمي: حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة.

وَإِذَا غَضِبْتُ رَمَى وَرَائِي بِالْحَصَى أَبْنَاءَ جَنْدَلٍ كَخَيْرِ الْجَنْدَلِ

وهذا البيت في قصيدة له.

الخَصْرَيْنِ كما يقال: رجل مُبْطَن، أي: ضامر البطن، وجاء في صفة نعل النبي - ﷺ - أنها كانت مُعَقَّبَةً مُخَصَّرَةً مُلَسَّتَةً مُخْتَرَمَةً. والمخترمة التي لها خترمة، وهو كالتحدير في مقدمها وكانت نعله - عليه السلام - من سِبْتٍ، ولا يكون السِبْتُ إلا من جلد بقر مدبوغ. قاله أبو حنيفة عن الأصمعي وأبي زيد.

وذكر قول جرير بن الخطمي:

يَرْفَعَنَّ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسَدَا

أَعْنَاقَ جِئَانٍ وَهَامًا رُجْفًا

وَعَنْقًا بَاقِي الرِّسِيمِ خَيْطَفًا

والخَيْطَفَةُ: سُرْعَةٌ فِي الْعَدُوِّ، فَإِذَا وَصَفَتْ بِهِ الْعَنْقُ وَالْجَزْيُ قُلْتُ: عَنْقٌ خَيْطَفٌ، وَإِذَا سُمِّيتْ بِهِ الرَّجُلُ قُلْتُ: خَطَفَى، وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلْتَهُ اسْمًا لِلْمِشْيَةِ: فَهُوَ مِثْلُ: الْجَمَزَى وَالْبَشْكَى^(١).

(١) جمزى وبشكى: أي خفيف الحركة.

غالب وزوجاته وأولاده

قال ابن إسحاق: فولد غالبُ بن فهر رجلين: لؤي بن غالب، وتيم بن غالب، وأمهما: سلمى بنت عمرو الخُزاعيّ - وتيم بن غالب الذين يقال لهم: بنو الأدرم.

قال ابن هشام: وقيس بن غالب، وأمه: سلمى بنت كعب بن عمرو الخُزاعيّ، وهي أم لؤي وتيم ابني غالب.

نسل لؤي

قال ابن إسحاق: فولد لؤي بن غالب أربعة نفر: كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، وسامة بن لؤي، وعوف بن لؤي، فأُم كعب وعامر وسامة: ماوية بنت كعب بن القين بن جسر، من قُضاعة.

بنو الأدرم

وقوله: وتيم بن غالب وهم: بنو الأدرم^(١). والأدرم: المدفون الكعبيين من اللحم، يقال: امرأة دَرَماء وكعب أدرم. قال الراجز:

قامت ثريه خَشِيَّةٌ أَنْ تُضَرَمَا ساقًا بِخَنْدَاءٍ وَكَغَبًا أَذْرَمَا
وَكَغَلًا مِثْلَ الثُّقَا أَوْ أَغْظَمَا^(٢)

والأدرم أيضًا: المَنْقُوض الدَّقْن، وكان تيم بن غالب كذلك، فسُمِّي: الأدرم، قاله الزبير. وبنو الأدرم هؤلاء هم: أعراب مَكَّة، وهم من قُريش الظواهر، لا من قُريش البَطَاح^(٣)، وكذلك بنو مُحارب من فهر، وبنو مَعِيص بن عامر.

ماوية امرأة لؤي

وذكر بني لؤي، فقال: أم عامر: ماوية بنت كعب بن القين. سُمِّيَت بالماوية، وهي المرأة، كأنها تُسبِت إلى الماء لصفائها، وقُلِّبَت همزة الماء واوا، وكان القياس أن تقلب

(١) درم: الدال والراء والميم أصل يدل على مقاربة ولين. يقال درغ درقة: أي لينة متسقة. والدَرَمَان: تقارب الخطوط. ومن الباب الدَرَم: وهو استواء في الكعب تحت اللحم حتى لا يكون له حجم. يقال له كَغَبٌ أَذْرَمٌ. انظر مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٠) واللسان (درم).

(٢) البيت للحجاج كما في اللسان والمقاييس.

(٣) قُريش البطاح: هم قبائل عبد مناف. بنو عبد الدار، بنو عبد العزى، وبنو عبد بن قصي، وبنو زهرة وبنو مخزوم وبنو تيم بن مرة وبنو جمع وسهم وبنو عدي وبنو عتيك.

قال ابن هشام: ويقال: والحاتر بن لؤي، وهم: جشم بن الحارث، في هِزَان من ربيعة. قال جرير:

بني جُشَمٍ لستم لِهَزَان، فانتُموا لأعلى الزوابي من لؤي بن غالب
ولا تُنكِحوا في آل ضُورٍ نساءكم ولا في شُكَيْسٍ بشى مَثُوى الغرائب
وسعد بن لؤي، وهم بُنانة: في شَيْبان بن ثعلبة بن عُكَّابَة بن صَعْبِ بن علي بن بَكْر بن وائل، من ربيعة.

وَبُنَّانَةُ: حاضنة لهم من بني الْقَيْنِ بن جَسْر بن شَيْع الله، ويقال: سَيْع الله، بن الأسد بن وَبَرَة بن ثعلبة بن حُلوان بن عِمْران بن الْحَافِ بن قُضاعة. ويقال: بنت

هَاء ^(١) فيقال: مَاهِيَّة، ولكن شَبَّهوه بما الهمزة فيه منقلبة عن ياء أو واو، لَمَّا كان حكم الهاء أن لا تُهْمَز في هذا الموضع، فلما شَبَّهَتْ بحروف المد واللين، فَهَمْزُوهَا لذلك، اطَّرَدَ فيها ذلك الشَّبه، ويحتمل اسم المرأة أن يكونَ من أَوَيْتُهُ، إذا ضَمَمْتَهُ إِلَيْكَ، يقال: أَوَيْتَ مثل: ضَمَمْتُ، وآوَيْتَهُ مثل: آذَيْتَهُ، ثم يقال في المفعول من أَوَيْتَهُ على وزن فَعَلْتَ: مَأْوِيَّ والمرأة مَأْوِيَّةٌ، ثم تُسَهِّلُ الهمزة، فتكون ألفًا ساكنة.

وخالفه ابن هشام في أم عامر فقال: مَخْشِيَّة بنت شَيْبان بن مُحارب بن فهر، وماوِيَّة: أم سائر بنيه غير عامر.

بنانة وعائذة وبنو ناجية وذبيان وسامة:

وذكر سعد بن لؤي وأنهم: بُنَّانَةُ في شَيْبان، عَرَفُوا بِحَاضِنَةٍ لَهُمْ اسْمُهَا: بُنَّانَةُ، وكان بنو ضُبَيْعَةَ قد ادعَوْهم، وهو ضُبَيْعَةُ أَضْجَم بن ربيعة، لا ضُبَيْعَةُ بن أَقْيَش بن ثعلبة، فلما كان زمن عمر، قَدِمُوا عَلَيْهِ، وفيهم سيد لهم يقال له: أَبُو الدَّهْمَاء، فكلَّم أَبُو الدَّهْمَاءِ عمر أن يُلْحَقَهُمْ بِقَرِيش، فأنكر عمر ذلك، فأخبره عثمان عن أبيه عَفَّان: أنه حَدَّثَهُ بِصُحَّةِ نَسَبِهِمْ إِلَى قَرِيش، وسبب خروجهم عنهم، فواعدهم أن يأتوه العام القابل، فيلحقهم، فقتل أبو الدَّهْمَاء عند انصرافه، وشَغِلُوا بِأَمْرِهِ، حتى مات عمر، فالحقهم عثمان بقريش، فلما كان علي نفاهم عن قريش، وردَّهم إلى شَيْبان فقال الشاعر:

صَرَبَ التَّجِيبِيُّ ^(٢) الْمُضَلَّلَ صَرِيَّةً رَدَّتْ بُنَّانَةُ فِي بَنِي شَيْبَانَا
وَالْعَائِذِيُّ لِمَثَلِهَا مُتَوَقِّعٌ لِمَا يَكُنْ، وَكَأَنَّهُ قَدْ كَانَا

(١) لأن الهاء هي أصل الهمزة في هاء. (٢) التجيبي: بطن من كندة.

التَّيْمَر بن قاسط، من ربيعة. ويقال: بنت جَزْم بن رَبَّان بن حُلوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة.

وَحُزَيْمَةُ بن لُؤَي بن غالب، وهم عائذة في شَيْبَان بن ثُعْلبة. وعائذة امرأة من اليمن، وهي أم بني عَيْلدة بن حُزَيْمة بن لُؤَي.

وَأُم بني لُؤَي كُلُّهم - إلا عامر بن لُؤَي: ماوِيَّة بنت كعب بن الْقَيْن بن جَسْر. وَأُم عامر بن لُؤَي: مَخْشِيَة بنت شَيْبَان بن مُحارب بن فِهْر، ويقال: لَيْلى بنت شَيْبَان بن مُحارب بن فِهْر.

أمر سامة:

قال ابن إسحق: فأما سامة بن لُؤَي فخرَج إلى عُمَان، وكان بها. ويزعمون أن عامرَ بن لُؤَي أخرجه، وذلك أنه كان بينهما شيء، ففَقَا سامةَ عَيْنَ عامر، فأخافه عامر،

لخصت هذا الخبر من حديث ذكره البرقي عن ابن الكلبي، والبُنانة في اللغة: الرائحة الطيبة. وقال أبو حنيفة: البُنانة: الروضة الْمُغَشِيَة الحالِيَة، أي: قد حُلِيَتْ بالزهر.

وذكر حُزَيْمَةُ بن لُؤَي، وأنهم انتسبوا في شَيْبَان، ويعرفون بأُمهم عائذة، قال: وعائذة من اليمن، وقال غيره: هي بنتُ الْخُمْس بن قُحافة من خُفَعم ولدت لعبيد بن خزيمه مالكا وحارثا، فهم بنو خزيمه عائذة [قريش]، ومن بني خزيمه أيضًا: بنو حرب بن حُزَيْمة، قتلهم الْمُسَوْدَة في قريتهم بالشام، وهم يحسبونهم بني حرب بن أُمية.

وذكر بنت جَزْم بن رَبَّان. وبنت جَزْم هي: ناجية، واسمها: لَيْلى، وجَزْم أبو جُدَّة الذي نزل جُدَّة من ساحل الحجاز، فعرفت به، كما عُرِفَتْ كثيرٌ من البلاد بِمَن نزلها من الرجال، وقد تقدَّم طرف من ذلك، وسيأتي في الكتاب كثير إن شاء الله تعالى. وربان هو: عَلاف الذي تُنسب إليه الرُّحال العِلافِيَّة.

وذكر سَعْد بن دُبَيان، وقصته مع عوف بن لؤي ودُبَيان بن بَغِيض: بكسر الذال وضمها، والكسر أفصح، وهم أربعة أحياء من العرب: دُبَيان بن بَغِيض في قيس، ودُبَيان بن ثعلبة في بَجِيلَة، ودُبَيان في قُضاعة، ودُبَيان في الأزد.

وذكر ابن دريد في كتاب اشتقاق الأسماء له: أن دُبَيان فُعْلان [أو فُعْلان] من دُبَي العود يُدْبِي [دُبَيًا إذا لَانَ وَاسْتَرَحَى]. يقال: ذُبِي العود، وذَوَى بمعنى واحد.

وذكر حديث سامة بن لؤي حين قَدِم على رسول الله - ﷺ - أحد بنيه، فانتسب له إلى سامة، فقال له عليه السلام: أَلشاعر بخفض الرأء من الشاعر، كذا قيده أبو بحر على أبي

فخرج إلى عُمَان. فیزعمون أن سامة بن لؤي بينا هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها تزعج، فأخذت حية بمشقرها، فهصرتها حتى وقعت الناقة ليشقها، ثم نهشت سامة فقتلته. فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون:

عين فابكي لسامة بن لؤي علقت ما بسامة العلاقه
لا أرى مثل سامة بن لؤي يوم خلوا به قتيلاً لناقه
بلغا عامراً وكعباً رسولاً أن نفسي إليهما مشتاقه

الوليد بالخفض، وهو الصحيح؛ لأنه مردود على ما قبله، كأنه مقتضب من كلام المخاطب، وإن كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده، ولكن العامل مُقَدَّرٌ بعد الألف، فإذا قال لك القائل: قرأت على زيد مثلاً، فقلت: ألعالم بالاستفهام، كأنك قلت له: أعلى العالم، ونظير هذا ألف الإنكار إذا قال القائل: مررت بزيد، فأنكرت عليه، فقلت أزيدنيه بخفض الدال، وبالنصب إذا قال: رأيت زيدا، قلت: أزيدنيه، وكذلك الرفع. ومن بني سامة هذا: محمد بن عَزْرَةَ بن اليزيد شيخ البخاري، وبنو سامة بن لؤي: زعم بعض النسب أنهم أدياء، وأن سامة لم يعقب، وقال الزبير: ولد سامة: غالباً والنبيت والحارث. وأُم غالب: ناجية بنت جَزَم بن زَبَّان، واسمها: ليلي سُميت: ناجية؛ لأنها عطشت بأرض فلاة، فجعل زوجها يقول لها: انظري إلى الماء، وهو يُريها السراب حتى نجت، فسُميت: ناجية، وإليها يُنسب [بَكْر بن قيس] أبو الصديق الناجي الذي يروي عن أبي سعيد الخدري، وأبو المتوكل الناجي، وكثيراً ما يخرج عنه الترمذي، وكان بنو سامة بالعراق أعداء لعلي - رحمه الله - والذين خالفوا علياً منهم: بنو عبد النبيت، ومنهم: علي بن الجهم الشاعر قيل: إنه كان يلعن أباه لما سمّاه علياً بغضاً منه في علي - رحمه الله - ذكره المسعودي^(١).

الرسول والمرسل:

وقوله: بَلَّغَا عامراً وكعباً رسولاً. يجوز أن يكون رسولاً مفعول: بَلَّغَا إذا جعلت الرسول بمعنى: الرسالة، كما قال الشاعر:

لقد كذبَ الواشون ما بُخْتُ عندهم بليلتي، ولا أرسلتهم برسول
أي: برسالة، وإنما سمّوا الرسالة: رسولاً إذا كانت كتاباً، أو ما يقوم مقام الكتاب من شعرٍ منظوم، كأنهم كانوا يُقيمون الشعر مقامَ الكتاب، فتبلغه الرُكبان: كما تبلغ الكتاب يُعرب

(١) انظر مروج الذهب (٤١٨/٢).

إِنْ تَكُنْ فِي عُمَانَ دَارِي، فَلِئَنِّي غَالِبِي، خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ نَاقِهِ
رُبُّ كَاسٍ هَرَقْتَ يَابْنَ لُؤَيٍّ حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقِهِ
رُمْتَ دَفَعَ الْحُثُوفِ يَابْنَ لُؤَيٍّ مَا لِمَنْ رَامَ ذَاكَ بِالْحَتْفِ طَاقِهِ
وَحَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتَ رَذِيًّا بَعْدَ جِدٍّ وَجِدَّةٍ وَرَشَاقِهِ

قال ابن هشام: ويلغني أن بعض ولده أتى رسول الله - ﷺ - فانتسب إلى سامة بن لؤي، فقال رسول الله - ﷺ -: «الشاعر»؟ فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

رُبُّ كَاسٍ هَرَقْتَ يَا بَنَ لُؤَيٍّ حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقِهِ
قال: «أجل»^(١).

عن ضمير الكاتب كما يُعَرِّبُ الرسولُ، وكذلك الشعرُ المُبَلَّغُ، فسمي: رسولاً. وبين الرسول والمُرْسَل معنى دقيقٌ يُنتَفَعُ به في فهم قولِ الله عز وجل: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩] فإنه لا يَحْسُنُ في مثل هذا أن يقال: أَرْسَلْنَاكَ مُرْسَلًا، وَلَا تَبْأَنَّكَ تَنْبِيًّا، كما لا يحسن: ضَرَبْنَاكَ مَضْرُوبًا، ولكشفِ هذا المعنى وإيضاحه موضعٌ غير هذا، واختصار القول فيه: أن ليس كُلُّ مُرْسَلٍ رَسُولًا، فالرَّيَاحُ مُرْسَلَاتٌ، والحاصِبُ مُرْسَلٌ، وكذلك كُلُّ عَذَابٍ أَرْسَلَهُ اللهُ، وإنما الرسولُ اسمٌ للمُبَلَّغِ عن المُرْسَلِ.

ويجوز أن يكون رسولاً حالٌ من قوله: بَلَّغًا عامرًا وَكَغَبًا رسولاً؛ إذ قد يعبرُ بالواحد عن الاثنين والجماعة في مثل هذا اللفظ، تقول: أنتم رُسُولِي، وهي رُسُولِي، تُسَوِّي بين الجماعة والواحد والمذكر والمؤنث. وفي التنزيل: ﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] فيكون المفعول على هذا: أَنَّنِي نفسي إليهما مُشْتَقَّةٌ، ويكون أن على القول الأول بدلًا من رسولٍ أي: رسالة.

وقوله: وَحَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتَ رَذِيًّا. إن خفضت فمعناه: رُبُّ حَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتَ، فتركت في موضع الصفة لِحَرُوسٍ، وإن نصبت جعلتها مَفْعُولًا بتركت، ولم يكن تركت في موضع صفة؛ لأن الصفة لا تعمل في الموصوف، والسُّرَى: في موضع خفضٍ لِحَرُوسٍ على المجاز كما تقول: نام ليلاً. يريد: نَاقَةً صَمُوتًا صَبُورًا على السُّرَى، لَا تَضْجُرُ مِنْهُ، فَسَرَاهَا كَالْأَخْرَسِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكُمَيْتِ:

كَثُومٌ إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ، كَأَنَّمَا تَكْرُمُ عَنْ أَخْلَاقِهِنَّ وَتَرْغَبُ

(١) ذكره ابن هشام بلاغًا. أي بلا سند.

أمر عوف بن لؤي ونقلته:

قال ابن إسحاق: وأما عوف بن لؤي فإنه خرج - فيما يزعمون - في ركب من قُرَيْشٍ، حتى إذا كان بأرض عَطَفَانَ بن سَعْدِ بن قَيْسِ بن عَيْلَانَ، أَبْطِءَ به، فانطلق مَنْ كان معه مِنْ قومه، فاتاه ثعلبة بن سَعْدٍ، وهو أخوه في نسب بني دُبْيَانَ - ثعلبة بن سعد بن دُبْيَانَ بن بغيض بن رَيْث بن غطفان. وعوف بن سعد بن دُبْيَانَ بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفَانَ - فحبسه وزوجه والتاطه وآخاه، فشاع نسبُه في بني دُبْيَانَ. وثعلبة - فيما يزعمون - الذي يقول لعوف حين أَبْطِءَ به، فتركه قومه:

أخْبِسْ عَلَى ابْنِ لُؤْيٍ جَمَلَكَ تَرَكَكَ الْقَوْمُ وَلَا مَشْرَكَ لَكَ

مكانة مُرَّة ونسبه وسادات مُرَّة:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصَيْنٍ أَنَّ عمر بن الخطاب قال: لو كنت مُدْعِيًا حَيًّا من العرب، أو مُلْحَقَهُم بِنَا لادَّعَيْتَ بَنِي مُرَّةَ بن عَوْفٍ، إِنَّا لَنَعْرِفُ فِيهِمُ الْأَشْبَاهَ مع ما نعرف مِنْ موقع ذلك الرجل حيث وقع، يعني: عوف بن لؤي.

وقول الأعشى:

كَثُومُ الرُّعَاءِ إِذَا هَجَرَتْ وَكَانَتْ بَقِيَّةَ دَوْدَ (١) كُثْمَ (٢)

وإنما قال: خَرُوسٌ في معنى الأخرس؛ لأنه أراد كَثُومَ، فجاء به على وزنه. قال البَزْزِيُّ وكنْتُ مَآوِيَّةَ بِنْتُ كَعْبٍ تحب سَامَةَ أَكْثَرَ مِنْ إِخْوَتِهِ، وَكَانَتْ تَقُولُ، وَهِيَ تُرْقِصُهُ صَغِيرًا:

وَإِنْ ظَنَنْتَنِي بِابْنِي إِنْ كَبِرَ أَنْ يَشْتَرِيَ الْحَمْدَ، وَيُغْلِي بِالثَّمَنِ

وَيَهْزِمُ الْجَيْشَ إِذَا الْجَيْشُ ارْجَحَنَ (٣) وَيُرْوِي الْعَيْمَانَ (٤) مِنْ مَخْضِ اللَّبَنِ

يقال: كَبِرَ وَأَكْبَرَ: إِذَا اشْتَدَّ.

(١) ذود: يقال عن ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين. أو ما بين الشنتين والتسع مؤنث، ولا يكون إلا من الإناث.

(٢) كُثْمَ: جمع كتوم: وهي الناقة لا تشول بذنبها.

(٣) ارجحن: مال واهتز.

(٤) العيمان: العيمة: شهوة اللبن والعطش.

قال ابن إسحاق: فهو في نسب غَطَفَانَ: مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَانَ بن بَغِيض بن رَيْث بن غطفان. وهم يقولون إذا ذُكِرَ لهم هذا النسب: ما ننكره، وما نَجَحِدُهُ، وإنه لأَحَبُّ النسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالم بن جَذِيمَة بن يَزْبُوع - قال ابن هشام: أحد بني مُرَّة بن عوف حين هرب من النعمان بن المنذر، فلحق بِقُرَيْش:

فَمَا قَوْمِي بِثَغْلَبَةَ بن سَعْدٍ	ولا بِفَزَارَةَ الشُّغَيْرِ الرِّقَابَا
وقَوْمِي - إن سألت - بنو لُؤَيٍّ	بِمَكَّةَ عَلِمُوا مُضَرَ الضَّرَابَا
سَفَهْنَا بِاتِّبَاعِ نَبِي بَغِيضٍ	وَتَرَكِ الْأَقْرَبِينَ لَنَا انْتِسَابَا
سَفَاهَةً مُخْلِيفٍ لَمَّا تَرَوَى	هَرَاقَ الْمَاءِ، وَاتَّبَعَ السَّرَابَا
فلو - طُورِغَت - عَمْرَكَ - كنت فيهم	وما أَلْفَيْتُ أَنْتَجَعَ السَّحَابَا
وخَشَّ رَوَاحَةَ الْقُرَشِيِّ رَحْلِي	بِنَاجِيَةٍ وَلَمْ يَطْلُبْ ثَوَابَا

قال ابن هشام: هذا ما أنشدني أبو عبيدة منها.

وذكر قول جرير لبني جُشَم بن لُؤَيٍّ:

بَنِي جُشَمٍ لَسْتُمْ لِهَزَّانَ، فَاثْتَمُوا
لأَعْلَى الرُّوَابِي مِنْ لُؤَيٍّ بن غَالِبٍ
يقال إنهم أَعْطَوْا جريرًا على هذا الشعر أَلْفَ عِيرٍ رُبِّيٍّ، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة، فما انتسبوا بعد إلا لُقُرَيْشٍ.

وذكر شِعْرَ الحارث بن ظالم. وقوله: سَفَاهَةٌ مُخْلِيفٍ، وهو الْمُسْتَقْي [للماء]، وفيه لم يذكر:

لَعَمْرَكَ إِنَّنِي لِأَحَبُّ كَغَبَا
وسَامَةِ إِخْوَتِي حُبِّي الشَّرَابَا
وقوله: وَخَشَّ رَوَاحَةَ الْقُرَشِيِّ رَحْلِي بنَاجِيَةٍ. أي: بِنَاقَةٍ سَرِيعَةٍ يقال: خَشَّ السَّهْمُ بالريش، إذا رَاشَهُ به، فأراد: راشني وأصلح رحلي بنَاجِيَةٍ، ولم يطلب ثَوَابًا بمدحه بذلك. ورواحَةٌ هذا: هو رَوَاحَةُ بن مُثَقِّدِ بن مَعِيصِ بن عامر كان قد رَزَعَ في الجاهلية أي: رأس، وأخذ الِيزْبَاعَ.

وقوله: لو طُورِغَت عَمْرَكَ كنت فيهم، ونصب عَمْرَكَ على الظرف.

وقوله: وما أَلْفَيْتُ أَنْتَجَعَ السَّحَابَا. أي: كانوا يغنونني بِسَيِّئِهِمْ ومعروفهم عن انتجاع السحاب، وارتياح المراعي في البلاد.

قال ابن إسحاق: فقال [أبو زيد] الحُصَيْن بن الحُمَام [بن ربيعة] المُرِّي ثم أحد بني سَهْم بن مُرَّة يردُّ على الحارث بن ظالم، ويتمي إلى غُطَفَان:

أَلَا لَسْتُمْ مِثًّا، وَلَسْنَا إِلَيْكُمْ بَرِّئْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
أَقَمْنَا عَلَى عِزِّ الْحِجَازِ، وَأَنْتُمْ بِمُغْتَلِجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
يعني: قريشًا. ثم ندم الحُصَيْن على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن ظالم،
فانتمى إلى قُرَيْشٍ، وَأَكْذَبَ نَفْسَهُ، فقال:

نَدِمْتُ عَلَى قَوْلٍ مَضَى كُنْتُ قَلْتُهُ تَبَيَّنْتُ فِيهِ أَنَّهُ قَوْلُ كَاذِبٍ
فَلَيْتَ لِسَانِي كَانَ نَضْفِينَ مِنْهُمَا بَكِيمٌ، وَنَضَفٌ عِنْدَ مَجْرَى الْكَوَاكِبِ
أَبُونَا كِنَانِي بِمَكَّةَ قَبْرُهُ بِمُغْتَلِجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
لَنَا الرُّبْعُ مِنْ بَيْتِ الْحَرَامِ وَرِاثَةٌ وَرَبِيعِ الْبِطَاحِ عِنْدَ دَارِ ابْنِ حَاطِبٍ
أَيُّ أَنْ بَنِي لُؤَيٍّ كَانُوا أَرْبَعَةً: كَعْبَاءُ، وَعَامِرَاءُ، وَسَامَةٌ، وَعَوْفَاءُ.

قال ابن إسحاق: وحدثني مَنْ لَا أَتُهُمْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجَالٍ مِنْ بَنِي مُرَّةَ: إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى نَسَبِكُمْ، فَارْجِعُوا إِلَيْهِ.

وقول الحصين: بِمُغْتَلِجِ الْبَطْحَاءِ: أَيِ حَيْثُ تَغْتَلِجُ السُّيُولُ، وَالْإِغْتِلَاجُ عَمَلٌ بِقُوَّةٍ، قَالَ الشَّاعِرُ:

لَوْ قُلْتُ لِلسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ وَالْ سَّيْلُ كَمَثَلِ الْهَضَابِ يَغْتَلِجُ
وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّكُمْ عِلْجَانُ^(١)، فَعَالِجَا عَنْ دِينِكُمَا^(٢)، وَفِي الْحَدِيثِ: إِنْ الدَّعَاءُ
لِيلْقَى الْبَلَاءَ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ، فَيَغْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٣)، أَيِ: يَتَدَافَعَانِ بِقُوَّةٍ.

وقوله: لَنَا الرُّبْعُ بَضْمُ الرَّاءِ، يَرِيدُ: أَنَّ بَنِي لُؤَيٍّ كَانُوا أَرْبَعَةً: أَحَدُهُمْ: أَبُوهُمْ، وَهُوَ
عَوْفٌ، وَبَنُو لُؤَيٍّ هُمْ: أَهْلُ الْحَرَمِ، وَلَهُمْ وَرَاثَةُ الْبَيْتِ. وَالْأَخَاشِبُ: جِبَالُ مَكَّةَ، وَقَدْ يُقَالُ
لِكُلِّ جَبَلٍ: أَخْشَبٌ، أَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدٍ:

كَأَنَّ فَوْقَ مَثْكَبَيْنِهِ أَخْشَبَا

وَذَكَرَ خَارِجَةُ بْنُ سَيَّانٍ الَّذِي تَزَعَّمُ قَيْسٌ أَنَّ الْجِنَّ اخْتَطَفَتْهُ لِتَسْتَفْجِلَهُ نَسَاؤُهَا لِبَرَاعَتِهِ

(١) العليج: الرجل الضخم.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (٢٥٦/٧) وأبو داود في الطهارة (٩٠) وأحمد (١٠٧/١).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣٩٠/٤) والترمذي (٣٥٤٨).

قال ابن إسحق: وكان القوم أشرافاً في عَظْفَان، هم سادتهم وقادتهم. منهم: هَرِم بن سِنَان بن أبي حارثة، وخارجة بن سِنَان بن أبي حارثة، والحارث بن عَوْف، والحُصَيْن بن الحُمَام، وهاشم بن حَزْمَلَة الذي يقول له القائل:

أحيا أباه هاشمُ بن حَزْمَلَة
يوم الهَبَاءات ويَوْم اليَغْمَلَة
تَرى المُلوكَ عنده مُعْزِلَة
يقتل ذا الذَّنْب، وَمَنْ لا ذَنْبَ له

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبَيْدَة هذه الأبيات لعامر الخَصَفِي: خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان:

أحيا أباه هاشمُ بن حَزْمَلَة
يَوْم الهَبَاءات ويَوْم اليَغْمَلَة
تَرى المُلوكَ عنده مُعْزِلَة
يقتل ذا الذَّنْب، وَمَنْ لا ذَنْبَ له
وَرُمَحُه للوالدات مَثْكَلَة

ونجدته^(١)، ونجابه نسله، وقد قَدِمَت بِنْتُهُ على عُمَرَ، فقال لها: ما كان أبوك أعطى زُهَيْرًا حين مدحه، فقالت: أعطاه مالاً ورقيقاً وأثاثاً أفناه الدهر، فقال: لكن ما أعطاكم زُهَيْرٌ لم يُفْنِه الدهرُ، وكان خارجة بَقِيرًا أُمِرَتْ أمُه عند موتها أن يُبْقَرَ بطنُها عنه، ففعلوا فخرج حَيًّا، فَسُمِّيَ خارجةً، ويقال للبقيِر: خِشْعَة، قال الحُطَيْئَة يعني خارجة بن سنان:

لقد عَلِمْتُ خَيْلُ ابن خِشْعَة أنها متى ما يكن يوماً جِلَادٌ تُجَالِد

وقول عامر: ترى المُلوكَ حوله مُعْزِلَة^(٢). قيل معناه: مُنْتَفِخَة، وذكروا أنه يقال: غَرِبَلُ القَتِيلِ إذا انتفخ، وهذا غير معروف وإن كان أبو عبيد قد ذكره في الغريب المصنف، وأيضاً: فإن الرواية بفتح الباء مُعْزِلَة، وقال بعضهم: معناه: يتخير المُلوكُ فيقتلهم، والذي أراه في ذلك أنه يريد بالغريلة استِفْصَاءَهم، وتتبعهم، كما قال مَكْحُولُ الدَّمَشَقِيُّ: ودخلت الشام، فَغَزَبْتُهَا غَرْبَلَة، حتى لم أَدعِ عِلْماً إلا حَوَيْتَه، في كل ذلك أسأل عن البقل.

(١) أي لتجعله كلٌّ منهم زَوْجًا لها. والقصة خرافة تفتر إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

(٢) مغريلة: أي مقتولة.

وحدّثني أن هاشمًا قال لعامر: قل في بيتنا جيدًا أُثْبِكَ عليه، فقال عامر البيت الأول، فلم يعجب هاشمًا، ثم قال الثاني، فلم يعجبه، ثم قال الثالث، فلم يعجبه، فلما قال الرابع:

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
أعجبه، فأثابه عليه.

قال ابن هشام: وذلك الذي أراد الكُمَيْتُ بن زَيْد بن الأَخْصَنِ الأَسدي في قوله:
وهاشمُ مُرَّةُ المُفْنِي ملوكًا بلا ذَنْبٍ إليه ومُذْنِبينا
وهذا البيت في قصيدة له. وقول عامر: يوم الهباءات. عن غير أبي عبيد.
قال ابن إسحاق: قوم لهم صيت وذُكر في غُطَفان وقَيس كلها، فأقاموا على نسبهم، وفيهم كان البُسْلُ.

وذكر الحديث، فمعنى هذا: التَّبَعُ والاستِقْصاء، وكأنه من غَزَبْتُ الطعام. إذا تتبعته بالاستخراج، حتى لا تبقى إلا الحُثَالَة. وقوله:

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

إنما أعجب هاشمًا هذا البيت؛ لأنه وصفه فيه بالعز والامتناع، وأنه لا يخاف حاكمًا يُغْدي عليه، ولا يَرَّةً من طالب ثأر. وهاشم بن خَزَمَلَة هذا هو: جَدُّ مَنْظُور بن زَبَّان بن يَسَار الذي كانت بنته رُجُلَة عند ابنِ الزُّبَيْر، فهو جَدُّ مَنْظُور لأُمّه، واسمها: قَهْطُم بنت هاشم. كانت قَهْطُم قد حملت بمنظور أَرْبَع سنين^(١)، وولدت بأضراسه، فسُمِّيَ مَنْظُورًا لطول انتظارهم إِيَّاهُ، وفي زَبَّان بن سَيَّارٍ والد مَنْظُور يقول الحُطَيْئَة:

وفي آلِ زَبَّان بن سَيَّارٍ فَثِيَّةٌ يَرُونَ ثَنَائِيَا المَجْد سَهْلًا صِعَابُهَا
ولم يَصْرِفْ سَيَّارًا لما سنذكره بعد - إن شاء الله.

مزينة:

وذكر زُهَيْرًا ونسبه إلى مُزَيْنَة، وهم بنو عُثْمَان بن عَمْرٍو بن الأَظْم بن أَد بن طابخة.
قال حَسَّان بن ثابت:

فإنَّكَ خيرُ عُثْمَان بن عَمْرٍو وأَسْنَاهَا إذا ذُكِرَ السَّيِّئَاءُ

(١) ورد في بعض كتب السُّنن كالبيهقي وغيره أن هناك مَنْ حملت أربع سنين.

أمر البسل

والبَسْلُ^(١) - فيما يزعمون - نَسِيئُهُمْ ثمانية أشهر حُرْم، لهم من كل سنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه، ولا يدفعونه، يسرون به إلى أي بلاد العرب شاؤوا، لا يخافون منهم شيئاً. قال زهير بن أبي سلمى، يعني بني مُرّة.

قال ابن هشام: زهير أحد بني مُزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، ويقال: زهير بن أبي سلمى من عَطَفَانَ، ويقال: حليف في عَطَفَانَ.

تأمل، فإن تُقَوِ المَرَوَزَاءُ منهم وداراتها لا تُقَوِ منهم إذا نخل بلادها نادمتهم وألفتهم فإن تُقَوِيا منهم فإنهم بسل أي: حرام. يقول: ساروا في حرمهم.

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحق: وقال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

أجارتكم بسل علينا مُحَرَّم وجارتنا حل لكم وحليلها
قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

يمدح رجلاً من مُزينة، ومُزينة: أمهم، وهي بنت كلب بن وبرة، وأختها: الحَوَابُ بنت كلب التي يُعرف بها ماء الحَوَاب المذكور في حديث عائشة: أَيْتَكُنْ صاحبة الجمل الأذنب^(٢) تنبجها كلاب الحَوَاب^(٣).

البسل

وذكر البسل وهو الحرام، والبسل أيضاً: الحلال، فهو من الأضداد ومنه: بسلُ الرّاقبي، أي ما يحل له أن يأخذه على الرّقية، وبسل في الدعاء بمعنى: آمين، قال الراجز [الْمُتَلَمَّسُ]:

لا خاب من نفيعك من رجاك بسلأ، وعادى الله من عاداك
وكان عمر بن الخطاب يقول في أثر الدعاء: آمين وبسلأ، أي: استجابة.

(١) بسل: الباء والسين واللام أصل واحد تتقارب فروعه وهو المنع والحبس، وذلك قول العرب للحرام: بسل. وكل شيء امتنع فهو بسل. والبسالة: الشجاعة من هذا؛ لأنها الامتناع على القزن. انظر مقاييس اللغة (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩).

(٢) الأدب: كثير الوير. (٣) «صحيح». أخرجه أحمد (٩٧/٦).

أولاد كعب ومُرة وأمهاتهم

قال ابن إسحاق: فولد كعب بن لؤي ثلاثة نفر: مُرة بن كعب، وعدي بن كعب، وهُصَيْن بن كعب. وأُمهم: وخشيئة بنت شيبان بن مُحارب بن فهر بن مالك بن النضر.

فولد مُرة بن كعب ثلاثة نَفَر: كلاب بن مُرة، وتيم بن مُرة، ويقظة بن مُرة.

فأُم كلاب: هند بنت سُرَيْر بن ثعلبة بن الحارث بن [فهر بن] مالك بن كنانة بن خُزَيْمة. وأُم يَقْظَة: البارقية، امرأة من بارق، من الأسد من اليمن. ويقال: هي أُم تيم. ويقال: تيم هند بنت سُرَيْر أُم كلاب.

وقول زهير: فإن تُقَوِّ المَرَوَزةَ منهم. البيت وقع في بعض النسخ المَرَوَزةَ بقاء ممدودة، كأنه جمع مَرَوَر، وليس في الكلام مثل هذا البناء، وإنما هو المَرَوَزةَ بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام، فهو فَعْلَعَلَة مثل صَمَخَمَخَة، والألف فيه مُثْقَلَة عن واو أصليّة، وهذا قول سيبويه جعله مثل: شَجَوَجَة، وأبطل أن يكون من باب عَثَوَثَل، وقال ابن السراج في قَطَوَطة: وهو مثل: مَرَوَزة، هو فَعَوَعَل مثل: عَثَوَثَل، وقال سيبويه فيه: إنه من باب صَمَخَمَخَة، فالواو زائدة على قول ابن السراج، ووزنه عنده: فَعَوَعَلَة^(١).

أعلام وأنساب

وذكر هُصَيْن بن كعب، وهو: فُعَيْل من الهُص، وهو: الْقَبْض بالأصابع. من كتاب العين^(٢).

وذكر يَقْظَة بن مُرة بفتح القاف، وقد وجدته بسكون القاف في أشعارٍ مُدح بها خالد بن الوليد، فمنها قول الشاعر:

وَأَنْتَ لِمَخْزُومٍ بِنِ يَقْظَة جُنَّةٌ كَلَّا اسْمِيكَ فِيهَا مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدٍ

وَأُم مَخْزُومٍ بِنِ يَقْظَة جَدُّ بَنِي مَخْزُومٍ: كَلْبَة بنت عامر بن لؤي. قاله الزبير^(٣).

(١) انظر مقاييس اللغة (٥/٢٧٠/٣١٤).

(٢) هص: الهاء والصاد كلمة تدل على غمز الشيء. يقولون للذئب: هُصْهَص. وهُصْهَصَت الشيء: غمزته. انظر مقاييس اللغة (٦/١٠).

(٣) انظر (ص ٢٩٩) من نسب قريش.

نسب بارق:

قال ابن هشام: بارق: بَنُو عَدِيٍّ بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن القوث، وهم في شُوءة. قال الكُميت بن زَيْد:

وَأَزْدُ شُوءَةٍ انْدَرَوْا عَلَيْنَا بِجُمٍّ يَحْسِبُونَ لَهَا قُرُونًا
فَمَا قُلْنَا لِبَارِقٍ: قَدْ أَسَاتَمَ وَمَا قُلْنَا لِبَارِقٍ: أَغْتَبُونَا
قال: وهذان البيتان في قصيدة له. وإنما سُمُوا ببارق؛ لأنهم تَبِعُوا الْبَرْقَ.

ولدا كلاب وأمهما:

قال ابن إسحق: فولد كِلَابُ بن مُرَّةَ رجلين: قُصَيِّ بن كلاب، وزهرة بن كلاب. وأُمُهُما: فاطمة بنت سَعْدِ بن سَيْلٍ أحد الْجَدَرَةِ، مِنْ جُعْثَمَةِ الْأَزْدِ، من اليمن، حلفاء في بني الدَّيْلِ بن بكر بن عَبْد مَنَاة بن كِنَانَةَ.

نسب جعثمة:

قال ابن هشام: ويقال: جُعْثَمَةُ الْأَسَدِ، وَجُعْثَمَةُ الْأَزْدِ، وهو جُعْثَمَةُ بن يَشْكُرَ بن

وذكر بارق، وهم: بنو عدي بن الأزد، وقال: سُمُوا: بارق؛ لأنهم اتبعوا البرق، وقد قيل: إنهم نزلوا عند جَبَلٍ يقال له: بارق، فُسُمُوا به.

وقول الكُميت: بِجُمٍّ يَحْسِبُونَ لَهَا قُرُونًا. أي: يُتَنَاطِحُونَ بِهَا عُدَّةٌ وَلَا مُتَّةٌ^(١) كالِكِبَاشِ الْجُمِّ التي لا قرون لها، ويحسبون أن لهم قوة. والكميت هذا هو: ابن زید أبو المُسْتَهْلِ من بني أسد.

وفي أسد: الْكُمَيْتُ بن معروف، كان قبل هذا، وفيهم أيضًا الْكُمَيْتُ بن ثعلبة، وهو أقدم الثلاثة، وابن معروف هو الذي يقول:

خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْقَوْمُ عَقْلَكُمْ وَكُونُوا كَمَنْ سِيمِ الْهَوَانِ فَارْزَعَا
وَلَا تُكْثِرُوا فِيهِ الضَّجَاجَ، فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ^(٢) أَجْمَعَا

الجدرة:

وذكر الْجَدَرَةَ، وقال: هم بنو عامر بن حُزَيْمَةَ بن جُعْثَمَةَ، وفي حاشية الشيخ أبي بحر

(١) لَا مُتَّةٌ: لَا قُوَّةَ.

(٢) ابن دارَةَ: هو سالم بن سافع بن يربوع. دارَةَ هي أُمُهُ.

مُبَشَّر بن صَغْب بن دُهْمَان بن نَضْر بن زَهْرَان بن الْحَارِث بن كَغْب بن عبد الله بن مالك بن نَضْر بن الْأَسَد بن الْعَوْث، ويقال: جُعْثَمَة بن يَشْكُر بن مُبَشَّر بن صَغْب بن نَضْر بن زَهْرَان بن الْأَسَد بن الْعَوْث.

وإنما سُمُوا الْجَدَرَة؛ لأن عامر بن عمرو بن جُعْثَمَة تزوّج بنت الحارث بن مُضَاض الجُرْهَمِي، وكانت جُرْهَم أصحاب الكعبة. فبنى للكعبة جدارًا، فسُمِّي عامر بذلك: الجادر، فقليل لولده: الْجَدَرَة لذلك.

قال ابن إسحق: ولسعد بن سَيْل يقول الشاعر:

ما نرى في الناس شخصًا واحدًا مَن عَلِمْنَاهُ كَسَعْدَ بن سَيْلٍ
فَارِسًا أَضْبَطَ، فِيهِ عُسْرَةٌ وَإِذَا مَا وَقَفَ الْقِرْنَ نَزَلَ
فَارِسًا يَسْتَدْرِجُ الْخَيْلَ كَمَا اشْد تَدْرِجُ الْحُرُّ الْقَطَامِيَّ الْحَجَلِ
قال ابن هشام: قوله: كما استدريج الحر. عن بعض أهل العلم بالشعر.

زيادة خزيمة خطأ، إنما هو: عمرو بن جُعْثَمَة، وذكر غير ابن إسحق أن السَّيْل ذات مرة دخل الكعبة، وصدع بنيانها، ففرغت لذلك قريش، وخافوا انهدادها إن جاء سيل آخر، وأن يذهب شرفهم ودينهم، فبنى عامر لها جدارًا، فسُمِّي: الجادر. وقوله في الجدره: حلفاء بني الدَّيْل. المعروف عند أهل النسب: أن الدَّيْل في عبد القيس، وهو الدَّيْلُ بن عمرو بن ودِيعَة [بن أفضى بن عبد القيس]، والدَّيْلُ أيضًا في الأزْد، وهو ابن هَذَاهَد بن زيد مناة، والدَّيْلُ أيضًا في تغلب وهو: ابن زيد بن عمرو بن غَنَم بن تغلب، والدَّيْلُ أيضًا في إياد، وهو ابن أُمِيَة بن حذافة بن زهير بن إياد، وأما الذي في كنانة، وهم الذين ينسب إليهم أبو الأسود الدَّؤْلِي، وهو: ظالم بن عمرو، وهم حلفاء الْجَدَرَة، فابن الكلبي ومحمد بن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه: الدَّيْلُ بضم الدال وهمزة مكسورة، وينسبون إليه دُؤْلِي، وطائفة من أهل اللغة، منهم الكسائي ويونس بن حبيب والأخفش يقولون فيه: الدَّيْل بكسر الدال، وينسبون إليه الدَّيْلِي، واختاره أبو عبيدة، قال محمد بن حبيب: ابن الْكَلْبِي وغيره من أهل النسب أقعدُ بهذا، وإليهم يرجع فيما أشكل من هذا الباب.

قال المؤلف: وأما الدَّوْل، فالدَّوْلُ بن حنيفة، واسم حنيفة: أُنَال بن لُجَيْم بن صعْب بن علي بن بكر بن وائل، وهم رهط مسيلمة الكذاب، وفي ربيعة أيضًا، ثم في عمرة: الدَّوْل بن صباح، وفي الرُّبَاب: الدَّوْل بن جَلْ بن عدي بن عبد مناة بن أد، بن طابخة، وفي الْأَسَد: الدَّوْل بن سعد مناة بن غامد.

عود إلى أولاد كلاب:

قال ابن هشام: ونعم بنت كلاب، وهي أم سعد وسعيد ابني سهم بن عمرو بن مُصَيِّص بن كعب بن لؤي، وأما: فاطمة بنت سعد بن سَيْل.

أولاد قصي وعبد مناف وأمهاتهم:

قال ابن إسحاق: فولد قُصَي بن كِلَاب أربعة نَفَرٍ وامرأتين: عبد مناف بن قُصَي، وعبد الدار بن قصي، وعبد العزى بن قصي، وعبد بن قصي، وتَخُمُر بنت قصي، وَبَرَّة بنت قُصَي. وأمههم: حُبَي بنت حُلَيْل ابن حَبْشِيَّة ابن سُلُول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

قال ابن هشام: ويقال: حُبْشِيَّة ابن سُلُول:

قال ابن إسحاق: فولد عبد مناف - واسمه: الْمُغِيرَة بن قُصَي - أربعة نفر: هاشم بن عبد مناف، وعبد شمس بن عبد مناف، والمطلِب بن عبد مناف، وأمههم: عاتكة بنت مُرَّة بن هلال بن فالح بن ذُكْوَان بن ثُعْلَبَة بن بُهْثَة بن سُلَيْم بن منصور بن عكرمة، ونوفل بن عبد مناف، وأمه: واقدة بنت عمرو المازنية. مازن بن منصور بن عكرمة.

قال ابن هشام: فبهذا النسب خالفهم عُثْبَة بن عَزْوَان بن جابر بن وهب بن نُسَيْب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة.

قال ابن هشام: وأبو عمرو، وثُمَاضِر، وَقِلَابَة، وَحَيَّة، وَرَيْطَة، وَأُم الْأَخْثَم [واسمها: هالة]، وَأُم سَفِيَان: بنو عبد مناف.

فَأُم أَبِي عمرو: رَيْطَة، امرأة من ثَقِيف، وَأُم سائر النساء: عاتكة بنت مُرَّة بن هلال [بن فالح بن ذُكْوَان بن ثُعْلَبَة بن بُهْثَة بن سُلَيْم بن منصور]، أم هاشم بن عبد

والذي تقيد عن ابن إسحاق في الدَّيْل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة وقد وافقه على ذلك من الثَّسَاب: العَدُوِي وابن سالم الْجُمَحِي، وَمَنْ تقدم ذكره من أهل اللغة، والدَّال على وزن فَعْل من: دَال يَدَالُ إذا مشى بعجلة، وأما الدَّيْل بغير همز، فكأنه سُمِّي بالفعل من ديل عليهم من الدَّوْلَة على وزن ما لم يُسَمَّ فاعله. وقد قيل: إن الدُّثْل بن بكر سُمِّي بالدُّثْل، وهي دُوَيَّة صغيرة، وأنشدوا لكعب بن مالك [الأنصاري]:

جاءوا بجيش لو قيس مُعْرَسُه ما كان إلا كَمُعْرَس الدُّيْل

وأنشد في سعد بن سَيْل، واسم سَيْل: خير بن حَمَالَة، قاله الطبري، والسَّيْل هو: السنبل، وهو أول مَنْ حَلَّى السيف بالذهب والفضة.

مناف، وأُمُّها صَفِيَّة بنت حَوْزَة بن عَمْرٍو ابن سَلُول [واسمه: مُرَّة] بن صَغَصعة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوَازن، وأُم صَفِيَّة: بنت عائذ الله بن سَعْد العَشِيرَة بن مَذْحِج.

أولاد هاشم وأمهاتهم:

قال ابن هاشم: فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر، وخَمَسَ نسوة: عبد المطلب بن هاشم، وأسد بن هاشم، وأبا صَيْفِي بن هاشم، ونُضْلة بن هاشم، والشَّفاء، وخالدة، وضعيفة، ورُقَيَّة، وَحَيَّة. فأُم عبد المطلب ورقية: سَلَمَى بنت عمرو بن زيد بن لَيْيَد بن خَدَّاش بن عامر بن عَثَم بن عدي بن النجار. واسم النجار: تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

وأُمها: عُمَيْرَة بنت صخر [بن حبيب] بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار. وأُم عُمَيْرَة: سلمى بنت عبد الأشهل النجارية. وأُم أسد: قَيْلَة بنت عامر بن مالك الخزاعي. وأُم أبي صَيْفِي وَحَيَّة: هند بنت عمرو بن ثعلبة الخَزْرَجِيَّة. وأُم نُضْلة والشَّفاء: امرأة من قضاة. وأُم خالدة وضعيفة: وافدة بنت أبي عدي المازنيَّة.

أولاد عبد المطلب بن هاشم:

قال ابن هشام: فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر، وست نسوة: العباس وحمزة، وعبد الله، وأبا طالب - واسمه: عبد مناف - والزُّبير، والحارث، وَجَحْلَاء، والمَقْوَم، وَضِرَّارًا، وأبا لهب - واسمه عبد العُزَّى - وَصَفِيَّة، وأُم حَكِيم البيضاء، وعاتكة، وأُمَيمة، وأروى، وَبَرَّة.

فارسًا أَضْبَطَ، فيه عُشْرَة:

الأضبط: الذي يعمل بكلتا يديه، وهو من صفة الأسد أيضًا، قال الْجَمِينُ: [مُنْقِذ بن الطَّمَّاح الأسدي]:

ضَبْطَاءُ تَسْكُنُ غَيْلًا غَيْرَ مَقْرُوبٍ

وقوله: فيه عُشْرَة من هذا المعنى أيضًا، والاسم منه: أعسر.

وذكر خُلَيْل بن حُبَشِيَّة، والحُبَشِيَّة: نملة كبيرة سوداء، وأن قُصَيًّا تزوج ابنتَهُ حُبَى، فولدت له عبد مناف وإخوته، وقال غيره: بل أُم عبد مناف: عاتكة بنت هلال بن بالج [أو فالج] بن دُكَّوان، وأُم هاشم: عاتكة بنت مُرَّة، فالأولى: عَمَة الثانية، وأُم وهب جد النبي - عليه السلام - لأمه: عاتكة بنت الأَوْقَص بن مُرَّة بن هلال، فهنَّ عواتك. وَلَذَنَ النبي عليه

فَأُمُّ الْعَبَّاسِ وَضِرَارُ: ثُنَيْلَةُ بِنْتُ جَنَابِ بْنِ كَلِيبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ زَيْدِ
مَنَاةَ بْنِ عَامِرٍ - وَهُوَ الضُّخْيَانُ - بْنِ سَعْدِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ الثَّمَرِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ
هَنْبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارٍ.

ويقال: أَفْصَى بْنُ دُعَيْمٍ بْنِ جَدِيلَةَ.

وَأُمُّ حَمْزَةَ وَالْمَقُومَ وَجَحْلَ - وَكَانَ يَلْقَبُ بِالْعَيْنِدَاقِ لِكَثْرَةِ خَيْرِهِ، وَسَعَةِ مَالِهِ -
وَصَفِيَّةٌ: هَالَةُ بِنْتُ أَهْنَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ.

وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرِ، وَجَمِيعِ النِّسَاءِ غَيْرِ صَفِيَّةَ: فَاطِمَةُ بِنْتُ
عَمْرِو بْنِ عَائِدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ
فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ.

وَأُمُّهَا: صَخْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ
لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ.

وَأُمُّ صَخْرَةَ: تَخْمُرُ بِنْتُ عَبْدِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ
غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ.

وَأُمُّ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ: سَمْرَاءُ [أَوْ صَفِيَّةُ] بِنْتُ جُنْدَبِ بْنِ جُحَيْرِ بْنِ
رِقَابِ بْنِ حُبَيْبِ بْنِ سُوءَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَفْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ
مَنْصُورِ بْنِ عِكْرَمَةَ.

وَأُمُّ أَبِي لَهَبٍ: لُبْنَى بِنْتُ هَاجِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ ضَاطِرِ بْنِ حُبَشِيَةَ ابْنِ سَلُولِ بْنِ
كَعْبِ بْنِ عَمْرِو الْخَزَاعِيِّ.

السلام، ولذلك قال: «أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ مِنْ سُلَيْمٍ»^(١)، وَقَدْ قِيلَ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّ
ثَلَاثَ نِسْوَةٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَرْضَعْنَهُ، كُلُّهُنَّ تُسَمَّى: عَاتِكَةَ، وَالْأُولَى أَصَحُّ. وَأُمُّ عَاتِكَةَ بِنْتُ مُرَّةَ
مَأْوِيَةَ^(٢) بِنْتُ حَوْزَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ أَخِي عَامِرِ بْنِ صَفْصَعَةَ، وَهُمْ بَنُو سَلُولَ، وَأُمُّ مَأْوِيَةَ:
أُمُّ أَنَاسِ الْمَذْحِجِيَّةِ.

وَقَالَ فِي أُمِّهَاتِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ: وَأَمَّا صَفِيَّةُ فَأُمُّهَا: بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ بْنِ
مَذْحِجٍ، وَهُوَ وَهْمٌ، لِأَنَّ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ بْنِ مَذْحِجٍ هُوَ أَبُو الْقَبَائِلِ الْمُنَسُوبَةِ إِلَى مَذْحِجٍ إِلَّا

(١) «صحيح». أخرجه ابن عساكر (٢٨٩/١) والطبراني (٢٠١/٧) وسعيد بن منصور (٢٨٤٠/٢٨٤١).

(٢) في نسب قريش: «مأوية».

أقلها، فيستحيل أن يكون في عصر هاشم من هو ابنٌ له لِصُلْبِهِ، ولكن هكذا رواه البرقي عن ابن هشام - كما قلنا - ورواه غيره: بنت عبد الله من سعد العشيرة، وهي رواية العسائني، وقد قيل فيه: عائذُ الله، وهو أقرب إلى الصواب. ولسعد العشيرة ابن لِصُلْبِهِ، واسمه: عيذ الله، وهي قبيلة من قبائل جَنْبٍ من مَذْحِج^(١)، وقد ذكرت بطون جَنْبٍ، وأسماء ولد سعد العشيرة، أو أكثرهم في هذا الكتاب، وَلَمْ سُمِّيت تلك القبائل بِجَنْبٍ، وأحسب الوهم في رواية البرقي إنما جاء من اشتراك الاسم؛ لأن أم صفية المذكورة بنت عيذ الله^(٢)، ولكن ليس بعيذ الله الذي هو ابن سعد العشيرة لصلبه، ولكنه من سعد العشيرة.

وذكر عبد شمس بن عبد مناف، وكان تلوا لهاشم، ويقال: كانا توأمين، فولد هاشم، ورجله في جبهة شمس ملتصقة، فلم يقدر على نزعها إلا بدم، فكانوا يقولون: سيكون بين ولدهما دماء، فكان تلك الدماء ما وقع بين بني هاشم، وبين بني أمية بن عبد شمس. وأما سلمى أم عبد المطلب، فقد ذكر نسبها، وأما: عُمَيْرَة بنت ضُخْر^(٣) المازنية، وابنها: عمرو بن أُحَيْحَة بن الجُلَّاح، وأخوه: معبد ولدتها لأُحَيْحَة بعد هاشم، وكان عمرو من أجمل الناس وأنطقهم بحكمة، وقال رجل من بني هاشم للمنصور: أَرَأَيْتَ إِنْ أَتَسَعْنَا فِي الْبَنِينَ، وَضِقْنَا فِي الْبَنَاتِ فَإِلَى مَنْ تَدْفَعُنَا، يعني: في المصاهرة، فأنشد:

عبد شمس كان يتلو هاشمًا وهما بعدُ لأُم ولأب

وذكر الدَّارُقُطْنِي: أن الحارث بن حبش السَّلَمِي، كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لأُمهم، وأنه رثى هاشمًا لهذه الأخوة، وهذا يقوي أن أمهم عاتكة السَّلَمِيَّة.

فصل: وذكر ابن إسحق أن أم حَيَّة بنت هاشم، وأم أبي صَيْفِي: هند بنت [عمرو بن] ثعلبة [بن الحَزْرَج]، والمعروف عند أهل النسب أن أم حَيَّة: [أُم عَدِي]: جَحْل بنت حَبِيب بن الحارث بن مالك بن حُطَيْط الثقفية، وحَيَّة بنت هاشم تحت الأَجْحَم بن دِنْدَنَة [بن] عمرو بن الْقَيْن بن رِزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعي ولدت له: أُسَيْدًا، وفاطمة بنت الأَجْحَم التي تقول:

يا عَيْنُ بَكِي عند كل صَبَاحٍ جُودي بأربعة على الجَرَّاحِ
قد كنت لي جبالاً أَلُوذُ بظله فتركنتني أضْحَى بِأَجْرَد ضاح

(١) مَذْحِج: هو مالك بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد. انظر الجمهرة (٣٨٣).

(٢) وفي الجمهرة (٣٨٨): «عائذ الله».

(٣) ضُخْر: هو ابن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار.

قد كنت ذات حَمِيَّةٍ ما عِشْتُ لي أمشي البرازَ، وكنت أنت جناحي
فاليوم أخضعُ للذليل، وأتقي منه، وأدفع ظالمي بالراح
وأغضُّ من بَصْرِي، وأعلم أنه قد بان حدُّ فوارسي ورماحي
وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنًا لها يومًا على قَتْنٍ دعوتُ صَبَاحي
وقع هذا الشعر لها في الحماسة وغيرها.

وذكر أم العباس، وهي، ثَيْلَةُ بنت جناب بن كَلَيْب، وهي من بني عامر الذي يُعرف بالضُخْيَان، وكان من ملوك ربيعة، وقد ذكرنا في خبر ثُبَّع، أنها أول من كسا البيت الدِّيْبَاجَ، وذكرنا سبب ذلك، ونزيد هاهنا ما ذكره الماوردي، قال: أول من كسا البيت الدِّيْبَاجَ: خالد بن جعفر بن كلاب أخذ لَطِيْمَةً^(١) من الْبَزِّ^(٢)، وأخذ فيها أنماطًا^(٣)، فعلقها على الكعبة، وأم ثَيْلَةُ: أم حُجْرٍ، أو أم كُرْز بنت الأَرْب من بني بَكِيل من هَمْدَانَ، وهي ثَيْلَةُ بقاء منقوطة باثنتين وهي تصغير: ثَلَّة واحدة: الثَّل، وهم بيض النعام، وبعضهم يصحفها بقاء مثله.

وذكر في بني عبد المطلب جَنَلًا بتقديم الجيم على الحاء، هكذا رواية الكتاب. وقال الدَّارَقُطْنِي: هو جَنَلٌ بتقديم الحاء. وقال: جَنَلٌ بتقديم الجيم هو: الْحَكَمُ بن جَحَلٍ يَزُوي عن عَلِيٍّ، ومن حديثه عنه أنه قال: مَنْ فَضَّلَنِي على أبي بكر جَلَدْتُهُ حَدَّ الْفَرْيَةِ. وَالْجَحَلُ: السَّقاء^(٤) الضُّخْمُ. وَالْجَحَلُ: الْحَرْبَاءُ. وذكر ابن دُرَيْد أن اسم جَحَلٍ: مُضْعَب. وقال غيره: كان اسمه: مُغْيِرَة، وَجَحَلٌ: لَقَبٌ له. وَالْجَحَلُ: ضَرَبٌ من النِّعَاسِيْب، قاله صاحبُ العَيْن. وقال أبو حنيفة: كلُّ شَيْءٍ ضَخْمٌ فهو: جَحَلٌ، وَجَحَلٌ: هو الْغَيْدَاقُ، وَالْغَيْدَاقُ: وَلَدُ الضَّبِّ، وهو أَكْبَرُ من الْحَسَلِ^(٥). وَلَمْ يُغَقِّبْ، وكذا الْمُقَوِّمُ لم يُغَقِّبْ إلا بنتًا اسمها: هند. وأمُ الْغَيْدَاق - فيما ذكر الْقَتِيبي: مُمَنَّعة بنت عمرو الْحَزَاعِيَّة، وهذا خلاف قول ابن إسحق.

وذكر في أعمامه أيضًا: الزبير، وهو أكبر أعمام النبي - ﷺ - وهو الذي كان يُرَقِّصُ النبي - ﷺ - وهو طفل، ويقول:

(١) اللطيمة: غير تحمل المسك والبز وغيرهما. (٢) البز: الثياب.

(٣) أنماط: نوع من البسط.

(٤) جحل: الجيم واللام يدل على عظم الشيء. فالجحل: السقاء العظيم. والجحل: الصخرة العظيمة. والجحل: العسوب العظيم. والجحل: الحرياء. انظر مقاييس اللغة (١/٤٢٨ - ٤٢٩).

(٥) الحسل: ولد الضب حين يخرج من البيضة.

أمهات رسول الله - ﷺ -

قال ابن هشام: فولد عبدُ الله بنُ عبدِ المطلب رسولُ الله - ﷺ - سيِّدَ ولدِ آم، محمدَ بنَ عبدِ الله بن عبدِ المطلب، صلواتُ الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله. وأمه: آمنَةُ بنت وَهَب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

مُحَمَّد بن عَنَدَم عِشْتُ بَعِيثِ اَنَعَم
فِي دَوْلَةٍ وَمَعْنَمِ دَامَ سَجِيْسَ الْأَزْلَمِ

وبنته: ضَبَاعَةُ كانت تحت المِقْدَاد. وعبدُ الله ابنه: مذكورٌ في الصحابة - رضي الله عنهم - وكان الزُّبَيْرُ - رضي الله عنه - يُكنى أبا الطاهر بابنه: الطاهر، وكان من أطرف فتیانِ قريش، وبه سَمِيَ رسولُ الله - ﷺ - ابنه الطاهر. وأخيرُ الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات، فقال: بأيِّ عُقوبةٍ كان موته؟ فقليل: مات حَتَفَ أنفه، فقال: وإن! فلا بُدَّ من يوم يُنصِفُ اللَّهُ فيه المظلومين، ففي هذا دليلٌ على إقراره بالبعث.

وذكر أبا طالب، واسمه: عبدُ مناف، وله يقول عبدُ المطلب:

أوصيك يا عبدَ منافٍ بعدي بِمُؤْتَمٍ^(١) بعد أبيه قَزْدٍ
مات أبوه وهو جِلْفُ الْمَهْدِ

وذكر أبا لهب، واسمه: عبدُ العزى، وكنى: أبا لهب لإشراق وجهه وكان تَقْدِيمَةً من الله - تعالى - لما صار إليه من اللهب، وأمه: لُبَيْتُ بنت هاجر بكسر الجيم من بني ضَاطِرَةَ بضاد منقوطة. واللُبَيْتُ في اللغة: شيءٌ يَتَمَيَّعُ من بعض الشجر، قاله أبو حنيفة. ويقال لبعضه: المَمَيَّعة، والدُّودِم: مثل اللُبَيْتِ يسيل من السَّمَر، غير أنه أحمر، فيقال: حاضت السَّمَرَةُ^(٢) إذا رَشَحَ ذلك منها.

أمهات النبي - ﷺ -

ذكر في آخرهن: بَرَّة بنت عوف بن عُيَيْد^(٣) بن عُويج بن عديٍّ وهُنَّ كُلُّهُنَّ قُرَشِيَّاتٌ؛ ولذلك وقف في بَرَّة، وإن كان قد ذكر أهلُ النسب بعد هذا: أُمُّ بَرَّة، وأُمُّ أمَّها، وأُمُّ أُمِّ الأمِّ، ولكنهنَّ من غير قريش. قال محمد بن حبيب: وأُمُّ بَرَّة: قِلَابَةُ بنت الحارث بن

(١) مؤتم: أي يتيم.

(٢) السمرة: نوع من شجر الطلح.

(٣) في نسب قريش (٢١): بَرَّة بنت عدي.

وأُمها: بَرَّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيِّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النُّضْر.

وأُم بَرَّة: أُم حَبِيب بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيِّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النُّضْر.

وأُم أُم حَبِيب: بَرَّة بنت عَوْف بن عُبيد بن عُويج بن عدي بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النُّضْر.

قال ابن هشام: فرسول الله - ﷺ - أشرف وَلد آدم حسَبًا، وأفضلهم نسبًا من قَبْل أبيه، وأُمه ﷺ.

مالك بن طابخة بن صَغَصَعَة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لِحْيَان بن هُذَيْل، وأُم قِلَابَة: أُمَيْمَة بنت مالك بن عَثم بن لِحْيَان بن غادية بن كعب، وأُم أُمَيْمَة: دَبَّة بنت الحارث بن لِحْيَان بن غادية^(١)، وأُمها: بنت [يَزْبُوع بن ناضرة بن غاضرة] كَهْفِ الظُّلَمِ من ثَقِيف، وذكر الزبير قِلَابَة بنت الحارث، وزعم أن أباها الحارث كان يكتئ: أبا قِلَابَة، وأنه أقدم شعراء هذيل، وذكر من قوله:

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا بِجَنَّتَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ
وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ حَتَّى تَلَاقِي مَا مَتَى لَكَ الْمَانِي

(١) انظر نسب قريش لمصعب الزبيري (ص ٢١).

حديث مولد رسول الله ﷺ

إشارة إلى ذكر احتفار زمزم: قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَا حَدَّثَنَا بِهِ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِي^(١)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ: بَيْنَمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ، إِذْ أَتَى، فَأَمَرَ بِحَفْرِ زَمْزَمَ، وَهِيَ دَفْنٌ بَيْنَ صَنْمَيْ قُرَيْشٍ: إِسَافٍ وَنَائِلَةٍ، عِنْدَ مَنْحَرِ قُرَيْشٍ. وَكَانَتْ جُزْهُمَ دَفَنَتْهَا حِينَ ظَنَعُوا مِنْ مَكَّةَ، وَهِيَ: بَثْرُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - ﷺ - الَّتِي سَقَاهُ اللَّهُ حِينَ ظَلَمَ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَالْتَمَسَتْ لَهُ أُمُّهُ مَاءً فَلَمْ تَجِدْهُ، فَكَامَتْ إِلَى الصَّفَا تَدْعُو اللَّهَ، وَتَسْتَغِيثُهُ لِإِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَفَعَلَتْ مِثْلَ ذَلِكَ. وَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ

باب مولد النبي ﷺ

ذَكَرَ نَسَبَ أُمِّهِ آمَنَةَ بِنْتِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ، وَأَنَّ زُهْرَةَ هُوَ: ابْنُ كِلَابٍ، وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ قَتِيْبَةَ: أَنَّ زُهْرَةَ اسْمُ امْرَأَةٍ عُرِفَ بِهَا بَنُو زُهْرَةَ، وَهَذَا مُنْكَرٌ غَيْرٌ مَعْرُوفٌ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمُ جَدِّهِمْ - كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالزُّهْرَةُ فِي اللُّغَةِ: إِشْرَاقٌ فِي اللَّوْنِ، أَيْ لَوْنٌ كَانَ مِنْ بَيَاضٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَزْهَرَ هُوَ الْأَبْيَضُ خَاصَّةً، وَأَنَّ الزَّهْرَ اسْمٌ لِلْأَبْيَضِ مِنَ الثُّوَرِ، وَخَطَأً أَبُو حَنِيفَةَ مَن قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ، وَقَالَ: إِنَّمَا الزُّهْرَةُ إِشْرَاقٌ فِي الْأَلْوَانِ كُلِّهَا، وَأَنشَدَ فِي ثَوْرِ الْحَوْدَانِ، وَهُوَ أَصْفَرُ:

تَرَى زَهْرَ الْحَوْدَانِ^(٢) حَوْلَ رِيَاضِهِ يُضِيءُ كَلَوْنِ الْأَتْحَمِيِّ^(٣) الْمُوَرَّسِ^(٤)

وَفِي حَدِيثٍ يَوْمَ أُحُدٍ: نَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَعَيْنَاهُ تَزْهَرَانِ تَحْتَ الْمِغْفَرِ.

(١) تقدمت ترجمة البكائي وبيان ضعفه. وانظر البداية (٢/٢٢٧).

(٢) الحودان: نبات عشبي من ذوات الفلقتين. (٣) الأتحمي: ضرب من البُرد.

(٤) مورس: أي مصبوغ بالورس. وهو نبات ينبت باليمن يُصْبَغُ بِهِ.

السلام، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ فِي الْأَرْضِ، فظهر الماء، وسمعت أمه أصوات السَّبَاعِ فخافتها عليه، فجاءت تشتدّ نحوه، فوجدته يَفْحَصُ بيده عن الماء من تحت خذّه ويشرب، فجعلته حَسِيًّا [الحسي: الحفيرة الصغيرة].

زمزم^(١):

وذكر فيه خبر إسماعيلَ، وأُمّه، وقد تقدم طرفٌ منه. وذكر أن جبريلَ - عليه السلام - هَمَزَ بعقبه في موضع زَمْزَمَ، فنبع الماء، وكذلك زَمْزَمَ تسمى: هَمْزَةُ جبريل بتقديم الميم على الزاي، ويقال فيها أيضًا: هَمْزَةُ جبريل، لأنها هَمْزَةٌ^(٢) في الأرض، وَحُكِيَ في اسمها: زُمَارِمْ وَزَمْزَمَ. وَحُكِيَ ذلك عن المُطَرِّز، وتسمى أيضًا: طَعَامُ طُعْمٍ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ. وقال الجُزَيْي: سميت: زمزم، بِزَمْزَمَةِ الماء، وهي صوته، وقال المسعودي: سُمِّيت زمزم؛ لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول، فزَمْزَمَتْ عليها. والزَمْزَمَةُ: صوتٌ يُخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء. وقد كتب عمرُ - رضي الله عنه - إلى عماله: أن انهو الفرس عن الزَمْزَمَةِ^(٣)، وأنشد المسعودي:

زَمْزَمَتِ الْفُرسُ عَلَى زَمْزَمَ وذاك في سَالِفِهَا الْأَقْدَمِ^(٤)

وذكر البرقي عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنها سُمِّيت: زَمْزَمَ لأنها زُمْتُ بالتراب؛ لثلا يأخذ الماء يمينًا وشمالاً، ولو تُركت لساحت على الأرض حتى تملأ كلَّ شيء. وقال ابن هشام: والززمة عند العرب: الكثرة والاجتماع قال الشاعر:

وباشرت مَغْطَنَهَا^(٥) الْمُدْهَمَهَا وَيَمَمَّتْ زُمُومَهَا^(٦) الْمَزْمَزَمَا

سبب نزول هاجر وإسماعيل مكة:

الْمُدْهَمُ: اللَّيْنُ، وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليها من الشام أن سارة بنت عمِّ إبراهيم - عليه السلام - شجر بينها وبين هاجر أمر، وساء ما بينهما، فأمر إبراهيم أن يسير بها إلى مكة، فاختملها على الْبُرَاقِ^(٧) واختمل معه قِزْبَةً بماءٍ وميزود تمرٍ،

(١) زمزم: قال ابن بري: لزمن اثنا عشر اسمًا: زمزم، مكتومة، مضنونة، شُبَاعَة، سَقِيَاء، الرِّوَاء، ركضة جبريل، هَمْزَةُ جبريل، شِفَاء سُقْمٍ، طَعَامُ طُعْمٍ، حفيرة عبد المطلب، ويقال: ماء زمزم، وزمزم، وزوازم، وزوزم إذا كان بين الملح والعذب. انظر اللسان (١٢/ ٢٧٢ - ٢٧٥).

(٢) هزمة: أي نقرة. (٣) انظر مروج الذهب (١/ ٢٤٢).

(٤) المعطن: ميرك الإبل.

(٥) زمزومها: جماعتها. أي من الإبل.

(٦) الأشهر أنهم ساروا إلى هناك.

أمر جرهم، ودفن زمزم

قال ابن هشام: وكان من حديث جرهم، ودفنها زمزم، وخروجها من مكة، ومَنْ وَلِيَ أمر مكة بعدها إلى أن حَفَرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ زمزم، ما حَدَّثَنَا به زِيَاد بن عبد الله الْبَكَّائِي عن محمد بن إِسْحَاقِ الْمُطَّلِبِيِّ، قال: لما توفى إِسْمَاعِيل بن إبراهيم وَلِيَ البيت بعده ابنه نَابِت بن إِسْمَاعِيل - ما شاء اللَّهُ أَنْ يَلِيه - ثم وَلِيَ الْبَيْت بعده: مُضَاض بن عمرو الْجَزْهَمِي.

وسار بها حتى أنزلها بمكة في موضع البيت^(١)، ثم وَلَّى راجعاً عوده على بذته^(٢)، وتبعته هاجر وهي تقول: أَلَلُّهُ أَمْرُكَ أَنْ تدعني، وهذا الصبي في هذا البلد الموحش، وليس معنا أنيسٌ! فقال: نعم، فقالت: إِذَا لا يضيعنا^(٣)، فَجَعَلَتْ تَأْكُل من التَّمْر، وتشرب من ماء القرية، حتى نَفِدَ الماء، وَعَطِشَ الصبي، وجعل يَنْشَغُ^(٤) للموت، وجعلت هي تسعى من الصفا إلى المروة، ومن المَرْوَةِ إلى الصفا؛ لترى أحداً، حتى سمعت صوتاً عند الصَّبِيِّ، فقالت: قد سَمِعْتُ، إن كان عندك غَوْثٌ، ثم جاءت الصبي، فإذا الماء ينبغ من تحت خذه، فجعلت تَغْرِفُ بيديها، وتجعل في الْفِرْزَةِ. قال النبي - ﷺ -: «لو تركته لكانت عَيْنًا»، أو قال: «نَهْرًا مَعِينًا»، وكَلَّمَهَا الْمَلَكُ، وهو جبريل - عليه السلام - وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة، وأنها موضعُ بيت الله الحرام^(٥)، ثم ماتت هاجر، وإسماعيل - عليه السلام - ابنُ عشرين سنة، وقبرها في الْحِجْر، وثُمَّ قبر إِسْمَاعِيل - عليه السلام - وكان الْحِجْرُ قبل بناء البيت رَزْبًا لغنم إِسْمَاعِيلِ ﷺ ويقال: إن أول بلد ميرت^(٦) منه أُمُّ إِسْمَاعِيل عليه - السلام -، وابنها التمر: القرية التي كانت تُعرف بِالْفُرْع من ناحية المدينة، والله أعلم.

قطورا وجرهم والسميدع

فصل: وذكر نزول جرهم، وقَطُورًا على أُمِّ إِسْمَاعِيل هاجر، وجُرْهم: هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أَرْقُشَشْد بن سام بن نوح، ويقال: جُرْهُمُ بن عابر، وقد قيل: إنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة، وذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلم إِسْمَاعِيلُ العريية. وقيل: إن الله تعالى أنطقه بها إنطاقًا، وهو ابن أربع عشرة سنة.

(١) الذي في البخاري (٣/٣١٣): أنه «وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد».

(٢) أي كما بدأ - عائداً إلى الشام.

(٣) وفي رواية: أنها نادته ثلاث مرات. وفي قولها من التوكل على الله تعالى ما تُسَطَّر فيه الكتب.

(٤) ينشغ: يتهأ. (٥) في البخاري بنحوه.

(٦) ميرت: تزودت بالميرة: أي الزاد. قال أخوة يوسف لأبيهم عليه السلام: «ونمير أهلنا».

قال ابن هشام: ويقال: مضاض بن عمرو الجُرْهُمِيّ.

قال ابن إسحاق: وبنو إسماعيل، وبنو نابت مع جدّهم: مُضاض بن عمرو وأخوالهم من جُزْهم، وجُزْهم وقُطُوراء يومئذ أهل مكة، وهما ابنا عمّ، وكانا ظعنًا من اليمن، فأقبلا سيارّة، وعلى جُزْهم: مُضاض بن عمرو، وعلى قطوراء: السَّمِيدَع رَجُلٌ منهم. وكانوا إذا خَرَجُوا من اليمن لم يَخْرُجُوا إِلَّا ولهم مَلِكٌ يُقِيمُ أَمْرَهُمْ. فلما نَزَلَا مكة رَأَيَا بلدًا ذا ماءٍ وشَجَرٍ، فأعجبهما فَنَزَلَا به. فنَزَلَ مُضاض بن عَمْرُو بَمَنْ معه من جُزْهم بأعلى مكة بَقَعِيْقَعَان، فما حَازَ. ونَزَلَ السَّمِيدَع بِقُطُورَاء، أسفل مكة بأَجِيَاد، فما حَازَ. فكان مُضاض يَغْشُرُ مَنْ دَخَلَ مكة من أَعْلَاهَا، وكان السَّمِيدَع يَغْشُرُ مَنْ دَخَلَ مكة من أَصْفَلِهَا، وكلُّ في قومه لا يَدْخُلُ واحدٌ منهما على صاحبه. ثم إن جُزْهم وقُطُوراء بَعَى بعضهم على بعض، وتنافسوا المُلْكَ بها، ومع مُضاض يومئذ: بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولايةُ البيت دون السَّمِيدَع. فسار بعضهم إلى بعض، فخرج مُضاض بن عَمْرُو من قُعَيْقَعَان في كَتِيبَتِهِ سَائِرًا إلى السَّمِيدَع، ومع كَتِيبَتِهِ عُذَّتُهَا مِنَ الرَّمَاكِ وَالذَّرَقِ وَالسُّيُوفِ وَالجِّعَابِ، يُقَعِّقِعُ بِذَلِكَ معه، فيقال: ما سُمِّي قُعَيْقَعَان بِقُعَيْقَعَان إِلَّا لذلك. وخرج السَّمِيدَع من أَجِيَاد، ومعه الخيل والرجال، فيقال: ما سُمِّي أَجِيَاد: أَجِيَادًا إِلَّا لخُرُوجِ

وأما قُطُوراء، فهو قُطُوراء بن كَزْكَر.

وأما السَّمِيدَعُ الَّذِي ذَكَرَهُ، فهو السَّمِيدَع بن هُوَثِر - بَنَاءٌ مِثْلُثَةٌ - قَيْدُهَا الْبَكْرِي - ابن لَآيِ بْنِ قُطُوراء بن كَزْكَر بن عِمْلَاق، ويقال: إن الزُّبَاءَ الْمَلِكَةَ كَانَتْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَهِيَ بِنْتُ عَمْرُو بْنِ أَدْنَةَ بْنِ ظَرْبٍ بْنِ حَسَّانَ، وَبَيْنَ حَسَّانَ، وَبَيْنَ السَّمِيدَعِ آبَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلَا يَصِحُّ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ حَسَّانَ ابْنُهُ لَصُلْبِهِ، لِيُبْعِدَ زَمَنَ الزُّبَاءِ مِنَ السَّمِيدَعِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الْاِخْتِلَافَ فِي اسْمِهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَذَكَرَ الْحَارِثُ بْنُ مُضاضٍ الْأَكْبَرِ بْنِ عَمْرُو بْنِ سَعْدِ بْنِ الرَّقِيبِ بْنِ هَيْبِ بْنِ بَنْتٍ^(١) جُزْهُم.

جِيَادٌ وَقُعَيْقَعَانُ:

فصل: وذكر ولاية جُزْهم البيت الحرام دون بني إسماعيل إلى أن بَغَوْا فِي الْحَرَمِ، وَكَانَ أَوَّلُ بَغْيٍ فِي الْحَرَمِ مَا ذَكَرَهُ مِنْ حَرْبِ جُزْهم لِقُطُورَاءَ.

وأما أَجِيَاد فَلَمْ يَسْمَ بِأَجِيَادٍ مِنْ أَجْلِ جِيَادِ الْخَيْلِ، كَمَا ذَكَرَ لِأَنَّ جِيَادَ الْخَيْلِ لَا يَقَالُ فِيهَا: أَجِيَادٌ، وَإِنَّمَا أَجِيَادٌ: جَمْعُ جَيْدٍ^(٢).

(٢) الجيد: أي العنق.

(١) في اللسان: «بن هَيْبِ بْنِ بَنْتٍ».

الجياد من الخيل مع السَّمِيدِجِ منه. فَالْتَقَوْا بِفَاضِحٍ، وَاقْتَلَوْا قِتَالاً شَدِيدًا، فَقُتِلَ السَّمِيدِجُ، وَفُضِّحَتْ قَطُورَاءٌ. فيقال: ما سَمِيَ فاضِحًا فاضِحًا إِلَّا لَذاكَ. ثم إن القوم تَدَاعَوْا إِلَى الصِّلَحِ، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا الْمَطَابِخَ: شِغْبًا بِأَعْلَى مَكَّةَ، وَاصْطَلَحُوا بِهِ، وَأَسْلَمُوا الْأَمْرَ إِلَى مُضَاضٍ. فَلَمَّا جُمِعَ إِلَيْهِ أَمْرُ مَكَّةَ، فَصَارَ مُلْكُهَا لَهُ نَحَرَ لِلنَّاسِ فَأَطْعَمَهُمْ، فَأَطْبَخَ النَّاسُ وَأَكَلُوا، فيقال: ما سُمِّيَتِ الْمَطَابِخُ: الْمَطَابِخُ إِلَّا لِذَلِكَ. وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَزْعُمُ أَنَّهَا إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْمَطَابِخُ، لِمَا كَانَ تُبْعَ نَحْرُهَا، وَأَطْعَمَ، وَكَانَتْ مَنْزَلُهُ، فَكَانَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ مُضَاضٍ وَالسَّمِيدِجِ أَوَّلَ بَغْيٍ كَانَ بِمَكَّةَ فِيمَا يَزْعُمُونَ.

ثم نشر الله وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ بِمَكَّةَ، وَأَخْوَالَهُمْ مِنْ جُرْهُمٍ وَلاَةَ الْبَيْتِ وَالْحُكَامَ بِمَكَّةَ، لَا يَنْزَعُهُمْ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ فِي ذَلِكَ لَخَثُولَتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ، وَإِعْظَامًا لِلْحُزْمَةِ أَنْ يَكُونَ بِهَا بَغْيٌ أَوْ قِتَالٌ. فَلَمَّا ضَاقَتْ مَكَّةَ عَلَى وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ انْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ، فَلَا يَنَاطُونُ قَوْمًا إِلَّا أَظْهَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِدِينِهِمْ قَوِّطُونَهُمْ.

استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم بنو بكر يطردون جرهمًا

ثم إن جُرْهُمًا بَغَوْا بِمَكَّةَ، وَاسْتَحْلَوْا خِلَالَآ مِنْ الْحَرَمَةِ، فَظَلَمُوا مَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا، وَأَكَلُوا مَالَ الْكَعْبَةِ الَّذِي يُهْدَى لَهَا، فَرَقَّ أَمْرُهُمْ. فَلَمَّا رَأَتْ بَنُو بَكْرٍ بَنُ عَبْدِ مَنَاةَ بَنِ كِنَانَةَ، وَغُبْشَانَ مِنْ خُزَاعَةَ ذَلِكَ، أَجْمَعُوا لِحَرْبِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ مَكَّةَ. فَأَذَنُوهُمْ

وذكر أصحاب الأخبار أن مُضَاضًا ضَرَبَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَجْيَادَ مِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْعِمَالِقَةِ، فَسَمِيَ الْمَوْضِعُ: بِأَجْيَادٍ، وَهَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ، وَمِنْ شِغْبٍ أَجْيَادٌ تَخْرُجُ دَابَّةُ الْأَرْضِ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ صَالِحٍ مَوْلَى التَّوَّامَةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ^(١)، وَذَكَرَ غَيْرُهُ فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ أَنَّ قُعَيْقِعَانَ سُمِّيَ بِهَذَا الْأَسْمِ حِينَ نَزَلَ تَبَعَ مَكَّةَ، وَنَحَرَ عِنْدَهَا وَأَطْعَمَ، وَوَضَعَ سِلَاحَهُ وَأَسْلَحَةَ جُنْدِهِ بِهَذَا الْمَكَانِ، فَسُمِّيَ قُعَيْقِعَانُ بِقُعُقَعَةِ السِّلَاحِ فِيهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

جرهم تسرق مال الكعبة

فصل: وذكر استحلال جُرْهُمٍ لِحُزْمَةِ الْكَعْبَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ اخْتَفَرَ بَثْرًا قَرِيبَةَ الْقَعْرِ عِنْدَ بَابِ الْكَعْبَةِ، كَانَ يُلْقَى فِيهَا مَا يُهْدَى إِلَيْهَا، فَلَمَّا فَسَدَ أَمْرُ جُرْهُمِ

(١) ورد القرآن بخروجها وكذا وردت السنة. دون تحديد مكان خروجها.

بالحرب فاقتلوا، فغلبتهم بنو بكر وعُشنان، ففقهوهم من مكة. وكانت مكة في الجاهلية لا تُقَرَّ فيها ظُلْمًا ولا بَغْيًا، ولا يَبْغِي فيها أحد إلا أخرجته، فكانت تسمى: النَّاسَةُ^(١)، ولا يريدوها ملك يستحلُّ حُرْمَتها إلا هلك مكانه، فيقال: إنها ما سُمِّيت ببَكَّة إلا أنها كانت تَبْكُ أعناق الجابرة إذا أحدثوا فيها شيئًا.

قال ابن هشام: أخبرني أبو عُبَيْدة: أن بكَّة اسم لبطن مكة، لأنهم يتباكون فيها، أي: يزدحمون، وأنشدني:

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذْتُهُ أَكَّةً^(٢) فَخَلَّه حَتَّى يَبُكَ بِكَّةً

سرقوا مال الكعبة مرَّةً بعد مرَّة، فيذكر أن رجلاً منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة، فسقط عليه حجرٌ من شَفِير البئر فحبسه فيها، ثم أُرْسِلَتْ على البئر حِيَّةٌ لها رَأْسٌ كرَّاسُ الْجَدْيِ، سوداءُ الْمَتْنِ، بيضاء البطن، فكانت تهيب مَنْ دنا من بئر الكعبة، وقامت في البئر - فيما ذكروا - نحوًا من خمسمائة عام، وسنذكر قصة رفعها عند بِنْيَان الكعبة إن شاء الله.

بين جرهم وخزاعة

فصل: فلما كان من بَغْيِ جُرْهُم ما كان، وافق تفَرَّق سبأ من أجل سيل العَرِمِ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عَمْرٍو بن عامر أرض مكة، وذلك بأمر طَرِيفَةَ الكاهنة، وهي امرأة عَمْرٍو بن مُزَيْقِيَاءَ^(٣) وهي من حمير، وبأمر عِمْران بن عامر أخي عمرو، وكان كاهنًا أيضًا، فنزلها هو وقومه، فاستأذنوا جُرْهُمًا أن يقيموا بها أيامًا، حتى يرسلوا الرُّوَاد، ويرتادوا منزلًا حيث رأوا من البلاد، فأبت عليهم جُرْهُمٌ، وأغضبوهم، حتى أقسم حارثة ألا يبرح مكة إلا عن قتالٍ وَعَلْبَةٍ، فحاربتهم جُرْهُمٌ، فكانت الدَّوْلَةُ لبني حارثة عليهم، واعتزلت بنو إسماعيل، فلم تكن مع أحد من الفريقين، فعند ذلك ملكت خُزَاعَةُ - وهم بنو حارثة - مكة، وصارت ولاية البيت لهم، وكان رئيسهم عَمْرٍو بن لَحْيٍ الذي تقدم ذكره قبل، فشرَّد بقية جُرْهُم، فسارَ قَلْبُهُمْ في البلاد، وسلَّط عليهم الذُّرَّ^(٤) والرُّعَافُ^(٥)، وأهلك بقيتهم السَّيْلُ بِإِضْمٍ، حتى كان آخرهم موتًا امرأة ريثت تطوف بالبيت بعد خُروجهم منها بزمان، فعجبوا من طولها وعظم خلقتها، حتى قال لها قائل: أَجِنَّةٌ أنت أم إنسية؟! فقالت: بل إنسية من جُرْهم،

(١) النَّاسَةُ: مكة. قيل سُمِّيت بذلك لقلة الماء بها. إذا أن «نس» تدل على قلة الماء. انظر مقاييس اللغة (٣٥٥/٥).

(٢) أَكَّة: الهمزة والكاف تدلَّان على شدة الحر وغيره. والأكَّة سوء خلق والبيت في المقاييس (١٧/١).

(٣) في الجمهرة (٤٥٣): «عمرو مزريقاء بن عامر ماء السماء».

(٤) الذر: صغار النمل. (٥) الرعاف: الدم.

أي: فدغه حتى يَبْلُغَ إِبْلَهُ، أي يُخْلِئُهَا إلى الماء، فتزدحم عليه، وهو موضع البيت والمسجد. وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

قال ابن إسحاق: فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن، فدفنهما في زمزم، وانطلق هو وَمَنْ معه من جُزهم إلى اليمن، فحزُّوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزناً شديداً، فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض في ذلك، وليس بمُضاض الأكبر:

وقد شَرِقتُ بالدمع منها المَحَاجِرُ	وقائِلَةُ والدمعُ سَكَبُ مُبادِرُ
أَنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بمَكَّةَ سامِرُ	كَأَن لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصِّفا
يُلَجِّجُ بَيْنَ الجناحين طائر	فقلْتُ لَهَا والقلبُ مَتِي كَأَنما
صُرُوفُ اللَّيالي، وألْجُود العِواثر	بلى نحن كُنَّا أَهلها، فأزالنا
نطوفُ بِذاك البيتِ، والخيرُ ظاهر	وكُنَّا وِلاةَ البيتِ من بَعْدِ نَابِتِ
بعزُّ، فَمَا يحظى لدينا المُمكَّاتِر	ونحن وَلينا البَيْتَ من بعد نَابِتِ
فليس لحيٍّ غيرنا ثمَ فَاخِرُ	ملَكنا فَعَزَّزْنَا فَاغْظَمَ بِمُلْكنا

وأنشدت رَجَزاً في معنى حديثهم، واستكثرت بعيراً من رجلين من جُهَيْنَةَ، فاحتملها على البعير إلى أرض خَبِير، فلما أنزلها بالمنزل الذي رَسَمَتْ لهما، سألاها عن الماء، فأشارت لهما إلى موضع الماء، فوليا عنها، وإذا الدُّرُّ قد تعلق بها، حتى بلغ خياشيمها وعينيها، وهي تنادي بالويل والثُّبور حتى دخل حلقها، وسقطت لوجهها، وذهب الجُهَيْنَانِ إلى الماء، فاستوطناه، فمن هنالك صار موضع جُهَيْنَةَ بالحجاز وقَرْبَ المدينة، وإنما هُم من قُضاعة، وقُضاعة: من ريف العراق.

غربة الحارث بن مُضاض:

فصل: رجع الحديث. وكان الحارث بن مُضاض بن عمرو بن سعد بن الرَّقِيب بن هي بن نبت بن جُزهم الجُرهمي قد نزل بِقَتُونَا من أرض الحجاز، فَضَلَّتْ له إِبِلٌ، فبغاهَا حتى أتى الحرم، فأراد دخوله، ليأخذ إبله، فنَادى عمرو بن لُحَيٍّ: مَنْ وجد جُزهميًّا، فلم يقتله، قطعت يده، فسمع بذلك الحارث، وأشرف على جبل من جبال مكة، فرأى إبله تُنحر، ويَتَوَزَّعُ لحْمُها، فانصرف بائساً خائفاً ذليلاً، وأبعد في الأرض، وهي غُرْبَة الحارث بن مُضاض التي تضرب بها المثل، حتى قال الطائي:

غُرْبَة تَفْتَدِي بِغُرْبَةِ قَيْسِ بـ من زُهَيْرٍ والحارث بن مُضاض

ألم تُنكحوا من خير شخص علمته فأبناؤه أمنا، ونحن الأصاهر
فإن تئن الدنيا علينا بحالها فإن لها حالا، وفي الشَّاجِرُ
فأخرجنا منها المليك بقُدرة كذلك - يا للنَّاس - تجري المقادر
أقول إذا نام الخلي، ولم أنم: إذا العرش: لا يَبْعُدُ سُهَيْلٌ وعامر
وبُدِّلَتْ منها أوجها لا أحبها قبائل منها جَمِيرٌ وَحَايِرٌ
وصرنا أحاديثًا وكُثًّا بغبطةٍ بذلك عَضَّتْنَا السَّنُونُ الغوابِرُ
فسحَّتْ دُمُوعُ العين تبكي لِبَلَدَةٍ بها حَرَمٌ أَمْنٌ، وفيها المشاعرُ
وتبكي لبیتٍ ليس يُؤدِّي حمامه يظلُّ به أَمْنًا، وفيه العَصَافِرُ
وفيه وحوش - لا تُرام - أنيسةٌ إذا خرجت منه، فليست تُغادرُ

وحينئذ قال الحارث الشعر الذي رسمه ابن إسحق وهو قوله:

كان لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصِّفا

الشعر وفيه:

وَنَبْكِ لَبِيتٍ لَيْسَ يُؤدِّي حَمَامُهُ تَظَلُّ بِهِ أَمْنًا، وفيه الْعَصَافِرُ

أراد: العصافير، وحذف الياء ضرورة، ورفع العصافير على المعنى، أي: وتأمين فيه
العصافير، وتظل به أمنا، أي: ذات أمن، ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل: ركب جمع:
راكب، وفيه: ولم يَسْمُرْ بمكة سامر: السامر: اسم الجماعة يتحدثون بالليل، وفي التنزيل:
﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧] وَالْحَجُونُ^(١) بفتح الحاء على فرسخ وثلاث من مكة،
قال الْحَمِيدِيُّ: كان سُفْيَانٌ ربما أنشد هذا الشعر، فزاد فيه بعد قوله: فليست تغادر:

ولم يَتَرَبَّعْ واسطًا وجنوبه إلى السُرِّ من وادي الأراكاة حاضر
وأبدلني ربِّي بها دار غُرْبَةٍ بها الجوعُ باد، والعدوُّ الْمُحَاصِرُ^(٢)

واسط وعامر وجرهم:

قال الْحَمِيدِيُّ: واسط: الجبل الذي يجلس عنده المساكين، إذا ذهبت إلى منى. وقوله

فيه:

لَا يَبْعُدُ سُهَيْلٌ وعامر

(١) الحجون: بأعلى مكة عند مقبرة أهلها. (٢) انظر نهاية الأرب (١٦/٣٤).

قال ابن هشام: «فأبناؤه منا»، عن غير ابن إسحق.

عامرٌ: جبلٌ من جبال مكة، يدل على ذلك قول بلال رضي الله عنه: وهل يَبْدُونَ لي عامرٌ وطَفِيلٌ^(١). على رواية مَنْ رواه هكذا، وجُزْهُمَ هذا هو الذي تتحدث بها العربُ في أكاذيبها، وكان من خرافاتها في الجاهلية أن جُزْهُمَا ابنُ لِمَلَكٍ أهبط من السماء لذنب أصابه، فغضب عليه من أجله، كما أهبط هاروت وماروت^(٢)، ثم أُلْقِيَتْ فيه الشهوة، فتزوج امرأة، فولدت له جُزْهُمَا، قال قائلهم:

لا هُمَّ إن جُزْهُمَا عبادُكا الناسُ طُرْفٌ، وهُم بِلادُكا
[بهم قديمًا عَمِرَتْ بلادُكا]

من كتاب الأمثال للأصبهاني:

مكة^(٣) وأسماءُها:

فصل: وذكر مكة وبُكَّة، وقد قيل في بُكَّة ما ذكره من أنها تَبْكُ الجابرة، أي تكسرهـم وَتَقْدَعُهُمْ، وقيل: من التَّبَاكُ، وهو: الازدحام، ومَكَّة من تَمَكَّكَتِ العظم، إذا اجتذبت ما فيه من المخ، وتمكَّكَتِ الفصيلُ ما في ضَرْعِ الناقة، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم، وقيل: لما كانت في بطن وادٍ، فهي تَمَكَّكَتِ الماءَ من جبالها وأخشبها عند نزول المطر، وتنجذب إليها السيولُ، وأما قول الراجز الذي أنشده ابن هشام:

إذا الشَّرِيبُ أَخَذْتَهُ أَكَّةٌ فخلَّه حتى يَبْكُ بُكَّةٌ
فالأكَّة: الشدة، وإكأك الدهر: شدائده.

وذكر أنه كان يقال لها: النَّاسَةُ، وهو من نُسِت الشيء إذا أذهبتَه، والرواية في الكتاب بالنون، وذكر الخطابي [في غريبه] أنه يقال لها: الباسَةُ أيضًا بالباء، وهو من بُسَّت الجبالُ بَسًا، أي: فُتَّت وتُرِّثت، كما يُتْرَى السَّوِيُّ، قال الراجز:

لا تَخْبِرَا خَبْرًا وَيُسَا بَسًا

(١) طفيل: جبل بمكة.

(٢) لا أصل صحيح لقصة هاروت وماروت من كونهما ملكين نزلا إلى الأرض وجرى منهما ما جرى من زنا وشرب الخمر ولواط وغيره. انظر تفسير ابن كثير.

(٣) مكة: الميم والكاف أصل صحيح يدل على انتقاء العظم. انظر مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٤-٢٧٥).

قال ابن إسحق: وقال عمرو بن الحارث أيضًا يذكر بكرًا وعُشَّان، وساكني مكة الذين خَلَقُوا فيها بعدهم:

يأيها الناس سِيرُوا إن قَصْرَكُمْ أن تُصْبِحُوا ذات يوم لا تَسِيرُونَا

يقول: لا تشتغلوا بالخبز، وثَرِيَّا الدقيق والتقمه. يقال: إن هذا البيت للصبأعجله الهرب.

وذكر أبو عبيدة أن الخَبَزَ: شدة السُّوق، والبُسُّ: ألين منه، وبعده:

ما ترك السَّيْرُ لهن نَسًا

ومن أسماء مكة أيضًا، الرأس، وصَلَاخ، وأُمُّ رُحْم، وكُوْثَى، وأما التي يخرج منها الدجال، فهي: كُوْثَى رَبِّا ومنها كانت أُم إبراهيم عليه السلام، وقد تقدم اسمها، وأبوها هو الذي احتفر نهر كُوْثَى، قاله الطبري^(١).

أسطورة:

فصل: وذكر قول الحارث بن مُضاض:

يأيها الناسُ سِيرُوا إن قَصْرُكُمْ أن تُصْبِحُوا ذات يوم لا تَسِيرُونَا^(٢)

وذكر ابن هشام أنها وجدت بِحَجَرٍ باليمن، ولا يعرف قائلها، وألفيتُ في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبرًا لهذه الأبيات، وأسنده أبو الحرث محمد بن أحمد الجُعْفِيُّ عن عبد الله بن عبد السلام البصري، قال: حدَّثنا إسحق بن إبراهيم بن سليمان التَّمَّار، قال أخبرني ثَقَّة^(٣) عن رجل^(٤) من أهل اليمامة، قال: وجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسْم وجَدِيس في قرية يقال لها: مُغْنِق، بينها وبين الْحَجَرِ ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم ثُبَّع، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبًا:

يأيها الملك الذي	بالمُلْكِ ساعده زمائه
ما أنت أول من علا	وعلا شؤونَ الناس شأنه
أقصر عليك مراقبًا	فالدهر مَخْذُولٌ أمانه
كم من أشمٍ مُعَصَّب	بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزما	ن، وكان ذا خَفْضٍ جنانه

(١) الطبري (١/٥٣٣).

(٢) الطبري (١/٥٢٤).

(٣) مجهول.

حُثُوا الْمَطْيِيَّ، وَأَزْحُوا مِنْ أَرِمَتْهَا
 قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَقَضُوا مَا تُقْضُونَا
 كُنَّا أَنْسَا كَمَا كُنْتُمْ، فَغَيَّرْنَا
 دَهْرٌ، فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هَذَا مَا صَحَّ لَهُ مِنْهَا. وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ: أَنَّ هَذِهِ

تَجْرِي الْجَدَاوِلُ حَوْلَهُ
 قَدْ فَاجَأَتْهُ مَنِيَّةٌ
 وَتَفَرَّقَتْ أَجْنَادُهُ
 وَالدَّهْرُ مِنْ يَغْلِقُ بِهِ
 وَالنَّاسُ شَتَّى فِي الْهَوَى
 وَالصَّدْقُ أَفْضَلُ شِيمَةٍ
 وَالصَّمْتُ أَسْعَدُ لِلْفَتَى
 وَوَجَدَ فِي الْحَجَرِ الثَّانِي مَكْتُوبًا أَيْبَاتُ:

كُلُّ عَيْشٍ نَعِلَةٌ
 يَوْمٌ بُؤْسَى وَتُغْمَى
 حُبُّنَا الْعَيْشَ وَالتَّكَا
 بَيْنَمَا الْمَرْءُ نَاعِمٌ
 فِي ظِلَالٍ وَنَعْمَةٍ
 لَا يَرَى الشَّمْسَ مِلْغَضًا
 لَمْ يُقْلَهَا، وَبَذَلَتْ
 آفَةُ الْعَيْشِ وَالنَّعْمِ
 وَضَلَّ يَوْمٍ بَلِيلَةٌ
 وَالْمَنْيَا جَوَائِمُ
 بِالَّذِي تَكَرَّرَ النَّفْسُ
 وَفِي الْحَجَرِ الثَّالِثِ مَكْتُوبًا:

يَأْيُهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَضَرَكُمُ
 حُثُوا الْمَطْيِيَّ، وَأَزْحُوا مِنْ أَرِمَتْهَا
 قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَضُوا مَا تُقْضُونَا
 دَهْرٌ فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا

الآبيات أول شعر قيل في العرب، وأنها وجدت مكتوبة في حَجَرٍ باليمن، ولم يُسمَّ لي قائلها.

وذكر أبو الوليد الأزرق في كتابه في فضائل مكة زيادةً في هذه الآبيات وهي:

قد مال دَهْرٌ علينا ثم أَهْلَكَنَا	بالبغي فينا وَبَزَّ النَّاسَ نَاسُونَا
إن التفكر لا يُجِدِي بِصَاحِبِهِ	عند البديهة في عِلْمٍ له دُونَا
قَضُوا أُمُورَكُمْ بِالْحَزَمِ إن لَهَا	أُمُورٌ رُشِدٌ رَشَدْتُمْ ثم مَسْنُونَا
وَاسْتَخِيرُوا فِي صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ	كما استبان طريقَ عنده الهونا
كنا زمانًا ملوك الناس قَبْلَكُمْ	بِمَسْكَنٍ في حرامِ الله مَسْكُونَا

ووجد على حائطٍ قصيرٍ بدمشق لبني أمية مكتوبًا:

يأيها القصرُ الذي كانت	تَحُفُّ به المَواكِبُ
أين المَواكِبُ والمَضَى	أربُ والنَجائبُ ^(١) والجَنائبُ ^(٢)
أين العساكرُ والدُّسُ	أكرُ والمَقائِبُ ^(٣) والكَتائبُ
ما بِالْهُمِّ لَمْ يَذْفَعُوا	لما أَتَتْ عَنْكَ التُّوَائِبُ
مِا بِالْ قَضْرِكَ وَاهِيَا	قد عَادَ مِنْهُدُ الْجَوَائِبُ

ووجد في الحائط الآخر من جيطانها جوابها:

يا سائلي عَمَّا مَضَى	مِنْ دَهْرِنَا وَمِنْ الْعَجَائِبُ
والقصر إذ أَوْدَى، فأضحى	بعدُ مِنْهُدُ الْجَوَائِبُ
وعن الجنودِ أُولَى العقو	دِ، وَمَنْ بِهِمْ كنا نحاربُ
وبهم قَهَرْنَا عَثْوَةَ	مَنْ بِالْمِشَارِقِ وَالْمَغَارِبُ
وتقول: لِمَ لَمْ يَذْفَعُوا	لما أَتَتْ عَنْكَ التُّوَائِبُ
هَئِهَاتَ لَا يُنْجِي مِنَ الْمَو	تِ الْكَتَائِبُ وَالْمَقَائِبُ

(١) النجائب: النون والجيم والباء أصلان: أحدهما يدل على خلوص شيء وكرم، والآخر على ضعف. مقاييس اللغة (٣٩٩/٥).

(٢) الجنائب: الجيم والنون والباء أصلان متقاربان أحدهما: الناحية والآخر: البعد. انظر مقاييس اللغة (٤٨٣/١). والجنائب: النون. انظر اللسان (٢٧٩/١).

(٣) المقائِب: الخيل. اللسان (٦٩٠/١).

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق: ثم إن عُبْشَانَ من خُزَاعَةَ وَلِيَتْ الْبَيْتَ دُونَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ، وَكَانَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُمْ: عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الْعُبْشَانِي، وَقُرَيْشٌ إِذْ ذَاكَ حُلُولٌ وَصِرْمٌ، وَبَيُوتَاتٌ مَتَفَرِّقُونَ فِي قَوْمِهِمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، فَوَلِيَتْ خُزَاعَةُ الْبَيْتَ يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ حُلَيْلُ بْنُ حَبْشَةَ ابْنُ سَلُولَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو الْخُزَاعِيُّ.

قال ابن هشام: يقال حُبْشِيَّةُ ابْنُ سَلُولَ.

قصي وخزاعة وولاية البيت

فصل: في حديث قصي ذكر فيه أن قُرَيْشًا قُرَعَةُ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ، هَكَذَا بِالْقَافِ، وَهِيَ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ، وَفِي بَعْضِ النُّسخ: قُرَعَةُ بِالْفَاءِ، وَالْقُرَعَةُ بِالْقَافِ هِيَ: نُحْبَةُ الشَّيْءِ، وَخِيَارُهُ، وَقُرَيْعُ الْإِبِلِ: فَحْلُهَا، وَقُرَيْعُ الْقَبِيلَةِ: سِيدُهَا، وَمِنْهُ اشْتَقَّ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَغَيْرُهُ مِنْ سُمِّيَ مِنَ الْعَرَبِ بِالْأَقْرَعِ.

وَذَكَرَ انْتِقَالَ وِلَايَةِ الْبَيْتِ مِنْ خُزَاعَةَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ سَبَبِ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ قَصِيًّا رَأَى نَفْسَهُ أَحَقَّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمْ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ حُلَيْلًا كَانَ يُعْطِي مَفَاتِيحَ الْبَيْتِ ابْنَتَهُ حُبْيًى، حِينَ كَبُرَ وَضَعْفٌ، فَكَانَتْ بِيَدِهَا، وَكَانَ قَصِيٌّ رُبَّمَا أَخَذَهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَفَتَحَ الْبَيْتَ لِلنَّاسِ وَأَغْلَقَهُ، وَلَمَّا هَلَكَ حُلَيْلٌ أَوْصَى بِوِلَايَةِ الْبَيْتِ إِلَى قَصِيٍّ، فَأَبَتْ خُزَاعَةُ أَنْ تُمْضِيَ ذَلِكَ لِقَصِيٍّ، فَعِنْدَ ذَلِكَ هَاجَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُزَاعَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى رِزَاحِ أَخِيهِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَيْهِمْ.

ويذكر أيضًا أن أبا عُبْشَانَ من خزاعة، واسمه: سليم - وكانت له ولاية الكعبة - باع مفاتيح الكعبة من قصي بزق خمر، فقيل: أخسر من صفقة أبي عُبْشَانَ^(١) ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال.

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُضَرٍّ إِلَى خُزَاعَةَ أَنَّ الْحَرَمَ حِينَ ضَاقَ عَنْ وَلَدِ نَزَارٍ، وَبَغَتْ فِيهِ إِيَادُ أَخْرَجْتَهُمْ بَنُو مُضَرِّ بْنِ نَزَارٍ، وَأَجْلَوْهُمْ عَنْ مَكَّةَ، فَعَمَدُوا فِي اللَّيْلِ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، فَاقْتَلَعُوهُ، وَاخْتَمَلُوهُ عَلَى بَعِيرٍ فَرَزَحَ الْبَعِيرُ بِهِ، وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلُوهُ عَلَى آخِرٍ، فَرَزَحَ أَيْضًا، وَعَلَى الثَّالِثِ فَعَمَلُ مِثْلِ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ دَفَنُوهُ وَذَهَبُوا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَهْلُ مَكَّةَ، وَلَمْ يَرَوْهُ، وَقَعُوا فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خُزَاعَةَ قَدْ بَصُرَتْ بِهِ حِينَ دُفِنَ، فَأَعْلَمَتْ قَوْمَهَا بِذَلِكَ، فَحِينَئِذٍ أَخَذَتْ خُزَاعَةُ عَلَى وِلَاةِ الْبَيْتِ أَنْ يَتَخَلَّوْا لَهُمْ

(١) كانت تُصَرَّبُ الْأَمْثَالُ فِي الْحَقِّ.

تزوج قصي بن كلاب حُبَي بنت حليل

قال ابن إسحاق: ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حُلَيْلِ ابن حُبْشِيَّة بنته حُبَي، فرغب فيه حُلَيْل فزوجه، فولدت له عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبدًا. فلما انتشر ولد قصي، وكثر ماله، وعظم شرفه، هلك حُلَيْل.

قصي يتولى أمر البيت

فراى قصي أنه أولى بالكعبة، وبأمر مكة من خُزاعة وبني بكر، وأن قريشًا فُرْعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده. فكلَّم رجالاً من قُريش، وبني كِنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بَكْر من مكة، فأجابوه. وكان ربيعة بن خَرام من عُدرة بن سَعْد بن زَيْد قد قَدِم مكة بعدما هَلَكَ كِلاب، فتنَزَّج فاطمة بنت سعد بن سَيْل، وزُهرة يومئذ رجل، وقصي فطيم، فاحتملها إلى بلاده، فحملت قُصَيًّا معها، وأقام زُهرة، فولدت لربيعة رِزَاحًا. فلم بلغ قُصَي، وصار رجلاً أتى مكة، فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمه، رِزَاح بن ربيعة، يدعوه إلى نُصرتِه، والقيام معه، فخرج رِزَاح بن ربيعة، ومعه إخوته: حُنَّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلْهُمة بن ربيعة، وهم لغير أمه فاطمة، فيمن تبعهم من قُضاعة في حاج العرب، وهم مجمعون لِنُصرة قُصَي. وخُزاعة تزعم أن حُلَيْل ابن حُبْشِيَّة أوصى بذلك قُصَيًّا وأمره به حين انتشر

عن ولاية البيت، ويدُلُّوهم على الحجر، ففعلوا ذلك، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخُزاعة إلى أن صيَّرها أبو عُبَيْشان إلى عبد مناف، هذا معنى قول الزبير.

نشأة قصي

فصل: وذكر أن قصيًّا نشأ في حجر ربيعة بن خَرام، ثم ذكر رجوعه إلى مكة، وزاد غيره في شرح الخبر، فقال: وكان قصي رضيًّا حين احتملته أمه مع بغلها ربيعة، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبًا إلا ربيعة، ولا يدعى إلا له، فلما كان غلامًا يَفْعَةً أو حَزَوْرًا^(١) سابه رجلٌ من قُضاعة، فعَيَّرَه بالدعوة، وقال: لستَ مَنَّا، وإنما أنتَ فينا مُلصَق، فدخل على أمه، وقد وَجَمَ لذلك، فقالت له: يا بُنَيَّ صدق، إنك لستَ منهم، ولكنَّ رهطك خيرٌ من رَهْطه، وآبَاؤك أشرفُ من آبائه، وإنما أنتَ قُريشيٌّ، وأخوك وبنو عمك بمكة، وهم جيرانُ بيت الله الحرام فدخل في سياره حتى أتى مكة، وقد ذكرنا أن اسمه: زيد، وإنما كان قصيًّا أي بعيدًا عن بلده فسُمِّي: قُصَيًّا.

(١) حَزَوْرًا: أي غلام قوي.

له من ابنته من الولد ما انتشر. وقال: أنت أولى بالكعبة، وبالقيام عليها، وبأمر مكة من خُزاعة، فعند ذلك طلب قُصَي ما طلب، ولم نسمع ذلك من غيرهم، فإله أعلم أي ذلك كان^(١).

ما كان يليه الغوث بن مرّ من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده: صوفة. وإنما ولي ذلك الغوث بن مرّ، لأن أمه كانت امرأة من جُزهم، وكانت لا تلد، فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً: أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، ويقوم عليها، فولدت الغوث، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جُزهم، فولي الإجازة بالناس من عرفة، لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولده من بعده حتى انقرضوا. فقال مرّ بن أد لوفاء نذر أمه:

إني جعلت ربّ من بنيّه ربيطةً بمكة العليّة

فباركن لي بها أليّة واجعله لي من صالح البريّة

وكان الغوث بن مرّ - فيما زعموا - إذا دفع بالناس قال:

لا همّ إني تابعٌ تباعه إن كان إثمٌ فعلى قضاة

قال ابن إسحق: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال:

كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتُجيز بهم إذا نفّروا من منى، فإذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار، ورجل من صوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي. فكان ذوو

الغوث بن مر وصوفة

فصل: وذكر قصة الغوث بن مرّ، ودفعه بالناس من عرفة، وقال بعض نقلة الأخبار أنّ ولاية الغوث بن مرّ كانت من قبل ملوك كندة.

وقوله: إن كان إثمًا فعلى قضاة. إنما خصّ قضاة بهذا؛ لأنّ منهم محلّين يستحلّون الأشهر الحُرّم، كما كانت خَنَعَم وطَيّء تفعل، وكذلك كانت النّساء تقول إذا حرّمت صَفراً أو غيره من الأشهر بدلاً من الشهر الحرام - يقول قائلهم: قد حرّمت عليكم الدماء إلا دماء المحلّين.

(١) الطبري (٥٠٥/١). البداية (١٩٠/٢). وقيل سُمّي قصيًّا: لأنه قصي [أي أبعد] قومه فقصاهم إلى الشام.

الحاجات المتعجلون يأتونه، فيقولون له: قُمْ فَارْزَمْ حَتَّى نَرْمِيَ مَعَكَ، فيقول: لا والله، حتى تَمِيلَ الشمس، فيظَلُّ ذُوو الحاجات الذين يَحْبُونَ التعَجُّلَ يرمونه بالحجارة، ويستعجلونه بذلك، ويقولون له: ويلك! قم فارزَمْ، فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس، قام فرمى، ورمى الناس معه.

قال ابن إسحاق: فإذا فرغوا من رمي الجمار، وأرادوا التفرُّج من منى، أخذت صُوفَةُ بجانبَي العَقَبَةِ، فحبسوا الناس وقالوا: أجزِي صُوفَةَ، فلم يَجُزْ أَحَدٌ من الناس حتَّى يَمْرُوا، فإذا نفرت صُوفَةُ ومضت، حُلِّي سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك،

فصل: وأما تَسْمِيَةُ الغوثِ وولده صُوفَةَ، فاختلف في سبب ذلك. فذكر أبو عُبَيْدِ اللهِ الزُّبَيْرُ بن أبي بكر القاضي في أنساب قريش له عند ذكر صُوفَةَ: البيت الواقع في السيرة لأوس بن مَفْرَاء السُّعْدِي^(١)، وهو:

لا يَنْبَرُحُ النَّاسُ مَا حَجُّوا مُعَرَّفَهُمْ

البيت. وبعده:

مَجْدُ بِنَاهُ لَنَا قَدَمًا وَأَوَائِلُنَا وَأورثوه طِوَالِ الدهرِ أحزانًا

ومَفْرَاءُ: تَأْنِيثُ أَمْعَرٍ، وهو الأحمر، ومنه قول الأعرابي للنبي - ﷺ -: أهو هذا الرَّجُلُ الأَمْعَرُ؟ ثم قال: قال أبو عبيدة: وَصُوفَةُ وَصُوفَانُ يقال لكل مَنْ وَلِيَ من البيت شيئًا من غير أَهْلِهِ، أو قام بشيء من خِدْمَةِ البيت، أو بشيءٍ من أَمْرِ المَنَاسِكِ يُقال لهم: صُوفَةُ وَصُوفَان. قال أبو عبيدة: لأنه بمنزلة الصُّوفِ، فيهم القصيرُ والطويلُ والأسودُ والأحمرُ، ليسوا من قبيلة واحدة. وذكر أبو عبد الله أنه حَدَّثَهُ أَبُو الحسن الأثرَمُ عن هشام بن محمد بن السائب الكَلْبِيِّ قال: إنما سُمِّيَ الغوثُ بن مُرٍّ: صُوفَةَ، لأنه كان لا يعيش لأمه وَلَدٌ، فنذرت: لئن عَاشَ لَتَعْلَقَنَّ بِرَأْسِهِ صُوفَةُ، وَلَتَجْعَلَنَّهُ رِبِيطًا للكعبة، ففعلت، فقبل له: صُوفَةُ، ولولده من بعده، وهو: الرُّبَيْطُ وَحَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بن المُنْذِرِ عن عُمَرَ بن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرني عَقَالُ بن شَبَّةَ قال: قالت أم تميم بن مُرٍّ - وولدت نِسْوَةَ - فقالت: لله عليّ لئن وَلَدْتُ غَلَامًا لَأُعَبِّدَنَّهُ للبيتِ، فولدت الغوث، وهو أَكْبَرُ وَلَدِ مُرٍّ، فلما ربطته عند البيت أصابه الخُرُّ، فمَرَّتْ به - وقد سَقَطَ وَدَوَّى وَاسْتَرَخَى فقالت: ما صار ابني إلا صُوفَةُ، فَسُمِّيَ صُوفَةَ.

(١) هو: أوس بن مَفْرَاء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بني تميم. انظر المروج (٢/٤٨٧).

حتى انقرضوا، فورثهم ذلك من بعدهم بالقَعْدَدُ^(١) بنو سعد بن زَيْدِ مَنَاةَ بنِ تَمِيمٍ، وكانت من بني سعد في آل صَفْوَانَ بنِ الحارثِ بنِ شَيْخَةَ.

قال ابن هشام: صَفْوَانُ بْنُ جَنَابٍ بنِ شَيْخَةَ عَطَارِدِ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَنَاةَ بنِ تَمِيمٍ.

قال ابن إسحاق: وكان صَفْوَانُ هو الذي يُجِيزُ للناسِ بالحِجِّ من عَرَفَةَ، ثم بنوه من بعده، حتى كان آخَرُهُم الذي قام عليه الإسلام، كَرِبُ بنِ صَفْوَانَ، وقال أَوْسُ بنِ تَمِيمٍ بنِ مَغْرَاءِ السُّعْدِيِّ:

لَا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجُّوا مُعْرِفَهُمْ حَتَّى يُقَالَ: أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَا
قال ابن هشام: هذا البيت في قصيدة لأوس بن مغراء.

بنو سعد وزيد مَنَاة:

فصل: وذكر وراثته بني سَعْدٍ إجازة الحاج بالقَعْدَدِ من بني الغوثِ بنِ مُرٍّ، وذلك أن سَعْدًا هو: ابن زَيْدِ مَنَاةَ بنِ تَمِيمٍ بنِ مُرٍّ، وكان سَعْدٌ أَقْعَدَ بالغوثِ بنِ مُرٍّ من غيره من العرب، وزَيْدُ مَنَاةَ بنِ تَمِيمٍ يقال فيه: مَنَاةٌ وَمَنَاةٌ بالهمز، وتركه، ويجوز أن يكون - إذا همز - مَفْعَلَةٌ من ناء يَنْو، ويجوز أن يكونَ: فَعَالَةٌ من الْمَنِيئَةِ، وهي: المدبغة، كما قالت امرأة من العرب لأخرى: [تقول لك أُمِّي]: أَغْطِينِي نَفْسًا أو نَفْسَيْنِ أَمْعَسُ بِهِ مَيْيَتِي، فَإِنِّي أَفْدُهُ. التَّفْسُ: قِطْعَةٌ من الدَّبَاغِ، والمَنْيئةُ: الْجِلْدُ في الدَّبَاغِ، وأفدة: مُقَابِرَةٌ لاستتمام ما تريد صلاحه وتماحه من ذلك الدَّبَاغِ وأنشد أبو حنيفة:

إِذَا أَنْتَ بَاكَرْتَ الْمَنْيئةَ بَاكَرْتُ قَضِيبَ أَزَالِكِ بَاتَ فِي الْمِسْكِ مُنْقَعًا
وأنشد يعقوب:

إِذَا أَنْتَ بَاكَرْتَ الْمَنْيئةَ بَاكَرْتُ مَدَاكَ لَهَا مِنْ زَعْفَرَانٍ وَإِمْيَدًا^(٢)

اشتقاق المزدلفة^(٣):

فصل: وأما قوله: فلأن الإفاضة من المَزْدَلِفَةِ كانت في عَدْوَانِ فَاَلْمَزْدَلِفَةِ: مُفْتَعِلَةٌ من

(١) القعدد: القريب من الجد الأكبر، أو أملك القرابة في النسب.

(٢) البيت لحميد بن ثور. انظر تهذيب إصلاح المنطق (١٤٥) والإثمد: الكحل.

(٣) زلف: الزاء واللام والفاء يدل على اندفاع وتقدم في قرب إلى شيء. يقال: من ذلك: ازدلف الرجل: تقدم. وسُميت مزدلفة بمكة لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات. والزلف والزلفة: الدرجة والمنزلة، مقياس اللغة (٢١/٣). اللسان (١٣٩/٩).

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة:

وأما قول ذي الإصبع العدواني، واسمه: حُرْثَان بن عمرو، وإنما سُمِّيَ ذا الإصبع؛ لأنه كان له إصبع فقطعها.

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَا	نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَغَى بَغْضَهُمْ ظُلْمًا	فَلَمْ يُزْعِ عَلَى بَغْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ	تِ وَالْمُوفُونَ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ	سَ بِالسُّنَّةِ وَالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي	فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وهذه الأبيات في قصيدة له - فلأن الإضافة من المزدلفة كانت في عدوان - فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق - يتوارثون ذلك كابراً عن كابر. حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة، عميلة بن الأعزل، ففيه يقول شاعر من العرب:

نحن دفعنا عن أبي سيارة
وعن مواليه بني قزازه
حتى أجاز سالماً جماره
مُسْتَقْبِلَ القبلة يدعو جاره
قال: وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتانٍ له؛ فلذلك يقول: سالماً جماره.

الازدلاف، وهو الاجتماع. وفي التنزيل: ﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾^(١) وقيل: بل الازدلاف: هو الاقتراب، والزلفة: القرية، فسميت مزدلفة؛ لأن الناس يزدلفون فيها إلى الحرم، وفي الخبر: أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض لم يزل يزدلف إلى حواء، وتزدلف إليه، حتى تعارفا بعرفة، واجتمعا بالمزدلفة فسميت: جمعا، وسميت: المزدلفة.

ذو الإصبع وآل ظرب^(٢):

وأما ذو الإصبع الذي ذكره فهو: حُرْثَان بن عمرو، ويقال فيه: حُرْثَان بن الحارث بن مُحَرِّث بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب، وظرب هو: والد عامر بن الظرب الذي كان حَكَمَ العرب، وذكر ابن إسحق قصته في الخثي، وفيه يقول الشاعر [المُتَمَلِّس]:

لذي الحلم قبل اليوم ما تُفَرِّغُ الْعَصَا
وما عُلِمَ الإنسان إلا لِيَعْلَمَا

(١) سورة الشعراء آية رقم (٦٤).

(٢) انظر الاشتقاق (٢٦٨).

.....
وكان قد خَرَفَ، حتى تَقَلَّتْ ذَهْنُهُ، فكانت العصا تُقَرِّعُ له إذا تكلم في نادي قومه تنبيهًا له؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم. وكذلك كان ذو الإصْبَعِ، كان حَكَمًا في زمانه، وعَمِرَ ثلاثمائة سنة، وسُمِّيَ ذا الإصْبَعِ؛ لأن حَيَّةَ نَهَشَتْهُ في أَصْبَعِهِ.

وَجَدُّهُمْ ظَرْبُ: هو عَمْرُو بْنُ عِيَاذِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَذْوَانَ، واسم عَذْوَانَ: تَيْمٌ، وأمه: جَدِيلَةُ بِنْتُ أَدِّ بْنِ طَابَخَةَ، وكانوا أَهْلَ الطائِفِ، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زُهَاءَ سَبْعِينَ أَلْفًا، ثم هلكوا ببغْيِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وكان ثَقِيفٌ وهو قَسِيٌّ بْنُ مُنَبِّهٍ صَهْرًا لِعَامِرِ بْنِ الظَّرِبِ، كانت تحته زينب بنت عامر، وهي أُمُّ أَكْثَرِ ثَقِيفٍ، وقيل: هي أخت عامر، وأختها لَيْلَى بِنْتُ الظَّرِبِ هي: أُمُّ دَوْسَ بْنِ عَذْنَانَ، وسيأتي طرف من خبره فيما بعد - إن شاء الله - فلما هلكت عَذْوَانَ، وَأَخْرَجَتْ بِقِيَّتِهِمْ ثَقِيفٌ مِنَ الطائِفِ، صارت الطائِفُ بِأَسْرَها لثَقِيفٍ إِلَى الْيَوْمِ.

وقوله: حَيَّةُ الْأَرْضِ: يقال فلان حَيَّةُ الْأَرْضِ، وحية الوادي إذا كان مَهِيْبًا يُذْعَرُ منه، كما قال حسان:

يا مُحْكَمَ بْنِ طُفَيْلٍ قَدْ أَتَيْحَ لَكُمْ اللَّهُ ذَرُّ أَبِيكُمْ حَيَّةُ الْوَادِي
يعني بحَيَّةِ الْوَادِي: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فصل: وقوله: عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَذْوَانَ. نصب عَذِيرًا عَلَى الْفِعْلِ الْمَتْرُوكِ إِظْهَارُهُ، كأنه يقول: هَاتُوا عَذِيرَهُ، أي: مَنْ يَغْذَرُهُ، فيكون العَذِيرُ بمعنى: العاذر، ويكون أيضًا بمعنى: الْعُذْرُ مُصَدَّرًا كَالْجَدِثِ وَنَحْوِهِ.

أبو سياره:

وذكر أبا سَيَّارَةَ، وهو عُمَيْلَةُ بْنُ الْأَغْزَلِ فِي قول ابن إِسْحَاقَ، وقال غيره: اسمه: العاصي. قاله الخطابي. واسم الْأَغْزَلِ: خَالِدٌ، ذكره الْأَصْبَهَانِيُّ، وكانت له أتان عَوْرَاءٌ، خَطَامُهَا لَيْفٌ، يقال: إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة، وإياها يعني الراجز في قوله: حتى يُجِيزَ سَالِمًا حِمَارَهُ.

وكانت تلك الأتان سوداء؛ ولذلك يقول:

لَاهُتْ مَالِي فِي الْحِمَارِ الْأَسْوَدِ أَصْبَحْتَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أُخْسَدُ
فَقِيَ أبا سيارَةَ الْمُخْسَدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذْ يَخْسَدُ

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قال ابن إسحاق وقوله: حكم يقضي يعني: عام بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدواني. وكانت العرب لا يكون بينها نائرة، ولا عضلة^(١) في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، فاخْتَصِم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه، في رجل خُنْثَى، له ما للرجل، وله ما للمؤاة، فقالوا: أنجعله رجلاً أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر كان أعْضَلَ منه. فقال: حتى أنظر في أمركم، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا مَعْشَرَ العرب! فاستأخروا عنه. فبات ليلته ساهراً يُقَلِّبُ أَمْرَهُ، وينظر في شأنه، لا يتوجّه له منه وَجْه، وكانت له جارية يقال لها: سُخَيْلَةُ ترعى عليه غَنَمَهُ، وكان يُعَاتِبُهَا إذا سرحت فيقول: صَبِّحِ وَالله يا سُخَيْلُ! وإذا أراحته عليه، قال: مَسَّيْتُ وَالله يا سُخَيْلُ! وذلك أنها كانت تؤخر السَّرْحَ حتى يسبقها بعضُ الناس، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعضُ الناس. فلما رأت سَهْرَهُ وقلقه، وقَلَّةَ قَرَارِهِ على فراشه قالت: ما لك لا أبا لَكَ! ما عَرَكَ في ليلتك هذه؟ قال: وَيْلَكَ! دَعِينِي، أمرٌ ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه: عسى أن تأتي مما أنا فيه بَفَرَجٍ، فقال: ويحك! اخْتَصِم إِلَيَّ في ميراث خُنْثَى، أَلْجَعْلُهُ رجلاً أو امرأة؟ فوالله ما أدري ما أصنع، ما يتوجّه لي فيه وَجْه؟

وأبو سَيَّارَةَ هذا هو الذي يقول: أَشْرِقَ بُيُورٌ كَيْمَا تُغَيِّرُ، وهو الذي يقول:

لَا هُمْ إِنِّي تَابِعٌ تَبَاعِهِ

وكان يقول في دعائه: اللَّهُمَّ بَغْضُ بَيْنِ رِعَائِنَا، وَحُبُّ بَيْنِ نَسَائِنَا، واجعل المَالَ قِي سَمَحَاتِنَا: وهو أول مَنْ جعل الدِّيَّةَ مائَةً مِنَ الْإِبِلِ، فيما ذكر أبو اليعْقَان، حكاه عنه حَمَزَةُ بن الحسن الأصبهاني.

وقوله: وعن مواليه بني فَرَازَةَ. يعني بمواليه: بني عمه، لأنه من عَدَوَانٍ وَعَدَوَانٍ وفَرَازَةُ: من قَيْسِ عَيْلَانَ، وقوله: مُسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةِ يدعو جَارَهُ. أي: يدعو الله عز وجل، يقول: اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا جَارًا مِمَّا نَخَافُهُ، أي مجيرًا.

الحكم بالأمارات

فصل: وذكر عامر بن الظرب وحُكِمَ فِي الْخُنْثَى، وما أفتته به جاريته سُخَيْلَةُ، وهو حكم معمول به في الشرع، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات، وله أصل في الشريعة، قال الله سبحانه: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميص المَدْمَى لم يكن فيه خَزَقٌ ولا أثر لأَنْيَابِ الذئب، وكذلك قوله: ﴿إِنْ كَانَ

(١) نائرة، عضلة: يسيرة وشدة.

قال: فقالت سُبْحان الله! لا أبا لك! أتبيع القضاء المَبَال، أفعذه، فإن بال من حيث يبُول الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبُول المرأة، فهي امرأة. قال: مَسِي سَخِيلُ بعدها، أو صَبَحِي، فَرَجَّتْهَا والله!. ثم خرج على الناس حين أصبح، ففَضَى بالذي أشارت عليه به.

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

قال ابن إسحق: فلما كان ذلك الغام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت

قميصه قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقْتُ وهو من الكاذبين ﴿ [يوسف: ٢٦] الآية. وقول النبي ﷺ في المولود: «إن جاءت به أوزق جَعْدًا جَمَالِيًّا فهو للذي رُمِيَتْ به»^(١) فلاستدلال بالآمارات أصلٌ يُثْبِتُ عليه كثيرٌ من الأحكام في الحدود والميراث، وغير ذلك. والحُكْمُ في الخُثَى أَنْ يُعْتَبَرِ الْمَبَالُ، وَيُعْتَبَرِ بِالْحَيْضِ، فَإِنْ أَشْكَلَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، حُكِمَ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْمِيرَاثِ سَهْمٌ امْرَأَةً وَنِصْفٌ، وَفِي الدِّيَةِ كَذَلِكَ، وَأَكْثَرُ أَحْكَامِهِ مَبْنِيَةٌ عَلَى الْاجْتِهَادِ.

الشداخ

فصل: وذكر يَغْمَرُ الشَّدَاخُ بن عوف حين حَكَمُوهُ، وأنه سُمِّيَ بالشَّدَاخِ لما شَدَخَ من دِمَاءِ خُرَاعَةٍ^(٢) وَيَغْمَرُ الشَّدَاخُ هو جَدُّ بني ذَابٍ الذين أخذ عنهم كثيرٌ من علم الأخبار والأنساب وهم: عيسى بن يزيد بن [بَكْر] بن ذَابٍ، وأبوه: يَزِيدُ، وَخَذِيفَةُ بن ذَابٍ، وَذَابُ هو: ابن كُرْز بن أَحْمَر من بني يَغْمَر بن عَوْفٍ الذي شَدَخَ دِمَاءَ خُرَاعَةٍ، أي: أبطلها، وأصل الشَّدَخ: الكسر والْفَضْخُ، ومنه الْغَرَّةُ الشادخة، شُبِّهَتْ بِالضَّرْبَةِ الواسعة. والشَّدَاخُ بفتح الشين كما قال ابن هشام، والشَّدَاخُ بضمها إنما هو جَمْعٌ، وجائز أن يُسَمَّى هو وبنوه: الشَّدَاخُ، كما يقال: الْمَتَاذِرَةُ في الْمُنْذِرِ وبنيه، والأشْعَرُونَ في بني الأشعر^(٣) من سبأ وهو بابٌ يكثر ويطول. وأُمُّ يَغْمَرِ الشَّدَاخُ اسمُهَا: السُّؤْمُ بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم، وسيأتي ذكر جُرَّة بالكسر ذكره ابن ماكولا. ومن بني الشَّدَاخ: بَلْعَاءُ بن قَيْس بن عبد الله بن يَغْمَرِ الشَّدَاخِ الشاعر المذكور في شعر الحماسة، اسمه: حَمِيْضَةُ، وَلَقَّبَ: بَلْعَاءُ لقوله:

أنا ابنُ قَيْسٍ سَبْعًا وابنُ سَبْعٍ أَبَارَ من قَيْسٍ قَبِيلًا فَالْتَمَعَ

كأنما كانوا طَعَامًا فابْتُلِغَ

ولاية قصي البيت

(١) «إسناده ضعيف». أخرجه أبو داود (٢٢٥٦) وأحمد (٢١٣١) والطيالسي (٢٦٦٧). صححه الشيخ أحمد رحمه الله تعالى وجزاه الله عتا كل خير. قلت: فيه عباد بن منصور الناجي: صدوق زُيِّي بالقدر وكان يدلّس وتغير بآخره. التقريب (٣٩٣/١).
(٢) وانظر الاشتقاق (٣٧).
(٣) الأشعر: هو نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ.

ذلك لها العرب، وهو دين في أنفسهم في عهد جُزهم وخُزاعة وولايتهم. فاتاهم قُصَي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقُضاعة عند العُقبة، فقال: لَنَحْنُ أولى بهذا منكم، فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم انهزمت صُوفَة، وغلبهم قُصَي على ما كان بأيديهم من ذلك.

وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بَكْر عن قُصَي، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صُوفَة، وأنه سَيَحُول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة. فلما انحازوا عنه بادأهم، وأجمع لحربهم، وخرجت له خُزاعة وبنو بَكْر فالتَقُوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، وإلى أن يُحْكَموا بينهم رجلاً من العرب، فحكموا يَغَمَر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنانة، ف قضى بينهم بأن قُصَيّاً أولى بالكعبة، وأمر مكة من خُزاعة، وأن كل دم أصابه قُصَي من خُزاعة وبنو بَكْر: موضوع يَشْدُخُه تحت قدميه، وأن ما أصابت خُزاعة وبنو بَكْر من قُريش وكنانة وقُضاعة، ففيه الدية مُؤداة، وأن يَخْلَى بين قُصَي وبين الكعبة ومكة.

فسمي يَغَمَر بن عَوْف يومئذ: الشُّدَاخ، لِمَا شَدَخ من الدماء ووضع منها.

قال ابن هشام: ويقال: الشُّدَاخ.

قال ابن إسحاق: قَوْلِي قصي البيت وأمر مكة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتَمَلَّك على قومه وأهل مكة فملَّكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقر آل صفوان وعذوان والنسأة ومُرَّة بن عَوْف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كله. فكان قصي أول بني كَعْب بن لُؤَيٍّ أصاب مُلْكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحِجَابَة، والسَّقَاية، والرَّفَادَة، واللَّذوة، واللَّواء، فحاز شَرَف مكة كله. وقطع مكة رباعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قُريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها، ويزعم الناس أن قريشاً هابوا قَطَعَ الحَرَم في منازلهم، فقطعها قصي بيده وأعوانه، فَسَمَّته قريش: مُجَمَّعاً لما جمع من أمرها، وتَيَمَّنت بأمره، فما تُنَكِّح امرأة، ولا يتزوَّج رجل من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يَغْدُون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقده لهم بعض ولده، وما تَدْرُع جارية إذا بلغت أن تَدْرُع من قريش إلا في داره، يُشَقُّ عليها فيها درعها ثم تَدْرُع، ثم ينطلق بها إلى أهلها. فكان أمره في قومه من قُريش في حياته، ومن بعد موته، كالدين المُتَّبَع لا

يُعمل بغيره. واتخذ لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قریش
تَقْضي أمورها: قال ابن هشام: وقال الشاعر:

قُصِي لَعْمَرِي كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا به جَمَعَ الله القبائل من فِهْرٍ

قال ابن إسحاق: حَدَّثني عبد الملك بن راشد عن أبيه، قال: سمعت السائب بن
خَبَّابٍ صاحب المقصورة يحدث، أنه سمع رجلاً يحدث عمر بن الخطاب، وهو خليفة،
حديث قُصِي بن كلاب، وما جَمَعَ من أمر قومه، وإخراجه خُزاعةً وبني بكر من مكة،
وولايته البيت وأمر مكة، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره.

ذكر فيه أمر قُصِي وما جمع من أهل مكة، وأنشد:

قُصِي لَعْمَرِي كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا

البيت وبعده:

هُمُوا ملؤوا البطحاء مَجْدًا وسُودًا وهُم طَرَدُوا عنا غَوَاةَ بني بَكْرٍ
ويذكر أن هذا الشعر لَحْدَافَةَ بن جَمَح.

وذكر أن قُصِيًا قَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا^(١)، وأن أهلها هابوا قَطَعَ شجر الحرم للبنيان. وقال
الواقدي: الأصح في هذا الخبر أن قریشًا حين أرادوا البنیان قالوا لِقُصِي: كيف نصنع في
شَجَرِ الْحَرَمِ، فحذَّروهم قَطْعَهَا وَخَوَّفَهُم العقوبة في ذلك، فكان أحدهم يحوف بالبنیان حول
الشجرة، حتى تكون في منزله. قال: فأول مَنْ تَرَخَّصَ في قطع شجر الحرم للبنيان
عبدُ الله بن الزُّبَيْر حين ابْتَنَى دُورًا بِقُعَيْنِقَاءَ، لكنه جَعَلَ دِيَّةَ كُلِّ شجرة: بقره، وكذلك يُزَوَّى
عن عمر - رضي الله - أنه قطع دَوْحَةً كانت في دارِ أسدِ بن عبد الغزى، كانت تنال أطرافها
ثيابُ الطائفين بالكعبة، وذلك قبل أن يُوسَّع المسجد، فقطعها عمر - رضي الله عنه - وَوَدَّأها
بقرة، ومذهبُ مالك - رحمه الله - في ذلك: ألا دِيَّةَ في شجرِ الحرم. قال: ولم يبلغني في
ذلك شيء. وقد أساء مَنْ فعل ذلك، وأما الشافعي - رحمه الله - فجعل في الدَّوْحَةِ بقرة،
وفيما دونها شاة. وقال أبو حنيفة - رحمه الله - إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يفرسها
الناس، ويستنبئونها، فلا فِدْيَةَ على مَنْ قَطَعَ شيئًا منها، وإن كان من غيرها، ففيه القِيَمَةُ بالغًا
ما بلغت.

وذكر أبو عُبَيْد: أن عبدَ اللَّهِ بن عمر - رضي الله عنهما - أفتى فيها بعق رقبة.

(١) رِبَاعًا: أي دورًا.

قال ابن إسحق: فلما فرغ قُصَيٍّ من حَزْبِهِ، انصرف أخوه رِزَّاحُ بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه، وقال رِزَّاحُ في إجابته قُصَيًّا:

لَمَّا أَتَى مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَ	فَقَالَ الرَّسُولُ: أَجِيبُوا الْخَلِيلَا
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودَ الْجِيَادِ	وَنَطْرَحَ عَنَّا الْمَلُولَ الثَّقِيلَا
نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ	وَنَكْمِي النَّهَارَ؛ لِئَلَّا نَزُولَا
فَهُنَّ سِرَاعٌ كَوَرْدِ الْقَطَا	يُجِبْنَ بِنَا مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَا

دار الندوة:

وذكر أن قُصَيًّا اتخذ دار الندوة، وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور، ولفظها مأخوذ من لفظ التَّدْيِ والنادي والمُنْدَى، وهو مجلس القوم الذي يَنْدُون حَوْلَهُ، أي: يَذْهَبُونَ قَرِيبًا مِنْهُ، ثم يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، والتَّدْيَةُ في الخيل. أن تُصْرَفَ عن الوِزْدِ إلى المرعى قَرِيبًا، ثم تعاد إلى الشُّرْبِ، وهو المُنْدَى^(١)، وهذه الدارُ تصيرت بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن جِرَّامِ بن حَوَيْلِدِ بن أسد بن عَبْدِ الْعُزَّى بن قُصَيٍّ، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم، وذلك في زمن معاوية، فلامه معاوية في ذلك، وقال: أَبِغْتَ مَكْرُمَةَ آبَائِكَ وَشَرَفَهُمْ، فقال حكيم: ذهبت المكارمُ إلا التقوى. والله: لقد اشتريتها في الجاهلية بِزُقْ خمر، وقد بعثها بمائة ألف درهم، وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله، فأئنا المغبون؟! ذكر خبر حكيم هذا الدارُ قُطْنِي فِي أَسْمَاءِ رِجَالِ الْمَوْطَأِ لَهُ.

من تفسير شعر رزاح:

فصل: وذكر شعر رِزَّاح، وفيه: وَنَكْمِي النَّهَارَ أَي: نَكْمُنُ وَنَسْتَتِرُ، وَالْكَمِي مِنَ الْفِرْسَانِ، الَّذِي تَكْمَى بِالْحَدِيدِ. وقيل: الَّذِي يَكْمِي شَجَاعَتَهُ، أَي: يَسْتَرُهَا، حَتَّى يَظْهَرَهَا عِنْدَ الْوَعْيِ. وفيه: مَرَرْنَا بِعَسْجَرٍ، وَهُوَ: اسْمُ مَوْضِعٍ، وَكَذَلِكَ: وَرْقَانُ اسْمُ جَبَلٍ، وَوَقَعَ فِي نَسْخَةِ سَفِيَانٍ: وَرْقَانُ بَفَتْحِ الرَّاءِ، وَقِيْدُهُ أَبُو عُبَيْدِ الْبَكْرِيِّ: وَرِقَانُ بِكسْرِ الرَّاءِ، وَأَنْشَدَ لِلْأَخْوَصِ:

وَكَيْفَ تُرْجِي الْوَصْلَ مِنْهَا وَأَصْبَحْتَ	دُزَى وَرِقَانٍ ^(٢) دُونَهَا وَخَفِيرَ
وَيَخْفَفُ، فَيَقَالُ: وَرْقَانُ. قَالَ جَمِيلُ:	
يَا خَلِيلِي إِنْ بَثْنَةً بَأَثَ	يَوْمَ وَرْقَانُ بِالْفَوْادِ سَبِيًّا

(١) المندى: أي النادي.

(٢) ورقان: جبل أسود بين العُزْجِ والروَيْتَةِ عَلَى يَمِينِ الْمَصْعَدِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ.

جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ مِنْ أَشْمَذَيْنِ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ جَمَعْنَا قَبِيلًا
فِيَا لِكَ حَلْبَةً مَا لَيْلَةٌ تَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ سَنِيًّا رَسِيلًا
فَلَمَّا مَرَزْنَ عَلَى عَشَجَرٍ وَأَسْهَلْنَ مِنْ مُسْتَنَاحِ سَبِيلًا
وَجَاوَزْنَ بِالرَّكْنِ مِنْ وَرِقَانَ وَجَاوَزْنَ بِالْعَزْجِ حَيًّا حُلُولًا
مَرَرْنَ عَلَى الْحَيْلِ مَا دُقْنَهُ وَعَالَجْنَ مَنْ مَرَّ لَيْلًا طَوِيلًا
نُذِّنِي مِنَ الْعُودِ أَفْلَاهَا إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَرْقْنَ الصُّهَيْلًا
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مَكَّةَ أَبْحَنَّا الرِّجَالَ قَبِيلًا قَبِيلًا
نُعَاوِرُهُمْ ثُمَّ حَدَّ السَّيْفُ وَفِي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْمَقُولًا

وذكر أنه من أعظم الجبال، وذكر أن فيه أوشالاً وعيوناً عذاباً، وسكانه: بنو أوس بن مُزَيْنَةَ.

وذكر أيضًا الحديث، وهو قول النبي - ﷺ -: «ضُرْسُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مِثْلُ أُخْدٍ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانَ»^(١). وفي حديث آخر أنه عليه السلام ذكر آخر مَنْ يَمُوتُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقَالَ: رَجُلَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يَنْزِلَانِ جَبَلًا مِنْ جِبَالِ الْعَرَبِ، يَقَالُ لَهُ: وَرِقَانَ^(٢) كُلُّ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْبَكْرِيِّ فِي كِتَابِ مُعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ.

فصل: وذكر أشمذين بكسر الذال، وفي حاشية كتاب سفيان بن العاص: الْأَشْمَذَانِ: جِبْلَانِ [بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَخَيْبَرَ]، وَيُقَالُ: اسْمُ قَبِيلَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ فِي الْحَاشِيَةِ: فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الرِّوَايَةُ بِفَتْحِ الذَّالِ وَكَسْرِ النُّونِ مِنْ أَشْمَذَيْنِ - قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ - فَإِنْ صَحَّ أَنَّهُمَا اسْمُ قَبِيلَتَيْنِ، فَلَا يَبْعَدُ أَنْ تَكُونَ الرِّوَايَةُ كَمَا فِي الْأَصْلِ: أَشْمَذَيْنِ بِكَسْرِ الذَّالِ، لِأَنَّهُ جُمِعَ فِي الْمَعْنَى. وَاشْتِقَاقُ الْأَشْمَذِ مِنْ شَمَذَاتِ النَّاقَةِ بِذَنْبِهَا أَيْ: رَفَعَتْهُ، وَيُقَالُ لِلنَّحْلِ: شَمَذٌ، لِأَنَّهُا تَرْفَعُ أَعْجَازَهَا.

وفيه: مَرَرْنَ عَلَى الْحَيْلِ^(٣) وفسره الشيخ في حاشية الكتاب، فقال: هو الماء المستنقع في بطن واد، ووجدت في غير أصل الشيخ روايتين، إحداهما: مَرَزْنَ عَلَى الْجِلِّ وَالْأُخْرَى: مَرَزْنَ عَلَى الْجِلِّي، فَأَمَّا الْجِلُّ: فَجَمْعُ جِلَّةٍ، وَهِيَ بَقْلَةٌ شَاكَّةٌ. ذَكَرَهُ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي الْجَمْهَرَةِ. وَأَمَّا الْجِلِّي، فَيُقَالُ: إِنَّهُ ثَمَرُ الْفُلُقْلَانِ وَهُوَ نَبْتُ.

(١) «حسن». أخرجه أحمد (٣٢٨/٢) والحاكم (٥٩٥/٤) وصححه على شرطهما.

(٢) «حسن» أخرجه الحاكم (٥٩٥/٤).

(٣) الحيل: القطيع من الغنم.

نُخَبِّرُهُمْ بِصِلَابِ النُّسُو
قَتَلْنَا خُزَاعَةَ فِي دَارِهَا
نَفِينَاهُمْ مِنْ بِلَادِ الْمَلِكِ
فَأَصْبَحَ سَبِيَّهُمْ فِي الْحَدِيدِ
وَقَالَ ثُعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دُبْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُذَيْمِ الْقُضَاعِيِّ فِي ذَلِكَ
مِنْ أَمْرِ قِصِي حِينَ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَغَالَى
إِلَى غَوْرَى تِهَامَةَ، فَالْتَقَيْنَا
فَأَمَّا صُوفَةُ الْخُنْثَى، فَخَلُّوا
وَقَامَ بِنَسْرٍ عَلَى إِذْ رَأَوْنَا
وَقَالَ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ:

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ
إِلَى الْبَطْحَاءِ قَدْ عَلِمْتُ مَعَدًّا
فَلَسْتُ لَغَالِبٍ إِنْ لَمْ تَأْتِلْ
رِزَاحَ نَاصِرِي، وَبِهِ أَسَامِي

وَقَوْلُهُ فِيهَا: نُخَبِّرُهُمْ. أَي: نَسُوْقُهُمْ سَوْقًا شَدِيدًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ الرَّاجِزِ. لَا تُخَبِّرَا
خُبْرًا وَبُسًا بَسًا.

وَذَكَرَ شَعْرَ رِزَاحِ الْآخَرِ، وَفِيهِ: مِنَ الْأَعْرَافِ أَعْرَافَ الْجِنَابِ. بِكَسْرِ الْجِيمِ، وَهُوَ
مَوْضِعٌ مِنْ بِلَادِ قُضَاعَةَ.

وَفِيهِ: وَقَامَ بَنُو عَلِيٍّ، وَهُمْ بَنُو كِنَانَةَ، وَإِنَّمَا سُمُّوا بِبَنِي عَلِيٍّ؛ لِأَنَّ عَبْدَ مَنْهَةَ بْنَ كِنَانَةَ
كَانَ رَبِيبًا لِعَلِيِّ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازِنٍ مِنَ الْأَزْدِ جَدِّ سَطِيحِ الْكَاهِنِ، فَقِيلَ لِبَنِي كِنَانَةَ: بَنُو عَلِيٍّ،
وَأَحْسَبُهُ أَرَادَ فِي هَذَا الْبَيْتِ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنْهَةَ؛ لِأَنَّهُمْ قَامُوا مَعَ خُزَاعَةَ.

شَعْرُ قِصِي وَالْمَذْرُتَاقِ:

وَذَكَرَ شَعْرَ قُصَيٍّ:

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ

الْأَبْيَاتِ، وَلَيْسَ فِيهَا مَا يَشْكُلُ.

فلما استقر رِزَاحُ بن ربيعة في بلاده، نَشَرَهُ اللهُ وَنَشَرَ حُنًا، فهما قَبِيلَا عُدْرَةَ اليوم. وقد كان بين رِزَاحِ بن ربيعة، حين قَدِمَ بلاده، وبين نَهْدِ بن زَيْدٍ وَحَوْتَكَةَ بن أَسْلَمٍ، وهما بطنان من قُضَاعَةَ شَيْءٍ، فأخافهم حتى لحقوا باليمن، وأجلوا من بلاد قُضَاعَةَ، فهم اليوم باليمن، فقال قُصَيُّ بن كِلَابٍ، وكان يحب قُضَاعَةَ ونمائها واجتماعها ببلادها، لما بينه وبين رِزَاحِ من الرِّجَمِ، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نُصْرَتِهِ، وَكَرِهَ ما صنع بهم رِزَاحُ:

أَلَا مَنْ مُبْلَغَ عَنِّي رِزَاحَا فإني قد لَحَيْتُكَ في اثنتين
لَحَيْتُكَ في بني نَهْدِ بن زَيْد كما فَرَّقْتَ بينهم وبَيْنِي
وَحَوْتَكَةَ بن أَسْلَمٍ إِنْ قَوْمَا عَنَوْهُمْ بِالْمَسَاءِ قد عَنَوْنِي
قال ابن هشام: وتُرَوَّى هذه الأبيات لزُهَيْرِ بن جَنَابِ الكَلْبِيِّ.

قال ابن إسحاق: فلما كبر قُصَيٌّ ورقَّ عظمه، وكان عبد الدار يَكْرَهُه، وكان عبد مناف قد شَرَفَ في زمان أبيه، وذهب كلُّ مذهب، وعبدُ العزَّى وعَبْدُ. قال قُصَيٌّ

وذكر أن رِزَاحًا حين استقر في بلاده نشر الله ولده وولدَ حُنَّ، ابن ربيعة، فهما حَيَّا عُدْرَةَ.

قال المؤلف: في قُضَاعَةَ: عُدْرَتَانِ: عُدْرَةُ بن رُقَيْدَةَ، وهم من بني كَلْبِ بن وَبَرَةَ. وَعُدْرَةُ بن سَعْدِ بن سُودِ بن أَسْلَمٍ بن الحَافِ بن قُضَاعَةَ، وأَسْلَمٌ هذا هو بضم اللام من ولد حُنَّ بن ربيعة أخِي رِزَاحِ بن ربيعة جَدُّ جميل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ صاحبِ بَشِينَةَ، وَمَعْمَرٌ هو ابن ولد الحَارِثِ بن خَيْرِ بن ظَلِيَّانَ، وهو الضَّبِّيُّ بن حُنَّ. وَيُتَبَّئَةُ أيضًا من ولد حُنَّ، وهي بنت جَبَّانِ بن ثعلبة بن الهُوْذِيِّ بن عَمْرٍو بن الأَحَبِّ بن حُنَّ [وفي قُضَاعَةَ أيضًا عُدْرَةُ بن عدي، وفي الأزد: عُدْرَةُ بن عداد].

حوتكة وأسلم:

وذكر حَوْتَكَةَ بن أَسْلَمٍ وبني نَهْدِ بن زَيْدٍ وإجلاء رِزَاحِ لهم وَحَوْتَكَةُ هو: عُمُ نَهْدِ بن زَيْدِ بن أَسْلَمٍ، وليس في العربِ أَسْلَمٌ بضم اللام إلا ثلاثة. اثنان منها في قُضَاعَةَ، وهما: أَسْلَمٌ بن الحَافِ هذا، وأَسْلَمٌ بن تَدُولِ بن تَيْمِ اللَّاتِ^(١) بن رُقَيْدَةَ بن ثَوْرِ بن كَلْبِ، والثالث في عَكَّ أَسْلَمٌ بن القِيَّاتَةِ بن غَابِنِ^(٢) بن الشاهد بن عَكَّ، وما عدا هؤلاء فأسلم بفتح اللام. ذكره ابن حبيب في المؤلف والمختلف.

(١) من الاشتقاق (٥٤٣): زيد اللات. (٢) في الجمهرة: أسلم بن القِيَّاتَةِ بن غافق.

لعبد الدار: أما والله يا بُنَيَّ لألحقنك بالقوم، وإن كانوا قد شَرَفُوا عليك: لا يدخل رجلٌ منهم الكعبة، حتى تكون أنت تَفْتَحُهَا لَهُ، ولا يَعْقِدُ لَقْرِيشٍ لَوَاءَ لِحَرْبِهَا إِلَّا أَنْتَ بِيَدِكَ، ولا يشرب أحدٌ بمكة إِلَّا مِنْ سِقَايَتِكَ، ولا يأكل أحدٌ من أهل المَوسِمِ طَعَامًا إِلَّا مِنْ طَعَامِكَ، ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها إِلَّا فِي دَارِكَ، فأعطاه داره دار الندوة، التي لا تقضي قريش أمرًا من أمورها إِلَّا فِيهَا، وأعطاه الحِجَابَةَ واللَّوَاءَ وَالسَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ.

مَنْ فَرَضَ الرَّفَادَةَ:

وكانت الرَّفَادَةُ خَزْجًا تُخْرِجُهُ قريش فِي كُلِّ مَوْسِمٍ مِنْ أَمْوَالِهَا إِلَى قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، فيصنع به طَعَامًا لِلْحَاجِّ، فيأكله مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَعَةٌ وَلَا زَادٌ. وَذَلِكَ أَنَّ قُصَيًّا فَرَضَهُ عَلَى قريش، فقال لَهُمْ حِينَ أَمَرَهُمْ بِهِ: يَا مَعْشَرَ قريش، إِنَّكُمْ جِيرَانُ اللَّهِ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَأَهْلُ الْحَرَمِ، وَإِنَّ الْحَاجَّ ضَيْفُ اللَّهِ وَزَوَّارُ بَيْتِهِ، وَهُمْ أَحَقُّ الضُّيْفِ بِالْكَرَامَةِ، فَاجْعَلُوا لَهُمْ طَعَامًا وَشَرَابًا أَيَّامَ الْحَجِّ، حَتَّى يَصُدُّوْا عَنْكُمْ، ففعلوا، فكانوا يُخْرِجُونَ لَذَلِكَ كُلَّ عَامٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ خَزْجًا، فيدفعونه إِلَيْهِ، فيصنعه طَعَامًا لِلنَّاسِ أَيَّامَ مِنًى، فَجَرَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ، ثُمَّ جَرَى فِي الْإِسْلَامِ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا، فَهُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يَصْنَعُهُ السُّلْطَانُ كُلَّ عَامٍ بِمِنًى لِلنَّاسِ حَتَّى يَنْقُضِيَ الْحَجَّ.

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي بِهَذَا مِنْ أَمْرِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، وَمَا قَالَ لِعَبْدِ الدَّارِ فِيمَا دَفَعَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ بِيَدِهِ: أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ:

سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، يَقَالُ لَهُ: نُبَيُّهُ بْنُ وَهْبٍ بْنُ عَامِرٍ بْنِ عِكْرَمَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ.

قال الحسن: فَجَعَلَ إِلَيْهِ قُصَيٌّ كُلَّ مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنْ أَمْرِ قَوْمِهِ، وَكَانَ قُصَيٌّ لَا يُخَالَفُ، وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ شَيْءٌ صَنَعَهُ.

ذَكَرَ مَا جَرَى

مِنْ اخْتِلَافِ قريش بَعْدَ قُصَيِّ وَحَلْفِ الْمُطِيبِينَ

قال ابن إسحاق: ثُمَّ إِنَّ قُصَيَّ بْنَ كِلَابٍ هَلَكَ، فَأَقَامَ أَمْرَهُ فِي قَوْمِهِ، وَفِي غَيْرِهِمْ

عَنْ حَلْفِ الْمُطِيبِينَ

فصل: وَذَكَرَ تَنَازُعَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَبَنِي عَبْدِ الدَّارِ فِيمَا كَانَ قُصَيٌّ جَعَلَ إِلَيْهِمْ، وَذَكَرَ فِي ذَلِكَ حِلْفَ الْمُطِيبِينَ، وَسَمَاهُمْ، وَذَكَرَ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ عَبْدِ مَنَافٍ هِيَ الَّتِي أَخْرَجَتْ لَهُمْ

بنوه من بعده، فاختطوا مكة رباعاً - بعد الذي كان قطع لقومه بها - فكانوا يقطعونها في قومهم، وفي غيرهم من خلفائهم ويبيعونها فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع، ثم إن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، ففترقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يزعمون أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار. يزعمون أن لا يترزع منهم ما كان قصي جعل إليهم.

جفته من طيب، فغمسوا أيديهم فيها، ولم يسم المرأة، وقد سماها الزبير في موضعين من كتابه، فقال: هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله - ﷺ - وتوأمته أبيه. قال: وكان المطيئون يسمون: الدافة جمع دائف بتخفيف الفاء؛ لأنهم دافو الطيب.

السناد والإقواء:

وذكر أن القبائل سوند بعضها إلى بعض، لتكفي كل قبيلة ما سوند إليها، فسوند: من السناد، وهي مقابلة في الحرب بين كل فريق، وما يليه من عدوه، ومنه أخذ سناد الشعر، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت، فيكون قبل حرف الروي حرف مد ولين، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرف الروي حرف لين، وهي ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحنك فاضحينا

ثم قابله في بيت آخر بقوله: - تصفقها الرياح إذا جريتا - فكان الياء المفتوح ما قبلها قد سوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها، فتقابلتا، وهما غير متفتحتين في المد، كما يتقابل القيلتان، وهما مختلفتان متعاديّتان، وأما الإقواء فهو أن يتقص قوة من المصراع الأول، كما تنقص قوة من قوى الحبل، وذلك أن يتقص من آخر المصراع الأول حرف من الوند كقوله:

أقبغذ مقتل مالك بن زهير

ترجو النساء عواقب الأطهار

وكقوله الآخر:

لما رأت ماء السلى^(١) مشروباً والقرث يغصّر في الإناء أرئت^(٢)

(١) السلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه.

(٢) البيت الحجل بن نضلة. كما في اللسان (١/٥٣٣).

فكان صاحبَ أمر بني عبد مناف: عبدُ شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسنَّ بني عبد مناف، وكان صاحبَ أمر بني عبد الدار: عامرُ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زُهرة بن كلاب، وبنو تميم بن مُرة بن كعب، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر، مع بني عبد مناف.

وكان بنو مخزوم بن يَظْظَة بن مُرة، وبنو سَهْم بن عمرو بن مُصَيص بن كعب، وبنو جُمَح بن عمرو بن مُصَيص بن كعب، وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار، وخرجت عامر بن لُؤي ومحارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فقد كل قوم على أمرهم حلفًا مؤكَّدًا على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسلم بعضهم بعضًا ما بَلَ بحرُ صوفة.

فأخرج بنو عبد مناف جَفَنَة مملوءة طيبًا، فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف، أخرجتها لهم، فوضعوها لأخلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غَس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم، فسمُّوا الْمُطَيِّين.

وتعاقد بنو عبد الدار، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفًا مؤكَّدًا، على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسلم بعضهم بعضًا، فسمُّوا الأحلاف.

ثم سُوِّدَ بين القبائل، ولَزَّ بعضها ببعض، فَعُبِّيت بنو عبد مناف لبني سَهْم، وعُبِّيت بنو أسد لبني عبد الدار وعُبِّيت زُهرة لبني جُمَح، وعُبِّيت بنو تيم لبني مَخزُوم، وعُبِّيت بنو الحارث بن فهر لبني عدي بن كعب، ثم قالوا: لِنَقْنِ كُل قَبيلة مَن أسند إليها.

فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح، على أن يُعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والقوة لبني عبد الدار كما كانت، ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، وثبت كل قوم مع مَن حالفوا، فلم يزلوا على ذلك، حتى جاء الله تعالى بالإسلام، فقال رسول الله - ﷺ -: «ما كان مِن حِلْفٍ في الجاهلية، فإنَّ الإسلامَ لَم يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً»^(١).

وكان الأَضَمِّي يُسمِّي هذا الإقواء: الْمُقْعَد، ذكره عنه أبو عبيد، وقال عدي بن الرِّقَاع [العالملي] في السَّناد:

وقصيدة قد بِثُ أجمَعُ بَيْتَها حتى أَثَقَّفَ مَيْلَها وسِئادَها

(١) «حسن» أخرجه أحمد (٣٢٩/٣١٧/١) (٦١/٥) والطبراني (٣٣٧/١٨) والطبري في تفسيره =

حلف الفضول

قال ابن هشام: وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال: تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن

حلف الفضول

وذكر ابن هشام الحلف الذي عقدته قريش بينها على نضرة كل مظلوم بمكة قال: ويُسمى حلف الفضول، ولم يذكر سبب هذه التسمية، وذكرها ابن قتيبة، فقال: كان قد سبق قريشاً إلى مثل هذا الحلف جُزْمُهم في الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثة هم، ومن تبعهم، أحدهم: الفضل بن فضالة، والثاني: الفضل بن وداعة، والثالث: فضيل بن الحرث. هذا قول القتيبي. وقال الزبير: الفضيل بن شراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاة، فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجُزْمِيِّين سُمي: حلف الفضول، والفضول: جمع فضل، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم. وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن، ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى. روى الحميدي عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر، قالوا: قال رسول الله - ﷺ -: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جذعان حلفاً لو دُعيت به في الإسلام لأجبت. تحالفوا أن تُردَّ الفضول على أهلها، وألا يُعزَّ ظالمٌ مظلوماً». ورواه في مُسنَدِ الحرث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي، فقد بين هذا الحديث: لم سُمي حلف الفضول، وكان حلف الفضول بعد الفجار، وذلك أن حرب الفجار^(١) كانت في شعبان، وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة، وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به، وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه: الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلاً من زُبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقّه، فاستغدى عليه الزُبَيْدِيُّ الأَحلاف: عبد الدار ومخزوماً وجُمَحَ وسَهْمًا وعَدِيَّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل، ورَبَزُوهُ، أي: انتهروه، فلما رأى الزُبَيْدِيُّ الشر، أوفى على أبي قُبَيْس^(٢) عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته:

يا آلِ فِهْرٍ لمظلوم بضاعته	ببطن مَكَّة نائي الدار والتفر
ومُحْرِمٍ أشعثٍ لم يَقْضِ عُمرته	يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تَمَّت كرامته	ولا حرام لشوب الفاجر العُذر

= (٣٦/٣) والبيهقي في الكبرى (٣٣٥/٦).

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٥٣٤/١). (٢) أبو قيس: جبل بمكة.

جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي، لشرفه وسنّه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب،

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مَثْرَك، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار ابن جُدعان، فصنع لهم طعامًا، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قيامًا، فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله: ليكوننَّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدَّى إليه حقه ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً، وما رسا جِراءٌ وتَبَيَّرَ مكانهما، وعلى التَّأْسِي في المعاش، فسَمَت قُرَيْشُ ذلك الحلفَ: حلفَ الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في قُضْلٍ من الأمر، ثم مَسُوا إلى العاصي بن وائل، فانزعوا منه سِلْعَةَ الزُّبَيْدِي، فدفعوها إليه، وقال الزبير رضي الله عنه:

حَلَفْتُ لِنَفْعِ دَنِّ حَلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارٍ
تُسَمِّيهِ: الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعِزُّ بِهِ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالِي الْبَيْتِ أَنَا أَبَاةَ الضُّنَمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارٍ
وقال الزبير بن عبد المطلب:

إِنَّ الْفُضُولَ تَحَالَفُوا، وَتَعَاقدُوا أَلَا يَقِيمَ بِبَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمٌ
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاهَدُوا، وَتَوَاتَقُوا فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرُ فِيهِمْ سَالِمٌ
وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلاً من خَنَعَم قَدِمَ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا، أو حاجًا، ومعه بنتٌ له يقال لها: الْقَتُولُ من أَوْضاً نساء العالمين، فاعتصبها منه نُبَيْهٌ بن الْحَجَّاج^(١) وغِيَّيها عنه، فقال الْخَنَعَمِيُّ: مَنْ يُغْدِينِي عَلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَقِيلَ لَهُ: عَلَيْكَ بِحَلْفِ الْفُضُولِ، فوقف عند الكعبة، ونادى: يَا لِحَلْفِ الْفُضُولِ، فإذا هم يُعْنِقُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وقد انْتَصَرُوا أَسْيَاقَهُمْ يَقُولُونَ: جَاءَكَ الْعَوْتُ، فما لك؟ فقال: إِنْ تُبَيِّهَا ظَلَمَنِي فِي ابْنَتِي، وانتزعها مِنِّي قَسْرًا، فساروا معه، حتى وقفوا على باب الدار، فخرج إليهم، فقالوا له: أَخْرِجِ الْجَارِيَةَ وَنَحْكَ، فقد علمت مَنْ نَحْنُ، وما تعاقدنا عليه!! فقال: أَفْعَلْ، ولكن متَّعُونِي بِهَا اللَّيْلَةَ، فقالوا له: لَا وَاللَّهِ، وَلَا شُخْبٌ^(٢) لِقَحَّةٍ^(٣)، فأخرجها إليهم، وهو يقول:

رَاحَ صَخْبِي وَلَمْ أَحَيِّ الْقَتُولَا لَمْ أَوْدَعْهُمْ وَدَاعَا جَمِيلَا

(١) هو: نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم. انظر التجريد (١٨١٠) ونسب قريش للزبيدي (٤٠٤).

(٢) الشخب: ما خرج من الضرع من اللبن إذا احتلب. اللسان (٤٨٥/١).

(٣) اللقحة: الناقة الغزيرة اللبن.

وتَيْمُ بن مُرَّة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظَلَمَهُ حتى تردَّ عليه مَظْلَمَتُهُ، فسَمَت قريش ذلك الحلف: حلفَ الْفُضُولِ.

إِذْ أَجَدَ الْفُضُولُ أَنْ يَمْنَعُوهَا قَدْ أَرَانِي، وَلَا أَخَافُ الْفُضُولَا
لَا تَخَالِي أُنِّي عَشِيَّةَ رَاحِ الرَّ كُنْتُ هُنْتُمَ عَلَيَّ أَلَا أَقُولَا
فِي آيَاتٍ غَيْرِ هَذِهِ ذَكَرَهَا الزَّيْبِرُ، وَذَكَرَ مِنْ قَوْلِهِ فِيهَا أَيْضًا:

خَلَّتْ تِهَامَةٌ جِلَّةً مِنْ بَيْتِهَا وَوِطَائِهَا
وَلَهَا بِمَكَّةَ مَنْزَلٌ مِنْ سَهْلِهَا وَحَرَائِهَا
أَخَذَتْ بَشَاشَةً قَلْبِي وَنَأَتْ فَكَيْفَ بَنَائِهَا^(١)

الحلف وابن جدعان:

فصل: وذكر قولَ رسولِ الله ﷺ: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ جِلْفًا مَا أَحْبَبْتُ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ، وَلَوْ دُعِيتَ إِلَيْهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»^(٢) وعبدُ الله بنُ جُدْعَانَ هَذَا تَيْمِيٌّ هُوَ: ابْنُ جُدْعَانَ بْنِ عُمَرَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ، يَكْنَى: أَبَا زُهَيْرٍ ابْنُ عَمِّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَلِلَّذَلِكَ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنْ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ يُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَقَالَ: «لَا إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»^(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. وَمِنْ غَرِيبِ الْحَدِيثِ لَابْنِ قَتِيْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: كُنْتُ أَسْتَظِلُّ بِظِلِّ جَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَيٍّ^(٤)، يَعْنِي: فِي الْهَاجِرَةِ، وَسُمِّيَتْ الْهَاجِرَةُ: صَكَّةَ عُمَيٍّ لِخَبَرِ ذَكَرَهُ أَبُو حَنِيفَةَ فِي الْأَنْوَاءِ: أَنَّ عُمَيًّا رَجُلٌ مِنْ عَدَوَانٍ، وَقِيلَ: مِنْ إِيَادٍ، وَكَانَ فَقِيهَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَدِمَ فِي قَوْمٍ مُعْتَمِرًا أَوْ حَاجًّا: فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَرَحِلَتَيْنِ مِنْ مَكَّةَ قَالَ لِقَوْمِهِ، وَهُمْ فِي نَخْرِ الظَّهِيْرَةِ: مَنْ أَتَى مَكَّةَ غَدًا فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ، كَانَ لَهُ أَجْرُ عُمَرَيْنِ، فَصَكُّوا الْإِبِلَ صَكَّةَ شَدِيْدَةً حَتَّى أَتَوْا مَكَّةَ مِنَ الْغَدِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَأَنْشَدَ:

وَصَكَّ بِهَا نَخَرَ الظَّهِيْرَةِ صَكَّةَ عُمَيٍّ وَمَا يَبْغِيْنِ إِلَّا ظِلَالُهَا^(٥)

(١) انظر التجريد (١٨١٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (٣٦٥) وَأَبُو عَوَانَةَ (١٠٠/١) وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ (٢٧٨/٣) وَالْحَاكِمُ (٤٠٥/٢) وَصَحَّحَهُ وَأَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ.

(٤) وَانْظُرْ غَرِيبَ الْحَدِيثِ لَابْنِ الْجَوْزِيِّ (٥٩٨/١) وَالْفَائِقُ (٣٠٨/٢) وَالنَّهْأَةُ (٤٣/٣).

(٥) الْبَيْتُ مِنَ اللَّسَانِ (٥٣٨/١٠).

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار

في أبيات، وعَمِي: تصغير أعمى على الترخيم، فَسُمِّيَت الظهيرة صَكَّةً عَمِيَّ به. وقال البكري في شرح الأمثال: عَمِي: رجل من العماليق أوقع بالعدو في مثل ذلك الوقت، فسمى ذلك الوقت: صَكَّةً عَمِيَّ، والذي قاله أبو حنيفة أولى، وقائله أعلى. وقال يعقوب: عَمِيَّ الطَّبِي: يتحيرُ بصره في الظهيرة من شدة الحر. قال ابن قتيبة: وكانت جَفَنَتَه يأكل منها الراكب على البعير، وسقط فيها صبي، فغرق أي: مات. وكان أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ قبل أن يمدَّحه قد أتى بني الدِّيَّان من بني الحارث بن كعب، فرأى طَعَامَ بني عبد المَدَانِ منهم لُبَّابَ البُرِّ والشَّهَدَ والسُّمْنَ، وكان ابنُ جُذَعَانَ يُطْعَمُ التَّمْرَ والسَّوِيقَ وَيُسْقَى اللَّبَنَ، فقال أُمَيَّة:

ولقد رأيتُ الفاعِلين وفعلَهُم فرأيتُ أكرمهم بني الدِّيَّان
البُرُّ يُلَبِّكَ^(١) بالشَّهادِ طَعَامُهُم لا ما يُعَلَّلُنَا بئو جُذَعَانَ

فبلغ شِغْرُهُ عبدَ الله بن جُذَعَانَ، فأرسل أَلْقِيَّ بعير إلى الشام، تحمل إليه البُرُّ والشَّهَدَ والسُّمْنَ، وجعل منادياً ينادي على الكعبة: ألا هَلُمُّوا إلى جَفَنَتِ عبد الله بن جُذَعَانَ، فقال أُمَيَّة عند ذلك:

له داعٍ بمكة مُشْمَعِلٌ^(٢) وآخرُ فوق كَعْبَتِهَا يُنادي
إلى رُذُجٍ من الشَّيْزَى عليها لُبَّابُ^(٣) البُرُّ يُلَبِّكَ بالشَّهاد

وكان ابن جُذَعَانَ في بدء أمره صُغْلوكًا تَرَبَّ اليدين، وكان مع ذلك شريراً فاتكاً، ولا يزال يَجْنِي الجنايات، فيَغْلِقُ عنه أبوه وقومه، حتى أبغضته عشيرته، ونفاه أبوه وحلف: ألا يؤويه أبداً لما أثقله به من الغرم، وحمله من الدِّيَّات، فخرج في شِعَابِ مكة حائِراً بائِراً، يتمنى الموت أن ينزل به، فرأى شَقًّا في جبل، فظن فيه حَيَّةً، فتعرض للشَّقِّ يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح، فلم يَرِ شيئاً، فدخل فيه، فإذا فيه ثُعْبَانٌ عظيم له عينان تَقْدَان كالسراجين. فحمل عليه الثُعْبَانُ، فأفْرَجَ له، فانساب عنه مستديراً بدارةً عندها بيت، فخطا خطوة أخرى، فَصَفَرَ به الثُعْبَانُ، وأقبل عليه كالسَّهْمِ، فأفْرَجَ عنه، فانساب عنه قُدَّماً لا ينظر إليه، فوقع في نفسه أنه مَصْنُوعٌ، فأمسكه بيده، فإذا هو مَصْنُوعٌ من ذهب، وعيناه ياقوتتان،

(١) يليك: يخلط.

(٢) مشمعل: المشمعل: المتفرق، والمشمعل: السريع يكون من الناس والإبل. والبيت أيضاً في اللسان (٣٧٢/١١). وفيه «دارته» بدلاً من «كعبتها».

(٣) اللباب: الخالص والصافي.

عبد الله بن جُذعان حلفًا، ما أَحِبُّ أَنْ لِي به حُمْرُ التُّعْمِ، ولو أَدْعَى به في الإسلام لأَجِبْتُ^(١).

فكسره، وأخذ عينيه، ودخل البيت، فإذا جُثَّتْ على سُرُرٍ طوال لم يَرِ مثلهم طُولًا وعظمًا، وعند رءوسهم لوحٌ من فضة فيه تاريخُهم، وإذا هُم رجالٌ من مُلوكِ جُزهم، وآخرهم موتًا: الحرث بن مُضاضٍ صاحبُ الغربة الطويلة، وإذا عليهم ثيابٌ لا يُمسُّ منها شيءٌ إلا انتثر كالهباءٍ من طولِ الزمن، وشِعْرٌ مكتوبٌ في اللوح فيه عِظَات، آخر بيتٍ منه:

صَاحِ هَلْ رَزَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاعٍ رَدُّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ

وقال ابن هشام: كان اللوح من رُخام، وكان فيه: أنا نُفَيْلَةُ بن عبد المَدَانِ بن خَشْرَم بن عبد ياليل بن جُزهم بن قُحطان بن هود نبي الله، عشت خمسمائة عام، وقطعت غُور الأرضِ باطنها وظاهرها في طلب الثروة والمجد والملك، فلم يكن ذلك يُنجيني من الموت، وتحتة مكتوب:

قَدْ قَطَعْتُ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ الثَّرِّ وَةَ وَالْمَجْدُ قَالَصُ الْأَثْوَابِ

وَسَرَيْتُ الْبِلَادَ قَفْرًا لَقْفَرٍ بَقْنَاتِي وَقُوتِي وَاكْتِسَابِي

فَأَصَابَ الرَّدَى بَنَاتِ فُؤَادِي بِسَهَامٍ مِنَ الْمَنَايَا صِيَابِ^(٢)

فَانْقَضَتْ شِرَّتِي، وَأَقْصَرَ جَهْلِي وَاسْتَرَاخَتْ عَوَاذِلِي مِنْ عِتَابِي

وَدَفَعْتُ السَّفَاةَ^(٣) بِالْجِلْمِ لِمَا نَزَلَ الشَّيْبُ فِي مَحَلِّ الشَّبَابِ

صَاحِ هَلْ رَزَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاعٍ رَدُّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ^(٤)

وإذا في وسط البيت كَوْمٌ عَظِيمٌ مِنَ الْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالزَّبَرْجَدِ، فأخذ منه ما أخذ، ثم عَلَّمَ على الشَّقِّ بعلامَةٍ، وأغلق بابَه بالحجارة وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به يَسْتَرْضِيهِ وَيَسْتَعِطِفُهُ، ووصل عشيرته كلهم، فسأدهم وجعل يُنفق من ذلك الكنز ويُطْعِمُ النَّاسَ، ويفعل المعروف. ذكر حديثُ كُزَّ ابن جُذعان موصولاً بحديث الحرث بن مُضاض: ابنُ هشام في غير هذا الكتاب، ووقع أيضًا في كتاب رِيِّ العاطش، وأنس الواحش لأحمد بن عمار^(٥).

(١) أخرجه البيهقي (١٦٧/٦) والقرطبي في تفسيره (٣٣/٦) (١٦٩/١٠). وانظر قصة حلف الفضول في البداية (٣٩٣/٢) وطبقات ابن سعد (١٢٨/١).

(٢) صياب: جمع صائب كصاحب وصحاب. (٣) سفاه: خفة الحلم.

(٤) انظر اللسان (٣٢٩/١). (٥) قصة تحتاج إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حَدَّثه: أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. والوليد يومئذ أمير على المدينة، أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بذي المروة، فكان الوليد تحامل على الحسين - في حقه لسلطانه، فقال له الحسين: أحلف بالله لتتصفني من حقي، أو لآخذن سيفي، ثم لأقومن في مسجد رسول الله - ﷺ - ثم لأدعون بحلف الفضول قال: فقال عبد الله بن الزبير، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضي الله عنه - ما قال: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي، ثم لأقومن معه، حتى يُنصف من حقه أو نموت جميعاً. قال: فبلغت المنصور بن مخزومة بن نوفل الزهري، فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي، فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي.

وابن جُدعان ممن حرّم الخمر في الجاهلية بد أن كان مُغرَى بها، وذلك أنه سَكِر، فتناول القمَر ليأخذه، فأخبر بذلك حين صحا، فحلف: لا يشربها أبداً، ولما كَبِر وَهَرِم أراد بنو تميم أن يمنعوهُ من تبديد ماله، ولأموه في العطاء، فكان يدعو الرجل، فإذا دنا منه، لَطَمَهُ لَطْمَةً خَفِيفَةً، ثم يقول له: قم فانشُد لَطَمَتَكَ، واطلب ديتها، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جُدعان حتى يرضى، وهو جدُّ عُبَيْدِ الله بن أبي مُلَيْكَةَ الفقيه. والذي وقع في هذا الحديث من ذكر نُقَيْلَة، أحسبه: نقيلة بالنون والفاء، لأن بني نُقَيْلَة كانوا ملوك الحيرة، وهم من عَسَّان، لا من جُرْهُم، والله أعلم.

موقف الإسلام من الحلف:

فصل: وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة، وقوله: لآخذن سيفي، ثم لأدعون بحلف الفضول إلى آخر القصة، وفيه من الفقه: تخصيص أهل هذا الحلف بالدعوة وإظهار التعصب، إذا خافوا ضيماً، وإن كان الإسلام قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم: يا لفلان عند التحزب والتعصب، وقد سمع رسول الله - ﷺ - يوم المُرَيْسِيع^(١) رجلاً يقول: يا لملهاجرين! وقال آخر: يا للانصار! فقال رسول الله - ﷺ -: «دعوها فإنها مُتَنَبِّئة»^(٢) وقال - ﷺ -: «مَن ادَّعى بِدْغوى الجاهلية، فأَعِضَّوه بِهِنِ أبِيه ولا تُكْتُوا»^(٣)، ونادى رجل

(١) المريسيع: بئر ماء لخزاعة. وقد وقعت الغزوة عام ست من الهجرة.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٦٢٣/٤) (١٩٢/١٩١/٦) ومسلم في البر والصلة (٦٤/٦٣) والترمذي (٣٣١٥) وأحمد (٣٣٨/٣) (٣٣٩).

(٣) «حسن». أخرجه أحمد (١٣٦/٥).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: قدم محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف - وكان محمد بن جبير أعلم قريش - فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير، واجتمع الناس على عبد الملك، فلما دخل عليه قال له: يا أبا سعيد، ألم تكن نحن وأنتم، يعني بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبد مناف في حلف الفضول؟ قال: أنت أعلم، قال عبد الملك: لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك، فقال: لا والله، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، قال: صدقت.

بالبصرة: يا لعامر! فجاءه النابعة الجعدي بعبصة له، فضربه أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - خمسين جلدة، وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوة، ولا يقال إلا كما قال عمر رضي الله عنه: يا لله ويا للمسلمين؛ لأنهم كلهم حزب واحد، وإخوة في الدين إلا ما خصّ الشرع به أهل حلف الفضول، والأصل في تخصيصه قوله - ﷺ - ولو دُعيت به اليوم لأجبت^(١) يريد: لو قال قائل من المظلومين: يا لحلف الفضول لأجبت، وذلك أن الإسلام إنما جاء بإقامة الحق ونصرة المظلومين، فلم يزد به هذا الحلف إلا قوة، وقوله عليه السلام: «وما كان من حلف في الجاهلية، فلن يزيده الإسلام إلا شدة»^(٢) ليس معناه: أن يقول الحليف: يا لفلان لحلفائه، فيجيبوه، بل الشدة التي عنى رسول الله - ﷺ - إنما هي راجعة إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف، وأما دغوى الجاهلية، فقد رفعها الإسلام إلا ما كان من حلف الفضول كما قدمنا، فحكمه باق، والدعوة به جائزة، وقد ذهبت طائفة من الفقهاء إلى أن الحليف يغفل مع العاقلة إذا وجبت الدية لقوله - ﷺ -: «وما كان من حلف في الجاهلية، فلم يزيده الإسلام إلا شدة»، ولقوله أيضًا للذي حبسه في المسجد: «إنما حبستك بجريرة حلفائك»^(٣).

عن أولاد عبد مناف:

فصل: وذكر بني عبد مناف الأربعة، وقد كان له ولد خامس، وهو أبو عمرو، واسمه: عبيد، درج^(٤)، ولا عقب له، ذكره البرقي والزبير، وكذلك ذكر البرقي أن قصيًا كان سمى ابنه عبد قصي، وقال: سميت بنفسه وسميت الآخر بدار الكعبة، يعني: عبد الدار، ثم إن الناس حولوا اسم عبد قصي، فقالوا: عبد بن قصي، وقال الزبير أيضًا: كان اسم عبد الدار عبد الرحمن.

(١) تقدم تخريجه غير مرة.

(٢) «صحيح». أخرجه مسلم في النذر (٨) وأحمد (٤/٤٣٠/٤٣٣).

(٣) درج: أي لم يعقب، كما قال رحمه الله تعالى.

قال ابن إسحاق: فَوَلَّى الرَّفَادَةَ وَالسَّقَايَةَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ كَانَ رَجُلًا سَفَارًا قَلَمًا يقيم بمكة، وكان مَقِيلًا ذَا وَلَدٍ، وكان هَاشِمٌ مُوسِرًا فَكَانَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - إِذَا حَضَرَ الْحَجُّ، قَامَ فِي قَرِيشٍ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ، إِنَّكُمْ جِيرَانُ اللَّهِ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَإِنَّهُ يَأْتِيكُمْ فِي هَذَا الْمَوْسَمِ زُؤَارُ اللَّهِ وَحُجَّاجُ بَيْتِهِ، وَهُمْ ضَيْفُ اللَّهِ، وَأَحَقُّ الضُّيْفِ بِالْكَرَامَةِ: ضَيْفُهُ، فَاجْمَعُوا لَهُمْ مَا تَصْنَعُونَ لَهُمْ بِهِ طَعَامًا أَيَّامَهُمْ هَذِهِ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْإِقَامَةِ بِهَا؛ فَإِنَّهُ - وَاللَّهِ - لَوْ كَانَ مَالِي يَسَعُ لَذَلِكَ مَا كُلَّفْتُكُمْوهُ». فَيُخْرِجُونَ لَذَلِكَ خَرْجًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، فَيُصْنَعُ بِهِ لِلْحُجَّاجِ طَعَامٌ، حَتَّى يَصُدُّوا مِنْهَا.

وذكر هَاشِمًا وما صنع في أمرِ الرَّفَادَةِ^(١) وإطعامِ الْحَجِيجِ، وأنه سُمِّيَ هَاشِمًا لَهُشِمِهِ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ، والمعروفُ في اللغةِ أن يقال: ثَرَدْتُ الْخَبَرَ، فَهُوَ ثَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ، فَلَمْ يُسَمَّ: ثَارِدًا، وَسُمِّيَ هَاشِمًا، وَكَانَ الْقِيَاسُ - كَمَا لَا يُسَمَّى الثَّرِيدُ هَشِيمًا، بَلْ يُقَالُ فِيهِ: - ثَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ - أَنْ يُقَالَ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ أَيْضًا كَذَلِكَ، وَلَكِنْ سَبَبُ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةٍ بَيَانٍ. ذَكَرَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ أَنَّ هَاشِمًا كَانَ يَسْتَعِينُ عَلَى إِطْعَامِ الْحَاجِّ بِقَرِيشٍ، فَيَزِيدُونَهُ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيُعِينُونَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ أَرْزَمَةٌ شَدِيدَةٌ فَكَّرَ أَنْ يُكَلِّفَ قَرِيشًا أَمْرَ الرَّفَادَةِ، فَاحْتَمَلَ إِلَى الشَّامِ بِجَمِيعِ مَالِهِ، وَاشْتَرَى بِهِ أَجْمَعَ كَعَاكَ وَدَقِيقًا، ثُمَّ أَتَى الْمَوْسَمَ فَهَشَّمَ ذَلِكَ الْكَعَاكَ كُلَّهُ هَشْمًا، وَدَقَّهُ دَقًّا، ثُمَّ صَنَعَ لِلْحَجَّاجِ طَعَامًا شَبِهَ الثَّرِيدَ، فَبَذَلَ سُمِّيَ هَاشِمًا لِأَنَّ الْكَعَاكَ الْيَابِسَ لَا يُثَرَّدُ، وَإِنَّمَا يُهَشَّمُ هَشْمًا، فَبَذَلَ مُدِيحٌ، حَتَّى قَالَ شَاعِرُهُمْ فِيهِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرِيِّ:

كَانَتْ قَرِيشٌ بَيْضَةً فَتَفَقَّأَتْ	فَالْمُحُّ ^(٢) خَالِصُهُ لِعَبْدِ مَنَافٍ
الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ	وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْأَضْيَافِ
وَالرَّائِثِينَ وَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِشٌ	وَالْقَائِلِينَ: هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
عَمَرُوا الْعُلَا هَشَّمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ	قَوْمَ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ ^(٣) عَجَابٍ ^(٤)

(١) الرفادة: هي مال كانت تخرجه قريش لإطعام الحجاج.

(٢) المح: صفة البيض. مقاييس اللغة (٢٦٩/٥).

(٣) مستتين: أصابتهن سنة معجبة. وقد فرق القرآن بين «السنة» و«العام». فالسنة هي الزمن الذي يكون فيه الخير قليل والرزق غير وفير، والعلم عكسه. قال تعالى في سورة يوسف حكاية عن يوسف قوله في تأويل الرؤيا: «تزرعون سبع سنين دأبًا...» ثم قال: «ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد» ثم قال: «ثم يأتي عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون». فتأمل.

(٤) في أمالي المرتضى (١٧٨/٤) وفي اللسان الأبيات لمطرود بن كعب الخزاعي.

وكان هاشم - فيما يزعمون - أول من سنَّ الرّحلتين لقريش: رحلتي الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وإنما كان اسمه: عَمْرًا، فما سُمي هاشمًا إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب:

عَمَرُو الَّذِي هَشَمَ الثَرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمَ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافٍ
سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ، وَرِحْلَةُ الْإِيْلَافِ
قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز:

قوم بمكة مسنتين عجاف

قال ابن إسحق: ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجرًا، فولّي السقاية والزفادة من بعده المطلب بن عبد مناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف في قومه وقُضِل، وكانت قُرَيْش إنما تُسمّيه: الفيضَ لسماحته وفضله.

وكان سبب مدح ابن الزبغرى بهذه الأبيات، وهو سهميّ لبني عبد مناف - فيما ذكره ابن إسحق في رواية يونس - أنه كان قد هجّا قصيًّا بشعر كتبه في أستار الكعبة، أوله:

الْهَى قُصِيًّا عَنِ الْمَجْدِ الْأَسَاطِيرُ وَمِشِيَّةٌ مِثْلُ مَا تَمْشِي الشَّقَارِيرُ^(١)

فاستغذوا عليه بني سهم، فأسلموه إليهم، فضرّبوه وحلقوا شعره، وربطوه إلى صخرة بالحجون، فاستغاث قومه فلم يُغيثوه، فجعل يمدح قُصِيًّا وَيَسْتَرْضِيهِمْ، فأطلقه بنو عبد مناف منهم، وأكرموا فمدحهم بهذا الشعر، وبأشعار كثيرة، ذكرها ابن إسحق في رواية يونس.

عبد المطلب وابن ذي يزن:

فصل: وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له عبد المطلب بن هاشم، ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذي يزن أو ابنه مغدي كرب بن سيف ملك الهمن لعبد المطلب حين وقد عليه ركب من قرّيش: مَرْحَبًا بِابْنِ أُخْتِنَا، لَأَنَّ سَلْمَى مِنَ الْخَزْرَجِ، وَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ سِبَا، وَسَيْفٌ مِنْ جَمِيرِ بْنِ سِبَا، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، وَنَاقَةً وَزَحْلًا، وَمَلِكًا سَبَخْلًا، يُعْطِي عَطَاءَ جَزَلًا. ثم بشره بالنبي - ﷺ - وَأَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ^(٢)، فقال له عبد المطلب: مثلك أيها الملك سيّر وير، ثم أجزل الملك جبّاء، وقضله على أصحابه، وانصرف مغبوطًا على ما أعطاه الملك، فقال: والله لما بشرني به أحب إليّ من كل ما أعطاني. في خبر فيه طول.

(٢) لا يعتد بمثل هذا إلا بدليل «صحيح».

(١) الشقارير: الديوك.

وكان هاشم بن عبد مناف قديم المدينة، فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحريش. قال ابن هشام: ويقال: الحريش بن جحجبي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، فولدت له عمرو بن أحيحة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلاً فارقت.

فولدت لهاشم عبد المطلب، فسَمَّته: شَيْبَةً، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً، أو فوق ذلك، ثم خرج إليه عمه المطلب؛ ليقبضه، فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى: لست بمُرسلته معك، فقال لها المطلب: إني غير منصرف حتى أخرج به معي، إن ابن أخي قد بلغ، وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت شرف في قومنا، نلبي كثيراً من أمرهم، وقومهم وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم، أو كما قال. وقال شيبه لعَمِّه المطلب - فيما يزعمون - لست بمفارقها إلا أن تأذن لي، فأذنت له، ودفعته إليه، فاحتمله، فدخل به مكة مُزِدِّفه معه على بعيه، فقالت قُريش: عبد المطلب ابتاعه، فيها سُمِّي: شَيْبَةً عَبْدَ الْمُطَّلَب. فقال المطلب: وَيَحْكُم! إنما هو ابن أخي هاشم، قدمت به من المدينة.

ثم هلك المطلب برذمان من أرض اليمن، فقال رجل من العرب يتيه:

قد ظمىء الحجيحُ بعد المطلب بعد الجفان والشراب المُنثَعِبُ

ليت قريشاً بعده على نصب

وقال مطرود بن كعب الخزاعي، يكي المطلب وبني عبد مناف جميعاً حين أتاه نغي نوفل بن عبد مناف، وكان نوفل آخرهم هلكاً:

يا ليلة هيجت ليلاتي إحدى ليالي القسيات

نسب أحيحة:

وذكر نسب أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبي، وقال ابن هشام: هو الحريس يعني. بالسين المهملة - وقال الدارقطني عن الزبير بن أبي بكر: أن كل ما في الأنصار فهو: حريس بالسين غير مُعْجَمة إلا هذا، ووجدت في حاشية كتاب أبي بحر - رحمه الله - صواب هذا الاسم يعني في نسب أحيحة بن الجلاح بن الحريش بالشين المعجمة على لفظ الحريش بن كعب البطن الذي في عامر بن صعصعة.

فصل: وأنشد لمطرود بن كعب:

يا ليلة هيجت ليلاتي إحدى ليالي القسيات

وَمَا أَقَاسِي مِنْ مُمُومٍ، وَمَا
 إِذَا تَذَكَّرْتُ أَخِي نَوْفَلًا
 ذَكَّرَنِي بِالْأَزْرِ الْخُمْرِ وَالْ
 أَرْبَعَةِ كُلِّهِمْ سَيِّد
 مَيِّتٌ بَرْدَمَانٍ وَمَيِّتٌ بَسَلُ
 وَمَيِّتٌ أَسْكِنَ لَحْدًا لَدَى الْ
 أَخْلَصُهِمْ: عَبْدُ مَنْافٍ فَهُمْ
 إِنَّ الْمُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا
 عَالَجَتْ مِنْ رُزْءِ الْمَنِيَّاتِ
 ذَكَّرَنِي بِالْأَوَّلِيَّاتِ
 أَزْدِيَّةِ الصُّفْرِ الْقَشِيبَاتِ
 أَبْنَاءِ سَادَاتِ لِسَادَاتِ
 حَانَ وَمَيِّتٌ بَيْنَ عَزَاتِ
 مَخْجُوبِ شَرْقِيَّ الْبَنِيَّاتِ
 مِنْ لَوْمٍ مَنْ لَامَ بِمَنْجَاةِ
 مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ

أي: أنت إحدى ليالي القسيات. فعيلات من القسوة، أي: لا لينَ عندهن، ولا رَافَةَ فيهن، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القسي، وهو الزائف، وقد قيل في الدرهم القسي: إنه أعجمي مُعَرَّب، وقيل: هو من القساوة لأن الدرهم الطيب ألين من الزائف، والزائف أضلَبُ منه. ونصب ليلة على التمييز كذلك، قال سيبويه في قول الصلتان العبدَي^(١):

أيا شاعرًا لا شاعرَ اليومِ مثله

وذلك أن في الكلام معنى التعجب.

وقوله: وَمَيِّتٌ بِعَزَاتٍ. هي: عَزَّةٌ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل رَيْضٍ^(٢) من البلدة اسمَ البلدة، فيقولون: عَزَاتٌ فِي عَزَّةٍ، ويقولون في بغداد: بَغَادِين، كما قال بعضُ المُحَدِّثِينَ:

شَرِينًا فِي بَغَادِينٍ عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينِ

ولهذا نظائر ستمر في الكتاب - إن شاء الله - ومن هذا الباب: حكمهم للبغض بحكم الكل، كما سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ، نحو قولهم: شَرَقْتُ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ، وذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ، وتَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ. وقد تركبت على هذا الأصلُ مسألة من الفقه: قال الفقهاء، أو أكثرهم: مَنْ حَلَفَ أَلَّا يَأْكُلَ هَذَا الرِّغِيفَ، فَأَكَلَ بَعْضَهُ، فَقَدْ خَانَ، فَحَكَمُوا لِلْبَعْضِ بِحَكْمِ الْكُلِّ، وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ اسْمَهُ. وفيه:

إِنَّ الْمُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ

(١) الصلتان العبدَي: هو قثم بن خبيثة.

(٢) ريض المدينة: أي حولها.

وكان اسمُ عبد مناف: الْمُغِيرَةُ، وكان أولُ بني عبد مناف هُلُكًا: هاشمٌ، بَعْرَةُ من أرض الشام، ثم عبدُ شمس بمكة، ثم المطلب برَدْمان من أرض اليمن، ثم تَوْفَلًا بَسَلْمان من ناحية العراق.

فقيل لمطروود - فيما يزعمون -: لقد قلتَ فأحسنت، ولو كان أفعل مما قلتَ كان أحسن، فقال: أنظرني ليالي، فمكث أيامًا، ثم قال:

يا عين جُودِي، وأذري الدمعَ وانهمري	وابكي على السرِّ من كَغَبِ الْمُغِيرَاتِ
يا عين، واستخفيري ^(١) بالدمع واحتفلي	وابكي خبيثةً نفسي في المُلِمَّاتِ
وابكي على كلِّ فياض أخِي ثِقَةٍ	ضَخَمِ الدَّسِيَّةِ وهَابِ الْجَزِيلَاتِ
مَخْضِ الضَّرْبِيَّةِ، عالي الهَمِّ، مُخْتَلَقِ	جَلَدِ التَّحِيْزَةِ، ناءٍ بالعظيْمَاتِ
صَغَبِ البديهة لا نِكْسِ ^(٢) ولا وَكَلِ ^(٣)	ماضي العَزِيْمَةِ، مثْلاَفِ الكَرِيْمَاتِ
صَفَرِ تَوْسُطِ من كَغَبِ إِذَا نُسَبُوا	بُخْبُوحَةَ المَجْدِ والشَّمِ الرَفِيْعَاتِ
ثم اندبني الفيضَ والفياض ^(٤) مُطْلَبَا	واستخرطي ^(٥) بعد قِيَضَاتِ بِجَمَّاتِ

فالمُغِيرَاتُ: بنو المغيرة، وهو عبد مناف، كما قالوا: المناذرة في بني المُنْذِرِ، والأشْعَرُونَ في بني أشعر بن أدد، كما قال عليُّ بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير: آثر عليُّ الحَمِيْدَاتِ والتَّوَيَّاتِ والأسَامَاتِ، يعني: بني حُمَيْدٍ، وبني تَوَيْتٍ، وبني أسامة، وهم من بني أسد بن عبد العزَّى^(٦).

وأشدد له في القصيدة التاوية: محض الضريبة، عالي الهَمِّ مُخْتَلَقِ: أي عظيم الخلق: جَلَدِ التَّحِيْزَةِ ناءٍ بالعظيْمَاتِ. ليس قوله: ناءٍ من النَّأْيِ، فتكون الهمزة فيه عينَ الفعل، وإنما هو من ناء يَنْوُءُ إِذَا نَهَضَ فالهمزة فيه لام الفعل، كما هو في جاء عند الخليل، فإنه عنده مقلوب، ووزنه: فاعل، والياء التي بعد الهمزة هي: عين الفعل في جاء يجيء.

(١) الحنفري: أكثرني بالدمع وصبي. انظر اللسان (٣٥٢/٤).

(٢) لا نكس: النون والكاف والسين أصل يدل على قلب الشيء. والنكس: السهم الذي ينكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله. مقاييس اللغة (٤٧٧/٥).

(٣) وكل: أي غير معتمد على غيره. والوكل: الرجل الضعيف. مقاييس اللغة (١٣٦/٦).

(٤) الفيض: الفاء والباء والضاد أصل صحيح يدل على جريان الشيء بسهولة ثم يقاس عليه. السابق (٤٦٥/٤).

(٥) استخرطي: ألحني واستمري.

(٦) حميد بن أسامة بن زهير بن الحارث، وأسامة بن زهير بن الحارث.

أَمْسَى بَرْدْمَانُ عَنَّا الْيَوْمَ مُغْتَرِبًا
وَأَبْكِي - لَكَ الْوَيْلُ - إِنَّمَا كُنْتُ بَاكِيةً
وَهَاشِمٌ فِي ضَرْيَحٍ وَسَطَ بَلْقَعَةٍ
وَنَوْفَلٌ كَانَ دُونَ الْقَوْمِ خَالِصَتِي
لَمْ أَلَقْ مِثْلَهُمْ عُجْمًا وَلَا عَرَبًا
أَمْسَتْ دِيَارُهُمْ مِنْهُمْ مُعْطَلَةٌ
أَفْنَاهُمْ الدَّهْرُ، أَمْ كَلَّتْ سَيُوفُهُمْ
أَضْبَحْتُ أَرْضِي مِنَ الْأَقْوَامِ بَعْدَهُمْ
يَا عَيْنُ فَاكِكِي أَبَا الشُّعْثِ الشَّجِيئَاتِ
يَبْكِينَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
يَبْكِينَ شَخْصًا طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ^(٣)
يَبْكِينَ عَمْرُو الْعُلَا إِذْ حَانَ مَضْرَعُهُ
يَبْكِينَهُ مُسْتَكِينَاتٍ عَلَى حَزَنٍ
يَبْكِينَ لَمَّا جَلَاهُنَّ الزُّمَانُ لَهُ
مُحْتَزِمَاتٍ عَلَى أَوْسَاطِهِنَّ لَمَّا
أَبَيْتُ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنَ الْمِ
مَا فِي الْقُرُومِ^(٧) لَهُمْ عِذْلٌ وَلَا خَطَرُ
أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أَبْنَاءٍ، وَأَنْفُسُهُمْ
كَمْ وَهَبُوا مِنْ طَيْرٍ^(٨) سَابِحِ أَرْنِ^(٩)
وَمِنْ سَيُوفٍ مِنَ الْهِنْدِيِّ مَخْلَصَةٍ

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَاتٍ
لِعَبْدِ شَمْسٍ بِشَرْقِيَّ الْبَنِيَّاتِ^(١)
تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ بَيْنَ عَزَاتٍ
أَمْسَى بِسَلْمَانَ فِي رَمْسٍ^(٢) بِمَوْمَاةٍ
إِذَا اسْتَقَلْتُ بِهِمْ أَذْمَ الْمَطِيطَاتِ
وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْنًا فِي السَّرِيَّاتِ
أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوَاجَ الْمَنِيِّاتِ
بَسَطَ الْوُجُوهَ وَالْقَاءَ التَّحِيَّاتِ
يَبْكِينَهُ حُسْرًا مِثْلَ الْبَلِيَّاتِ
يُغْوِلُنِيهِ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عَبْرَاتٍ
أَبِي الْهَضِيمَةِ^(٤)، فَرَاغَ الْجَلِيلَاتِ^(٥)
سَمَحَ السَّجِيَّةَ، بِسَامَ الْعَشِيَّاتِ^(٦)
يَا طَوَّلَ ذَلِكَ مِنْ حَزَنٍ وَعَوَّلَاتٍ
خُضِرَ الْخُدُودَ كَأَمْثَالِ الْحَمِيَّاتِ
جَرَ الزُّمَانَ مِنْ أَخْدَاتِ الْمُصِيبَاتِ
أَبْكِي، وَتَبْكِي مَعِيَ شَجْوِي بُنْيَاتِي
وَلَا لِمَنْ تَرَكَوْا شَرَوْىَ بَقِيَّاتِ
خَيْرُ الثُّفُوسِ لَدَى جَهْدِ الْأَلْيَاتِ
وَمِنْ طَيْرَةٍ نَهَبَ فِي طِمِرَاتٍ
وَمِنْ رِمَاحٍ كَأَشْطَانِ الرُّكِيَّاتِ

(١) شرقي البنيات: أي الكعبة.

(٣) الفجر: الجود.

(٥) الجليلات: الأمور العظام.

(٧) القروم: الأسياد الأشراف.

(٩) أرن: نشيط.

(٢) الرمس: التراب.

(٤) الهضم: الظلم.

(٦) بسام العشيات: أي ضاحك مبتسم.

(٨) طمر: أي فرس.

ومن توابع ممّا يفضّلون بها عند المسائل من بذل العطيات
فلو حسبت وأخصى الحاسبون معي لم أقض أفعالهم تلك الهنّيات
هم المذلّون إمّا مغشّر فخرّوا عند الفخار بأنساب نقيّات
زئن البيوت التي خلّوا مساكنها فأصبحت منهم وخشا خليّات
أقول والعين لا ترقا مدامعها: لا يُبعد الله أصحاب الرّزيّات

قال ابن هشام: الفَجَر: العطاء: قال أبو جِراش الهذليّ:

عَجَف أضيافي جميل بن معمر بذى فَجَر تأوي إليه الأرامِلُ
قال ابن إسحق: أبو الشعث الشّجّيات: هاشم بن عبد مناف.

قال: ثم وليّ عبد المطلب بن هاشم السّقاية والرّفاة بعد عمّه المطلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرف في قومه شرقاً لم يبلغه أحد من آباءه، وأحبّه قومه وعظم خطره فيهم.

وفيه «شرقي البنيّات» يعني: البنيّة، وهي: الكعبة، وهو نحو مما تقدم في غزّات.

وفيه الشعث الشّجّيات. فشدد ياء الشّجّي، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: ياء الشّجّي مخففة، وياء الخليّ مشددة، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائي في قوله:

أيا وِجِ الشّجّي من الخليّ ووَنَحِ الدمع من إحدى بليّ
واحتج بقول يعقوب في ذلك، فقال له الطائي: ومن أفصح عندك: ابن الجُرمقانيّة يعقوب، أم أبو الأسود الدؤليّ حيث يقول؟!:

وَنِلِ الشّجّي من الخليّ فإنّه وصِبُ الفؤاد بشّجّوه مغموم

قال المؤلف: وبيت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبي الأسود الدؤليّ، لأنه جاهلي مُحكّك، وأبو الأسود: أول من صنع النحو، فشعره قريب من التوليد، ولا يمتنع في القياس أيضاً أن يقال: شجّي وشجّ، لأنه في معنى: حَزَنٌ وحزين، وقد قيل: من شدّد الياء، فهو فعيل بمعنى مفعول^(١).

وفيه بعد قوله: أبا الشعث الشّجّيات. يبيّنه حسراً مثل البليّات. البليّة: الناقة التي كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات، حتى تموت جوعاً وعطشاً، ويقولون: إنه يُحشر راكباً

(١) شجّي: انظر مقاييس اللغة (١٧٨/٣).

عليها، وَمَنْ لَمْ يُفَعَّلْ مَعَهُ هَذَا خَيْرٌ رَاجِلاً، وهذا على مذهب مَنْ كان منهم يقول بالبعث، وهم الأقل، ومنهم زُهَيْرٌ، فإنه قال:

يُؤْخَزُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ، أَوْ يُعْجَلُ فَيُنْقَمَ
وقال الشاعر في البليَّة:

وَالْبَلَايَا رُؤُوسُهَا فِي الْوَلَايَا مَا نَحَاتِ السَّمُومُ حُرَّ الْخُدُودِ
والولايَا: هي البراذع، وكانوا يَنْقُبُونَ الْبِرْدَعَةَ، فيجعلونها في عُقُقِ الْبَلِيَّةِ، وهي مَعْقُولَةٌ، حتى تموت، وأوصى رجلُ ابْنَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِهَذَا:

لَا تَشْرُكَنَّ أَبَاكَ يُخْشَرُ مَرَّةً عَذْوًا يَخِرُّ عَلَى الْيَدَيْنِ، وَيَنْكَبُ
في أبيات ذكرها الخطابي.

وقوله: قِيَامًا كَالْحَمِيَّاتِ. أي: مُخْتَرِقَاتِ الْأَكْبَادِ كَالْبَقَرِ أَوْ الظِّبَاءِ الَّتِي حَمِيَّتِ الْمَاءُ وَهِيَ عَاطِشَةٌ، فَحَمِيَّةٌ بِمَعْنَى: مَخْمِيَّةٌ، لَكِنَّمَا جَاءَتْ بِالتَّاءِ، لِأَنَّهَا أُجْرِيَتْ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ كَالرَّمِيَّةِ وَالضَّحِيَّةِ وَالطَّرِيدَةِ وَفِي مَعْنَى الْحَمِيٍّ قَوْلُ رُؤْبَةِ: قَوَاطِنُ مَكَّةَ مِنْ وُزْقِ الْحَمِيِّ يَرِيدُ الْحَمَامِ، الْمَخْمِيُّ، أي: الْمَمْنُوعُ.

وقوله: فِي رَمْسٍ بِمَوَاةٍ: الْأَظْهَرُ فِيهِ أَنَّ تَكُونَ الْمِيمَ أَصْلِيَّةٌ، وَيَكُونُ مِمَّا ضَوْعِفَتْ فَاؤُهُ وَعَيْنُهُ، وَحَمَلَهُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ أُولَى لِكَثْرَتِهِ فِي الْكَلَامِ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ الْمِيمِ أَنْ تَكُونَ زَائِدَةً، إِذَا كَانَتْ أَوَّلَ الْكَلِمَةِ الرَّبَاعِيَّةِ أَوْ الْخَمَاسِيَّةِ، إِلَّا أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْ ذَلِكَ اسْتِثْقَاؤُهَا، وَلَا اسْتِثْقَاؤُهَا هُنَا، أَوْ يَمْتَنِعَ مِنْ ذَلِكَ دَخُولُهُ فِيهَا قَلٌّ مِنَ الْكَلَامِ نَحْوُ: قَلْبَقٌ وَسَلِسٌ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ فِي الْمَرْمَرِ: حَمَلَهُ عَلَى بَابِ: قَزَزَ وَيَزْبِرُ أُولَى مِنْ حَمَلِهِ عَلَى بَابِ: قَلْبَقٌ وَسَلِسٌ، يَرِيدُ: إِنَّكَ إِنْ جَعَلْتَ الْمِيمَ زَائِدَةً كَانَتْ فَاءُ الْفَعْلِ - وَهِيَ الرَّاءُ - مُضَاعَفَةً دُونَ عَيْنِ الْفَعْلِ، وَهِيَ الْمِيمُ، وَإِذَا جَعَلْتَ الْمِيمَ الْأُولَى فِي مَرْمَرٍ أَصْلِيَّةً، كَانَ مِنْ بَابِ مَا ضَوْعِفَتْ فِيهِ الْفَاءُ وَالْعَيْنُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ سَيِّبِيهِ فِي الْمَرْمَرِ: مَرٌّ، وَهُوَ الْقِيَاسُ الْمُسْتَبِثُ، وَالطَّرِيقُ الْمُهَيَّجُ دُونَ مَا ضَوْعِفَتْ فِيهِ الْفَاءُ وَحَدَّهَا، فَتَأَمَّلْهُ^(١).

وقوله: طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا قَجَرٍ. الْقَجَرُ: الْجَوْدُ، شَبَّهَ بِانْفِجَارِ الْمَاءِ. وَيُرْوَى ذَا فَتَحٍ، وَالْفَتَحُ: كَثْرَةُ الْمَالِ، وَقَدْ قَالَ أَبُو مِخْجَنِ الثَّقَفِيُّ:

(١) انظر تصريف المازني (٥٦) وشرح الشافعية (٥٩/١) وابن جني في الخصائص (٢/٢).

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إنَّ عبد المطلب بينما هو نائم في الحِجْر إذ أتى، فأمر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق: وكان أول ما ابتدء به عبد المطلب من حفرها، كما حدَّثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مَرْثَد بن عبد الله اليزني عن عبد الله بن زُرَيْر الغافقي: أنه سمع عليَّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أَمَرَ عبد المطلب بحفرها، قال:

قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة. قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي فَنِمْتُ فيه، فجاءني فقال: احفر بَرَّة. قال: فقلت: وما بَرَّة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي، فَنِمْتُ فيه، فجاءني فقال: احفر المَضْنُونَة. قال: قلت: وما المَضْنُونَة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي، فَنِمْتُ فيه، فجاءني فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تَنْزِف أَبَدًا ولا تُدَمِّمْ، تسقي الحَجِيجَ الأعظم، وهي بين الفَرْث والدم، عند ثُقرة الغراب الأعصم، عند قَرْية الثَّمَل.

وقد أجود وما مالي بذي فَئِج^(١) وأكثم السَّرَف فيه ضَرْبَةُ العُثْقِ

وقوله: بِسَام العشيات: يعني: أنه يضحك للأضياف، وَيَسِيمُ عند لقائهم كما قال الآخر، وهو حاتم الطائي:

أضاحك ضَيْفِي قبل إنزال رَحْلِهِ وَيَخْصِبُ عِنْدِي، وَالْمَحَلَّ جَدِيدُ
وما الْخِصْبُ للأضيافِ أن يَكْثُر الْفِرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

حديث زمزم

وكانت زَمْزَم - كما تقدم - سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ، عليه السلام، فَجَرَّهَا له رُوحُ الْقُدُسِ بِعَقِبِهِ، وفي تفجيرِهِ إِيَّاهَا بِالْعَقِبِ دون أن يُفَجِّرَهَا بِالْيَدِ أو غَيْرِهِ: إشارة إلى أنها لعَقِبِهِ وراثَةٌ، وهو محمد - ﷺ - وأُمَتُهُ، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٤٣]. أي: في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ - عليه السلام - ثم إن زَمْزَمَ لما أُخْدِثَتْ جُزْهُمُ فِي الْحَرَمِ، وَاسْتَحْفُوا بِالْمَنَاسِكِ وَالْحَرَمِ، وَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَاجْتَرَمَ، تَغَوَّرَ مَاءُ زَمْزَمَ وَأَكْتَبِمَ، فلما أخرج الله جُزْهُمَ مِنْ مَكَّةَ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرُهَا عَمَدُ الْحَرُثِ بن مِضَاضِ الْأَضْعَرُّ إِلَى مَا كَانَ عَنْده

(١) الفئج: الكلام والجود.

من مالِ الكعبة، وفيه غَزَالَانِ من ذَهَبٍ وأَسْيَافٍ قَلْعِيَّةٌ^(١) كان سَاسَانُ مَلِكُ الْفُرْسِ قد أهداها إلى الكعبة، وقيل: سابور، وقد قَدَمْنَا أن الأولَّ من مُلُوكِ الْفُرْسِ كانت تحجُّجها إلى عهدِ سَاسَانٍ، أو سابور، فلما علم ابن مِضَاضٍ أنه مُخْرَجٌ منها، جاء تحت جُنُحِ اللَّيْلِ حتى دَفَنَ ذلك في رَمَزَمٍ، وعَفَى عليها، ولم تَزَلْ دَارِسَةً عَافِيَا أثرها، حتى آنَ مولدُ الْمُبَارِكِ الذي كان يُسْتَسْقَى بِوَجْهِهِ عَيْنُ السَّمَاءِ وَتَتَفَجَّرُ من بَنَانِهِ يَنَابِيعُ الْمَاءِ، صَاحِبِ الْكُوْثَرِ وَالْحَوْضِ الرَّوَّاءِ، فلما آنَ ظُهُورُهُ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى لِسُقْيَا أَبِيهِ أن تَظْهَرَ، ولَمَّا انْدَقَّنَ من مَائِهَا أن تُجْتَهَرَ^(٢)، فكان - ﷺ - قد سَقَتِ النَّاسَ بَرَكَتُهُ قَبْلَ أن يُولَدَ وسُقُوا بدعوته، وهو طِفْلٌ حين أُجْدِبَتْ البلد، وذلك حين خَرَجَ به جَدُّهُ مُسْتَسْقِيَا لُقْرِيش^(٣)، وسيأتي بيان ذلك - فيما بعد إن شاء اللهُ - وَسُقِيَتِ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا غُيُوثُ السَّمَاءِ في حَيَاتِهِ الْفَيْنَةِ بعد الْفَيْنَةِ، وَالْمَرَّةُ بعد المَرَّةِ، وتارة بدعائه، وتارة من بَنَانِهِ، وتارة بِإِلْقَاءِ سَهْمِهِ، ثم بعد موته - عليه السلام - اسْتَشْفَعَ عُمَرُ بَعْمَهُ - رضي اللهُ عنهما - عَامَ الرَّمَادَةِ^(٤).

وأقسم عليه به وبنبيه^(٥)، فلم يَبْرَحْ، حتى قَلَصُوا لِمَازَرٍ، وَاغْتَلَقُوا الْجِذَاءَ، وخاضوا الغُذْرَانَ، وَسَمِعَتِ الرَّفَاقُ الْمَقْبَلَةُ إلى المدينة في ذلك اليوم صَائِحًا يَصِيحُ في السَّحَابِ: أَتَاكَ الْغُوثُ أَبَا حَفْصٍ، أَتَاكَ الْغُوثُ أَبَا حَفْصٍ^(٥)، كل هذا ببركة الْمُتَّبَعَتِ بِالرَّحْمَتَيْنِ، والداعي إلى الحَيَاتَيْنِ الْمَوْعُودَ بِهِمَا على يَدَيْهِ في الدارين - ﷺ - صلاة تصعد وَلَا تَنْفَدُ، وتُصَلُّ وَلَا تَفْصِلُ، وتُقِيمُ، وَلَا تَرِيمُ^(٦)، إنه مُنْعِمٌ كَرِيمٌ.

أَسْمَاءُ زَمَزَمَ:

فصل: فَارَى عَبْدُ الْمَطْلَبِ في منامِهِ: أن اخْفِرَ طَبِيبَةً، فَسُمِّيَتْ طَبِيبَةً، لأنها للطبَّيِّينِ والطبَّيَّاتِ من ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وقيل له: اخْفِرْ بَرَّةً، وهو اسم صادق عليها أيضًا، لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجار، وقيل له: اخْفِرْ الْمَضْثُونَةَ. قال وهب بن مُثَبَّةٍ: سُمِّيَتْ زَمَزَمَ: الْمَضْثُونَةُ لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يَتَضَلَّعُ منها

(١) قلعية: نسبة لقلعة بالهند.

(٢) تجتهر: أي تترج وتنفق.

(٣) لا صحة لهذه القصة ولا حاجة لنا إلى المغالاة وكفاه ﷺ تشريف رب السموات والأرض باصطفائه نبيًا رسولاً إلى الثقلين - ﷺ - ..

(٤) انظر استسقاء عمر بالمطلب رضي الله عنهما عند البخاري في الاستسقاء (٣) وقضائل الصحابة (١١).

(٥) لا صحة لما قال رحمه الله تعالى، وانظر الحدث في موضعه المشار إليه آنفاً.

(٦) تريم: تنقص.

منافق، وروى الدارقطني ما يقوي ذلك مُسنِّداً عن النبي - ﷺ -: «مَنْ شَرِبَ مِنْ زَمْزٍ فَلَيْتَ ضَلَّعٌ»^(١)، فإنه فَرَّقَ ما بيننا وبين المنافقين، لا يستطيعون أَنْ يَتَضَلَّعُوا مِنْهَا»^(٢)، أو كما قال. وفي تسميتها بِالْمَضْنُونَةِ روايةٌ أخرى، رواها الزبيرُ: أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قِيلَ لَهُ: اخْفِرِ الْمَضْنُونَةَ ضَنَنْتَ بِهَا عَلَى النَّاسِ إِلَّا عَلَيْكَ، أو كما قال.

العلامات التي رآها عبد المطلب وتأويلها:

وَدُلَّ عَلَيْهَا بِعَلَامَاتٍ ثَلَاثٍ: بِثُقْرَةِ الْغُرَابِ الْأَغْصَمِ^(٣)، وَأَنَّهَا بَيْنَ الْفَرْثِ^(٤) وَالدَّمِ، وَعِنْدَ قَرِيَةِ النَّمْلِ، وَيُرَوَّى أَنَّهُ لَمَّا قَامَ لِيَخْفِزَهَا رَأَى مَا رُسِمَ مِنْ قَرِيَةِ النَّمْلِ وَثُقْرَةِ الْغُرَابِ، وَلَمْ يَرِ الْفَرْثَ وَالدَّمِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ تَدَّتْ بِثُقْرَةٍ بِجَارِهَا، فَلَمْ يُذْرِكْهَا؛ حَتَّى دَخَلَتْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَتَحَرَّهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي رُسِمَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَسَالَ هُنَاكَ الْفَرْثُ وَالدَّمُ، فَحَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَيْثُ رُسِمَ لَهُ.

وَلَمْ تَخْصُ هَذِهِ الْعَلَامَاتُ الثَّلَاثُ بِأَنْ تَكُونَ دَلِيلًا عَلَيْهَا إِلَّا لِحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَفَائِدَةِ مُشَاكِلَةِ فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ، وَالتَّوَسُّمِ الصَّادِقِ لِمَعْنَى زَمْزٍ وَمَائِهَا. أَمَّا الْفَرْثُ وَالدَّمُ، فَإِنَّ مَاءَهَا طَعَامٌ طَعْمٌ، وَشِفَاءٌ سَقْمٌ^(٥)، وَهِيَ لَمَّا شَرِبْتَ لَهُ^(٦)، وَقَدْ تَقَوَّتْ مِنْ مَائِهَا أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ثَلَاثِينَ بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَسَمِنَ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنُقُهُ^(٧)، [وَمَا وَجَدَ عَلَى كَبِدِهِ سَخْفَةً^(٨) جَوْعًا]^(٩) فَهِيَ إِذَا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي اللَّبَنِ: إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ اللَّبْنَ، فَلْيَقِلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَسُدُّ مَسَدَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ^(١٠)، وَقَدْ

(١) تَضَلَّعَ: شَبَّعَ وَرَى.

(٢) «حسن». أخرجه الدارقطني (٢/٢٨٨ - بتحقيقي) وابن ماجه (٣٠٦١). في الزوائد: هذا إسناد صحيح. رجاله موثقون.

(٣) الأعصم: الذي في جناحيه بياض.

(٤) الفرث: الفاء والراء والياء أصيل يدل على شيء فتفتت. يقال فرث كبده: فثها. والفرث: ما في الكرش: ويقال على معنى الاستعارة: أفرث فلان أصحابه، إذا سعى بهم وألقاهم في بليّة. مقاييس اللغة (٤/٤٩٨).

(٥) ماءها طعام طعم وشفاء سقم: معنى حديث لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وتقدم تخريجه.

(٦) «ماء زمزم لما شرب له» حديث أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢) وأحمد (٣/٣٥٧) والبيهقي (٥/٢٠٢) والحاكم (١/٣٧٣) والدارقطني (٢/٢٨٩ - بتحقيقي). والحديث «حسن».

(٧) العكن: الطي الذي في البطن من السمن. (٨) السخفة: الهزال.

(٩) «صحيح». أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (١٣٢) وأحمد (٥/١٧٥).

(١٠) «حسن». أخرجه أبو داود (٣٧٣٠) بتحقيقي والترمذي (٣٤٥١) وأحمد (١/٢٢٥) وانظر: «زبدة»

قال الله تعالى في اللبن: ﴿مِنْ بَيْنِ قَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].
فظهرت هذه السُّفيا المباركة بين القَرْثِ والدَّم، وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها.

وأما قوله: الغَرَابُ الأعصم، قال القُتَيْبِيُّ: الأعصم من الغريبان الذي في جناحيه بَيَاضٌ، وَحَمَلٌ على أبي عبيد لقوله في شرح الحديث: الأعصم الذي في يديه بياض، وقال: كيف يكون للغراب يَدَانِ؟ وإنما أراد أبو عُبَيْدٍ أن هذا الوصف لذوات الأزبع، ولذلك قال: إن هذا الوصف في الغريبان عزيز، وكأنه ذهب إلى الذي أراد ابنُ قُتَيْبَةَ من بياض الجناحين، ولولا ذلك لقال: إنه في الغريبان مُحال لا يتصور. وفي مُسْنَدِ ابنِ أَبِي شَيْبَةَ من طريق أبي أَمَامَةَ عن النبي - ﷺ - ما يُغني عن قوليهما، وفيه الشفاء: أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «المرأة الصالحة في النساءِ كالغرابِ الأعصم». قيل: يا رسول الله، وما الغَرَابُ الأعصم؟ قال: «الذي إحدى رجليه بَيَضاء»^(١). فالغراب في التأويل: فاسق، وهو أسود، فَذَلَّتْ نُقْرَتُهُ عند الكعبة على نُقْرَةِ الْأَسْوَدِ الْحَبَشِيِّ بِمَعْذَرَةٍ في أساس الكعبة يَهْدِمُهَا في آخر الزمان، فكان نُقْرُ الغرابِ في ذلك المكان يُؤذَنُ بما يفعله الفاسقُ الأسودُ في آخر الزمان بِقَبْلَةِ الرَّحْمَنِ، وسُقيا أهل الإيمان، وذلك عندما يُرفع القرآن، وتحيا عبادة الأوثان، وفي الصحيح عن رسول الله - ﷺ -: «لِيُخْرِبَنَّ الكعبة ذُو السُّوَيْفَتَيْنِ مِنَ الحَبْشَةِ»^(٢). وفي الصحيح أيضًا من صفته: أنه [أسود] أَفْحَجٌ، [يقلعها حجرًا حَجَرًا] وهذا أيضًا ينظر إلى كون الغرابِ أعصم؛ إذ أَفْحَجٌ: تَبَاعَدٌ في الرُّجْلَيْنِ، كما أن العَصَمَ اختلافٌ فيهما، والاختلافُ: تَبَاعَدٌ وقد عُرِفَ بِذِي السُّوَيْفَتَيْنِ، كما نُعت الغرابُ بصفة في ساقيه، فتأملُهُ، وهذا من خَفِيِّ علم التأويل، لأنها كانت رُؤْيَا، وإن شِئْتَ: كان من باب الرُّجْرِ والتَّوَسُّمِ الصَّادِقِ والاعتبار والتفكير في معالم حكمة - الله تعالى - فهذا سعيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، وهو مَنْ هُوَ عِلْمًا وَوَرَعًا حِينَ حَدَّثَ بحديث البثر في البستان، وأن رسول الله - ﷺ - قعد على قُفِّهَا^(٣)، وَذَلَّى رجله فيها، ثم جاء أبو بكر - رضي الله عنه - ففعل مثل ذلك، ثم جاء عمرُ - رضي الله عنه - ففعل مثل ذلك، ثم جاء عثمانُ، فائْتَبَذَ منهم ناحية؛ وَقَعَدَ حَجْرَةً^(٤). قال سعيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: فأولَّتْ ذلك قبورهم، اجتمعت قبورُ الثلاثة، وانفرد قبرُ عثمان - رضي الله عنه^(٥) - والله سبحانه

= اللبن للسيطوي.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٣/٧).

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري في الحج (٤٧) ومسلم في الفتن (٥٧/٥٨/٥٩) وأحمد (٢٢٠/٢).

(٣) القُفُّ: الدكة حول البثر. (٤) حجرة: ناحية.

(٥) انظر الأمر باستفاضة الكتاب القيم لابن القيم رحمه الله تعالى «الطرق الحكيمة».

يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]. فهذا من التَّوَسُّمِ والفِرَاسَةِ الصادقة، وإعمالِ الفكرِ في دلائلِ الحكمة، واستنباطِ القوائدِ اللطيفة من إشاراتِ الشريعة. وأما قريةُ النمل، ففيها من المُشَاكَلَةِ أيضًا، والمناسبة: أن زَمَزَمَ هي عينُ مَكَّةَ التي يَرُدُّها الحجاجُ والعمَّارُ من كل جانب، فيحملون إليها البُرَّ والشَّعِيرَ، وغير ذلك وهي لا تحرث ولا تَزْرَعُ، كما قال سبحانه خيرًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِهَا بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾. إلى قوله: ﴿وَأَزْرَقْنَاهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وقرية النمل لا تحرث ولا تَبْدُرُ، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب، وفي مَكَّةَ قال الله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢]. مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماءَ في الْحَوْضِ: إذا جمعته، والرُّؤْيَا تُعَبِّرُ على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى، فقد اجتمع اللفظُ والمعنى في هذا التأويل - والله أعلم^(١).

من صفات زمزم:

وقد قيل لعبد المطلب في صفة زَمَزَمَ: لا تَنْزِفُ^(٢) أبدًا، ولا تُذِّمُ، وهذا بُرْهَانٌ عظيم، لأنها لم تَنْزِفْ من ذلك الحين إلى اليوم قط، وقد وقع فيها حَبَشِيٌّ فَتَزَحَّتْ من أجله، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين، أقواها وأكثرها ماء: من ناحية الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وذكر هذا الحديث الدَّارِقُطْنِيُّ.

وقوله: ولا تُذِّمُ، فيه نظْرٌ، وليس هو على ما يَبْدُو من ظاهر اللفظ من أنها لا يَذْمُها أحدٌ، ولو كان من الذَّمِّ لكان مأوَّها أعذب المياه، وَلَتَضَلَّعَ منه كُلُّ مَنْ يشرُّه، وقد تقدَّم في الحديث أنه لا يَتَضَلَّعُ منها منافقٌ، فمأوَّها إذا مَذْمُومٌ عندهم، وقد كان خالدُ بن عبد الله الْقَسْرِيُّ أميرُ العراق يذمُّها، ويسمِّيها: أُمُ جِفْلَانَ^(٣)، واحتفر بئرًا خارجَ مكة باسم الوليد بن عبد الملك، وجعل يُفَضِّلُها على زَمَزَمَ، ويحمل الناس على التبرُّك بها دون زَمَزَمَ جُرْأَةً منه على الله - عزَّ وجلَّ - وقلة حياء منه، وهو الذي يُغْلَن ويَفْصَح بلعن علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - على المنبر^(٤)، وإنما ذكرنا هذا، أنها قد ذُمَّت، فقوله إذا: لا تُذِّمُ من قول العرب: بئر ذَمَّة أي: قليلة الماء، فهو من أذَمَّت البئر إذا وجدتهَا ذَمَّةً: كما تقول: أَجَبْتُ الرجل: إذا وجدته جبانًا، وأَكْذَبْتُهُ إذا وجدته كاذبًا، وفي التنزيل: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا

(١) تأويل طيب ومقبول. ورحم الله السهيلي. (٢) لا تنزف: أي لا تنزع.

(٣) الجعل: دابة سوداء صغيرة من دواب الأرض. (٤) كلام يحتاج إلى دليل «صحيح» يعتضده.

قال ابن إسحاق: فلما بُيِّنَ له شأنها، ودُلَّ على موضعها، وعَرَفَ أنه قد صَدِيق، عَدَا بِمَعْنَاهُ ومعه ابنُه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولدٌ غيره فَحَقَرَ فيها. فلما بدا لعبد المطلب الطُّي، كَبَّرَ، فعرفت قريشُ أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئرُ آبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقًّا فأشْرِكْنَا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِّصْتُ به دونكم، وأُعْطِيتِه من بينكم، فقالوا له: فأنصفنا، فإنَّا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سَعْد هُذَيْم، قال: نعم، قال: وكانت بأشْراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نَفَرٌ من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كلِّ قبيلة من قريش

يُكَذِّبُونَكَ ولكن الظالمين بآيات الله يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣] وقد فَسَّرَ أبو عبيد في غريب الحديث قوله: حتى مررنا ببئر دُمَّة. وأنشد:

مُخَيِّسَةٌ ^(١) خَزْرًا ^(٢) كَانَ عِيُونَهَا ذِمَامُ الرُّكَايَا ^(٣) أَنْكَزَتْهَا المَوَاتِحُ ^(٤)

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله. ولا تُدْم؛ لأنه نفي مطلق، وخبر صادق والله أعلم - وحديث البئر الدُمَّة التي ذكرها أبو عُبَيْد، حَدَّثَنَا به أبو بكر بن العربي الحافظ، قال: أخبرنا القاضي أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خَلَاد قال: حَدَّثَنَا الحُرْث بن أبي أسامة. قال: حَدَّثَنَا أبو النضر، قال: حَدَّثَنَا سليمان عن حُمَيْدٍ عن يونس عن الْبَرَاءِ قال: كُنَّا مع رسول الله - ﷺ - في مَسِيرٍ فَأَتَيْنَا عَلَى رَكِيٍّ دُمَّة، يعني: قليلة الماء، قال: فنزل فيها سِتَّةً - أنا سَادِسُهُمْ - مَاحَةً ^(٥)، فَأَذْلَيْتُ إِلَيْنَا دَلْوً، قال: ورسول الله - ﷺ - على الرُّكِي، فجعلنا فيها نصفها، أو قريب ثُلُثَيْهَا، فرفعت إلى رسول الله - ﷺ - قال: ففجئت بإنائي. هل أجد شيئاً أجعله في حلقي، فما وجدته، فَرُفِعَتِ الدَّلْوُ إِلَى رسول الله - ﷺ - فَعَمَسَ يده فيها، فقال ما شاء الله أن يقول - قال: فَأَعِيدَتِ إِلَيْنَا الدَّلْوُ بما فيها، قال: فلقد رأيت أحدنا أُخْرِجَ بثوب خَشْيَةِ الغَرَق. قال: ثم ساحت، يعني: جَرَتْ نَهْرًا ^(٦).

(١) مخيسة: الإبل المخيسة هي التي لم تسرح.

(٢) خَزْرًا: الخزر هو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها.

(٣) الركايا: جمع ركية وهي البئر.

(٤) المواتح: جمع متح وهو المستقى.

(٥) ماحة: قليلة الماء.

(٦) «صحيح». أخرجه مسلم في التوبة. حديث رقم (٥٩) بنحوه مختصراً وانظر غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٤١٢ - ٤١٣) (٢/ ٣٤٠).

نَقَرَ. قال: والأَرْضُ إذ ذاك مَفَاوِز. قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المَفَاوِز بين الحجاز والشام، فَبَنَى ماء عبد المطلب وأصحابه، فظلموا حتى أيقنوا بِالْهَلَكَةِ، فاستسَقَوْا مِنْ معهم مِنْ قبائل قُرَيْش، فأَبَوْا عليهم، وقالوا: إِنَّا بِمَفَاوِزَ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القومُ، وما يتخوَّف على نفسه وأصحابه، قال: ماذا تَرَوْنَ؟ قالوا: ما رأينا إِلَّا تَبَعٌ لِرَأْيِكَ، فمُرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحْفِرَ كُلُّ رجلٍ منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوَّة - فكلَّمَا مات رجل دَفَعَهُ أصحابُهُ في حُفْرَتِهِ ثم وازَّوهُ - حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فَضَبِعَةُ رجل واحد أيسر من ضَبِعَةِ ركب جميعاً، قالوا: نَعَمْ ما أمرت به. فقام كُلُّ واحد منهم فحفر حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلْقَاءَنَا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا، لَعَجْزُ، فعسى الله أن يَرْزُقَنَا ماءً ببعض البلاد، ازْتَجَلُوا، فارتحلوا حتى إذا قَرَعُوا، وَمِنْ معهم مِنْ قبائل قُرَيْش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدَّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها. فلما انبعثت به، انفجرت من تحتها خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكَبَّر أصحابه، ثم نزل فشَرِبَ، وشَرِب أصحابُهُ، واستسَقَوْا حتى ملؤوا أَسْقِيَتِهِمْ، ثم دعا القبائل من قُرَيْش، فقال: هَلُمُّوا إِلَى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستسقوا، فجاءوا، فشربوا واستسَقَوْا. ثم قالوا: قد - والله - قُضِيَ لكَ علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في رَمَزَم أَبَداً، إن الذي سقاكَ هذا الماء بهذه الفَلَاة لهو الذي سقاكَ زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلَّوْا بينه وبينها.

اشتقاق مفازة:

وذكر حديث عبد المطلب في مسيره مع قريش إلى الكاهنة، وذكر المَفَاوِز التي عطشوا فيها. المَفَاوِز: جمع مَفَاوِزَ، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال. رُوِيَ عن الأَضْمَعِيِّ أنها سُمِّيَتْ مَفَاوِزَ على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة، ويُذَكَّر عن ابن الأعرابي أنه قال: سألت أبا المكارم: لِمَ سُمِّيَتْ الفَلَاةُ مفازة؟ فقال: لأن راکبها إذا قطعها وجاوزها فاز. وقال بعضهم: معناها: مَهْلِكَةٌ لأنه يقال: فاز الرجل، وقَوَّزَ وقَاذَ وقَطَّسَ: إذا هلك. وذكر في غير رواية علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - ثم ادع بالماء الرَوِّي غير الكَدَرِ يقال: ماء رَوِّي بالكسر والقصر، وزَّوَاءَ بالفتح والمد وفيه:

الجمع واسم الجمع:

يُسْقَى حَجِيجُ الله في كل مَبَرٍّ. الحجيج: جمع حاج. وفي الجموع على وزن فَعِيل كثير كَالْعَبِيدِ وَالْبَقِيرِ وَالْمَعِيزِ وَالْأَبِيلِ!! وأحسبه اسماً للجمع؛ لأنه لو كان جمعاً له واحد من

قال ابن إسحاق: فهذا الذي بلغني من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم، وقد سمعتُ مَنْ يُحَدِّثُ عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمِرَ بِحَفْرِ زَمَزَمَ:

ثُمَّ اذْعُ بِالْمَاءِ الرُّوِّيِّ غَيْرَ الْكَدْرِ يَسْقِي حَجِيجَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَبَرٍّ
لَيْسَ يُخَافُ مِنْهُ شَيْءٌ مَا عَمَرَ

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال: تعلّموا أني قد أُمِرْتُ أَنْ أُحْفِرَ لَكُمْ زَمَزَمَ، فَقَالُوا: فَهَلْ بَيَّنَّ لَكَ أَيْنَ هِيَ؟ قَالَ: لَا. قَالُوا فَارْجِعْ إِلَى مَضْجَعِكَ الَّذِي رَأَيْتَ فِيهِ مَا رَأَيْتَ، فَإِنْ يَكُ حَقًّا مِنْ اللَّهِ يُبَيِّنْ لَكَ، وَإِنْ يَكُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلَنْ يَعُودَ إِلَيْكَ. فَارْجِعْ عَبْدُ الْمَطْلِبِ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَنَامَ فِيهِ، فَاتَى فَقِيلَ لَهُ: اخْفِرْ زَمَزَمَ، إِنَّكَ إِنْ حَفَرْتَهَا لَمْ تَنْدَمْ، وَهِيَ تَرَاثُ مِنْ أَبِيكَ الْأَعْظَمَ، لَا تَنْزِفْ أَبَدًا وَلَا تُذَمِّمْ، تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ، مِثْلَ نَعَامِ جَافِلٍ لَمْ يُقَسِّمْ، يَنْذِرُ فِيهَا نَازِرًا لِمُنْعِمٍ، تَكُونُ مِيرَاثًا وَعَقْدًا مُحْكَمًا، لَيْسَتْ كِبَعُضٌ مَا قَدْ تَعْلَمُ، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرَثِ وَالْدَمِ.

قال ابن هشام: هذا الكلام، والكلام الذي قبله، من حديث علي في حفر زمزم من قوله: «لَا تَنْزِفْ أَبَدًا وَلَا تُذَمِّمْ» إلى قوله: «عند قرية النمل» عندنا سجع وليس شعرا.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين قيل له ذلك، قال: وأين هي؟ قيل له عند قرية النمل، حيث ينقر الغراب غداً. والله أعلم أي ذلك كان.

فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذ ولدٌ غيره، فوجد قرية النمل، ووجد الغراب ينقر عندها. بين الوثنتين: إساف وناثلة، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها. فجاء بِالْمَغُولِ وقام ليحفِرَ حيث أُمِرَ، فقامت إليه قريش حين رأوا جَدَّهُ،

لفظه، لجرى على قياس واحد كسائر الجموع، وهذا يختلف واحده فحجيج واحده: حاج، وعبيد واحده: عبْدٌ، وبقير واحده: بقرة، [ومعيز: واحده: مَاعِزٌ] إلى غير ذلك، فجائز أن يقال: إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة؛ ولذلك لَا يُصَغَّرُ على لفظه، كما تصغر أسماء الجموع، فلا يقال في العبيد: عُبيدٌ، ولا في النخيل: نُخَيْلٌ، بل يرد إلى واحده، كما ترد الجموع في التصغير، يقال: نُخَيْلَاتٌ وَعُبيدُونَ، وإذا قلت: نخيل أو عبيد، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس، قال الله سبحانه: ﴿وَزَرَعُوا نَخِيلًا﴾ وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] وحين ذكر المخاطبين منهم قال: العباد، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ [ق: ١٠] وقال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فتأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام، وأما في مذهب أهل اللغة، فلم يفرقوا هذا التفريق، ولا نبهوا على هذا الغرض الدقيق.

فقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وثئينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه الحارث: دُذ عني حتى أحفر، فوالله لأمضينَ لِمَا أُمِرت به. فلما عرفوا أنه نازع خلّوا بينه وبين الحُفْر، وكفّوا عنه، فلم يَخْفِرْ إلا يسيرًا، حتى بدا له الطُّي، فكَبُر وعرف أنه قد صُدِق فلما تمادى به الحفرُ وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دَفنت جُزُؤُهُم فيها حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافاً قَلْعِيَّةً وأدراعًا فقالت له قريش يا عبدَ المطلب، لنا معك في هذا شِرْكٌ وحق، قال: لا، ولكن هَلُمَّ إلى أمرٍ نَصِفَ بيتي وبينكم، نضرب عليها بالقِداح، قالوا: وكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قِدْحين، ولي قِدْحين، ولكم قِدْحين، فَمَنْ خرج له قِدْحاه على شيء كان له، وَمَنْ تخَلَّف قِدْحاه فلا شيء له قالوا: أنصفت، فجعل قِدْحين أصفرين للكعبة، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب، وقِدْحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا صاحبَ القِداح الذي يضرب بها عند هُبَل - وهُبَل: صنم في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم، وهو الذي يَغني أبو سفيان بن حَرْب يوم أُحُد حين قال: أغلِ هُبَل أي: أظهر دينك - وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزَّ وجلَّ، فضرب صاحبُ القِداح، فخرج الأصفران على الغَزَالَيْنِ للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف، والأدراعُ لعبد المطلب، وتخلَّف قِدْحاه قُريش. فضرب عبد المطلب الأسياف

شروح:

وقوله: في كل مَبَرٍ: هو مَفْعَلٌ من أَلَبَرٍ، يريد: في مناسك الحج ومواضع الطاعة.

وقوله: مثل نعام جافل لم يقسم. الجافل: من جَفَلَت الغنم: إذا انقلعت بجملتها، ولم يَقْسَم أي: لم يَتَوَزَّع، ولم يَتَفَرَّق.

وقوله: ليس يخَاف منه شيءٌ ما عَمَر. أي: ما عمر هذا الماء، فإنه لا يؤذي، ولا يُخَاف منه ما يُخَاف من المياه إذا أفرط في شربها، بل هو بركة على كل حال، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله: لا تَتَزَف، ولا تُذَم عاقبة شربها، وهذا تأويلٌ سائغٌ أيضًا على ما قدّمناه من التأويل، وكلاهما صحيح في صفتها.

وقوله: وضرب [في الباب] الغزالين حلية الكعبة، وهو أول ذهبٍ حُلِيَتْ به الكعبة، وقد قَدّمنا ذكر الغزالين، وَمَنْ أهداهما إلى الكعبة، وَمَنْ دفنهما من جُزُؤِهِم، وتقدم أن أول مَنْ كسا الكعبة: ثُبُع، وأنه أول مَنْ اتخذ لها عََلَقًا إلى أن ضرب لها عبدُ المطلب بابَ حديد من تلك الأسياف، واتخذ عبدُ المطلب حوضًا لمزمز يُسْقَى منه، فكان يُحَرَّبُ له بالليل حَسَدًا له، فلما غَمَّه ذلك قيل له في النوم: قل: لا أحلّها لمغتسل، وهي لشاربٍ جُلٌّ وِبَلٌّ وقد كُفَيْتُم، فلما أصبح قال ذلك، فكان بعدُ مَنْ أرادها بمكروه رُمي بداء في جَسَدِهِ، حتى انتهوا عنه. ذكره الزهري في سيره.

بابًا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أول ذهب حُلِيَتْهُ الكعبة - فيما يزعمون - ثم إن عبد المطلب أقام سِقَاية زمزم للحجاج.

ذكر بئار قبائل قريش بمكة

قال ابن هشام: وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارًا بمكة، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي^(١) عن محمد بن إسحق، قال:

حفر عبد شمس بن عبد مناف الطويي، وهي البئر التي بأعلى مكة عند البَيْضَاء، دار محمد بن يوسف.

وحفر هاشم بن عبد مناف بئر، وهي البئر التي عند المُسْتَنْدَرِ، حَطَمَ الخَنْدَمَةُ على فم شُعْب أبي طالب، وزعموا أنه قال حين حَفَرَهَا: لأجعلُهَا بَلَاغًا للناس.

قال ابن هشام: وقال الشاعر:

سقى الله أمواها عرفت مكانها جُرَابًا وَمَلَكُومًا وَبَدْرًا وَالْعَمْرَا

قال ابن إسحق: وحفر سَجَلَةَ، وهي بئر المُطْعِمِ بن عَدِي بن نُوْفَل بن عبد مناف التي يَسْقُونَ عليها اليوم. ويزعم بنو نوفل أن المُطْعِمِ ابتاعها من أسد بن هاشم، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم، فاستغنوا بها عن تلك الآبار.

بئار قريش بمكة

وقوله: وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئارًا بمكة. ذكروا أن قصيًا كان يسقي الحَجِيجَ في حياض من آدم، وكان ينقل الماء إليها من آبارٍ خارجة من مكة منها: بئر مَيْمُون الحَضْرَمِيِّ، وكان يَنْبِذُ لهم الزبيب، ثم احتفر قُصَي العَجُولُ في دار أم هانئ بنت أبي طالب، وهي أول سِقَاية اخْتَفَرَتْ بمكة^(٢)، وكنت العرب إذا استَقَوْا منها اِزْتَجَرُوا، فقالوا:

نُرْزَى على العَجُولِ، ثم ننطليق إن قُصَيًا قد وقى وقد صدق

[بِشْبَعِ الْحَجِ وَرِي مُغْتَبِقِ]^(٣)

(١) تقدمت ترجمته غير مرة وبيان ضعفه.

(٢) وقيل كما في المراسد: أن العجول هي أول بئر حفرت بمكة.

(٣) غبق: الغين والباء والقاف كلمة واحدة وهي: الغبوق: شرب العشي. يقال: غبقت القوم غبقًا. واغتبقت اغتباقًا. مقياس اللغة (٤/٤١١).

وحفر أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ الْحَفَرَ لِنَفْسِهِ، وحفرت بنو أسد بن عبد العزى: سُقْيَةُ، وهي بئر بني أسد. وحفرت بنو عبد الدار: أُمُّ أَخْرَاد. وحفرت بنو جُمَح: السُّنْبَلَةُ، وهي بئر خَلْفِ بْنِ وَهَب. وحفرت بنو سَهْم: العَمْرُ، وهي بئر بني سَهْم، وكانت آبار حفائر خارجاً من مكَّة قديمة من عهد مُرَّةَ بْنِ كَعْب، وكِلَابِ بْنِ مُرَّة، وكُتَبَاءِ قَرِيش الأوائل منها يَشْرَبُونَ، وهي رَم، ورَم: بئر مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ. وَخَمٌ، وَخَمٌ. بئر بني كِلَابِ بْنِ مُرَّة، والحَفْرُ. قال حُذَيْفَةُ بْنُ غَانَمٍ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ:

قال ابن هشام: وهو أبو أبي جَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ:

وَقَدْ مَّا غَنَيْنَا قَبْلَ ذَلِكَ حَقْبَةً وَلَا نَسْتَقِي إِلَّا بِخُمٍ^(١) أَوْ الْحَفْرِ^(٢)

فلم تزل العَجُولُ قائمةً حياةً قُصِيٍّ، وبعد موته، حتى كَبِرَ عَبْدُ مَنْفٍ بْنُ قُصَيٍّ، فسقط فيها رجلٌ من بني جُعَيْلٍ، فَعَطَّلُوا الْعَجُولَ، واندفت، وَاخْتَفَرَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بَثْرًا، واحتفر قُصَيٌّ سَجْلَةً، وقال حين حفرها:

أَنَا قُصَيٌّ، وحفرت سَجْلَةً تُرْوِي الْحَجِيجَ زُغْلَةً^(٣) فَرُغْلَةً
وقيل: بل حفرها هاشم، ووهبها أسد بن هاشم لَعَدِيٍّ بْنِ نُوْفَلٍ، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم:

نَحْنُ وَهَبْنَا لَعَدِيٍّ سَجْلَةً تُرْوِي الْحَجِيجَ زُغْلَةً فَرُغْلَةً
وأما أم أحراد التي ذكرها، فأحراد: جمع: حَزْد، وهي قطعة من السَّامِ^(٤)، فكانها سُمِّيَتْ بهذا، لأنها تُنْبِتُ الشَّحْمَ، أو تُسَمِّنُ الْإِبِلَ، أو نحو هذا والحَزْد: القَطْعُ الْوَارِدُ لِلْمَاءِ، فكانها تَرُدُّهَا الْقَطَا وَالطَّيْرُ، فيكون أحراد جمع: حَزْدٌ بِالضَّمِّ عَلَى هَذَا. وقالت أُمَيَّةُ بِنْتُ عَمَيْلَةَ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ امْرَأَةُ الْعَوَّامِ بْنِ حُوَيْلِدٍ حِينَ حَفَرَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ أُمَّ أَحْرَاد:

نَحْنُ حَفَرْنَا الْبَحْرَ أُمَّ أَحْرَادٍ لَيْسَتْ كَبْدَرُ الْبُرُورِ الْجَمَادِ
فَأَجَابَتْهَا ضَرَّتُهَا: صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أُمُ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
نَحْنُ حَفَرْنَا بَلْدًا نَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَكْبَرِ
مِنْ مُقْبَلٍ وَمُذْبِزٍ وَأَمَّ أَخْرَادَ شَمَزِ

(١) خم: أي مُتَقَى.

(٣) زغلة: الزاء والغين واللام أصل يدل على رضاع ورَقَّ وما أشبهه. السابق (٣/ ١٢-١٣).

(٤) حرد: أي المنحاة أو المقصودة. الحاء والراء والدال أصول ثلاثة: القصد والغضب والتنخي. السابق (٥١/٢).

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

قال ابن إسحاق: فعثت زمزم على البئر التي كانت قبلها يسقي عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام؛ ولفضلها على ما سواها من المياه؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، واقتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها، وعلى سائر العرب، فقال مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والزفافة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبزمزم حين ظهرت لهم، وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد، شرف بعضهم بعض شرف، وفضل بعضهم لبعض فضل:

وَرِثْنَا الْمَجْدَ مِنْ آبَا إِنَّا فَنَمَى بِنَا صُعْدَا

وأما جُراب، فيحتمل أن يكون بمعنى: جَرِب^(١) نحو: كبار وكبير، والجريب: الوادي، والجَرِبُ أيضًا: مِكْيَالٌ كبير، والجريب أيضًا: المزرعة.

وأما مَلْكُوم فهو عندي مقلوب^(٢)، والأصل: مَمْكُوم من: مَكَلْتُ البئر: إذا استخرجت ماءها، والمَكَلَّة: ماء الرُّكِيَّة، وقد قالوا: بئر عَمِيقَة، ومَعِيقَة، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه: مَمْكُوم ومَلْكُوم، والمَلْكُوم في اللغة: المظلوم إذا لم يكن مقلوبًا.

وأما بَدْر فمن التبذير، وهو التفريق، ولعل ماءها كان يخرج متفرقًا من غير مكان واحد، وهذا البناء في الأسماء قليل، نحو: شَلَمٌ وَخَضَمٌ وَبَذَرٌ، وهي أسماء أعلام، وشَلَمٌ: اسم بيت المقدس، وأما في غير الأعلام، فلا يعرف إلا البَقَم، ولعل أصله أن يكون أعجميًا، فعرب.

وأما حُمّ وهي بئر مرة، فهي من حَمَمْتُ البيت إذا كنسته، ويقال: فلان مَحْمُوم القلب أي: نَقِيه، فكانها سُمِّيت بذلك لنقاها.

وأما غَدِيرُ حُمْت الذي عند الجُحَفَة، فسُمِّيت بَعِيْضَة عنده، يقال لها: حُمّ فيما ذكروا. وأما رَمّ بئر بني كلاب بن مُرّة، فمن رَمَمْتُ الشيء إذا جَمَعْتَهُ وأضَلَحْتَهُ، ومنه الحديث: كنا أهل ثَمَّةٍ وَرُمَّةٍ^(٣)، ومنه: الرُّمَّان في قول سيبويه، لأنه عنده فُعْلَانٌ، وأما الأَخْفَشُ فيقول فيه: فُعَالٌ، فيجعل فيه الثَّوْنَ أَصْلِيَّةً، ويقول: إن سَمِّيت به رجلاً صَرَفْتَهُ. ومن قول

(١) الجريب: المقدار من الطعام وغيره.

(٢) مَلْكُوم: اسم ماء بمكة شرفها الله تعالى. اللسان (١٢/٥٤٧).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٥٦٣).

أَلَمْ نَسْقِ الْحَجِيجَ وَنُنَدِّ حَرُّ الدَّلَافَةِ الرَّفْدَا

عبد شمس بن قُصَيٍّ:

حَفَرْتُ رُمًا، وَحَفَرْتُ حُمًا حتى ترى المجد بها قد تَمَّا
وَأما شَقِيَّةُ بَثْرُ بني أَسَدٍ، فقال فيها الْحَوْنَرِثُ بن أَسَدٍ:

مَاءٌ شَقِيَّةٌ كَمَاءِ الْمُزْنِ وليس ماؤها بطَرْقِ أَجْنٍ^(١)

وَأما سُبْلَةُ: بَثْرُ بني جُمَحٍ، وهي بَثْرُ بني خَلْفِ بن وَهَبٍ - فقال فيها شاعرهم:

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سُبْلَةً صَوَّبَ سَحَابٌ ذُو الْجَلَالِ أَنْزَلَهُ

ثُمَّ تَرَكْنَاهَا بِرَأْسِ الْقُنْبُلَةِ تَصَبَّأَ مَاءٌ مِثْلَ مَاءِ الْمَعْبَلَةِ^(٢)

نَحْنُ سَقَيْنَا النَّاسَ قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ

من شرح شعر مسافر:

وَأما الْعَمْرُ: بَثْرُ بني سَهْمٍ، فقال فيها بعضهم:

نَحْنُ حَفَرْنَا الْعَمَرَ لِلْحَجِيجِ تَلْجُ مَاءٌ أَيْمًا ثَجِيجٌ

ذكر أكثره أبو عُبيد الْبَكْرِي، وبعضُ هذه الأجزاء أو أكثره في كتاب الزُّبَيْرِ بن أبي بكر رحمة الله عليه.

فصل: وذكر شعرَ مُسَافِرٍ بن أبي عمرو بن أُمَيَّةَ. واسمُ أبي عمرو: ذُكْوَانٌ، وهو الذي يقول فيه أبو سفيان:

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بن أبي عَمَدٍ رَوٍ، وَلَيْتَ يَقُولُهَا الْمَخْرُوءُ

بُورِكَ الْمَيْتِ الْغَرِيبِ كَمَا بُو رَكَ تَضَحُّ الرُّمَانِ وَالزُّيْتُونُ^(٣)

في شعرٍ يرثيه به، وكان مات من حُبِّ صَغْبَةِ بنت الْحَضْرَمِيِّ.

وفي الشعر: وَنَحْرُ الدَّلَافَةِ^(٤) الرَّفْدَا.

(١) أجن: ماء متغير.

(٢) المعبلة: العين والباء واللام (عبل) أصلٌ صحيح يدل على ضَحْمٍ وامتلاء وشدة. مقاييس اللغة (٢١٤/٤).

(٣) في اللسان (٦٢٠/٢) يُنسب الشعر لأبي طالب بن عبد المطلب.

(٤) الدلافة: الإبل السمين.

وَتُلْفَى عِنْدَ تَضْرِيفِ الْمَنَائِبِ شُدُّدًا رُفْدًا
فَإِنْ نَهَلِكْ، فَلَمْ نُمَلِكْ وَمَنْ ذَا خَالِدٍ أَبَدًا
وَزَمَزَمَ فِي أَرْوَمِنَّا وَنَفَقَ عَيْنَ مَنْ جَسَدَ
قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحق: وقال حُذَيْفَةُ بْنُ غَانِمٍ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ.
وساقي الحَجِيجِ، ثُمَّ لِلْحُبْزِ هَاشِمٍ وَعَبْدُ مَنْافٍ ذَلِكَ السَّيِّدُ الْفَهْرِيُّ
طَوَى زَمَزَمًا عِنْدَ الْمَقَامِ، فَاصْبَحْتُ سَقَايَتُهُ فَخَرًّا عَلَى كُلِّ ذِي فَخْرٍ
قال ابن هشام: يعني عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ. وهذان البيتان في قصيدة لحُذَيْفَةَ بْنِ
غَانِمٍ سَأَذْكُرُهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الرُّفْدُ: جمع رَفُودٍ مِنَ الرُّفْدِ، وَهِيَ الَّتِي تَمَلَأُ إِنَاءَيْنِ عِنْدَ الْحَلَبِ.
وقوله:

وَتُلْفَى عِنْدَ تَضْرِيفِ الْمَنَائِبِ شُدُّدًا رُفْدًا

هو جمع رَفُودٍ أَيْضًا مِنَ الرُّفْدِ وَهُوَ: الْعَوْنُ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَ الرُّفْدِ بَفَتْحِ الرَّاءِ [وَيَكْسُرُهَا]
وهو إِنَاءٌ كَبِيرٌ قَالَ الشَّاعِرُ:

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَسْرَى مِنْ مَغْشَرٍ أَقْتَالَ

وَذَكَرَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهِيَ: فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ
هَكَذَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عَائِذُ بْنُ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْرُومٍ، وَالصَّحِيحُ مَا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ؛ لِأَنَّ الزُّبَيْرِيَّيْنِ ذَكَرُوا أَنَّ عَبْدًا هُوَ أَخُو عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ، وَأَنَّ بِنْتَ عَبْدِ هِيَ:
صَخْرَةُ امْرَأَةِ عَمْرِو بْنِ عَائِذٍ عَلَى قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ لَهُ عَمَّةً، لَا بِنْتَ عَمٍّ،
فَتَأْمَلُهُ، فَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا النَّسَبُ فِي السَّيْرَةِ مَرَارًا، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ إِسْحَاقَ: عَائِذُ بْنُ
عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ، وَيَخَالِفُهُ ابْنُ هِشَامٍ^(١). وَصَخْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ أُمِّ فَاطِمَةَ، أُمُّهَا: تَخْمُرُ بِنْتُ
عَبْدِ بْنِ قُصَيٍّ، وَأُمُّ تَخْمُرَ: سَلَمَى بِنْتُ عُمَيْرَةَ بْنِ وَدِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرِ. قَالَ
الزُّبَيْرِيُّ^(٢).

(١) انظر نسب قريش للزبير (١٧) ونسب قريش للسدوس (٥).

(٢) انظر نسب قريش للزبير (١٧) وفيه: «سلمى بن عامر بن عميرة».

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم: لئن وُلد له عشرة نُفَر، ثم بلغوا معه حتى يَمْنَعوه، لَيُنَحِرَنَّ أحدهم لله عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جَمَعَهُمْ، ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نَصْنَعُ؟ قال: لياخذ كل رجل منكم قِدْحًا ثم يكتب فيه اسمَه، ثم اثتوني، ففعلوا، ثم أتوه، فدخل بهم على هُبَلٍ في جَوْفِ الكعبة، وكان هُبَلٌ على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة.

وكان عند هُبَلٍ قِداح سبعة، كل قِدَحٍ منها فيه كتاب. قِدَحٌ فيه العَقْل، إذا اختلفوا في العَقْل مَنْ يَحْمِلُهُ مِنْهُمْ، ضربوا بالقِداح السبعة، فإن خرج العَقْلُ فعلى مَنْ خرَجَ حَمْلُهُ. وقِدَحٌ فيه: نعم. للأمر إذا أرادوه يُضْرَبُ، به في القِداح، فإن خرَجَ قِدَحٌ نعم، عملوا به. وقِدَحٌ فيه: لا، إذا أرادوا أمرًا ضربوا به في القِداح، فإن خرج ذلك القِداح لم

نذر عبد المطلب

فصل: وذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه إلى آخر الحديث. وفيه أن عبد الله، يعني: والد رسول الله - ﷺ - كان أصغر بني أبيه، وهذا غير معروف، ولعل الرواية: أصغر بني أمه، وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله، والعباس: أصغر من حمزة، وروى عن العباس - رضي الله عنه - أنه قال: أذكر مولد رسول الله - ﷺ - وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها، فجاء بي حتى نظرت إليه، وجعل التُسُوءُ يقلن لي: قَبْلُ أخاك، قَبْلُ أخاك، فقَبَلَتْه، فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر مع هذا؟! ولكن رواه البُكَائِيُّ كما تقدم، ولروايته وجه، وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره، ثم وُلد له بعد ذلك حمزة والعباس.

وسائر حديث عبد المطلب ليس فيه ما يُشْكِلُ. وفيه أن الدِّيَّةَ كانت بعشرٍ من الإبل قبل هذه القصة: وأول مَنْ وُدِّيَ بالمائة إذا: عبد الله. وقد قَدَّمْنَا ما ذكره الأَضْبَهَائِيُّ عن أبي اليَقْظَانِ أن أبا سَيَّارة هو أول مَنْ جَعَلَ الدِّيَّةَ مائة من الإبل، وأما أول مَنْ وُدِّيَ بالإبل من العرب: فَرَزْدُ بن بَكْر بن هَوَازِنَ قتله أخوه معاوية جد بني عامر بن صَغَصَةَ.

وأما الكاهنة التي تحاكموا إليها بالمدينة فاسمها: قُطَيْبَةُ. ذكرها عبد الغني في كتاب الغوامض والمبهمات، وذكر ابن إسحاق في رواية يونس أن اسمها: سَجَّاح^(١).

(١) انظر البداية (٢/ ٢٣٠).

يفعلوا ذلك الأمر، وقُدَح فيه: مِنْكُمْ، وقُدَح فيه مُلْصَق: وقُدَح فيه: مِنْ غَيْرِكُمْ. وقُدَح فيه: المياه، إذا أرادوا أَنْ يَخْفِرُوا للماء ضَرَبُوا بِالْقِدَاح، وفيها ذلك القُدَح، فحيثما خَرَج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أَنْ يَخْتِنُوا غَلامًا، أو يُنْكِحُوا مَنْكِحًا، أو يَذْفِنُوا مَيِّتًا، أو شَكَّوا في نسب أحدهم، ذَهَبُوا به إلى هُبَلٍ وَبِئْتَةٍ درهم وجزور، فأعْطَوْها صاحب القِدَاح الذي يَضْرِبُ بها، ثم قَرَّبُوا صاحبَهُم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إِلَهنا هذا فلان بن فلان قد أَرَدنا به كذا وكذا، فأخْرِجَ الحَقَّ فيه. ثم يقولون لصاحب القِدَاح: اضْرِبْ، فَإِنْ خَرَجَ عليه: مِنْكُمْ، كان منهم وسيطًا، وَإِنْ خَرَجَ عليه: مِنْ غَيْرِكُمْ، كان خَلِيفًا، وَإِنْ خَرَجَ عليه: مُلْصَق، كان على مَثَلْتِهِ فيهم، لا نَسَبَ له، ولا جِلْف، وَإِنْ خَرَجَ فيه شيء، مما سِوَى هذا مِمَّا يَعْمَلُونَ به: نعم عملوا به، وَإِنْ خَرَجَ: لا، أُخْرِهِ عَامَهُ ذلك، حتى يَأْتِيَهُ به مَرَّةً أُخْرَى، ينتهون في أُمُورِهِم إلى ذلك مما خَرَجَتْ به القِدَاح.

فقال عَبْدُ الْمُطَلِّبِ لصاحب القِدَاح: اضْرِبْ على بَنِي هَؤُلاءِ بِقِدَاحِهِمْ هذه، وأخْبِرْهُ بِنَذْرِهِ الذي نَذَرَ، فأعطاه كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قُدْحَهُ الذي فيه اسمُهُ، وكان عَبْدُ اللَّهِ بن عَبْدِ الْمُطَلِّبِ أَصْغَرَ بَنِي أَبِيهِ، كان هو والزُّبَيْرُ وأبو طَالِبٍ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ عَمْرٍو بنِ عَائِذٍ بنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بنِ مَخْزُومٍ بنِ يَظْقَةَ بنِ مَرَّةٍ بنِ كَعْبٍ بنِ لُؤَيٍّ بنِ غَالِبٍ بنِ فَهْرٍ.

قال ابن هشام: عائذ بنُ عِمْرَانَ بنِ مَخْزُومٍ.

قال ابن إسحاق: وكان عَبْدُ اللَّهِ - فيما يزعمون - أَحَبَّ وَلَدٍ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ إِلَيْهِ، فكان عَبْدُ الْمُطَلِّبِ يرى أَنَّ السَّهْمَ إذا أَخْطَاهُ فَقَدْ أَشَوَى. وهو أَبُو رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فلما أَخَذَ صَاحِبُ القِدَاحِ القِدَاحَ لِيَضْرِبَ بها، قام عَبْدُ الْمُطَلِّبِ عِنْدَ هُبَلٍ يَدْعُو اللَّهَ، ثم ضَرَبَ صَاحِبُ القِدَاحِ، فَخَرَجَ القُدْحُ على عَبْدِ اللَّهِ، فأخذه عَبْدُ الْمُطَلِّبِ بِيَدِهِ وَأَخَذَ الشُّفْرَةَ، ثم أَقْبَلَ به إلى إِسَافٍ وَنَائِلَةٍ لِيَذْبَحَهُ، فقامت إِلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ أُنْدِيتِهَا، فقالوا: ماذا تريد يا عَبْدُ الْمُطَلِّبِ؟ قال: أَذْبَحُهُ، فقالت له قُرَيْشٌ وَبَنُوهُ: والله لا تَذْبَحُهُ أَبَدًا، حتى تُغْذَرَ فيه. لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يَأْتِي بَابَنَهُ حتى يَذْبَحَهُ، فما بقاء الناس على هذا؟! وقال له الْمُغْيِرَةُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو بنِ يَظْقَةَ - وكان عَبْدُ اللَّهِ ابنُ أُخْتِ القَوْمِ: والله لا تَذْبَحُهُ أَبَدًا، حتى تُغْذَرَ فيه، فَإِنْ كان فِداؤُهُ بِأَمْوَالِنَا قَدْ نِئناه. وقالت له قُرَيْشٌ وَبَنُوهُ. لا تفعل، وانطلق به إلى الحِجَازِ، فَإِنَّ به عَرَّافَةً لَهَا تَابِعٌ، فَسَلَّهَا، ثم أنت على رَأْسِ أَمْرِكَ، إِنْ أَمَرْتَكَ بِذْبَحِهِ ذَبَحْتَهُ، وَإِنْ أَمَرْتَكَ بِأَمْرٍ لَكَ وله فيه قَرَجٌ قَبْلَتَهُ.

فانطلقوا حتى قَدِموا المدينةَ، فوجدوها فيما يزعمون - بخيبر. فركبوا حتى جاؤوها، فسألوها، وقصَّ عليها عبدُ المطلب خيره وخبر ابنه، وما أراد به ونذره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم غَدَا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخبرُ، كما الدِّية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قَرَّبوا صاحبكم، وقَرَّبوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها، وعليه بالقَداح، فإن خرجت على صاحبكم، فزِيدُوا من الإبل حتى يَرْضَى رِئُوسُكم، وإنْ خرجتْ على الإبل فانحروها عنه، فقد رَضِيَ رِئُوسُكم، ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قَدِموا مكةَ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر، قام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم قَرَّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبل، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هُبُل يدعو الله عزَّ وجلَّ! ثم ضربوا فخرج القَدَح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبلُ عشرين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزَّ وجلَّ، ثم ضربوا فخرجَ القَدَح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبلُ ثلاثين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرجَ القَدَح على عبد الله، فبلغت الإبلُ أربعين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرجَ القَدَح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبلُ خمسين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرجَ القَدَح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبلُ ستين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرجَ القَدَح على عبد الله، فبلغت الإبلُ سبعين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرجَ القَدَح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبلُ ثمانين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرجَ القَدَح على عبد الله، فبلغت الإبلُ تسعين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرجَ القَدَح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبلُ مئة، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرجَ القَدَح على الإبل، فقالت قريش ومَنْ حضر: قد انتهى رضا ربِّك يا عبدَ المطلب، فزعموا أن عبدَ المطلب قال: لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات، فضربوا على عبد الله، وعلى الإبل، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، فخرجَ القَدَح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبدُ المطلب قائمٌ يدعو الله، فخرجَ القَدَح على الإبل، ثم عادوا الثالثة، وعبدُ المطلب قائمٌ يدعو الله، فضربوا، فخرجَ القَدَح على الإبل: فثَجَرَتْ: ثم ثَرَكَتْ لا يَصَدَّ عنها إنسان ولا يُمنع.

قال ابن هشام: ويقال: إنسان ولا سَبْعُ.

قال ابن هشام: وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر.

ذكر المرأة المتعززة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق: ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله، فمر به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قُصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر: وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى: وهي عند الكعبة: فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أي تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي. قالت: لك مثل الإبل التي نُجرث عنك: وقّع عليّ الآن. قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافه. ولا فراقه.

تزويج عبد الله

فصل: وذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب آمنه بنت وهب، وذكر التبرقي في سبب تزويج عبد الله آمنه: أن عبد المطلب كان يأتي اليمن، وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم، فنزل عنده مرة، فإذا عنده رجلٌ مِمَّنْ قرأ الكتب، فقال له: ائذن لي أقبل منخرك^(١)، فقال: ذونك فانظر، فقال: أرى نبوةً ومُلْكًا، وأراهما في المتأففين: عبد مناف بن قُصي، وعبد مناف بن زهرة، فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله، فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب، وهي أم حمزة - رضي الله - عنه، وزوج ابنه عبد الله آمنه بنت وهب، فولدت له رسول الله - ﷺ -.

حول أمهات النبي ﷺ:

وذكر أمها وأم أمها، والثالثة وهي: برة بنت عوف، وقد قدمنا في أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة ونسبهن، فليُنظر هنالك.

وأما أم هالة فهي: العَبْلَةُ بنت المطلب، وأمها خديجة بنت شعيب بن سهم، وقد أشكل على بعض الناس في هذا الخبر أن عبد المطلب نذر أحد بنيهِ إذا بلغوا عشرة، ثم ذكر ابنُ إسحاق أن تزويجه هالة أم ابنة حمزة كان بعد وفاته بنذره، فحمزة والعباس - رضي الله عنهما - إنما ولدا بعد الوفاء بنذره، وإنما كان جميعُ أولاده عشرة. ولا إشكال

(١) منخرك: أنفك.

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر - وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفاً - فزوجه ابنته آمنة بنت وهب، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا.

وهي لبنة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وبنة: لأُم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وأُم حبيب: لبنة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

فزعموا أنه دخل عليها حين أملاكها مكانه، فوضع عليها، فحملت برسول الله - ﷺ - ثم خرج من عندها، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت، فقال لها: مالك لا تعرضين عليّ اليوم ما كنتِ عرضتِ عليّ بالأمس؟ قالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس^(١)، فليس [لي] بك اليوم حاجة. وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصّر وأتبع الكُتُب: أنه كائن في هذه الأمة نبي.

في هذا، فإن جماعة من العلماء قالوا: كان أعمامُه - عليه السلام - اثني عشر، وقاله أبو عمر، فإن صحّ هذا فلا إشكال في الخبر، وإن صحّ قول من قال: كانوا عشرة بلا مزيد، فالولد يقع على البنين وبنينهم حقيقة لا مجازاً، فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفي بنده.

المرأة التي دعت عبد الله:

ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعت المرأة الأسديّة إلى نفسها لما رأت في وجهه من نور النبوة، ورجت أن تحمل بهذا النبي، فتكون أمّه دون غيرها، فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا:

أما الحرام فالحرام دونه والجِلّ لا جِلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغيه يحمي الكريم عزّزه ودينه؟!

واسم هذه المرأة: رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل؛ تُكْنى: أم قتال، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس عن ابن إسحق، وذكر البرقي عن هشام بن الكلبي، قال: إنما مرّ على امرأة اسمها: فاطمة بنت مرّ، كانت من أجمل النساء وأعفهنّ، وكانت قرأت

(١) تقدم الكلام على خرافة النور المحمدي الذي كان في جبهة أبينا آدم عليه السلام وانتقال هذا النور عند احتضاره إلى ولده شيث، وهكذا حتى وصل إلى عبد الله بن المطلب ثم إلى النبي ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار: أنه حدث، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع أمّنة بنت وهب، وقد عمل في طين له، وبه آثار من الطين، فدعاها إلى نفسه، فأبطأت عليه لِمَا رأت به من أثر الطين، فخرج من عندها فتوضأ وغَسَلَ ما كان به من ذلك الطين، ثم خرج عامداً إلى أمّنة، فمرّ بها، فدعته إلى نفسها، فأبى عليها، وعَمَدَ إلى أمّنة، فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد - ﷺ - ثم مرّ بامرأته تلك: فقال لها: هل لك؟ قالت: لا، مررت بي وبين عَيْنَيْكَ غُرّةً بيضاء، فدعوتك فأبيت عليّ، ودخلت على أمّنة فذهبت بها.

قال ابن إسحاق: فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث: أنه مرّ بها وبين عَيْنَيْهِ غُرّةً مثل غُرّة الفرس، قالت: فدعوتهُ رَجَاءً أن تكون تلك بي، فأبى عليّ، ودخل على أمّنة، فأصابها، فحملت برسول الله - ﷺ - فكان رسول الله - ﷺ - أَوْسَطَ قومه نسباً، وأعظمهم شرفاً من قَبْلِ أبيه وأُمّه - ﷺ -.

ذكر ما قيل لأمّنة عند حملها برسول الله ﷺ:

ويزعمون - فيما يتحدّث الناس والله أعلم - أن أمّنة ابنة وهب أم رسول الله - ﷺ - كانت تحدث:

أنها أتيت، حين حملت برسول الله - ﷺ - فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض، فقولِي: أعِيذه بالواحد، من شرّ كلّ حاسد، ثم سمّيه: محمداً. ورأت حين حملت به أنه خرّج منها نورٌ رأت به قُصور بُضرى، من أرض الشام^(١).

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله - ﷺ - أن هلّك، وأم رسول الله - ﷺ - حاملٌ به.

الكتب، فرأت نورَ النُّبُوّةِ في وجهه، فدعته إلى نكاحها، فأبى، فلما أبى قالت:

إِنِّي رَأَيْتُ مُخِيلَةً نَشَأَتْ قَتَلَالَاتٍ بِحَنَائِمٍ^(١) الْقَطْرِ
فَلَمَّا تَهَا^(٢) نُورًا يُضِيءُ بِهِ مَا حَوْلَهُ كإِضَاءَةِ الْفَجْرِ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٩٨/١) وابن الجوزي في المنتظم (٢٤٨/٢) والطبري في تاريخه (٤٥٣/١) وأبو نعيم في الدلائل (٩٤). وقال الحافظ: صححه الحاكم وابن حبان. وانظر الكامل (٣٥٥/١) والخصائص للسيوطي (٧٨/١).

(٢) الحناتم: السحاب السوداء لامتلأها بالماء. (٣) فلما تها: أي أبصرتها.

ورأيتُ سُفْيَاهَا حَيَا بَلَدٍ وَقَعَتْ بِهِ وَعِمَارَةُ الْقَفْرِ
 ورأيتُهُ شَرَقَا أَبْوَاءَ بِهِ مَا كُلُّ قَادِحٍ زَنْدِهِ يُورِي
 لِّلْهِ مَا زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ مِنْكَ الَّذِي اسْتَلَبَتْ وَمَا تَذْرِي
 وفي غريب ابن قتيبة: أن التي عرضت نفسها عليه هي: ليلي العَدْوِيَّة^(١).

(١) انظر الفتح (٤١٧/١١). والبداية لابن كثير (٢/ ٢٣١-٢٣٣) والطبري في تاريخه (٤٥٣/١) والكامل لابن الأثير (٣٥٥/١) وطبقات ابن سعد (٩٨/١) والمنتظم لابن الجوزي (٢٤٢/٢) والخصائص للسيوطي (٦٨/١). والحديث أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٩١).

ولادة رسول الله ﷺ

قال حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، لِاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، عَامَ الْفِيلِ^(١).

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي الْمُطَّلِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ. قَالَ:

وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَامَ الْفِيلِ: فَنَحْنُ لِذَتَانِ^(٢).

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ الْأَنْصَارِيِّ. قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ

فصل في المولد

في تفسير بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ أَنَّ إِبْلِيسَ - لعنه الله - رَنَّ أَرْبَعَ رَنَاتٍ^(٣): رَنَّةٌ حِينَ لُغِنَ، وَرَنَّةٌ حِينَ أَهْطَ، وَرَنَّةٌ حِينَ وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَرَنَّةٌ حِينَ أُنْزِلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ. قَالَ: وَالرَّائِيْنُ وَالنُّخَارُ^(٤) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ. قَالَ: وَيُكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: أُمُّ الْكِتَابِ، وَلَكِنْ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ^(٥). وَرُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ عَنْ أُمِّهِ أُمِّ عَثْمَانَ الثَّقَفِيَّةِ، وَاسْمُهَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ،

(١) إسناده ضعيف - لضعف البكائي - تقدمت ترجمته غير مرة. وانظر في تاريخ الولادة طبقات ابن سعد (١٠٠/١ - ١٠١) والبداية (٢٤٢/٢) والمنتظم (٢٤٥/٢) والدلائل لأبي نعيم (١١٠).

(٢) أخرجه أحمد والبيهقي. (٣) الرنة: الصيحة.

(٤) النخار: صوت يخرج من الخياشيم.

(٥) انظر للمحقق: «اللباب في تفسير فاتحة الكتاب».

شئت^(١) من رجال قومي عن حسان بن ثابت، قال: والله إني لغلام يَفْعَة، ابن سبع سنين أو ثمان، أغفل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمَة يَثْرِب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما لك؟! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به^(٢).

قال محمد بن إسحاق: فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقلت: ابنُ كَمْ كان حسان بن ثابت مَقْدَمَ رسول الله - ﷺ - المدينة؟ فقال: ابن ستين، وقَدِمَهَا رسول الله - ﷺ - وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسمع حسان ما سمع، وهو ابن سبع سنين.

قال ابن إسحاق: فلما وضعته أمه - ﷺ - أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: أنه قد ولد لك غلام، فأته فانظر إليه، فأناه فنظر إليه، وحَدَّثته بما رأت حين حَمَلَتْ به، وما قيل لها فيه، وما أمرت به أن تُسميه.

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه، فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها، والتمس لرسول الله - ﷺ - الرضعا.

قالت: «حضرت ولادة رسول الله - ﷺ - فرأيت البيت حين وُضِعَ قد امتلأ نورًا، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع عليّ»^(٣). ذكره أبو عمر في كتاب النساء. وذكره الطبري أيضًا في التاريخ. وولد رسول الله - ﷺ - مَعْدُورًا مَسْرُورًا، أي: مَخْتُونًا مَقْطُوعَ الشَّرة يقال: غَزِرَ الصَّبِيُّ وَأَغْزِرَ. إذا خُتِنَ^(٤)، وكانت أمه تحدّث أنها لم تجد حين حَمَلَتْ به ما تجده الحوامل من ثقلٍ ولا وَحَمٍ، ولا غير ذلك، ولما وضعت - ﷺ - وقع إلى الأرض مَقْبُوضَةً

(١) مجاهيل.

(٢) أخرجه الحاكم (٤٨٦/٣) أخرجه أبو نعيم (٩٩) والبيهقي (١١٠/١) كلاهما في الدلائل.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٩٣) والبيهقي في الدلائل (١١١/١) وأورده الهيثمي في المجمع (٢٢٠/٨) وقال: رواه الطبراني وفيه: عبد العزيز بن عمران وهو متروك. والطبري في تاريخه (٤٥٤/١). وأورده ابن الجوزي في المنتظم (٢٤٧/٢) وابن الأثير في الكامل (٣٥٦/١). وفي شرح المواهب (١٦٣/١): «والصحيح أن ولادته عليه الصلاة والسلام كانت نهارًا لا ليلاً».

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر من طرق متعددة أن النبي ﷺ قال: «من كرامتي على ربي أنني ولدت مختونًا ولم ير أحد سواتي». وعن ابن عمر أنه قال: «ولد النبي ﷺ مسرورًا مختونًا». وقد صححه الحافظ المقدس من «المختارة» وحسنه الحافظ مغلطي. وضف الحافظ ابن كثير في البداية (٢٤٧/٢) أحاديث الختان. ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى في الزاد (٨١/١): «ليس فيه حديث ثابت، وليس هذا من خواصه، فإن كثيرًا من الناس يولد مختونًا». وانظر الخصائص للسيوطي (٩٠/١).

أصابع يديه، مُشِيرًا بالسَّبَابَةِ كَالْمُسْبَحِ بِهَا، وَذَكَرَ ابْنُ دُرَيْدٍ أَنَّهُ أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ جَفَنَةً لَثَلًا يَرَاهُ أَحَدٌ قَبْلَ جَدِّهِ، فَجَاءَ جَدُّهُ، وَالْجَفَنَةُ قَدْ انْقَلَقَتْ عَنْهُ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُ: مَا سَمَّيْتَ ابْنَكَ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدًا، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ سَمَّيْتَ بِاسْمٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ آبَائِكَ وَقَوْمِكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنَّ يَحْمَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ^(١)، وَذَلِكَ لِرُؤْيَا كَانَ رَأَاهَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ، وَقَدْ ذَكَرَ حَدِيثُهَا عَلِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ الْعَابِرُ فِي كِتَابِ الْبُسْتَانِ. قَالَ: كَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ قَدْ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ سُلَيْلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهَا لَهَا طَرْفٌ فِي السَّمَاءِ وَطَرْفٌ فِي الْأَرْضِ، وَطَرْفٌ فِي الْمَشْرِقِ وَطَرْفٌ فِي الْمَغْرِبِ، ثُمَّ عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ، عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْهَا نُورٌ، وَإِذَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كَانَهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِهَا، فَقَصَّهَا، فَعُبِّرَتْ لَهُ بِمَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ صُلْبِهِ يَتَّبِعُهُ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ: مُحَمَّدًا مَعَ مَا حَدَّثْتَهُ بِهِ أُمُّهُ حِينَ قِيلَ لَهَا: إِنَّكَ حَمَلْتِ بَسِيدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِذَا وَصَفْتَهُ فَسَمِّهِ مُحَمَّدًا. الْحَدِيثُ^(٢).

اسم محمد وأحمد^(٣):

قال المؤلف: لَا يُعْرَفُ فِي الْعَرَبِ مَنْ تَسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ قَبْلَهُ - ﷺ - إِلَّا ثَلَاثَةٌ طَمَعُوا آبَاؤُهُمْ - حِينَ سَمِعُوا بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - وَبِقَرَبِ زَمَانِهِ، وَأَنَّهُ يُبْعَثُ فِي الْحِجَازِ - أَنْ يَكُونَ وَلَدًا لَهُمْ. ذَكَرَهُمْ ابْنُ قُورَيْكٍ فِي كِتَابِ الْفُصُولِ، وَهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ سَفْيَانَ بْنِ مُجَاشَعٍ، جَدُّ جَدِّ الْقُرَزْدَقِيِّ الشَّاعِرِ، وَالْآخَرُ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْيَنَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ بْنِ الْحَرِيشِ بْنِ جَمْحَى بْنِ كُثَيْلَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ، وَالْآخَرُ: مُحَمَّدُ بْنُ حُثْرَانَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَ آبَاءُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ قَدْ وَقَدُوا عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ، وَكَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَبْعِثِ النَّبِيِّ - ﷺ - وَبِاسْمِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ خَلَّفَ امْرَأَتَهُ حَامِلًا، فَذَكَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: إِنْ وَلَدَ لَهُ ذَكَرٌ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا، ففعلوا ذلك.

قال المؤلف: وَهَذَا الْاسْمُ مَنْقُولٌ مِنَ الصِّفَةِ، فَالْمُحَمَّدُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الَّذِي يُحْمَدُ حَمْدًا بَعْدَ حَمْدٍ، وَلَا يَكُونُ مُفْعَلٌ مِثْلُ: مُضْرَبٌ وَمُمَدَّحٌ إِلَّا لَمَنْ تَكَرَّرَ فِيهِ الْفِعْلُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ (٨٥).

(٢) انْظُرْ فِي وَجْهِ تَسْمِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ «مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ» أَيْضًا - «جَلَاءُ الْأَفْهَامِ» لِلْعَلَامَةِ ابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. آمِينَ. وَلَهُ أَيْضًا بَحْثٌ طَبِيعِي فِي نَفْسِ الْمَوْضُوعِ فَانْظُرْهُ - فِي الزَّادِ (٨٦/١). وَمِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا ﷺ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ هُوَ: الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَهُوَ الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، وَهُوَ أَيْضًا الْحَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمَيْهِ - ﷺ. - انْظُرِ الْبُخَارِيَّ (٤٩٢/٨) وَمُسْلِمٌ فِي الْفَضَائِلِ (٢٣٥٤) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٨٤٢). وَقَدْ قَامَ بَعْضُ سَفَهَةِ الصُّوفِيَةِ بِتَسْمِيَتِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا وَقَالُوا إِنَّ هَذَا «مِنْ» أَسْمَائِهِ!!!.

وأما أحمد فهو اسمُهُ - ﷺ - الذي سُمِّيَ به على لسان عيسى وموسى - عليهما السلام -، فإنه منقول أيضًا من الصِّفَةِ التي معناها التَّفْضِيلُ، فمعنى أحمد: أي أَحْمَدُ الحامدين لربه، وكذلك هو المعنى؛ لأنه تَفَتَّحَ عليه في المقام المحمود مَحَامِدُ لم تَفَتَّحْ على أحد قبله، فيحَمَّدُ رَبَّهُ بها؛ ولذلك يُعَقَّدُ له لواء الحمد.

وأما محمد فمنقول من صِفةٍ أيضًا، وهو في معنى: مَحْمُود. ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، فالمحمَّدُ هو الذي حُمِدَ مرة بعدَ مرَّةٍ، كما أن المَكْرَمَ مَنْ أُكْرِمَ مرة بعد مرة، وكذلك: المُمَدِّحُ، ونحو ذلك. فاسم محمد مطابق لمعناه، والله - سبحانه - وتعالى سَمَّاهُ به قبل أن يُسَمِّيَ به نفسه، فهذا عَلَمٌ من أعلام نبوته؛ إذ كان اسمه صادقًا عليه، فهو محمود - عليه السلام - في الدنيا بما هَدَى إليه، وَنَفَعَ به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ، ثم إنه لم يكن محمَّدًا، حتى كان أَحْمَدَ حُمِدَ رَبَّهُ فنبأه وشرَّفه؛ فلذلك تقدم اسمُ أحمدَ على الاسم الذي هو مُحَمَّدٌ، فذكره عيسى - ﷺ - فقال: اسمُهُ أحمدُ، وذكره موسى - ﷺ - حين قال له رَبُّهُ: تلك أمة أحمدُ، فقال: اللَّهُمَّ اجعلني من أمة أحمد^(١)، فأحمدُ ذُكِرَ قبل أن يُذكَرَ بمحمد؛ لأن حمده لربه كان قبلَ حَمْدِ الناسِ له، فلما وُجِدَ وبُعِثَ، كان محمَّدًا بالفعل.

وكذلك في الشفاعة يَحْمَدُ رَبَّهُ بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمدَ الحامدين لربه، ثم يُشَفِّعُ فيُحْمَدُ على شفاعته. فانظر: كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر والوجود، وفي الدنيا والآخرة تُلَخُّ لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين، وانظر: كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخصَّ بها دون سائر الأنبياء^(٢)، وخصَّ بلواء الحمد، وخصَّ بالمقام المحمود، وانظر: كيف شرع لنا سُنَّةٌ وقرآنًا أن نقولَ عند اختتام الأفعال، وانقضاء الأمور: الحمد لله رب العالمين. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) [الزمر: ٧٥]. وقال أيضًا: ﴿وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) حديث ضعيف. وما كان لموسى الكليم عليه السلام أن يعقب أو يرث قدر الله تعالى الذي «لا معقب لحكمه».

(٢) يعني فاتحة الكتاب.

(٣) وقيل: قال بعضهم إن هذه الكلمة «الحمد لله رب العالمين» يقولها أهل الجنة وأهل النار بعد دخول كلٍّ منهم إلى داره التي أسكنه الله إياها. فيحمده أهل النار على أن قضى بينهم بالحق ولم يظلمهم شيئًا، بل كانوا أنفسهم يظلمون، وقيل: أن «قيل» إشارة إلى أن السموات والأرض والكون كله يقولها.

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[يونس: ١٠]. تَنْبِيْهَا لَنَا عَلَى أَنْ الْحَمْدَ مَشْرُوعٌ لَنَا عِنْدَ انْقِضَاءِ الْأُمُورِ. وَسَنُ - ﷺ - الْحَمْدَ بَعْدَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، وَقَالَ عِنْدَ انْقِضَاءِ السَّفَرِ: آيُّونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِزَيْنَا حَامِدُونَ^(١).

ثم انظر لكونه - عليه السلام - خاتَمَ الأنبياءِ، ومؤذِنًا بانقضاء الرسالة، وارتفاع الوحي، ونذيرًا بقرب الساعة وتَمَامِ الدُّنْيَا مع أن الحمد كما قَدَمْنَا مَقْرُونًا بانقضاء الأمور، مشروعٌ عنده - تجذُّ معاني اسمِيهِ جَمِيعًا، وما خُصَّ به من الحمد والمحامد مُشَاكِلًا لمعناه، مطابقًا لصفته، وفي ذلك بُرْهَانٌ عَظِيمٌ، وَعَلَّمَ وَاضِحٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ، وتخصيصُ الله له بكرامته، وأنه قَدَّمَ له هذه الْمُقَدَّمَاتِ قبل وجوده تَكْرِيمًا له، وَتَضَدِيقًا لأمره - ﷺ - وشرف وكرم.

تعويذ عبد المطلب:

وَذَكَّرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ دَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةُ وَعَوَّذَهُ، وَدَعَا لَهُ. وفي غير رواية ابن هشام أَنَّ عبد المطلب قال وهو يعوذه:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي	هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَزْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغُلَمَانِ	أَعْيَدُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بُلُغَةَ الْفَتْيَانِ	حَتَّى أَرَاهُ بِالْعِزِّ الْبُنْيَانِ
أَعْيَدُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَنَّانٍ	مَنْ حَاسِدٌ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ
ذِي هِمَّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ	حَتَّى أَرَاهُ رَافِعَ السُّنَانِ
أَنْتَ الَّذِي سَمِيتَ فِي الْقُرْآنِ	فِي كِتَابٍ ثَابِتَةِ الْمَثَانِ
أَحْمَدُ مَكْتُوبٌ عَلَى الْبَيَانِ ^(٢)	

تاريخ مولده:

فصل: وذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول، وهو المعروف وقال الزبير: كان مولده في رمضان، وهذا القول موافق لقول مَنْ قَالَ: إن أمه حملت به في أيامِ التَّشْرِيقِ، والله أعلم^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٩/٣) ومسلم في الحج (٤٢٨/٤٢٩) والترمذي (٣٤٤٠) وأحمد (٢٥٦/١).

(٢) الطبقات لابن سعد (١٠٣/١) وابن الجوزي في المنتظم (٢٤٩/٢). والبداية لابن كثير (٢٤٩/٢) ولا صحة لهذا كما يظهر بيِّنًا لكل ذي عينين. فتأمل.

(٣) الأول أشهر وأرجح.

وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم، وأنه - ﷺ - ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يومًا، وهو الأكثر والأشهر، وأهل الجساب يقولون: وافق مولده من الشهور الشمسية نيسانًا، فكانت لعشرين مضت منه، وولد بالعقر من المنازل، وهو مولد النبيين، ولذلك قيل: خير منزلتين في الأبد بين الزنابا والأسد، لأن العقر يليه من العقر زناباها، ولا ضرر في الزنابا إنما تضر العقر بذنباها، ويليه من الأسد أليته، وهو السماك، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه^(١).

وولد بالشعب، وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ثم بنتها زبيدة مسجدا حين حجت.

تحقيق وفاة أبيه:

وذكر أنه مات أبوه، وهو حنبل، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد. ذكره الدؤلابي وغيره، قيل: ابن شهرين، ذكره [أحمد] ابن أبي خيثمة، [زهير بن حرب] وقيل: أكثر من ذلك، ومات أبوه عند أخواله بني النجار، ذهب ليمنار لأهله تمرًا، وقد قيل: مات أبوه، وهو ابن ثمان وعشرين شهرًا، وأنشدوا رجزًا لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب:

أوصيك يا عبد مناف بغدي بموتم بعد أبيه فرد

فارقه وهو ضجيع المهد

وكان بينه وبين أبيه - عليه السلام - في السن ثمانية عشر عامًا.

أبوه من الرضاعة:

وذكر الحارث بن عبد العزى أبا رسول الله - ﷺ - من الرضاعة، ولم يذكر له إسلامًا، ولا ذكره كثير ممن ألف في الصحابة، وقد ذكره يونس بن بكير في روايته، فقال: حدثنا ابن إسحق قال: حدثني والدي إسحق بن يسار، عن رجال من بني سعد بن بكر^(٢)، قال: قديم الحارث بن عبد العزى، أبو رسول الله - ﷺ - من الرضاعة على رسول الله - ﷺ - بمكة حين أنزل عليه القرآن، فقالت له قريش: ألا تسمع يا حار^(٣) ما يقول ابنك هذا؟ فقال: وما

(١) لا حاجة بنا إلى هذا الكلام الذي لا طائل تحته إلا الاعتقاد أو التصديق في ربط الإنسان بنجم أو كوكب معين وصلة رزقه وسعادته وتعاسته به.

(٢) مجاهيل.

(٣) ترخيم لحارث - كما أن عائش - ترخيم عائشة.

قال ابن هشام: المراضع. وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾^(١).

يقول؟ قالوا: يزعم أن الله يبعث بعد الموت، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شئت أمرنا، وفرق جماعتنا. فأتاه، فقال: أي بُني ما لك ولقومك يشكونك، ويزعمون أنك تقول: إن الناس يُبعثون بعد الموت، ثم يصيرون إلى جنة ونار؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «نعم أنا أزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت، لقد أخذت بيدك، حتى أعرفك حديثك اليوم»، فأسلم الحارث بعد ذلك، وحسن إسلامه، وكان يقول حين أسلم: لو قد أخذ ابني بيدي، فعزفني ما قال، ثم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة^(٢).

تحقيق اسم ناصرة بن قصية:

وذكرنا صيرة بن قُصَيَّة في نسب حليلة. وهو عندهم: قُصَيَّةُ بالفاء تصغير: قَصَاة، وهي الثَّوَاة. ووقع في الأصل في جميع النسخ: قُصَيَّةُ بالقاف. وقال أبو حنيفة أيضًا: الْقَصَا: حَبُّ الزَّيْبِ، وهو من هذا المعنى.

الشيما:

وذكر الشَّيْمَاءُ أخت رسول الله - ﷺ - من الرضاعة، وقال في اسمها: خِذَامَةُ بكسر الخاء المنقوطة، وقال غيره: خِدَافَةُ بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق، وكذلك ذكره أبو عُمَرَ في كتاب النساء.

شرح ما في حديث الرضاع:

الرضعاء والمراضع:

قال ابن إسحاق: فالتمس لرسول الله - ﷺ - الرُّضْعَاء. قال ابن هشام: إنما هو الْمَرَاضِع. قال: وفي كتاب الله سبحانه: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢] والذي قاله ابن هشام ظاهر؛ لأن المراضع جمع: مُرْضِع، والرُّضْعَاء: جَمْعُ رَضِيع، ولكن لرواية ابن إسحاق مَخْرُجٌ من وجهين، أحدهما: حذف المضاف كأنه قال: ذَوَاتِ الرُّضْعَاءِ، والثاني: أن يكونَ أرادَ بِالرُّضْعَاءِ: الْأَطْفَالَ عَلَى حَقِيقَةِ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا وَجَدُوا لَهُ مُرْضِعَةً تُرْضِعُهُ، فَقَدْ وَجَدُوا لَهُ رَضِيعًا، يَرْضَعُ مَعَهُ، فَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَقَالَ: اتَّيَسَّرَ لَهُ رَضِيعًا، عِلْمًا بِأَنَّ الرَضِيعَ لَا بَدْلَ لَهُ مِنْ مُرْضِعٍ.

(١) سورة القصص آية رقم (١٢). (٢) لم يبرزه أحد من أصحاب الصحاح.

قال ابن إسحاق: فاسترضع له امرأة من بني سَعْدِ بن بكر، يقال لها: حليلة ابنة أبي ذؤيب.

وأبو ذؤيب: عبد الله بن الحارث بن شِخْنَةَ بن جابر بن رِزَامِ بن ناصرة بن فُصَيْة بن نَضْر بن سَعْدِ بن بكر بن هَوَازِن بن مَنصور بن عِكرمة بن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان [بن مضر].

واسم أبيه الذي أرضعه - ﷺ - الحارث بن عَبدِ العُزَى بن رفاعة بن مَلان بن ناصرة بن فُصَيْة بن نَضْر بن سَعْدِ بن بَكْر بن هَوَازِن.

قال ابن هشام: ويقال: هلال بن ناصرة.

قال ابن إسحاق: وإخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وخدمة بنت الحارث، وهي الشَّيمَاءُ، غلب ذلك على اسمها فلا تُعرف في قومها إلا به. وهم لحليلة بنت أبي ذؤيب، عبد الله بن الحارث، أم رسول الله - ﷺ - ..
ويذكرون أن الشَّيمَاءُ كانت تَحْضُنُهُ مع أمها إذا كان عندهم.

مرضعاته عليه السلام:

وأرضعته - عليه السلام - ثَوَيْبَةَ قبل حليلة. أرضعته وعمه حمزة وعبد الله بن جحش، وكان رسول الله - ﷺ - يعرف ذلك لثَوَيْبَةَ، ويصلها من المدينة، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مَسْرُوح، فأخبر أنهما ماتا، وسأل عن قرابتها، فلم يجد أحدا منهم حيًّا. وثَوَيْبَةُ كانت جاريةً لأبي لهب، وسنذكر بقية حديثها - إن شاء الله - عند وفاة أبي لهب.

يَغْذِيهِ أَوْ يَغْذِيهِ:

وذكر قولَ حليلة: وليس في شاربنا ما يُغْذِيهِ. وقال ابن هشام: ما يُغْذِيهِ بالذال المنقوطة، وهو أتم في المعنى من الاقتصاد على ذكر الغداء دون العشاء، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة، وعند بعض الناس رواية غير هاتين وهي يُغْذِيهِ بعين مُهْمَلَةٍ وذال منقوطة وباء مُعْجَمَةٌ بواحدة، ومعناها عندهم: ما يُقْنَعُهُ حتى يرفع رأسه، وينقطع عن الرضاع، يقال منه: عَذَبْتُهُ وَأَعَذَبْتُهُ: إذا قطعته عن الشرب ونحوه، وَالْعَذُوبُ: الرافع رأسه عن الماء، وجمعه: عَذُوبٌ بالضم، ولا يُعرف فَعُولٌ جُمع على فَعُولٍ غيره: قاله أبو عبيد والذي في الأصل أصح في المعنى والنقل^(١).

(١) خطأ الأزهرى أبا عبيدة لأن فعولاً لا يكسر على فعول بضم الفاء. وانظر حديث حليلة في البداية =

قال ابن إسحاق: وحدثني جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجُمَحِيّ: عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أو عمّن حدّثه عنه قال:

كانت حليلة بنت أبي ذؤيب السَّغْدِيّة، أمّ رسول الله - ﷺ - التي أرضعته، تحدّث: أنها خرجت من بلدّها مع زوجها، وابن لها صغير تُرضعه في نسوة من بني سَعد بن بَكْر، تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك في سنة شَهَباء، لم تُبق لنا شيئًا. قالت: فخرجت على أتان لي قَمَرَاء، معنا شارب لنا، والله ما تَبِضُّ بَقَطْرَة، وما ننام ليلنا أجمع من صبيّنا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يُغْنِيه، وما في شارفنا ما يُغَدِّيّه - قال ابن هشام: ويقال: يُغَدِّيّه - ولكنا كنّا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على إتانِي تلك، فلقد أذمتُ بالركب، حتى شقّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجْفاً، حتى قَدِمنا مكة نلتمس

من شرح حديث الرضاعة:

وذكر قولها: حتى أذمتُ بالركب. تريد: أنّها حَبَسَتْهُمْ، وكأنه من الماء الدائم، وهو الواقف، ويروى: حتى أذمتُ. أي: أذمتُ الأتان، أي: جاءت بما تُدَمُّ عليه، أو يكون من قولهم: بَثِرَ دَمَةٌ، أي: قليلة الماء، وليست هذه عند أبي الوليد، ولا في أصل الشيخ أبي بَحر، وقد ذكرها قاسم في الدلائل، ولم يذكر روايةً أخرى، وذكر تفسيرها عن أبي عُبَيْدَة: أذَمَّ بالركب: إذا أَبْطَأَ، حتى حَبَسَتْهُمْ: من البثر الدَمَةُ، وهي القليلة الماء.

وذكر قول حليلة: فلما وضعته في حِجْرِي أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى رَوِيّ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيّ.

وذكر غير ابن إسحاق أن رسول الله - ﷺ - كان لا يقبل إلا على ثديها الواحد، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر، فيأباه كأنه قد أُشْعِرَ - عليه السلام - أنّ معه شريكاً في لبانها، وكان مَقْطُورًا على العدل، مَجْبُورًا على المشاركة والفضل - ﷺ -.

التماس الأجر على الرضاع:

قال المؤلف: والتماسُ الأجر على الرضاع لم يكن محمودًا عند أكثر نساء العرب، حتى جرى المثل: تجوع المرأة ولا تأكل بِثَدْيِهَا، وكانَ عند بعضهم لا بأسَ به، فقد كانت حليلةٌ وبسيطة في بني سعد، كريمة من كرائم قومها، بدليل اختيارِ اللَّهِ - تعالى - إِيَّاهَا لِرضاع نبيّه - ﷺ - كما اختار له أشرفَ البُطُونِ والأَصْلَابِ. والرضاع كالنَسَبِ؛ لأنه يُغَيِّرُ الطَباعَ.

= (٢٧٣/٢) والبيهقي (١٣٣/١) وأبي نعيم (١١١ - ١١٣) كلاهما في الدلائل وابن الجوزي في الوفا (١١٩) وابن الجوزي في المنتظم (٢٥٩/٢). وحديث ثوبية في البخاري (١٢٤/٩).

الرضعاء، فما مئاً امرأة إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله - ﷺ - فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك: أنا إنما كنّا نَرْجو المعروفَ من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تُضنع أمّه وجده! فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قَدِمْتُ معي إلا أخذت رضيعاً غيри، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم، فلاأخذنه، قال: لا عليك أن تفعلني، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبتُ إليه فأخذته، وما حَمَلَنِي على أخذه إلا أني لم أجد غيره. قالت: فلما أخذته، رجعت به إلى رَحلي فلما وضعته في جِجري أقبلَ عليه ندياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبلَ ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لَحافِلٌ، فحلب

في المسندِ عن عائشة - رضي الله عنها - ترفعه: «لا تَسْتَرْضِعُوا الْحَمَيَّ؛ فَإِنَّ اللَّبْنَ يُوْرثُ»^(١) ويحتمل أن تكونَ حلِمةٌ ونساء قومها طلبن الرُّضْعاءَ اضطراراً للأزمة التي أصابتهم، والسَّنة الشَّهَاء التي افْتَحَمَتْهم.

لَمَ كانت قريش تدفع أولادها إلى المراضع؟

وأما دَفْعُ قريش وغيرهم من أشراف العربِ أولادهم إلى المراضع، فقد يكون ذلك لوجوه. أحدها: تفرِغُ النساءِ إلى الأزواج، كما قال عَمَارُ بن ياسر لَأُمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - وكان أخاها من الرضاعة، حين انْتَزَعَ من جِجْرِها زينب بنت أبي سَلَمَةَ، فقال: «دَعِي هذه الْمُقْبُوْحَةَ الْمُشْقُوْحَةَ»^(٢) التي آذيت بها رسولُ الله - ﷺ - وقد يكون ذلك منهم أيضاً لِيَنشَأَ الطُفْلُ في الأَغْرَابِ، فيكونَ أَفْصَحَ لِلْسَانِ، وأَجْلَدَ لِيَجْسِمِهِ، وأَجْدَرُ أن لا يفارقَ الهَيْئَةَ الْمَعْدِيَّةَ^(٣) كما قال عُمَرُ رضي الله عنه: تَمَعَّدُوا وَتَمَعَّرُوا^(٤) واخْشَوْشُوا [رواه ابن أبي حَذَرْد] ^(٥). وقد قال - عليه السلام - لأبي بكر - رضي الله عنه - حين قال له: ما رأيت أفصحَ منك يا رسولَ اللَّهِ، فقال: وما يمنعني، وأنا من قريش، وأَرْضِعْتُ في بني سَعْدِ؟! فهذا ونحوه كان يحملهم على دَفْعِ الرُّضْعَاءِ إلى المراضع الأَغْرَابِيَّات. وقد ذكر أن عبدَ الملك بن مَرْوَانَ كان يقول: أَضُرُّ بِنَا حُبَّ الْوَلِيدِ؛ لَأَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ لَحْنًا، وكان سُلَيْمَانُ

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٥٢/١) بلفظ: «لا تسترضعوا الورهاء». والبخاري (١٦٩/٢) وإسنادهما ضعيف. وأخرجه ابن عدي في الكامل (١٨٠٣/٥) (٢٧٣٩/٧) مثله. وهو ضعيف أيضاً.

(٢) المشقوقة: المكسورة أو المبعدة.

(٣) المعدية: نسبة إلى معد. وهم أهل غلظة.

(٤) تمعزز: تعزز لحمه.

(٥) أخرجه ابن عساكر (٣٥٢/٧) وابن أبي شيبة (٢٢/٩) مرفوعاً وإسنادهما ضعيف.

منها ما شَرِب، وشَرِبْتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وَشِبَعًا، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أَصْبَحنا: تَعَلَّمي والله يا حَلِيمَة، لقد أَخَذْتَ نَسْمَة مَبَارَكَة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أتانِي، وحملتْ عليها معي، فوالله لَقَطَعْتُ بِالرَّكَب ما يقدر عليها شيء من خُمُرهم، حتى إِنْ صَوَّاحِبِي لَيَقْلُن لي: يا ابنة أبي ذُؤَيْب، ويحك! ازْبِعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إِنْ لها شَأْنًا. قالت: ثم قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا من بِلَاد بني سَعْد. وما أَعْلَم أرضًا من أرض الله أَجْدَب منها. فكانت غَنَمِي تروح عليّ حين قَدِمْنَا به معنا شِباعًا لُبْنًا. فنَحْلَب ونشرب. وما يَحْلَب إنسان قَطْرَةً لبن، ولا يجدها في ضَرْع. حتى كان الحاضرون من قَوْنَا يقولون لِرُغِيانهم: ويلكم اسْرَحُوا حيث يَسْرَح راعي بنت أبي ذُؤَيْب فتروح أَغْنَامُهم جِيا عًا ما تَبِضُّ بِقَطْرَة لبن، وتروح غَنَمِي شِباعًا لُبْنًا، فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سِنتاه وفصلته؛ وكان يَشِبُّ شِبابًا لا يَشِبُّهُ الْغِلْمَان، فلم يبلغ سِنَّتَيْهِ حتى كان غَلامًا جَفْرًا. قالت: فَقَدِمْنَا به على أُمِّهِ ونحن أحرصُ شيء على مُكثِهِ فِينَا؛ لما كُنَّا نرى من بَرَكته. فكلَّمْنَا أُمَّهُ، وقلتُ لها: لو تركتِ بَنِيَّ عِنْدِي حتى يَغْلُظ، فلَئِنِّي أَخْشَى عليه وبِأَمَكَة، قالت: فلم نزل بها حتى رَدَّته معنا.

قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مَقْدَمنا بِأَشْهر مع أَخِيهِ لَفِي بِهِمْ لَنَا خَلْف بيوتنا، إِذْ أَتَانَا أَخُوهُ يَشْتَد، فقال لي ولأَبِيهِ: ذاك أَخِي الْقَرَشِي قد أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَاب بِيض، فَأَضْجَعَاه، فَشَقًّا بَطْنَهُ، فَهَما يَسُوطَانَهُ قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائِمًا مُتَنَقِّعًا وَجْهَهُ. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بَنِيَّ، قال: جاءني رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَاب بِيض، فَأَضْجَعَانِي وَشَقًّا بَطْنِي، فالتَمَسَا شَيْئًا لا أَدْرِي ما هُو. قالت: فرجعنا إلى خَبَاتِنَا.

قالت: وقال لي أبوه: يا حَلِيمَة، لقد خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغَلامُ قد أَصِيبَ

فَصِيحًا؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ أَقامَ مع أُمِّهِ، وَسَلِيمَانُ وَغَيْرُهُ من إِخْوَتِهِ سَكَنُوا الْبَادِيَةَ، فَتَعَرَّبُوا، ثُمَّ أَذْبُوا فَتَأَذَّبُوا، وَكَانَ من قُرَيْشٍ أَعْرَابٌ، وَمِنْهُمْ حَضَرٌ، فَالْأَعْرَابُ مِنْهُمْ: بَنُو الْأَذْرَمِ وَبَنُو مُحَارِبٍ، وَأَخْسَبُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ من أَهْلِ الظَّوَاهِرِ، وَلَيْسُوا من أَهْلِ الْبِطَاحِ.

شق الصدر:

وذكر قول أَخِيهِ من الرضاعة: نزل عليه رَجُلَانِ أَبْيَضَانِ، فَشَقًّا عَن بَطْنِهِ، وَهَما يَسُوطَانَهُ، يُقال: سَطَّتِ اللَّبَنُ أو الدَّمُ، أو غَيْرُهُما، أَسْوَطُهُ: إِذَا ضَرَبْتَ بَعْضَهُ بَبَعْضٍ. وَالْمِسْوَطُ: عَوْدٌ يُضْرَبُ بِهِ.

فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه، فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئُرُ، وقد كنت حريصةً عليه، وعلى مُكثه، عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله يا بني وقضت الذي عليّ، وتخوفت الأحداث عليه، فأذيتك إليك كما تحبين. قالت: ما هذا شأنك، فأصدقيني خبرك. قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها. قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كلا. والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبُنيَ لَشَانًا، أفلا أخبرك خبره. قالت: بلى. قالت: رأيت حين حملت به: أنه خرج مني نورٌ أضاء لي قُصورَ بُصرى من أرض الشام. ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حَمَل قط كان أخف ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته، وإنه لواضعٌ يَدَيْه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك، وانطلقني راشدةً.

قال ابن إسحق: وحدثني ثور بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي: أنَّ نفرًا من أصحاب رسول الله - ﷺ - قالوا له: يا رسول

وفي رواية أخرى عن ابن إسحق أنه نَزَلَ عليه كُرْكِيَان^(١)، فشق أحدهما بمنقاره جوفه، ومَجَّ^(٢) الآخر بمنقاره فيه ثُلُجًا، أو بَرَدًا، أو نحو هذا، وهي رواية غريبة ذكرها يونس عنه، واختصر ابن إسحق حديثَ نُزول المَلَكَيْن عليه، وهو أطول من هذا.

وروى ابن أبي الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - قال: «قلت: يا رسول الله كيف علمت أنك نبيٌّ، وبِمَ علمت حتى استيقنت؟ قال: يا أبا ذرٍّ أتاني ملكان، وأنا بِنَظْحَاءِ مَكَّةَ، فوق أحدهما بالأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو. قال: فَرِئُهُ برجلٍ، فوزَّني برجلٍ، فَرَجَحْتُهُ، ثم قال: زَنَّهُ بعشرة، فوزَّني فَرَجَحْتُهُمْ، ثم قال: زَنَّهُ بمائة، فوزَّني، فرجحتهم، ثم قال: زَنَّهُ بالف، فوزَّني فَرَجَحْتُهُمْ، حتى جَعَلُوا يَتَنَاقَلُونَ عليّ من كِفَّة الميزان، فقال أحدهما لصاحبه: شُقَّ بطنه، فشق بطني، فأخرج قلبي، فأخرج منه مَغَمَرُ الشَّيْطَانِ وَعَلَقَ الدَّم، فَطَرَحَهُمَا، فقال: أحدهما لصاحبه: اغسِلْ بطنه غَسْلَ الإناء، واغسِلْ قلبه غَسْلَ المُلَأِ، ثم قال أحدهما لصاحبه: خُطَّ بطنه، فخاط بطني، وجعل الخاتم بين كَفَيْي كما هو الآن، ووليا عني، فكانني أَعَاينُ الأَمْرَ معَاينَةً^(٣) ففي هذا الحديث بيان لما أبهم في الأول، لأنه قال: فأخرج منه مَغَمَرُ

(١) الكركي: طائر كبير طويل العنق والرجلين أتر الذنب.

(٢) مَجَّ: لَقَطَ.

(٣) «صحيح». وأخرجه العقيلي في الضعفاء (٣٥٩/٢) والدارمي (٩١/١) والطبري في التاريخ (٥٣٤/١) والحاكم (٦٠٠/٢) بنحوه وصححه وأقره الذهبي. وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٣٩/٥) من حديث أبي بن كعب بنحوه. وأصله في صحيح مسلم.

الله. أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشِّرَى أَخِي عيسى، ورات أُمِّي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قُصُورَ الشَّامِ، واسترُضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ. فبينما أنا مع أخ لي خلفَ بيوتنا نرعى بهما لنا. إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطُنت من ذهب مملوءة ثلجًا. ثم أخذاني فشَقَّا بطني، واستخرجا قلبي، فشَقَّاه فاستخرجا منه عَلقَةً سوداء فطرحاها. ثم عَسَلَا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى

الشیطان، وعَلَقَ الدَّم، فَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِي التَّمَسَّ فِيهِ هُوَ الَّذِي يَغْمِزُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ كُلِّ مَوْلُودٍ إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ^(١) - عليهما السلام - لقول أمها حَتَّةُ: «وَأَنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» [آل عمران: ٣٦]. فلم يصل إليه لذلك، ولأنه لم يُخْلَقْ مِنْ مَنِيِّ الرِّجَالِ فَأَعِيدَهُ مِنْ مَغْمَزٍ، وَإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ نَفْخَةِ رُوحِ الْقُدُسِ، وَلَا يَدُلُّ هَذَا عَلَى فَضْلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - لِأَنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - قَدْ نُزِعَ مِنْ ذَلِكَ الْمَغْمَزُ، وَمُلِئَ قَلْبُهُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، بَعْدَ أَنْ غَسَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ بِالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْمَغْمَزُ فِيهِ لِمَوْضِعِ الشَّهْوَةِ الْمُحَرَّكَ لِلْمَنِيِّ، وَالشَّهَوَاتِ يَحْضَرُهَا الشَّيَاطِينُ، لَا سِوَمَا شَهْوَةٍ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، فَكَانَ ذَلِكَ الْمَغْمَزُ رَاجِعًا إِلَى الْأَبِّ، لَا إِلَى الْإِبْنِ الْمَطْهُرِ - ﷺ -.

وفي الحديث فائدة أخرى، وهي مِنْ نَفْسِ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ أَنَّ خَاتَمَ النُّبُوَّةِ لَمْ يَدْرِ هَلْ خَلَقَ بِهِ، أَمْ وُضِعَ فِيهِ بَعْدَمَا وُلِدَ، أَوْ حِينَ نُبِّئَ، فَبَيَّنَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَتَى وُضِعَ، وَكَيْفَ وُضِعَ، وَمَنْ وَضَعَهُ، زَادَنَا اللَّهُ عِلْمًا، وَأَوْزَعَنَا شُكْرًا مَا عَلِمَ، وَفِيهِ الْبَيَانُ لِمَا سَأَلَ عَنْهُ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَالَ: كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ، فَأَعْلَمَهُ بِكَيْفِيَةِ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَهَمًّا مِنْ بَعْضِ الثَّقَلَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: بَيْنَمَا أَنَا بَطْخَاءُ مَكَّةَ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ لَمْ تَعْرَضْ لَهُ إِلَّا وَهُوَ فِي بَنِي سَعْدٍ مَعَ حَلِيمَةٍ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ، وَقَدْ رَوَاهُ الْبَزَّازُ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ بَطْخَاءَ مَكَّةَ.

حديث السكينة:

وذكر فيه أنه قال: وَأَوْتِيْتُ بِالسَّكِينَةِ كَأَنَّهَا زَهْرَةٌ، فَوُضِعَتْ فِي صَدْرِي. قال: وَلَا أَعْلَمُ لِعُرْوَةَ سَمَاعًا مِنْ أَبِي ذَرٍّ. وذكر من طريق آخر عن أبي ذرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، وَزَنْتُ بِأَرْبَعِينَ، أَنْتَ فِيهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ» وَالزَّهْرَةُ: بَصِيصُ الْبَشَرَةِ، فَهَذَا بَيَانُ وَضْعِ الْخَاتَمِ مَتَى وَضِعَ.

(١) يشير إلى قول الله عز وجل: «وَأَنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقْبِلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ». وإلى قوله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢/٦) وَمُسْلِمٌ (١٨٣٨) وَأَحْمَدُ (٢٣٣/٢).

أَنْقِيَاهُ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لَصَاحِبِهِ: زِنْتُهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْتُهُ بِمِثْلَةِ مِنْ أُمَّتِهِ. فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْتُهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ. فَقَالَ: دَعِهِ عَنْكَ، فَوَاللَّهِ لَوْ وَزَنْتُهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا^(١).

مسألة شق الصدر مرة أخرى:

وَأَمَّا مَتَّى وَجَبَتْ لَهُ التُّبُوَّةُ، فَرُوِيَ عَنْ مَيْسِرَةَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: مَتَّى وَجَبَتْ لَكَ التُّبُوَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»^(٢)، وَيُزَوَّى: وَأَدَمُ مُجْتَدِلٌ فِي طَبِئَتِهِ^(٣).

وهذا الخبر يُزَوَّى عَنْهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، وَهُوَ مَعَ رَأْبَتِهِ وَرُضْعَتِهِ فِي بَنِي سَعْدِ، وَأَنَّهُ جِيءَ بِطُغْسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهِ ثَلَجٌ فغَسَلَ بِهِ قَلْبَهُ، وَالثَّانِي فِيهِ: أَنَّهُ غَسَلَ بِمَاءٍ زَمَزَمَ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ حِينَ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَمَا بُعِثَ بِأَعْوَامٍ، وَفِيهِ أَنَّهُ أَتَى بِطُغْسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ مَمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرِغَ فِي قَلْبِهِ. وَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَلْفَ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ تَعَارَضَ فِي الرَّوَايَتَيْنِ، وَجَعَلَ يَأْخُذُ فِي تَرْجِيحِ الرَّوَاةِ وَتَغْلِيظِ بَعْضِهِمْ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ كَانَ هَذَا التَّقْدِيسُ وَهَذَا التَّطْهِيرُ مَرَّتَيْنِ.

الأولى: فِي حَالِ الطُّفُولِيَّةِ لِيُنْقَى قَلْبُهُ مِنْ مَغَمَزِ الشَّيْطَانِ، وَلِيُطَهَّرَ وَيُقَدَّسَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَمِيمٍ، حَتَّى لَا يَتَلَبَّسَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُعَابَ عَلَى الرِّجَالِ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّوْحِيدَ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: فَوَلِّيًا عَنِّي، يَعْنِي: الْمَلَكَيْنِ، وَكَأَنِّي أَعَايِنُ الْأَمْرَ مُعَايِنَةً.

والثانية: فِي حَالِ الْاِكْتِهَالِ، وَبَعْدَمَا نُتِبِيَ، وَعِنْدَمَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي لَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا مُقَدَّسٌ، وَعُجِرَ بِهِ هُنَاكَ لِنَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ، وَلِيُصَلِّيَ بِمَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ، وَمِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ: الطُّهُورُ، فَقَدَّسَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَغَسَلَ بِمَاءِ زَمَزَمَ.

وَفِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بِالثَّلَجِ لِمَا يُشْعِرُ الثَّلَجُ مِنْ ثَلَجِ الْيَقِينِ وَيَزِيدُهُ عَلَى الْفَوَادِ، وَكَذَلِكَ هُنَاكَ حَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَبِوَحْدَانِيَّةِ رَبِّهِ.

وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ، فَقَدْ كَانَ مُوقِنًا مُنَبِّئًا، فَإِنَّمَا طَهَّرَ لِمَعْنَى آخَرٍ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ دُخُولِ حَضْرَةِ الْقُدُّوسِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا، وَلِقَاءِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، فغَسَلَهُ رُوحُ الْقُدُّوسِ بِمَاءِ زَمَزَمَ الَّتِي هِيَ

(١) «صحيح». أخرجه ابن عساكر (٢٦٥/١) من حديث عبادة بن الصامت. وفيه بشر بن عمارة والأحوص بن حكيم: ضعيفان. وللحديث شواهد تصل به إلى الصحيح.

(٢) «صحيح». أخرجه الترمذي (٣٦٠٩) وأحمد (٤/٥) والحاكم (٦٠٩/٢) وابن أبي شيبه (١٤/٢٩٢).

(٣) «صحيح». أخرجه أحمد (١٢٧/٤) وابن سعد (٩٦/١/١) والطبراني (٢٥٢/١٨) وأبو نعيم من الدلائل (٨١/٨٠/١).

هَزْمَةُ رُوحِ الْقُدُسِ، وَهَمْزَةُ عَقِبِهِ^(١) لِأَيِّهِ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجِيءَ بِطُسْنِثٍ مُنْتَلِيءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأُفْرِغَ فِي قَلْبِهِ، وَقَدْ كَانَ مُؤْمِنًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] وَقَالَ: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]. فَإِنَّ قِيلَ: وَكَيْفَ يَكُونُ الْإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ فِي طُسْنِثٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْإِيمَانُ عَرَضٌ، وَالْأَعْرَاضُ لَا يوصفُ بِهَا إِلَّا مَحَلُّهَا الَّذِي تَقُومُ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْإِنْتِقَالُ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ مِنْ صِفَةِ الْأَجْسَامِ، لَا مِنْ صِفَةِ الْأَعْرَاضِ؟ قُلْنَا:

إِنَّمَا عُبِّرَ عَمَّا كَانَ فِي الطُّسْنِثِ بِالْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ، كَمَا عُبِّرَ عَنِ اللَّبَنِ الَّذِي شَرِبَهُ، وَأُعْطِيَ فَضْلَهُ عَمْرٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِالْعِلْمِ، فَكَانَ تَأْوِيلُ مَا أُفْرِغَ فِي قَلْبِهِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَلَعَلَّ الَّذِي كَانَ فِي الطُّسْنِثِ كَانَ ثُلْجًا وَبَرْدًا - كَمَا ذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ - فَعَبِّرَ عَنْهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ بِمَا يَزُولُ إِلَيْهِ، وَعَبِّرَ عَنْهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بِصُورَتِهِ الَّتِي رَأَاهَا، لِأَنَّهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى كَانَ طِفْلًا، فَلَمَّا رَأَى الثَّلْجَ فِي طُسْنِثِ الذَّهَبِ اعْتَقَدَهُ ثُلْجًا، حَتَّى عَرَفَ تَأْوِيلَهُ بَعْدَ وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ كَانَ نَبِيئًا، فَلَمَّا رَأَى طُسْنِثَ الذَّهَبِ مَمْلُوءًا ثُلْجًا عِلْمَ التَّأْوِيلِ لِجَنِّهِ وَاعْتَقَدَهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَكَانَ لَفْظُهُ فِي الْحَدِيثَيْنِ عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِهِ فِي الْمَقَامَيْنِ.

مناسبة الذهب للمعنى المقصود:

وَكَانَ الذَّهَبُ فِي الْحَالَتَيْنِ جَمِيعًا مُنَاسِبًا لِمَعْنَى الَّذِي قُصِدَ بِهِ. فَإِنَّ نَظَرَ إِلَى لَفْظِ الذَّهَبِ، فَمُطَابِقٌ لِلْإِذْهَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَرَادَ أَنْ يُذْهَبَ عَنْهُ الرُّجَسُ، وَيُطَهَّرَ تَطْهِيرًا، وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى مَعْنَى الذَّهَبِ وَأَوْصَافِهِ وَجَدْتَهُ أَنْقَى شَيْءٍ وَأَصْفَاهُ، يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: أَنْقَى مِنَ الذَّهَبِ. وَقَالَتْ بَرِيرَةُ فِي عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَا أَعْلَمُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَغْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ. وَقَالَ خُذِيفَةُ فِي صِلَةَ بْنِ أَشِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّمَا قَلْبُهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ فِي الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ: إِنَّهُ لَرَجُلٌ مِنْ ذَهَبٍ، يَرِيدُونَ: النِّقَاءَ مِنَ الْغُيُوبِ، فَقَدْ طَابَقَ طُسْنِثُ الذَّهَبِ مَا أُرِيدَ بِالنَّبِيِّ - ﷺ - مِنْ نِقَاءِ قَلْبِهِ. وَمِنْ أَوْصَافِ الذَّهَبِ أَيْضًا الْمُطَابَقَةُ لِهَذَا الْمَقَامِ ثَقَلُهُ وَرُسُوبُهُ، فَإِنَّهُ يُجْعَلُ فِي الرِّبْتِ الَّذِي هُوَ أَثْقَلُ الْأَشْيَاءِ، فَيُرْسَبُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّا سَلَفْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المرمل: ٥]. وَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِنَّمَا ثَقُلْتُ مَوَازِينَ الْمُحِقِّينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَقَالَ فِي أَهْلِ الْبَاطِلِ بَعْكَسَ هَذَا. وَقَدْ رُوِيَ: أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، فَثُقُلَ عَلَيْهَا حَتَّى سَاقَتْ قَوَائِمُهَا فِي الْأَرْضِ، فَقَدْ

(١) همزة عقبه: نكرة عقبه.

تطابقت الصفة المعقولة والصفة المحسوسة. ومن أوصاف الذهب أيضًا أنه لا تأكله النار، وكذلك القرآن: لا تأكل النار يوم القيامة قلبًا وعاء، ولَا بَدَنًا عَمِلَ بِهِ، قال النبي - ﷺ -: «لو كان القرآن في إهاب^(١)، ثم طُرِحَ في النار ما احترق^(٢)» ومن أوصاف الذهب المناسبة لأوصاف القرآن والوحي: أَنَّ الأرض لا تُبْلِيه، وأن الثرى لا يَذْرِيه، وكذلك القرآن لا يَخْلُق على كثرة الرَّدِّ، ولا يُسْتَطَاع تغييره ولا تبديله، ومن أوصافه أيضًا: نفاسته وعِزُّه عند الناس، وكذلك الحقُّ والقرآنُ عزيزٌ، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ لِكِتَابِ عَزِيزٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤١]. فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه، وإذا نظرت إلى ذاته وظاهره، فإنه زُخْرُفُ الدُّنْيَا وزينتها، وقد فُتِحَ بالقرآن والوحي على محمد - ﷺ - وأمه خزانة الملوك، وتصير إلى أيديهم ذهبها وفضتها، وجميع زُخْرُفِها وزينتها، ثم وَعِدُوا باتباع القرآن والوحي قُصُورَ الذهب والفضة في الجنة. قال - ﷺ -: «جُئْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا مِنْ ذَهَبٍ^(٣)، وفي التنزيل: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزُّخْرُف: ٧] ﴿وَيُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣؛ وفاطر: ٣٣] فكان ذلك الذهب يُشعر بالذهب الذي يصير إليه مَنْ اتبع الحقَّ، والقرآنُ وأوصافه تُشعر بأوصاف الحق، والقرآنُ ولفظه يُشعر بإذهاب الرُّجْس، كما تقدم، فهذه حِكْمُ بالغة لِمَنْ تأمل، واعتبار صحيح لِمَنْ تدبر، والحمد لله.

وفي ذكر الطُّسْتِ وحروف اسمه حكمة تنظر إلى قوله تعالى: ﴿طَسْ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ١]^(٤) ومما يُسأل عنه: هل خُصَّ هو - ﷺ - بغسل قلبه في الطُست، أم فُعلَ ذلك بغيره من الأنبياء قبله، ففي خبر التابوت والسكينة، أنه كان في الطُّسْتِ التي غُسِلَتْ فيها قلوبُ الأنبياء عليهم السلام. ذكره الطبري^(٥)، وقد انتزع بعضُ الفقهاء من حديث الطُّسْتِ حيثُ جُعِلَ مَحَلًّا للإيمان والحكمة جوازَ تحلية المُصْحَفِ بالذهب، وهو فقه حَسَنٌ^(٦)، ففي حديث أبي ذر - رضي الله عنه - هذا الذي قَدَّمناه، متى علم أنه نبي.

(١) إهاب: جلد.

(٢) «حسن». أخرجه أحمد (١٥٥/٤) والطبراني في الكبير (٢١٢/٦) (٣٠٨/١٧) والبيهقي في الصفات (٢٦٤) بتحقيقي. والبخاري في شرح السنة (٤٣٦/٤).

(٣) «صحيح». أخرجه البخاري (١٨١/٦) ومسلم في الإيمان (٢٩٦) وابن ماجه (١٨٦) والبيهقي في الصفات (٣٠٢) بتحقيقي.

(٤) التفسير والتأويل الأول جميل يشهد لصاحبه بالعلم الجَمِّ والتدبُّر الذكي لحديث النبي - ﷺ. أما تفسيره لسورة النمل فبعيد. والله أعلى وأعلم.

(٥) الطبري في تاريخه (٥٤٠/١). (٦) تأويل بعيد رَدَّه غير واحد من أهل العلم.

عود على حديث ابن إسحق:

قال ابن إسحق: وكان رسول الله - ﷺ - يقول: «ما مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدَ رَعَى الْغَنَمَ»،

الحكمة في ختم النبوة:

والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملئ قلبه حكمةً وبقيناً، خُتِمَ عليه كما يُخْتَمُ على الوعاء المملوء مسكاً أو ذُراً، وأما وَضْعُهُ عند نُغْضِ كَتِفِهِ^(١)، فلأنه معصومٌ من وَسْوَسةِ الشيطان، وذلك الموضع منه يُوسوسُ الشيطانُ لابن آدم. روى مَيْمُونُ بن مهران عن عُمَرَ بن عبد العزيز أن رجلاً سأل رَبَّهُ أن يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشيطانِ منه، فَأَرَاهُ جَسَدًا مُمَهًى^(٢) يُرى داخله من خارجه، والشيطانُ في صُورَةِ ضِفْدَعٍ عند نُغْضِ كَتِفِهِ جِذَاءً قَلْبِهِ، لَهُ خُزْطُومٌ كَخُزْطُومِ الْبَعُوضَةِ، وقد أدخله إلى قلبه يوسوس، فإذا ذكر الله تعالى العبدُ خَسَّ^(٣).

رد حليمة للنبي - ﷺ -:

فصل: وكان ردُّ حليمةَ إِيَّاهُ إلى أمِّه وهو ابنُ خمسِ سنينَ وشهر، فيما ذكر أبو عَمَرَ^(٤)، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين: إحداهما بعد تزويجه خديجة - رضي الله عنها - جاءته تشكو إليه السُّنَّةَ، وأن قومها قد أَسْتَوُوا^(٥) فكَلَّمَ لها خديجةً، فأعطتها عشرينَ رأساً من غَنَمٍ وَبَكْرَاتٍ، والمرة الثانية: يوم حَتَّينَ وسيأتي ذكرها إن شاء الله.

تأويل النور الذي رآته آمنة:

فصل: وذكر النورَ الذي رآته آمنة، حين ولدته عليه السلام، فأضاءت لها قصور الشام، وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد، حتى كانت الخلافةُ فيها مدة بني أمية، واستضاءت تلك البلادُ وغيَرُها بنوره - ﷺ - وكذلك رأى خَالِدُ بنُ سَعِيدٍ بن العاصي قبل الْمَبْعَثِ بيسيرٍ نوراً يخرج من زَمْزَمَ، حتى ظهرت له الْبُسْرُ^(٦) في نخيلٍ يَثْرِبُ، فقَصَّها على أخيه عَمْرٍو، فقال له: إنها حَفِيرَةُ عبدِ الْمُطَّلِبِ، وإن هذا النورَ منهم، فكان ذلك سببَ مُبَادَرَتِهِ إلى الإسلام.

رعيه الغنم:

فصل: وذكر قولَ النبي - ﷺ -: «ما مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدَ رَعَى الْغَنَمَ». قيل: وأنت يا

(١) نغض الكتف: أعلى غضروف الكتف.

(٢) ممهى: أي مُصْفًى أو مُخْلًى.

(٣) خنس: هرب وابتعد.

(٤) يعني ابن عبد البر. صاحب التمهيد وغيره.

(٥) استوا: أجذبوا.

(٦) البسر: البلح المشوب بصفرة.

قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا»^(١).

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - يقول لأصحابه: «أنا أعزبكم، أنا قرشي، واشترضت في بني سعد بن بكر»^(٢). [حديث ضعيف].

قال ابن إسحاق: وزعم الناس فيما يتحدثون، والله أعلم: أن أمه السعدية لما قَدِمَتْ به مكة أضلُّها في الناس، وهي مقبلة به نحو أهله، فالتمسته فلم تجده، فأنت عبد المطلب، فقالت له: إني قد قَدِمْتُ بمحمد هذه الليلة، فلما كنت بأعلى مكة أضلُّني، فوالله ما أدري أين هو، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده، فيزعمون أنه وجدَه ورقة بن نوفل بن أسد، ورجل آخر من قريش، فأتيا به عبد المطلب، فقالا له: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه عبد المطلب، فجعله على عنقه، وهو يطوف بالكعبة يُعوِّذه ويدعو له، ثم أرسل به إلى أمه آمنة.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم^(٣)، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه، مع ما ذكرت لأُمه مما أخبرتها عنه، أن نَفَرًا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه، وسألوه عنه وقلَّبوه، ثم قالوا لها: لَنَأْخُذَنَّ هذا الغلامَ، فَلَنُدْهَبَنَّ به إلى مَلِكنا ويَلدنا؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فزعم الذي حدثني أنها لم تكذُ تفلت به منهم.

رسول الله؟ قال: «وأنا». وإنما أراد ابنُ إسحاق بهذا الحديث رِعايته العَنَم في بني سَعْدٍ مع أخيه من الرِّضاعة، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكة أيضًا على قرابط لأهل مكة. ذكره البخاري، وذكر البخاري عنه أيضًا أنه قال: ما هَمَمْتُ بشيء من أمر النِّجَاحِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، وروى أن إحدى المَرتين كان في عَنَمٍ يرعاها هو وغلامٌ من قُرَيْشٍ، فقال لصاحبه: اكْفَيْني أمرَ العَنَمِ حتى آتي مكة، وكان بها عَزَسٌ فيها لَهْوٌ وزَمَرٌ، فلما دنا من الدار ليحضر ذلك، ألْقِي عليه النومُ، فنام حتى ضربته الشمسُ عَصَمَةً من اللِّه له. وفي المرة الآخرة قال لصاحبه مثل ذلك، وألْقِي عليه النومُ فيها، كما ألْقِي في المرة الأولى^(٤). ذكر هذا المعنى ابنُ إسحاق في غير رواية البُكَائِي. وفي غريب الحديث لِلْقَتَيْبِي: «بُعِثَ موسى - ﷺ - وهو راعي غنم،

(١) «صحيح». أخرجه البخاري في الإجازة (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) ضعيف جدًا. أخرجه ابن سعيد (٧١/١/١) والقاري في الأبرار (١١٦). فيه مبشر بن عبيد: متروك.

(٣) مجاهيل. والرواية السابقة فيها نظر أيضًا.

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه (٥٢٠/١) والبيهقي في الدلائل (٥٨/١) والحاكم (٢٤٥/٤).

وَبُعْثَ دَاوُدَ - ﷺ - وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ، وَبُعْثْتُ، وَأَنَا رَاعِي غَنَمٍ أَهْلِي بِأَجْيَادِهِ^(١) وَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ هَذَا فِي الْأَنْبِيَاءِ تَقْدِيمَةً لَهُمْ، لِيَكُونُوا رِعَاةَ الْخَلْقِ، وَلِتَكُونَ أُمَمُهُمْ رِعَايَا لَهُمْ، وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ يَنْزِعُ عَلَى قَلِيبٍ وَحَوْلَهَا غَنَمٌ سُودٌ، وَغَنَمٌ عُفْرٌ^(٢). قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَتَزَعُ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا يَعْنِي: الدَّلْوُ، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي قَرِيئَهُ^(٣) فَأَوَّلَهَا النَّاسُ فِي الْخِلَافَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٤)، وَلَوْلَا ذِكْرُ الْغَنَمِ السُّودِ وَالْعُفْرِ لَبَعُدَتْ الرُّؤْيَا عَنْ مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالرِّعَايَةِ؛ إِذِ الْغَنَمُ السُّودُ وَالْعُفْرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَأَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يَذْكُرُوا الْغَنَمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ. ذَكَرَهُ الْبَزَّازُ فِي مُسْنَدِهِ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَيْضًا، وَبِهِ يَصُحُّ الْمَعْنَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أجْيَاد: جبل بمكة. والحديث أخرجه ابن سعد (٨٠/١/١) وأحمد (٩٦/٣) والدولابي في الكنى (٩٢/١) وابن المبارك في الزهد (٤١٥).

(٢) العفر: جمع عفراء. ما يعلو بياضها حمرة. (٣) يفري فرية: يعمل عملاً عظيماً.

(٤) متفق عليه.

وفاة أمنة

وحال رسول الله ﷺ مع جدّه عبد المطلب بعدها

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - مع أمه أمنة بنت وهب، وجدّه عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحِفْظِهِ، يُثَبِّتُهُ اللهُ نَبَاتًا حَسَنًا، لما يريد به من كرامته فلما بلغ رسول الله - ﷺ - ست سنين، توفيت أمه أمنة بنت وهب.

في كفالة العمّ

فصل: وذكر كَوْنُ النبي - ﷺ - في كفالة عمه يَكْلُؤُهُ وَيَحْفَظُهُ. فَمِنْ حَفَظِ اللهِ لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتِيمًا لَيْسَ لَهُ أَبٌ يَرْحَمُهُ، وَلَا أُمٌّ تَرَأَاهُ^(١) لَأَنَّهَا مَاتَتْ، وَهُوَ صَغِيرٌ، وَكَانَ عِيَالٌ أَبِي طَالِبٍ ضَعْفًا^(٢)، وَعَيْشُهُمْ شَظَفًا^(٣)، فَكَانَ يَوْضِعُ الطَّعَامَ لَهُ وَلِلصَّبِيِّ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي طَالِبٍ، فَيَتَطَاوَلُونَ إِلَيْهِ، وَيَتَقَاصِرُ هُوَ، وَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ، وَتَنْقَبِضُ يَدُهُ تَكَرُّمًا مِنْهُ وَاسْتِحْيَاءً وَنَزَاهَةً نَفْسٍ وَقَنَاعَةً قَلْبٍ، فَيَصْبَحُونَ غُمْصًا رُمْصًا، مُضْفَرَةً الْوَأْنَهُمْ وَيُصْبِحُ هُوَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - صَقِيلًا دَهِيًّا كَأَنَّهُ فِي أَنْعَمِ عَيْشٍ، وَأَعَزَّ كِفَايَةٍ، لَطْفًا مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهِ. كَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْقُتَيْبِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ.

موت أمنة وزيارته لها

فصل: وذكر موت أمه أمنة بالأبواء، وهو مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَهُوَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَقْرَبُ كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِجَمْعِ بَوٍّ، وَهُوَ جِلْدُ الْحَوَارِ^(٤) الْمَخْشُوءُ بِالتَّبَنِ وَغَيْرِهِ، وَقِيلَ: سُمِّيَ بِالْأَبْوَاءِ لِتَبَوُّءِ السُّيُولِ فِيهِ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ عَنْ كَثِيرٍ. ذَكَرَهُ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ.

(١) ترأه: تعطف عليه وتلزمه. انظر اللسان (١٢/٢٢٣).

(٢) ضعف: أي كثير. السابق (٩/٢٠٧).

(٣) شظف: الشظف: يُس العيش وشدته. السابق (٩/١٧٦).

(٤) الحوار: ولد الناقة حتى يفصل. اللسان (٤/٢١٧).

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم:

أن أم رسول الله - ﷺ - آمنة تُوفيت ورسول الله - ﷺ - ابن ست سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة، كانت قد قَدِمَتْ به على أخواله من بني عديّ بن النُّجَّار، تُزيّره إِيَّاهم، فماتت، وهي راجعة به إلى مكة.

قال ابن هشام: أم عبد المطلب بن هاشم: سَلِمَى بنت عمرو النُّجَّارية فهذه الخُوْلة التي ذكرها ابنُ إسحاق لرسول الله - ﷺ - فيهم.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - مع جدّه عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضع لعبد المطلب فراش في ظلّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له، قال: فكان رسول الله - ﷺ - يأتي، وهو غلام جَفَر، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامُه، ليؤخّروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دَعُوا ابني، فوالله إنّ له لَشَأْنًا، ثم يُجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده، ويسرّه ما يراه يصنع^(١).

وفي الحديث أن رسول الله - ﷺ - زار قبر أمّه بالأبواء في ألفٍ مُقَنّع، فبكى وأبكى، وهذا حديث صحيح^(٢)، وفي الصحيح أيضًا أنه قال: استأذنت ربي في زيارة قبر أمي، فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها، فلم يأذن لي^(٣). وفي مُسْنَد البَزَّاز من حديث بُرَيْدَةَ أنه - ﷺ - حين أراد أن يستغفرَ لأمّه، ضرب جبريلُ عليه السلام في صدره، وقال له: لا تستغفر لمن كان مُشْرِكًا، فرجع وهو حزين^(٤).

وفي الحديث زيادةٌ في غير الصحيح أنه سُئِلَ عن بُكائه، فقال: ذكرت ضَعْفَهَا وشِدَّةَ عذابِ الله، إن كان صَحَّ هذا.

وفي حديثٍ آخر ما يُصَحِّحُه، وهو أن رجلاً قال له: يا رسول الله: أين أبي؟ فقال: «في النار»، فلما وَلَّى الرجلُ، قال عليه السلام: «إن أبي وأباك في النار»^(٥)، وليس لنا أن

(١) انظر الطبقات (١١٧/١) والوفا لابن الجوزي (١٣٩).

(٢) «صحيح». أخرجه أحمد (٣٥٥/٥) وابن شاهين في الناسخ (٤٢٤) بسند ضعيف. ومقنع أي مغطى بالسيف. وقيل هي الخوذة.

(٣) «صحيح». أخرجه مسلم في الجناز (١٠٨) وابن ماجه (١٥٧٢) وأحمد (٤٤١/٢).

(٤) أخرجه البزار (٦٦/١).

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان (٣٤٧) وأحمد (١١٩/٣) وأبو عوانة (٩٩/١).

نقول نحن هذا في أبويه - ﷺ^(١) - لقوله عليه السلام: «لا تُؤدوا الأحياء بسبِّ الأموات»^(٢)، واللَّهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]﴾ [الأحزاب: ٧٥]. وإنما قال النبي - ﷺ - لذلك الرجل هذه المقالة، لأنه وجد في نفسه، وقد قيل: إنه قال: أين أبوك أنت؟ فحينئذ قال ذلك، وقد رواه مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ بغير هذا اللفظ، فلم يذكر أنه قال له: إن أبي وأباك في النار، ولكن ذكر أنه قال له: «إذا مَرَزْتَ بقبر كافر، فبشِّره بالنار»، ورُوِيَ حديثٌ غريبٌ لعله أن يصحَّ. وجدته بخط جَدِّي أَبِي عِمْرَانَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْقَاضِي - رحمه الله - بسندٍ فيه مجهولون، ذكر أنه نقله من كتابِ اثْنَيْسَخٍ مِنْ كِتَابِ مُعَوِّذِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ مُعَوِّذِ الزَّاهِدِ يرفعه إلى [عبد الرحمن بن] أَبِي الزِّنَادِ عَنْ [هشام بن] عُروَةَ، عَنْ [أبيه عن] عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أخبرت أن رسول الله - ﷺ - سأل ربَّه أن يُخَيِّبَ أبويه، فأحياهما له، وآمنا به، ثم أماتهما، والله قادر على كُلِّ شيءٍ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيءٍ، ونبَّه عليه السلام أهلًا أن يُخْصَّه بما شاء من فضله، ويُنْعِمَ عليه بما شاء من كرامته - صلوات الله عليه وآله وسلَّم - قال القرطبي في تذكرته: جزم أبو بكر الخطيب في كتاب: السابق واللاحق، وأبو حفص عُمَرُ بْنُ شَاهِينَ فِي كِتَابِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ لَهُ فِي الْحَدِيثِ بِإِسْنَادَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قالت: حَجَّ بنا رسول الله - ﷺ - حجة الوداع، فَمَرَ عَلَى قَبْرِ أُمِّهِ، وَهُوَ بَاكٍ حَزِينٌ مُعْتَمِّمٌ، فَبَكَيتُ لِبَكَائِهِ - ﷺ - ثُمَّ إِنَّهُ نَزَلَ فَقَالَ: «يَا حُمَيْرَاءُ اسْتَمْسِكِي»، فَاسْتَنْدَتِ إِلَى جَنْبِ الْبَعِيرِ، فَمَكَثَ عَنِّي طَوِيلًا مَلِيًّا، ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَيَّ، وَهُوَ قَرِيحٌ مُتَبَسِّمٌ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَتِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ نَزَلْتَ مِنْ عِنْدِي، وَأَنْتَ بَاكٍ حَزِينٌ مُعْتَمِّمٌ. فَبَكَيتُ لِبَكَائِكَ. ثُمَّ عَدْتُ إِلَيَّ، وَأَنْتَ قَرِيحٌ مُبْتَسِمٌ، فَمِمَّ ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «ذَهَبَ لِقَبْرِ أُمِّتِي أُمِّي، فَسَأَلْتُ أَنْ يَحْيِيَهَا، فَأَحْيَاهَا فَأَمْنَتْ بِي»؛ أَوْ قَالَ: فَأَمْنَتْ. وَرَدَّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣).

(١) بل لنا أن نقول كما قال هو في أبيه ﷺ، ولا يقدح هذا فيه صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) انظر الكثر (٣٧٤١٧) وهو حسن.

(٣) إسناده ضعيف. أخرجه ابن شاهين في الناسخ (٤٢٥) وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد: ضعيف.

وفاة عبد المطلب: وما رثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله - ﷺ - ثمانين سنين هلك عبد المطلب بن هاشم، وذلك بعد الفيل بثمانين سنين.

قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبُد بن عَبَّاس، عن بعض أهله: أن عبد المطلب تُوفي ورسول الله - ﷺ - ابن ثمانين سنين.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سعيد بن المُسَيَّب: أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة، وعَرَف أنه ميت جمع بنيته، وكنَّ ست نسوة: صفية، وبرّة، وعاتكة، وأم حكيم البيثاء، وأميمة، وأزوى، فقال لهنّ: ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت.

قال ابن هشام: ولم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب، كتبناه:

فَقَالَتْ صَفِيَّةُ ابْنَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَبْكِي أَبَاهَا:

أَرِقْتُ لَصَوْتِ نَائِحَةٍ بَلِيلٍ	عَلَى رَجُلٍ بِقَارَعَةِ الصَّعِيدِ ^(١)
فَفَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكَ دُمُوعِي	عَلَى خَدِي كُمُتَحَدِرِ الْفَرِيدِ

وفاة عبد المطلب

قول صفية:

ففاضت عند ذلكم دموعي على خدي كمُتَحَدِرِ الْفَرِيدِ

(١) الصعيد: التراب.

على رَجُلٍ كَرِيمٍ غيرَ وَغْلٍ^(١)
على الْفَيَاضِ شَيْبَةً ذِي الْمَعَالِي
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسٍ
طَوِيلِ الْبَاعِ، أَرْوَعَ شَيْظَمِي^(٢)
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجَ ذِي فُضُولٍ
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بِذِي وُضُومٍ
عَظِيمِ الْجَلَمِ مَنْ تَفَرَّ كِرَامٍ
فَلَوْ خَلَدَ أَمْرُو لِقَدِيمٍ مَجْدٍ
لَكَانَ مُخَلَّدًا أُخْرَى اللَّيَالِي

له الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعَبِيدِ
أَبِيكَ الْخَيْرِ وَارِثَ كُلِّ جُودٍ
وَلَا شَخْتُ^(٣) الْمَقَامِ وَلَا سَنِيدُ^(٤)
مُطَاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدٍ
وَعَيْثُ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْحَرُودِ
يَزُوقُ عَلَى الْمُسُودِ وَالْمَسُودِ
خَضَارِمَةً^(٥) مَلَاوِثَةً أَسُودِ
وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ
لِقَفْضِ الْمَجْدِ وَالْحَسِبِ الثَّلِيدِ

يروى: كمنحدر بكسر الدال أي: كالدَّر المنحدر، وَمُنْخَدَرٌ بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض، فعلى رواية الكسر: شَبَّهَتِ الدَّمَغَ بِالذَّرِّ الْفَرِيدِ، وعلى رواية الْفَتْحِ شَبَّهَتِ الْفَيْضَ بِالْأَنْحَادِ.

وقولها: أَبِيكَ الْخَيْرِ. أرادت: الْخَيْرَ فَخَفَفْتُ، كما يقال: هَيْنَ وَهَيْنَ، وفي التنزيل: ﴿خَيْرَاتٍ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٠]. وكان اسمُ أُمِّ الدَّرْدَاءِ: خَيْرَةٌ بنت أبي حَذَرْدٍ وكذلك أم الحسن بن أبي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، اسمُها: خَيْرَةٌ، فهذا من الْمُخَفَّفِ، ويجوز أن يكونَ الْخَيْرُ ههنا هو ضدُّ الشَّرِّ، جعلته كله خيراً على المبالغة كما تقول: ما زيدٌ إلا عِلْمٌ أو حُسْنٌ، وما أنت إلا سَيِّرٌ، وهو مجاز حَسَنٌ، فعلى هذا الوجه لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع ولا يُؤَنَّثُ، فيقال: خَيْرَةٌ.

وقولها: وَلَا شَخْتُ الْمَقَامِ وَلَا سَنِيدُ: الشُّخْتُ: [الدقيق الضامِرُ لا هُزْلاً] ضدُّ الضَّنْخِ، تقول: ليس كذلك، ولكنه ضَخْمُ الْمَقَامِ ظَاهِرُهُ. وَالسَّنِيدُ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَقِيلُ بِنَفْسِهِ، حَتَّى يَسْتَنْدَ رَأْيَهُ إِلَى غَيْرِهِ.

وقولها: خَضَارِمَةً مَلَاوِثَةً. ملاوثة: جَمْعُ مِلْوَثٍ مِنَ اللَّوْثَةِ، وهي القوة، كما قال الْمَكْغَبَرُ:

عند الْحَفِيفَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَأَنَا

(١) وغل: الوغل: الذي لا يصلح لشيء. أو السبيء الغذاء. مقياس اللغة (١٢٧/٦).

(٢) الشخت: الهزيل القليل.

(٣) السنيد: الضعيف.

(٤) خضارمة ملاوثة أسود: كثير العطاء.

(٥) شيطمي: فتي الجسم قوي.

وقالت بَرَّة بنت عبد المطلب تبكي أباه:

أَعَيْنِي جُودًا بِدَمْعٍ دِرَزْ	على طَيْبِ الْخِيَمِ وَالْمُعْتَصِرِ
على ماجد الجَدِّ واري الزِّنَادِ	جميل الْمُحَيَّا عَظِيمِ الْخَطَرِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ	وذي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَحَرِ
وذي الْحِلْمِ وَالْفَصْلِ فِي النَّائِبَاتِ	كثيرِ الْمَكَارِمِ، جَمِّ الْفَجَزِ
له فَضْلٌ مَجْدٌ عَلَى قَوْمِهِ	مُنِيرٍ، يَلُوحُ كَقُضُوهِ الْقَمَرِ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا، فَلَمْ تُشَوِّهِ	بَصَرْفِ اللَّيَالِي، وَرَيْبِ الْقَدَرِ

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباه:

أَعَيْنِي جُودًا، وَلَا تَبْخَلَا	بِدَمْعِكُمَا بَعْدَ نَوْمِ النِّيَامِ
أَعَيْنِي وَاسْتَحْنَفِرًا وَاسْكُبَا	وَشُوبَا بَكَاءٍ كَمَا بِالتَّدَامِ
أَعَيْنِي، وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا	على رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسٍ كَهَامِ
على الْجَحْفَلِ الْعَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ	كريمِ الْمَسَاعِي، وَفِي الدُّمَامِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ، وَارِي الزِّنَادِ	وذي مَضْدُقٍ بَعْدُ ثَبَتِ الْمَقَامِ
وَسَيْفٍ لَدَى الْحَرْبِ صَنْصَمَاةٍ	وَمِرْدَى الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامِ

وقد قيل: إن اسمَ اللَّيْثِ منه أَخْذٌ، إِلَّا أَنَّ وَآوَهُ انْقَلَبَتْ يَاءٌ؛ لِأَنَّهُ فُعِلَ، فَجُفِفَ كَمَا تَقْدَمُ: فِي هَيْنٍ وَهَيْنٍ، وَلَيْثٍ وَلَيْثٍ.

وقول بَرَّة:

أَتَتْهُ الْمَنَايَا فَلَمْ تُشَوِّهِ

أي: لَمْ تُصِيبِ الشَّوْيَ^(١)، بَلْ أَصَابَتْ الْمَقْتَلَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَضَرْبِهِ بِالْقِدَاحِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ يَرَى أَنَّ السُّهْمَ إِذَا خَرَجَ عَلَى غَيْرِهِ أَنَّهُ قَدْ أَشْوَى، أَي: قَدْ أَخْطَأَ مَقْتَلَهُ، أَي: مَقْتَلَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَابْنِهِ، وَمَنْ رَوَاهُ: أَشْوَى بِفَتْحِ الْوَاوِ فَالسُّهْمُ هُوَ الَّذِي أَشْوَى وَأَخْطَأَ، وَيَكْلَا الضَّبْطَيْنِ وَجَدْتُهُ، وَيَقَالُ أَيْضًا: أَشْوَى الزَّرْعُ: إِذَا أَفْرَكَ^(٢) فَالْأَوَّلُ مِنَ الشَّوْيِ، وَهَذَا مِنَ الشَّيِّ بِالنَّارِ، قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ.

وقول عاتكة: وَمِرْدَى الْمُخَاصِمِ، الْمِرْدَى: يَفْعَلُ مِنَ الرُّدَى، وَهُوَ الْحَجَرُ الَّذِي يَقْتُلُ

(١) الشوى: جلد الرأس.

(٢) أفرك: أي صلح.

وَسَهْلُ الْخَلِيقَةِ طَلَقَ الْيَدَيْنِ وَفِ عُدْمِلِي صَمِيمَ لَهَامِ
تَبَنُّكَ فِي بَاذِخٍ بَيْنَهُ رَفِيعُ الذُّؤَابَةِ صَغْبُ الْمَرَامِ
وَقَالَتْ أُمُّ حَكِيمِ الْبَيْضَاءِ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَبْكِي أَبَاهَا:

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهْلِي وَيَكِّي ذَا النُّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ
أَلَا يَا عَيْنُ وَنَحْكَ أَسْعِفِينِي بَدْمَعٍ مِنْ دُمُوعِ هَاطِلَاتِ
وَيَكِّي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا أَبَاكَ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ
طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالِي كَرِيمَ الْخَيْمِ مَحْمُودَ الْهَبَاتِ
وَصُولاَ لِلْقَرَابَةِ هَبْرَزِيَا وَغَيْنَا فِي السَّنِينَ الْمُفْجَلَاتِ
وَلَيْنَا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاطِرَاتِ
عَقِيلَ بَنِي كِنَانَةَ وَالْمُرْجَى إِذَا مَا الذُّفْرُ أَقْبَلَ بِالْهَيْئَاتِ
وَمَفْرَعَهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجٌ بَدَاهِيَةَ، وَخَضَمَ الْمُغْضَلَاتِ
فَبَكِيهِ، وَلَا تَسْمِي بِحُزْنٍ وَيَكِّي، مَا بَقِيَتْ، الْبَاكِيَاتِ
وَقَالَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَبْكِي أَبَاهَا:

أَلَا هَلْكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو الْفَقْدِ وَسَاقِي الْحَجِيجِ، وَالْمَحَامِي عَنْ الْمَجْدِ
وَمَنْ يُؤْلَفُ الضَّيْفَ الْغَرِيبَ بِيَوْتِهِ إِذَا مَا سَمَاءُ النَّاسِ تَبَخَّلُ بِالرُّعْدِ
كَسَبَتْ وَلِيدًا خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَى فَلَمْ تَنْفِكَ تَزْدَادُ يَا شَيْبَةَ الْحَمْدِ
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَّاضُ، خَلَى مَكَانَهُ فَلَا تَبْعُدْنِ، فَكُلِّ حَيٍّ إِلَى بُغْدِ
فَلَمَّانِي لَبَاكَ - مَا بَقِيَتْ - وَمَوْجَعُ وَكَانَ لَهُ أَهْلًا لَمَّا كَانَ مِنْ وَجْدِي
سَقَاكَ وَلِيَّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُنْطَرَا فَسَوْفَ أَبْكِيهِ، وَإِنْ كَانَ فِي اللَّخْدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْنًا لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَكَانَ حَمِيدًا حَيْثُ مَا كَانَ مِنْ حَمْدِ

مَنْ أَصِيبَ بِهِ، وَفِي الْمَثَلِ: كُلُّ ضَبٍّ عِنْدَهُ مِرْدَاثُهُ [أي: يقرب منه حتفه، لأنه يرمى به فيقتل].

وقولها: وَفِ. أي: وَفَى، وخفف للضرورة، وقوله: عُدْمِلِي. العُدْمِلِي: [وَالْعُدَامِلُ وَالْعُدَامِلِي] الشديد. واللَّهَامُ: فَعَالٌ مَنْ لِهَنْتُ الشَّيْءَ الْهَمَةُ: إِذَا، ابْتَلَعْتَهُ، قَالَ الرَّاجِزُ: [رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ]:

كَالْحَوْتِ لَا يُزْوِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ يُصْبِحُ عَطَشَانًا وَفِي الْبَحْرِ قَمَّةُ

وقالت أزوى بنت عبد المطلب تبكي أباه:

بَكَتْ عَيْنِي، وَحَقَّ لَهَا الْبُكَاءُ	عَلَى سَفْحٍ، سَجِيئَتُهُ الْحَيَاءُ
عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِي	كَرِيمِ الْخِيَمِ، نَيْتُهُ الْعَلَاءُ
عَلَى الْفَيَاضِ شَيْبَةً ذِي الْمَعَالِي	أَبِيكَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ، شَيْظَمِي	أَغَرَ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
أَقْبَ الْكَشْحِ، أَزْوَعُ ذِي فُضُولِ	لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ
أَبِي الضُّنَمِ، أَبْلَجَ هَبْرِي	قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ
وَمَغْفَلِ مَالِكٍ، وَرَبِيعِ فَهْرٍ	وَفَاصِلِهَا إِذَا التَّمِسَ الْقَضَاءُ

ومنه سمي الجيش: لَهَاَمًا.

وقولها: عَلَى الْجَحْفَلِ. جعلته كالجحفل، أي: يقوم وحده مقامه، وَالْجَحْفَلُ: لَفْظُ مَنْخُوْتٍ مِنْ أَصْلَيْنِ، مِنْ: جَحَفَ وَجَفَلَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجْحَفُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ أَيْ: يَقْشُرُهُ، وَيَجْفَلُ: أَيْ يَقْلَعُ، وَنَظِيرُهُ نَهْشَلُ: الذَّنْبُ، هُوَ عِنْدَهُمْ مَنْخُوْتٌ مِنْ أَصْلَيْنِ أَيْضًا، مِنْ: نَهَشْتُ اللَّحْمَ وَنَشَلْتُهُ، وَعَاتِكَةُ: اسْمٌ مَنْقُولٌ مِنَ الصُّفَاتِ، يُقَالُ: امْرَأَةٌ عَاتِكَةٌ^(١)، وَهِيَ الْمُصَفَّرَةُ لِبَدْنِهَا بِالزُّعْفَرَانِ وَالطَّيْبِ. وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: عَتَكَتِ الْقَوْسُ: إِذَا قَدَمَتْ وَبِهِ سُمِّيَتْ الْمَرْأَةُ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَوْلُ أَبِي حَنِيْفَةٍ.

وقول أزوى: وَمَغْفَلُ مَالِكٍ وَرَبِيعِ فَهْرٍ. تريد: بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ. وقولها: بِذِي رُبْدٍ. تريد: سَيِّفًا ذَا طَرَائِقَ. وَالرُّبْدُ: الطَّرَائِقُ. وَقَالَ صَخْرُ الْعُيَّيِّ [الْهَذْلِيُّ]:

وَصَارِمٌ أَخْلَصَتْ خَشِيْبَتَهُ أَبْيَضُ مَهْوٌ فِي مَثْنِهِ رُبْدُ

وقول عاتكة: تَبَّنْكَ فِي بَاذِخِ بَيْتِهِ. أَيْ: تَبَّنْكَ بَيْتُهُ فِي بَاذِخٍ مِنَ الشَّرَفِ، وَمَعْنَى تَبَّنْكَ: تَأَصَّلَ مِنَ الْبُتْنِ وَهُوَ: الْأَصْلُ. وَالْبُتْنُ أَيْضًا: ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ، وَهُوَ أَيْضًا عُودُ السُّوسِ [شَجَرٌ يَغْمَى بِهِ الْبُيُوتُ، وَيَدْخُلُ عَصِيرُهُ فِي الْأَدْوِيَةِ، وَفِي عُرُوقِهِ حَلَاوَةٌ شَدِيدَةٌ، وَفِي فُرُوعِهِ مَرَارَةٌ].

وقوله: فَأَشَارَ إِلَيْهِنَّ بِرَأْسِهِ، وَقَدْ أَضْمَتْ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ، هَكَذَا قَيْدُهُ الشَّيْخُ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ، وَيُقَالُ: ضَمَّتْ وَأَضْمَتْ، وَسَكَتْ وَأَسَكَتْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، [وَسَمَحَ وَأَسَمَحَ، وَعَصَفَتْ الرِّيحُ وَأَعَصَفَتْ، وَطَلَعَتْ عَلَى الْقَوْمِ وَأَطْلَعَتْ. ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ].

(١) عاتكة: احمرت القدم.

وكان هو الفتى كرمًا وجودًا ويأسًا حين تنسكب الدماء
إذا هاب الكمأة الموت حتى كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قديمًا بذى ربد خشيب عليه حين تبصره البهاء

قال ابن إسحاق: فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيب أنه أشار برأسه، وقد أضمت: أن هكذا فابكيتني.

قال ابن هشام: المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي يبكي عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويذكر فضله، وفضل قصي على قريش، وفضل ولده من بعده عليهم، وذلك أنه أخذ بغزم أربعة آلاف درهم بمكة، فوقف بها فمر به أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب، فافتكته:

أعيتني جودًا بالدموع على الصدر ولا تسأما، أسقيثما سبل القطر
وجودًا بدمع، واسفحاً كل شارق بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهر
وسحاً، وجماً، واسجماً ما بقيتما على ذي حياء من قريش، وذو ستر

أبو جهم:

وذكر شاعر حذيفة بن غانم العدي، وهو والد أبي جهم بن حذيفة، واسم أبي جهم: عبيد، وهو الذي أهدى الحميصة لرسول الله - ﷺ - فنظر إلى علمها. الحديث. وقد روي أيضاً هذا الحديث على وجه آخر، وهو أن رسول الله - ﷺ - أتى بخميصتين، فأعطى إحداهما أبا جهم، وأمسك الأخرى، وفيها علم، فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم، وأخذ الأخرى بدلاً منها، هكذا رواه الزبير^(١). وأم أبي جهم: يسيرة بنت عبد الله بن أذاة بن رياح، وابن أذاة: هو خال أبي قحافة، وسيأتي نسب أمه، وقد قيل: إن الشعر لحذافة بن غانم، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة، وله يقول فيه: أخارج إن أهلك. وفي الشعر: غير نكس ولا هذر. النكس من السهام: الذي نكس في الكيئة ليميزه الرامي، فلا يأخذه لرداءته. وقيل: الذي انكسر أعلاه، فنكس وزد أعلاه أسفله، وهو غير جيد للرمي.

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصلاة (باب ١٤) ومسلم في المساجد (٦٣/٦١) وأحمد (٣٧/٦).

على رجل جلد القوى، ذي حفيظة
على الماجد البهلول ذي الباع واللهي
على خير خاف من معدّ وناعل
وخيرهم أضلاً وفزعاً ومعدّنا
وأولاهم بالمجد والجلم والنهي
على شنية الحمد الذي كان وجهه
وساقي الحجيج ثم للخبز هاشم
طوى زمر ما عند المقام، فأصبحت
لبنك عليه كل عان بكزية
بئوه سراً، كهلهم وشبابهم
قضي الذي عادى كنانة كلها
فإن تك غالثة المنايا وصرفها
وأبقى رجالاً سادة غير عزّل
أبو غثبة الملقى إليّ جباءه
وحمزة مثل البدر، يهتز للندى
وعبد مناف ماجد ذو حفيظة
كهلهم خير الكهول، ونسلهم

جميل المحيا غير نكس ولا هذ
ربيع لؤي في القحوط وفي العسر
كريم المساعي، طيب الخيم والنجر
وأخطاهم بالمكرمات وبالذكر
وبالفضل عند المصحفات من الغبر
يضيء سواد الليل كالقمر البدر
وعبد مناف، ذلك السيد الفهري
سقايته فخراً على كل ذي فخر
وأل قصي من مقلّ وذو وفر
تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر
ورابط بيت الله في العسر واليسر
فقد عاش ميمون النقيبة والأمر
مصاليك، أمثال الردينية السمر
أغر، هجان اللون من نقرعز
نقي الثياب والذمام من العدر
وصول لذي القزبي رحيم بذو الصهر
كنسل الملوك، لا تبور ولا تحري

وقوله: لا تبور ولا تحري. أي: لا تهلك ولا تنقص، ويقال للأفعى: حارية لرقبتها
وفي الحديث: ما زال جسم أبي بكر يخري حزناً على رسول الله ﷺ، أي: ينقص لحمه،
حتى مات، والإجرياء: السيرة وهي إفعيلاء من الجزى، وليس لها نظير في الأبنية إلا
الإفجيرا في معنى الهجيري.

وفيها قوله: وليس بها إلا شيوخ بني عمرو. يريد: بني هاشم؛ لأن اسمه عمرو.

وفيها: غير عزّل، وهو: جمع أعزل، ولا يجمع أفعل على فُعْل، ولكن جاء هكذا؛
لأن الأعزل في مقابلة الرامح وقد يحملون الصفة على ضدها، كما قالوا: عدوة - بتاء
التأنيث - حملاً على صديقة، وقد يجوز أن يكون أجراه مجرى: حُسِر جمع: حاسر^(١)؛

(١) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع.

متى ما ثَلَاقي منهمُ الدَّهرَ نَاشِئًا
هُمُ مَلَّوْا البَطْحَاءَ مَجْدًا وَعِزَّةً
وفِيهِم بُنَاةٌ لِلْعُلَا، وَعِمَارَةٌ
بِإِكْحَاحِ عَوْفِ بَنْتِهِ، لِيُجِيرَنَا
فَسِرْنَا تِهَامِيَّ الْبِلَادِ وَنَجِدَهَا
وَهُمُ حَضَرُوا وَالنَّاسُ بَادٍ فَرِيقُهُم
بَنَوْهَا دِيَارًا جَمَّةً، وَطَوَّوْا بِهَا
لِكِي يَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا، وَغَيْرُهُم
ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ تَظَلُّ رِكَابُهُمْ
تَجِدُهُ بِإِجْرِيًّا أَوَائِلُهُ يَجْرِي
إِذَا اسْتَبَقَ الْخَيْرَاتُ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ
وَعَبْدُ مَنْافٍ جَذَهُمُ، جَابِرُ الْكَسْرِ
مِنْ أَعْدَائِنَا إِذْ أَسْلَمْتُنَا بَنُو فَهْرٍ
بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعَبِيرُ فِي الْبَحْرِ
وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا شُيُوخُ بَنِي عَمْرٍو
بِثَارَا تَسُخُّ الْمَاءَ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ
إِذَا ابْتَدَرُوهَا صُبْحَ تَابِعَةِ الثُّخَرِ
مُخَيَّسَةً بَيْنَ الْأَخَاشِبِ وَالْحَجَرِ

لأنه قريب منه في المعنى.

تهام وشأم:

وقوله: فَسَرْنَا تِهَامِيَّ الْبِلَادِ مَخْفَقًا مِثْلَ يَمَانِيَا، وَالْأَصْلُ فِي يَمَانٍ: يَمْنِي، فَخَفَقُوا الْيَاءَ، وَعَوَّضُوا مِنْهَا أَلْفًا، وَالْأَصْلُ فِي تِهَامٍ: تِهَامِيَّ بِكسر التاء من تِهَامِيَّ لِأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى تِهَامَةٍ وَلَكِنَّهُمْ حَذَفُوا إِحْدَى الْيَاءَيْنِ، كَمَا فَعَلُوا فِي يَمَانٍ وَفَتَحُوا التَّاءَ مِنْ تِهَامٍ لَمَّا حَذَفُوا الْيَاءَ مِنْ آخِرِهِ، لِتَكُونَ الْفَتْحَةُ فِيهِ كَالْعَوْضِ مِنَ الْيَاءِ، كَمَا كَانَتْ الْأَلْفُ فِي يَمَانٍ، وَكَذَلِكَ الْأَلْفُ فِي شَامٍ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَأَلْفٌ بَعْدَهَا عَوْضًا مِنَ الْيَاءِ الْمَحْذُوفَةِ، فَإِنْ شَدَّذْتَ الْيَاءَ مِنْ شَامٍ قُلْتَ: شَامِيَّ بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ، وَتَذْهَبُ الْأَلْفُ الَّتِي كَانَتْ عَوْضًا مِنَ الْيَاءِ لِرُجُوعِ الْيَاءِ الْمَحْذُوفَةِ، وَلَا تَقُولُ فِي غَيْرِ النَّسَبِ: شَامٌ بِالْفَتْحِ وَالْهَمْزِ، وَلَا فِي النَّسَبِ إِذَا شَدَّذْتَ الْيَاءَ شَامِيَّ. وَسَأَلْتُ الْأَسَاطِذَ أَبَا الْقَاسِمِ بْنِ الرَّمَّاءِ - وَكَانَ إِمَامًا فِي صِنْعَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي أَمْلَاهُ أَبُو عَلِيٍّ فِي النُّوَادِرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

[أَتَظَنُّ عَنْ حَبِيبِكَ ثُمَّ تَبْكِي
كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ لِللَّبَنِ طَعْمًا
إِقْمِ وَائْتَمِ بِطُولِ الْقَرَبِ مِنْهُ
فَمَا اغْتَاظَ الْمَفَارِقُ مِنْ حَبِيبِ
عَلَيْهِ، فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ]
فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مُرُّ الْمَذَاقِ]
وَلَا تَظَنُّ فَتُكْبِتُ بِاشْتِيَاقِ]
وَلَوْ يُعْطَى الشَّامُ مَعَ الْعِرَاقِ]

فَقَالَ: مُحَدَّثٌ، وَلَمْ يَرِهِ حُجَّةً. وَكَذَلِكَ وَجَدْتُ فِي شِعْرِ حَبِيبٍ: الشَّامُ بِالْفَتْحِ كَمَا فِي هَذَا الْبَيْتِ. وَلَيْسَ بِحُجَّةٍ أَيْضًا.

وَقَدَمَا غَنِينَا قَبْلَ ذَلِكَ حِقْبَةً
وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقِمُ دُونَهُ
وَهُمْ جَمَعُوا حِلْفَ الْأَحَابِيشِ كُلِّهَا
فَخَارِجٌ، إِمَّا أَهْلِيكَنَّ، فَلَا تَزَلْ
وَلَا تَنْسَ مَا أَسَدَى ابْنُ لُبْنَى؛ فَإِنَّهُ
وَأَنْتَ ابْنُ لُبْنَى مِنْ قُصَيٍّ إِذَا انْتَمَوْا
وَأَنْتَ تَنَاوَلْتَ الْعُلَا فَجَمَعَتْهَا
سَبَقَتْ، وَفَتْ الْقَوْمَ بَذَلًا وَنَائِلًا
وَأُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خُرَازَةِ جَوْهَرٍ
إِلَى سَبِيلِ الْأَبْطَالِ تُنْمَى، وَتُنْتَمَى

وَلَا نَسْتَقِي إِلَّا بِخُمٍّ أَوْ الْحَفْرِ
وَيَغْفُونَ عَنْ قَوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْهُجْرِ
وَهُمْ تَكَلَّمُوا عَنَّا غَوَاةَ بَنِي بَكْرِ
لَهُمْ شَاكِرًا حَتَّى تُعَيَّبَ فِي الْقَبْرِ
قَدْ أَسَدَى يَدًا مَحْقُوقَةً مِنْكَ بِالشُّكْرِ
بَحِثْ أَنْتَهَى قَصْدُ الْفَوَادِ مِنَ الصَّدْرِ
إِلَى مَخْتَدٍ لِلْمَجْدِ ذِي ثَبَاجٍ جَسَرَ
وَسُدَّتْ وَلِيدًا كُلَّ ذِي سُودَدٍ غَمَرِ
إِذَا حَصَلَ الْأَنْسَابَ يَوْمًا ذُووُ الْخُبْرِ
فَأَكْرِمَ بِهَا مَنْسُوبَةً فِي دُرَا الزُّهْرِ

[في اللسان: «وقد جاء الشَّامُ لغة في الشَّامِ قال المجنون:
وُخْبِرْتُ لَيْلَى بِالشَّامِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودَهَا
وقال آخر:
أَتَنَّا قَرِيشَ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا وَأَهْلَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ تَقْصِفُ»
وقوله:

حذف الياء من هاء الكناية:

حذف الياء من هاء الكناية بِأَمْنِيهِ:

حتى خاضت العَيْرُ في البحر

ضرورة، كما أنشد سيبويه^(١):

سأجعل عينيه لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا

في أبيات كثيرة أنشدها سيبويه، وهذا مع حذف الياء والواو، وبقاء حركة الهاء، فإن
سكنت الهاء بعد الحذف، فهو أقل في الاستعمال من نحو هذا، وأنشدوا:

وَنَضُّوْا^(٢) مُشْتَاقَانِ لَهُ أَرْقَانِ

وهذا الذي ذكرناه هو في القياس أقوى؛ لأنه من باب حمل الوصل على الوقف نحو
قول الراجز:

لَمَّا رَأَى أَنْ لَا دَعَا وَلَا شِبَعَا

(١) وقيل: مالك بن خزيمة الهمداني.

(٢) النضوي: البعير المهزول.

أَبُو شَمِيرٍ مِنْهُمْ، وَعَمَرُو بَنُ مَالِكٍ وَذُو جَدْنٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجَبْرِ
وَأَسْعَدُ قَادَ النَّاسِ عَشْرِينَ حِجَّةً يُؤَيَّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنُّضُرِ
قال ابن هشام: «أَمَكُ سِرٍّ مِنْ خِرَاعَةٍ»، يعني: أبا لهب، أمه: لُبْنَى بنت هاجر
الْخِرَاعِي. وقوله: «بِإِجْرِيَّاتِ أَوَائِلِهِ» عن غير ابن إسحق.

ومنه في التنزيل كثير نحو إثبات هاء السكت في الوصل، وإثبات الألف من أنا،
وإثبات ألف الفواصل نحو: ﴿وَتَطْمَنُّونَ بِاللَّهِ الطُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠٠] وهذا الذي ذكره
سيبويه من الضرورة في هاء الإضمار إنما هو إذا تحرك ما قبلها نحو: به ولّه، ولا يكون في
هاء المؤنث الثبته لخفة الألف، فإن سكن ما قبل الهاء نحو: فيه وبينه كان الحذف أحسن من
الإثبات؛ فإن قلت فقد قرأ عيسى بن مينا: نُضْلِيهِ^(١) وَيُؤَدِّهِ^(٢) وَأَرْجِيهِ^(٣) ونحو ذلك في اثني
عشر موضعًا بحذف الياء، وقيل الهاء متحرك، فكيف حسن هذا؟ قلنا: إن ما قبل الهاء في
هذه المواضع ساكن، وهو الياء من نُضْلِيهِ وَيُؤَدِّهِ وَيُؤْتِيهِ، ولكنه حذف للجازم، فمن نظر
إلى اللفظ، وأن ما قبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتتها في: به وله، ومن نظر إلى الكلمة
قبل دخول الجازم، رأى ما قبل الهاء ساكنًا، فحذف الياء، فهما وجهان حَسَنَانِ بخلاف ما
تقدم.

من شرح قصيدة حذيفة:

وذكر في هذا الشعر: وأَسْعَدُ قَادَ النَّاسِ. وهو أَسْعَدُ أَبُو حَسَّانَ بن أَسْعَدٍ، وقد تقدم
في التَّبَاعَةِ، وكذلك أَبُو شَمِيرٍ، وهو شَمِيرُ الذي بنى سَمَرْقَنْدَ، وأبوه: مَالِكُ، يقال له:
الْأَمْلُوكُ^(٤)، ويحتمل أن يكونَ أَرَادَ أبا شَمِيرِ الْعَسَائِيَّ وَالذَّ الْحَرْثَ بن أَبِي شَمِيرِ.

وَعَمَرُو بن مَالِكِ الذي ذَكَرَ أَحْسَبَهُ عَمَرًا ذَا الْأَذْعَارِ، وقد تقدم في التَّبَاعَةِ، وهو من
ملوك اليمن، وإنما جعلهم مَفَخَرًا لِأَبِي لَهَبٍ؛ لأنَّ أُمَّهُ خِرَاعِيَّةٌ مِنْ سَبَأَ، والتَّبَاعَةُ كُلُّهُمْ مِنْ
جَمِيرِ بن سَبَأَ، وقد تقدم الخلاف في خِرَاعَةٍ.

وَأَبُو جَبْرِ الذي ذكره في هذا الشعر: مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ ذَكَرَ الْقُتَيْبِيُّ أَنَّ سُمِّيَةَ أُمَّ

(١) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وهذه الآية هي التي استدلت بها الشافعي رحمه الله تعالى على الإجماع.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٌ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَمَتْ عَلَيْهِ قَاتِمًا﴾ [الأعراف: ٧٥].

(٣) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١].

(٤) الأمْلُوك: جمع ملك.

قال ابن إسحاق: وقال مطرود بن كعب الخزاعي يَبْكِي عَبْدَ الْمَطْلَبِ وَبَنِي عَبْدِ
مَنَاف:

يَأْيُهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنَافٍ
هَبَلْتِكَ أُمُّكَ، لَوْ حَلَلْتَ بَذَارِهِمْ ضَمَيْتُوكَ مِنْ جُزْمٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ

زيد، كانت لأبي جبر ملك من ملوك اليمن، دفعها إلى الحرث بن كَلْدَةَ الْمُتَطَبِّبِ فِي طَبِّ
طَبِّهِ.

زيد أفضل إخوته:

وذكر ولاية العباس - رضي الله عنه - السَّقَايَةَ، وقال: كان من أَخَذَتْ إِخْوَتِهِ سَنًا،
وكذلك قال في صفة النبي - ﷺ -: كان من أَفْضَلِ قَوْمِهِ مُرُوءَةً، وهذا مما منعه النحويون أن
يقال: زيد أفضل إخوته، وليس بممتنع، وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب،
وغيره، وحسن لأن المعنى: زيد يُفْضَلُ إِخْوَتَهُ، أو يُفْضَلُ قَوْمُهُ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير،
وإنما الذي يمتنع بإجماع: إضافة أفعل إلى التثنية مثل أن تقول: هو أكرم أخويه، إلا أن
تقول: الأخوين، بغير إضافة.

من شرح شعر مطرود:

فصل: وذكر في شعر مطرود: منعوك من جُورٍ ومن إقْراف، أي: منعوك من أن تُنْكِحَ
بناتِك أو أَخَوَاتِك من لثيم، فيكون الابن مُقْرِفًا لِلْوَمِ أَبِيهِ، وكرم أمه، فيلحقك وضَمٌ من
ذلك، ونحو منه قول مُهَلِّهْل^(١):

انْكَحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ، وَكَانَ الْجِبَاءُ مِنْ أَدَمٍ
أي: أَتَنَكَّحْتَ لِعَرَبَتِهَا مِنْ غَيْرِ كُفٍّ. قال مَبْرَمَان^(٢): أنشدنا أبو بكر بن دريد: وكان
الْجِبَاءُ مِنْ أَدَمٍ^(٣)، بخاء معجمة الأعلى، وهو خطأ وتصحيف، وإنما هو بالحاء المهملة،
وهو معدود في تصحيفات ابن دريد، وفيه قول الْمُفْجَع [البصري] رَدًّا عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ:

أَلَسْتُ قَدَمًا جَعَلْتَ تَغْتَرَّقُ م الطَّرْفَ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَغْتَرَّقُ^(٤)
وقلت: كان الْجِبَاءُ مِنْ أَدَمٍ وَهُوَ جِبَاءٌ يُهْدَى، وَيُضْطَدَّقُ

(١) هو: امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر.

(٢) برمان: لقب لأبي بكر الأزمي. (٣) آدم: جلد.

(٤) تغترق الطرف: تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها.

الخالِطِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حتى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالكَافِي
الْمُنْعِمِينَ إِذَا التُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلةِ الْإِيْلَافِ
وَالْمُنْعِمِينَ إِذَا الرِّيحُ تَنَآوَحَتْ حتى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرِّجَافِ
إِذَا هَلَكْتَ أبا الفَعَالِ فَمَا جَرَى من فَوْقِ مِثْلِكَ عِقْدُ ذَاتِ نِطَافِ
إِلَّا أْبِيكَ أَجِي المَكَارِمِ وَحَدَه والْفَيْضِ مُطْلَبِ أَبِي الْأُضْيَافِ

وذلك أن مهلهلاً نزل في جنب، وهو حي وضيع من مذبح. فخطبت ابنته، فلم يستطع منعها، فزوجه، وكان نقدها من آدم، فأنشد:

أَنكَحَهَا فَقَدَّمَهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ، وَكَانَ الْجِبَاءُ مِنْ أَدَمِ
لَوْ بِأَبَائِنِ^(١) جَاءَ خَاطِبُهَا ضُرْجٌ مَا أَنْفُ خَاطِبِ بَدَمِ

وقوله: حتى تغيب الشمس بالرجاف، يعني: البحر. لأنه يزجف. ومن أسمائه أيضاً: خُضَارَةٌ، [سُمِّيَ بِذَلِكَ لَخُضْرَةِ مَائِهِ]. والدُّمَاءُ [سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَدَاوُمِ أَمْوَاجِهِ أَيْ: تَرَاقُمِهَا، وَتَكَسَّرَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ] وَأَبُو خَالِدٍ.

وقوله: عِقْدُ ذَاتِ نِطَافٍ. النُّطْفُ: اللُّوْلُؤُ الصَّافِي. وَوَصِيفَةُ مُنْطَفَةٍ [وَمَنْطَفَةٍ] أَيْ: مُقَرَّرَةٌ بِثُؤْمَتَيْنِ [وَالثُّؤْمَةُ: اللُّوْلُؤَةُ، أَوْ حَبَّةٌ تَعْمَلُ مِنَ الْفِضَّةِ كَالدُّرَّةِ] وَالنُّطْفُ فِي غَيْرِ هَذَا: التَّلَطُّحُ بِالْعَيْبِ، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ كَانَا فِي الظَّاهِرِ مُتَضَادِّينِ فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ النُّطْفَةَ هِيَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ، وَقَدْ يَكُونُ الْكَثِيرُ، وَكَانَ اللَّوْلُؤُ الصَّافِي أَخْذَ مِنْ صِفَاءِ النُّطْفَةِ. وَالنُّطْفُ الَّذِي هُوَ الْعَيْبُ: أَخْذَ مِنْ نُطْفَةِ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ مَاوَةٌ، أَيْ كَأَنَّهُ لُطَخَ بِهَا.

وقوله: وَالْفَيْضُ مُطْلَبُ أَبِي الْأُضْيَافِ. يريد: أنه كان لأضيافه كالأب. والعرب تقول لكل جواد: أَبُو الْأُضْيَافِ. كَمَا قَالَ مُرَّةُ بْنُ مَخْكَانَ [السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ سَيِّدُ بَنِي زُبَيْعٍ]:

أُذْعَى أَبَاهُمْ، وَلَمْ أَقْرِفْ بِأَمِّهِمْ وَقَدْ عَمِرَتْ. وَلَمْ أَغْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا

اللَّهِمَّ الْعَائِفُ:

فصل: وَذَكَرَ خَبَرَ اللَّهْيِيِّ الْعَائِفِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلِهَبٌ: حَيٌّ مِنَ الْأَزْدِ: وَقَالَ غَيْرُهُ: وَهُوَ لِهَبٌ بَنُ أَخْبَجْنَ بَنُ كَعْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَضَرَ بْنِ الْأَزْدِ. وَهِيَ الْقَبِيلَةُ الَّتِي تُعْرَفُ بِالْعِيَاةِ^(٢) وَالزُّجَرِ. وَمِنْهُمْ اللَّهْيِيُّ الَّذِي رَجَرَ حِينَ وَقَعَتْ

(١) الْأَبَانَانُ: جَبْلَانُ بِالْبَادِيَةِ وَاسْمُ أَحَدِهِمَا: أَبَانُ وَالْآخَرُ: مَتَالَعُ.

(٢) الْعِيَاةُ: مَعْرِقَةُ الْأَثَرِ.

قال ابن إسحاق: فلما هلك عبد المطلب بن هاشم وليّ زمزم والسقاية عليهما بعده العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سناً، فلم تنزل إليه، حتى قام الإسلام وهي بيده. فأقرها رسول الله - ﷺ - له على ما مضى من ولايته، فهي إلى آل العباس، بولاية العباس إياها، إلى اليوم.

الحصاة بصلعة غمر رضي الله عنه - فأذمته، وذلك في الحج، فقال: أشعر أمير المؤمنين. والله لا يحج بعد هذا العام، فكان كذلك^(١) واللّه: شق في الجبل^(٢) [والجمع: ألهاب ولّهوب] وبنو ثماله رفق المبرّد الثمالي: هم بنو أسلم بن أخجن بن كعب. وثمانه: أمهم. وكانت العيافة والزجر في لهب قال الشاعر^(٣):

سألت أبا لهب ليزجر زجرة وقد ردّ زجر العالمين إلى لهب
وقوله: ليغتاف لهم: وهو يفتعل من العيف. يقال: عفت الطير. واعتفتها عيافة
واعتافاً: وعفت الطعام أعافه عيفاً. وعافت الطير الماء عيفاً.

(١) لا صحة لهذا.

(٢) اللهب: المضيف بين الجبلين. مقياس اللغة (٣/٢١٣).

(٣) هو: كثير عزة.

كفالة أبي طالب لرسول الله ﷺ

وكان رسول الله - ﷺ - بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب، وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يُوصي به عمه أبا طالب، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله - ﷺ -، وأبا طالب أخوان لأب وأم أمهمَا: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم [بن يقظة بن مرة].

قال ابن هاشم: عائذ بن عمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جدّه، فكان إليه ومعه.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، أن أباه حدثه: أن رجلاً من لُهب - قال ابن هشام: ولُهب: من أزد شُؤءة - كان عائفًا، فكان إذا قَدِمَ مكة أتاه رجالٌ قُرَيش بغلمانهم ينظر إليهم، ويَعْتَاف لهم فيهم. قال: فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع مَنْ يأتيه، فنظر إلى رسول الله - ﷺ -، ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: «الغلام. عليّ به»، فلَمَّا رأى أبو طالب جِرْصَه عليه غَيَّبه عنه، فجعل يقول: «وَيْلُكُمْ! رُدُّوا عليّ الغلام الذي رأيت آفًا، فوالله لَيَكُونَنَّ له شأن». قال: فانطلق أبو طالب.

قصة بحيرى^(١)

قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج في ركبٍ تاجرًا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع المسيرَ صَبَّ به رسول الله ﷺ - فيما يزعمون - فَرَّقَ له، وقال: والله

قصة بحيرى

فصل: في قصة بحيرى وسَفَر أبي طالب بالنبي - ﷺ - وقع في سِير الزُهري أن

(١) انظر البداية (٢/٢٦٣). الخصائص للسيوطي (١/١٤١) والطبري في تاريخه (١/٥١٩).

لَاخْرُجَنَّ بِهِ مَعِي، وَلَا يَفَارِقْنِي، وَلَا أَفَارِقْهُ أَبَدًا، أَوْ كَمَا قَالَ. فخرج به معه، فلما نزل الركب بُضِرَى من أرض الشام، وبها راهب يقال له: بَحِيرَى في صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ إِلَيْهِ عِلْمُ أَهْلِ النَصْرَانِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ مِنْذُ قَطْرَ رَاهِبٍ، إِلَيْهِ يَصِيرُ عِلْمُهُمْ عَنْ كِتَابِ فِيهَا - فِيمَا يَزْعُمُونَ تَوَارُثُونَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيرَى، وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَمْزُونَهُ بِقَبْلِ ذَلِكَ، فَلَا يَكْلَمُهُمْ، وَلَا يَغْرِضُ لَهُمْ، حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْعَامَ. فَلَمَّا نَزَلُوا بِهِ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَتِهِ صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - عَنْ شَيْءٍ رَأَاهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرُّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا، وَغَمَامَةٌ تَظْلُهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ. قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلُوا فَنَزَلُوا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْغَمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتْ الشَّجَرَةَ، وَتَهَضَّرَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى اسْتَصَلَّ تَحْتَهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بِبَحِيرَى نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَقَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ الطَّعَامِ فَصْنَعَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلَّكُمْ، وَصَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ، وَعَبْدُكُمْ وَحُرُّكُمْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ يَا بَحِيرَى إِنْ لَكَ لَشَأْنَا الْيَوْمَ! مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا بِنَا، وَقَدْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ كَثِيرًا، فَمَا شَأْنُكَ الْيَوْمَ؟! قَالَ لَهُ

بَحِيرَى كَانَ خَبِيرًا مِنْ يَهُودِ تَيْمَاءَ^(١)، وَفِي الْمَسْعُودِي: أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَاسْمُهُ: سَرْجِسٌ، وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ^(٢)، قَالَ: سُمِعَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِقَلِيلٍ هَاتِفٌ يَهْتَفُ: أَلَا إِنْ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ: بَحِيرَى، وَرِبَابُ بْنُ الْبَرَاءِ الشُّنِّيِّ وَالثَّالِثُ: الْمُتَنْظَرُ، فَكَانَ الثَّالِثُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: وَكَانَ قَبْرُ رِبَابِ الشُّنِّيِّ، وَقَبْرُ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، لَا يَزَالُ يُرَى عَلَيْهَا طَشٌّ، وَالطَّشُّ: الْمَطَرُ الضَّعِيفُ^(٣).

وَقَالَ فِيهِ: فَصَبَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بَعْمَهُ. الصَّبَابَةُ: رِقَّةُ الشَّوْقِ، يُقَالُ: صَبَبْتُ - بِكَسْرِ الْبَاءِ - أَصَبْتُ، وَيَذْكَرُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَرَأَ: «أَصَبْتُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ» [يُوسُفُ: ٣٣]. وَفِي غَيْرِ رَوَايَةِ أَبِي بَحْرٍ: صَبَبْتُ^(٤) بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَي: لَزِمَهُ قَالَ الشَّاعِرُ:

كَأَنَّ فُؤَادِي فِي يَدِ ضَبَبْتٍ بِهِ مُحَاذِرَةٌ أَنْ يَفْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِيَهُ
فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذْ ذَاكَ ابْنُ تِسْعِ سَنِينَ فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَلْفَ فِي السَّيْرِ،
وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةِ سَنَةً^(٥).

(١) بلد صغير في أطراف الشام. (٢) المعارف (ص ٣٠).

(٣) طش: الطاء والشين: أصل يدل على قلة في مطر. انظر مقاييس اللغة (٣/٤١٠).

(٤) وفي الطبري: صَبَّ. (٥) وفي الطبري: ابن تسع سنين.

بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحبيت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعاماً، فتأكلوا منه كلُّكم. فاجتمعوا إليه، وتخلَّف رسولُ الله - ﷺ - من بين القوم، لحدائثة سنَّه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظَرَ بحيرى في القوم لم يَرَ الصِّفَّةَ التي يعرفُ ويَجِدُ عنده، فقال: يا معشر قريش: لا يتخلَّفَنَّ أحدٌ منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرى، ما تخلَّفَ عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتِكَ إلا غلامٌ، وهو أحدثُ القوم سنّاً، فتخلَّفَ في رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه، فليحضُر هذا الطعامَ معكم، قال: فقال رجل من قريش مع القوم: والألات والعزى، إن كان لَلْوَمِ بنا أن يتخلَّفَ ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتَضَنَه، وأجلسه مع القوم. فلما رآه بحيرى، جعل يَلْحَظُه لَحْظاً شديداً، وَيَنْظُرُ إلى أشياء من جَسَدِه، وقد كان يَجِدُها عنده من صِفَتِه، حتى إذا فَرَّغَ القومُ من طعامهم وتفرَّقوا، قام إليه بحيرى، فقال: يا غلام، أسألك بحقِّ الألات والعزى إلا ما أخبرتني عَمَّا أسألكَ عنه، وإنما قال له بحيرى ذلك؛ لأنه سَمِعَ قومه يَحْلِفونَ بهما، فزَعَموا أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسألني بالألات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بُغْضَهُما»، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألكَ عنه، فقال له: «سألني عَمَّا بدا لك». فجعل يسأله عن أشياء من حالِه من نَوْمِه وهَيْئَتِه وأُمُورِه، فجعل رسولُ الله ﷺ يُخْبِرُه، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صِفَتِه، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتَمَ النبوة بين كَتِفَيْهِ على موضعه من صِفَتِه التي عنده.

قال ابن هشام: وكان مثل أثر المِخْجَمِ.

من صفات ختم النبوة:

وذكر فيه خاتَمُ النبوة وقول ابن هشام: كان كأثر المِخْجَمِ يعني: أثر المِخْجَمَةِ القابضة على اللحم، حتى يكون نائِثاً. وفي الخبر أنه كان حوله جِلْدَانِ فيها شَعْرَاتٌ سودٌ. وفي صفته أيضاً أنه كان كالتفاحة، وكَزِرِّ الحَجَلَةِ وفسره الترمذي تفسيراً وهم فيه فقال: زِرُّ الحَجَلَةِ يقال: إنه يَبْضُ له فتوهم الحَجَلَةُ من القَبْجِ وإنما هي حَجَلَةُ السَّرِيرِ، واحدة: الحَجَالِ، وزِرُّها الذي يدخل في عَزْوَتِها - قال عليّ - رضوانُ الله عليه - لأهل العراق: يا أَشْبَاهَ الرجال، ولا رِجَالاً، ويا طَعَامَ الأحلام، ويا عقولَ رِبَاتِ الحَجَالِ^(١). وفي حديث آخر: كان كبيضة الحمامة، وفي حديث عِيَاذِ بن عَبْدِ عَمْرِو، قال: رأيت خاتَمَ النبوة، وكان كَرُكْبَةِ العُتْزِ. ذكره الثُّمَرِيُّ مُسْتَنَدًا في كتاب الاستيعاب، فهذه خمس روايات في صفة الخاتم:

(١) انظر نهج البلاغة (١/١٦٤).

قال ابن إسحاق: فلما قَرَعَ، أقبل على عَمِّه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بِحَيْرَى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا، قال: فإنه ابنُ أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبَلَى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واخْذَر عليه يَهُودَ، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفتُ لَيُبَغِّتَهُ شُرًا، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم، فأسرع به إلى بلاده.

كالتفاحة وَكَبَيْضَةِ الْحَمَامَةِ^(١)، وَكَزِرِّ الْحَجَلَةِ^(٢)، وكأثر المِخْجَمِ وَكَزُكْبَةِ الْعُزْرِ ورواية سادسة: وهي رواية عبد الله بن سَرْجِس: قال: رأيت خاتم النبوة كَالْجُمُعِ^(٣) يعني: كَالْمِخْجَمَةِ، [وفي الآلة التي يجتمع بها دُمُ الْحِجَامَةِ عند المَصِّ] لا كَجُمُعِ الْكَفِّ، ومعناه كمعنى الأول أي كأثر الْجُمُعِ. وقد قيل في الْجُمُعِ: إنه جُمُعُ الْكَفِّ: قاله الْقُتَيْبِيُّ: والله أعلم.

ورواية سابعة عن أبي سعيد الخُدْري - رضي الله عنه - وقد سئل عن خاتم النبوة: فقال: بِضْعَةٌ ناشِزَةٌ^(٤) هكذا: ووضع طَرَفُ السَّبَابَةِ في مَفْصِلِ الإِبْهَامِ، أو دون الْمَفْصِلِ، ذكرها يونس عن ابن إسحاق، وفي صفته أيضًا رواية ثامنة، وهي رواية من شبهه بالسَّلْعَةِ^(٥)، وذلك لِثُتُوهِ، وقد تقدم حديث، فيه عن أبي ذر - رضي الله عنه - مرفوعًا بَيَانُ وَضْعِ الخَاتَمِ بين كتفيه متى كان، وروى التِّرْمِذِيُّ في مصنفه، قال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْرَجُ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَزْوَانٍ أَبُو نُوحٍ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي - ﷺ - في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا، فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ: فخرج إليهم الراهبُ، وكانوا قبلَ ذلك يَمُرُّونَ به، فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت: فجعل يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ: وهم يَحْلُونُ رِحَالَهُمْ: حتى جاء فأخذ بِبَيْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسولُ رَبِّ العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: ما عَلِمْنَاكَ؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من الْعَقَبَةِ لم يبق حَجَرٌ، ولا شجر إلا خَرَّ ساجِدًا: ولا يسْجُدان إلا لنبِي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غُضْرُوفِ كتفه. ويقال: غُضْرُوفٌ مثل التفاحة. ثم رجع: فصنع لهم طعامًا، فلما أتاهاهم به - وكان هو في رِغْيَةِ الْإِبْلِ - قال: أرسلوا إليه. فأقبل وعليه غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَيْءِ الشجرة، فلما جلس مال فَيْءَ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فَيْءِ الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم

(١) «صحيح». أخرجه مسلم والترمذي في الشماثل (٣٦٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل (١١١) وأحمد (٨٢/٥).

(٣) أخرجه مسلم في السابق (١١٢). (٤) أخرجه مسلم في الشماثل (٣٥).

(٥) السَّلْعَةُ: زيادة في البدن كالغدة. والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (١١٧).

فخرج به عمه أبو طالب سريعاً، حتى أقدمه مكة حين فَرَغَ من تجارته بالشام فزعموا فيما رَوَى النَّاسُ: أَنَّ زُرَيْرًا وَتَمَامًا وَدَرِيْسًا - وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ - قَدِ كَانُوا رَأَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِثْلَ مَا رَأَى بِحَيْرَى فِي ذَلِكَ السَّفَرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَرَادُوهُ، فَدَعَاهُمْ عَنْهُ بِحَيْرَى، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ وَمَا يَجِدُونَ فِي الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَجْمَعُوا لَمَا أَرَادُوا بِهِ لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيْهِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ، حَتَّى عَرَفُوا مَا قَالَ لَهُمْ، وَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ، فَتَرَكُوهُ وَانصَرَفُوا عَنْهُ. فَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْلُؤُهُ، وَيَحْفَظُهُ وَيَحِوُّهُ مِنْ أَقْدَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَمَا يَرِيدُ بِهِ مِنْ كِرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حَتَّى بَلَغَ أَنَّ كَانَ رَجُلًا أَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَازًا، وَأَعْظَمَهُمْ جَلَمًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفَحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تُدْنِسُ الرِّجَالَ، تَنْزَهُهَا وَتَكْرُمُهَا، حَتَّى مَا اسْمُهُ فِي قَوْمِهِ إِلَّا الْأَمِينُ، لَمَّا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ.

عليهم، وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الرومَ إن رأوه عرفوه بالصفة، فيقتلونه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم فقالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا يبعث إليه بأناس، وإننا قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحدٌ هو خير منكم، فقالوا: إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا، قال: أقرأيتُم أمرًا أراد الله أن يقضيه: هل يستطيع أحدٌ من الناس ردَّه؟ قالوا: لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه. قال: أنشدكم بالله أيُّكم وليُّه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى ردَّه أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلالاً - رضي الله عنهما - وزوَّده الراهبُ من الكفك والزيت، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه^(١). ومما قاله أبو طالب في هذه القصة:

بِفُرْقَةٍ حُرِّ الوَالِدَيْنِ كِرَامٍ
لِتَرْحَلَ إِذْ ودَّعَتْهُ بِسَلَامٍ
وَأَمْسَكَتِ بِالْكَفَيْنِ فَضْلَ زِمَامٍ
تَجُودُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ ذَاتِ سِجَامٍ
مَوَاسِينَ فِي الْبَاسَاءِ غَيْرِ لُثَامٍ
شَامِي الْهَوَى، وَالْأَضْلُ عَيْرُ شَامِي
لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ جِسَامٍ

أَلَمْ تَرْنِي مِنْ بَعْدِهِمْ هَمَمْتُهُ
بِأَحْمَدٍ لَمَّا أَنَّ شَدَّدْتُ مَطِيَّتِي
بِكَيِّ حَزَنًا وَالْعَيْسُ قَدْ فَصَلْتُ بِنَا
ذَكَرْتُ أَبَاهُ، ثُمَّ رَفَرْتُ عَبْرَةً
فَقُلْتُ: تَرُوحُ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ
فَرُخْنَا مَعَ الْعَيْرِ الَّتِي رَاحَ أَهْلُهَا
فَلَمَّا هَبَطْنَا أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا

(١) ضعيف مضطرب. أخرجه الترمذي (٣٩٢٠).

وكان رسولُ الله ﷺ - فيما ذُكر لي - يُحَدِّثُ عما كان الله يحفظه به في صِغَرِهِ وأمر جاهليته، أنه قال:

لقد رأيتني في غِلْمانٍ قُرَيْشٍ نَنْقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ ما يلعب به الغِلْمانُ، كُلُّنا قد تَعَرَّى، وأخذ إزارَه، فجعله على رَقَبَتِهِ، يحمل عليه الحِجَارَةَ، فإني لأَقْبِلُ معهم كذلك وأُذْبِرُ، إذ لَكَمَنِي لَأَكِمَّ ما أراه، لَكَمَةً وَجِيعَةً، ثم قال: شُدَّ عليك إزارك. قال: فأخذه وشدده عليّ، ثم جعلت أحمل الحِجَارَةَ على رَقَبَتِي وإِزَارِي عَلَيَّ من بين أصحابي^(١).

حرب الفجار^(٢)

قال ابن هشام: فلما بلغ رسولُ الله ﷺ - أربع عشرة سنة، أو خمس عشرة سنة

فجاء بِحَيْرَى عند ذلك حاشداً لنا بِشِرابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامٍ
فقال: اجْمَعُوا أصحابكم لطعامنا فقلنا: جمعنا القوم غير غلامٍ
ذكره ابن إسحق في رواية يونس عنه، وذكر باقي الشعر.

حفظه في الصغر:

فصل: وذكر ما كان الله سبحانه وتعالى يحفظه به: أنه كان صغيراً يلعب مع الغلمان، فَتَعَرَّى فَلَكَمَهُ لَأَكِمَّ. الحديث. وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بُنْيَانِ الكعبة، وكان رسولُ الله ﷺ - يَنْقُلُ الحِجَارَةَ مع قومه إليها، وكانوا يجعلون أُرْزُهُمْ على عواتقهم لِتَقِيَهُمُ الحِجَارَةَ، وكان رسولُ الله ﷺ - يحملها على عاتقه، وإزاره مَشْدُودٌ عليه، فقال له العباس رضي الله عنه: يا بن أخي! لو جعلت إزارك على عاتقك، ففعل فسقط مَعْشِياً عليه، ثم قال: إزارِي إزارِي! فَشُدَّ عليه إزارَه، وقام يحمل الحِجَارَةَ، وفي حديث آخر: أنه لما سقط، ضَمَّهُ العباسُ إلى نفسه، وسأله عن شأنه، فأخبره أنه نُودِيَ من السماء: أَنْ اشدَّدْ عليك إزارَكَ يا محمد، قال: وإنه لأوَّلُ ما نُودِيَ. وحديث ابن إسحق، إن صَبَحَ أنه كان ذلك في صغره، إذ كان يلعب مع الغلمان: فَمَحَمَلُهُ على أن هذا الأمر كان مرتين: مَرَّةً في حال صغره، ومَرَّةً في أولِ اكْتِهَالِهِ عند بُنْيَانِ الكعبة.

قصة الفجار

والفجار بكسر الفاء بمعنى: الْمُفَاجِرَةُ كالقتالِ والمُقاتَلَةِ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهرِ

(١) «صحيح». أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) انظر المنتظم (٢/٢٩٦) / الطبقات لابن سعد (١/١٢٦) / الكامل (١/٤٦٨) / البداية (٢/٢٦٨).

- فيما حدثني أَبُو عُبَيْدَةَ النَحْوِيُّ، عن أَبِي عَمْرٍو بن العلاء - هاجت حربُ الْفِجَارِ بين قُرَيْشٍ، وَمَنْ معها من كِنَانَةَ، وبين قَيْسٍ عِيْلَانٍ. وكان الذي هاجها أَنَّ عَزْوَةَ الرَّحَالِ بن عَثْبَةَ بن جَعْفَرٍ بن كِلَابٍ بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَةَ بن مُعَاوِيَةَ بن بَكْرِ بن هَوَازِنَ، أجاز لَطِيْمَةً للنعمان بن الْمُنْذَرِ، فقال له الْبَرَّاضُ بن قَيْسٍ، أحد بني ضَمْرَةَ بن بَكْرِ بن عَبْد مَنَاءَ بن كِنَانَةَ: أَتَجِيرُهَا على كِنَانَةَ؟ قال: نعم، وعلى الْخَلْقِ، فخرج فيها عَزْوَةُ الرَّحَالِ، وخرج الْبَرَّاضُ يَطْلُبُ غَفْلَتَهُ، حتى إذا كان بَتَيْنَمَ ذِي طَلَالٍ بالعالية، غفل عَزْوَةُ، فَوَثِبَ عليه الْبَرَّاضُ، فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سُمِّيَ: الْفِجَارُ. وقال الْبَرَّاضُ في ذلك:

وَذَاهِبَةِ تُهْمُ النَّاسِ قَبْلِي شَدَدْتُ لَهَا - بني بَكْرِ - ضُلُوعِي
هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بني كِلَابٍ وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِي بِالضُّرُوعِ
رَفَعْتُ لَهُ بِذِي طَلَالٍ كَفِّي فَخَرَّ يَمِيدُ كَالْجِدْعِ الصَّرِيعِ

الحرام، فَفَجَّرُوا فيه جميعًا، فسمي: الْفِجَارُ، وكانت للعرب فِجَارَاتٌ أربع، ذكرها المسعودي، آخرُها: فِجَارُ الْبَرَّاضِ المذكور في السيرة، وكان لَكِنَانَةَ وَلَقَيْسٍ فيه أربعة أيام مذكورة: يوم سَمَطَةَ، ويوم الشَّرِبِ، وهو أعظمُها يومًا، وفيه قَيْدُ حَزْبِ بَنِي أُمَيَّةَ وَسُفْيَانَ وَأَبُو سُفْيَانَ أَبْنَاءُ أُمَيَّةَ أَنْفُسَهُمْ كِي لَا يَفِرُّوا، فَسُمُّوا: الْعَنَابِسُ^(١)، ويوم الْحُرَيْرَةِ عند نَخْلَةٍ، ويوم الشَّرِبِ انهزمت قَيْسٌ إِلَّا بني نُضَيْرٍ منهم، فإنهم ثَبِتُوا، وإنما لم يقاتل رسولُ الله - ﷺ - مع أعمامِهِ، وكان يَنْبُلُ عَلَيْهِمْ، وقد كان بلغ سِنُّ الْقِتَالِ؛ لأنها كانت حَزْبُ فِجَارٍ، وكانوا أيضًا كُلُّهُمْ كُفَّارًا، ولم يَأْذِنِ اللَّهُ تَعَالَى لِمُؤْمِنٍ أَنْ يقاتِلَ إِلَّا لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي الْعُلْيَا.

وَاللَّطِيْمَةُ: عَيْرٌ تَحْمِلُ الْبِرَّ وَالْعِطَرَ.

وقوله: بِذِي طَلَالٍ بتشديد اللام، وإنما خففه لِيَبْدُ في الشعر الذي ذكره ابن إسحاق ههنا للضرورة.

منع تنوين العلم:

وقول الْبَرَّاضِ: رَفَعْتُ لَهُ بِذِي طَلَالٍ كَفِّي. فلم يَضْرِفْهُ، يجوز أن يكونَ جعله اسْمَ بَقْعَةٍ، فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف، فإن قلت: كان يجب أن يقول: بِذَاتِ طَلَالٍ، أي: ذات هذا الاسم للمؤنث، كما قالوا: ذُو عَمْرٍو أي: صاحبُ هذا الاسم، ولو كانت

(١) العنابس: جمع عنبس وهم أولاد أُمَيَّةَ بن عبد شمس. والعنيس من أسماء الأسد.

وقال لبيد بن مالك بن جَعْفَر بن كِلَاب:

أبلغ - إن عَرَضْتَ - بني كِلَابٍ وعامرَ والخُطوبَ لها مَوَالِي
وبلغ إن عَرَضْتَ بني ثُمَيْرٍ وأخوالَ القَتِيلِ بني هِلَالٍ
بأنَّ الوَافِدَ الرِّحَالَ أَمَسَى مُقِيمًا عِنْدَ تَيْمَنَ ذِي طَلَالٍ^(١)

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابنُ هشام. قال ابن هشام: فأتى آتٍ قريشًا، فقال: إِنَّ الْبَرَّاضَ قَدْ قُتِلَ عُرْوَةٌ، وهم في الشهر الحرام بَعُكَاظ، فارتحلوا، وهَوَازُنٌ لَا تَشْعُرُ، ثم بلغهم الخبرُ فأتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هَوَازِن، ثم التَّقَوَّا بعد هذا اليوم أيامًا، والقومُ

أنثى، لقالوا: ذَاتُ هَذَا، فالجواب: أن قوله: بذِي يجوز أن يكون وَضْفًا لطريق، أو جانب مضافٍ إلى طَلَالٍ اسم البقعة. وأحسن من هذا كُلُّهُ أن يكونَ طَلَالٌ اسْمًا مذكَّرًا عَلَمًا، والاسمُ العَلَمُ يجوز تركُ صرفه في الشعر كثيرًا، وسيأتي في هذا الكتاب من الشواهد عليه ما يدلُّك على كثرته في الكلام، ونُوخِرُ القولَ في كشف هذه المسألة وإيضاحها إلى أن تأتي تلك الشواهد - إن شاء الله - ووقع في شعر البرَّاضِ مُشَدَّدًا، وفي شعر لبيد الذي بعد هذا مُخَفَّفًا، وقلنا: إن لبيدًا خففه للضرورة، ولم يُقَل: إنه شَدَّدَ للضرورة، وإن الأصل فيه التخفيف، لأنه فَعَالٌ مِنَ الطَّلِّ، كأنه موضعٌ يكثر فيه الطَّلُّ، فَطَلَالٌ بالتخفيف لا معنى له، وأيضًا: فإنَّ وجدناه في الكلام المنثورِ مُشَدَّدًا، وكذلك تقييد في كلام ابن إسحق هذا في أصلِ الشيخ أبي بَحرٍ.

من تفسير شعر البراض:

وقوله في البيت الثاني: وألحقْتُ الموالِي بالضرُوع. جمع: ضَرَع، هو في معنى قولهم: لَيْيَمٌ راضِعٌ، أي: ألحقْتُ الموالِي بمنزلتهم من اللَّؤْمِ وَرَضَاعِ الضُّرُوعِ، وأظهرت فَسَالَتُهُمْ^(٢) وَهَتَكَتْ بِيوتِ أَشرافِ بني كِلَابٍ وَضَرَخَاتِهِمْ^(٣).

وقول لبيد: يَبْنِ تَيْمَنَ ذِي طَلَالٍ. بكسر الميم ويفتحها، ولم يَضْرِفْهُ لَوَزْنِ الْفِعْلِ، والتعريف؛ لأنه تَفْعِلٌ، أَوْ تَفْعَلُ مِنَ التَّيْمَنِ أَوْ التَّيْمَنِ.

(١) ذِي طَلَالٍ: وادي يندك وقيل بنجد.

(٢) الفسل: الفاء والسين والام أصلٌ صحيح يدل على ضعف وقلة. من ذلك: الرجل الفسل: وهو الرديء من الرجال. مقياس اللغة (٥٠٣/٤).

(٣) صرحاتهم: جمع صرح.

مُتَسَانِدُونَ، عَلَى كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ قَرِيشٍ وَكِثَانَةَ رِئِيسٍ مِنْهُمْ، وَعَلَى كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ قَيْسٍ رِئِيسٌ مِنْهُمْ.

وشهد رسولُ الله - ﷺ - بعضَ أيامهم، أخرجَه أعمامُه معهم، وقال رسولُ الله - ﷺ -: «كنتُ أُتْبَلُ عَلَى أَعْمَامِي»، أي: أُرَدُّ عَنْهُمْ، تَبَلَّ عَدُوَّهُمْ، إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا^(١).

قال ابنُ إسحاق: هاجت حربُ الفِجَارِ، ورسولُ الله - ﷺ - ابنُ عشرين سنة، وإنما سَمِيَ يَوْمَ الفِجَارِ، بما استحلَّ هذانِ الحَيَّان: كِنَانَةُ وَقَيْسُ عَيْلَانَ فِيهِ المَحَارِمُ بَيْنَهُمْ.

وكان قائِدَ قَرِيشٍ وَكِثَانَةُ حَزْبُ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَكَانَ الظُّفَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ لَقَيْسٍ عَلَى كِنَانَةَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ النَّهَارِ كَانَ الظُّفَرُ لَكِنَانَةَ عَلَى قَيْسٍ.

قال ابنُ هشام: وحديثُ الفِجَارِ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْتُ، وَإِنَّمَا مَنَعَنِي مِنْ اسْتِقْصَائِهِ قُطْعُهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

آخر أمر الفجار:

وكان آخرُ أمرِ الفِجَارِ أَنْ هَوَازِنُ وَكِثَانَةَ تَوَاعَدُوا لِلْعَامِ الْقَابِلِ بَعْكَاطَ فِجَاؤُوا لِلْعَدُوِّ، وَكَانَ حَزْبُ بَنِي أُمَيَّةَ رِئِيسَ قُرَيْشٍ وَكِثَانَةَ، وَكَانَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَتِيمًا فِي حِجْرِهِ، فَضَنَّ بِهِ حَزْبٌ، وَأَشْفَقَ مِنْ خُرُوجِهِ مَعَهُ، فَخَرَجَ عُتْبَةُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ بَيْنَ الصُّفَّيْنِ يَنَادِي: يَا مَعْشَرَ مُضَرَ، عَلَامَ تَقَاتِلُونَ؟ فَقَالَتْ لَهُ هَوَازِنُ: مَا تَدْعُو إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: الصِّلَحَ، عَلَى أَنْ نَدْفَعَ إِلَيْكُمْ دِيَّةَ قَتْلَاكُمْ، وَنَغْفُو عَنْ دَمَائِنَا، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ زَهْنًا مِثْلًا، قَالُوا: وَمَنْ لَنَا بِهَذَا؟ قَالَ: أَنَا. قَالُوا: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَرَضُوا وَرَضِيَتْ كِنَانَةُ، وَدَفَعُوا إِلَى هَوَازِنَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا: فِيهِمْ: حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ [بْنُ خُوَيْلِدٍ]، فَلَمَّا رَأَتْ بَنُو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ الرُّهْنَ فِي أَيْدِيهِمْ، عَفَوْا عَنِ الدَّمَاءِ، وَأَطْلَقُوهُمْ وَانْقَضَتْ حَرْبُ الفِجَارِ، وَكَانَ يَقَالُ: لَمْ يَسُدَّ مِنْ قَرِيشٍ مُمْلِقٌ إِلَّا عُتْبَةُ وَأَبُو طَالِبٍ، فَإِنَّهُمَا سَادَا بِغَيْرِ مَالٍ.

(١) أورده ابن كثير في البداية (٢/٢٦٩) وفي الطبقات لابن سعد (١/١٢٦).

حديث تزويج

رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها^(١)

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله - ﷺ - خمسًا وعشرين سنة، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المدني.

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله - ﷺ - ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتُعطيه أفضل ما كانت تُعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله رسول الله - ﷺ - منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام.

فنزل رسول الله - ﷺ - في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي^(٢).

فصل في تزويجه عليه السلام خديجة رضي الله عنها

شرح قول الراهب:

ذكر فيه قول الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي. يريد: ما نزل تحتها هذه

(١) انظر المنتظم (٢/٣١٣) / الكامل (١/٥٦٩) / البداية (٢/٢٧٢) / الطبري (١/٥٢١).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (٢/٣١٣) وابن سعد في الطبقات (١/١٢٩) وأبو نعيم في =

ثم باع رسول الله - ﷺ - سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة، ومعه ميسرة، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة، واشتد الحر، يرى ملكين يظلّانه من الشمس - وهو يسير على بعيره، فلما قدّم مكة على خديجة بمالها، باع ما جاء به، فأضعف أو قربا. وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إضلال الملكين إياه، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبية، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله - ﷺ - فقالت له - فيما يزعمون: يا بن عمّ، إني قد رغبْتُ فيكَ لقربتك، وسيطتك في قومك وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهنّ شرفاً، وأكثرهنّ مالاً، كلّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه.

الساعة إلا نبيّ، ولم يُرد: ما نزل تحتها قطّ إلا نبيّ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك، وإن كان في لفظ الخبر: قطّ، فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى، والشجرة لا تُعمر في العادة هذا العُمُر الطويل حتى يذري أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - ويتعدّ في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد، حتى يجيء نبي إلا أن تصحّ رواية من قال في هذا الحديث: لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم - عليه السلام - وهي رواية عن غير ابن إسحاق، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم. وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطورا وليس هو بحيرا المتقدم ذكره.

تحقيق معنى الوسط:

وقول خديجة - رضي الله عنها: لسيطتك في عشيرتك، وقوله في وصفها: هي أوسط قريش نسباً. فالسطة: من الوسط، مضدّر كالعدة والزنة، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل، ولكن في مقامين: في ذكر النسب، وفي ذكر الشهادة. أما النسب؛ فلأن أوسط القبيلة أغرؤها، وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف والوسيط، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكان الوسط من أجل هذا مدحاً في النسب بهذا السبب، وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه: ﴿قال أوسطهم﴾^(١) وقوله: ﴿وكذلك جعلناكم أئمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣] فكان هذا مدحاً في الشهادة؛ لأنها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطاً كالميزان، لا يميل مع أحد، بل

= الدلائل (١٣١).

(١) سورة القلم آية رقم (٢٨).

وهي خديجة بنت خُوَيْلِد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْر. وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رَوَاحَة بن حَجَر بن عَبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْر. وأم فاطمة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُثَقِّد بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْر. وأم هالة: قِلَابَةُ بنت سَعِيد بن سَعْد بن سَهْم بن عَمْرُو بن هُصَيْنص بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْر.

فلما قالت ذلك لرسول الله - ﷺ - ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب - رحمه الله - حتى دخل على خُوَيْلِد بن أَسَد فخطبها إليه، فتزوجها.

يُصَمِّمُ عَلَى الْحَقِّ تَصْمِيمًا، لَا يَجْذِبُهُ هَوًى، وَلَا يَمِيلُ بِهِ رَغْبَةً، وَلَا رَهْبَةً مِنْ هَلْهَنَاءَ، وَلَا مِنْ هَلْهَنَاءَ، فَكَانَ وَصْفَهُ بِالْوَسْطِ غَايَةً فِي التَّزْكِيَةِ وَالتَّعْدِيلِ، وَظَنَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ مَعْنَى الْوَسْطِ: الْأَفْضَلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَقَالُوا: مَعْنَى الصَّلَاةِ الْوَسْطَى: الْفُضْلَى، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ فِي جَمِيعِ الْأَوْصَافِ لَا مَذْحُ وَلَا ذَمٌّ، كَمَا يَقْتَضِي لَفْظُ التَّوَسُّطِ، فَإِذَا كَانَ وَسْطًا فِي السَّمَنِ، فَهِيَ بَيْنَ الْمُمِخَّةِ^(١) وَالْعَجْفَاءِ. وَالْوَسْطُ فِي الْجَمَالِ بَيْنَ الْحَسَنَاءِ وَالشَّوْهَاءِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْصَافِ، لَا يُعْطَى مَدْحًا، وَلَا ذَمًّا، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا فِي الْمَثَلِ: أَثْقَلُ مِنْ مُغْنٍ وَسَطٍ عَلَى الذَّمِّ؛ لِأَنَّ الْمَغْنِيَّ إِنْ كَانَ مُجِيدًا جَدًّا أَمْتَعَ وَأَطْرَبَ، وَإِنْ كَانَ بَارِدًا جَدًّا أَضْحَكَ وَأَلْهَى، وَذَلِكَ أَيْضًا مِمَّا يُنْتَبِعُ. قَالَ الْجَاحِظُ: وَإِنَّمَا الْكَزْبُ الَّذِي يَجْتُمُّ عَلَى الْقُلُوبِ، وَيَأْخُذُ بِالْأَنْفَاسِ الْغِنَاءُ الْفَاتِرُ الْوَسْطُ الَّذِي لَا يُنْتَبِعُ بِحُسْنٍ، وَلَا يُضْحِكُ بِلَهْوٍ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - هُوَ: أَوْسَطُ النَّاسِ. أَيُّ: أَفْضَلُهُمْ، وَلَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ وَسَطٌ فِي الْعِلْمِ، وَلَا فِي الْجُودِ، وَلَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا فِي النَّسَبِ وَالشَّهَادَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ الْمَحْمُودُ.

مَنْ الَّذِي زَوَّجَ خَدِيجَةَ؟

فصل: وذكر مشي رسول الله - ﷺ - إلى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ مَعَ عَمِّهِ حَمْزَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ خُوَيْلِدًا كَانَ إِذْ ذَاكَ قَدْ أَهْلَكَ، وَأَنَّ الَّذِي أَنْكَحَ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - هُوَ عَمُّهَا عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ، قَالَهُ الْمَبْرِدُ وَطَائِفَةٌ مَعَهُ، وَقَالَ أَيْضًا: إِنْ أَبَا طَالِبٍ هُوَ الَّذِي نَهَضَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ الَّذِي حَطَبَ حُطْبَةَ النِّكَاحِ، وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ فِي تِلْكَ الْخُطْبَةِ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مُحَمَّدًا مِمَّنْ لَا يُؤَاوِزُنَ بِهِ فِتًى مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ شَرْقًا وَتُبَلًّا وَفَضْلًا وَعَقْلًا، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ، فَإِنَّمَا ظِلُّ زَائِلٍ، وَعَارِيَةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ، وَلَهُ فِي

(١) الممخة: السمينة.

قال ابن هشام: وأصدقها رسول الله - ﷺ - عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله - ﷺ - ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، رضي الله عنها.

خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، فقال عمرو: هو الفحل الذي لا يُقدَحُ أنفه، فأنكحها منه، ويقال: قاله ورقة بن نوفل، والذي قاله المبرد هو الصحيح؛ لما رواه الطبري عن جُبَيْر بن مُطْعِم، وعن ابن عباس، وعن عائشة - رضي الله عنهم كلهم - قال: إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله - ﷺ - وأن خويلداً كان قد هلك قبل الفجار، وخويلد بن أسد هو الذي نازع ثُبَعَا الآخر حين حج، وأراد أن يحتل الركن الأسود معه إلى اليمن، فقام في ذلك خويلد، وقام معه جماعة، ثم إن ثُبَعَا رُوِعَ في منامه ترويعاً شديداً حتى ترك ذلك، وانصرف عنه والله أعلم.

فصل: وذكر الزهري في سيرة، وهي أول سيرة ألفت في الإسلام، كذا روي عن [عبد العزيز بن محمد بن عبيد] الدراويدي أن رسول الله - ﷺ - قال لشريكه الذي كان يتجر معه في مال خديجة: هَلَمْ فَلْتَحَدِّثْ عند خديجة، وكانت تُكْرِمُهُمَا وتُحِفُّهُمَا، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مُسْتَنْشِئَة - وهي الكاهنة - كذا قال الخطابي في شرح هذا الحديث، فقالت له: جئت خاطباً يا محمد، فقال: كلا، فقالت: ولم؟! فوالله ما في قريش امرأة، وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْتاً لها، فرجع رسول الله - ﷺ - خاطباً لخديجة مُسْتَحْيِياً منها، وكان خويلد أبوها سكراناً من الخمر، فلما كُلِمَ في ذلك أنكحها، فألقت عليه خديجة حُلَّةً وَصَمَخْتَهُ بِخُلُقٍ^(١) فلما صحا من سُكْرِهِ قال: ما هذه الحُلَّةُ والطيب؟ فقيل: إنك أنكحت محمداً خديجة، وقد ابتنى بها، فأنكر ذلك، ثم رَضِيَهُ وأمضاه، ففي هذا الحديث أن أباهَا كَانَ حَيًّا، وأنه الذي أنكحها. كما قال ابن إسحق. وقال راجز من أهل مكة في ذلك:

لَا تَزْهَدِي خَدِيجٌ فِي مُحَمَّدٍ نَجْمٌ يَضِيءُ كإِضَاءِ الْفَرْقَدِ^(٢)

وقيل: إن عمرو بن خويلد أخاها هو الذي أنكحها منه، ذكره ابن إسحق في آخر الكتاب^(٣).

(١) الخلق: الطيب.

(٢) الفرقد: النجم.

(٣) ومن القصص الذي يُدرَسُ في «مصر المحروسة»، قصة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد. ويدرسه أبناء الصف الثامن من التعليم الأساسي وقد حوى الكتاب بين دفتيه سوس ينخر في عقيدة أبناء الإسلام، فالقصة تتحدث بطرق ملتوية كيف كانت «أم المؤمنين» خديجة رضي الله عنها. تستقبل الرجال في بيتها وكيف كانت تجالسهم وتختلط بهم. دون بيان الحكم الشرعي من هذا، وكيف أن «خديجة» رضي الله عنها كلما تقدمت بها السن زادت في أعين الرجال حلاوة، ثم تجد الكتاب يدعو في ثناياه وبين سطوره إلى ترك الزواج والعمل بالتجارة فتقول خديجة لورقة: «علمت يا ورقة =

أولاده ﷺ منها

قال ابن إسحاق: فولدت لرسول الله ﷺ وَلَدَهُ كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ: الْقَاسِمَ، وَبِهِ كَانَ يُكْنَى ﷺ، وَالطَّاهِرَ، وَالطَّيِّبَ، وَزَيْنَبَ، وَرُقِيَةَ، وَأُمَ كُلْثُومَ، وَفَاطِمَةَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قال ابن هشام: أَكْبَرُ بَنِيهِ: الْقَاسِمُ، ثُمَّ الطَّيِّبُ، ثُمَّ الطَّاهِرُ، وَأَكْبَرُ بَنَاتِهِ: رُقِيَةُ، ثُمَّ زَيْنَبُ، ثُمَّ أُمَ كُلْثُومَ، ثُمَّ فَاطِمَةُ.

قال ابن إسحاق: فَأَمَّا الْقَاسِمُ، وَالطَّيِّبُ، وَالطَّاهِرُ فَهَلَكُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَأَمَّا بَنَاتُهُ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ مَعَهُ ﷺ.

أولاده من خديجة

فصل: وذكر ولده منها - ﷺ - فذكر البنات، وذكر القاسم والطاهر والطيب، وذكر أن البنين هلكوا في الجاهلية، وقال الزبير - وهو أعلم بهذا الشأن - ولدت له القاسم وعبد الله، وهو الطاهر، وهو الطيب سُمِّي بالطاهر، والطيب لأنه ولد بعد النبوة، واسمه الذي سُمِّي به أول هو: عبد الله، وبلغ القاسم المشي، غير أن رضاعته لم تكن كملت،

= أنني تركت الرجال والتفت إلى ما هو «أهم»، وهبت نفسي لتجارتني»، ثم يصف لقاء رسول الله ﷺ بخديجة فيقول الكتاب أن محمدًا ﷺ ذهب للقاء خديجة في بيتها «فجلس ولم يطل به المقام حتى دخلت عليه خديجة - وتأمل ما يقوله الكتاب - فيصفها: مستديرة الوجه، واسعة العينين، طويلة الشعر، نافذة النظرات، بيضاء البشرة، تكسو شفتيها ابتسامة عريضة، ترتدي ثوبًا من الحرير الخالص المطرز بالنقوش الجميلة، وفي قدميها خفاف من الجلد الغالي، يحيط عنقها عقد من الجواهر ويتدلَّى من أذنيها قرط من الدر، لا أدري من أين جاء هذا الكاتب بكل هذه الأوصاف من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها رضي الله عنها وأرضاها، من أين جاء بكل هذا - إنه الخيال الفاسد التتن الذي يصف أننا أم المؤمنين بكل هذا، تُرى هل قال هذا النبي ﷺ وقص قصة هذا اللقاء وكيف كانت خديجة - حاشا وكلا - وبالطبع لم يبين الكاتب هل لقاء الرسول ﷺ بخديجة - على زعمه - وانفراده بها جائز شرعًا أم لا؟؟!! ثم يصف الكاتب حفل العرس فيقول: «وقد انبعث من جوانب الدار غناء رقيق، أجادته جوارى خديجة - الكاسيات العاريات طبعًا - ومحباتها... ثم دارت أكواب الشراب...» كل هذا على مرأى ومسمع من النبي ﷺ دون إنكار منه!!! ثم دون بيان الكاتب لحكم الشرع من الغناء وأكواب الشراب التي دارت. إلى غير هذا الكثير والكثير من هذه الأفكار المسمومة المحمومة التي ينفثها كل يوم أهل «التربية والتعليم» في مصر المحروسة. فإنا لله وإنا إليه راجعون. (انظر سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية للدكتور جمال عبد الهادي وغيره).

وقع في مُسند الفريزابي أن خديجة دخل عليها رسول الله - ﷺ - بعد موت القاسم، وهي تبكي: فقالت: يا رسول الله دَرَّتْ لُبَيْتَةُ القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهوْن عليّ، فقال: إن له مُرضِعًا في الجنة تستكمل رضاعته، فقالت: لو أعلم ذلك لهوْن عليّ، فقال: إن شئت أسمعُك صوته في الجنة. فقالت: بل أصدق الله ورسوله. قولها، لُبَيْتَةُ هي تصغير لَبَنَة، وهي قِطْعَة من اللبن، كَالْمُسَيْلَةِ، تصغير عَسَلَةِ ذكر سيبويه اللَّبَنَةُ وَالْعَسَلَةُ والشَّهْدَة على هذا المعنى. قال المؤلف: وهذا من فقهها - رضي الله عنها - كرهت أن تُؤمن بهذا الأمر مُعَايِنَة، فلا يكون لها أَجْرُ التصديق والإيمان بالغيب، وإنما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب. وهذا الحديث يدل أيضًا على أن القاسم لم يهلك في الجاهلية. واختلفوا في الصُّغرى والكبرى من البنات، غير أن أُم كلثوم لم تكن الكبرى من البنات، ولا فاطمة، والأصح في فاطمة أنها أصغر من أُم كلثوم.

خديجة وبهيري ونسبها:

وخديجة بنت خُوَيْلِد تسمى: الطاهرة في الجاهلية والإسلام، وفي سِيَرِ النَّبِيِّ. أنها كانت تسمى: سيدة نساء قريش، وأن النبي - ﷺ - حين أخبرها عن جبريل، ولم تكن سمعت باسمه قطّ، ركبَت إلى بهيري الراهب، واسمه سَرْجِس فيما ذكر المسعودي، فسألته عن جبريل، فقال: قُدُوسٌ قُدُوسٌ يا سيدة نساء قُرَيْشِ أُنِّي لك بهذا الاسم؟! فقالت: بغلي وابن عمي محمد أخبرني أنه يأتيه، فقال: قُدُوسٌ قُدُوسٌ ما علم به إلا نبيٌّ مُقَرَّب، فإنه السفير بين الله وبين أنبيائه، وإن الشيطان لا يجترىء أن يَتَمَثَّل به، ولا أن يَتَسَمَّى باسمه، وكان بمكة غلامٌ لِعُتْبَةَ بن ربيعة سيأتي ذكره، اسمه: عَدَّاس عنده علم من الكتاب، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل، فقال: قُدُوسٌ قُدُوسٌ!! أُنِّي لهذه البلاد أن يُذَكَّر فيها جبريلُ يا سيدة نساء قريش، فأخبرته بما يقول النبي - ﷺ - فقال عَدَّاس مثل مقالة الراهب، فكان مما زادها الله تعالى به إيمانًا و يقينًا.

وذكر ابن إسحاق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، ولم يذكر اسم الأصم، وذكره الزبير وغيره، فقال: جُنْدُب بن هِذَم بن حَجَر، بفتح الحاء والجيم من حَجَر، كذا قيده الدارقطني، وأخوه: حُجَيْر بن عبد بن مَعِيص بن عامر، وأما حَجَر بسكون الجيم ففي حيّ ذي رُعَيْن وإليه ينسب الْحَجَرِيُّون، وأما حجر بكسر الحاء، ففي بني الدِّيَّان: عبدُ الْحَجَر بن عبد المَدَان، وهم من بني الحارث بن كعب بن مَذْحِج، وذكر يونس عن ابن إسحاق نسب أم خديجة، كما ذكر في رواية ابن هشام، وزاد فقال: كانت أم فاطمة بنت

قال ابن هشام: وأما إبراهيم فأمه: مارية القبطية. حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة، قال: أم إبراهيم: مارية سُرِّيَّة النبي ﷺ التي أهداها إليه الْمُقَوْسُ من جَفْن من كُورَة أَنْصَنًا.

زائدة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عَبْدِ بن مُنْقِذ بن عَمْرُو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ، وأُمها قِلَابَة، وهي العَرَقَة بنت شُعَيْد بن سَعْد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لُؤَيٍّ وأُمها: أُمَيْمَة بنت عامر بن الحارث بن فِهْرٍ.

مَنْ تَزَوَّجَتْ خَدِيجَة قَبْلَ الرَّسُولِ؟:

وكانت خديجة قبل رسول الله - ﷺ - عند أبي هالة، وهو هند بن زُرَّارَة، وقد قيل في اسمه: زُرَّارَة، وهند: ابنة، ابن النَّبَّاشِ من بني عَدِيٍّ بن جِرْوََة بن أُسَيْد بن عمرو بن تميم، فهو أُسَيْدِي بالتخفيف، منسوب إلى أُسَيْد بالتشديد، كذا قال سيبويه في النسيب إلى أُسَيْد. وعَدِيٍّ بن جِرْوََة، يقال إن الزُّبَيْرَ صَحْفَه، وإنما هوى عَدِيٍّ بن جِرْوََة، وكانت قبل أبي هالة عند عَتِيق بن عائِد بن عبد الله بن عمرو بن مَخْزُوم، ولدت له عبد مناف بن عَتِيق، كذا قال ابن أبي خَنِيَمَة، وقال الزُّبَيْرُ: ولدت لعَتِيق جارية اسمها: هندُ وولدت لهند أبي هالة ابناً اسمه: هِنْدُ أيضاً، مات بالطاعون طاعونِ الْبَصْرَة، وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفاً، فَشَغِلَ النَّاسُ بِجَنَائِزِهِمْ عَنْ جِنَائِزِهِ، فلم يوجد مَنْ يحملها، فصاحت ناديتُه: واهند بن هنداه!! وَاَرَبَيْبَ رسول الله - ﷺ - فلم تبق جنازة إلا تُرِكَت، واخْتَمِلْتُ جِنَائِزَهُ على أطراف الأصابع إعظاماً لريب رسول الله - ﷺ - ذكره الدُّولَابِيُّ، ولخديجة من أبي هالة ابنان غير هذا، اسم أحدهما: الطاهر، واسم الآخر: هالة. واختلف في سنه - ﷺ - حين تَزَوَّجَ خَدِيجَة فَقِيلَ ما قاله ابن إسحق، وقيل: كان ابن ثلاثين سنة، وقيل ابن إحدى وعشرين سنة.

مارية وإبراهيم:

فصل: وذكر أن خديجة - رضي الله عنها - ولدت للنبي ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم، فإنه من مارية التي أهداها إليه الْمُقَوْسُ، وقد تقدّم اسمُ الْمُقَوْسِ، وأنه جُرَيْجُ بن مينا، وذكرنا معنى الْمُقَوْسِ في أول الكتاب، وذكرنا أنه أهدى مارية مع حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعَة، ومع جَبْرِ مَوْلَى أَبِي زُهْمِ الْغِفَارِيِّ، واسم أبي زُهْم: كُلْثُوم بن الْحُصَيْن. وذلك حين أرسلها إليه رسول الله - ﷺ - يدعوه إلى الإسلام، وأهدى معها أختها سِيرِينَ، وهي التي وهبها رسول الله - ﷺ - لِحَسَّان بن ثابت - رضي الله عنه - فأولدها عبد الرحمن بن حسان، وأهدى معها الْمُقَوْسُ أيضاً غلاماً خَصِيّاً اسمه: مَابُورُ، وبغلة تسمى: ذُلْدَلُ، وقدحاً من قَوَارِيرِ كان

رسول الله - ﷺ - يشرب فيه، وتوفيت مارية - رضي الله عنها - سنة ست عشرة في خلافة عمر - رضي الله عنه - وكان عمر هو الذي يخشع الناس إلى جنازتها بنفسه، وهي مارية بنت شمعون القبطية من كورة حفن. وأما إبراهيم ابن رسول الله - ﷺ - فمات، وهو ابن ثمانية عشر شهرا في سنة عشر من الهجرة في اليوم الذي كُيفت فيه الشمس، وكانت قابله، سلمى امرأة أبي رافع، وأرضعته أم بردة بنت المنذر التجارية امرأة البراء بن أوس، وسلمى: هي مولاة رسول الله - ﷺ - وقابلته بني فاطمة كلهم، وهي غسلتها مع أسماء بنت عميس الخثعمية، وغسلها معهما علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وفي المُنشد من طريق أنس أن رسول الله - ﷺ - حين ولدت له مارية ابنة إبراهيم وقع في نفسه منه شيء، حتى نزل جبريل عليه السلام، فقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم^(١).

ترجمة ورقة:

وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وأم ورقة: هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي، ولا عقب له، وهو أحد من آمن بالنبي - ﷺ - قبل البعث^(٢)، وروى الترمذي أن رسول الله - ﷺ - قال: «رأيت في المنام، وعليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار، لم تكن عليه ثياب بيض»^(٣)، وهو حديث في إسناده ضعف. لأنه يدور على عثمان بن عبد الرحمن، ولكن يقويه ما يأتي بعد هذا من قوله عليه السلام: «رأيت القس» يعني، ورقة وعليه ثياب حرير، لأنه أول من آمن بي، وصدقني، وسيأتي بقية من خبره^(٤) فيما بعد - إن شاء الله - وقد ألفت للحديث الذي خرجه الترمذي في ورقة إسنادا جيدا غير الذي ذكره الترمذي، وهو ما رواه الزبير بن أبي بكر عن عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله - ﷺ - عن ورقة بن نوفل، كما بلغنا فقال: «رأيت في المنام، عليه ثياب بيض، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض»^(٥)، وكان يذكر الله في سفره في الجاهلية، ويسبحه، وهو الذي يقول:

لقد نصحت لأقوام، وقلت لهم: أنا النذير، فلا يغرزكم أحد

(١) أخرجه البزار (١٨٩/٢) وانظر الزاد (١٠٣/١) والمتنظم (٣١٦/٢).

(٢) الصواب أن يقال: صدق. وليس آمن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩٧١٩). وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (١١٥/١) وفيه انقطاع.

(٥) أخرجه أحمد (١٣٢/٣) وإسناده ضعيف أيضا وأخرجه ابن الجوزي في المتنظم (٣٧٣/٢).

لا تَغْبُدَنَّ إِلَهًا غَيْرَ خَالِقِكُمْ
سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحَانًا يَدُومُ لَهُ
مُسَخَّرُ كُلِّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ
لَا شَيْءٌ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاسْتِهِ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُزْمِزِ يَوْمًا خَزَائِنُهُ
وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ تَجَرَّى الرِّيحُ بِهِ
أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ لِعِزَّتِهَا
حَوْضُ هِنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلا كَذِبٍ

فَإِنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا: بَيْنَنَا جَدَدٌ^(١)
وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمُدُ
لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَاوِيَ مُلْكُهُ أَحَدُ
يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ
وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادَ فَمَا خَلَدُوا
وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا بَيْنَهَا مَرَدٌ
مَنْ كُلُّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَفِدُ
لَا بُدَّ مِنْ وَزْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

نسبه أبو الفرج إلى وَرَقَةَ، وفيه أبيات تُنسب إلى أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ، ومن قوله فيما خبرته به خديجة - رضي الله عنها - عن رسول الله - ﷺ - :

يا للرجالِ لَصَرْفِ الدَّهْرِ وَالْقَدَرِ
حتى خديجة تدعوني لأخبرها
فخبرتنني بأمرٍ قد سمعت به
بأن أحمدَ يأتيه فيخبره
فقلت: علِّ الذي تزجّين ينجزه
وأرسلته إلينا كي نسأله
فقال حين أنانا منطلقا عَجَبًا
إني رأيتُ أمينَ الله واجهني
ثم استمر فكان الخوف يذعُرني
فقلت: ظني وما أدري أَيْضِدُّقني
وسوف أبلّيك إن أغلّنت دعوتهم

وما لَشَيْءٍ قَضَاهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ
أمرًا أراه سيأتي الناسَ من آخر
فيما مضى مِنْ قديم الدهر والعُصْرِ
جبريلُ: إنك مبعوثٌ إلى الْبَشَرِ
لك الإلهُ فَرَجِي الْخَيْرَ وانتظري
عن أمرِهِ ما يَرَى فِي النُّومِ وَالسَّهَرِ
يَقِفُ مِنْهُ أَعَالِي الْجِلْدِ وَالشَّعْرِ
في صورة أكملت في أَهْيَبِ الصُّورِ
مما يُسَلِّمُ مِنْ حَوْلِي مِنَ الشَّجَرِ
أن سوف تُنبعث تثلو مُنْزَلَ السُّورِ
من الجهادِ بِلا مَنْ ولا كَدَرِ

(١) في الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (١١٥/٣) وفي البداية (٢٧٦/٢): «حدد». بالحاء. وفيهما بعض الاختلاف.

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - وكان ابن عمها، وكان نصرانيًا قد تتبّع الكتب، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلاله، فقال ورقة: لئن كان هذا حقًا يا خديجة، إن محمدًا لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا زمانه، أو كما قال:

فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول: حتى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لَجِجْتُ^(١) وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لَجُوجًا لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا^(٢)
وَوَضِفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَضِفِ فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِبَطْنِ الْمَكْتَنِينَ عَلَى رَجَائِي حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعْجُوجَا
بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا وَيُخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا

مثنى يقصد به المفرد:

فصل: وفي شعر ورقة:

بِبَطْنِ الْمَكْتَنِينَ عَلَى رَجَائِي حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
ثَنَى مَكَّةَ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّ لَهَا بَطَاحًا وَظَوَاهِرَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ، وَمَنْ أَهْلُ
الظَوَاهِرِ فِيمَا قَبْلَ، عَلَى أَنَّ لِلْعَرَبِ مَذْهَبًا فِي أَشْعَارِهَا فِي تَثْنِةِ الْبُقْعَةِ الْوَاحِدَةِ، وَجَمْعِهَا نَحْوُ
قَوْلِهِ: وَمَيَّتْ بَغْرَاتٍ. يريد: بغرة وبغادين في بغداد، وأما التثنية فكثير نحو قوله:

بِالرَّقْمَتَيْنِ^(٣) لَهُ أَجْرٌ^(٤) وَأَعْرَاسٌ^(٥) وَالْحَمَّتَيْنِ سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ دَارِ

وقول زهير: ودار لها بالرَّقْمَتَيْنِ. وقول ورقة من هذا: ببطن المكنتين. لا معنى لإدخال
الظواهر تحت هذا اللفظ، وقد أضاف إليها البطن، كما أضافه المبرق حين قال:

بِبَطْنِ مَكَّةَ مَفْهُورٌ وَمَفْشُورٌ

وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة
وأ أسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى، وقد قالوا: صِدْنَا بِقَتَوَيْنِ وَهُوَ قَنَا اسْمُ جَبَلٍ،

(١) لججت: الولوج: الدخول في الشيء.

(٢) النشيج: الصوت والنشيج: أشد البكاء.

(٣) الرقمة: الروضة.

(٤) جمع جرو.

(٥) جمع عروس. وتطلق على الرجل والمرأة.

وقال عترة:

شَرِيتْ بِمَاءِ الدُّخْرُصَيْنِ^(١)

وهو من هذا الباب في أصح القولين، قال عترة أيضاً:

بُعْنِزَتَيْنِ^(٢) وَأَهْلُنَا بِالْعَيْلَمِ^(٣)

وعُنْزَة اسم موضع، وقال الفرزدق:

عَشِيَّةً سَالِ الْمِرْبَدَانِ^(٤) كِلَاهِمَا

وإنما هو يزيد البصرة. وقولهم:

تَسَالَنِي بِرَامَتَيْنِ^(٥) سَلْجَمًا^(٦)

وإنما هو رامة وهذا كثير. وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وستان، فتسميها جنتين في فصيح الكلام، إشعاراً بأن لها وجهين، وأنك إذا دخلتها، ونظرت إليها يمينا وشمالاً رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قُرَّةً، وصَدْرَكَ مَسْرَةً، وفي التنزيل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٥]. وفيه: ﴿جَعَلْنَا لَأَحَدَهُمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] الآية. وفي آخرها: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ فأفرد بعدما ثنى، وهي هي^(٧)، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، والقول في هذه الآية يتسع، والله المستعان.

النور والضياء:

فصل: وقال في هذا الشعر: ويظهر في البلاد ضياءٌ نور. هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء، وأن الضياء هو المنتشر عن النور، وأن النور هو الأصل للضوء، ومنه مبدؤه، وعنه يصدر، وفي التنزيل: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّوْهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]. وفيه: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾ [يونس: ٥] لأن نور القمر، لا

- (١) الدخرصين: اسم موضع.
(٢) عنيزتين: اسم موضع بين البصرة ومكة.
(٣) العيلم: بالغين. موضع في شعر عترة.
(٤) المريد: اسم المكان الذي تُحْبَس فيه الإبل.
(٥) برامتين: رامة منزل من طريق البصرة إلى مكة.
(٦) السلجم: قيل نوع من البقول. وقيل غير ذلك.
(٧) وقيل: إنما قال هذا المؤمن قليلاً لشانهما بما عند الله تعالى.

فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا
فِيَا لَيْتَنِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ
وُلُوجًا فِي الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشُ
أَرْجِي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعًا
وَهَلْ أَمْرُ السُّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ
فَلِنْ يَنْبَقُوا وَابْقَ تَكُنْ أُمُورُ
وَإِنْ أَهْلِكَ فَكُلُّ فِتَى سَيَلْقَى
وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ قُلُوجًا
شَهْدَتْ فَكُنْتَ أَوْلَهُمْ وَوُلُوجًا
وَلَوْ عَجَّثَ بِمَكَّتِهَا عَجِيجًا
إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَقَلُوا عُرُوجًا
بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجًا
مِنْ الْأَقْدَارِ مَثْلَفَةٌ خُرُوجًا^(١)

ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس، [و] لا سيما في طرفي الشهر، وفي الصحيح: «الصلاة نور، والصبر ضياء»^(٢)، وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي ذكر وقرآن، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصبر عن المنكرات، والصبر على الطاعات هو: الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن، والذكر، وفي أسماء الباري سبحانه ﷻ الله نور السموات والأرض» [النور: ٣٥] ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه - سبحانه - وقد أملت في غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء، والحمد لله.

نون الوقاية في إن وأخواتها:

فصل: وفي شعر ورقة: فيا لَيْتَنِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ. بحذف نون الوقاية، وحذفها مع ليت رديء، وهو في لعل أحسن منه، لقرب مخرج اللام من النون، حتى لقد قالوا: لعلٌ وَلَعْنٌ ولأن بمعنى واحد، ولا سيما وقد حكى يعقوب أن من العرب مَنْ يخفض بلعل، وهذا يؤكد حذف النون من لعلني، وأحسن ما يكون حذف هذه النون في إِنْ وَأَنْ وَلَكِنْ وَكَانَ لاجتماع النونات، وحسنه في لعل أيضًا كثرة حروف الكلمة، وفي التنزيل: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ﴾ [يوسف: ٤٦]. بغير نون، ومجيء هذه الياء في ليتني بغير نون مع أن ليت ناصبة، يدلُّك على أن الاسم المضمر في ضربني هو الياء، دون النون كما هو في: ضربك، وضربه حرف واحد، وهو الكاف، ولو كان الاسم هو النون مع الياء - كما قالوا في المخفوض: مَنِي وَعُتِي بنونين نون: من، ونون أخرى مع الياء، فإذا الياء وحدها هي الاسم في حال الخفض، وفي حال النصب.

(١) انظر البداية (٢/ ٢٧٥).

(٢) «صحيح». أخرجه مسلم في الطهارة (١٠٠) والترمذي (٣٥١٧) وابن ماجه (٢٨٠) وغيرهم في غيرهم.

حول تقدم صلة المصدر عليه:

فصل: وفيه: حديثك أن أرى منه خروجًا. قوله منه الهاء راجعة على الحديث، وحرف الجر متعلق بالخروج، وإن كره النحويون ذلك؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم، فلا يتقدم عليه؛ لأن المصدر مقدّر بأن والفعل، فما يعمل فيه هو من صلة أن، فلا يتقدم، فمن أطلق القول في هذا الأصل، ولم يخص مصدرًا من مصدر، فقد أخطأ المَفْصِل، وتاه في تَضَلُّلٍ؛ ففي التنزيل: ﴿أَكُنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ [يونس: ٢]. ومعناه: أكان عجبًا للناس أن أوحينا، ولا بدّ للام هاهنا أن تتعلق بعجب؛ لأنها ليست في موضع صفة، ولا موضع حال لعدم العامل فيها، وفيه أيضًا: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣]. وفيه أيضًا: ﴿لَوَلِيتُ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [الكهف: ١٨]. وتقول: لي فيك رغبة، وما لي عنك مُعَوَّلٌ، فيحسن كل هذا بلا خلاف، وقد أجاز ابن السراج أبو بكر، و[محمد بن يزيد] المُبَرِّد أيضًا في ضَرْبًا زِيدًا، إذا أردت الأمر: أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر، وقال: لأن ضَرْبًا هاهنا في معنى: اضرب، فقد خصص لك ضَرْبًا من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فإن كان المصدر غير أمر، وكان نكرة لم يتقدّم المفعول خاصة عليه، بخلاف المجرور والظرف، فالواجب إذا رُبِطَ هذا الباب وتفصيله.

متى يجوز تقديم معمول المصدر؟

فنقول: كل مصدر نكرة غير مضاف إلى ما بعده يجوز تقديم معموله عليه إلا المفعول لأن المصدر النكرة لا يتقدّر بأن والفعل؛ لأنك إن قدرته بأن والفعل بقي الفعل بلا فاعل، وما كان مضافًا إلى ما بعده، فالمضاف إليه فاعل في المعنى أو مفعول؛ فلذلك يصير المصدر مقدّرًا بأن والفعل، فقف على هذا الأصل، فمنه حُسن قول ورقة: أن أرى منه خُروجًا، أي: أرى خروجًا منه، وكذلك لو ذكر الدخول، فقال: أرى فيه دخولًا، يريد: دخولًا فيه، لكان حسنًا، وتقول: اللَّهُمَّ اجعل من أمرنا قَرَجًا وَمَخْرَجًا، فحين أمرنا: متعلق بما بعده، وهو مصدر، ولا خفاء في حُسن هذا التقديم لما ذكرناه.

ومن قول وَرَقَّةَ بن نوفل في معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن إسحاق:

أَتَبْكِرُ أَمْ أَنْتَ الْعَشِيَّةُ رَائِحٌ	وفي الصدر من إضْمَارِكَ الحزنَ قَادِح
لِفُرْقَةٍ قَوْمٍ لَا أَحَبَّ فِرَاقَهُمْ	كَأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ نَازِح
وَأَخْبَارِ صِدْقٍ خَبَرَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ	يُخْبِرُهَا عَنْهُ إِذَا غَابَ نَاصِح

بَغُورٍ^(١) وَبِالتَّجْدِينَ حَيْثُ الصَّحَاصِحُ^(٢)
وَهُنَّ مِنَ الْأَحْمَالِ قُفُصٌ^(٣) دَوَالِحُ^(٤)
وَلِلْحَقِّ أَبْوَابٌ لَّهُنَّ مَفَاتِحُ
إِلَى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ
كَمَا أُرْسِلَ الْعِبْدَانِ هُوْدُ وَصَالِحُ
بِهَاءٍ وَمَنْشُورٌ مِنَ الذِّكْرِ وَاضِحُ
شِيَابِهِمُ وَالْأَشْيَبُونَ الْجَحَاجِحُ^(٥)
فَلِنِي بِهِ مُسْتَبَشِرُ الْوَدِّ فَارِحُ
عَنْ أَرْضِكَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ سَائِحُ

فَتَاكَ الَّذِي وَجَّهْتَ يَا خَيْرَ حُرَّةٍ
إِلَى سُوقٍ بُضْرَى فِي الرِّكَابِ الَّتِي غَدَتْ
فَخَبَّرْنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ
بَأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُرْسَلُ
وِظْنِي بِهِ أَنَّ سَوْفَ يُبْنَعُ صَادِقًا
وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ حَتَّى يُرَى لَهُ
وَيَتَّبَعَهُ حَيًّا لُؤْيِي جَمَاعَةٍ
فَإِنْ أَبَقَ حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ
وَالَا فَلِنِي يَا خَدِيجَةَ - فَاعْلَمِي

(١) غور: موضع ما بين ذات عرق إلى البحر، وكل ما انحدر مغرباً عن تهامة.
(٢) الصحاصح: الأرض الجرداء.
(٣) القفص: داء يصيب الصدر.
(٤) الحمل الثقيل.
(٥) الجحجاج: السيد.

حديث بنيان الكعبة

وحكم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحجر^(١)

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ - خمسًا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكان يَهُمُّونَ بذلك، لِيُسَقَّفُوهَا ويهابون هَدمَهَا، وإنما كانت رَدَمًا فوق القامة، فأرادوا رَفَعَهَا وتَسْقِيفَهَا، وذلك أن نفرًا سرقوا كنزًا للكعبة، وإنما كان يكون في

بنيان الكعبة

ففي خبرها أنها كانت رَضْمًا فوق القامة. الرَضْمُ: أن تُنَضَّدَ الحجارة بعضها على بعض من غير مِلَاطٍ^(٢) كما قال:

رُزِئَتْهُمْ فِي سَاعَةٍ جَرَعَتْهُمْ كُؤُوسَ الْمَنَایَا تَحْتَ صَخَرٍ مُرَضَّمٍ

وقوله: فوق القامة، كلامٌ غيرُ مُبَيَّنٍ لمقدارِ ارتفاعها إذ ذاك، وذكر غيره أنها كانت تَسَعُ أذرع من عهد إسماعيل، ولم يكن لها سقف، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع، فكانت ثمان عشرة ذراعًا، ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يُصْعَدُ إليها إلا في دَرَجٍ أو سُلَّم، وقد ذكرنا أولَ مَنْ عمل لها غَلَقًا، وهو تُبَّع. ثم لما بناها ابنُ الزبير زاد فيها تسع أذرع، فكانت سبعًا وعشرين ذراعًا، وعلى ذلك هي الآن، وكان بناؤها في الدهر خمس مرات. الأولى: حين بناها شيثُ بن آدم، والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى^(٣)، والثالثة: حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس، فوقعت في أستارها، فاحترقت، وقيل إن امرأة

(١) انظر البداية (٢/٢٧٧) / المتظم (٢/٣٢٠) / الطبري (١/٥٢٣).

(٢) الملاط: الطين.

(٣) وقيل أن أولَ مَنْ بناها هو إبراهيم - وهو الأرجح.

بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وُجد عنده الكنز دُونِكَا مولى لبني مُليح بن عمرو من خزاعة. قال ابن هشام: فقطعت قريشُ يده. وتزعُم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُونِك وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجَّار الروم، فتحطَّمت، فأخذوا خشبها فأعدَّوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبضي نجار، فتهايا لهم في أنفسهم بعض ما يُّصلحها وكانت حيَّة تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح فيها ما يُّهدى لها كل يوم، فتتشرَّق على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا اخزألت وكشَّت، وفتحت فاهها، وكانوا يهابونها، فبينما هي ذات يوم تتشرَّق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع بحث الله إليها طائرًا فاخطفها، فذهب بها، فقالت قريش: إنَّا لنرجو أن يكون الله قد رَضِيَ ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية.

فلما أجمعوا أمرهم في هَدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم. قال ابن هشام: عائذ بنُ عمران بن مخزوم. فتناول من الكعبة حجرًا، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه. فقال: يا معشر قريش، لا تُدخلوا في بنائها من كَسبكم إلا طيبًا، لا يدخل فيها مهرٌ بغيٍّ ولا بيعٌ ربًّا، ولا مظلمةٌ أحد من الناس، والناس يَتَحَلون هذا الكلام الوليد بن المُغيرة عبد الله بن عُمر بن مخزوم.

قال ابن إسحق: وقد حدَّثني عبد الله بن أبي نَجِيح المَكِّي أنه حَدَّث^(١) عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خَلَف بن وهب بن حُذَافَة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَي. أنه رأى ابنًا لجعدة بن هُبيرة بن أبي وهب بن عمرو يطوف بالبيت، فسأل عنه، ف قيل: هذا ابنُ لَجَعْدَة بن هُبيرة، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك: جدُّ هذا، يعني: أبا وهب الذي أخذ حجرًا من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يا معشر قريش: لا تُدخلوا في بنائها من كَسبكم إلا طيبًا. لا تدخلوا فيها مهرٌ بغيٍّ، ولا بيعٌ ربًّا، ولا مظلمةٌ أحد من الناس.

قال ابن إسحق: وأبو وهب: خالُ أبي رسول الله - ﷺ - وكان شريفًا، وله يقول شاعر من العرب:

ولو يَأبى وَهب أَنَحْتُ مَطِيَّتِي عَدْتُ من نَدَاهُ رَحْلُهَا غَيْرُ خَائِبِ

بأبيض من قَزَعِي لُؤْيٍ بن غالب إذا حُصِّلَتْ أنسابُها في الذَّوَابِ
أبيُّ لأخِذِ الضَّيِّمِ يرتاح للثَّدَى تَوَسَّطَ جَذَاهُ قُرُوعُ الأطَايِبِ
عظيم رَمَادِ القِدْرِ يَمَلَأُ جِفَانَهُ من الخُبْزِ يَغْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبَائِبِ

ثم إن قُرَيْشًا تَجَزَّأت الكعبة، فكان شِقُّ الباب لبني عبد مناف وزُهْرَةَ وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم، وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحٍ وسهم، ابني عمرو بن هُصَيْنٍ بن كعب بن لُؤْيٍ. وكان شِقُّ الحِجْرِ لبني عبد الدار بن قُصَيٍّ، ولبني أسد بن العُزَّى بن قُصَيٍّ، ولبني عَدِيٍّ بن كعب بن لُؤْيٍ وهو الحَطِيطُ.

ثم إن الناس هابوا هَدْمَهَا وَفَرَّقُوا مِنْهُ، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدوكم في هَدْمَهَا، فأخذ المِغْوَلُ، ثم قام عليها، وهو يقول: اللَّهُمَّ لِمَ تُرْعُ^(١) - قال ابن هشام: ويقال: لِمَ تُرْعُ - اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نريد إِلَّا الخير، ثم هدم من ناحية الركنَيْن، فتربَّص الناس تلك اللَّيْلَةَ، وقالوا: ننظر، فإن أُصِيبَ لم نهدم منها شيئاً وردَّذناها كما كانت، وإن لم يُصِبه شيء، فقد رضي الله صُنْعَنَا، فهدمنا. فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله، فَهَدَمَ وَهَدَمَ النَّاسُ مَعَهُ، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساسِ أساسِ إبراهيم عليه السلام أَفْضَوْا إلى حجارة خُضِرَ كَالْأَسْنِمَةِ أَخَذَ بَعْضُهَا بَعْضًا.

قال ابن إسحق: فحدَّثني بعض مَنْ يَزُوي الحديث^(٢): أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، مِمَّنْ كَانَ يَهْدِمُهَا، أَدْخَلَ عَتَلَةً بَيْنَ حَجَرَيْنِ مِنْهَا لِيَقْلَعَ بِهَا أَحَدَهُمَا، فَلَمَّا تَحَرَّكَ الْحَجَرُ تَنَقَّضَتْ مَكَّةُ بِأَسْرَهَا، فَانْتَهَوْا عَنْ ذَلِكَ الْأَسَاسِ.

أرادت أَنْ تُجْمِرَهَا، فَطَارَتْ شَرَارَةٌ مِنَ الْمِجْمَرِ^(٣) فِي أَسْتَارِهَا، فَاحْتَرَقَتْ، فَشَاوَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي هَدْمِهَا مَنْ حَضَرَهُ، فَهَابُوا هَدْمَهَا، وَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَصْلَحَ مَا وَهَى، وَلَا تَهْدِمَ. فَقَالَ لَوْ أَنَّ بَيْتَ أَحَدِكُمْ احْتَرَقَ لَمْ يَرْضَ لَهُ إِلَّا بِأَكْمَلِ صِلَاحٍ. وَلَا يَكْمَلُ إِصْلَاحُهَا إِلَّا بِهَدْمِهَا. فَهَدَمَهَا حَتَّى أَفْضَى إِلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا فِي الْحَفْرِ. فَحَرَكُوا حَجَرًا فَأَرَأَوْا تَحْتَهُ نَارًا وَهَوْلًا^(٤). أَفْزَعَهُمْ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْرَأُوا الْقَوَاعِدَ، وَأَنْ يَبْنُوا مِنْ حَيْثُ انْتَهَى الْحَفْرُ.

(١) ترع: كلمة تقال لتسكين النفس من الفزع وغيره. أي لم تفزع مكة ولم تُرد بها شرًا. والله أعلى وأعلم.

(٢) مجهول. وأخرجه الطبري في تاريخ (٥٢٦/١) من طريق ابن إسحق - به.

(٣) المِجْمَر: ما يوضع فيه الجمر. وهو العود أيضًا.

(٤) حديث النار التي وجدت تحت الحجر فيها نظر.

وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد، فطاف الناس بتلك الأستار، فلم تخل قط من طائف حتى لقد دُكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب، واشتغل الناس فلم يُر طائف يطوف بالكعبة إلا جملًا يطوف بها، فلما استتم بنائها، ألصق بابها بالأرض، وعمل لها خلفًا أي: بابًا آخر من ورائها، وأدخل الحِجْرَ فيها، وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «ألم تَرَي قَوْمَكَ حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة»، ثم قال عليه السلام: «لولا جذنان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها، وجعلت لها خلفًا وألصقت بابها الأرض، وأدخلت فيها الحِجْرَ» أو كما قال - عليه السلام^(١) - قال ابن الزبير: فليس بنا اليوم عجز عن النفقة، فبناها على مقتضى حديث عائشة، فلما قام عبد الملك بن مروان، قال: لسا من تخطيط أبي حُنيب^(٢) بشيء، فهدمها وبنها على ما كانت عليه في عهد رسول الله - ﷺ - فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر، ومعه رجل آخر، فحدثاه عن عائشة، عن رسول الله - ﷺ - بالحديث المتقدم، فندم، وجعل يَنْكُثُ في الأرض بِمُخَصَّرَةٍ في يده، ويقول: وَدِدْتُ أَنِّي تركت أبا حُنيب، وما تحمّل من ذلك، فهذه المرة الخامسة، فلما قام أبو جعفر المنصور، وأراد أن يبينها على ما بناها ابن الزبير، وشاور في ذلك، فقال مالك بن أنس: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، وأن تجعل هذا البيت مَلْعَبَةً للملوك بعدك، لا يشاء أحد منهم أن يُغَيِّرَهُ إلا غَيَّرَهُ فتذهب هيئته من قلوب الناس، فصرفه عن رأيه فيه^(٣)، وقد قيل: إنه بُني في أيام جُزْهم مرة أو مرتين؛ لأن السيل كان قد صدع حائطه، ولم يكن ذلك بنيانًا على نحو ما قدّمنا، إنما كان إصلاحًا لما وَهَى منه، وجدارًا بُني بينه وبين السيل، بناه عامر الجارود، وقد تقدم هذا الخبر، وكانت الكعبة قبل أن يبينها شيئًا عليه السلام خيمةً من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم، ويأنس إليها؛ لأنها أنزلت إليه من الجنة، وكان قد حج إلى موضعها من الهند، وقد قيل: إن آدم هو أول من بناها، ذكره ابن إسحق في غير رواية البُكَائِي. وفي الخبر أن موضعها كان غُثَاءَةً على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض، فلما بدأ الله بخلق الأشياء خلق التُّرْبَةَ قبل السماء، فلما خلق السماء، وقضاهن سبع سموات دحا الأرض، أي: بسطها، وذلك قوله سبحانه: ﴿والأرض بعد ذلك

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٨٠/٢) ومسلم في الحج (٣٩٨) والنسائي (٢١٥/٥) وأحمد (٥٧/٦) وابن خزيمة (٢٧٤٢).

(٢) أبو حبيب: يعني عبد الله بن الزبير.

(٣) ذكر النووي والقاضي عياض أن القائل هو الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة للرشد أو لأبيه.

دحاها﴾ [النازعات: ٣]. وإنما دحاها من تحت مكة؛ ولذلك سُمِّيَتْ أم القرى، وفي التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض: ﴿اثْبَيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم^(١)، فلذلك حرَّمها. وفي الحديث: أن الله حرَّم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض^(٢)، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن، لأن المؤمن إنما حرَّم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه، وأرض الحرم لما قالت: أتينا طائعين، حرَّم صيدها وشجرها وخلاها إلا الإذخر، فلا حرمة إلا لذي طاعة، جعلنا الله مِنَّ أطاعه.

سبب آخر لبنان البيت:

وَرُوِيَ في سبب بنان البيت خبر آخر، وليس بمعارض لما تقدم، وذلك أن الله سبحانه لما قال لملائكته: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتَّجعل فيها مَنْ يَفْسِدُ فيها﴾ [البقرة: ٢٩].

خافوا أن يكون الله عاتبًا عليهم لاعتراضهم في علمه، فطافوا بالعرش سبعا، يسترضون ربهم، ويتضرعون إليه، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة، وأن يجعلوا طوافهم به، فكان ذلك أهونَ عليهم من الطواف بالعرش، ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتًا، وفي كل أرض بيتًا، قال مجاهد: هي أربعة عَشَرَ بيتًا، كل بيت منها مَنَّا صاحبه، أي: في مقابلته، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض^(٣).

حول بناء الكعبة مرة أخرى:

رُوِيَ أيضًا أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهاها، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل، فتلک القواعد من البيت التي رفع إبراهيم وإسماعيل، فلما جاء الطوفان رفعت، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس.

وذكر ابن هشام أن الماء لم يَغْلُها حين الطوفان، ولكنه قام حولها، وبقيت في هواء إلى السماء^(٣)، وأن نوحًا قال لأهل السفينة، وهي تطوف بالبيت: إنكم في حرم الله، وحول بيته، فأحرموا لله، ولا يمس أحد امرأة، وجعل بينهم وبين السماء حاجزًا، فتعدى حام،

(١) كلام لا أصل له ليرد الآية الصريحة التي لم تستثن أرضًا ولا سماء.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤/٥) وأحمد (٣٢/٤) وابن ماجه (٣٠٠٩).

(٣) كلام يفتقر إلى الدليل الصحيح وكذا الخبر الآتي بعد.

فدعا عليه نوح أن يَسُوذَ لون بنيهِ، فاسُوذَ كُوشُ بن حام ونسله إلى يوم القيامة، وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا^(١)، والله أعلم.

وذكر في الخبر عن ابن عباس، قال: أول مَنْ عاذ بالكعبة حوثٌ صغير، خاف من خوف كبير، فعاذ منه بالبيت، وذلك أيام الطوفان^(٢). ذكره يحيى بن سلام، فلما نَضَبَ ماء الطوفان، كان مكان البيت رَبْوَةً من مَدَرَةٍ^(٣) وحجَّ إليه هود وصالح، وَمَنْ آمَنَ معهما، وهو كذلك^(٤).

ويُذكر أن يَغْرُبَ قال لهود عليه السلام: ألا بُنِيهِ؟ قال: إنما بينه نبي كريم يأتي من بعدي يتخذه الرحمن خليلاً، فلما بعث الله إبراهيم وشبَّ إسماعيل بمكة أَمَرَ إبراهيمُ ببناء الكعبة، فدلَّته عليه السَّكِينَةُ^(٥)، وظَلَّلَتْ له على موضع البيت، فكانت عليه كالْجُحْفَةِ^(٦)، وذلك أن السَّكِينَةَ من شأن الصلاة، فَجُعِلَتْ عَلَماً على قبيلتها حكمةً من الله سبحانه، وبناءه عليه السلام من خمسة أَجْبُلٍ، كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها، وهي: طُورُ تَيْنَا، وطُورُ زَيْنَا اللذين بالشام، والجُودِيّ وهو بالجزيرة، ولَيْثَانٌ وجِراءُ وهما بالحرم، كل هذا جمعناه من آثار مروية. وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أَجْبُلٍ، فشاكل ذلك معناها؛ إذ هي قبلة للصلاة الخمس وعمود الإسلام، وقد بُنِيَ على خمس، وكيف دلَّت عليه السَّكِينَةُ؛ إذ هو قبلة للصلاة، والسَّكِينَةُ من شأن الصلاة. قال عليه السلام: «وَأَثَرُهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ»^(٧) فلما بلغ إبراهيمُ الركن جاءه جبريلُ بالحجر الأسود من جوف أبي قُبَيْسٍ، وروى الترمذي عن ابن عباس عن رسول الله - ﷺ - قال: «أُنْزِلَ الحجر الأسود من الجنة أشد بياضاً من اللبن، فسُوِّدَتْ خطايا بني آدم»^(٨)، وروى الترمذي أيضاً من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة، ولولا ما طُمِسَ من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب، وفي رواية غيره: لأَبْرَأَ مَنْ اسْتَلَمَهُمَا

(١) السابق. وقيل لأن حام رأى عورة أبيه فلم يسترها فغضب عليه، وسترها أخواه فدعا لهما. انظر سفر التكوين ١ صحاح رقم (٩).

(٢) تقدم أنها كانت من هواء وقت الطوفان، فتأمل.

(٣) المدر: الطين إذا ييس.

(٤) كلام يفتر إلى الدليل الصحيح من قرآن أو سُنَّة «صحيحة».

(٥) قيل هي ريح شديدة والقصة كلها في حاجة إلى دليل «صحيح» يقرِّبها.

(٦) الجحفة: بقية الماء في جوانب الحوض.

(٧) «صحيح». أخرجه البخاري (١٦٤/١) وأحمد (٥٣٢/٢) والبيهقي في الكبرى (٩٣/٣).

(٨) «ضعيف». أخرجه الترمذي (٨٧٧). فيه عطاء بن السائب: صدوق اختلط. التقريب (٢٣/٢).

من الخرس والجذام والبَرَص^(١)، وروى غير الترمذي من طريق علي رحمه الله أن العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يُشركوا به شيئاً كتبه في صك، والقمة الحجر الأسود؛ ولذلك يقول المستلم له: إيماناً بك، ووفاء بعهدك^(٢)، وذكر هذا الخبر الزبير، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهراً أطيب من اللبن، وألين من الزبد، فاستمد منه القلم الذي كتب العهد، قال: وكان أبو قُبَيْس يسمى: الأمين؛ لأن الركن كان مُودَعاً فيه، وأنه نادى إبراهيم حين بلغ بالبنين إلى موضع الركن، فأخبره عن الركن فيه، ودلّه على موضعه منه^(٣)، وانتبه من ههنا إلى الحكمة في أن سؤدته خطايا بني آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها، وذلك أن العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها من توحيد الله، فكل مولود يولد على تلك الفطرة، وعلى ذلك الميثاق، فلولا أن أبويه يهودانه ويُنصّرانه ويُمجّسانه، حتى يسودّ قلبه بالشرك، لما حال عن العهد، فقد صار قلب ابن آدم مَحَلّاً لذلك العهد والميثاق، وصار الحجر محلاً لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق، فتناسبا، فاسودّ من الخطايا قلب ابن آدم بعدما كان ولد عليه من ذلك العهد، واسودّ الحجر بعد ابيضاضه، وكانت الخطايا سبباً في ذلك حِكْمَةً من الله سبحانه، فهذا ما ذكر في بنية الكعبة ملخصاً، منه ما ذكر المأوردي، ومنه ما ذكره الطبري، ومنه ما وقع في كتاب التمهيد لأبي عمر^(٤)، ونبذ أخذتها من كتاب فضائل مكة لِرَزِين بن معاوية، ومن كتاب أبي الوليد الأزرق في أخبار مكة، ومن أحاديث في المسندات المروية، وسنورد في باقي الحديث بعض ما بلغنا في ذلك مستعينين بالله. وأما الركن اليماني فسُمّي باليماني - فيما ذكر القُتَيْبِيُّ - لأن رجلاً من اليمن بناه اسمه: أَبِي بن سالم وأنشد:

لنا الركنُ من بيتِ الحرامِ ورائةً بقيةً ما أبقي أبي بن سالم

حول بناء المسجد الحرام:

وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر: إن الكعبة بيت الله، ولا بدّ للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها، ولم تدخل عليكم، فاشتري تلك الدور من أهلها وهدمها، وبنى المسجد المحيط بها، ثم كان عثمان، فاشتري دُوراً أخرى، وأغلى في ثمنها، وزاد في سعة المسجد

(١) «ضعيف». أخرجه الترمذي (٨٧٨) وإسناده ضعيف أيضاً.

(٢) لا صحة لهذا.

(٣) يأتي السهيلي رحمه الله تعالى بأساطير ثم يزيدها بياناً ويبنى عليها بياناً.

فلما كان ابنُ الزبير زاد في إتقانه، لا في سَعته، وجعل فيه عَمَدًا من الرُّخَام، وزاد في أبوابه، وحسَّنها، فلما كان عبد الملك بن مَرْوان زاد في ارتفاع حائطِ المسجد، وحمل إليه السَّوَارِي في البحر إلى جُدَّة، واحتملت من جُدَّة على العجل إلى مكَّة، وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباجَ، وقد كُتِّبَ قَدَمُنَا أَنَّ ابْنَ الزبير كساها الديباجَ قبل الحجاج، ذكره الزبير بن بكار، وذكرنا أيضًا أَنَّ خالداً بن جعفر بن كِلَابٍ مَنَّ كساها الديباجَ قبل الإسلام، ثم كان الوليدُ بن عبد الملك فزاد في حُلِيِّها، وصرف في مِيزابها وسَقَفها ما كان في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهبٍ وفضةٍ، وكانت قد احتملت إليه من طُلَيْطَلَة من جزيرة الأندلس، وكانت لها أطواقٌ من ياقوتٍ وزَبَرْجَدٍ، وكانت قد اختُمِلت على بغل قوي فتفسَّخ تحتها، ففَضَّرَبَ منها الوليدُ حِلْيَةً للكعبة، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهديُّ زاد أيضًا في إتقان المسجد، وتحسين هيئته، ولم يحدث فيه بعد ذلك عملٌ إلى الآن. وفي اشتراء عمر وعثمان الدورَ التي زادا فيها دليلٌ على أَنَّ رِبَاعَ أهل مكَّة مِلْكٌ لأهلها، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا، وفي ذلك اختلاف.

كنز الكعبة والنجار القبطي:

فصل: وذكر ابنُ إسحق دُونِكَا الذي سرق كنزَ الكعبة، وتقدَّم أَنَّ سارقًا سرق من مالها في زمن جُزْهم، وأنه دخل البئر التي فيها كنزُها فسقط عليه حجرٌ فحبسه فيها، حتى أخرج منها، وأُتِنِعَ المَالُ منه، ثم بعث الله حَيَّةً لها رأسُ كُرَّاسِ الجَدْيِ، بيضاء البطن سَوْدَاءَ المَتَنِ^(١)، فكانت في بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين، وهي التي ذكرها ابن إسحق، وكان لا يدنو أحدٌ من بئر الكعبة إلا اخْزَأَلَّتْ أي: رفعت دَنَبَهَا، وكَشَّتْ أي: صَوَّتَتْ. وذكر ابن إسحق أَنَّ سَفِينَةً رماها البحر إلى جُدَّة، فتحطَّمت، وذكر غيره عن ابن مُثَنِّهِ أَنَّ سَفِينَةً خَجَّتْها الرياح إلى الشَّعْغِيَّة، وهو مَرْفَأُ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأً مكَّة ومرسى سفنها قبل جُدَّة. والشَّعْغِيَّة بضم الشين ذكره البكري، وفسر الخطابي خَجَّتْها: أي دفعتها بقوة، من الرياح الخُجُوج أي: الدَّفُوع.

قال ابن إسحق: وكان بمكة نجار قبطي، وذكر غيره أنه كان عِلْجًا^(٢) في السفينة التي خَجَّتْها الرياح إلى الشَّعْغِيَّة، وأن اسمَ ذلك النجار: يا قوم وكذلك رُوي أيضًا في اسم النجار الذي عمل مِثْبَر رسول الله - ﷺ - من طَرَفَاء الغابة، ولعله أن يكون هذا، فالله أعلم.

(١) المتن: الجسد.

(٢) العليج: العجمي.

الحية والدابة:

فصل: وذكر خبر الْعُقَابِ، أو الطائر الذي اختطف الحية من بئر الكعبة، وقال غيره: طرحها الطائر بِالْحَجُونِ؛ فالتصمتها الأرض. وقال محمد بن الحسن المقرئ هذا القول، ثم قال: وهي الدابة التي تكلم الناس قبل يوم القيامة، واسمها: أَقْصَى فيما ذكر، ومحمد بن الحسن المقرئ هو الثَّقَاشُ، وهو من أهل العلم - والله أعلم بصحة ما قال، غير أنه قد رُوِيَ في حديث آخر أن موسى عليه السلام سأل ربّه أَنْ يُرِيَهُ الدابة التي تُكَلِّمُ النَّاسَ، فأخرجها له من الأرض، فرأى منظراً هالاً وأفزعاً، فقال: أَيُّ رَبٍّ: رُدَّهَا فَرَدَّهَا^(١).

لم نزع:

وذكر ابن إسحق حديثَ الحَجَرِ الذي أُخِذَ من الكعبة، فوثب من يد آخِذِهِ، حتى عاد إلى موضعه، وقال غيره: ضربوا بِالْمِغُولِ في حجر من أحجارها، فلمعت برقاً كادت تخطف أبصارهم، وأخذ رجل منهم حجراً، فطار من يده، وعاد إلى موضعه. وذكر ابن إسحق قولهم: اللَّهُمَّ لِمَ تُرْعُ، وهي كلمة تُقال عند تسكين الرُّوع، والتأنيس، وإظهار اللين والبرِّ في القول، ولا رُوع في هذا الموطنِ فيُنْفَى، ولكن الكلمة تقتضي إظهار قصد البرِّ؛ فلذلك تكلموا بها، وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام، وإن كان فيها ذكر الرُّوع الذي هو مُحَالٌ في حقِّ الباري تعالى، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا، جاز النطق بها، وسيأتي في هذا الكتاب إن شاء الله زيادة بيان عند قوله: فاغفر فداءً لك ما اقتفينا.

وَرَوَى أَيْضًا: اللَّهُمَّ لِمَ نَزْعُ، وهو جَلِيٌّ لا يشكل.

من تفسير حديث أبي لهب:

وذكر قولهم: لا تُدْخِلُوا في هذا البيت مهرَ بَغْيٍ وهي الزانية، وهي فَعُولٌ من الْبِغَاءِ، فاندغمت الواو في الياء، ولا يجوز عندهم أن يكون على وزن فَعِيلٍ، لأن فَعِيلًا بمعنى: فاعل يكون بالهاء في المؤنث كرحيمة وكريمة، وإنما يكون بغير هاء إذا كان في معنى: مفعول نحو: امرأة جريح وقتيل.

وقوله: ولا بيع ربًّا يدل على أن الربا كان محرماً عليهم في الجاهلية، كما كان الظلم والبغاء، وهو الزنا محرماً عليهم، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع إبراهيم عليه السلام، كما

(١) كل هذا يفتقر إلى الدليل «الصحيح» الذي يعتضده.

قال ابن إسحاق: ^(١) وَحَدَّثَ أَنَّ قَرِيشًا وَجَدُوا فِي الرُّكْنِ كِتَابًا بِالسُّرْيَانِيَّةِ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا هُوَ، حَتَّى قَرَأَهُ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ، فَإِذَا هُوَ: «أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ، خَلَقْتُهَا يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَصَوَّرْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَخَفَقْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلاكٍ حُنَفَاءَ، لَا تَزُولُ حَتَّى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا، مُبَارَكٌ لِأَهْلِهَا فِي الْمَاءِ وَاللَّبَنِ».

قال ابن هشام: أخشباها: جبالها.

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَ ^(١) أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي الْمَقَامِ كِتَابًا فِيهِ: «مَكَّةَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ سُبُلٍ، لَا يُحْلَاهَا أَوَّلُ مِنْ أَهْلِهَا».

قال ابن إسحاق: وَزَعَمَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ أَنَّهُمْ وَجَدُوا حَجَرًا فِي الْكَعْبَةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً - إِنْ كَانَ مَا ذَكَرَ حَقًّا - مَكْتُوبًا فِيهِ: «مَنْ يَزْرَعُ خَيْرًا، يَحْصِدُ غِنًى، وَمَنْ يَزْرَعُ شَرًّا، يَحْصِدُ نَدَامَةً. تَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، وَتُجْزَوْنَ الْحَسَنَاتِ! أَجَلٌ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الشُّوْكِ الْعِنَبُ».

كَانَ بَقِيَ فِيهِمُ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ وَشَيْءٌ مِنْ أَحْكَامِ الطَّلَاقِ وَالْعِنْتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَفِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» [البقرة: ٢٧٥] دَلِيلٌ عَلَى تَقْدِيمِ التَّحْرِيمِ.

الحجر الذي كان مكتوبًا:

فصل: وَذَكَرَ الْحَجَرَ الَّذِي وَجَدَ مَكْتُوبًا فِي الْكَعْبَةِ، وَفِيهِ: أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ لِحَدِيثِ. رَوَى مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ فِي الْجَامِعِ عَنِ الزَّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ قَرِيشًا حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ، وَجَدُوا فِيهَا حَجَرًا، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ صُفُوحٍ ^(٢) فِي الصَّفْحِ الْأَوَّلِ: أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ صُغْتُهَا يَوْمَ صُغْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ إِلَى آخِرِ كَلَامِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَفِي الصَّفْحِ الثَّانِي: أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ، خَلَقْتُ الرَّجَمَ، وَاشْتَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُهُ، وَفِي الصَّفْحِ الثَّلَاثِ: أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ، خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ ^(٣)، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ: لَا يُحْلَاهَا أَوَّلُ مِنْ أَهْلِهَا، يَرِيدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَا كَانَ مِنْ اسْتِحْلَالِ قَرِيشَ الْقِتَالِ فِيهَا أَيَّامَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَخُصَيْنِ بْنِ ثُمَيْرٍ ثُمَّ الْحِجَابِ بَعْدَهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ أَبِي رَيْعَةَ:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعْنَى غَزَلٍ بِحُبِّ الْمُحِلَّةِ أَخْبِ الْمُحِلِّ

يعني بالمحل: عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم.

(١) فيه مجاهيل.

(٢) صفوح: أي جوانب.

(٣) أورده ابن كثير في البداية (٢/ ٢٨١) عن الزهري مرسلًا.

قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قُرَيْش جَمَعَت الحِجَارَةَ لبنائها، كُلُّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِجْدَةٍ، ثُمَّ بَنَوْهَا، حَتَّى بَلَغَ الْبُنْيَانُ مَوْضِعَ الرُّكْنِ، فَاجْتَصَمُوا فِيهِ، كُلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْآخَرَى، حَتَّى تَحَاوِرُوا وَتَحَالَفُوا؛ وَأَعَدُّوا لِلْقِتَالِ، فَقَرَّبَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دَمًا، ثُمَّ تَعَاقدُوا هُمْ وَبَنُو عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ عَلَى الْمَوْتِ، وَأَدْخَلُوا أَيْدِيَهُمْ فِي ذَلِكَ الدَّمِ فِي تِلْكَ الْجَفْنَةِ، فَسَمُّوا: لَعَقَةَ الدَّمِ، فَمَكَّثَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا، ثُمَّ إِنْتَهَبُوا فِي الْمَسْجِدِ، وَتَشَاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا.

فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الرِّوَايَةِ: أَنَّ أَبَا أُمَيَّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْرُومٍ، وَكَانَ عَامِيذٌ أَسَنُ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ - فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ - أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ، فَفَعَلُوا: فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ، رَضِينَا، هَذَا مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، قَالَ ﷺ: «هَلُمُّ إِلَيَّ ثَوْبًا»، فَأَتَى بِهِ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا»، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا مَوْضِعَهُ، وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ، ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ.

حول الحجر الأسود وقواعد البيت:

فصل: وذكر اختلافهم في وضع الركن، وأن رسول الله - ﷺ - هو الذي وضعه بيده، وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجديٍّ، وأنه صاح بأعلى صوته: يا معشر قريش: أرضيتم أن يضع هذا الركن، وهو شرفكم غلامٌ يتيمٌ دون ذوي أسنانكم، فكان يثير شراً فيما بينهم، ثم سكنوا ذلك. وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن الزبير، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير، وأبوه يصلي بالناس في المسجد اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحسن منهم التنافس في ذلك، وخاف الخلاف، فأقره أبوه. ذكر ذلك الزبير بن أبي بكر. وذكر ابن إسحاق أيضاً أنهم أفضوا إلى قواعد البيت، وإذا هي خُضِرٌ كَالْأَسْنِمَةِ، وليست هذه رواية السيرة، إنما الصحيح في الكتاب: كَالْأَسْنَةِ، وهو وهم من بعض الثقلّة عن ابن إسحاق والله أعلم؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره، وقد ذكر البخاري في بيان الكعبة هذا الخبر، فقال فيه عن يزيد بن رومان: فنظرت إليها، فإذا هي كَأَسْنِمَةِ الْإِبِلِ، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلا في الزُّرْقَةِ، وتشبيهها بأَسْنِمَةِ الْإِبِلِ أولى، لعظمها، ولما تقدم في حديث بنان الملائكة لها قبل هذا.

وكانت قُرَيْش تسمِّي رسول الله - ﷺ - قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين. فلما فرغوا من البنيان، وبنوها على ما أرادوا، قال الزُّبَيْر بن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بُنْيَانَ الكعبة لها.

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّرَتِ الْعُقَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشُ
إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّاسِيسِ. شَدَّتْ
فَلَمَّا أَنْ خَشِينَا الرَّجْزَ. جَاءَتْ
فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا، ثُمَّ خَلَّتْ
فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءِ
غَدَاةٍ تُرْفَعُ التَّاسِيسَ مِنْهُ
أَعَزُّ بِهِ الْمَلِكُ بَنِي لُؤَيٍّ
وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ
فَبَوَّأْنَا الْمَلِكُ بِذَاكَ عِزًّا
قال ابن هشام: وَيُرْوَى:

وليس على مساوينا ثياب

شعر الزبير بن عبد المطلب:

فصل: وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب: عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّرَتِ الْعُقَابُ. إلى قوله: تَتَلَثَّبُ لَهَا انْصِبابُ. قوله: تَتَلَثَّبُ، يقال: اِثْلَاثٌ على طريقه إذا لم يُعْرَجَ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً، وكأنه مَنُحُوْتُ من أصلين كما تقدم في مثل هذا من تلا: إذا تبع، وأَلَبَ: إذا أقام، وأَبَّ أيضًا قَرِيبٌ من هذا المعنى. يقال: أَبَّ إِبَابَةً - من كتاب العين - إذا استقام وتهايا، فكانه مُقِيمٌ مُسْتَمِرٌّ على ما يتلوه ويتبعه مما هو بسبيله، والاسم من اِثْلَاثٍ: التَّلَاثِيَّةُ على وزن الطَّمَانِيَّةِ وَالْقَشْغَرِيَّةِ، قاله أبو عبيد.

وقوله: وليس على مُسَوِّينَا ثِيَابُ. أي: مُسَوِّي البنيان. وهو في معنى الحديث الصحيح

وكانت الكعبة على عهد رسول الله - ﷺ - ثمانين عشرة ذراعاً، وكانت تُكسَى القَبَاطِي، ثم كُسِيَتِ البُرود. وأَوَّلَ مَنْ كساها الديباج: الحجاج بن يوسف.

حديث الحمس^(١)

قال ابن إسحاق: وقد كانت قُرَيْش - لا أدري أقبَل عام الفيل أم بعده - ابتدعت رأيَ الحُمس رأياً رَأَوْهُ وأدَارُوهُ، فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهلُ الحُرمة، ووَلاة البيت، وقُطَّان مكة وساكنتها، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حقنا، ولا مثلُ منزلتنا، ولا تُعْرِفُ له العربُ مثلَ ما تعرف لنا، فلا تعظّموا شيئاً من الجِلِّ كما تعظّمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفّت العربُ بِخُرْمَتكم، وقالوا: قد عَظّموا من الجِلِّ مثل ما عَظّموا من الحرم. فتركوا الوقوفَ على عَرَفَة، والإفاضة منها، وهم يَعْرِفون وَيَقْرُون أنها من المَشاعِر والحجّ ودين إبراهيم - ﷺ - وَيَرَوْنَ لسائر العرب أن يُفِيضُوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهلُ الحَرَم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرمة، ولا نعظّم غيرها، كما نُعَظّمها نحن الحُمس، والحُمس: أهلُ الحرم، ثم جعلوا لَمَن وَلَدُوا من العرب من ساكن الجِلِّ والحَرَم مثلَ الذي لهم، بولادتهم إياهم، يَحِلُّ لهم ما يَحِلُّ لهم، وَيَحْرُمُ عليهم ما يَحْرُمُ عليهم. وكانت كِنَانَةُ وَخَزَاعَةُ قد دخلوا معهم في ذلك.

في نقلانهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عُراً، ويرون ذلك دَيْتاً، وأنه من باب التَّشْمِير، والجِدِّ في الطاعة. وقول ابن هشام: ويُرَوَّى: مَسَاوِينَا، يريد: السَّوَاءَات، فهو جمع مَسَاءَةٍ، مفعلة من السَّوَاءَةِ والأصل مَسَاوِيءٌ، فسهلت الهمزة.

الحمس

فصل: وذكر الحُمس، وما ابتدعته قريش في ذلك، والتَّحُمس: التشدد، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهبَ التَّزَهُدِ والتَّأَلُّهِ، فكانت نساؤهم لا يَنْسُجْنَ الشَّعَرَ ولا الوَبَرَ، وكانوا لا يَسْلَوْنَ السَّمْنَ، وَسَلَا السَّمْنُ أن يُطْبِخَ الزُّبْدُ، حتى يصير سَمْنًا، قال أبرهة:

إن لنا صِرْمَةً^(٢) مُخَيِّسَةً^(٣) نشرب البائها ونسَلُّوها

(١) انظر البداية (٢/٢٨٣).

(٢) الصرمة: الإبل.

(٣) المخيسة: التي لم تسرح.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيْدة النحوي: أن بني عامر بن صَغْصعة معاوية بن بَكْر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني لعُمرو بن مَعْد يكرِب:

أَعْبَاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَارًا جِيَادُنَا بَثْلِيثُ مَا نَاصَبْتَ بَعْدَى الْأَحَامِسَا

قال ابن هشام: تثليث: موضع من بلادهم. والشَّيار: الحسان. يعني بالأحامس: بني عامر بن صَغْصعة. ويعبَّاس: عباس بن مِزْداس السُّلَمي، وكان أغار على بني زُبَيْد بَثْلِيث. وهذا البيت في قصيدة لعُمرو.

وأنشدني لَلْقَيْطِ بن زُرَّارة الدَّارمي في يوم جَبَلَة:

أَجْذِمُ إِلَيْكَ إِنهَا بَنُو عَبْس الْمَغَشَّرُ الْجَلَّةُ فِي الْقَوْمِ الْحُمْسِ

لأن بني عَبْس كانوا يوم جَبَلَة حُلَفَاءَ في بني عامر بن صَغْصعة.

ويومُ جَبَلَة: يومٌ كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاءَ بن تَمِيم، وبين بني عامر بن صَغْصعة، فكان الظُّفر فيه لبني عامر بن صَغْصعة على بني حنظلة، وقُتِل يومئذ لَقَيْطُ بن زُرَّارة بن عُدُس، وأسير حاجب بن زُرَّارة بن عُدُس، وانهزم عُمرو بن عُمرو بن

ذكر قول ابن معد يكرِب: أعباسُ لو كانت شيارًا جِيَادُنَا. البيت شيارًا من الشارة الحسنة يعني: سِمَانًا حِسَانًا وبعد البيت:

ولكنها قِيدَتْ بِصَغْدَةٍ مَرَّةً فَأَضْبَحْنَ مَا يَمْشِينَ إِلَّا تَكَارُسًا^(١)

وأنشد أيضًا: أجْذِمُ إِلَيْكَ إِنهَا بَنُو عَبْس. أجْذِمُ: رَجَزٌ معروفٌ للخيَل وكذلك: أَرْجَبُ، وَهَبٌ وَهَقَطٌ وَهَقَطٌ وَهَقَبٌ.

يوم جبلة:

وذكر يوم جَبَلَة. وجَبَلَة هضبة عالية، كانوا قد أحرَّزُوا فيها عيَالَهُمْ وأموالَهُمْ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيسُ نَجْرَانَ، وهو ابن الجَوْنِ الْكِنْدِيّ وَأَخٌ لِلنَّعْمَانِ بن المنذر، أحسب اسمه: حَسَّانُ بن وَبَرَة، وهو أخو النعمان لأُمِّه، وفي أيام جَبَلَة كان مولدُ رسول الله - ﷺ - ولِثْنَتَيْنِ وأربعين سنةً من ملكِ أُنُوشِزَوَانَ بن قُبَاد، وكان مولد أبيه عبد الله لأربع وعشرين مَضَتْ من ملكِ أُنُوشِروان المذكور، فبينه - عليه السلام - وبين أبيه عبد الله نحو من ثمانِ عَشْرَةِ سنةً.

(١) تَكَارُس: تراكم.

عُدُس بن زَيْد بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَة. ففيه يقول جرير للفَرَزْدَق:

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيْطًا وَحَاجِبًا وَعَمَرَ بن عَمْرٍو إِذْ دَعَا: يَا لِدَارِمِ
وهذا البيت في قصيدة له:

ثم التَقُوا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ فَكَانَ الظُّفَرُ لِحَنْظَلَة عَلَى بَنِي عَامِرٍ، وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ حَسَّانُ بن
مُعَاوِيَةَ الْكِنْدِيِّ، وَهُوَ أَبُو كَبْشَةَ. وَأَسِيرَ يَزِيدُ بن الصُّعَيْكِ الْكِلَابِيُّ، وَانْهَزَمَ الطُّفَيْلُ بن
مَالِكِ بن جَعْفَرِ بن كِلَابٍ، أَبُو عَامِرِ بن الطُّفَيْلِ. ففيه يقول الفَرَزْدَقُ:

وَمِنْهُمْ إِذْ نَجَّى طُفَيْلُ بن مَالِكٍ عَلَى قُرْزُلٍ رَجُلًا رَكُوضَ الْهَزَائِمِ
وَنَحْنُ ضَرْبُنَا هَامَةً ابْنَ خُوَيْلِدٍ يَزِيدُ عَلَى أُمِّ الْفِرَاحِ الْجَوَائِمِ
وهذان البيتان في قصيدة له.

فقال جرير:

وَنَحْنُ خَضْبُنَا لَابْنَ كَبْشَةَ تَاجَهُ وَلاَقَى امْرَأً فِي ضِمَّةِ الْخَيْلِ مِضْقَعًا
وهذا البيت في قصيدة له.

وحديث يوم جَبَلَة، ويوم ذِي نَجَبٍ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْنَا. وَإِنَّمَا مَنَعْنِي مِنْ اسْتَقْصَائِهِ مَا
ذَكَرْتُ فِي حَدِيثِ يَوْمِ الْفِجَارِ.

قال ابن إسحق: ثم ابتدعوا في ذلك أُمُورًا لَمْ تَكُنْ لَهُمْ، حَتَّى قَالُوا: لَا يَنْبَغِي
لِلْحُمْسِ أَنْ يَأْتَقِطُوا الْأَقْطَ^(١)، وَلَا يَسْأَلُوا السَّمْنَ وَهُمْ حُرْمٌ، وَلَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ شَعْرِ،
وَلَا يَسْتَظِلُّوا - إِنْ اسْتَظَلُّوا - إِلَّا فِي بَيْوتِ الْأَدَمِ مَا كَانُوا حُرْمًا، ثُمَّ رَفَعُوا فِي ذَلِكَ،
فَقَالُوا: لَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْحِلِّ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ طَعَامٍ جَاءُوا بِهِ مَعَهُمْ مِنَ الْحِلِّ إِلَى الْحَرَمِ إِذَا
جَاءُوا حُجَّاجًا أَوْ عُمَرَاءَ، وَلَا يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ إِذَا قَدِمُوا أَوَّلَ طَوَافِهِمْ إِلَّا فِي ثِيَابِ الْحُمْسِ.

عُدُس والحلة والطلس:

وذكر زُرَّارَةُ بن عُدُس بن زيد، وهو: عُدُس بضم الدال عند جميعهم إِلَّا أَبَا عُبَيْدَةَ،
فإنه كَانَ يَفْتَحُ الدَّالَ مِنْهُ، وَكُلُّ عُدُسٍ فِي الْعَرَبِ سِوَاهُ فَإِنَّهُ مَفْتُوحُ الدَّالِ. وَذَكَرَ الْحِلَّةَ وَهُمْ مَا
عَدَا الْحُمْسَ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَطُوفُونَ غُرَّةً إِنْ لَمْ يَجِدُوا ثِيَابَ أَحْمَسَ، وَكَانُوا يَقْصِدُونَ فِي ذَلِكَ
طَرِحَ الثِّيَابِ الَّتِي اقْتَرَفُوا فِيهَا الذُّنُوبَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَذْكُرِ الطُّلُسَ مِنَ الْعَرَبِ، وَهُمْ صِنْفٌ ثَالِثٌ

(١) الإقط: اللبن المجفف.

فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراً، فإن تكرّم منكم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة، ولم يجد ثياب الحُمس. فطاف في ثيابه التي جاء بها من الجِلّ، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم ينتفع بها، ولم يمسّها هو، ولا أحدٌ غيره أبداً.

وكانت العرب تسمي تلك الثياب: اللّقى، فحملوا على ذلك العرب. فدانت به، ووقفوا على عرفات، وأفاضوا منها، وطاقوا بالبيت عراً، أما الرجال فيطوفون عرا. وأما النساء فتضع إحداهنّ ثيابها كلّها إلا دِرْعاً مُفَرَّجاً عليها، ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب، وهي كذلك تطوف البيت:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَغْضُهُ، أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أَجْلُهُ

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الجِلّ ألقاها، فلم ينتفع بها هو ولا غيره، فقال قائلٌ من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه، فلا يقرّبه - وهو يحبه -:

كَفَى حَزْناً كَرِيّاً عَلَيْهَا كَأَنهَا لَقَى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيماً
يقول: لَا تُمَسُّ.

غير الجِلّة، والحُمس كانوا يأتون من أقصى اليمن طُلُساً من الغُبَارِ، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطُلُسِ، فسمّوا بذلك. ذكره محمد بن حبيب.

اللّقى:

فصل: وذكر اللّقى وهو الثوب الذي كان يُطَرَّح بعد الطواف فلا يأخذه أحد، وأنشد:

كَفَى حَزْناً كَرِيّاً عَلَيْهِ كَأَنهُ لَقَى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيماً

حريم: أي مُحَرَّم، لا يؤخذ، ولا ينتفع به، وكل شيء مُطَرَّح، فهو لقى قال الشاعر يصف فرخ قَطَا:

تَزُوي لَقَى الْقِي فِي صَفْصَفٍ^(١) تَضَهَّرُهُ الشَّمْسُ، فَمَا يَنْصَهَرُ

تَزُوي بفتح التاء أي: تستقي له، ومن اللّقى: حديث فاختة أم حكيم بن حزام، وكانت دخلت الكعبة وهي حامل مُتِمٌّ بحكيم بن حزام، فأجاءها المَخَاضُ، فلم تستطع الخروج من الكعبة، فوضعتها فيها، فلُغَتْ في الأنطاع هي وجنيئها، وطُرِحَ مَثْبِرُها وثيابها التي كانت عليها، فجعلت لقى لا تقرب.

(١) الصفصف: المستوي من الأرض.

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدًا - ﷺ - فأنزل عليه حين أحكم له دينه .
وشرع له سنن حجه : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩] . يعني قريشًا، والناس: العرب، فرفعهم في سنة الحج إلى
عرفات، والوقوف عليها والإفاضة منها.

رجز المرأة الطائفة:

فصل: وذكر قول المرأة: اليوم يبدو بعضه، أو كله البيتين ويذكر أن هذه المرأة، هي
ضباعة بنت عامر بن ضغصعة، ثم من بني سلمة بن قُشَيْر، وذكر محمد بن حبيب أن رسول
الله - ﷺ - خطبها، فذكرت له عنها كِبَرَة، فتركها، فقيل: إنها ماتت كَمَدًا وحُزنًا على ذلك
قال المؤلف: إن كان صحَّ هذا، فما أخرها عن أن تكون أُمًّا للمؤمنين، وزوجًا لرسول ربِّ
العالمين إلا قولها: اليوم يبدو بعضه أو كله . تَكْرِمَة من الله لنبيه وعِلْمًا منه بغيرته، والله أَعْيَزُّ
منه .

أسطورة:

ومما ذكر من تَعَرِّيهم في الطواف أن رجلاً وامرأة طافا كذلك، فانضم الرجل إلى
المرأة تَلَذُّذًا واستمتاعًا، فلصق عَضُدُهُ بِعَضْدِهَا، ففزعا عند ذلك، وخرجا من المسجد، وهما
ملتصقان، ولم يقدر أحدٌ على فَكِّ عَضُدِهِ من عَضْدِهَا، حتى قال لهما قائل: توبا مما كان
في ضميركما، وأخلصا لله التوبة، ففعلا، فانحلَّ أحدهما من الآخر^(١).

قرزل وطفيل:

وأنشد للفرزدق:

ومنهن إذ نجى طُفَيْل بن مالك على قُرْزُلٍ رَجُلًا رَكُوضَ الهزائم
قُرْزُل: اسم فرسه، وكان طفيل يسمى: فارسَ قُرْزُل، وقرزل: القيد سمى الفرس به،
كأنه يقيد ما يسابقه، كما قال امرؤ القيس:

بِمُنْجَرِدٍ قَيْنِدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وطُفَيْلٌ هذا هو: والد عامر بن الطفيل، عدو الله وعدو رسوله، وأخو طفيل هذا:

(١) أسطورة تشبه تلك القصة التي تنسب إلى الإمام أحمد أو مالك أن امرأة دخلت لتغسل امرأة فذكرت
من عيوبها كذا وكذا، فإذا بها وقد التصقت يدها بيد المرأة الميتة، فشكوا ذلك إلى الإمام أحمد أو
مالك - الشك مني - فأمر بجلدها حد القذف فانحلت يدها!!! .

وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرَمُوا على الناس من طعامهم ولُبَّوسهم عند البيت. حين طافوا عُرَاءَةً، وحَرَمُوا ما جاءوا به من الحَلِّ من الطعام: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْضِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١ - ٣٣]. فوضع الله تعالى أمرَ الحُمس، وما كانت قُرَيْشٌ ابتدعت منه، عن الناس بالإسلام، حين بعث الله رسوله ﷺ.

عامرٌ مَلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ، وسنذكر لِمَ سُمِّيَ ملاعب، ونذكر إخوته وألقابهم في الكتاب إن شاء الله.

الهامة:

وقوله: على أم الفِراخ الجَوَائِمِ. يعني: الهامة، وهي البُوم، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قُتِلَ خرجت من رأيه هامةٌ تصيح: اسقوني اسقوني، حتى يُؤْخَذَ بشأره. قال ذو الإصبع العَدَوَانِي:

أضْرِبْكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسقوني

شرح بيت جرير:

فصل: وأنشد جرير:

ونحن خَضَبْنَا لابن كَبْشَةَ تاجَه ولاقى أمراً في ضَمَّةِ الْخَيْلِ مِضْقَعَا

وجدت في حاشية الشيخ أبي بحر هذا البيت المعروف في اللغة أن - الْمِضْقَعُ: الخطيبُ البليغ، وليس هذا موضعه، لكن يقال في اللغة: صَقَعَهُ: إذا ضَرَبَهُ على شيء مُضْمَتٍ يابس، قاله الأصمعي، فيشبه أن يكون مِضْقَعُ في هذا البيت من هذا المعنى، فيقال منه: رجل مِضْقَعٌ كما يقال: مِخْرَبٌ وفي الحديث: إن سعداً لَمِخْرَبٌ، يعني [ابن] أبي وقاص.

ما نزل من القرآن في أمر الحُمس:

فصل: وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الحُمس، وهو قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الآية [الأعراف: ٣٠]. فقوله: وكلوا واشربوا إشارةً إلى ما كانت الحُمسُ حرمة من طعام الحج إلا طعاماً أَحْمَسَ، وخذوا زِينَتَكُمْ: يعني اللباس، وَلَا تَتَعَرَّوْا، ولذلك افتتح بقوله: يا بني آدم، بعد أن قصَّ خبر آدم وزوجَه، إذ يُخَصِّفَانِ عليهما من وَرَقِ الْجَنَّةِ، أي: إن كنتم تحتجون بأنه دينُ آبائكم، فأدم أبوكم، ودينه: سترُ

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، عن عمه نافع بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم. قال: لقد رأيت رسول الله - ﷺ - قبل أن ينزل عليه الوحي، وإنه لواقف على بغير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله له، ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أخبار الكهان من العرب والأخبار من يهود والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق: وكانت الأخبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من

العَوْرَة، كما قال: ملّة أبيكم إبراهيم، أي: إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم، فإبراهيم أبوكم، ولم يكن من المشركين، ومما نزل في ذلك: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتَضْيِيةً﴾^(١) [الأنفال: ٣٥]. ففي التفسير أنهم كانوا يطوفون غرة، ويصفقون بأيديهم ويصفقون، فالمكاء: الصفير، والتضدية: التصفيق. قال الرازي: وأنا من غرو الهوى أصدي. ومما نزل من أمر الحمس: ﴿وليس البرُّ بأن تأثوا البيوت من ظهورها﴾ [البقرة: ١٨٩]. لأن الحمس لا يدخلون تحت سقف، ولا يحول بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها، فإن احتاج أحدهم إلى حاجة في داره تسئم البيت من ظهره، ولم يدخل من الباب، فقال الله سبحانه: ﴿وأثوا البيوت من أبوابها وأتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقوف النبي بعرفة قبل الهجرة والنبوة:

وذكر وقوف النبي ﷺ بعرفة مع الناس قبل الهجرة، وقبل النبوة توفيقاً من الله، حتى لا يفوته ثواب الحج، والوقوف بعرفة قال جبير بن مطعم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس: هذا رجل أحمس، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون^(٢)؟!.

فصل في الكهانة

رؤي في مآثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى، فلما بُعث عيسى،

(١) كحال الكثير من أهل الصوفية أصحاب «الطرق»، فما صلاتهم وذكرهم إلا صياح وتصفير وتصفيق وصريخ وترنح يمنة ويسرة ثم التشنج من أثر الجن الذي يتلبس بهم إثر ما يترنحون به طلاسماً وخزعبلات!!!.

(٢) أخرجه أحمد بسند صحيح.

العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله - ﷺ - قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه. أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى. فعَمَّا وَجَدُوا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ زَمَانِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَهْدِ أَنْبِيَائِهِمْ إِلَيْهِمْ فِيهِ، وَأَمَّا الْكُهَّانُ مِنَ الْعَرَبِ: فَأَتَتْهُمْ بِهِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الْجِنِّ فِيمَا تَسْتَرِيقُ مِنَ السَّمْعِ إِذْ كَانَتْ وَهِيَ لَا تُحْجِبُ عَنْ ذَلِكَ بِالْقَذْفِ بِالنَّجْمِ، وَكَانَ الْكَاهِنُ وَالْكَاهِنَةُ لَا يَزَالُ يَقَعُ مِنْهُمَا ذِكْرُ بَعْضِ أُمُورِهِ، لَا تُلْقِي الْعَرَبُ لَذَلِكَ فِيهِ بِالْأَلَاءِ، حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَوَقَعَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا يَذْكُرُونَ. فَعَرَفُوهَا.

فلما تقارب أمرُ رسول الله - ﷺ - وَخَصَّرَ مَبْعَثُهُ. حُجِبَتْ الشَّيَاطِينُ عَنِ السَّمْعِ، وَحِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَقَاعِدِ الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ فِيهَا، فَرُمُوا بِالنَّجْمِ، فَعَرَفَتْ الْجِنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِأَمْرِ حَدَثَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ، وَهُوَ يَقْضُ عَلَيْهِ خَيْرُ الْجِنِّ إِذْ حُجِبُوا عَنِ السَّمْعِ، فَعَرَفُوا مَا عَرَفُوا، وَمَا أَنْكَرُوا مِنْ ذَلِكَ حِينَ رَأَوْا مَا رَأَوْا: ﴿قُلْ أُوجِبِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ

أَوْ وُلْدَ حُجِبَ عَنْ ثَلَاثَ سَمَاوَاتٍ، فَلَمَّا وُلِدَ مُحَمَّدٌ حُجِبَ عَنْهَا كُلُّهَا، وَقُدِّفَتِ الشَّيَاطِينُ بِالنَّجْمِ وَقَالَتْ قَرِيشٌ حِينَ كَثُرَ الْقَذْفُ بِالنَّجْمِ: قَامَتِ السَّاعَةُ، فَقَالَ عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ: انظُرُوا إِلَى الْعَيُوقِ^(١) فَإِنْ كَانَ رُيْمِي بِهِ، فَقَدْ آتَى قِيَامُ السَّاعَةِ، وَإِلَّا فَلَا. وَمِمَّنْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ الزَّبِيرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ.

رمي الشياطين:

وذكر ابن إسحق في هذا الباب ما رُيِّتَ بِهِ الشَّيَاطِينُ، حِينَ ظَهَرَ الْقَذْفُ بِالنَّجْمِ، لِثَلَا يَلْتَبَسَ بِالْوَحْيِ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ أَظْهَرَ لِلْحُجَّةِ، وَأَقْطَعَ لِلشَّكِّ، وَالَّذِي قَالَهُ صَحِيحٌ: وَلَكِنْ الْقَذْفُ بِالنَّجْمِ قَدْ كَانَ قَدِيمًا، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي أَشْعَارِ الْقَدَمَاءِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ. مِنْهُمْ: عَوْفُ بْنُ أَجْرَجٍ، وَأَوْسُ بْنُ حَجَرٍ، وَبِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ، وَكُلُّهُمْ جَاهِلِيٌّ، وَقَدْ وَصَفُوا الرَّمِيَّ بِالنَّجْمِ، وَأَبْيَاتُهُمْ فِي ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي مُشْكِلِ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْجِنِّ^(٢)، وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذَا الرَّمِيَّ بِالنَّجْمِ: أَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنَّهُ إِذْ جَاءَ الْإِسْلَامَ غُلْظٌ وَشُدُّدٌ، وَفِي قَوْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾ [الجن: ٨] الْآيَةُ وَلَمْ يَقُلْ: حُرْسَتْ دَلِيلٌ عَلَى

(٢) انظر كتاب القرطبي (١٨٤/٢) لابن مطرف.

(١) العيوق: نجم أحمر كبير.

رَهَقًا... إلى قوله: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا وَأَنَا لَا نَذِيرُ أَشْرًا أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١- ٦ ثم ٩، ١٠].

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السمع قبل ذلك، لئلا يشكل الوحي بشيء خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوقوع الحجة، وقطع الشبهة. فآمنوا وصدقوا، ثم: ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا

أنه قد كان منه شيء، فلما بعث النبي - ﷺ - ملئت حرصًا شديدًا وشهبا، وذلك ليُنَحِّسَ أمرُ الشياطين، وتخليطهم، ولتكون الآية أبين، والحجة أقطع، وإن وجد اليوم كاهن، فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة، ثم بقيت منه، أعني من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم على الثُّدُور في بعض الأزمنة، وفي بعض البلاد. وقد سئل رسول الله - ﷺ - عن الكهَّان فقال: ليسوا بشيء، فقيل: إنهم يتكلمون بالكلمة، فتكون كما قالوا، فقال: تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنِّي، فيقرأها في أذن وليه قرَّ الزُّجاجة، فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة^(١)، ويروى: قرَّ الدُّجاجة بالدال، وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل. والزجاجة بالزاي أولى؛ لما ثبت في الصحيح، فيقرأها في أذن وليه، كما يُقرُّ القارورة، ومعنى يقرأها: يصبُّها ويقرأها، قال الراجز:

لَا تُفْرِغْنِ فِي أُذُنِي قَرَّهَا مَا يَسْتَفِرُّ فَأُرِيكَ فَقَرَّهَا

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس، قال: إذا رمى الشهابُ الجنِّي لم يُخطئه، ويحرق ما أصاب ولا يقتله، وعن الحسن قال: في أسرع من طرفة العين، وفي تفسير ابن سلام أيضًا عن أبي قتادة أنه كان مع قوم، فرمى بنجم، فقال: لا تُتبعوه أبصاركم، وفيه أيضًا عن حفص أنه سأل الحسن: أيتبع بصره الكوكب. فقال: قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]. قال: كيف نعلم إذا لم ننظر إليه، لأتبعه بصري^(٢).

الجن الذين ذكرهم القرآن:

وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين: ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا:

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٥٨/٨) ومسلم في السلام (١٢٣) وأحمد (٨٧/٦) والطحاوي في المشكل (١١٤/٣).

(٢) انظر تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي.

سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ... الآية [الأحقاف: ٣٠].

وكان قول الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. أنه كان الرجل من العرب من قُرَيْش وغيرهم إذا سافر فنزل بطن وادٍ من الأرض لِيَنِيَّت فيه، قال: إني أعوذ بعزير هذا الوادي من الجن الليلة من شر ما فيه.

قال ابن هشام: الرهق: الطغيان والسفه. قال رؤية بن العجاج:

إِذ تَسْتَبِي الهَيَّامَةُ الْمُرْهَقَا

[بِمُقْلَتِي رِيمٍ وَجِيدٍ أَرْشَقَا]

يا قومنا إنا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴿[الأحقاف: ٣٠]﴾. وفي الحديث أنهم كانوا من جِنِّ نَصِيبِينَ. وفي التفسير أنهم كانوا يَهُودًا؛ ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا من بعد عيسى ذكره ابن سلام^(١). وكانوا سَبْعَةً، قد ذُكِرُوا بِأَسْمَائِهِمْ فِي التَّفَاسِيرِ وَالْمُسْنَدَاتِ، وَهُمْ: شَاصِرٌ، وَمَاصِرٌ، وَمَنْشَى، وَلَاشَى، وَالْأَحْقَابُ، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ ذَكَرَهُمْ ابْنُ دُرَيْدٍ، وَوَجَدْتُ فِي خَبَرٍ حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْبِيلِيُّ الْقَنَسِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْقَسَّابِيِّ فِي فَضْلِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: بَيْنَمَا عَمْرٌ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَمْشِي فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ فَإِذَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فَكَفَّنَهَا بِفَضْلَةٍ مِنْ رِذَائِهِ، وَدَفَنَهَا فَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: يَا سُرُقُ اشْهَدْ، لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ لَكَ: «سَمَوْتَ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَيَكْفَنُكَ وَيَدْفَنُكَ رَجُلٌ صَالِحٌ»، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ تَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنَا وَسُرُقٌ، وَهَذَا سُرُقٌ قَدْ مَاتَ^(٢). وَذَكَرَ ابْنُ سَلَامٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ [عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ] السَّبْعِيِّ عَنْ أَشْيَاخِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَمْشُونَ فَرَفَعَ لَهُمْ إِعْصَارٌ، ثُمَّ جَاءَ إِعْصَارٌ أَعْظَمُ مِنْهُ، ثُمَّ انْقَشَعَ، فَإِذَا حَيَّةٌ قَتِيلٌ، فَعَمَدَ رَجُلٌ مَثًا إِلَى رِذَائِهِ فَشَقَّهُ، وَكَفَّنَ الْحَيَّةَ بِبَعْضِهِ وَدَفَنَهَا. فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ إِذَا امْرَأَتَانِ تَتَسَاءَلَانِ: أَيُّكُم دَفِنَ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ؟ فَقُلْنَا: مَا نَدْرِي مَنْ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ؟ فَقَالَتَا: إِنْ كُنْتُمْ ابْتِغَيْتُمُ الْأَجْرَ فَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ. إِنْ فَسَقَ الْجِنُّ اقْتَتَلُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ، فَقُتِلَ عَمْرُو، وَهُوَ الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتُمْ، وَهُوَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ثُمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذَرِينَ!!.

(١) وقالوا لأن عيسى جاء مصدقاً لموسى ولم ينسخ شريعته كما قال: «لم أجيء لأنقض الناموس». أما القرآن فقد نسخ كل كتاب سبق. والله أعلى وأعلم.

(٢) انظر كتاب «عالم الجن» للإسبيلي والسيوطي.

وهذا البيت في أرجوزة له. والرَّهَقُ أيضًا: طلبك الشيء حتى تدنو منه، فتأخذه، أو لا تأخذه. قال رؤبة بن العجاج يصف حمير وحش:

بَضْبَضْنَ وَأَفْشَعَرَزْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقِ

[يَمَصَّغْنَ بِالْأَذْنَابِ مِنْ لَوْحٍ وَتَقِ]

وهذا البيت في أرجوزة له. والرهق أيضًا: مصدر لِقَوْلِ الرجل: رَهَقْتُ الإِثْمَ أو العُسْرَ، الذي أَرَهَقْتَنِي رَهَقًا شَدِيدًا، أي: حملتُ الإِثْمَ أو العسر الذي حملتني حملًا شَدِيدًا، وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠] وقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣].

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عُثْبَةَ بن المُغِيرَةَ بن الأَخْنَسِ أنه حَدَّثَ^(١) أن

ابن علاط والجن:

فصل: وأما ما ذكره في معنى قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ الآية؛ [الجن: ٦]. فقد رُوِيَ في معنى ذلك عن حجاج بن علاط السُّلَمِيِّ، وهو والد نَصْرِ بن حَجَّاج الذي قيل فيه:

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ

أَنَّهُ قَدِيمُ مَكَّةَ فِي رَكْبٍ، فَأَجْنَهُمُ اللَّيْلُ بِوَادٍ مَخُوفٍ مُوحَشٍ، فقال له الراكب: قم خذ لنفسك أمانًا، ولأصحابك، فجعل يطوف بالركب ويقول:

أَعِيدْ نَفْسِي وَأَعِيدْ صَخْبِي

مَنْ كُلِّ جَنْثِي بِهَذَا التُّقْبِ

حَتَّى أَعُوبَ سَالِمًا وَرَكْبِي

فسمع قارئًا: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ الآية [الرحمن: ٣٣]. فلما قَدِمَ مَكَّةَ خَبَرَ كَفَارَ قَرِيشٍ بِمَا سَمِعَ، فقالوا: أصبت يا أبا كِلَابٍ. إن هذا يزعم محمد أنه أُنْزِلَ عليه، فقال: والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي، ثم أسلم وحسن إسلامه، وهاجر إلى المدينة، وابتنى بها مَسْجِدًا فهو يُعْرَفُ به^(٢).

(١) فيه مجهول.

(٢) قصة تفتقر إلى الدليل «الصحيح» يعتضدها ويقوم بها. فتأمل ولا تغتر.

أَوَّلُ الْعَرَبِ فَنَزَعَ لِلرَّمْيِ بِالنُّجُومِ - حِينَ رُمِيَ بِهَا - هَذَا الْحَيُّ مِنْ ثَقِيفٍ، وَأَنَّهُمْ جَاءُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ أَحَدِ بَنِي عِلَاجٍ - قَالَ: وَكَانَ أَهْلَى الْعَرَبِ وَأَنكَرَهَا رَأْيًا - فَقَالُوا لَهُ: يَا عَمْرُو: أَلَمْ تَرَ مَا حَدَثَ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْقَذْفِ بِهَذِهِ النُّجُومِ؟ قَالَ: بَلَى فَانظَرُوا، فَإِنْ كَانَتْ مَعَالِمُ النُّجُومِ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَتُعْرَفُ بِهَا الْأَنْوَاءُ مِنَ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، لِمَا يُصْلَحُ النَّاسُ فِي مَعَايِشِهِمْ، هِيَ الَّتِي يُرْمَى بِهَا، فَهُوَ وَاللَّهُ طَيِّبُ الدُّنْيَا، وَهَلَاكُ هَذَا الْخَلْقِ الَّذِي فِيهَا، وَإِنْ كَانَتْ نَجُومًا غَيْرَهَا، وَهِيَ ثَابِتَةٌ عَلَى حَالِهَا، فَهَذَا لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ هَذَا الْخَلْقَ، فَمَا هُوَ؟

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شَهَابِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لَهُمْ: «مَاذَا كُتِمَ تَقُولُونَ فِي هَذَا النُّجْمِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كُنَّا نَقُولُ حِينَ رَأَيْنَاهَا يُرْمَى بِهَا: مَاتَ مَلِكٌ، مُلْكُ مَلِكٍ، وَلَدَ مَوْلُودٌ، مَاتَ مَوْلُودٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ إِذَا قَضَى فِي خَلْقِهِ أَمْرًا سَمِعَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، فَسَبَّحُوا، فَسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ، فَسَبَّحَ لِتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ، فَلَا يَزَالُ التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْبُحُوا ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مِمَّ سَبَّحْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فَسَبَّحْنَا لِتَسْبِيحِهِمْ، فَيَقُولُونَ: أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ: مِمَّ سَبَّحُوا؟ فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مِمَّ سَبَّحْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: قَضَى اللَّهُ فِي خَلْقِهِ كَذَا وَكَذَا، لِلأَمْرِ الَّذِي كَانَ، فَيَهْبِطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَتَحَدَّثُوا بِهِ، فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ، عَلَى تَوَهُمٍ وَاخْتِلَافٍ، ثُمَّ يَأْتُوا بِهِ الْكُهَّانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَحَدِّثُوهُمْ بِهِ، فَيَخْطِئُونَ

حول انقطاع الكهانة:

فصل: وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه: كنا نقول إذا رأيناه: يموت عظيم أو يولد عظيم، وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديمًا، ولكنه إذ بُعث الرسول عليه السلام وغلظ وشدد - كما قال الزهري - وملئت السماء حرسًا. وقوله في آخر الحديث: وقد انقطعت الكهانة اليوم، فلا كهانة. يدل قوله: اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه، والذي انقطع اليوم، وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجاهلاء، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء، وما يوجد اليوم من كلام الجن على السنة المجانين إنما هو خبرٌ منهم عما يروونه في الأرض، مما لا نراه نحن كسرقة سارق، أو خبيثته في مكان خفي، أو نحو ذلك، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصًا وتظنًا، فيصيبون قليلًا، ويخطئون كثيرًا.

ويصيبون، فيتحدث به الكُهَّان، فيصيبون بعضًا ويُخطئون بعضًا. ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقذفون بها، فانقطعت الكهانة اليوم، فلا كهانة^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن أبي جعفر، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم^(٢): أن امرأة من بني سَهْم يقال لها الغَيْطَلَةُ، كانت كاهنة في الجاهلية، فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي، فأنقض

وذلك القليل الذي يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة في العنان، كما في حديث البخاري، فيُطرَدون بالنجوم، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة - كما قال عليه السلام - في الحديث الذي قدمناه، فإن قلت: فقد كان صاف بن صياد، وكان يتكهن، ويدعي النبوة، وخبأ له النبي - ﷺ - خبيثًا، فعلمه، وهو الدُّخ^(٣) فأين انقطاع الكهانة في ذلك الزمان؟ قلنا: عن هذا جوابان، أحدهما ذكره الخطابي في أعلام الحديث قال: الدُّخ نبات يكون من النخيل، وخبأ له عليه السلام: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأ له النبي - ﷺ -.

الثاني: أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم، فإن كان أراد بالدُّخ الدخان بقوة جُعِلت لهم في أسماعهم ليست لنا، فألقى الكلمة عن لسان صاف وحدها، إذ لم يمكن سماع سائر الآية؛ ولذلك قال له النبي - عليه السلام -: احْسَأْ فلن تغدو قدر الله فيك أي: فلن تعدو منزلتك من العجز عن علم الغيب؛ وإنما الذي يمكن في حقه هذا القدر دون مزيد عليه، على هذا النحو فسر الخطابي.

الغيطة الكاهنة وكهانتها:

فصل: وذكر حديث الغَيْطَلَةُ الكاهنة، قال: وهي من بني مُرَّة بن عَبْدِ مَنَاة بن كِنانة أخي مُذَلِّج، وهي: أم الغَيَاطِل الذي ذكر أبو طالب، وسنذكر معنى الغَيْطَلَةُ عند شعر أبي طالب إن شاء الله. ونذكرها هنا ما أَلْفَيْتُهُ في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضوع. قال: الغَيْطَلَةُ بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِق بن شُؤق بن مُرَّة، وشُؤق أخو مُذَلِّج، وهكذا ذكر نسبها الزبير.

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في السلام (١٢٤) مختصرًا.

(٢) مجاهيل.

(٣) الدخ: الدخان. وانظر الحديث في البخاري في كتاب الجنائز - باب (٧٩) ومسلم في كتاب الفتن (٩٥/٨٧) وأبو داود في الملاحم - باب (١٥) بتحقيقي - وأحمد (٣٨٠/١).

تحتها، ثم قال: أذر ما أذر، يوم عقر ونحر، فقالت قُرَيْش حين بلغها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلة أخرى، فأنقضَ تحتها، ثم قال: شعوب، ما شعوب، تُصرع فيه كعب لجنوب: فلما بلغ ذلك قريشاً، قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن، فانظروا ما هو؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بذر وأُخذ بالشعب، فعرفوا أنه الذي كان جاء إلى صاحبه.

قال ابن هشام: العَيْطَلَةُ: من بني مُرَّة بن عبد مناة بن كنانة، إخوة مُذَلِّج بن مرة، وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله:

لَقَدْ سَفَهْتُ أَحْلَامَ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلْفٍ قَيْنِضًا بَنَا وَالْعَيَاطِلِ

فقليل لولدها: الغياطل، وهم من بني سهم بن عمرو بن هُصَيْنَص. وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحق: وحدثني علي بن نافع الجُرَشِيُّ: أنَّ جَنَبًا بَطْنًا من اليمن، كان لهم كاهنٌ في الجاهلية، فلما ذكر أمر رسول الله ﷺ، وانتشر في العرب، قالت له جَنَب: انظر لنا في أمر هذا الرجل، واجتمعوا له في أسفل جبله، فنزل عليهم حين طلعت الشمس، فوقف لهم قائماً مُتَكَبِّئاً على قوس له، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً، ثم جعل

وذكر قولها: شعوب وما شعوب، تُصرع فيها كعب لجنوب. كعب ههنا هو: كعب بن لؤي، والذين صرِعوا لجنوبهم ببدر وأُخذ من أشراف قريش، معظمهم من كعب بن لؤي، وشعوب ههنا أحسبه بضم الشين، ولم أجده مقيداً، وكأنه جَمْعُ شِعْب، وقول ابن إسحق يدل على هذا حين قال: فلم يُذَر ما قالت، حتى قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ببدر وأُخذ بالشعب.

وذكر قول التابع: أذر ما أذر، وقيد عن أبي عليّ فيه رواية أخرى: وما بذر؟ وهي أُتِيَتْ من هذه، وفي غير رواية البُكَائِيِّ عن ابن إسحق أن فاطمة بنت النعمان التُّجَارِيَّة كان لها تابعٌ من الجن، وكان إذا جاءها اقتحم عليها في بيتها، فلما كان في أول البعث أتاها، فقعد على حائط الدار، ولم يدخل فقالت له: لِمَ لا تدخل؟ فقال: قد بُعث نبي بتحريم الزنا، فذلك أول ما ذكر النبي ﷺ بالمدينة^(١).

(١) قصة في حاجة إلى دليل «صحيح» يعتضدها. وقد لاحظ أخى القارىء تكرار هذه الكلمة السابقة مراراً. وذلك أن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدى محمد ﷺ. وما خرج عنهما فنقول للقتال «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» ونحن والحمد لله أمة السند والدليل عباد الله وحده، ولنا عباد للعلماء والشيوخ. وقد أخرج أبو نعيم في الدلائل الحديث بنحوه (٦٩).

يَنْزُؤُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ مُحَمَّدًا وَاصْطَفَاهُ، وَطَهَّرَ قَلْبَهُ وَحَشَاهُ، وَمُكَّثَّهُ
فِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ قَلِيلٌ، ثُمَّ اشْتَدَّ فِي جَبَلِهِ رَاجِعًا مِنْ حَيْثُ جَاءَ.

ثَقِيفٌ وَلَهَبٌ وَالرَّمْيُ بِالنَّجُومِ:

فصل: وذكر إنكارَ ثَقِيفٍ لِلرَّمْيِ بِالنَّجُومِ، وما قاله عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ أَحَدُ بَنِي عِلَاجٍ إِلَى
آخِرِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ كَلَامٌ صَحِيحٌ الْمَعْنَى، لَكِنَّ فِيهِ إِبْهَامًا لِقَوْلِهِ: وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ هَذِهِ النَّجُومِ
فَهُوَ لِأَمْرِ حَدَثٍ، فَمَا هُوَ وَقَدْ فَعَلَ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفُ بَنُو لُهَيْبٍ عِنْدَ فِرْعَوْنَ لِلرَّمْيِ بِالنَّجُومِ،
فَاجْتَمَعُوا إِلَى كَاهِنٍ لَهُمْ يَقَالُ لَهُ: خَطَرٌ، فَبَيَّنَ لَهُمُ الْخَبَرَ، وَمَا حَدَّثَ مِنْ أَمْرِ النَّبِوَةِ. رَوَى
أَبُو جَعْفَرٍ الْعَقِيلِيُّ فِي كِتَابِ الصَّحَابَةِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي لُهَيْبٍ يَقَالُ لَهُ: لُهَيْبٌ أَوْ لُهَيْبٌ. وَقَدْ
تَكَلَّمْنَا عَلَى نَسَبِ لُهَيْبٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ. قَالَ لُهَيْبٌ: حَضَرَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ
عِنْدَهُ الْكُهَانَةَ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي: نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ حِرَاسَةَ السَّمَاءِ، وَزَجَرَ الشَّيَاطِينَ،
وَمَنْعَهُمْ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ عِنْدَ قَذْفِ النَّجُومِ، وَذَلِكَ أَنَّا اجْتَمَعْنَا إِلَى كَاهِنٍ لَنَا يَقَالُ لَهُ:
خَطَرُ بْنُ مَالِكٍ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ مِائَتَانِ سَنَةً وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ
كُهَّانِنَا، فَقُلْنَا: يَا خَطَرُ هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْ هَذِهِ النَّجُومِ الَّتِي يُرْمَى بِهَا، فَإِنَّا قَدْ فِرْعَوْنَا لَهَا،
وَخَشِينَا سُوءَ عَاقِبَتِهَا؟ فَقَالَ:

إِثْنُونِي بِسَحَرٍ
أَخْبِرْكُمُ الْخَبَرَ
إِبْخَنِيرِ أَمْ ضَرَرُ
أَوْ لِأَمْسِنِ أَوْ حَسَنُ

قال: فانصرفنا عنه يومنا، فلما كان من غد في وجه السَّحَرِ أَتَيْنَاهُ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ عَلَى
قَدَمَيْهِ، شَاخِصٌ فِي السَّمَاءِ بَعَيْنَيْهِ، فَنَادَيْنَاهُ: أَخْطَرُ يَا خَطَرُ؟ فَأَوْمَأَ إِلَيْنَا: أَنْ أَمْسِكُوا، فَانْقَضَ
نَجْمٌ عَظِيمٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَصَرَخَ الْكَاهِنُ رَافِعًا صَوْتَهُ:

أَصَابَهُ إِصَابَةٌ خَامَرَهُ عِقَابُهُ
عَاجِلُهُ عَذَابُهُ أَحْرَقَهُ شَهَابُهُ
زَايَلُهُ جَوَابُهُ
يَا وَيْلَكَ مَا حَالُهُ بَلَبَلَهُ بَلْبَالُهُ
عَاوَدَهُ خَبَالُهُ تَقَطَّعَتْ جِبَالُهُ
وَعُيِّرَتْ أَحْوَالُهُ

ثم أمسك طويلاً وهو يقول:

يا مَفْشَرَ بني قَحْطَانِ أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والأركان والبلد الموثمن السُدَّانِ
لقد مُنِعَ السمعُ عَتَاءَ الجان بشاقبٍ بكفٍّ ذي سلطان
من أجل مَبْعوثٍ عظيم الشأن يُبعثُ بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصل القرآن تَبْطُلُ به عبادة الأوثان

قال: فقلنا: وَيَحْكُ يا خطر إنك لتذكر أمراً عظيماً، فماذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى لِقَوْمِي ما أرى لِنَفْسِي أن يَتَّبِعُوا خَيْرَ نَبِيِّ الإنس
بُزْهَانُهُ مثلُ شُعاعِ الشمس يُبعثُ في مكة دارِ الحُفَسِ

بِمُحْكَمِ التَّنْزِيلِ غير اللُّبْسِ

فقلنا له: يا خَطَرُ، وَمِمَّنْ هو؟ فقال: والحياة والعيش. إنه لمن قريش، ما في حِلْمِهِ طَيْشٌ، ولا في خلقه هَيْشٌ^(١) يكون في جَيْشٍ، وأي جَيْشٍ، من آل قَحْطَانٍ وآل أَيْشٍ، فقلت له: بَيْنَ لَنَا: من أي قريش هو؟ فقال: والبيت ذي الدعائم، والركن والأحائم، إنه لَمِنْ نَجْلِ هاشم، من معشر كرائم، يُنْعَثُ بِالْمَلَأِجَمِ، وقتل كل ظالم، ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان، ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر - ثم سكت وأغمي عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاثة، فقال: لا إله إلا الله؛ فقال رسول الله - ﷺ -: «لقد نطق عن مثل نبوة، وإنه لَيُنْعَثُ يوم القيامة أمة وحده»^(٢).

أصل ألف إصابة:

قال المؤلف: في هذا الخبر قوله: أصابه إصابة، هكذا قَيَّدَتْه بكسر الهمزة من إصابة عَلَى أَبِي بكر بن طاهر، وأخبرني به عن أَبِي علي الغَسَائِنِيِّ، ووجهه أن تكون الهمزة بدلاً من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح [ووسادة وإسادة]، والمعنى: أصابه وصابه جمع: وَصَبَ مثل: جَمَلَ وجِمَالَة.

(١) أي شيء قبيح.

(٢) أورده الحافظ في الإصابة (٣/ ٣٧١) وفيه عمارة بن زيد متهم بالوضع.

قال ابن إسحاق: وحدثني مَنْ لا أَتُهُم^(١) عن عبد الله بن كُعب، مولى عثمان بن

معنى كلمة أيش والأحائم:

وقوله: من آل قحطان وآل أَيْش، يعني بآل قحطان: الأنصار؛ لأنهم من قحطان، وأما آل أيش، فيحتمل أن تكون قبيلة من الجِن المؤمنين، ينسبون إلى أيش، فإن يكن هذا، وإلا فله معنى في المذح غريب، تقول: فلان أيش هو وابن أيش، ومعناه: أي شيء أي شيء عظيم فكأنه أراد من آل قحطان، ومن المهاجرين الذي يقال فيهم مثل هذا، كما تقول: هم، وما هم؟ وزيد ما زيد، وأي شيء زيد، وأيش في معنى: أي شيء، كما يقال وَيُلْمُهُ في معنى: ويل أمه على الحذف لكثرة الاستعمال، وهذا كما قال: هو في جيش أيما جيش، والله أعلم. وأحسبه أراد بآل أيش: بني أَقَيْش، وهم حلفاء الأنصار من الجِن؛ فحذف من الاسم حرفًا، وقد تفعل العرب مثل هذا، وقد وقع ذكر بني أَقَيْش في السيرة في الحديث النَّبِيعَةِ.

وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد: الأحاوم بالواو، فهمز الواو لانكسارها، والأحاروم: جمع أحوام والأحوام جميع حَوْم، وهو الماء في البئر، فكأنه أراد: ماء زمزم، والحَوْم أيضًا: إبل كثيرة ترد الماء، فعبر بالأحائم عن وُزَاد زمزم، ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التي تحوم على الماء، فيكون بمعنى الحوائم، وقلب اللفظ، فصار بعد فواعل: أفاعل، والله أعلم.

حي جنب:

فصل: وذكر أن جَنْبًا وهم حَيٌّ من اليمن اجتمعوا إلى كاهن لهم، فسألوه عن أمر النبي - ﷺ - حين رمى بالنجوم إلى آخر الحديث: جَنْبٌ هم من مَذْحِج، وهم: عَيْدُ الله، وأنس الله، وزَيْدُ الله، وأَوْسُ الله، وجُعْفِي، والحَكَم، وجزوة، بنو سعد العشيرة بن مَذْحِج، ومَذْحِج هو: مالك بن أَدَد، وسُمُوا: جنبًا لأنهم جانبوا بني عمهم صُدَاء ويزيدا بني سعد العشيرة بن مَذْحِج. قاله الدارقطني. وذكر في موضع آخر خلافاً في أسمائهم، وذكر فيهم بني عَلِيٍّ بالغبين، وليس في العرب عَلِيٌّ غيره، قال مهلهل:

أَنكَحَهَا فَقَلَّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ، وَكَانَ الْجِبَاءُ مِنْ أَدَمَ

معنى خلت في وشيعة:

فصل: وذكر حديث عمر، وقوله للرجل: أكنت كاهنًا في الجاهلية؟ فقال الرجل:

(١) مجهول.

عَفَان، أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، يَرِيدُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَى شِرْكِهِ مَا فَارَقَهُ بَعْدُ، أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ أَسْلَمْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ لَهُ: فَهَلْ كُنْتَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَقَدْ خِلْتُ فِيَّ، وَاسْتَقْبَلْتَنِي بِأَمْرِ مَا أَرَاكَ قَلْتَهُ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ مِنْذُ وَلِيتَ مَا وَلِيتَ، فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ غَفْرًا، قَدْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى شَرٍّ مِنْ هَذَا، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَعْتَنِقُ الْأَوْثَانَ، حَتَّى أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِرَسُولِهِ وَبِالْإِسْلَامِ، قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ كُنْتُ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مَا جَاءَكَ بِهِ صَاحِبُكَ، قَالَ: جَاءَنِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ أَوْ شَنِيعِهِ، فَقَالَ: أَلَمْ تَر إِلَى الْجَنِّ وَبِلَاسِهَا، وَإِيَّاسِهَا مِنْ دِينِهَا، وَلُحُوقِهَا بِالْقِلَاصِ وَأَخْلَاصِهَا.

قال ابن هشام: هذا الكلام سجع، وليس بشعر.

قال عبد الله بن كعب: فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يُحَدِّثُ النَّاسَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَ وَثْنٍ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ، قَدْ دَبَّحَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ عَجَلًا، فَنَحْنُ نَنْتَظِرُ قَسْمَهُ لِيَقْسِمَ لَنَا مِنْهُ، إِذْ سَمِعْتُ مِنْ جَوْفِ الْعَجَلِ صَوْتًا مَا سَمِعْتُ صَوْتًا قَطُّ أَنْفَذَ مِنْهُ، وَذَلِكَ قُبَيْلُ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ أَوْ شَنِيعِهِ، يَقُولُ: يَا دَرِيحُ، أَمْرٌ نَجِيحُ، رَجُلٌ يَصِيحُ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(١).

سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ خِلْتُ فِيَّ، وَاسْتَقْبَلْتَنِي بِأَمْرِ مَا أَرَاكَ اسْتَقْبَلْتَ بِهِ أَحَدًا مِنْذُ وَلِيتَ! وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَوْلُهُ: خِلْتُ فِيَّ هُوَ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ بَعْدَ خِلْتُ وَظَنَنْتُ، كَقَوْلِهِمْ فِي الْمَثَلِ: مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ، وَلَا يَجُوزُ حَذْفُ أَحَدِ الْمَفْعُولِينَ مَعَ بَقَاءِ الْآخَرِ، لِأَنَّ حَكْمَهُمَا حَكْمُ الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، فَإِذَا حُذِفَتِ الْجُمْلَةُ كُلُّهَا جَازَ؛ لِأَنَّ حَكْمَهُمَا حَكْمُ الْمَفْعُولِ، وَالْمَفْعُولُ قَدْ يَجُوزُ حَذْفُهُ، وَلَكِنْ لَا بَدْءَ مِنْ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ، فَفِي قَوْلِهِمْ: مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَفْعُولِ، وَهُوَ يَسْمَعُ، وَفِي قَوْلِهِ: خِلْتُ فِيَّ دَلِيلٌ أَيْضًا، وَهُوَ قَوْلُهُ: فِيَّ، كَأَنَّهُ قَالَ: خِلْتُ الشَّرْفِيَّ أَوْ نَحْوَهُ، هَذَا وَقَوْلُهُ: قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ أَوْ شَنِيعَةٍ أَيْ: دُونَهُ بِقَلِيلٍ، وَشَنِيعٌ كُلُّ شَيْءٍ: مَا هُوَ تَبَعٌ لَهُ، وَهُوَ مِنَ الشَّيْءِ وَهِيَ: حَطَبٌ صَغِيرٌ تَجْعَلُ مِنَ الْكِبَارِ تَبَعًا لَهَا، وَمِنْهُ: الْمُسْنِيعَةُ، وَهِيَ: الشَّاةُ تَتَّبِعُ الْغَنَمَ، لِأَنَّهَا دُونُهَا مِنَ الْقُوَّةِ.

(١) «صحيح». أخرجه البخاري في مناقب الأنصار - حديث رقم (٣٨٦٦).

قال ابن هشام: ويقال: رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول: لا إله إلا الله. وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر.

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَخْلَاسِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا

جليح وسواد بن قارب:

والصوت الذي سمعه عمر من العجل يا جليح سمعت بعض أشياخنا يقول: هو اسم شيطان، والجليح في اللغة: ما تطاير من رؤوس النبات، وخَفَّ نحو القطن وشبهه، والواحدة: جليحة، والذي وقع في السيرة: يا ذريح، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم: أحمر ذَرِيحِي، أي: شديد الحمرة، فصار وصفًا للعجل الذبيح من أجل الدم: وَمَنْ رواه: يا جليح، فمآله إلى هذا المعنى؛ لأن العجل قد جُلِحَ أي: كشف عنه الجلد، فالله أعلم، وهذا الرجل الذي كان كاهنًا هو سواد بن قارب الدوسي في قول ابن الكلبي، وقال غيره: هو سُدُوسِي وفيه يقول القائل:

أَلَا لَيْلَهُ عِلْمٌ لَا يُجَاوِزِي إِلَى الْغَايَاتِ فِي جَنْبِي سَوَادُ
أَتَيْنَاهُ نَسَائِلَهُ امْتَحَانًا فَلَمْ يَنْبَعْلَ، وَأَخْبَرَ بِالسَّدَادِ

وهذان البيتان في شعر وخبر ذكره أبو علي القالي في أماليه، وروى غير ابن إسحق هذا الخير عن عمر على غير هذا الوجه، وأن عمر مازحه، فقال: ما فعلت كهانتك يا سواد؟! فغضب، وقال: قد كنت أنا وأنت على شرٍّ من هذا من عبادة الأصنام وأكل المَيْتَاتِ، أفْتَعِرْنِي بِأَمْرِ ثُبْتُ مِنْهُ؟! فقال عمر حينئذ: اللَّهُمَّ عَفِّرَا. وذكر غير ابن إسحق في هذا الحديث سِبَاقَةً حسنة وزيادة مفيدة، وذكر أنه حَدَّثَ عمر أن رَأْيَهُ جاء ثلاث ليال متواليات، هو فيها كلها بين النائم واليقظان، فقال: قم يا سَوَادُ، واسمع مقالتي، واعْقِلْ إن كنت تعقل، قد بُعِثَ رسول الله - ﷺ - من لُؤَيِّ بن غالب يدعو إلى الله وعبادته، وأنشده في كل ليلة من الثلاث الليالي ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصُّفُوفِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَامَهَا كَأَذْنَابِهَا

وقال له في الثانية:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَخْلَاسِهَا

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب.

تهوي إلى مكة تبغي الهدى
فازحل إلى الصفوة من هاشم
وقال له في الثالثة:

عجبت للجن وتنفارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى
فازحل إلى الأتقين من هاشم

وذكر تمام الخبر، وفي آخر شعر سواد قدم على رسول الله - ﷺ - فأنشده ما كان من
الجنّي رثية ثلاث ليال متواليات، وذلك قوله:

أتاني نجبي بعد هذه رفقة
ثلاث ليال قوله كل ليلة
فرفعت أذيال الإزار وشمرت
فأشهد أن الله لا شيء غيره
وأنت أذن المرسلين وسيلة
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا
وكن لي شفيعاً يوم لأدو شفاعة

سواد ودوس عند وفاة الرسول ﷺ:

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله - ﷺ - فقام
حيثنذ سواد، فقال: يا معشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم، ومن شقائهم ألا
يتعظوا إلا بأنفسهم، ومن لم تنفعه التجارب ضرته، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل،
وانما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس، وقد علمتم أن النبي - ﷺ - قد تناول قوماً أبعد

(١) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم. (٣٤٣/٢) والصالح في السيرة (٢٨١/٢) وأخرجه أبو نعيم في
الدلائل (٧٣) والبيهقي في الدلائل (٢٤٨/٢) وأورده السيوطي في الخصائص (١٧٠/١) ونسبه
للبيهقي مع اختلاف في بعض ألفاظه. والعمرس: الناقة الصلبة الشديدة. اللسان (١٣٨/٦).
والهجل: المطمئن من الأرض نحو الغائط. السابق (٦٨٩/١١). والسبابسب: المفاوز، أي
الصحراء. السابق (٤٦٠/١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه^(١)، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهُداة، لِمَا كُنَّا نسمع من رجال يهود، كُنَّا أَهْلَ شِرْكَ أَصْحَابِ أوثان، وكانوا أَهْلَ كتاب، عندهم عِلْمٌ لَنَا، وكانت لا تزال

منكم فَظْفِيرُ بهم، وأَوْعَدَ قومًا أكثر منكم فأخافهم، ولم يمنعهم منكم عُدة ولا عدد، وكل بلاء مَنِيئِي إلا بقي أثره في الناس، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أَذْكَرَ من أهل العافية للعافية، وإنما كَفَّ نبيُّ الله عنكم ما كَفَّكم عنه، فلم تزالوا خارجين مما فيه أَهْلُ البلاء، داخلين مما فيه أَهْلُ العافية، حتى قَدِمَ على رسول الله - ﷺ - خطيبُكم ونقيبُكم فَعَبَّرَ الخطيبُ عن الشاهد، ونَقَّبَ النقيب عن الغائب، ولست أدري لعله تكون للناس جَوْلَةٌ فَإِنْ تكن، فالسَّلَامَةُ منها: الآثَةُ، والله يُحِبُّهَا، فَأَجِبُّوْهَا، فَأَجابه القوم وسمعوا قوله، فقال في ذلك سوادٌ بن قارب:

وأرى المصيبةَ بعدها تَزْدَادُ
- صَلَّى إِلَهَ عَلَيْهِ - مَا يَغْتَادُ
أَوْ هَلْ لَمَنْ فَقَدَ النَّبِيَّ فَوَادُ؟
جَفَّ الْجَنَابُ، فَأَجْدَبَ الرُّوَادُ
وَتَصَدَّعَتْ وَجَدًا بِهِ الْأَكْبَادُ
حُلْمًا تَضْمَنَ سَكْرَتِيهِ رُقَادُ
بَاقٍ لَعَمْرُكَ فِي النُّفُوسِ بِلَادُ
الْحَقِّ حَقٌّ وَالْجَهَادُ جَهَادُ
بُذِلَتْ لَهُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ
هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ
لَوْ كَانَ يَفْقِدِيهِ فَدَاهِ سَوَادُ
أَمْرًا لِعَاصِفٍ رِيحِهِ إِزْعَادُ
لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَفَتْ بِنَا - أَوْتَادُ
زِدْتُمْ، وَلَيْسَ لِمُنْيَةٍ مَزْدَادُ

جَلَّتْ مَصِيبَتُكَ الْغَدَاةُ سَوَادُ
أَبْقَى لَنَا فَقْدُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
حُزْنًا لَعَمْرُكَ فِي الْفَوَادِ مُخَايَرًا
كُنَّا نَحُلُّ بِهِ جَنَابًا مُفْرَعًا
فَبَكَتْ عَلَيْهِ أَرْضُنَا وَسَمَاوُنَا
قُلُّ الْمَتَاعِ بِهِ، وَكَانَ عِيَانُهُ
كَانَ الْعِيَانُ هُوَ الطَّرِيفُ وَحَزْنُهُ
إِنَّ النَّبِيَّ وَفَاتِهِ كَحَيَاتِهِ
لَوْ قِيلَ: تَفْقُدُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
وَتَسَارَعْتَ فِيهِ النُّفُوسُ بِبَذْلِهَا
هَذَا، وَهَذَا لَا يَرِدُ نَبِيًّا
أَتَى أَحَاذِرَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً
إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَائْتُمْ
لَوْ زَادَ قَوْمٌ قَوْقَ مُنْيَةٍ صَاحِبِ

بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه تقارب زمانٌ نبيُّ يُبعث الآن نقتلكم معه قتلٌ عادٍ وإرم، فكثنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسولَه ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فأمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٧٩].

قال ابن هشام: يستفتحون: يستنصرون، ويستفتحون أيضًا: يتحاكمون، وفي كتاب الله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش - وكان سلمة من

كاهنة قریش:

فأعجب القوم شجره، وقوله: فأجابوا إلى ما أحب، ومن هذا الباب خبرٌ سؤداء بنت زهرة بن كلاب، وذلك أنها حين ولدت ورأها أبوها زرقاء شيماء^(١) أمر بإودها، وكانوا يئذون من البنات ما كان على هذه الصفة فأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك، فلما حفر لها الحافر، وأراد دفنها سمع هاتفاً يقول لا تئذن الصبية، وخلها في البرية، فالتفت فلم ير شيئاً، فعاد لدفنها، فسمع الهاتف يهتف بسجع آخر في المعنى، فرجع إلى أبيها، فأخبره بما سمع، فقال: إن لها لساناً، وتركها، فكانت كاهنة قریش، فقالت يوماً لبني زهرة: إن فيكم نذيرة، أو تلد نذيراً، فاغرضوا علي بناتكم، فعرضن عليها، فقالت في كل واحدة منهن قولاً ظهر بعد حين، حتى عرضت عليها أمنة بنت وهب، فقالت: هذه النذيرة، أو تلد نذيراً، وهو خير طويل ذكر الزبير منه يسيراً، وأورده بطوله أبو بكر الثقاش، وفيه ذكر جهنم - أعاذنا الله منها - ولم يكن اسم جهنم، مسوغاً به عندهم، فقالوا لها: وما جهنم، فقالت: سيخبركم النذير عنها^(٢).

حديث سلمة:

فصل: وذكر ابن إسحاق حديث سلمة بن سلامة بن وقش، وما سمع من اليهودي حين ذكر الجنة والنار، وقال: آية ذلك نبي: مبعوثٌ قد أطل زمانه إلى آخر الحديث، وليس فيه إشكال، وابن وقش يقال فيه: وقش بتحريك القاف وتسكينها، والوقش: الحركة.

(١) شيماء: أي فيه شامة تميزها.

(٢) قصة في حاجة إلى دليل «صحيح» يعتضدها، وظاهرها يشهد بوضعها.

أصحاب بذر - قال: كان لنا جارٌّ من يَهُودَ في بني عَبْدِ الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته، حتى وقف على بني عَبْدِ الأشهل - قال سَلَمَةُ: وأنا يومئذ أخذتُ مَنْ فيه سِئاً، عليَّ بُرْدَةٌ لي، مُضْطَجِعٌ فيها بِفِئاءِ أهلي - فذكر القيامةَ والبعثَ والحسابَ والميزانَ والجَنَّةَ والنارَ، قال: فقال ذلك لِقومِ أَهْلِ شِزْكِ أَصْحَابِ أوثانٍ لا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثاً كائِنْ بَعْدَ الموتِ، فقالوا له: وَيَحْكُ يا فلان!! أَوْ تَرى هذا كائناً، أَنَّ الناسَ يُعْثُونَ بَعْدَ موتِهِمْ إلى دارٍ فيها جَنَّةٌ ونارٌ، يُجْزَوْنَ فيها بأَعْمالِهِمْ؟ قال: نعم، والذي يُحْلَفُ به، وَيُودَّ أَنْ له بحِظِّهِ من تلكِ النارِ أعْظَمُ تَثْوِرٍ في الدارِ، يُخْمُونَهُ ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطَيِّعُونَهُ عَلَيْهِ، بَأَن يَنْجُو من تلكِ النارِ غَداً، فقالوا له: وَيَحْكُ يا فلان! فما آيَةُ ذلك؟ قال: نَبِيُّ مَبْعُوثٍ من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إليَّ، وأنا مِنْ أَحدِثِهِمْ سِئاً، فقال: إِنْ يَسْتَفِذْ هذا الغلامُ عَمْرَهُ يُدْرِكُهُ. قال سَلَمَةُ: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله - ﷺ - وهو حيٌّ بين أظهرنا، فأمناً به، وكفر به بَغْياً وحسدًا. قال: فقلنا له: وَيَحْكُ يا فلان!! أَلَسْتَ الذي قُلْتَ لَنَا فيه ما قُلْتَ؟ قال: بلى. ولكن ليس به^(١).

قال ابن إسحق: وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة عن شيخ من بني قُرَيْظَةَ^(٢) قال: قال لي: هل تدري عَمَ كان إسلام ثُعَلْبَةَ بنِ سَعْيَةَ وأَسِيدَ بنِ سَعْيَةَ وأَسَدَ بنِ عبيد نَقَرٍ من بني هَذَلٍ، إِخْوَةُ بني قُرَيْظَةَ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الإسلام. قال: قلت: لا، قال: فَإِنَّ رجلاً من يَهُودَ من أَهْلِ الشَّامِ، يقال له: ابنُ الْهَيْيَّانِ، قَدِمَ عَلَيْنَا قَبِيلَ الإسلامِ بسنين، فحلَّ بين أَظْهَرِنا، لا والله ما رأينا رجلاً قَطُّ لا يصلي الخمس

حديث ابن الهييان وبنو سعية:

فصل: وذكر حديث ابن الْهَيْيَّانِ، وما بَشَّرَ به من أمرِ النبي - ﷺ - وأن ذلك كان سببَ إسلام ثُعَلْبَةَ بنِ سَعْيَةَ وأَسِيدَ بنِ سَعْيَةَ وأَسَدَ بنِ سَعْيَةَ، وهم من بني هَذَلٍ، وَالْهَيْيَّانُ من الْمَسْمُومِينَ بالصفات، يقال قُطِنَ هَيْيَانُ أَي: مَتَفَشَ، وأنشد أبو حنيفة:

تُطِيرُ اللَّغَامَ^(٣) الْهَيْيَّانَ، كَأَنَّهُ جَعَى عُسْرٍ^(٤) تَنْفِيهِ أَشْدَأُّهَا الْهُذَلُ^(٥)

وَالْهَيْيَّانُ أَيضاً: الْجَبَانُ، وقد قَدِمْنَا الاختلاف في هَذَلٍ، وأما أَسِيدَ بنِ سَعْيَةَ، فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني، عن ابن إسحق، وهو أحد

(١) «حسن». أخرجه أحمد (٤٦٧/٣). (٢) مجهول.

(٣) اللغام: زيد أفواه الإبل.

(٤) العسر: ضرب من الشعر.

(٥) الهدل: استرخاء المشفر الأسفل من الجمل.

أفضل منه، فأقام عندنا فكنّا إذا قَحَطَ عَنَّا المطرُ قُلْنَا له: اخْرُجْ يا بنِ الهَيَّانِ فاستَسْقِ لنا، فيقول: لا والله، حتى تُقَدِّمُوا بين يدي مَخْرَجِكُمْ صدقةً، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعًا من تمر: أو مُدَّيْنِ من شَعِير. قال: فَخَرَجَهَا، ثم يَخْرُجُ بنا إلى ظاهر حَرَّتِنَا، فيستَسْقِي اللّهَ لنا. فوالله ما يَبْرُحُ مَجْلِسُهُ، حتى تَمُرَ السحابة وتُسْقَى، قد فعل ذلك غيرَ مرّةٍ ولا مرتين ولا ثلاث. قال: ثم حَضَرَتْهُ الوفاةُ عندنا. فلما عَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ، قال: يا معشر يَهُودَ، ما ترونه أَخْرَجَنِي من أرضِ الخَمَرِ والخَوِيرِ إلى أرضِ البؤسِ والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم، قال: فَإِنِّي إِنَّمَا قَدِمْتُ هذه البلدةَ أَتَوَكَّفُ خُرُوجَ نَبِيِّ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ، وهذه البلدةُ مُهَاجِرُهُ، فَكُنْتُ أَرْجُو أَن يُبْعَثَ، فَأَتْبَعَهُ، وَقَدْ أَظْلَكُمُ زَمَانُهُ، فَلَا تُسَبِّقُنَّ إِلَيْهِ يا معشر يهود، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَنِي الدَّرَارِي والنِّسَاءِ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَلَا يَمْنَعُكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ. فلما بُعِثَ رسولُ الله - ﷺ - وَحَاصِرُ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةُ، وَكَانُوا شَبَابًا أَحْدَاثًا: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، وَاللهُ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كَانَ عَهْدُ إِلَيْكُمْ فِيهِ ابْنُ الْهَيَّانِ، قَالُوا: لَيْسَ بِهِ

رواة المغازي عنه أُسَيْدُ بْنُ سَعِيَةَ بَضْمُ الْأَلْفِ، وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَهُوَ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ وَغَيْرِهِ أُسَيْدٌ بَفَتْحِهَا قَالَ: الدَّارِقُطَنِيُّ: وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ، وَلَا يَصِحُّ مَا قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَبَنُو سَعِيَّةٍ هَؤُلَاءِ فِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] الْآيَةِ، وَسَعِيَّةٌ أَبُوهُمْ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِيضِ، وَهُوَ بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ، وَالْيَاءِ الْمَنْقُوطَةِ بَاثْنَيْنِ.

سُفْنَةُ الْحَبَرِ وَإِسْلَامُهُ:

وَأَمَّا سُفْنَةُ النَّوْنِ، فَزَيْدُ بْنُ سُفْنَةَ خَبَرٌ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ، كَانَ قَدْ دَايَنَ النَّبِيَّ - ﷺ - فَعَجَّاهُ يَتَقَاضَاهُ قَبْلَ الْأَجَلِ، فَقَالَ: أَلَا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ مُطْلَقٌ، وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا أَنْ أَعْلِمَ عِلْمَكُمْ، فَارْتَعَدَ عُمَرُ، وَدَارَ، كَأَنَّهُ فِي فَلَكَ، وَجَعَلَ يَلْحَظُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَقَالَ: تَقُولُ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ؟! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ أَحْوَجُ يَا عُمَرُ: أَنْ تَأْمُرَنِي بِحَسَنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحَسَنِ التَّبِعَةِ، قُمْ فَاقْضِهِ عَنِّي، فَوَاللَّهِ مَا حَلَّ الْأَجَلُ، وَزَدَهُ عَشْرِينَ صَاعًا بِمَا رَوَّعْتَهُ»، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: أَنَّهُ قَالَ: «دَعِهِ؛ فَإِنَّ لِمُصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالَاتٍ»، وَيُذَكَّرُ أَنَّهُ أَسْلَمَ^(١) لِمَا رَأَى مِنْ مَوَافَقَةِ وَصْفِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَا كَانَ عِنْدَهُ فِي التَّوْرَةِ، وَكَانَ يَجِدُهُ مَوْصُوفًا بِالْحِلْمِ، فَلَمَّا رَأَى مِنْ حِلْمِهِ مَا رَأَى أَسْلَمَ، وَتَوَفَّى غَازِيًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَيُقَالُ فِي اسْمِهِ: سَعِيَّةٌ بِالْيَاءِ كَمَا فِي الْأَوَّلِ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ الدَّارِقُطَنِيُّ إِلَّا بِالنَّوْنِ.

(١) «حسن». أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٥٢).

قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته، فزلوا وأسلموا، وأخرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم.
قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود.

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني عاصمُ بنُ عُمر بن قَتادة الأنصاري، عن محمود بن لَبِيد، عن عبد الله بن عَبَّاس، قال: حَدَّثني سَلَمَانُ الفارسي مِنْ فيه قال: كُنْتُ رجلاً فارسيًّا من أَهلِ إصْبَهانَ من أَهلِ قَرْيَةٍ يُقالُ لها: جَبِّي، وكانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، لَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كُنْتُ قَطَنَ النار الذي يوقدها، لا يتركها تُخْبُو ساعة. قال: وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمة، قال: فَشَغِلْتُ فِي بُنيانٍ لَهُ يَوْمًا، فقال لي: يا بني، إني قد شَغِلْتُ فِي بُنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب إليها، فاطَّلَعها - وأمرني فيها ببعض ما يُريد - ثم قال لي: ولا تُخَيِّسْ عني؛ فَإِنَّكَ إِنْ احْتَبَسْتَ عني كُنْتُ أَهْمَ إِلَيَّ مِنْ ضيعتي، وَشَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي. قال: فخرجت أريد ضيعتي التي بعثني إليها، فمررتُ بِكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلُّون، وكنت لا أدري ما أُمِرُ الناس، لِجَبَسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم، أنظر ما يَصْنَعُونَ، فلما رأيتهُم، أعجبتني صلاتهم، ورغبتُ في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما بَرِخْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وتركت ضيعة أبي فلم آتِها، ثم قلت لهم: أين أضل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جثته قال: أي بني أين كنت؟ أو لم أَكُنْ عَهْدْتُ إِلَيْكَ ما عَهْدْتُ؟ قال: قلت له: يا أبت، مررتُ بِأناس يصلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيْتُ من دينهم، فوالله ما زِلْتُ عندهم حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قال: أي بُني، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك، ودينُ آبائك خيرٌ منه، قال: قلت له: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رجلي قِيدًا، ثم حبسني في بيته.

حديث سلمان

فصل: وذكر حديث سلمان بطوله، وقال: كنت من أهل إصْبَهانَ هكذا قيده البكري في كتاب المُعْجَم بالكسر في الهمزة، وإصْبَه بالعربية: قَرْسٌ، وقيل: هو العسكر، فمعنى الكلمة: موضع العسكر أو الخيل، أو نحو هذا. وليس في حديث سلمان على طوله إشكال، ووقع في الأصل في هذا الحديث: فلما رأيْتُ رسول الله - ﷺ - اسْتَدْبَرْتُهُ، ورأيت في حاشية الشيخ: اسْتَدِيرُ به، وكذلك وقع فيه: أحبيها له بالفقير، وفي حاشية الشيخ: الوجه التَّفْقِير.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركبٌ من الشام تُجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قَضَوْا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فأذِنوني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيت الحديدَ من رجلي، ثم خرجت معهم، حتى قَدِمْتُ الشام فلما قَدِمْتُها قلت: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلُ هَذَا الدِّينِ عِلْمًا؟ قالوا: الْأَسْقَفُ فِي الْكَنِيسَةِ.

قال: فَجِئْتُهُ، فقلت له: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ، وَأَخْدُمَكَ فِي كَنِيسَتِكَ، فَاتَعَلَّمْ مِنْكَ، وَأَصْلِي مَعَكَ، قال: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ. قال: وَكَانَ رَجُلٌ سَوَاءٌ، يَأْمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ، وَيَرْغَبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سِنْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ. قال: فَأَبْغَضْتُهُ بَغْضًا شَدِيدًا، لِمَا رَأَيْتُهُ يَضَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعْتُ إِلَيْهِ النَّصَارَى، لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلٌ سَوَاءٌ، يَأْمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ، وَيَرْغَبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا، اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا. قال: فَقَالُوا لِي: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟ قال: قلت لهم: أَنَا أَدْلَكُم عَلَى كَنْزِهِ، قالوا: فَذُنَّا عَلَيْهِ، قال: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، فَاسْتَخْرَجُوا سِنْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا وَوَرِقًا، قال: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَذْفَنُهُ أَبَدًا. قال: فَصَلَبُوهُ، وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، وَجَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ مَكَانَهُ.

قال: يَقُولُ سَلْمَانٌ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يَصْلِي الْخُمْسَ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَأَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ وَلَا أَدَابَ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا مِنْهُ. قال: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أَحِبَّهُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ. قال: فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرْتُهُ الْوَفَاةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أَحِبَّهُ شَيْئًا قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَيَمُ تَأْمُرْنِي؟ قال: أَنِّي بُنَيْتُ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ، وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، وَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقُّ بِهِ.

أَسْمَاءُ النَّخْلَةِ:

وَالْفَقِيرُ لِلنَّخْلَةِ. يُقَالُ لَهَا فِي الْكَزْمَةِ: حَيَّةٌ، وَجَمْعُهَا: حَيَاتِيَا، وَهِيَ الْخَفِيرَةُ، وَإِذَا خَرَجَتْ النَّخْلَةُ مِنَ النَّوَاةِ فَهِيَ: غَرِيْسَةٌ، ثُمَّ يُقَالُ لَهَا: وَدِيَّةٌ، ثُمَّ قَسِيلَةٌ، ثُمَّ أَشَاءَةٌ، فَإِذَا فَاتَتْ الْيَدَ فَهِيَ: جَبَّارَةٌ، وَهِيَ الْغَضِيدُ، وَالْكَيْتِيلَةُ، وَيُقَالُ لِلَّتِي لَمْ تَخْرُجْ مِنَ النَّوَاةِ، لَكِنَّا اجْتَنُثَتْ مِنْ جَنْبِ أُمِّهَا: قَلْعَةٌ وَجَشِيثَةٌ، وَهِيَ الْجَثَاثُ وَالْهَرَاءُ، وَيُقَالُ لِلنَّخْلَةِ الطَّوِيلَةِ: عَوَانَةٌ بَلْغَةٌ عَمَانٌ، وَعَيْدَانَةٌ بَلْغَةٌ غَيْرُهُمْ، وَهِيَ قَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ بِالْمَكَانِ، وَاخْتَلَفَ فِيهَا قَوْلُ صَاحِبِ كِتَابِ الْعَيْنِ، فَجَعَلَهَا تَارَةً: قَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ، ثُمَّ جَعَلَهَا فِي بَابِ الْمَعْتَلِ الْعَيْنِ قَعْلَانَةً.

فلما مات وَغُيِبَ لِحَقِّ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنْ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبِرْنِي أَنْكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمَّ عِنْدِي، فَأَقِمْتُ عَنْدهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ يَا فُلَانُ: إِنْ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللِّحَاقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى، فإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَبِمَ تَأْمُرْنِي؟ قَالَ: يَا بَنِيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بَنَصِيبِينَ، وَهُوَ فُلَانُ، فَالْحَقُّ بِهِ.

فلما مات وَغُيِبَ لِحَقِّ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ، فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبَايَ، فَقَالَ: أَقِمَّ عِنْدِي، فَأَقِمْتُ عَنْدهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِيهِ. فَأَقِمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْتُ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حُضِرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنْ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَبِمَ تَأْمُرْنِي؟ قَالَ: يَا بَنِيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ بَقِيَ أَحَدٌ عَلَى أَمْرِنَا أَمْرَكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بَعْمُورِيَّةٍ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَاتِهِ، فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا.

فلما مات وَغُيِبَ لِحَقِّ بِصَاحِبِ عَمُورِيَّةٍ، فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: أَقِمَّ عِنْدِي، فَأَقِمْتُ عِنْدَ خَيْرِ رَجُلٍ، عَلَى هَذِي أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ. قَالَ: وَانْكُتَسَبْتُ حَتَّى كَانَتْ لِي بَقَرَاتٌ وَغَنِيمَةٌ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ، فَلَمَّا حُضِرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فإِلَى مَنْ تُوصِي بِهِ؟ وَبِمَ تَأْمُرْنِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ الْيَوْمَ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ أَمْرَكَ بِهِ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ نَبِيِّ، وَهُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرَةً إِلَى أَرْضِ بَيْنِ حَرْتَيْنِ، بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى، يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَبَيْنَ كَتَفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِبَ، وَمَكُنْتُ بِعَمُورِيَّةٍ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمُكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تَجَارٍ، فَقُلْتُ لَهُمْ: احْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأَعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغَنِيمَتِي.

وَمِنَ الْقَسِيْلَةِ حَدِيثُ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ، وَبَيَّدَ أَحَدُكُمْ قَسِيْلَةً، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَغْرِسَهَا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَلْيَغْرِسْهَا»^(١) مِنْ مُصْتَفَى حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ. وَالَّذِينَ صَحَبُوا سَلْمَانَ مِنَ النَّصَارَى كَانُوا عَلَى الْحَقِّ عَلَى دِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَكَانُوا ثَلَاثِينَ يَدَاوُلُونَهُ سَيِّدًا بَعْدَ سَيِّدٍ.

(١) «صحيح». أخرجه أحمد (١٩١/٣) والبخاري في الأدب (٤٧٩).

هذه، قالوا: نعم. فَأَعْطَيْتُمُوهَا، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القُرى ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عَبْدًا، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وَصَفَ لي صاحبي، ولم يَجُزْ في نفسي، فبينما أنا عنده، إذ قَدِمَ عليه ابنُ عَمِّ له من بني قَرِيظَةَ من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفتها بِصَفَةِ صاحبي، فأقمت بها، وَبُعِثَ رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرقِّ، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عَذَقٍ لسيدي أعمل له في بعض العمل، وسَيِّدِي جالس تحتي، إذا أقبل ابنُ عَمِّ له، حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلَةَ، والله إنهم الآن لمجتمعون بِقُبَاءٍ على رجل قَدِمَ عليهم من مَكَّةَ اليوم، يزعمون أنه نبي.

قال ابن هشام: قيلة: بنت كاهل بن عُذرة بن سَعْدِ بن زَيْد بن لَيْث بن سَوْدِ بن أَسْلَمَ بن الحافِ بن قُضاعة، أم الأوس والخزرج.

قال النعمان بن بَشِير الأنصاري يمدح الأوسَ والخزرجَ:

بها ليلٌ مِنْ أولاد قَيْلَةَ لم يَجِدْ عليهم خَلِيطٌ في مُخالطةِ عَبْتَا
مَسَامِيحَ أَبْطال يُرَاخُون للندى يَرَوْنَ عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبَا
وهذان البيتان في قصيدة له:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصاري، عن محمود بن لَبِيد، عن عبد الله بن عَبَّاس، قال: قال سَلْمَان: فلما سمعتهَا أَخَذْتَنِي العُرَواء. قال ابن هشام: العُرَواء: الرُّعدة من البرد والانتفاض، فإن كان مع ذلك عَرَقَ فهي الرُّخضاء، وكلاهما ممدود - حتى ظننتُ أَنِّي سَأَسْقُطُ على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكنني لَكَمَّةٌ شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أَقْبِلْ على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أَسْتَشِيْبَه عما قال.

قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أُمسيْتُ أَخَذْتُهُ، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ - وهو بِقُبَاءٍ، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح،

من فقه حديث سلمان:

وذكر في آخر الحديث أنه جمع شَيْئًا، فجاء به النبي ﷺ - ليختبره: أياكل الصدقة، أم لا، فلم يَسْأَلْهُ رسول الله ﷺ - أَحَرُّ أنت أم عَبْدٌ، ولا: من أين لك هذا، ففي هذا من الفقه: قبول الهدية وترك سؤال المُهْدِي، وكذلك الصدقة.

ومعك أصحاب لك غُرباء ذَوُو حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة، فرأيتم أحق به من غيركم، قال: فقرّبه إليه، فقال رسول الله - ﷺ - لأصحابه: كلوا، وأمسك يده، فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال ثم انصرفت عنه، فجَمَعْتُ شيئاً، وتحول رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هَدِيَّةُ أَكْرَمَتِكَ بها. قال: فأكل رسول الله - ﷺ - منها، وأمر أصحابه، فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، قال: ثم جئت رسول الله - ﷺ - وهو ببَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قد تَبَعَ جِنَازَةَ رجلٍ من أصحابه، عَلَيَّ شَمْلَتَانِ لي، وهو جالس في أصحابه، فسَلَّمْتُ عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتمَ الذي وَصَفَ لي صاحبي، فلما رَأَيْتُ رسول الله - ﷺ - اسْتَذْبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي اسْتَبْتُ فِي شَيْءٍ وَصَفَ لي، فَأَلْقَى رِداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأَكْبَيْتُ عليه أَقْبَلَهُ، وَأَبْكِي. فقال لي رسول الله - ﷺ -: «تحول»، فتحوّلت فجلستُ بين يديه، فقصصت عليه حديثي، كما حَدَّثْتُكَ يا بن عَبَّاسٍ، فَأَعْجَبَ رسول الله - ﷺ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ. ثم شغل سَلْمَانَ الرَّقُّ حَتَّى وَفاته مع رسول الله - ﷺ - بَدْرٌ وَأُحُدٌ.

حكم الصدقة للنبي ومصدر مال سلمان:

وفي الحديث: مَنْ قُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ فَلْيَأْكُلْ وَلَا يَسْأَلْ. وذكر أبو عبيد في كتاب الأموال حديث سَلْمَانَ حُجَّةً عَلَى مَنْ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ، وَقَالَ: لَوْ كَانَ لَا يَمْلِكُ مَا قَبِلَ النَّبِيُّ - ﷺ - صَدَقَتَهُ، وَلَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا صَدَقَتَهُ. ذكر غير ابن إسحاق في حديث سَلْمَانَ الْوَجْهَ الَّذِي جَمَعَ مِنْهُ سَلْمَانٌ مَا أَهْدَى لِلنَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: قَالَ سَلْمَانٌ: كُنْتُ عَبْدًا لَامْرَأَةٍ، فَسَأَلْتُ سَيِّدَتِي أَنْ تَهَبَ لِي يَوْمًا، فَعَمَلْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى صَاعٍ أَوْ صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ، وَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ - ﷺ - فَلَمَّا رَأَيْتُهُ لَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، سَأَلْتُ سَيِّدَتِي أَنْ تَهَبَ لِي يَوْمًا آخَرَ، فَعَمَلْتُ فِيهِ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ هَدِيَّةً لِلنَّبِيِّ - ﷺ - فَقَبِلَهُ وَأَكَلَ مِنْهُ، فَبَيَّنَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْوَجْهَ الَّذِي جَمَعَ مِنْهُ سَلْمَانٌ مَا ذَكَرَ فِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَالصَّدَقَةُ الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ هِيَ الْمَفْرُوضَةُ دُونَ التَّطَوُّعِ، قَالَ الشَّافِعِيُّ، غَيْرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَمْ يَكُنْ تَحِلُّ لَهُ صَدَقَةُ الْفَرَضِ وَلَا التَّطَوُّعِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مَالِكٍ.

وقال الثوري: لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ فَفَرْضُهَا وَلَا نَفْلُهَا وَلَا لِمَوَالِيهِمْ، لِأَنَّ مَوَالِي الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، بِذَلِكَ جَاءَ الْحَدِيثُ. وقال مالك: تَحِلُّ لِمَوَالِيهِمْ، وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ أَبُو يُوسُفَ: لَا تَحِلُّ لِآلِ مُحَمَّدٍ صَدَقَةٌ غَيْرُهُمْ، وَتَحِلُّ لَهُمْ صَدَقَةٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

قال سَلْمَانُ: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كَاتِبُ يَا سَلْمَانُ فَكَاتِبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثَةِ نَخْلَةٍ أُخِيَّهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ، وَأَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً. فقال رسول الله ﷺ - لأصحابه: أَعِينُوا أَخَاكُمْ، فَأَعَانُونِي بِالنَخْلِ، الرَّجُلُ ثَلَاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بَعَشْرِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِخَمْسٍ عَشْرَةَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بَعَشْرٍ، يُعِينُ الرَّجُلَ بِقَدَرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثَةُ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقَّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَّغْتَ فَأَتِنِي، أَكُنْ أَنَا أَضْعُهَا بِيَدِي. قال: فَفَقَّرْتُ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَّغْتُ جِئْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مَعِيَ إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نَقْرُبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّةَ، وَيَضْعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِيَدِهِ، حَتَّى فَرَّغْنَا. فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ. قال: فَأَدَيْتُ النَخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ. فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ، مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمَكَاتِبُ؟» قال: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: «خُذْ هَذِهِ، فَأَذْهَبْ مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ». قال: قلت: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ؟ فقال: «خُذْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ». قال: فَأَخَذْتُهَا، فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا - وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ - أَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ مِنْهَا، وَعَتَقْتُ سَلْمَانًا. فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - الْخَنْدَقَ حُرًّا، ثُمَّ لَمْ يَقْنِي مَعَهُ مَشْهُدًا.

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ رَجُلٍ^(١) مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عَنْ سَلْمَانَ: أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا قُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ مِنَ الَّذِي عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَلَّبَهَا عَلَى لِسَانِهِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذْهَا فَأَوْفِيهِمْ مِنْهَا». فَأَخَذْتُهَا، فَأَوْفَيْتُهُمْ مِنْهَا حَقَّهُمْ كُلَّهُ، أَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً.

أول من مات بعد الهجرة:

وقول سَلْمَانَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ فِي جَنَازَةِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ. صَاحِبُهُ الَّذِي مَاتَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ: كُثْلُومُ بْنُ الْهِذْمِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ -. قال الطبري^(٢): أول من مات من أصحاب النبي ﷺ - بعد قدومه المدينة بأيام قليلة: كُثْلُومُ بْنُ الْهِذْمِ، ثُمَّ مَاتَ بَعْدَهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ.

فصل: وذكر ابن إسحاق في مكاتبة سلمان أنه فَقَّرَ لثَلَاثَةِ وَدِيَّةٍ أَيْ: حَفَرَ، وَأَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَضَعَهَا كُلَّهَا بِيَدِهِ، فَلَمْ تَمُتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ سَلْمَانَ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ سَلْمَانَ غَرَسَ بِيَدِهِ وَدِيَّةً وَاحِدَةً، وَغَرَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - سَائِرَهَا، فَعَاشَتْ كُلُّهَا إِلَّا الَّتِي غَرَسَ سَلْمَانُ. هَذَا مَعْنَى حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ.

(٢) تاريخ الطبري (١/ ٥٧١).

(١) مجهول.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمَر بن قَتادة، قال: حدثني مَنْ لا أَتَهُمْ^(١) عن عُمَر بن عبد العزيز بن مَزوان، قال: حَدَّثْتُ عن سلمان الفارسي: أَنه قال: لرسول الله - ﷺ - حين أَخبره خبره: إِنَّ صَاحِبَ عُمُورِيَّةَ قال له: أَثَبْتُ كَذَا وكَذَا من أَرْض الشام، فَإِنَّ بها رَجُلًا بَيْنَ غَيْصَتَيْنِ، يَخْرُجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ هَذِهِ الْغَيْصَةِ إِلَى هَذِهِ الْغَيْصَةِ مُسْتَجِيرًا، يَعْتَرِضُهُ ذَوُو الْأَسْقَامِ، فَلَا يَدْعُو لِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا شَفِي، فَاسْأَلْهُ عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي تَبْتَغِي، فَهُوَ يَخْبِرُكَ عَنْهُ، قَالَ سَلْمَانُ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ حَيْثُ وَصَفَ لِي، فَوَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا بِمَرْضَاهُمْ هُنَاكَ، حَتَّى خَرَجَ لَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، مُسْتَجِيرًا مِنْ إِحْدَى الْغَيْصَتَيْنِ إِلَى الْأُخْرَى، فَقَعَيْتِهِ النَّاسُ بِمَرْضَاهُمْ، لَا يَدْعُو لِمَرِيضٍ إِلَّا شَفِي، وَغَلَبُونِي عَلَيْهِ، فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلَ الْغَيْصَةَ الَّتِي يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ، إِلَّا مَنَكِبَةً. قَالَ: فَتَنَاولْتُهُ: فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَالتَفَتَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَخْبَرَنِي عَنِ الْحَنَيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ. قَالَ: إِنَّكَ لَتَسْأَلِنِي عَنْ شَيْءٍ مَا يَسْأَلُ عَنْهُ النَّاسُ الْيَوْمَ، قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ بِهَذَا الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ، فَأَتَيْتُهُ فَهُوَ يَحْمِلُكَ عَلَيْهِ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِسَلْمَانَ: لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي يَا سَلْمَانُ، لَقَدْ لَقِيتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

أَسْطُورَةُ نَزُولِ عِيسَى قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ:

فصل: وذكر عن داود بن الحُصَيْن قال: حَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَهُمْ عن عمر بن عبد العزيز قال: قال سلمان للنبي - ﷺ - وذكر خبرَ الرجل الذي كان يخرج مُسْتَجِيرًا مِنْ غَيْصَةٍ إِلَى غَيْصَةٍ، وَيَلْقَاهُ النَّاسُ بِمَرْضَاهُمْ، فَلَا يَدْعُو لِمَرِيضٍ إِلَّا شَفِي، وَأَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قال: «إِنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي يَا سَلْمَانُ، فَقَدْ رَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ». إِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ مَقْطُوعٌ، وَفِيهِ رَجُلٌ مَجْهُولٌ، وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ هُوَ الْحَسَنُ بْنُ عِمَارَةَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ بِإِجْمَاعٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّ صَحَّ الْحَدِيثَ^(٣)، فَلَا نَكَارَةَ فِي مَنِّهِ، فَقَدْ ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ بَعْدَمَا رَفَعَ، وَأُمُّهُ وَامْرَأَةٌ أُخْرَى عِنْدَ الْجُدْعِ الَّذِي فِيهِ الصَّلِيبُ يَتَكَيَّانِ، فَكَلِمَهُمَا، وَأَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلَ، وَأَنَّ اللَّهَ رَفَعَهُ وَأَرْسَلَ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ، وَوَجَّهَهُمْ إِلَى الْبِلَادِ، وَإِذَا جَازَ أَنْ يَنْزَلَ مَرَّةً جَازَ أَنْ يَنْزَلَ مَرَارًا، وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ حَتَّى يَنْزَلَ النَّزُولَ الظَّاهِرَ فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخُزَيْرَ

(١) مجهول.

(٢) «صحيح». أخرجه أحمد (٤٤١/٥ - ٤٤٤) وابن سعد في الطبقات (٥٣/١/٤) والجزري في أسد الغابة (٤١٧/٢) والطبراني (٦٠٦٥) والخطيب في تاريخ بغداد (١٩٤/١) وأبو نعيم في السِّير (٥٠٥/١).

(٣) لم يصح.

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحاق: واجتمعت قُرَيْش يومًا في عيدٍ لهم عند صنمٍ من أصنامهم، كانوا يعظمونه وَيَتَحَرَّوْنَ له، ويعكفون عنده، ويُديرون به، وكان ذلك عيدًا لهم، في كل سنة يومًا، فخلَصَ منهم أربعة نفر نجيا، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا، وليكنتم بعضكم على بعض، قالوا: أجل، وهم: وَرَقَةُ بن نُوْفَل بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيِّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤي، وعبيد الله بن جَحش بن رِثَاب بن يَعْمَر بن صَبْرَة بن مُرَّة بن كبير بن عَثَم بن دُودان بن أسد بن حُزَيْمَة، وكانت أمه أُمَيْمَة بنت عبد المطلب. وعثمان بن الحُوَيْرِث بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيِّ، وَزَيْد بن عمرو بن عُفَيْر بن نَفِيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَّاح بن رَزَّاح بن عدي بن كَعْب بن لُؤي، فقال بعضهم لبعض: تعلّموا والله ما قومكم على شيء! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم! ما حَجَرَ نُطيف به، لا يسمع ولا يُبصر، ولا يضُر ولا ينفع؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء، فافترقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم.

كما جاء في الصحيح والله أعلم، ويُروى أنه إذا نزل تزويج امرأة من جذام، ويدفن إذا مات في الروضة التي فيها النبي عليه السلام^(١).

ذكر حديث ورقة بن نوفل

فصل: وذكر حديث وَرَقَةَ بن نوفل، وعبيد الله بن جَحش، وعثمان بن الحُوَيْرِث، وَزَيْد بن عمرو بن نَفِيل وما تَنَاجَوْا به، وقال: زيد بن عمرو بن نفيل إلى آخر النسب، والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب: نَفِيل بن رِيَّاح بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَّاح بتقديم رِيَّاح على عبد الله، ورِيَّاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر، وزعم الدارقطني أنه رَزَّاح بالفتح، وإنما رِيَّاح بالكسر: رِيَّاح بن ربيعة أخو قُصَيِّ لأمه الذي تقدم ذكره.

الزواج من امرأة الأب في الجاهلية:

وأُم زيد هي: الحَيْدَاء بنت خالد القَهْمِيَّة، وهي امرأة جدّه نَفِيل ولدت له الحُطَّاب فهو

(١) أسطورة كما قال رحمه الله تعالى، أما كونه عليه السلام ينزل فيتزوج امرأة من جذام ويدفن في الروضة الشريفة فهذا كلام يفتقر إلى دليل «صحيح» يعتضده - والله أعلى وأعلم.

فَأَمَّا وَرَقَةُ بن نوفل فاستحكم في النصرانية، وَاتَّبَعَ الْكُتُبَ مِنْ أَهْلِهَا، حَتَّى عَلِمَ عِلْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَمَّا عُبَيْدُ اللَّهِ بن جَحْشٍ، فَأَقَامَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْتِبَاسِ حَتَّى أَسْلَمَ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَبْشَةِ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ مُسْلِمَةً، فَلَمَّا قَدِمَهَا تَنْصَرَّ، وَفَارَقَ الْإِسْلَامَ، حَتَّى هَلَكَ هُنَاكَ نَصْرَانِيًّا.

أَخُو الْخُطَابِ لَأُمِّهِ، وَابْنُ أَخِيهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مُبَاحًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِشَرْعٍ مُتَقَدِّمٍ^(١)، وَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْخُرُمَاتِ الَّتِي انْتَهَكُوهَا، وَلَا مِنَ الْعِظَائِمِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا، لِأَنَّهُ أَمْرٌ كَانَ فِي عَمُودِ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَكِئَانَةَ تَزُوجُ امْرَأَةَ أَبِيهِ خُرَيْمَةَ، وَهِيَ بَرَّةُ بِنْتُ مُرٍّ، فَوُلِدَتْ لَهُ النَّضْرُ بن كِنَانَةَ، وَهَاشِمٌ أَيْضًا قَدْ تَزُوجُ امْرَأَةَ أَبِيهِ وَافِدَةَ فَوُلِدَتْ لَهُ ضَعِيفَةٌ، وَلَكِنْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ عَمُودِ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لِأَنَّهُمَا لَمْ تَلِدْ جَدًّا لَهُ، أَعْنِي: وَاقِدَةَ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا مِنْ نِكَاحٍ لَا مِنْ سِفَاحٍ^(٢)، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النِّسَاءُ: ٢٢]. أَيْ: إِلَّا مَا سَلَفَ مِنْ تَحْلِيلِ ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ: وَفَائِدَةُ هَذَا الْإِسْتِثْنَاءِ الْأَيْعَابِ نَسَبُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَجْدَادِهِ مَنْ كَانَ لِعَيْتَةٍ^(٣) وَلَا مِنْ سِفَاحٍ. أَلَا نَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِي شَيْءٍ نَهَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ: إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرِبُوا الزِّنَا﴾ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٣٠] وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَى عَنْهَا إِلَّا فِي هَذِهِ، وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ قَدْ كَانَ مُبَاحًا أَيْضًا فِي شَرْعٍ مِّنْ قَبْلِنَا، وَقَدْ جَمَعَ يَعْقُوبُ بَيْنَ رَاحِيلَ وَأَخْتِهَا لِيَا فَقَوْلُهُ: إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ الْيَفَاتَةُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَتَنْبِيهِ عَلَى هَذَا الْمَغْزَى^(٤)، وَهَذِهِ النُّكْتَةُ لَقِئْتُنَاهَا مِنْ شَيْخِنَا الْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَرَبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَزَيْدٌ هَذَا هُوَ: وَالِدُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَحَدِ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمُ بِالْجَنَّةِ، وَأُمُّ سَعِيدٍ: فَاطِمَةُ بِنْتُ نَعْفَجَةَ بِنْتُ خُلْفِ الْخُرَاعِيِّ [عِنْدَ الزَّبِيرِ: بَعْفَجَةُ بِنْتُ أُمِّيَّةَ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْيَمْعَرِ بْنِ خَزَاعَةَ].

تفسير بعض قول ابن جحش:

وذكر قول عبد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة: ففُخْنَا وَصَاصُأْتُمْ، وشرح ففُخْنَا بقوله: ففُحَّحَ الْجُرُؤُ: إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، وَزَادَ: جَصَّصَ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَبُو

(١) أي شرع هذا الذي يبيح ما قاله. وانظر نسب قريش للزبير (١٧).

(٢) «ضعيف». أخرجه الطبري في تاريخه (٥٧/١١) وابن عساکر (٣٤٧/١) وابن أبي شيبه (٤٣٢/١) والبيهقي (١٩٠/٧) وابن سعد (٣٢/١/١) وغيرهم.

(٣) لغية: أي زنا.

(٤) الآية تحتل تفسيرًا آخر، فلا يقتصر على هذا بعينه.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير؛ قال: كان عبيد الله بن جحش - حين تنصّر - يَمُرُّ بأصحاب رسول الله ﷺ، وهم هنالك من أرض الحبشة، فيقول: فقُحْنَا وصَاصَاتُمْ، أي: أبصرنا وأنتم تلتَمسون البصر، ولم تُبصروا بعد، وذلك أن وَلَدَ الْكَلْبِ إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر، صَاصَا؛ لينظر. وقوله: فَقُحْ: فتح عينيه.

قال ابن إسحاق: وخَلَفَ رسول الله ﷺ بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حَرْب.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن علي بن حسين: أن رسول الله ﷺ بعث فيها إلى الثَّجَاشِيِّ عَمْرُو بن أُمَيَّة الضَّمَرِيِّ. فخطبها عليه النجاشي؛ فزوجه إياها، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمئة دينار. فقال محمد بن علي: ما نرى عبدَ الملك بن مَرْوان وَقَفَ صَدَاقَ النساءِ على أربعمئة دينار إلا عن ذلك. وكان الذي أملكها لِلنَّبِيِّ ﷺ خَالِدُ بن سعيد بن العاص.

قال ابن إسحاق: وأما عثمان بن الحَوِيرِث، فَقَدِمَ على قَيْصَرَ ملك الروم فتنصّر، وحسنت منزلته عنده. قال ابن هشام: ولعثمان بن الحَوِيرِث عند قيصَر حديثٌ، منعني من ذكره ما ذكرْتُ في حديث حرب الفِجَار.

عبيد: بَصُصَ بالباء حكاهما عن أبي زيد، وقال القالي: إنما رواه البصريون عن أبي زيد بياء منقوطة باثنتين، لأن الياء تبدل من الجيم كثيرا كما تقول: أيل وأجل، ولرواية أبي عبيد وَجْهٌ، وهو أن يكون بَصُصَ من البصيص، وهو البريق.

بعض الذين تنصّروا:

فصل: وذكر عثمان بن الحَوِيرِث مع زيد، وورقة وعبيد الله بن جحش، ثم قال: وأما عثمان بن الحويرث فإنه ذهب إلى الشام، وله فيها مع قيصَر خبر، ولم يذكر ذلك الخبر، وذكر البزقي عن ابن إسحاق أن عثمان بن الحَوِيرِث قَدِمَ على قيصَر، فقال له: إني أجعل لك خَرْجًا على قريش إن جاءوا الشام لتجارتهما، وإلا منعتهم، فأراد قيصَر أن يفعل فخرج سعيد بن العاصي بن أُمَيَّة وأبو ذئب، وهو: هشام بن شُعْبَة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نَصْر بن مالك بن جَسَل بن عامر إلى الشام، فأخذوا فحبسوا، فمات أبو ذئب في الحبس، وأما سعيد بن العاصي، فإنه خرج الوليد بن المغيرة، وهو أُمَيَّة فتخلصوه في حديث طويل، رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عُثْبَة بن المغيرة بن الأَخْنَس. وأبو ذئب الذي ذكر هو: جدُّ الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، يُكْنَى: أبا الحارث من فقهاء المدينة، وأمه بُرَيْهَةُ بنت عبد الرحمن بن أبي ذئب، وأما الزبير فذكر أن

قال ابن إسحاق: وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف، فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة، وقال: أعبد رب إبراهيم، وبأدى قومه بعيب ما هم عليه.

قيصر كان قد توج عثمان، وولاه أمر مكة، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى: ألا إن مكة حي لقاخ لا تدين لملك، فلم يتم له مراده، قال: وكان يقال له: البطريق، ولا عقب له، ومات بالشام مسموماً، سمه عمرو بن جفنة الغساني الملك.

اعتزال زيد بن عمر بن نفيل الأوثان:

فصل: وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طواغيتهم، وتركه أكل ما نُحر [على الأوثان] والنُصْب. روى البخاري عن محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا فضيل بن سليمان، قال: أخبرنا موسى، قال: حدثني سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر: أن النبي - ﷺ - لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح^(١) قبل أن ينزل على النبي - عليه السلام - الوحي، فقُدمت إلى النبي - ﷺ -، سُفرة أو قُدِّمها إليه النبي ﷺ، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض الكَلأ، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟! إنكاراً لذلك، وإعظاماً له^(٢). قال موسى بن سالم بن عبد الله: ولا أعلم إلا ما تُحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين، ويتبعه، فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم، وقال له إني لعلي أن أدين بدينكم، فأخبروني، فقال: لا تكون على ديننا، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، قال زيد: ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأتى أستطيعه، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد فلقي عالمًا من النصارى، فذكر مثله، فقال لن: تكون على ديننا، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله، ولا من غضبه شيئاً أبداً، وأتى أستطيع، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً، قال: وما الحنيف؟

(١) بلدح: وإد قبل مكة.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري في مناقب الأنصار. حديث رقم (٣٨٢٦).

قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ^(١). وقال الليث: كتب إلي هشام بن عُرْوَةَ عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيْل قائمًا مُسْنِدًا ظهرَه إلى الكعبة، يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري، وكان يُخَيِّي المَوءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أكفيك مؤنتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها^(٢). إلى هاهنا انتهى حديث البخاري. وفيه سؤال يقال: كيف وفق الله زيدًا إلى ترك أكل ما ذبح على النُصْب، وما لم يذكر اسمُ الله عليه، ورسول الله - ﷺ - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله؟ فالجواب من وجهين، أحدهما: أنه ليس في الحديث حين لقيه بِلَدَح، فَقُدِّمَتْ إِلَيْهِ السُّفْرَةُ أن رسول الله - ﷺ - أكل منها، وإنما في الحديث أن زيدًا قال حين قُدِّمَت السفرة: لا أكل مما لم يُذَكَر اسمُ الله عليه: الجواب الثاني: أن زيدًا إنما فعل ذلك برأي رآه، لا بشرع متقدم، وإنما تقدّم شرع إبراهيم بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذُبح لغير الله، وإنما نزل تحريمُ ذلك في الإسلام، وبعض الأصوليين يقولون: الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة^(٣)، فإن قلنا بهذا، وقلنا إن رسول الله - ﷺ - كان يأكل مما ذُبح على النصب، فإنما فَعَلَ أمرًا مُباحًا، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال، وإن قلنا أيضًا: إنها ليست على الإباحة، ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبائح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير، ونحو ذلك، مما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعه، حتى جاء الإسلام، وأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]. ألا ترى كيف بَقِيَتْ ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من الكُفْرِ، وعبادة الصُلبان، فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان مُحَلًا بالشرع المتقدم، حتى خَصَّه القرآن بالتحريم.

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار معلقًا - رقم (٣٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار معلقًا - رقم (٣٨٢٨).

(٣) الرأي الأول هو المقبول المتقبل من رسول الله ﷺ ويقول الخطابي: «كان النبي ﷺ لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام، ويأكل ما عدا ذلك، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه؛ لأن الشرع لم يكن نزل بعد، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يُذَكَر اسمُ الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة. انظر الفتح (١٣٧/٩).

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه، عن أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قال: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مُسْنِداً ظهره إلى الكعبة، وهو يقول: يا مَعشَرَ قريش، والذي نفسُ زيد بن عمرو بيده: ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيمٍ غيري، ثم يقول: اللَّهُمَّ لو أني أعلم أيَّ الوجوه أحبُّ إليك عَبْدتكَ به، ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب، وهو ابن عمه، قالوا لرسول الله ﷺ: أَسْتَغْفِرُ لزيد بن عمرو؟ قال: «نعم، فإنه يُبْعَثُ أُمَّةً وحده».

زيد وصغصعة والموءودة:

فصل: وذكر خبر الموءودة، وما كان زيد يفعل في ذلك، وقد كان صغصعة بن معاوية جدَّ الفرزدقٍ رحمه الله يفعل مثل ذلك، ولما أسلم سأل رسول الله ﷺ: هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصح الروايتين: «لك أجره إذا مَنَّ الله عليك بالإسلام»^(٢)، وقال المُبرِّد في الكامل عن النبي - ﷺ - كلاماً لم يصح لفظه ولا معناه، ولا يشهد له أصل. والأصول تشهد له بهذه الرواية التي ذكرناها؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم، وحسن إسلامه، كُتِبَ له كلُّ حسنة كان زَلَفَها، وهذا الحديث أخرجه البخاري، ولم يذكر فيه: كل حسنة كان زَلَفَها، وذكرها الدارقطني وغيره، ثم يكون القصاص بعد ذلك: الحَسَنَةُ بَعَثَ أمثالها، والموءودة مَفْعُولَةٌ من وَادَّه إذا أثقله قال الفرزدق:

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَا تِ، وَأَحْيَا الْوَتَيْدَ، فَلَمْ يُوَادِّ

يعني: جدُّه صغصعة بن معاوية بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجَاشِع. وقد قيل: كانوا يفعلون ذلك غَيْرَةً على البنات، وما قاله الله في القرآن هو الحق من قوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾^(٣) وذكر النقاش في التفسير: أنهم كانوا يَدُون من البنات، ما كان منهنَّ رَزَقَاءً^(٤) أو بَرَشَاءً^(٥) أو شِيَمَاءً^(٦) أو كَشْحَاءً^(٧) تشاؤماً منهم بهذه الصفات قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

(١) سيأتي في الشرح وهو عند البخاري.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير والبخاري. وفيه الطفيل بن عمرو التميمي. قال البخاري لا يصح حديثه.

وقال العقيلي لا يتابع عليه. قاله الهيثمي في المجمع (٩٥/١).

(٣) سورة الإسراء آية رقم (٣١). (٤) الزرقاء: العمياء.

(٥) البرشاء: مَنْ كان في وجهها نقط حمراء وأخرى سوداء.

(٦) الشيماء: مَنْ كثرت بها الشامات. (٧) الكشحاء: أي الكسحاء أو غير ذلك.

وقال زيد بن عمرو بن نُقَيْلٍ في فراق دين قومه، وما كان لَقِيَّ منهم في ذلك:

أَرَبُّا وَاجِدًا، أَمَ الْفَرْبُ	أَدِينُ إِذَا تُقْسِمْتَ الْأُمُورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعًا	كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصُّبُورُ
فَلَا الْعُزَّى، أَدِينُ وَلَا ابْنَتَيْهَا	وَلَا صَنَمَيَّ بَنِي عَمْرِو أُرُورُ
وَلَا هُبَلًا أَدِينُ، وَكَانَ رَبُّا	لَنَا فِي الدَّهْرِ إِذْ جِلْمِي يَسِيرُ
عَجِبْتُ. وَفِي اللَّيَالِي مُعْجَبَاتُ	وَفِي الْأَيَّامِ يَغْرِفُهَا الْبَصِيرُ
بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْنَى رَجَالًا	كَثِيرًا كَانَ شَأْنُهُمُ الْفُجُورُ
وَأَبْقَى آخَرِينَ بِبَرٍّ قَوْمُ	فَيَزِيلُ مِنْهُمْ الطِّفْلَ الصَّغِيرُ

العزى:

فصل: وذكر شِعْرَ زيد بن عمرو وفيه: عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعًا. فأما اللَّاتُ فقد تقدم ذكرها، وأما الْعُزَّى، فكانت نخلاتٍ مجتمعةً، وكان عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ قد أخبرهم - فيما ذكر - أَنَّ الرَّبَّ يُشْتَّى بِالطَّائِفِ عِنْدَ اللَّاتِ، وَيُصَيِّفُ بِالْعُزَّى، فَعَظَمُوهَا وَتَنَوَّاهَا بَيْتًا، وَكَانُوا يَهْدُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَهْدُونَ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَهِيَ الَّتِي بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِيَكْسِرَهَا، فَقَالَ لَهُ سَادَتُهَا: يَا خَالِدُ اخْذُهَا؛ فَإِنَّهَا تَجْدَعُ وَتُكْنَعُ^(١)، فَهَدَمَهَا خَالِدٌ وَتَرَكَ مِنْهَا جَذَمَهَا^(٢) وَأَسَاسَهَا، فَقَالَ قَيْمُهَا: وَاللَّهِ لَتَعُودَنَّ وَلَتَنْتَقِمَنَّ يَمُنُّ فَعَلَ بِهَا هَذَا، فَذَكَرَ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ لَخَالِدٍ: «هَلْ رَأَيْتَ فِيهَا شَيْئًا؟» فَقَالَ: لَا، فَأَمَرَهُ أَنْ يَرْجِعَ، وَيَسْتَأْصِلَ بِقَيْمَتِهَا بِالْهَدَمِ، فَارْجَعَ خَالِدٌ، فَأَخْرَجَ أُسَاسَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا امْرَأَةً سَوْدَاءَ مُتَنَفِّسَةَ الشَّعْرَ تَخْدِشُ وَجْهَهَا، فَقَتَلَهَا^(٣)، وَهَرَبَ الْقَيْمُ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا تُعْبِدِ الْعُزَّى بَعْدَ الْيَوْمِ. هَذَا مَعْنَى مَا ذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي الْمُبَعَثِ. وَذَكَرَهُ الْأَزْرَقِيُّ أَيْضًا وَرَزِينَ.

معنى يربل^(٤):

وقوله: فَيَزِيلُ مِنْهُمْ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ. أُلْفِيَتْ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ رَبِيلُ الطِّفْلُ يَزِيلُ

(١) تَكْنَعُ: الْكَافُ وَالنُّونُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَشْنِجٍ وَتَفْيِضٍ وَتَجْمَعُ. انْظُرْ مَقَائِيسَ اللُّغَةِ (١٤٢/٥).

(٢) جَذَمَهَا: أَصْلَهَا.

(٣) انْظُرْ أَحْمَدَ (٣٥١/٨٨/٤) وَسِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٣٧٠/١).

(٤) رَبِيلُ: الرِّاءُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَجْمَعٍ وَكَثْرَةٍ فِي انْضِمَامٍ. يُقَالُ: رَبِيلُ الْقَوْمِ يَزِيلُونَ. وَالرَّبِيلَةُ: السَّمَنُ. وَمِنْ الْبَابِ الرَّبِيلَةُ: بَاطِنُ الْفُخْدِ. وَامْرَأَةٌ مَرْبِيلَةٌ: كَثِيرَةُ اللَّحْمِ. مَقَائِيسُ اللُّغَةِ (٤٨٢/٢).

وَبَيْنَا الْمَرْءُ يَعْتُرُ ثَابَ يَوْمًا كَمَا يَتَرَوَّحُ الْغُضْنُ الْمَطِيرُ
وَلَكِنْ أَغْبَدُ الرَّحْمَنَ رَبِّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ الْغَفُورُ
فَتَقْوَى اللَّهُ رَبُّكُمْ أَحْفَظُوهَا مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا. لَا تَبُورُوا
تَرَى الْأَبْرَارَ. دَارُهُمْ جَنَّاتُ وَلِلْكَفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وَحِزْنِي فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا يُلَاقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضًا - قال ابن هشام: هي لأُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ في قصيدة له. إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتًا. وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق:

إذا شَبَّ وعظم. يرَبِّلُ بفتح الباء أي يكبر وينبت، ومنه أخذ تَرْبِيلُ الأرض. وقوله: كما يَتَرَوَّحُ الغصنُ: أي: يَنْبُتُ ورقه بعد سقوطه.

إعراب نعت النكرة المتقدم:

وقوله: وللکفار حامية سَعِير. نصب حامية على الحال من سَعِير؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال، وأنشد سيبويه في مثله:

لِمَيَّةَ مُوجِشًا طَلَلٌ^(١)

وأنشد أيضًا [لذي الرُّمَّة]:

وتحت العوالي والَقْنَا مُسْتَكِيئَةً ظِبَاءَ أَعَارَتْهَا الْعَيُونُ الْجَاذِرُ

والعامل في هذا الحال: الاستقراؤ الذي يعمل في الظرف، ويتعلق به حرف الجر، وهذا الحال على مذهب أبي الحسن الأَخْفَشِ لا اعتراض فيها؛ لأنه يجعلُ النكرة التي بعدها مرتفعةً بالظرف ارتفاعَ الفاعل، وأما على مذهب سيبويه، فالمسألة عسيرة جدًا؛ لأنه يلزمه أن يجعلها حالاً من المضمر في الاستقرار؛ لأنه معرفة، فذلك أولى من أن يكون حالاً من نكرة، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام، وبعد المرفوع كان ذلك فاسداً؛ لتقدم الحال على العامل المعنوي وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا.

(١) البيت ينسب لكثير عزة. وانظر أمالي ابن الحاجب.

إلى اللّهِ أَهْدِي مِذْحَتِي وَثَنَائِيَا
إلى المَلِكِ الأعلى الذي ليس فوقه
ألا أيها الإنسانُ إِيَّاكَ والرَّدَى^(١)
وإِيَّاكَ لا تَجْعَلْ مَعَ الله غَيْرَه
حَنَائِيكَ^(٢) إن الجن كانت رَجَاءَهُم
رَضِيْتُ بِكَ - اللَّهُم - رَبِّا فلن أَرَى
وأنت الذي مِنْ فَضْلٍ مَنْ وَرَحْمَةٍ
فقلت له: يا أَذْهَبَ وهارون فاذْعُوا
وقولا له: أَأَنْتَ سَوَّيْتَ هذه
وقولا له: أَأَنْتَ رَفَعْتَ هذه
وقولا له: أَأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسَطَهَا
وقولا له: مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةً
وقولا له: مَنْ يُثَبِّتُ الحَبَّ في الثَّرَى
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ في رءوسه
وأنت بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسَا
وإني لو سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا
فَرَبَّ العِبَادِ أَلْتِي سَيِّبَا وَرَحْمَةً

وَقَوْلَا رَضِيْنَا لا يَنْبِي الدَّهْرَ بَاقِيَا
إِلَهَ، وَلَا رَبُّ يَكُونُ مُدَانِيَا
فإِنَّكَ لا تَخْفِي مِنْ اللّهِ خَافِيَا
فإنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بِإِدِيَا
وأَنْتَ إِلَهِي رَبَّنَا وَرَجَائِيَا
أَدِينُ إِلَهَا غَيْرِكَ اللّهُ ثَانِيَا
بعثت إلى موسى رسولا مُنَادِيَا
إلى الله فِرْعَوْنَ الذي كان طَاغِيَا
بلا وَتَدٍ، حتى اطمأْنَنْتُ كما هِيَا
بلا عَمَدٍ، أَرْفَقُ - إِذَا - بِكَ بَانِيَا
مُنِيرَا، إِذَا مَا جَاءَهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
فَيُضِيحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الأَرْضِ ضَاخِيَا
فَيُصْبِحُ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا
وفي ذاك آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
وقد بات في أضعاف حُوبٍ لِيَالِيَا
لأَكْثَرِ - إِلا مَا غَفَرْتَ - خَطَائِيَا
عليّ، وبارك في بَنِيّ وَمَالِيَا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمي.

قال ابن هشام: واسم الحضرمي: عبدُ الله أحد الصَّدَفِ، واسم الصَّدَفِ: عمرو بن مالك أحد السُّكُونِ بن أَشْرَسَ بن كِنْدِيٍّ، ويقال: كِنْدَةُ بنُ ثَوْرٍ بن مُرْتَعٍ بن عُفَيْرٍ بن عَدِيٍّ بن الحارث بن مُرَّةَ بن أَدَا بن زيد بن مِهْسَعٍ بن عمرو بن عَرِيبٍ بن زيد بن كَهْلَانَ بن سَبَأَ، ويقال: مُرْتَعٍ بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

من معاني شعر زيد:

فصل: وأنشد أيضًا لزيد: إلى الله أَهْدِي مِذْحَتِي وَثَنَائِيَا. وفيه: ألا أيها الإنسانُ إِيَّاكَ

(١) الردى: الموت.

(٢) حنائيك: أي حنان بعد حنان. مقياس اللغة (٢/٢٥).

والرَّذَى. تحذير من الردى، والردى هو الموت، فظاهر اللفظ متروك، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت، ويبيده ويكشفه من جزاء الأعمال؛ ولذلك قال: فإنك لا تخفي من الله خافيًا. وفيه:

وإني وإن سَبَحْتُ باسمك رَبَّنَا لَا أَكْثِرُ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَايَا

معنى البيت: إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك رَبَّنَا إِلَّا مَا غَفَرْتَ «وما» بعد إلا زائدة، وإن سبحت: اعتراض بين اسم إن وخبرها، كما تقول: إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك رَبَّنَا إِلَّا وَالله يغفر لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، أي: لا أعتمد وإن صليت إِلَّا على دعائك واستغفارك من خطاياي.

تفسير حنائيك:

وقوله: حَنَائِيكَ بلفظ التثنية، قال النحويون: يريد حنانًا بعد حنان، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد. قال المؤلف رحمه الله: ويجوز أن يريد حنانًا في الدنيا، وحنانًا في الآخرة، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طَرْفَة:

أبا مُنْذِرٍ أَقْنَيْتَ فَاسْتَبْتِي بَعْضَنَا حَنَائِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فإنما يريد: حنانًا دَفْع، وحنان تَفْع؛ لأن كل مَنْ أَمَلْ ملكًا، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضَيْرًا، أو ليجلب إليه خيرًا^(١).

شريعة أدين:

وقوله: فلن أرى أدين إلَها. أي: أدين لإلَهِ، وحَذَف اللامَ وعدَى الفعل؛ لأنه في معنى: أعبد إلَها.

حول اسم الله:

وقوله: غيرك اللُّهُ برفع الهاء، أراد: يا الله، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء، ألا ترى أنك تقول: يَا أَيُّهَا الرجل، ولا ينادى اسم الله بَيَّأُهَا، وتقطع همزته في النداء، فتقول: يا الله، ولا يكون ذلك في اسمٍ غيره إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرفة،

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/٢٥).

ولعل بعض ذلك أن يُذكر فيما بعد - إن شاء الله - وقد استوفيناه في غير هذا الكتاب، وفيه بيت حسن لم يذكره ابن إسحق، وذكره أبو الفرج^(١) في أخبار زيد وهو:

أدين إلها يُستجار، ولا أرى أدين لمن لم يسمع الدهر داعيا

حذف المنادى مع بقاء الياء:

وفيه: فقلت: ألا يا اذهب على حذف المنادى، كأنه قال: ألا يا هذا اذهب، كما قرئ: ألا يا اسجدوا، يريد: يا قوم اسجدوا، وكما قال غيلان^(٢):

ألا يا اسلمي يا دار مَيَّ على البلى

وفيه: اذهب وهارون، عطفاً على الضمير في اذهب، وهو قبيح إذا لم يؤكد، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيداً.

تصريف اطمأنت وأشياء:

وقوله: اطمأنت كما هيا، وزنه افلَعَلْتُ، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف، لأنه من تطأمن أي: تطأطأ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل، فتكون أخف عليهم في اللفظ كما فعلوا في أشياء حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فرازا من تقارب الهمزتين. كما هيا. ما: زائدة لِتَكْفُ الكاف عن العمل، وتهيتها للدخول على الجمل، وهي: اسم مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: كما هي عليه، والكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دلّ عليه، اطمأن، كما تقول: سِرْتُ مثلَ سير زيد؛ فمثلُ حالٍ من سَيرِكَ الذي سرتَه، وفيه: أَرْفُقْ إِذَا بك بانيًا. أَرْفُقْ تعجب، وبك في موضع رفع لأن المعنى: رَفُقْتُ، وبانيًا تمييز، لأنه يصلح أن يجز بمن، كما تقول: أَحْسِنْ بزيدٍ مِنْ رجلٍ، وحرف الجز متعلق بمعنى التعجب؛ إذ قد علم أنك متعجب منه، وَلَبَسْتُ هذا المعنى وكشفه موضع غير هذا - إن شاء الله - وبعد قوله:

وقد بات في أضعاف حُوتٍ لِياليا

بيت لم يذكره ابن إسحق، ووقع في جامع ابن وهب وهو:

وأنبت يَقْطِيطِنَا^(٣) عليه بِرَحْمَةٍ من الله لولا ذاك أصبح ضاحيا

(١) هو الأصبهاني في كتابه «الأغاني».

(٢) هو غيلان بن عقبة المعروف بذئ الزمة.

(٣) البقطين: كل نبت ينسبط على ظهر الأرض. ومنه القرع وغيره.

قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، فكانت صفية بنت الحضرمي كلما رآته قد تهيأ للخروج، وأرادته؛ أذنت به الخطاب بن نفيل، وكان الخطاب ابن نفيل عمه وأخاه لأمه، وكان يُعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وكل صفية به، وقال: إذا رأيته قد همَّ بأمر فأذيني به - فقال زيد:

لا تَحْبِسِينِي فِي الْهَوَا	نِ صَفِيٍّ مَا دَابِي وَدَابُّهُ
إِنِّي إِذَا خِفْتُ الْهَوَا	نَ، مُشَيِّعٌ ذُلُّ رِكَابِهِ
دُعْمُوصُ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ	كُ وَجَائِبُ لِلْخَرْقِ نَابِهِ
قَطَّاعُ أَسْبَابِ تَذِلِ	بَغِيرِ أَقْرَانِ صِعَابِهِ
وإِنَّمَا أَخَذَ الْهَوَا	نَ الْعَيْرُ إِذْ يُوهَى إِهَابِهِ
وَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَذِلُّ	بِصَكِّ جَنْبِيهِ صَلَابِهِ
وَأَخِي ابْنُ أُمِّي، ثُمَّ عَمُّ	يَ لَا يُؤَاتِينِي خُطَابِهِ
وَإِذَا يُعَاتِبُنِي بِسُوءِ	ءِ قُلْتُ: أَعْيَانِي جَوَابِهِ
وَلَوْ أَشَاءَ لَقُلْتُ: مَا	عِنْدِي مَفَاتِحُهُ وَبَابِهِ

قال ابن إسحاق: وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل: أن زيدا إذا كان استقبال الكعبة داخل المسجد، قال: لِيَكْ حَقًّا حَقًّا، تَعْبُدًا وَرِقًّا^(١).

صفية بنت الحضرمي:

وذكر صفية بنت الحضرمي، واسم الحضرمي: عبد الله بن عمار^(٢)، وسيأتي ذكر نسبها عند ذكر أخيها بغد.

الدعوموص والخرم في الشعر:

وقوله: دُعْمُوصُ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ. يريد: ولأجأ في أبواب الملوك، وأصل الدعوموص: سمكة صغيرة كَحَيَّةِ الْمَاءِ، فاستعاره هنا، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة يرفعه: صغاركم دَعَامِصُ الْجَنَّةِ^(٣)، وكما استعارت عائشة العصفور حين نظرت إلى طفل صغير قد مات،

(١) فيه مجاهيل.

(٢) وقيل عباد، وقيل عماد وهو الصواب. قاله الخشني وابن الدباغ.

(٣) «صحيح». أخرجه مسلم في البر والصلة (١٥٤) وأحمد (٤٨٨/٢) والبخاري في الأدب (١٤٥) =

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ، مُسْتَقْبِلَ الْقَبِيلَةِ، وَهُوَ قَائِمٌ إِذْ قَالَ:

أَتْنِي لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمٌ مَهْمَا تُجَشِّنُنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ
الْبِرُّ أَبْغِي لَا الْخَال لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ:

الْبِرُّ أَبْقَى لَا الْخَال لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ
قَالَ: وَقَوْلُهُ: «مُسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةِ» عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ.
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا
دَحَاهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ، أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا
إِذَا هِيَ سَيَقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ أَطَاعَتْ، فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالَا

فَقَالَتْ: طُوبَى لَهُ عَصْفُورٍ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يَدْرِيكَ؟ إِنْ اللَّهُ خَلَقَ الْجَنَّةَ، وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَ النَّارَ، وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا»^(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ خَزَمٌ فِي مَوْضِعَيْنِ، أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ:

وَلَوْ أَشَاءَ لَقُلْتُ مَا عِنْدِي مَفَاتِحُهُ وَيَابَهُ
وَالْآخِرُ قَوْلُهُ:

وَأِنَّمَا أَخَذَ الْهَوَانَ الـ عَيْرُ إِذْ يُوهَى إِيَابَهُ
وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُ هَذَا فِي شِعْرِ ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ، وَتَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ هُنَاكَ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ. وَقَوْلُهُ:
وَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَذِلُّ أَيُّ: يَقُولُ الْعَيْرُ ذَلِكَ بِصُكِّ جَنْبَيْهِ صِلَابَتُهُ، أَيُّ: صِلَابٌ مَا يَوْضَعُ عَلَيْهِ،
وَأَضَافَهَا إِلَى الْعَيْرِ لِأَنَّهَا عَيْنُهُ وَحَمَلَهُ.

لِفُغَوِيَّاتٍ وَنَحْوِيَّاتٍ:

وَذَكَرَ قَوْلُهُ: الْبِرُّ أَبْغِي لَا الْخَال قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْبِرُّ أَبْغِي: بِالنَّصَبِ، وَالْخَالُ:

= وَالْبَيْهَقِيُّ (٦٧/٤).

(١) «صَحِيحٌ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْقَدْرِ (٣١/١٠) وَأَحْمَدُ (٤١/٩).

وكان الخطاب قد آذى زيداً، حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل جرّاءً مقابل مكة، ووكل به الخطّابُ شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم، فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سراً منهم، فإذا علموا بذلك، آذّنوا به الخطّاب، فأخرجوه، وأدّوه كراهيةً أن يُفسد عليهم دينهم، وأن يُتابعه أحدٌ منهم على فراقه. فقال - وهو يعظّم حُرّمته على مَنْ استحلّ منه ما استحل من قومه:

لَا هُمْ إِنِّي مُحَرِّمٌ لَا حِلَّهَ وَإِنْ بَنَيْتِي أَوْسَطَ الْمَحِلَّةِ
عِنْدَ الصَّفَا لَيْسَ بَذِي مَضْلَةٍ

ثم خرج يطلب دينَ إبراهيم عليه السلام، ويسأل الرهبان والأخبار، حتى بلغ الموصِلَ والجزيرة كلّها، ثم أقبل فجال الشّامَ كلّهُ، حتى انتهى إلى راهبٍ بِمَيْقَعَةٍ من أرض البَلْقَاءِ، كان ينتهي إليه عِلْمُ أهلِ النّصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفيّة دين إبراهيم، فقال: إنك لتطب ديناً ما أنت بواجِدٍ مَنْ يَحْمِلُكَ عليه اليومَ، ولكن قد أظَلَّ زمانُ نبيٍّ يخرج من بلادك التي خرجت منها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفيّة، فالْحَقَّ بها، فإنه مبعوثُ الآن، هذا زمانه، وقد كان شامُ اليهوديّة والنّصرانيّة، فلم يَرْضَ شيئاً منهما، فخرج سريعاً، حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكة، حتى إذا توسّط بلاد لَحْمٍ، عَدَوْا عليه فقتلوه - فقال وَرَقَةُ بن نوفل بن أسد يكيه:

رَشَدْتَ، وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو، وَإِنَّمَا
بِدِينِكَ رَبُّا لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ
وإِذْ رَأَيْتَكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرِيمٍ مُقَامُهَا
ثَلَاثِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا، وَلَمْ تَكُنْ
وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ
تَجَنَّبْتَ ثَنُورًا مِنَ النَّارِ حَامِيَا
وَتَرَكْتَ أَوْثَانَ الطَّوَاعِي كَمَا هِيَا
وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِيَا
تُعَلِّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيَا
مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى النَّارِ هَاوِيَا
وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَاوِيَا

قال ابن هشام: يُروى لَأُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ البيتان الأولان منها، وآخرها بيتاً في قصيدة له. وقوله: «أوثان الطواغي» عن غير ابن إسحق.

الخِيَلَاءُ وَالْكِبَر: وقوله: ليس مُهَجَّر كَمَنْ قال، أي: ليس مَنْ هَجَّر وَتَكَيَّسَ، كَمَنْ آثَر القائلة والنوم، فهو من: قال يَقِيل؛ وهو ثلاثي، ولكن لا يُتَعَجَّب منه. لا يقال: ما

أقبله!! قال أهل النحو: استَعْتَزَا عنه: بما أئومه، ولذكر السر في امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا. وقول زيد: إني مُخْرِمٌ لا حِلَّةَ. مُخْرِمٌ أي: ساكن بالحرَم، والحِلَّةُ: أهلُ الحِلِّ. يقال للواحد والجميع: حِلَّةٌ. ذكر لقاء زيد الراهب بِمِنْفَعَةٍ هكذا تقيد في الأضل بكسر الجيم من مِنْفَعَةٍ، والقياس فيها: الفتح؛ لأنه اسمٌ لموضعٍ أخذ من اليَفَاع، وهو المرتفع من الأرض. وقوله: شامَّ اليهوديةَ والنصرانية، هو فاعل من الشَّمَّ كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النَّسَّابةَ من قُضَاعَةٍ، ثم انصرف، فقال له النَّسَّابةُ: شامَّمتنا مُشَامَّةُ الذئبِ الغنم، ثم تنصرف. في حديث ذكره أبو علي في النوادر، ومعناه: استَخَبَرَ، فاستعاره من الشم، فنصب اليهوديةَ والنصرانيةَ نَصَبَ المفعول، ومن خفض جعل شامَّ اسم فاعل من شَمَّمت، والفعل أولى بهذا الموضع، كما تقدم، وقول ورقة: رَشِدْتَ وأنعمت ابن عمرو، أي: رَشِدْتَ وبالغت في الرشد، كما يقال: أَمَعَنْتَ النظر وأنعمته، وقوله: ولو كان تحت الأرض سبعين وادياً بالنصب. نصب سبعين على الحال، لأنه قد يكون صفةً للنكرة، كما قال: فلو كنت في جُبٍّ ثمانين قامة وما [يكون] صفة للنكرة يكون حالاً من المعرفة، وهو هنا حال من البعد، كأنه قال: ولو بَعُدَ تحت الأرض سبعين. كما تقول: بَعُدَ طويلاً، أي: بعداً طويلاً، وإذا حذفت المصدر، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالاً، وقد تقدم قولُ سيبويه في ذلك في مسألة: ساروا رُوَيْدًا ونحو هذا: داري خَلْفَ دارِكِ قَرْسَخًا، أي: تقرب منها قَرْسَخًا إن أردت القرب، وكذلك إن أردت البعد، فالبعد والقرب مقدَّران بالفرسخ، فلو قلت: داري تقرب منك قريباً مقدَّراً بفرسخ، لكان بمنزلة مَنْ يقول: قُرْبًا كثيرًا أو قليلًا، فالفرسخ موضوع موضع كثير أو قليل فإعرابه كإعرابه، وكذلك قول الشاعر:

لا تعجبوا فلو أن طول قَنَاتِهِ مِيلٌ إذا نظم القَوَارِسَ مِيلًا

أي: نظمهم نظمًا مستطيلًا، ووضع ميلًا موضعَ مُسْتَطِيلًا، فإعرابه كإعرابه، فهو وَصِفٌ للمصدر، وإذا أقيم الوصفُ مقام الموصوف في هذا الباب لم يكن حالاً من الفاعل، لكن من المصدر الذي يدلُّ الفعلُ عليه بلفظه نحو: ساروا طويلاً، وسقيتها أحسنَ من سَقِي إبلِك، ونحو ذلك.

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

قال ابن إسحق: وقد كان - فيما بلغني عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله ﷺ، مما أثبت يُحَنَس الحواري^(١) لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله - ﷺ - إليهم أنه قال: «مَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ الرَّبَّ، وَلَوْلَا أَنِّي صَنَعْتُ بِحَضْرَتِهِمْ صَنَائِعَ لَمْ يَصْنَعُوا أَحَدًا قَبْلِي، مَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ، وَلَكِنْ مِنَ الْآنَ بَطِرُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ يَعْزُونَنِي، وَأَيْضًا لِلرَّبِّ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ الَّتِي فِي الثَّامُوس: أَنَّهُمْ أَبْغَضُونِي مَجَانًا، أَي: بَاطِلًا. فَلَوْ قَدْ جَاءَ الْمُتَحَمِّمُ هَذَا الَّذِي يُرْسِلُهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، وَرُوحُ الْقُدُسِ هَذَا الَّذِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ خَرَجَ، فَهُوَ شَهِيدٌ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ أَيْضًا؛ لِأَنَّكُمْ قَدِيمًا كُنْتُمْ مَعِيَ فِي هَذَا، قُلْتُ لَكُمْ: لَكَيْمًا لَا تَشْكُوا.

يحنس الحواري

فصل: وذكر يُحَنَسُ الْخَوَارِيَّ وَسَيَاتِي فِي آخِرِ الْكِتَابِ ذَكَرَ الْخَوَارِيَّيْنَ كُلَّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَذَكَرَ قَوْلَهُ: أُنْغَضْتُمُونِي مَجَانًا، أَي: بَاطِلًا، وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي الْحِكْمَةِ: يَا بَنَ آدَمَ عَلَّمَ مَجَانًا، كَمَا عَلَّمْتَ مَجَانًا، أَي: بِلَا ثَمَنِ، وَفِي وَصَايَا الْحُكَمَاءِ: شَاوِرْ ذَوِي الْأَسْنَانِ وَالْعُقُولَ يُعْطُوكَ مِنْ رَأْيِهِمْ مَجَانًا مَا أَخَذُوهُ بِالْثَمَنِ، أَي: بِطُولِ التَّجَارِبِ، وَمِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ - ﷺ - يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِقَفْظٍ^(٢) وَلَا غَلِيظٍ^(٣)، وَلَا سَخَابٍ^(٤) فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَذْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْإِلَهَ الْعُجُوجَاءَ، فَيَفْتَحَ بِهِ غِيُونًا غُمِيًّا وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا؛ بَأَن يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(٥).

من صفات النبي عند الأخبار

ومما وجد من صفته - ﷺ - عند الأخبار ما ذكره الواقدي^(٦) من حديث النعمان

- (١) هو يوحنا صاحب أحد الأناجيل الأربعة المنسوبة زورًا وبهتانًا إلى عيسى عليه السلام. وانظر معنى الكلام في إنجيل يوحنا ١ صحاح رقم (١٥-١٦). وانظر في صفة النبي ﷺ في العهدين القديم والجديد. انظر نظرات في إنجيل برنابا - وإظهار الحق لرحمت الله الهندي.
- (٢) أي ليس سيئ الخلق جافيًا.
- (٣) أي: ليس غليظ القلب.
- (٤) سخاب: بتشديد الخاء بعد السين وهي لغة في سخاب - أثبتها الفراء وغيره. والصخاب أشهر وهو الذي يرفع صوته على الناس لسوء خلقه.
- (٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٦/٦) وانظر شرح القسطلاني (٤/ ٥١-٥٢).
- (٦) تقدمت ترجمته غير مرة وهو ضعيف.

والمُتَحَمِّمًا بالسُّرْيَانِيَّة: محمد: وهو بالرومية: البَرْقَلِيطُس، صَلَّى الله عليه وآله وسلم.

التَّيْمِي. قال: وكان من أحبار يهودَ باليمن، فلما سمع بذلك النبي - ﷺ - قَدِمَ عليه، فسأله عن أشياء، ثم قال: إن أبي كان يختم على سِفْرِ، ويقول: [لا تقرأه] على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بِبَثْرَب، فإذا سَمِعْتَ به فافتحه. قال نعمان: فلما سَمِعْتُ بك فتحت السفر، فإذا فيه صِفَتُكَ كما أراك الساعة، وإذا فيه: ما تُحِلُّ وما تُحَرِّم، وإذا فيه: إنك خيرُ الأنبياء وأمتك خير الأمم، واسمك: أحمد، وأمتك الحامدون. قُزبانهم: دماؤهم، وأناجيلهم: صُدُورُهم، وهم لا يحضرون قتالاً إلا وجبريلُ معهم، يتَخَنَّنُ الله عليهم كَتَخَنَّنَ النَّسْر على فراخه، ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه، وآمِنْ به، وصدِّق به، فكان النبي - ﷺ - يحب أن يسمع أصحابه حديثه، فأتاه يوماً، فقال له النبي - ﷺ -: «يا نُعْمَانُ حَدِّثْنَا»، فابتدأ النعمانُ الحديث من أوله، فَرُوِّيَ رسول الله - ﷺ - يومئذ يتبسّم، ثم قال: «أشهد أني رسول الله، وهو الذي قتله الأسودُ العنسيُّ، وقطَّعه عضواً عضواً، وهو يقول: إن محمداً رسولُ الله، وإنك كذاب مُفْتَرٍ على الله، ثم حَرَّقَه بالنار».

مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً

قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِي^(١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمِطْلَبِيِّ قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا، وَكَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ قَبْلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصَدِيقِ لَهُ، وَالنَّصْرِ لَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا ذَلِكَ إِلَى كُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَقَهُمْ، فَأَذَوْا مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ فِيهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ

كتاب المبعث

متى بعث رسول الله؟

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله - ﷺ - بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام، وهذا مَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقَبَاثِ بْنِ أَشِيمٍ، وَعَطَاءِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ صَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْعِلْمِ بِالْأَثَرِ، وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ نُبِيُّ الْأَرْبَعِينَ وَشَهْرَيْنِ مِنْ مَوْلَدِهِ، وَقِيلَ لِقَبَاثِ بْنِ أَشِيمٍ: مَنْ أَكْبَرُ، أَنْتَ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا أَسْنُ مِنْهُ، وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَامَ الْفِيلِ، وَوَقَفَتْ بِي أُمِّي عَلَى رَوْثِ الْفِيلِ وَيُرْوَى: خَزَقِ الطَّيْرُ، فَرَأَيْتَهُ أَخْضَرَ مُجِيلًا، أَيْ: قَدْ أَتَى عَلَيْهِ حَوْلٌ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةِ الْبَكَّائِيِّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ لِبَلَالٍ: لَا يَفُتِّكَ صِيَامُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ؛ فَإِنِّي قَدْ وُلِدْتُ فِيهِ، وَبُعِثْتُ فِيهِ، وَأَمُوتَ فِيهِ^(٢).

(١) تقدمت ترجمته مرارًا وهو ضعيف. وانظر البداية (٢/٢٨٤) / الكامل (١/٥٧٥) / تاريخ الطبري (١/٥٢٨) / المتظم (١/٣٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام (١٩٧) من حديث أبي قتادة. بنحوه.

مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴿١﴾: أَيُّ ثَقُلَ مَا حَمَلْتُمْ مِنْ عَهْدِي: ﴿قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢﴾ [آل عمران: ٨١] فَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ جَمِيعًا بِالتَّصَدِيقِ لَهُ، وَالنَّصْرِ لَهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، وَأَذَوْا ذَٰلِكَ إِلَىٰ مَنْ آمَنَ بِهِمْ، وَصَدَقَهُمْ مِنْ أَهْلِ هَٰذِينَ الْكِتَابِينَ.

قال ابن إسحاق: فَذَكَرَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ: أَنَّ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَقُلُقِ الصَّبْحِ. قَالَتْ: وَحَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ الْخُلُوةَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ ^(١).

إِعْرَابٌ لِمَا آتَيْتُكُمْ ^(٢):

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الْآيَةُ. وَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ: اسْمٌ مُبْتَدَأٌ بِمَعْنَى: الَّذِي، وَالتَّقْدِيرُ: لِلَّذِي آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَىٰ إِضْمَارِ فِعْلٍ، كَمَا يَنْتَصِبُ مَا يَشْتَغِلُ عَنْهُ الْفِعْلُ بِضَمِيرِهِ، لِأَنَّ مَا بَعْدَ اللَّامِ الثَّانِيَةِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا قَبْلُهَا، وَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ مَا قَبْلَهُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِمَا يَعْمَلُ فِيهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَا هَذِهِ شَرْطٌ. وَالتَّقْدِيرُ: لَهُمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ سَيِّبُوهِ، لِأَنَّهُ جَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ: إِنْ، وَقَوْلِ الْخَلِيلِ: إِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الَّذِي، أَيُّ: إِنَّهَا اسْمٌ لَا حَرْفٍ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ قَوْلَيْهِمَا عَلَىٰ هَٰذَا، فَتَكُونُ اسْمًا، وَتَكُونُ شَرْطًا، وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ عَلَىٰ قَوْلِ الْخَلِيلِ: خَبْرِيَّةٌ فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَيَكُونُ الْخَبَرُ: لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، وَإِنْ كَانَ الضَّمِيرَانِ عَائِدَيْنِ عَلَى الرَّسُولِ، لَا عَلَى الَّذِي، وَلَكِنْ لَمَّا قَالَ: رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ، ارْتَبَطَ الْكَلَامُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَاسْتَغْنَى بِالضَّمِيرِ الْعَائِدِ عَلَى الرَّسُولِ عَنْ ضَمِيرِ يَعُودُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، وَلَهُ نَظِيرٌ فِي التَّنْزِيلِ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤] خَبْرُهُ: يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ، وَلَمْ يَعُدْ عَلَى الْمُبْتَدَأِ شَيْءٌ، لِتَشَبُّثِ الْكَلَامِ بِبَعْضِهِ بِبَعْضٍ، وَقَدْ لَاحَ لِي بَعْدَ نَظَرِي الْكِتَابَ أَنَّ الَّذِي قَالَهُ الْخَلِيلُ وَقَوْلُ سَيِّبُوهِ قَوْلٌ وَاحِدٌ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: وَدَخَلَ اللَّامُ عَلَى مَا، كَدَخُولِهَا عَلَى إِنْ، يَعْنِي: فِي الْجَزَاءِ، وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَعْمَلَ مَا جَزَاءٍ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ عَلَى اللَّامِ خَاصَّةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) «صحيح». أخرجه البخاري في بدء الوحي (٣) ومسلم في الإيمان (٢٥٢) وأحمد (١٥٣/٦).

(٢) وانظر «ما من به الرحمن» للعكبري.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الملك بن عُبَيْد الله بن أَبِي سُفْيَان بن العَلَاء ابن جارية الثَّقَفِيّ، وكان واعيةً، عن بعض أهل العلم:

أن رسول الله - ﷺ - حين أراد الله بكرامته، وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أَبْعَدَ حتى تَحَسَّرَ عنه البيوت، ويُفْضِي إلى شِعَاب مكة ويطون أوديتها، فلا يمرُّ رسول الله - ﷺ - بحجر ولا شَجَر، إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. قال: فالتفت رسول الله - ﷺ - حوله، وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة. فمكث رسول الله - ﷺ - كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله، وهو بحراء في شهر رمضان^(١).

النبوة وأولو العزم:

وذكر قول ابن إسحاق: والنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهل القوة والعزم من الرُّسُل، ووقع في رواية يونس عن ابن إسحاق في هذا الموضع عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت وهب بن مُثَنِّب وهو في مسجد مني - وذكر له يونس النبي - ﷺ - فقال: كان عبدًا صالحًا، وكان في خُلُقهِ ضيق، فلما حُمِلت عليه أثقالُ النبوة، ولها أثقال تَفْسُخُ تحتها تَفْسُخُ الرُّبْع^(٢) تحت الحمل الثقيل، فألقاها عنه وخرج هاربًا، وفي رواية عن ابن إسحاق: إن أولي العزم من الرُّسُل منهم: نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ أما نوحٌ فلقوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّ كُنْتُ عَلَيْكُمْ مُّقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٧١] وأما هود فلقوله: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤] وأما إبراهيم، فلقوله هو والذين معه: ﴿إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء^(٣).

أول ما بُدِئ به النبي ﷺ من النبوة:

فصل: وذكر ابن إسحاق: ما بدىء به النبي - ﷺ - من النبوة، إذ كان لا يمرّ بحجر، ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، وفي مصنّف التَّزْمِيذِي ومسلم أيضًا أن رسول الله - ﷺ - قال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن يَنْزَلَ عَلَيَّ»^(٤)، وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذي كان يُسَلَّم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم:

(١) أخرجه الطبري بنحوه في تاريخه (٥٢٩/١) من حديث برة بنت أبي نجرة.

(٢) الرُّبْع: الفصيل.

(٣) والأشهر أن أولي العزم هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٤) «صحيح». أخرجه مسلم في الفضائل (٢) وأحمد (٨٩/٥) والدارمي (١٢/١).

قال ابن إسحاق: وحدثني وهب بن كيسان، مولى آل الزبير. قال: سمعتُ عبد الله بن الزبير وهو يقول لعُبَيْد بن عُمَيْر بن قَتَادَةَ اللَّيْثِي: حَدَّثْنَا يَا عُبيد، كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين جاءه جبريل عليه السلام؟ قال: فقال عبيد - وأنا حاضرٌ يُحدث عبد الله بن الزبير، ومَنْ عنده من الناس: كان رسول الله ﷺ يُجاور في حِراء من كلِّ سنة شهرًا، وكان ذلك مما تَحَنَّنَ به قريشٌ في الجاهلية. والتَّحَنَّنُ: التَّبَرُّزُ.

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وَنُورٍ وَمَنْ أَرْسَى نَبِيرًا مَكَائِهِ وراقٍ لِيَرْقَى فِي حِراءٍ وَنَازِلٍ

قال ابن هشام: تقول العرب: التَّحَنُّنُ والتَّحَنُّفُ، يريدون الحَنيفِيَّةَ فيُبدِلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جَدَفٌ وَجَدْتُ، يريدون القبر. قال رؤبة بن العجاج^(١):

لو كان أَخْجَارِي مع الْأَجْدَافِ

يريد: الأجداث: وهذا البيت في أرجوزة له. وبيت أبي طالب في قصيدة له، سَأَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ في موضعها.

الأظهر فيه أن يكون حقيقةً، وأن يكون الله أنطقاً إنطاقاً كما خلق الحنين في الجذع، ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت: عَرَضٌ في قول الأكثرين، ولم يخالف فيه إلا النُّطَامُ، فإنه زعم أنه جِسْمٌ، وجعله الأشعري اضطكاكاً في الجواهر بعضها لبعض، وقال أبو بكر بن الطيب: ليس الصوت نفس الاضطكاك، ولكنه معنى زائد عليه، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا، ولو قُدِّرَتِ الكلام صفةً قائمة بنفس الحجر والشجر، والصوت عبارة عنه، لم يكن بُدٌّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام، والله أعلم: أي ذلك كان، أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم، فيكون الحجر به مؤمناً، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة؟ وفي كلا الوجهين هو عِلْمٌ من أعلام النبوة، وأما حنين الجذع فقد سُمِّيَ حنيناً، وحقيقة الحنين يقتضي شرط الحياة، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن، يَغْمُرُونَهَا، فيكون مجازاً من قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ والأول أظهر، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها عِلْمٌ على نبوته - عليه السلام - غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تَحَدَّى به الخلق، فعجزوا عن معارضته.

(١) انظر ديوانه (ص ١٠٠).

قال ابن هشام: وحَدَّثني أبو عُبيدة أن العرب تقول: قُم، في موضع: ثُم، يبدلون الفاء من الثاء.

قال ابن إسحاق: حَدَّثني وهب بن كَيْسان قال: قال عُبيد [بن عمير]: فكان رسول الله ﷺ يجاور ذات الشهر من كل سنة، يطعم مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره، من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة،

مدلول تفعل:

وذكر حديث عُبيد بن عُمَيْر أن رسول الله - ﷺ - كان يجاور بغار جزاء ويتَحَنَّن فيه، قال: والتَحَنَّن: التَّبَرُّزُ. تَفَعَّلَ من البرِّ، وتَفَعَّلَ: يقتضي الدخول في الفعل، وهو الأكثر فيها مثل: تَفَقَّهَ وتَعَبَّدَ وتَنَسَّكَ وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء وأطراحه، كالتَّائِبِ والتَّحَرُّجِ. والتَحَنَّنُ بالثاء المثلثة، لأنه من الحِثِّ، وهو الحِثْلُ الثَّقِيلُ، وكذلك التَّقَدُّرُ، إنما هو تَبَاعُدٌ عن الْقَدَرِ، وأما التَّحَنُّنُ بالفاء، فهو من باب التَّبَرُّزِ؛ لأنه من الحَنِيفَةِ دين إبراهيم، وإن كان الفاء مُبْدَلَةً من الثاء، فهو من باب التَّقَدُّرِ والتَّائِبِ، وهو قول ابن هِشَام، واحتَجَّ بِجَذَفٍ وَجَدَثَ، وأنشد قول رُؤبة: لو كان أَخْجَارِي مع الْأَجْدَافِ، وفي بيت رُؤبة هذا شاهدٌ وردَّ على ابن جُنِّي حيث زعم في سِرِّ الصَّنَاعَةِ أن جَذَفَ بالفاء لا يجمع على أَجْدَافٍ، واحتَجَّ بهذا لمذهبه في أن الثاء هي الأصل، وقول رُؤبة ردُّ عليه، والذي نذهب إليه أن الفاء هي الأصل في هذا الحرف، لأنه من أَجَذَفَ وهو الْقَطْعُ، ومنه مِجَذَافُ السفينة، وفي حديث عمر في وصف الجنِّ: شرابهم الْجَذَفُ وهي الرُّغْوَةُ، لأنها تُجَذَفُ عن الماء، وقيل: هي نبات يقطع ويؤكل. وقيل: كل إناء كشف عنه غطاؤه: جَذَفَ، وَالْجَذَفُ: القَبْرُ من هذا، فله مادة وأصل في الاشتقاق، فأجْدِرُ بأن تكون الفاء هي الأصل والثناء داخله عليها.

حول مجاورته في حراء:

وقوله: يُجاور في حراء إلى آخر الكلام. الجوار بالكسر في معنى المجاورة وهي الاعتكاف، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد كذلك قال ابن عبد البر، ولذلك لم يُسمَّ جواره بِحِراءٍ اعتكافاً، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم، وهو الجبل الذي نادى رسول الله - ﷺ - حين قال له تَبَيَّرْ وهو على ظهره: اهبط عني؛ فإني أخاف أن تُقْتَلَ على ظهري فأعذَّب، فناده حراء: إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(١).

(١) قصة من حاجة إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سَبْعًا، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك، الشهر: شهر رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «فجاءني جبريل، وأنا نائم،

كيفية الوحي:

فصل: وذكر نزول جبريل على رسول الله - ﷺ - قال: في الحديث: فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره: فهبيت من نومي، فكأنما كُتِبَتْ في قلبي كتابًا، وليس ذكرُ النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ، كان في اليقظة؛ لأنها قالت في أول الحديث: أول ما بُدِئَ به رسول الله - ﷺ -: الرؤيا الصادقة، كان لا يرى رؤيًا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاءه الحق، وهو بغار حراء، فجاءه جبريل. فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - ﷺ - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة تَوْطئةً وتيسيرًا عليه ورفقًا به، لأن أمر النبوة عظيم، وعِبْؤُها ثَقِيل، والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإبراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه، وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله - ﷺ - وكل به إسرافيل، فكان يترأى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي^(١)، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه - ﷺ - في أحوال مختلفة، فمنها: النوم كما في حديث ابن إسحق، وكما قالت عائشة أيضًا: أول ما بدىء به رسول الله - ﷺ -: الرؤيا الصادقة^(٢) وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إني أرى في المنام أني أذنبُك فانظرْ ماذا ترى﴾ فقال له ابنه: ﴿افعلْ ما تؤمر﴾ [الصفات: ١٠٢]، فدلَّ على أن الوحي كان يأتيهم في المنام، كما يأتيهم في اليقظة.

ومنها: أن يُنْفَثَ في رُوعه الكلام نُفْثًا، كما قال عليه السلام: إن رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي أن نفسًا لن تموت، حتى تستكملَ أجلها ورزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب^(٣)

(١) بل الذي وكل به من البداية هو جبريل عليه السلام كما صرح بذلك القرآن وجاءت به السنة الصحيحة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «صحيح». أخرجه البغوي في شرح السنة (٣٠٤/١٤) وفي مسند الشهاب (١١٥٢/١١٥١) وابن عبد البر في التمهيد (٢٨٤/١).

وقال مجاهد، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخْيًا﴾ [الشورى: ٥١]. قال هو أن يَنْقُثَ في رُوعه بالوحي.

ومنها: أن يأتيه الوحي في مثل صَلَصلةِ الْجَرَسِ، وهو أشدُّه عليه، وقيل: إن ذلك لَيَسْتَجِمِعُ قلبه عند تلك الصلصلة، فيكون أوعى لما يسمع، وأَلْقَنَ لما يلقي.

ومنها: أن يتمثل له الملك رجلاً، فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة، ويروى أن دحية إذا قَدِمَ المدينة لم تبق مُعَصِرٌ^(١) إلا أخرجت تنظر إليه لفرط جَماله. وقال ابن سلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة: ١١]. قال: كان اللهو نَظَرَهُم إلى وجه دحية لجماله^(٢).

ومنها: أن يترأى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها، له ستمائة جناح، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت.

ومنها: أن يكلمه الله من وراء حجاب: إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء، وإما في النوم، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي، قال: أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: فِيمَ يختصم المَلَأُ الأعلى، فقلت: لا أدري. فوضع كَفَّهُ بين كتفَيَّ، فوجدت بَرَدَهَا بين ثُنْدَوَتَيَّ^(٣) وتجلى لي علم كل شيء، وقال: يا محمد، فِيمَ يختصم المَلَأُ الأعلى، فقلت: في الكفارات، فقال: وما هُنَّ؟! فقلت: الوضوء عند الكريهات، وتَقْلُ الأقدام إلى الحسنات، وانتظار الصلوات بعد الصلوات، فَمَنْ فعل ذلك عاش حَمِيدًا، ومات حَمِيدًا، وكان من ذنبه كَمَنْ ولدته أمُّه، وذكر الحديث^(٤). فهذه ستة أحوال، وحالة سابعة قد قَدِمْنَا ذَكَرَهَا، وهي نزول إسرائيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل فهذه سبعُ صور في كيفية نزول الوحي على محمد - ﷺ - لم أرَ أحدًا جمعها كهذا الجَمْع، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غُثَّة، وقد أَمَلِينَا أيضًا في حقيقة رؤيته عليه السلام ربَّه في المنام على أحسن صورة، ويروى: على صورة شاب مسألةً بديةً كاشفةً لقناع اللُبْس، فلنُنَظِرَ هنالك.

(١) المعصر: المرأة الشابة.

(٢) أحد التفسير.

(٣) ثندوتي: لحمه الثدي.

(٤) «حسن». أخرجه الترمذي (٣٢٣٤) وأحمد (٣٦٨/١) والطبراني (٣٤٩/٨) والطبري في تفسيره (١٩٢/٧) وابن أبي عاصم في السُّنة (٢٠٤/١).

بَنَمَطٍ مِنْ دِيْبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَعَفَّنِي بِهِ، حَتَّى ظَنَنْتُ

مِنْ تَفْسِيرِ حَدِيثِ الْوَحْيِ:

فصل: وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بَنَمَطٍ^(١) من ديباج فيه كتاب، فقال: اقْرَأْ، قال بعض المفسرين في قوله: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال: اقْرَأْ، وفي الآية أقوال غير هذه، منها: أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه: أَلَمْ؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله، فهي كالترجمة له.

معنى اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ:

وقوله: ما أنا بقارىء، أي: إني أُمِّيٌّ، فلا أقرأ الكتب، قالها ثلاثاً ف قيل له: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، أي: إنك لا تقرؤه بِخَوْلِكَ، ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك، ولكن اقْرَأْ مُفْتَحاً بِاسْمِ رَبِّكَ مُسْتَعِيناً بِهِ، فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك عَلَقَ الدَّمِ، وَمَغَمَزَ الشَّيْطَانَ بَعْدَمَا خَلَقَهُ فِيكَ، كما خلقه في كل إنسان^(٢). والآيتان المتقدمتان لمحمد، والآخرتان: لأُمته، وهما قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ لأنها كانت أُمَّةً أُمِّيَّةً لَا تَكْتُبُ، فصاروا أهل كتاب، وأصحاب قلم، فتعلّموا القرآن بالقلم، وتعلّمه نبيهم تلقيناً من جبريل نزله على قلبه بإذن الله، ليكون من المرسلين.

حول بسم الله:

فصل: وفي قوله: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ من الفقه: وجوب استفتاح القراءة بسم الله الرحمن الرحيم، غير أنه أمرٌ مُبْتَهَمٌ لم يبين له بأي اسم من أسماء ربه يفتح، حتى جاء البيان بعد في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبِهَا﴾ [هود: ٤١] ثم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه بسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك، وما ذكره البخاري من مصحف الحسن البصري، فشدوذ، فهي على هذا من القرآن، إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن، ولا يلتزم قول الشافعي أنها آية من كل سورة، ولا أنها آية من الفاتحة، بل نقول: إنها آية من كتاب الله تعالى، مقترنة مع السورة، وهو قول داود وأبي حنيفة، وهو

(١) نمط: وعاء.

(٢) قلت: وفيه أيضاً أي أقرأ الكتاب وهذا القرآن باسم الذي أنزله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وأنت تعرف يا محمد من هو ربك إنه ﴿رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ واعلم يا محمد أن ﴿رَبِّكَ هُوَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وها هو تعالى يُمَنُّ عليك بهذا القرآن ويعلمك إياه من طريق جبريل القوي الأمين. والله أعلى وأعلم.

أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فَعَنِّي به، حتى ظننت أنه الموت. ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ماذا أقرأ؟ قال: فَعَنِّي به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿اقرأ باسم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: قال: فقرأتها، ثم انتهى، فانصرف عني، وهبئت من نومي، فكأنما كُتِبَتْ في قلبي كتابًا. قال: فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسط من الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله، وأنا

قول بَيْنَ القوة لَمَنْ أنصف، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سَبَّحت الجبال، فقالت قريش: سَحَرَ محمد الجبال ذكره النقاش^(١)، وإن صَحَّ ما ذكره، فلمعنى ما سَبَّحت عند نزولها خاصة، وذلك أنها آية أنزلت على آل داود، وقد كانت الجبال تسبِّح مع داود، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨] وقال: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]^(٢).

وفي الحديث ذكر نَمَطَ الديباج من الكتاب، وفيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أُمته مُلْكُ الأعاجم، ويسلبونهم الديباجَ والحرير الذي كان زِيَهُمْ وزِيَّتَهُمْ، وبه أيضًا ينال مُلْكُ الآخرة ولباسُ الجنة وهو الحرير والديباج، وفي سِيَرِ موسى بن عقبة، وسِيَرِ سليمان بن المعتمر زيادة، وهو أن جبريلَ أتاه بُدْرُوكُ^(٣) من ديباج مَنسُوج بالدُّر والياقوت، فأجلسه عليه، غير أن موسى بن عقبة قال: ببساط، ولم يقل: دُرُوك، وقال في سِيَرِ ابن المعتمر: إن الله تعالى أنزل عليه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الآيات، كأنه يشير به، فمسح جبريلُ صدره، وقال: اللَّهُمَّ اشْرَحْ صدره، وارفع ذكره، وضع عنه وِزْرَهُ، وبصَحَّح ما رواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الآيات، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذي كان من جبريل، والله أعلم.

الغُط:

وقوله في الحديث: فَعَنَّنِي، وَوَرَوَى: فَسَأَبَنِي، وَيُرَوَّى: سَأَتَنِي، وأحسبه أيضًا يُرَوَّى: قَدَعَنَنِي وكلها بمعنى واحد، وهو الخُتْق والغَم، ومن الدُّعَتِ حديثه الآخر: أن الشيطان عرض له، وهو يصلي قال: قَدَعْتُهُ، حتى وجدت بُرْدَ لِسَانِهِ على يدي، ثم ذكرت قول أخي

(١) قوله: «وحيث نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سَبَّحت الجبال فقالت قريش: سحر محمد الجبال». قول في حاجة إلى دليل صحيح يعتضده.

(٢) تأويل بعيد.

(٣) الدرودك: ضرب من البسط.

سليمان: «رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي» الحديث^(١)، وكان في ذلك إظهاراً للشدة والجِد في الأمر، وأن يأخذ الكتاب بقوة، ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهَوْنَتَى، وقد انتزع بعض التابعين وهو شُرَيْحُ القاضي من هذا: أَلَا يُضْرَبُ الصَّبِي عَلَى الْقُرْآنِ إِلَّا ثَلَاثًا كَمَا غَطَّ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحَمَّدًا - ﷺ - ثَلَاثًا، وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك في نومه^(٢) كان، يكون في تلك الغَطَّاتِ الثلاث من التأويل ثلاثُ شذائد، يُبْتَلَى بِهَا أَوَّلًا، ثم يأتي الفرج والرَّوْح، وكذلك كان لَقِيَّ هو وأصحابه، شدة من الجوع في شِغْبِ الْخَيْفِ، حين تعاقدت قريش ألا يبيعوا منهم، ولا يتركوا ميرةً تصل إليهم، وشدة أخرى من الخوف والإبعاد بالقتل، وشدة أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه، ثم كانت العاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين.

ما أنا بقارىء:

وقوله في حديث ابن إسحاق: اقرأ، قال: ما أقرأ، يحتمل أن تكون ما استفهاماً، يريد: أي شيء أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفيًا، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي، أي: ما أحسن أن أقرأ، كما تقدم من قوله: ما أنا بقارىء^(٣).

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٢٤/١) ومسلم في المساجد (٣٩) وأحمد (٢٩٨/٢) وأبو عوانة (١٤٤/٢) والبيهقي في شرح السنة (٢٩٩/٣).

(٢) بل في البيضة كما جاءت الرواية في الصحيحين وغيرهما.

(٣) قلت: ويلحظ أن قوله ﷺ: «ما أنا بقارىء» جاء بصيغة اسم الفاعل: أي أنه ليس من صفاتي القراءة. كما في قوله تعالى حكاية عن الشيطان قوله يوم القيامة: «وما أنا بمصرخكم» أي ليس من صفاتي أن أغيثكم أو أساعدكم، وكما في قوله تعالى عن السحرة: «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله» فليس من صفاتهم الضر، إنما هو بإذن الله تعالى، وكما نفى أخوة يوسف عن أنفسهم تهمة السرقة فلم يقولوا وما نحن بالذين يسرقون، ولكنهم قالوا: «وما نحن بسارقين» أي إننا لم نسرق بالأمس ولن نسرق اليوم ولن نكون سارقين غداً «فما نحن بسارقين» فنفوا تهمة السرقة عنهم بصيغة اسم الفاعل، وهكذا النبي محمد ﷺ لما لم يكن قد قرأ بالأمس ولم يكن وعداً للقراءة اليوم أو غداً لفقده مقومات القراءة قال: «ما أنا بقارىء»، فلذلك قال له جبريل عليه السلام «اقرأ» ولكن ليس بقوتك أنت ولا بصفاتك وإعدادك ولكن «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم». فقرا - ﷺ -.

جبريل. قال: فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قَدَمَيْهِ في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أضرب وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتُ كذلك، فما زلتُ واقفاً ما أتقدم أمامي، وما أرجع ورائي، حتى بعثت خديجةً رُسَلَهَا في طلبي، فبلغوا أعلى مكة، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني.

وانصرفت راجعاً إلى أهلي، حتى أتيت خديجةً، فجلست إلى فخذاها مُضِيغاً إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رُسُلِي في طلبك، حتى بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدثتها بالذي رأيتُ، فقالت: أبشر يا بن عمِّ واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

رؤية جبريل ومعنى اسمه:

وذكر رؤيته لجبريل، وهو صافٍ قدميه، وفي حديث جابر أنه رآه على رَفْرَفٍ^(١) بين السماء والأرض، ويُروى: على عرش بين السماء والأرض، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين قَتَرَ عنه الوحي، كان يأتي شواهد الجبال يهَمُّ بأن يلقي نفسه منها، فكان جبريل يَتَرَاءَى له بين السماء والأرض، يقول له: أنت رسول الله، وأنا جبريل^(٢). واسم جبريل سُزْيَانِي، ومعناه: عبد الرحمن، أو عبد العزيز. هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً، والوقف أصله. وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله، وهو: إبل، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة، وكذلك الإضافة في كلام العجم، يقولون في غلام زيد: زيد غلام، فعلى هذا يكون إبل عبارة عن العبد، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى، ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل، كما تقول: عبد الله وعبد الرحمن، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد، والأسماء ألفاظها مختلفة.

حول معنى إل وخرافة الرهبان:

وأما إل بالتشديد من قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾ [التوبة: ١٠] فَحَذَارٍ حَذَارٍ من أن تقول فيه: هو اسم الله، فتسمى الله باسم لم يُسَمَّ به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى

(١) الرُفْرَف: ضرب من البساط. والحديث أخرجه الترمذي في التفسير سورة (٥٣) وأحمد في مسنده (١/٣٩٤/٤١٨/٤٤٤). وانظر البخاري في التفسير سورة رقم (٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في التعبير حديث رقم (٩٩٨٢) وهو في ثانيا حديث بدء الوحي السابق.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصّر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ، أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قُدوس قُدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقول لي: فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة، فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت،

معرفة، و«إل» نكرة، وحاشا لله أن يكون اسمه نكرة^(١)، وإنما الأُل كل ما له حُرمة وحق، فِيمَا له حق ويجب تعظيمه: القرابة والرحم والجوار والعهد، وهو من أُلّت: إذا اجتهدت في الشيء وحافظت عليه، ولم تضيعه، ومنه: الأُل في السير وهو الجد، ومنه قول الكميت [يصف رجلاً]:

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءَ مُجْدِبَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَلِيهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ

يريد: اجتهدت في الدعاء، وإذا كان الأُل بالفتح المصدر، فالإل بالكسر: الاسم كالذبح في الذبح، فهو إذا الشيء المحافظ عليه، وقول الصديق: [عن كلام مُسَلِّمَةَ]: هذا كلام لم يخرج من إل ولا بر، أي: لم يصدر عن ربوبية، لأن الربوبية حقها واجب مُعْظَم، وكذلك فسره أبو عبيد، واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه، وإن كان أعجميًا، فإن الجبر هو إصلاح ما وهى، وجبريل موكل بالوحي، وفي الوحي إصلاح ما فسد، وجبر ما وهى من الدين، ولم يكن معروفًا بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبي ﷺ خديجة به انطلقت تسأل من عنده علم من الكتاب كَعَدَّاسِ وَنَسْطُورِ الرَّاهِبِ، فقال لها: قُدُوسٌ قُدُوسٌ! أتى لهذا الاسم أن يُذكر في هذه البلاد، وقد قدّمنا هذا الخبر عنها، وهو في سِيرِ التَّيْمِيِّ لما ذكرناه قبل، وفي كتاب الْمُعْطِي عن أشهب قال: سُئِلَ مَالِكٌ عَنِ التَّسْمِي بِجَبْرِيلَ أَوْ مَنْ يُسَمِّي بِهِ وَلَدَهُ، فَكَرِهَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَعْجِبْهُ.

(١) بل من أسمائه تعالى أنه «أحد» كما في سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ولكن هذا الاسم إذا أطلق في حال الإثبات فإنما يختص بالله عز وجل وحده، ألا ترى لما قال بلال رضي الله عنه وهو يُعَذَّبُ: «أَحَدٌ أَحَدٌ» فهم الكفار أنه يعني - يعني - الله تعالى - وأما إذا جاء هذا الاسم أو هذه اللفظة في النفي أو الإضافة فهي تعم وتشمل كما في نهاية السورة نفسها، وفي حال الإضافة كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ وكقوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرَقِكُمْ﴾. انظر للمحقق القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى.

فأخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكدبته ولتؤذيته، ولتخرجه، ولتقاتله، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه، فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله^(١).

قال ابن إسحاق: وحديثي إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير: أنه حدث^(٢) عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: «نعم». قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريل عليه السلام، كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ لخديجة: «يا خديجة، هذا جبريل قد جاءني»، قالت: قم يا بن عم فاجلس على فخذي اليسرى، قال: فقام رسول الله ﷺ - فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قالت: فتحول، فاجلس على فخذي اليمنى، قالت فتحول رسول الله ﷺ، فجلس على فخذه اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قالت: فتحول فاجلس في حجري، قالت: فتحول رسول الله ﷺ - فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قال: فتحسرت وألقت خمارها - ورسول الله ﷺ جالس في حجرها -، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: «لا»، قالت: يا بن عم، أثبت وأبشر، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان.

قال ابن إسحاق: وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث، فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أنني سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين دزعهما، فذهب عند ذلك جبريل، فقالت لرسول الله ﷺ: إن هذا لملك، وما هو بشيطان.

معنى الناموس:

وقول ورقة: لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى. الناموس: صاحب سر المملك، قال بعضهم: هو صاحب سر الخير، والجاسوس: هو صاحب سر الشر، وقد فسره أبو عبيد وأنشد:

فأبلغ يزيد إن عرضت ومُنذِرًا عَمَهُمَا والمُسْتَشِيرُ المُنَامِسَا^(٣)

(١) أخرجه البخاري (٣٧/٩) ومسلم (١٣٩/١) وأحمد (٢٣٣/٢٣٢/٦) مع اختلاف يسير.

(٢) فيه انقطاع.

(٣) المنامس: أي الداخل في الناموس. والييت للكمت كما في اللسان (٢٤٤/٦).

لَمْ ذَكَرَ مُوسَى وَلَمْ يَذْكُرْ عِيسَى:

وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى، وهو أقرب، لأن وَرَقَةً كان قد تنصّر، والنصارى لا يقولون في عيسى: إنه نبيّ يأتيه جبريلُ، إنما يقولون فيه: إن أَقْتُومًا^(١) من الأَقَانِيم الثلاثة اللَّاهُوتِيَّة حلَّ بناشوت^(٢) المَسِيح، واتَّخَذَ به على اختلافٍ بينهم في ذلك الحلول، وهو أَقْتُومُ الكلمة، والكَلِمَةُ عندهم: عبارة عن العلم، فلذلك كان المَسِيح عندهم، يعلم الغيب، ويخبر بما في غد، فلما كان هذا من مذهب النصارى الكَذِبَة على الله، المدَّعين المحال، عدل عن ذكر عيسى إلى ذكر موسى لعلهم، أو لاعتقاده أن جبريلَ كان ينزل على موسى، لكن وَرَقَةً قد ثبت إيمانه بمحمد عليه السلام^(٣) وقد قدّمنا حديث الترمذي أن رسول الله - ﷺ - رآه في المنام، وعليه ثياب بيضٍ إلى آخر الحديث^(٤).

حول هاء السكت والفعل تدرِك:

وقول ورقة: لَتَكْذِبُنَّ، وَلَتَوُذِّبُنَّ، ولا يُنطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت، وليست بهاء إضمار. وقوله: إن أدرك ذلك اليوم أنصرك نصرًا مُؤَزَّرًا، وقال في الحديث: إن يُدركني يومك وهو القياسُ، لأن ورقةً سابقٌ بالوجود، والسابق هو الذي يُذكره مَنْ يأتي بعده. كما جاء في الحديث: أشقى الناس مَنْ أدركته الساعة وهو حيّ، ورواية ابن إسحق أيضًا لها وَجْهٌ، لأن المعنى: أترى ذلك اليوم، فسَمِيَ رؤيته إدراكًا، وفي التنزيل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٥) أي: لا تراه على أحد القولين. وقوله: مُؤَزَّرًا من الأَزَر وهو القوة والعون.

شرح: أو مخرجي؟

فصل: وفي حديث البخاري أن رسول الله - ﷺ - قال لورقة: أَوْ مُخْرِجِيْ هَمْ. لا بُدَّ من تشديد الياء في مخرجي، لأنه جمع، والأصل مُخْرِجُوِي فَأذْغَمَتِ الْوَاوُ فِي الْيَاءِ وهو خبر ابتداء مقدّم، ولو كان المبتدأ اسمًا ظاهر الجاز تخفيف الياء، ويكون الاسم الظاهر فاعلاً لا مبتدأ، كما تقول: أضراب قومك، أخرج إخوانك قَتَرْد، لأنك رفعت به فاعلاً، وهو حَسَنٌ في مذهب سيبويه والأخفش، ولولا الاستفهام ما جاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش، فإنه يقول: قائم الزيدون دون استفهام، فإن كان الاسم المبتدأ من الْمُضَمَّرَات نحو: أخرج أنت،

(١) أَقْتُومًا: أي أصل من الأصول الثلاثة.

(٢) أي بجسد المسيح عليه السلام.

(٣) لم يثبت هذا.

(٤) تقدم تخريجه وبيان ضعفه.

(٥) سورة الأنعام آية رقم (١٠٣).

وأقائم هو؟ لم يصح فيه إلا الابتداء، لأن الفاعل إذا كان مُضْمَرًا لم يكن منفصلاً لا تقول: قام أنا، ولا ذهب أنت وكذلك لا تقول: أذهب أنت على حدّ الفاعل ولكن على المبتدأ، وإذا كان على حدّ المبتدأ، فلا بدّ من جمع الخبر، فعلى هذا تقول: أَمْخَرَجِيْ هُم، تريد: مخرجون، ثم أضف إلى الباء، وحذف النون، وأدغمت الواو كما يقتضي القياس.

حول اليافوخ والذهاب إلى ورقة:

فصل: وذكر أن ورقة بن نوفل لَقِيَ النبي عليه السلام، فقبل يافوخه قد تقدّم ذكر اليافوخ، وأنه يَفْعُول مهموز، وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يشتدّ وإنما يقال له: الغاذية، وذكرنا قول العجاج:

صَرَبَ إِذَا أَصَابَ الْيَافِيخَ حَقَرٌ. ولو كان يافوخ فاعولاً، كما ظن بعضهم لم يجز همزة في الواحد. ولا في الجمع وفي رواية يونس عن ابن إسحق بسنده إلى أبي ميسرة عمرو بن شَرْخِيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً، وقد خشيتُ والله أن يكونَ لهذا أمرٌ». قالت: مَعَاذَ اللَّهِ ما كان الله ليفعلَ ذلك بك. فوالله إنك لتؤذي الأمانة وتصل الرحم. وتصدّق الحديث، فلما دخل أبو بكر، وليس [عندها] رسول الله - ﷺ - ثم ذكرت خديجة له ذلك، فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله - ﷺ - أخذ أبو بكر بيده. فقال: انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل. فقال: «ومن أخبرك؟» قال: خديجة، فانطلقا إليه، فقصّا عليه، فقال: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي: يا محمد يا محمد، فانطلق هارباً في الأرض». فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فاثبت، حتى تسمع ما يقول لك. ثم اثنتي، فأخبرني، فلما خلا ناداه: يا محمد قل: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. حتى بلغ: ولا الضالّين. قل: لا إله إلا الله. فاتى ورقة، فذكر ذلك له، فقال له ورقة: أبشّر، ثم أبشّر فانا أشهد أنك الذي بشر به ابنُ مريم، وأنت على مثل ناموس موسى، وأنت نبي مرسل، وأنت ستؤمّر بالجهاد بعد يومك هذا. ولئن أدركني ذلك لأجاهدك معك. فلما ثوّفِي ورقة قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتُ النّفس في الجنة، وعليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدّقني»^(١)، يعني: ورقة، وفي رواية

(١) تقدم تخريجه وبيان ضعفه، والذي ذهب مع النبي ﷺ إنما هي خديجة رضي الله عنها وأرضاه كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، ولا صحة لزعمه أن الذي ذهب معه هو أبو بكر، وإلا ما الحاجة إلى عرض الإسلام عليه مرة أخرى وتأخر إسلامه إن كان شهد ما دار مع ورقة.

يونسٍ أيضًا أنه عليه السلام قال لرجل سَبَّ ورقة: أما عَلِمْتَ أَنِّي رَأَيْتُ لورقة جَنَّةً أو جَنَّتَيْنِ، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار^(١).

لقد خشيت على نفسي:

فصل: وفي الصحيح أنه قال لخديجة: لقد خشيت على نفسي، وتكلم العلماء في معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة، فذهب أبو بكر الإسماعيلي^(٢) إلى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذي جاءه مَلَكٌ من عند الله، وكان أشقَّ شيء عليه أن يقال عنه: مجنون، ولم يرَ الإسماعيلي أن هذا مُحال في مبدأ الأمر؛ لأن العلمَ الضروري قد لا يحصل دفعة واحدة، وضرب مثلاً بالبيت من الشعر تسمع أوله، فلا تدري أَنْظَمَ هو أم نثر، فإذا استمر الإنشاد، علمت قطعاً أنه قُصِدَ به قُصْدُ الشعر، كذلك لما استمر الوحي واقتربت به القرائن المقتضية للعلم القطعي، حصل العلم الْقَطْعِيّ، وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَلَأْنَاهُ كِتَابَهُ وَرُسُلَهُ﴾ فإيمانه بالله وبملائكته إيمان كَسْبِيٍّ موعود عليه بالثواب الجزيل، كما وعد على سائر أفعاله الْمُكْتَسِبَةِ كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح، وقد قيل في قوله: «لقد خشيت على نفسي»، أي: خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة، وأن أضعف عنها، ثم أزال الله خشيته، ورَزَقَهُ الأَيْدَ والقوة والثبات والعصمة، وقد قيل: إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه، ولا عَزَوْا، فإنه بشر يَخْشَى من القتل والإذابة الشديدة ما يخشاه البشر، ثم يَهْوَنُ عليه الصبرُ في ذات الله كُلُّ خشية، ويجلب إلى قلبه كُلُّ شجاعة وقوة، وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه، رغبت عن التطويل بذكرها^(٣).

(١) «ضعيف» وأخرجه الحاكم (١٣٤/٣).

(٢) هو: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني - أحد الحفاظ المحدثين - توفي سنة ٣٧١هـ.

(٣) انظر فتح الباري (٢٧/١).

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق: فابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان، بقول الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال الله تعالى: ﴿حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ١-٥]. وقال تعالى: ﴿إِنْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]. وذلك مُلتقى رسول الله ﷺ والمُشركين ببدر.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين: أنَّ رسول الله ﷺ، التقى هو والمُشركون ببدر يوم الجمعة. صبيحة سَبْعِ عَشْرَةَ من رمضان.

متى نزل القرآن؟

فصل: وذكر قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. إلى آخر الآية، مستشهدًا بذلك على أن القرآن أنزل في شهر رمضان، وفي ليلة القدر من رمضان، وهذا يحمل تأويلين: أحدهما: أن يكون أراد بدء النزول وأوله؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره، والثاني: ما قاله ابن عباس: أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا، فجعل في بيت العزة مكنونًا في الصحف المَكْرَمَة، المرفوعة الْمُطَهَّرَة، ثم نزلت منه الآية بعد الآية، والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين، والنوازل الحادثة إلى أن توفي - ﷺ - وهذا التأويل أشبه بالظاهر، وأصح في النقل والله أعلم^(١).

(١) وهو الأرجح والأشهر. والله أعلى وأعلم.

قال ابن إسحاق: ثم تَنَامُ الوحيُ إلى رسول الله ﷺ. وهو مؤمن بالله مُصَدِّق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله، وتحمل منه ما حُمِّلَه على رضا العباد وسخطهم، والنبوة أثقال ومؤنة، لا يحملها، ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يَلْقَوْنَ من الناس، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى.

قال: فمضى رسول الله ﷺ على أمر الله، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى.

حول إضافة شهر إلى رمضان:

فصل: وفي قوله تعالى: ﴿شهر رمضان﴾ فذكر الشهر مضافاً إلى رمضان، واختار الكتاب والمؤثّقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا: كتب في رمضان، وترجم البخاري والنسوي^(١) على جواز اللفظين جميعاً وأوردا حديث رسول الله ﷺ -: «مَن صام رمضان، وإذا جاء رمضان»، ولم يقل: شهر رمضان، وقد بيّنت أن لكل مقام مقامه، ولا بدّ من ذكر شهر في مقام، ومن حذفه في مقام آخر، والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن، والحكمة أيضاً في حذفه إذا حذف من اللفظ، وأين يصلح الحذف، ويكون أبلغ من الذكر، كل هذا مبين في كتاب «نتائج الفكر»^(٢)، فهناك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها هَمَمُ أهل هذا العصر. أدناها تساوي رِخْلَةً عند مَنْ عرف قدرها، غير أننا نشير إلى بعضها، فنقول: قال سيبويه: ومما لا يكون العمل إلا فيه كله: المحرم وصفر، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله، وذلك إذا قلت: الأحد أو الاثنين، فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفاً، ولم يجر مجرى المفعولات، وزال العموم من اللفظ، لأنك تريد: في الشهر وفي اليوم، ولذلك قال عليه السلام: مَن صام رمضان، ولم يقل شهر رمضان؛ ليكون العمل فيه كله، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التي أحكمناها في غير هذا الكتاب.

حب الرسول ﷺ^(٣) ووطنه:

بقية من حديث ورقة، وذلك أنه قال لرسول الله ﷺ: لَتُكَذَّبَنَّ، فلم يقل له النبي ﷺ شيئاً، ثم قال: وَلَتُؤَذِّبَنَّ، فلم يقل له شيئاً، ثم قال: وَلَتُخْرِجَنَّ، فقال: «أو مُخْرِجِيَّ هُم؟» ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتها على النفس، وأيضاً فإنه حرّم الله وجوار بيته،

(١) هو: أبو العباس الحسين بن سفيان النسوي. له مسند النسوي.

(٢) مطبوع بعنوان «أمالي السهيلي» مطبعة دار السعادة. انظر ص (٦٣).

(٣) بالمطبوع بدلاً من «ﷺ»: «ص» وهو اختصار لـ «ﷺ» وهو اختصار سخيّف باستعمالهم أيضاً «صلعم» وما هي إلا فكرة أختها يهودية أو نصرانية أو علمانية كما مرّ. فانتبه.

إسلام خديجة بنت خويلد

وَأَمَنْتَ بِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَصَدَقْتَ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ، وَوَاظَرْتَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ مِنْهُ، فَخَفَّفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ لَهُ، فَيَحْزَنُهُ ذَلِكَ، إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا، تَثَبَّتْهُ، وَتَخَفَّفَ عَلَيْهِ، وَتَصَدَّقَهُ وَتَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

وبلدة أبيه إسماعيل، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك، فقال: «أَوْ مُخْرِجِيْ هُمْ؟» والموضع الدالّ على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه، وذلك أن الواو تُرَدُّ إِلَى الكلام المتقدم، وتُسْعِرُ المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار، أو التفجع لكلامه أو التألم منه.

ذكر عبد الله بن حسن:

فصل: وذكر عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وقوله: حَدَّثَنِي أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أَنَّ خَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهُ بَيْنَ ثَوْبِهَا. الحديث عبد الله هذا هو: عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأُمُّهُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أُخْتُ سُكَيْنَةَ، واسمها: أَمْنَةُ، وسكينة لقب لها التي كانت ذات دُعَابَةٍ وَمَرْحٍ، وفي سكينة وأُمُّهَا الرَّبَابُ يَقُولُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ:

كَانَ اللَّيْلَ مُوصُولًا بَلَلِيلٍ إِذَا زَارَتْ سُكَيْنَةُ وَالرَّبَابُ^(١)

أي: زادت قومها، وهم: بنو عَلَنِمَ بْنِ جَنَابٍ مِنْ كَلْبٍ، ثم من بني كَعْبٍ بْنِ عَلَنِمَ، ويعرف بنو كعب بن عَلَنِمَ ببني زَيْدٍ غير مصروف؛ لأنه اسم أمهم، وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس، وهم: محمد ويحيى وإدريس مات إدريس بإفريقية فأرًا من الرشيد، ومات مسمومًا في دُلَاعَةٍ^(٢) أكلها، ووقع في كتاب الزبير بن أبي بكر قال: قال عبد الرحمن بن زيد: قال آدم عليه السلام: مما فُضِّلَ بِهِ عَلِيٌّ ابْنِي صَاحِبُ الْبَعِيرِ أَنْ زَوْجَهُ كَانَتْ عَوْنًا لَهُ عَلَى تَبْلِيغِ أَمْرِ اللَّهِ، وَأَنْ زَوْجِي كَانَتْ عَوْنًا لِي عَلَى الْمَعْصِيَةِ^(٣).

حديث عبد الله بن جعفر وغيره عن خديجة

فصل: وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله - ﷺ - أمر أن

(١) انظر الأغاني للأصفهاني ونسب قريش (٥٩). (٢) ضرب من محار البحر.

(٣) كذب والنداء على آدم وزوجه عليهما السلام.

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أَبْشَرَ خَدِيجَةَ بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ^(١).

قال ابن هشام: القصب ههنا: اللؤلؤ المجوف.

يَبْشَرُ خَدِيجَةَ بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ. هذا حديث مُرْسَل، وقد رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما غَزَتْ على أحد ما غَزَتْ على خَدِيجَةَ، ولقد هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ثلاث سنين، ولقد أُمِرَ أَنْ يَبْشَرَهَا بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الْجَنَّةِ^(٢).

وفي حديث آخر أن عائشة قالت: ما تذكُر من عَجُوزٍ حَمْرَاءِ الشُّذْقَيْنِ هَلَكْتَ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، فغَضِبَ، وقال: «والله ما أبدلني الله خيراً منها؛ أَمَنْتُ بِي حِينَ كَذَبَنِي النَّاسُ، وَوَسَّيْنِي بِمَالِهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقْتَ الْوَلَدَ مِنْهَا، وَحُرِمْتَهُ مِنْ غَيْرِهَا»^(٣)، وروى يونس عن عبد الواحد بن أيمن المخرومي، قال: حَدَّثَنَا أَبُو نَجِيحٍ قَالَ: أَهْدَيْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَزُورٌ أَوْ لَحْمٌ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَظْماً مِنْهَا، فَنَاولَهُ الرَّسُولَ بِيَدِهِ؛ فَقَالَ: أَذْهَبَ بِهَذَا إِلَى فُلَانَةٍ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ غَمِرْتَ^(٤) يَدَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَغْضَبًا: «إِنْ خَدِيجَةُ أَوْصَتَنِي بِهَا»، فَغَارَتْ عَائِشَةُ، وَقَالَتْ: لَكَّأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَغْضَبًا، فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ، فِإِذَا أُمُّ رُومَانَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا لَكَ وَلِعَائِشَةَ؟! إِنِّهَا حَدَّثَتْ، وَإِنَّكَ أَحَقُّ مَنْ تَجَاوَزَ عَنْهَا، فَأَخَذَ بِشِدْقِ عَائِشَةَ، وَقَالَ: أَلَسْتُ الْقَائِلَةَ: «كَأَنَّمَا لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ»، وَاللَّهُ لَقَدْ أَمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرْتُ قَوْمُكَ، وَرَزَقْتَ مِنِّي الْوَلَدَ وَحُرِمْتُمُوهُ»، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «خَيْرُ نِسَائِهَا: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا: خَدِيجَةُ»^(٥)، وَالْهَاءُ فِي نِسَائِهَا حِينَ ذَكَرَ مَرْيَمَ عَائِدَةً عَلَى السَّمَاءِ، وَالْهَاءُ فِي نِسَائِهَا حِينَ ذَكَرَ خَدِيجَةَ عَائِدَةً عَلَى الْأَرْضِ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ رَوَاهُ وَكِيعٌ وَأَبُو أُسَامَةَ وَابْنُ ثُمَيْلٍ فِي آخِرِينَ، وَأَشَارَ وَكِيعٌ مِنْ بَيْنِهِمْ حِينَ حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ بِإِصْبَعِهِ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ ذِكْرِ مَرْيَمَ، وَإِلَى الْأَرْضِ عِنْدَ ذِكْرِ

(١) «صحيح». أخرجه أحمد (٢٥/١) والحاكم (١٨٤/٣) والخطيب (٢٣٤/١٢).

(٢) «صحيح». أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٧٤) والبخاري في مناقب الأنصار (٣٨١٦).

(٣) «صحيح». أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢١) ومسلم في فضائل الصحابة (٧٨) الجزء الأول منه.

(٤) الغمر: دسم اللحم.

(٥) «صحيح». أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٦٩).

خديجة، وهذه إشارة ليست من رأيه، وإنما هي زيادة من حديثه عن النبي - ﷺ - وزيادة العدل مقبولة، ويحتمل أن يكون معنى إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرهما، أي: هما خير نساء بين السماء والأرض وهذا أثبت عندي بظاهر الحديث. ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء في التفضيل بين مريم وخديجة وعائشة - رضي الله عنهن - وأزواج النبي - ﷺ - وما نَزَعَ به كل فريق منهم.

حول ما بُشِّرَتْ به خديجة:

وأما قوله: ببيت من قَصَبٍ، فقد رواه الخطابي مفسراً، وقال فيه: قالت خديجة: يا رسول الله، هل في الجنة قَصَبٌ؟ فقال: «إِنَّ قَصَبٌ مِنْ لَوْلُؤٍ مُجَبَّى». قال الخطابي: يجوز أن يكون معناه: مُجَوِّباً من قولك: جُبْتُ الثوبَ إذا خرقتَه، فيكون من المقلوب، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبِّباً بباءين من الجَبِّ وهو القطع أي: قطع داخله، وقلبت الباء ياء، كما قالوا: تَطَلَّيْتُ مِنَ الظَّنِّ، وتَقَصَّيْتُ أَظْفَارِي، وتكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث، وقالوا: كيف لم يبشِّرْها إلا ببيتٍ، وأدنى أهل الجنة منزلةً مَنْ يُعْطَى مسيرة ألف عام في الجنة، كما في حديث ابن عمر، خرَّجه الترمذي، وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفي الصَّخَبِ وهو: رفع الصوت، فأما أبو بكر الإسكافي، فقال في كتاب فوائد الأخبار له: معنى الحديث: أنه بُشِّرَتْ ببيت زائد على ما أعدَّ الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها؛ ولذلك قال: لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ، أي: لم تَنْصَبَ فيه، ولم تَنْصَبْ. أي: إنما أُعْطِيَتْ زيادة على جميع العمل الذي نصبت فيه. قال المؤلف رحمه الله: لا أدري ما هذا التأويل، ولا يقتضيه ظاهر الحديث، ولا يوجد شاهد يعضده، وأما الخطابي، فقال: البيت هاهنا عبارة عن قصر، وقد يقال لمنزل الرجل: بيته، والذي قاله صحيح، يقال في القوم: هم أهل بيت شرف وبيت عزٍّ، وفي التنزيل: ﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ ولقوله: بيت، ولم يقل: بقصر معني لائق بصورة الحال، وذلك أنها كانت رَبَّةً بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت، وأيضاً فإنها أول مَنْ بنى بيتاً في الإسلام بتزويجها رسول الله - ﷺ - ورغبتها فيه، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل، وإن كان أشرف منه لما جاء: «مَنْ كَسَا مسلماً على عُرْيٍ كساه الله من خُلَلِ الجنة، وَمَنْ سَقَى مسلماً على ظمإٍ سقاه الله من الرحيق»^(٢)، ومن

(١) سورة الذاريات آية رقم (٣٦).

(٢) «صحيح». أخرجه مسلم وأبو داود (١٦٨٢) والترمذي (٢٤٤٩) والبيهقي في الآداب (٩٤) بتحقيقي بنحوه.

هذا الباب قوله عليه السلام: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»^(١) لم يرد مثله في كونه مسجدًا، ولا في صفته ولكن قابل البنيان بالبنيان، أي كما بَنَى يُبْنَى لَهُ، كما قابل الكُتُوبَ بالكُتُوبِ وَالسُّقْيَا، فَهَاهُنَا وَقَعَتِ الْمِمَائِلَةُ، لَا فِي ذَاتِ الْمَبْنِيِّ أَوْ الْمَكْسُوءِ، وَإِذَا ثَبِتَ هَذَا، فَمِنْ هَلْهِنَا اقْتَضَتْ الْفَصَاحَةُ أَنْ يُعَبَّرَ لَهَا عَمَّا بُشِّرَتْ بِهِ بِلَفْظِ الْبَيْتِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْهُ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْهُ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَمِنْ تَسْمِيَةِ الْجِزَاءِ عَلَى الْفِعْلِ بِالْفِعْلِ فِي عَكْسِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ»^(٢)، «وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ»^(٣).

وأما قوله: لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ، فَإِنَّهُ أَيْضًا مِنْ بَابِ مَا كُنَّا بِسَبِيلِهِ، لِأَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - دَعَاها إِلَى الْإِيمَانِ، فَأَجَابَتْهُ عَفْوًا، لَمْ تَخُوجْهُ إِلَى أَنْ يَصْخَبَ كَمَا يَصْخَبُ الْبَغْلُ إِذَا تَعَصَّتْ عَلَيْهِ حَلِيلَتُهُ، وَلَا أَنْ يَنْصَبَ، بَلْ أزالَتْ عَنْهُ كُلَّ نَصَبٍ، وَأَنْسَتْهُ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ كُلَّ مَكْرُوهِ، وَأَراحتَهُ بِمَالِهَا مِنْ كُلِّ كَدٍّ وَنَصَبٍ، فَوْصَفَ مَنْزِلَهَا الَّذِي بُشِّرَتْ بِهِ بِالْصِفَةِ الْمَقَابِلَةِ لِفَعَالِهَا وَصُورَتِهِ.

وأما قوله: مِنْ قَصَبٍ، وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ لَوْلُؤٍ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا، وَلَكِنْ فِي اخْتِصَاصِهِ هَذَا اللَّفْظُ مِنَ الْمُشَاكَلَةِ الْمَذْكُورَةِ وَالْمَقَابِلَةِ بِلَفْظِ الْجِزَاءِ لِلْفِعْلِ الْعَمَلِ أَنَّهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَانَتْ قَدْ أَحْرَزَتْ قَصَبَ السُّبْقِ إِلَى الْإِيمَانِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسْوَانِ. وَالْعَرَبُ تَسْمِي السَّابِقَ مُخْرِجًا لِلْقَصَبِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

مَسَى ابْنُ الزُّبَيْرِ الْقَهْقَرَى، وَتَقَدَّمَتْ أُمَيَّةٌ حَتَّى أَخْرَزُوا الْقَصَبَاتِ

فاقتضت البلاغة أن يعبرَ بالعبرة المشاكلة لعملها في جميع ألفاظ الحديث فتأمل.

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٢٢/١) ومسلم في الزهد (٤٤/٤٣) وفي المساجد (٢٤) وأحمد (٧٠/٦١/١) والترمذي (٣١٨) وابن ماجه (٧٣٦).

(٢) سورة التوبة آية رقم (٦٧).

(٣) سورة آل عمران آية رقم (٥٤).

قال ابن هشام: وحدثني مَنْ أثنى به^(١)، أَنَّ جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ؛ فقال: أقرئ خديجةَ السلام من ربها، فقال رسول الله ﷺ: «يا خديجة، هذا جبريل يُقرئك السلام من

الموازنة بين خديجة وعائشة:

فصل: وذكر قول رسول الله ﷺ لخديجة: «هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك». الحديث يُذكر عن أبي بكر بن داود أنه سُئِل: عائشة أفضل، أم خديجة؟ فقال: «عائشة أقرأها رسول الله ﷺ السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد - ﷺ - فهي أفضل»، قيل له: فَمَنْ أفضل، أخديجة أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله - ﷺ - قال: «إن فاطمة بضعة مني»^(٢) فلا أغدِل ببضعة من رسول الله أحدًا، وهذا استقراء حسن، ويشهد لصحة هذا الاستقراء أَنَّ أبا لُبَابَةَ حين اِزْبَطَ نفسه، وحلف ألاَّ يَحُلَّهُ إلا رسول الله - ﷺ - فجاءت فاطمة لِتَحُلَّهُ، فأبى من أجل قَسَمِهِ، فقال رسول الله - ﷺ -: «إنما فاطمة مُضَعَّة مني»، فحلته وسنذكر الحديث بإسناده في موضعه، إن شاء الله تعالى، ويدلُّ أيضًا على تفضيل فاطمة قوله - عليه السلام - لها: «أما تَرْضَيْن أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم»^(٣)؟ فدخل في هذا الحديث أمُّها وأخواتها، وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها، فقيل: إنها وَلَدَت سيدَ هذه الأمة، وهو الحسن الذي يقول فيه النبي - ﷺ -: «إن ابني هذا سيد»^(٤)، وهو خليفة، بَعَلُهَا خليفة أيضًا، وأحسن من هذا القول قول مَنْ قال: سادت أخواتها وأمُّها، لأنهن مُثَن في حياة النبي - ﷺ - فكنَّ في صحيفته، ومات أبوها وهو سيد العالمين، فكان رُزُؤُهُ في صحيفتها وميزانها، وقد رَوَى البَزَّاز من طريق عائشة أنه - ﷺ - قال لفاطمة: «هي خير بناتي؛ إنها أُصِيبَت بي»^(٥)، فحقَّ لَمَنْ كانت هذه حاله أن يسودَّ نساء أهل الجنة، وهذا حسن، والله أعلم. ومن سُوِّدِهَا أيضًا أن المهدي المُبَشَّر به آخر الزمان من ذُرِّيَّتِهَا، فهي مخصوصة بهذا كله والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة، وقد جمعها أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ فأكثر، ومن أغربها إسنادًا ما ذكره أبو بكر الإسكافي في فوائد الأخبار مسندًا إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَذَّب

(١) مجهول.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٢٦/٥) ومسلم في فضائل الصحابة (٩٦).

(٣) «صحيح». أخرجه البخاري (٧٩/٨) ومسلم في فضائل الصحابة (٩٩).

(٤) «صحيح» أخرجه البخاري (٢٤٤/٣) وأحمد (٣٨/٥) وابن عساكر (٣١٥/٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بعضه ورواه البزار ورجال رجال الصحيح. قاله الهيثمي في المجموع (٢١٣/٩).

ريك»، فقالت خديجة: اللَّهُ السَّلامُ، ومنه السَّلامُ، وعلى جبريل السَّلام^(١).

بالدُّجَالِ فقد كفر، وَمَنْ كَذَّبَ بِالْمَهْدِيِّ فقد كفر^(٢)، وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب.

الله السَّلام:

وقول خديجة: الله السَّلامُ، ومنه السَّلامُ، وعلى جبريل السَّلامُ، علمت بفقها أن الله سبحانه لا يُرَدُّ عليه السَّلامُ، كما يُرَدُّ على المخلوق؛ لأن السَّلامَ دعاء بالسَّلامة فكان معنى قولها: الله السَّلامُ، فكيف أقول عليه السَّلامُ، والسَّلامُ منه يُسْتَلُّ، ومنه يأتي؟ ولكن على جبريل السَّلامُ، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثَّناء عليه، فجعلت مكان ردِّ التحية على الله ثناءً عليه، كما عملوا في التشهد حين قالوا: السَّلام على الله من عباده، السَّلام على فلان، فقليل لهم: لا تقولوا هذا، ولكن قولوا: التحيات لله، وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب فوائد جمة في معنى التحيات إلى آخر التشهد. وقولها: ومنه السَّلامُ، إن كانت أرادت السَّلامَ التحية، فهو خبر يُراد به التشكُّر، كما تقول: هذه النعمة من الله، وإن كانت أرادت السَّلامَ بالسَّلامة من سوء، فهو خبر يُراد به المسألة، كما تقول: منه يُسأل الخير. وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السَّلامَ والسَّلامةَ بمعنى واحد كالرُّضَاع والرُّضاعة، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاء التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فَرْقًا عظيمًا، وأن الجلال أعم من الجلالة بكثير، وأن اللِّدَّاذ أبلغ من اللِّدَّاذة، وأن الرُّضاعة تقع على الرُّضعة الواحدة، والرُّضاع أكثر من ذلك، فكذلك السَّلامُ، والسَّلامةُ، وقس على هذا: ثَمرة وتَمَرًا، ولَقَاءَ ولَقَى، وَضْرَبَ وَضْرَبًا، إلى غير ذلك، وتسمَّى سبحانه بالسَّلام لما شمل جميع الخليقة، وعمَّهم من السَّلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جارٍ على نظام الحكمة، كذلك سَلِمَ الثَّقَلان من جُور، وظلم أن يأتيهم من قِبَلِه سبحانه، فإنما الكلُّ مُدَبَّرٌ بفضله أو عدل، أما الكافر فلا يجري عليه إلا عدله، وأما المؤمن فيغمره فضله، فهو سبحانه في جميع أفعاله سَلامٌ، لا حَيْفٌ ولا ظلم، ولا تفاوت ولا اختلال، ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمَّى به لسلامته من الآفات والعيوب، فقد أتى بشنيع من القول، إنما السَّلامُ من سَلِمَ منه، والسَّالِمُ مَنْ سَلِمَ من غيره، وانظر إلى قوله سبحانه: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾^(٣)

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٣٦/٤) ومسلم في فضائل الصحابة (٩١) بنحوه من حديث عائشة رضي الله عنها. وابن عساكر (٣٦٤/٥).

(٢) أورده السيوطي في الحاوي (١٦١/٢) وابن حجر الهيتمي في كتاب «الفتاوى الحديثية» ص (٣٧) بتحقيقي - وهو منسوب إليه - وإنما هو مستقى من بعض مؤلفات السيوطي كما بينت هناك. فانظرو.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم (٦٩).

قال ابن إسحاق: ثم فُتِرَ الوحي عن رسول الله - ﷺ - فترة من ذلك، حتى شق ذلك عليه، فأحزنه، فجاهه جبريلُ بسورة الضحى، يُقسم له ربه، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به، ما ودَّعه وما قلَّاه، فقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. يقول: ما صَرَمَكَ فتركك، وما أبغضَكَ منذ أَحَبَّكَ. ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي: لَمَّا عندي من مَرْجِعِكَ إِلَيَّ، خَيْرٌ لَّكَ مما عَجَلْتُ لَكَ من الكرامة في الدنيا. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ من الفَلَج في الدنيا، والثواب في الآخرة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ يعرفه الله بما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره، ومنه عليه في يتمه وضلالته، واستنقاذه من ذلك كله برحمته.

قال ابن هشام: سَجَى: سكن. قال أمية بن أبي الصلت الثقفى:

إِذْ أَتَىٰ مَوْهِنًا وَقَدْ نَامَ صَخْبِي وَسَجَا اللَّيْلُ بِالظُّلَامِ الْبَهِيمِ
وهذا البيت في قصيدة له، ويقال للعين إذا سكن طرفُها: ساجية، وسجا طرفُها.

والى قوله: ﴿سلام هي﴾^(١) ولا يقال في الحائط: سالم من الاعمى، ولا في الحَجَرِ أنه سالم من الزكام، أو من السعال إنما يقال: سالم فيمن تجوز عليه الآفة، ويتوقعها ثم يَسْلَمَ منها، والقُدُوسُ سبحانه مُتَعَالٍ عن توقع الآفات مُتَنَزِّةً عن جواز النقائص، ومن هذه صفته لا يقال: سَلِمَ، ولا يَتَسَمَّى بسالم، وهم قد جعلوا سلامًا بمعنى سالم، والذي ذكرناه أولًا، هو معنى قول أكثر السلف والسلامة: خَصْلَةٌ واحدة من خِصال السلام^(٢).

فترة الوحي:

فصل: وذكر فترة الوحي عن رسول الله - ﷺ - ولم يذكر مقدار مدة الفترة، وقد جاء في بعض الأحاديث المُسَنِّدة أنها كانت سنتين ونصف سنة، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مُكَّتْهُ بمكة كان عشر سنين، وقول ابن عباس: ثلاث عشرة سنة، وكان قد ابتدء بالرويا الصداقة ستة أشهر، فمن عَدَّ مدة الفترة، وأضاف إليها الأشهر الستة، كانت كما قال ابن عباس، ومن عَدَّها من حين حَمِيَ الوحي وتتابع، كما في حديث جابر كانت عشر سنين. ووجه آخر في الجمع بين القولين أيضًا، وهو أن الشعبي قال: وكل أسرافيلُ نبوة محمد - ﷺ - ثلاث سنين، ثم جاءه بالقرآن جبريلُ وقد قَدَّمنا هذا الحديث^(٣)، ورواه أبو عمر في كتاب الاستيعاب، وإذا صحَّ فهو أيضًا وجه من الجمع بين الحديثين، والله أعلم.

(١) سورة القدر آية رقم (٥).

(٢) انظر للمحقق «القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى».

(٣) وتقدم معه الكلام أن هذا لا صحة له.

قال جرير بن الخطفي:

ولقد رَمَيْتُكَ - حين رُحِن - بأعينٍ يَقْتُلُنَ من خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِي
وهذا البيت في قصيدة له. والعائل: الفقير: قال أبو خِرَاش الهذلي:

إلى بيتِهِ يَاوِي الضُّرَيْكُ إِذَا شَتَا وَمُسْتَنْبِحٌ بِأَلِي الدَّرِيسِينَ عَائِلُ
وجمعه: عالة وعَيْل، وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها - إن شاء الله، والعائل أيضًا: الذي يعول العيال. والعائل أيضًا: الخائف. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]. وقال أبو طالب:

بِمِيزَانٍ قَسِطٍ لَا يُخْسُ شَعِيرَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلٍ
وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها - إن شاء الله - في موضعها. والعائل أيضًا: الشيء المُثْقِلُ المُعْيِي. يقول الرجل: قد عألني هذا الأمر: أي أثقلني وأعياني، قال الفرزدق:

تَرَى العُرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا
وهذا البيت في قصيدة له.

شرح شعر الهذلي والفرزدق:

فصل: وذكر ابن إسحق قول أبي خِرَاشِ حُوَيْلِدِ بْنِ مُرَّةِ الهذلي:

إلى بيتِهِ يَاوِي الضُّرَيْكُ إِذَا شَتَا وَمُسْتَنْبِحٌ بِأَلِي الدَّرِيسِينَ عَائِلُ
الضرير: الضعيف المضطر والمُستنبِح الذي يضلّ عن الطريق في ظلمة الليل، فينبح لسمع ثَبَاحِ كَلْبٍ والدَّريس: الثوبُ الخَلَقُ، وقول الفرزدق:

تَرَى العُرَّ الْجَحَاجِحَ^(١) مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا
قيامًا ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالًا

يعني: سعيد بن العاصي بن أمية، ويقال: إن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حسده، فقال له: قل: قعودًا ينظرون إلى سعيد يا أبا فراس. فقال له الفرزدق: والله يا أبا عبد الملك: إلا قيامًا على الأقدام. وذكر سبب نزول سورة الضحى، وأن ذلك لفترة الوحي عنه، وخرّج البخاري من طريق جُنْدُبِ بْنِ سَفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) الجحاجح: جمع جحجج وهو السيد، وأيضًا هو: الغسل من الرجال.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: أي لا تكن جبارًا ولا متكبرًا، ولا فحاشًا فظًا على الضعفاء من عباد الله. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث، أي اذكرها، واذعُ إليها، فجعل رسولُ الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه، وعلى العباد به من النبوة سِرًّا إلى مَنْ يطمئن إليه من أهله.

اشتكى، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فقالت له امرأة: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، فأنزل الله تعالى سورة الضحى^(١).

(١) «صحيح». أخرجه البخاري في التفسير حديث رقم (٤٩٥٠).

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى

على النبي ﷺ من الصلاة وأوقاتها

وافترضت الصلاة عليه، فصلَّى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أَوَّل ما افترضت عليه ركعتين ركعتين، كل صلاة، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعاً، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين^(١).

فرض الصلاة

وذكر حديث عُرْوَةَ عن عائشة: «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فزید في صلاة الحضر، وأقرت صلاة السفر»، وذكر الْمُزَنِيُّ أن الصلاة قبل الإسرائ كانت صلاة قبل غروب الشمس، وصلاة قبل طلوعها، ويشهد لهذا القول قوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^(٢) [غافر: ٥٥]. وقال يحيى بن سلام مثله، وقال: كان الإسرائ وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام، فعلى هذا يحتمل قول عائشة: فزید في صلاة الحضر، أي: زيد فيها حين أكملت خمساً، فتكون الزيادة في الركعات، وفي عدد الصلوات، ويكون قولها: «فرضت الصلاة ركعتين» أي: قبل الإسرائ، وقد قال بهذا طائفة من السلف، منهم: ابن عباس، ويجوز أن يكون معنى قولها: فُرِضَت الصلاة: أي ليلة الإسرائ، حين فُرِضَت الخمس فُرِضَت ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك، وهذا هو المروي عن

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١/٨) ومسلم في المسافرين (٣) والنسائي (١/٢٢٦).

(٢) ليست دليلاً وسيأتي الحديث عنها في نهاية الجزء عند الإسرائ.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم^(١): أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين. فتوضأ جبريل عليه السلام، ورسول الله ﷺ ينظر إليه، ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل، فصلّى به، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام.

فجاء رسول الله ﷺ خديجة، فتوضأ لها ليريه كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما صلى به جبريل، فصلّت بصلاته.

بعض رواة هذا الحديث عن عائشة، ومن رواه هكذا الحسن والشَّعْبِيُّ أن الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام، أو نحوه، وقد ذكره أبو عمر، وقد ذكر البخاري من رواية مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ عن عائشة قالت: فُرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وفُرضت أربعاً، هكذا لفظ حديثه وهلهنا سؤال يُقال: هل هذه الزيادة في الصلاة نَسْخٌ أم لا؟ فيقال: أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة، فنَسْخٌ لأن النَسْخَ رفع الحكم، وقد ارتفع حكم الإجزاء من الركعتين، وصار مَنْ سَلَّمَ منهما عامداً أفسدهما، وإن أراد أن يتم صلاته بعدما سَلَّمَ، وتحدثت عامداً لم يُجزه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها، فقد ارتفع حكم الإجزاء بالنَسْخ، وأما الزيادة في عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعدما كانت اثنتين، فيسمى نَسْخاً على مذهب أبي حنيفة، فإن الزيادة عنده على النص نسخ، وجمهور المتكلمين على أنه ليس بنسخ ولا احتجاج الفريقين موضع غير هذا.

الوضوء:

فصل: وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين همز له بعقبه، فأنبع الماء، وعلمه الوضوء، وهذا الحديث مقطوع في السيرة، ومثله لا يكون أصلاً في الأحكام الشرعية، ولكنه قد رُوِيَ مسنداً إلى زيد بن حارثة - يرفعه - غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لهيعة وقد ضَعُف، ولم يخرج عنه مُسْلِمٌ ولا البخاري^(٢)؛ لأنه يقال: إن كتبه احترقت، فكان يحدث مَنْ حفظه، وكان مالك بن أنس يُحسِن فيه القول، ويقال إنه

(١) مجاهيل.

(٢) أخرج له مسلم ولكن مقروناً بغيره، فيقول مثلاً: حدثني فلان وغيره - يعني ابن لهيعة.

قال ابن إسحاق: وحدثني عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، مولى بني تميم، عن نافع بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - وكان نافع كثير الرواية - عن ابن عباس قال: لما افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، فصلّى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلّى به العصر حين كان ظلّه مثله، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلّى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاءه، فصلّى به الظهر من

الذي روي عنه حديث يَبِيعُ الْعُرْبَانِ فِي الْمَوْطَأِ مَالِكٌ، عن الثقة عنده، عن عمرو بن شُعَيْبٍ، فيقال: إن الثقة ههنا ابن لهيعة^(١)، ويقال: إن ابنَ وَهْبٍ حَدَّثَ بِهِ عَنْ ابْنِ لَهَيْعَةَ، وحديث ابن لهيعة هذا، أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد بن العربي قال: نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء، عن أبي نعيم الحافظ قال: نا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال: نا الحارث بن أبي أسامة، قال: نا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد عن الزهري، عن عروة عن أسامة بن زيد، قال: حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ - في أول ما أوجي إليه أتاه جبريل عليه السلام، فعلمه الوضوء، فلما فرغ من الوضوء أخذ عُزْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَتَضَحَّ بِهَا فَرَجَهُ، وحدثنا به أيضًا أبو بكر محمد بن طاهر، عن أبي علي الغساني عن أبي عَمْرِو التَّمَرِيِّ، عن أحمد بن قاسم، عن قاسم بن أَصْبَغٍ، عن الحارث بن أبي أسامة بالإسناد المتقدم، فالوضوء على هذا الحديث مَكْنِيٌّ بِالْفَرَضِ، مَدْنِيٌّ بِالثَّلَاوَةِ، لأن آية الوضوء مدنية، وإنما قالت عائشة: فأنزل الله تعالى آية التيمم، ولم تقل: آية الوضوء، وهي هي؛ لأن الوضوء قد كان مفروضًا قبل، غير أنه لم يكن قرآنًا يُتْلَى، حتى نزلت آية المائدة.

إمامة جبريل:

وذكر حديث عبد الله بن عباس في إمامة جبريل للنبي - ﷺ - وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين، وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الوضع؛

(١) أخرجه مالك في البيوع حديث رقم (١) عن الثقة عنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع العريان. قال مالك: وذلك فيما نرى والله أعلم أن يشتري الرجل العبد أو الوليدة أو يتكاري الدابة، ثم يقول للذي اشترى منه أو تكارى منه: أعطيك دينارًا أو درهمًا أو أكثر من ذلك أو أقل. على أنني إن أخذت السلعة أو ركبت ما تكاريك منك، فالذي أعطيتك هو من ثمن السلعة، أو من كراء الدابة، وإن تركت ابتياع السلعة، أو كراء الدابة فما أعطيتك لك باطل بغير شيء. قال مالك: والأمر عندنا أنه لا بأس بأن يبتاع العبد التاجر الفصيح، بالأعبد من الحبشة أو من جنس من الأجناس ليسوا مثله في الفصاحة ولا في التجارة. وأخرجه ابن ماجه (٢١٩٢) وأبو داود (٣٥٠٢) بتحقيقي.

غَدٍ حِينَ كَانَ ظَلَهُ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظَلُهُ مِثْلِيهِ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ لَوْقَتِهَا بِالْأَمْسِ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الصُّبْحَ مُسْفِرًا غَيْرَ مُشْرِقٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، الصَّلَاةُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاتِكَ الْيَوْمَ، وَصَلَاتِكَ بِالْأَمْسِ.

ذَكَرَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلَ ذَكَرٍ أَسْلَمَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ مِنَ النَّاسِ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَّى مَعَهُ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ - رِضْوَانُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ عَشْرٍ سَنِينَ.

وَكَانَ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ فِي جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ بْنِ أَبِي الْحَجَّاجِ، قَالَ: كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُ، وَأَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، أَنْ قَرِيشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ رَسُولُ

لَأَنَّ أَهْلَ الصَّحِيحِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ، كَانَتْ فِي الْغَدِ مِنْ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا نُبِئَ بِخَمْسَةِ أَعْوَامٍ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِعَامٍ وَنِصْفٍ، وَقِيلَ: بِعَامٍ، فَذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي بَدْءِ نَزُولِ الْوَحْيِ، وَأَوَّلِ أَحْوَالِ الصَّلَاةِ.

أَوَّلَ مَنْ آمَنَ

وَذَكَرَ أَنَّ أَوَّلَ ذَكَرٍ آمَنَ بِاللَّهِ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَسَيَأْتِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنْ ذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنَ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّ عَلِيًّا كَانَ حِينَ أَسْلَمَ صَبِيًّا لَمْ يَدْرِكْ، وَلَا يَخْتَلِفُ أَنَّ خَدِيجَةَ هِيَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَصَدَّقَ رَسُولَهُ، وَكَانَ عَلِيُّ أَصْغَرَ مِنْ جَعْفَرٍ بَعَشْرٍ سَنِينَ، وَجَعْفَرٌ أَصْغَرَ مِنْ عَقِيلٍ بَعَشْرٍ سَنِينَ، وَعَقِيلٌ أَصْغَرَ مِنْ طَالِبٍ بَعَشْرٍ سَنِينَ، وَكُلُّهُمْ أَسْلَمَ إِلَّا طَالِبًا اخْتَلَفَتْهُ الْجَنُّ^(١)، فَذَهَبَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِإِسْلَامِهِ، وَأُمُّ عَلِيٍّ: فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ، وَهِيَ إِحْدَى الْفَوَاطِمِ الَّتِي قَالَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - لِعَلِّيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَقْسَمُ بَيْنَ الْفَوَاطِمِ الثَّلَاثِ، يَعْنِي ثَوْبَ خَرِيرٍ، قَالَ الْقُتَيْبِيُّ. يَعْنِي:

(١) تَقْدِمُ الْكَلَامِ غَيْرَ مَرَّةٍ عَلَى أُسْطُورَةِ خُطْفِ الْجَنِّ لِلْإِنْسِ.

الله - ﷺ - للعباس عمه، وكان من أنسر بني هاشم: يا عباس، إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأُزْمَةِ، فَاَنْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ، فَلْتُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ، آخِذٌ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، وَتَأْخِذُ أَنْتَ رَجُلًا، فَتُكِلُهُمَا عَنْهُ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: نَعَمْ، فَاَنْطَلَقَا، حَتَّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ، فَقَالَا لَهُ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَخَفِّفَ عَنْكَ مِنْ عِيَالِكَ حَتَّى يَنْكَشِفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ، فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ: إِذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا، فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: عَقِيلًا وَطَالِبًا.

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرًا فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيًّا، فَاتَّبَعَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، وَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرُ عِنْدَ الْعَبَّاسِ، حَتَّى أَسْلَمَ وَاسْتَغْنَى عَنْهُ.

أَبُو طَالِبٍ يَكْتَشِفُ إِيمَانَ عَلِيٍّ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ، وَخَرَجَ مَعَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مُسْتَخْفِيًّا مِنْ أَبِيهِ أَبِي طَالِبٍ، وَمِنْ جَمِيعِ أَعْمَامِهِ وَسَائِرِ قَوْمِهِ، فَيَصَلِّيَانِ الصَّلَاةَ فِيهَا، فَإِذَا أَمْسَا رَجَعَا، فَمَكَثَا كَذَلِكَ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكَثَا. ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ عَثَرَ عَلَيْهِمَا يَوْمًا وَهُمَا يَصَلِّيَانِ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا بَنَ أَخِي! مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي أَرَاكَ تَدِينُ بِهِ؟ قَالَ: «أَيَّ عَمِّ هَذَا دِينِ اللَّهِ، وَدِينِ مَلَائِكَتِهِ، وَدِينِ رُسُلِهِ، وَدِينِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ» - أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ -: «بِعِثْنِي اللَّهُ بِهِ رَسُولًا إِلَى الْعِبَادِ، وَأَنْتَ أَيَّ عَمِّ، أَحَقُّ مَنْ بَذَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ، وَدَعَوْتُهُ إِلَى الْهُدَى، وَأَحَقُّ مَنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ»، أَوْ كَمَا قَالَ. فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: أَيُّ ابْنِ أَخِي، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينَ آبَائِي، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا يُخَلِّصُ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ تَكْرَهُهُ مَا بَقِيَتْ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ: أَيُّ بَنِيٍّ، مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: يَا أَبَتِ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقْتُهُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَصَلَّيْتُ مَعَهُ اللَّهُ وَاتَّبَعْتُهُ. فَرَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَذْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالزَّمْهُ.

فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ، وَلَا أُدْرِي مَنْ الثَّلَاثَةُ، وَرَوَاهُ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ: أَقْسَمَهُ بَيْنَ الْفَوَاطِمِ الْأَرْبَعِ، وَذَكَرَ فَاطِمَةَ بِنْتَ حَمْزَةَ مَعَ اللَّتَيْنِ تَقْدِمَتَا، وَقَالَ: لَا أُدْرِي مِنَ الرَّابِعَةِ، قَالَهُ فِي كِتَابِ الْغَوَامِضِ وَالْمُبْهَمَاتِ.

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبى، مولى رسول الله ﷺ، وكان أول ذكر أسلم، وصلى بعد علي بن أبي طالب.

قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن زائدة بن ثور بن كلب بن وبرة. وكان حكيم بن حزام بن خويلد قديم من الشام بريق، فيهم زيد بن حارثة وصيف. فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ فقال لها: اختاري يا عمّة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيدا فأخذته، فرآه رسول الله ﷺ عندها، فاستأهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبّاه، وذلك قبل أن يوحى إليه.

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا، وبكى عليه حين فقده، فقال:

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَذِرْ مَا فَعَلَ	أَحْيَ، فَيُرْجَى أَمْ أَتَى دَوْنَهُ الْأَجَلَ
فَوَاللَّهِ مَا أَذِرِي، وَإِنِّي لَسَائِلُ	أَغَالِكَ بَعْدِي السَّهْلُ، أَمْ غَالِكَ الْأَجَلَ
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرُ أَوْيَةً	فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا رَجُوعُكَ لِي بَجَلَ
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا	وَتَغْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرِبَها أَقْلُ

إسلام زيد

فصل: وذكر حديث زيد بن حارثة، وقال فيه: حارثة بن شراحيل، وقال: ابن هشام شراحيل، قال أصحاب النسب كما قال ابن هشام، ورفع نسبه إلى كلب بن وبرة، ووبرة هو: ابن ثعلب بن خلوان بن الحاف بن قضاة، وأم زيد: سعادى بنت ثعلبة [بن عبد عامر] من بني مغيث من طيء، وكانت قد خرجت يزيد لتزيه أهلها، فأصابته خيل من بني النخع بن جسر، فباعوه بسوق حباشة، وهو من أسواق العرب، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق، ولما بلغ زيدا قول أبيه: بكيت على زيد، ولم أدر ما فعل. الأبيات. قال بحيث يسمعه الركبان:

أَجِنِّ إِلَى أَهْلِي، وَإِنْ كُنْتُ نَائِيَا	بَأْنَى قَعِيدُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ
فَكُفُّوا مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي قَدْ شَجَاكُمْ	وَلَا تَغْمَلُوا فِي الْأَرْضِ نَصُ الْأَبَاعِرِ
فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ أَسْرَةٍ	كَرَامَ مَعْدُ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

وإن هبَّت الأرواح هَيَّجْنَ ذَكَرَهُ فبِأُطُولَ مَا حَزَنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلَ
سَاعِمِلَ نَصَّ الْعَيْسِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا وَلَا أَسَامَ التَّطَوَّافِ أَوْ تَسَامَ الْإِبِلَ
حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي فَكُلَّ أَمْرِي فَإِنْ، وَإِنْ غَرَّهُ الْأَمَلَ

ثم قَدِمَ عليه - وهو عند رسول الله ﷺ - فقال له رسول الله - ﷺ -: «إن شئت فأقيم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك»، فقال: بل أقيم عندك. فلم يزل عند رسول الله - ﷺ - حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] قال: أنا زيد بن حارثة^(١).

فبلغ أباه قوله، فجاء هو وعمه كعب، حتى وقفا على رسول الله - ﷺ - بمكة، وذلك قبل الإسلام، فقالا له: يا بن عبد المطلب، يا بن سيد قومه، أنتم جيران الله، وتفككون العاني، وتطعمون الجائع، وقد جئناكم في ابننا عبدك، لثحين إلينا في فدائه، فقال: «أو غير ذلك؟» فقالا: وما هو؟ فقال: «أدعوه وأخبره، فإن اختاركما فذاك، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدًا»، فقالا له: قد زدت على التَّصَف، فدعاه رسول الله - ﷺ - فلما جاء قال: «مَن هذان؟» فقال: هذا أبي حارثة بن شراحيل، وهذا عمي: كعب بن شراحيل، فقال: «قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما، وإن شئت أقمت معي»، فقال: بل أقيم معك، فقال له أبوه: يا زيد أختار العبودية [على الحرية و] على أبيك وأمك ويلدك وقومك؟! فقال: إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا، وما أنا بالذي أفارقه أبدًا فعند ذلك أخذ رسول الله - ﷺ - بيده، وقام به إلى الملاء من قريش، فقال: «اشهدوا أن هذا ابني، وارثًا وموروثًا»، فطابت نفس أبيه عند ذلك، وكان يدعى: زيد بن محمد، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

وفي الشعر الذي ذكره ابن إسحق لحارثة بعد قوله:

حياتي وإن تأتي عليَّ مَنِيَّتِي فكل امرئٍ فإنَّ وإن غَرَّهُ الْأَمَلَ
سأوصي به قيسًا وعمرا كليهما وأوصي يزيد ثم أوصي به جَبَل

يعني: يزيد بن كعب [بن شراحيل] وهو ابن عمِّ زيد وأخوه [لأُمه] ويعني بجبل: جَبَلَة بن حارثة أخا زيد، وكان أسنَّ منه. سئل جبلة: مَن أكبر أنت أم زيد؟ فقال: زيدًا أكبر مني، وأنا ولدت قبله، يريد: أنه أفضل منه بسبقه للإسلام.

(١) انظر ترجمته في تهذيب الكمال (٣٤/١٠) وتهذيب التهذيب (٤٠١/٣) أسد الغابة (٢/٢٨١) الاستيعاب (٥٤٤) طبقات ابن سعد (٢٧/١/٣) طبقات خليفة (٦) تاريخ خليفة (٨٧/٨٦) سير أعلام النبلاء (٢٢٠/١) تاريخ ابن عساكر (١/٢٩/١٦) وفي التهذيب له (٤٥٤/٥).

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(١)

قال ابن إسحاق: ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، واسمه: عتيق، واسم أبي قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام: واسم أبي بكر: عبد الله، وعتيق: لقب لحسن وجهه وعتقه.

قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله.

وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب قریش لقریش، وأعلم قریش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه، ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله، وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه.

إسلام أبي بكر

فصل: وذكر إسلام أبي بكر ونسبه، قال: واسمه: عبد الله، وسُمي عتيقاً لعنافة وجهه، والعتيق: الحسن كأنه أعتق من الذم والغيب - وقيل: سُمي عتيقاً؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد، فنذرت إن وُلد لها ولدٌ أن تسميه: عبد الكعبة، وتتصدق به عليها، فلما عاش وشبَّ، سُمي: عتيقاً، كأنه أعتق من الموت، وكان يسمى أيضاً: عبد الكعبة إلى أن أسلم، فسماه رسول الله - ﷺ -: عبد الله، وقيل: سُمي: عتيقاً؛ لأن رسول الله - ﷺ - قال له حين أسلم: «أنت عتيق من النار»^(٢)، وقيل: كان لأبيه ثلاثة من الولد: مُعتق ومُعيتق وعتيق، وهو: أبو بكر، وسُيّل ابن معين عن أم أبي بكر فقال: أم الخير عند اسمها، وهي: أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة، واسمها: سلمى، وتكنى: أم الخير، وهي من المبايعات، وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمه: قَيْلَةُ - بياء بائتين منقوطة من أسفل - بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب. وامرأة أبي بكر أم ابنه

(١) انظر ترجمته في أسد الغابة (٢٧/٦) تاريخ الإسلام (٩٧/٢) الرياض المستطابة للمحب الطبري (١٤٠) صفة الصفوة (٢٣٥/١) الكنى والأسماء (٦/١) الاستيعاب (٢٩٣) الإصابة (١٠١/٤) التحفة اللطيفة (٣٥٨/٢) تهذيب الكمال (١٥٨٩/٣) تهذيب التهذيب (٤٣/١٢) ديوان الإسلام (ت ٦٦) تذكرة الحفاظ (٢/١) الكامل (٥٨٢/١).

(٢) «صحيح». أخرجه الترمذي (٣٦٧٩) والدولابي في الكنى (٦/١) وابن حبان (٢١٧١ - موارد والطبراني (٦/١) والطبري في تاريخه (٣٥٠/٢).

الذين أسلموا بدعوة أبي بكر

فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

وسعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، فجاء بهم إلى رسول الله - ﷺ - حين استجابوا له، فأسلموا وصلُّوا، وكان رسول الله - ﷺ - يقول فيما بلغني: «ما دعوتُ أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كُتُوبَةٌ، ونَظَرٌ وتردَّد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عَكم عنه حين ذكرته له، وما تردَّد فيه»^(١).

عبد الله وأسماء: قَتَلَت بنت عبد العزى بقاء منقوطة بائنتين من فوق، وقيل فيها: بنت عبد أسعد بن نصر بن جِسل بن عامر وهو قول الزبير وذكر أن رسول الله - ﷺ - عرض عليه الإسلام، فما عَكم عند ذلك، أي: ما تردَّد، وكان من أسباب توفيق الله إياه - فيما ذكر - رؤيا رآها قبل ذلك، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة، ثم رآه قد تفرَّق على جميع منازل مكة ويبيتها، فدخل في كل بيت منه شُعبَةٌ، ثم كأنه جُمع في حِجره، فقَصَّها على بعض الكتابيين، فعبرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه تتبعه، وتكون أسعد الناس به، فلما دعاه رسول الله - ﷺ إلى الإسلام، لم يتوقف، وفي مدح حَسَّان الذي قاله فيه، وسمعه النبي - ﷺ، ولم ينكره دليل على أنه أول من أسلم من الرجال، وفيه:

خير البرية أتقاها، وأفضلها بعد النبي، وأوفاهما بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدماً صدق الرُّسُل^(٢)

إسلام أبي عبيدة وسعيد بن زيد

وذكر إسلام أبي عبيدة بن الجراح واسمه، وقد اختلف فيه، فقليل: عبد الله بن عامر،

(١) انظر الرياض النضرة للطبري (١/٧٥). (٢) انظر نسب قريش للزبير (٢٧٦).

قال ابن هشام: قوله: «بدعائه» عن غير ابن إسحق.

قال ابن هشام: قوله: عكم: تلبث. قال رؤبة بن العجاج:

وانظاع وثأب بها وما عكم

قال ابن إسحق: فكان هؤلاء الثفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا
وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله.

ثم أسلم أبو عُبَيْدَة، واسمه: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن
ضَبَّة بن الحارث بن فهر. وأبو سَلَمَة، واسمه: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن
عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقْظَة بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤي.

والأرقم بن أبي الأرقم. واسم أبي الأرقم: عبد مناف بن أسد - وكان أسد يُكْنَى:
أبا جُنْدُب - بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقْظَة بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤي.
وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن خذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن
كَعْب بن لؤي. وأخواه: قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب.

وعُبَيْدَة بن الحارث بن الْمُطَلِّب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن
كَعْب بن لؤي، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُزْط بن
رِيَّاح بن رَزَّاح بن عدي بن كَعْب بن لؤي، وامراته: فاطمة بنت الخطَّاب بن نُفَيْل بن
عبد العزى بن عبد الله بن قُزْط بن رِيَّاح بن رَزَّاح بن عدي بن كَعْب بن لؤي، أُخْتُ
عُمَر بن الخطَّاب. وأسماء بنت أبي بكر. وعائشة بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة.
وخبَّاب بن الأرت، حليف بني زهرة.

قال ابن هشام: خَبَّاب بن الأرت من بني تميم، ويقال: هو من خزاعة.

وقيل: عامر بن عبد الله. وأمه: أُمَيْمَة بنت عَنَم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن
وَدِيعَة بن الحارث بن فهر، قاله الزبير^(١).

وذكر إسلام سعيد بن زيد، وقد ذكرناه فيما مضى، وذكرنا أمه فاطمة بنت بَغْجَة بن
خَلْف الخُزَاعِيَة، وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير، ومن الفتح في رَزَّاح بن عدي
والكسر، وأن رزاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه، ويكنى سعيد: أبا
الأعور، توفي بأرضه بالعقيق، ودفن بالمدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى

(١) في نسب قريش (ص ٤٤٥).

قال ابن إسحاق: وعُمَيْرُ بن أَبِي وَقَّاصٍ، أخو سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ. وعَبْدُ اللَّهِ بن مَسْعُود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذَيْل حليف بني زُهْرَةَ، ومسعود بن القاري، وهو مَسْعُود بن رَبِيعَةَ بن عمرو بن سعد بن عبد العُزَّى بن حَمَالَةَ بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سُبَيْع بن الهُون بن خُزَيْمَةَ من القارّة.

وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، روى عنه ابن عُمَر، وعَمْرُو بن حُرَيْث، وأبو الطُّفَيْل عامر بن وَاثِلَةَ وجماعة من التابعين، ولم يرو عن رسول الله - ﷺ - إلا حديثين. أحدهما: «مَنْ غَضِبَ شَبْرًا مِنْ أَرْضِ طُوقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(١) وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالجنة، وأحد الذين رجف بهم الجبل، فقال له النبي ﷺ: «أَثْبُتْ جِرَاءً؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»^(٢). ويروى: «أَثْبُتْ أُحُدًا»^(٣)، وأن القصة كانت في جبل أُحُدٍ، ويروى أنها كانت في جَبَلِ ثُبَيْرٍ ذكره الترمذي، وأنهم كانوا أربعة مع رسول الله ﷺ، وهم الخلفاء الأربعة، ولعل هذا أن يكون مرارًا، فتصح الأحاديث كلها، والله أعلم.

إسلام سعد وابن عوف والنحام

وذكر فيمن أسلم بعد أبي بكر سعد بن أبي وقَّاص، واسم أبي وقَّاص: مالك بن أُمَيْب، وأُمَيْب: هو عمّ أَمَنَةُ بنت وهب أم النبي - ﷺ - والوقاص في اللغة، هو واحد الوقايقص وهي شباك يصطاد بها الطير، وهو أيضًا فَعَالٌ مَنْ وَقَصَ إِذَا انكسر عنقه، وأمّ سعد: حَمَنَةُ بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، يكنى: أبا إسحاق، وهو أحد العشرة، دعا له النبي - ﷺ - أن يُسَدِّدَ اللَّهُ سَهْمَهُ، وأن يُجِيبَ دَعْوَتَهُ، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة^(٤). وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «احذروا دعوة سعد». مات في خلافة معاوية.

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٧٠/٣) ومسلم في المساقاة (١٤٢) وأحمد (٦٤/٦) والدارمي (٢٦٧/٢) والبيهقي (٩٩/٦).

(٢) «صحيح». أخرجه الترمذي (٣٧٥٧) وابن ماجه (١٣٤) وأحمد (١٨٩/١) والحاكم (٤٥١/٣) وأبو داود (٤٦٤٨) بتحقيقي.

(٣) «صحيح». أخرجه البخاري (١٤/٥) والترمذي (٢٦٩٧) وأحمد (٣٣١/٢) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤١).

(٤) «صحيح». أخرجه الترمذي (٣٧٥٢) وابن حبان (٢٢١٥ - موارد) والحاكم (٤٩٩/٣) وصححه وأخرجه الذهبي. وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٩٧/١/٣) نسب قريش (٩٤) طبقات خليفة (١٢٦/١٥) وتاريخ خليفة (٢٢٣) حلية الأولياء (٩٩ - ٩٥) تاريخ بغداد (١٤٤/١) =

قال ابن هشام: والقارة: لقب، ولهم يقال:

قد أنصف القارة من رامها

وكانوا قومًا رُماةً.

قال ابن إسحاق: وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي. وامراته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية. وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي. وعامر بن ربيعة بن عثر بن وائل، حليف آل الخطاب بن ثعلبة بن عبد العزى.

قال ابن هشام: عثر بن وائل أخو بكر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن جحش بن رثاب بن يغمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة. وأخوه: أبو أحمد بن جحش، حليف بني أمية بن عبد شمس. وجعفر بن أبي طالب، وامراته: أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة، من خثعم، وحاطب بن الحارث بن مغمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، وامراته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. وأخوه خطاب بن الحارث، وامراته فكيهة بنت يسار. ومغمر بن الحارث بن مغمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي. والسائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب. والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وامراته: رملة بنت أبي عوف بن صبيزة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي. والثحام، واسمه: نعيم بن عبد الله بن أسيد، أخو بني عدي بن كعب بن لؤي.

وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، وهو أيضًا أحد العشرة يكتى: أبا محمد، أمه: الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث وهي بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف، فأبوها: عوف عم عوف وأخو عبد عوف.

= أسد الغابة (٣٦٦/٢) سير أعلام النبلاء (٩٢/١) تاريخ الإسلام (٢٨١/٢) العبد (٦٠/١) العقد الثمين (٥٣٧/٤) النجوم الزاهرة (١٤٧/١).

قال ابن هشام: هو نُعَيْم بن عبد الله بن أسيد بن عبد الله بن عَوْف بن عُبَيْد بن عَوْيج بن عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيّ، وإنما سُمِّي النُّحَامَ، لأن رسول الله - ﷺ - قال: «لقد سمعت نُحْمَةً في الجنة».

قال ابن هشام: نحمة: صوته وحِشُّه.

وذكر نُعَيْم بن عبد الله النُّحَامَ، وقول النبي - ﷺ -: «سمعت نُحْمَةً في الجنة»، ولم يفسر النُّحَمَ ما هو، وهي سُغلة مستطيلة، ويقال للبخيل: نَحَام؛ لأنه يَسْئَل إذا سُئِلَ يتشاغل بذلك، وأنشد الزبير:

ما لك لا تَنحِمَ يا رَواحَةَ إن النُّحِيمَ للسُّقَاةِ راحة
قال: ويقال للنُّحْمَة: نُحْطَة، وقال غيره: النُّحْطَة في الصدر، والنُّحْمَة في الحلق، والنُّحَامَ أيضًا طائر أحمر في عظم الإوز.

عبد الله بن مسعود ومسعود القاري

وذكر عبد الله بن مسعود بن شَمَخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هَذِيل حليف بني زهرة، وقال في نسبه: كَاهِل، وقيده الوقشي بفتح الهاء من كَاهِل، كأنه سُمِّي بالفعل من كَاهِل يُكَاهِلُ، كما قال - عليه السلام - لرجل استأذنه في الجهاد - واسمه: جَاهِمَة - فقال: هل في أهلك مِنْ كَاهِلٍ أَي: من قَوِيٍّ على التصرف، والاكتحال: القوة. وقال أبو عبيد: كَاهِلُ أَي: أَسَن، وقال ابن الأعرابي: إنما لفظ الحديث هل في أهلك من كاهن، وغيره الراوي له، فقال: مِنْ كَاهِلٍ، قال: وكاهن الرجال، هو الذي يخلف الرجل في أهله يقوم بأمرهم بعد، يقال منه: كَهَنَ يَكْهِنُ كهانة.

وذكر في نسبه أيضًا شَمَخًا وهو من شَمَخَ بأنفه إذا رفعه عزة. وأم عبد الله هي: أم عبد بنت سَوْد بن قديم بن صاهلة هذلية.

وذكر مسعودًا القاري، وهو: مسعود بن ربيعة ورفع نسبه إلى الهَوْن بن خُزَيْمة، وهم القارّة وفيهم جرى المثل المثل: قد أنصف القارة من رامها. قال الراجز:

قد علمت سَلَمَى، وَمَنْ والاهَا أنا نرد الخَيْلَ عَنْ هواها
نردّها دَامِيَةً كُلاهَا قد أنصف القَارّة مَنْ رامها
إنّا إذا ما فِتْنَةً نَلَقّاها نَرُدُّ أُولاهَا على أخراها

وسُمِّي بنو الهَوْن بن خُزَيْمة قارّة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب:
دَعُونَا قَارَةً لا تُذْعِرُونَا فَتُجْفَلْ مثل إجفال الظِّلِيمِ

هكذا أنشده أبو عُبيد في كتاب الأنساب، وأنشده قاسم في الدلائل:

دَعُونَا قَارَةَ لَا تُذْعِرُونَا فَتَنْبِتِكَ الْقَرَابَةَ وَالذَّمَامَ

وكانوا رُمَاءَ الْحَدَقِ، فَمَنْ راماهم فقد أنصفهم، والقارة: أرض كثيرة الحجارة، وجمعها قُور، فكان معنى المثل عندهم: أن القارة لا تَنْفُذُ حِجَارَتُهَا إِذَا رَمِيَ بِهَا، فَمَنْ رامَاهَا فقد أنصف.

وهم في نسب أبي حذيفة:

وذكر أبا حذيفة بن عتبة. قال ابن هشام: واسمه: مِهْشَم، وهو وَهْم عند أهل النسب، فإن مِهْشَمًا إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم، وهشام ابني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه: قيس فيما ذكروا.
عميس:

وذكر أسماء بنت عُمَيْس امرأة جعفر بن أبي طالب، وعُمَيْس أبوها هو: ابن مَعْد بن الحارث بن تَيْم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن زيد بن مالك بن نَسْر بن وَهْب بن شَهْرَانَ بن عَفْرَس بن حُلَف بن أَقْتَل، وهو: جماعة خُتَم بن أنمار على الاختلاف في أنمار هذا، وقد تقدم. وأما: هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من كِنانة، وهي أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي - ﷺ -. أمهما واحدة، وأخت لبابة أم الفضل امرأة العباس، وكنّ تسع أخوات، فيهنّ قال رسول الله - ﷺ -: «الأخوات مؤمنات»^(١) وكانت قبل جعفر عند حَمْزَةَ بن عبد المطلب، فولدت له أمة الله، ثم كانت عند شداد بن الهاد، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن، وقد قيل: بل التي كانت عند حمزة، ثم عند شداد هي أختها: سلمى، لا أسماء، وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق، فولدت له محمد بن أبي بكر، وتزوجها بعده علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى. قال الكلبي: ولدت له مع يحيى عون بن علي، ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابناً اسمه: عون، وولدت له أيضًا عبد الله بن جعفر، وكان جواد العرب في الإسلام، وبنات عُمَيْس: أسماء وسلامة وسلمى، وهنّ أخوات ميمونة وسائر أخواتها لأم.

تصويب في نسب بني عدي:

وذكر ابن إسحق في السابقين إلى الإسلام من بني سَهْم: عبد الله بن قيس بن

(١) أخرجه الحاكم (٣٢/٤) والطبري في الكبير (٤١٥/١١) وابن سعد (٩٨/٨).

قال ابن إسحق: وعامر بن فُهَيْرَة، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الحارث بن عدي بن سَعِيد بن سهم، وحيثما تكرر نسب بني عدي بن سعد بن سهم يقول فيه ابنُ إسحق: سَعِيد، والناس على خلافه، وإنما هو سَعْدٌ، وسيأتي في شعر عبد الله بن قيس. شاهد على ذلك، وإنما سَعِيدُ بن سَهْم أخو سعد، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سهم وفي سهم: سَعِيدٌ آخر، وهو ابن سعد المذكور، وهو جد المطلب بن أبي وداعة، واسم أبي وداعة: عوف بن صُبَيْرَة، ابن سَعِيد بن سعد، وقد قيل في صُبَيْرَة: صُبَيْرَة بالضاد المعجمة، وهو الذي كان شاباً جميلاً يلبس حلّة، ويقول للناس: هل ترون بي بأساً إعجاباً بنفسه، فأصابته المنية بغتة، فقال الشاعر فيه:

مَنْ يَأْمَنُ الْجِدْثَانَ بَعْدَ صُبٍ نِيرَة الْقِرْشِي مَاتَا
سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ الْمَشِي بَ وَكَانَ مَنِيَّتُهُ أَفْتِلَاتَا^(١)

عز:

وذكر عامر بن ربيعة، وقال: هو من عَنَزِ بن وائل. عَنَز بسكون النون، ويذكر عن علي بن المديني أنه قال: فيه عَنَز بفتح النون، والسكون أغرف. ذكر أهل النسب أن وائلاً [بن قاسط] كان إذا وُلِدَ له وَلَدٌ، خرج من خبائه، فما وقعت عينه عليه سمّاه به، فلما وُلِدَ له بكر وقعت عينه على بَكْرٍ من الإبل، فسّمّاه به، فلما وُلِدَ له تغلب رأى نفسين يتغالبان، فسّمّاه تَغْلِبَ، فلما وُلِدَ له عَنَزٌ، رأى عَنَزَا - وهي الأنثى من المعز - فسّمّاه عَنَزَا، فلما وُلِدَ له الشَّخِصُ خرج فرأى شخصاً على بُعدٍ صغيراً، فسّمّاه: الشَّخِصَ، بهؤلاء الأربع، هم قبائل وائل، وهم معظم ربيعة، وهو عامر بن ربيعة العَنَزِيّ الْعَدَوِيّ حليف لهم، ويقال: هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رُقَيْدَة بن عَنَزِ بن وائل بن قاسط، وقيل: عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حَجِير بن سلامان بن هُنُب بن أَفْضَى بن دُعَيْم بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَد بن عَدْنَان.

إسلام عامر بن فُهيرة

وذكر عامر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر، وفُهَيْرَة: أمّه، هي تصغير فُهر، لأن الفُهرَ مؤنثة، وكان عبداً أسوداً للطُّفَيْل بن الحارث بن صَخْرَة اشتراه أبو بكر فاعتقه، وأسلم قبل دخول النبي - ﷺ - دار الأَرْقَم، وسيأتي في الكتاب بُدُّ من أخباره، منها: أنه قتله عامر بن الطفيل

(١) افتلاتاً: أي فجأة.

قال ابن هشام: عامر بن فُهَيْرَة مَوْلَد من مَوْلَدِي الأسد، أسودُ اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم.

قال ابن إسحاق: وخالد بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَي بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي، وامراته أُمَيَّة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سُبَيْع بن جَعْفَمَة بن سعد بن مَلِيح بن عمرو، من خُزاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَيَّة بنت خَلَف.

قال ابن إسحاق: وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُد بن نَضْر بن مالك بن حِجْل بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فُهَيْر. وأبو حَذِيفَة، واسمه: مِهْشَم - فيما قال ابن هشام - بن عُتْبَة بن رَبِيعَة بن عبد شمس بن عَبد مناف بن قُصَي بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي. وواقِد بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثعلبة بن يَزْبوع بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، حليف بني عدي بن كَعْب.

قال ابن هشام: جاءت به باهلة، فباعوه من الخطأب بن نُفيل، فتبَّاه، فلما أنزل الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] قال: أنا واقِد بن عَبدِ الله، فيما قال أبو عمرو المدني.

قال ابن إسحاق: وخالد وعامر وعافل وإياس بنو البُكَيْر بن عبد ياليل بن ناشب بن غَيْرَة من بني سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَة بن كِنانة حلفاء بني عدي بن كَعْب. وعَمَّار بن ياسر، حليف بني مخزوم بن يَقْظَة.

قال ابن هشام: عَمَّار بن ياسر عَنَسِي من مَذْحِج.

يوم بثر معوثة، فلما طعنه خرج من الطعنة نور، وكان عامر يقول: مَنْ رَجَلٌ لما طعنته رُفِع، حتى حالت السماء دونه، هذه رواية البُكَائِي عن ابن إسحاق، وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامراً سأل رسول الله - ﷺ - حين قَدِمَ عليه، وقال: يا محمد مَنْ رَجَلٌ من أصحابك لما طعنته رُفِع إلى السماء؟ فقال: «هو عامر بن فُهَيْرَة»، وروى هشام بن عُروَة عن أبيه: أن عامراً التَمَسَ في القتلى يومئذ فلم يُوجد، فكانوا يرون أن الملائكة رفعتَه، أو دفنته ذكره ابن المبارك^(١).

(١) أخرج البخاري في المغازي (٤٠٩٣) في حديث طويل قول عمرو بن أمية: «هذا عامر بن فُهَيْرَة فقال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع».

قال ابن إسحاق: وَصْهَيْب بن سِنَان، أَحَد الثَّمَرِ بن قَاسِط، حَلِيف بَنِي تَيْم بن مُرَّة.

قال ابن هشام: الثَّمَر بنُ قَاسِط بن هَنْب بن أَفْصَى بن جَدِيلَة بن أَسَد بن رَبِيعَة بن نَزَار، وَيُقَال: أَفْصَى بن دُعَيْمِ بن جَدِيلَة بن أَسَد، وَيُقَال: صْهَيْب: مولى عبد الله بن جُدْعَان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْدَ بن تَيْم.

اصدع بما تؤمر وما المصدرية والذي:

فصل: وذكر قول الله سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. والمعنى: اصدع بالذي تؤمر به، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حُسِّن حذفها، وكان الحذف ههنا أحسن من ذكرها؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذي، وقولهم: ما مع الفعل بتأويل المصدر، راجع إلى معنى الذي إذا تأملته، وذلك أن الذي تصلح في كل موضع تصلح فيه ما التي يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر^(١):

عسى الأيام أن يَرْجِفَ نَ يَوْمًا كالذي كانوا

أي: كما كانوا، فقول الله عز وجل إذا: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ إما أن يكون معناه: بالذي تؤمر به من التبليغ ونحوه، وإما أن يكون معناه: اصدع بالأمر الذي تؤمره، كما تقول: عجبت من الضرب الذي تضربه، فتكون ما ههنا عبارة عن الأمر الذي هو أمر الله تعالى، ولا يكون للباء فيه دخول، ولا تقدير، وعلى الوجه الأول تكون ما مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبي - ﷺ - والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذي هو قول الله ووحيه، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى: ما، وإن كانت بمعنى الذي في الوجهين جميعًا، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها، وإذا أردت معنى المأمور به، حذفت باء وهاء، فحذفت واحد أيسر من حذفين مع أن صدعه وبيانه إذا علقت به بأمر الله ووحيه، كان حقيقة، وإذا علقت به بالفعل الذي أمر به كان مجازًا، وإذا صرحت بلفظ الذي، لم يكن حذفها بذلك الحسن، وتأمله في القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] ﴿وَيَعْلَمَ مَا تَسْرَوْنَ وَمَا تَعْلَنُونَ﴾ [التغابن: ٤]. ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي﴾ [ص: ٧٥]. ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون]. ولم يقل: خلقته، وحذف الهاء في ذلك كله، وقال في الذي: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُم الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٢١] ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سِوَاءَ﴾ [الحج: ٢٥] وما أشبه ذلك، وإنما كان الحذف مع ما أحسن لما قدمناه من

(١) هو: شبل بن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك المشهور بالفند الزماني. وانظر القصيدة في كتاب «الحيوان» للمجاط (١٤٠/٦) والأمالى للقالى (٢٦٠/١).

ويقال: إنه رُومي. فقال بعض مَنْ ذُكر أنه من الثَّيَرِ بن قاسط: إنما كان أسيرًا في أرض الروم، فاشترى منهم، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: صُهِيبَ سابق الروم^(١).

إبهامها، فالذي فيها من الإبهام قَرَّبها مِن ما التي هي شرط لفظًا ومعنى، ألا ترى أن ما إذا كانت شرطًا تقول فيها: ما تَصْنَعُ أصنع مثله، ولا تقول: ما تصنعه؛ لأن الفعل قد عمل فيها، فلما ضارعتها هذه التي هي موصولة، وهي بمعنى الذي أُجريت في حذف الهاء مجراها في أكثر الكلام، وهذه تفرقة في عود الضمير على ما، وعلى «الذي» يشهد لها التنزيل، والقياس الذي ذكرناه من الإبهام، ومع هذا لم نَرِ أحدًا نَبَّهَ على هذه التفرقة، ولا أشار إليها، وقارئ القرآن محتاج إلى هذه التفرقة. وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذي؛ لأنه أوجز، ولكنه ليس كحُسْنِهِ مع مَنْ وَمَا، ففي التنزيل: ﴿وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلْنَاهُ﴾ [التغابن: ٨] فإن كان الفعل متعديًا إلى اثنين كان إبراز الضمير أحسن من حذفه، لثلاثتهم أن الفعل واقع إلى المفعول الواحد، وأنه مقتصر عليه، كقوله تعالى: ﴿وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً﴾ [الحج: ٢٥] و﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٢١] وشرح ابن هشام معنى قوله: اصدع شرحًا صحيحًا، وتتمته أنه صدع على جهة البيان، وتشبيهه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل. والقرآن نور، فصدع به تلك الظلمة، ومنه سُمِّيَ الفجر: صديعًا، لأنه يصدع ظلمة الليل، وقال الشَّماخ:

تَرَى السُّزْحَانَ مُفْتَرِشًا يَدِيهِ كَأَنَّ بَيَاضَ لَبَّتِهِ صَدِيعُ
على هذا تأوله أكثر أهل المعاني، وقال قاسم بن ثابت: الصديع في هذا البيت: ثوب أسود تلبسه النَّوَّاحَةُ تحته ثوب أبيض، وتصدع الأسود عند صدرها فيبدو الأبيض، وأنشد:

كَأَنَّهُنَّ إِذْ وَرَدْنَ لَيْعًا نَوَّاحَةٌ مُجَنَّبَةٌ صَدِيعًا

تم الجزء الأول من الروض الأنف
ويليه إن شاء الله الجزء الثاني
وأوله: مباداة رسول الله ﷺ قومه

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٦١/١/٣) والطبري في تفسيره (٦٦/٢٢) وابن عساكر في تهذيبه (٣٠٩/٣) (٤٥٠/٦).

الفهرس

٣	خطبة الكتاب
٤	ترجمة ابن إسحق
٥	ترجمة ابن هشام
٦	ترجمة الإمام السهيلي
٨	عملي في الكتاب
١١	المؤلفات في السيرة
١٢	نداء إلى أصحاب الطرق الصوفية
١٥	مقدمة الروض الأنف
٢٣	ذكر سرد النسب الذكي
٣٧	حكم التكلم في الأنساب
٣٩	سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام
٤١	حديث الوصاة بأهل مصر
٤٣	أصل العرب وأولاد عدنان ومعد وقضاعة
٤٥	ذكر قحطان والعرب العاربة
٤٨	ذكر نسب الأنصار
٥٢	قنص بن معد ونسب النعمان
٥٦	أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سد مأرب
٥٨	حديث ربيعة بن نصر ورؤياه
٦٨	استيلاء أبي كرب تبار أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب
٧٢	قصة مقاتلة تبار لأهل المدينة
٧٨	تبع يعتنق النصرانية ويدعو قومه إليها
٨٠	أصل اليهودية باليمن

٨٢	مصير رثام
٨٤	هلاك عمرو
٨٥	خبر لخنيسة وذئ نواس
٨٧	ابتداء وقوع النصرانية بنجران
٩٠	أمر عبد الله بن الثامر، وقصة أصحاب الأخدود
٩٣	ابن الثامر يدعو إلى الإسلام
٩٦	هل الشهداء أحياء في قبورهم
٩٧	أصحاب الأخدود ومعناه
١١١	أمر الفيل، وقصة النساء
١١٧	سبب حملة أبرهة على الكعبة
١١٨	ذو نفر ونفيل يحاولان حماية البيت
١١٩	قصة أبي رغال وقبره المرجوم
١٢٠	عدوان الأسود على مكة
١٢٠	رسول أبرهة إلى عبد المطلب
١٢٠	الشافعون عند أبرهة لعبد المطلب
١٢١	عبد المطلب وأبرهة
١٢٢	عبد المطلب يستغيث بالله
١٢٣	شاعر يدعو على الأسود
١٢٤	أبرهة والفيل والكعبة
١٣٢	ما قيل في صفة الفيل من الشعر
١٣٨	خروج سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن
١٤٦	مدة ملك الحبشة باليمن
١٤٧	حديث يتنبأ بقتل كسرى
١٤٩	كتاب الحجر
١٥١	زرقاء اليمامة
١٥٢	قصة ملك الحضرة
١٦٠	ذكر نزار بن معد ومن تناسل منهم
١٦٤	قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب
١٦٦	أول ما كانت عبادة الحجارة
١٦٨	أصنام قوم نوح
١٦٨	أصنام القبائل العربية

١٨١ أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي
١٨٤ نسب خزاعة
١٨٦ أولاد مدركة وخزيمة وكنانة والنضر
١٩١ غالب وزوجاته وأولاده
٢٠١ أمر البسل
٢٠٢ أولاد كعب ومرة وأمهاهم
٢١٠ أمهات رسول الله - ﷺ -
٢١٢ حديث مولد رسول الله - ﷺ -
٢١٤ أمر جرهم، ودفن زمزم
٢١٦ استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم
٢٢٠ من كتاب الأمثال للأصبهاني
٢٢٤ استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت
٢٢٥ قصي يتولى أمر البيت
٢٢٦ ما كان يليه الغوث بن مَرّ من الإجازة للناس بالحج
٢٣١ الحكم بالأمارات
٢٣٢ غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له
٢٣٩ ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قصي وحلف المطيبين
٢٤٢ حلف الفضول
٢٥٧ ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلق فيها
٢٦٦ ذكر بئار قبائل قريش بمكة
٢٧١ ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده
٢٧٤ ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب
٢٧٨ ولادة رسول الله ﷺ
٢٨٠ اسم محمد وأحمد
٢٨٢ تعويذ عبد المطلب
٢٨٢ تاريخ مولده
٢٨٣ تحقيق وفاة أبيه
٢٨٣ أبوه من الرضاعة
٢٨٤ تحقيق اسم ناصرة بن قصبة
٢٨٤ شرح ما في حديث الرضاع
٢٨٧ لِمَ كانت قريش تدفع أولادها إلى المراضع

٢٩٠ حديث السكينة
٢٩١ مسألة شق الصدر مرة أخرى
٢٩٢ مناسبة الذهب للمعنى المقصود
٢٩٤ الحكمة في ختم النبوة
٢٩٤ ردّ حليلة للنبي ﷺ
٢٩٤ تأويل النور الذي رآه آمنة
٢٩٤ رعيه الغنم
٢٩٧ وفاة آمنة وحال رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بعدها
٣٠٠ وفاة عبد المطلب وما رُئي به من الشعر
٣١٣ كفالة أبي طالب لرسول الله ﷺ
٣١٨ حرب الفجار
٣٢٢ حديث تزويج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها
٣٢٦ أولاده ﷺ منها
٣٢٨ مَنْ تزوّجت خديجة قبل الرسول
٣٢٨ مارية وإبراهيم
٣٣٠ ترجمة ورقة
٣٣٦ حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحجر
٣٤٠ سبب آخر لبنيان البيت
٣٤٠ حول بناء الكعبة مرة أخرى
٣٤٢ حول بناء المسجد الحرام
٣٤٣ كنز الكعبة والنجار القبطي
٣٤٤ الحية والدابة
٣٤٥ الحجر الذي كان مكتوبًا
٣٤٦ حول الحجر الأسود وقواعد البيت
٣٤٨ حديث الحمس
٣٥٢ رجز المرأة الطائفة
٣٥٢ أسطورة
٣٥٣ ما نزل من القرآن في أمر الحمس
٣٥٤ أخبار الكهان من العرب والأخبار من يهود والرهبان من النصارى
٣٥٥ رمي الشياطين
٣٥٦ الجن الذين ذكرهم القرآن

٣٥٨	ابن علاط والجن
٣٥٩	حول انقطاع الكهانة
٣٦٠	الغيطلة الكاهنة وكهانتها
٣٦٢	ثقيف ولهب والرمي بالنجوم
٣٦٣	أصل ألف إصابة
٣٦٤	معنى كلمة أيش والأحاتم
٣٦٦	جليح وسواد بن قارب
٣٦٧	سواد ودوس عند وفاة الرسول ﷺ
٣٦٨	إنذار يهود برسول الله ﷺ
٣٧٢	حديث إسلام سلمان رضي الله عنه
٣٧٦	حكم الصدقة للنبي ومصدر مال سلمان
٣٧٧	أول من مات بعد الهجرة
٣٧٨	أسطورة نزول عيسى قبل بعثة النبي ﷺ
٣٧٩	الزواج من امرأة الأب في الجاهلية
٣٨٠	تفسير بعض قول ابن جحش
٣٨١	بعض الذين تنصروا
٣٨٢	اعتزال زيد بن عمرو بن نفيل الأوثان
٣٨٤	زيد وصعصة والموءودة
٣٩٤	صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل
٣٩٦	مبعث النبي ﷺ
٣٩٨	النبوة وأولو العزم
٣٩٨	أول ما بُدئ به النبي ﷺ من النبوة
٤٠٠	حول مجاورته في حراء
٤٠١	كيفية الوحي
٤٠٣	من تفسير حديث الوحي
٤٠٦	رؤية جبريل ومعنى اسمه
٤٠٨	معنى الناموس
٤٠٩	لِمَ ذكر موسى ولم يذكر عيسى
٤١٠	حول اليافوخ والذهاب إلى ورقة
٤١٢	ابتداء تنزيل القرآن
٤١٣	حول إضافة شهر إلى رمضان

٤١٣ حب الرسول ﷺ ووطنه
٤١٤ اسلام خديجة بنت خويلد
٤١٦ حول ما بُشِّرَتْ به خديجة
٤١٨ الموازنة بين خديجة وعائشة
٤٢٠ فترة الوحي
٤٢١ شرح شعر الهذلي والفرزدق
٤٢٣ ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ من الصلاة وأوقاتها
٤٢٤ الوضوء
٤٢٥ إمامة جبريل
٤٢٦ ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول دَكر أسلم
٤٢٧ أبو طالب يكتشف إيمان علي
٤٢٨ إسلام زيد بن حارثة ثانيًا
٤٣٠ إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٤٣١ الذين أسلموا بدعوة أبي بكر

الروض الألف

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
أخنتعوي الشهابي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ

ومعه
السيرة النبوية

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفى سنة ٢١٣ هـ

علق عليه روض عمر
محمدي به نصير به سيد الشورى

تنبيه

وَضَعْنَا فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ فِي أَعْلَى الصَّفَحَاتِ
وَوَضَعْنَا أَسْفَلَ مِنْهَا نَصَّ الرُّوضِ الْأَلْفِ
وَفَصَّلْنَا بَيْنَهُمَا بِخَطِّ

الجزء الثاني

منشورات

محمدي بيضاوي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مبادأة رسول الله ﷺ قومه

قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به. ثم إن الله - عز وجل - أمر رسوله ﷺ - أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ - أمره، واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْنَّذِيرُ الْمُنِينُ﴾^(١) [الشعراء: ٢١٥ - ٢١٧].

قال ابن هشام: فاصدع: افرق بين الحق والباطل. قال أبو ذؤيب الهذلي، واسمه: خويلد بن خالد، يصف أتن وخش وفحلها:

وكانهن ربابة، وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

مبادأة رسول الله ﷺ قومه

أصل الصلاة لغة:

ذكر في الحديث: أن أبا طالب حدى على رسول الله ﷺ - وقام دونه: أصل الحدى: انحناء في الظهر، ثم استعير فيمن عطف على غيره، ورق له كما قال النابغة: حديت علي بطون ضبة كلها إن ظالمًا فيهم، وإن مظلوما

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/١٩٩) والوفا (٢٤٠) والمتنظم لابن الجوزي (١/٣٦٤).

أي: يُفَرَّق على القِداح وَيَبَيِّن أنصاءها. وهذا البيت في قصيدة له. وقال رؤية بن العجاج:

أَنْتَ الْحَلِيمُ، وَالْأَمِيرُ الْمُتَّقِمُ تَصُدِّعُ بِالْحَقِّ، وَتَنْفِي مَنْ ظَلَمَ
وهذان البيتان في أرجوزة له.

صلاة الرسول وأصحابه في الشعاب:

قال ابن إسحاق: وكان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا صَلَّوْا، ذهبوا في الشعاب، فاستَخَفُّوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سَعَدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي شَيْبٍ مِنْ شُعَابِ مَكَّةَ، إِذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَشْرِكِينَ - وَهُمْ يَصْلُونَ - فَنَاكَرُوهُمْ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتَّى قَاتَلُوهُمْ، فَضْرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنَ الْمَشْرِكِينَ بِلُخْيٍ بَعِيرٍ، فَشَجَّهَ، فَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ هُرِيقَ فِي الْإِسْلَامِ^(١).

عداوة الشرك للرسول ومساومته لعمته:

قال ابن إسحاق: فلما بادى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم قومه بالإسلام وصدَّع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خِلافَه وعداوتَه، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَهُمْ قَلِيلٌ مُسْتَخَفُّونَ، وَحَدِّبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُمَهُ أَبُو طَالِبٍ، وَمَنْعَهُ وَقَامَ دُونَهُ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، مُظْهِرًا لِأَمْرِهِ، لَا يَرُدُّهُ

ومثل ذلك الصلاة، أصلها: انحناء وانعطاف من الصَّالِّينَ وهما: عرقان في الظهر إلى الفخذين، ثم قالوا: صَلَّى عليه، أي: انحنى عليه، ثم سَمُّوا الرَّحْمَةَ حُنُوًّا وصلاة، إذا أرادوا المبالغة فيها، فقولك: صَلَّى الله على محمد، هو أَرْقُ وأَبْلَغُ من قولك: رَحِمَ الله محمدًا في الحنو والعطف. والصلاة أصلها في المحسوسات غُبْرٌ بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيذاً كما قال الشاعر:

فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنِي [لَه] وَتَعَطُّفِي عَلَيْهِ، كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ

ومنه قيل: صَلَّيْتُ عَلَى الْمَيِّتِ أي: دعوت له دعاء مَنْ يَحْنُو عَلَيْهِ وَيَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ. ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق: لا تقول: صَلَّيْتُ عَلَى الْعَدُوِّ، أي: دعوت عليه. إنما يقال: صَلَّيْتُ عَلَيْهِ فِي مَعْنَى الْحُنُوِّ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ؛ لِأَنَّهَا فِي الْأَصْلِ

(١) أخرجه ابن الجوزي في الوفا (٢٦٣) وذكره ابن الجوزي في المنتظم (٣٦٧/١) ونسبه لابن برير.

عنه شيء. فلما رأت قريش، أن رسول الله ﷺ لا يُغْتَبِهُم مِنْ شيء، أنكروه عليه، من فراقهم وعَيَّبَ آلَهم، ورَأَوْا أن عَمَّهُ أبا طالب قد حَدَبَ عليه، وقام دونه، فلم يُسَلِّمْهُ لهم، مشى رجالٌ من أَشراف قُريش إلى أبي طالب، عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابْنَا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غالب. وأبو سفيان بن حَزْب بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام: واسم أبي سفيان: صَخْر.

قال ابن إسحق: وأبو الْبَخْتَرِيِّ، واسمه: العاص بن هشام بن الحارث بن أَسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصَيِّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيِّ.

انعطاف، ومن أجل ذلك عُدِّيَتْ في اللفظ بعلى، فتقول: صَلَّيت عليه، أي: حَنَوْتُ عليه، ولا تقول في الدعاء إلا: دعوتُ له، فَتَعَدِّي الفعل باللام، إلا أنْ تريد الشرَّ والدعاء على العدو، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء، وأهل اللغة لم يفرقوا، ولكن قالوا: الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقاً، ولم يفرقوا بين حالٍ وحالٍ، ولا ذكروا التعدي باللام، ولا بعلى، ولا بدَّ من تقييد العبارة، لما ذكرناه، وقد يكون الْحَدَبُ أيضاً مستعملاً في معنى المخالفة إذا قُرِنَ بِالْقَعْسِ كقول الشاعر:

وإن حَديبُوا، فأَقْعَسُ^(١) وإن هم تقاعسوا
وكقول الآخر:

ولن يُنْهِنِه^(٢) قوماً أنت خائِفُهُم
فأَقْعَسَ إذا حَديبُوا، واخْذَبْ إذا قَعِسُوا
أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان له.

أبو الْبَخْتَرِيِّ:

فصل: وذكر مجيء النفر من قريش إلى أبي طالب في أمر النبي ﷺ، وذكر أنسابهم،

(١) القعس: دخول الظهر وخروج الظهر. والقصيد في كتاب الحيوان للجاحظ (١٧٤/٥) منسوبة لأبي الأسود الدؤلي. والقاف والعين والسين أصل صحيح يدل على ثبات وقوة، والأقعسان: جبلان طويلان، وليل أقعس: أي طويل ثابت. انظر مقاييس اللغة (١٠٩/٥).

(٢) نهته: زجر.

(٣) وقم الرجل: أكرهه وأذله.

قال ابن هشام: أبو البَخْتَرِيُّ: العاص بن هاشم.

قال ابن إسحاق: والأسود بن المطَّلَب بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ. وأبو جهل - واسمه عمرو، وكان يُكْنَى أبا الحَكَم - ابن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم بن يَقْظَةَ بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ. والوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقْظَةَ بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ، ونُبَيْهة ومُنْبَه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيٍّ. والعاص بن وائل.

قال ابن هشام: العاص بنُ وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيٍّ.

قال ابن إسحاق: أو مَنْ مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سَبَّ آلَهِتَنَا، وعاب ديننا، وسَفَّهَ أحلامنا، وضَلَّلَ آبَاءَنَا، فإِذَا أَنْ تُكْفَهُ عَنَّا، وإِذَا أَنْ تُخْلِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلافِهِ، فَتُكْفِيكَهُ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَانصَرَفُوا عَنْهُ.

ومَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِيَ الْأَمْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَتَّى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ، وَتَضَاعَفُوا، وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَيْنَهَا، فَتَدَامَرُوا فِيهِ، وَحَصَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالُوا لَهُ: يَا أبا طَالِبٍ، إِنَّ لَكَ سِنًا وَشَرْفًا وَمَنْزَلَةً فِينَا، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَضْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَيْءٍ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَغَيْبِ آلَهِتِنَا، حَتَّى تُكْفَهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلُهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ، حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ. ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ، فَعَظَّمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتِهِمْ، وَلَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لَهُمْ وَلَا خِذْلَانِهِ^(١).

وذكر فيهم أبا البَخْتَرِيَّ بن هشام، قال: واسمُه: العاصي بن هشام، وقال ابن هشام: هو العاصي بن هاشم، والذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبي، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر وقول مُضْعَبٍ^(٢) وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: سفيان بن العاصي.

(١) البيهقي في الدلائل (١٨٧/٢) وابن الجوزي المنتظم (٣٦٨/١) الكامل لابن الأثير (٥٨٥/١).

(٢) انظره في نسب قريش (٢٠٩).

مناصرة أبي طالب للرسول ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث: أنَّ قُرَيْشًا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله - ﷺ - فقال له: يا بن أخي، إن قومك قد جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا، والذي كانوا قالوا له، فأبقي عليّ، وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق: فظنّ رسول الله - ﷺ - أنه قد بدأ لعمة فيه أنه خاذلُه ومُسْلَمه، وأنه قد ضُغِف عن نصرته والقيام معه. قال: رسول الله - ﷺ -: «يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر

لو وضعوا الشمس في يميني

فصل: وذكر قول النبي - ﷺ - «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أدع هذا الذي جئت به ما تركته»، أو كما قال^(١). خَصَّ الشمسَ باليمين؛ لأنها الآية المُبَصِّرَة، وخَصَّ القمرَ بالشمال لأنها الآية المَمَحُوءَة، وقد قال عمر - رحمه الله - لرجل، قال له: إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتلان، ومع كل واحد منهما نُجُومٌ، فقال عمر: مع أيهما كنت؟ فقال: مع القمر، قال: كنت مع الآية المَمَحُوءَة، اذهب، فلا تعمل لي عملاً، وكان عاملاً له، فعزّله، فقتل الرجل في صِفَيْنِ مع معاوية، واسمه: حابس بن سعد، وخَصَّ رسول الله - ﷺ - النّيرين^(٢) حين ضُرب المثل بهما؛ لأن نورهما محسوسٌ، والنور الذي جاء به من عند الله - وهو الذي أرادوه على تركه - هو لا مَحَالَة أشرف من النور المخلوق، قال الله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٣]. فاقترضت بلاغة النبوة - لما أرادوه على ترك النور الأعلى - أن يقابله بالنور الأدنى، وأن يخصّ أعلى النيرين، وهي الآية المبصرة بأشرف اليدين، وهي اليمنى بلاغةً لا مثلها، وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها^(٣).

البداء:

وقول ابن إسحاق: ظنّ رسول الله - ﷺ - أن قد بدأ لعمة بداء، أي: ظهر له رأي،

(١) «ضعيف». أخرجه الطبري في تاريخه (٥٤٥/١) والبيهقي في الدلائل (١٨٧/٢) وابن إسحاق في المغازي (٢٨٤/١). وهو معضل.

(٢) النيرين: الشمس والقمر.

(٣) تقدم تخريج الحديث وبيان ضعفه وبين السهلي على بعض الأحاديث الضعاف كلام كثير وإن كان حسناً وتأويل وتفسير مقبول، ولكنه يزداد حسناً إذا كان الحديث صحيح. فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاءه الله عنا كل خير.

حتى يُظهره الله، أو أهْلِكَ فيه، ما تركته». قال: ثم اسْتَغْبَرَ رسول الله - ﷺ - فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أَقْبِلْ يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله - ﷺ - فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أُسْلِمُكَ لشيء أبداً.

قال ابن إسحق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله - ﷺ - وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشؤوا إليه بعمارة بن

فسمي الرأي بَدَاء، لأنه شيء يبدو بعد ما خفي، والمصدر البَدء والبُدُو والاسم: البَدَاء، ولا يقال في المصدر: بَدَأ له بُدُو، كما لا يقال: ظهر له ظهورٌ بالرفع؛ لأن الذي يظهر، ويبدو هاهنا هو الاسم: نحو البَدَاء وأنشد أبو علي:

لعلك والموعودُ حقٌّ وفأؤه بدا لك في تلك القُلُوصِ^(١) بَدَاء

ومن أجل أن البُدُو هو الظهور، كان البَدَاء في وصف الباري - سبحانه - مُحالاً؛ لأنه لا يبدو له شيء كان غائباً عنه، والنسخُ للحكم ليس بَبَدَاء كما توهمت الجَهْلَةُ من الرافضة واليهود، إنما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره، وعلم علمه، وقد يجوز أن يقال: بَدَأ له أن يفعل كذا، ويكون معناه: أراد. وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب الشرع، وقد صحَّ في ذلك ما خرَّجه البخاري في حديث الثلاثة: الأعمى والأقرع والأبرص، وأنه عليه السلام قال: بدا لله أن يبتليهم^(٢)، فبدا هنا بمعنى: أراد، وذكرنا الرافضة، لأن ابن أعين، ومن اتبعه منهم، يُجيزون البَدَاء على الله تعالى، ويجعلونه والنسخ شيئاً واحداً، واليهود لا تُجيز النسخ يحسبونه بَدَاء، ومنهم من أجاز البَدَاء كالرافضة، ويروى أن علياً - رحمه الله - صلى يوماً، ثم ضحك فسُئِلَ عن ضحكك فقال: تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة، ورأني أصلي مع رسول الله - ﷺ - بنخلة فقال: «ما هذا الفعل الذي أرى؟» فلما أخبرناه، قال: «هذا حسن، ولكن لا أفعله أبداً، لا أحب أن تعلقوني استي» فتذكرت الآن قوله، فضحكت^(٣).

عرض قريش على أبي طالب:

فصل: وذكر قول المَلَأ من قريش لأبي طالب: هذا عُمارة بن الوليد أتهد فتى في قريش، وأجمله، فخذَه مكان ابن أخيك. أنهذ. أي: أقوى وأجلد، ويقال: فرسٌ نهْذٌ للذي يتقدَّم الخيل، وأصل هذه الكلمة: التقدم، ومنه يقال: نهْذٌ ثديٌّ الجارية، أي: برز قُدَماء.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٣/١٣٧).

(١) القلوص من الإبل: الشابة.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (١/٣٥٩).

الوليد بن المُغيرة، فقالوا له - فيما بلغني -: يا أبا طالب، هذا عُمَارَةُ بن الوليد، أَنهَدُ قَتَى في قريش وأجمله، فخذَه فلك عَقْلُه ونَصْرُه، واتخذَه ولدًا فهو لك، وأسلمَ إلينا ابنَ أخيك هذا، الذي قد خالف دينَكَ ودينَ آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفَه أحلامهم، فنقتله فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تُسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكُم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدًا. قال: فقال المُطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا، فقال أبو طالب للمُطعم: والله ما أنصفوني، ولكئكَ قد أجمعتَ خذلاني ومُظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال. قال: فَحَقَّبَ الأمر، وَحَمِيَت الحرب، وتناذ القوم، وبأدى بعضهم بعضًا.

فقال أبو طالب عند ذلك - يُعَرِّض بالمُطعم بن عدي - وَيَعُمُّ مَن خَذَلَه من بني عبد مناف، وَمَن عاداه من قبائل قُرَيْش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم:

وعمارَة بن الوليد هذا المذكور هو: الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة فسُحر هناك، وجُنّ، وسيزيد في خبره شيئًا بعد هذا إن شاء الله.

وذكروا أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عُمارة بدلًا من محمد ﷺ: أرايتم ناقة تحن إلى غيو فصيلها وتزأُمُه^(١) لا أعطيكُم ابني تقتلونه أبدًا، وآخذ ابنكم أكفله، وأغذوه، وكهو معنى ما ذكر ابن إسحق قال ابن إسحق فَحَقَّبَ الأمر عند ذلك، يريد: اشتد، وهو من قولك: حَقَّبَ البعير إذا راغ عنه الحَقَب من شدة الجهد والنصب، وإذا عسر عليه البول أيضًا لشدَّ الحَقَب^(٢) على ذلك الموضع، فيقال منه: حَقَّبَ البعير، ثم يستعمل في الأمر إذا عَسِرَ، وكذلك قوله: فَشَرِي الأمر عند ذلك، أي: انتشر الشر، ومنه الشَّرَى، وهي قُرُوح تنتشر على البدن^(٣)، يقال منه: شَرِيَ جلدُ الرجل، يَشْرَى شَرَى^(٤).

شعر أبي طالب:

فصل: وذكر شعر أبي طالب:

(١) ترأُمه: تحبه وتحنو عليه.

(٢) كالبثور الصغار.

(٤) انظر مزيد إيضاح للقصة في تاريخ الطبري (١/٥٤٥) ط. دار الكتب العلمية. وكذا المتنظم لابن الجوزي (١/٣٦٧).

أَلَا قُلْ لَعَمْرُو وَالْوَلِيدَ وَمُطْعِمٍ
 مِنَ الْخُورِ حَبْحَابٍ كَثِيرٍ رُغَاوَهُ
 تَخَلَّفَ خَلْفَ الْوَرْدِ لَيْسَ بِبَلَّاحٍ
 أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْبِنَا وَأُمْنَا
 بَلَى لَهْمَا أَمْرٌ، وَلَكِنْ تَجَرُّجُمَا
 أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حَيَاطَتِكُمْ بَكَرُ
 يُرْشَ عَلَى السَّاقِينَ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرُ
 إِذَا مَا عَلَا الْفَيْفَاءُ قِيلَ لَهُ: وَبَرُ
 إِذَا سُئِلَا قَالَا: إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ
 كَمَا جَزَجَمْتُ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقٍ صَخْرُ

أَلَا قُلْ لَعَمْرُو وَالْوَلِيدَ. إِلَى آخِرِ الشَّعْرِ.

وَفِيهِ:

أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حَيَاطَتِكُمْ بَكَرُ

أي: إن بكرًا من الإبل أنفع لي منكم، فليته لي بدلًا من حياطتكم كما قال طرفة في عمرو بن هند:

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرُو رَعُوثًا^(١) حَوْلَ قُبَيْتِنَا تَخُورُ

وقوله: مِنَ الْخُورِ حَبْحَابٍ. الْخُورُ: الضُّعَافُ، وَالْحَبْحَابُ بِالْحَاءِ: الصَّغِيرُ. وَفِي حَاشِيَةِ كِتَابِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ: حَبْحَابٌ بِالْجِيمِ، وَفَسَّرَهُ فَقَالَ: هُوَ الْكَثِيرُ الْهَذَرُ، وَفِي الشَّعْرِ:

إِذَا مَا عَلَا الْفَيْفَاءُ قِيلَ لَهُ: وَبَرُ

أَي يُشَبِّهُ بِالْوَبْرِ لَصَغَرِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ: يَضَعُرُ فِي الْعَيْنِ لَعَلُّو الْمَكَانِ وَيَعْدُهُ، وَالْفَيْفَاءُ فَعْلَاءُ، وَلَوْلَا قَوْلُهُمْ: الْفَيْفُ، لَكَانَ حَمَلُهُ عَلَى بَابِ الْقَضْقَاضِ^(٢) وَالْجَرْجَارِ^(٣) أَوْلَى، وَلَكِنْ سُمِعَ الْفَيْفُ، فَعَلِمَ أَنَّ الْأَلْفِينَ زَائِدَتَانِ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ قَلَقٍ وَسَلَسٍ الَّذِي ضَوْعِفَتْ فِيهِ فَاءُ الْفَعْلِ دُونَ عَيْنِهِ، وَهِيَ الْفَافُ يَسِيرَةُ نَحْوَ قَلَقٍ وَسَلَسٍ وَتُلُثٌ وَسُدُسٌ، وَقَدْ اعْتَنَيْنَا بِجَمْعِهَا مِنَ الْكَلَامِ، وَلَعَلَّ لَهَا مَوْضِعًا تَذَكَّرَ فِيهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا تَكُونُ أَلْفُ فَيْفَاءٍ لِلإِلْحَاقِ فِيصْرَفُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ: فَعْلَالٌ، فَإِنْ قِيلَ: يَكُونُ مَلْحَقًا بِقَضْقَاضٍ وَبَابِهِ، قُلْنَا: قَضْقَاضٌ ثَنَائِي مُضَاعَفٌ، فَلَا يُلْحَقُ بِهِ الثَّلَاثِي، كَمَا لَا يُلْحَقُ الرُّبَاعِي بِالثَّلَاثِي، وَلَا الْأَكْبَرُ بِالْأَقْلِ، وَقَدْ حَكِيَ فَيْفَاءُ بِالْقَصْرِ وَلَيْسَتْ أَلْفُهَا لِلتَّنَائِيثِ، إِذْ لَا يَجْمَعُ بَيْنَ عَلَامَتِي تَائِيثٍ، فَهِيَ إِذَا مِنْ بَابِ أَرْطَاةٍ وَنَحْوِهَا، كَأَنَّهَا مَلْحَقَةٌ بِسَلْهَبَةٍ^(٤). وَفِي الشَّعْرِ:

كَمَا جَزَجَمْتُ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقٍ صَخْرُ

(٢) الْقَضْقَاضُ: شَجَرٌ مِنَ الْحَمَضِ.

(٤) السَّلْهَبَةُ: الْجَسِيمَةُ مِنَ النَّسَاءِ.

(١) الرُّغُوثُ: هِيَ كُلُّ مَرْضُوعَةٍ.

(٣) الْجَرْجَارُ: ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ.

أَخْصَ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَتَوَفَّلَا
هُمَا أَغْمَرَا لِلْقَوْمِ فِي أَخَوَيْهِمَا
وَتَيَّمْ وَمَخْزُومَ وَزُهْرَةَ مِنْهُمْ
فَوَالله لَا تَنْفَكْ مَنَا عَدَاوَةٌ
فَقَدْ سَفَهَتْ أَحْلَامُهُمْ وَعَقُولُهُمْ
وَكَانُوا كَجَفْرِ بئس ما صنعت جَفْرُ
هُمَا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا يُنْبَذُ الْجَمْرُ
فَقَدْ أَضْبَحَا مِنْهُمْ أَكْفُهُمَا صِفْرُ
وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُغِيَ النَّصْرُ
لَا مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ نَسْلِنَا شَفْرُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَرَكْنَا مِنْهَا بَيْتَيْنِ أَقْذَعُ فِيهِمَا.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشًا تذاَمروا بينهم على مَنْ في القبائل منهم من أصحاب رسول الله - ﷺ - الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ومَنع الله رسوله - ﷺ - منهم بعمه أبي طالب، وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشًا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه، مِنْ مَنع رسول الله - ﷺ - والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب، عدو الله الملعون.

وترك صَرْفَ عَلَقٍ، إما لأنَّه جعله اسم بقعة، وإما لأنه اسم علم، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر، وإن لم يكن مؤنثًا ولا عَجَمِيًّا نحو قول عباس بن مرداس:

وما كان جِصْنٌ ولا حَابِسٌ يفوقان مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
ونحو قول الآخر:

يَا مَنْ جَفَّانِي وَمَلَأَ نَسِيَتَ أَهْلًا وَسَهْلًا
وَمَاتَ مَزْحَبُ لِمَا رَأَيْتَ مَالِي قَلَا

فلم يصرف مَرْحَبًا، وسيأتي في هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا، ونشرح العلة فيه إن شاء الله تعالى^(١)، ولو رُوِيَ: من رأس ذي عَلَقٍ الصخر بحذف التنوين لالتقاء الساكنين، لكان حَسَنًا، كما قُرئ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ بحذف التنوين من أحد، وهي رواية ابن أبي عمرو بن العلاء، وقال الشاعر:

حميد الذي أمج دازه

(١) انظر ألفية الإمام مالك (٣/ ٢٢٤ - ٢٢٨).

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه في جَهْدِهِمْ معه، وَحَدَبِهِمْ عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضلَ رسول الله - ﷺ - فيهم ومكانه منهم، ليشدّ لهم رأيهم، وليخذبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يوماً قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ	فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا
فإن حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عِبْدِ مَنْافِهَا	فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا
تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَئْثُهَا وَسَمِيمُهَا	عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقَرُّ ظُلَامَةً	إِذَا مَا ثَنَوْا صُغَرَ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا
ونحْمِي جِمَاهَا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ	وَنَضْرِبُ عَنْ أَجْحَارِهَا مَنْ يَرُومُهَا
بنا ائْتَعَشَ الْعُودَ الدَّوَاءَ، وَإِنَّمَا	بَأْكُنَافِنَا تَنْدِي وَتَنْمِي أُرُومُهَا

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن^(١)

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قُرَيْشٍ - وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر

وقال آخر:

ولا ذاكر الله إلا قليلا

وأشد قول أبي طالب:

إذا اجتمعت يوماً قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا

قوله: سرّها، أي: وَسَطُهَا، وَسَرُّ الْوَادِي وَبَسْرَاتُهُ: وَسَعْلُهُ، وقد تقدّم متى يكون الوسط مدحاً، وأن ذلك في موضعين: في وصف الشهود، وفي النسب، وبيئاً السّرّ في ذلك.

وقال في القصيدة: ونضرب عن أحجارها مَنْ يَرُومُهَا. أي ندفع عن حصونها ومعاقلها، وإن كانت الرواية: أحجارها بتقديم الجيم، فهو جمع جُحْرٍ والجُحْر هنا مُسْتَعَارٌ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها.

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن

وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله: فيما جاء به النبي - ﷺ - من الوحي والقرآن: قد سمعنا الشعر فما هو بهزَجِه، ولا رَجَزَه. والهَزَجُ من أعاريض الشعر معروف عند

(١) انظر الكامل (١/٥٩٢).

الموسم، فقال لهم: يا معشر قرئش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل، وأقم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم، فقولوا أسمع، قالوا: نقول: كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهّان، فما هو بزُمزمة الكاهن ولا سَجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجُنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تحالجه، ولا وسوسيته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله: رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحّار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن قرّعه لجناة - قال ابن هشام: ويقال لعذق - وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول

العروضيين، ولا أعرف له اشتقاقاً إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب: هَزَج، أي: مُتَرَنِّم^(١)، وأما الرِّجَزُ^(٢) فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرجازة، وهو شيء يعدل به الحمل، وكذلك الرِّجَزُ في الشعر أشرطة مُعدّلة، ويجوز أن يكون من رَجَزَتْ الناقة إذا أصابتها رعدة عند قيامها، كما قال الشاعر: حتى تقوم تكلف الرجزاء فالمرتجز كأنه مُرتعد عند إنشاده لقصير الأبيات.

وقوله: قد سمعنا الكهّان، فما هو بزُمزمة الكاهن ولا سَجعه: الزُمزمة صوت ضعيف كنحو ما كانت الفُرسُ تفعله عند شربها الماء، ويقال أيضاً: زَمَزَم الرعد، وهو صوت له قبل الهذر، وكذلك الكهّان، كانت لهم زُمزمة الله أعلم بكيفيّتها، وأما زُمزمة الفُرس، فكانت من أنوفهم.

وقول الوليد: إن أصله لعذق، وإن قرّعه لجناة. استعارة من النخلة التي ثبت أصلها،

(١) هزج: الهاء والراء والجيم: أصل صحيح يدل على صوت. يقولون الهزج: صوت الرعد، وبه شبه الهزج من الأغاني. قال: كأنها جارية تهزج. انظر مقاييس اللغة (٦/٤٢). وفي اللسان (٢/٣٩٠). الهزج: صوت مطرب، والهزج: نوع من أعاريض الشعر، وهو مفاعيلن مفاعيلن، على هذا البناء كله أربعة أجزاء سُمي بذلك لتقارب أجزائه.

(٢) رجز: الراء والجيم والراء أصل يدل على اضطراب، من ذلك الرجز داء يصيب الإبل في أعجازها، فإذا ثارت الناقة ارتعشت فحذاها، ومن هذا اشتقاق الرجز من الشعر؛ لأنه مقطوع مضطرب. مقاييس اللغة (٢/٤٨٩). وفي اللسان (٥/٣٥٠): قال ابن سيدة: «الرجز شعر ابتداء أجزائه سيان ثم وتد، وهو وزن يسهل من السمع ويقع في النفس...».

فيه لأن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر يُفَرَّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. ففترقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون يسُبِّل النَّاس حين قَدِموا المَوسِمَ، لا يَمَرُّ بهم أحدٌ إلا حَذَّروه إياه، وذكروا لهم أمره.

ما نزل في حق الوليد من القرآن

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المُغيرة، وفي ذلك من قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهْذُتٌ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١١ - ١٦] أي خَصِيمًا.

قال ابن هشام: عنيذا: معاند مخالف. قال رؤية بن العجاج:

ونحن ضرائبون رأس العنيد

وقوي وطاب فرعها إذا جنى^(١)، والنخلة هي: العَذْقُ بفتح العين، ورواية ابن إسحق أفصح من رواية ابن هشام؛ لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله، ورواية ابن هشام: إن أصله لَعْدَقُ، وهو الماء الكثير، ومنه يقال: غَدَقَ الرجل إذا كثر بصاقه، وأخذ أعمام النبي - ﷺ - كان يُسَمَّى: الْعَنِدَاقُ لكثرة عطائه، وَالْعَنِدَقُ أيضًا ولد الضَّبِّ، وهو أكبر من الجَحْشِلِ قاله قُطْرُبٌ في كتاب الأفعال والأسماء له^(٢).

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾

فصل: وذكر ابن إسحق قول الله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ الآيات التي نزلت في الوليد، وفيها له تهديد ووعد شديد، لأن معنى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ أي دَغْنِي وإياه، فسترى ما أصنع به، كما قال: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤] وهي كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبه، وكره أن يُشْفَعَ لِمَنْ اغتاظ عليه، فمعنى الكلام: أي: لا شفاعَةَ تنفع لهذا الكافر، ولا استغفار يا محمدُ منك، ولا من غيرك^(٣) وقوله: ﴿وبنِينَ شُهُودًا﴾ أي: مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه، لأن ماله ممدودًا والمال الممدود عندهم: اثنا عشر ألف دينار، فصاعدًا ﴿وَمَهْذُتٌ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ أي: هيأت له، وقدمت له مقدمات استدراجًا له، وقوله تعالى: ﴿سَأُزْهِقُهُ صَعُودًا﴾ هي عَقَبَةٌ في جهنم، يقال لها: الصُّعُودُ مسيرُها سبعين سنة، يكلّفُ الكافر أن يَصْعَدَهَا، فإذا صعدَهَا بعد

(١) جنى: أي طاب.

(٢) انظر نواد أبي زيد (ص ٩٢).

(٣) قوله: «وهي كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبه» لا تليق وصفًا لغضب الله تعالى وتفسيرًا لقوله.

وهذا البيت في أرجوزة له:

﴿سَأَزِيهُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ﴾ [المدثر: ١٧ - ٢٢].

قال ابن هشام: بسر: كره وجهه. قال العجاج:

مُضَبَّرَ اللَّخِينِ بَسْرًا مِنْهَا

يصف كراهية وجهه. وهذا البيت في أرجوزة له:

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾
[المدثر: ٢٣ - ٢٥].

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى: في رسوله - ﷺ - وفيما جاء به من الله تعالى،
وفي نفر الذين كانوا معه يُصَنِّفُونَ الْقَوْلَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وفيما جاء به من الله تعالى:
﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَّكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٠ - ٩٣].

قال ابن هشام: واحدة العِضِينَ: عِضَّة، يقول: عَضَّوه: فرقوه^(١). قال رؤبة بن
العجاج:

وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ بِالْمَعْضَى

عذاب طويل ضَبٌّ من أعلاها، ولا يتنفس، ثم لا يزال كذلك أبدًا، كذلك جاء في
التفسير^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي: لَعِنَ كيفما كان تقديره فكيف هاهنا من حروف
الشرط، وقيل معنى قتل: أي هو: أهل أن يُدْعَى عليه بالقتل، وقد فسر ابن هشام: بَسَرَ
وَالْبَسَرُ أَيضًا: القهر، وَالْبَسَرُ حَمْلُ الْفَحْلِ عَلَى النَّاقَةِ قَبْلَ وَقْتِ الضَّرَابِ. وفسر عِضِينَ،

(١) وقد وقع في هذا بعض الرعاة الذين جعلوا القرآن مناسبات ومواسم، فإذا جاء الحج أخذوا بعضه
وإذا جاء رمضان أخذوا بعضه وإذا جاء الإسراء أخذوا بعضه وهكذا...، ثم لا تجدوا أكثرهم يأخذ
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فلا تكاد تسمعها أو تسمع لها
تفسيرًا وكأنها ليست من كتاب الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، فأظهروا
وينوا بعض الكتاب وأضعفوا البعض الآخر، فلا مناسبة لذكره!!!.

(٢) «ضعيف الأستاذ». أخرجه الترمذي (٣٣٢٦). وفيه ابن لهيعة: ضعيف. ودراج: ضعيف الرواية عن
أبي الهيثم.

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله - ﷺ - لِمَنْ لَقُوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك المؤسّم بأمر رسول الله - ﷺ - فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

أبو طالب يفخر بنسبه وابن أخيه

فلما خشي أبو طالب دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تَعَوَّذَ فيها بِحَرَمِ مكة وبمكانه منها، وتودّد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسلمٍ رسول الله - ﷺ - ولا تاركه لشيء أبدًا حتى يهلك دونه، فقال:

ولمّا رأيتُ القَوْمَ لا وُدَّ فيهمْ	وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى	وقد طارَعُوا أمرَ العدوِّ المُزايِل
وقد حالفوا قومًا علينا أظنّة	يَعْضُونَ غَيْظًا خَلَفْنَا بالأنامل
صَبَرْتُ لهمْ نَفْسِي بِسَمَاءٍ سَمْحَةٍ	وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقاول

وجعله من عَضْبٍ أي فَرَّقَتْ، وفي الحديث: «لا تَعْضِيَةٌ في ميراث إلا ما احتمله الْقَسَمُ»^(١) ومعنى هذا الحديث موافقٌ لمذهب ابن القاسم ورأيه في كل ما لا ينتفع به إذا قسم أو كان فيه ضرر على الشريكين ألا يقسم، وهو خلاف رأي مالك، وحجة مالك قول الله تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَضِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]. وقد قيل في عَضْبٍ إنه جمع عِضَّة، وهي السَّحَر وأنشدوا:

أعوذُ بربِّي من النافثا ت في العَقْدِ العاضِهِ المُغضِهِ
ومنه قولهم:

يا لِلْعَضِيبَةِ ويا لِلْأَفِيكَةِ [ويا لِلْبَهِيَةِ]

شرح لامية أبي طالب

فصل: وذكر قصيدة أبي طالب إلى آخرها، وفيها: وأبيض عَضْبٍ من تُراثِ المَقاول.

(١) «ضعيف». أخرجه البيهقي في الكبرى (١/١٣٣) والدارقطني (٤/٢١٩) بتحقيقي. فيه صديق بن موسى بن عبد الله: ليس بحجة.

وأحضرتُ عند البيت رَهْطِي وإخوتي
 قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ
 وحيثُ يُنِيخُ الأشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ
 مُوسِمَةَ الْأَعْضَادِ، أَوْ قَصِرَاتِهَا
 وأمسكت من أثوابه بالوصائل
 لدي حيث يُقْضَى حَلْفُهُ كلُّ نافل
 بمُفْضَى السُّيُولِ من إساف ونائل
 مُحَيَّسَةً بَيْنَ السُّدَيْسِ وبازل

قد شرحنا الأقيال والمقاول، فيما تقدم، وتراث أصله: وراث من ورث، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا في مواضع محفوظة، وعلتها كثرة وجود التاء في تصاريف الكلمة، فالتراث مال قد تُوورث. وتوارثه قوم عن قوم، فالتاء مستعملة في التورث والتوارث، وكذلك تجاه البيت، التاء مستعملة في التَوَجُّهِ والتَّوَجُّيه ونحوه، فلما أَلْفُوها في تصاريف الكلمة لم ينكروا قلب الواو إليها، كما فعلوا في ربحان وهو من الرُّوح لكثرة الياء في تصاريف الكلمة، كما قدّمنا قبل، وهي في تراث وبابه أبعد؛ لأن الياء المألوفة في مادة الكلمة زائدة، وياء ربحان ليست كذلك، وكذلك الثُّكَّاء من توكأت وتَثَرَى من التواتر، والتَّوَلَّج من التَّوَلَّج والمُتَلَّج، لأنهم يقولون: اتَّلَجَ بالتشديد، فتصير الواو تاء للإدغام، حتى يقولوا: مُتَلَّج فيجعلونها تاء دون الإدغام، وهذا أشبه بقياس ربحان وبابه؛ فإن التاء الأولى من مُتَلَّج أصلية وهي في مُتَلَّج إذا ضُعِفَت أصلية أيضًا، فهي هي، فقف على هذا الأصل؛ فإنه سرّ الباب^(١). وأراد بالمقاول: آباءه، شبههم بالملوك، ولم يكونوا ملوكًا، ولا كان فيهم من ملكٍ بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل: هل كان في آبائه من ملك؟ فقال: لا. ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه، فقد وهب ابنُ ذي يزن لعبد المطلب هباتٍ جَزَلَةً حين وفد عليه مع قريش، يهنئونه بظفره بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله - ﷺ - بعامين.

وقوله:

مُوسِمَةَ الْأَعْضَادِ أَوْ قَصِرَاتِهَا

يعني [مُعَلِّمَةً] بسمه في أعضادها، ويقال لذلك الوسم السُّطَاع والخِبَاط في الفخذ والرُّقْمَةُ أيضًا في العُضُد، ويقال للوسم في الكَشْح: الكِشَاح ولما في قَصْرِهِ العُنُقِي: العِلَاط، والعُلُطَتَانِ والشُّعْب أيضًا في العنق، وهو كالمِخْجَن، وفي العُنُقِي وسم آخر أيضًا يقال له قَيْدُ الفَرَس. قال الراجز:

كُومٌ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَيْدُ الْفَرَسِ تنجوا إذا الليل تدانى، والتَّبَس

(١) انظر شرح الشافية للرضي (٨٠/٣).

ولوسوم الإبل أسماء كثيرة وباب طويل، ذكر أبو عبيد أكثره في كتاب الإبل، فمنها المَشَيْطَنَةُ والمُقَعَّاة والقُرْمَةُ وهي في الأنف، وكذلك الجُرْف والخُطَاف وهي في العنق، والدَّلُو والمُشَطَّ والفِرْتَانَج والثُّؤُور والدَّمَاع في موضع الدمع، والصَّدَاغ في موضع الصَّدغ واللَّجَام من الخد إلى العين، يقال منه: بعير مَلْجُوم، والِهَلال والخِرَاش وهو من الصَّدغ إلى الذقن.

وقوله: أو قَصْرَاتِهَا جمع قَصْرَةٍ، وهي أصل العنق، وخفضها بالعطف على الأعضاء، ولا يجوز أن تكون في موضع نصب كما تقول: هو ضارب الرجل وزيدًا في باب اسم الفاعل؛ لأن قوله: موسمة الأعضاء من باب الصفة المشبهة، وهي لا تعمل إلا مُضمرة، واسم الفاعل يُضمَر إذا عطف على المخفوض، وذلك أن الصفة لا تعمل بالمعنى، وإنما تعمل بشبه لفظي بينها، وبين اسم الفاعل، فإذا زال اللفظ، ورجع إلى الإضمار لم تعمل، وتخالف اسم الفاعل أيضًا؛ لأن معمولها لا يتقدم عليها، كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل، وذلك أن منصوبها فاعل في المعنى، والفاعل لا يتقدم، والصفة لا يُفصل بينها وبين منصوبها بالظرف، ويجوز ذلك في اسم الفاعل، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال، واسمُ الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال، نعم ويعمل بمعنى الماضي إذا دخلت عليه الألف واللام، ولو رُوِيَ: موسمة الأعضاء بنصب الدال على معنى: موسمة الأعضاء بالتنوين، وحذفه لالتقاء الساكنين، لجاز كما رُوِيَ في شعر خُذْج:

كَبُرَ مُقَانَاةُ الْبِيَاضِ

بالنصب وبالرفع أيضًا، أي: البياض منهم على نية التنوين في مقاناة، وحذفه لالتقاء الساكنين، وأما الخفض فلا خفاء به. وإذا كانت القَصْرَاتُ مخفوضةً بالعطف على الأعضاء، ففيه شاهد لمن قال: هو حسن وجهه كما روى سيبويه حين أنشد:

كُمَيْتًا^(١) الْأَعَالِي^(٢) جَوْنَتَا^(٣) مُضْطَلَاهُمَا^(٤)

وفي حديث أم زرع: صُفِّرُ رَدَائِهَا، وَمِلءُ كَسَائِهَا^(٥) مثل حسنة وجهها، وفي الأمالي

(١) كُمَيْتًا: مثني كميث وهي الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد.

(٢) أعالي: الجارتين.

(٣) الجونة: السوداء.

(٤) مضطلي: أي محترق بالنار.

(٥) «صحيح». أخرجه البخاري (٣٥/٧) ومسلم في فضائل الصحابة (٩٢) وابن أبي عاصم (١٧١/٩).

ترى الودع فيها، والرُخامَ وزينةً
أعوذُ برَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طاعِنٍ
بِأَغْناقِها مَغْقُودَةً كَالْعِشاكلِ
وَمِنْ كاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيبَةٍ
عَلَيْنَا بِسُوءٍ، أَوْ مُلِحٍّ بِباطِلِ
وَمِنْ مُلِحِّقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نُحَاوِلِ

من صفة النبي ﷺ: شَنَّ الكَفَيْنَ طَوِيلُ أَصَابِعِهِ^(١)، أعني: مثل صِفَرِ رِداءِها.

وقوله: ترى الودع فيه. الودع، والودع بالسكون والفتح: خرزات تنظم، ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال:

[السُّنُّ مِنْ جَلْتَزِيرٍ^(٢) عَوْدِمٍ^(٣) خَلَقٍ]
وَالْحَلَمُ حَلَمٌ صَبِي يَمْرُسُ^(٤) الْوَدْعَهُ
وقال الشاعر:

إِنَّ الرُّوْءَا بَلَا فَهْمٍ لَمَّا حَفَظُوا
لَا الْوَدْعُ يَنْفَعُهُ حَمْلُ الْجِمَالِ لَهُ
مِثْلُ الْجَمَالِ عَلَيْهَا يُحْمَلُ الْوَدْعُ
وَلَا الْجَمَالُ بِحَمْلِ الْوَدْعِ تَنْتَفِعُ

ويقال: إن هذه الخرزات يقذفها البحر، وأنها حيوان في جوف البحر، فإذا قذفها ماتت، ولها بريق ولون حسن، وتصلب صلابة الحجر، فتثقب، ويتخذ منها القلائد، واسمها مشتق من ودغته أي: تركته، لأن البحر ينضب عنها ويدعها، فهي ودع مثل قبض^(٥) ونفض^(٦)، وإذا قلت الودع بالسكون فهي من باب ما سُمِّيَ بالمصدر.

وقوله: والرُخام أي: ما قطع من الرُخام، فنظم وهو حجر أبيض ناصع: والعشاكل: أراد العشاكل^(٧)، فحذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاء: وفيها العصافر، أراد: العصافير، وفي أول القصيدة: وقد حالقوا قوماً علينا أظنة [جمع ظنين] أي متهم، ولو كان بالضاد مع قوله، علينا، لعاد معناه مذحاً لهم، كأنه قال: أشيخة علينا، كما أنشد عمرو بن بخر [الجاحظ]^(٨):

لو كنت في قوم عليك أشيخة
عليك ألا إن من طاح^(٩) طائح

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٣٣/٧). (٢) الجلتز: الغليظ الشديد.

(٣) العزوم: الناقة السمينة وفيها بقية شباب، كثر بها عن النساء كما كثر عنهن بالقوارير.

(٤) المرساة: الجبل لتمرّس الأيدي به. (٥) قبض: بمعنى مقبوض.

(٦) نفّض: مصدر نفّضت الثوب.

(٧) العشاكل: جمع عشكال وهو: العنق. اللسان (٤٢٥/١١).

(٨) انظر (٥٠/١). مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٩) الطح: التّسط. اللسان (٥٢٨/٢).

وَتَوْرٍ، وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَائِهِ
وبالبيت، حَقَّ البيت، من بطن مكة
وبالحجر المُسَوَّدَ إِذْ يَفْسَحُونَهُ
وراقٍ لِيَرْقَى فِي جِرَاءٍ وَنَازِلٍ
وباللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ^(١)

يودون لو خاطوا عليك جلودهم
وهل يدفع الموت النفوس الشحائح
وفيها:

وَتَوْرٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَائِهِ
وراقٍ لِيَرْقَى فِي جِرَاءٍ وَنَازِلٍ
ثور: جبل بمكة، وَثَبِير: جبل من جبالها ذكروا أن ثَبِيرًا كان رجلاً من هذيل مات في
ذلك الجبل، فعرف الجبل به، كما عرف أبو قبيس^(٢) بِقُبَيْس بن شالح رجل من جُزهم، كان
قد وشى بين عمرو بن مُضاض، وبين ابنة عمه مَيَّة، فنذرت ألا تكلمه، وكان شديد الكَلَف
بها، فحلف لِيَقْتُلَنَّ قُبَيْسًا، فهرب منه في الجبل المعروف به، وانقطع خبره فإِذَا مات، وإِذَا
تردَّى منه، فسمى الجبل: أبا قبيس وهو خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب.

وقوله: وراق ليرقى قد تقدم القول فيه، وأصح الروايتين فيه: وراق ليرقي حراء
ونازل. قال التبرقي: هكذا رواه ابن إسحاق وغيره، وهو الصواب. قال المؤلف: فالوهم فيه
إِذَا من ابن هشام، أو من البكائي، والله أعلم.

وقوله: وبالحجر الأسود، فيه زحاف يسمى: الكَفَّ، وهو حذف النون من مفاعيلن
وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول خُذْج:

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُمْ صَالِحٌ

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك.

وقوله:

إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ

الأصائل: جمع أصيلة، والأصل جمع أصيل، وذلك أن فعائل جمع فعيلة، والأصيلة:
لغة معروفة في الأصيل، وظن بعضهم أن أصائل: جمع آصال على وزن أفعال، وآصال:
جمع أصل نحو أطناب وطُئِب، وأصل: جمع أصيل مثل رُعُفٍ: جمع رغيف، فأصائل على
قولهم: جَمَعَ جَمْعَ الْجَمْعِ، وهذا خطأ بَيَّن من وجوه منها: أن جَمَعَ جمع الجمع لم يوجد

(١) الأصائل: جمع أصيلة، والأصل: جمع أصيل.

(٢) جبل مشرف على مكة. وفي التهذيب: جبل مشرف على مسجد مكة.

قَطَّ فِي الْكَلَامِ، فَيَكُونُ هَذَا نَظِيرَهُ، وَعَنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ إِذْ كَانُوا لَا يَجْمَعُونَ الْجَمْعَ الَّذِي لَيْسَ لِأَدْنَى الْعَدَدِ، فَأُخْرِىَ أَلَا يَجْمَعُوا جَمْعَ الْجَمْعِ، وَأَبِينِ خَطَأَ فِي هَذَا الْقَوْلِ غَفْلَتُهُمْ عَنِ الْهَمْزَةِ الَّتِي هِيَ فَاءُ الْفِعْلِ الَّتِي فِي أَصِيلٍ وَأَصْلٍ، وَكَذَلِكَ هِيَ فَاءُ الْفِعْلِ فِي أَصَائِلٍ، لِأَنَّهَا فَعَائِلٌ، وَتَوَهَّمُوهَا زَائِدَةٌ كَالَّتِي فِي أَقَاوِيلٍ، وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَتْ الصَّادُ فَاءُ الْفِعْلِ، وَإِنَّمَا هِيَ عَيْنُهُ، كَمَا هِيَ فِي أَصِيلٍ وَأَصْلٍ، فَلَوْ كَانَتْ أَصَائِلُ جَمْعَ أَصَالٍ، مِثْلَ أَقْوَالٍ وَأَقَاوِيلٍ لَاجْتَمَعَتْ هَمْزَةُ الْجَمْعِ مَعَ هَمْزَةِ الْأَصْلِ وَلَقَالُوا فِيهِ: أَوْاصِيلُ بِتَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ، وَوَجْهٌ آخَرُ مِنْ الْخَطَأِ بَيِّنٌ أَيْضًا، وَهُوَ أَنَّ أَفَاعِيلَ جَمْعُ أَفْعَالٍ، لَا بُدَّ مِنْ يَاءٍ قَبْلَ آخِرِهِ، كَمَا قَالُوا فِي أَقَاوِيلٍ، فَكَانَ يَكُونُ أَوْاصِيلٍ، وَلَيْسَ فِي أَصَائِلٍ حَرْفُ مَدٍّ وَلَيْنَ قَبْلَ آخِرِهِ إِنَّمَا هِيَ هَمْزَةُ فَعَائِلٍ، وَمِنْ الْخَطَأِ فِي قَوْلِهِمْ أَيْضًا: أَنْ جَعَلُوا أَصْلًا جَمْعًا كَثِيرًا مِثْلَ رُغْفٍ، ثُمَّ زَعَمُوا أَنَّ أَصَالًا جَمْعٌ لَهُ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَالَ فِي رُغْفٍ جَمْعُ أَرْغَافٍ، فَإِنْ قِيلَ: فَجَمْعُ أَيِّ شَيْءٍ هِيَ أَصَالٌ؟ قُلْنَا: جَمْعُ أَصْلٍ الَّذِي هُوَ اسْمٌ مُفْرَدٌ فِي مَعْنَى الْأَصَائِلِ لَا جَمْعَ أَصْلٍ الَّذِي هُوَ جَمْعٌ، فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ يَقَالُ أَصْلٌ وَاحِدًا، كَمَا يَقَالُ أَصِيلٌ وَاحِدًا؟ قُلْنَا: قَدْ قَالَ بَعْضُ أَرْبَابِ اللُّغَةِ ذَلِكَ وَاسْتَشْهَدُوا بِقَوْلِ الْأَعَشَى:

يَوْمًا بِأَطْيَبٍ مِنْهَا نَشَرَ رَائِحَةً وَلَا بِأَخْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ

أَي: دَنَا الْأَصِيلُ، فَإِنْ صَحَّ أَنَّ الْأَصْلُ بِمَعْنَى الْأَصِيلِ، وَإِلَّا فَاصَالُ جَمْعُ أَصِيلٍ عَلَى حَذْفِ الْيَاءِ الزَّائِدَةِ مِثْلَ طَوِيٍّ^(١) وَأَطْوَاءً، وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا قَالَ هَذَا الْقَوْلَ، أَعْنِي: جَمْعُ جَمْعٍ الْجَمْعِ غَيْرِ الزُّجَاجِيِّ وَابْنِ عَزِيْزٍ.

وقوله:

وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً

يَعْنِي مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ حِينَ غَسَلَتْ كَتِفُهُ^(٢) رَأْسَهُ، وَهُوَ رَاكِبٌ، فَاعْتَمَدَ بِقَدَمِهِ عَلَى الصَّخْرَةِ حِينَ أَمَالَ رَأْسَهُ لِيُغْسَلَ، وَكَانَتْ سَارَةٌ قَدْ أَخَذَتْ عَلَيْهِ عَهْدًا حِينَ اسْتَأْذَنَهَا فِي أَنْ يَطَالَعَ تَرَكَّتَهُ^(٣) بِمَكَّةَ، فَحَلَفَ لَهَا أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ عَنْ دَابَّتِهِ، وَلَا يَزِيدُ عَلَى السَّلَامِ، وَاسْتَطْلَعَ الْحَالُ غَيْرَةً مِنْ سَارَةٍ عَلَيْهِ مِنْ هَاجِرٍ، فَحِينَ اعْتَمَدَ عَلَى الصَّخْرَةِ أَبْقَى اللَّهُ فِيهَا أَثَرَ قَدَمِهِ آيَةً. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] أَي: مِنْهَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ

(١) طوي: بئر.

(٢) كَتِفُهُ: أَيِ امْرَأَةِ ابْنَةِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَعَلَى نَبِيْنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ.

(٣) أَيِ مَنْ تَرَكْتُهُمَا بِمَكَّةَ وَهُمَا: إِسْمَاعِيلُ وَأُمُّهُ هَاجِرٌ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

وأشواط بين المَروَتين إلى الصِّفا
ومَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وبالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
وَتَوَقَّاهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً
وليلةِ جَمْعٍ والمنازلِ مِنْ مِني
وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتِ أَجَزَّه

وما فيهما من صورةٍ وَتَمَائِلٍ
ومِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
إِلَّا إِلَى مُقْضَى الشُّرَاجِ الْقَوَابِلِ
يُقيمون بالأيدي صُدُورَ الرِّوَابِلِ
وهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعٍ وَابِلِ

جعل مقامًا بدلاً من آياتٍ، قال: المَقَامُ جمع مقامة، وقيل: بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه.

وقوله: بين المَروَتَيْنِ: هو كنعو ما تقدم في بطن المَكْتَنِ والْحَمَّتَيْنِ وَعُتَيْرَتَيْنِ، مما ورد مُثْنًى من أسماء المواضع، وهو واحد في الحقيقة، وذكرنا العلة في مجيئه مثني ومجموعاً في الشعر. وفيها قوله:

وبالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا قَصَدُوا لَهُ الْأَلَا

البيت. فالمشعر الأقصى: عَرَفَةُ، والألا: جبل عَرَفَةُ. قال النابغة:

يَزُزْنَ الْأَلَا سَيْرُهُنَّ التَّدَائِعُ

وسُمِّي: أَلَاً لَأَن الْحَجِيجَ إِذَا رَأَوْهُ أَلُّوا فِي السَّيْرِ أَي: اجتهدوا فيه؛ ليدركوا الموقف قال الراجز:

مُهَرَّ أَبِي الْحَبْحَابِ لَا تَسْلِي بَارِكْ فِيكَ اللَّهُ مِنْ ذِي أَلٍ^(١)

والشُّراج: جمع شَرْج، وهو مسيل الماء، والقوابِل: المتقابلة. وفيها قوله: وَحَطَمَهُمُ سَمَرُ الصَّفَاح: جمع صَفْح، وهو سَطْحُ الجبل، والسَّمَرُ يجوز أن يكون أراد به السَّمَرُ، يقال فيه: سَمَرٌ وَسَمَرٌ بسكون الميم، ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين، كما قالوا فِي حَسَنٍ: حُسْنٌ، وكذا وقع في الأصل بضم السين، غير أن هذا الثقل إنما يقع غالباً فيما يُراد به المدح أو الذم نحو حُسْنٌ وَقُبْحٌ، كما قال: وَحُسْنٌ ذَا أَدْبَا. أَي حُسْنٌ ذَا أَدْبَا، وجائز أن يراد بالسَّمَر ههنا جمع: أَسَمَرٌ وَسَمَرَاءٌ ويكون وصفاً للنبات، والشجر كما يوصف بالدُّهْمَةِ إِذَا كَانَ مُحْضَرًّا، وفي التنزيل: ﴿مُذَهَّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] أَي: خضراوان إلى السواد.

(١) انظر إصلاح المنطق لابن السكيت (ص ٢٣).

وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا^(١) لها
وكندة إذ هم بالحصاب عشية
خليفان شدا عقد ما اختلفا له
وحطهم سمر الرماح وشرحه
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ
يطاع بنا أمر العدا وذا أننا
كذبتم وبيت الله نترك مكة
كذبتهم - وبيت الله - نبزى محمدا
ونسلمه حتى نصرع حوله
وينهض قوم في الحديد إليكم
وحتى ترى ذا الضغن يركب رذعه

يؤمنون قذفا رأسها بالجنادل
تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
ورداً عليه عاطفات الوسائل
وشبرقه وخذ النعام الحوامل
وهل من معيذ يتقي الله عاذل
تسد بنا أبواب ترك وكابل
ونظعن إلا أمركم في بلايل
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
من الطغن فعل الأنكب^(٢) المتحامل

وقوله: وشبرقه. وهو نبات يقال لياسه: الخلي، والرطبة: الشبرق.

وقوله: نبذي محمداً أي نسلبه ونغلب عليه.

وقوله: نهوض الروايا. هي الإبل تحمل الماء واحدها: راوية، والأسقية أيضاً يقال لها: راوية، وأصل هذا الجمع: رواوي ثم يصير في القياس: رواي مثل حوائل جمع: حول، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعدما قدموا الياء قبلها، وصار وزنه: فوالع، وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين، واو فواعل، الواو التي هي عين الفعل، ووجه آخر، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة في الجمع لوقوع الألف بين واوين، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء، كما فعلوا في خطايا وبابه، مما الهمزة فيه معترضة في الجمع، والصلاصل. المزيادات لها صلصلة بالماء^(٣).

(١) صمدوا لها: أي توجهوا لها. و«الصمد» اسم من أسماء الله تعالى كما ورد في القرآن في قوله تعالى: «قل هو الله أحد الله الصمد». والصمد: قيل هو الذي لا جوف له، وقيل: أي السيد، وقيل: الذي توجه إليه في قضاء الحوائج، وقيل الصمد: هو الذي «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد». ويطلب الاسم غير معترف على الله وعلى خلقه، ولا يطلق معرفاً إلا على الله تعالى، ولذا جاء في التنزيل بالتعريف، بخلاف اسمه تعالى الأحد. وانظر للمحقق «القول الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى».

(٢) الأنكب من الإبل: كأنما يمشي في شق.

(٣) وقيل الصلصلة: بقية الماء.

لَتَلْتَبِسْنَ أَنفِافُنَا بِالْأُمَامِلِ
أَخِي ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ بَاسِلِ
عَلَيْنَا وَتَأْتِي حِجَّةٌ بَعْدَ قَابِلِ
يَحُوطُ الذُّمَارَ غَيْرَ دَرْبِ مُوَاكِلِ
ثِمَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَقَوَاضِلِ
إِلَى بُغْضِنَا وَجَزَانَا لَا أَكَلِ
وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمَرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
وَلَمْ يَزُقْبَا فِينَا مَقَالَةً قَائِلِ
وَكُلُّ تَوَلَّى مُغْرِضًا لَمْ يُجَاوِلِ
نَكِلَ لَهُمَا صَاعًا بِصَاعِ الْمُكَائِلِ
لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ
فَنَاجِ أَبَا عَمْرِ بْنِ ثَمِ خَاتِلِ
بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ

وَأَنَا - لَعَمْرُ اللَّهِ - إِنْ جَدُّ مَا أَرَى
بَكَفِّي فَتَى مِثْلِ الشَّهَابِ سَمِيدَعِ
شُهُورًا وَأَيَّامًا وَحَوْلًا مُجَرَّمَا
وَمَا تَزُكُّ قَوْمٍ - لَا أَبَا لَكَ - سِيدَا
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى أَسِيدٌ وَيَكْرُهُ
وَعِثْمَانُ لَمْ يَزْبَعْ عَلَيْنَا وَقُتْنُفُ
أَطَاعَا أَبِيَّاءَ، وَابْنَ عَبْدٍ يَغْوِيهِمْ
كَمَا قَدْ لَقِينَا مِنْ سُبَيْعٍ وَتَوْفَلِ
فَإِنْ يُلْقِيَا، أَوْ يُمَكِّنِ اللَّهُ مِنْهُمَا
وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبِي غَيْرِ بُغْضِنَا
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُنْهَسَى وَمُضْبَحِ
وَيُؤَلِّي لَنَا بِاللَّهِ مَا إِنْ يَغُشُّنَا

وفيهما قوله: غير دَرْبِ مواكل. وهو مخفف من دَرْبِ والدَرْبُ: اللسان الفاحش المنطق، والمواكل الذي لا جَدَّ عنده فهو يَكِلْ أموره إلى غيره.

وفيهما قوله: ثِمَالِ اليتامى، أي: يَثْمَلُهُمْ، ويقوم بهم، يقال: هو ثِمَالِ مالٍ أي يقوم به. وفيها قوله:

لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ

الْشَاءُ وَالشَّوِي: اسم للجمع مثل الباقر والبقيز، ولا واحد لشاء، والشَّوِي من لفظه، وإذا قالوا في الواحد: شاة، فليس من هذا؛ لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير: شَوِيْهَةٌ، وفي الجمع شياه، والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر.

وقوله: وكنتم زمانًا حَطَبَ قَدَرٍ: حَطَب اسم للجمع مثل رَكْب، وليس بجمع، لأنك تقول في تصغيره: حُطِيبٌ وَرَكِيبٌ.

وقوله: حِطَابُ أَقْدَرٍ: هو جمع حَاطِبٍ فلا يُصَغَّرُ، إلا أن تردده إلى الواحد، فتقول: حَوِيطُونَ، ومعنى البيت: أي: كنتم متفقين لا تَحْطِيبُونَ إلا لِقَدَرٍ واحدة، فأنتم الآن بخلاف ذلك.

أضاق عليه بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ
وسائلُ أبا الوليد ماذا حَبَوْنَا
وَكُنْتُ امْرَأًا يَمُنُّ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ
فَعُتْبَةُ لَا تَسْمَعُ بِنَا قَوْلَ كَاشِحٍ
وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضًا
يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَزْدٍ مِيَاهِهِ
وَيُخْبِرُنَا فَعَلَ الْمُنَاصِحَ أَنَّهُ
أَمْطَعُهُمْ لَمْ أَخْذُلْكَ فِي يَوْمٍ بِخَذَةٍ
وَلَا يَوْمَ خَضَمَ إِذْ أَتَوْكَ الْإِدَّةَ
أَمْطَعُهُمْ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةَ

من الأرض بين أخشبِ فَمَجَادِلِ
بَسَغِيكَ فِينَا مُعْرِضًا كَالْمُخَاتِلِ
وَرَخْمَتِهِ فِينَا وَلَسْتُ بِجَاهِلِ
حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذِي دَغَاوِلِ
كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ الْمَقَاوِلِ
وَيَزْعُمُ أَنِّي لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ
شَفِيقٌ، وَيَخْفَى عَارِمَاتِ الدَّوَاحِلِ
وَلَا مُعْظِمٌ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ
أُولِي جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ
وَأَنِّي مَتَى أَوْكَلْتُ فَلَسْتُ بِوَائِلِ

وفيها قوله:

من الأرض بين أخشبِ فَمَجَادِلِ
أراد الأخاشب، وهي جبال مكة^(١)، وجاء به على أخشب، لأنه في معنى أجبل، مع
أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك، والمجادل: جمع مجدل وهو:
القصر، كأنه يريد ما بين جبال مكة، فقصور الشام أو العراق، والفاء من قوله: فمجادل
تعطي الاتصال بخلاف الواو، كقوله بين الدخول فحومل، وتقول: مطرنا بين مكة فالمدينة
إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى.

وقوله:

أُولِي جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ

يُروى بالجيم وبالحاء فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة في القول، وأصله في استقاء
الماء بالسجل، وصبه فكانه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل، أو
جمع مسجل بكسر الميم، وهو من نعت الخصوم، ومن رواه المساجل بالحاء، فهو جمع
مسحل وهو اللسان، وليس بصفة للخصوم، إنما هو مخفوض بالإضافة، أي: خصماء
الأسنة، وقال ابن أحمر:

مَنْ خَطِيبٌ إِذَا مَا انْحَلَّ مِسْحَلُهُ

أي: لسانه وهو أيضًا من السحل وهو الصب، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه،
فجاءت سحابة فسحلت في يده ذهابًا، وجاءت أخرى فسحلت في البيدر^(٢) الآخر فضة.

(١) أخاشب مكة: جبالها.

(٢) البيدر: الجرن.

جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شمس وَتَوَفَّلَا
بِمِيزَانٍ قَنِسٍ لَا يُخْسُ شَعِيرَةً
لَقَدْ سَفَّهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ دُؤَابَةِ هَاشِمٍ
وَسَهْمٍ وَمَخْزُومٍ تَمَالَوْا وَالْأُبُورَا
عُقُوبَةُ شَرِّ عَاجِلٍ غَيْرِ أَجَلٍ
لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرَ عَائِلٍ
بَنِي خَلَفٍ قَنِصًا بَنَا وَالْغَيَاطِلُ
وَالْقُصَيُّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلٍ

فصل: وفيها:

لَقَدْ سَفَّهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلَفٍ قَنِصًا بَنَا وَالْغَيَاطِلُ
قَنِصًا أَي: معاوضة، ومنه قول النبي عليه السلام لذي الجَوْشَنِ^(١): إِنْ شِئْتَ قَايَضْتُكَ
بِهِ الْمَخْتَارَ مِنْ دُرُوعٍ بَذَرٍ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِاقِيضَهُ الْيَوْمَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ^(٢) يَعْنِي: قَرَسًا لَهُ، يُقَالُ
لَهُ: ابْنُ الْقَرَحَاءِ. وَقَالَ أَبُو الشَّيْصِ:

لَا تَنْكَرِي صَدِّي وَلَا إِعْرَاضِي لَيْسَ الْمُقِلُّ عَنِ الزَّمَانِ بِرَاضٍ
بُدِّلْتُ مِنْ بُزْدِ الشَّبَابِ مُلَاءَةً خَلَقًا، وَبِئْسَ مَثُوبَةُ الْمُقْتَضِصِ

وَالْغَيَاطِلُ: بَنُو سَهْمٍ، لِأَنَّهُمْ الْغَيْطَلَةُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَسَبُهَا، وَقِيلَ: إِنْ بَنِي سَهْمٍ سُمُّوا
بِالْغَيَاطِلِ، لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا جَانًا طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَقَتَلَهُ، فَأَظْلَمَتْ
مَكَّةُ، حَتَّى فَرَّعُوا مِنْ شِدَّةِ الظُّلْمَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ، وَالْغَيْطَلَةُ: الظُّلْمَةُ الشَّدِيدَةُ، وَالْغَيْطَلَةُ أَيْضًا:
الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ، وَالْغَيْطَلَةُ: اخْتِلَاطُ الْأَصْوَاتِ، وَالْغَيْطَلَةُ: الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ، وَالْغَيْطَلَةُ: غَلَبَةُ
النَّعَاسِ، وَقَوْلُهُ: يُخْسُ شَعِيرَةً، أَي: يَنْقُصُ، وَالْخَسِيسُ: النَّاqِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَيُرْوَى فِي
غَيْرِ السَّيْرِ: يَخْصُصُ بِالْصَادِ وَالْحَاءِ مَهْمَلَةً مِنْ خَصَّ الشَّعْرَ: إِذَا أَذْهَبَهُ.

وَقَوْلُهُ: مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلٍ: الطِّمْلُ: اللَّصُّ، كَذَا وَجَدْتُهُ فِي كِتَابِ أَبِي بَحْرٍ، وَفِي
الْعَيْنِ: الطِّمْلُ الرَّجُلُ الْفَاحِشُ، وَالطِّمْلُ وَالطِّمْلَانُ: الْفَقِيرُ، وَالطِّمْلُ: الذَّنْبُ^(٣). وَقَوْلُهُ:
لِقَحَّةٍ غَيْرِ بَاهِلٍ: الْبَاهِلُ: النَّاقَةُ الَّتِي لَا صِرَازَ عَلَى أَخْلَاقِهَا، فَهِيَ مَبَاحَةُ الْحَلْبِ يُقَالُ: نَاقَةٌ
مَضْرُورَةٌ، إِذَا كَانَ عَلَى خَلْقِهَا صِرَارٌ يَمْنَعُ الْفَصِيلَ مِنْ أَنْ يَرْضَعَ، وَلَيْسَتْ الْمَضْرُوءَةُ مِنْ هَذَا
الْمَعْنَى، إِنَّمَا هِيَ الَّتِي جُمِعَ لَبَنُهَا فِي ضَرْعِهَا، فَهُوَ مِنَ الْمَاءِ الصَّرَى^(٤)، وَقَدْ غَلَطَ أَبُو عَلِيٍّ

(١) هو: أرس بن الأعور، وقيل شرحبيل. وهو أشهر.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد (٢٧٣٩). (٣) انظر اللسان (٤٠٨/١١).

(٤) الصرى: أي الذي طال مكثه.

فَعَبَدَ مَنَافَ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ
لَعَمْرِي لَقَدْ وَهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ
وَكُنْتُمْ حَدِيثًا حَطَبَ قَدْرٍ وَأَنْتُمْ
لِيَهْنِئَ بَنِي عَبَدَ مَنَافَ عُقُوقُنَا
فَإِنَّ نَكَ قَوْمًا تَتَّيْزُ مَا صَنَعْتُمْ
وَسَائِطُ كَانَتْ فِي لَوْيَ بْنِ غَالِبٍ
وَرَهْطُ ثَقِيلِ شَرٍّ مِنْ وَطَى الْحَصَى
فَأَبْلَغَ قُصِيًّا أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا
وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلًا قُصِيًّا عَظِيمَةً
وَلَوْ صَدَقُوا ضَرْبًا خِلَالَ بُيُوتِهِمْ
فَكُلُّ صَدِيقٍ وَابْنٍ أَخْتِ نَعْدَهُ
سِوَى أَنْ زَهْطًا مِنْ كِلَابِ بْنِ مُرَّةٍ

فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاعِلٍ
وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ مُخْطِئٍ لِّلْمَفَاصِلِ
أَلَا نَحْنُ حِطَابُ أَقْدَرٍ وَمَرَا جِلٍ
وَجَذَلَانُنَا، وَتَرْكُنَا فِي الْمَعَاقِلِ
وَتَحْتَلِبُوهَا لِشَحَةِ غَيْرِ بَاهِلٍ
نَفَاهِمُ إِلَيْنَا كُلِّ صَفَرٍ حُلَا جِلٍ^(١)
وَالْأَمُّ حَافٍ مِنْ مَعَدٍ وَنَاعِلٍ
وَيَشُرُّ قُصِيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذِلِ
إِذَا مَا لَجَأْنَا دُونَهُمْ فِي الْمَدَاخِلِ
لَكُنَّا أَسَى عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَطَافِلِ^(٢)
لَعَمْرِي - وَجَدْنَا غِبَّهُ غَيْرَ طَائِلِ
بِرَاءٍ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةٍ خَاذِلِ

في البارع، فجعل المَصْرَاة بمعنى المَضْرُورَة، وله وجه بعيد، وذلك أن يُخْتَجَّ له بقلب إحدى الراءين ياء مثل: قَصَيْتُ أَظْفَارِي، غير أنه بعيد في المعنى، وقالت امرأة المغيرة تعاتب زوجها، وتذكر أنها جاءت كالناقة الباهلة التي لا صِرَارَ على أخلافها: أَطْعَمْتُكَ مَأْدُومِي وَأَبْقَيْتُكَ مَكْتُومِي، وجئتُك باهلاً غير ذاتِ صِرَارٍ، وفي الحديث: لا تورد الإبلُ بُهْلاً [أو بُهْلاً]، فإن الشياطينَ تَرَضَّعُهَا^(٣)، أي: لا أَصِرَّةَ عليها.

وفيها قوله:

بِرَاءٍ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةٍ خَاذِلِ

يقال: قومُ بُرَاءٍ [بِالضَّمِّ] وبِرَاءٍ بِالْفَتْحِ، وبِرَاءٍ بالكسر، فأما بِرَاءٌ بالكسر، فجمعُ بريءٍ، مثل كريم وكِرام، وأما بَرَاءٌ فمصدر، مثل سَلَامٍ والهمزة فيه، وفي الذي قبله لام الفعل، ويقال: رجلٌ بَرَاءٌ ورجلان بَرَاءٌ، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز إلا في الجمع، وأما بُرَاءٌ بضم الباء، فالأصل فيه بُرَاءٌ مثل كُرْمَاءٍ فاستثقلوا اجتماعَ الهمزتين، فحذفوا الأولى، وكان وزنه فُعْلَاءٌ، فلما حَذَفُوا التي هي لام الفعل صار وزنه فُعَاءٌ، وانصرف لأنه أشبه فُعْلَاءً،

(١) حلاحل: موضع، والجيم أعلى اللسان (١١/١٧٤).

(٢) أي أصحاب الأطفال. (٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/٣٠).

وَهَئَا لَهُمْ حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ
وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السَّقَايَةِ فِيهِمْ
شَبَابٌ مِنَ الْمُطَيَّبِينَ وَهَاشِمٌ
فَمَا أَدْرَكُوا دَخَلَ وَلَا سَفَكُوا دَمًا
بِضَرْبِ تَرَى الْفِثْيَانِ فِيهِ، كَأَنَّهُمْ
بَنِي أُمَةٍ مَخْبُوبَةٍ هُنْدِكِيَّةٍ
وَلَكِنَّا نَسْلُ كِرَامًا لِسَادَةٍ
وَنَعَمُ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرُ مُكَذَّبٍ
أَشْمٌ مِنَ الشَّمِّ الْبَهَالِيلِ يَنْتَمِي
لِعَمْرِي لَقَدْ كَلِفْتُ وَجَدًا بِأَحْمَدٍ
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمِّلٍ
حَلِيمٍ رَشِيدٍ عَادِلٍ غَيْرُ طَائِشٍ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ ابْنَنَا لَا مُكَذَّبٍ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي أَرْوَمَةِ
حَدِيثٍ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيئَتُهُ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَضْرِهِ
رَجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مِيلٍ نَمَاهُمْ

وَيَخْسُرَ عَنَّا كُلُّ بَاغٍ وَجَاهِلٍ
وَنَحْنُ الْكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلُ
كَبِيضُ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصِّيَاقِلِ^(١)
وَلَا حَالَفُوا إِلَّا شَرَّ الْقَبَائِلِ
ضَوَارِي أَسُودَ فَوْقَ لَحْمٍ خَرَادِلٍ
بَنِي جُمَحٍ عُبَيْدٍ قَيْسِ بْنِ عَاقِلٍ
بِهِمْ نُعِي الْأَقْوَامِ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ
زَهِيرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ
إِلَى حَسْبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلٍ
وَإِخْوَتُهُ ذَابَّ الْمَجِبُ الْمَوَاضِلِ
وَزَيْنًا لَمَنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ
إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ
يُؤَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلٍ
تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
مِنَ الدَّهْرِ جَدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازِلِ
لَدَيْنَا، وَلَا يُغْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
تُقْصَرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْكَلاكِيلِ^(٢)
وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلٍ
إِلَى الْخَيْرِ آبَاءُ كِرَامِ الْمَحَاصِلِ

والنسب إليه إذا سميت به: بُراوى، والنسب إلى الآخرين بُرائي وبِرائي، وزعم بعضهم إلى أن بُراء بضم أوله من الجمع الذي جاء على فُعال، وهي ثمانية ألفاظ: قَرِير وفُرَار وعَزَن وعُزَان، ولم يصنع شيئاً، وقال النحاس: بُراء بضم الباء.

(١) الصيقل: شَحَاذُ السُّيُوفِ وَجَلَاؤُهَا. والجمع صياقل وصياقلة. اللسان (١١/٣٨٠).

(٢) الكلاكل: الكلاكل والكلكال: الصدر من كل شيء، والكلكل من الفرس ما بين محزمه إلى ما من الأرض منه إذا رُض. اللسان (١١/٥٩٧).

فإن تك كعب من لؤي صقيبة فلا بد يوماً مرة من نزائل
قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر
أكثرها.

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به، قال: أقحط أهل المدينة، فأتوا رسول
الله - ﷺ - فشكوا ذلك إليه، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فاستسقى، فما لبث أن جاء من
المطر ما أناه أهل الضواحي يشكون منه العرق، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حوالينا ولا
علينا»، فانجاب السحاب عن المدينة، فصار حوالينا كالإكليل؛ فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم: «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره»، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا
رسول الله أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
قال: أجل^(١).

الاستسقاء:

فصل: وذكر حديث استسقاء رسول الله - ﷺ - بالمدينة، وهو حديث مزوي من طرق
كثيرة، وبالألفاظ مختلفة.

وقوله: حتى أناه أهل الضواحي يشكون العرق. الضواحي: جمع ضاحية، وهي
الأرض البراز التي ليس فيها ما يكثر من المطر، ولا منجاة من السيول، وقيل: ضاحية كل
بلد: خارجه. وقوله عليه السلام: «اللهم حوالينا، ولا علينا»، كقوله في حديث آخر: «اللهم
منابت الشجر، وبطون الأودية، وظهور الآكام»، فلم يقل: اللهم ارفعه عنا - هو من حسن
الأدب في الدعاء؛ لأنها رحمة الله، ونعمته المطلوبة منه، فكيف يطلب منه رفع نعمته،
وكشف رحمته، وإنما يُسأل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، ففيه تعليم كيفية
الاستسقاء. وقال: اللهم منابت الشجر، ولم يقل: اضرفها إلى منابت الشجر؛ لأن الرب
تعالى أعلم بوجه اللطف، وطريق المصلحة كان ذلك بمطر أو بندى أو طل، أو كيف شاء،
وكذلك بطون الأودية، والقدر الذي يحتاج إليه من مائها.

فصل: فإن قيل: كيف قال أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٥/٢) ومسلم في الاستسقاء (٩/٨) والنسائي (١٦٠/٣) دون «لو
أدرك أبو طالب هذا اليوم...».

قال ابن هشام: وقوله «وَشَبْرَقَةٌ» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: والغياطل: من بني سهم بن عمرو بن هُصَيص، وأبو سفيان بن حرب بن أُمَيَّة. ومُطْعِمُ بن عدي بن نُوَفل بن عبد مناف. وزُهَيْر بن أبي أُمَيَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، وأمه: عاتكة بنت عبد المطلب. قال ابن إسحاق: وأَسِيدٌ، وبِكْرُهُ: عَتَابُ بن أسيد بن أبي العيص بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وعثمان بن عُبيد الله: أخو طلحة بن عُبيد الله التَّيْمِي. وقُنفذ بن عمير بن جُدعان بن عَمْرُو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مَرَّة. وأبو الوليد عُثْبَةُ بن ربيعة. وأَبِي: الأخنس بن شَرِيْق الثقفي، حليف بني زُهرة بن كلاب.

قال ابن هشام: وإنما سُمِّي الأخنس؛ لأنه خَنَس بالقوم يوم بدر، وإنما اسمُه: أَبِي، وهو من بني عِلاج، وهو عِلاج بن أبي سَلَمَة بن عَوْف بن عُقْبَة. والأسود بن عبد يَعُوث بن وَهْب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب. وَسُبَيْع بن خالد، أبو بَلْحَارث بن فَهْر. ونوفل بن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصَي، وهو ابن العَدَوِيَّة. وكان من

ولم يَرَهُ قطَّ استسقى، وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة في سفر وخَصَر، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له.

فالجواب: أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضًا في حياة عبد المطلب ما دلَّه على ما قال، روى أبو سَلَمَان حَمَد بن محمد بن إبراهيم [ابن الخطاب الخطابي] البُسْتِي النيسابوري^(١)، أن رُفَيْقَةَ بنت أبي صَفِيٍّ بن هاشم قالت: تتابعت على قريش سِتُّو جَذِب قد أَفْحَلَّت الظِّلْفَ، وَأَرْقَت العَظْمَ، فبينما أنا راقدة اللَّهْم، أو مُهَدِّمَة، ومعِي صِنَوِي إذ أنا بهاتِفٍ صَيِّت يصرخ بصوتٍ صَجَلٍ يقول: يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم، هذا إِبْرَاهِيمُ نُجُومِهِ، فَحَيَّ هَلَا بِالْحَيَا والخصب، ألا فانظروا منكم رجلًا طَوَّالًا عَظْمًا أبيضَ قَظًا، أَشَمُّ العَزْنَيْنِ، له فخر يَكْظُمُ عليه^(٢). ألا فَلْيَخْلُصْ هو وولده، وَلْيَذِلَّفْ إليه من كل بَطْنٍ رَجُلٌ، ألا فَلْيَشْتُوا من الماءِ، وَلْيَمْسُوا من الطيبِ، وَلْيَطُوفُوا بالبيتِ سَبْعًا، ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته، ألا فليذُع الرجلُ، وليؤْمِنِ القومُ، ألا فَعِثُّمُ أَبَدًا ما عِشْتُمْ. قالت: فأصَبَحْتُ مذعورة قد قَفَّ جلدي، وولَّه عَقْلِي، فأقْتَصَصْتُ رُؤْيَايَ، فوالْحُرْمَةِ والحَرَمِ إن بقي أَبْطَحِيَّيْ إلا قال: هذا شَيْبَةُ الحَمْدِ، وَتَنَأَمْتُ عنده قريشٌ، وَأَنْفَضَ إليه الناس من كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ، فَشْتُوا وَمَسُوا وَاسْتَلَمُوا وَاطَّوَّفُوا، ثم اذْتَقُوا أبا قُبَيْسٍ، وَطَفِقَ القوم يَدْفُون

(١) هو الإمام الخطابي صاحب شرح سنن أبي داود «معالم السنن» توفي سنة ٣٨٨هـ.

(٢) يكظم عليه: أي لا يظهره.

شياطين قُرَيْش، وهو الذي قَرَنَ بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنهما في حَبْلٍ حين أسلما، فبذلك كانا يُسَمَّيان: القَرينين، فقتله عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام يوم بَدْر. وأبو عمرو: قُرْطَة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. «وقوم علينا أَطِئَة»: بنو بكر بن عبد مَناة بنت كنانة، فهؤلاء الذين عَدَّد أبو طالب في شعره من العرب.

ذكر الرسول ﷺ^(١) يتشتر:

فلما انتشر أمرُ رسولِ الله - ﷺ - في العرب، وبلغَ البُلدانَ، ذُكرَ بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلمَ بأمر رسولِ الله - ﷺ - حين ذكر، وقبلَ أن يُذكر من هذا الحيِّ من الأوس والخزرج، وذلك لِمَا كانوا يسمعون من أخبار اليهود، وكانوا لهم حلفاء، ومعهم في بلادهم. فلما وقع ذِكرُه بالمدينة، وتحذّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف. قال أبو قَيْس بن الأَسَلت، أخو بني واقف.

حوْلُه، ما إن يدرك سعيْهم مُهْلَة، حتى قَرُوا بذروة الجبل، وَاسْتَكَفُوا جَنَابِيه، فقام عبدُ المطلب، فاغْتَضَدَ ابْنَ ابنِهِ مُحَمَّدًا - ﷺ - فرفعه على عاتقه، وهو يومئذ غُلام قد أَيْفَع، أو قد كَرَب، ثم قال: اللَّهُمَّ سَادَّ الْخَلَّة، وكاشفَ الْكُرْبَة أنت عالم غير مُعْلَم، ومسؤول غير مُبْخَل، وهذه عِبَادَاؤُكَ، وإماؤك بِعَذْرَاتِ حَرَمِكَ يشكون إليك سَنَتَهُم، فاسْمَعَنَّ اللَّهُمَّ، وأمطرَنَّ علينا غَيْثًا مَرِيْعًا مُغْدِقًا، فما راموا والبيت، حتى انفجرت السماء بمائها، وكَطَّ الوادي بِحُجَيْجِه^(٢). رواه أبو سليمان عن ابن الأعرابي. قال: حدّثنا محمد بن علي بن البُخْتَرِي، نا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، نا عبد العزيز بن عِمْران، عن ابن خُوَيْصَة، قال يحدث مَخْرَمَة بن نُفَيْل عن أمه رُقَيْقَة بنت أبي صَيْفِي.

وذكر الحديث، ورواه بإسناد آخر إلى رُقَيْقَة، وفيه: ألا فانظروا منكم رجلاً وَسِيطًا عَظَامًا جَسَامًا أَوْطَفَ الأهداب، وأن عبد المطلب قام معه رسول الله - ﷺ - قد أَيْفَع أو كَرَب، وذكر القصة.

(١) بالمطبوع «ص» بدلاً من ﷺ. وقد تقدم التنبيه على مثلها.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه زهير بن حصن قال الذهبي: لا يُعرف. قاله الهيثمي في المجمع (٢/٢١٥). وأخرجه البخاري في الاستسقاء (١٠٠٨) عن ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

أبو قيس بن الأسلت ونسبه وشعره في الرسول ﷺ

قال ابن هشام: نَسَبَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَبَا قَيْسٍ هَذَا هَهُنَا إِلَى بَنِي وَاقِفٍ، وَنَسَبَهُ فِي حَدِيثِ الْفَيْلِ إِلَى خَطْمَةٍ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَنَسَّبَ الرَّجُلَ إِلَى أَخِي جَدِّهِ الَّذِي هُوَ أَشْهُرُ مِنْهُ.

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ الْحَكَمَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ مِنْ وَلَدِ نُعَيْلَةَ أَخِي غِفَارٍ، وَهُوَ غِفَارُ بْنُ مُلَيْلٍ، وَنُعَيْلَةُ بِنْتُ مُلَيْلِ بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ، وَقَدْ قَالُوا: عُتْبَةُ بْنُ عَزْوَانَ السُّلَمِيِّ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ مَازَنَ بْنِ مَنْصُورٍ وَسُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ.

قال ابن هشام: فَأَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ: مِنْ بَنِي وَائِلٍ، وَوَائِلٌ، وَوَاقِفٌ وَخَطْمَةٌ إِخْوَةٌ مِنَ الْأَوْسِ.

قال ابن إسحاق: فَقَالَ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ - وَكَانَ يَحِبُّ قَرِيشًا، وَكَانَ لَهُمْ صِهْرًا، كَانَتْ عِنْدَهُ أَزْنَبُ بِنْتُ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَكَانَ يُقِيمُ عِنْدَهُمُ السَّنِينَ بِأَمْرَاتِهِ - قَصِيدَةً يَعْظُمُ فِيهَا الْحُزْمَةُ، وَيُنْهِي قُرَيْشًا فِيهَا عَنِ الْحَرْبِ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْكَفِّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَيَذْكُرُ فَضْلَهُمْ وَأَحْلَامَهُمْ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْكَفِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَذْكُرُهُمْ بِبَلَاءِ اللَّهِ عَنْهُمْ، وَدَفَعَهُ عَنْهُمْ الْفَيْلَ وَكَيْدَهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ:

ابن الأسلت وقصيدته

فصل: وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ كُلَّ مَنْ سَمَّاهُ أَبُو طَالِبٍ فِي قَصِيدَتِهِ، أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَعَرَفَ بِهِمْ تَعْرِيفًا مُسْتَعْتَبًا عَنِ الزَّيْدِ. وَذَكَرَ قَصِيدَةَ أَبِي قَيْسٍ صَيْفِيِّ بْنِ الْأَسْلَتِ، وَاسْمُ الْأَسْلَتِ: عَامِرٌ، وَالْأَسْلَتُ: هُوَ الشَّدِيدُ الْفُطْسُ يُقَالُ: سَلَّتِ اللَّهُ أَنْفَهُ، وَمَنْ سَلَّتْ حَدِيثَ بَشَرٍ بَنِ عَاصِمٍ حِينَ أَرَادَ عَمْرٌ أَنْ يَسْتَعْمَلَهُ، فَلَمَّا كَتَبَ لَهُ عَهْدَهُ أَبِي أَنْ يَقْبَلَهُ، وَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِ. إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ الْوَلَاةَ يُجَاءُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْفُونَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، فَمَنْ كَانَ مُطَاوِعًا لِلَّهِ تَنَاوَلَهُ بِيَمِينِهِ حَتَّى يَنْجِيَهُ، وَمَنْ كَانَ عَاصِيًا لِلَّهِ انْخَرَقَ بِهِ الْجِسْرُ إِلَى وَادٍ مِنْ نَارٍ تَلْتَهَبُ التَّهَابًا»، قَالَ: فَأَرْسَلَ عَمْرٌ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، وَإِلَى سَلْمَانَ، فَقَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، وَبَعْدَ الْوَادِي وَادٍ آخَرُ مِنْ نَارٍ. قَالَ: وَسَأَلَ سَلْمَانَ، فَفَكَرَ أَنْ يَخْبِرَهُ بِشَيْءٍ، فَقَالَ عَمْرٌ: مَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا؟ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: مَنْ سَلَّتِ اللَّهُ أَنْفَهُ وَعَيْنِيهِ، وَأَضْرَعَ حَذَّهَ إِلَى الْأَرْضِ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ^(١).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢/٢١٧). وَذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي الْمَطَالِبِ (٢٠٤٧).

يا راكبًا إما عَرَضَتْ قَبْلُنْ
رسول امرئٍ قد راعه ذاتُ بَيْنِكُمْ
وقد كَانَ عِنْدِي لِلْهُمُومِ مُعَرَّسٌ^(١)
تُبَيِّتُكُمْ شَرْجَيْنِ كُلِّ قَبِيلَةٍ
أُعِيدُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ صُنْعِكُمْ
وَإِظْهَارِ أَخْلَاقِي، وَتَجْوَى سَقِيمَةٍ
فَذَكَّرَهُمْ بِاللَّهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ
وَقُلْ لَهُمْ وَاللَّهُ يَحْكُمُ حُكْمَهُ
مَتَى تَبْعَثُوهَا، تَبْعَثُوهَا دَمِيمَةٍ

مُغْلَغَلَةٌ عَنِّي لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ
على النَّأْيِ مَخْزُونٍ بِذَلِكَ نَاصِبٍ
فَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَتِي وَمَآرِبِي
لَهَا أَزْمَلُ مِنْ بَيْنِ مُذْكَ وَحَاطِبِ
وَشَرُّ تَبَاغِيكُمْ وَدَسُّ الْعَقَارِبِ
كَوْخِزِ الْأَشَافِي وَقَعُهَا حَقُّ صَائِبِ
وَإِحْلَالِ أَحْرَامِ الظُّبَاءِ الشُّوَاظِ
ذَرُّوا الْحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمْ فِي الْمَرَاكِ
هِيَ الْغَوْلُ لِلْأَقْصَيْنِ أَوْ لِلْأَقَارِبِ

وأول القصيدة:

يا راكبًا إما عَرَضَتْ قَبْلُنْ

البيت. الْمُغْلَغَلَةُ: الداخلة إلى أَقْصَى ما يراد بُلُوغُهُ مِنْهَا، وَمِنْهُ تَغْلُغِلُ فِي الْبِلَادِ: إِذَا بَالِغٌ فِي الدَّخُولِ فِيهَا، وَأَصْلُهُ: تَغَلَّلَ وَمُغْلَغَلٌ، وَلَكِنْ قَالُوا إِحْدَى اللَّامَيْنِ غَيْنًا، كَمَا فَعَلُوا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُضَاعَفِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْغَلَلِ وَالْغِلَالَةِ، فَأَمَّا الْغَلْلُ فَمَاءٌ يَسْتَرِيهِ النَّبَاتُ وَالشَّجَرُ، وَأَمَّا الْغِلَالَةُ فَسَاتِرَةٌ لَهَا تَحْتَهَا.

وفيهما. تُبَيِّتُكُمْ شَرْجَيْنِ. أَي: فَرِيقَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَتُبَيِّتُكُمْ لَفْظٌ مُشْكَلٌ وَفِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ: نَبَيْتُكُمْ شَرْجَيْنِ، وَهُوَ بَيْنٌ فِي الْمَعْنَى، وَفِيهِ زِحَافٌ خَزَمٌ، وَلَكِنْ لَا يَبَاقُ الْمَعْنَى بِذَلِكَ، وَأَمَّا لَفْظُ التَّبَيُّتِ فِي هَذَا الْبَيْتِ، فَبَعِيدٌ مِنْ مَعْنَاهُ، وَالْأَزْمَلُ: الصَّوْتُ، وَالْمُذْكَ: الَّذِي يوقِدُ النَّارَ، وَالْحَاطِبُ: الَّذِي يَخْطُبُ لَهَا، ضُرِبَ هَذَا مَثَلًا لِنَارِ الْحَرْبِ، كَمَا قَالَ الْآخِرُ:

أَرَى خَلَّلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ جَمْرِ
وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي
وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوْلَهَا الْكَلَامُ^(٢)

وقوله: وَهِيَ الْغَوْلُ لِلْأَدْنَى، أَي: هِيَ الْهَلَاكُ، يُقَالُ: الْغَضَبُ: غَوْلُ الْجَلْمِ، أَي يَهْلِكُهُ، وَالْعَوْلُ بَفَتْحِ الْغَيْنِ: وَجَعُ الْبَطْنِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿لَا فِيهَا عَوْلٌ﴾. وقوله: وَإِحْلَالِ أَحْرَامِ الظُّبَاءِ الشُّوَاظِ^(٣). أَي: إِنْ بَلَدَكُمْ بَلَدٌ حَرَامٌ تَأْمَنُ فِيهِ الظُّبَاءُ الشُّوَاظُ

(١) الْمُعَرَّسُ: الَّذِي يَسِيرُ نَهَارَهُ وَيُعَرَّسُ أَي يَنْزِلُ أَوَّلَ اللَّيْلِ.

(٢) انْظُرْ مَرْوَجَ الذَّهَبِ (٣/٢٥٦). (٣) الَّتِي يَحْرَمُ صَيْدُهَا فِي الْحَرَمِ.

تُقَطَّعُ أَزْحَامًا، وَتُهْلِكُ أُمَّةٌ
وَتُسْتَبَدَّلُوا بِالْأَتْحَمِيَّةِ بَعْدَهَا
وَبِالْجِنْسِكِ وَالْكَافُورِ غُبْرًا سَوَابِغًا
فَلْيَأْكُمِ وَالْحَرْبَ لَا تَغْلِقَنَّكُمْ
تَزَيِّنُ لِلْأَقْوَامِ، ثُمَّ يَرْوُنَهَا
تُحَرِّقُ، لَا تُشْوِي ضَعِيفًا، وَتَنْتَحِي
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاخِسٍ
وَتَبْرِي السَّدِيفِ^(١) مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبٍ
شَلِيلًا وَأَصْدَاءَ ثِيَابِ الْمُحَارِبِ
كَأَنَّ قَتِيرَئَهَا عَيُونُ الْجَنَادِ
وَحَوْضًا وَخِيمَ الْمَاءِ مَرَّ الْمَشَارِبِ
بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّنْتَ، أُمُّ صَاحِبِ
ذَوِي الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوَائِبِ
فَتَغْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبِ حَاطِبِ

التي تأتيه من بُعْدٍ، لِتَأْمَنَ فِيهِ، فَهِيَ شَاذِيَةٌ أَيْ: ضَامِرَةٌ مِنْ بَعْدِ الْمَسَافَةِ، وَإِذَا لَمْ تَحِلُّوا
بِالْظَّبَاءِ فِيهِ، فَأَحْرَى أَلَّا تَحِلُّوا بِدِمَائِكُمْ، وَإِحْرَامُ الظَّبَاءِ: كَوْنُهَا فِي الْحَرَمِ، يُقَالُ لَمَنْ دَخَلَ فِي
الشَّهْرِ الْحَرَامِ، أَوْ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ: مُحَرَّمٌ. وَالْأَتْحَمِيَّةُ: ثِيَابٌ رِقَاقٌ تُصْنَعُ بِالْيَمَنِ، وَالشَّلِيلُ:
دِزْنٌ قَصِيرَةٌ، وَالْأَصْدَاءُ: جَمْعُ صَدَأٍ الْحَدِيدِ، وَالْقَتِيرُ: حَلَقُ الدَّنْعِ شَبَّهَهَا بِعَيُونِ الْجَرَادِ،
وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى التَّوَخِّيُّ فَقَالَ:

كَأَثْوَابِ الْأَرَاقِمِ مَزَقَّتَهَا
فَخَاطَطَتْهَا بِأَعْيُنِهَا الْجَرَادُ
وَقَوْلُهُ فِي وَصْفِ الْحَرْبِ:

تَزَيِّنُ لِلْأَقْوَامِ، ثُمَّ يَرْوُنَهَا
هُوَ كَقَوْلِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ قَتِيَّةٌ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَائِمُهَا

شَمَطَاءٌ جَزَّتْ رَأْسُهَا، فَتَنْكَرَتْ
مَكْرُوهَةٌ لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

فَقَوْلُهُ: أُمُّ صَاحِبِ، أَيْ: عَجُوزًا كَأُمِّ صَاحِبٍ لَكَ، إِذْ لَا يَصْحَبُ الرَّجُلَ إِلَّا رَجُلٌ فِي
سَنَةِ، وَفِي جَامِعِ الْبُخَارِيِّ: كَانُوا إِذَا وَقَعَتِ الْحَرْبُ يَأْمُرُونَ بِحِفْظِ هَذِهِ الْآيَاتِ، يَعْنِي: آيَاتِ
عَمْرِو الْمُتَقَدِّمَةِ.

وَقَوْلُهُ:

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاخِسٍ

(١) السديف: لحم السنّام.

وكم قد أصابَتْ من شَرِيف مُسَوِّدٍ طویلِ العِمَادِ، ضیفُهُ غَیرُ خَائِبِ
عَظِیمِ رَمَادِ النَّارِ یُخَمِّدُ أَمْرُهُ وَذِی شِیمَةِ مَخْضِرِ کَرِیمِ المَضَارِبِ
وَمَاءِ هُرِیقٍ فِی الضَّلَالِ کَأَنَّمَا أَذَاعَتْ بِهِ رِیحَ الصُّبَا والجَنَائِبِ
یُخَبِّرُکُمْ عَنْهَا أَمْرٌ حَقٌّ عَالِمٍ بِأَیَّامِهَا والعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ
فَیَبْغُوا الجِرَابَ مِلْمُحَارِبٍ، وَادْکُرُوا حِسَابَکُمْ، وَاللَّهُ خَیْرُ مُحَاسِبِ
وَلِیِّ أَمْرِی، فَاخْتَارَ دِینَا، فَلَا یُکُنْ عَلَیْکُمْ رَقِیبًا غَیْرَ رَبِّ الثَّوَابِ
أَقِیمُوا لَنَا دِینًا حَنِیقًا فَأَنْتُمْ لَنَا غَايَةً قَدْ یُهْتَدَى بِالدَّوَابِ
وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نَورٌ وَعِضْمَةٌ تُؤْمِنُونَ، والأَحْلَامُ غَیْرَ عَوَازِبِ
وَأَنْتُمْ - إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ - جَوْهَرٌ لَکُمْ سُرَّةُ البَطْحَاءِ شُمُّ الأَرَانِبِ
تَصُونُونَ أَجْسَادًا کِرَامًا عَتِیقَةً مُهَذَّبَةً الأَنْسَابِ غَیْرَ أَشَائِبِ

یُذَکَّرُ معْنَى دَاحِیٍ إِذَا ذَکَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بَعْدَ هَذِهِ الْقَصِیدَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَوْلُهُ فِيهَا: وَلِیِّ أَمْرِی فَاخْتَارَ دِینًا فَإِنَّمَا . أَيْ: هُوَ وَلِیِّ أَمْرِی اخْتَارَ دِینًا،
وَالْفَاءُ زَائِدَةٌ عَلَى أَصْلِ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ فِي قَوْلِهِمْ: زَيْدًا فَاضْرِبْ: الْفَاءُ مُعَلِّقَةٌ أَيْ:
زَائِدَةٌ، وَمَنْ لَا يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ یَجْعَلُ الْفَاءَ عَاطِفَةً عَلَى فِعْلِ مَضْمُرٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلِیِّ
أَمْرِی تَدْنِیْنِ، فَاخْتَارَ دِینًا، أَوْ نَحْوَ هَذَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ بَاقِي الْقَصِیدَةِ فِي آخِرِ قِصَّةِ
الْحَبْشَةِ .

وَقَالَ فِيهَا: کَرِیمِ المَضَارِبِ، وَفِي حَاشِیَةِ کِتَابِ الشَّيْخِ: لَعَلَّهُ الضَّرَائِبُ، یُرِيدُ: جَمْعَ
ضَرْبِیَّةٍ، وَلَا یَبْعُدُ أَيْضًا أَنْ یَکُونَ قَالَ: المَضَارِبُ. یُرِيدُ أَنْ مَضَارِبَ سِیُوفِهِ غَیْرَ مَذْمُومَةٍ، وَلَا
رَاجِعَةٌ عَلَیْهِ إِلَّا بِالنِّسَاءِ وَالْحَمْدِ وَالْوَصْفِ بِالْمَكَارِمِ .

وَفِيهَا قَوْلُهُ: وَمَاءِ هُرِیقٍ فِي الضَّلَالِ . وَیُرْوَى: فِي الضَّلَالِ جَمْعُ صَلَّةٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ
الَّتِي لَا تَمْسُكُ الْمَاءَ، أَيْ رُبَّ مَاءٍ هُرِیقٍ فِي الضَّلَالِ مِنْ أَجْلِ السَّرَابِ، لِأَنَّهُ لَا یُهْرِیقُ مَاءً مِنْ
أَجْلِ السَّرَابِ إِلَّا ضَالًّا غَیْرَ مُمِيزٍ بِمَوَاضِعِ الْمَاءِ، وَأَذَاعَتْ بِهِ، أَيْ: بَدَّدَتْهُ، فَلَمْ یَنْتَفِعْ بِهِ،
وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ لِلنَّظَرِ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَیُرْوَى: وَمَا هُرِیقٍ فِي أَمْرِ، وَمَعْنَاهُ: وَالَّذِي
أُهْرِیقُ فِي أَمْرِ الضَّلَالِ، فَوَصَلَ أَلْفَ الْقَطْعِ ضَرُورَةً، وَیَقَالُ: أَرِیقُ الْمَاءَ، وَأُهْرِیقُ بِالْجَمْعِ بَيْنَ
الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ، وَهِيَ أَقْلَاهَا، وَلِتَعْلِيلِهَا مَوْضِعٌ غَیْرُ هَذَا .

يرى طالبُ الحاجات نحو بُيوتكم
لقد علم الأقوام أن سرائكم
وأفضله رأيًا، وأعلاه سُنة
فقوموا، فصلُّوا ربَّكم، وتمسَّحوا
فَعِنْدَكُم منه بلاؤٌ ومُضدُّق
كُتِبَتْهُ بالسَّهْلِ تُنْفِسي، ورَجَلُهُ
فلما أتاكم نَصْرُ ذِي العَرْشِ، رَدَّهم
فولَّوْا سِرَاعًا هَارِبِينَ، ولم يَؤُتْ
فإن تَهْلِكُوا، تَهْلِكُ وتَهْلِكُ مَواسم

عصائبٌ هلكى تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
على كلِّ حال خيرُ أهلِ الْجَبَابِجِ
وأقولُه للحقِّ وَسَطُ المَوَاكِبِ
بأركان هذا البيت بين الأخشاب
عَدَاةُ أَبِي يَكْسُومِ هَادِي الكَتَائِبِ
على القاذفات في رُؤوسِ المَنَاقِبِ
جُنُودُ المَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ
إلى أهله مِ الحُبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ
يُعَاشُ بها، قولُ امرئٍ غَيْرِ كاذبِ

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «وماءٌ هُرِيقٌ»، وبيته: «فبيعوا الحراب»، وقوله: «وليُّ امرئٍ فاختار»، وقوله:

على القاذفات في رُؤوسِ المَنَاقِبِ

أبو زيد الأنصاري وغيره.

حرب داحس

قال ابن هشام: وأما قوله:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس

وقوله فيها: بين سافٍ وحاصِبٍ: السافي: الذي يَرْمِي بالتراب، والحاصِب الذي يَقْذِفُ بالحِصْبَاءِ.

وفيهَا ذِكْرُ الْجَبَابِجِ، وهي منازل مِني. كذا قال ابن إسحق، وقال البرقي: هي حُفَرُ بَمِني، يَجْمَعُ فِيهَا دَمُ البُذْنِ، والهدايا، والعرب تعظمها وتفتخر بها، وقيل: الجبابج: الكُروش. يقال للكَرِشِ: جَبَجَ بفتح الجيم، والذي تقدَّم واحده: جُبَجَةٌ بالضم^(١).

حرب داحس^(٢)

فصل: وذكر حديث حرب داحس مختصرًا، وداحس: اسم فرس كان لقيس بن أبي

(١) في الراصد: الجبجبة: ماء معروف بنواهي اليمامة.

(٢) انظر الكامل (٤٤٩/١) النقائص بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة (٧٦/١).

فحدّثني أبو عُبَيْدة النُحَويّ: أن داحساً قرَسَ كان لقيس بن زُهَيْر بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن رَبِيعَة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعَة بن عَبَس بن بَغِيض بن رَيْث بن عَطْفَان، أَجْرَاه مع فرس لَحْدَيْفَة بن بَدْر بن عَمْرُو بن زِيد بن جُوَيَة بن لَوْذَان بن ثُعْلَبَة بن عدي بن فزارة بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن رَيْث بن عَطْفَان، يقال لها: العَبْرَاء. فدَسَّ حُدَيْفَة قومًا وأمرهم أن يضربوا وَجْه داحس، إن رأوه قد جاء سابقًا، فجاء داحس سابقًا، فضربوا وَجْهَهُ، وجاءت العَبْرَاء. فلما جاء فارس داحس أخبر قيسًا الخبر، فوثب أخوه مالك بن زُهَيْر، فلطم وَجْهَ العَبْرَاء، فقام حَمَلُ بَنُ بدر، فلطم مالكا. ثم إن أبا الجُنَيْدِ العَبْسِيّ لقي عَوْفَ بن حُدَيْفَة فقتله، ثم لقي رجلًا من بني فزارة مالكا فقتله فقال حَمَلُ بن بَدْر أخو حُدَيْفَة بن بَدْر:

قَتَلْنَا بَعَوْفَ مَالِكَا وَهُوَ تَأْرُنَا فَإِنْ تَطَلَبُوا مِنَّا سِوَى الْحَقِّ تَنْدَمُوا

زُهَيْر، ومعنى داحس: مدحوس كما قيل: ماء دافق، أي: مدفوق، والدَّخْسُ: إدخال اليد بقوة في ضيق، كما رُوِيَ أن رسول الله - ﷺ - مرَّ بَغْلَامٍ يسلخ شاة، فأمره أن يتحمي لِيُرِيه، ثم دَحَسَ عليه السلام بيده بين الجِلْد واللحم، حتى بلغ الإِبْطَ ثم صَلَّى، ولم يتوضأ^(١). فَدَا حَسَّ سُمِّيَ بهذا الاسم؛ لأن أمه كانت لرجل من بني تميم، ثم من بني يَرْبُوع اسمه: قِرْوَاش بن عَوْف، وكان اسم الفرس: جَلْوَى، وكان ذو الْعُقَالِ فَرَسًا عَتِيقًا لِحَوْطِ بن جابر، فخرجت به فتاتان له، لتسقياه، فبصر بجَلْوَى، فأذلى حين رآها، فضحك غِلْمَةٌ كانوا هنالك، فاستحيت الفتاتان، ونكستا رأسيهما، فأفلت ذو الْعُقَالِ حتى نَزَا على جَلْوَى، وقيل ذلك لِحَوْطِ فأقبل مغضبًا، وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب، ثم دَحَسَهَا في رَحِمِ الفرس، فسطا عليها، فأخرج ماء الفحل منها، واشتملت الرحمُ على بقية الماء، وحملت بمهر فسمّوه: داحسًا، وأظهر ما فيه أن يكون مثل: لابن وتامر، وأن لا يكون فاعلاً بمعنى مفعول، فهو داحس بن ذي الْعُقَالِ بن أعوج الذي تُنسب إليه الخيل الأعوجيّة^(٢) في قول بعضهم، وقد تقدم غير هذا القول - ابن سَبَلٍ^(٣)، وكان لغني بن يَغْضَر، وفيه يقال:

إِنْ الْجَوَادُ بَنَ الْجَوَادِ بَنَ سَبَلٍ إِنْ دَايَمُوا جَادَ، وَإِنْ جَادَ وَبَلٍ
وفي ذي الْعُقَالِ يقول جرير:

تمسي جياذ الخيل حول بيوتنا من آل أعوج، أو لذي الْعُقَالِ

(١) «حسن». أخرجه أبو داود (١٨٥) بتحقيق. وابن ماجة في الذبائح (٣١٧٩).

(٢) أعوج: فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات.

(٣) سبل: هي أم أعوج سالف الذكر.

وهذا البيت في أبيات له . وقال الربيع بن زياد الغنبي :

أَقْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
وهذا البيت في قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عَنَسٍ وَفَزَارَةٍ ، فَقُتِلَ حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرٍ وَأَخُوهُ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ ، فَقَالَ
قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ جَذِيمَةَ يَرِثِي حُذَيْفَةَ ، وَجَزَعُ عَلَيْهِ :

كَمْ فَارِسٍ يُدْعَى وَلَيْسَ بِفَارِسٍ وَعَلَى الْهَبَاءِ فَارِسٌ ذُو مَضَدَقٍ
فَابْكُوا حُذَيْفَةَ لَنْ تُرْتَوْا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قِبَائِلُ لَمْ تُخْلَقِ
وهذان البيتان في أبيات له . وقال قيس بن زهير :

عَلَى أَنَّ الْفَتَى حَمَلَ بْنَ بَذْرِ بَغَى ، وَالظُّلُمَ مَزْتَعَهُ وَخِيمَ
وهذا البيت في أبيات له : وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :

تَرَكْتُ عَلَى الْهَبَاءِ غَيْرَ فَخْرٍ حُذَيْفَةَ عِنْدَهُ قِصْدُ الْعَوَالِي

وَأَنْشُد :

أَقْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
وفيه إقواء ، وهو حذف نصف سبب من القسم الأول ، وقد تكلمنا على معنى الإقواء
قبل ، وأما اختلاف القوافي فيسمى : اكتفاء ، وإقواء أيضًا لأنه من الكُفَاء ، فكانه جعل الرفع
كفًا للخفض ، فسوى بينهما ، وفيها قوله :

تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ . كقول الأخطل :

قَوْمَ إِذَا حَارِبُوا شَدَّوْا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ
فيقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة ، لم تحمل فيها أنثى ، لأنهم كانوا لا يقربون
النساء ما داموا محاربين ، وذكر الأصبهاني أن حرب داحس كانت بعد يوم جَبَلَةَ بأربعين
سنة ، وقد تقدّم يوم جَبَلَةَ ، وأن رسول الله ﷺ ولد في تلك الأيام ، وقال ليبد :

وَعَنَيْتُ حَرْسًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودُ
وكان ليبد في حرب جَبَلَةَ ابنَ عَشْرِ سِنِينَ ، وقوله : حَرْسًا أي : وقتًا من الدهر ، ويروى
سَبْتًا والمعنى واحد ، وكان إجراء داحس والغبراء على ذات الإصَادِ موضع في بلاد فَرَّازَةَ ،

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: ويقال: أرسل قيسٌ داحساً والغبراء، وأرسل حُذَيْفَةُ الخَطَّارَ والحَنْفَاءَ، والأوَّلُ أصَحُّ الحديثين. وهو حديث طويل منيعني من استقصائه قَطْعُهُ حديث سيرة رسول الله ﷺ.

حرب حاطب:

قال ابن هشام: وأما قوله: «حرب حاطب». فَيَعْنِي حاطبَ بن الحارث بن قيس بن هَيْشَةَ بن الحارث بن أُمَيَّة بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عَمْرُو بن عَوْف بن مالك بن الأوس، كان قتل يهوديًا جَارًا للخَزْرَج، فخرج إليه يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أَحْمَرَ بن حارثة بن ثَعْلَبَة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج - وهو الذي يقال له: ابن فُسْحَم، وفُسْحَم: أمه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر - ليلاً في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه، فوقعَت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان الظفر للخزرج على الأوس، وقُتل يومئذٍ سُويد بن صامت بن خالد بن عطية بن حَوْط بن حبيب بن عَمْرُو بن عوف بن مالك بن الأوس، قُتل المَجْدَر بن ذِيَاد البلوي، واسمه عبد الله، حليف بني عَوْف بن الخزرج. فلما كان يوم أُحُد خرج المَجْدَر بن ذِيَاد مع رسول الله - ﷺ - وخرج معه الحارث بن سُويد بن صامت، فوجد الحارث بن سُويد غِرَّة من المَجْدَر فقتله بأبيه. وسأذكر حديثه في موضعه - إن شاء الله تعالى - ثم كانت بينهم حروب منيعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس.

وَكَانَ آخِرُ أَيَّامِ حَرْبِ دَاحِصَ بَقْلَهَيَّ مِنْ أَرْضِ قَيْسٍ، وَهَنَّاكَ اصْطَلَحْتَ عَبَسَ وَمَثُولَةٌ: وَهِيَ أُمُّ بَنِي فَزَارَةَ: شَمَخَ وَعَدِي وَمَازَنَ، فَيُقَالُ لِهَذَا الْمَوْضِعِ: قَلْهَيَّ، وَأَمَّا قَلْهَيَّ فَمَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ، وَفِيهِ اعْتَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ حِينَ قُتِلَ عَثْمَانُ، وَأَمْرٌ أَلَّا يُحَدِّثَ بِشَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ، وَأَلَّا يَسْمَعَ مِنْهَا شَيْئًا، حَتَّى يَصْطَلِحُوا، وَيُقَالُ: إِنَّ الْحَنْفَاءَ كَانَتْ فَرَسَ حُذَيْفَةَ، وَأَنَّهَا أُجْرِيَتْ مَعَ الْغَبْرَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِهِ الْفَوَائِدُ
فَقَدْ جَرَّتِ الْحَنْفَاءُ حَتْفَ حُذَيْفَةَ وَكَانَ يَرَاهَا عُدَّةً لِلشَّدَائِدِ

وَأَمَّا حَرْبُ حَاطِبِ الَّذِي ذَكَرَهَا، فَهِيَ حَرْبٌ كَانَتْ عَلَى يَدِ حَاطِبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ هَيْشَةَ بْنِ الْأَوْسِ، فَتُسَبِّتُ إِلَيْهِ، وَكَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ.

حكيم بن أمية ينهي قومه عن عداوة الرسول:

قال ابن إسحاق: وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي، حليف بني أمية وقد أسلم، يورع قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم شريقاً مطاعاً:

هل قائل قولاً من الحق قاعدٌ	عليه، وهل غضبانٌ للرشد سامعٌ
وهل سيّدٌ ترجو العشيرة نفعه	لأقصى الموالي والأقارب جامعٌ
تبرأتُ إلا وجهَ مَنْ يملك الصّبا	وأهجركم ما دام مُدْلٍ ونازعٌ
وأُسْلِمَ وَجْهِي لِلإلهِ وَمُنْطَقِي	ولو راعني مِنَ الصّديقِ روائعٌ

ذكرى ما لقيه رسول الله ﷺ من قومه

مفريات قريش وإبذاؤهم للرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً اشتدّ أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ، وَمَنْ أسلم معه منهم، فأغرّوا برسول الله ﷺ: سفهاءهم، فكذبوه، وأدّوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجئون، ورسول الله ﷺ مظهرٌ لأمر الله لا يُستخفى به، مُبادٍ لهم بما يكرهون من غيب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيّاهم على كفرهم.

ما لقي رسول الله (ﷺ) من قومه

فصل: فيما لقي رسول الله ﷺ من قومه، ذكر ابن إسحاق والواقدي والتيمي، وابن عُبَيْة وغيرهم في هذا الباب أموراً كثيرةً تتقارب ألفاظها ومعانيها، وبعضهم يزيد على بعض، فمنها حَثُّ سفهائهم الترابَ على رأسه، ومنها أنهم كانوا يَنْضِدُون. الْفَرْتُ وَالْأَفْحَاتُ^(١) والدماء على بابه، ويطرحون رحم الشاة في بُرْمَتِهِ، ومنها: بَصُقُ أمية بن خلف في وجهه، ومنها: وطء عقبة بن أبي مُعَيْطٍ على رقبته، وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان، ومنها أخذهم بِمُخْتَفِهِ حين اجتمعوا له عند الحجّر، وقد ذكره ابن إسحاق، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فَجَبَذُوا رَأْسَهُ ولحيته حتى سقط أكثرُ شعره، وأما السُّبُّ وَالْهَجْوُ والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبابه، وهو ينظر، فقد ذكر من ذلك ابن إسحاق ما في الكتاب، وقد قال أبو جهل لسمية أمّ عَمَّار بن ياسر: ما آمَنْتِ بمحمد إلا لأنك عَشِيقَتِهِ لجمالِهِ، ثم طعنها بالحربة في قُبْلِها حتى قتلها، والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

(١) الأفحات: جمع فحث: بعض ما في الكرش.

قال ابن إسحاق: فحدثني يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ الزبير، عن أبيه عُرْوَةُ بْنُ الزبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله - ﷺ - فيما كانوا يُظهرون من عداوته؟ قال: حضرتُهم، وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثلاً ما صَبَرْنَا عليه من أمر هذا الرجل قَطُّ: سَفَهُ أَحْلَامِنَا، وَشْتَمَ آبَاءِنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا، فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ أَلْرُكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ، يَبْعُضُ الْقَوْلِ، قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ الثَّالِثَةَ فغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَوَقَفَ، ثُمَّ قَالَ: «أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟! أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ». قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَوْمَ كَلِمَتَهُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إِنْ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةٌ قَبْلَ ذَلِكَ لِيَزْفُوهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِذَا كَانَ أَنْصَرَفَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا. قَالَ فَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ، وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ. فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَأَحَاطُوا بِهِ، يَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، لِمَا كَانَ يَقُولُ مِنْ غَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ؟! فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ»، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ. قَالَ: فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَهُ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ؟! ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ، فَإِنْ ذَلِكَ لِأَشَدِّ مَا رَأَيْتُ قَرِيشًا نَالُوا مِنْهُ قَطُّ.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض آل أم كلثوم ابنة أبي بكر، أنها قالت: رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدعوا فَرَّقَ رَأْسَهُ، مِمَّا جَبَذُوهُ بِلِخِيَتِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ.

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم: إن أشد ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوماً فلم يَلْقَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا حَذَبَهُ وَآذَاهُ، لَا حُرَّ وَلَا عَبْدَ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَتَدَثَّرَ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٢].

السبب في تلقيه بالمدثر والنذير العريان:

وذكر ابن إسحاق قول رسول الله - ﷺ -: «دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِالْمُدَّثِّرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ

مُلاطَفَةً وتأنيسٌ، ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مُشْتَقٍّ من الحالة التي هو فيها، كقوله عليه السلام لحذيفة: **قَم يَا نَوْمان**^(١)، وقوله لعلّي بن أبي طالب - وقد تَرَبَّ جنبه: **قَم أبا تَراب**^(٢) فلو ناداه سبحانه، وهو في تلك الحال من الكرب باسمه، أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لَهَالَهُ ذلك، ولكن لما بُدِئَ، بيأتها المدثر أنيسٌ، وعلم أن ربه راضٍ عنه، ألا تراه كيف قال عندما لَقِيَ من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب ما لقي: **رَبِّ إِن لَّمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي**^(٣) إلى آخر الدعاء، فكان مطلوبه رضا ربه، وبه كانت تهوّن عليه الشدائد. فإن قيل: كيف ينتظم يأتيها المدثر مع قوله: **قَم فَأُنْذِرُ**، وما الرابط بين المعنيين، حتى يلتصقا في قانون البلاغة، ويتشاكلا في حكم الفصاحة؟ قلنا: من صفته عليه السلام ما وَصَفَ به نفسه حين قال: **أنا النذير العُزَيان**^(٤)، وهو مَثَلٌ معروف عند العرب، يقال لَمَنْ أُنْذِرَ بِقُرْبِ العدو، وبالغ في الإنذار، وهو النذير العُزَيان، وذلك أن النذير الجادُّ يُجَرِّدُ ثوبه، ويُشير به إذا خاف أن يسبق العدوُّ صوته، وقد قيل: **إِنْ أَصَلَ المَثَلُ لِرَجُلٍ مِنْ حَفْعَمَ سَلْبِهِ العدوُّ ثوبه**، وقطعوا يده، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال، فقوله عليه السلام: **«أنا النذير العريان»** أي: مثلي مثل ذلك، والتدثر بالثياب مُضَادٌّ لِلتَّعَرِّي، فكان في قوله: **«يأتيها المدثر»** مع قوله: **«قَم فَأُنْذِرُ»** والنذيرُ الجادُّ يسمى: العُزَيان: تشاكل بَيْنَ، والتثام بديعٍ وَسِمَاقَةٍ في المعنى، وَجَزَالَةٍ في اللفظ.

تقديم المفعول على الفعل:

وقوله بعد هذا: **«وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ»** أي: رَبِّكَ كَبِّرْ، لا غيره لا يَكْبُرُ عليك شيء من أمر الخلق، وفي تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاصٌ، ومثله قوله: **«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»** أي: لا نعبد غيرك [ولا نستعين إلا بك]، ولم يَقُلْ: نعبدك ونستعينك، وفي الحديث: إذا قال العبد: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**، يقول الله تعالى: **أَخْلَصَ لِي عَبْدِي الْعِبَادَةَ، وَاسْتَعَانَنِي عَلَيْهَا، فَهَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي.**

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في الجهاد (٩٩) والبيهقي (١١٩/٩) وفي الدلائل له (٤٥٠/٣).

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (١٢٠/١) ومسلم في فضائل الصحابة (٣٨) والبيهقي (٤٤٦/٢).

(٣) انظر القرطبي في تفسيره (٢١١/١٦) والبقوي (١٦٧/٦).

(٤) «صحيح». أخرجه البخاري (١١٥/٩).

عتبة بن ربيعة والرئي:

فصل: وذكر قول عتبة: إن كان هذا رئيًا تراه. ولغة بني تميم: رئي بكسر الراء، وكذلك يقولون في كل فعل عين الفعل منه همزة، أو غيرها من حروف الخلق، يكسرون أوله، مثل: رحيم وشهيد والرئي: فَعِيل بمعنى مفعول، ولا يكون إلا من الجَن، ولا يكون فَعِيل بمعنى مفعول في غير الجَن. إلا أن يؤثر فيه الفِعْل نحو: جريح وقتيل وذبيح وطحين، ولا يقال من الشكر: شكير، ولا ذكرته فهو ذكير، ولا فيمن لُطِم: لطيم إلا أن تغير منه اللطمة، كما قالوا: لطيم الشيطان. قال ابن الزبير حين قُتل عَمْرُو بن سعيد الأشدق [ابن العاص]: أَلَا إِنَّ أَبَا ذُبَّانَ قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ: ﴿كَذَلِكَ تُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٩]. وقالوا من الحمد: حميد، ذهبوا به مذهب كريم، وكذلك قالوا في الجَن: رئي، وإن كانت الرؤيا لا تؤثر في المَرئي؛ لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونَجِي.

إسلام حمزة رضي الله عنه^(١)

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ، كَانَ وَاعِيَةً: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الصُّفَا فَأَذَاهُ وَشْتَمَهُ، وَنَالَ مِنْهُ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ، وَالتَّضْعِيفِ لَأَمْرِهِ، فَلَمْ يَكْلُمْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -، وَمَوْلَاةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةٍ فِي مَنْسَكِنَ لَهَا تَسْمَعُ ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَعَمِدَ إِلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَلَمْ يَلْبِثْ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ، رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ، وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَزْمِيهِ، وَيُخْرِجُ لَهُ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ، حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمْرَ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ، وَسَلَّمْ، وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ، وَكَانَ أَعَزَّ فَتًى فِي قُرَيْشٍ، وَأَشَدَّ شَكِيمَةً، فَلَمَّا مَرَّ بِالمَوْلَاةِ، وَقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ قَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا عُمَارَةَ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ أَنْفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ: وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا، فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ وَبَلَّغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، وَلَمْ يَكْلُمْهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

فاحتمل حمزة الغضبَ لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كِرَامَتِهِ، فَخَرَجَ يَسْعَى، وَلَمْ يَقِفْ عَلَى

إسلام حمزة

فصل: وذكر إسلام حمزة، وأُمُّهُ: هَالَةُ بِنْتُ أَهْنَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ، وَأَهْنَبُ: عُمُ أَمْنَةَ بِنْتُ وَهْبٍ تَزَوَّجَهَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ، وَتَزَوَّجَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ أَمْنَةَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَوُلِدَتْ هَالَةُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ حَمْزَةَ. وَوُلِدَتْ أَمْنَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ثُمَّ أَرْضَعْتُهُمَا ثَوْبِيَّةٌ كَمَا تَقْدُمُ، وَزَادَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي إِسْلَامِ حَمْزَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا احْتَمَلَنِي الْغَضَبُ، وَقُلْتُ: أَنَا عَلَى

(١) انظر الكامل (٦٠١/١) والمتظم لابن الجوزي (٣٨٤/٢) والطبري في تاريخه (٥٤٩/١).

أحد، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لَقِيَهُ أن يُوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس، فضربه بها، فشجّه شجّةً مُنكرة، ثم قال: أتشتمه، فأنا على دينه أقول ما يقول؟! فَرُدُّ ذلك عليّ إن استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة، لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دُعُوا أبا عُمارة، فإنني والله قد سَبَيْتُ ابن أخيه سَبًّا قبيحًا، وتَمَّ حمزة رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قومه. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

عتبة بن ربيعة يذهب إلى الرسول (ﷺ) (١):

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: حَدَّثْتُ أن عتبة بن ربيعة - وكان سيّدًا - قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسولُ الله - ﷺ - جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه،

قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبِتّ من الشكّ في أمر عظيم لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق، ويذهب عني الريب فما استتممتُ دعائي حتى رآح عني الباطلُ، وامتلأ قلبي يقينًا - أو كما قال - فغدوت إلى رسول الله - ﷺ - فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يُبَيِّنِي الله، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم:

حَمِدْتُ اللَّهَ حِينَ هَدَى فُؤَادِي	إلى الإسلام والدينِ الحَنِيفِ
الدين جاء من رَبِّ عزيز	خبيرٍ بالعبادِ بهم لطيف
إذا تُلِيَتْ رسائلُهُ علينا	تحدّر دمعُ ذي اللُبِّ الحَصِيفِ
رسائلُ جاء أحمدُ مِن هداها	بآياتِ مُبَيَّنَةِ الحُرُوفِ
وأحمد مُضْطَفًى فينا مطاعٌ	فلا تَغَشَّوْهُ بالقولِ العنيفِ
فَلا وَاللَّهِ تُسَلِّمُهُ لقوم	ولمّا نَقَضَ فيهم بالسيفِ
ونترك منهم قَتْلَى بقاعٍ	عليها الطيرُ كالوردِ العُكُوفِ
وقد خُبِرَتْ ما صنعت ثقيف	به، فجزى القبائلَ من ثقيف
إِنَّهُ الناسَ شَرَّ جَزَاءِ قومٍ	ولا أسقامهم صَوَّبَ الخريفِ

(١) بالمطبوع «ص» وقد تقدم الكلام عليه غير مرة.

وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بغضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله - ﷺ - يزيدون ويكثرُونَ؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فَم إليه، فكلّمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا بن أخي، إنك مثاً حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في السب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم وديّنتهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله - ﷺ - : «قل يا أبا الوليد، أسمع»، قال: يا بن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رزقاً^(١) تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدأوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة، ورسولُ الله - ﷺ - يستمع منه، قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاسمع مني»، قال: أفعل، فقال: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ» [فصلت: ١ - ٥]. ثم مضى رسول الله - ﷺ - فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسولُ الله - ﷺ - إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله: لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تُصِبه العرب فقد كُفِيتُموه بغيركم، وإن يظهَر على العرب، فملكه مَلِكُكم، وعزه عزُكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

(١) أي من الجن.

بين النبي (ﷺ) وبين قريش

قال ابن إسحاق: ثم إن الإسلام جعل يَفْشُو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء، وقريش تحبس مَنْ قَدَرَتْ على حَبْسِهِ، وتَفْتَن مَنْ استطاعت فَتَنَتْهُ من المسلمين، ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة - كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبيرة، وعن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

اجتمع عُثْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو سُفْيَان بن حَزْب، والتُّضْر بن الحارث، أخو بني عبد الدار، وأبو الْبَخْتَرِيِّ بن هشام، والأسودُ بن المطَّلِب بن أسد، وزَمْعَةُ بن الأسود، والوليد بن المُغيرة، وأبو جهل بن هشام - لعنه الله - وعبد الله بن أبي أمية، والعاصُ بن وائل، ونُبَيْه ومُنْبَه ابنا الْحَجَّاج السَّهْمِيَّان، وأمِية بن خلف، أو مَنْ اجتمع منهم. قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكَلِّمُوهُ وخاصمُوهُ حتى تُعْذِرُوا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك، فأتهم، فجاءهم رسول الله - ﷺ - سريعاً، وهو يظن أن قد بدأ لهم فيما كلِّمهم فيه بدءاً، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم، ويعزُّ عليه عَثَّتْهم، حتى جلس إليهم، فقالوا له يا محمد، إنَّا قد بعثنا إليك؛ لنكلِّمك، وإنَّا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعَبَت الدين، وشتمت الآلهة، وسفَّهت الأحلام، وفَرَّقت الجماعة، فما بقي أمرٌ قَبِيحٌ إلا قد جِئْتَهُ فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشَّرَفَ فينا، فنحن نُسَوِّدُكَ علينا، وإن كنت تريد به مُلْكاً مُلْكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئياً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رَئياً - فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالنا في طَلَبِ الطَّبِّ لك حتى نُبْرِثَكَ منه، أو نُعْذِرَ فِيك، فقال لهم رسولُ الله - ﷺ -: «ما بي ما تقولون، ما جئتُ بما جئتكم به أطلبُ أموالكم، ولا الشرفَ فيكم، ولا المُلْكَ عليكم. ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً،

طلب الآيات

فصل: وذكر ما سألَه قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم، وإنزال الملائكة عليه،

(١) بالمطبوع: «ص». تقدم الكلام عليه مراراً. واكتفى هنا بما تقدم من تعليق، وما يأتي بعد فهو كما سبق.

وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحتُ لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبِرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»، أو كما قال - ﷺ - قالوا: يا محمد، فإن كنت غيرَ قابلٍ منّا شيئًا مما عَرَضْنَاهُ عَلَيْكَ، فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحدٌ أَضِيقَ بلدًا، ولا أَقلَّ ماءً، ولا أَشدَّ عيشًا منّا، فسَلْ لنا ربَّكَ الذي بعثك بما بعثك به، فليُسِرَ عَنَّا هذه الجبالَ التي قد ضَيَّقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجِّر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم: قُصَيُّ بن كلاب، فإن كان شيخَ صدق، فنسألهم عَمَّا تقول: أحقُّ هو أم باطل، فإن صدَّقوك، وصنعت ما سألناك، صدَّقناك، وعرفنا به منزلتَكَ من الله، وأنه بعثك رسولاً - كما تقول - فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: «ما بهذا بُعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بَعَثَنِي بِهِ، وقد بَلَّغْتُكُمْ مَا أُزِيلَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ، فإن تقبلوه، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبِرْ لأمر الله تعالى، حتى يحكم الله بيني وبينكم»، قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سَلْ رَبَّكَ أن يبعث معك مَلَكًا يصدِّقك بما تقول، ويراجعنا عنك وسله، فليجعل لك جناتًا وقصورًا وكنوزًا من ذهب وفضة يُغْنِيكَ بها عَمَّا نراك تَبْتَغِي، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم، وتلتمس المعاش كما تلتمسه، حتى نعرف فضلَكَ ومنزلتَكَ من رَبِّكَ إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا

وغير ذلك، جهلاً منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق، وتَعَبُّدِهِمْ بتصديق الرسل، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة، فيقع الثواب على حسب ذلك، ولو كشف الغطاء، وحصل لهم العلم الضروري، بَطَلَتْ الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب، إذ لا يُؤَجَّر الإنسان على ما ليس من كسبه، كما لا يُؤَجَّر على ما خُلِق فيه من لون وشعر ونحو ذلك، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضي النظر فيه العلم الكسبي، وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب، وهو النظر في الدليل، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول، وإلا فقد كان قادرًا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعون، ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين، فجعل الأمر يُعَلَّم في الدنيا بنظرٍ واستدلال وتفكّر واعتبار؛ لأنها دار تعبد واختبار، وجعل الأمر يُعَلَّم في الآخرة بمعاينة واضطرار، لا يُستَحَقُّ به ثواب ولا جزاء، وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى، حكمة دبرها، وقضية أحكمها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]. يريد - فيما قال أهل التأويل - إن التكذيب بالآيات نحو ما سأله من إزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة يوجب في حكم الله، ألا

بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربّه هذا، وما بُعِثَ إليكم بهذا، ولكنّ الله بعثني بشيرًا ونذيرًا - أو كما قال -: «فإن تقبلوا ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة». وإن تردّوه عليّ أصبِرْ لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم»، قالوا: فأسقط السماء علينا كِسْفًا كما زعمت أن ربك لو شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل، قال: فقال رسولُ الله - ﷺ -: «ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل»، قالوا: يا محمد، أفما علِمَ ربُّك أنا سنجلس معك، ونسألك عمّا سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم إليك فيعلمك ما تُراجعنا به، ويخبرك ما هو صانعٌ في ذلك بنا، إذا لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له: الرَّحْمَنُ، وإنا والله لا نؤمن بالرَّحْمَنِ أبدًا، فقد أغدَرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله وبالملائكة قِيْلًا.

فلما قالوا ذلك لرسول الله - ﷺ -، قام عنهم، وقام معه عبدُ الله بن أبي أمية بن

يُلبّث الكافرين بها، وأن يعاجلهم بالنقمة، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون، فلو أُعطيت قريشٌ ما سألوه من الآيات، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يَلْبِثُوا، ولكن الله أكرم محمدًا في الأمة التي أرسله إليهم؛ إذ قد سبق في علمه أن يكذّب به مَنْ يكذب، ويصدق به مَنْ يصدق، وابتعثه رحمة للعالمين برّ وفاجر، أما الثبُرُ فرحمته إياهم في الدنيا والآخرة، وأما الفاجر، فإنهم أمنوا من الخَسَفِ والغَرَقِ وإرسال حاصب عليهم من السماء. كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] مع أنهم لم يسألوا ما سألوا من الآيات إلا تَعَثُّيًا واستهزاء، لا على جهة الاسترشاد، ودفع الشك، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف، قال الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٥١] الآية، وفي هذا المعنى قيل:

لو لم تكن فيه آياتٌ مبينة كانت بداهته تُنبئك بالخبر

وقد ذكر ابن إسحق في غير هذه الرواية أنهم سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فهِمَّ رسولُ الله - ﷺ - أن يدعو الله لهم، فنزل جبريل، فقال لهم: ما شئتم إن شئتم فعلت ما سألتم، ثم لا تُلبِثُكُمْ إن كذبت بعد معاينة الآية، فقالوا: لا حاجة لنا بها^(١).

عبد الله بن أبي أمية:

فصل: وذكر قول عبد الله بن أبي أمية له، واسم أبي أمية: حَذِيفَةُ: والله لا أومن بك

(١) أخرجه أحمد (٣/٣١٦) بنحوه.

المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته فهو لعاتكة بنت عبد المطلب - فقال له: يا محمد، عَرَضَ عليك قومك ما عَرَضُوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا، ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذَ لنفسك ما يَعْرِفُونَ به فضلُك عليهم، ومنزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجلَ لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أومن بك أبدًا حتى تتخذَ إلى السماء سُلَّمًا، ثم ترقى فيه، وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول. وإني أرى الله أن لو فعلت ذلك ما ظننتُ أني أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله - ﷺ - وانصرف رسول الله - ﷺ - إلى أهله حزينًا أسفًا لما فاتته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوه، وَلَمَّا رَأَى من مُبَاعَدَتِهِمْ إِيَّاه.

فلما قام عنهم رسول الله - ﷺ - قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدًا قد أبى إلا ما تَرَوْنَ من عَيْبِ ديننا، وشتم آبائنا، وتُسْفِيهِ أحمالنا، وشتم آلِهتنا، وإني أعاهد الله لأجْلِسَنَّ له غَدًا بِحَجَرٍ ما أَطِيقُ حَمْلَهُ - أو كما قال - فإذا سجد في صلاته، فَضَخْتُ به رأسه، فأسلموني عند ذلك، أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف، ما بَدَأَ لهم، قالوا: والله لا نُسلمك لشيء أبدًا، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله - ﷺ - ينتظره، وغدا رسول الله - ﷺ - كما كان يغدو، وكان رسول الله - ﷺ - بمكة وقبيلته إلى الشام، فكان إذا صَلَّى صَلَّى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين

حتى تتخذَ سُلَّمًا إلى آخر الكلام، وقد أسلم عبد الله بن أبي أمية قبل فتح مكة، وسيأتي ذكر إسلامه.

هَمَّ أَبِي جَهْلٍ بِإِلْقَاءِ الْحَجَرِ:

وذكر خبر أبي جهل، وما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله - ﷺ - وهو ساجد، وقد رواه النَّسَوِيُّ بإسناد إلى أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال أبو جهل، وذكر الحديث إلى قوله: فنكص أبو جهل على عَقْبَيْهِ، فقالوا: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لَخَذْفًا من نار، وهَوْلًا وأَجْنَحَةً، فقال رسول الله - ﷺ -: «لو دنا لاختطفته الملائكة عُضْوًا عُضْوًا»، وَخَرَّجَهُ أيضًا مسلم^(١)

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في صفات المنافقين (٣٨) والبيهقي في الدلائل (١٨٩/٢) والطبري في تفسيره (٦٥/٣٠).

الشام. فقام رسول الله - ﷺ - يُصَلِّي وقد عَدَّت قُرَيْشٌ، فجلسوا في أُنْدِيَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ ما أبو جهل فاعل. فلما سَجَد رسول الله - ﷺ - احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رَجَعَ منهزماً. مُتَّقِعاً لَوْنَهُ مَرَعَوْباً. قد يَسْت يده على حَجَرِهِ. حتى قَذَف الحَجَر من يده. وقامت إليه رجال قُرَيْش. فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمْتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحة، فلما دنوتُ منه عَرَض لي دونه فَحَلَّ من الإبل، لا والله ما رأيت مثلَ هامِيَةٍ، ولا مثل قَصْرَتِهِ، ولا أنيابه لَفَحَلٍ قط. فَهَمَّ بي أن يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذَكَر لي أن رسول الله - ﷺ - قال: «ذلك جبريلُ عليه السلام، لو دنا لأخذه».

فلما قال لهم ذلك أبو جهل. قام النضرُ بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي.

قال ابن هشام: ويقال النضرُ بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: فقال: يا معشر قريش. إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتُم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثًا، أَرْضاكم فيكم. وأصدقكم حديثاً. وأعظمكم أمانة. حتى إذا رأيتم في صُدْغِيهِ الشَّيْبَ، وجاءكم بما جاءكم به. قلتُم: ساحرٌ، لا والله ما هو بساحر. لقد رأينا السحرة ونَفَثُهم وعَقْدُهم، وقلتُم: كاهن. لا والله ما هو بكاهن؛

وذكر النَّسَوِيُّ أيضًا بإسناده إلى ابن عباس أن أبا جهل قال له: ألمْ أَتْهَكَ؟ فوالله ما بمكة نادٍ أعزَّ من نادِيٍّ، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا﴾ إلى قوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَّةَ﴾ [العلق: ١٧ - ١٨].

تفسير أرايت:

قال محمد بن يزيد: في الكلام حذف، تقديره: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾، أُمُصِيبٌ هو أو مُخْطِئٌ؟ وكذلك في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [العلق: ١١] كأنه قال: أليسَ مَنْ يَنْهَاهُ بِضَالٍ؟ وقوله: ﴿لَتَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] أي لَنَأْخُذَنَّ بِهَا إِلَى النَّارِ، وقيل معنى السَّفْع ههنا: إِذْلالُهُ وَقَهْرُهُ، والنادي والتَّدْيِي والمُنْتَدِي بمعنى واحد، وهو: مجلسُ القوم الذين يَتَنَادَوْنَ إليه، وقال أهل التفسير فيه أقوالاً متقاربة، قال بعضهم: فَلْيَدْعُ حَيَّه، وقال بعضهم: عَشِيرَتَهُ، وقال بعضهم: مجلسه، وفي أرايت معنى: أَخْبَرَنِي، ولذلك قال سيبويه: لم يَجْزِ إلْغَاؤُهَا، كما تُلغى: علمتُ إذا قلتُ: علمتُ أَرَيْدُ عِنْدَكَ أَمْ عَمَرُو، ولا يجوز هذا في: أرايت، ولا بُدَّ من التَّصْبِ إِذَا قلتُ: أرايتَ زَيْدًا، أَبُو مَنْ هو؟ قال سيبويه: لأنْ دَخَلَ معنى أَخْبَرَنِي فيها لا يجعلها بمنزلة: أَخْبَرَنِي في جميع أحوالها، قال

قد رأينا الكهنة، وتخالجهم وسَمِعنا سَجْعهم، وقتلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر؛ قد رأينا الشعر، وسَمِعنا أصنافه كلها: هَزَجُه ورَجَزُه، وقتلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم.

وكان النَّضْر بن الحارث من شياطين قُريش، ومَن كان يؤذي رسول الله - ﷺ - وينصب له العداوة، وكان قد قَدِمَ الحِيرةَ، وتعلَّم بها أحاديثَ ملوك الفرس، وأحاديث رُسُتُم وإسفندياذ، فكان إذا جلس رسولُ الله - ﷺ - مجلسًا فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب مَن قبلهم من الأمم من نقمة الله، خَلَفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قُريش، أحسنُ حديثًا منه، فهَلُمَّ إليَّ، فأنا أحدثكم أحسنَ من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورُسُتُم وإسفندياذ. ثم يقول: بماذا محمدٌ أحسنُ حديثًا مني؟

قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله.

قال ابن إسحق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول - فيما بلغني: نزل فيه

المؤلف: وظاهر القرآن يقضي بخلاف ما قال سيبويه إلا بعد البيان، وذلك أنها في القرآن مُلغاة؛ لأن الاستفهام هو مطلوبها، وعليه وقعت في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١٣]. فقوله: أَلَمْ يَعْلَمْ: استفهام، وعليه وقعت: أَرَأَيْتَ، وكذلك: أَرَأَيْتُمْ، وَأَرَأَيْتُكُمْ في الأنعام، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو: ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]. وهذا هو الذي منع سيبويه في: أَرَأَيْتَ وَأَرَأَيْتُكَ أَبُو مَن أَنْتَ؟ وأما البيان فالذي قاله سيبويه صحيح، ولكن إذا وَلَّى الاستفهام: أَرَأَيْتَ، ولم يكن لها مَفْعُولٌ سوى الجملة، وأما في هذه المواضع التي في التنزيل، فليست الجملة المستفهم عنها هي مَفْعُول: أَرَأَيْتَ، إنما مَفْعُولها محذوفٌ يدلُّ عليه الشرط، ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصور؛ لأن المعنى: أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ إِنْ كَانَ كَذَا، وكذا، كما يقول القائل: أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتَ العدو اتَّقَاتِلْهُ أَمْ لَا؟ تقدير الكلام: أَرَأَيْتَ رَأَيْكَ أَوْ صَنِيعَكَ إِنْ لَقِيتَ العدو فحرف الشرط، وهو: إِنْ، دالٌّ على ذلك المحذوف، ومُرْتَبِط به، والجملة المستفهم عنها كلامٌ مُسْتَأَنَفٌ منقطع، إلا أن فيه زيادةً بيان لما يستفهم عنه، ولو زال الشرط، وولَّيها الاستفهام لَقُبِحَ كما قال سيبويه، ويحسنُ في: علمت، وهل علمت وهل رأيت، وإنما قُبِحَ مع أَرَأَيْتَ خاصة، وهي التي دخلها معنى: أخبرني فتدبره.

الأساطير وشيء عن الفرس:

فصل: وذكر حديث النَّضْر بن الحارث، وما نزل فيه من قول الله تعالى: ﴿قَالُوا

ثمان آيات من القرآن: قول الله عز وجل: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥] وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن.

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لَهُمَا: سَلَاهُمَ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفَا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرَاهُم بِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلَا أَحْبَارَ يَهُودٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ. وَأَخْبِرَاهُم بِبَعْضِ قَوْلِهِ. وَقَالَا لَهُمَ: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ. وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا. فَقَالَتَ لَهُمَا أَحْبَارُ يَهُودٍ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ. فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ، فَهُوَ نَبِيُّ مُرْسَلٌ. وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ. فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ. سَلُوهُ عَنْ فِئْتِيَّةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ واحد الأساطير: أَسْطُورَةٌ كَأَخْذُوثَةٍ وَأَحَادِيثٌ، وَهُوَ مَا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ، وَقِيلَ: أَسَاطِيرُ: جَمْعُ أَسْطَارٍ، وَأَسْطَارٌ جَمْعُ: سَطَرٍ بِفَتْحِ الطَّاءِ، وَأَمَّا سَطَرٌ بِسُكُونِ الطَّاءِ، فَجَمْعُهُ: أَسْطَرٌّ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ: أَسَاطِيرُ بِغَيْرِ يَاءٍ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ كَانَ يُحَدِّثُ قَرِيشًا بِأَحَادِيثِ رُسْتَمَ وَإِسْفَنْدِيَاذَ، وَمَا تَعَلَّمَ فِي بِلَادِ الْفَرَسِ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَذَكَرَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ نَزَلَتْ: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأْنِزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وَأَمَّا أَحَادِيثُ رَسْتَمَ، فَفِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ^(١) أَنَّ رُسْتَمَ بْنَ رِيْسَانَ كَانَ يُحَارِبُ كِيَّيْسَ بْنَ يَسْتَأْسَبَ بْنِ كِيَّيْ لِهَرَأَسَبَ، بَعْدَ مَا قَتَلَ أَبَاهُ لَطْرَأَسَبَ ابْنَ كِيَّيْ أَجُوزَ. وَكِيَّيْ فِي أَوَائِلِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عِبَارَةٌ عَنِ الْبَهَاءِ، وَيُقَالُ: عِبَارَةٌ عَنْ إِدْرَاكِ الثَّأْرِ، وَيُقَالُ لِهَوْلَاءِ الْمُلُوكِ: الْكَيْنِيَّةُ مِنْ أَجْلِ هَذَا، وَكَانَ رُسْتَمُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: رُسْتَمُ سَيِّدِ بَنِي رِيْسَانَ مِنْ مُلُوكِ التُّرْكِ، وَكَانَ كِيَّيْسُ يَسْتَأْسَبُ قَدْ غَضِبَ عَلَى ابْنِهِ، فَسَجَنَهُ حَسَدًا لَهُ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ وَقَائِعِهِ فِي التُّرْكِ، حَتَّى صَارَ الذِّكْرُ لَهُ، فَعِنْدَهَا ظَهَرَتِ التُّرْكُ عَلَى بِلَادِ فَارَسَ، وَسَبَّوْا بَنَتَيْنِ: لِيَسْتَأْسَبَ، اسْمُ إِحْدَاهُمَا: خَمَانَةٌ، أَوْ نَحْوُ هَذَا، فَلَمَّا رَأَى يَسْتَأْسَبُ أَنَّ يَدَيْنِ لَهُ بِقَتَالِهِمْ أَطْلَقَ ابْنَهُ مِنَ السَّجَنِ، وَهُوَ إِسْفَنْدِيَاذُ، وَرَضِيَ عَنْهُ وَوَلَّاهُ أَمْرَ الْجَبِيوشِ، فَهَدَى إِلَى رَسْتَمَ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مَلَا حِمٌّ يَطُولُ ذِكْرُهَا، لَكِنَّهُ قَتَلَ رَسْتَمَ، وَاسْتَبَاحَ عَسَاكِرَهُ، وَدَوَّخَ فِي بِلَادِ التُّرْكِ، وَاسْتَخْرَجَ أَخْتِيَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، ثُمَّ مَاتَ إِسْفَنْدِيَاذُ قَبْلَ أَبِيهِ، وَكَانَ مُلْكُ أَبِيهِ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ عَامٍ، ثُمَّ عَهْدَ إِلَى بَهْمَنْ بْنِ إِسْفَنْدِيَاذَ، فَوَلَّاهُ الْأَمْرَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَبِهْمَنْ بَلَّغْتَهُمُ: الْحَسَنَ النَّيَّةَ، وَدَامَ مُلْكُهُ نَيْفًا عَلَى مِائَةِ عَامٍ، وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ: سَاسَانُ وَدَارَا، وَقَدْ أَمْلَيْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ طَرَفًا مِنْ حَدِيثِ سَاسَانُ وَبَنِيهِ، وَهُمْ السَّاسَانِيَّةُ الَّذِينَ قَامَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامُ، وَرُسْتَمُ آخَرُ مَذْكُورٍ أَيْضًا قَبْلَ هَذَا

(١) الطبري في تاريخه (١/٢٩٧/٢٩٨/٢٩٩/٣٢٩).

الأوّل ما كان أمرهم، فإنه قد كان لهم حديثٌ عجب، وسلوه عن رجل طَوَافٍ قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ما كان نَبُوءُهُ، وسلوه عن الرُّوح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فاتَّبِعُوهُ، فإنه نبيٌّ. وإن لم يفعل، فهو رجلٌ مُتَقَوِّل. فاصنعوا في أمره ما بَدَأَ لكم. فأقبل النَّضْر بن الحارث، وعُقْبَةُ بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَيِّ حتى قَدِمَا مَكَّةَ على قُرَيْش. فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بِفَضْلٍ ما بينكم وبين محمدٍ. قد أخبرنا أحرارُ يهود أن نسأله عن أشياء أَمْرُونَا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيٌّ، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتَقَوِّل. فَرَوَا فيه رأيكم.

فجاؤوا رسول الله - ﷺ - فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فِتْنَةٍ ذهبوا في الدَّهْر الأوّل قد كانت لهم قِصَّةٌ عَجَبٌ، وعن رجل كان طَوَافًا قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الرُّوح ما هي؟ فقال لهم رسول الله - ﷺ -: «أخبركم بما سألتكم عنه غَدًا»، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله - ﷺ - فيما يذكرون - خمسَ عشرةَ ليلة لا يُحدث الله إليه في ذلك وَحْيًا، ولا يأتيه جبريل، حتى أزعج أهل مكة وقالوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، واليوم خمس عشرة ليلة. قد أصبحنا منها لا يُخبرنا بشيء ممَّا سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله - ﷺ - مكث الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلَّم به أهلُ مكة، ثم جاءه جبريلُ من الله عزَّ وجلَّ بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حُزْنِهِ عليهم، وخبرُ ما سأله عنه من أمر الفِتْنَةِ، والرجل الطَّوَاف، والروح.

في أحاديث كي قباز، وكان قبل عهد سليمان، ثم كان رستم وزيرًا بعد كي قباز لابنه كي قاووس، وكانت الجنُّ قد سُخِّرَتْ له. يقال إن سليمان أمرهم بذلك، فبلغ ملكه من العجائب ما لا يكاد أن يصدقه ذوو العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبري ذكر منها أخبارًا عجيبة^(١).

وذكر أنه هَمَّ بما هَمَّ به نمرود من الصعود إلى السماء، فطرحته الريح، وَضَغَضَتْ أركانه، وهدمت بنيانه، ثم ثاب إليه بعض جنوده، فصار كسائر الملوك يغلب تارة، ويُغلب بخلاف ما كان قبل ذلك، وسار بجنوده إلى اليمن فَنَهَدَ إليه عمرو ذو الأذعار، فهزمه عمرو، وأخذه أسيرًا، وحبسه في مَخْبِيسٍ حتى جاء رُستَم، وكان صاحب أمره، فاستنقذه من عمرو، إمَّا بَطْوَعٍ، وإمَّا بأكراه، وردّه إلى بلاد فارس. ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب، وكان رستم هو القيم على شاوخش والكافل له في

(١) انظر التخريج السابق. وفيه بعض الاختلاف عما هنا. وفي تسخير سليمان الجن لرستم - نظر ومقال.

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله - ﷺ - قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظناً، فقال له جبريل: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. فافتتح السورة - تبارك وتعالى - بحمده وذكر نبوة رسوله، لما أنكره عليه من ذلك، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١ - ٢٦] يعني: محمداً ﷺ، إنك رسول مني: أي تحقيق لما سأله عنه من نبوتك. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا﴾: أي معتدلاً، لا اختلاف فيه. ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ﴾: أي عاجل عقوبته في الدنيا، وَعَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ من عند ربك الذي بعثك رسولاً. ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾: أي دار الخلد لا يَمُوتُونَ فِيهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بما جئت به مما كذبتك به غيرهم، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال. ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يعني: قريشاً في قولهم: إنا نعبد الملائكة، وهي بنات الله. ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ الذين أعظموا فراقهم وعُيِبَ دينهم. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: لقولهم: إن الملائكة بنات الله. ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾: أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم، أي: لا نفعل.

قال ابن هشام: باخع نفسك، أي: مهلك نفسك، فيما حدثني أبو عبيدة قال ذو الرُّمَّة:

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لَشَيْءٍ نَحَثَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

صغره، وكان آخر أمر شاوخش بعد عجائب أن قتله قراشيات، وقام ابنه كي خسرو يطلب بثأره، فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلهما، وكان الظفر له، فلما ظفروا رأى أمله في أعدائه ما ملأ عينه قُرَّة، وقلبه سروراً زهد في الدنيا، وأراد السياحة في الأرض، فَتَنَّتْ به أبناء فارس، وحذرته من شَتَاتِ الشُّمْلِ بعده، وشماتة العدو، فاستخلف عليهم: كي لهراسب، بن كي اجو، بن كي كينة، بن كي قاووس المتقدم ذكره، ولا أدري: هل رستم الذي قتله إسفندياذ هو رُستَم صاحب كي قاووس، أم غيره، والظاهر أنه ليس به، لأن مدة ما بين كي قاووس وكي يستاسب بعيدة جداً، وأحسبه كما قدّمنا أنه كان من الترك، وهذا كله كان في مدة الكينية، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بُخْتَ نَصَرَ البابلي على العراق، فكان من أموره مع بني إسرائيل وإثخانهم فيه، وهدمه لبيت المقدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء، واسترقاقه لنساء

وجمعه: باخعون وَبَخَعَة. وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العرب: قد بَخَعْتُ له نُصْحِي ونَفْسِي، أي جَهَدْتُ له. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

قال ابن إسحق: أي: أَيُّهُمْ اتَّبَعَ لِأَمْرِي، واعمل بطاعتي. ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾: أي الأرض، وَإِنْ مَا عَلَيْهَا لِفَانٍ وَزَائِلٌ، وَإِنْ الْمَرْجِعَ إِلَيَّ، فَأَجْزِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، فَلَا تَأْسَ، وَلَا يَخْزَنُكَ مَا تَسْمَعُ وَتَرَى فِيهَا.

قال ابن هشام: الصعيد: الأرض، وجمعه: صُعْد. قال ذو الرُّمَّة يصف ظَبْيًا صغيرًا:

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ دَبَابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومٌ

وهذا البيت في قصيدة له. والصعيد أيضًا: الطريق. وقد جاء في الحديث: «إياكم والقعود على الصُّعَدَات» يريد الطرق. والجُرز: الأرض التي لا تُنبت شيئًا، وجمعتها: أَجْرَاز. ويقال: سَنَة جُرْز، وسنون أَجْرَاز، وهي التي لا يكون فيها مطر، وتكون فيها جُدُوبَة وَيُسُّ وشِدَّة. قال ذو الرُّمَّة يصف إبلاً:

طَوَى النَّخْرُ وَالْأَجْرَازُ مَا فِي بَطُونِهَا فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضَّلُوعُ الْجَرَّاشُ

وهذا البيت في قصيدة له.

ملوكهم ولذرائعهم مع عيشه في بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم، ما هو مشهور في كتب التفاسير، ومعلوم عند أصحاب التواريخ.

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ما وقع في كتاب ابن إسحق من ذكر رستم وإسفندياذ، وكانت الكينية قبل مدة عيسى ابن مريم، أولهم في عهد أَفْرِيدُون قبل موسى عليه السلام بمئتين من السنين، وآخرهم في مدة الإسكندر بن قليس والإسكندر هو الذي سلب ملكهم، وقتل دارا بن دارا، وهو آخرهم، ثم كانت الأشغانية مع ملوك الطوائف أربعمائة وثمانين عامًا، وقيل: أقل من ذلك في قول الطبري، وقول المسعودي: خمسمائة وعشر سنين في خلال أمرهم بُعِثَ عيسى ابن مريم، ثم كانت الساسانية نحوًا من ثلاثين ملكًا حتى قام الإسلام، ففُضَّ خَدَمَتُهُمْ. وَخَصَّدَ شوكتهم، وهدم هياكلهم، وأطفأ نيرانهم التي كانوا يعبدون، وذلك كله في خلافة عمر.

حول سورة الكهف

قال ابن إسحاق: ثم استقبل قصة الخبر فيما سأله عنه من شأن الفتية، فقال: «أم

عن سورتي الكهف والفرقان - سبب نزول الكهف

فصل: وذكر ابن إسحاق إرسال قُرَيْشِ النضر بن الحارث وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ إلى يهود، وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي ﷺ، فسأله عن الأمور الثلاثة التي قالت اليهود: إن أخبركم بها فهو نبي وإلا فهو مُتَقَوِّلٌ، فقال لهم: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عنه الوحي في قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً، وفي سِيرِ التَّيْمِي وموسى بن عُقْبَةَ أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام، ثم جاء جبريل بسورة الكهف.

لَمْ يَدْعُ الْحَمْدَ عَلَى الْكِتَابِ^(١) :

وذكر افتتاح الربِّ سبحانه بحمد نفسه، وذكر نبوة نبيه حمده لنفسه تعالى خبرُ باطنه الأَمْرِ والتعليمُ لعبده كيف يَحْمَدُهُ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحال الوقوف عن تسميته، والعبارة عن جلاله، لقصور كلِّ عبارة عما هنالك من الجلال، وأوصاف الكمال، ولما كان الحمد واجباً على العبد قُدِّم في هذه الآية ليقترن في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه، وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه، وفي سورة الفرقان قال: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ» وبدأ بذكر الفرقان الذي هو الكتاب المبارك. قال الله سبحانه: «وهذا كتاب أنزلناه مُبَارَكٌ» فلما افتتح السورة بتبارك الذي، بدأ بذكر الفرقان، وهو الكتاب المبارك، ثم قال: على عبده، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب، وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة الفرقان، وما في ذلك من تشاكل اللفظ والتثام الكلام نرى الإعجازَ ظاهراً، والحكمة باهرة، والبرهان واضحاً، وأنشد لذي الرُّمَّة.

(١) وقيل في تفسير فاتحة الكتاب: أن التسبيح مقدَّم على التحميد، وأن الرجل بعد الصلاة يستحب أن يحمده ثلاثاً وثلاثين ويحمد الله ثلاثاً وثلاثين... فكيف بدأ القرآن كله بالحمد ولم يبدأ بالتسبيح؟ قالوا: إن الحمد يتضمن في طياته التسبيح، إذا التسبيح من: سبح، أي بعد، فالتسبيح هو المباحة بين الله وبين كل نقص وعيب، ولما كان ذلك كذلك فهو مستحق للحمد إذ هو المنزه عن النقص والعيوب، وقالوا: إن أول كلمة قالها آدم حين نفخت فيه الروح. قال: الحمد لله، فكانت هذه أول كلمة يقولها أبو البشر آدم عليه السلام، وآخر كلمة يقولها المؤمنون يوم القيامة «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله». «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» فكان أول كلمة قيلت هي: الحمد لله، وآخر ما يقال: الحمد لله، فلا حرم أن يكون أول الكلام المنزَّل على آخر الرسل: الحمد لله. والحمد لله رب العالمين. وانظر للمحقق «اللباب في تفسير فاتحة الكتاب».

حَسِبْتُ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١﴾ : أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُجَجِي ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذي رُقِم فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقُم . قال العجاج :

وَمُسْتَقَرُّ الْمُضْخَفِ الْمُرْقَمِ

وهذا البيت في أرجوزة له .

شرح شواهد شعرية :

كانه بالضحى ترمي الصعيذ به دَبَابَةٌ في عظام الرأس خُرْطُومُ

يصف ولدَ الظبية : والخُرْطُومُ : من أسماء الخمر ، أي : كانه من نشاطه دَبَبَتِ الخمرُ في رأسه . وأنشد له أيضًا :

طوى التَّخْزُ والأجرازُ . البيت . والتَّخْزُ : التَّخْسُ ، والتَّحَازُ : داء يأخذ الإبل والنحيزة : الفَرِيْزَةُ ، والنحيزة : نسيجة كالحزام : والضلوعُ الجَرَّاشُ . هو جمع جُرْشُع . قال صاحب العين . الجُرْشُعُ : العظيم الصدر ، فمعناه إذاً في البيت على هذا : الضلوعُ من انهزال قد تَنَاثَتْ ، وبرزت كالصدر البارز .

الرقيم وأهل الكهف :

فصل : وذكر الرَّقِيمَ وفيه سوى ما قاله أقوال . رُوِيَ عن أنس أنه قال : الرقيمُ : الكلبُ ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادي وقيل : هو صخرة ، ويقال : لوح كتب فيه أسماؤهم ودينتهم وقصصهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم إلا الرقيم والغسلين وحنانًا والأواه^(١) ، وقد ذكرت أسماؤهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهي : مليخا ، كسليما ، مرطوش بن أنس ، أريطانس ، أيونس ، شاطيطوش^(٢) . وقيل في اسم مدينتهم : أفوس ، واختلف في بقائهم إلى الآن ، فروي عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقي شيء منهم ، بل صاروا ترابًا قبل مبعث النبي ﷺ ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا ، وأن الأرض لم تأكلهم ، ولم تغيرهم ، وأنهم على مَقَرِّبَةٍ من القُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فالله أعلم . رُوِيَ

(١) فيه نظر .

(٢) معرفة أسمائهم «علم لا ينفع وجهل لا يضر» . وإن كان في معرف أسمائهم خير لعرفهم الله تعالى في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ . فلا حاجة بنا إلى البحث عن أسمائهم وطولهم وغير هذا .

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾. ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾: أي بصدق الخبر عنهم. ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾: أي لم يُشركوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم.

قال ابن هشام: والشطط: الغلو ومجاوزة الحق. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لا يَنْتَهَوْنَ، وَلَا يَنْتَهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّغْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَيْتُ وَالْقُتْلُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾.

قال ابن إسحاق: أي بحجة بالغة.

أنهم سيحجرون البيت إذا نزل عيسى ابن مريم. ألفيْتُ هذا الخبرَ في كتاب البدء لابن أبي خَيْثَمَةَ^(١).

إعراب أحصى:

وذكر قول الله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢] قد أُمليَنا في إعراب هذه الآية نحوًا من كَرَّاسَةٍ، وذكرنا ما وهم فيه الزُّجَّاجُ من إعرابها؛ حيث جعل أحصى اسمًا في موضع رفع على خبر المبتدأ، وأَمَدًا: تمييز وهذا لا يصح؛ لأن التمييز هو الفاعل في المعنى، فإذا قلت: أيهم أعلم أبًا، فالأب هو العالم، وكذلك إذا قلت: أيهم أفقر عبْدًا، فالعبد هو الفارء، فيلزم على قوله إذا أن يكون الأَمَدُ فاعلاً بالإحصاء، وهذا محال، بل هو مفعول، وأحصى: فعل ماضٍ، وهو الناصب له، وذكرنا في ذلك الإملاء أن أيهم، قد يجوز فيه النصب بما قبله إذا جعلته خبرًا، وذلك على شُرُوطِ بَيِّنَاتِهَا هُنَالِكَ لَمَنْ أراد الوقوف على حقيقتها، أي: ومواقعها، وكشفنا أسرارها.

عن الضرب وتزاور الشمس وفائدة القصة:

وقوله سبحانه: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أي: آتَمْنَاهُمْ، وإنما قيل في النائم: ضُرب على

(١) ترى كم يكون عمرهم آنذاك؟! وكيف يبقى هؤلاء أحياء إلى زمن ليس عليه السلام، أي إلى قيام الساعة وقد مات سيد ولد آدم - محمد ﷺ ١١١؟.

﴿قَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَإِذْ اغْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

أذنه؛ لأن النائم ينتبه من جهة السَّمْع، والضرب هنا مُستعار من ضربت القفل على الباب، وذكر قوله تعالى: ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ الآية. وقيل في تَقْرِضُهُمْ: تحاذيهم، وقيل: تتجاوزهم شيئاً فشيئاً من الْقَرْض، وهو القطع، أي: تقطع ما هنالك من الأرض، وهذا كله شرح اللفظ، وأما فائدة المعنى، فإنه بيّن أنهم في مَقْنُونَةٍ من الأرض، لا تدخل عليهم الشمس، فتحرقهم، وتبلي ثيابهم، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال. لئلا تأكلهم الأرض، والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم في الكهف، وحال كلبهم، وأين هو من الكهف، وأنه بالوَصِيد منه، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت، وأن هذا البيان لا يكاد يعرفه مَنْ رآهم، فإن الْمُطَّلِع عليهم يُملأ منهم رُعباً، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق من أحوالهم، والنبي عليه السلام لم يَرَهُمْ قط، ولا سمع بهم، ولا قرأ كتاباً فيه صفتهم؛ لأنه أُمِّي في أمة أُمِّيّة، وقد جاءكم بيان لا يأتي به مَنْ وصل إليهم حتى إن كلبهم قد ذكر، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوَصِيد، وهم في الفجوة، وفي هذا كله برهان عظيم على نبوته، ودليل واضح على صدقه، وأنه غير مُتَقَوِّل، كما زعموا، فقف بقلبك على مضمون هذه الأوصاف، والمراد بها تُغَصِّنُ إن شاء الله مما وقعت فيه المُلْحِدَةُ من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله، وقولهم: أي فائدة في أن تكون الشمس تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ، وهكذا هو كل بيت يكون في مَقْنُونَةٍ، أي: بابه لجهة الشمال، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المُنبِئَة عن لطف الله بهم، حيث جعلهم في مَقْنُونَةٍ تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم^(١)، فقال: لِمَنْ اقتصر من أهل التأويل على هذا: فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة، وما فيه من معنى اللطف بهم؟ فالجواب: ما قدّمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً، حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على مَنْ أطلع عليهم من أجل الرعب، فكيف مَنْ لم يَرَهُمْ، ولا سمع بهم، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي، والبرهان الكافي، والرعب الذي كان يلحق الْمُطَّلِع عليهم، قيل: كان مما طالت شعورهم وأظفارهم^(٢). ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه: ﴿فِي فَجْوَةٍ

(١) وقيل: حتى لا تتغير أجسامهم وملابسهم فيصيبها العفن.

(٢) لو صَحَّ هذا وغيره من الكلام الذي طُفِحت به بعض كتب التفسير من وصف شكلهم وحياتهم ما تعجبوا عند استيقاظهم من نومهم إذا شاهد بعضهم بعضاً وقد تغير حاله، بل بقي شكلهم وسمتهم =

قال ابن هشام: تزاور: تميل، وهو من الزَّور: وقال امرؤ القيس بن حُجر:
 وإنِّي زَعِيمٌ إن رجعتُ مُملَكًا بسَيْرٍ ترى منه الفُرانِقُ أزورا
 وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو الزَّحف الكلبي يصف بلداً:
 جَأَبُ المُنْدَى عن هَوانا أزورُ يُنْضِي المَطَايا خِمْسُهُ العَشَنَزُرُ
 وهذان البيتان في أرجوزة له. و﴿تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾: تجاوزهم وتركهم عن
 شمالها. قل ذو الرِّمة:

إلى ظُعْنٍ يَقْرِضُنْ أَفْوَازَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وعن أيمانهنَّ الفوارسُ
 وهذا البيت في قصيدة له. والفجوة: السَّعة، وجمعها: الفِجاء قال الشاعر:
 أَلْبَسْتَ قَوْمَكَ مَخْزَاةً وَمَنْقَصَةً حتَّى أبِيحُوا، وَخَلَّوْا فجوة الدارِ
 ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي في الحجة على مَنْ عَرَفَ ذلك من أمورهم من أهل
 الكتاب، وَمَنْ أَمَرَ هؤلاء بمسألتك عنهم في صِدْقِ نَبِيِّكَ بِتَحْقِيقِ الْخَبَرِ عَنْهُمْ. ﴿مَنْ يَهْدِ
 اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْهُمْ
 ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

قال ابن هشام: الوصيد: الباب. قال العَبْسِي، واسمه: عُبَيْدُ بْنُ وَهْبٍ:
 بَأْرَاهِنِ فَلَاةٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ، وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ

منه ﴿أَي: فِي فِضَاءٍ، وَمَعَ أَنَّهُمْ فِي فِضَاءٍ مِنْهُ، فَلَا تَصِيْبُهُمُ الشَّمْسُ. قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: فَهَذِهِ
 آيَةٌ. قَالَ: وَكَانُوا يَقْلَبُونَ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ^(١)، وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ: أَنَّهُ أَخْرَجَ الْكَلْبَ عَنِ
 التَّقْلِيبِ، فَنَالَ: بِاسِطِ ذِرَاعِيهِ، وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَقْلَبُ لَمْ تَأْكُلْهُ الْأَرْضُ؛ لِأَنَّ التَّقْلِيبَ كَانَ مِنْ
 فِعْلِ الْمَلَأَكَةِ بِهِمْ، وَالْمَلَأَكَةُ أَوْلِيَاءُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَالْكَلْبُ خَارِجٌ
 مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ. أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ: بِالْوَصِيدِ، أَي: بِفَنَاءِ الْغَارِ لَا دَاخِلًا مَعَهُمْ؛ لِأَنَّ الْمَلَأَكَةَ
 لَا تَدْخُلُ بَيْنًا فِيهِ كَلْبٌ^(٢) فَهَذِهِ فَوَائِدُ جَمْعَةٍ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهَا هَذَا الْكَلَامُ. قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: وَإِنَّمَا
 كَانُوا يَقْلَبُونَ، فِي الرَّقْدَةِ الْأُولَى قَبْلَ أَنْ يَبْعَثُوا.

= كما هـ كحال مَنْ لبث في نومه يوم أو بعض يوم.

(١) لا دليل صحيح على هذا.

(٢) انظر البخاري (٢١٦/٧) ومسلم في اللباس (٨٥) والنسائي (٢١٣/٨) وأبو داود (٤١٥٥) بتحقيقي.
 والترمذي (٢٨٠٥) وأحمد (٣٠/٤) وابن ماجه (٣٦٥٠) والطبراني (٣٤٤/٨).

وهذا البيت في أبيات له. والوصيد أيضًا: الفناء، وجمعه: وصائد، ووُصِد، ووُضدان، وأُصِد، وأُضدان.

﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾... إلى قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أهل السلطان والملك منهم: ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا سَيَقُولُونَ﴾ يعني: أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم: ﴿ثَلَاثَةَ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: أي لا علم لهم ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَامِيَهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَغْلِبُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهَرًا﴾: أي لا

المتنازعون في أمرهم:

فصل: وذكر قول الله سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] وقال: يعني أصحاب السلطان، فاستدل بعض أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله: لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا^(١). وذكر الطبري أن أهل تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم في الأجساد والأرواح: كيف تكون إعادتها يوم القيامة فقال قوم: تُعاد الأجساد كما كانت بأرواحها، كما يقوله أهل الإسلام، وخالفهم آخرون، وقالوا: تُبعث الأرواح دون الأجساد، كما يقوله النصاري، وشَرِيَّ بينهم الشرُّ، واشتد الخلاف، واشتد على مَلِكِهِمْ ما نزل بقومه من ذلك، فلبس المُسُوح، واقترب الرماذ، وأقبل على البكاء والتضرع إلى الله أن يُريه الفضل فيما اختلفوا فيه، فأحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك، فكان من حديثهم ما عُرِف وشِهَرَ، فقال الملك لقومه: هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا، وتعلموا أن الله عز وجل كما أحيا هؤلاء، وأعاد أزواجهم إلى أجسادهم، فكذلك يُعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم، فرجع الكل إلى ما قاله الملك، وعلموا أنه الحق.

عن واو الثمانية^(٢):

فصل: وذكر قول الله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَامِيَهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قد أفردنا للكلام على هذه الواو التي يسميها بعض الناس: واو الثمانية بابًا طويلاً، والذي يليق بهذا الموضع أن تعلم: أن هذه الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مُضْمَر، تقديره: نعم،

(١) استدل بعضهم بهذه الآية على جواز اتخاذ المساجد على القبور، وقد ورد أربعة عشر حديثًا صحيحًا في النهي عن الصلاة في المساجد المُقَامَة على القبور، وانظر الأمر باستفاضة الرِّدِّ على هذه الشبهة وغيرها في كتاب فضيلة الشيخ العلامة ناصر الدين الألباني - حفظه الله ونفع به - آمين. فانظره: لزَامًا.

(٢) أي التي تأتي بعد سبعة أشياء، ثم تذكر قبل الثامن، كما في الآية. وكما جاء في سورة التوبة (١١٢) والتحريم (٥) وانظر بدائع الفوائد للعلامة القيم ابن القيم (١٧٤/٢) (٥٢/٣).

تكابريهم. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ فإنهم لا علم لهم بهم. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾: أي ولا تقولَنَّ لشيءٍ سألوكم عنه كما قلت في هذا: إني مخبركم غداً.

وثامنهم كلبهم، وذلك أن قائلاً لو قال: إن زيداً شاعرٌ، فقلت له: وفتيه، كنت قد صدقته، كأنك قلت: نعم هو كذلك، وفتيه أيضاً، وفي الحديث: سئِلَ رسول الله ﷺ: أيتوضأ بما أفضلت الخمر، فقال: «وبما أفضلت السباع». يريد: نعم، وبما أفضلت السباع. خرجه الدارقطني^(١). وفي التنزيل: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة: ١٢٦] هو من هذا الباب. فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم: ﴿ويقولون سبعة﴾، فقال سبحانه: و﴿ثامنهم كلبهم﴾ وليس كذلك: سادسهم كلبهم، ورابعهم كلبهم؛ لأنه في موضع النعت لما قبله، فهو داخل تحت قوله سبحانه: ﴿رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾ ولم يقل ذلك في آخر القصة.

آية الاستثناء:

فصل: وذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ﴾ وفسره، فقال: أي استثنى شيئة الله. الشئبة: مصدر شاء يشاء، كما أن الخيفة مصدر خاف يخاف، ولكن هذا التفسير، وإن كان صحيح المعنى، فلفظ الآية مُشْكِلٌ جداً؛ لأن قوله: ﴿لا تقولَنَّ لشيءٍ﴾ إني فاعل ذلك غداً [الكهف: ٢٢] نهى عن أن يقول هذا الكلام، ولم ينهه عن أن يصله بإلا أن يشاء الله، فيكون العبد المنهي عن هذا القول منهياً أيضاً عن أن يصله بقوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾. هذا مُحَالٌ: فقوله إذا: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء من الله، راجعٌ إلى أول الكلام، وهذا أيضاً إذا تأملته نُقِصَ لعزيمة النهي، وإبطالٌ لِحُكْمِهِ، فإن السيد إذا قال لعبده: لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم، فقد حلَّ عقدة النهي؛ لأن مشيئة الله للفعل لا تُعلم إلا بالفعل، فللعبد إذا أن يقوم، ويقول: قد شاء الله أن نقوم، فلا يكون للنهي معنى على هذا، فإذا لم يكن ردّ حرف الاستثناء إلى النهي، ولا هو من الكلام الذي نهى العبد عنه، فقد تبين إشكاله، والجواب: أن في الكلام حذفاً وإضماراً تقديره: ولا تقولَنَّ: إني فاعل ذلك غداً إلا ذاكراً إلا أن يشاء الله، أو ناطقاً بأن يشاء الله، ومعناه: إلا ذاكراً شيئة الله، كما قال ابن إسحق؛ لأن الشئبة مصدر، وأن مع الفعل، في تأويل المصدر، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر، والعرب تحذف القول، وتكتفي بالمقول ففي التنزيل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي: يقال لهم: أكفرتهم، فحذف القول، وبقي الكلام المقول، وكذلك

(١) «ضعيف الإسناد». أخرجه الدارقطني (٦٢/١) بتحقيقي. وفيه إبراهيم بن أبي حبيبة: ضعيف.

وَاسْتَنْتِ مَشِيئَةَ اللَّهِ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ، وَقُلْ: عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لَخَيْرِ مِمَّا سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ رَشَدًا، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَنَا صَانِعٌ فِي ذَلِكَ. ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾: أَي سَيَقُولُونَ ذَلِكَ. ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٤] أَي يَقُولُونَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ كَثِيرٌ، وَكَذَلِكَ إِذَا قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ هِيَ مِنْ كَلَامِ النَّاهِي لَهُ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ أَضْمَرَ الْقَوْلَ، وَهُوَ الذِّكْرُ الَّذِي قَدَمْنَاهُ، وَبَقِيَ الْمَقُولُ، وَهُوَ: أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، وَهَذَا الْقَدَرُ يَكْفِي فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَإِنْ كَانَ فِي الْآيَةِ مِنَ الْبَسْطِ وَالتَّفْطِيشِ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا.

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ:

فصل: وقد فسر قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ فقال: معناه أَي: سَيَقُولُونَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَحَدُ التَّأْوِيلَاتِ فِيهَا. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلَ قَرَأَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَقَالُوا: لَبِثُوا، بِزِيَادَةِ قَالُوا. ثُمَّ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قُلْ: رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا، وَهُوَ وَهُمْ مِنَ الْمُؤَلَّفِ أَوْ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا التَّلَاوَةُ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ مَقْدَارِ لُبْثِهِمْ، وَلَكِنْ لَمَّا عَلِمَ اسْتِعْبَادَ قَرِيشَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ لِهَذَا الْمَقْدَارِ، وَعَلِمَ أَنَّ فِيهِ تَنَازُعًا بَيْنَ النَّاسِ، فَمَنْ ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿ثَلَاثُمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ أَي: إِنَّهَا ثَلَاثُمِائَةٌ بِحِسَابِ الْعَجَمِ، وَإِنْ حَسِبْتَ الْأَهْلَةَ، فَقَدْ زَادَ الْعَدَدُ تَسْعًا، لِأَنَّ ثَلَاثُمِائَةَ سَنَةٍ بِحِسَابِ الشَّمْسِ تَزِيدُ تِسْعَ سِنِينَ بِحِسَابِ الْقَمَرِ^(١) فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ قَالَ ثَلَاثُمِائَةَ سِنِينَ، وَلَمْ يَقُلْ: سَنَةً، وَهُوَ قِيَاسُ الْعَدَدِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، لِأَنَّ الْمِائَةَ تَضَافُ إِلَى لَفْظِ الْوَاحِدِ، فَالْجَوَابُ أَنَّ سِنِينَ فِي الْآيَةِ بَدَلَ مِمَّا قَبْلَهُ، لَيْسَ عَلَى حَدِّ الْإِضَافَةِ وَلَا التَّمْيِيزِ، وَلِحِكْمَةِ عَظِيمَةٍ عُدِلَ بِاللَّفْظِ عَنِ الْإِضَافَةِ إِلَى الْبَدَلِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ قَالَ: ثَلَاثُمِائَةَ سَنَةٍ، لَكَانَ الْكَلَامُ كَأَنَّهُ جَوَابٌ لَطَائِفَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَالنَّاسُ فِيهِمْ طَائِفَتَانِ: طَائِفَةٌ عَرَفُوا طُولَ لُبْثِهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا كَمِيَّةَ السِّنِينَ، فَعَرَفَهُمْ أَنَّهَا ثَلَاثُمِائَةٌ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يَعْرِفُوا طُولَ لُبْثِهِمْ، وَلَا شَيْئًا مِنْ خَبَرِهِمْ، فَلَمَّا قَالَ: ثَلَاثُمِائَةَ مَعْرِفًا لِلأَوَّلِينَ بِالْكَمِيَّةِ الَّتِي شَكُّوا فِيهَا، مَبِينًا لِلآخَرِينَ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثُمِائَةَ سَنُونَ، وَلَيْسَتْ أَيَّامًا وَلَا شَهُورًا، فَانْتَضَمَ الْبَيَانُ لِلطَّائِفَتَيْنِ مِنْ ذِكْرِ الْعَدَدِ، وَجَمْعِ الْمَعْدُودِ، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ بَدَلٌ؛ إِذِ الْبَدَلُ يُرَادُ بِهِ: تَبَيَّنَ مَا قَبْلَهُ: أَلَا تَرَى أَنَّ الْيَهُودَ قَدْ كَانُوا عَرَفُوا أَنَّ لِأَصْحَابِ الْكَهْفِ نَبَأَ عَجَبِيًّا، وَلَمْ يَكُنِ الْعَجَبُ إِلَّا مِنْ طُولِ لُبْثِهِمْ غَيْرِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهَا ثَلَاثُمِائَةُ أَوْ أَقَلَّ، فَأَخْبَرَ أَنَّ تِلْكَ السِّنِينَ ثَلَاثُمِائَةٌ، ثُمَّ لَوْ وَقَفَ الْكَلَامُ هُنَا لَقَالَتِ الْعَرَبُ، وَمَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِخَبَرِهِمْ: مَا هَذِهِ الثَّلَاثُمِائَةُ؟ فَقَالَ كَالْمَبِينِ لَهُمْ: سِنِينَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ هَذَا التَّفْسِيرِ عَنِ الضَّحَّاكِ، ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ.

(١) بل تزيد عن هذا كثيرًا.

أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا: أي لم يخف عليه شيء مما سألك عنه.

السنة والعام:

فصل: وقال: سنين، ولم يقل أعوامًا، والسنة والعام، وإن اتسعت العرب فيهما، واستعملت كُنَّ واحد منهما مكان الآخر اتساعًا، ولكنَّ بينهما في حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فَرْقًا، نَحْذُهُ أَوَّلًا مِنَ الْاِشْتِقَاقِ، فَإِنَّ السَّنَةَ مِنْ سَنًا يَسْتَوِي إِذَا دَارَ حَوْلَ الْبَيْتِ، وَالْدَابَّةُ: هِيَ السَّائِيَةُ، فَكَذَلِكَ السَّنَةُ دَوْرَةٌ مِنْ دَوَرَاتِ الشَّمْسِ، وَقَدْ تَسْمَى السَّنَةُ: دَارًا، فِي الْخَبَرِ: إِنْ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ أَلْفَ دَارٍ، أَيْ: أَلْفَ سَنَةٍ، هَذَا أَصْلُ الْأَسْمِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالُوا: أَكَلْتَهُمُ السَّنَةَ، فَسَمَوْا شِدَّةَ الْقَحْطِ سَنَةً، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣] وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: أَسَنَّتِ الْقَوْمُ إِذَا أَقْحَطُوا، وَكَانَ وَزْنُهُ أَفْعَتُوا، لَا أَفْعَلُوا، كَذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ، وَجَعَلَ سَيَّوِيهِ التَّاءَ بَدَلًا مِنَ الْوَاوِ، فَهِيَ عِنْدَهُ: أَفْعَلُوا، لِأَنَّ الْجُدُوبَ وَالْخَضْبَ مُعْتَبَرٌ بِالشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَحِسَابُ الْعَجَمِ إِنَّمَا هُوَ بِالسِّنِينَ الشَّمْسِيَةِ بِهَا يُؤْرَخُونَ، وَأَصْحَابُ الْكَهْفِ مِنْ أُمَّةٍ عَجَمِيَّةٍ، وَالنَّصَارَى يَعْرِفُونَ حَدِيثَهُمْ، وَيُؤْرَخُونَ بِهِ، فَجَاءَ اللَّفْظُ فِي الْقُرْآنِ بِذِكْرِ السِّنِينَ الْمُوَافِقَةِ لِحِسَابِهِمْ، وَتَمَّ الْفَائِدَةُ بِقَوْلِهِ: وَازْدَادُوا تَسْعًا لِيُوَافِقَ حِسَابَ الْعَرَبِ، فَإِنَّ حِسَابَهُمْ بِالشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ كَالْمَحْرَمِ وَصَفَرٍ وَنَحْوَهُمَا وَانْظُرْ بَعْدَ هَذَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ [يوسف: ٤٧] الْآيَةِ، وَلَمْ يَقُلْ أَعْوَامًا، نَفِيهِ شَاهِدٌ لِمَا تَقْدَمُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: سَنَةٌ عَدُولًا عَنِ اللَّفْظِ الْمَشْتَرَكِ، فَإِنَّ السَّنَةَ قَدْ يُعْبَرُ بِهَا عَنِ الشَّدَةِ وَالْأَزْمَةِ كَمَا تَنْدَمُ، فَلَوْ قَالَ: سَنَةٌ لَذَهَبَ الْوَهْمُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْعَامَ أَقْلُ أَيَّامًا مِنَ السَّنَةِ، وَإِنَّمَا دَلَّتِ الرَّؤْيَا عَلَى سَبْعِ سِنِينَ شَدَادٍ، وَإِذَا انْقَضَى الْعَدَدُ، فَلَيْسَ بَعْدَ الشَّدَةِ إِلَّا رَخَاءٌ، وَلَيْسَ فِي الرَّؤْيَا مَا يَدُلُّ عَلَى سِدَّةِ ذَلِكَ الرِّخَاءِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَقْلُ مِنْ عَامٍ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْعَامِ مَشْكُوكٌ فِيهَا، لَا تَقْتَضِيهَا الرَّؤْيَا، فَحُكِمَ بِالْأَقْلِ، وَتَرَكَ مَا يَقَعُ فِيهِ الشُّكُّ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى الْعَامِ، فَهَاتَانِ فَائِدَتَانِ فِي الدَّفْظِ بِالْعَامِ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَيَبْلُغُ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فَإِنَّمَا ذَكَرَ السِّنِينَ وَهِيَ أَطْوَلُ مِنَ الْأَعْوَامِ، لِأَنَّهُ مُخْبِرٌ عَنِ اكْتِهَالِ الْإِنْسَانِ، وَتَمَامِ قُوَّتِهِ وَاسْتَوَائِهِ، فَلَفِظَ السِّنِينَ أَوْلَى بِهَذَا الْمَوْطِنِ؛ لِأَنَّهُ أَكْمَلُ مِنَ الْأَعْوَامِ، وَفَائِدَةُ أُخْرَى: أَنَّهُ خَبَرَ عَنِ السَّنِ، وَالسَّنَ مُعْتَبَرٌ بِالسِّنِينَ، لِأَنَّ أَصْلَ السَّنِ فِي الْحَيَوَانِ لَا يُعْتَبَرُ إِلَّا بِالسَّنَةِ الشَّمْسِيَةِ، لِأَنَّ النَّجَّاجَ، وَالْحَمْلَ يَكُونُ بِالرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ، حَتَّى قِيلَ رِبْعِيٌّ لِلْبَكْبِكِ وَصَيْفِيٌّ لِلْمُؤَخَّرِ، قَالَ الرَّاجِزُ^(١):

إِنْ بَسَيْ صَبِيَّةٌ صَيْفِيُّونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُّونَ

(١) هو: سعد بن مالك بن ضبيعة. وقيل: أكثم بن صيفي.

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَاتَّيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣] حتى انتهى إلى آخر قصة خبره.

فاستعمله في الآدميين، فلما قيل في الفصيل ونحوه: ابن سنة وابن سنتين، قيل ذلك في الآدميين، وإن كان أصله في الماشية لما قدمنا، وأما قوله: ﴿وَحَمَلَهُ وَفَصَّالَهُ فِي عَامِينَ﴾ فلائه قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] فالرضاع من الأحكام الشرعية، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهله، وكذلك قوله: ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ ولم يقل: سنة؛ لأنه يعني شهر المحرم وربيع إلى آخر العام، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بتشرين ولا ببينر، وهي الشهور الشمسية وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ إخبار منه لمحمد - ﷺ - وأمه وحسابهم بالأعوام والأهله كما وقَّت لهم سبحانه، وقوله سبحانه في قصة نوح: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤٠] قيل: إنما ذكر أولاً السنين؛ لأنه كان في شذائد مدته كلها إلا خمسين عامًا منذ جاءه الفرج، وأناه الغوث، ويجوز أن يكون الله - سبحانه - علم أن عمره كان ألفًا، إلا أن الخمسين منها، كانت أعوامًا، فيكون عمره ألف سنة، تنقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة؛ لأن خمسين عامًا بحساب الأهله أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف، فإن كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره، فاللفظ موافق لهذا المعنى، وإلا ففي القول الأول مقنع، والله أعلم بما أراد، فتأمل هذا، فإن العلم بتنزيل الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها اللاتقة بها يفتح لك بابًا من العلم بإعجاز القرآن، وابن هذا الأصل تعرف المعنى في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحجر: ٤٧] وأنه كلام ورد في معرض التكثير والتفخيم، لطول ذلك اليوم والسنة أطول من العام، كما تقدم، فلفظها أليق بهذا المقام.

ذكر قصة الرجل الطواف ذي القرنين:

فصل: وذكر قصة الرجل الطواف، والحديث الذي جاء فيه عن رسول الله - ﷺ - أنه كان مَلِكًا مسح الأرض بالأسباب، ولم يشرح معنى الأسباب. ولأهل التفسير فيه أقوال متقاربة، قالوا في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤] أي: علمًا يتبعه، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥] أي: طريقًا موصلة، وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب السبب: جبل من نور، كان ملكٌ يمشي به بين يديه،

وكان من خبر ذي القرنين أنه أُوتِيَ ما لم يُؤْتَ أحدٌ غيره فمَدَّت له الأسبابُ، حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يَطأ أرضاً إلا سُلط على أهلها، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراء شيء من الخلق.

قال ابن إسحق: حَدَّثني مَنْ يسوق الأحاديث عن الأعاجم، فيما توارثوا من علمه: أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر، اسمه: مَرْزُبَان بن مَرْذَبَة اليوناني، من ولد يونان بن يافث، بن نوح.

قال ابن هشام: واسمه: الإسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية، فنسبت إليه.

قال ابن إسحق: وقد حَدَّثني ثُور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعي وكان رجلاً قد أَدْرَكَ أن رسول الله - ﷺ - سُئِلَ عن ذي القرنين، فقال: مَلِك مَسَحَ الأرض من تحتها بالأسباب.

فتبعه^(١)، وقد قيل في اسم ذلك المَلِك: زياقيل، وهذا يقرب من قول مَنْ قال: سبباً أي: طريقاً، ويقرب أن يكون تفسيراً لقول النبي ﷺ: «مسح الأرض بالأسباب»، واختلف في تسميته بذي القرنين، كما اختلف في اسمه، واسم أبيه، فأصح ما جاء في ذلك ما رُوِيَ عن أبي الطُّفَيْلِ عامر بن واثلة قال: سأل ابن الكَوَّاء علي بن أبي طالب، فقال: أَرَأَيْتَ ذا القرنين، أنبيأ كان أم ملكاً؟ لا نبياً كان، ولا ملكاً، ولكن كان عبداً ضالِحاً دعا قومه إلى عبادة الله، فضربوه على قَرْني رأسه ضربتين، وفيكم مثله. يعني: نفسه، وقيل: كانت له ضفيرتان من شعر، والعربُ تسمي الخُصْلَةَ من الشعر: قرناً، وقيل: إنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بِقَرْني الشمس، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب، وذكر هذا الخبر علي بن أبي طالب القيزواني العابد في كتاب البستان له، قال: وبهذا سُمِّي ذا القرنين^(٢)، وأما اسمه، فقال ابن هشام في هذا الكتاب: اسمه مَرْزُبَى بن مَرْذَبَة بذال مفتوحة في اسم أبيه، وزاي في اسمه، وقيل: أبيه: هرمس، وقيل: هرديس. وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب^(٣) اسمه الصُّعْب بن ذي مَرَّائِد، وهو أول الثَّبابَة، وهو الذي حكم لإبراهيم عليه السلام في بئر السبع حين حاكم إليه فيها، وقيل: إنه أفريدون بن أثفيان الذي قتل الضحاك^(٤)، ويروى في

(١) وقيل: منازل الأرض وأعلامها، وقيل العلم. وهو أقرب.

(٢) وقيل لأنه بلغ مطلع الشمس ومغربها، والشمس في شروقها وغروبها إنما تشرق وتغرب بين قرني شيطان كما صحَّ الحديث عن رسول الله ﷺ، وقد نُهيَّ المسلم عن الصلاة في هذين الوقتين، فلما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس ومغربها سُمِّي بذي القرنين.

(٣) في كتاب «التيجان».

(٤) انظر تاريخ الطبري (١/١٣٠/٢٢٠) ط. دار الكتب العلمية.

وقال خالد: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال عمر: اللَّهُمَّ غَفِّراً، أما رَضِيتُمْ أن تَسْمُوا بالأنبياء حتى تَسْمَيْتُمْ بالملائكة؟!.

خطبة قيس بن ساعدة التي خطبها بسوق عكاظ، أنه قال فيها: يا معشر إبادا! أين الصعب ذو القرنين، مَلِكُ الخافِقَيْنِ، وأذلَّ الثقلين، وعَمَّرَ ألفين، ثم كان ذلك كلحظة عين، وأنشد ابن هشام للأعشى:

والصعبُ ذو القرنين أصبحَ ثاوياً بالجحْنِ في جدِّ أَمِنِم مُقيم

وقوله بالجحْنِ يريد: جحْنُ قُرَاقِر الذي مات فيه ذو القرنين بالعراق، وقول ابن هشام في السيرة: إنه من أهلِ مِصْرَ، وإنه الإسكندر الذي بنى الإسكندرية، فعرفت به: قولٌ بعيد مما تقدم، ويحتمل أن يكون الإسكندر سُمِّيَ ذا القرنين أيضاً تشبيهاً له بالأول، لأنه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضاً، وأذلَّ ملوكَ فارس، وقتل دارا بن دارا، وأذلَّ ملوكَ الروم وغيرهم، وقال الطبري في الإسكندر: وهو إسكندروس بن قليقوس، ويقال فيه: ابن قليس، وكانت أمه زنجية، وكانت أهديت لدارا الأكبر أو سبأها، فوجد منها نكهةً استقلها، فعولجت ببقلة، يقال لها: أندروس، فحملت منه بدارا الأصغر، فلما وضعته رذها، فتزوجها والد الإسكندر، فحملت منه بالإسكندروس، فاسمه عندهم مُشْتَقٌّ من تلك البقلة التي طهرت أمه بها فيما ذكروا، وذكر عن الزبير: أنه قال: ذو القرنين هو: عبد الله بن الضحاك بن معد [وقال ابن حبيب في] المُحَبَّر في ذكر ملوك الحيرة، قال: الصُّعْبُ بن قرين [بن الهمال]: هو ذو القرنين، ويحتمل أن يكونوا ملوكاً في أوقاتٍ شَتَّى، يسمى كلُّ واحد منهم: ذا القرنين والله أعلم. والأول كان على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو صاحب الخضر حين طلب عينَ الحياة^(١) فوجدها الخضر، ولم يجدها ذو القرنين، حالت بينه وبينها الظلمات التي وقع فيها هو وإجناؤه في خبر طويل مذكور في بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين.

حكم التسمي بأسماء النبيين:

وأما قول عمر لرجل سمعه يقول: يا ذا القرنين: لم يكفكم أن تَسْمُوا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة، إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام، فهو مَلَكٌ، لا يقول رسول الله - ﷺ - إلا الحق، وإن كان قاله بتأويل تأوله [فقد] خالفه عليٌّ في الخبر المتقدم، والله أعلم أيَّ الخبرين أصَحَّ نقلاً، غير أن الرواية المتقدمة عن عليٍّ يقويها ما نقله أهل الأخبار عن ذي القرنين، والله أعلم. وكان من مذهب عُمَرَ رحمه الله كراهية التسمي بأسماء

(١) قصة عثور الخضر على ما يسمى بعين الحياة تحتاج إلى دليل «صحيح» يقويها.

قال ابن إسحاق: والله أعلم أي ذلك كان، أقال ذلك رسول الله - ﷺ -، أم لا؟
فإن كان قاه، فالحق ما قال.

الأنبياء، فقد أنكر على المغيرة تَكْنِيَتَهُ بأبي عيسى، وأنكر على صُهَيْبِ تَكْنِيَتَهُ بأبي يحيى، فأخبر كل واحد منهما أن رسول الله - ﷺ - كَنَاهُ بذلك، فسكت، وكان عمر إنما كره من ذلك الإكثار، وأن يظن أن للمسلمين شَرَفًا في الاسم إذا سُمِّيَ باسم نبي، أو أنه ينفعه ذلك في الآخرة، فكانه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه، هو أعلم بما كره من ذلك. وإلا فقد سَمِيَ بمحمد طائفة من الصحابة منهم: أبو بكر وعليّ وطلحة وأبو حذيفة وأبو جهم بن حذيفة، و-فاطِبٌ وخطاب ابنا الحارث، كل هؤلاء المحمدين كانوا يُكْتَوْنَ بأبي القاسم إلا محمد بن -خطاب، وسَمِيَ أبو موسى ابنًا له بموسى، فكان يُكْنَى به، وأُسَيِّدُ بن حُضَيْرِ سَمِيَ ابنَهُ بِيَحْيَى، وعلم به النبي عليه السلام فلم يُنْكِرْ عليه، وكان لطلحة عَشْرَةٌ من الولد، كلهم يُسَمَّى باسم نَبِيِّ، منهم: موسى بن طلحة عيسى، وإسحاق ويعقوب وإبراهيم، ومحمد، وكان للزبير عَشْرَةٌ، كلهم يسمى باسم شهيد، فقال له طلحة: أنا أَسْمِيَهُم بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وأنت تسميهم بأسماء الشهداء، فقال له الزبير: فإني أطمع أن يكون بني شهداء، ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء، ذكره ابن أبي خَيْثَمَةَ، وسَمِيَ رسول الله - ﷺ - ابنه إبراهيم، والآثار في هذا المعنى كثيرة، وفي السنن لأبي داود أن رسول الله - ﷺ - قال: سَمُوا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ^(١)، وهذا محمول على الإباحة، لا على الوجوب، وأما التَّسْمِي بِمُحَمَّدٍ، ففي مُسْنَدِ الْحَارِثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قال: «ما كان له ثلاثة من الولد، ولم يُسَمَّ أَحَدُهُمْ بِمُحَمَّدٍ، فَقَدْ جَهَلَ»^(٢)، وفي الْمُعْطِطِيِّ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ اسْمِهِ مُحَمَّدٍ، وَيَكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ، فَلَمْ يَرَّ بِهِ بَأْسًا، فَقِيلَ لَهُ: أَكُنَيْتَ ابْنَكَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: مَا كُنَيْتُهُ بِهَا وَلَكِنْ أَهْلُهُ يُكْنُونَهُ بِهَا، وَلَمْ أَسْمَعْ فِي ذَلِكَ نَهْيًا، وَلَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَالِكًا لَمْ يَبْلُغْهُ، أَوْ لَمْ يَصْخْ عَنْهُ حَدِيثُ النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ، وَقَدْ رَوَاهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ - فَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَلَعَلَّهُ بَلَغَهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ: «مَا الَّذِي أَحَلَّ اسْمِي وَحَرَّمَ كُنْيَتِي»^(٣)؟ وَهَذَا هُوَ النَّاسِخُ لِحَدِيثِ النَّهْيِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَكْرَهُ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَتَكْنَى بِأَبِي الْقَاسِمِ، كَانَ اسْمُهُ مُحَمَّدًا، أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَطَائِفَةٌ إِنَّمَا يَكْرَهُونَهُ لِمَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وَفِي الْمُعْطِطِيِّ أَيْضًا

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٠) بتحقيقي. والنسائي (٢١٨/٦) وأحمد (٣٤٥/٤) والبيهقي في الآداب (٥٠٥) بتحقيقي - ط. دار الكتب العلمية.

(٢) «ضعيف». يبدو هذا يينا لمن تذوق حديث رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٦٨) بتحقيقي. والبيهقي (٣١٠/٩) والطبراني في الصغير (١٤/١) والبيهقي في الآداب (٥١٧) بتحقيقي. وابن عساكر (٢٧٧/١).

أسباب نزول بعض الآيات وعن الروح

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

أنه سُئِلَ عن التسمية بِمَهْدِي فكرهه، وقال: وما علمه بأنه مَهْدِيٌّ، وأباح التسمية بالهادي، وقال: لأن الهادي هو الذي يهدي إلى الطريق، وقد قَدَمْنَا كراهية مالك التسمي بجبريل. وقد ذكر ابن إسحق كراهية عُمَرَ للتسمي بأسماء الملائكة، وكره مالك التسمي بياسين^(١).

الروح والنفس

فصل: وذكر سؤالهم عن الروح، وما أنزل الله فيه من قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية وَرُوِيَ عن ابن إسحق من غير طريق الْبُكَائِي أَنَّهُ قَالَ فِي هَذَا الْخَبَرِ: فَنَادَاهُم رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «هو جبريل»، وهذه الرواية عن ابن إسحق تدل على خلاف ما روى غيره أن يهود قالت لقريش: اسألوه عن الروح، فإن أخبركم به فليس بنبي، وإن لم يخبركم فهو نبي، وقال ابن إسحق فيما تقدم من الحديث: اسألوه عن الرجل الطَّوَافِ، وعن الْفَتِيَّةِ، وعن الروح، فإن أخبركم وإلا فالرجل مُتَقَوِّلٌ فسوى في الخبر بين الروح وغيره، واختلف أهل التأويل في الروح المسؤول عنه، فقال بعضهم: هو جبريل؛ لأنه الروح الأمين، وروح القدس، وعلى هذا رواية ابن إسحق أن رسول الله - ﷺ - قال لقريش حين سألوه: «هو جبريل»، وقالت طائفة: الروح خُلِقَ من الملائكة على صُورِ بني آدم، وقالت طائفة: الروح خُلِقَ يرون الملائكة، ولا تراهم، فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم، وَرُوِيَ عن علي أنه قال: الرُّوحُ مَلَكٌ له مائة ألف رأس، لكل رأس مائة ألف وجه، في كل وجه مائة ألف فم، في كل فم مائة ألف لسان، يُسَبِّحُ الله بلغات مختلفة^(٢)، وقالت طائفة: الروح الذي سألت عنه يهود هو: روح الإنسان، ثم اختلف أصحاب هذا القول، فمنهم من قال: لم يجبههم رسول الله - ﷺ - عن سؤالهم، لأنهم سألوه تَعَثُّتًا واستهزاءً، فقال الله له: قُل: الروح من

(١) ياسين: ليس اسمًا من أسمائه ﷺ، وكذا طه، إنما حروف مقطعة كبقية الحروف المقطعة التي بدأت بها بعض سور القرآن، وكذا اسم «مصطفى» ليس من أسمائه إنما هو وصف له ﷺ أن «مصطفى» من الخلق بالنبوة والرسالة - صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا.

(٢) لا يصح مثل هذا عن علي رضي الله عنه، وهذا يجب هنا التنبيه على مثل هذه الأقوال التي تشبه مثل خير الباب من أن من قال كذا فله مائة ألف كذا لكل كذا مائة ألف كذا، كمن اتوضأ ولم يمسح وضوءه فكل قطرة تسقط منه يخلق الله منها كذا ألف ملك لكل ملك ألف ألف رأس لكل رأس ألف ألف لسان... الخ. فمثل هذا الكلام إن لم يعتضده دليل «صحيح» فارم به.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن ابن عباس، أنه قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - المدينة، قالت أخبارُ يَهُودٍ: يا محمد، أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ: ﴿وَمَا أَرْثِيَنَّ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

أمر ربي، ولم يأمره أن يُبَيِّنَه لهم، وقالت طائفة: بل قد أخبرهم الله به، وأجابهم عما سألوها؛ لأنه قال لَنَبِيِّهِ: قُلِ الرُّوحُ من أمر ربي، وأمرُ الرَّبِّ هو الشرع، والكتاب الذي جاء به، فَمَنْ دَخَلَ في الشرع وتفقّه في الكتابِ والسُّنَّةِ عَرَفَ الرُّوحَ، فكان معنى الكلام: ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتهم، فإنه من أمر ربي، أي: من الأمر الذي جئت به مُبَلِّغًا عن ربي، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفته من جهة الطبيعة، ولا من جهة الفلسفة، ولا من جهة الرأي والقياس، وإنما يُعرف من جهة الشرع، فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسُّنَّة من ذكره نحو قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٩] أي من روح الحياة، والحياة من صفاتِ الله سبحانه، والنفخ في الحقيقة مضافٌ إلى مَلَكٍ ينفخ فيه بأمر رَبِّهِ، وتُنظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، وأنها تتعارف^(١) وتَتَشَامُ في الهواء. وأنها تُقَبِّضُ من الأجساد بعد الموت، وأنها تُسأل في القبر، فتفهم السؤال وتسمع وترى، وتُنْعَمُ وتُعَذَّبُ وتَلْتذُّ وتَأَلَمُ، وهذه كلها من صفات الأجسام، فتعرف أنها أجسام بهذه الدلائل، لكنها ليست كالأجساد في كثافتها وثقلها وإظلامها، إذ الأجساد خلقت من ماءٍ وطينٍ وحملاً مَسْنُونٍ، فهو أصلها، والأرواحُ خلقت مما قال الله تعالى، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك. والملائكة خلقت من نور كما جاء في الصحيح^(٢)، وإن كان قد أضاف النفخ إلى نفسه، فكذلك أضاف قَبْضَ الأرواح إلى نفسه فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وأضاف ذلك إلى الملك أيضًا فقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] والفِعْلُ مضاف إلى الملك مجازًا، وإلى الرب حقيقةً، فهو أيضًا جِسْمٌ، ولكنه من جنس الريح، ولذلك سُمِّيَ رُوحًا من لفظ الريح، ونفخُ الملك في معنى الريح غير أنه ضَمَّ أوله؛ لأنه ثوراني، والريح هواء متحرك، وإذا كان الشرع قد عَرَفْنَا من معاني الروح وصفاته بهذا القدر، فقد عُرِفَ من جهة أمره كما قال سبحانه: ﴿قُلِ الرُّوحُ من أمر ربي﴾ وقوله: من أمر رَبِّي أيضًا، ولم يقل من أمر الله، ولا من أمر رَبِّكُمْ يدل على خصوص، وعلى ما قدَّمناه من أنه لا يعلمه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه، وقول رسول الله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقّه في الدين، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه، فقد أجالهم على موضع العلم به.

(١) انظر البخاري (١٦٢/٤) ومسلم في البر والصلة (١٥٩/١٦٠) وأبو داود (٤٨٣٤) بتحقيقي.

وغيرهم.

(٢) انظر صحيح مسلم في الزهد (٦٠) وأحمد (١٥٣/٦) والبيهقي في الصفات (٣٨٦/٣٤٣) بتحقيقي.

إِنَّا نريد، أم قومك؟ قال: «كُلًّا»، قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك: ﴿أَنَا قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ فِيهَا بَيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾. فقال رسول الله - ﷺ -: «إنها في عِلْمِ الله قليل،

الفرق بين الروح والنفس:

فصل: ومما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف: هل هي النفس أو غيرها، وقد كثرت في ذلك الأقوال، واضطربت المذاهب، فتعلق قومٌ بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع، لأنها نقل آحاد^(١)، وأيضًا فإن ألفاظها محتملة للتأويل، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة، فمما تعلقوا به في أن الروح هي النفس قول بلال: «أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ»^(٢) مع قول النبي عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ قَبِضُ أَرْوَاحِنَا»، وقوله - عز وجل -: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ والمقبوضة هي الأرواح، ولم يفرقوا بين القبض والتوفي، ولا بين الأخذ في قول بلال: «أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ» وبين قول النبي عليه السلام: «قبض أرواحنا»، وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول.

وقد روى أبو عَمَرَ^(٣) في التمهيد حديثًا يدل على خلاف مذهبِهِ في أن النفس هي الروح، لكن علَّله فيه أن الله خلق آدم، وجعل فيه نفسًا وروحًا، فمن الروح: عفافه، وفهمه وحلمه وسخاؤه، ووفاءه، ومن النفس: شهوته وطيشه وسفَهه وغضبه، ونحو هذا، وهذا الحديث معناه صحيح إذا تَوَاضَعُ نَقْلُهُ أو لم يصح، وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولاً، لا إلى الأحاديث التي تُنْقَلُ مرة على اللفظ، ومرة على المعنى، وتختلف فيها ألفاظ المحدثين، فنقول قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٤) ولم يقل: من نفسي وكذلك قال: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [السجدة: ٩] ولم يقل من نفسه، ولا يجوز أيضًا أن يقال هذا، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام، وذلك يدل على أن بينهما فرقًا في المعنى، وبعبارة هذا قوله سبحانه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ولم يقل: تعلم ما في روحي، ولا أعلم ما في روحك، ولا يحسن هذا القول أيضًا أن يقوله غير عيسى^(٥)، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد، كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ولا يحسن في الكلام: يقولون في أرواحهم، وقال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ ولم يقل: أن تقول روح،

(١) من أحاديث الآحاد الكثير والكثير «صحيح». وانظر حديث «إنما الأعمال بالنيات» وقد خصَّ البخاري خبر الآحاد بكتاب خاص ضمَّته صحيحه فانظره.

(٢) «صحيح» أخرجه البخاري ومسلم. (٣) ابن عبد البر.

(٤) سورة الحجر آية رقم (٢٩).

(٥) من دونه في النبوة والرسالة.

وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه». قال: فأنزل الله تعالى عليه فيما سأله عنه

ولا يقوله أعرابي، فأين إذا كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبّر كلام الله تعالى؟! ولكن بقيت دقيقة يُعرف منها السرّ والحقيقة، ولا يكون بين القولين اختلاف متباين إن شاء الله، فنقول وبالله التوفيق: الروح مشتق من الريح، وهو جسم هوائي لطيف، به تكون حياة الجسد عادة، أجراها الله تعالى؛ لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذي هو في تجاويف الجسد، كما قال ابن فورك وأبو المعالي وأبو بكر المرادي، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعري، ومعنى كلامهم واحد أو مقارب.

الروح سبب الحياة:

فصل: فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة، أجراها الله تعالى، فهو كالماء الجاري في عروق الشجرة صُغْدًا، حتى تحيا به عادة، فنسميه ماء باعتبار أوليّته، ونسمي أيضًا هذا روحًا باعتبار أوليته، واعتبار النفخة التي هي ريح، فما دام الجنين في بطن أمه حيًا، فهو ذو روح، فإذا نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقًا وأوصافًا لم تكن فيه، وأقبل على مصالح الجسم كلفًا به، وعشق مصالح الجسد ولذاته، ودفع المضار عنه سمي: نفسًا، كما يكتسب الماء الصاعد في الشجرة من الشجرة أوصافًا لم تكن فيه، فالماء في العنبة مثلاً هو: ماء باعتبار الأصل والبذّة، ففيه من الماء الميوعة والرطوبة، وفيه من العنبة الحلاوة، وأوصاف آخر، فتسميه مُضْطَرًّا إن شئت، أو خمراً إن شئت، أو غير ذلك مما أوجبه الاكتساب هذه الأوصاف، فمن قال: إن النفس هي الروح على الإطلاق من غير تقييد، فلم يُخسِن العبارة، وإنما فيها من الروح الأوصاف التي تقتضيها نفخة الملك، والمَلَكُ موصوف بكلّ خلق كريم؛ ولذلك قال في الحديث: فمن الروح عفافه وحلمه ووفاءه وفهمه، ومن النفس شهوته وغضبه وطيشه، وذلك أن الروح كما قدّمنا مازج الجسد الذي فيه الدم، ويسمى الدم: نفسًا، وهو مجرى الشيطان، وقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسرّ لعله أن يفهم مما نحن بسبيله، فمن يعرف جوهر الكلام، ويُنزل الألفاظ منازلها، لا يسمى روحًا إلا ما وقع به الفرق بين الجماد والحي، والذي كان سببًا للحياة، كما في الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفة، ونفخ الروح فيها، ولا يُقال: نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع في الكلام، وتسمية الشي بما يؤول إليه، ومن ههنا سُمي جبريل عليه السلام: روحًا، والوحي: روحًا، لأن به تكون حياة القلوب، قال الله سبحانه: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] وقال في الكفار: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١] وقال في

من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] أي: إن التوراة في هذا من علم الله قليل.

النفس ما تقدم، وقال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ولم يقل إن الروح لأَمَّارَةٌ؛ لأن الروح الذي هو سبب الحياة لا يأمر بسوء، ولا يسمى أيضًا نفسًا، كما قدّمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة، وما كان نحوها، والماء النازل من السماء جنس واحد، فإذا مازج أجساد الشجر كالتفاح وَالْفَرَسِكَ^(١) وَالْحَنْظَلِ وَالْعُشْرِ، وغير ذلك اختلفت أنواعه، كذلك الروح الباطنة التي هي من عند الله، هي جنس واحد، وقد أضافها إلى نفسه تشريفًا لها حين قال: وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، ثم يخالط الأجساد التي خُلقت من طين، وقد كان في ذلك الطين طيب وخبث، فينزع كل فرع إلى أصله، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق في أم الكتاب، وإلى ما دَبَّرَهُ وأحكمه الحكيمُ الخبير، فعند ذلك تتناثر النفوس، أو تتقارب، وتتحاب أو تتباغض على حسب التشاكل في أصل الخلقة، وهي معنى قول النبي - ﷺ -: «فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له: «إن نفسي غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام؛ فإنها صادفت عندك بعض جواهرها، والشئ يتبع بعضه بعضًا».

الإنسان روح وجسد:

فصل: وقد يُعَبَّرُ بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده، فتقول: عندي ثلاثة أنفس، ولا تقول: عندي ثلاثة أرواح، لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدم ذكره، وإنما اتسع في النفس، وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح، حتى صار يسمى نفسًا، وطراً هذا الاسم بسبب الجسد، كما يطرأ على الماء في الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومُرٌّ وجَرِيفٌ، وغير ذلك فتحصل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال في النفس: هي الروح على الإطلاق، حتى تُقيد بما تقدم، ولا يقال في الروح: هو النفس إلا كما يقال في المَنِيِّ هو الإنسان، أو كما يقال للماء المغذي لِلْكَرْمَةِ هو: الخمر، أو الخل، على معنى أنه ستنضاف إليه أوصاف يسمى بها خمراً أو خلاً، فتقييد الألفاظ هو: معنى الكلام، وتنزيل كل لفظ في موضعه، هو معنى البلاغة فافهمه.

(١) الفرسك: الخوج.

عن تسيير الجبال وبعث الموتى :

قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال، وَتَقْطِيعِ الأرض، وَبَعَثَ مَنْ مَضَى من آبائهم من الموتى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ إِلَّا مَا شِئْنَا لَآتَيْنَاكَ آيَاتٍ مِنْهُنَّ مَا لَا تَبْصُرُ﴾ أي : لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

وأنزل عليه في قولهم : خُذْ لِنَفْسِكَ، ما سألوه أن يأخذَ لنفسه، أن يجعل له جَنَاتًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا، وَبَعَثَ مَعَهُ مَلَكًا يَصَدِّقُهُ بما يقول، ويردّ عنه : ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَاصْطَلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ : أي من أن تمشي في الأسواق وتلتبس المعاش ﴿جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان : ٧ - ١٠] .

وأنزل عليه في ذلك من قولهم : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَضْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان : ٢٠] أي جعلت بعضكم لبعض بلاء، لتصبروا، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رُسلي فلا يُخَالَفُوا لفعلت .

النفس :

فصل : وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قول بلال : أَخَذَ بِنَفْسِي الذي أَخَذَ بِنَفْسِكَ، فذكر النفس ؛ لأنه معتذر من ترك عمل أمر به، والأعمال مضافة إلى النفس ؛ لأن الأعمال جَسَدَانِيَّةٌ، وقول النبي - ﷺ - : «إِنَّ اللَّهَ قَبْضُ أَرْوَاحِنَا، فذكر الروح الذي هو الأصل، لأنه أَنْسُهُمْ من فزعهم، فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء، فلا تنبسط انبساطها في اليقظة وروح النائم وإن وُصِفَ بالقبض، فلا يدل لفظ الْقَبْضِ على انتزاعه بالكلية^(١) . كما لا يدل قوله سبحانه في الظل : ﴿ثُمَّ قَبْضَتْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان : ٤٦] على إعدام الظل بالكلية، وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ فلم يقل : الأرواح، لأنه وعظ العباد الغافلين عنه، فأخبر أنه يتوفى أنفسهم، ثم يعيدها حتى يتوقاها، فلا يُعِيدُهَا إِلَى الْحَشْرِ لَتَزْدَجِرَ النَّفُوسُ بِهَذِهِ الْعِظَةِ عَنْ سُوءِ أَعْمَالِهَا ؛ إِذِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ، والخطأ للكفار، وقد تنزلت الألفاظ منازلها في الحديث والقرآن، وذلك معنى الفصاحة وسرّ البلاغة .

(١) وانظر تفسير الرازي «مفاتيح الغيب» في تفسير آية الباب .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٥].

قال ابن هشام: الينبوع: ما نبع من الماء من الأرض وغيرها. وجمعه ينبيع. قال ابن هرمة. واسمه: إبراهيم بن عبد الله الفهري.

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً نُزِفَ الشُّؤُونُ. وَدَمَعُكَ الْيَنْبُوعُ
وهذا البيت في قصيدة له. وَالْكَسْفُ الْقَطْعُ مِنَ الْعَذَابِ. وواحدته: كِسْفَةٌ. مثل سِدْرَةٍ وَسَدْرٍ. وَهِيَ أَيْضًا: وَاحِدَةُ الْكَسْفِ. وَالْقَبِيلُ: يَكُونُ مُقَابِلَةً وَمُعَايِنَةً. وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾: أَي عِيَانًا. وَأُنْشِدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ الْأَعَشَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

أَصَالِحُكُمْ، حَتَّى أَتَبَوَّؤُوا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسْرَتُهَا قَبِيلُهَا

ابن هرمة:

فصل: واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة ونسبه فقال: فهري: وإنما هو خُلْجِي، وَالْخُلْجُ اسْمُهُ: قَيْسُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ، وَاخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَةِ بَنِي قَيْسِ بْنِ الْحَارِثِ الْخُلْجِ، فَقِيلَ: لِأَنَّهُمْ اخْتَلَجُوا مِنْ قَرِيشٍ وَسَكَانِ مَكَّةَ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُمْ نَزَلُوا بِمَوْضِعٍ فِيهِ خُلْجٌ مِنْ مَاءٍ، وَنَسَبُوا إِلَيْهِ، وَابْنُ هَرَمَةَ وَاسْمُهُ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ هَرَمَةَ، وَهُوَ شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَبَيْتُهُ:

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً نُزِفَ الشُّؤُونُ وَدَمَعُكَ الْيَنْبُوعُ
والشُّؤُونُ: مُجَارِي الدَّمْعِ، وَهِيَ أَطْبَاقُ الرَّأْسِ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ لِلرَّجُلِ، وَثَلَاثَةٌ لِلْمَرْأَةِ، كَذَلِكَ ذَكَرُوا عَنْ أَهْلِ التَّشْرِيعِ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الدَّلَائِلِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

من شرح الآيات:

وكل ما شرح ابن هشام من الآيات التي تلاها ابن إسحاق، فقد تقدّم ما يحتاج بيانه منه، وفي قوله سبحانه: ﴿بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ﴾ دليل على أن البيت يراد به: القصر والمنزل، وإن كان عظيمًا، فإنه يسمى بيتًا كما قدّمنا في شرح بيت القصب في حديث خديجة.

يعني: القابلة؛ لأنها تُقابلها، وتقبل ولدها. وهذا البيت في قصيدة له. ويقال للقبيل: جمعه قُبُل، وهي الجماعات، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام: ١١١]. فقبُل: جمع قبيل، مثل سُبُل: جمع سَبِيل وسُرُر: جمع سرير، وقُمص: جمع قميص. والقبيل أيضًا: في مثل من الأمثال وهو قولهم: ما يعرف قبيلًا من دَير: أي: لا يعرف ما أقبل ممَّا أدبر، قال الكُميت بن زيد:

تَفَرَّأْتَ الْأُمُورَ بِوَجْهَتَيْنِهِم فَمَا عَرَفُوا الدَّيْرَ مِنَ الْقَبِيلِ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنما أريد بهذا: القتل، فما قُتِل إلى الذراع فهو القبيل، وما قُتِل إلى أطراف الأصابع فهو الدَّيْر، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت. ويقال: قَتَلَ الْمِغْزَلَ. فإذا قُتِل إلى الركبة فهو القبيل، وإذا قُتِل إلى الْوَرِك فهو الدَّيْر. والقبيل أيضًا: قوم الرجل. والزخرف: الذهب. والمزخرف: المزين بالذهب. قال العجاج:

مِنْ طَلَلْ أَمْسَى تَخَالَ الْمُضْخَفَا رُسُومَهُ وَالْمُذْهَبَ الْمُزْخَرَفَا

وهذان البيتان في أرجوزة له، ويقال أيضًا لكل مُزَيَّن: مُزْخَرَف.

قال ابن إسحق: وأنزل عليه في قولهم: إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ إِنَّمَا يُعَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ. يقال له: الرَّحْمَنُ. وَلَنْ نُؤْمِنَ بِهِ أَبَدًا: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾ [الرعد: ٣٠].

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام - لعنه الله - وما هم به: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تَطْغَهِ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ سورة العلق.

قال ابن هشام: لَنَسْفَعًا: لنجذب، ولنأخذن. قال الشاعر:

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصُّرَاخَ رَأَيْتَهُم مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُنْهَرٍ أَوْ سَافِعٍ

والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم، ويقصون فيه أمورهم، وفي كتاب الله

تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] وهو النَّدِيّ. قال عبيد بن الأبرص:

اذهب إليك فإنني من بني أسد أهل النَّدِيّ، وأهل الجُرْد والنَّادي
وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]. وجمعه: أندية. يقول:
فَلْيَدْعُ أَهْلَ نَادِيهِ. كما قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يريد أهل القرية. قال
سلامة بن جندل، أحد بني سَعْد بن زيد مَنَّة بن تميم:

يَوْمَانِ: يَوْمُ مَقَامَاتٍ، وَأَنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبُ
وهذا البيت في قصيدة له. وقال الْكَمَيْت بن زَيْد:

لَا مَهَاذِيرَ فِي النَّدِيِّ مَكَاثٍ سِيرَ وَلَا مُضْمِتِينَ بِالْإَفْحَامِ
وهذا البيت في قصيدة له. ويقال: النادي: الجلساء. والزبانية: الغلاظ الشداد،
وهم في هذا الموضع: خَزَنَةُ النَّارِ. وَالزَّبَانِيَةُ أَيْضًا فِي الدُّنْيَا: أَعْوَانُ الرَّجُلِ الَّذِينَ يَخْدُمُونَهُ
وَيُعِينُونَهُ، وَالوَاحِدُ: زَبْنِيَّةٌ. قال ابن الزُّبَيْرِي في ذلك:

مَطَاعِيمُ فِي الْمَقَرَى، مَطَاعِينُ فِي الْوَعَى زَبَانِيَّةٌ غُلْبٌ، عِظَامٌ حُلُومُهَا
يقول: شِدَادٌ. وهذا البيت في أبيات له. وقال صَخْر بن عَبْدِ اللَّهِ الْهَذَلِيّ، وهو
صَخْرُ الْقَيْ:

وَمِنْ كَبِيرِ نَفَرٍ زَبَانِيَّةٌ

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ: ﴿قُلْ
مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
[سبأ: ٤٧].

فلما جاءهم رسول الله - ﷺ - بما عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، وَعَرَفُوا صِدْقَهُ فِيمَا حَدَّثَ،
وَمَوْقِعَ ثُبُوتِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ حِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا سَأَلُوا عَنْهُ، حَالَ الْحَسَدِ
مِنْهُمْ لَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَتْبَاعِهِ وَتَصَدِيقِهِ فَعَتُوا عَلَى اللَّهِ وَتَرَكُوا أَمْرَهُ عِيَانًا، وَلَجُّوا فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ
مِنَ الْكُفْرِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْعَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ، أَي: اجْعَلُوهُ

لغَوْا وباطلًا، واتخذوه هُزُورًا لعلَّكم تَغْلِبُونَهُ بِذَلِكَ، فإنَّكم إنْ نَظَرْتُمُوهُ أَوْ خَاصَمْتُمُوهُ يَوْمًا غَلَبَكم.

فقال أبو جهل يومًا - وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار، ويخبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددًا، وكثرة، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدر: ٣١] إلى آخر القصة، فلما قال ذلك بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ - بالقرآن وهو يصلي، يتفرقون عنه، ويأبون أن يستمعوا له، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن، وهو يصلي، استرق السمع دونهم فرقًا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يسمع منه ذهب خشية أذاهم، فلم يسمع، وإن خفض رسول الله ﷺ - صوته، فظن الذي يسمع أنهم لا يسمعون شيئًا من قراءته، وسمع هو شيئًا دونهم أصاخ له يسمع منه^(١).

خزنة جهنم وأبو الأشدين:

فصل: وذكر ابن إسحق قول أبي جهل مستهزئًا: يزعم محمد أن جنود ربه التي يخوفكم بها تسعة عشر، وأنتم الناس، إلى آخر القصة. وأهل التفسير يعزون هذه المقالة إلى أبي الأشدين الجُمَحِي، واسمه: كَلْدَة بن أُسَيْد بن خُلف، وأبو دَهَبِل الشاعر هو ابن أخيه، واسمه: وَهْب بن زَمْعَة بن أُسَيْد بن خُلف بن وَهْب بن حُذَافَة بن جُمَح، وكانت عند أبي دَهَبِل التَّوَامَة التي يعرف بها صالح مولى التَّوَامَة، وهي أخت عبد الله بن دَسْفَوَان بن أُمِيَة، ولدت له عبد الرحمن قتل يوم الجمل، وأنه قال: اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجابًا منه بنفسه، وكان بلغ من شدته - فيما زعموا - أنه كان يقف على جلد البقرة، ويجاذبه عشرة، لينتزعوه من تحت قدمه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، وقد دعا النبي - ﷺ - إلى المصارعة، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصصره رسول الله - ﷺ - مرارًا، فلم يؤمن، وقد نسب ابن إسحق خبر المصارعة إلى زُكَّانَة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، وسيأتي في الكتاب والله أعلم، وأما ما قال أهل التأويل في خَزَنَة جهنم التسعة عشر، فروي عن كعب أنه قال: بيد كل واحد منهم عمود له شُعْبَتَان، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفًا

(١) انظر تفسير الطبري (٩٣/٢٦) الدر المنثور (٢٨٢/٦).

قال ابن إسحاق: حدثني داود بن الحُصَيْن، مولى عمرو بن عثمان، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حدثهم: إنما أنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]. من أجل أولئك الثُفَر. يقول: لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك، ولا تخافت بها، فلا يسمعها مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَهَا مِمَّنْ يَسْتَرِقُ ذَلِكَ دُونَهُمْ، لَعَلَّهُ يَرْغَوِي إِلَى بَعْضِ مَا يَسْمَعُ، فَيَنْتَفِعُ بِهِ^(١).

أول صحابي جهر بالقرآن:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان أول مَنْ جهر بالقرآن بعد رسول الله - ﷺ - بمكة عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله - ﷺ - فقالوا: والله ما سمعتُ قريشَ هذا القرآن يُجهر لها به قط، فمَنْ رَجُلٌ يُسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المَقَامَ فِي الضُّحَى، وقريشٌ فِي أُنْدِيَتِهَا حَتَّى قَامَ عِنْدَ المَقَامِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ رافعاً بها صوته ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأملوه فجعلوا يقولون. ماذا قال ابنُ أمِّ عبدٍ؟ قال: ثم قالوا: لَيْتَلُو بَعْضُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فقاموا إليه، فجعلوا يَضْرِبُونَ فِي وَجْهِهِ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا في وجهه، فقالوا له:

إلى النار^(٢)، وقد أملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها، وذكر الزبائنة، والحكمة في كونهم عدداً قليلاً مسألة في قريب من جزء، فلتنظر هناك.

بهت الرسول ﷺ أن بشراً يعلمه:

فصل: وذكر قول قريش: إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإننا لا نؤمن بالرحمن، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ كان مُسَيَّلَمَةً بن حبيب الحنفي، ثم أحد بني الدؤل قد تسمى: الرحمن في الجاهلية، وكان من المعمرين، ذكر وَثِيمَةُ بن موسى أن مسيلمة تسمى بِالرَّحْمَنِ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ عَبْدُ اللَّهِ أَوْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -.

(١) انظر الطبري في تفسيره (١٢٥/١٥) وابن كثير في تفسيره (١٢٨/٥) والسيوطي في الدر (٢٠٧/٤) وابن حجر في الفتح (٢٥٨/٨).

(٢) كعب الأجار من مسلمي أهل الكتاب - كثير النقل عنهم.

هذا الذي خَشِينَا عَلَيْكَ فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمْ الْآنَ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لِأَغَادِيئِهِمْ بِمِثْلِهَا غَدًا، قَالُوا: لَا، حَسْبُكَ، قَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ^(١).

الذين استمعوا إلى قراءة النبي (ﷺ)

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث: أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زُهرة، خرجوا ليلة؛ ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا. فجمعهم الطريق، فتلاؤموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا.. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع

كبير:

وأشدد في تفسير الزبانية:

ومن كبير نَفَر زبانية

وجدت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت: كبير: حي من هذيل قال المؤلف: وفي أسد أيضاً: كبير بن غنم بن دودان بن أسد، ومن ذريته: بنو جحش بن ريان بن يغمر بن سبوة بن مرة بن كبير ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء، فإنهم أشهر، والله أعلم، وبنو كبير أيضاً: بطن من بني غامد، وهم من الأزد، والذي تقدم ذكره من هذيل هو: كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل.

حول آيات من القرآن

فصل: وذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والأخنس إلى قول أبي جهل: فلما تجاذبنا على الركب. وقع في الجمهرة: الجاذي: المُقْعِي على قدميه قال: وربما جعلوا الجاذي والجاثي سواء.

(١) هذا هو أول من جهر بالقرآن - عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - الذي شاهده الناس في أحد الأفلام [الإسلامية] فلما لله ولنا إليه راجعون.

الفجرُ تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرّقوا.

فلما أصبح الأخنسُ بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يُراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها، قال الأخنسُ: وأنا والذي حلفت به.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعتُ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكُنَّا كَفَرَسِي رِهان، قالوا: مَنَّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى نُدرك مثل هذه، والله لا نُؤمن به أبدًا، ولا نصدّقه. قال: فقام عنه الأخنسُ وتركه.

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله - ﷺ - إذا تلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله، قالوا يهزؤون به: ﴿قُلُونَا فِي أَكْثَرِ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ لا نفقه ما تقول: ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ لا نسمع ما تقول: ﴿وَمَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ قد حال بيننا وبينك ﴿فَاعْمَلْ﴾ بما أنت عليه ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ بما نحن عليه، إِنَّا لا نفقه عنك شيئًا، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٤٦] أي: كيف فهموا توحيدك ربك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أَكْثَرًا، وفي آذانهم وَقْرًا، وبينك وبينهم حِجَابًا يزغهم؛ أي: إني لم أفعل ذلك. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ﴾ به إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿[الإسراء: ٤٧] أي: ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتُك به إليهم. ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨] أي: أخطوا المثل الذي ضَرَبُوا لَكَ، فلا يُصِيبُونَ به هُدًى، ولا يَعْتَدِلْ لَهُمْ فِيهِ قَوْلٌ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي: قد جئتُ تخبرنا: إِنَّا سُبُعْتُ بعد موتنا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا، وذلك ما لا يكون. ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي

وذكر قول الله سبحانه خبرًا عنهم: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] قال بعضهم: مستور بمعنى: سائر كما قال: «وكان وغده مأثبات» أي: آتيا، والصحيح أن مستورًا هنا على باب؛ لأنه حِجَابٌ على القلب، فهو لا يُرى.

صُدُّورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿[الإسراء: ٤٩ - ٥١]﴾. أي: الذي خلقكم مما تعرفون، فليس خَلْقُكُمْ من تراب بأعزَّ من ذلك عليه.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي نَجِيج، عن مُجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألتَه عن قول الله تعالى: ﴿أَوْ خَلَقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ ما الذي أراد الله به؟ فقال: الموت^(١).

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال، ابن إسحاق: ثم إنهم عَدَوْا على مَنْ أسلم، وأتبع رسول الله - ﷺ - من

وذكر حديث ابن عباس حين سُئِلَ عن قوله: ﴿أَوْ خَلَقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فقال: الموت، «هو تفسير يحتاج إلى تفسير، ورأيت لبعض المتأخرين فيه، قال: أراد ابن عباس أن الموت سَيَفْنِي كما يفنى كل شيء، كما جاء أنه يُذْبَح على الصُّرَاط، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديدًا لأدرككم الفناء والموت، ولو كنتم الموت الذي هو كبير في صدوركم، فلا بُدَّ لكم من الفناء - والله أعلم - بتأويل ذلك، وقد بقي في نفسي من تأويل هذه الآية شيء، حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى - وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْأَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ ذُنُورًا﴾ يجوز أن يكون: نفورًا: جمع نافر، فيكون نصبًا على الحال، ويجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا لَوَلَّوْا. ومما أنزل الله في استماعهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ [يونس: ٤٢] ألا ترى كيف جمع يستمعون، والحمل على اللفظ إذا قُرِبَ منه أحسن، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فأفرد، حملاً على لفظ مَنْ، وقال في آخر الآية: ولا خَوْفٌ عليهم، فجمع حملاً على المعنى، لما بعد عن اللفظ، وهكذا كان القياس في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ﴾، ولكن لما كانوا جماعة، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم، صار المعنى: ومنهم نفر يستمعون، يعني أولئك النفر، وهم أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق، ألا ترى كيف قال بعد: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ فأفرد حملاً على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم، والله أعلم.

المُكَرَّه على الكفر والمعصية

فصل: وذكر تعذيب مَنْ أسلم وطرحهم في الرُّمضاء، وكانوا يلبسونهم أدرع الحديد،

(١) انظر الطبري في تفسيره (١٨/١٥) الدر المنثور للسيوطي (٤/١٨٧).

أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يخسئونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، ويرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم، يقتلونهم عن دينهم، فمنهم من يقتل من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يضلب لهم، ويعصمه الله منهم.

تعذيب بلال وعقته^(١):

وكان بلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما، لبعض بني جُمَح، مؤلداً من مولديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمه: حَمَامَة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح يُخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى؛ فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قال ابن إسحق: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أَحَدٌ أَحَدٌ، فيقول: أَحَدٌ، أَحَدٌ والله يا بلال، ثم يُقبل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جُمَح، فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حَنَانًا^(٢)، حتى مر به أبو بكر الصديق بن أبي قُحافة - رضي الله عنه - يوماً، وهم يضنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟! حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته، فأنيقده مما ترى، فقال أبو بكر: أفعَلْ عندي غلام أسود أجلدُ منه وأقوى، على دينك، أعطيك به، قال:

حتى أعطوهم بالسَّتهم ما سألوا من كلمة الكفر إلا بلالاً - رحمه الله - وأنزل الله فيهم: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ونزل في عَمَارٍ وأبيه: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(٣) ولما كان الإيمان أصله في القلب، رخص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه

(١) انظر ترجمته في أسد الغابة (٢٤٣/١) الإصابة (١٧٠/١) الاستيعاب (١٧٨/١) صفة الصفوة (٤٣٤/١) سير أعلام النبلاء (٣٤٧/١) حلية الأولياء (١٤٧/١) شذرات الذهب (٣١/١) الإكمال (١١/٤).

(٢) الحنان: الرحمة والعطف والرزق. وقال صاحب النهاية: أراد لأجعل قبره موضع حنان أي مظنة من رحمة الله تعالى فأنسح به تبركاً فيرجع ذلك عازاً عليكم.

(٣) الأشهر أن الآية الأولى نزلت في حق عمار بن ياسر رضي الله عنهما، والثانية لا مناسبة بينها وبين حديث الباب.

قد قبلتُ فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك وأخذ فاعتقه^(١).

من عتقاء أبي بكر:

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستّ رقاب، بلال سابعهم: عامر بن فُؤيرة، شهيد بدرًا وأُحدًا، وقُتِل يوم بئر مَعُونَة شهيدًا، وأمّ شَمَيْس وَزَيْرَة، وأُصيب بصرُها حين أعتقها، فقالت قُرَيْش: ما أذهب بصرُها إلا اللات والعزى؛ فقالت: كذبوا - وبيت الله - ما تضرّ اللات والعزى، وما تفعان، فردّ الله بصرها^(٢).

وأعتق التَّهْدِيَة وبنَّتْها، وكانتا لامرأة من بني عَبد الدار، فمَرَّ بهما وقد بعثتهما سَيِّدَتُهُما بِصَحِين لَهَا، وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدًا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: جَلًّا يَا أُمُّ فُلَان، فقالت: جَلٌّ، أنت أفسدتَهُما فأعتقتهما؛ قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتُهُما وهما حُرَّتَان، أَرَجَعَا إِلَيْهَا طَحِينَهَا، قالتا: أَوْ نَقْرُغْ مِنْهُ يَا أَبَا بَكْر، ثم نَرَدَّه إِلَيْهَا؟ قال: وذلك إِنْ شِئْتُمَا.

حتى يأمن. قال ابن مسعود: ما من كلمة تدفع عني سَوَطين إلا قُلْتُها هذا في القول، فأما الفعل، فتنقسم فيه الحال: فمنه ما لا خلاف في جوازه كشرب الخمر، إذا خاف على نفسه القتل، وإن لم يخف إلا ما دون القتل، فالصبر له أفضل، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجن يوم، أو طرف من الهوان خفيف، فلا تحل له المعصية من أجل ذلك، وأما الإكراه على القتل، فلا خلاف في حظره؛ لأنه إنما رخص له فيما دون القتل، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة، وهي نفسه، فأما إذا دَفَعَ عن نفسه بنفس أخرى، فلا رُخْصَة، واختلف في الإكراه على الزنى، فذكر عن ابن الماجشون أنه قال: لا رُخْصَة فيه؛ لأنه لا ينتشر له إلا عن إرادة في القلب أو شهوة، وأفعال القلب لا تُباح مع الإكراه، وقال غيره: بل يرخص في ذلك لمن خاف القتل. لأن انبعاث الشهوة عند المُمَاسَّة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مَضْغ الطعام، وقد يجوز أكل احرام إذا أكره عليه.

فصل: واختلف الأصوليون في مسألة من الإكراه، وهي: هل المُكْرَه على الفعل مخاطَب بالفعل، أم لا؟ فقالت المعتزلة: لا يصحّ الأمر بالفعل مع الإكراه عليه، وقالت الأشعرية: ذلك جائز؛ لأن العزم إنما هو فعل القلب، وقد يتصور منه في ذلك الحين

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٨٩/١) المتظم لابن الجوزي (٣٧٣/٢).

(٢) الكامل (٥٩١/١).

ومرّ بجارية بني مُؤمّل، حيّ من بني عديّ بن كعب، وكانت مسلمة، وعمرُ بن الخطاب يُعدّ بها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها، حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا مَلَاةً، فتقول: كذلك فعل الله بك، فابتاعها أبو بكر، فأعتقها.

بين أبي بكر وأبيه:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض أهله^(١)، قال:

قال أبو قحافة لأبي بكر: يا بُنَيَّ، إني أراك تُغَتِّق رِقَابًا ضِعَافًا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جُلُودًا يَمْنَعُونَكَ، ويقومون دونك؟ قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبت، إني إنما أريد ما أريد، الله عز وجل، قال: فَيُتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِ، وفيما قال له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥، ٦]... إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٩ - ٢١].

العزم والنية، وهي القصد إلى امتثال أمر الله تعالى، وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفاً من الناس، وذلك إذا أكره على فرض كالصلاة مثلاً، إذا قيل: صَلِّ وَلَا قُتِلْتَ، وأما إذا قيل له: إِنْ صَلَّيْتَ قُتِلْتَ، فظن القاضي أن الخلاف بيننا، وبين المعتزلة في ذلك، وغلطه بعض أصحابه، وقالوا: لا خلاف في هذه المسألة أنه مخاطب بالصلاة مأمور بها، وإن رخص له في تركها، فليس الترخيص مما يُخرجُه عن حكم الخطاب، وإنما يرفع عنه الإكراه المأثم، ولا يخرجُه عن أن يكون مخاطباً بها، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضي في هذه المسألة ليس بقول له، وإنما حكاه في كتاب التقريب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء. قالوا: لا يتصور القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه. قال القاضي: وهذا باطل؛ لأنه يتصور انكفاه عنه مع الإكراه، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له، وبه يتعلق التكليف، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين هذا القول الذي أبطله، وبين بطلانه، وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه في المسألة، وأقف على حقيقة مذهبه، وهو بريء من الغلط فيها.

(١) مجاهيل.

تعذيب عمار بن ياسر

قال ابن إسحاق: وكانت بنو مَخْزُومَ يَخْرِجُونَ بَعْمَارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَبِأَبِيهِ وَأُمَّهُ - وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ - إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيرَةُ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمَضَاءِ مَكَّةَ، فَيَمْرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ، فِيمَا بَلَغَنِي: صَبْرًا آلُ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ. فَأَمَّا أُمُّهُ فَقَتَلُوهَا، وَهِيَ تَأْتِي إِلَّا الْإِسْلَامَ^(١).

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم، له شرف ومَنعة أثبه وأخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك: لَنُتَسَفَّهَنَّ جِلْمَكَ وَلِنُقَيِّسَنَّ^(٢) رَأْيَكَ، وَلِنَضَعَنَّ شَرْفَكَ، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا، قَالَ: وَاللَّهِ لَنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلِنُهْلِكَنَّ مَالَكَ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ.

فتنة المعذبين:

قال ابن إسحاق: وحدثني حَكِيمُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَذَابِ مَا

آل ياسر

فصل: وذكر فيمن عُدِّبَ فِي اللَّهِ: سُمَيَّةُ أُمُّ عِمَارٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قَتْلَ أَبِي جَهْلٍ لَهَا، وَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَرَوَيْ أَنَا عِمَارًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ بَلَغَ مِنَّا الْعَذَابُ كُلَّ مَبْلَغٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ -: «صَبْرًا أَبَا الْيَقْظَانِ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَعَذِّبْ أَحَدًا مِنْ آلِ عِمَارٍ بِالنَّارِ»، وَسُمَيَّةُ أُمُّهُ، وَهِيَ بِنْتُ خَيْطٍ، كَانَتْ مَوْلَاةً لِأَبِي حَذِيفَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَاسْمُهُ مُهْشَمٌ، وَهُوَ عَمُّ أَبِي جَهْلٍ، وَغُلَطِ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِيهَا، فَزَعَمَ أَنَّ الْأَزْرَقَ مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَ يَاسِرٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَزْرَقِ، وَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالنِّسَاءِ: إِنَّمَا سُمَيَّةُ أُمُّ سَلَمَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ سُمَيَّةُ أُخْرَى، وَهِيَ أُمُّ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ، لَا أُمَّ عِمَارٍ، وَعِمَارٌ وَالْحَوْزِرِيُّ وَعَبُودُ بْنُ يَاسِرٍ بَنُو عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْحُصَيْنِ بْنِ لُؤْزَيْنَ، وَيُقَالُ الْوَزِيمُ بْنُ ثَالِبَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ زِيَادِ بْنِ عَنَسَ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ الْعَنَسِيِّ الْمَذْحِجِيِّ حَلِيفَ لِبَنِي مَخْزُومٍ، وَمِنْ وَلَدِ عِمَارٍ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَهُوَ الْمَقْتُولُ بِالْأَنْدَلُسِ، قَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

(١) أخرجه الحاكم (٣/٣٨٣) وأبو نعيم في الحلية (١/١٤٠) وغيرها. وانظر الكامل (١/٥٨٩).

(٢) أي نخط من رأيك.

يُعَذَّرُونَ به في تَرْك دينهم؟ قال: نعم، والله، إن كانوا لِيَضْرِبُونَ أحدهم، وَيُجِيعُونَهُ، وَيُعْطِشُونَهُ حتى ما يقدر أن يستوي جالسًا من شِدَّة الضَّرِّ الذي نزل به، حتى يُعْطِيتَهُمْ ما سألوهُ من الفِئْتَةِ، حتى يقولوا له: أَلَلَّا تُ وَالْعَزَّى إِلَهَكَ من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إن الجُعَلَ^(١) ليمرَّ بهم، فيقولون له: أهذا الجُعَلَ إِلَهَكَ من دون الله؟ فيقول: نعم، افتدَاءً منهم ممَّا يبلغون من جَهْدِهِ.

رفض تسليم الوليد لتقتله قريش:

قال ابن إسحق: وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد أنه حدث أن رجلاً من بني مخزوم مَسَّوْا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا، منهم: سلمة بن هشام، وعيَّاش بن أبي ربيعة. قال: فقالوا له - وخشوا شرَّهم: إنَّا قد أردنا أن نُعَاتِبَ هؤلاء الفُتْيَةَ على هذا الدين الذي أحدثوا، فإنَّا نأمن بذلك في غيرهم. قال: هذا، فعليكم به. فعاتبوه وإياكم ونفسه. وأنشأ يقول:

أَلَا لَا يُقْتَلَنَّ أَخِي عُيَيْشٌ فَيَبْقَى بَيْنَنَا أَبَدًا تَلَاجِي

زُبَيْرَة وَغِيَرَهَا:

فصل: وذكر زُبَيْرَة التي أعتقها أبو بكر، وأول اسمهما: زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فُعَيْلَة، هكذا صَحَّت الرواية في الكتاب، والزُبَيْرَة: واحدة الزنانير، وهي الحصا الصغار، قاله أبو عبيدة، وبعضهم يقول فيها: زُبَيْرَة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها، ولا تُعرف زُبَيْرَة في النساء، وأما في الرجال فزُبَيْرَة بن زُبَيْر بن مخزوم بن صَاهِلَة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر، وابنه: خالد بن زُبَيْرَة، وهو العَرِقُ قاله الدارقطني.

أُم عَمِيس:

فصل: وذكر أُمُّ عَمِيس^(٢)، وكانت لبني تَيْم بن مُرَّة أعتقها أبو بكر، وذكر غير ابن إسحق هؤلاء الذين عُذِّبُوا في الله لما أعطوا بالسننهم ما سئلوا من الكفر، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الأُمِّ فيها الماء، فوضعوهم فيها، وأخذوهم بأطراف الأنطاع، واحتملوهم إلَّا بلالاً.

(٢) وقيل: عيس.

(١) الجمل: الخنفساء.

احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه، لأقتلن أشرفكم رجلاً. قال: فقالوا: اللهم العنه. من يغرز بهذا الخبيث، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً. قال: فتركوه ونزعوا عنه. قال: وكان ذلك مما دفع الله به عنهم.

عن بلال:

وقول ورقة بن نوفل: لئن قتلتموه يعني: بلالاً، وهو على هذا الحال لأتخذنه حناناً أي: لأتخذن قبره منسكاً ومسترحماً. والحنان: الرحمة، وكان بلال رحمه الله يكتى: أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عبد الله، وأخته غفرة، وقد تقدم في أول الكتاب ذكر عمر مولى غفرة، وهي هذه. والغفرة: الأنثى من أولاد الأراوي، والذكر: غفر.

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة^(١)

قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله - ﷺ - ما يُصيب أصحابه من البلاء. وما هو فيه من العافية. بمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد. وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله - ﷺ - إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.

أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشة:

وكان أول من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن

باب الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب، وأما النجاشي فاسم لكل ملك يلي الحبشة، كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس، وخاقان اسم لملك الترك كائنًا من كان، ويطلقون: اسم لمن ملك يونان، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل، واسم هذا النجاشي: أضخمه بن أبجر، وتفسيره: عطية.

وذكر في أول من خرج إلى الحبشة: عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله - ﷺ - وكان حين تزوجها يغنيها النساء:

أحسن شخصين رأى إنسان رقية وبغلها عثمان

(١) انظر الكامل (٥٩٦/١) المتظم (٣٧٤/٢).

قُصِيَّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غالب بن فهر: عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أمية، معه امرأته: رُقَيَّة بنتُ رسول الله - ﷺ - ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: أبو حذيفة بن عُثْبَة بن رَبِيعَة بن عَبْد شمس، معه امرأته: سَهْلَة بنت سُهَيْل بن عمرو، أحد بني عامر بن لُؤَيِّ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة. ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الزبير بن العوام بن حُوَيلِد بن أسد. ومن بني عبد الدار بن قصي: مُضْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عَبْد مناف بن عبد الدار. ومن بني زُهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عَوْف بن عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة. ومن بني مَخْزُوم بن يَقْظَة بن مُرَّة: أبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم، معه امرأته أُم سَلَمَة بنت أبي أمية بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم. ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصيص بن كعب: عثمان بن مَظْعُون بن حَبِيب بن وَهَب بن حُذافة بن جُمَح. ومن بني عدي بن كعب: عامر بن رَبِيعَة، حليف آل الخطَّاب، من عَنَز بن وائل معه امرأته: لَيْلى بنت أبي حُثْمَة بن حُذَيْفَة بن غانم بن

ولدت رقية لعثمان ابنة عبد الله، وبه كان يكتنى، ومات عبد الله وهو ابن ست سنين، وكان سبب موته أن ديكاً نقره في عينه، فتورم وجهه فمرض، فمات. وذلك في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، ثم كُتِيَ بعد ذلك أبا عمرو، وهذا هو عبد الله الأصغر. وعبد الله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت غَزْوَان، وأكبر بنيه بعد هذين: عمرو، ومن بنيه عُمَر وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأبان، وفي السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت من أحسن البشر، وأن رجالاً من الحبشة رأوها بأرضهم، فكانوا يُدْرِكُلُون^(١) إذا رأوها إعجاباً منهم بحُسنها، فكانت تتأذى بذلك، وكانوا لا يستطيعون لغربتهم أن يقولوا لهم شيئاً، حتى خرج أولئك النفر مع التَّجَاشِي إلى عدوه الذي كان ثار عليه، فقتلوا جميعاً، فاستراحت منهم، وظهر لنجاشي على عدوه، وروى الزبير في حديث أسنده أن رسول الله - ﷺ - بعث رجلاً بِلُطْفٍ إلى عثمان ورقية، فاحبس عليه الرسول، فقال له عليه السلام: «إن شئت أخبرتكم ما حبسكم»، قال: نعم، قال: وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما».

وذكر ابن إسحق تسمية المهاجرين إلى أرض الحبشة، وقد تقدم التعريف ببعضهم، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصي، وأنه رأى نوراً خرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة، حتى رأوا البشر فيها، فقص رؤياه، ف قيل له: هذه بشر بني عبد المطلب، وهذا النور فيهم يكون، فكان سبباً لبداره للإسلام.

(١) يدركلون: أي يرقصون.

عامر بن عبد الله بن عَوْف بن عبيد بن عُوَيْج بن عدي بن كعب. ومن بني عامر بن لُؤَيّ أبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العُزَى بن أبي قَيْس بن عبد وَدّ بن نُضْر بن مالك بن حِسل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر.

ويقال: هو أول مَنْ قَدِمَهَا. ومن بني الحارث بن فهر: سهيل ابن بيضاء، وهو: سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث. فكان هؤلاء العشرة أول مَنْ خَرَجَ من المسلمين إلى أرض الحبشة، فيما بلغني.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر لي بعض أهل العلم. قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وتتابع المسلمون، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم مَنْ خرج بأهله معه، ومنهم مَنْ خرج بنفسه لا أهل له معه.

المهاجرون من بني هاشم وبني أمية:

ومن بني هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، معه امرأته: أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خُثَعم، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر، رجل.

ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته: رقية ابنة رسول الله ﷺ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، معه امرأته: فاطمة بنت صَفْوَان بن أمية بن مُحَرِّث بن حَمَل بن شِقْ بن

رؤيا سعد وخالد ولدي العاص:

وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه، وأن عمراً هو الذي عبّرها له، وهذا هو الصحيح فيها، والله أعلم، وأما أخوه خالد بن سعيد، فكان يرى - قبل أن يسلم - نفسه قد أشفى على نار تأجّج، وكان رسول الله ﷺ - قد أخذ بِحُجْرَتِهِ^(١)، يصرفه عنها، فلما استيقظ علم أن نجاته من النار على يدي رسول الله ﷺ - فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بِمِقْرَعَةٍ، حتى كسرها على رأسه، وحلف ألا ينفق عليه، وأغرى به إخوته، فطردوه وآذوه،

(١) أي بمقدار إزاره.

رَقَبَةُ بْنُ مُنْخَلِجِ الْكِنَانِيِّ، وَأَخُوهُ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ: أُمَيْنَةُ بِنْتُ خَلْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ بَيَاضَةَ بْنِ سُبَيْعِ بْنِ جُعْثَمَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مُلَيْحِ بْنِ عَمْرٍو، مِنْ خِرَاعَةٍ.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَيْنَةُ بِنْتُ خَلْفٍ.

قال ابن إسحاق: ولدت له بأَرْضِ الْحَبَشَةِ سَعِيدُ بْنُ خَالِدٍ، وَأُمَةٌ بِنْتُ خَالِدٍ، فَتَزَوَّجَ أُمَّةً بَعْدَ ذَلِكَ الزَّيْبُرُ بْنُ الْعَوَامِ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَمْرٍو بْنُ الزَّيْبُرِ، وَخَالِدُ بْنُ الزَّيْبُرِ.

المهاجرون من بني أسد وبني عبد شمس:

ومن حلفائهم، من بني أسد بن خزيمة: عبد الله بن جَحْشٍ بن رِثَابٍ بن يَغْمَرِ بن صَبْرَةَ بن نَزْرَةَ بن كَبِيرِ بن غَنَمِ بن دُودَانَ بن أَسَدٍ؛ وَأَخُوهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بن جَحْشٍ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ: أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بن حَرْبِ بن أُمَيَّةَ، وَقَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ بَرَكَةُ بِنْتُ يَسَارٍ، مَوْلَاةُ أَبِي سُفْيَانَ بن حَرْبِ بن أُمَيَّةَ، وَمُعَيْقِبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ، وَهَؤُلَاءِ آلُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، سَبْعَةٌ نَفَرٌ.

قال ابن هشام: مُعَيْقِبُ مِنْ دَوْسٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عَبْدِ شَمْسٍ بن عَبْدِ مَنَافٍ، أَبُو حُدَيْفَةَ بن عُثْبَةَ بن رَبِيعَةَ بن عَبْدِ شَمْسٍ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ اللَّهِ بن قَيْسٍ حَلِيفُ آلِ عُثْبَةَ بن رَبِيعَةَ، رَجُلَانِ.

المهاجرون من بني نوفل وبني أسد:

ومن بني نَوْفَلِ بن عَبْدِ مَنَافٍ: عُثْبَةُ بن عَزْوَانِ بن جَابِرِ بن وَهَبِ بن نَسِيبِ بن مَالِكِ بن الْحَارِثِ بن مَازِنِ بن مَنصُورِ بن عِكْرَمَةَ بن خَصْفَةَ بن قَيْسِ بن عَيْلَانَ، حَلِيفُ لَهُمْ، رَجُلٌ.

ومن بني أَسَدِ بن عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بن قُصَيٍّ: الزَّيْبُرُ بْنُ الْعَوَامِ بن خُوَيْلِدِ بن أَسَدٍ، وَالْأَسَدُ بْنُ نَوْفَلِ بن خُوَيْلِدِ بن أَسَدٍ، وَيَزِيدُ بن زَمْعَةَ بن الْأَسَدِ بن الْمُطَّلَبِ بن أَسَدٍ. وَعَمْرٍو بن أُمَيَّةَ بن الْحَارِثِ بن أَسَدٍ، أَرْبَعَةٌ نَفَرٌ.

فَانْقَطَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ - كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ - وَأَبُوهُ سَعِيدُ بْنُ الدَّائِصِيِّ أَبُو أَحْيَحَةَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْقَائِلُ:

أَبُو أَحْيَحَةَ:

أَبُو أَحْيَحَةَ مَنْ يَغْتَمُّ عِمَّتَهُ يُضْرَبُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَا عَدَدٍ

المهاجرون من بني عبد بن قصي وعبد الدار ولدي قصي:

ومن بني عَبد بن قُصَيّ: طُليب بن عُمر بن وهب بن أبي كثير بن عبد [بن قُصَيّ] رجل.

ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: مُضْعَب بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسُوَيْط بن سَعْد بن حَزْملة بن مالك بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار، وَجَهْم بن قَيْس بن عبد شَرَحْبِيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار معه امرأته أم حَزْملة بنت عبد الأسود بن جَذِيمَة بن أَقَيْش بن عامر بن بِياضَة بن سُبَيْع بن جُعْثَمَة بن سَعْد بن مُلَيْح بن عمرو، من خِزَاعَة، وابناه: عَمْرُو بن جَهْم وخُزَيْمَة بن جَهْم، وأبو الرُّوم بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وفِرَاس بن الثُّضَر بن الحارث بن كَلْدَة بن عُلْقَمَة بن عبد مناف بن عبد الدار، خمسة نفر.

المهاجرون من بني زهرة وبني هذيل وبهراء:

ومن بني زُهْرَة بن كِلَاب: عبد الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهْرَة، وعامر بن أبي وقاص، وأبو وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زُهْرَة، والمطلَب بن أزهْر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهْرَة، معه امرأته: رَمْلَة بنت أبي عَوْف بن ضُبَيْرَة بن سُعيد بن سَعْد بن سَهْم، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلَب.

ومن خُلَفائهم من هُذَيْل: عبد الله بن مَسْعُود بن الحارث بن شَمَخ بن مَخْزُوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأخوه: عُثْبَة بن مَسْعُود.

وكان إذا اغْتَمَّ لم يعتَمِ قرشي إعظامًا له، وقد قيل في عِمَّتِهِ أيضًا ما أنشده عمرو بن بحر الجاحظ^(١):

وكان أبو أحيحة قد علمتم	بمكة غير مُهْتَزَمٍ ذميم
إذا شَدَّ العَصَابَة ذات يَزْمٍ	وقام إلى المجالس والخصوم
لقد حَرَمْتُ على مَنْ كان يمشي	بمكة غير مُخْتَقِرٍ لئيم
مات أحيحة الذي كان يُكْنَى به في حرب الفِجَار، وأسلم من بنيه أربعة أبنان وخالد	

(١) في «البيان والتبيين» له الأبيات لأبي قيس بن الأسلت.

ومن بَهْرَاء: المِقْدَادُ بن عمرو بن ثَعْلَبَة بن مالك بن رَبِيعَة بن ثُمَامَة بن مَطْرُود بن عمرو بن سعد بن زُهَيْر بن لُؤَي بن ثَعْلَبَة بن مالك بن الشَّرِيد بن أَبِي أَهْوَز بن أَبِي فَاثَس بن دُرَيْم بن الْقَيْن بن أَهْوَد بن بَهْرَاء بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَة.

قال ابن هشام: ويقال هَزَل بن فاس بن ذَر، وَدَهِير بن ثور.

قال ابن إسحاق: وكان يقال له: المِقْدَاد بن الأسود بن عَبْدِ يَعْقُوث بن وهب بن عَبْدِ مناف بن زُهْرَة، وذلك أَنه تَبَّأه في الجاهلية، وحالفه، ستة نفر.

المهاجرون من بني تميم وبني مخزوم:

ومن بني تَيْم بن مَرَّة: الحارث بن خالد بن صَخْر بن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم، معه امرأته رَيْطَة بنت الحارث بن جَبَلَة بن عامر بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم، وَلَدَتْ له بَارِض الحَبْشَة موسى بن الحارث، وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم، رجلا.

ومن بني مَخْزُوم بن يَقْظَة بن مَرَّة: أَبُو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، ومعه امرأته: أُم سَلَمَة بنت أَبِي أُمَيَّة بن الْمُغِيرَة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم، وَلَدَتْ له بَارِض الحَبْشَة زينب بنت أَبِي سَلَمَة، واسم أَبِي سَلَمَة: عبد الله واسم أُم سَلَمَة: هند. وَشَمَّاس بن عثمان بن الشَّرِيد بن سُويْد بن هَرْمِي بن عامر بن مَخْزُوم.

من سيرة الشماس:

قال ابن هشام: واسم شماس: عثمان، وإنما سُمِّي شَمَّاسًا؛ لأن شماسًا من الشماسة، قَدِمَ مَكَّة في الجاهلية، وكان جميلًا فعجب النَّاس من جماله، فقال عَتَبَة بن رَبِيعَة - وكان خَالَ شماس: أَنَا آتِيكُمْ بشماس أَحْسَن منه، فجاء بَابن أُخْتَه عثمان بن عثمان، فَسُمِّي: شَمَّاسًا. فيما ذكر ابنُ شهاب وغيره.

قال ابن إسحاق: وَهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، وأخوه عبد الله بن سفيان، وهشام بن أَبِي حُذَيْفَة بن الْمُغِيرَة بن عبد الله بن

وعمر بن الحَكَم الذي سَمَّاه رسول الله - ﷺ - عبد الله، ومات أُخَيْحَة بن سعيد، والعاصي بن سعيد وغيرهما من بنيه على الكفر، قتل العاصي منهم يوم بدر كافرًا.

عُمَرُ بْنُ مَخْزُومٍ، وَسَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ.

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم ومن بني جمح:

ومن حلفائهم: مُعْتَبُ بْنُ عَوْفٍ بْنُ عَامِرٍ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَافٍ بْنِ كَلْبٍ بْنِ حَبْشَةَ ابْنِ سَلُولٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرٍو، مِنْ خُزَاعَةَ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: عَيْنَاهُ، ثَمَانِيَةٌ نَفَرٌ.

قال ابن هشام: ويقال: حُبْشِيَةُ ابْنِ سَلُولٍ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مُعْتَبُ بْنُ حَمْرَاءَ.

ومن بني جُمَحٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ هُصَيْصٍ بْنِ كَعْبٍ: عِثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ وَهَبٍ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، وَابْنُهُ: السَّائِبُ بْنُ عِثْمَانَ، وَأَخُوهُ: قُدَامَةُ بْنُ مَطْعُونٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَطْعُونٍ، وَحَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مَعْمَرٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ وَهَبٍ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُجَلَّلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضَرَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ جَسَلٍ بْنِ عَامِرٍ، وَابْنَاهُ: مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ حَاطِبٍ، وَهُمَا لَبِنَتِ الْمُجَلَّلِ، وَأَخُوهُ: حَطَّابُ بْنُ الْحَارِثِ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ، وَسُفْيَانُ بْنُ مَعْمَرٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ وَهَبٍ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، مَعَهُ ابْنَاهُ جَابِرُ بْنُ سُفْيَانَ، وَجُنَادَةُ بْنُ سُفْيَانَ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ حَسَنَةُ، وَهِيَ أُمُّهُمَا، وَأَخُوهُمَا مِنْ أُمِّهِمَا: شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، أَحَدُ الْغُوْثِ.

قال ابن هشام: شُرَحْبِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدُ الْغُوْثِ بْنِ مُرٍّ، أَخِي تَمِيمٍ بْنِ مُرٍّ.

المهاجرون من بني سهم وبني عدي وبني عامر:

قال ابن إسحاق: وَعِثْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ أَهْبَانَ بْنِ وَهَبٍ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، أَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا.

أُمَةُ بِنْتُ خَالِدٍ وَأَبُوهَا:

وَذَكَرَ أُمَةُ بِنْتُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ التِّي وَلَدَتْ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ، قَالَ: وَتَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ، وَهِيَ الَّتِي كَسَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَهِيَ صَغِيرَةٌ، وَجَعَلَ يَقُولُ: سَنَاءُ، سَنَاءُ يَا أُمَّ خَالِدًا! أَيْ: حَسَنٌ حَسَنٌ^(١) بِلُغَةِ الْحَبْشَةِ، وَكَانَتْ قَدْ تَعَلَّمَتْ لِسَانَ الْحَبْشَةِ؛ لِأَنَّهَا وَلَدَتْ بِأَرْضِهِمْ، وَوُلِدَتْ لِلزُّبَيْرِ عَمْرًا وَخَالِدًا، يَقَالُ: إِنَّ أَبَاهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَاتَ بِأَجْنَادَيْنِ شَهِيدًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى صَنْعَاءَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٩٠/٤) وَأَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ (٩٢٤/٢) وَأَحْمَدُ (٣٦٥/٦).

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب: خنيس بن حُذافة بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهْم، وعبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سهل، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سَهْم.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سَهْم.

قال ابن إسحاق: وقَيْس بن حُذافة بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهْم، وأبو قيس بن الحارث بن قَيْس بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سَهْم، وعبد الله بن حُذافة بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهْم، والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهْم، ومَعمر بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهْم، وبِشر بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهْم، وأخ له من أمه من بني تميم، يقال له: سعيد بن عمرو، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سَهْم، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سَهْم، وعُمير بن رِثاب بن حُذيفة بن مُهْشَم بن سعد بن سَهْم، ومَخْمِيَّة بن الجِزاء، حليف لهم، من بني زُبَيْد، أربعة عشر رجلاً.

ومن بني عدي بن كعب: مَعْمَر بن عبد الله بن نُضلة بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عُبَيْد بن عُويج بن عدي، وعروة بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عُبَيْد بن عُويج بن عدي، وعدي بن نُضلة بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عُبَيْد بن عُويج بن عدي، وابنه النعمان بن عدي، وعامر بن ربيعة، حليف لآل الخطَّاب، من عَتْرِ بن وائل، معه امرأته: ليلي بنت أبي حثمة بن غانم. خمسة نفر.

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: أبو سَبْرَةَ بن أبي رُهْم بن عبد العزى بن أبي قَيْس بن عبد وَدَّ بن نُضْر بن مالك بن حِجْل بن عامر، معه امرأته: أم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدَّ بن نصر بن مالك بن حِجْل بن عامر، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزى بن أبي قَيْس بن عبد وَدَّ بن نصر بن مالك بن حِجْل بن عامر، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدَّ بن نُضْر بن مالك بن حِجْل بن عامر، وسَلِيط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدَّ بن نُضْر بن مالك بن حِجْل بن عامر، وأخوه: السَّكران بن عمرو، معه امرأته: سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس بن

واليمن، فلما توفي رسول الله - ﷺ - أراد أبو بكر أن يستعمله، فقال: لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله - ﷺ - أبداً، ويروى أن أباه سعيد بن العاصي مرض، فقال: إن رفعني الله من مرضي لا يعبد إله ابن أبي كَبْشَة بمكة أبداً، فقال ابنه خالد: اللَّهُمَّ لا ترفعه فهلك مكانه، نهؤلاء بنو سعيد بن العاصي بن أمية:

عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن جِسل بن عامر، ومالك بن زَمْعَةَ بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن جِسل بن عامر، معه امرأته: عَمْرَة بنت السَّعْدِي بن وَقْدَان بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن جِسل بن عامر، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن جِسل بن عامر، وسعد بن خَوْلَة، حليف لهم. ثمانية نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خَوْلَة من اليمن.

المهاجرون من بني الحارث:

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فِهْر: أبو عبيدة بن الجراح، وهو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر، وسُهَيْل ابن بَيْضَاء، وهو: سُهَيْل بن وَهْب بن رَبِيعَة بن هلال بن أَهْيَب بن ضَبَّة بن الحارث، ولكن أمه غلبت على نَسبه، فهو ينسب إليها، وهي: دَعْد بنت جَحْدَم بن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث بن فِهْر، وكانت تدعى: بَيْضَاء، وعمرو بن أبي سَرْح بن رَبِيعَة بن هلال بن أَهْيَب بن ضَبَّة بن الحارث، وعِيَاض بن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد بن رَبِيعَة بن هلال بن أَهْيَب بن ضَبَّة بن الحارث، ويقال: بل رَبِيعَة بن هلال بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد بن رَبِيعَة بن هلال بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث، وعثمان بن عُبْد غَنَم بن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد بن رَبِيعَة بن هلال بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيْط بن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث بن فِهْر، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيْط بن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث بن فِهْر. ثمانية نفر.

عبد شمس:

وعثمان: هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال، وأما عَبْ شمس بن سَعِيد بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم، فقال فيه أبو عبيد والْقَتَيْبِي: عبد شمس كما في الأول. وقال أكثر الناس فيه: عَبْ شمس، ثم اختلفوا في معناه، فقليل، معناه: عبد شمس، لكن أدغمت الدال، وقيل: بل [عَبْ شَمْسٍ و] عَبْ الشمس هو صَوْرُهَا أو صِفَاؤُهَا، وقيل في المثل: هو أبرد من عَبَقْرَ أي: البَرْدُ، وبعضهم يقول: وهو المبرد: من عَبْ قُرَ أي: بياض قُرَ، ومن حَبْ قُرَ أيضًا. وفيه قول ثالث: أعني: عَبْ شَمْسٍ. وهو مروى عن ابن عمر. وقال معناه: عَبْء شمس بالهمز. ثم حُذِفَت الهمزة تسهيلًا. وَعَبْء الشمس. وعَبَّوها مثله.

عدد الذين هاجروا إلى الحبشة

فكان جميع مَنْ لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارًا وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلًا، إن كان عَمَّارُ بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه.

من شعر الهجرة الحبشية

وكان مما قيل من الشعر في الحبشة، أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سَهْم، حين آمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جِوار النجاشي، وعبدوا الله، لا يخافون على ذلك أحدًا، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به، قال:

يا راكبًا بَلَّغْنِي عَنِّي مُغْلَعَلَةً مَنْ كان يرجو بلاغَ الله والدينِ

عمَّار لم يهاجر إلى الحبشة

وشك ابن إسحق في عَمَّار بن ياسر: هل هاجر إلى أرض الحبشة، أم لا. والأصح عند أهل السَّيَر كالواقدي وابن عُقْبَةَ. وغيرهما أنه لم يكن فيهم.

حول بني الحارث بن قيس:

وذكر ابن إسحق من بني الحارث بن قيس مَنْ هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث. وذكره الواقدي وغيره. والحارث بن قيس كان أبوه من المستهزئين الذي أنزل الله فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

حول بني زهرة وطليب بن عبد:

وذكر من بني زهرة مَنْ هاجر إلى أرض الحبشة، وهم ستة نفر، ولم يذكر السابع، وهو: عَبْدُ اللَّهِ بن شهاب جَدُّ مُحَمَّد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، وكان اسمه: عبد الجان، فسماه رسول الله ﷺ: عبد الله مات بمكة بعد الفتح وأخوه: عبد الله الأصغر شهد أُنْحَدًا مع المشركين، ثم أسلم.

وذكر المطلب بن عبد عوف ولم يذكر أخاه طليبا، وكلاهما هاجر إلى أرض الحبشة، ومات فيها، وهما أخوا أزهري بن عبد عوف.

من شعر الهجرة الحبشية ومسائله النحوية

فصل: وأنشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في أرض الحبشة، وفيه قوله:

كل امرئ من عباد الله مضطهد
أنا وجذنا بلاد الله واسعة
فلا تقيموا على ذل الحياة، وجز
إننا تبعنا رسول الله، وأطرحوا
فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا
ببطن مكة مفهور ومفتون
تُنْجِي مِنَ الذَّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالْهُونِ
ي فِي الْأَمَمَاتِ، وَعَيْبٍ غَيْرِ مَأْمُونِ
قول النبي، وعالوا في الموازين
وعائذا بك أن يغلوا فيطغوني

أَلْحَقْ عَذَابَكَ^(١) بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَغَوْا وَعَائِذَا بِكَ أَنْ يَغْلُوا فَيُطْغُونِي

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك إظهاره، وذلك لحكمة، وهي أن الفعل لو ظهر لم يخل أن يكون ماضيًا أو مستقبلًا، فالماضي يوهم الانقطاع، والمتكلم إنما يريد أنه في مقام العائد، وفي حال عود، والفعل المستقبل أيضًا يؤذن بالانتظار، وفعل الحال مشترك مع المستقبل في لفظ واحد، وذلك يوهم أنه غير عائد، فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدل على ما يريد، فإن عائذا كقائم وقاعد، وهو الذي يسمى عند الكوفيين: الدائم، فالقائل: عائذا بك يا رب، إنما يريد: أنا في حال عياد بك، والعامل في هذه الحال: تكلمه ونداؤه، أي: أقول قولي هذا عائذا، وليس تقديره: عدت ولا أعود، إنما يريد أن يسمعه ربه، أو يراه عائذا به.

وقوله: أن يعلو يجوز أن تكون أن مع ما بعدها في موضع نصب، وفي موضع خفض عند النحويين، أما النصب فعلى إضمار الفعل، لأنه قال: عائذا، فأعلم أنه خائف، فكانه قال: أخاف أن يعلو فيطغوني، وأما خفض فعلى إضمار حرف الجر، فكانه قال: من أن يعلو، وهو مذهب الخليل وسيبويه في أن المخففة وأن المشددة نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذِهِ أُمُتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢] تقديره: لأن هذه، وجاز إضمار حرف الجر في هذين الموضعين، وإن كانت حروف الجر لا تضم، لأنهما موصولتان بما بعدهما، فطال الاسم بالصلة، فجاز حذف الجر تخفيفًا.

ولقائل أن يقول: هذه دعوى ادّعيتم أن أن وما بعدها اسم مخفوض، وهو لا يظهر فيه الخفض، ثم بنيتم التعليل على غير أصل؛ لأن الخفض لم يثبت بعد، فنقول: إنما علمنا أنه في موضع خفض لوقوعه في موضع لا يقع فيه إلا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٩٧] ونحو قوله تعالى: ﴿أَحَقُّ أَنْ

(١) تقدم أنها: فاجعل عذابك.

وقال عبد الله بن الحارث أيضًا، يذكر نفي قُرَيْشٍ إياهم من بلادهم، ويعتاب بعضُ قومه في ذلك:

أبت كَبْدِي لا أَكْذِبُكَ قَتَالَهُمْ عَلِيٌّ، وتَأْبَاهُ عَلِيٌّ أَنَا مِلي

تقوم فيه ﴿[التوبة: ١٠٨] ونحو قوله: ﴿أَنْ تُضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨]. فقوله تعالى: ﴿أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾، معناه: بأن لا يعلموا، فلو كان قبل أَنْ فِعْلٌ لقلنا: حذف حرف الجر، فتعدى الفعل، فنصب، ولكن أجدر وأحق اسمان لا يعملان، فمن ههنا عرف النحويون أنه في موضع خفض؛ إذ لا ناصب له، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة، وأن ذلك هو الذي سَوَّغَ لهم إضمار حرف الجر، فتعليل مدخول، ينتقض عليهم بالأسماء الموصولة كالذي ومن وما، فإنها قد طالت بالصلة، ومع ذلك لا يجوز إضمار حرف الجر فيها، لا تقول: خرجت ما عندك، ولا هربت الذي عندك أي: من الذي عندك، وتقول: خرجت أن يراني زيد، وفررت أن يراني عمرو، أي: من أن يراني، ولأن يراني بدل، على أن العلة غير ما قالوا، وهي أَنَّ أَنْ مع الفعل ليس باسم محض، وإنما هو في تأويل اسم، والاسم المحض ما دلَّ عليه حرف الجر، فلا بدَّ إِذَا من إظهار حرف الجر إذا جئت به؛ لأنه اسم قابل لدخول الخوافض عليه، وأما أَنْ فحرف محض لا يصحَّ دخول حرف جرٍّ عليه، ولا على الفعل المتصل به فلا تقول: هو اسم مخفوض، إنما هو في تأويل اسم مخفوض، فمن ههنا فرقت العرب بينه، وبين غيره من الأسماء، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهرًا جاز، لأنه في تأويل اسم، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضًا التفاتًا إلى أن الحرف الجر لا يدخل على الحرف، ولا على الفعل فحسن إسقاطه مراعاة للفظ أَنْ، ولللفعل الفعل، وقلنا: هو في موضع خفض على معنى أن الكلام يؤول إلى الاسم المخفوض، لا أنه يظهر فيه خفض، أو يقدر تقدير المبني الذي منعه البناء من ظهور الخفض فيه، حتى يشبه أَنْ فنقول: هو اسم مبني على السكون، لا بل نقول: هي حرف، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر، لا مضمرة ولا مظهرًا، وإنما هو تقدير في المعنى، لا في اللفظ، فافهمه.

لا يضاف اسم إلى أن المصدرية:

فصل: واعلم أنَّ [أَنْ] التي في تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم. تقول: هذا موضع أن تقعد ويوم خروجك، ولا تقول: يوم أن تخرج؛ لأنها ليست باسم كما قدمنا، وإنما تضاف إلى الأسماء المحضة، لا إلى التأويل، ولا يضاف إليها أيضًا اسم الفاعل، لا بمعنى المُضِيِّ، ولا بمعنى الاستقبال، ولا المصدر إلا على وجه واحد نحو: مخافة أن تقوم، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن وما بعدها، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل، فلا يجوز ذلك.

وَكَيْفَ قَتَالِي مَعْشَرًا أَذْبُوكُمْ عَلَى الْحَقِّ أَنْ لَا تَأْثِيبُوهُ بِبَاطِلٍ
نَفَثْتُمْ عِبَادُ الْجَنِّ مِنْ حُرِّ أَرْضِهِمْ فَأُضَحَّوْا عَلَى أَمْرِ شَدِيدِ الْبَلَابِلِ
فَإِنْ تَكُ كَانَتْ فِي عَدِي أَمَانَةٌ عَدِي بِنِ سَعْدٍ عَنْ ثَقَى، أَوْ تَوَاصِلِ

وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو: يسرني أن تقوم، وأما مع المصدر مضافاً إليها فلا، وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معاً، وكل هذا الأسرار بديعة موضعها غير هذا، لكني أقول ههنا قولاً لاثقاً بهذا الموضع، فإني لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر، في أن وإن إلا مساعدة لمن تقدم، فعليه بنيت التعليل والتأصيل، وإذا أبيت من التقليد فلا إضمار لحروف الجر فيها، إنما هو النصب بفعل مضمر أو مظهر، أما قوله تعالى: ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ فإنما لما قال أحق علم أنه يوجب عليه أن يقوم فيه، وكذلك أجدر ألا يعلموا، ومعنى أجدر: أخلق وأقرب، ولما ثبتت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعلموا؛ فصار منصوباً في المعنى، ولو جئت بالمصدر الذي هو اسم محض نحو: القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل؛ لأن أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان إلى ما بعدهما، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق، فقلت: أحق قيامك، لانقلب المعنى.

ولو نصبته بإضمار الفعل الذي أضمرت مع أن لم يكن دليل عليه؛ لأن الاسم يطلب الإضافة، فيمنع من الإضمار والنصب، وإذا وقعت بعده لم يطلب الإضافة؛ لما قدّمناه من امتناع إضافة الأسماء إليها، وإنما اخترنا هذا المذهب، وأثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض؛ لأننا قد نجدنا في مواضع مجرورة، ولا يجوز إضمار حرف الجر، كقولك: سر إلى أن تطلع الشمس، ولا يجوز إضمار إلى ههنا، وكذلك تقول: هذا خير من أن تفعل كذا، ولا يجوز أيضاً إضمار من، ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لأطرد جواز ذلك فيها على الإطلاق، وإنما هي أبداً إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهراً مفعولة بفعل مضمر، وقد تكون فاعلة، ولكن بفعل ظاهر نحو: يعجبني أن تقوم، وأما خرجت أن أرى زيداً فعلى إضمار الإرادة والقصد، كأنك أردت: أن أراه، أو أن لا أراه؛ لأن كل من فعل فعلاً، فقد أراد به أمراً ما، لكنك إن جعلت مكانها المصدر لم يجز الإضمار أو قبُح؛ لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة إذا كانت متعدية، وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية، وأن مع الفعل لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة، تقول: رأيت قيام زيد، ولا تقول: أن يقوم، وسمعت كلامك، ولا تقول: سمعت أن تتكلم، وإنما يتعلق بها، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو: خفت واشتيت وكرهت، وما كان في معنى هذا أو قريباً منه، فإذا سمع المخاطب أن مع الفعل لم يذهب وَهْمُهُ بحكم العادة إلا إلى هذه المعاني، فإن كانت ظاهرة فذاك، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة، وأن الفعل الظاهر دالٌّ عليها،

فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم
 وبُذلت شِبلاً شبل كل خبيثة
 وقال عبد الله بن الحارث أيضاً:
 وتلك قُرَيْشٌ تَجَحَّدُ الله حَقَّهُ
 كما جَحَدَتْ عادٌ ومَدْيَنُ والحِجْرُ
 فإن أنا لم أبرق فلا يَسَعُنِي
 من الأرض بَرٌّ ذو قُضَاءٍ ولا بحر

وغيرها من الأسماء ليس كذلك، إذا وقع قبلها فعل من أفعال الجوارح الظاهرة، وقع عليها إن كان متعدياً أو وصل بحرف، إن كان غير متعدٍّ، ومنع من الإضمار أنه لفظي، والإضمار معنوي إلا في باب للمفعول من أجله، وقد قدّمنا فيه سرّاً بديعاً فيما سبق من هذا الكتاب.

فصل: وأنشد لعبد الله بن الحارث شعراً فيه:

كما جَحَدَتْ عادٌ ومَدْيَنُ والحِجْرُ

أما عاد فقد تقدم نسبها، وأما الحِجْرُ فليست بأمة، ولكنها ديار ثمود. أراد: أهل الحجر، وأما مَدْيَنُ فأمة شعيب، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام، وأمهم: قطورا بنت يَفْطَانَ الكنعانية، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم، وقد سمّيناهم في كتاب التعريف والإعلام، وفي أول هذا الكتاب.

وفيه أيضاً قوله: فإن أنا لم أبرق فلا يَسَعُنِي. البيت، قال: وبه سمي المُبْرَق، قال المؤلف: وفي هذا حجة على الأَضْمَعِيِّ حين منع أن يقال: أرعد وأبرق، وذكر له قول الكُمَيْت:

أزْعَد وأبرق يا يزيد

فلم يره حجة، [وقال: الكميت جُزْمَقَانِيٌّ من أهل الموصل] ليس بحجة، وألحقه بالمحدثين لتأخر زمانه، كما فعل بذِي الرُّمَّة حين احتج عليه بقوله:

ذو رُؤْجَةٍ بالمِضَرِّ أم ذو خُصُومَةٍ

فأبى أن يقول: زوجة بهاء التأنيث، وقال: طالما أكل ذو الرُّمَّة الزيت في حوانيت البقالين، وبيت المُبْرَق في هذا حجة بلا خلاف، وقد وجد أزْعَد وأُبرَق في غير هذا البيت، مما تقوم به الحجة أيضاً، وبيت المُبْرَق هذا يحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون من أبرق في الأرض إذا ذهب بها لا من أرعد وأبرق، وكذلك وجدته في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوباً للمُضْعَب، قال: الإبراق: الذهاب، وفي العين: أبرقت الناقة بذنبها إذا ضربت

بَازِضٍ بِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ أَبَيْتَ مَا فِي النَّفْسِ إِذْ بَلَغَ النَّفْرُ

فَسَمِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - لَبِيْتَهُ الَّذِي قَالَ: الْمُبْرِقُ .

وقال عثمان بن مَظْعُونٍ يُعَاتِبُ أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ بْنِ وَهْبٍ بْنِ خُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ، وَكَانَ يُؤْذِيهِ فِي إِسْلَامِهِ، وَكَانَ أُمِّيَّةً شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ:

أَتَيْمَ بْنَ عَمْرِوٍ لِلَّذِي جَاءَ بِغُضَّةٍ وَمِنْ دُونِهِ الشَّرْمَانِ وَالْبَرْكَ أَكْتَعُ

به يمينًا وشمالاً، وهو في معنى الذهاب في الأرض، لأنه جَوْلَانٌ فيها، وهي البروق، قال نَهْشَلُ بْنُ دَارِمٍ لِأَخِيهِ سَلِيْطٍ - وَقَدْ لَامَهُ عَلَى تَرْكِ الْكَلَامِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ: لَا أَحْسَنَ تَأَنَّمَكُ، وَلَا تَكْذَابَكَ، تَشُولُ بِلِسَانِكَ شَوْلَانُ الْبَرْوقِ. وَذَكَرَ فِي الشَّعْرِ:

يَلِينُ مَا فِي النَّفْسِ إِذْ بَلَغَ النَّفْرُ

وَيُرَوَّى: يُلَيِّنُ مَا فِي الصَّدْرِ. وَالنَّفْرُ: الْبَحْثُ عَنِ الشَّيْءِ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ فِيهِ: التَّنْقِيرُ، وَاسْتَشْهَدَ عَبْدُ اللَّهِ الْمُبْرِقُ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ، وَكَانَ أَبُوهُ الْحَارِثُ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَكَانَ جَدُّهُ قَيْسُ أَعْرَ قَرِيْشٍ فِي زَمَانِهِ، يُرَوَّى أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ كَانَ يُتَفَرِّزُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَالِدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ طِفْلٌ، فَيَقُولُ:

كَأَنَّهُ فِي الْعِزِّ قَيْسُ بْنُ عَدِيٍّ فِي دَارِ قَيْسِ التُّدِيٍّ يَنْتَدِي

قَالَ الزَّيْبِرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ.

حول لام التعجب:

فصل: وذكر شعر عثمان بن مَظْعُونٍ:

أَتَيْمَ بْنَ عَمْرِوٍ لِلَّذِي جَاءَ بِغُضَّةٍ

أَرَاهُ: عَجَبًا لِلَّذِي جَاءَ، وَالْعَرَبُ تَكْتَفِي بِهَذِهِ اللَّامِ فِي التَّعْجِبِ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِهَذَا الْعَبْدِ الْحَبَشِيِّ جَاءَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا، قَالَ فِي عَبْدٍ حَبَشِيٍّ دُفِنَ بِالْمَدِينَةِ، وَقَالَ فِي جَنَازَةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى قَبْرِهِ، وَتَقَهَّقِرُ ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ لِهَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ضُمَّ عَلَيْهِ الْقَبْرُ ثُمَّ فَرَجَ عَنْهُ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ أَقْوَالٌ مِنْهَا: أَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِمَعْنَى التَّعْجِبِ، كَأَنَّهُ قَالَ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قَرِيْشٍ، وَبِغُضَّةٍ نُصِبَ عَلَى التَّمْيِيزِ كَأَنَّهُ قَالَ: يَا عَجَبًا لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ بَغْضَةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مِنْ أَجَلِهِ، وَرَوَى الزَّيْبِرُ هَذَا الْبَيْتَ:

أَتَيْمَ بْنَ عَمْرٍِ لِلَّذِي فَارَ ضِغْنُهُ

أَخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمِنًا وَأَسْكَنْتَنِي فِي صَرْحٍ بِيضَاءَ تَقْدَعُ
تَرِيشَ نِبَالًا لَا يُوَاتِيكَ رِيشُهَا وَتَبْرِي نِبَالًا رِيشُهَا لَكَ أَجْمَعُ

من معاني شعر ابن مظعون:

وكذلك رُوِيَ في هذا الشعر: في صرح بَيْطَاءَ تُقْدَعُ بالطاء وفتح الباء وكسرهما، وقال بَيْطَاء: اسم سفينة، وتُقْدَعُ بالبدال، أي: تدفع، وزعم أن تَيْمَ بن عمرو وهو جُمَحَ سُمِّي جُمَحًا؛ لأن أخاه سهم بن عمرو - وكان اسمه زيدًا - سابقه إلى غاية، فَجَمَحَ عنها تيم، فَسُمِّي جُمَحًا، ووقف عليها زيد، فقليل: قد سَهَمَ^(١) زَيْدٌ فَسُمِّي: سَهَمًا.

وقوله: ومن دوننا الشَّرْمَان. الشَّرم: البحر، وقال الشَّرْمَان بالتثنية؛ لأنه أراد البحر المِلْح، والبحر العَذْب، وفي التَّنْزِيل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ والشَّرْمُ من: شَرَمْتُ الشيء إذا خَرَفْتُهُ، وكذلك البحر من بَحَزْتُ الأرض إذا خرقتها، ومنه سُمِّيَتِ الْبَحِيرَةُ لَخَرَقِ أَذْنِهَا وَالْبَرْكُ: ما اطمان من الأرض واتسع، ولم يكن متصبًا كالجبال.

وقوله: في صرح بيضاء. يريد: مدينة الحبشة، وأصل الصُّرْح: القصر، يريد: أنه ساكن عند صَرْحِ النَّجَاشِيِّ.

وقوله: تُقْدَعُ أي: تُكْرَهُ، كأنه من أقدعت الشيء، إذا صادفته قَدْعًا ويقال أيضًا: قَدَعْتُ الرَّجُلَ إذا رميته بالفحش، يريد أن أرض الحبشة مقذوعة، وأحسب هذه الرواية تصحيحًا، والصحيح: ما قَدَمْنَاهُ من قول الزبير وروايته، وأنه بَيْطَاءُ بالطاء، وتُقْدَعُ بالبدال.

وقوله: وأسلمك الأوباش يريد أخلاطًا من النحاس، يقال: أوشاب وأوباش، والأوباش أيضًا شجر متفرق، والوَبْشُ بياض في أظفار الأحداث.

أنساب:

وذكر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة من بني عدي: مَعْمَر بن عبد الله بن نُضْلَةَ، وقال فيه علي بن المَدِينِي: إنما هو: مَعْمَر بن عبد الله بن نافع بن نُضْلَةَ.

وقال ابن إسحاق: نُضْلَةُ بن عبد العزى بن حُرْثَانَ بن عَوْف بن عُيَيْد وفي حاشية كتاب الشيخ قال: إنما هو نُضْلَةُ بن عوف بن عُيَيْد بن عَوْج، وذكر أنه قولٌ مضطرب في كتاب

(١) سهم: السين والهاء والميم أصلان. أحدهما يدل على تغير في اللون، والآخر على حظ ونصيب وشيء من الأشياء. فالسهمَة النصيب. ويقال: أسهم الرجلان: إذا اقترعا، وذلك من السهمة، والنصيب والفوز. مقياس اللغة (١١١/٣).

وَحَارَبْتَ أَقْوَامًا كِرَامًا أَعِزَّةً وَأَهْلَكَتَ أَقْوَامًا بِهِمْ كُنْتَ تَفْزَعُ
سَتَعْلَمُ إِنَّ نَابِتَكَ يَوْمًا مُلِمَّةً وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشَ مَا كُنْتَ تَضْنَعُ

النسب^(١). وذكر في بني عدي: عُرْوَةُ بن عَبْدِ الْعُزَّى بن حُرْثَانَ، كذا في كتاب المصعب إلا أنه قال: عمرو بن أبي أثانة أو عُرْوَةُ بن أبي أثانة على الشك وذكره أبو عُمَرَ في كتاب الاستيعاب فقال فيه: عروة بن أبي أثانة ويقال ابن أثانة بن عبد العزى بن حُرْثَانَ، قال: وأمه، أم عمرو بن العاصي، فهو أخوه لأُم^(٢).

قال المؤلف: وأمه اسمها: ليلي، وتلقب بالنابغة، وهي من بني ربيعة ثم من بني جَلَان قال أبو عمر: ويقال فيه: ابن أبي أثانة، قال المؤلف: وقد قَدَمْنَا أن المصعب الزبيري شك فيه، فقال: عروة، أو عَمْرُو، وأما الزبير: فقال عمرو بن أبي أثانة، ولم يشك، ثم قال أبو عمر: لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة، وذكره الواقدي، وأبو معشر وموسى بن عقبة، قال المؤلف: وهذا وهم من أبي عمر - رحمه الله - فإن ابن إسحاق ذكره فيهم، غير أنه نسبته إلى جده عبد العزى، وأسقط اسم أبيه أبي أثانة، وقال حين ذكر من هاجر من بني عدي بعد ما عَدَّ خمساً، قال: أربعة نفر، وهو وهم من ابن إسحاق، وذكر فيهم مع الخمسة: ليلي بنت أبي حَفْصَةَ امرأة عامر بن ربيعة، فهم على هذا ستة، غير أنه يحتمل أنه يريد أربعة نفر دون حليفهم عامر، وما أظنه قصد هذا؛ لأن من عادته أن يعدّ الحلفاء مع الصميم؛ لأن الدعوة تجمعهم.

أم سلمة:

وذكر أم سلمة ويعلمها أبا سلمة، توفي عنها بالمدينة، وخلف عليها رسول الله - ﷺ - وذكر اسمها هذا، وقيل في اسمها: رملة^(٣)، وأبوها أبو أمية اسمه: حُذَيْفَةُ يُعْرِفُ بِزَادِ الرَّاكَبِ.

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة، وكان اسم زينب بَرَّةً، فسماها رسول الله - ﷺ - زينب، كانت زينب هذه عند عبد الله بن زَمْعَةَ، وكانت قد دخلت على رسول الله - ﷺ - وهو يغتسل، وهي إذ ذاك طفلة، فَتَضَخَّ في وجهها من الماء، فلم يزل ماء الشباب في وجهها، حتى عجزت وقاربت المائة، وكانت من أفقه أهل زمانها، وأدركت

(١) انظر نسب قريش للزبيري (٣٨٦/٣٨٢) والجمهرة لابن حزم (١٤٧).

(٢) انظر نسب قريش (٤٠٩/٣٨١).

(٣) وفي الإصابة: هند.

إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته: مَنْ هو؟ قال: هذا إدريس - قال: يقول رسولُ الله - ﷺ -: ورفَعناه مكانًا عليًّا - قال: ثم أضعَدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كَهْلٌ أبيضُ الرأسِ واللِّحية، عَظيمُ العُتُلون، لم أرَ كَهْلًا أَجَمَلَ منه، قال: قلت: مَنْ هذا يا جبريل؟ قال: هذا المُحَبَّبُ في قومه هارون بنِ عِمران، قال: ثم أضعَدني إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجل آدمٌ طویلٌ أَقْنى كأنه من رجالِ شُئوَةٍ؛ فقلت له: مَنْ هذا يا

النُّبوءة، وأهلُ التعبير يقولون: مَنْ رأى نبيًّا بعينه في المنام، فإن رؤياه تُؤدِّن بما يُشبه حال ذلك النبي من شِدَّةٍ أو رِخاءٍ أو غير ذلك من الأمور التي أَخبر بها عن الأنبياء في القرآن، والحديث، وحديثُ الإسراء كان بمكةَ وهي حَرَمُ الله وأمنه وَقُطَّأَتْها جيرانُ الله، لأن فيها بيته، فأول ما رأى عليه من الأنبياء آدم الذي كان في أَمْنِ الله وجوارِهِ، فأخرجه عدوُّه إبليسُ منها، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي - ﷺ - حين أخرجَه أعداؤه من حَرَمِ الله وجوارِ بيته، فَكَرَبَه ذلك وَعَمَّه. وأشبِهُت قصته في هذا قصة آدم، مع أن آدم تُغَرِّضُ عليه أرواحُ ذريته البَرِّ والفاجر منهم، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين، لأن أرواحَ أهلِ الشقاء لا تَلِجُ في السماء، ولا تُفْتَحُ لهم أبوابُها كما قال الله تعالى، ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى وهما المَمْتَحَنان باليهود، أما عيسى فكذبته اليهودُ وأَذَنه، وهُمُوا بقتله فرفعه الله، وأما يحيى فقتلوه، ورسولُ الله - ﷺ - بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان، وكانت محنته فيها باليهود، آذَوْه وظَاهَرُوا عليه وَهُمُوا بِاللقاءِ الصَّخْرةِ عليه، ليقتلوه فَنَجَّاهُ الله تعالى كما نَجَّى عيسى منهم، ثم سَمَّوه في الشاة، فلم تزل تلك الأَكَلَةُ تعاوده، حتى قطعت أَبْهَرُهُ^(١) كما قال عند الموت، وهكذا فعلوا بابْنِي الخالة: عيسى ويحيى، لأن أُمَّ يحيى أَسِياعُ بنتُ عُمُران أختُ مريم، أمهما: حَتَّة، وأما لقاءُه ليوسفَ في السماء الثالثة، فإنه يُؤدِّن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف، وذلك بأن يوسف ظَفِرَ بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظَهْرَانِيهِمْ فصفَح عنهم، وقال: ﴿لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، وكذلك نبينا - عليه السلام - أَسَرَ يوم بدرٍ جُمْلَةً من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباسُ، وابن عمه عَقِيل، فمنهم مَنْ أطلق، ومنهم مَنْ قَبِلَ فداءه، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عامُ الفتح فجمعهم، فقال لهم: أقول ما قال أخي يوسف لا تُثْرِبَ عليكم اليوم، ثم لقاءُه لإدريسَ في السماء الرابعة، وهو المكان الذي سماه الله مكانًا عليًّا، وإدريس أول مَنْ آتاه الله الخطَّ بالقلم، فكان ذلك مُؤدِّنًا بحالة رابعة، وهي عُلوُّ شأنه - عليه السلام - حتى أخاف الملوكَ وكتب إليهم يدعُوهم إلى طاعته، حتى قال أبو سفيان، وهو عند ملك الروم، حين جاءه كتابُ للنبي - عليه السلام -، ورأى

(١) الأبهَر: عرق في الظهر.

جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران. ثم أضعديني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كَهْلٌ جالس على كرسيٍّ إلى باب البيت المعمور، يدخله كلُّ يوم سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة. لم أَر رجلاً أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه،

ما رأى من خَوْفِ هِرقل: لقد أَمَرَ أَمْرُ ابنِ أَبِي كَبْشَةَ^(١)، حتى أصبح يخافه مَلَكُ بني الأَضْفَرِ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض، فمنهم مَنْ اتَّبَعَهُ على دينه كَالنَّجَاشِيِّ، وَمَلِكُ عَمَانَ، ومنهم مَنْ هَادَنَهُ، وأهدى إليه وأتحفه كَهْرَقْلُ وَالْمُقَوْقِسُ، ومنهم مَنْ تَعَصَّى عليه، فأظهره اللَّهُ عليه، فهذا مقام عليّ، وخط بالقلم كنحو ما أُوتِيَ إدريس - عليه السلام - ولقاؤه في السماء الخامسة لهارون الْمُحَبِّبِ في قومه يؤذَن بحالٍ تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها، وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم، وكذلك غزا رسولُ الله - ﷺ - تَبُوكَ من أرضِ الشام، وظهر على صاحب دُؤْمَةَ حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيراً، وافتتح مكة، ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه، ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم - عليه السلام - لحكمتين: إحداهما: أنه رآه عند البيت المعمور مُسْنِداً ظهره إليه والبيت المعمورُ حيال مكة، وإليه تحجَّ الملائكة، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة، وأُذِنَ في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي - ﷺ - حُجُّهُ إلى البيت الحرام، وحجَّ معه نحو من سبعين ألفاً من المسلمين، ورؤية إبراهيم عند أهل التَّأْوِيلِ تؤذَن بالحج، لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوبة، فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن السؤالين المتقدمين، أحدهما: السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر، والآخر: السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة، وكان الحزْمُ تركَ التكلُّف لتأويل ما لم يرد فيه نصٌّ عن السلف، ولكن عارضَ هذا الغرض ما يجب من التفكير في حكمة الله، والتدبُّر لآيات الله، وقولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقد رُوِيَ أن «تَفَكَّرَ ساعةٌ خيرٌ من عِبَادَةٍ سَنَةٍ»^(٢) ما لم يكن النظر والتفكير مجرداً من ملاحظة الكتاب والسنة، ومقتضى كلام العرب، فعند

(١) أي ارتفع شأنه.

(٢) «ضعيف». أخرجه القرطبي في تفسيره (٣١٤/٤). وانظر التذكرة للفتن (١٨٨) والأسرار المرفوعة للقياري (١٦٢) والفوائد للشوكاني (٢٥١). وذكره ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (٢٨٩) بتحقيقي. وقد بينت هناك نسبة الكتاب لصاحبه وأنه مدسوس عليه، وأن الكتاب هو مجموعة من المسائل والأسئلة جُمعت من مؤلفات السيوطي ونسبت للهيتمي زوراً. وقد نسب الكتاب للهيتمي صاحب كشف الخفاء/ وغيره، وآخرهم ذكراً له صاحب موسوعة أطراف الحديث. والعلامة الألباني حفظه الله في سلسلته الضعيفة (حديث رقم ٢٥).

قال: قلت: مَنْ هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. قال: ثم دخل بي الجنة، فرأيتُ فيها جاريةً لعساء، فسألتها: لِمَنْ أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيْتُها، فقالت: لزيد بن حارثة، فبشّر بها رسولُ الله ﷺ زيد بن حارثة.

ذلك يكون القولُ في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا الله - تعالى - من ذلك، وجعلنا من الْمُتَمَثِّلِينَ لِأَمْرِهِ حيث يقول: فاعتبروا يا أولي الأبصار وليدبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب، ولولا إسراع الناس إلى إنكار ما جهلوه، وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لأبدننا مِنْ سِرِّ هذا السؤال، وكشفنا عن الحكمة في هؤلاء الأنبياء المسلمين في هذه المراتب أكثر مما كشفنا.

البيت المعمور:

فصل: وذكر البيت المعمور، وأنه يَدْخُلُهُ كل يوم سبعون ألف ملكٍ روى ابن سنجر عن علي - رحمه الله - قال: البيت المعمور بيتٌ في السماء السابعة يقال له: الضَّرَاحُ، واسم السماء السابعة: غَرِيْبًا، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وَهْب بن مُثَنٍّ قال: مَنْ قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له نُورٌ يملأ ما بين غَرِيْبَاءَ وجرياءَ وجرياءَ، وهي الأرض السابعة، وذكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دَخِيَّةٍ عند كل دَخِيَّةٍ سبعون ألف ملكٍ رواه عنه أبو التَّيَّاح [يزيد الضُّبَيْعِي] قال أبو سلمة: قلتُ ما الدَّخِيَّةُ؟ قال: الرئيس. وروى ابنُ سنجر أيضًا من طريق أبي هريرة عن رسول الله - ﷺ - قال: في السماء السابعة بيتٌ يقال له: الْمَعْمُور بِحِيَالٍ مَكَّةَ، وفي السماء السابعة نهرٌ يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسًا، ثم يخرج فينتفض انتفاضة، يَخْرُ عنه سبعون ألف قَطْرَةٍ، يخلق الله من كل قطرة ملكًا ويؤمنون أن يأتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدًا، [و] يولي عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفًا يُسَبِّحُونَ الله [فيه] إلى أن تقوم الساعة^(١).

فرض الصلاة:

فصل: وأما فرض الصلاة عليه هنالك، ففيه التنبيه على فضلها، حيث لم تُفرض إلا في الحضرة الْمُقَدَّسَةِ^(٢)؛ ولذلك كانت الطهارة من شأنها، ومن شرائط أدائها، والتنبيه على أنها مناجاةُ الربِّ، وأنا الربُّ تعالى مُقْبِلٌ بوجهه على المصلِّي يناجيه يقول: حَمْدَنِي عبيد،

(١) «ضعيف». وقد تقدم التنبيه على مثله.

(٢) تقدم التنبيه أيضًا غير مرة على هذه اللفظة ونسبتها لله تعالى.

قال ابن إسحاق: ومن حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - فيما بلغني: أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: مَنْ هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد، فيقولون: أَوْ قَدْ بُعِثَ؟

أثنى عليّ عَبدِي إلى آخر السورة، وهذا مُشاكِلٌ لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب، وناجاه، ولم يعرج به حتى طُهرَ ظاهرُهُ وباطنُهُ بماء زمزم كما يتطهر المصلّي للصلاة، وأُخْرِجَ عن الدنيا بجسمه، كما يخرج المصلّي عن الدنيا بقلبه، ويحرّم عليه كل شيء إلا مناجاة ربّه وتوجهه إلى قبْلته في ذلك الحين، وهو بيت المقدس، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلّي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القِبلة العليا فهي البيت المعمور، وإلى جهة عرش مَنْ يناديه ويصلي له سبحانه.

فرض الصلوات خمسين:

فصل: وأما فرض الصلوات خمسين ثم حطّ منها عشرًا بعد عشر إلى خمس صلوات. وقد رُوِيَ أيضًا أنها حطّت خمسًا بعد خمس، وقد يُمكن الجمع بين الروایتين لدخول الخمس في العشر، فقد تكلم في هذا النقص من الفريضة: أَهْوُ نَسَخَ أم لا؟ على قولين، فقال قوم: هو من باب نَسَخِ العبادة قبل العمل بها، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين، أحدهما البناء على أصله ومذهبه في أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها، لأن ذلك عنده من البَدْءِ، والبَدْءُ مُحالٌ على الله سبحانه. الثاني: أن العبادة إن جاز نسخها قبل العمل بها عند مَنْ يرى ذلك، فليس يجوز عند أَحَدٍ نسخها قبل هبوطها إلى الأرض ووصولها إلى المخاطبين: قال: وإنما ادعى النسخ في هذه الصلوات الموضوعة عن محمد وأمه القاشاني، ليصحّ بذلك مذهبه في أن البيان لا يتأخر، ثم قال أبو جعفر: إنما هي شفاعة شفّعها رسول الله - ﷺ - لأُمته ومراجعة راجعها ربّه، ليخفّف عن أمته، ولا يسمى مثل هذا نسخًا.

قال المؤلف: أما مذهبه في أن العبادة لا تُنسخ قبل العمل بها، وأن ذلك بَدْءٌ فليس بصحيح، لأن حقيقة البَدْءِ أن يَبْدُو للأمر رأيٌ يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبيّنهُ، وهذا مُحالٌ في حق مَنْ يعلم الأشياء بعلم قديم^(١)، وليس النسخ من هذا في شيء إنما النسخ تبديلٌ حكم بحكم، والكل في سابقِ علمه ومقتضى حكمته، كنسخه المرض بالصحة، والصحة بالمرض، ونحو ذلك، وأيضًا بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجّه الأمر إليه

(١) أزلّي.

فيقول: نعم، فيقولون: حيّاه الله من أخ وصاحب، حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربّه، ففرض عليه خمسين صلاة في كلّ يوم.

ثلاث عبادات: الفعل الذي أمر به، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر، واعتقاد الوجوب إن كان واجباً فإن نُسخ الحكم قبل الفعل، فقد حصلت فائدتان: العزم واعتقاد الوجوب. وعلم الله ذلك منه، فصَحَّ امتحانه له واختباره إياه، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته، وإنما الذي لا يجوز نسخ الأمر قبل نزوله، وقبل علم المخاطب به، والذي ذكره النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها، فليس هو حقيقة النسخ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت، وإنما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لا عنها، وقولنا في الخمس والأربعين صلاة الموضوعّة عن محمد وأُمته أحد وجهين، إما أن يكون نسخ ما وجب على النبي ﷺ من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب، وهذا قد قدّمنا أنه نسخ على الحقيقة، ونسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ، فقد كان في كل مرة عازماً على تبليغ ما أمر به، وقول أبي جعفر: إنما كان شافعاً ومراجعاً ينفي النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم، فشفاعته عليه السلام لأُمته كانت سبباً للنسخ لا مُبطلَةً لحقيقته، ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته، وأما أُمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه إلى المأمور، كما قدّمنا، وهذا كله أحد الوجهين في الحديث.

والوجه الثاني أن يكون هذا خبراً لا تَعْبُداً، وإذا كان خبراً لم يدخله النسخ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربّه أن على أُمته خمسين صلاة، ومعناه: أنها خمسون في اللوح المحفوظ، وكذلك قال في آخر الحديث: هي خمسٌ وهي خمسون، والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله - ﷺ - على أنها خمسون بالفعل، فلم يزل يراجع ربّه حتى بيّن له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل. فإن قيل: فما معنى نفصها عشرًا بعد عشر؟ قلنا: ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها، وأن العبد يصلّي الصلاة، فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى إلى عشرها، ووقف، فهي خمسٌ في حق مَنْ كتب له عشرها، وعشر في حق مَنْ كتب له أكثر من ذلك، وخمسون في حق مَنْ كُمِلت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها.

أوصاف من الملائكة:

فصل: وذكر أنه عليه السلام لم يلقه مَلَكٌ من الملائكة إلا ضاحكاً مستبشراً إلا مالكا خازن جهنم، وذلك أنه لم يضحك لأحدٍ قبله، ولا هو ضاحك لأحدٍ، ومضدق هذا في

قال: قال رسول الله ﷺ: «فأقبلت راجعاً، فلما مررت بموسى بن عمران ونعم صاحب كان لكم، سألتني كم فُرض عليك من الصلاة؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم؛ فقال: إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك، فاسأله أن يخفف عنك

كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿عَلَيْهَا مَلَأَكَّةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦٠] وهم موكلون بغضب الله تعالى فالغضب لا يزايلهم أبداً، وفي هذا الحديث معارضة للحديث الذي في صفة ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهنم، وكذلك يعارضه ما خرَّج الدارقطني أن رسول الله - ﷺ - تبسم في الصلاة، فلما انصرف سُئِلَ عن ذلك، فقال: «رأيت ميكائيل راجعاً من غلب القوم، على جناحيه الغبارُ فضحك إليّ، فتبسمت إليه»^(١) وإذا صحَّ الحديثان، فوجه الجمع بينهما: أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله - ﷺ - فيكون الحديث عاماً يُراد به الخصوص، أو يكون الحديث الأول حدَّث به رسول الله - ﷺ - قبل هذا الحديث الأخير ثم حدَّث بعدُ بما حدَّث به من ضحكِهِ إليه، والله أعلم ولم يَر مَالِكاً على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه.

أكلة الربا في رؤيا المعراج:

وذكر أكلة الربا وأنهم بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة، وهي العطاش، والهَيَام: شدة العطش، وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مَهيومة، كما لا يقال معطوشة، إنما يقال هائم وهيمان، وقد يقال: هَيُومٌ ويجمع على هيم، ووزنه فعل بالضم لكن كُسر من أجل الياء كما قال تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ [الواقعة: ٥٥] ولكن جاء في الحديث مَهيومة، كأنه شيء فعل بها كالمخمومة والمجنونة وكالمتهوم، وهو الذي لا يشيع وكان قياس الياء أن تعتل، فيقال: مَهيمة، كما يقال: مَبيعة في معنى مَبيوعة، ولكن صحت الياء، لأنها في معنى الهيومة كما صحت الواو في عور لأنه في معنى أعور، كما صحت في اجتوروا لأنه في معنى: تَجَاوَزُوا، وإنما رآهم مُتَفِيحَةً بطونهم؛ لأن العقوبة مُشَاكِلَةٌ للذنب، فأكل الربا يَزْبُو بطئه، كما أراد أن يَزْبُو ماله بأكل ما حُرِّم عليه، فَمُحِثَتِ البركة من ماله، وجعلت نَفْعاً في بطنه، حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من الَمَسِّ، وإنما جُعِلُوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غُدُوا وَعَشِيًّا لأن آل فرعون هم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. فحُصُوا بسبيلهم، ليعلم أن الذين هم أشد الناس عذاباً يطئونهم فضلاً عن غيرهم من الكفار، وهم لا يستطيعون القيام،

(١) «إسناده ضعيف». أخرجه الدارقطني (١٧٥/١) بتحقيق. وفيه الوزاع بن نافع: ضعيف.

وعن أمّتك. فرجعت فسألت ربّي أن يخفّف عني، وعن أمّتي، فوضع عني عشرًا. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألت ربّي، فوضع عني عشرًا. ثم انصرفت، فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألت فوضع

ومعنى كونهم في طريق جهنم بحيث يُمرُّ بالكفار عليهم، أن الله سبحانه قد أوقف أمرهم بين أن ينتهوا، فيكون خيرًا لهم، وبين أن يعودوا ويصروا، فيدخلهم النار، وهذه صفة مَنْ هو في طريق النار قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. إلى آخر الآية وفي بعض المسندات أنه رأى بطونهم كالبيوت، يعني: أكَلَةُ الرُّبَا، وفيها حَيَاتٌ ترى خارج البطون. فإن قيل: هذه الأحوال التي وصفها عن أكَلَةِ الربا إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة، فأل فرعون في الآخرة قد أَدْخِلُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ، وإنما يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ عُذْوًا وَعَشِيًّا فِي الْبَرْزَخِ، وإن كانت هذه الحال التي رآهم عليها في الْبَرْزَخِ، فأَيُّ بَطُونٍ لَهُمْ، وقد صاروا عِظَامًا وَرَفَاتًا، وَمُرَقُوا كُلُّ مُرَقٍّ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ إِنَّمَا رَأَاهُمْ فِي الْبَرْزَخِ، لَأَنَّهُ حَدِيثٌ عَمَّا رَأَى، وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت، وفيها تصحيح لَمَنْ قَالَ: الْأَرْوَاحُ أَجْسَادٌ لَطِيفَةٌ قَابِلَةٌ لِلنَّعِيمِ وَالْعَذَابِ، فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام ما يجده مَنْ انتفخ بطنه حتى وُطِيَءَ بِالْأَقْدَامِ، ولا يستطيع مِنْ قِيَامٍ، وليس في هذا الحديث دليلٌ على أَنَّهُمْ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، ولكن فيه دليل على أَنَّهُمْ يَطْوُهُمْ أَلْ فِرْعَوْنَ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا الرُّبَا مَا دَامُوا فِي الْبَرْزَخِ إِلَى إِنْ يَقُومُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطانُ مِنَ الْمَسِّ، ثم ينادي مُنَادِي اللَّهِ ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] وكذلك ما رأى من النساء الْمُعَلَّقَاتِ بِشَدِيهِنَّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَأَى أَرْوَاحَهُنَّ، وقد خُلِقَ فِيهَا مِنَ الْآلَامِ مَا يَجِدُهُ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ، ويحتمل أيضًا أَنْ يَكُونَ مُثَلَّتْ لَهُ حَالَهُنَّ فِي الْآخِرَةِ، وذكر الَّذِينَ يَدْعُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ نِسَائِهِمْ، وَيَأْتُونَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وهذا نص على تحريم إتيان النساء في أعجازهنَّ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع، وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله، ومن حديث رسول الله - ﷺ - وذكرنا ما جاء في ذلك عن ابن عباس من قوله: هو الكفر، وقول ابن عمر: هي اللوطية الصغرى، وأما الإجماع، فإن المرأة تُرَدُّ بِدَاءِ الْفَرْجِ، ولو جازَ وَطْؤُهَا فِي الْمَسْلُوكِ الْآخَرِ مَا أَجْمَعُوا عَلَى رَدِّهَا بِدَاءِ الْفَرْجِ، وقد مهَّدنا الأدلة على هذه المسألة مُفْرَدَةً فِي غَيْرِ هَذَا الْإِمْلَاءِ بِمَا فِيهِ شِفَاءٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

الولد لغير رشدة:

وقوله: فأكل حرائبهم: الْحَرَبِيَّةُ: المال، وهو من الحرب، وهو السَّلْبُ، يريد أن الولد إذا كان لغير رِشْدَةٍ نُسِبَ إِلَى الَّذِي وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَيَأْكُلُ مِنْ مَالِهِ صَغِيرًا، وَيَنْظُرُ إِلَى بَنَاتِهِ

عَنِّي عَشْرًا، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، كُلَّمَا رَجَعْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَارْجِعْ فَاسْأَلْ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أَنْ وَضَعَ ذَلِكَ عَنِّي، إِلَّا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى

مِنْ غَيْرِ أُمِّهِ وَإِلَى أَخَوَاتِهِ، وَلَسَنَ بَعَمَاتٍ لَهُ، وَإِلَى أُمِّهِ وَلَيْسَتْ بِجَدَّةٍ لَهُ، وَهَذَا فَسَادٌ كَبِيرٌ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ ذِكْرَ الْأَكْلِ مِنْ حَرَبِيَّتِهِ وَمَالِهِ قَبْلَ الْإِطْلَاعِ عَلَى عَوْرَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ الْإِطْلَاعُ عَلَى الْعَوْرَاتِ أَشْنَعُ، لِأَنَّهُ نَفَقَتَهُ عَلَيْهِ أَوَّلَ مَنْ حَالَ صَغَرُهُ، ثُمَّ قَدْ يَبْلُغُ حَدَّ الْإِطْلَاعِ عَلَى عَوْرَاتِهِ، أَوْ لَا يَبْلُغُ، وَآيضًا فَإِنَّ الْأُمَّ أَرْضَعَتْهُ بِلَبَانِهَا، وَلَمْ تَدْفَعْهُ إِلَى مَرْضَعَةٍ كَانَ الزَّوْجُ أَبًا لَهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَكَانَ حُكْمُهُ حُكْمَ الْإِبْنِ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَفِي ذَلِكَ نَقْصَانٌ مِنَ الشَّنَاعَةِ، فَإِنْ بَلَغَ الصَّبِيُّ، وَتَابَتِ الْأُمُّ، وَأَعْلَمْتُهُ أَنَّهُ لَغَيْرِ رِشْدَةٍ لِيَسْتَعْفَّ عَنْ مِيرَاثِهِمْ، وَيَكْفَى عَنْ الْإِطْلَاعِ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، أَوْ عَلِمَ ذَلِكَ بِقَرِينَةٍ حَالٍ وَجِبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ شَرُّ الثَّلَاثَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ فِي ابْنِ الزَّنا، وَقَدْ تَوَوَّلَ حَدِيثُ شَرِّ الثَّلَاثَةِ عَلَى وُجُوهِ، هَذَا أَقْرَبُهَا إِلَى الصَّوَابِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَكَلَّ خَرَائِثِهِمْ، وَاطَّلَعَ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، وَمَنْ فَعَلَ هَذَا عَنْ عَمْدٍ وَقَصْدٍ فَهُوَ شَرُّ النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ فَأَكْلُهُ وَإِطْلَاعُهُ شَرٌّ عَمَلٌ، وَأَبَوَاهُ حِينَ زَنَى فَارْقًا ذَلِكَ الْعَمَلِ الْخَبِيثَ لِحَيْنِهِمَا وَالْإِبْنِ فِي عَمَلٍ خَبِيثٍ مِنْ مَنَشِئِهِ إِلَى وَفَاتِهِ، فَعَمَلُهُ شَرٌّ عَمَلٌ.

حُكْمُ الْحَاكِمِ لَا يَحِلُّ الْحَرَامُ:

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ آيْضًا أَنَّ حُكْمَ الْحَاكِمِ لَا يُحِلُّ حَرَامًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَلَدَ فِي حُكْمِ الشَّرِيعَةِ لِلْفِرَاشِ إِلَّا أَنْ يُنْفَى بِاللَّعَانِ، فَإِذَا حَكَّمَ الْحَاكِمُ بِهِذَا، وَعَلِمَ الْوَلَدُ عِنْدَ بَلُوغِهِ خِلَافَ مَا حَكَّمَ بِهِ الْحَاكِمُ لَمْ يَحِلَّ لَهُ بِهِذَا الْحُكْمُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَكْلِ الْحَرَائِبِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى الْعَوْرَاتِ، وَفِي هَذَا رَدٌّ لِمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ مِنْ قَوْلِهِ: إِنْ حَكَّمَ الْحَاكِمُ قَدْ يَحِلُّ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ مِثْلَ أَنْ يَشْهَدَ شَاهِدَانِ عَلَى رَجُلٍ أَنَّهُ طَلَّقَ، وَهُمَا يَعْلَمَانِ أَنَّهُ لَمْ يَطْلُقْ فَيَقْبَلُ الْقَاضِي شَهَادَتَهُمَا فَيَطْلُقَ الْمَرْأَةَ عَلَى الرَّجُلِ، فَإِذَا بَانَتْ مِنْهُ كَانَ لِأَحَدِ الشَّاهِدَيْنِ أَنْ يَنْكِحَهَا مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ قَدْ شَهِدَ زَوْرًا، لَمْ يَقُلْ أَبُو حَنِيفَةَ بِهِذَا الْقَوْلَ فِي الْأَمْوَالِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَرَجُ بِحُجَّتِهِ مِنْ صَاحِبِهِ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ، فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»^(١) فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَعَ الَّذِي قَدَّمَ رَدٌّ لِمَذْهَبِهِ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ فِي أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ مَخْصُوصًا بِالْأَمْوَالِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْقِيَاسَ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِهِ، وَقِيَاسُ الْمَسْأَلَتَيْنِ وَاحِدٌ، الثَّانِي: أَنَّهُ قَالَ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ، وَلَمْ يَقُلْ مِنْ مَالِ أَخِيهِ، وَهَذَا لَفْظٌ يَعْنِي الْحَقُوقَ كُلَّهَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَعِنْدِي أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا بَنَى

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٣٢/٩) ومسلم في الأفضية (٥) ومالك (٧١٩).

موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعتُ ربي وسألته، حتى استحييتُ منه، فما أنا بفاعل»، رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة وابن جرير وابن أبي حاتم.

هذه المسألة على أصله في طلاق المُكْرَه، فإنه عنده لازم فإذا أكره الرجلُ على الطلاق، وقلنا يلزم الطلاق له، فقد حرمت المرأة عليه، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها مَنْ شاء فالإثم إنما تعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح، وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المُكْرَه، وقولهم يعضده الأثر، وقول أبي حنيفة يعضده النظر، والخوض في هذه المسألة يصدُّنا عما نحن بسبيله.

مكان إدريس:

فصل: وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خَصَّ من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة، ورفعهُ مَلَكٌ كان صديقًا له، وهو المَلَكُ الموكَّلُ بالشمس فيما ذكر، وكان إدريس سألَهُ أن يُريهِ الجنة، فأذِنَ له الله في ذلك، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك مَلَكٌ الموت، فعجب، وقال أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَ إِدْرِيسَ السَّاعَةَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فقبضه هنالك، فرفعه حيًّا إلى ذلك المكان العَلِيِّ خَاصًّا له دون الأنبياء^(١).

قول الأنبياء في كل سماء:

فصل: وذكر من قول الأنبياء له في كل سماء: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وقول آدم وإبراهيم: بالابن الصالح وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حُجَّةَ لَمَنْ قال: إن إدريسَ ليس بجَدٍّ لَنُوحٍ، ولا هو من آباء رسولِ الله - ﷺ - لأنه قال مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، ولم يقل: بالابن الصالح.

خرافة طلب موسى أن يكون من أمة أحمد:

وأما اعتناء موسى - عليه السلام - بهذه الأمة وإلحاحه على نبيِّها أن يشفع لها، ويسأل التخفيفَ عنها، فلقلوه - والله أعلم - حين قُضِيَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ، ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الألواح، وجعل يقول: إني أجد في الألواح أمةً صفتهم كذا، اللَّهُمَّ

(١) «ضعيف». وتقدم التنبيه على ما ينقله ابن وهب وكعب الأحبار من كتب أهل الكتاب، وكما ورد في الصحيح أنه إذا حدَّثنا أهل الكتاب بشيء فلا نصدقهم ولا نكذبهم، وكله تحت قاعدة «ما وافق القرآن وما خلافه».

فَمَنْ أَذَاهَنْ مِنْكُمْ إِيْمَانًا بِهِنَّ، وَاحْتِسَابًا لَهُنَّ، كَانَ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً.
رواه. وفي الحديث غرابة ونكارة.

اجعلهم أمتي، فيقال له: تلك أمة أحمد، وهو حديث مشهور^(١)، فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتني بالقوم مَنْ هُوَ مِنْهُمْ، لقوله: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْهُمْ، والله أعلم.
بعض ما رأى:

ومما جاء في حديث الإسراء مما لم يذكره ابن إسحاق في مُسْنَدِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ أَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَام - نَادَاهُ مُنَادٍ، وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ الْبُرَاقِ: يَا مُحَمَّد، فَلَمْ يَعْرج عَلَيْهِ، ثُمَّ نَادَاهُ آخَرٌ: يَا مُحَمَّد يَا مُحَمَّد ثَلَاثًا، فَلَمْ يَعْرج عَلَيْهِ، ثُمَّ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ نَاشِرَةٌ يَدَيْهَا، تَقُولُ: يَا مُحَمَّد يَا مُحَمَّد، حَتَّى تَغَشَّيْتَهُ، فَلَمْ يَعْرج عَلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلَ جَبْرِيلُ عَمَّا رَأَى، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: أَمَّا الْمُنَادِي الْأَوَّلُ، فَدَاعِي الْيَهُودِ لَوْ أَجَبْتَهُ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَدَاعِي النَّصَارَى، وَلَوْ أَجَبْتَهُ لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ، فَإِنَّهَا الدُّنْيَا لَوْ أَجَبْتَهَا لَأَثَرَتْ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ^(٢).

(١) حديث باطل لا يصح. وكيف لموسى عليه السلام أن يختار غير ما اختار الله تعالى له.
(٢) تقدم أن هذه المشاهد أخرجها البيهقي في الدلائل، وفيها نكارة، وهي منتشرة بين الناس من الحديث المنسوب إلى ابن عباس في الإسراء، وأخذها الكاتب [لouis عوض] وقال عنها: إنها نص أدبي راقٍ!!! ولكل وجهة.

كفاية الله أمر المستهزئين

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله - ﷺ - على أمر الله تعالى صابراً محتسباً، مؤدياً إلى قومه النصيحة على ما يلقي منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء. وكان عظماء المستهزئين - كما حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومهم، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم.

من بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيِّ بن كِلاب: الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، وكان رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به، فقال: اللهم أغم بصره وأثكله ولده.

ومن بني زهرة بن كلاب: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب: العاص بن وائل بن هشام. قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سَهْم.

عن المستهزئين وملكان^(١)

فصل: وذكر حديث المستهزئين الذين أنزل الله فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾

(١) انظر الكامل لابن الأثير (١/٥٩٢).

ومن بني خُزاعة: الحارث ابن الطَّلَاطِلَة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن لؤي بن مُلَكَان.

فلما تَمَادَا من الشرِّ، وأكثرُوا برسول الله - ﷺ - الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه: ﴿فَاضْطَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَاعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٣ - ٩٥].

قال ابن إسحق فحدثني يزيد بن رومان، عن عَزْوَة بن الزبير، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله - ﷺ - وهم يطوفون بالبيت، فقام، وقام رسول الله - ﷺ - إلى جَنْبِهِ فمرَّ به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء، فعَمِيَ، ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه، فاستسقى فمات منه حَبْنًا. ومرَّ به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جُرح بأسفل كعب رجله، كان أصابه قبل ذلك بسنين، وهو يَجْزُرُ سَبْلَهُ، وذلك أنه مرَّ برجل من خُزاعة، وهو يَرِيش نَبْلًا له، فتعلق سهم من نبلة بإزاره، فخدش من رجله ذلك الخدش، وليس بشيء، فانتقض به، فقتله. ومرَّ به العاص بن

[الحجر: ٩٥] وذكر فيهم الحارث ابن الطَّلَاطِلَة، والطَّلَاطِلَة: أمُّه، قال أبو الوليد الوقشي، والطَّلَاطِلَة في اللغة: الداهية، قال أبو عبيد: كُلُّ دَاءٍ عُضَالٌ فهو: طَّلَاطِلَة، وذكر في نسبه عبد عمرو بن مُلَكَان بالضبطين جميعًا، وفي حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبي بحر، قال: قد تقدم من قول ابن حبيب النحوي أن الناس ليس فيهم مَلَكَان بفتح الميم إلا مَلَكَان بن جَرَم بن رَبَّان بن حُلَوَانِ عُمَرَان بن الحَافِ بن قُضَاعَة، ومَلَكَان بن عباد بن عِيَاض بن عُقْبَة بن السُّكُون بن أَشْرَس، وإخوة عدي هم: تُجِيب عرفوا بأهمهم تُجِيب بنت ذُهم بن ثوبان، وهم من كِنْدَة، وكل من في الناس وغيرهما مَلَكَان مكسور الميم ساكن اللام، وقال مشايخ خُزاعة: في خُزاعة مَلَكَان بفتح الميم، قال القاضي: يعني ابن حبيب: مَلَكَان بن أَفْصَى بن حارثة بن ثَعْلَبَة بن عمرو بن عامر، وقال غير ابن حبيب كالذي يخرج من عبارته: إن الذي في خُزَاعَة إنما هو مَلَكَان بن أَفْصَى مثل مَلَكَان بن عدي بن عبد مناة من الرباب الذين منهم ذو الرُّمَة الشاعر، ومثل مَلَكَان بن عبد مناة من الرباب أيضًا رَهط سُفْيَان بن سَعِيد الثَّوْرِي. وذكر في المستهزين الأسود بن عبد يَغُوث الزهري روى أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهر الأسود، فقال رسول الله ﷺ: خالي خالي، فقال له جبريل: خَلْ عَنْكَ، ثم حناه حتى قتله، ذكره الدَارَقُطْنِي^(١).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٤).

وائل، فأشار إلى أحمص رجله، وخرج على حمارٍ له يريد الطائف، فَرَبَضَ به على شُبارقة، فدخلت في أحمص رجله شوكةً، فقتلته ومَرَّ به الحارث ابن الطلائطة، فأشار إلى رأسه، فامتخص قَتِيحًا فقتله^(١).

الوليد وأبو أزيهر

قال ابن إسحاق: فلما حضرت الوليدَ الوفاةَ دعا بنيه، وكانوا ثلاثة: هشام بن الوليد، والوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، فقال لهم: أي بني، أوصيكم بثلاث، فلا تُضَيِّعُوا فيهن: دمي في خُزاعة، فلا تَطْلُئُهُ، والله إني لأعلم أنهم منه بُراء، ولكني أخشى أن تُسَبِّحُوا به بعد اليوم، ورباي في ثَقِيف، فلا تدعوه حتى تأخذه، وعُقرى عند أبي أزيهر، فلا يفوتكم به. وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتًا، ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات.

فلما هلك الوليد بن المغيرة، وثبت بنو مخزوم على خُزاعة يطلبون منهم عقل الوليد، وقالوا: إنما قتله سَهْمُ صاحبكم - وكان لبني كعب حلف من بني عبد المطلب بن هاشم - فأبى عليهم خُزاعة ذلك، حتى تفاولوا أشعارًا، وغلظ بينهم

حديث الوليد بن المغيرة

فصل: وذكر وفاة الوليد بن المغيرة، وقوله لبنيه: وعُقرى عند أبي أزيهر الدؤسي لا تدعوه العُقر: ذِيَةُ الفَرْجِ المَغْضُوبِ، وأصله في البكر من أجل التَّذْمِيَةِ، ومنه عَقَر السَّرْجُ الفَرَسَ: إذا أدامه، وَيَيْضَةُ العُقر منه؛ لأنهم كانوا يقيسون البكر باليَيْضَةِ، ليعرفوا بكورتها، وقيل: عُقر بضم العين، لأنه بمعنى بضع.

عن مقتل أبي أزيهر وموقف دوس

وذكر قتل هشام بن الوليد لأبي أزيهر وخبر أم غَيْلان مع ضِرَار حين أجارته، ومن تمام الخبر: أن دُوسًا لما بلغها مقتل أبي أزيهر الدوسي، وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم، فقتلوا منهم بجير بن العَوَّام أخا الزُبَيْر، وأرادوا قتل ضِرَار بن الخطاب، فأجازه أمُ غَيْلان وابنها عوف، قال ضرار: لقد أدخلتني بين درعها وبدنها، حتى إني لأجد تَسْبِيْدَ رُكْبِها، والتَّسْبِيْدُ: موضع الحلق من الشعر، وكان الذي قتل بُجَيْرًا صبيح بن سعد أو مَليح بن سعد جد أبي هُرَيْرَةَ لأمه؛ لأن أمه أُميمة بنت مَليح أو صبيح.

(١) السابق.

الأمر - وكان الذي أصاب الوليدَ سهمه رجلاً من بني كعب بن عمرو من خزاعة - فقال عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم:

إني زعيم أن تسيرُوا، فتَهْرَبُوا وأن تتركوا الظَهْرانَ تَغْوِي ثَعَالِيَهُ
وأن تتركوا ماءَ بِجِزْعَةِ أَطْرِقا وأن تسألوا: أي الأراك أطايبه؟
فلئّا أناسٌ لا تُطَلِّ دماؤنا ولا يَتَعَالَى صاعداً مَنْ نحاربه

وكانت الظهران والأراك منازل بني كعب، من خزاعة. فأجابه الجون بن أبي الجون: أخو بني كعب بن عمرو الخزاعي، فقال:

والله لا نُؤْتِي الوليدَ ظِلَامةً ولَمّا قَرَوْا يوماً تَزول كَواكِبُهُ
ويَضْرَعُ منكم مُسَمِنٌ بعد مُسَمِنٍ وتُفْتَحُ بعد الموت قَسراً مَشارِبُهُ
إذا ما أَكلتم خُبْزَكم وخَزِيرَكم فكلّكم باكي الوليدِ ونادبه

ثم إن الناسَ تراذوا وعَرَفُوا أنما يَخْشَى القومُ السُّبَّةَ، فأعطتهم خزاعةُ بعضَ العَقْلِ، وانصرفوا عن بعض. فلَمّا اصطَلَحَ القومُ قال الجون بن أبي الجون:

عن أطرقا ومن أحكامه أن:

فصل: وذكر شعر عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وفيه:

وأن تتركوا ماءَ بِجِزْعَةِ أَطْرِقا

والجَزْعَةُ والجَزْعُ بمعنى واحد^(١)، وهو معظم الوادي، وقال ابن الأعرابي: هو ما انثنى منه، وأطرقا اسم عَلَمٍ لموضع^(٢) سمي بفعل الأمر للاثنتين، فهو مَخَكِي لا يُغَرَّبُ، وقيل: إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثة نفر مرّوا بها خائفين، فسمع أحدهم صوتاً، فقال لصاحبيه: أَطْرِقا، أي: أنصتا، حتى نرى ما هذا الصوت، فسمي المكان بأطرقا، والله أعلم. وذكر شِعْرُ الجَوْنِ بن أبي الجَوْنِ، وفيه:

(١) جزع: الجيم والزاء والعين أصلان: أحدهما الانقطاع، والآخر: جوهر من الجواهر. فأما الأول فيقولون: جَزَعْتُ الرملة إذا قطعتها؛ رمت: جَزَعُ الوادي، وهو الموضع الذي يقطعه من أحد جانبيه إلى الجانب؛ ويقال: هو منعطفه، والجزع: نقيض الصبر، وأما الآخر فالجزع وهو الخرز المعروف. انظر مقاييس اللغة (٤٥٣/١). اللسان (٤٧/٨).

(٢) اسم موضع بنواص مكة.

وقائِلَةٌ لَمَّا اصْطَلَحْنَا تَعَجُّبًا لِمَا قَدْ حَمَلْنَا لِلْوَلِيدِ وَقَائِلِ
 أَلَمْ تُقْسِمُوا تُؤْتُوا الْوَلِيدَ ظُلَامَةً وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا كَثِيرَ الْبَلَابِلِ
 فَنَحْنُ خَلَطْنَا الْحَرْبَ بِالسَّلَامِ فَاسْتَوَتْ فَأَمَّ هَوَاهُ آمَنَّا كُلَّ رَا حِلِ
 ثم لم ينته الجَوْنُ بن أبي الجَوْنِ حتى افتخر بقتل الوليد، وذكر أنهم أصابوه،
 وكان ذلك باطلاً. فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حذره.
 فقال الجَوْنُ بن أبي الجَوْنِ:
 أَلَا رَغَمَ الْمُغِيرَةَ أَنْ كَغِبَا بِمَكَّةَ مِنْهُمْ قَدَرٌ كَثِيرُ

أَلَمْ تُقْسِمُوا تُؤْتُوا الْوَلِيدَ ظُلَامَةً

أراد: أن تؤتوا، ومعناه: أن لا تؤتوا كما جاء في التنزيل: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾
 [النساء: ١٧٦] في قول طائفة، ومعناه عندي: كره لكم أن تضلوا، وقد قدمنا في الجزء قبل
 هذا كلام على أن، ومقتضاها وشيئاً من أسرارها فيه غنية، وإذا كان الكلام محمولاً على
 معناه فالنصب جائز، والرفع جائز أيضاً، كما أنشدوا^(١):

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَعَى

بنصب: أَحْضَرَ ورفعه، وأنشد سيبويه:

وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَمَا كِدْتُ أَفْعَلُهُ^(٢)

يريد: أن أفعله، وإذا رفعت في هذا الموضع لم يذهب الرفع معنى أن فقد حكى
 سيبويه: مره يحفرها، وقدره تقديرين، أحدهما: أن يريد الحال أي: مره حافراً لها،
 والثاني: أن يريد: مره أن يحفرها، وارتفع الفعل لما ذهبت أن من اللفظ، وبَيَّنَ ابنُ جني
 الفرقَ بين التقديرين، وقال: إذا نويت أن فالفعل مستقبل، وإذا لم تنوها فالفعل حاضر،
 وههنا مسألة من العرب ذكرها الطبري، قال: العرب تقول لمن توجه في أمر: تصنع ماذا
 وتفعل؟ ماذا على تقدير: تريد أن تصنع ماذا، فإذا قالوا: تريد ماذا لم يكن إلا رفعاً، لأن
 المعنى الذي يجلب معنى أن الناصبة ليس في قوله: تريد؛ إذ لا يستقيم أن تقول: تريد أن
 تريد ماذا، يعني: أن الإرادة لا تتراد.

(١) صاحب البيت هو: طرفة بن العبد: وفيه: ألا أيهذا اللاتمي أحضر الوعى. والوعى أصله الصوت
 والجلبة ثم كنى به عن الحرب. انظر القصائد العشر للخطيب التبريزي (١٠٣).
 (٢) انظر الكتاب لسيبويه (١/١٥٥).

فلا تَفْخَرُ مُغِيرَةً أَنْ تَرَاهَا بها يَمْشِي الْمُعْلَهَجُ وَالْمَهِيرُ
بِهَا آبَاؤُنَا، وَبِهَا وَلَدُنَا كما أَرْسَى بِمَثْبَتِهِ ثَبِيرُ
وَمَا قَالَ الْمُغِيرَةُ ذَلِكَ إِلَّا لِيَعْلَمَ شَأْنُنَا أَوْ يَسْتَشِيرَ
فَإِنَّ دَمَ الْوَلِيدِ يُطَلُّ إِنَّا نَطْلُ دِمَاءَ أَنْتَ بِهَا خَبِيرُ
كِسَاءُ الْفَاتِكِ الْمَيِّمُونُ سَمَهُمَا زُعَافًا وَهُوَ مَمْتَلَىءٌ بِهِيرُ

شعر الجون:

وذكر شعر الجون أيضًا، وفيه:

بها يمشي المُعْلَهَجُ والمَهِيرُ

المهير^(١): ابن المهورة الحرّة والمُعْلَهَجُ^(٢): المتردد في الإماء كأنه منحوت من أصلين: من العِلَجِ لأن الأمة: عِلْجَة، ومن اللَهْجِ، كان واطيء الأمة قد لهج بها، فَنُحِتَ لفظ المُعْلَهَجِ من هذين اللفظين^(٣).

وفيه:

كما أَرْسَى بِمَثْبَتِهِ ثَبِيرُ

كذا صحت الرواية في أرسى بالتخفيف وهو زحاف داخل على زحاف؛ لأن تسكين اللام من مُفَاعَلَتْنِ في الوافر زحاف، ولكنه حسن كثير، فلما كثر شبهه هذا الشاعر بمفاعيل؛ لأنه على وزنه، ومفاعيلن يحسن حذف الياء منها في الطويل، فيصير فعولن مفاعِلن فلذلك أَدَخَلَ هذا الشاعر الزحاف على مُفَاعَلَتْنِ لأنه بعد السكون في وزن مفاعيلن التي تحذف ياؤها حذفًا مستحسنًا، فتدبره، فإنه مليح في علم العروض.

(١) المهير: الحرة والمهائر الحرائر. اللسان (١٨٦/٥).

(٢) المعْلَهَج: الدّعي. والمعْلَهَج: الذي ولد من جنسين مختلفين. وقال ابن سيده: المعْلَهَج: الذي ليس يخالض النسب. اللسان (٣٢٨/٢).

(٣) عِلَج: العين واللام والجيم: أصل صحيح يدل على تحرس ومزاولة في جفاء وغلظ. من ذلك: العِلَج: وهو حمار الوحش، ربه يشبه الرجل الأعجمي. وقال الخليل: سمي عِلْجًا لاستعلاج خَلْفِهِ وهو غِلْظُهُ. والعِلَج: الشديد من الرجال. وحكوا: أرض معتلجة: وهي التي تراكب نيتها وطال ودخل بعضه في بعض. مقاييس اللغة (١٢١/٤). والعِلَج: الرجل من كفار العجم، والأنثى عِلْجَة. اللسان (٣٢٦/٢) واللهيج: قالوا: لهيج الأمر لهجًا ولهوج وألهج كلاهما: أولع به واعتاده. واللهيج بالشيء: الولوع به. اللسان (٣٥٩/٢).

فَخَرَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مُسْلِحًا كَأَنَّهُ عِنْدَ وَجْبَتِهِ بَعِيرٌ
 سَيَكْفِينِي مِطَالُ أَبِي هِشَامٍ صَفَارُ جَعْدَةِ الْأَوْيَارِ خُورٌ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَرَكْنَا مِنْهَا بَيْتًا وَاحِدًا أَقْدَعَ فِيهِ.

ثورة لمقتل أبي أزيهر:

قال ابن إسحاق: ثم عدا هشامُ بن الوليد على أبي أزيهر، وهو بسوق ذي المجاز، وكان عند أبي سفيان بن حرب بنت أزيهر، وكان أبو أزيهر رجلاً شريفاً في قومه - فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده، لوصيَّة أبيه إياه، وذلك بعد أن هاجر رسولُ الله - ﷺ - إلى المدينة ومضى بدرُّ، وأصيب به مَنْ أُصيب من أشراف قُرَيش من المشركين؛ فخرج يزيد بن أبي سفيان، فجمع بني عبد مناف، وأبو سفيان بذِي المجاز، فقال الناس: أَخْفِرُ أبو سفيان في صفه، فهو ناثر به، فلمَّا سمع أبو سفيان بالذي صَنع ابنُه يزيد - وكان أبو سفيان رجلاً حليماً مُتَكَرِّراً، يَحِبُّ قومه حبًّا شديداً - انحطَّ سريعاً إلى مكة، وخشي أن يكون بين قريش حَدَثٌ في أبي أزيهر، فاتى ابنُه وهو في الحديد، في قَوْمه من بني عبد مناف والمطِيبين، فأخذ الرِمَحَ من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربةً هذَّه منها، ثم قال له؛ قَبِّحَكَ اللهُ! أتريد أن تضرب قُرَيشًا بَعْضَهُم ببعض في رجل من دُوس. سَنُؤْتِيهِم العَقْلَ إِنْ قَبَاوَهُ، وَأَطْفَأَ ذَلِكَ الْأَمْرَ.

فَانْبَعَثَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُحَرِّضُ فِي دَمِ أَبِي أزيهر، ويعيرُ أبا سفيان خُفْرَتَهُ وَيُجَنِّبُهُ، فقال:

غدا أهلِ ضَوْجِي ذِي الْمَجَازِ كِلَيْهِمَا	وجاز ابنِ حَرْبٍ بِالْعَمَسِ مَا يَغْدُو
ولم يمنع العَيْرُ الضَّرْوَطُ ذِمَارَهُ	وما منعت مَخْرَاةً وَالِدِهَا هِنْدَ
كسَاكَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ ثِيَابَهُ	فَأَبْلٍ وَأَخْلِفَ مِثْلَهَا جُدْدًا بَعْدُ
قَضَى وَطَرًا مِنْهُ فَأَصْبَحَ مَاجِدًا	وَأَصْبَحَتْ رَحْوًا مَا تَخْبُ وَمَا تَغْدُو

من أسواق العرب:

فصل: وأنشد لحسان بن ثابت:

غدا أهلِ ضَوْجِي ذِي الْمَجَازِ بِسُحْرَةِ

ضَوْجِ الْوَادِي: جانبه، وذو المجاز: سوقٌ عند عَرَفَةَ كانت العرب إذا حَجَّتْ أَقامت بسوق عكاظِ شهرَ شَوَّالٍ، ثم تنتقل إلى سوق مَجَنَّةَ فتقيم فيه عشرين يوماً من ذِي الْقَعْدَةِ، ثم تنتقل إلى سوق ذِي الْمَجَازِ فتقيم فيه إلى أيام الحج، وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ

فلو أنَّ أَشْيَاخًا ببدِرٍ تَشَاهَدُوا لَبَلَّ نَعَالُ الْقَوْمِ مُغْتَبِطٌ وَزُدَ
فلما بلغ أبا سُفْيَانَ قَوْلُ حَسَّانَ قَالَ: يريد حَسَّانُ أَن يُضْرَبَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ فِي رَجُلٍ
مِنْ دَوْسٍ! بئسَ وَاللهُ مَا ظَنُّ!

آية الربا من البقرة

ولما أسلم أهلُ الطَّائِفِ كُلِّهم رَسولَ اللهِ ﷺ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي رِبَا الْوَلِيدِ، الَّذِي
كَانَ فِي ثَقِيفٍ، لَمَّا كَانَ أَبُوهُ أَوْصَاهُ بِهِ.

قال ابن إسحاق: فذكر لي بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقي من
الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الرِّبَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] إلى آخر القصة فيها.

شهر شوال إذا اجتمعوا، ويقال: عَكَظَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ إِذَا فَاخَرَهُ وَغَلَبَهُ بِالْمُفَاخَرَةِ، فَسُمِيتَ
عُكَازٌ لِذَلِكَ^(١).

وذكر:

لَبَلَّ نَعَالُ الْقَوْمِ مُغْتَبِطٌ وَزُدَ

يعني: الدَّمَ الْعَبِيطُ^(٢).

ما أنزل الله في الربا

فصل: وذكر ما أنزل الله في الربا الآيات من سورة البقرة، وقد قدمنا في حديث بنيان
الكعبة من قولهم: لا تنفقوا فيها رِبًا وَلَا مَهْرَ بَغْيٍ، وأن في ذلك دليلاً على قَدَمِ تحريمه
عليهم في شرح إبراهيم عليه السلام، أو في غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين
وذلك أنه من أفتح الأعمال لما فيه من هُذَمِ جانب المروءة، وإيثار الحرص مع بعد الأمل،
ونسيان بَغْتَةِ الأجل، وترك التوسعة وحسن المعاملة، ومن تأمل أبواب الرِّبَا لاح له شر
التحريم من جهة الجَشَعِ المانع من حسن المعاشرة والذريعة إلى ترك القَرْضِ، وما فيه، وفي
التوسعة من مكارم الأخلاق، ولذلك قال سبحانه: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ

(١) عكاظ: عكظ دابته يعكظها عكظًا: حبسها، وتعكظ القوم تعكظًا إذا تحيَّسوا لينظروا في أمورهم.
وعكاظ: سوق للعرب كانوا يتعاكظون فيها؛ قال الليث: سميت عكاظًا لأن العرب كانت تجتمع
فيها يتعكظ بعضهم بعضًا بالمفاخرة، اللسان (٤٤٧/٧).

(٢) العبيط: الطري من كل شيء. مقاييس اللغة (٤/٢١١). اللسان (٧/٣٤٧).

الهم بأخذ ثار أبي أزيهر:

ولم يكن في أبي أزيهر ثارٌ نعلمه، حتى حَجَزَ الإسلامُ بين الناس، إلا أن ضِرار بن الخطَّاب بن مِرْدَاس الفِهْري خَرَجَ في ثَقَرٍ من قُرَيْشٍ إلى أرضِ دَوْسٍ، فنزلوا على امرأةٍ يقال لها أُمُّ غَيْلان، مولاةٌ لدَوْسٍ، وكانت تَمُشُّطُ النِّساءَ، وتجهِّزُ العرائسَ، فأرادت دَوْسٌ قَتْلَهُمَ بِأبي أزيهر، فقامت دونهم أُمُّ غيلان ونسوةٌ معهم، حتى منعتهم، فقال ضِرار بن الخطَّاب في ذلك:

جَزَى الله عَنَّا أُمُّ غَيْلانَ صالحاً	ونسوتها إذ هُنَّ شُعْتُ عَواطِلُ ^(١)
فهنَّ دَفَعْنَ الموتَ بعد اقترابه	وقد بَرَزَتْ لِلثَّائرينَ المَقاتِلَ
دَعَتْ دَعْوَةَ دَوْسا فَسالت شُعباها	بعزٍّ وأذتها الشُّراجَ ^(٢) القَوابِلَ ^(٣)
وَعَمَرًا جَزاه الله خيراً فَمَا وَنَى ^(٤)	وما بردتُ منه لديّ المَفاصِلَ
فجَرَدْتُ سَيْفِي ثم قمتُ بِنُضْلِهِ	وعن أيِّ نَفْسٍ بعد نَفْسِي أَقاتِلَ

عمل أم غيلان:

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة: أن التي قامت دون ضِرار أُمُّ جميل، ويقال: أُمُّ غَيْلان، قال: ويجوز أن تكونَ أُمُّ غَيْلان قامت مع أُمِّ جميل فيمن قام دونه.

فلما قام عَمْرُ بن الخطَّاب أتنه أُمُّ جميل، وهي تُرى أنه أخوه: فلما انتسبت له عرف القِصَّة، فقال: إني لستُ بأخيه إلا في الإسلام، وهو غاز، وقد عرفتُ مِثْلَكَ عليه، فأعطاه على أنها ابنة سَبِيل.

ورسوله [البقرة: ٢٧٩]. غضباً منه على أهله، ولهذه التُّكْتة قالت عائشة لأُمِّ محبة مولاة زيد بن أرقم: أبلغني زيداً تعني زَيْدَ بن أرقم أن قد أَبْطَلَ جهادَه مع رسول الله - ﷺ - حين ذكرت لها عنه مسألةً من البيوع تشبه الربا، فقالت: أَبْطَلَ جهادَه، ولم تقل صَلَاتَه ولا صيامه، لأن السيئات لا تُحِبُّ الحَسَناتِ، ولكن خَصَّتْ الجهادَ بالإبطال، لأنه حرب لأعداء الله، وآكلُ الربا قد أذن بحربٍ من الله، فهو ضده، ولا يجتمع الضدان، وهذا معنَى ذكره أبو الحسن بن بطلال في شرح الجامع، وتلك المسألة مذكورة في المَدُونَةِ، لكن إسنادُها إلى عائشة ضعيف.

(١) أي ليس لهن حلي.

(٢) الشراج: جمع شرج: وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل.

(٣) أي المتقابلات. (٤) الونى: الضعف.

قال الراوي: قال ابن هشام: وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد، فجعل يضره بعرض الرمح، ويقول: انتج يا بن الخطاب لا أقتلك، فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه.

من المؤذين لرسول الله:

قال ابن إسحق: وكان الثغر يؤذن رسول الله ﷺ في بيته أبا لهب، والحكم بن العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدى بن حمراء الثقفي، وابن الأضداء الهذلي، وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص، فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه ﷺ رَحِمَ الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في بُزْمته إذا نُصبت له. حتى اتخذ رسول الله ﷺ - حجراً يستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى، كما حدثني عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن عروة بن الزبير، يخرج به رسول الله ﷺ على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوار هذا! ثم يلقيه في الطريق.

ما عاناه الرسول ﷺ بعد وفاة أبي طالب وخديجة^(١):

قال ابن إسحق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزيراً صدق على الإسلام، يشكو إليها، وبهلك عمه أبي طالب، وكان له عضداً وجزراً في أمره، ومنعة وناصرًا على قومه، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فشر على رأسه تراباً.

قال ابن إسحق: فحدثني هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال: لما نثر ذئب السفية على رأس رسول الله ﷺ - ذلك التراب دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول

(١) انظر طبقات ابن سعد (١٢٢/١) البداية والنهاية (١٢٢/٣) السيرة الحلبية (٤٦٦/١) المنتظم (٧/٣) الكامل (٦٠٦/١) السيرة الشامية (٥٦٣/٢) الدلائل للبيهقي (٣٥١/٢) النوري (٢٧٧/١٦).

الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بُنْتَى، فإن الله مانعُ أباك. قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مَثِي قريش شيئًا أكرهه، حتى مات أبو طالب^(١).

ما حدث بين النبي ﷺ وبين أبي طالب والمشرَكين

قال ابن إسحق: ولما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشًا ثَقْلَهُ، قالت قريش بعضها لبعض: إن حَمْزَةَ وعمر، قد أسلما وقد فشا أمرُ مُحَمَّدٍ في قبائل قُريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخذ لنا على ابن أخيه، ولْيُعْطِهِ مَثًا، والله ما نأمن أن يَتَّبِرُونَا أمرنا.

قال ابن إسحق: فحدثني العباسُ بن عبد الله بن مَعْبُدٍ عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: مَشُوا إلى أبي طالب فكلَّمُوهُ، وهم أشراف قومه: عُبَيْة بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمِيَّة بن خَلَف، وأبو سفيان بن حَرْب، في رجال من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك مَثًا حيث قد علمتَ، وقد حَضَرَكَ ما ترى، وتخوَّفنا عليك، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادْعُهُ، فخذْ له مَثًا، وخُذْ لنا منه، ليكفَّ عنا، ونكفَّ عنه، وليدعنا وديننا، وندعه ودينه، فبعث إليه أبو طالب، فجاءه فقال: يا ابن أخي: هؤلاء أشرافُ قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم، كلمة واحدة تُعطونها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم. قال: فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات، قال: تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه. قال: فصقُّوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا مُحَمَّدُ أن تجعل الآلهةَ إلَهاً واحداً. إنَّ أَمْرَكَ لَعَجَبٌ: ثم قال بعضهم لبعض: إنَّه والله ما هذا الرجل بِمُعْطِيكُم شيئًا ممَّا تُريدون. فانطلقوا، وامضُوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه. قال: ثم تفرَّقوا.

الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب

فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: والله يا ابن أخي، ما رأيتُكَ سألْتَهُمْ شَطَطًا؛ فلما قالها أبو طالب طَمِعَ رسولُ الله - ﷺ - في إسلامه، فجعل يقول له: أيَّ عَمٍّ، فأنتَ فقُلْها، أَسْتَحِلُّ لك بها الشُّفاعةَ يومَ القيامة. قال: فلما رأى حرصَ رسول الله ﷺ، قال:

وفاة أبي طالب ووصيته

ذكر ابن إسحق وفاة أبي طالب إلى آخر القصة، وفيها قال العباس: والله لقد قال أخي

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١/٥٥٣) من طريق المصنف به.

يا ابن أخي، والله لولا مخافة السُّبَّة عليك، وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظنَّ قُرَيْشُ
إني قتلها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأُسْرَكَ بها. قال: فلما تقارب من أبي
طالب الموت، قال: نظر العباسُ إليه يحركُ شفثيه، قال: فأصغى إليه بأذنه، قال: فقال
يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال: فقال رسول الله ﷺ:
لم أسمع.

الكلمة التي أمرته بها، فقال رسول الله - ﷺ -: لم أسمع^(١).

قال المؤلف: شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعدما أسلم، لكانت مقبولة، ولم يرد
بقوله لم أسمع، لأن الشاهد العدل إذا قالت: سمعت، وقال من هو أعدل منه: لم أسمع
أُخِذَ بقول من أثبت السماع، لأن عدم السماع يحتمل أسباباً منعت الشاهد من السمع، ولكن
العباس شهد بذلك قبل أن يُسَلِّمَ مع أن الصحيح من الأثر، قد أثبت لأبي طالب الوفاة على
الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه: ﴿ما كان لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) [التوبة: ١١٣] وثبت في الصحيح أيضاً أن العباس قال لرسول الله ﷺ: إن
أبا طالب كان يَحُوطُك وينصرك، ويغضب لك، فهل ينفعه ذلك؟ قال: «نعم وجدته في
عَمَرَاتٍ من النار، فأخرجته إلى ضَحَضَاح»^(٣) وفي الصحيح أيضاً من طريق أبي سعيد، أنه
- عليه السلام - قال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضَحَضَاح من النار يبلغ
كعبيه يغلي منه دماغه» وفي رواية أخرى: كما يغلي المِرْجَلُ بالقُمُومِ، وهي مُشْكِلَةٌ، وقال
بعض أهل العلم: القُمُومُ: هو البُسْرُ الأخضر يُطْبَخُ في المِرْجَلِ استعجالاً لنضجه، يفعل
ذلك أهل الحاجة، وفي رواية يونس عن ابن إسحق زيادة، وهي أنه قال: يغلي منها دماغه
حتى يسيل على قدميه، ومن باب النظر في حكمة الله، ومشكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب
كان مع رسول الله ﷺ بجملته مُتَحَرِّباً له، إلا أنه مثبت لقدميه على مِلَّةِ عبد المطلب، حتى قال
عند الموت: أنا على مِلَّةِ عبد المطلب، فسُلِّطَ العذابُ على قدميه خاصَّةً لتثبته إياهما على
ملة آبائه، ثبتنا الله على الصراط المستقيم.

وذكر قول الله تعالى: ﴿ما كان لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾
[التوبة: ١٣] وقد استغفر عليه السلام يوم أُخِذَ فقال: اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون،

(١) انظر البداية (١٢٣/٣).

(٢) انظر خبر وفاة أبي طالب على الكفر والشرك - والعياذ بالله تعالى - في صحيح البخاري الحديث رقم (٤٦٧٥). وفي الفتح (٣٤١/٨) وطبقات ابن سعد (١٢٢/١) المنتظم (٧/٣).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (١٩٥).

وذلك حين جَرَحَ المشركون وجهه وقتلوا عمه. وكثيراً من أصحابه، ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخة لاستغفاره يوم أُحُدٍ، لأنَّ وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة، ولا ينسخ المتقدم المتأخّر، وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة: أن قيل: استغفاره لقومه مشروط بتوبتهم من الشرك، كأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ويُقوِّي هذا القول رواية من روى: «اللهم اغفر قومي فإنهم لا يعلمون»^(١)، وقد ذكرها ابن إسحق، رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ، وقيل. مغفرة تُصْرَف عنهم عقوبة الدنيا في المَسْخِ والخَسْفِ، ونحو ذلك، ووجه ثالث، وهو أن تكون الآية تأخر نزولها، فنزلت بالمدينة ناسخة للاستغفار للمشرّكين، فيكون سبب نزولها متقدماً، ونزولها متأخراً لا سيما، وهي في سورة براءة وبراءة، من آخر ما نزل، فتكون على هذا ناسخة للاستغفارين جميعاً، وفي الصحيح أن رسول الله - ﷺ - دخل على أبي طالب عند موته، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: يا عمّ قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب، فقال أنا على ملة عبد المطلب، وظاهر الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك، ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبد المطلب، وأنه قد قال فيه: مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد - ﷺ - وعلم أنه لا يبعث إلا بالوحيد^(٢)، فالله أعلم، غير أن في مسند البزار، وفي كتاب النسوي من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال لفاطمة، وقد عزّت قومًا من الأنصار عن مئتهم: لعلك بلغت معهم الكُذْيَ، ويروى الكرى بالراء، يعني: القبور، فقالت: لا، فقال: لو كنت معهم الكُذْيَ أو كما قال، ما رأيت الجنة، حتى يراها جدُّ أبيك^(٣)، وقد أخرجه أبو داود، ولم يذكر فيه حتى يدخلها جدُّ أبيك، وكذلك لم يذكر فيه: ما دخلت الجنة، وفي قوله: جدُّ أبيك، ولم يقل: جدك يعني: أباه توطئة للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه، وآمنا به، فالله أعلم، ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله: حتى يدخلها جدُّ أبيك، فتوهم أنه الجد الكافر، ومن جدوده عليه السلام: إسماعيل وإبراهيم، لأن قوله عليه السلام حق، وبلوغها معهم الكُذْيَ لا يوجب خلوداً في النار، فهذا من لطيف الكناية فافهمه، وحكي عن هشام بن السائب أو ابنه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم، فقال: يا معشر قريش، أنتم صَفْوَةُ الله من

(١) انظر مناهل الصفا (١٦) والسيوطي في الدر (٢/٢٩٨) (٣/٩٤).

(٢) لا صحة لهذا وقد تقدم التنبيه عليه غير مرة.

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٢٣) بتحقيقي دون الزيادة. وأخرجه كاملاً النسائي (٤/٢٧) وإسناده ضعيف.

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب

قال: وأنزل الله تعالى في الرُّهط الذين كانوا اجتمعوا إليه، وقال لهم ما قال، وردّوا عليه ما ردّوا: ﴿صَ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ١، ٢].. إلى قوله تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ وأنطلق الملائكة منهم أن امشوا واضبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يُزاد ما سمعنا بهذا في

خلقه، وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، والواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبًا إلا أحرزتموه، ولا شرفًا إلا أدركتموه، فلكم بذلكم على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حزب، وعلى حريكم ألْب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البينة^(١)، فإن فيها مَرَضَةٌ للرب، وقوامًا للمعاش، وَثَبَاتًا لِلوُطْأَةِ، صَلَوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن في صلة الرحم مَنَسَةً في الأجل، وسِعَةً في العدد، وتركوا البغي والعقوق، ففيهما هَلَكَةُ القرون قبلكم، أجبوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة والممات، عليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيهما محبة في الخاص، ومَكْرَمَةٌ في العام، وإني أوصيكم بمحمد خيرًا، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاء بأمرٍ قبله الجَنَانُ، وأنكره اللسان مخافة الشَّنَانِ، وأيم الله كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى صَعَالِكَ الْعَرَبِ، وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته وعظموا أمره، فخاض بهم غَمَرَاتِ الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابًا ودورها خرابًا، وضعفاؤها أربابًا^(٢)، وإذا أعظمهم عليه، أخواجهم إليه، وأبعدهم منه، أخطأهم عنده، قد مَحَضَّتْهُ الْعَرَبُ وِدَادَهَا، وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا، وأعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاةً ولحزبه حُمَاةً، والله لا يسلك أحد منكم سبيلَه إلا رَشَدٌ، ولا يأخذ أحد بهذيه إلا سَعِدَ، ولو كان لنفسي مدة، ولأجلي تأخير، لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهُزَ^(٣)، ولدافعتُ عنه الدَّوَاهِي، ثم هلك.

تفسير المشي في سورة ص

فصل: وذكر ما أنزل الله تعالى في قولهم: ﴿إِنْ امْشُوا واضبروا على آلهتكم﴾ وذكر بعض أهل التفسير أن قولهم: امشوا من المَشَاءِ، لا من المَشْيِ والمَشَاءِ: ثَمَاءُ المال وزيادته،

(١) يعني الكعبة.

(٢) أربابًا: أي مطاعين.

(٣) الهزاهز: الفتن.

المِلَّةُ الْآخِرَةُ ﴿ يعنون النصارى ، لقولهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ - ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾
[ص: ٧] ثم هلك أبو طالب .

يقال مَشَى الرجلُ ، وأمَشَى : إذا نَمَا ماله قال الشاعر :
وَكُلُّ قَتَى وَإِنْ أَمَشَى وَأَثَرَى سَتَخْلِجُهُ عَنِ الدُّنْيَا مَثُونٌ
وقال الراجز :

وَالشَّاءُ لَا تَمْشِي عَلَى الْهَمَلِ

أي : لا تَكْثُرْ ، وَالْهَمَلُ : الذئب ، وقاله الخطابي في معنى الآية ، كأنهم أرادوا أن
الْمَشَاءَ والبركة في صبرهم على آلهتهم ، وَحَمَلَهَا عَلَى الْمَشْيِ أظهر في اللغة ، والله أعلم .

تتابع المصائب بموت خديجة :

وذكر تَتَابُعَ المصائب على رسول الله - ﷺ - بِمُوتِ خديجة ثم بموت عمه ، وذكر
الزبير في حديث أسنده أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة ، وهي في الموت ، فقال :
تكرهين ما أرى منك يا خديجة ، وقد يجعل الله في الكره خيراً شعرت أن الله قد أعلمني أنه
سَيَرْوِجُنِي معك في الجنة مريم ابنة عمران ، وَكُلْثُومَ أخت موسى ، وآسية امرأة فِرْعَوْنَ ،
فقالت : الله أعلمك بهذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقالت : بالرفاء والبنين ، وذكر أيضاً في
الحديث أن رسول الله - ﷺ - أطعمَ خديجة من عَنَبِ الجنة^(١) .

(١) «ضعيف» . أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (١٩/٣) .

الرسول يسعى إلى الطائف

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - ﷺ - من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمّه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف، والمّنة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجلّ، فخرج إليهم وحده.

موقف ثقيف من الرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمّد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد يالئيل بن عمرو بن عُمير، ومسعود بن عمرو بن عُمير، وحبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه؛

خروج النبي ﷺ إلى الطائف^(١)

وسنذكر السبب في تسميتها بالطائف، وأن الدمون!! رجل من الصّدف من خَضْرَمَوْت نزلها، فقال لأهلها: ألا أبني لكم حائطًا يطيف ببلدكم فبناه، فسميت: الطائف، وقيل: غير ذلك مما سنذكره.

(١) الطائف: ناحية ذات نخل وأعناب ومزارع وأودية وهي على ظهر جبل غزوان. وانظر الخبر في الكامل (٦٠٧/١) زاد المعاد (٣١/٣) المنتظم (١٣/٣) طبقات ابن سعد (٢١١/٢١٠/١) تاريخ الطبري (٥٥٤/١).

فقال له أحدهم: هو يَمُرُّ ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلك؛ وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يُرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلّمك أبداً. لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أُرَدَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلّمك. فقام رسولُ الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم - فيما ذكر لي -: إذا فعلتم ما فعلتم فاكنتموا عني، وكره رسولُ الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه، فيذّثرهم ذلك عليه. قال ابن هشام: قال عبيد بن الأبرص:

ولقد أتاني عن تميم أنهم ذُيِّرُوا لقتلى عامر وتعصّبوا

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعُتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظلّ حَبْلة من عنب، فجلس فيه. وابنا ربيعة ينظران

وقوله: فيذّثرها عليه، قد فسرهُ ابن هشام، وأنشد:

ذُيِّرُوا لقتلى عامرٍ وتعصّبوا

وفي الحديث لما نهى رسولُ الله ﷺ عن ضرب النساء قال: ذئير النساء على أزواجهن^(١)، وفسره أبو عبيد بالشُّوز على الأزواج، وأنشد البيت الذي أنشده ابن هشام، ومعنى كلامهما واحد.

وذكر ما لقي من أشراف ثقيف، وذكر موسى بن عقبة زيادةً في الحديث حين أغرّوا به سفهاءهم، قال: وكان يمشي بين سَمَاطين منهم، فكلّما نَقَلُوا قدما، رَجَمُوا عَراقيبَه بالحجارة، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وذكر التَّيْمِيُّ كما ذكر ابن عقبة، وزاد قال: كان إذا أذْلَقَتْهُ الحِجَارَةُ، قعد إلى الأرض، فيأخذون بِعَصِيدِهِ، فيقيمونه فإذا مشى رَجَمُوهُ، وهم يضحكون حتى انتهى إلى الموضع الذي ذكره ابن إسحق من حائط عُتْبة وشَيْبَةَ.

قال ابن إسحق: فجلس إلى ظل حَبْلة، والحَبْلة الكزمة، اشتق اسمُها من الحَبَل، لأنها تحمل بالعنب، ولذلك فتح حَمْلُ الشجرة والنخلة، فقليل: حَمْلٌ بفتح الحاء تشبيهاً بحَمْلِ المرأة، وقد يقال فيه: حَمْلٌ بالكسر تشبيهاً بالحَمْل الذي على الظهر، ومن قال في الكزمة حَبْلة بسكون الباء، فليس بالمعروف، وقد قال أبو الحسن بن كيسان في «نهي النبي ﷺ عن بَيْع حَبَلِ الحَبْلة»^(٢)، إنه بيع العنب قبل أن يَطْيَب، كما جاء في الحديث

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٨٥) وأبو داود (٢١٤٦) بتحقيق.

(٢) أخرجه الترمذي (١٢٢٩) وابن ماجه (٢١٩٧) وأحمد (٥٦/١).

إليه، وَيَزَيَّانَ مَا لَقِيَ مِنْ سُفْهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا ذُكِرَ لِي - الْمَرْأَةَ الَّتِي مِنْ بَنِي جُحَمَحَ، فَقَالَ لَهَا: مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَائِكَ؟^(١).

الآخر من نهيه عن بيع التمر قبل أن يبدو صلاحه، وهو قول غريب لم يذهب إليه أحد في تأويل الحديث، وقد قال عمر بن الخطاب في الأرضين التي افتتحت في زمانه - وقد قيل له: قسمها على الذين افتتحوها - فقال: والله لأدعنها حتى يجاهد بها حَبَلُ الْحَبْلَةِ، يريد: أولادها في البطون. ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال، والقول الذي ذكره أبو الحسن في حَبَلِ الْحَبْلَةِ وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب وإنما أشكل عليه وعلى غيره دخول الهاء في الْحَبْلَةِ، حتى قالوا فيه أقوالاً كلها هباء، فمنهم من قال: إنما قال الْحَبْلَةِ لأنها بهيمة أو جنيّة، ومنهم من قال: دخلت للجماعة، ومنهم من قال: للمبالغة، وهذا كله ينعكس عليهم بقوله: حَبَلُ الْحَبْلَةِ، فإنه لم تدخل التاء إلا في أحد اللفظين دون الثاني، وتبطل أيضاً على من قال أراد: معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم، وإنما النكتة في ذلك أن الحَبْلَ ما دام حَبْلًا لا يدرى: أَذْكَرُ هُوَ أَمْ أُنْثَى، لم يُسَمَّ حَبْلًا، فإذا كانت أنثى، وبلغت حد الحمل، فحبلت فذاك الحبل هو الذي نهى عن بيعه، والأول قد علمت أنوثته بعد الولادة، فعبر عنه بالحبل، وصار معنى الكلام أنه نهى عن بيع حَبَلِ الْجَنَيْتَةِ الي كانت حَبْلًا لا يعرف ما هي، ثم عرف بعد الوضع، وكذلك في الآدميين، فإذا لا يقال لها: حبلّة إلا بعد المعرفة بأنها أنثى، وعند ذكر الحبل الثاني لأن هذه الأنثى قبل أن تحبل، وهي صغيرة: رِخْلَى، وتسمى أيضاً حائلاً وأشباه ذلك، وقد زال عنها اسم الحبل فإذا حبلت، وذكر حبلها وازدوج ذكره مع الحالة الأولى التي كانت فيها حبلًا فُرّق بين اللفظين بتاء التأنيث، وخص اللفظ الذي هو عبارة عن الأنثى بالتاء دون اللفظ الذي لا يدرى ما هو: أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى، وقد كان المعنى قريباً والمأخذ سهلاً لا يحتاج إلى هذه الإطالة لولا ما قدمناه من تخليطهم في تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذي لا يَقْدَرُ قَدْرُهُ في البلاغة إلا عالم بجوهر الكلام.

(١) تقدم ذكر ورود الخبر. وقد أخرجه المصنف هنا عن محمد بن كعب مرسلًا. والقصة صحيحة دون ذكر الدعاء الآتي، فقد ذكره المصنف رحمه الله تعالى بلا سند فقال كما سيأتي: «فيما ذكر لي». وقد أورد الحديث [الدعاء] الهيثمي في المجمع (٣٥/٦) من حديث عبد الله بن جعفر وقال: رواه الطبراني وفيه ابن إسحق وهو مدلس وبقيّة رجاله ثقات. وهو كما قال رحمه الله.

فلما اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ قال: فيما ذُكر لي: «اللَّهُمَّ إِيكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ

نور الله ووجهه^(١):

فصل: وذكر دعاءه - عليه السلام - عند الشدة، وقوله: اللهم إني أشكو إليك ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي إِلَى آخِرِ الدَّعَاءِ، وفيه: أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُسْأَلُ عَنِ النُّورِ هُنَا، وَمَعْنَى الْوَجْهِ، وَإِشْرَاقِ الظُّلُمَاتِ، أَمَّا الْوَجْهُ إِذَا جَاءَ ذِكْرُهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُوَ يَنْقَسِمُ فِي الذِّكْرِ إِلَى مَوْطِنَيْنِ: مَوْطِنٍ تَقَرُّبٍ وَاسْتِرْضَاءٍ بِعَمَلٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وَكَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ فَالْمَطْلُوبُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ: رِضَاهُ وَقَبُولُهُ لِلْعَمَلِ، وَإِقْبَالُهُ عَلَى الْعَبْدِ الْعَامِلِ، وَأَصْلُهُ أَنْ مَنْ رَضِيَ عَنْكَ، أَقْبَلَ عَلَيْكَ، وَمَنْ غَضِبَ عَلَيْكَ أَعْرَضَ عَنْكَ، وَلَمْ يُرِكَ وَجْهَهُ، فَأَفَادَ قَوْلُهُ: بِوَجْهِكَ هُنَا مَعْنَى الرِّضَا وَالْقَبُولِ، وَالْإِقْبَالِ، وَلَيْسَ بِصَلَةِ فِي الْكَلَامِ كَمَا قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لِأَنَّ قَوْلَهُ ذَلِكَ هُورَاءُ مِنَ الْقَوْلِ، وَمَعْنَى الصَّلَةِ عِنْدَهُ: أَنَّهَا كَلِمَةٌ لَا تَقِيدُ إِلَّا تَأَكِيدُ الْكَلَامَ، وَهَذَا قَوْلٌ مِنْ غَلْظِ طَبْعِهِ وَبَعْدِ الْعُجْمَةِ عَنْ فَهْمِ الْبَلَاغَةِ قَلْبُهُ وَكَذَلِكَ قَالَ هُوَ وَمَنْ قَلَّدَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٢٧] أَيِ يَبْقَى رَبُّكَ، وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، أَيِ: إِلَّا إِيَّاهُ، فَعَلَى هَذَا قَدْ خَلَا ذِكْرُ الْوَجْهِ مِنْ حِكْمَةٍ، وَكَيْفَ تَخْلُو كَلِمَةً مِنْهُ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْحَكِيمُ، وَلَكِنْ هَذَا هُوَ الْمَوْطِنُ الثَّانِي مِنْ مَوَاطِنِ ذِكْرِ الْوَجْهِ، وَالْمَعْنَى بِهِ مَا ظَهَرَ إِلَى الْقُلُوبِ وَالْبَصَائِرِ مِنْ أَوْصَافِ جَلَالِهِ وَمَجْدِهِ، وَالْوَجْهُ لُغَةً مَا ظَهَرَ مِنْ

(١) الوجه صفة من صفات ربنا الرحمن جلّ وعلا، نؤمن أن الله تعالى وجهها كما صرح القرآن الكريم، وأن له تعالى يد، والله تعالى قدم وساق وأصابع، نؤمن بكل ما صرح به القرآن وما جاءت به السنة الصحيحة مع إيماننا بأنه تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ومن فسّر وتأول اليد وقال هي القدرة، فقد كذب القرآن واتهم ربه إما بالجهل بنفسه تعالى، أو بالجهل بلغة العرب فلم يعلم الفرق بين اليد والقدرة، أو أنه تعالى يريد أن يضلّ عباده فيقول لهم ويأمرهم أن يؤمنوا بما لا يريد منهم، فهو تعالى يريد أن يضلّهم حينما قال تعالى في كتابه أن اليهود قالوا: ﴿يد الله مغلولة﴾ ردّ تعالى عليهم قولهم فقال تعالى: ﴿بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾، وأمر عباده أن يؤمنوا أن له يد مبسوطة، ويسألهم يوم القيامة عن هذا ثم يقول لهم: كلام لم أرد منكم أن تؤمنوا أن لي «يد» بل هي «القدرة» - سبحانه وتعالى علواً كبيراً - أو أن التأول يتهم ربه والله ومعبوده بكل هذا. ثم تقول لمن يقول إن اليد معناه القدرة، وأن الوجه معناه كذا، وأن الضحك والغضب والفرح معناه: كذا وكذا وكذا، تقول لهم: «أنتم أعلم أم الله». إنه تعالى هو الذي قال عن نفسه هذا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. والنور: اسم من أسماء الله تعالى قاله ابن القيم وغيره. وقد جمعت أقوالهم في كتابي «القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى» فانظره لزماً.

رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّمِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أُمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ

الشيء معقولاً كان أو محسوساً، تقول: هذا وجهُ المسألة، ووجهُ الحديث، أي: الظاهر إلى رأيك منه، وكذلك الثوب ما ظهر إلى بصرك منه، والبصائر لا تحيط بأوصاف جلاله، وما يظهر لها من ذلك أقل مما يغيب عنها، وهو الظاهر والباطن - تعالى وجل - وكذلك في الجنة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه إنما هو نظر إلى ما يَرَوْنَ من ظاهر جلاله إليهم عند تجليه، ورفع الحجاب دونهم، وما لا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا.

وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] لما كانت السموات والأرض، قد أظهرت من قدرته وسلطانه، ما أظهرت أخبر تعالى أن فناءها لا يُغَيِّرُ ما علم من سلطانه وظهر إلى البصائر من جلاله، فقد كان ذلك الجلال قبل أن يخلُقها، وهو باقٍ بعد فنائها كما كان في القِدَم، فهو ذو الجلال والإكرام، قال الحسن: معناه: تَجَلَّلَ بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر إلى وجهه أما الأشعري^(١) فذهب في معنى الوجه إلى ما ذهب فيه من معنى العين واليد، وأنها صِفَاتُ اللَّهِ تعالى لم تُعَلَّمْ من جهة العقول، ولا من جهة الشرع المنقول، وهذه عُجْمَةٌ أَيْضًا فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فَقَدْ فَهَمَتِ الْعَرَبُ لَمَّا نَزَلَ بِلِسَانِهَا، وَلَيْسَ فِي لَفْظِهَا أَنَّ الْوَجْهَ صِفَةٌ وَلَا إِشْكَالٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْهُمْ، وَلَا عَلَى الْكَافِرِ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي اخْتِيجَ آخِرُ الزَّمَانِ إِلَى الْكَلَامِ فِيهِ مَعَ الْعِجْمَانِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَخْشَ عَلَى عَقِيدَتِهِ شَكًّا وَلَا تَشْبِيهًا، فَلَمْ يَسْتَفْسِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا سَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي هِيَ الْيَوْمَ مُشْكَلَةٌ عِنْدَ عَوَامِ النَّاسِ، وَلَا الْكَافِرِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهَا فِي مَعْرِضِ الْمُنَاقِضَةِ وَالْمُجَادَلَةِ، كَمَا فَعَلُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وَلَا قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ: يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّ اللَّهَ مَا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ يُثَبِّتُ لَهُ وَجْهًا وَيَدَيْنِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا فِي الْآيَةِ إِشْكَالًا، وَتَلَفَّؤُوا مَعَانِيَهَا عَلَى غَيْرِ التَّشْبِيهِ، وَعَرَفُوا مِنْ سَمَانَةِ الْكَلَامِ، وَمَلَاحَةِ الِاسْتِعَارَةِ أَنَّهُ مُعْجِزٌ، فَلَمْ يَتَعَاطَوْا لَهُ مُعَارَضَةً، وَلَا تَوَهُّمُوا فِيهِ مُنَاقِضَةً، وَقَدْ أَمْلَيْنَا فِي مَعْنَى الْيَدَيْنِ وَالْعَيْنِ مَسْأَلَةً بَدِيعَةً جَدًّا، فَلْتَنْظُرْ هُنَاكَ.

وأما النورُ فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلهية، وبه أشرقت الظلمات، أي أشرقت محالها وهي القلوب التي كانت فيها ظلمات الجهالة والشكوك، فاستنارت القلوب

(١) اتباع أبا الحسن الأشعري.

الظلمات، وصَلَح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العُتْبَى حتى تَرْضَى، ولا حول ولا قوّة إلا بك».

قال: فلما رآه ابنا ربيعة، عُتْبَةُ وشَيْبَةُ، وما لقي، تحرّكت له رَحْمُهُما فَدَعَوْا غلامًا لهما نَصْرَانِيًا، يقال له عَدَّاس فقالا له: خذ قِطْفًا من العنب، فضَّعْهُ في هذا الطَّبَق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عَدَّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله - ﷺ - ثم قال له: كُلْ، فلمَّا وضع رسولُ الله ﷺ فيه يده، قال: «باسم الله»، ثم أكل، فنظر عَدَّاس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلامَ ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «وَمِنْ أَهْلِ أَيْ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاس، وما دينك؟» قال: نَصْرَانِي، وأنا رجل من أهل نَيْنَوَى. فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟» فقال له عَدَّاس: وما يُدْرِك ما يونس بن متى؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبيا وأنا نبي»، فأكتب عَدَّاس على رسول الله ﷺ يَقْبَلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ وَقَدَمِيهِ.

بنور الله، وقد قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي: مَثَلُ نُورِهِ في قلب في المؤمن كَمَشْكَاةٍ، فهو إذا نور الإيمان والمعرفة: الْمُجَلِّي لكل ظلمةٍ وشك، قال كعب: المِشْكَاةُ مَثَلٌ لِفَهْمِهِ، والمصباحُ مَثَلٌ لِّلِسَانِهِ، والزجاجة: مَثَلٌ لِّصَدْرِهِ، أو لقلبه أي: قلب محمد ﷺ، وقال: أعوذ بنور وجهك، ولو قال: بنورك لحسن، ولكن توسل إليه بما أودع قلبه من نوره، فتوسل إلى نعمته بنعمته وإلى فضله ورحمته بفضله ورحمته، وقد تكون الظلمات هاهنا أيضًا الظلمات المحسوسة وإشراقها جلالتها على خالقها، وكذلك الأنوار المحسوسة، الكلُّ دالٌّ عليه فهو نور النور، أي: مظهره مُنَوِّرُ الظلمات، أي جاعلها نورًا في حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى.

خبر عداس:

فصل: وذكر خبر عَدَّاس غلام عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابني ربيعة حين جاء بالقِطْفِ من عندهما إلى آخر القصة، وفيه قبولُ هدية المشرك، وأن لا يَتَوَرَّع عن طعامه، وسيأتي استقصاء ذلك إن شاء الله تعالى، وزاد التَّبَيُّيُّ فيها أن عَدَّاسًا حين سمعه يذكر يونس بن متى قال: والله لقد خَرَجْتُ منها يعني: نَيْنَوَى، وما فيها عَشْرَةٌ يعرفون: ما مَتَّى، فمن أين عرفت أنت مَتَّى، وأنت أُمِّي، وفي أمة أُمِّيَّة؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «هو أخي، كان نبيا، وأنا نبي»، وذكروا أيضًا أن عَدَّاسًا لما أراد سيده الخروج إلى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما: أقتل ذلك الرجل الذي رأيته بحاطكما تريدان، والله ما تقوم له الجبال، فقالا له: وَيَحْكُ يَا عَدَّاس: قد

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أَمَا غَلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عَدَّاس، قالَا له: ويلك يا عَدَّاس! ما لك تقبِّل رأسَ هذا الرجل ويديهِ وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يَعلمه إلا نبيّ، قالَا له: ويحك يا عَدَّاس، لا يَصْرَفُكَ عن دينك، فإنَّ دينك خير من دينه.

أمر جنّ نصيبين

قال: ثم إن رسول الله - ﷺ - انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة، حين يئس من خَيْر ثقيف، حتى إذا كان بَنَخْلَةَ قام من جَوْف الليل يصليّ، فمرَّ به النَّفَر من الجنّ الذين

سَخَرَك بلسانه، وعندما لقي رسولُ الله - ﷺ - من أهل الطائف، ما لقي، ودعا بالدعاء المتقدم، نزل عليه جبريلُ ومعه مَلَكُ الجبال كما رَوَى البخاري عن عبد الله بن يوسف، عن يونس، عن ابن شهابٍ قال: حَدَّثَنِي عَزْرَةُ أن عائشةَ زوج النبي - ﷺ - حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قالت للنبي عليه السلام: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليك من أُحُدٍ؟ فقال: «لقد لقيتُ من قومك، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يومَ العَقَبَةِ إذ عَرَضْتُ نفسي على ابنِ عَبدِ يَليْلِ بنِ عَبدِ كُلالٍ، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي، وأنا مهموم، فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ»^(١)، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أَظْلَنَتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكُ الجبال، لتأمره بما شئتَ فيهم، فناداني مَلَكُ الجبال، فَسَلَّمَ عَلَيَّ فقال: يا مُحَمَّد ذلك لك، إن شئتَ أطبق عليهم الأَخَشَبِينَ، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً»^(٢). هكذا قال في الحديث: ابن عَبدِ كُلالٍ، وهو خلاف ما نسبهُ ابن إسحاق.

جنّ نصيبين (٣)

فصل: وذكر حديث وفد جنّ نصيبين، وما أنزل الله فيهم، وقد أملينا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفًا من أخبارهم وبيننا هنالك أسماءهم، ونصيبين مدينة بالشام أثنى عليها رسولُ

(١) قرن الثعالب: هي ميقات أهل نجد تلقاء مكة.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٢٢٥/٦) ومسلم في الجهاد. حديث رقم (١٧٩٥).

(٣) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٦٢/٤) أن جنّ نصيبين واستماعهم للقرآن كان من أول البعثة وليس بعد فقوله - ﷺ - من الطائف. وانظر فتح الباري (٥١٤/٨).

ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جنّ أهل نصيبين فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا. فقصّ الله خبرهم عليه ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيُجْزَوْنَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة.

الله ﷺ. روي أنه قال: «رفعت إلي نصيبين حتى رأيتهما فدعوت الله أن يغدب نهرهما، ويتضرع شجرهما، ويطيب ثمرهما» أو قال: «ويكثر ثمرهما»، وتقدم في أسمائهم ما ذكره، ابن ذرّيد. قال: هم منشي وماشي وشاصر وماصر والأحقب، ولم يزد على تسمية هؤلاء، وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم، وفي الصحيح أن الذي أذن رسول الله - ﷺ - بالجن ليلة الجن شجرة، وأنهم سأله الزاد، فقال: «كل عظم دُكِرَ اسم الله عليه يقع في يد أحدهم. أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعر علف لدوابهم»^(١). زاد ابن سلام في تفسيره أن البعر يعود خضرًا لدوابهم، ثم نهى رسول الله - ﷺ - أن يستنجى بالعظم والرؤث، وقال: «إنه زاد إخوانكم من الجن»، ولفظ الحديث في كتاب مسلم كما قدمناه: «كل عظم دُكِرَ اسم الله عليه»^(٢)، ولفظه في كتاب أبي داود: «كل عظم لم يُذكر اسم الله عليه»، وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبي داود، وقال بعض العلماء رواية مسلم في الجن المؤمنين، والرواية الأخرى في حق الشياطين منهم، وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث إلا أنا نكره الإطالة، وفي هذا ردّ على من زعم أن الجن لا يأكل ولا يشرب، وتأولوا قوله - عليه السلام - «إن الشيطان يأكل يشماله، ويشرب يشماله»^(٣) على غير ظاهره، وهم ثلاثة أصناف كما جاء في حديث آخر: صنف على صور الحيات، وصنف على صور الكلاب سودّ وصنف ريح طيارة أو قال: هفاة ذوو أجنحة، وزاد بعض الرواة في الحديث: وصنف يخلون ويقعون^(٤)، وهم السعالي، ولعل هذا الصنف الطيّار هو الذي لا يأكل، ولا يشرب إن صح القول المتقدم والله أعلم. وروينا في حديث سمعته يقرأ على الشيخ الحافظ أبي بكر بن العربي بسنده إلى جابر بن عبد الله، قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ نمشي إذ جاءت حية، فقامت إلى جنبه، وأدنت فاما من أذنه، وكانت تناجيه، أو نحو هذا، فقال النبي ﷺ: «نعم» فانصرفت، قال جابر: فسألته، فأخبرني أنه رجل من الجن، وأنه قال له: مُر أمتك لا يستنجوا بالرؤث، ولا بالرّمة، فإن الله جعل لنا في ذلك رزقًا.

(١) أخرجه البيهقي (١٠٩/١١/٢) وانظر البخاري في مناقب الأنصار (٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة (١٥٠) والترمذي وأحمد (٣٩/١).

(٣) أخرجه مسلم في الأشربة (١٠٦/١٠٥). (٤) انظر أحمد (٢١٨/١).

عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ مكة، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلاً مُستضعفين، ممن آمن به. فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المَواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مُرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.

قال ابن إسحاق: فحدثني من أصحابنا، من لا أتهم، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الديلي أو من حدثه أبو الزناد عنه - قال ابن هشام: ربيعة بن عباد.

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، قال: سمعت ربيعة بن عباد، يحدثه أبي، قال: إني لغلام شاب مع أبي يمني، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن

ذكر عرض نفسه على القبائل^(١)

فصل: وذكر عَرَضَهُ نَفْسَهُ - ﷺ - على القبائل، ليؤمنوا به، ولينصروه قبيلةً قبيلةً، فذكر بني حنيفة، واسم حنيفة: أثال بن لجيم، ولجيم: تصغير اللجيم، وهي دُوَيْبَةُ، قال قُطْرُب، وأنشد:

لها ذَنْبٌ مِثْلُ ذَنْبِ الْعَرَوِ س إلى سَبَّةٍ مِثْلِ جَحْرِ اللَّجَمِ

ابن صُغْب بن علي بن بكر بن وائل، وسمى حنيفة لَحَنَفٍ كان في رجله، وقيل: بل حنيفة أمهم، وهي بنت كاهل بن أسد عَرَفُوا بها، وهم أهل اليمامة، وأصحاب مُسَيْلَمَةَ الكَذَاب، وقد أَمَلِينَا في أول الكتاب سَبَبَ نزولهم اليمامة وأول من نزلها منهم.

وذكر بَيْحَرَةُ بن فراس العامري، وقوله لرسول الله ﷺ: أَقْنُهُدُ نُحُوزَنَا، للعرب دونك. نُهْدِفُ أي: نجعلها هَدَفًا لسهامهم، والهِدْفُ: الغرض.

وذكر قول الشيخ^(٢): هل لها من تَلَافٍ، أي: تَدَارُكٍ، وهو تَفَاعُلٌ من: تَلَاقَيْتُهُمْ، وهل لذنابها من مطلب: مَثَلٌ ضَرَبَ لما فاتته منها، وأصله: من دُنَابِي الطائر: إذا أفلت من الجَبَالَةِ، فطلبت الأخذ بِدُنَابَاهَا، وقال: ما تقولها إسماعيلي قط أي: ما ادعى النبوة كاذبًا أحد من بني إسماعيل.

(١) انظر تاريخ الطبري (٥٥٦/١) الكامل لابن الأثير (٦٠٨/١).

(٢) هذا القول هو عند ابن إسحاق في السيرة تحت عنوان «العرض على بني عامر».

تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَخْلَعُوا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَتَادِ، وَأَنْ تَوَمَّنُوا بِي، وَتَصَدَّقُوا بِي، وَتَمْنَعُونِي، حَتَّى أُبَيِّنَ عَنْ اللَّهِ مَا بَعْثَنِي بِهِ». قَالَ: وَخَلَفَهُ رَجُلٌ أَخْوَلٌ وَضِيءٌ، لَهُ عَدِيرَتَانِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ، فَإِذَا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، وَمَا دَعَا إِلَيْهِ، قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: يَا بَنِي فُلَانٍ، إِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَدْعُوكُمْ أَنْ تَسْلُخُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَحُلَفَاءَكُمْ مِنَ الْجَنِّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ أَقْنِشٍ، إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَلَا تُطِيعُوهُ، وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُ.

قال: فقلت لأبي: يا أبت، مَنْ هذا الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمّه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب^(١).

قال ابن هشام: قال النابغة:

كَأَنَّكَ مَنْ جَمَالَ بَنِي أَقْنِشٍ يُقْعَقَعُ خَلْفَ رَجْلَيْهِ بِشَن

قال ابن إسحاق: حدثنا ابن شهاب الزهري: أنه أتى كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَفِيهِمْ سَيِّدٌ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: مُلَيْحٌ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ.

العرض على بني كلب:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين: أنه أتى كَلْبًا فِي مَنَازِلِهِمْ، إِلَى بَطْنٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو عَبْدِ اللَّهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لَهُمْ: يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَحْسَنَ اسْمَ أَبِيكُمْ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ.

عرض نفسه على كِنْدَةَ:

فصل: وذكر عرضه نفسه على كِنْدَةَ، وَهُمْ بَنُو ثَوْرٍ بَنِ مُرَّةَ بَنِ أَدَدَ بَنِ زَيْدٍ بَنِ مَيْسَعِ بَنِ عَمْرِو بَنِ عَرِيبِ بَنِ زَيْدٍ بَنِ كَهْلَانَ بَنِ سَبَأَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ بَيْنَ النَّسَابِينَ فِي كِنْدَةَ، وَاسْمُ كِنْدَةَ لِأَنَّهُ كَنَدَ أَبَاهُ، أَيْ عَقَّهُ، وَاسْمُ ابْنِهِ مُرْتَعًا لِأَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ لِمَنْ أَتَاهُ مِنْ قَوْمِهِ مُرْتَعًا، فَهُمْ بَنُو مُرْتَعِ بْنِ ثَوْرٍ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ ثَوْرًا هُوَ مُرْتَعٌ، وَكِنْدَةُ أَبُوهُ^(٢).

في هذا الكتاب تمة لفائده:

فصل: وذكر غير ابن إسحاق ما لم يذكر ابن إسحاق مما رأيت إملاء بعضه في هذا الكتاب تمة لفائده. ذكر قاسم بن ثابت والخطابي عرضَه نفسه على بني ذهلٍ بن ثعلبة، ثم

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٥٥٥/١) من طريق المصنف به.

(٢) انظر جمهرة ابن حزم (٣٩٤).

العرض على بني حنيفة:

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردًا منهم.

العرض على بني عامر:

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صغصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم - يقال له: بَيْحَرَة بن فِرَاس. قال ابن هشام: فِرَاس بن عبد الله بن سلمة بن قُشَيْر بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صغصعة: والله، لو أني أخذت هذا الفتى من قُرَيْش، لأكلت به العرب، ثم قال: أرايت إن نحن تابعنك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال: فقال له: أَقْنَهْدِفْ نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه.

على بني شَيْبَان بن ثَعْلَبَة، فذكر الخطابي وقاسم جميعًا ما كان من كلام أبي بكر مع دَغْفَل بن حَنْظَلَة الذُّهَلِي زاد قاسم تكملة الحديث فرأينا أن نذكر زيادة قاسم، فإنها مما تليق بهذا الكتاب قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر، فسلم قال علي: وكان أبو بكر مُقَدِّمًا في كل خير، فقال مِمَّن القوم، فقالوا: من شَيْبَان بن ثَعْلَبَة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ - فقال: بأبي أنت وأمي، هؤلاء عُرِّزَ في قومهم، وفيهم مَفْرُوق بن عمرو وهانيء بن قَبِيصَة، ومُثَنَّى بن حارثة، والنعمان بن شُرَيْك؛ وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جَمَالًا وَلِسَانًا وكانت له غَدِيرَتَان^(١) تسقطان على تَرِييْتِهِ^(٢)، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ قال له مَفْرُوق إنا لنزيد على الألف، ولن تُغْلِبَ أَلْفٌ من قِلَّةٍ فقال أبو بكر: كيف المنة فيكم؟ فقال مَفْرُوق: علينا الجهد، ولكل قوم جد، فقال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غَضَبًا لحين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لثوثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللِّقَاح^(٣)، والنصر من عند الله، يُدِيلُنَا مَرَّةً وَيُدِيلُ عَلَيْنَا، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر أوقد بلغكم أنه رسول الله، فهذا هو ذا، فقال مَفْرُوق: قد بلغنا أنه

(٢) تربيته: أي عظام صدره.

(١) غديرتان: ضميرتان.

(٣) اللقاح: أي الإبل.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركنه السن، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في مؤسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أخذ بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعوننا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلاف، هل لذنابها من مطلب، والذي نفس فلان بيده، ما تقولها إسماعيلي قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم.

يذكر ذلك، فإلى م تدعو إليه يا أبا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ، فقال: «أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وإلى أن تؤذوني، وتنصروني، فإن قريشاً قد ظهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد»، فقال مفروق: وإلى م تدعو أيضاً يا أبا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَنْ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَبْطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ [الأنعام: ١٥١] فقال مفروق: وإلى م تدعو أيضاً يا أبا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فقال مفروق: دعوت والله يا أبا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والله لقد أفك قوم كذبوك، وظاهروا عليك، وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة، فقال: وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا، وصاحب ديننا، فقال هانيء: قد سمعت مقالتك يا أبا قريش، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى، فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حزبنا، فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أبا قريش، والجواب: هو جواب هانيء بن قبيصة في تركنا ديننا، واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، وإنا إنما نزلنا بين صريان اليمامة والسماوة، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذان الصريان؟» فقال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى، فذنبت صاحبيه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وأما ما كان من مياه العرب، فذنبت مغفور وعذره مقبول، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حديثاً ولا نؤوي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعوننا إليه هو مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن تؤويك وتنصرك مما يلي مياه العرب، فعَلْنَا فقال رسول الله ﷺ: - «ما أسأتم في الرد، إذ أفصحتم بالصدق،

عرض على العرب في المواسم

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناس بالمواسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف، إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده.

حديث سويد بن صامت

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، ثم الظفري عن أشياخ من قومه^(١)، قالوا:

قدم سويد بن صامت، أخو بني عمرو بن عوف، مكة حاجًا أو مُعتمرًا،

وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبِثُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أُنْسَبِحُونَ الله وَتُقَدِّسُونَهُ، فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذا، فتلا رسول الله - ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِآذَنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] ثم نهض النبي - ﷺ - فأخذ بيدي، فقال: «يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية، ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم» قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ، وكانوا صدقاء صبراء، وروى في حديث مُسْنَدٍ إِلَى طَارِقٍ، قال: رأيت رسول الله ﷺ مرتين: رأيتَه بسوق ذي المَجَازِ يعرض نفسه على القبائل، يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تَفْلِحُوا»، وخلفه رجل له غديرتان يَرْجُمُهُ بالحجارة، حتى أذمى كعبه، يقول: يا أيها الناس لا تسمعوا منه، فإنه كذاب، فسألت عنه، فقيل: هو غلام عبد المطلب، قلت: ومن الرجل يرجمه؟ فقيل لي: هو عمه عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ^(٢)، وذكر الحديث بطوله. خَرَّجَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ، ووقع أيضًا في السيرة من رواية يونس.

حديث سويد بن صامت

فصل: ذكر حديث سويد بن صامت وشعره.

(١) مجاميل.

(٢) أخرجه أحمد (٤٩٢/٣) والدارقطني (٤٥/٣) بتحقيقي والبيهقي في الدلائل (٣٨٠/٥) والطبراني في الكبير (٥٦/٥) والبيهقي في الكبرى (٧٦/١).

وكان سُويِدَ إنما يسمّيه قومه فيهم: الكامل، لجَلَدِهِ وشعره وشرفه ونسبه، وهو الذي يقول:

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْعَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْهَرِي
مَقَالَتُهُ كَالشَّهْدِ مَا كَانَ شَاهِدًا وبِالْعَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى ثَغْرَةِ النُّحْرِ
يَسْرُكُ بِأَدْيِهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ نَمِيمَةٌ غَشُّ تَبْتَرِي عَقَبَ الظُّهْرِ
تُبَيِّنُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ مِنَ الْغِلِّ وَالْبَغْضَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ
فَرِشْنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِشِي وَلَا يَبْرِي

وهو الذي يقول: ونافر رجلاً من بني سُليم، ثم أحد بني زَعْبِ بن مالك مائة ناقة، إلى كاهنة من كُهَّانِ العرب، فقضت له. فانصرف عنها هو والسلمي ليس معهما غيرهما، فلما فرقت بينهما الطريق، قال: مالي، يا أخا بني سُليم قال: أبعث إليك به؛ قال: فَمَنْ لي بذلك إذا قُتني به؟ قال: أنا، قال: كلاً، والذي نفس سُويِدَ بيده، لا تفارقني حتى أوتى

وفي الشعر:

وبِالْعَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى ثَغْرَةِ النُّحْرِ

يعني السيف، ومأثور: من الأثر وهو فرند^(١) السيف، ويقال فيه: أثر وإثر. قال الشاعر^(٢):

جَلَاها الصُّيْعَلُونَ فَأَخْلَصُوهَا خِفَاقًا كُلُّهَا يَنْتَقِي بِأَثَرِ

أراد: يَنْتَقِي، وسُويِدَ: هو: الكامل، وهو ابن الصُّلْتِ بن حَوْطِ بن حَبِيبِ بن عَوْفِ بن عمرو بن عَوْفِ بن مالكِ بن الأَوْسِ وأمه لَيْلَى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو [بن زيد بن ليبد بن خُداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار] تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن [الخزرج] أم عبد المطلب بن هاشم، فُسُوَيْدٌ هذا ابن خالة عبد المطلب، وبنْتُ سويد هي أُمُ عاتِكَةَ أخت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل امرأة عمر بن الخطاب، فهو جدُّها لأمِّها واسم أمها: زينب، وقيل: جليسة بنت سُويِدَ، هكذا ذكره الزُّبَيْرُ بن أبي بكر.

(١) فرند السيف: جوهره.

(٢) هو: عيسى بن عمر الخفاف. كما في الأمالي للقالبي (٣/٧٣).

بمال، فأتخذوا فضرب به الأرض، ثم أوثقه رباطاً ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سليم بالذي له، فقال في ذلك:

لا تحسبني يابن زغب بن مالك كمن كنت تُزدي بالغيوب وتختل
تحوّلت قِرْنا إذ صُرعت بعرة كذلك إن الحازم المتحوّل
صُرِبَتْ به إبط الشمال فلم يزل على كل حال خده هو أسفل
في أشعار كثيرة كان يقولها:

فتصدّى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» قال مجلّة لقمان - يعني حكمة لقمان. فقال له رسول الله ﷺ: «اعرضها علي»، فعرضها عليه، فقال له: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى علي، هو هدى ونور.» فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إن هذا لقول حسن. ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، فإن كان رجالاً من قومه لقولون: إنا لنراه قد قُتل وهو مُسلم. وكان قتله قبل يوم بُعث^(١).

ذكر مجلّة لقمان:

فصل: وذكر مجلّة لقمان، وهي الصحيفة، وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة، أما الجلالة فمن صفة المخلوق، والجلال من صفة الله تعالى، وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخلوق جلال وجلالة وأنشد^(٢):

فَلَا ذَا جَلَالٍ هَبْنَاهُ لَجَلَالَةٍ وَلَا ذَا ضِيَاعٍ هُنَّ يَثْرُكُنَ لِفَقْرِ

ولقمان كان نوبيا من أهل أيلة وهو لقمان بن عثقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذي ذكّر في القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره، وقد قيل في اسمه غير ذلك، وليس بلقمان بن عاد الحميري.

(١) انظر تاريخ الطبري (٥٥٧/١) الكامل (٦٠٩/١).

(٢) هو: هدية بن خشرم بن كرز. كما في أمالي القالي (٢٣/٢).

إسلام إياس بن مُعَاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ عن محمود بن لُبَيْد، قال: لما قَدِم أبو الحَيْسَر، أنس بن رافع، مَكَّةَ ومعه فُتْيَةٌ من بني عَبد الأشهل، فيهم إياس بن مُعَاذ، يلتمسون الحِلْفَ من قريش على قومهم من الخزرج، سَمِعَ بهم رسولُ الله - ﷺ - فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم في خير مما جئتم له؟» فقالوا له: وما ذاك؟ قال: «أنا رسولُ الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل عليّ الكتاب.» قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن مُعَاذ، وكان غلامًا حَدَثًا: أي قوم، هذا والله خير مما جئتم له. قال: فياخذ أبو الحَيْسَر، أنس بن رافع، حَفْنَةً من تراب البطحاء، فضرب بها وجهَ إياس بن مُعَاذ، وقال: دَغْنَا منك، فَلَعَمْرِي لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس، وقام رسولُ الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعَاذ أن هلك. قال محمود بن لُبَيْد: فأخبرني مَنْ حَضَرَهُ من قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعونَه يهلِّلُ الله تعالى ويكبِّرُهُ ويحمده ويُسَبِّحُه حتى مات، فما كانوا يشكِّون أنَّ قد مات مسلمًا، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.

ذكر قدوم أبي الحيسر^(١)

فصل: وذكر قدوم أبي الحَيْسَر أنس بن رافع بن يطلب الحِلْفَ، وذلك بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج، وهي حرب بُعَاث المذكورة، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثيرٌ من صَنَادِيدِهِمْ وأشرافهم، وبُعَاث اسم أرضٍ بها عرفت.

(١) انظر الكامل (١/٦١٠).

الرسول مع نفر من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز مواعده له، خرج رسول الله ﷺ، في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان صنع في كل موسم. فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً.

بدء إسلام الأنصار

ولم يكن الأنصار اسماً لهم في الجاهلية، حتى سمّاهم الله به في الإسلام، وهم: بنو الأوس والخزرج، والخزرج: الرّيح الباردة وقال بعضهم: وهي الجنوب خاصة، ودخول الألف واللام في الأوس على حد دخولها في التّيم جمع: تيمّي وهو من باب: روميّ وزوم، لأن الأوس هي العطية أو العوض، ومثل هذا إذا كان علماً لا يدخله الألف واللام، ألا ترى أنّ كل أوس في العرب غير هذا، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطائي وغيره وكذلك، أوس وأويس: الذئب قال الراجز^(١):

يا لَيْتَ شِغْرِي عَنْهُ وَالْأَمْرُ عَمَمٍ ما فعل اليومَ أُوَيْسَ بِالْعَنَمِ

وأبوهم حارثة بن ثعلبة [بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي]، وهو أيضاً: والد خُزاعة على أحد القولين، وأمهم: قَيْلَةُ بنت كاهل بن عُذرة قُضاعة يقال: هي بنت جَفنة، واسمها عُلبَةُ بن عمرو بن عامر، وقيل بنت سَنع بن الهون بن خُزَيْمة بن مدركة، قاله الزبير بن أبي بكر في كتاب أخبار المدينة.

(١) هو الهذلي كما في اللسان وانظر في بدء إسلام الأنصار: تاريخ الطبري (٣٥٣/٢) البداية والنهاية (١٤٥/٣) الدلائل للبيهقي (٤١٣/٢) المتنظم (٢٠/٣).

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا: لما لقيهم رسولُ الله ﷺ، قال لهم: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، قال: أَمِنْ مَوَالِي يَهُودٍ؟ قالوا: نعم، قال: أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكُلْمَكُمْ؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وعَرَضَ عليهم الإسلامَ، وتلا عليهم القرآن. وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعِلْم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزَّوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًا مبعوثُ الآن، قد أظلم زمانه، نَتَّبِعْهُ فنقتلكم معه قتلَ عاد وإرم. فلما كلَّم رسولُ الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلَّموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبِّقُكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدَّقوه وقبِلوا منه ما عَرَضَ عليهم من الإسلام، وقالوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَوَيْلٌ أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللهُ بِكَ، فسنقدِّم عليهم، فنَدْعُوهم إلى أمرِك، وتغرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدِّين، فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللهُ عليه فلا رجلَ أعزَّ منك.

والأنصار: جمع ناصِر على غير قياس في جمع فاعل، ولكن على تقدير حذف الألف من ناصر، لأنها زائدة، فالاسم على تقدير حذفها: ثَلَاثِي والثلاثي يجمع على أفعال، وقد قالوا في نحوه صاحب وأصحاب وشاهد وأشهد.

وذكر قول النبي - ﷺ - لِلنَّفَرِ مِنَ الْأَنْصَارِ: «أَمِنْ مَوَالِي يَهُودٍ أَنْتُمْ؟» أي من حلفائهم، والمولى يجمع: الحليف وابن العم والمُعْتِقَ والمُعْتَقَ لأنه مَفْعَلٌ من الولاية، وجاء على وزن مفعِل، لأنه مَفْرَعٌ وملجأٌ لوليه فجاء على وزن ما هو في معناه.

وذكر النفر القادمين في العام الثاني الذين بايعوه بَبَيْعَةِ النِّسَاءِ، وقد ذكر الله تعالى بَبَيْعَةَ النِّسَاءِ في القرآن فقال: ﴿يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [الممتحنة: ١٢] الآية، فأراد ببَيْعَةِ النِّسَاءِ أنهم لم يبايعوه على القتال، وكانت مبايعته للنساء أن يأخذَ عليهن العهد والميثاق، فإذا أقرن بالسَّتِيهِنَّ قال: قَدْ بَايَعْتُكُنَّ، وما مست يده يد امرأة في مبايعة كذلك قالت عائشة^(١)، وقد روى أنهم كن يأخذن بيده في البَيْعَةِ من فوق ثَوْبٍ، وهو قول عامر الشعبي، ذكره عنه ابن سلام في تفسيره، والأول أصح وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ النقاش في صفة بَيْعَةِ النِّسَاءِ وجهًا ثالثًا أورد فيه آثارًا، وهو أن رسولَ الله - ﷺ - كان يغمس يده في إناءٍ وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة، فيكون ذلك عقدًا للبَيْعَةِ، وليس هذا

(١) انظر البخاري (١٥٣/٧).

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدّقوا.

أسماء الخزرجيين الذين التقوا بالرسول عند العقبة:

قال ابن إسحاق: وهم - فيما ذكر لي: ستة نفر من الخزرج، منهم من بني النجار - وهو تيم الله - ثم من بني مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر: أسعد بن زُرارة بن عُدس بن عُبيد بن ثعلبة بن عَنَم بن مالك بن النجار، وهو أبو أمامة، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن عَنَم بن مالك بن النجار، وهو ابن عَفراء.

قال ابن هشام: وعَفراء بنتُ عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثعلبة بن عَنَم بن مالك بن النجار.

قال ابن إسحاق: ومن بني زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضب بن جُشَم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق.

قال ابن هشام: ويقال عامر بن الأزرق.

قال ابن إسحاق: ومن بني سَلَمَة بن سَعْد بن علي بن ساردة بن يزيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَواد بن عَنَم بن كَعْب بن سَلَمَة: قُطْبَة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن عَنَم بن سَواد.

قال ابن هشام: عمرو بن سَواد، وليس لسَواد ابن يُقال له: عَنَم.

قال ابن إسحاق: ومن بني حَرَام بن كَعْب بن عَنَم بن كَعْب بن سَلَمَة: عُقْبَة بن عامر بن نابي بن زَيْد بن حَرَام.

ومن بني عُبيد بن عدي بن عَنَم بن كَعْب بن سَلَمَة: جابر بن عبد الله بن رثاب بن الثُعمان بن سِنان بن عُبيد.

فلما قَدِمُوا المدينة إلى قومهم ذَكَرُوا لهم رسول الله ﷺ ودَعَوْهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذَكَرٌ من رسول الله ﷺ.

بالمشهور، ولا هو عند أهل الحديث بالثبوت، غير أن ابن إسحاق أيضًا قد ذكره في رواية عن يونس عن أبان بن أبي صالح، وذكر أنساب الذين بايعوه، وسنعيده في بيعة العقبة وعَرَاة بدر، وهناك يقع التنبيه على ما يحتاج إليه بعون الله.

بيعة العقبة الأولى^(١):

حتى إذا كان العامُ الْمُقْبِلُ وأقَى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة؛ وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله - ﷺ - على بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفترض عليهم الحرب.

منهم من بني النجار، ثم بني مالك بن النجار: أسعد بن زرارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وهو أبو أُمّامة؛ وعَوْف، ومعاذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، وهما ابنا عفراء.

وذكر في أنساب المبايعين له في العَقَبَةِ الأولى في بني سَلَمَةَ منهم: سادِرة بن تَزِيد بن جُشَم، وتَزِيد بناء منقوطة باثنتين من فوق، ولا يعرف في العرب تَزِيد إلا هذا، وتَزِيد بن الحاف بن قُضَاعَة، وهم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية، وأما سَلَمَةَ بكسر اللام، فهم من الأنصار سمي بالسَلَمَةِ واحدة السَّلَام، وهي الحجارة، قال الشاعر:

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاتِبِنِي يَزْمِي وَرَائِي بِالسُّهُمِ وَالسَّلِمَةِ

وفي جُغْفِي: سلمة بن عمرو بن دهل بن مروان بن جُغْفِي وفي جُهَيْنَةَ سَلَمَةُ بن نَصْر بن عَطْفَان قاله ابن حبيب النسابة في الصحابة عمرو بن سَلَمَةَ أبو بُرَيْدَةَ الْجَزَمِي الذي أمّ قومه، وهو ابن ست سنين أو سبع، وفي الرواة عبد الله بن سَلَمَةَ وينسب إلى بني سَلَمَةَ هؤلاء سَلَمَتِي بالفتح، كما ينسب إلى بني سَلَمَةَ، وهم بطنان من بني عامر يقال لهم: السَّلَمَات، يقال لأحدهم سَلَمَةُ الْخَيْر، وللآخر سَلَمَةُ الشَّر ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر، وأما بنو سَلَمَةَ بياه ففي دَوْس، وهم بنو سَلَمَةَ بن مالك بن فَهْم بن غَنَم بن دَوْس، وسَلَمَةُ هذا هو أخو جَذِيمَةَ الْأَبْرَش، وهو الذي قتل أخاه مالكا بسهم قَتْل خَطَأ، ويقال في النسب إليه: سَلَمِيٌّ أيضًا وهو القياس، وقد قيل: سَلَمِيٌّ كما قيل في عُمَيْرَةَ عُمَيْرِيٌّ.

وذكر بني جَذَارَةَ من بني النجار، وجَذَارَةَ وَخَذَارَةَ: أخوان، وغيره يقول في جَذَارَةَ: خَذَارَةَ بالخاء المضمومة، وهكذا قيده أبو عمرو، كذلك ذكره ابن دريد في الاشتقاق، وهو أشبه بالصواب لأنه أخو خَذَرَةَ وكثيرًا ما يجعلون أسماء الإخوة مُشْتَقَّة بعضها من بعض.

(١) انظر خبر بيعة العقبة الأولى في تاريخ الطبري (٣٥٣/٢) البداية والنهاية (١٤٥/٣) المنتظم (٣٢/٣) طبقات ابن سعد (٢١٦/١) الدلائل (٣٤٠/٢) الكامل (٦١٠/١) تاريخ الإسلام للذهبي (١٩٢/٢).

ومن بني زريق بن عامر: رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق،
وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق.

قال ابن هشام: ذكوان، مهاجري أنصاري.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهم القواقل: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم؛ وأبو عبد الرحمن، وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة، من بني غصينة، من بلي، حليف لهم.

وذكر القواقل وهم بنو عمرو بن غنم بن مالك، وذكر تسميتهم القواقل، وأن ذلك لقولهم إذا أجاروا أحداً: قَوِّلَ حَيْثُ شِئْتَ، وفي الأنصار: القواقل والجعاير وهما بطنان من الأوس، وسبب تسميتهما: واحد في المعنى، أما الجعاير فكانوا إذا أجاروا أحداً أعطوه سَهْماً، وقالوا له: جَعْدِزْبَ حَيْثُ شِئْتَ، كما كانت القواقل تفعل، وهم بنو زيد بن عمرو بن مالك بن ضبيعة [بن زيد] يقال لهم كسر الذهب، وهما جميعاً من الأوس. قال الشاعر:

فإن لنا بين الجواري وليدة مُقَابِلَةَ بَيْنِ الْجَعَادِرِ وَالْكَسْرِ
مَتَى تَدْعُ فِي الزَيْدِينَ زَيْدَ بِنِ مَالِكٍ وَزَيْدُ بِنِ عَمْرٍو تَأْتِيهَا عِرْزَةُ الْخَفْرِ

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولم ينسبه، ولا نسبه في أهل العقبة الثانية، ولا في غزوة بدر، وهو مالك بن التيهان، واسم التيهان أيضاً مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعمى بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري حليف بني عبد الأشهل كان أحد الثقباء ليلة العقبة، ثم شهد بدرًا، واختلف في وقت وفاته، فأصح ما قيل فيه إنه شهد مع عليّ صقّين، وقتل فيها رحمه الله، وأحسب ابن إسحق وابن هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ - لاختلاف فيه، فقد وجدت في شعر عبد الله بن رَوَاحَةَ حين أضاف أبو الهيثم رسول الله - ﷺ - في منزله ومعه أبو بكر وعمر، فذبح لهم عَنَاقاً^(١) وأتاهم يَقْنُو من رُطْبِ الْحَدِيثِ بطوله، فقال ابن رَوَاحَةَ في ذلك:

فَلَمْ أَرْ كَالْإِسْلَامِ عِرْزاً لِأَهْلِهِ وَلَا مِثْلَ أَضْيَافِ لَأَرَاثِي مَغْشَرَا

(١) العناق: هي أنثى ولد المعز.

قال ابن هشام: وإنما قيل لهم: القواقل، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهمًا، وقالوا له: قَوِّلْ به يَثْرِبَ حيث شئت.

قال ابن هشام: القَوَّلَةُ: ضرب من المشي.

وقال ابن إسحق: ومن بني سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني العَجْلان بن زيد بن عَنَم بن سالم: العباس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان.

ومن بني سَلَمَة بن سَعْد بن علي بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني حَرَام بن كعب بن عَنَم بن سَلَمَة: عُقبة بن عامر بن نابي بن زَيْد بن حَرَام.

ومن بني سواد بن عَنَم بن كَعْب بن سَلَمَة قُطَيْبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن عَنَم بن سَواد.

رجال العقبة من الأوس:

وشَهِدَها من الأوس بن حارثة بن ثَعْلَبَة بن عَمْرُو بن عامر ثم من بني عَبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخَزْرج بن عَمْرُو بن مالك بن الأوس: أبو الهيثم بن التَّيْهَان، واسمه مالك.

فجعل إِرْشِيًا كما ترى، والأَرَشِيُّ منسوب إلى إِرَاشَة في خُرَاعَة، أو إلى إِرَاش بن لِحْيَان بن العَوْثِ فالله أعلم: أهو أنصاري بالحِلَفِ أم بالنَّسَبِ المذكور، قبل هذا، ونقلته من قول أبي عُمَرَ في الاستيعاب^(١)، وقد قيل: إنه بلوِيٌّ من بني إِرَاشَة بن فاران بن عَمْرُو بن بِلِيٍّ، والهيثم في اللغة: فَرْخُ [النَّسْرِ، أو] العُقَابِ، والهيثم أيضًا ضَرَبٌ من العشب فيما ذكر أبو حنيفة، وبه سمي الرجل هَيْثَمًا أو بالمعنى الأول وأنشد:

رَعَتْ بِقَرَانِ الْحَزَنِ رَوْضًا مَنُورًا عَمِيمًا من الظلال والهيثم الجعد

ذكر بيعتهم لرسول الله - ﷺ - على بَيْعَةِ النساءِ أَلَا يَسْرِقُوا، وَلَا يَزْنُوا إلى آخر الآية، وقيل في قوله عَزَّ وَجَلَّ خَبْرًا عن بَيْعَةِ النساءِ: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَانٍ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بَغْلِهَا، وليس منه، وقيل: هو الاستِمْتَاعُ بالمرأة فيما دُونِ الوَطْءِ كَالْقُبْلَةِ والجَسَّةِ ونحوها، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أنه

(١) الاستيعاب (٤/١٧٧٧).

قال ابن هشام: التَّيْهَان: يخفف ويثقل، كقوله: ميث وميِّت.

رجال العقبة الأولى من بني عمرو:

ومن بني عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس: عُويم بن ساعدة.

بيعة العقبة:

قال ابن إسحاق: وحدثنني يزيد بن أبي حبيب، عن (أبي) مَرْثَد بن عبد الله اليزني، عن عبد الرحمن بن عُسَيْلَةَ الصَّنَابِحي، عن عُبَادَةَ بن الصامت، قال: كنت فيمن حَضَرَ العقبة الأولى، وكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بَيْعَةِ النساء، وذلك قبل أن تُفْتَرَضَ الحَرْبُ، على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئاً، ولا نَسْرِقَ، ولا نَزْنِي، ولا نَقْتُلَ أولادنا، ولا نَأْتِيَ بَهْتَانٍ نَفْتَرِيَهُ من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نَعْصِيَهُ في معروف. فَإِنْ وَقَّيْتُمْ فلكم الجنة. وَإِنْ غَشَّيْتُمْ من ذلك شيئاً فأمرُكم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ.

قال ابن إسحاق وذكر ابنُ شهاب الزهري، عن عائذ الله بن عبد الله الحَوْلاني أبي إدريس أَنَّ عُبَادَةَ بن الصامت حَدَّثَهُ أَنَّهُ قَالَ: بايعنا رسولَ الله ﷺ لَيْلَةَ الْعَقْبَةِ الأولى على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئاً، ولا نَسْرِقَ، ولا نَزْنِي، ولا نَقْتُلَ أولادنا، ولا نَأْتِيَ بَهْتَانٍ نَفْتَرِيَهُ من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نَعْصِيَهُ في معروف، فَإِنْ وَقَّيْتُمْ فلكم الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشَّيْتُمْ من ذلك فأخذتم بَحْدَهُ في الدنيا، فهو كَفَّارَةٌ له، وَإِنْ سَتَرْتُمْ عليه إلى يوم القيامة فأمرُكم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ.

التَّوْحُ، وهذا أيضاً وليس من شأن الرجال، فدل على ضعف قول من خصه بالتَّوْحُ، وخص البَهْتَانِ بِالْحَاقِ الولد بالرجل، وليس منه، وقيل: يفتريه بين أيديهم يعني: الكذب وغيَّبَ الناس بما ليس فيهم، وأرجلهم يعني: المشي في معصية، ولا يَعْصِيْنِكَ في معروف، أي: في خير تأمُرُهُنَّ به، والمعروف: اسم جامع لمكارم الأخلاق، وما عرف حُسْنُهُ ولم تنكره القلوب، وهذا معنى يعم الرجال والنساء، وذكر ابن إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن: أن قال: ولا تَغْشُشْنَ أزواجكن، قالت إحداهن: وما غَشُّ أزواجنا فقال: أن تأخُذِي من ماله فَتَحَابِي به غيره^(١).

(١) أخرجه أحمد.

مصعب بن عمير ووفد العقبة

قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم، بعث رسول الله ﷺ معه مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يُسمى المُقرئ بالمدينة: مُصعب وكان منزله على أسعد بن زُرارة بن عدس، أبي أمانة.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه كان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض.

هجرة مصعب بن عمير (١)

فصل: وذكر هجرة مُصعب بن عمير وهو المُقرئ، وهو أول من سُمي بهذا، أعني المُقرئ يُكنى أبا عبد الله، كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشًا وأعطرهم، وكانت أمه شديدة الكلف به، وكان يبيت وقعب^(٢) الحيس^(٣) عند رأسه، يستيقظ فيأكل، فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه، ونهكت جسمه حتى كان رسول الله ﷺ - ينظر إليه، وعليه فروة قد رفعها، فيبكي لما كان يعرف من نعمته^(٤)، وحلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها، فكانت تقف للشمس حتى تسقط مغشيًا عليها، وكان بنوها يخشون فاهًا بشجار، وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت، وسنذكر اسمها ونسبها عند ذكره في البدرين إن شاء الله تعالى، وكان رسول الله ﷺ - يذكره، فيقول: ما رأيت بمكة أحسن لمة، ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مُصعب بن عمير ذكره الواقدي^(٥). وذكر أيضًا بإسناد له، قال: كان مُصعب بن عمير فتى مكة شبابًا وجمالًا وسيًا وكان أبواه يحبان، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أغطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال^(٦).

وذكر أن منزله كان على أسعد بن زُرارة، منزل بفتح الزاي، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب من منزل فلان على فلان، فهو بالفتح، لأنه أراد المصدر، ولم يرد المكان، وكذا قيده الشيخ أبو بحر بفتح الزاي، وأما أم قيس بنت مخصن المذكورة في هجرة بني أسد،

(١) انظر الاستيعاب (٤/١٤٧٣).

(٢) القعب: القدح الضخم.

(٣) الحيس: التمر يُخلط بسمن وأقط [لبن مجفف] فيعجن عجًا شديدًا.

(٤) أخرجه الترمذي.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٨٢) والحاكم (٣/٢٠٠).

(٦) نعال حضرمية: نسبة إلى حضرموت.

أول جمعة أُقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه أبي أمامة، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي، كعب بن مالك، حين ذهب بصره، فكنث إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة، أسعد بن زرارة. قال: فمكث حيناً على ذلك: لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له. قال: فقلت في نفسي: والله إن هذا بي لعجز، ألا أسأله ما له إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة؟ قال: فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج، فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له. قال: فقلت له: يا أبت،

فاسمها آمنة وهي أخت عكاشة، وهي التي ذكرت في الموطأ وأنها أنت بابت لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ.

أول جمعة

فصل: وذكر أول من جمّع بالمدينة، وهو أبو أمامة، وذكر غيره أن أول من جمّع بهم مضعب بن عمير، لأنه أول من قدم المدينة من المهاجرين، ثم قدم بعده ابن أم مكتوم، وقد ذكرنا في أول الكتاب من جمع في الجاهلية بمكة فخطب وذكر وبشر بمبعث النبي ﷺ، وحض على اتباعه، وهو كعب بن لؤي ويقال: إنه أول من سمى العروبة الجمعة، ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغني عن بعض أهل العلم، وكانت قريش تجتمع إليه فيها فيما حكى الزبير بن بكار، فيخطبهم، فيقول: أما بعد فاعلموا وتعلموا إنما الأرض لله مهاد، والجبال أوتاد، والسماء بناء، والنجوم سملا، ثم يأمرهم بصلوة الرّجْم، ويبشرهم بالنبي ﷺ^(١)، ويقول: حَرَمَكُم يا قوم عظموه، فسيكون له نبأ عظيم، ويخرج منه نبي كريم، ثم يقول في شعر ذكره:

على غفلة يأتي النبي محمد
فيخبر أخباراً صدوق خبيرها
صُروف رأيناها تُقلب أهلها
لها عَقْد ما يستحيل مريها
ثم يقول:

يا ليتني شاهد فخواء دعوته
إذا قُريش تبغي الحق خذلانا
وأما أول من جمع في الإسلام فهو من ذكرنا.

(١) تقدم التعليق على هذه البشارة.

ما لك إذا سمعتَ الأذان للجمعة صَلَّيتَ على أبي أُمَامَةَ؟ قال: أيُّ بُني، كان أوَّل من جُمع بنا بالمدينة في هَزمِ الثَّيِّبِ، من حَزَّةِ بني بَيَّاضَةَ، يقال له: نَقِيعُ الخَضِمَاتِ، قال: قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً^(١).

نقيع الخضيمات:

وذكر ابن إسحاق أنه جمع بهم أبو أمامة عند هَزمِ الثَّيِّبِ في بَقِيع يقال له بَقِيع الخَضِمَاتِ. بَقِيع بالباء وجدته في نسخة الشيخ أبي بحر، وكذلك وجدته في رواية يونس عن ابن إسحاق، وذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استعْجَم من أسماء البُقْع أنه نَقِيع بالنون، ذكره في باب النون والقاف، وقال: هَزمِ الثَّيِّبِ: جَبَلٌ على بريد من المدينة، وفي غريب الحديث: أنه عليه السلام حمى غرز النقيع. قال الخطابي: النقيع: القاع، والعَرَزُ شبه الثمام وسيأتي تفسيره فيما بعد إن شاء الله تعالى، ومعنى الخَضِمَاتِ من الخَضَم، وهو الأكل بالفم كله، والقَضْمُ بأطراف الأسنان، ويقال: هو أكل اليابس، والخَضْمُ: أكل الرطب، فكأنه جمع خَضِمَةٍ، وهي الماشية التي تَخْضَم، فكأنه سمي بذلك لخضب كان فيه، وأما البقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير، وأما بَقِيع الخَنْجَبَةِ بَخاء وجيم وباءين، فجاء ذكره في سُنَنِ أبي داود: والخَنْجَبَةُ: شَجَرَةٌ عُرِفَ بها.

الجمعة:

فصل: وتجميع أصحاب رسول الله - ﷺ - الجمعة وتسميتهم إياها بهذا الاسم وكانت تسمى العَرُوبَةُ - كان عن هداية من الله تعالى لهم قبل أن يُؤْمَرُوا بها، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فاستقر فرضها واستمر حكمها، ولذلك قال - ﷺ - في يوم الجمعة: أَضَلَّنُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وهداكم الله إليه^(٢).

ذكر الكَشِّي، وهو عَبْدُ بن حميد قال: نا عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن أيوب عن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدَّم النبي - ﷺ - المدينة، وقبل أن تنزل الجمعة، وهم الذين سَمَّوا الجُمُعَةَ، قال الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك، فَهَلُمُّ، فلنجعل يوماً نجتمع فيه، ونذكر الله، ونصلي ونشكر، أو كما قالوا، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوا يوم العَرُوبَةِ، كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرَّارَةَ، فصلى بهم يَوْمَئِذٍ ركعتين، فذكرهم،

(١) أخرجه أبو داود (١٠٦٩) بتحقيق.

(٢) أخرجه مسلم في الجمعة (٢٣/٢٢) والنسائي (٨٧/٤) وغيرهما - بنحوه.

فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه، فذبح لهم شاةً فَتَعَدُّوا وَتَعَشَوْا من شاةٍ، وذلك لقلتهم،
فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - في ذلك: ﴿إِذَا تَوَدَّى لِّلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾
[الجمعة: ٩].

قال المؤلف: ومع توفيق الله لهم إليه، فيبعد أن يكون فعلهم ذلك عن غير إذن من
النبي - ﷺ - لهم، فقد روى الدارقطني عن عثمان بن أحمد بن السَّمَاك، قال: نا أحمد بن
محمد بن غالب الباهلي، قال: نا محمد بن عبد الله أبو زيد المَدَنِي، قال: نا المغيرة بن
عبد الرحمن، قال: حدَّثني مالك عن الزُّهري عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبْدِ اللَّهِ عن ابن عباس،
قال: أذن النبي ﷺ بالجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع: رسولُ الله - ﷺ - أن يجمع
بمكة، ولا يُبدي لهم، فكتب إلى مُضْعَب بن عُمَيْر: أما بعد: فانظر اليوم الذي تَجْهَر فيه
اليهود بالزُّبُورِ لِسَبْتِهِمْ، فأجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النهار عن شَطْرِهِ عند الزَّوال من
يوم الجمعة، فتقربوا إلى الله بركعتين قال: فأول من جَمَعَ: مُضْعَب بن عُمَيْر، حتى قدم
رسول الله ﷺ - المدينة، فجمع عند الزوال من الظهر^(١)، وأظهر ذلك، ومعنى قول
النبي - ﷺ - أضلَّته اليهود والنصارى، وهذاكم الله إليه فيما ذكر أهل العلم أن اليهود أمروا
بيوم من الأسبوع، يعظمون الله فيه، ويتفرغون لعبادته، فاختاروا من قِبَلِ أنفسهم السبت
فألزموه في شرعهم، كذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الأسبوع، فاختاروا من
قِبَلِ أنفسهم الأحد، فألزموه شرعاً لهم.

قال المؤلف: وكان اليهود إنما اختاروا السبت، لأنهم اعتقدوه اليوم السابع، ثم زادوا
لكفرهم أن الله استراح فيه، تعالى الله عن قولهم، لأن بَدْءَ الخَلْقِ عندهم الأحد، وآخر الستة
الأيام التي خلق الله فيها الخلق الجمعة، وهو أيضاً مذهب النصارى، فاختاروا الأحد، لأنه
أول الأيام في زعمهم، وقد شهد الرسول - ﷺ - للفريقين بإضلال اليوم، وقال في صحيح
مُسْلِمٍ: «إن الله خلق التربة يوم السبت»^(٢)، فبيِّن أن أول الأيام التي خلق الله فيها الخلق
السبت، وآخر الأيام الستة إذا الخميس، وكذلك قال ابن إسحاق فيما ذكر عنه الطبري، وفي
الأثر أن يوم الجمعة سُمِّي الجمعة، لأنه جُمع فيه خَلْقُ آدم، روي ذلك عن سَلْمَانَ وغيره،
وقد قدمنا في حديث الكشي أن الأنصار سَمَوْهُ جُمُعَةً لاجتماعهم فيه، فهداهم الله إلى

(١) أخرجه الدارقطني.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٩) وأحمد (٣٢٧٢) والبيهقي في الصفات (٢٦) بتحقيقي. وانظر ما قاله شيخ
الإسلام حول هذا الحديث في الفتاوى (١٨/١٨).

التسمية، وهداهم إلى اختيار اليوم، وموافقة الحكمة أن الله تعالى لما بدأ فيه خَلْقَ آدَمَ، وجعل فيه بَدْءَ هذا الجنس، وهو البشر، وجعل فيه أيضًا فناءهم وانقضاءهم إذ فيه تقوم الساعة، وجب أن يكون يومٌ ذَكَرٌ وعبادة، لأنه تذكرة بالمبدأ، وتذكرة بالمعاد، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] وخص البيع لأنه يومٌ يَذْكُرُ باليوم الذي لَا يَبِيعُ فيه ولا خُلَّةٌ مع أنه وثَرٌ للأيام التي قبله في الأصح من القول، والله يحب الوثر، لأنه من أسمائه فكان من هُدَى الله لهذه الأمة أن أَلْهِمُوا إليه ثم أَقْرُوا عليه لَمَّا وافقوا الحكمة فيه، فهم الآخرون السابقون يوم القيامة، كما قال عليه السلام، كما أن اليوم الذي اختاروه سابقٌ لما اختارته اليهود والنصارى، ومتقدم عليه، ولذلك كان يقرأ رسول الله ﷺ سورة السجدة في صبح يوم الجمعة رواه سَعِيد بن إِبراهيم عن الأعرج عن أَبِي هريرة، ورواه مُسْلِم البَطِين عن سَعِيد بن جُبَيْر عن ابن عباس كلاهما عن النبي - ﷺ - ورواه عن سَعِيد بن جُبَيْر أيضًا عَزُوزَةُ بن عبد الرحمن ذكره البزار، ورواه الترمذي في كتاب العلل له عن الأحوص، ورواه أيضًا عن أَبِي الأحوص، وعن عَلْقَمَةَ عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ لما فيه من ذكر الستة الأيام واتباعها بذكر خلق آدم من طين، وذلك في يوم الجمعة تنبيهًا منه عليه السلام على الحكمة، وتذكرة للقلوب بهذه الموعظة.

وأما قراءته: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ في الركعة الثانية، فَلَمَّا فيها من ذكر السَّعْيِ وشكر الله لهم عليه يقول: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ مع ما في أولها من ذكر بَدْءِ خلق الإنسان، وأنه لم يكن قبل شيئًا مذكورًا، وقد قال في يوم الجمعة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فنبه بقراءته إياها على التأهب للسعي المشكور عليه والله أعلم، ألا ترى أنه كان كثيرًا ما يقرأ في صلاة الجمعة أيضًا بِهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ، وذلك أن فيها: ﴿لَسَعْيُهَا رَاضِيَةٌ﴾ كما في سورة الجمعة، ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فَاسْتَحَبَّ عليه السلام أن يقرأ في الثانية ما فيه رضاهم بسعيهم المأمور به في السورة الأولى.

لفظ الجمعة:

ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع، كما قدمنا وكان على وزن فُعْلَةٌ وفُعْلَةٌ لأنه في معنى فُعْلَةٍ، وقُرْبَةٍ والعرب تأتي بلفظ الكلمة على وزن ما هو في معناها، وقالوا: عُمْرَةٌ، فاشتقوا اسمها من عِمَارَةِ المسجد الحرام، وبنوه على فُعْلَةٍ لأنها وُضِلَتْ وقُرْبَةٌ إلى الله، ولهذا الأصل فروغٌ في كلام العرب، ونظائر لهذه الأسماء يُفَيِّتُنَا تتبعه عما نحن بسبيله، وفيما قَدَّمْنَاهُ ما هو أكثر من لَمَحَةٍ دالة، وقالوا في الجمعة جَمْعٌ بتشديد الميم كما قالوا عَيَّدَ إذا شهد العيد،

وَعَرَّفَ إِذَا شَهِدَ عَرَفَةَ، وَلَا يُقَالُ فِي غَيْرِ الْجُمُعَةِ إِلَّا جَمَعَ بِالتَّخْفِيفِ، وَفِي الْبَخَارِيِّ: أَوَّلُ مَنْ عَرَّفَ بِالْبَصْرَةِ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالتَّعْرِيفُ إِنَّمَا هُوَ بِعَرَفَاتٍ، فَكَيْفَ بِالْبَصْرَةِ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ يَوْمَ عَرَفَةَ أَخَذَ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَالضَّرَاعَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ عَرَفَةَ.

أَيَّامُ الْأُسْبُوعِ:

وَلَيْسَ فِي تَسْمِيَّتِهِ هَذِهِ الْأَيَّامُ وَالْاِثْنَيْنِ إِلَى الْخَمِيسِ مَا يَشُدُّ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ الْأُسْبُوعِ: الْأَحَدُ وَسَابِعُهَا السَّبْتُ، كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ لِأَنَّهَا تَسْمِيَةٌ طَارِئَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَسْمَاؤُهَا فِي اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ شِيَارَ وَأَوَّلُ وَأَهْوَنَ وَجُبَارَ وَدُبَارَ وَمُؤْنَسَ وَالْعَزْوَبَةُ، وَأَسْمَاؤُهَا بِالسَّرْيَانِيَةِ قَبْلَ هَذَا أَبُو جَادَ هَوُوزَ حُطِّي إِلَى آخِرِهَا، وَلَوْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهَا فِي الْقُرْآنِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمَشْتَقَّةِ مِنَ الْعَدَدِ، لَقُلْنَا: هِيَ تَسْمِيَةٌ صَادِقَةٌ عَلَى الْمُسَمَّى بِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ مِنْهَا إِلَّا الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُسْتَقَّةِ مِنَ الْعَدَدِ، وَلَمْ يُسَمَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِالْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ إِلَى سَائِرِهَا إِلَّا حَاكِيًا لِلُّغَةِ قَوْمِهِ لَا مُتَبَدِّلًا لِتَسْمِيَّتِهَا، وَلَعَلَّ قَوْمَهُ أَنْ يَكُونُوا أَخَذُوا مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمَجَاوِرِينَ لَهُمْ، فَأَلْقَوْا عَلَيْهَا هَذِهِ الْأَسْمَاءَ اتِّبَاعًا لَهُمْ، وَإِلَّا فَقَدْ قَدَمْنَا مَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الثُّرَيَّةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَالْجِبَالِ يَوْمَ الْأَحَدِ، الْحَدِيثُ، وَالْعَجَبُ مِنَ الطَّبْرِيِّ عَلَى تَبَحُّرِهِ فِي الْعِلْمِ كَيْفَ خَالَفَ مَقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَأَعْتَقَ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ، وَمَالَ إِلَى قَوْلِ الْيَهُودِ فِي أَنَّ الْأَحَدَ هُوَ الْأَوَّلُ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسٌ لَا وَتَرٍ وَإِنَّمَا الْوَتَرُ فِي قَوْلِهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ مَعَ مَا ثَبَتَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَضْلَلْتُهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَهَذَا كَمِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَمَا احْتَجَّ بِهِ بِالطَّبْرِيِّ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ، فَلَيْسَ فِي الصَّحَّةِ كَالَّذِي قَدَمْنَاهُ، وَقَدْ يُمْكِنُ فِيهِ التَّأْوِيلُ أَيْضًا، فَقَفَّ بِقَلْبِكَ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَعْبُدِ الْخَلْقَ بِهِ لَمَّا فِيهِ مِنَ التَّذَكُّرَةِ بِإِنْشَاءِ هَذَا الْجِنْسِ وَمَبْدِئِهِ، كَمَا قَدَمْنَا، وَلَمَّا فِيهِ أَيْضًا مِنَ التَّذَكُّرَةِ بِأَحَدِيَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَانْفِرَادِهِ قَبْلَ الْخَلْقِ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ فِي الْجُمُعَةِ، وَتَفَكَّرْتَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ قَبْلَهُ حَتَّى يَتَرَقَّى وَهْمُكَ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي خُلِقَ فِيهَا أَبُوكَ آدَمَ ثُمَّ فَكَّرْتَ فِي الْأَيَّامِ السَّتَةِ الَّتِي قَبْلَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَجَدْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا جِنْسًا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مَوْجُودًا إِلَى السَّبْتِ، ثُمَّ انْقَطَعَ وَهْمُكَ فَلَمْ تَجِدْ فِي الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِي ذَلِكَ السَّبْتَ وَجُودًا إِلَّا لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ الْوَتَرِ، فَقَدْ ذَكَرْتَ الْجُمُعَةَ مَنْ تَفَكَّرَ بِوَخْدَانِيَةِ اللَّهِ وَأَوَّلِيَّتِهِ، فَوَجِبَ أَنْ يُؤَكَّدَ فِي هَذَا الْيَوْمِ تَوْحِيدَ الْقَلْبِ لِلرَّبِّ بِالذِّكْرِ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ الْجُمُعَةَ. وَأَنْ يَتَأَكَّدَ ذَلِكَ الذِّكْرُ بِالْعَمَلِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ مُشَاكِلًا لِمَعْنَى التَّوْحِيدِ، فَيَكُونُ الْاجْتِمَاعُ فِي مَسْجِدٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ، وَإِلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ،

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

قال ابن إسحاق: وحدثني عبيد الله بن المغيرة بنُ مُعَيْقِب، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زُرارة خرج بمُضْعَب بن عُثَيْر يريد به دار بني عَبْدِ الْأَشْهَل، ودار بني ظَفَر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة، فدخل به حائطًا من حَوَائِط بني ظَفَر.

قال ابن هشام: واسم ظَفَر: كَغَب بن الحارث بن الخَزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس - قالوا: على بئر يقال لها: بئر مَرَق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حُضَيْر، يومئذ سيدًا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن مُعَاذ لِأُسَيْد بن حُضَيْر: لا أباك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضِعفاءنا،

ويخطب ذلك الإمام، فيذكر بوحدانية الله تعالى وبلقائه، فيشاكل الفعل القول، والقول المعتقد، فتأمل هذه الأغراض بقلبك، فإنها تذكرة بالحق، وقد زدنا على ما شرطنا في أول الكتاب معاني لم تكن هنالك، وعدنا بها، ولكن الكلام يفتح بعضه باب بعض، ويحدو المتكلم قصد البيات إلى الإطالة، ولا بأس بالزيادة من الخير، والله المستعان.

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير^(١)

وسمع أهل مكة هاتفا يهتف، ويقول قبل إسلام سعد:

فإن يسلم السَّعْدان يصبح محمدٌ بمكة لا يخشى خِلاَفَ المُخَالِفِ

فحسبوا أنه يريد بالسَّعْدَيْن: القبيلتين سعد هُذَيْم من قُضاعة، وسعد بن زَيْد مَنَاة بن تميم، حتى سمعوه يقول:

فيا سَعْدَ سَعْدِ الأوسِ كن أنت ناصراً ويا سَعْدَ سعدِ الخَزرجين العَطَارِفِ

أجيبا إلى داعي الهدى وتَمَنُّيا على الله في الفِرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ

فعلموا حيثُ أنه يريد سعد بن مُعَاذٍ وسَعْدَ بن عُبَادَةَ^(٢).

(١) له ترجمة في الإصابة (٣٩/١) تاريخ الصحابة (٣٠) الاستيعاب (٥٤/١) الطبقات (٦٠٣/٣) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (٣٦) بتحقيقي.

(٢) انظر الفتح (٩٧/٧).

فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدماً، قال: فأخذ أسيد بن حضير حزبته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة، قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما متشتمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركز حزبته وجلس إليهما، فكلمه مضعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: نتغسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي. فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ،

هل يغتسل الكافر إذا أسلم؟

وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بأمر مضعب بن عمير لهما بذلك، فذلك السئ في كل كافر يسلم، ثم اختلف في نية الكافر إذا أسلم باغتساله، فقال بعضهم ينوي به رفع الجنابة عن نفسه، وقال بعضهم: ينوي التعبد، ولا حكم للجنابة في حقه، لأن معنى الأمر به استحابة الصلاة، والكافر لا يصلي، وإن كان مخاطبًا في أصح القولين، ولكنه أمر مشروط بالإيمان، فإذا لم يكن الإيمان - وهو الشرط الأول - فأجيز بأن يكون - الشرط الثاني - وهو الغسل من الجنابة غير مُقيّد بشيء، فإذا أسلم هدم الإسلام ما كان قبله، فلم يجب عليه إعادة صلاة مضت، وإذا سقطت الصلوات سقطت عنها شروطها، واستأنف الأحكام الشرعية، فتجب عليه الصلوات من حين يسلم بشروط أدائها من وضوء وغسل من جنابة، إذا أجنب بعد إسلامه، وغير ذلك من شروط صحة الصلاة، ورأيت لبعض المتأخرين أن اغتساله سئ لا فريضة وليس عندي بالبين لأن الله سبحانه يقول: ﴿إنما المشركون نجس﴾ [التوبة: ٢٨] وحكم النجاسة إنما يُرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتنجيس لموضع الجنابة؛ لأنه قد علق الحكم بصفة الشرك. والحكم المعلل بالصفة مرتبط بها فإذا ارتفع حكم الشرك بالإيمان لم يبق للجنابة حكم كما إذا كان المسلم جنبًا، ثم بال فالطهور من الجنابة، يرفع عنه حكم الحدث الأصغر، وهو حدث الوضوء، لأن الطهارة الصغرى داخله في الكبرى، وتطهره من تنجيس الشرك بإيمانه هو أيضًا بالإضافة إلى الطهر من الجنابة، الطهارة الكبرى، فينبغي أن تكون مغنية عنها، كما كانت الطهارة من الجنابة مغنية عن الطهارة من الحدث، إذ

ثم أخذ حَربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديبهم، فلما نظر إليه سَعْدُ بن معاذ مُقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وَقَفَ على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلَّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأَسًا، وقد نهيتُهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حَدَّثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرَّارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليُخفروك قال: فقام سعد مُغَضَّبًا مبادرًا، تخوُّفًا للذي ذُكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعدُ مطمئنين، عرف سعدُ أن أُسَيْدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما مشتتًا، ثم قال لأسعد بن زُرَّارة: يا أبا أمامة، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتُ هذا مني، أَتَغْشَانَا في دارينا بما نكره - وقد قال أسعدُ بن زُرَّارة لمصعب بن عُمير: أي مُضْعَب، جاءك والله سيِّدٌ مَن وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان - قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رَضِيتَ أمرًا ورَغِبْتَ فيه قَبِلْتَهُ، وإن كرهته عَزَلْنَا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفتُ ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم، لإشراقه وتسهُّله؛ ثم قال لهما: كيف تَصْنَعُونَ إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه، وتشهَّد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامدًا إلى نادي قومه ومعه أُسَيْدُ بن حُضَيْر.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة؛ قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أُمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، ورجع أسعد ومُضْعَب إلى منزل أسعد بن زُرَّارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني

ليست واحدة من هذه الطهارات مزيلةً لِعَيْنِ نجاسة فيها، فينبغي بعد هذا أن أمره بالاغتسال تعبد، والحُكْمُ بأنه غير فرض تحكُّمُ الله أعلم، غير أن الترمذي خرج حديث قيس بن عاصم حين أسلم فأمره رسولُ الله ﷺ أن يغتسل. قال الترمذي: وعلى هذا العمل عند أهل العلم يَسْتَجِبُونَ للكافر إذا أسلم أن يغتسل، ويغسل ثيابه، فقال: يَسْتَجِبُونَ، وجعلها مسألة استحباب.

أمية بن زيد، وخطمة ووائل وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأوس بن حارثة؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت، وهو صيفي، وكان شاعرًا لهم قائدًا يستمعون منه ويطيعون، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدرٌ وأحد والخندق، وقال فيما رأى من الإسلام، وما اختلف الناس فيه من أمره:

أَرْبَ النَّاسِ أَشْيَاءُ أَلَمْتُ	يُلَفُّ الصَّغْبُ مِنْهَا بِالذُّلُولِ
أَرْبَ النَّاسِ أَمَّا إِذْ ضَلَلْنَا	فَيَسِّرُنَا لِمَغْرُوفِ السَّبِيلِ
فَلَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا يَهُودًا	وَمَا دِينَ الْيَهُودِ بَذِي شُكُولِ
وَلَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا نَصَارَى	مَعَ الرُّهْبَانِ فِي جَبَلِ الْجَلِيلِ
وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا	حَنِيفًا دِينُنَا عَنْ كُلِّ جِيلِ
نَسُوقُ الْهَذِي تَرْسُفُ مُذْعَنَاتِ	مَكْشَفَةِ الْمَنَاكِبِ فِي الْجُلُولِ

قال ابن هشام: أنشدني قوله: فلولا ربنا، وقوله: لولا ربنا، وقوله: مكشفة المناكب في الجلول، رجل من الأنصار، أو من خزاعة.

من شعر ابن الأسلت:

فصل: وذكر شعر أبي قيس بن الأسلت، وفيه قوله:

وَلَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا يَهُودًا وَمَا دِينَ الْيَهُودِ بَذِي شُكُولِ

إراد جمع: شُكُل، وشُكُلُ الشيء - بالفتح - هو مثله، والشُّكْل بالكسر الدُّلُّ والحُسْنُ، فكأنه أراد أن دينَ اليهود بَذْعٌ، فليس له شُكُول أي: ليس له نظير في الحقائق، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول، وقد قال الطائي:

وقلت: أخي. قالوا: أخٌ من قرابةٍ فقلت لهم: إن الشُّكُولَ أقاربُ
قَرِيبِي فِي رَأْيِي وَدِينِي وَمَذْهَبِي وَإِنْ بَاعَدْتَنَا فِي الْخُطُوبِ الْمُنَاسِبِ
وقال فيه:

مع الرهبان في جَبَلِ الْجَلِيلِ

الجليلُ بالجيم الثَّمَامُ، وهذا الجبل من جبال الشام معروف بهذا الاسم.

أمر العقبة الثانية^(١):

قال ابن إسحاق: ثم إن مُضْعَب بن عُمَيْر رَجَعَ إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار المسلمين إلى المَوْسِم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشُّرْك، حتى قَدَمُوا مكة، فَوَاعَدُوا رسولَ الله ﷺ العقبة، من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لِنَبِيِّهِ، وإِعْزَازَ الإسلام وأهله، وإِذْلالَ الشُّرْك وأهله.

البراء بن معرور وصلاة الكعبة

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي مَعْبُد بن كَعْب بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن، أخو بني سلمة، إن أخاه عبد الله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، حَدَّثَهُ أن أباه كَعْبًا حَدَّثَهُ، وكان كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ العقبة وبايع رسولَ الله ﷺ بها، قال: خرجنا في حُجَّاج قومنا من المُشْرِكِينَ، وقد صَلَّيْنَا وَفَقَّهْنَا، ومعنا البراء بن مَعْرُور، سَيِّدُنَا وكَبِيرُنَا، فلما وَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا، وَخَرَجْنَا مِنَ المَدِينَةِ، قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأياً، فوالله ما أَذْري، أَتَوَافِقُونَنِي عليه، أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟ قد رأيت أن لا أدع هذه البَيِّئَةَ مِنِّي بظَهْرٍ، يعني: الكعبة، وأن أَصَلِّيَ إِلَيْهَا. قال: فقلنا، والله ما بَلَّغْنَا أن نَبِيَّنَا ﷺ يَصَلِّي إِلَّا إِلَى الشَّامِ، وما نريد أن نخالفه. قال: فقال: إني لَمُصَلٍّ إِلَيْهَا قال: فقلنا له: لَكُنَّا لَا نَفْعَلُ. قال: فكنا إذا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ، وَصَلَّى إِلَى الكَعْبَةِ، حَتَّى قَدِمْنَا مكة. قال: وقد كنا عِنْدَنَا عليه ما صَنَعَ، وَأَتَى إِلَّا الإِقَامَةَ عَلَى ذَلِكَ فلما قَدِمْنَا مكة قال لي: يا ابن أخي، انطَلِقْ بنا إِلَى رسولِ الله ﷺ، حَتَّى نَسْأَلَهُ عَمَّا صَنَعْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَإِنَّهُ وَالله لَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ خِلَافِكُمْ إِنِّي فِيهِ. قال: فخرجنا نَسْأَلُ عَنْ رسولِ الله ﷺ، وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ، وَلَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَلَقِينَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مكة، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفَانَهُ؟ فَقُلْنَا: لَا؛ قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ العَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ المَطْلَبِ عَمَّهُ؟ قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ - قَالَ: وَقَدْ كُنَّا نَعْرِفُ العَبَّاسَ، كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدَمُ

ذكر البراء بن معرور، وصلاته إلى القبلة^(٢)

ذكر حديث كعب بن مالك حين حَجَّ في نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مَعَ البراء بن مَعْرُور، فَكَانُوا يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ المَقْدَسِ، وَكَانَ البراء يَصَلِّي إِلَى الكَعْبَةِ الْحَدِيثِ - إِلَى قول رسول

(١) انظر تاريخ الطبري (٣٦٠/٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٢٠٠/٢) البداية والنهاية (١٥٠/٣) طبقات ابن سعد (٢٢١/١) المنتظم (٣٤/٣) الدلائل للبيهقي (٤٤٢/٢).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣٦/٢) الدلائل للبيهقي (٤٤٤/٢) المنتظم (٣٤/٣) الاستيعاب (١٥١/١).

علينا تاجراً - قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العباس. قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالسٌ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه. فقال رسولُ الله ﷺ للعبّاس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟» قال: نعم، هذا البراء بن مَعْرُور، سيّد قومه، وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قولَ رسول الله ﷺ: الشاعر؟ قال: نعم. فقال البراء بن مَعْرُور: يا نبيَّ الله، إني خرجتُ في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البَيِّنة مني بظَهْر، فصليتُ إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: «قد كنتَ على قبلة لو صبرتَ عليها». قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهلُه يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

قال ابن هشام: وقال عَوْن بن أيوب الأنصاري:
وَمِنَّا الْمُصَلِّي أَوَّلَ النَّاسِ مُقْبِلًا عَلَى كَعْبَةِ الرَّخْمَنِ بَيْنَ الْمَشَاعِرِ
يعني البراء بن مَعْرُور. وهذا البيت في قصيدة له.

الله - ﷺ -: «قد كنت على قبلة لو صبرت عليها» ففقه قوله: لو صبرت عليها: أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى؛ لأنه كان مُتَأَوِّلًا.

قبلة الرسول ﷺ:

وفي الحديث: دليلٌ على أن رسول الله ﷺ، كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس، وقالت طائفة: ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قديم المدينة سبعة عشر شهرًا أو ستة عشر شهرًا^(١)، فعلى هذا يكون في القبلة نسخان نَسَخُ سُنَّةٍ بِسُنَّةٍ، ونسخ سُنَّةٍ بقرآن، وقد بيّن حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة، فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله ﷺ، كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعًا لم يَبْنِ توجُّهه إلى بيت المقدس للناس، حتى خرج من مكة والله أعلم. قال الله تعالى له في الآية الناسخة: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠] أي: من أي جهة جئت إلى الصلاة، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مُسْتَذِيرًا لبيت المقدس، أو لم تكن، لأنه كان بمكة يتحرى في استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه، وتدبر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ

(١) انظر البخاري (٣٣/١).

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام^(١):

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي مَعْبُدُ بْنُ كَعْبٍ، أَنَّ أَخَاهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ، قَالَ كَعْبٌ: ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، وَوَاعَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْعَقْبَةِ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدَنَا رَسُولُ

حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلُ وَجْهِكَ ﴿وَقَالَ لَأَمْتَهُ: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: حَيْثُمَا خَرَجْتُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ يُخْرِجُ إِلَيْهِمْ إِلَى كُلِّ صَلَاةٍ لِيُصَلِّيَ بِهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيْهِ إِذْ كَانَ الْإِمَامُ الْمُقْتَدَى بِهِ فَأَفَادَ ذِكْرُ الْخُرُوجِ فِي خَاصَّتِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَلَمْ يَكُنْ حَكْمٌ غَيْرُهُ هَكَذَا، يَقْتَضِي الْخُرُوجَ، وَلَا سِيَّما النِّسَاءَ، وَمَنْ لَا جَمَاعَةَ عَلَيْهِ، وَكَرَّرَ الْبَارِي تَعَالَى الْأَمْرَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ، لِأَنَّ الْمُتَكِّرِينَ لِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، كَانُوا ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ الْيَهُودَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِالنَّسْخِ فِي أَصْلِ مَذْهَبِهِمْ، وَأَهْلُ الرِّيبِ وَالتَّفَاقِ اشْتَدَّ انْكَارُهُمْ لَهُ أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ نَسْخِ نَزْلٍ، وَكَفَارَ قُرَيْشٌ قَالُوا: نَدِيمُ مُحَمَّدٍ عَلَى فِرَاقِ دِينِنَا فَسِيرْجِعْ إِلَيْهِ كَمَا رَجَعَ إِلَيْهِ قَبْلَتُنَا، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَحْتَجُّونَ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَدْعُونَا إِلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَقَدْ فَارَقَ قِبْلَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَأَثَرُ عَلَيْهَا قِبْلَةُ الْيَهُودِ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ حِينَ أَمَرَهُ بِالصَّلَاةِ إِلَى الْكَعْبَةِ ﴿لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ، أَي: لَكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكِّرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] أَي: مِنَ الَّذِينَ شَكُّوا وَامْتَرَوْا، وَمَعْنَى: الْحَقُّ مِنَ رَبِّكَ أَيِ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِهِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، هُوَ الْحَقُّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَكَ فَلَا تَمْتَرُ فِي ذَلِكَ وَقَالَ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٤٤] وَقَالَ: ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] أَيِ يَكْتُمُونَ مَا عَلِمُوا مِنْ أَنَّ الْكَعْبَةَ هِيَ قِبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ السَّنْجَرِيُّ فِي كِتَابِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ لَهُ وَهُوَ فِي رِوَايَتِنَا عَنْهُ بِسَنَدٍ رَفِيعٍ حَدَّثَنَا الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ قَالَ: أَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَيُّوبَ الْبِزَارِ، قَالَ: أَنَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ شَاذَانَ قَالَ: أَنَا أَبُو بَكْرٍ الْفَقِيهَ النَّجَّارَ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْهُ، قَالَ: نَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: نَا عُبَيْسَةُ بْنُ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَا يَعْظُمُ إِلَّا بَنِيَّاءَ كَمَا يَعْظُمُهَا أَهْلُ بَيْتِهِ، قَالَ: فَسَرْتُ مَعَهُ، وَهُوَ وَلِيَّ عَهْدٍ، قَالَ: وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، قَالَ سُلَيْمَانُ: وَهُوَ جَالِسٌ فِيهِ: وَاللَّهُ إِنْ فِي هَذِهِ الْقِبْلَةِ الَّتِي صَلَّى إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى لَعَجَبًا، قَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ: أَمَّا وَاللَّهُ إِنْ

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٣٦٠/٢) الدلائل (٤٤٤/٢) المنتظم (٣٤/٣).

الله ﷺ لها، ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام أبو جابر، سيّد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكُنّا نكتُم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلّمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيّد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حَطْبًا للنار غدا، ثم دَعَوْنَاهُ إِلَى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيّا.

امراتان في البيعة

قال: فِينما تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مَضَى ثلثُ الليل خَرَجْنَا من رحالنا لمعاد رسولِ الله ﷺ، نَسْلُلُ نَسْلُلُ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حتى اجتمعنا في الشَّعْبِ عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساتنا نُسَيِّبَةُ بنت كعب، أُم عُمَارَةَ،

لَأَقْرَأَ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - وأقرأ التوراة، فلم يجدها اليهود في الكتاب الذي أنزله الله عليهم، ولكن تابوت السَّكِينَةِ كان على الصخرة، فلما غضب الله تعالى على بني إسرائيل رفعه، فكانت صلاتهم إلى الصَّخْرَةِ عن مُشَاوَرَةٍ مِنْهُمْ^(١)، وروى أبو داود أيضًا أن يهوديًا خاصم أبا العالية في القِبلَةِ، فقال أبو العالية: إن موسى عليه السلام كان يصلي عند الصخرة، ويستقبل البيت الحرام، فكانت الكعبة قبلَةً، وكانت الصخرة بين يديه، وقال اليهودي: بيني وبينك مسجدُ صالح النبي ﷺ، فقال أبو العالية: فإني صليت في مسجد صالح وقبلته الكعبة، وأخبر أبو العالية أنه رأى مسجدَ ذي الْقَرْنَيْنِ وقبلته الكعبة، وروي أيضًا أن النبي ﷺ، كان يقول لجبريل: وَدِدْتُ أَنْ اللهُ حَوَّلَنِي عَنْ قِبَلَةِ الْيَهُودِ، فيقول له جبريل: إنما أنا عبدٌ مأمور^(٢)، وروى غيره أنه كان يُتَّبِعُهُ بِصَرِّهِ إِذَا عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ حِرْصًا عَلَى أَنْ يَأْمُرَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

أم عمارَة وأُم منيع في بيعة العقبة الأخرى

وذكر بيعة العقبة، وذكر عِدَّةُ أَصْحَابِ بَيْعَةِ الْعُقْبَةِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا وَاِمْرَأَتَيْنِ، وَهُمَا: أُمُ عُمَارَةَ وَهِيَ نُسَيِّبَةُ بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وشهدت يوم اليمامة، وباشرت القتال بنفسها، وشاركت ابنها عبد الله في قتل مُسَيْلِمَةَ، فَقَطِيعَتْ يَدَهَا، وَجُرِّحَتْ اثْنَا عَشَرَ جُرْحًا، ثُمَّ عَاشَتْ بَعْدَ ذَلِكَ دَهْرًا، وَكَانَ

(١) أخرجه البزار (٢/٢٤٦).

(٢) انظر الدر المنثور (١/١٤٢).

إحدى نساء بني مازن بن النجّار، وأسماء بنت عمرو بن عديّ بن نابي، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم مَنيع.

العباس والأنصار:

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جئنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج - قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار، الخزرج، خزرجها وأوسها -: إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا؛ ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحق بكم، فإن كنتم تزؤون أنكم وأفون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك، وإن كنتم تزؤون أنكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار:

قال: فتكلّم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم، قال: فأخذ البراء بن

الناس يأتونها بمرضاهم، لِتَسْتَشْفِي لَهُمْ، فتمسح بيدها الشلاء على العليل، وتدعو له، فَقُلْ ما مَسَحَتْ بيدها ذا عَاهَةٍ إِلَّا بَرِيءٌ^(١).

والأخرى: أسماء بنت عمرو أم مَنيع، وقد رفع في نسبها ونسب الأخرى ابن إسحق، ويؤزى أن أم عُمارة قالت لرسول الله - ﷺ -: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى للنساء شيئاً، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية.

قول البراء بن معرور:

وذكر قول البراء بن معرور، وهو أول من ضَرَبَ بيده على يد رسول الله ﷺ، بالبيعة على اختلاف في ذلك قد ذكره ابن إسحق، فقال: نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه

(١) انظر ترجمة لها في الاستيعاب (١٩٤٨/٤) الطبقات (٤١٢/٨) الإصابة (٤١٨/٤).

مغرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق، لنمنعك مما نمنع منه أُرزنا فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحَلقة، ورثناها كابراً [عن كابر]. قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حباً، وإننا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيّت إن نحن قَعَلنا

أُرزنا، أراد: نساءنا، والعرب تَكْنِي عن المرأة بالإزار، وتَكْنِي أيضاً بالإزار عن النفس، وتجعل الثوب عبارة عن لابسها كما قال:

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ فَلَا تَرَى لَهَا شَبَهًا إِلَّا النِّعَامَ الْمُنفَرَا

أي: بأبدان خِفَافٍ، فقوله مما نمنع أُرزنا يحتمل الوجهين جميعاً، وقد قال الفارسي في قول الرجل الذي كتب إلى عُمر من الغزو يذكره بأهله:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولاً فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةً إِزَارِي

قال: الإزار: كناية عن الأهل، وهو في موضع نصب بالإغراء أي: اخفَظْ إِزَارِي، وقال ابن قتيبة: الإزار في هذا البيت كناية عن نفسه، ومعناه فداً لك نفسي، وهذا القول هو المَرَضِي في العربية، والذي قاله الفارسي بعيد عن الصواب، لأنه أضمر المبتدأ، وأضمر الفعل الناصب للإزار، ولا دليل عليه لبعده، عنه، وبعد البيت ما يدل على صحة القول المختار وهو:

قَلَانَصْنَا هَذَاكَ اللَّهُ مَهْلًا شُغِلْنَا عَنْكُمْ زَمَنَ الْجِصَارِ

فنصب قَلَانَصْنَا بالإضمار الذي جعله الفارسي ناصباً للإزار.

ترجمة البراء^(١):

والبراء بن مغرور يُكْنَى أبا بشر بابنه بشر بن البراء، وهو الذي أكل مع رسول الله ﷺ - من الشاة المسمومة، فمات ومغرور اسم أبيه، معناه: مَقْصُود يقال: عَرَّه وَاغْتَرَّه إذا قَصَدَ، والبراء هذا ممن صَلَّى رسول الله ﷺ - على قبره بعد موته وكَبُرَ أَرِيغًا، وفي هذا الحديث الصلاة على القبر، وقد رُوِيَ من سِتِّ طُرُقٍ عن النبي - ﷺ - قاله أحمد بن حنبل، وذكرها كلها أبو عُمر في التمهيد، وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابن حنبل، فهي إذا تُرَوَّى من - تسع طُرُقٍ أعني أن - تَسْعَةُ من الصحابة رَوَوْا صَلَاتَهُ عَلَيْهِ السَّلام على القبر،

(١) انظر ترجمته في الإصابة (١/١٤٤) الطبقات (٣/٦١٨) تاريخ الصحابة لابن حبان (١٠٢) الاستيعاب (١/١٥١).

ذلك، ثم أظهرَكَ الله أن ترجعَ إلى قومك وتَدْعنا؟ قال: فتبسّم رسولُ الله ﷺ، ثم قال: بل الدم الدم، والهِدْم الهَدْم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب مَنْ حاربتُم، وأسلم من سالمتم^(١).

قال ابن هشام: ويقال: الهَدْم الهَدْم: أي ذِمَّتِي ذَمَّتْكُمْ وخُزِمْتِي خُزِمْتُكُمْ.

قال كعب: وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبًا، ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا، تسعةً من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

فمنهم ابن عباس، وأنس بن مالك وِريْدَة، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، وعامر بن فُهَيْرَة وأبو قتادة الأنصاري، وسَهْل بن حُثَيْف، وعُبَادَة بن الصامت، وحديثه مُرْسَلٌ، وأصحها إسنَادًا حديث ابن عباس وأبي هريرة.

والهدم والهدم:

وذكر قولَ النبي - ﷺ - للمبايعين له: «بل الدَّمُ الدَّمُ والهَدْمُ الهَدْمُ»، وقال ابن هشام: الهَدْمُ بفتح الدال. قال ابن قُتَيْبَة: كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دُمُك وهَدَمِي هَدَمُك، أي: ما هَدَمْتُ من الدماء، هَدَمْتُهُ أنا، ويقال أيضًا: بل الدَّمُ الدَّمُ والهَدْمُ الهَدْمُ، وأنشد:

ثُمَّ الْحَقِي بِهَدَمِي وَلَدَمِي

فَاللَّدْمُ: جمع لادم، وهم أهلُه الذين يَلْتَدِمُون عليه إذا مات، وهو من لَدَمْتُ صدره: إذا ضَرَبْتَهُ. والهدم قال ابن هشام: الحُرْمَة، وإنما كُتِيَ عن حُرْمَة الرجل وأهله بالهدم، لأنهم كانوا أهل نُجْعَة وارتحال، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظَعْنهم، فكلما ظَعَنُوا هَدَمُوها، والهدم بمعنى المَهْدُوم كَالْقَبْضِ بمعنى المَقْبُوض، ثم جعلوا الهَدْم وهو البيت المهْدوم عبارة عما حَوَى، ثم قال: هَدَمِي هَدَمُك أي: رحلتي مع رحلتك أي لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب:

تَمْضِي إِذَا زُجِرْتَ عَنْ سَوَاةٍ قَدَمًا كَأَنَّهَا هَدَمَ فِي الْجَفْرِ مُنْقَاضُ

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٢٢/٣٢٩) والحاكم (٢/٦٢٤) وصححه وأقرّه الذهبي والبيهقي في الكبرى (٩/٩) وحسنه الحافظ في الفتح (٧/١٧٧).

أسماء النقباء الاثني عشر وتمام خبر العقبة النقباء من الخزرج

قال ابن هشام: من الخزرج - فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي -: أبو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنُ عُدَسِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وهو: تَيْمُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ عمرو بن الخزرج [ابن حارثة]، وسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنُ عمرو بن أَبِي زُهَيْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ امرئ القيس بن مالك بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن رَوَاحَةَ بن ثعلبة امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثَعْلَبَةَ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، ورافع بن مالك بن العَجَلَانِ بن عمرو بن عامر بن زُرَيْقِ بْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ بن مالك بن غَضْبِ بْنِ جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ؛ والبراء بن مغرور بن صخر بن حَنْسَاءِ بن سِنَانِ بن عُيَيْنَةَ بن عَدِيٍّ بن غَنَمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ بن سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ بن أسد بن سَارِدَةَ بن تَزِيدِ بْنِ جُشَمِ بْنِ الخزرج، وعبد الله بن عمرو بن حَرَامِ بن ثَعْلَبَةَ بن حَرَامِ بن كعب بن غَنَمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ بن سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ بن أسد بن سَارِدَةَ بن تَزِيدِ بْنِ جُشَمِ بْنِ الخزرج، وعُبَادَةُ بن الصامت بن قَيْسِ بْنِ أَصْرَمَ بن فِهْرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بن غَنَمِ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عمرو بن عَوْفِ بْنِ الخزرج.

قال ابن هشام: هو غَنَمِ بْنِ عَوْفِ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وسعد بن عُبَادَةَ بن دُلَيْمِ بْنِ حَارِثَةَ بن أَبِي حَزِيمَةَ بن ثعلبة بن طَرِيفِ بْنِ الْخَزْرَجِ بن سَاعِدَةَ بن كَعْبِ بْنِ الخزرج، والمنذر بن عمرو بن حُنَيْسِ بْنِ

مَنْ وَلِيَ النقباء

فصل: وذكر الاثني عشر نقيباً، وشعر كعب فيهم إلى آخره، وليس فيه ما يشكل، وإنما جعلهم عليه السلام اثني عشر نقيباً اقتداءً بقوله تعالى في قوم موسى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(١) [المائدة: ١٢] وقد سمينا أولئك النقباء بأسمائهم في كتاب التعريف والإعلام، فليُنظر هنالك.

(١) في قوله أنه ﷺ جعلهم اثني عشر نقيباً اقتداءً بالقرآن - نظر - إنما الأمر كله يجري بقدر رب السموات والأرض - سبحانه وتعالى عز وجل -.

حارثة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - قال ابن هشام: ويقال: ابن خنيس.

النقباء من الأوس:

ومن الأوس أسيد بن حضير بن سمالك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل [بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة، وسعد بن خنيمه بن الحارث بن مالك بن كعب بن النخاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس [بن ثعلبة بن عمرو بن عوف] بن مالك بن الأوس [بن حارثة] ورقاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

شعر كعب بن مالك عن النقباء:

قال ابن هشام: وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدّون رفاعة. وقال كعب بن مالك يذكرهم، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري:

أبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا	وحان غداة الشعب والحين واقع
أبى الله ما متت نفسك إنّه	بمزصاد أمر الناس راء وسامع
وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا	بأحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترغبين في حشد أمر تريده	وألّب وجمّع كلّ ما أنت جامع
ودونك فاعلم أن نقض عهدونا	أباه عليك الرّفط حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما	وأسعد أباه عليك ورافع
وسعد أباه الساعدي ومُنذر	لأنفك إن حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع إن تناولت عهده	بمُسْلِمه لا يطمعن ثم طامع
وأيضاً فلا يُعطيك ابن روَاحه	وإخفاره من دونه السّم ناقع
وفاء به والقوّلي بن صامت	بمَنذُوحه عما تحاول يافع
أبو هيثم أيضاً وفيّ بمثلها	وفاء بما أعطى من العهد خانع
وما ابن حضير إن أردت بمطمع	فهل أنت عن أخموقه العيّ نازع

وروي عن الزُّهري أنه قال: قال النبي عليه السلام للأوس والخزرج حين قدم عليهم النقباء: «لا يغضبن أحدكم فإني أفعل ما أومر»، وجبريل عليه السلام إلى جنبه

وَسَعَدُ أَخُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ ضَرُوحٌ لَمَّا حَاوَلَتْ إِمَامَ الْأَمْرِ مَانِعٌ
أُولَاكَ نَجُومٌ لَا يُغْبِكُ مِنْهُمْ عَلَيْكَ بَنَخْسٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَالِعٌ
فَذَكَرَ كَغَبٍ فِيهِمْ أَبَا الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ، وَلَمْ يَذْكُرْ رِفَاعَةَ.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلتَّقْبَاءِ: أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفْلَاءٌ، كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - قَالُوا: نَعَمْ.

مَا قَالَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبَادَةَ لِلخَزْرَجِ قَبْلَ الْمَبَايَعَةِ:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا اجْتَمَعُوا لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبَادَةَ بْنُ نُضْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تُبَايِعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكُمْ تُبَايِعُونَهُ عَلَى حَزْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ إِذَا نَهَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ مُصِيبَةً، وَأَشْرَافَكُمْ قَتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمَنْ الْآنَ، فَهُوَ وَاللَّهِ - إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَأَقْوَنَ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ عَلَى نَهْكَ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَخُذُوهُ، فَهُوَ وَاللَّهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفِينَا؟ قَالَ: «الْحِجَّةُ». قَالُوا: أَبَسْطَ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ.

وَأَمَّا عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيَشُدَّ الْعَقْدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَعْنَاقِهِمْ.

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيُؤَخِّرَ الْقَوْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، رَجَاءً أَنْ يَحْضُرَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ابْنُ سَلُولٍ، فَيَكُونُ أَقْوَى لِأَمْرِ الْقَوْمِ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيْ ذَلِكَ كَانَ.

قال ابن هشام: سَلُولٌ: امْرَأَةٌ مِنْ خُرَاعَةَ، وَهِيَ أُمُّ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ.

يشير إليهم واحدًا بعد واحد، وَرَوِيَ فِي الْمُعْطِطِيِّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ رَوَى حَدِيثَ التَّقْبَاءِ عَنْ شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ مَالِكٌ: وَكُنْتُ أَعْجَبُ كَيْفَ جَاءَ هَذَا رَجُلَانِ مِنْ قَبِيلَةٍ، وَرَجُلٌ مِنْ أُخْرَى حَتَّى حَدَّثْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَأَنْ جَبْرِيلَ هُوَ الَّذِي وَلَّاهُمْ، وَأَشَارَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - بِهِمْ.

أول صحابي ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية:

قال ابن إسحاق: فَبُئِيَ النَّجَارُ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا أَمَامَةَ، أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ، وَبَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ: بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ.

قال ابن إسحاق: قال الزهري: حَدَّثَنِي مُعْبِدُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، فَحَدَّثَنِي فِي حَدِيثِهِ، عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ بَايَعَ بَعْدَ الْقَوْمِ.

الشیطان وبيعة العقبة

فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقْبَةِ بِأَنْفَذَ صَوْتِ سَمْعَتِهِ قَطُّ: «يَا أَهْلَ الْجَبَايِبِ» - وَالْجَبَايِبُ: الْمَنَازِلُ - هَلْ لَكُمْ فِي مُدَّتِّمِ وَالصُّبَاةِ مَعَهُ، قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَزْبِكُمْ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَزْبُ الْعَقْبَةِ، هَذَا ابْنُ أَزْبٍ» - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ ابْنُ أَزْبٍ اسْتَمَعَ أَيَّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَمَّا وَاللَّهِ لَا فَرَعْنَ لَكَ^(١).

تفسير بعض ما وقع في وجدته

وذكر أن الشيطان صَرَخَ مِنْ رَأْسِ الْعَقْبَةِ بِأَنْفَذَ صَوْتِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَحْرٍ: هَكَذَا وَقَعَ فِي الْأَمْهَاتِ، وَأَصْلُحْنَاهُ عَنْ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ: بِأَبْعَدَ، قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَلَا مَعْنَى لِهَذَا الْإِصْلَاحِ، لِأَنَّ وَصْفَ الصَّوْتِ بِالنَّفَازِ صَحِيحٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنْ وَصْفِهِ بِالْبَعْدِ، وَقَدْ مَضَى فِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْكَاهِنِ، قَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ صَوْتِ الْعَجَلِ صَوْتًا مَا سَمِعْتُ أَنْفَذَ مِنْهُ، وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْشُرُ الْخَلْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَرْدَجٍ^(٢) وَاحِدٍ، فَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَيَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي. وَكَذَلِكَ وَجَدْتُهُ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: بِأَنْفَذَ صَوْتِ كَمَا كَانَ فِي الْأَصْلِ.

وقوله: «يَا أَهْلَ الْجَبَايِبِ»^(٣)، يَعْنِي: مَنَازِلَ مِثْلِي، وَأَصْلُهُ: أَنَّ الْأَوْعِيَةَ مِنَ الْأَذَمِّ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٩٠/٣) وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ (٩٣/٢) مِنْ طَرِيقِ الْمُصَنِّفِ - بِهِ. وَأَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ (٤٢/٦) وَنَسَبَهُ لِأَحْمَدَ وَالطَّبْرَانِيَّ وَقَالَ: وَرَجَالَ أَحْمَدَ رَجَالَ الصَّحِيحِ غَيْرَ ابْنِ إِسْحَاقَ وَقَدْ صَرَّحَ بِالسَّمَاعِ.

(٢) الصَّرْدَجُ: الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ. وَالصَّرْدَحَةُ: الصَّحْرَاءُ الَّتِي لَا تَنْبِتُ، وَهِيَ غُلْظٌ فِي الْأَرْضِ مُسْتَوٍ. اللَّسَانُ (٥١٢/٢).

(٣) الْجَبَايِبُ: جَمْعُ جَبَبٍ بِالضَّمِّ وَهُوَ الْمُسْتَوِيُّ مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِحَزْنٍ وَهِيَ هَلْهَنَاءُ أَسْمَاءِ مَنَازِلَ بَيْنِي سُمِّيَتْ بِهِ لِأَنَّ كُرُوشَ الْأَصْحَابِي تَلَقَّى فِيهَا أَيَّامَ الْحَجِّ السَّابِقِ (٢٥٣/١).

الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار:

قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رحالكم». قال: فقال له العباس بن عباد بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيفنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم تؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم». قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

كالزَّيْل ونحوه يسمى: جَنْجَبَة، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية، وقوله عليه السلام حين صرخ إبليس: «يا أهل الجَبَاجِبِ، هذا أَرْبُ الْعَقَبَةِ، هذا ابن أَرْبٍ». قال ابن هشام: ويقال: ابن أَرْبٍ كذا تقيد في هذا الموضع أَرْبُ الْعَقَبَةِ وقال ابن مأكولا: أم كُرْز بنت الأَرْبِ بن عمرو بن بَكِيل من هَمْدَانَ جدة العباس، أم أمه: سيلة، وقال: لا يعرف الأَرْبُ في الأسماء إلا هذا، وأَرْبُ الْعَقَبَةِ، وهو اسم شيطان، ووقع في هذه النسخة في غَزْوَةِ أُحُدٍ إَرْبُ الْعَقَبَةِ بكسر الهمزة وسكون الزاي، وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلاً طوله شَبْرَانِ على بَرْدَعَةٍ رَحْلِهِ [فأخذ السوط فأتاه]، فقال: «ما أنت؟» فقال: أَرْبُ، قال: «وما أَرْبُ؟» قال: رجل من الجن؛ فضربه على رأسه بعود السوط، حتى باص، أي هَرَبَ، وقال يعقوب في الألفاظ: الأَرْبُ: القصير. وحديث ابن الزبير ذكره العثبي في الغريب، فالله أعلم أي اللفظين أصح؟ وابن أَرْبٍ في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فَعِيلًا من الإَرْبِ^(١) أيضًا، والأَرْبُ: البخيل، وأَرْبُ: اسم ريح من الرياح الأربع، والأَرْبُ الفرع أيضًا، والأَرْبُ: الرجل المتقارب المشي، وهو على وزن أَفْعَل، قاله صاحب العين: ويحتمل أن يكون ابن أَرْبٍ من هذا أيضًا، وأما البخيل فأَرْبُ على وزن فَعِيل لأن يعقوب حكى في الألفاظ: امرأة أَرْبِيَّة ولو كان عن وزن أَفْعَل في المذكر ل قيل في المؤنث رَبِيًّا إلا أن فَعِيلًا في أبنية الأسماء عزيز، وقد قالوا في ضَهِيَاء: وهي التي لا تحيض من النساء، فعلى جعلوا الهمزة زائدة وهي عندي فَعِيل لأن الهمزة في قراءة عاصم لام الفعل في قوله تعالى: ﴿يُضَاهَوْنَ﴾ والضَّهِيَاء من هذا لأنها تُضَاهِي الرجل أي: تُشَبِّهه ويقال فيه: ضَهِيَاءٌ بالمد، فلا إشكال فيها أنها للتأنيث على لغة من قال ضَاهَيْتُ بالياء، وقد يجوز أن يكون أَرْبٍ وأَرْبِيَّة مثل أَرْمَلٍ وأَرْمَلَةٌ فلا يكون فَعِيلًا. وروى أبو الأشهب عن الحسن قال: لما بويع لرسول الله - ﷺ - بمنى صرخ الشيطان، فقال رسول الله - ﷺ -: «هذا أبو لَيْبَنِي^(٢) قد أَثْنَرَ بكم، فَتَرَقَّوا».

(١) أَرْب: اللثيم، الدقيق المفاصل، والإَرْب من الرجال: القصير الغليظ. والإَرْب: القصير الدميم. اللسان (١/٢١٢ - ٢١٣).

(٢) لَيْبَنِي: تصغير لبنى، أو كما هو «لبنى» قيل: اسم ابنة إبليس عليه اللعنة.

مجادلة جُلَّة قريش للأنصار في شأن البيعة

فلما أصبحنا غدت علينا جُلَّة قُريش، حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخَزرج، إنه قد بَلَّغنا أنكم قد جِئتم إلى صاحبنا هذا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، وَتُبَايعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضُ إِلَيْنَا، أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، مِنْكُمْ. قَالَ: فَانْبِعْثْ مَنْ هُنَاكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٍ، وَمَا عَلِمْنَاهُ. قَالَ: وَقَدْ صَدَقُوا، لَمْ يَعْلَمُوهُ. قَالَ: وَبِعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ. قَالَ: ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ، وَفِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِيَّ، وَعَلِيهِ نَعْلَانُ لَهُ جَدِيدَانِ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ كَلِمَةً - كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْرَكَ الْقَوْمَ بِهَا فِيمَا قَالُوا - : يَا أَبَا جَابِرٍ، أَمَّا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَّخِذَ، وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، مِثْلَ نَعْلِي هَذَا الْفَتَى مِنْ قُريش؟ قَالَ: فَسَمِعَهَا الْحَارِثُ، فَخَلَعَهُمَا مِنْ رِجْلَيْهِ ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَيَّ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَنْتَعِلَهُمَا. قَالَ: يَقُولُ: أَبُو جَابِرٍ: مَهْ، أَخْفَظْتَ وَاللَّهِ الْفَتَى، فَارْدُدْ إِلَيْهِ نَعْلَيْهِ. قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَرُدَّهُمَا، فَأَلَّ وَاللَّهُ صَالِحٌ، لَنْ صَدَقَ الْفَالُ لِأَسْلُبَتِهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّهُمْ أَتَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ كَعْبٌ مِنَ الْقَوْلِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَسِيمٌ، مَا كَانَ قَوْمِي لِيَتَفَوَّتُوا عَلَيَّ بِمِثْلِ هَذَا، وَمَا عَلِمْتُهُ كَانَ. قَالَ: فَانصَرَفُوا عَنْهُ.

تذكير فاعيل وتانيثها

فصل: وذكر الحارث بن هشام حين رمى بنعليه إلى جابر: قال: وكان عليه نَعْلَانِ جَدِيدَانِ، وَالنَّعْلُ: مُؤَنَّثَةٌ، وَلَكِنْ لَا يُقَالُ: جَدِيدَةٌ فِي الْفَصِيحِ مِنَ الْكَلَامِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: مِلْحَقَةٌ جَدِيدٌ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى مَجْدُودَةٌ أَيْ: مَقْطُوعَةٌ، فَهِيَ مِنْ بَابِ كَفَّ خَضِيبٌ، وَامْرَأَةٌ قَتِيلٌ، قَالَ سِيبَوِيهٌ: وَمَنْ قَالَ جَدِيدَةً، فَإِنَّمَا أَرَادَ مَعْنَى حَدِيثَةً، أَرَادَ سِيبَوِيهٌ أَنْ حَدِيثَةً، بِمَعْنَى حَادِثَةٍ وَكُلُّ فَعِيلٍ بِمَعْنَى فَاعِلٍ يَدْخُلُهُ التَّاءُ فِي الْمَوْثِثِ^(١).

(١) انظر إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت (ص ٢٨٩).

قريش تطلب الأنصار وتأسر سعد بن عبادة

قال: وَتَفَرَّ النَّاسُ مِنْ مِثِّي، فَتَنَطَّسَ الْقَوْمُ الْحَبَرُ، فوجدوه قد كان، وَخَرَجُوا فِي طلب القوم، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ بِأَذَاخِرِ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو، أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ بْنَ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَكِلَاهُمَا كَانَ نَقِيًّا. فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ الْقَوْمَ، وَأَمَّا سَعْدٌ فَأَخَذُوهُ، فَزَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنْقِهِ بِنِشْعٍ رَحْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى أَذْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ، وَيَجْذِبُونَهُ، بِجُمُعَتِهِ، وَكَانَ ذَا شَعْرِ كَثِيرٍ.

خلاص سعد بن عبادة

قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليّ نفرٌ من قريش، فيهم رجلٌ وضيءٌ أبيضٌ، شَعْشَاعٌ، حلو من الرجال قال ابن هشام: الطويل الحسن قال رؤية: يَمْطُوهُ مِنْ شَعْشَاعٍ غَيْرِ مُودِنٍ. يعني عنق البعير غير قصير يقول: مودن اليد أي: ناقص اليد يَمْطُوهُ مِنْ السَّيْرِ شَعْشَاعٌ: حلو من الرجال.

قال: قلت في نفسي: إِنْ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ، فَعِنْدَ هَذَا، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً. قَالَ: قلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خَيْرٍ. قَالَ: فوالله إني لفي أيديهم يَسْجُبُونَنِي إِذْ أَوَى لِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: وَيَحْكُ! أَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ جَوَارٌ وَلَا عَهْدٌ؟ قَالَ: قلت: بلى، والله لقد كنت أَجِيرَ لُجَّيْرِ بْنِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ تَوْقَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ تِجَارَةً، وَأَمْنَعُهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ ظُلْمَهُمْ بَبِلَادِي، وَلِلْحَارِثِ بْنِ حَزْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، قَالَ: وَيَحْكُ! فَاهْتَفَ بِاسْمِ الرَّجُلَيْنِ، وَادَّكَرَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمَا. قَالَ: ففعلتُ، وَخَرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَيْهِمَا، فَوَجَدَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُمَا: إِنْ رَجُلًا مِنَ الْخَزْرَجِ الْآنَ يُضْرَبُ بِالْأَبْطَحِ لِيَهْتَفَ بِكُمَا، وَيَذْكُرَ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمَا جَوَارًا، قَالَا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: سعد بن عبادة. قَالَا: صدق والله، إِنْ كَانَ لِيُجِيرَ لَنَا تِجَارَتَنَا، وَيَمْنَعَهُمْ أَنْ يُظْلَمُوا بِلَدِهِ: قَالَ: فَجَاءَا فَخَلَّصَا سَعْدًا مِنْ أَيْدِيهِمْ، فَانْطَلَقَا. وَكَانَ الَّذِي لَكَمَ سَعْدًا، سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، أَخُو بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ.

من ألقاب الطويل

وذكر قول سعد حين أسرته قريش: فَأَتَانِي رَجُلٌ وَضِيءٌ شَعْشَاعٌ. وَالشَّعْشَعُ وَالشَّعْشَعَانِي وَالشَّعْشَعَانُ: الطويل من الرجال، وكذلك السَّلَهَبُ وَالصَّغَقَبُ وَالشُّوَقَبُ وَ [الشَّرْعَبُ] وَالشَّرْجَبُ وَالْخَبَقُ وَالشُّوَذَبُ الطويل مع رقة في أسماء كثيرة.

قال ابن هشام: وكان الرجل الذي أوى إليه، أبا البختريّ بن هشام.

قال ابن إسحاق: وكان أول شجر قيل في الهجرة بيتين، قالهما ضِرَارُ بن الخطّاب بن مِزْدَاس، أخو بني محارب بن فهر:

تداركت سَعْدًا عَنُوءَ فَأَخَذْتَهُ وكان شِفَاءً لو تداركت مُنْذِرًا
ولو نِلْتَهُ طُلْتُ هناك جِرَاحَهُ وكانت حَرِيًّا أَنْ يُهَانَ وَيُهْدَرَا
قال ابن هشام: ويُروى:

وكان حَقِيقًا أَنْ يُهَانَ وَيُهْدَرَا

قال ابن إسحاق: فأجابه حَسَّان بن ثابت فيهما فقال:

لست إلى سَعْدٍ ولا المرء مُنْذِرٍ إذا ما مَطَايَا القوم أَصْبَحْنَ ضُمْرًا

معاني الكلمات:

وقوله: أوى إليه رجل أي رَقَّ له، يقال: أوى إليه [وأوىة] مأوىة.

وقوله فَتَنْطَسُ القومُ الخبر أي: أكثروا البحث عنه، والتَّنَطُّسُ، تدقيق النظر. قال
الراجز: [رؤية بن العجاج]

وقد أكون عندها نَقْرِيسًا طبًا بأدواء النِّسَا نَطِّيسًا
وذكر قول ضِرَار بن الخطّاب:

وكان شِفَاءً وتداركت مُنْذِرًا

وضرار بن الخطّاب: وضِرَارُ كان شاعرَ قُرَيْش وفارسها، ولم يكن في قُرَيْش أشعرُ منه، [عبد الله] ثم ابن الزُّبَيْرِ بن قيس بن عدي، وكان جدُّه مِزْدَاسُ رَئِيسَ بني مُحَارِبِ بن فُهَر في الجاهلية يسير فيهم بالمِزْبَاعِ، وهو رُبْعُ العَنِيمة، وكان أبوه أيام الفِجَارِ رَئِيسَ بني مُحَارِبِ بن فُهَر أسلمَ ضِرَار عام الفتح.

حول قصيدة حسان:

وذكر قول حسان يجيبه:

لست إلى عَمْرٍو ولا المرء مُنْذِرٍ إذ ما مَطَايَا القوم أَصْبَحْنَ ضُمْرًا

فلولا أبو وهب لَمَرَّتْ قصائدُ
 اتَّفَحُرُ بالكِثَّانِ لَمَّا لَبِسَتْهُ
 فَلَا تَكُ كالوسنانِ يَحْلُمُ أَنَّهُ
 وَلَا تَكُ كالشكلى وكانت بمَعزَلِ
 وَلَا تَكُ كالشاةِ التي كان حَتَفُها
 وَلَا تَكُ كالعاوي فأَقْبَلَ نَحْرَهُ
 فَإِنَّا وَمَنْ يُهْدِي القَصائدِ نَحُونَا
 على شَرَفِ البَرَقَاءِ يَهْوِينَ حُسْرَا
 وقد تَلَبَّسَ الأَثْبَاطُ رِزْطًا مُقْصَرَا
 بِقَرْيَةٍ كَسَرَى أو بِقَرْيَةٍ قِنْصَرِ
 عن الثُّكُلِ لو كان الفُؤَادُ تَفَكَّرَا
 بِحَقَرِ ذِرَاعَيْهَا فلم تَرْضَ مُحَقَّرَا
 ولم يَخْشَهُ سَهْمَا من الثُّبُلِ مُضْمَرَا
 كَمُسْتَبْضِعٍ تَفَرَّأَ إلى أَهْلِ خَنْبِرَا

يعني بعمرو عمرو بن حُثَيْسٍ والد المنذر. يقول: لست إليه ولا إلى ابنه المنذر أي: أنت أقل من ذلك، والمنذر بن عمرو هذا يقال له: أَعْتَقَ لِيَمُوتَ، هو أحد النقباء كما ذكر ابن إسحاق، وذكر ابن إسحاق في المواخاة أن رسول الله - ﷺ - آخى بينه، وبين أبي ذرٍّ الغِفَارِي، وأنكر ذلك الواقدي محمد بن عمر، وقال: إنما آخى بينه وبين طَلَيْبِ بن عمرو. قال: وكيف يواخي بينه وبين أبي ذرٍّ، والمواخاة كانت قبل بدر، وأبو ذر كان إذ ذاك غائبًا عن المدينة، ولم يقدم إلا بعد بدر، وقد قطعت بدر المواخاة ونسخها قوله سبحانه: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥] وللمنذر بن عمرو حديث واحد عن رسول الله - ﷺ - ليس له غيره، يرويه عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذر أن رسول الله ﷺ سجد عن السهو قبل التسليم، وعبد المهيمن ضعيف. وقول حسان:

ولا تَكُ كالشاةِ التي كان حَتَفُها
 بِحَقَرِ ذِرَاعَيْهَا، لم تَرْضَ مُحَقَّرَا
 تقول العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرًا كالباحث عن المُذْيَةِ^(١) وأنشد أبو عثمان [الجاحظ] عمرو بن بحر. [لِلْفَرَزْدَقِ]:

وكان يُجِيرُ النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مالِكٍ
 فأصبح يَبْغِي نَفْسَهُ مَنْ يُجِيرُها
 وكان كَعَنَزِ السُّوءِ قامت بِظِلْفِها
 إلى مُذْيَةٍ تحت التراب تُثِيرُها

(١) انظر «الحيوان» للجاحظ (٣٤٥/١) والبيان والتبيين له أيضًا (١٥٩/٣).

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قَدِمُوا المَدِينَةَ أَظْهَرُوا الإسلامَ بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشُّرك، منهم عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَنَمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سلمة، وكان ابنه مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو شَهِدَ العَقْبَةَ، وبَايَعَ رسولَ الله ﷺ بها، وكان عمرو بن الجَمُوحِ سَيِّدًا من سادات بني سَلَمَةَ، وشَرِيفًا من أشرافهم، وكان قد اتَّخَذَ في داره صَنَمًا من خَشَبٍ، يقال له: مَنَاءُ، كما كانت الأشراف يصنعون، تتخذها إلهًا تعظمه وتُطَهِّرُهُ، فلَمَّا أسلم فُتَيَانُ بَنِي سَلَمَةَ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وابنه مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو، في فُتَيَانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أسلم وشَهِدَ العَقْبَةَ، كانوا يُذَلِّجُونَ بالليل على صنم عَمْرُو ذلك، فيخملونه فيَطْرَحُونَهُ في بعض حُفْرِ بَنِي سَلَمَةَ، وفيها عِذْرُ النَّاسِ، مُنْكَسًا على رأسه، فإذا أصبح عمرو، قال: وَيْلَكُمْ! مَنْ عَدَا على آلِهَتِنَا هذه الليلة؟ قال: ثُمَّ يَغْدُو يَلْتَمِسُهُ، حتى إذا وَجَدَهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لو أعلم مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ لَأُخْرِيتُهُ. فإذا أَمْسَى ونام عمرو، عَدَّوْا عليه، ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيَجِدُهُ في مثل ما كان فيه من الأذى، فيَغْسِلُهُ وَيُطَهِّرُهُ وَيُطَيِّبُهُ، ثُمَّ يَغْدُونَ عليه إذا أَمْسَى، فيفعلون به مثل ذلك. فلما أَكْثَرُوا عليه، اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ يَوْمًا، فغسلوه وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَّقَهُ عليه، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مَنْ يَصْنَعُ بِكَ مَا تَرَى، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَاْمْتَنِعْ، فَهَذَا السَّيْفُ مَعَكَ. فلما أَمْسَى ونام عمرو، عَدَّوْا عليه، فَأَخَذُوا السَّيْفَ مِنْ عُنُقِهِ، ثُمَّ أَخَذُوا كُلُّبًا مِيتًا فَقَرَّتُوهُ بِهِ بِحَبْلِ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بَثْرِ مِنْ آبَارِ سَلَمَةَ، فِيهَا عِذْرٌ مِنْ عِذْرِ النَّاسِ، ثُمَّ غَدَا عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ.

إسلام عمرو بن الجموح

فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر مُنْكَسًا مَقْرُونًا بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكَلَّمَهُ مَنْ أسلم من قومه، فَأَسْلَمَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ. فقال حين أسلم،

إسلام عمرو بن الجموح وصنمه^(١)

فصل: في إسلام عمرو بن الجَمُوحِ، وذكر صنمه الذي كان يعبد، واسمه مَنَاءُ، وزنه فَعْلَةٌ من منيت الدم وغيره: إِذَا صَبَّيْتَهُ، لأن الدماء كانت تُمَيُّ عندَه تَقَرُّبًا إِلَيْهِ، ومنه سُمِّيَتْ

(١) انظر ترجمته في الثقات (٢٧٦/٣) تاريخ الإصابة (٩١٢) الإصابة (٥٢٩/٢) الاستيعاب (١١٦٨/٣).

وعَرَفَ من الله ما عَرَفَ، وهو يذكر صَنَمه ذلك وما أبصر من أمره، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه ممَّا كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كُنْتُ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أنت وكلبٌ وَسَطُ بئْرٍ فِي قَرْنٍ
أَفْ لِمَلَقَاكَ إِلَهًا مُسْتَدَنٌ الآنَ فَتُشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْعَبْنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِنَّةِ الواهبِ الرِّزْقِ دِيَانَ الدِّينِ
هو الذي أنقذني من قبل أن أكونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبْرِ مُرْتَهَنٍ
بأحمدَ المهدي النبي المُرْتَهَنِ

الأصنامُ الدُّمَى، وفي الحديث: لا والدُمَى لا أرى بما تقول بأسًا، وكذلك مَنَاءُ الطاغية التي كانوا يهلُّون إليها بِقُدَيْدٍ والحِطُّ من هذا المطلاع ما في قوله تعالى: ﴿وَمَنَاءُ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى﴾ النجم، من الفائدة جعلها ثالثة للآتِ والعُزَى، وأخرى بالإضافة إلى مناة التي كان يعبدُها عَمْرُو بن الجُمُوح وغيره من قومه، فهما مَنَاتَانِ، وإحداهما عن الأخرى بالإضافة إلى صاحبها.

وقوله:

الآنَ فَتُشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْعَبْنِ

الغبين في الرأي يقال: غَبِنَ رَأْيُهُ كما يقال: سَفِهَ نَفْسَهُ، فنصبوا، لأن المعنى: خَسِرَ نَفْسَهُ، وأَوْبَقَهَا وأفسدَ رَأْيَهُ ونحو هذا.

وقوله: إِلَهًا مُسْتَدَنٌ مِنَ السَّدَانَةِ، وهي خِدْمَةُ البيت وتعظيمه.

وقوله: دِيَانَ الدِّينِ: الدِّينُ جمع دِينَةٍ، وهي العادة، ويقال لها دِينٌ أيضًا، وقال ابنُ الطَّحْرِيَّةِ، واسمه يزيد:

أرى سَبْعَةً يَسْعَوْنَ لِلْوَصْلِ كُلِّهِمْ له عندَ لَيْلَى دِينَةٌ يَسْتَدِينُهَا
فَالْقَيْتُ سَهْمِي بَيْنَهُمْ حِينَ أَوْخَشُوا فما صَارَ لِي فِي الْقَسَمِ إِلَّا ثَنِينِهَا

ويجوز أن يكون أراد بالدِّينِ: الأديان أي هو دِيَانُ أَهْلِ الأَدْيَانِ، ولكن جمعها على الدِّينِ، لأنها مِلَلٌ ونِحْلٌ، كما قالوا في جمع: الحُرَّة: حرائر، لأنهن في معنى الكَرَائِمِ والعقائل، وكذلك مَرَاتِرُ الشجر، وإن كانت الواحدة مُرَّةً، ولكنها في معنى فعيلة، لأنها عَسِيرَةٌ في الذُّوقِ، وشديدة على الآكل، وكرهية إليه.

شروط البيعة في العقبة الأخيرة:

قال ابن إسحاق: وكان في بيعة الحرب، حين أذن الله لرسوله في القتال شروطاً سوى شَرْطه عليهم في العقبة الأولى، كانت الأولى على بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن الله له فيها، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربِّه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجَنَّةَ.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه الوليد، عن جده عبادة بن الصامت، وكان أحد النقباء، قال:

بايعنا رسول الله ﷺ ببيعة الحرب - وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بَيْعَةِ النِّسَاءِ - على السَّمْعِ والطَّاعَةِ، فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَمُنْشَطِنَا وَمُكْرَهِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً.

أسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها من الأوس والخزرج، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين.

شهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أَسِيد بن حُضَيْر بن سِمَاك بن عَتِيكَ بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عَبْد الأشهل، نقيب لم يشهد بدرًا. وأبو الهيثم بن التَّيْهَان، واسمه مالك، شهد بدرًا. وَسَلَمَة بن سلامة بن وَفْش بن زُعْبَة بن زَعُورَاء بن عبد الأشهل، شهد بدرًا، ثلاثة نفر. قال ابن هشام: ويقال: ابن زَعُورَاء بفتح العين.

قال ابن إسحاق: ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: ظُهَيْر بن رافع بن عَدِي بن زيد بن جُشَم بن حارثة، وأبو بُزْدَة بن نيار، واسمه هَانِي بن نِيَار بن عمرو بن عبيد بن كِلَاب بن دُهْمَان بن عَنَم بن دُبْيَان بن هُمَيْم بن

تفسير بعض الأنساب

فصل: وذكر ابن إسحاق تسمية من حَضَرَ الْعَقْبَةَ، وذكر أنسابهم إلا أبا الهيثم بن التَّيْهَان، وقد ذكرنا اسمه واسم أبيه، وما قيل في نسبه في ذكر العقبة الأولى.

كَاهِلُ بْنُ ذُفْلٍ بْنِ دَهْنِي بْنِ بَلِيٍّ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ، حَلِيفُ لَهُمْ، شَهِدَ بَدْرًا وَنَهَيْرَ [أَبُو بَهِيرٍ] بْنِ الْهَيْثَمِ، مِنْ بَنِي نَابِي بْنِ مَجْدَعَةَ بْنِ حَارِثَةَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ.

وَمِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ مَالِكُ بْنُ الْأَوْسِ: سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ التَّحَاطِ بْنِ كَعْبِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَنَمٍ بْنِ السَّلَمِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا، فَقُتِلَ بِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - شَهِيدًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَنَسَبَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَنَمٍ بْنِ السَّلَمِ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ دَعْوَةُ الرَّجُلِ فِي الْقَوْمِ، وَيَكُونُ فِيهِمْ فَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَرِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذَرِ بْنِ زَنْبِرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرٍو، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا. وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ الْبَرَكِ - وَاسِمُ الْبَرَكِ: أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو شَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ شَهِيدًا أَمِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الرُّمَةِ؛ وَيُقَالُ: أُمَيَّةُ بْنُ الْبَرَكِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ الْجَدِّ بْنِ الْعَجْلَانِ بْنِ [حَارِثَةَ] بْنِ ضُبَيْعَةَ [ابْنِ حَرَامٍ] لَهُمْ مِنْ بَلِيٍّ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحْدًا وَالْخَنْدَقَ، وَمَشَاهِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّهَا، قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَعُؤَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحْدًا وَالْخَنْدَقَ خَمْسَةَ نَفَرٍ.

فَجَمِيعٌ مِنْ شَهِدِ الْعُقْبَةَ مِنَ الْأَوْسِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا.

وَشَهِدَهَا مِنَ الْخَزْرَجِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَهُوَ تَيْمُ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْخَزْرَجِ: أَبُو أَيُّوبَ، وَهُوَ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كُلَيْبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَنَمٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ شَهِدَ بَدْرًا وَأُحْدًا وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، مَاتَ بِأَرْضِ الرُّوحِ غَازِيًا فِي زَمَنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ. وَمُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَنَمٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحْدًا وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ، وَأَخُوهُ: عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ، شَهِدَ بَدْرًا وَقُتِلَ بِهِ شَهِيدًا، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ أَبَا جَهْلٍ ابْنَ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَهُوَ لَعْفَرَاءَ - وَيُقَالُ: رِفَاعَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ سَوَادٍ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَعُمَارَةُ بْنُ حِزْمِ بْنِ زَيْدِ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ عَنَمٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ. شَهِدَ بَدْرًا وَأُحْدًا وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا،

وَذَكَرَ قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَالْقُطَيْبَةُ فِيمَا ذَكَرَ أَبُو حَنِيفَةَ وَاحِدَةَ الْقُطَيْبِ، وَهِيَ شَوْكَةٌ مَدْحَرَجَةٌ فِيهَا ثَلَاثُ شَوَيْكَاتٍ، وَهِيَ تَشْبَهُ حَسَكَ السَّغْدَانِ، وَقَدْ بَانَ يَنْتَعِبُ أَبِي حَنِيفَةَ لَهُ أَنَّهُ الَّذِي نَسَمِيهِ بِيَلَدَنَا حِمَصُ الْأَمِيرِ. وَالْقُطَيْبَةُ: طَرَفُ النَّضْلِ.

قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ عَدَسَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، نَقِيبٌ، مَاتَ قَبْلَ بَدْرٍ وَمَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنْبِئُنِي، وَهُوَ أَبُو أَمَامَةٍ. سِتَّةَ نَفَرٍ.

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَبْدُولٍ - وَمَبْدُولٌ: عَامِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ: سَهْلُ بْنُ عَتِيكَ بْنِ نُعْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَتِكَ بْنِ عَمْرِو، شَهِدَ بَدْرًا. رَجُلٌ.

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُمْ بَنُو حُدَيْلَةَ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حُدَيْلَةُ: بِنْتُ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَضْبٍ بْنِ جُشَمَ بْنِ الْخَزْرَجِ - أَوْسُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمَنْذَرِ بْنِ حِرَامِ بْنِ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ، شَهِدَ بَدْرًا. وَأَبُو طَلْحَةَ، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ حِرَامِ بْنِ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ، شَهِدَ بَدْرًا. رَجُلَانِ.

وَمِنْ بَنِي مَازَنِ بْنِ النَّجَّارِ: قَيْسُ بْنُ أَبِي صَغَصَعَةَ، وَاسِمُ أَبِي صَعَصَعَةَ: عَمْرُو بْنُ زَيْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ مَبْدُولِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمَ بْنِ مَازَنِ، شَهِدَ بَدْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَعَلَهُ عَلَى السَّاقَةِ يَوْمَئِذٍ. وَعَمْرُو بْنُ غَزِيَّةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ خَنْسَاءَ بْنِ مَبْدُولِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمَ بْنِ مَازَنِ. رَجُلَانِ. فَجَمِيعٌ مِنْ شَهِدِ الْعُقْبَةَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَمْرُو بْنُ غَزِيَّةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ خَنْسَاءَ، هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، إِنَّمَا هُوَ غَزِيَّةُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ خَنْسَاءَ.

مِنْ شَهِدَهَا مِنْ بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمِنْ بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ: سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي زُهَيْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكِ [الْأَغْرَ] بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا وَقُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ شَهِيدًا. وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكِ [الْأَغْرَ] بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ، شَهِدَ بَدْرًا وَقُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ شَهِيدًا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ [بِثَعْلَبَةَ] بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكِ [الْأَغْرَ] بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ،

وَذَكَرَ ذُكْوَانَ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ، وَنَسَبَهُ إِلَى عَامِرِ بْنِ زُرَيْقٍ بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقٍ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ غَضْبٍ بْنِ جُشَمَ، وَالْغَضْبُ فِي اللُّغَةِ: الشَّدِيدُ الْحُمْرَةِ، وَجُشَمٌ مَعْدُولٌ عَنْ جَاشِمٍ، وَهُوَ مِنْ جَشِمَتْ الْأَمْرَ [تَكَلَّفَتْهُ عَلَى مَشَقَّةٍ] كَمَا عَدَلُوا عُمَرَ عَنْ عَامِرٍ وَقَدْ أَمْلَيْنَا جُزْءًا فِي أَسْرَارِ مَا

نقيب، شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومشاهد رسول الله ﷺ كلها، إلا الفتح وما بعده، وقتل يوم مؤتة شهيدًا أميرًا لرسول الله - ﷺ - وبشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلّاس بن زيد بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، أبو النعمان بن بشير شهد بدرًا. وعبد الله بن زَيْد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد [منةة] بن الحارث بن الخزرج [بن حارثة] شهد بدرًا، وهو الذي أرى النداء للصلاة، فجاء به إلى رسول الله - ﷺ - فأمر به. وخلاد بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث [بن الخزرج] شهد بدرًا وأحدًا والخندق وقتل يوم بني قُرَيْظَة شهيدًا، طُرِحَتْ عليه رَحَى من أُطَم من أطامها فَشَدَّخَتْه شَدْحًا شديدًا، فقال رسول الله - ﷺ - فيما يذكرون - إِنَّ لَهُ لِأَجَرٍ شهيدين. وعقبه بن عمرو بن ثعلبة بن أُسَيْرَة بن عُسَيْرَة بن جَدَارَة بن عوف بن الحارث [بن الخزرج] وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنًا، مات في أيام معاوية، لم يشهد بدرًا سبعة نفر.

ومن بني بياضة بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضَب بن جُشَم بن الخزرج: زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة، شهد بدرًا. وفروة بن عمرو بن وَدَقَة بن عبيد بن عامر بن بياضة، شهد بدرًا. قال ابن هشام: ويقال وَدَقَة.

ينصرف، وما لا ينصرف شَرَحْنَا فيه فائدة العدل عن فاعل إلى فَعَل، وما حقيقة العَدَلِ والمَقْصُود به، ولم لَمْ يُعْدَل عن أسماء الأجناس، ولم لَمْ يكن إلا في الصفات ولم لَمْ يكن من الصفات إلا في مثل عامر وزافر وقائم، ولم يكن في مالك وصالح وسالم، ولم خص فعل هذا البناء بالعدل إليه، وهل عُدِل إلى بناء غيره، أم لا ولم منع الحَفْض والتثوين إذا كان مَعْدُولًا إلى هذا البناء، فمن اشتاق إلى معرفة هذه الأسرار فَلْيَنْظُرْهَا هُنَالِكَ، فإن ابن جني قد حام في كتاب الخصائص على بعضها، فما وَرَدَ، وصَاصًا فما فَقَّح.

وذكر في بني بياضة عَمْرَو بن وَدَقَة بذال مُعْجَمَة، وقال ابن هشام: وَدَقَة بذال مهملة، وهو الأصح، والوَدَقَة: الرُّوضَة الناعمة سُمِّيَتْ بذلك، لأنها تقطر ماء من نعمتها، والأَدَافُ الذَّكَر، وأصله: وَدَاف، سُمِّيَ بذلك الموضع قطر الماء والمني منه، ويقال للروضة الناعمة: الدَّقْرَى، وعمرو بن وَدَقَة هذا هو البَيَاضِي الذي روى عنه مالك في كتاب الصلاة، ولم يُسَمَّه، وفي الأنصار [من قبائل الخزرج] بنو التَّجَار، وهم تَيْمُ الله بن ثَعْلَبَة، سمي التَّجَار فيما ذكروا لأنه تَجَرَّ وجه رجل بَقْدُوم وقيل: كان تَجَارًا، وثعلبة في العرب كثير في الرجال، وَقُلْ ما يُسْمُون بِغَلَب، وإن كان ذلك هو القياس كما يَسْمُون بِنَجْرٍ وَسَبْعٍ وَذُنُبٍ، ولكن

قال ابن إسحاق: وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة، شهد بدرًا. ثلاثة نفر.

ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، نقيب. ودكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مَخْلَد بن عامر بن زريق [بن عامر بن زريق بن عبد حارثة]، وكان خرج إلى رسول الله ﷺ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله ﷺ من المدينة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري؛ شهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا. وعباد بن قيس بن عامر بن خلدة بن مَخْلَد بن عامر بن زريق، شهد بدرًا. والحارث بن قيس بن خالد بن مَخْلَد بن عامر بن زريق، وهو أبو خالد شهد بدرًا. أربعة نفر.

ومن بني سَلَمَة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تَرِيد بن جشم بن الخزرج؛ ثم من بني عُبَيْد بن عَدِيّ بن غَنَم بن كَعْب بن سلمة: البراء بن مَعْرُور بن صخر بن خُنْسَاء بن سِنَان بن عُبَيْد بن عَدِيّ بن غَنَم، نقيب، وهو الذي تزعم بنو سَلَمَة أنه كان

الثعلب اسم مشترك، إذ يقال ثَعْلَب الرُّمَح، وَثَعْلَب الحَوْضِ، وهو مخرج الماء منه، وفي الحديث حتى قام أبو لبابة يسد ثَعْلَب مِرْبَدِه بردائه^(١)، فكانهم عَدَلُوا عن التسمية بثعلب لهذا الاشتراك، مع أن الثَّعْلَبَة أحمى لأَدْرَاصِهَا^(٢) وأَغْيَرُ على أَجْرَائِهَا من الثَّعْلَب.

وذكر قول رسول الله - ﷺ - لبني سَلَمَة مَن سيدكم؟ فقالوا جَدُّ بن قَيْس على بُخْل فيه، فقال: وأَيُّ دَاءٍ أَكْبَرُ من البُخْلِ؟! بل سيدكم الأبيض الجَعْدُ: بَشْر بن البراء^(٣)، وروى عن الزُّهْرِي وعامر الشَّغْبِيَّ أنهما قالَا في هذا الحديث عن النبي عليه السلام: بل سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بن الجَمُوح وقال شاعر الأنصار في ذلك:

وقال رَسُولُ اللَّهِ، والحق قولُهُ لَمَنْ قال منا مَنْ تَعُدُّونَ سَيِّدًا
فقالوا له: جَدُّ بن قَيْسٍ عَلَى الْبَيِّ نُبَخِّلُهُ فِيهَا، وما كان أَسْوَدًا
فَسَوْدَ عَمْرُو بن الجَمُوح لَجُودِهِ وَحَقُّ لِعَمْرٍو وعندنا أَنْ يُسَوَّدَا

(١) انظر النسائي (١٥٩/٣) وأبو داود (١١٦٩) بتحقيقي. وابن ماجه (١٢٦٩ - ١٢٧٠) وأحمد (٢٣٦/٤) والبيهقي في الدلائل (١٦٠) وانظر الفتح (١٤٣/١١).

(٢) أدراصها: أولادها.

(٣) أخرجه الطبراني (١٨/١٩) وابن سعد في الطبقات (١١٢/٢/٣) والحاكم (٣١٩/٣) وانظر الفتح (١٧٩/١٧٨/٥).

أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَرَطَ لَهُ، واشترط عليه، ثم تُوفِيَ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ. وابنه بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، شَهِدَ بَدْرًا وَأَحَدًا وَالْخَنْدَقَ، وَمَاتَ بِخَيْبَرٍ مِنْ أَكْلَةٍ أَكَلَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنَ الشَّاةِ الَّتِي سَمَّ فِيهَا - وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حِينَ سَأَلَ بَنِي سَلَمَةَ: مَنْ سَيُدْكُمُ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟ فَقَالُوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى بُحْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَيُّ دَاءٍ أَكْبَرُ مِنَ الْبُحْلِ! سَيِّدُ بَنِي سَلَمَةَ الْأَبْيَضُ الْجَعْدُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ. وَسِنَانُ بْنُ صَيْفِيٍّ بْنُ صَخْرٍ بْنُ خَنْسَاءِ بْنِ سِنَانِ بْنِ عُيَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا، وَالطُّفَيْلُ بْنُ النُّعْمَانِ خَنْسَاءُ بْنُ سِنَانِ بْنِ عُيَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ شَهِيدًا. وَمَعْقِلُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَرْحٍ بْنُ خُنَاسٍ بْنُ سِنَانِ بْنِ عُيَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا. وَيَزِيدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَرْحٍ بْنُ خُنَاسٍ بْنُ سِنَانِ بْنِ عُيَيْدٍ شَهِدَ بَدْرًا. وَمُسْعُودُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ سُبَيْعٍ بْنُ خَنْسَاءِ بْنِ سِنَانِ بْنِ عُيَيْدٍ. وَالضُّحَّاكُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا، وَيَزِيدُ بْنُ خِدَامٍ أَوْ [ابْنِ حَرَامٍ أَوْ خِدَارَةَ] بْنِ سُبَيْعٍ بْنُ خَنْسَاءِ بْنِ سِنَانِ بْنِ عُيَيْدٍ. وَجُبَّارُ بْنُ صَخْرٍ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَنْسَاءِ بْنِ سِنَانِ بْنِ عُيَيْدٍ [بَنِ عَدِيٍّ بْنِ غَنَمٍ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ]، شَهِدَ بَدْرًا.

قال ابن هشام: ويقال: جُبَّارُ بْنُ صَخْرٍ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خُنَاسٍ.

قال ابن إسحاق: والطُّفَيْلُ بْنُ مَالِكِ بْنِ خَنْسَاءِ بْنِ سِنَانِ بْنِ عُبَيْدٍ [وهو ابن عم الطُّفَيْلِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ خَنْسَاءِ بْنِ سِنَانٍ]، شَهِدَ بَدْرًا. أَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا.

ومن بني سَوَادِ بْنِ غَنَمٍ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ، ثم من بني كَعْبِ بْنِ سَوَادٍ: كَعْبُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبِ بْنِ الْقَيْنِ بْنِ كَعْبٍ. رَجُلٌ.

ومن بني غَنَمٍ بْنِ سَوَادِ بْنِ غَنَمٍ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ: سُلَيْمُ بْنُ عُمَرٍ بْنُ حَدِيدَةَ بْنِ عُمَرٍ بْنِ غَنَمٍ، شَهِدَ بَدْرًا. وَقُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ حَدِيدَةَ بْنِ عُمَرٍ بْنِ غَنَمٍ، شَهِدَ بَدْرًا. وَيَزِيدُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ حَدِيدَةَ بْنِ عُمَرٍ بْنِ غَنَمٍ، وَهُوَ أَبُو الْمُنْذِرِ، شَهِدَ بَدْرًا. وَأَبُو الْيَسْرِ، وَاسْمُهُ: كَعْبُ بْنُ عُمَرٍ بْنِ عَبَّادٍ بْنِ عُمَرٍ بْنِ غَنَمٍ [بَنِ سَوَادِ بْنِ غَنَمٍ بْنِ كَعْبِ بْنِ

ذَكَرَ خَدِيجُ بْنُ سَلَامَةَ الْبَلَوِيُّ^(١):

فصل: وَذَكَرَ خَدِيجُ بْنُ سَلَامَةَ الْبَلَوِيُّ، وَهُوَ: خَدِيجُ بْنُ خَاءٍ مَنقُوطَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَدَالٌ مَكْسُورَةٌ، كَذَا ذَكَرَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ، وَذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ، وَقَالَ: شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا، وَقَالَ: يُكْنَى أَبَا رَشِيدٍ:

(١) انظر الاستيعاب (١/٤٥٩).

سَلَمَة]، شهد بدرًا. وصَيْفِي بن سَواد بن عَبَاد بن عمرو بن عَثْم. خمسة نفر.

قال ابن هشام: صَيْفِي بن أسود بن عباد بن عمرو بن عَثْم بن سواد، وليس لسواد ابن يقال له: عَثْم.

قال ابن إسحاق: ومن بني نابي بن عمرو بن سَواد بن عَثْم بن كعب بن سَلَمَة: ثعلبة بن عَثْمَة بن عَدِي بن نابي، شهد بدرًا، وقُتِل بالخنْدَق شهيدًا. وعمرو بن عَثْمَة بن عَدِي بن نابي، وعَبْس بن عامر بن عَدِي بن نابي، شهد بدرًا. وعبدُ الله بن أُتَيْس، حليف لهم من قُضاعة. وخالد بن عمرو بن عَدِي بن نابي. خمسة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني حَرَام بن كعب بن عَثْم بن كعب بن سَلَمَة: عبدُ الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، نقيب، شهد بدرًا، وقُتِل يوم أحد شهيدًا، وابنه جابر بن عبد الله. ومُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، شهد بدرًا. وثابت بن الجِدْع - والجِدْع: ثُعْلَبَة بن زيد بن الحارث بن حرام - شهد بدرًا، وقُتِل بالطائف شهيدًا. وعَمير بن الحارث بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام، شهد بدرًا. قال ابن هشام: عمير بن الحارث بن لَبْدَة بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وَخَذِيج بن سَلَامَة بن أَوْس بن عمرو بن الْفُرَافِر [أو القراقِر] حليف لهم من بَلِيٍّ وَمُعَاذ بن جبل بن عمرو بن أَوْس بن عائذ بن عَدِي بن كعب بن عمرو بن أَدِي بن سَعْد بن عَلِي بن أَسَد، يقال: أَسَد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزْرَج، وكان في بني سَلَمَة، شهد بدرًا، والمشاهد كلها ومات بِعَمَوَاس، عام الطاعون بالشام، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما ادعته بنو سَلَمَة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجِدْع بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عَدِي بن عَثْم بن كعب بن سَلَمَة. لأمه. سبعة نفر.

قال ابن هشام: أَوْس: ابن عباد بن عَدِي بن كعب بن عمرو بن أَدِي بن سعد.

قال ابن إسحاق: ومن بني عوف بن الخَزْرَج، ثم من بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزْرَج: عُبَادَة بن الصامت بن قيس بن أَصْرَم بن فُهْر بن ثعلبة بن عَثْم بن سالم بن عوف، نقيب، شهد بدرًا والمشاهد كلها.

وذكر مُعَاذ بن جَبَل ونسبه إلى أَدِي بن سعد بن علي أخِي سَلَمَة، وقد انفرض عَقِبُ أَدِي، وآخر من مات منهم عبدُ الرَّحْمَنِ بن مُعَاذ بن جَبَل، وقد يقال في أَدِي أيضًا: أَدْن في غير رواية ابن إسحاق وابن هشام.

قال ابن هشام: هو غنم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له: مهاجري أنصاري وقتل يوم أحد شهيداً. وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أضرم بن عمرو بن عمارة، حليف لهم من بني غصينة من بلي. وعمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو بن ثعلبة: أربعة نفر، وهم القواقل.

ومن بني سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحُبلى - قال ابن هشام: الحُبلى: سالم بن غنم بن عوف، وإنما سمي: الحُبلى - لعظم بطنه: رفاعه بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم، شهد بدرًا، وهو أبو الوليد.

قال ابن هشام: ويقال: رفاعه: ابن مالك، ومالك: ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم.

قال ابن إسحاق: وعقبة بن وهب بن كَلْدَة بن الجعد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف بن بُهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، حليف لهم، شهد بدرًا، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجرًا من المدينة إلى مكة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري.

قال ابن هشام: رجлан.

قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: سعد بن عبادة بن دَلَيْم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، نقيب؛ والمنذر بن عمرو بن حُنَيْس بن حارثة بن لَوْذَان بن عَبْدِ وَدّ بن زيد بن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة، نقيب، شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة أميرًا لرسول الله ﷺ، وهو الذي كان يقال له: أعنق ليموت. رجلان.

وذكر أن مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ مات في طاعون عَمَواس، هكذا تقيّد في النسخة عِمَواس بسكون الميم، وقال فيه البكري في كتاب المعجم من أسماء البقع: عَمَواس بفتح الميم والعين، وهي قرية بالشام عُرف الطاعون بها لأنه منها بدأ وقيل: إنما سمي: طاعون عِمَواس لأنه عَمَ وآسى أي جعل بعض الناس أسوة بعض.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسول الله ﷺ لا يصفح النساء، إنما كان يأخذ عليهن، فإن أقرن، قال: اذهبن فقد بايعتكن.

ومن بني مازن بن النجار: نُسَيْبَةُ بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْدُول بن عمرو بن غنم بن مازن [بن النجار]، وهي أُمُ عَمَّارَةَ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله - ﷺ - وشهدت معها أختها. وزوجها زيد بن عاصم بن كعب. وابناها: حبيب بن زيد، وعبد الله بن زيد، وابنها حبيب الذي أخذه مُسَيْلِمَةُ الكَذَّاب الحنفي، صاحب اليمامة، فجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم، فيقول: أفشهد أنني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فعجل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده، لا يزيده على ذلك، إذا ذَكَرَ له رسولُ الله ﷺ آمن به وصلى عليه، وإذا ذَكَرَ له مُسَيْلِمَةُ قال لا أسمع - فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين، فباشرت الحرب بنفسها، حتى قَتَلَ الله مُسَيْلِمَةَ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً، من بين طعنة وضربة.

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حَبَّان، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَغُصَّة.

ومن بني سلمة: أم مَنِيْع؛ واسمها: أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن عَثم بن كعب بن سلمة.

نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال:

بسم الله الرحمن الرحيم. قال: حَدَّثَنَا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حَدَّثَنَا زياد بن عبد الله البَكَّائِي، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبي: وكان رسولُ الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يُؤْذَن له في الحرب ولم تُحْلَل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر

وذكر يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بسكون الزاي كذا قال فيه ابن إسحاق وابن الكلبي، وقال الطبري فيه خَزْمة بتحريك الزاي، وهو بَلَوِيٌّ من بني عَمَّارَةَ بفتح العين وتشديد الميم، ولا يعرف عَمَّارَةَ في العرب إلا هذا، كما لا يُعْرَفُ عمارة بكسر العين إلا أُبَيُّ بن عِمَّارَةَ الذي يروي حديثاً في المسح على الخفين، وقد قيل فيه عَمَّارَةَ بضم العين، وأما سوى هذين فعَمَّارَةَ بالضم، غير أن الدَّارَقُطَنِي ذكر عن مُحَمَّد بن حبيب عن ابن الكلبي في نسب قُضَاعَةَ: قال مُدْرِك بن عبد الله القَمَقَام بن عمارة بن دُوَيْد بن مالك. وفي النساء عَمَّارَةَ بنت نافع، وهي أُم مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرزاق، وفي الأنصار خَزْمة سوى هذا المذكور بفتح الزاي كثير.

على الأذى، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفّوهم من بلادهم فهم من بين مَفْتُونٍ في دينه، ومن بين معذّب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فراراً منهم، منهم مَنْ بأرض الحبشة، ومنهم مَنْ بالمدينة، وفي كل وجه؛ فلما عَتَتْ قريش على الله عزّ وجلّ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيّه ﷺ، وعذبوا ونفّوا مَنْ عبّده ووحّده وصدّق نبيه، واعتصم بدينه، أذن الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب، وإحلاله له الدماء والقتال، لمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنْ اللَّهُ عَلَى تَضَرُّهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتِ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصُلُواتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: أني، إنما أخللت لهم القتال لأنهم ظلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس، إلا أن يعبدوا الله، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، يعني النبي - ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: حتى لا يُفْتَنَ مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي: حتى يُعبد الله، لا يعبد معه غيره.

وذكر بني الحُبَلِي والنسب إليه حُبَلِيّ بضم الحاء والباء قاله سيبويه على غير قياس، التَّسَبُّ، وتوهم بعض من ألف في العربية أن سَيَّبُوهُ قال فيه: حُبَلِيّ بفتح الباء لما ذكره مع جَذَمِيّ في النسب إلى جَذِيمَةَ ولم يذكره سيبويه معه، لأنه على وزنه، ولكن لأنه شاذ مثله في القياس الذي ذكرناه عن سيبويه من تقييده بالضمّ، ذكره أبو عَلِيّ القَالِي في البارع، وقال هكذا تقيّد في النسخ الصحيحة من سيبويه، وحَسْبُكَ من هذا أن جميع المحدثين يقولون: أَبُو عبد الرحمن الحُبَلِيّ بضمّتين، لا يختلفون في ذلك، فدلّ هذا كله على غلط مَنْ نسب إلى سيبويه أنه فتح الباء.

الإذن لمسلمي مكة بالهجرة

قال ابن إسحاق: فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبإيعة هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له وللمن اتبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللاحق بإخوانهم من الأنصار، وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها. فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

المهاجرون إلى المدينة هجرة أبي سلمة وزوجه، وحديثها عما لقيا

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، من بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، واسمه: عبد الله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قديم

متى أسلم عثمان بن أبي طلحة^(١)

فصل: وذكر هجرة أم سلمة وصحبة عثمان بن طلحة لها، وهو يومئذ على كفره، وإنما أسلم عثمان في هذنة الحذينة، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، وقتل يوم أُحُد إخوته مسافع، وكيلاب والحارث، وأبوهم وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضًا يوم أُحُد

(١) له ترجمة في الطبقات (٤٤٨/٥) الإصابة (٤٦٠/٢) تاريخ الصحابة (٨٧٢) الثقات (٢٦٠/٣) الاستيعاب (١٠٣٤/٣).

على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة فلما آذنه قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجراً.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدته أم سلمة، زوج النبي ﷺ، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل إلى بعيته ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجره، ثم خرج بي يقود بي بعيته، فلما رآه رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها، رأيت صاحبك هذه؟ علام نترك تسير بها في البلاد؟ قالت: فترعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجادبوا بُني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي، حتى أمسى سنة أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني عمي، أخذ بني المغيرة، فرأى ما بي فرحماني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت ببعيري ثم أخذت ابني فوضعت في حجره، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتثعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله وبني هذا. قال: والله ما لك من مثرك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرّواح، قام إلى ببعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي. فإذا ركبتي واستويت على ببعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى

كافراً ويده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله ﷺ - عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وإلى ابن عمه شيبه بن أبي عثمان بن أبي طلحة، وهو جد بني شيبه حجة الكعبة، واسم أبي طلحة جدهم: عبد الله بن عبد العزى، وقُتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر.

ينزل بي. فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فادخلها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة.

هجرة عامر وزوجه وهجرة بني جحش

قال ابن إسحاق: ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة، حليف بني عدي بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عدي بن كعب. ثم عبد الله بن جحش بن رثاب بن يغمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، حليف بني

هجرة بني جحش

وذكر هجرة بني جحش، وهم: عبد الله وأبو أحمد واسمه: عبد، وقد كان أخوهم عبيد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ [الأحزاب: ٣٧] وأم حبيب بنت جحش التي كانت تستحاض، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وحنمة بنت جحش التي كانت تحت مضعب بن عمير، وكانت تستحاض أيضاً، وقد روي أن زينب استحيضت أيضاً، ووقع في الموطأ أن زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض، ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف، ولا قاله أحد والعلط لا يسلم منه بشر، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب، ويقال فيها أم حبيبة، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح، أخبرني أن أم حبيب كان اسمها: زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وهم ولا غلط والله أعلم. وكان اسم زينب بنت جحش: برة فسمها رسول الله - ﷺ - زينب، وكذلك زينب بنت أم سلمة زبيته عليه السلام، كان اسمها برة، فسمها زينب كانه كره أن تزكي المرأة نفسها بهذا الاسم، وكان اسم جحش بن رثاب: برة بضم الباء، فقالت زينب لرسول الله - ﷺ: يا رسول الله لو غيرت اسم أبي، فإن البرة صغيرة، فقل: إن رسول الله - ﷺ - قال لها: «لو أبوك مسلماً لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكني قد سميت جحشاً والجحش أكبر من البرة». ذكر هذا الحديث مستنداً في كتاب المؤلف والمختلف أبو الحسن الدارقطني.

أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد - وكان أبو أحمد رجلاً ضريب البصر، وكان يطوف مكة، أعلاها وأسفلها، بغير قائد، وكان شاعرًا، وكانت عنده الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أمة أمية بنت عبد المطلب بن هاشم - فعُلقت دار بني جحش هجرة، فمر بها عتبة بن ربيعة. والعباس بن عبد المطلب، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة، وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالردم، وهم مُضْعِدُونَ إلى أعلى مكة، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يَبَابًا ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصُّعْدَاء، ثم قال:

وكلّ دار وإن طالّت سلامتُها يومًا ستُدركها التُّكْبَاء والحُوب

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي دؤاد الإيادي في قصيدة له. والحب: التوجع.

قال ابن إسحق: ثم قال عتبة: أصبحت: دار بني جحش خلاء من أهلها! فقال أبو جعل: وما تبكي عليه من قُلّ بن قُلّ.

قال ابن هشام: القُلّ: الواحد. قال لبيد بن ربيعة:

كلّ بني حرّة مصيرُهم قُلّ وإن أكثرث من العَدِ

قال ابن إسحق: ثم قال: هذا عمل ابن أخي هذا، فرّق جماعتنا، وشئت أمرنا وقطع بيننا فكان منزل أبي سلمة بن عبد الأسد، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأخيه أبي أحمد بن جحش، على مبشر بن عبد المنذر بن نبر بقباء، في بني عمرو بن عوف، ثم قدم المهاجرون أرسالاً، وكان بنو غنم بن دؤاد أهل إسلام، قد

الشعر الذي تمثل به أبو سفيان:

فصل: ذكر البيت الذي تمثل به أبو سفيان حين مرّ بدار بني جحش تخفق أبوابها، وهو قوله:

وكلّ بيت وإن طالّت سلامتُها يومًا ستدركه التُّكْبَاء والحُوب

كل امرئ بقاء الموت مرتهن كأنه غرض للموت منصوب

والشعر لأبي دؤاد الإيادي واسمه: حنظلة بن شرقي، وقيل: جارية بن الحجاج ذكر دار بني جحادة، وأنها عند دار أبان بن عثمان بالردم، والرّذم حفر بالقتلى في الجاهلية، فسمي: الرّذم، وذلك في حرب كانت بين بني جَمَح، وبين بني الحارث بن فهر، وكانت الدّبرة فيها على بني الحارث، ولذلك قُلّ عددهم، فهم أقل قريش عددًا.

أُوعِبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَجْرَةً رَجَالَهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، وَأَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ جَحْشٍ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مَخْصَنٍ، وَشِجَاعٌ، وَعَقْبَةُ، ابْنَا وَهَبٍ وَأَزِيدُ بْنُ جُمَيْرَةَ.

قال ابن هشام: ويقال ابن حُمَيْرَةَ.

قال ابن إسحاق: ومُنْقِذُ بْنُ ثُبَاتَةَ، وسَعِيدُ بْنُ رُقَيْشٍ، ومُخْرِزُ بْنُ نَضْلَةَ، ويزيد بن رُقَيْشٍ، وقيس بن جابر، وعمرو بن مَخْصَنٍ، ومالك بن عمرو، وصَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، وثَقْفُ بْنُ عَمْرٍو، وزبيعة بن أَكْثَمٍ، والزبير بن عبيد، وتَمَامُ بْنُ عُبَيْدَةَ، وَسَخْبَرَةُ بْنُ عُبَيْدَةَ، ومحمد بن عبد الله بن جحش.

ومن نسائهم: زينب بنت جحش، وأُمُّ حَبِيبِ بنت جحش، وَجُدَامَةُ بنت جَنْدَلٍ، وَأُمُّ قَيْسِ بنت مَخْصَنٍ، وَأُمُّ حَبِيبِ بنت ثُمَامَةَ، وَأَمْنَةُ [أو أميمة] بنت رُقَيْشٍ، وَسَخْبَرَةُ بنت تميم، وَحَمْنَةُ بنت جحش.

وقال أبو أحمد بن جحش بن رثاب، وهو يذكر هجرة بني أسد بن خزيمه من قومه إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ، وإيعابهم في ذلك حين دُعُوا إِلَى الْهَجْرَةِ:

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد	ومزوتها بالله برت يميئها
لَتَحْنُ الْأَلَى كُنَّا بها، ثم لم نزل	بمكة حتى عاد غثا سمينها
بها خيمت غنم بن دودان وابتنت	وما إن غدت غنم وخف قطينها
إلى الله تغدو بين مثنى وواحد	ودين رسول الله بالحق دينها
وقال أبو أحمد بن جحش أيضا:	

لَمَّا رَاتَنِي أُمُّ أَحْمَدَ غَادِيَا	بِذِمَّةٍ مَنَ أَخْشَى بَغْيِبٍ وَأَزْهَبَ
تقول: فلما كنت لا بد فاعلاً	فيمم بنا البلدان ولتناً يثرب
فقلت لها: بل يثرب اليوم وجهنا	وما يشل الرحمن فالعبد يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يقيم	إلى الله يومًا وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حميم مناصيح	وناصحة تنكي بدمع وتندب
تري أن وثراً تأيننا عن بلادنا	ونحن نرى أن الرغائب نطلب

وذكر ابن إسحاق شعر أبي أحمد بن جحش وفيه:

إلى الله وجهي والرسول ومن يقيم إلى الله يومًا وجهه لا يخيب

دَعَوْتُ بَنِي عَنَمٍ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ
أَجَابُوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَمَّا دَعَاهُمْ
وَكُنَّا وَأَصْحَابًا لَنَا فَارْقُوا الْهُدَى
كَفَوَجَيْنِ: أَمَّا مِنْهُمَا فَمُوقِفٌ
طَغَوْا وَتَمَتُّوا كَذِبَةً وَأَزَلَّهُمْ
وَرُغْنَا إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
نَمُتْ بِأَرْحَامِ إِلَيْهِمْ قَرِيبَةً
فَأَيُّ ابْنِ أُخْتٍ بَعَدَنَا بِأَمْنَتِكُمْ
سَتَعْلَمُ يَوْمَآ أَئِنَّا إِذْ تَزَايَلُوا
وَلِلْحَقِّ لَمَّا لَاحَ لِلنَّاسِ مَلْحَبٌ
إِلَى الْحَقِّ دَاعٍ وَالنَّجَاحَ فَأَوْعَبُوا
أَعَانُوا عَلَيْنَا بِالسُّلَاحِ وَأَجْلَبُوا
عَلَى الْحَقِّ مَهْدِيٍّ، وَفُوجٌ مَعْدَبٌ
عَنِ الْحَقِّ إِبْلِيسَ فَخَابُوا وَخُيَّبُوا
فَطَابَ وُلاَةُ الْحَقِّ مِنَّا وَطُيِّبُوا
وَلَا قَرَبَ بِالْأَرْحَامِ إِذْ لَا تُقَرَّبُ
وَأَيَّةُ صَهْرٍ بَعْدَ صَهْرِي تُرَقَّبُ
وَرُئِيلُ أَمْرُ النَّاسِ لِلْحَقِّ أَصُوبُ

قال ابن هشام: قوله: «ولتئنا يثرِب»، وقوله: «إذ لا نقرب»، عن غير ابن إسحق.
قال ابن هشام: يريد بقوله: «إذ»، إذا، كقول الله عز وجل: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال أبو النجم العجلي:

ثم جزاء الله عثا إذ جَزَى جئات عدنٍ في العلالِي والعُلا

هكذا يروى بكسر الباء على الإفواء، ولو روي بالرفع لجاز على الضرورة ويكون تقديره: فلا يُخَيَّبُ بإضمار الفاء في مذهب أبي العباس، وفي مذهب سيبويه: يجوز أيضًا لا على إضمار الفاء، ولكن على نية التقديم للفاعل على الشرط كما أنشدوا:

إنك إن يُضَرَّغَ أخوك تُضَرَّغُ

وهو مع إن أحسن، لأن التقدير إنك تُضَرَّغُ إن يُضَرَّغَ أخوك، وأنشدوا أيضًا:

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهُ^(١)

على هذا التقدير: وفي الشعر أيضًا:

ولا قرب بالأرحام إذ لا تُقَرَّبُ

وتأول ابن هشام إذ هنا بمعنى: إذا وهو خطأ من وجهين، أحدهما: أن الفعل المضارع لا يحسن بعد إذا مع حرف النفي، وإنما يحسن بعد إذ كقوله سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ [الأنفال: ٤٩] ولو قلت: سأتيك إذا تقول كذا، كان قبيحًا إذا أخرتها، أو قدمت

(١) انظر كتاب سيبويه (١/٤٣٥).

الفعل لما في إذا من معنى الشرط، وإنما يحسن هذا في حروف الشرط مع لفظ الماضي، تقول: سأتيك إن قام زيد وإذا قام زيد، ويقبح: سأتيك إن يقيم زيد لأن حرف الشرط إذا آخر ألغى، وإذا ألغى لم يقع الفعل المعرب بعده، غير أنه حسن في كيف نحو قوله سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، و﴿يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤٨] لیسر بديع لعلنا نذكره إن وجدنا لِسْفَرَتِنَا مَحْزًا، ويحسن الفعل المستقبل مع إذا بعد الْقَسَم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] لانعدام معنى الشرط فيه، فهذا وجه، والوجه الثاني: أن إذ بمعنى إذا غير مَعْرُوف في الكلام، ولا حكاة ثَبَّتْ، وما استشهد به من قول رُوْبَيَّةَ ليس على مَا ظَنُّ إِنَّمَا معناه: ثم جزاه الله ربي إن جرى، أي من أجل أن نفعلني وجرى عني، كما قال تعالى: ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] جرى: مضمر عائد على الرجل الممدوح، وإذ بمعنى أن المفتوحة كذا قال سيبويه في سواد الكتاب، ويشهد له قوله سبحانه: ﴿بعد إذ أنتم مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] وعليه يحمل قوله سبحانه: ﴿وَلَنْ يَفْعَلَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٩] وغفل النسوي عما في الكتاب من هذا، وجعل الفعل المستقبل الذي بعد لن عاملاً في الظرف الماضي، فصار بمنزلة مَنْ يقول: سأتيك اليوم أمس، وهذا هراء من القول، وغفلة عما في كتاب سيبويه، وَلَيْتَ شِغْرِي ما يقول في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١] فإن جَوُز وقوع المستقبل في الظرف الماضي على أصله الفاسد، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لا سيما مع السين، وهو قبيح أن تقول: غداً سأتيك، بل إن قلت: غداً فسأتيك، فكيف إن زدت على هذا وقلت: أمس فسأتيك، وإذ على أصله بمنزلة أمس، فهذه فضائح لا غطاء عليها.

فإن قال قائل: فكيف الوجه في قوله سبحانه: ﴿ولو ترى إذ وَقُفُوا﴾ [الأنعام: ٣٠] وكذلك: ﴿ولو تَرَى إذ المجرمون ناكسوا رُؤوسهم﴾ [السجدة: ١٢] أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى إذا التي تعطى الاستقبال؟

قيل له: وكيف تكون بمعنى إذا، وإذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر، وقد قال سبحانه: ﴿إِذْ المجرمون ناكسوا رُؤوسهم﴾ وإنما التقدير: ولو ترى نَدَمَهُمْ وَحُزْنَهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار، فإذا ظرف ماضٍ على أصله، ولكن بالإضافة إلى حزنهم وندامتهم، فالحزن والندامة واقعان بعد المعاينة والتوقيف، فقد صار وقت التوقيف ماضياً بالإضافة إلى ما بعده، والذي بعده هو مفعول ترى، وهذا نحو مما يتوهم في قوله سبحانه: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الكهف: ٧١] فيتوهم أن إذا

هاهنا بمعنى إذ، لأنه حديث قد مضى، وليس كما يتوهم، بل هي على بابها، والفعل بعدها مستقبل بالإضافة إلى الانطلاق، لأنه بعده، والانطلاق قبله، ولولا حتى، ما جاز أن يقال إلا انطلقا إذ ركبنا، ولكن معنى الغاية في حتى دل على أن الركوب كان بعد الانطلاق وإذا كان بعده، فهو مستقبل بالإضافة إليه، وكذلك مسألتنا الحزن، وسوء الحال الذي هو مفعول لثرى، وإن كان غير مذكور في اللفظ، فهو بعد وقت الوقوف، فوقف الوقوف ماضٍ بالإضافة إليه، وإذا لم يكن بد من حذف، فكذا نقدر حذفًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ونحوه لأنها وإن كانت بمعنى أن، فلا بد لها من تعلق، كانه قال: جُزِيتَ بهذا من أجل أن ظلمتم، أو من أجل أن لم يَهْتَدُوا به صَلُّوا.

وذكر في نساء بني جَحْش: جُدَامَةُ بنت جَنْدَل، وأحسبه أراد جُدَامَةَ بنت وَهْب بن مِخْصَن، وهي المذكورة في حديث الرضاع في الموطأ، وقال فيها خلف بن هشام البزار: جُدَامَةُ بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه مُسْلِم بن الحجاج، والمعروف: جُدَامَةُ بالذال، وقد يقال فيها جُدَامَةُ بالتشديد، والجُدَامَةُ قصب الزرع، وأملى علينا أبو بكر الحافظ، وكتبت عنه بخط يدي قال المبارك بن عبد الجبار عن أبي إسحق البرمكي عن محمد بن زكريا بن حبيوه عن أبي عمر الزاهد المطرزي قال: الجُدَامَةُ: بِتَشْدِيدِ الدال طَرَفُ السَّعْفَةِ وبه سميت المرأة، وكانت جُدَامَةُ بنت وَهْب تحت أُتَيْس بن قتادة الأنصاري وأما جُدَامَةُ بنت جَنْدَل، فلا تُعرف في آل جحش الأسديين، ولا في غيرهم، ولعله وَهْمٌ وقع في الكتاب، وأنها بنت وهب بن مِخْصَن بنت أخي عُكَّاشَةَ بن مِخْصَن، كما قدمنا والله أعلم.

وذكر في بني أسد ثَقَفَ بن عمرو، ويقال فيه: ثِقَافٌ شهد هو وأخوه مِذْلَاج [أو مدلج] بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خَيْبَر قتله أسير [بن رزام] اليهودي.

وذكر فيهم أم حبيب بنت ثُمَامَةَ، وهي مما أغفله أبو عَمَر في كتابه، وأغفل أيضًا ذكر ثُمَام بن عبيدة، وهو ممن ذكره ابن إسحق في هذه الجملة المذكورين من بني أسد.

وذكر ابن إسحق في هذه الجملة أَرْبَدَ بن جميرة الأسدي بالجيم، وقاله ابن هشام: حُمَيْرَةُ بالحاء، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق بخلاف ما رواه البُكَّائي وابن هشام، فقال فيه ابن حُمَيْر بتشديد الياء، كأنه تصغير حمار.

وذكر فيهم مخزوم بن نُضْلَةَ، ولم يرفع نسبه، وهو ابن نُضْلَةَ بن عبد الله بن مُرَّة بن

هجرة عمر وقصة عياش معه

قال ابن إسحاق: ثم خرج عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي حتى قدما المدينة. فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: أتعدت، لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعياش بن أبي

عَنَم بن دُوْدان بن أَسَد [بن خزيمة] قتل في غزوة ذي قَرَد^(١) شهيدًا، وكان قد شهد بدرًا، وكان يعرف بالأخرم، ويلقب: فُهَيْرَة، وقال فيه موسى بن عقبة مُخْرِز بن وَهَب، ولم يقل ابن نُضْلَة.

وذكر ابن إسحاق أيضًا يزيد بن رُقَيْش، وبعضهم يقول فيه: أزيْد ولا يصح، وهو ابن رُقَيْش بن رِثاب بن يَغَمَر بن كَبِير بن عَنَم بن دُوْدان: وذكر فيهم ربيعة بن أَكْثَم، ولم ينسبه وهو ابن أَكْثَم بن سَخْبَرَة بن عمرو بن نُقَيْر بن عامر بن عَنَم بن دُوْدان بن أَسَد يكنى: أبا يزيد، وكان قصيرًا دَخْدَحًا قُتِل يوم خيبر بالنُّطَاة^(٢) قتله الحارث اليهودي.

هجرة عمر وعياش^(٣)

ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد، كأنه جمع تَنْضُب [واحدته تَنْضُبَة] وهو ضَرْب من الشجر، تألفه الجزاء. قال الشاعر:

إِنِّي أَتِيحُ لَهُ حِرْبَاءَ تَنْضُبَةٍ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا

ويقال لشمره الممتع وهو فُتْعَلِيل أدغمت النون في الميم وظاهر قول سيبويه: أنه فعلل وأنه مما لحقته الزيادة بالتضعيف، والقول الأول يقوِّيه أن مثله الهَنْدَلِيع، وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القِيسِي كما تتخذ من التَّبَع والشوط والشریان والسراء والأشکل، ودخان التَنْضُب، ذكره أبو حنيفة في النبات.

وقال الجَعْفَرِيُّ:

كَأَنَّ الْعُبَارَ الَّذِي غَادَرْتُ ضَحِيًّا دَوَاجِنُ مِنْ تَنْضُبٍ

شبه الغبار بدخان التَنْضُب لبياضه. وقال آخر [عُقَيْل بن عُلقَة المُرِّي]:

وَهَلْ أَشْهَدُنْ حَيَلًا كَانَ عُبَارَهَا بِأَسْفَلِ عَلَكَدُ دَوَاجِنُ تَنْضُبٍ

(١) موضع على بُعْدَ ليلتين من المدينة. وسيأتي ذكرها.

(٢) النطاة: أرض بخير.

(٣) انظر البداية (٣/ ١٧٠) ط. دار الكتب العلمية.

رَبِيعَة [واسمه: عمرو ويلقب ذا الرمحين]، وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضب من أَصَاة بني غِفَار، فوق سَرَف، وقلنا: أينما لم يُضْبِح عندها فقد حُبِسَ فَلْيَمْضِ أصحابه. قال: فأصبحت أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحُبِسَ عنا هشام، وفُتِنَ فافتن.

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قَدِمَا علينا المدينة، ورسولُ الله ﷺ بمكة، فكلَّمَاهُ وقالَا: إِنَّ أُمَّكَ قد ندرت أن لا يمس رأسها مُشْطٌ حتى تراك، ولا تستظلَّ من شمس حتى تراك، فرقَّ لهما، فقلت له: يا عيَّاش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أُمُّكَ القملُ لامتشطت، ولو قد اشتدَّ عليها حرُّ مكة لاستظلت. قال: فقال: أَبْرُ قَسَمَ أُمِّي، ولي هنالك مالٌ فأخذه. قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصفُ مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما؛ فلما أبى إلا ذلك؛ قال: قلت له: أَمَا إِذْ قد فعلتَ ما فعلت، فخذْ ناقتي هذه، فإنه ناقةٌ نجيةٌ ذُلُولٌ فآلَزَمَ ظهرها، فإن رابك من القوم ريبٌ، فانجُ عليها: فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا ابن أخي، والله لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعْقِبَنِي على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فاناخ، وأناخا ليتحوَّلَ عليها، فلما استَوَوْا بالأرض عدَوْا عليه، فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتن.

وَأَصَاةُ بني غِفَارٍ على عشرة أميال من مَكَّة، والأصَاةُ الغَدِيرُ، كأنها مقلوب من وَضَاة على وزن فَعْلَةٍ، واشتقاقه من الوَضَاءَةِ بالمد وهي النظافة، لأن الماء ينظف، وجمع الأصَاة إِضَاة وقال النابغة [في صفة الدروع]:

عُلَيْنَ بِكَذِبُونٍ وَأَبْطُنَ كُرَّةً وَهْنُ إِضَاءٍ صَافِيَاتِ الْغَلَائِلِ

[وَأَضْيَاتِ، وأضواتٌ وأضاً وإضون]. وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب، فتكون الهمزة بدلاً من الواو المكسورة في وضاء، وقياس الواو المكسورة تقتضي الهمز على أصل الاشتقاق، ويكون الواحد مقلوباً لأن الواو المفتوحة لا تهمز، مع أن لام الفعل غير همزة، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولاً على الواحد فيكون مقلوباً مثله، ويقال أصَاة بالمد، وقد يجمع أصَاة على إضين، قاله أبو حنيفة وأنشد:

مَحَافِرُ كَأَسْرِيَةِ الْإِضِينَا

الْأَسْرِيَةُ: جمع سَرِيٍّ، وهو الْجَذُولُ، ويقال له أيضاً: السَّعِيدُ.

قال ابن إسحاق: فحدثني به بعض آل عيَّاش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارًا موثقًا، ثم قالَا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسُفْهائكم، كما فعلنا بسُفْهائنا هذا.

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع، عن عبد الله بن عمر، عن عمر في حديثه، قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صَرْفًا ولا عَدْلًا ولا توبة، قوم عَرَفُوا الله، ثم رجعوا إلى الكُفر لبلاءٍ أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة، أنزل الله تعالى فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

قال عمر بن الخطاب: فكتبها بيدي في صحيفة، وبعث بها إلى هشام بن العاصي قال: فقال هشام بن العاصي: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى، صعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت اللهم فَهْمْنِيهَا. قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ - وهو بالمدينة.

قول هشام بن العاص

فصل: وذكر نزول الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية في المستضعفين بمكة، وقول هشام بن العاص: ففاجأتني وأنا بذي طوى. طوى: مقصور موضع بأسفل مكة، ذكر أن آدم لما أهبط إلى الهند، ومشى إلى مكة، وجعل الملائكة، تنتظره بذي طوى، وأنهم قالوا له: يا آدم ما زلنا ننتظرك هاهنا منذ ألفي سنة^(١)، وروي أن آدم كان إذا أتى البيت خلع نعليه بذي طوى، وأما ذو طواء بالمد، فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري، وأما طوى بضم الطاء والقصر المذكور في التنزيل، فهو بالشام اسم للوادي المقدس، وقد قيل: ليس باسم له، وإنما هو من صفة المقدس، أي: المقدس مرتين.

(١) لا صحة لهذا.

الوليد بن الوليد وعياش وهشام:

قال ابن هشام: فحدثني من أثنى به: أَنَّ رسول الله ﷺ قال وهو بالمدينة: «مَنْ لِي بعِياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي؟» فقال الوليد بن الوليد بن المُغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فَقَدِمَها مستخفياً، فلقي امرأةً تحمل طعاماً، فقال لها: أين تريدان يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين - تَغْنِيهما - فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سَقَفَ له؛ فلما أَمْسَى تسَوَّرَ عليهما، ثم أخذ مَرَوْه. فوضعها تحت قَيْدَيْهِما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسفيه: «ذو المَرَوْه». لذلك، ثم حملهما على بعيره، وساق بهما، فعثر فَدَمِيتَ أَصْبَعُهُ، فقال:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا أَصْبَعُ دَمِيتَ وفي سبيلِ الله ما لَقِيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله - ﷺ المدينة.

منازل المهاجرين بالمدينة:

قال ابن إسحاق: ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة، وَمَنْ لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبد الله ابنا سُرَاقَة بن المعتمر وخُنَيْس بن حُذافة السهمي - وكان صهره على ابنته حَفْصَة بنت عمر، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده - وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وواقد بن عبد الله التميمي، حليف لهم؛ وَخَوْلِي بن أبي خَوْلِي، ومالك بن أبي خَوْلِي حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خَوْلِي: من بني عجل بن لُجَيم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وبنو البُكَيْر أربعتهم: إياس بن البُكَيْر، وعافل بن البُكَيْر، وعامر بن البُكَيْر، وخالد بن البُكَيْر، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، على رفاة بن عبد المنذر بن زُبَير، في بني عمرو بن عوف بقباء، وقد كان منزل عِياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة.

ثم تتابع المهاجرون، فنزل طَلْحَة بن عبيد الله بن عثمان، وصُهَيْب بن سِنان على خُبَيْب بن إساف أخي بَلْغَارِث بن الخزرج بالسُّنْح. قال ابن هشام: ويقال: يساف فيما

نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف:

فصل: وذكر نزول طلحة وصهيب على خُبَيْب بن إساف ويقال فيه يَسَاف بياء مفتوحة في غير رواية الكتاب، وهو إساف بن عُبَّة، ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مُسَلِّماً في

أخبرني عنه ابن إسحق. ويقال: بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زُرارة، أخي بني النُّجَار.

قال ابن هشام: وذكر لي عن أبي عثمان التُّهَدِيّ، أنه قال: بلغني أن صُهَيْبًا حين أراد الهجرة قال له كَفَّار قريش: أتيتنا صُغْلوكًا حقيرًا، فكثُرَ مالُك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك، فقال لهم صُهَيْب: أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فأني جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «رَبِّحْ صُهَيْب رِبْحَ صُهَيْب»^(١).

منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة

قال ابن إسحق: ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مرثد كُتَّاز بن حصن.

قال ابن هشام: ويقال: ابن حُصَيْن - وابنه مرثد الغنويان، حليفًا حمزة بن عبد المطلب، وأنسة، وأبو كبشة، موليا رسول الله ﷺ، على كُثُوم بن هِدم، أخي بني

قول الواقدي بل تأخر إسلامه، حتى خرج رسول الله - ﷺ - إلى بدر، قال حُيَيْبُ: فخرجت معه أنا ورجل من قومي، وقلنا له: نكره أن يشهد قومنا مشهدًا لا نشهده معهم، فقال: أسلمتما؟ فقلنا: لا، فقال: أرجعا، فإننا لا نستعين بمشرك.

وحُيَيْبُ هو الذي خلف على بنت خارجة بعد أبي بكر الصديق، واسمها: حَبِيبَةُ، وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية، وهي: بنت خارجة بن أبي زهير، والجارية: أم كُثُوم بنت أبي بكر، مات حُيَيْبُ في خلافة عثمان، وهو جدُّ حُيَيْبِ بن عبد الرحمن، الذي يروى عنه مالك في موطئه.

أبو كبشة

وذكر أنسة وأبا كبشة في الذين نزلوا على كُثُوم بن الهِدم، فأما أنسة مولى رسول الله - ﷺ، فهو من مَوْلَدِي السَّراة، ويكنى: أبا مَسْرُوح، وقيل: أبا مِشْرَح شهد بدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ - ومات في خلافة أبي بكر، وأبو كبشة اسمه: سليم يقال إنه من فارس، ويقال: من مَوْلَدِي أرضِ دَوْس، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ - ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر، وأما الذي كانت

(١) انظر الطبقات (١٦٢/١/٣) وابن عساكر في تهذيبه (٤٥٢/٦).

عمرو بن عوف بَقْبَاء: ويقال: بل نزلوا على سعد بن خَيْثَمَة؛ ويقال: بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة، أخي بني النَجَّار. كل ذلك يقال:

ونزل عُبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخوه الطُفَيل بن الحارث، والحُصَين بن الحارث؛ ومِسْطَح بن أَثانة بن عَبَّاد بن المطلب، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمَلَة، أخو بني عبد الدار، وطُليب بن عُمير، أخو بني عبد بن قُصَيٍّ، وخُبَّاب مولى عُتْبَة بن عَزْوان، على عبد الله بن سلمة، أخي بَلْعَجَلان بَقْبَاء.

ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بَلْحَارِث بن الخزرج، في دار بَلْحَارِث بن الخزرج.

كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه، وتقول: قال ابن أبي كَبْشَة وفعل ابن أبي كَبْشَة، فقيل فيه أقوال: قيل: إنها كُنية أبيه لأمه وَهْب بن عبد مناف، وقيل: كُنية أبيه من من الرضاعة الحارث بن عبد العُزَّى، وقيل: إن سَلْمَى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كَبْشَة، وهو عمرو بن لَبِيد، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يبعد الشُعْرَى وحده دون العرب، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه.

وذكر الدارَقُطْنِي اسم أبي كَبْشَة هذا في المؤتلف والمختلف، فقال: اسمه وَجْزُ بن غالب، وهو خَزَاعِيٌّ، وهو من بني عُبْشَانَ.

وذكر نزولهم بَقْبَاء، وهو مسكن بني عمرو بن عوف وهو على فرسخ من المدينة، وهو يَمْدُ وَيُقْصَرُ وَيُوْثَثُ وَيَذْكَرُ، وَيُضْرَفُ وَلَا يُضْرَفُ، وأنشد أبو حاتم في صَرْفِه:

وَلَا بُغْيَئَكُمْ قُبَا [و] عَوَارِضَا وَلَا قُبْلَنَ الْخَيْلَ لَابَةً ضَرْعَدِ

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت في الدلائل قُبَا بضم القاف و [فتح] الباء وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعاً، وإنما هو كما أنشده سيبويه: قَنَا وَعَوَارِضَا، لأن قَنَا جَبَلٌ عند عَوَارِضَ يقال له، ولجبل آخر معه قَتَوَان، وبينهما وبين قباء مسافات وبلاد، فلا يصح أن يقرن قُبَا الذي عند المدينة مع عَوَارِضَ وَقَتَوَيْن، وكذا قال البكري في مُعْجَم ما استعجم وأنشد: [المعقل بن ضِرَارَ بن سنان الملقب بالشَّمَاح].

كَأَنهَا لَمَّا بَدَا عَوَارِضُ وَاللَّيْلُ بَيْنَ قَتَوَيْنِ رَابِضُ

وقَبَاء: مأخوذ من القَبْو، وهو الضَّمُّ والجمعُ قاله أبو حنيفة، وقال: القَوَائِي: هن اللواتي يجمعن العصفَر واحدتهن: قَائِيَّة. قال: وأهل العربية يسمون الضمة من الحركات قَبَوًا، وأما قولهم: لا والذي أخرج قُبَا من قَابِيَة يعنون: الفَرْخُ من البَيْضَة فمن قال فيه:

ونزل الزبير بن العوام، وأبو سبرة بن أبي رُهم بن عبد العزى، على مُنذر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيحة بن الجُلّاح بالعُصبة، دار بني جَحَجَبِي.

ونزل مُضْعَب بن عُمير بن هاشم، أخو بني عبد الدار على سعد بن مُعَاذ بن التّعمام، أخي بني عبد الأشهل، في دار بني عبد الأشهل.

ونزل أبو حُذَيْفَة بن عُثْبَة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حُذَيْفَة.

قال ابن هشام: سالم مَوْلَى أبي حُذَيْفَة سائبةً، لثُبَيْتَة [أو ثُبَيْتَة] بنت يَعار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، سَيِّتَة فانقطع إلى أبي حُذَيْفَة بن عتبة بن ربيعة فَتَبَّأَه، فقليل: سالم مَوْلَى أبي حُذَيْفَة ويقال: كانت ثُبَيْتَة بنت يَعار تحت أبي حُذَيْفَة بن عُثْبَة فأعتقت سَالِمًا سائبةً. فقليل: سالم مولى أبي حُذَيْفَة.

قَابِيَة بتقديم الباء، فهو القَبْو الذي يقدم، ومن قال فيه: قَابِيَة، فهو من لفظ القَوْبِ لأنها تَقْوُبُ عنه، أي تَقَشُّرُ قال الكُمَيْت يصف النساء:

لَهُنَّ وَلِلْمَشِيْبِ وَمَنْ عِلَاةٍ من الأمثال قَابِيَة وَقَوْبُ

وفي حديث عمر: فكانت قَابِيَة قَوْبٍ عامها، يعني: العُمرة في أشهر الحج، وقد ذكر أن قَبَاء اسم بئر عُرفت القرية بها.

سالم مولى أبي حُذَيْفَة:

فصل: وذكر سالمًا مَوْلَى أبي حُذَيْفَة الذي كان أبو حُذَيْفَة قد تَبَّأَه كما تبنى رسولُ الله - ﷺ - زيدًا، وكان سائبةً أي: لَأَوْلَاءَ عليه لأحد، وذكر المرأة التي أعتقته سائبةً، وهي ثُبَيْتَة بنتُ يَعار، وقد قيل في اسمها بُثَيْتَة ذكره أبو عمر، وذكر عن الزُّهري أنه كان يقول فيها: بنتُ تَعار، وقال ابن شيبَة في المعارف: اسمها سَلْمَى [وقال ابن حبان: يقال لها: ليلمة] ويقال في اسمها أيضًا: عمرة، وقد أبطل التَّسْيِيبُ في العِتْق كثيرٌ من العلماء، وجعلوا الولَاءَ لكل مَنْ أَعْتَقَ أَخْذًا بحديث النبي ﷺ في ذلك وَحَمَلًا له على العموم، ولما روى أيضًا عن ابن مسعود أنه قال: لا سائبة في الإسلام، ورأى مالكٌ ميراثَ السائبة لجماعة المسلمين، ولم ير ولاءه لمن سَيَّبه، فكان للتسييب والعِتْق عنده حكمان مختلفان، وسالم هذا هو الذي أمر رسولُ الله ﷺ سَهْلَة بنت سُهَيْل أن ترضعه ليحرّم عليها، فأرضعته وهو ذو لحيَة.

قال ابن إسحاق: ونزل عُثْبَةُ بن عَزْوَان بن جابر على عبَّاد بن بشر بن وقش أخيه بني عبد الأشهل في دار عبد الأشهل.

ونزل عثمان بن عفَّان على أوس بن ثابت بن المُنْذِر، أخي حَسَّان بن ثابت في دار بني النَجَّار، فلذلك كان حَسَّان يحبَّ عثمان ويبكيه حين قُتِل.

وكان يقال: نزل الأعزَّاب من المهاجرين على سعد بن خَيْثَمَة، وذلك أنه كان عَزْبًا، فالله أعلم أي ذلك كان.

فإن قيل: كيف جاز له أن ينظر إلى ثديها، فقد روي في ذلك أنها حلبت له في مِسْعَط وشرب اللبن^(١)، ذكر ذلك محمد بن حبيب.

(١) انظر الحديث في مسلم في الرضاع (٢٨/٢٧) وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد.

خبر الندوة وهجرة الرسول ﷺ

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن، إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قُحافة الصديق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «لا تعجل لعلَّ الله يجعل لك صاحبًا»، فيطمع أبو بكر أن يكونه.

الملا من قريش يتشاورون في أمر الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق: ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ - قد صارت له شبيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم. فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نَجِيج، عن مجاهد بن جَبْر أبي الحجاج، وغيره ممن لا أتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما أجمعوا لذلك، واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر

اجتماع قريش للتشاور في أمر النبي ﷺ^(١)

ذكر فيه تمثل إبليس - حين أتاهم - في صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد.

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٣٧٠/٢) البداية والنهاية (١٧٣/٣) الكامل (٣/٢) الدلائل (٤٦٥/٢) المتظم (٤٥/٣) الاكتفاء (٤٣٨/١).

رسول الله - ﷺ - غَدُوا في اليوم الذي اتَّعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يومَ الرَّحْمَةِ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بتلة، فوقف على باب الدار، فلما رآوه واقفاً على بابها، قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سَمِعَ بالذي اتَّعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يُعْذِمَكُم منه رأياً وتُصَحَّحَا، قالوا: أجل، فأدخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرفُ قُرَيْشٍ، من بني عبد شمس: عُتْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نُوْفَلٍ بن عبد مناف: طُعَيْمَةُ بن عدي، وجُبَيْر بن مُطْعِم، والحارث بن عارم بن نوفل: ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كَلْدَةَ. ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو الْبَخْتَرِيِّ بن هشام، وزَمْعَةُ بن الأسود بن الْمُطَّلِب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام. ومن بني سَهْم: نبيه ومُنْبَه ابنا الْحَجَّاج، ومن بني جُمَح: أُمَيَّة بن خَلَف، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يُعْذُ من قُرَيْش.

قوله في صورة شيخ جليل يقول: جَلَّ الرجل وجلت المرأة إذا أَسْنَت، قال الشاعر:

وما حظها أن قيل عَزَّتْ وجَلَّتْ

ويقال منه: جَلَّتْ يا رجل بفتح اللام، وقياسه جَلَلْتُ لأن اسم الفاعل منه: جليل، ولكن تركوا الضَّمَّ في المضاعف كله استثقلاً له مع التضعيف إلا في لَبَّيْتُ، فأنْتَ لبيب، حكاه سيبويه بالضَّمَّ على الأصل.

وإنما قال لهم: إني من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة، لأنهم قالوا: لا يدخلن معكم في المشاورة أحدٌ من أهل تَهَامَةَ لأن هواهم مع محمَّد، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نَجْدِي، وقد ذكرنا في خبر بُنَيان الكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدِي أيضاً، حين حَكَمُوا رسول الله - ﷺ - في أمر الركن: من يرفعه، فصاح الشيخ النجدي: يا مَغَشَّر قريش: أقَد رَضِيتُم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم، فإن صح هذا الخبرُ فَلِمَ عَنَى آخر تمثل نَجْدِيًّا، وذلك أن نجدًا منها يَطْلُع قَزْنُ الشَّيْطَانِ، كما قال رسول الله - ﷺ - حين قيل له: وفي نَجْدِنَا يا رسول الله؟ قال: «هنالك الزلازل والفِتن، ومنها يطلع قَزْنُ الشَّيْطَانِ»^(١)، فلم يُبارِك عليها، كما بَارَكَ على اليمن والشام وغيرها، وحديث الآخر أنه نظر إلى المشرق، فقال: إن الْفِتْنَةَ هَاهُنَا من حيث يَطْلُع قَزْنُ الشَّيْطَانِ، وفي حديث ابن عمر، أنه حين قال هذا الكلام، ووقف عند باب عائشة، ونظر إلى المشرق فقال، وفي

(١) أخرجه البخاري (٣٧/١).

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا. قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تَرَيُّصُوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زُهيرًا والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يُصِيبَهُ ما أصابهم، فقال الشيخ النُّجْدِي: لا والله، ما هذا لكم برأي. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنَّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فَلَا وَشَكُوا أن يَشيُوا عليكم، فينزِعوه من أيديكم، ثم يُكاثِرُوكم به، حتى يَغْلِبُوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: تُخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أُخرج عَنَّا فوالله ما نُبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عَنَّا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. فقال الشيخ النُّجْدِي: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تَرَوْا حُسْنَ حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمتتم أن يحلَّ على حيٍّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دَبَّرُوا فيه رأيا غير هذا. قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كلِّ قبيلة فتى شابا جليدا نسيئا وسيطا فينا، ثم نعطي كلَّ فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمه في القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل، فَعَقَلْنَاهُ لهم. قال: فقال الشيخ النُّجْدِي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فتفرَّق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

وقوفه عند باب عائشة ناظرا إلى المشرق يحذر من الفتن، وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة واضمُّم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن: أيقظوا صَوَاجِبَ الْحُجَرِ، والله أعلم.

وذكر تشاورهم في أمر النبي ﷺ، وأن بعضهم أشار بأن يُحبَسَ في بيت، وبعضهم بإخراجه عليه السلام من بين أظهرهم ونفيه، ولم يُسمَّ قائل هذا القول، وقال ابن سلام: الذي أشار بحبسه هو أبو البَخْتَرِيِّ بن هشام، والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الأسود ربيعة بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤي، وقول أبي جهل: نسيئا وسيطا، هو من السُّطَّة في العشيرة، وقد تقدم في باب تزويجه خديجة معنى الوسيط، وأين يكون مدحا.

مما يقال عن ليلة الهجرة:

فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ، فقال: لا تَبِثْ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عَثمَة من الليل اجتمعوا على بابه يَرْضُدُونَهُ متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلِّي بن أبي طالب: «نَمْ على فراشي وَتَسَجْ بيزدي هذا الحَضْرَمِي الأخضر، فَنَمْ فيه، فإنه لن يَخْلُصَ إليك شيء تكرهه منهم»، وكان رسول الله ﷺ ينام في بُزده ذلك إذا نام.

قال ابن إسحق: فحدَّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظِي قال: لما اجتمعوا عليه، وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجُعِلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حَفْنَةً من تراب في يده، ثم قال: «أنا أقول ذلك، أنت أحدُهم»، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يَرُونَهُ، فجعل ينثر ذلك الترابَ على رؤوسهم، وهو يتلو هؤلاء الآيات من يَس: ﴿يَس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.. إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ حتى فرغ رسول الله ﷺ - من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آتٍ ممن لم

وأما قوله على بابه يتطلعون، فيرون علياً وعليه بُزْدُ رسول الله ﷺ فيظنونونه إياه، فلم يزالوا قِيامًا حتى أصبحوا، فذكر بعضُ أهل التفسير السببَ المانع لهم من التَّقَحُّمِ عليه في الدار مع قِصَرِ الجِدار، وأنهم إنما جاؤوا لقتله، فذكر في الخبر أنهم همُّوا بالوُلُوجِ عليه، فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها للسُّبَّةُ في العرب أن يُتحدثَ عنا أنا تَسَوَّرْنَا الحيطانَ على بنات العم، وَهَتَكْنَا سِتْرَ حُرْمَتِنَا^(١)، فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه، ثم طَمَسَتْ أبصارهم عنه حين خرج، وفي قراءة الآيات الأول من سورة: يَس من الفقه التَّذَكُّرُ بقراءة الخائفين لها اقتداءً به عليه السلام، فقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النبي ﷺ في ذكر فضل يَس أنها إن قرأها خائف أمين، أو جائع شَبه أو عارٍ كَسِي، أو عاطش سُقِي حتى ذكر خلافاً كثيرة.

(١) كانت هذه هي أخلاق «أهل الجاهلية»: «إنها للسُّبَّةُ في العرب أن يتحدثَ عنا أَنَا تَسَوَّرْنَا الحيطانَ على بنات العم وَهَتَكْنَا سِتْرَ حُرْمَتِنَا». أين هي اليوم بين أتباع النبي ﷺ!!!

يكن معهم، فقال: مَا تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا؟ قالوا: مُحَمَّدًا، قال: حَيِّبْكُمْ اللَّهُ! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كُلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطَّلَعُونَ، فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَى الْفِرَاشِ مُتَسَجِّجًا بِبُرْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً، عليه بُرْدُهُ. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي - رضي الله عنه - عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا^(١).

الآيات التي نزلت في تربص المشركين بالنبي:

قال ابن إسحاق: وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقول الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٣٠].

قال ابن هشام: المنون: الموت. ورب المنون: ما يريب ويعرض منها.

قال أبو ذؤيب الهذلي:

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ والدهر ليس بمُعْتَبٍ من يجزُعُ
وهذا البيت في قصيدة له.

وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في ذلك، وشرح ابن هشام رَبِّبَ الْمُتُونِ، وأنشد قول أبي ذؤيب:

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَبِّهِ تَتَفَجَّعُ

والمُنُونُ يذُكَّرُ ويؤنَّثُ، فمن جعلها عبارةً عن المنيَّةِ أو حوادث الدهر أثت، ومن جعلها عبارةً عن الدهر ذُكِّرَ، وَرَبِّبَ الْمُنُونِ ما يريبك من تغير الأحوال فيه، سُمِّيَتِ الْمُنُونُ لنزعها مَنَنِ الْأَشْيَاءِ أي: قواها، وقيل: بل سميت مُنُونًا لقطعها دُونَ الْأَمَالِ من قولهم: جَبَلَ مَنِينٍ أي: مقطوع، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] أي غير مقطوع.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٢٧/١) من طريق الواقدي. وأخرجه عبد الرزاق (٣٨٩/٥) وأحمد (٣٤٨/١) من وجه آخر بنحوه.

قال ابن إسحق: وأذن الله تعالى لنبيه ﷺ عند ذلك في الهجرة.

قال ابن إسحق: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال، فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تعجل، لعل الله يجد لك صاحباً»، قد طمع بأن يكون رسولُ الله ﷺ، إنما يعني نفسه، حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين، فاحتبسهما في داره، يعلفهما إعداداً لذلك.

الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أنهم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطيء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها.

إذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة

ذكر فيه أن رسول الله - ﷺ: أتى بيت أبي بكر في الظهيرة: قالت عائشة: وفي البيت أنا وأختي أسماء فقال أخرج من معك، فقال أبو بكر: إنما هما بتاي يا رسول الله.

وقال في جامع البخاري: إنما هم أهلك يا رسول الله^(١)، وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها من قبل ذلك، وكذلك روي عن أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر، ويقال في اسم أبيها: رومان بفتح الراء أيضًا، فقال ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام في حديث طويل ثابت اختصرته: إن أبا بكر حين هاجر مع رسول الله - ﷺ خلف بناته بمكة، فلما قدموا المدينة أرسل رسول الله - ﷺ - زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأرسل أبو بكر عبد الله بن أريقط [الذيلي]، وأرسل معهم خمسمائة درهم، فاشتروا بها ظفرًا بقديد، ثم قدموا مكة فخرجوا بسودة بنت زمعة، وبفاطمة وبأم كلثوم. قالت عائشة: وخرجت أُمي معهم ومع طلحة بن عبيد الله مصطحبين، فلما كنا بقديد نفر البعير الذي كنت عليه أنا وأُمي: أم رومان في محفة، فجعلت أُمي تنادي: وابئيتاه واعزوساه!! وفي رواية يونس عن ابن إسحاق، وفيه قالت عائشة: فسمعت قائلاً يقول - ولا أرى أحدًا - ألقى خطامه، فألقيته

(١) أخرجه البخاري (٧/١٨٣).

قالت: فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فلما دخل، تأخَّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أخرج عني مَنْ عندك؟» فقال: يا رسول الله، إنما هما ابنتاي، وما ذاك؟ فذاك أبي وأمي! فقال: «إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر، الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة».

من يدي، فقام البعير يستدير به، كأن إنساناً تحته يمسكه، حتى هبط البعير من الثنية، فسلم الله، فقدمنا على رسول الله - ﷺ - وهو يبني المسجد وأبياتاً له، فنزلت مع أبي بكر، ونزلت سودة بنت زمعة في بيتها، فقال أبو بكر: ألا تبني بأهلك يا رسول الله، فقال: «لولا الصداق»، قالت: فدفع إليه ثنتي عشرة أوقية، ونشأ. والنش: عشرون ذرهماً وذكر الحديث. ورواه ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

لِمَ اشتريت الراحلة؟

وفي حديث ابن إسحاق أن أبا بكر قد أعد راحلتين، فقدم لرسول الله ﷺ واحدة، وهي أفضلهما، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أركب بعيراً ليس لي»، فقال أبو بكر: هو لك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «بالثمن»، فقال أبو بكر: بالثمن يا رسول الله فركبها^(١)، فسئل بعض أهل العلم، لِمَ لَمْ يقبلها إلا بالثمن، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقيل؟ وقد قال عليه السلام: «ليس من أحد آمن علي في أهل ومال من أبي بكر»، وقد دفع إليه حين بنى بعائشة ثنتي عشرة أوقية ونشأ، فلم ياب من ذلك؟ فقال المسؤول: إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما، وهو قول حسنٌ حدَّثني بهذا بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبي الحسن بن اللوان رحمه الله.

ذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام:

وذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام: أن الناقة التي ابتاعها رسول الله - ﷺ - من أبي بكر يومئذ هي: ناقته التي تسمى بالجذعاء، وهي غير العَضْبَاء التي جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله - ﷺ ناقةً صالح، وأنها تحشر معه يوم القيامة فقال له رجل: وأنت يومئذ على العَضْبَاء يا رسول الله، فقال: «لا». ابنتي فاطمة تُحشَر على العَضْبَاء، وأُحشَر أنا على البُرَاق، ويُحشَر هذا على ناقةٍ من ثوق الجنة» وأشار إلى بلال.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ٥٧٠).

قالت: فوالله ما شَعَرْتُ قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعدتهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أزقط - رجلاً من بني الدَّيْل بن بكر [وهو من بني عبد بن عدي - هادياً خَريْتاً - والخريت: الماهر بالهداية قد غَمَس حلفا في آل العاصي بن وائل السَّهْمِي - عن البخاري]، وكانت أمه امرأة من بني سَهْم بن عمرو، وكان مشركاً - يدلهما على الطريق، فدفعنا إليهما راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

وذكر أذانه في الموقف في حديث طويل يرويه عبد الحميد بن كيسان عن سُوَيْد بن غَمَيْر، وعبد الحميد مجهول عندهم.

وفي مسند البزار عن أنس قال: خطبنا رسول الله ﷺ على العُضْبَاء، وليست بالجدعاء، فهذا من قول أنس: إنها غير الجدعاء، وهو الصحيح، لأنها غُيِمَتْ، وأخذ صاحبها العقيلي بالمدينة، فقال: بِمَ أخذتني يا محمَّد، وأخذت سابقة الحاج، يعني: العُضْبَاء، فقال: أخذتك بجريرة حُلَفَائِكَ^(١).

بكاء الفرح من أبي بكر:

وذكر ابن إسحق في قول عائشة - رضي الله عنها - ما كنت أرى أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح. قالت ذلك لصغر سنهما، وأنها لم تكن علمت بذلك قبل، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى، فأخذته استحساناً له، فقال الطائي يصف السحاب:

دُهِمَ إِذَا وَكَفَتْ فِي رَوْضِهِ طَفِيفَتْ عَيُونُ أَزْهَارِهَا تَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ

وقال أبو الطيب، وزاد على هذا المعنى:

فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ

وقال بعض المُخَدِّثِينَ:

وَرَدَ الْكِتَابُ مِنَ الْحَبِيبِ بِأَنَّهُ سَيُزَوِّنِي فَاسْتَغْبَرْتُ أَجْفَانِي

غَلَبَ السَّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ مِنْ قَرَطٍ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

يَا عَيْنُ صَارَ الدَّمْعُ عِنْدَكَ عَادَةً تَبْكِينَ فِي فَرَحٍ وَفِي أَحْزَانٍ

(١) أخرجه البيهقي (١٢٠/٦) وأحمد (٤٣٣/٤) والبخاري في شرح السنة (٨٣/١١).

الذين كانوا يعلمون بالهجرة:

قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني، بخروج رسول الله ﷺ أحد، حين خرج، إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر. أما علي فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ.

الرسول ﷺ وأبو بكر في الغار

قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر بن أبي قحافة، فخرجا من خَوْخَةٍ لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمداً إلى غارِ ثَوْرٍ - جبل بأسفل مكة -

مكة والمدينة:

فصل: ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة، ووقف على الحَزْوَرَةِ^(١)، ونظر إلى البيت، فقال: «والله إنك لأحب أرض الله إليّ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»^(٢). يرويه الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن الحمراء يرفعه، وبعضهم يقول فيه: عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وهو من أصح ما يحتاج به في تفضيل مكة على المدينة، وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعاً: «إن صلاةً في المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه»^(٣) فإذا كانت الأعمال تبعاً للصلاة، فكل حسنة تعمل في الحرام، فهي بمائة ألف حسنة، وقد جاء هذا منصوباً من طريق ابن عباس عن رسول الله - ﷺ قال: «من حجّ ماشياً كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم»، قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: «الحسنة فيه بمائة ألف حسنة» [قال عطاء: ولا أحسب السيئة إلا مثلها]^(٤) أسنده البزار.

حديث الغار

وهو غار في جبل ثَوْرٍ، وهو الجبل الذي ذكره في تحريم المدينة، وأنها حرام ما بين

(١) الحزورة: سوق كانت بمكة.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥) وابن ماجه (٣١٠٨) والحاكم (٤٣١/٧/٣) والدارمي (٢٣٩/٢) وابن عساكر (٩/٤) وأحمد في مسنده (٣٠٥/٤).

(٣) انظر تلخيص الحبير (١٧٩/٤) بتحقيقي. وابن عساكر (٢٢٥/٧).

(٤) أخرجه البزار (٢٥/٢).

فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره، ثم يُريحها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغار. وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما.

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن الحسن بن أبي الحسن البصري قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ، فتلمس الغار، لينظر أفيه سبع أو حية، بقي رسول الله ﷺ بنفسه.

غير إلى ثور، وهو وهم في الحديث، لأن ثوراً من جبال مكة، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين غير إلى كذا، كأن المحدث قد نسي اسم المكان، فكنى عنه بكذا^(١).

وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث أن رسول الله ﷺ - لما دخله وأبو بكر معه أثبت الله على بابه الرءاء: قال قاسم: وهي شجرة معروفة، فحجبت عن الغار أعين الكفار^(٢).

وقال أبو حنيفة: الرءاء: من أغلاث الشجر، وتكون مثل قامة الإنسان، ولها خيطان، وزهر أبيض تُحشى به المَخَاز، فيكون كالريش لخفته ولينه، لأنه كالقطن أنشد:

ترى وَدَكَ الشَّرِيفِ عَلَى لَحَاهُمْ كَمَثَلِ الرِّاءِ لَبَدَهُ الصَّقِيعُ

وفي مُسْنَدُ البزار: أن الله تعالى أمر العنكبوت فَتَسَجَّتْ على وجه الغار، وأرسل حمامتين وخشيتين، فوقعتا على وجه الغار، وأن ذلك مما صدَّ المشركين عنه، وأن حمام الحرم من نسل تَيْنِكَ الحمامتين، وروي أن أبا بكر - رضي الله عنه حين دخله وتقدم إلى دخوله - قبل رسول الله ﷺ - ليقيه نفسه، رأى فيه جُحْرًا فَأَلْقَمَهُ عَقِبَهُ، لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله ﷺ^(٣)، وفي الصحيح عن أنس: قال: قال أبو بكر - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ - وهما في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا، فقال له رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري وغيره.

(٢) في هذا نظر، وهو يفتقر إلى الحديث «الصحيح».

(٣) «ضعيف». أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (٥٣/٣) وأورده في الوفا أيضاً (٣١٩) نحوه وفي الطبقات لابن سعد (٢٢٨/١) نحوه. وذكره الحافظ في الفتح (١٨٥/٧) وحسنه ابن كثير وابن حجر أيضاً، مع قوله في أحد رواته وهو عثمان بن عمرو بن ساج في التقريب: فيه ضعف. وقصة الحمامتين أخرجه ابن عساکر. وقال الحافظ ابن كثير في البداية (١٨٠/٣) وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه.

الذين قاموا بشؤون الرسول في الغار

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة، لمن يرده عليهم. وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأترون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخير. وكان عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر رضي الله عنه، يرعى في رُعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه، حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببيعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسُفرتيهما، ونسيت أن تجعل لها عصاً فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فتحل نطاقها فتجعله عصاً، ثم علقتها به.

«ما ظنك باثنين، الله ثالثهما»^(١)، وروي أيضاً أنهم لما عَمِيَ عليهم الأثر جاؤوا بالقافّة، فجعلوا يَنفِقُونَ الأثر، حتى انتهوا إلى باب الغار، وقد أنبت الله عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا، فعند ما رأى أبو بكر رضي الله عنه القافّة اشتد حزنه على رسول الله ﷺ - وقال: إن قتلتُ فإنما، أنا رجل واحد، وإن قُتِلْتُ أَنْتَ هَلَكْتَ الأمة، فعندها قال له رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا»، ألا ترى كيف قال: لا تحزن، ولم يقل لا تخف؟! لأن حزنه على رسول الله ﷺ - شَغَلَهُ عن خوفه على نفسه، ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله ﷺ من النَّصَب، وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الأهل، ووخشة الغربة، وكان أرقّ الناس على رسول الله ﷺ، وأشفقهم عليه، فحزن لذلك، وقد روي أنه قال: نظرت إلى قدمي رسول الله ﷺ في الغار، وقد تَفَطَّرتا دماً، فاستَبَكَيْتُ، وعلمت أنه عليه السلام لم يكن تعود الحَفَاءَ والجَفَوَةَ^(٢)، وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لنبيه. ما يسكن خوفه، وقول الله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ قال أكثر أهل التفسير: يريد على أبي بكر، وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه، وقوله: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ الهاء في أيده راجعة على النبي، والجنود: الملائكة أنزله عليه في الغار، فبشروه بالنصر على أعدائه، فأيده ذلك، وقواه على الصبر [و] قيل أيده بجنود لم تروها، يعني: يوم بدر وحنين وغيرهما من مشاهدته، وقد قيل: الهاء راجعة على النبي عليه السلام في الموضعين جميعاً وأبو بكر تَبَعَ

(١) أخرجه البخاري (٨/٧) ومسلم في فضائل الصحابة وأحمد (٤/١) والترمذي (٣٠٩٦).

(٢) لا صحة لحديث القديمين هذا.

لَمْ سُمِّتْ أَسْمَاءُ بِذَاتِ النِّطَاقِينَ :

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر: ذات النطاق، لذلك.

قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول: ذات النطاقين.

وتفسيره: أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين، فعُلقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر^(١).

له، فدخل في حكم السكينة بالمعنى، وكان في مصحف حَفْصَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِمَا^(٢)، وقيل: إن حزن أبي بكر كان عند ما رأى بعض الكفار يبول عند الغار، فأشفق أن يكونوا قد رأوهما، فقال له النبي ﷺ: «لا تحزن، فإنهم لو رأونا لم يَسْتَقْبِلُونَا بِفُرُوجِهِمْ عند البول، ولا تشاغلوا بشيء عن أخذنا»، والله أعلم.

الرد على الرافضة فيما بهتوا به أبا بكر:

فصل: وزعمت الرافضة^(٣) أن في قوله عليه السلام لأبي بكر لا تحزن غَضًا من أبي بكر وذمًا له؛ فإن حزنه ذلك: إن كان طاعةً فالرسول عليه السلام لا ينهى عن الطاعة، فلم يبق إلا أنه معصية، فيقال لهم على جهة الجدَل: قد قال الله لمحمد عليه السلام: ﴿فَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: ٧٦] وقال: ﴿وَلَا يَخْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقال لموسى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [طه: ٢١] وقالت الملائكة للوط: لا تخف، ولا تحزن، فإن زعمتم أن الأنبياء حين قيل لهم هذا كانوا في حال معصية، فقد كفرتم، ونقضتم أصلكم في وجوب العصمة للإمام المعصوم في زعمكم، فإن الأنبياء هم الأئمة المعصومون بإجماع، وإنما قوله: لا تحزن، وقول الله لمحمد: لَا يَخْزُنْكَ، وقوله لأنبيائه مثل هذا تسكينٌ لجأشهم^(٤) وتبشير لهم وتأنيس على جهة النهي الذي زعموا، ولكن كما قال سبحانه: ﴿تَنْتَظِرُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠] وهذا القول إنما يقال لهم عند المعاينة، وليس إذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية.

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٨٣/٧) وابن سعد في الطبقات (٢٢٩/١).

(٢) لا يصح من السهيلي رحمه الله تعالى قوله أن قول «كليهما» ثابت في مصحف حفصة، فهو دليل على نقص ما في مصحفنا الذي بين أيدينا، ولا يقول هذا إلا رافض شيعي فانتبه.

(٣) الرافضة هم الذين رفضوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه. انظر الجلال والنخل للشهرستاني وغيره.

(٤) الجأش: روع القلب.

راحلة النبي ﷺ:

قال ابن إسحاق: فلما قرَّب أبو بكر، رضي الله عنه، الراحلتين إلى رسول الله ﷺ، قدَّم له أفضلهما، ثم قال: اركب، فذاك أبي وأمي؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أركب بغيراً ليس لي». قال: فهي لك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، قال: «لا، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟» قال: كذا وكذا، قال: «قد أخذتها به»، قال: هي لك يا رسول الله. فركبا وانطلقا. وأزْدَف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامرَ بن فهيرة موله خلفه، ليخدمهما في الطريق.

ووجه آخر من التحقيق، وهو أن الله عن الفعل لا يقضي كَوْن المنهي فيه، فقد نهى الله نبيه عن أشياء، ونهى عباده المؤمنين، فلم يقتض ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياء في حال النهي، لأن فعل النهي فعلٌ مستقبل، فكذلك قوله: لأبي بكر: لا تحزن، لو كان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أبي بكر - رضي الله عنه - ما ادَّعَوْا من العُصِّ، وأما ما ذكرناه نحن من حزنه على النبي ﷺ، وإن كان طاعة، فلم ينهه عنه الرسول عليه السلام إلا رفقًا به وتبشيرًا له لا كراهية لعمل، وإذا نظرت المعاني بعين الإنصاف لا بعين الشهوة والتعصب للمذاهب لاحت الحقائق، وأتضح الطرائق والله الموفق للصواب.

معية الله مع رسوله وصاحبه^(١):

وانتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُنْ إِنْ
اللهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] كيف كان معهما بالمعنى، وباللفظ، أما المعنى فكان معهما بالنصر
والإرفاد^(٢) والهداية والإرشاد، وأما اللفظ فإن اسم الله تعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله، وإذا

(١) وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. قالوا فيهما: «إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا». قال بعض أهل العلم في قوله ﷺ «لَأَبِي بَكْرٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾» وقول موسى عليه السلام لما أتبعه فرعون وجنوده، فرأوا البحر أمامهم وفرعون من خلفهم قالوا: ﴿إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ قال موسى عليهم السلام ردًّا عليهم: ﴿كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. فقَدَّمَ النبي ﷺ ذكر ربه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وقال موسى لقومه: ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي﴾. والكلام إنما في المخاطب بهذا الكلام؛ فلما كان قوم موسى أهل مادية وفكر عُقْنِ قال لهم موسى: ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي﴾، فكان قوله: ﴿إِنْ مَعِيَ﴾ لفت للنظر وانتباه أولئك النفر ثم قال: ﴿رَبِّي﴾ - ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، ومن الناحية الأخرى لما كان المخاطب هو الصديق أبا بكر رضي الله عنه - كان ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ فإذا سمع اسم الله تعالى سكنت نفسه واطمأنَّت ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ثم أردف النبي ﷺ بقوله: ﴿مَعَنَا﴾ وليس ﴿مَعِيَ﴾ بل معنا. فتأمل.

(٢) الإرفاد: الرأ والفاء والذال [رفد] أصل مطرد منقاس، وهو المعاونة والمظاهرة بالعطاء وغيره. مقياس اللغة (٤٢١/٢).

أبو جهل يضرب أسماء بنت أبي بكر:

قال ابن إسحاق: فحدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، أتانا نفر من قُرَيْش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم؛ فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدي لكمة طرح منها قرطي.

خبر الجنّي الذي تغنى بمقدم الرسول ﷺ

قالت: ثم انصرفوا. فمكثنا ثلاث ليال، وما ندري أي وجه رسول الله ﷺ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتبعونه، يسمعون صوته وما يرونه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جَزَى الله ربّ الناسِ خيرَ جزائه رفيقَيْنِ حلاًّ خيمَتني أمّ مَعْبِدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ ثُمَّ تَرَوُحَا فأفلح من أمسى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَنَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ^(١)

نسب أم معبد^(٢)

قال ابن هشام: أم معبد بنت كعب، امرأة من بني كعب، من خُزاعة. وقوله: «حلا خيمتي» و «هما نزلا بالبر ثم تروحا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبد الله بن أرقط دليهما.

دُعي فقيلاً: يا رسول الله، أو فعل رسول الله، ثم كان لصاحبه كذلك يقال: يا خليفة رسول الله، وفعل خليفة رسول الله، فكان يُذكر معهما، بالرسالة وبالخلافة، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون.

(١) أخرجه الحاكم (٩/٣) وابن سعد (٢٣٠/١).

(٢) سيأتي كلام السهيلي رحمه الله تعالى بعد قليل، بعد خبر سراقه رضي الله عنه.

قال ابن هشام: ويقال: عبد الله بن أَرْقِط.

أَلْ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ هِجْرَتِهِ:

قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عبَّادًا حدَّثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما خرج رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه. قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا. قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضَعْ يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئًا ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

خبر سراقه بن مالك

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم حدَّثه عن أبيه، عن عمه سراقه بن مالك بن جُعشم، قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم. قال: فبينما أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجلٌ مئًا، حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا عليّ آنفًا، إني لأراهم محمدًا وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني: أن اسكت ثم قلت: قليلًا، إنما هم بنو فلان، يبتغون ضالة لهم، قال: لعله: ثم سكت. قال: ثم مكثت ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي، فقيدت لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأخرج لي من دُبر حجرتي، ثم أخذت قِداحي التي أستقسم بها، ثم انطلقت، فلبست لَأْمَتِي ثم

حديث سراقه بن مالك بن جُعشم الكنانِي^(١)

ثم المُذَلِّجِي أحد بني مُذَلِّج بن مرّة بن تميم بن عبد مناة بن كِنانة. وقد ذكر ابن إسحاق حديثه حين بذلت قريش مائة ناقة لمن رد عليهم محمدًا عليه السلام، وأن سراقه استقسم بالأزلام، فخرج السهم الذي يكره، وهو الذي كان فيه مكتوبًا لا تُشْرَه إلى آخر

(١) له ترجمة في الإصابة (١٩/٢) تاريخ الصحابة (٦٠٥) الاستيعاب (٩١٦/٢) أسد الغابة (٢٣١/٢) الطبقات (٧٨/٩) شذرات الذهب (٣٥/١) الرياض المستطابة (١١٧/١) الكاشف (٣٤٩/١) مشاهير علماء الأمصار (١٧٠) بتحقيقي.

أخرجت قِداحي، فاستقسمت بها؛ فخرج السهم الذي أكره «لا يضره» قال: وكنت أرجو أن أردّه على قريش، فأخذ المائة الناقة. قال: فركبت على أثره، فبينما فرسي يشتدّ بي عثر بي، فسقطت عنه. قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره «لا يضره». قال: فأبيت إلا أن أتبعه. قال: فركبت في أثره، فبينما فرسي يشتدّ بي، عثر بي، فسقطت عنه. قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره «لا يضره» قال: فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره. فلما بدا لي القوم ورأيتهم، عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار. قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع مني، وأنه ظاهر. قال: فناديت القوم: فقلت: أنا سُرّاقة بن جُعْشُم: انظروني أكلمكم، فوالله لا أريكم، ولا يأتكم مني شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «قل له: وما تبتغي منا؟» قال: فقال ذلك أبو بكر، قال: قلت: تكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك. قال: «اكتب له يا أبا بكر»^(١).

فكتب لي كتابًا في عَظْم، أو في رقعة، أو في خَزَفَة، ثم ألقاه إليّ، فأخذه، فجعلته في كنانتي، ثم رجعت، فسكت فلم أذكر شيئًا مما كان حتى إذا فتح مكة على رسول الله ﷺ، وفرغ من حُنين والطائف، خرجت ومعني الكتاب لألقاه، فلقيته بالجعرانة. قال: فدخلت في كَتِيبَة من خيل الأنصار. قال: فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك، ماذا تريد؟ قال: فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته والله لكانني أنظر إلى ساقه في غَزْزه كأنها جُمّارة. قال: فرفعت يدي بالكتاب، ثم قلت: يا

القصة، وأن قوائم فرسه حين قَرَبَ من رسول الله ﷺ - سأخت في الأرض، وتبعها عُثَان، وهو: الدخان وجمعه: عَوَائِن. وذكر غير ابن إسحق أن أبا جهل لأمه حين رجع بلا شيء، فقال وكان شاعرًا:

أبا حَكَمَ والله لو كنتَ شاهدًا	لأمر جوادِي إذ تَسُوخُ قوائمِه
علمتَ ولم تَشْكُكْ بأنَ محمدًا	رسولَ بيزهَانِ فمن ذا يُقاومُه؟!
عليك بكَفِّ القومِ عنه، فإنني	أرى أمرَه يومًا سَتبدو معالِمُه
بأمرٍ يَوُدُّ الناسُ فيه بأسرِهم	بأنَ جميعِ الناسِ طُرًّا يُسَالِمُه

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨/٧) فتح. وابن الجوزي في المنتظم (٥٥/٣) والحاكم (٦/٣) ومسلم (٢٠٠٩) بعضه. وأحمد (٢١٢/٣).

رسول الله، هذا كتابك لي، أنا سُرَاقَة بن جُعْشَم؛ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «يوم وفاء وبرٍّ، اذْنُهُ». قال: فدنوت منه، فأسلم. ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله، الضالة من الإبل تَغْشَى حياضي، وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: «نعم، في كل ذات كبد حَزِي أُجْر». قال: ثم رجعت إلى قومي، فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي. قال ابن هشام: عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعْشَم.

وقد قدمنا في هذا الكتاب عند ذكر كسرى ما فعله عمر بن الخطاب حين أتى بتاج كسرى، وسَوَازِيْهِ وَمُنْطَقَتِهِ، وأنه دعا بِسُرَاقَةِ، وكان أَرْبُ الذراعين^(١)، فَعَلَاه جِلْيَة كسرى، وقال له: ازْفَعْ يديك، وقل: الحمد لله الذي سَلَبَ هذا كِسْرَى الملك الذي كان يزعم أنه رَبُّ الناس وكساها أعرابياً من بني مُذَلِج. فقال ذلك سراقَة، وإنما فعلها عمر لأن رسول الله - ﷺ - كان قد بَشَّرَ بها سراقَة حين أسلم، وأخبره أن الله سيفتح عليه بلادَ فارس، وَيُعْثِمَهُ مُلْكٌ كِسْرَى، فاستبعد ذلك سُرَاقَة في نفسه، وقال: أَكْسِرَى ملك الملوك؟! فأخبره النبي - ﷺ - أن جِلْيَتِهِ ستجعل عليه تحقيقاً للوعد، وإن كان أعرابياً بَوَّالاً على عقبه، ولكن الله يُعِزُّ بالإسلام أهله، وَيُسَبِّحُ على محمد وأُمته نعمته وفضله.

وفي السير من رواية يونس شعر لأبي بكر رضي الله عنه في قصة الغار:

قال النبي ولم يزل يُوقِرُنِي	ونحن في سَدَفٍ ^(٢) من ظُلْمَةِ الغار
لا تَخْشَ شيئاً؛ فإن الله ثالثنا	وقد توكل لي منه بإظهار
وإنما كَيْدٌ من تخشى بَوَادِرَهُ	كيْدُ الشياطينِ كَادَتُهُ لكفار
والله مُهْلِكُهُمْ طُرّاً بما كَسَبُوا	وجاعلُ الْمُتَنَهَى منهم إلى النار
وأنت مُرْتَحِلٌ عنهم وتاركهم	إما عُدُّوا وإما مُذَلِّجُ ساري
وهاجر أرضهم حتى يكونَ لنا	قومٌ عليهم دُؤُو عِزٌّ وأنصار
حتى إذا الليلُ وارثنا جوانبُه	وسَدٌّ مِنْ دُونِ مَنْ تَخْشَى بأسْتار
سار الأَرْنَقُ يُهْدِينَا وَأَيْشُقُهُ	يَنْعَبِنِ بِالْقَرَمِ نَعْباً تحت أَكْوار
يَغْسِفُنَ عرض الثنايا بعد أطولها	وكلُّ سَهْبٍ رَقَاقِ الثُّرابِ مَوَّار
حتى إذا قُلْتُ: قد أَنَجَدْن عارضها	من مذلج فارسٍ في منصبٍ وار

(١) أي طويل الذراعين.

(٢) السدف: الظلمة من الليل.

كالسيد ذي اللَّبْدَةِ المُسْتَأْسِدِ الضَّارِي
من دونها لك نَصْرُ الخالقِ الباري
فانظر إلى أَرْزُعٍ فِي الْأَرْضِ عُوَّارٍ
قد سُخِّنَ فِي الْأَرْضِ لَمْ يُخْفَرْ بِمُحْفَارٍ
وتأخذوا مَوْتُفِي فِي نُضْحِ أَسْرَارٍ
وَأَنْ أَعَوَّرَ مِنْهُمْ عَيْنَ عُوَّارٍ
يُطْلِقُ جَوَادِي وَأَنْتُمْ خَيْرُ أَبْرَارٍ
يَا رَبِّ إِنْ كَانَ مِنْهُ غَيْرُ إِخْفَارٍ
وَمُهِرَهُ مُطْلَقًا مِنْ كَلَمِ آثَارٍ
وفاز فارسُه من هَوْلِ أخطار^(١)

يُزْدِي بِهِ مُشْرِفِ الْأَقْطَارِ مُعْتَزَمٌ
فَقَالَ: كُرُّوا فَقُلْتُ: إِنْ كَرَّتْنَا
أَنْ يَخْصِفَ الْأَرْضَ بِالْأَحْوَى وَفَارِسِهِ
فَهَيْلَ لِمَا رَأَى أَرْسَاعُ مُقْرِبِهِ
فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ تُطْلِقُوا فَرَسِي
وَأَصْرِفُ الْحَيَّ عَنْكُمْ إِنْ لَقِيتَهُمْ
فَاذْعُوا الَّذِي هُوَ عَنْكُمْ كَفَّ عَوْرَتَنَا
فَقَالَ قَوْلًا رَسُولُ اللَّهِ مُبْتَهَلًا
فَنَجَّهَ سَالِمًا مِنْ شَرِّ دَعْوَتِنَا
فَأَظْهَرَ اللَّهَ إِذْ يَدْعُو حَوَافِرَهُ

حديث أم معبد^(٢)

وذكر عن أسماء بنت أبي بكر حين خفي عليها، وعلى من معها أمرُ رسول الله ﷺ، ولم يدروا أين توجه، حتى أتى رجل من الجن يسمعون صوته، ولا يرونه، فمر على مكة والناس يتبعونه وهو ينشد هذه الأبيات:

رَفِيقَيْنِ حَلَا حَيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدٍ
فَأَقْلَحَ مِنْ أُمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
وَمَقْعَدَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ
بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَازِي وَشُودِدٍ
فَلِإِنَّكُمْ إِنْ تَسَأَلُوا الشَّاءَ تَشْهَدِ
لَهُ بِصَرِيحِ ضَرَّةِ الشَّاءِ مُزِيدٍ
يُرَدِّدُهَا فِي مَضْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدٍ

جَزَى اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ
هَمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ ثُمَّ تَرَحَّلَا
لِيَبْهِنَ بَنِي كَعْبٍ مَقَامَ فَتَاتِهِمْ
فِي الْقِصِيِّ مَا رَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ
سَلُّوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاتِبِهَا وَإِنَائِهَا
دَعَاها بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّيْتُ
فَغَادَرَهَا رَهْنًا لَدَيْنِهَا بِحَالِبٍ

(١) القصيدة تحتاج إلى صحة نسب.

(٢) انظر الخبر في الطبقات (٢٣٠/١) تاريخ الطبري (٣٨٠/٢) البداية والنهاية (١٩٠/٣) المنتظم (٥٧/٣) الوفا (٣٢٨) والحاكم (٩/٣).

ويروى أن حَسَّانَ بن ثابت لما بلغه شعرُ الجنِّي، وما هتف به في مكة قال يجيبه:

لقد خابَ قومٌ عنهم نبيُّهم	وقد سُرَّ مَنْ يَسْري إليهم ويَغْتدي
ترخل عن قومٍ فضلت عقولهم	وحلَّ على قومٍ بنورٍ مُجَدِّد
هداهم به بعد الضلالة ربهم	وأرشدهم مَنْ يَتَّبِع الحقَّ يَرْشُد
وهل يَسْتَوِي ضُلالٌ قوم تَسْفَهُوا	عما يتهم هاد بها كل مهتد
لقد نَزَلت منه إلى أهلٍ يَثْرِب	ركابٌ هُدَى حلت عليهم بأَسْعَد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يومٍ مقالة غائب	فتصدِّقه في اليوم أو في ضحَى الغد
ليهنَّ أبا بكر سعادة جده	بصحبه مَنْ يُسعد الله يسعد

وزاد يونس في روايته أن قريشًا لما سمعت الهاتِفَ من الجن أرسلوا إلى أمِّ معبد، وهي بخيمتها، فقالوا: هل مرَّ بك محمد الذي من جليته كذا، فقالت: لا أدري ما تقولون، وإنما ضافني حالبُ الشاة الحائل، وكانوا أربعة رسول الله - ﷺ - وأبو بكر، وعامرُ بن فُهيرة مولى أبي بكر، وقد تقدم التعريف به وطرفٌ من ذكر فضائله في هجرة الحبشة، والرابع عبد الله بن أَرْيَظَ اللَّيْثي ولم يكن إذ ذاك مسلمًا، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك، وجاء في حديث أنهم استأجروه، وكان هاديًا خريثًا، والخريث: الماهرُ بالطريق الذي يَهْتَدِي بمثل خَزْتِ الإبرة، ويقال له: الخَوْتَعُ أيضًا قال الراجز:

يضل فيها الخَوْتَعُ المُشْهَرُ

نسب أم معبد وزوجها

وأما أم معبد التي مرَّ بخيمتها، فاسمها: عاتكة بنت خالد إحدى بني كعب من خُرَاعَة، وهي أخت حُبَيْش بن خالد، وله صحبة ورواية، ويقال له الأشعر، وأخوها: حُبَيْش بن خالد سيأتي ذكره والخلاف في اسمه وخالد الأشعر أبوهما، هو: ابن حُثَيْف بن مُقَدِّ بن ربيعة بن أَصْرَم بن ضَيْس بن حرام بن حُبَيْشَة بن كَعْب بن عمرو وهو أبو خُرَاعَة.

وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية أيضًا عن رسول الله - ﷺ - توفي في حياة رسول الله - ﷺ، ولا يُعرف اسمه، وكان منزلُ أمِّ معبد بَقْدِيد، وقد روي حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعاني، وقد رواه ابنُ قُتَيْبَة في غريب الحديث، وتَقَصَّى شرح ألفاظه، وفيه أن

رسول الله ﷺ قال لأُم معبد: وكان القوم مُرْمِلِينَ^(١) مُسْنِتِينَ^(٢)، فطلبوا لبنًا أو لحماً يشترونه، فلم يجدوا عندها شيئًا، فنظر إلى شاة في كِسْرِ الخِيَمَةِ^(٣) خلفها الجَهْدُ^(٤) عن الغنم، فسألها: هل بها من لبن؟ فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أحلبها، فقالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فدعا بالشاة، فاعتقلها، ومسح ضرعها، فتفاجت^(٥) ودزت واجترت، ودعا بإناء يُرْبِضُ الرَّهْطُ^(٦) أي: يشبع الجماعة حتى يُرْبِضُوا، فحلب فيه حتى ملأه، وسقى القوم حتى رَووا ثم شرب آخرهم، ثم حلب فيه مرة أخرى عَدْلًا^(٧) بعد نَهْلٍ، ثم غادره عندها، وذهبوا، فجاء أبو معبد، وكان غائبًا فلما رأى اللبن قال: ما هذا يا أُم معبد أتى لك هذا والشاء عازب^(٨) حَيَالٌ^(٩)، ولا حَلْوِيَةٌ بالبيت، فقالت: لا والله، إلا أنه مَرٌّ بنا رجلٌ مُبَارَكٌ، فقال: صفيه يا أُم معبد، فوصفته بما ذكر القَتْبِيُّ وغيره في الحديث، ومما ذكره القَتْبِيُّ: فشربوا حتى أراضوا جعله القَتْبِيُّ من استراض الوادي: إذا استنقع ومن الرُّوْضَةِ وهي بَقِيَّةُ الماء في الحوض وأنشد:

وَرَوْضَةٍ سَقَيْنَتْ فِيهِ نَضُوي

ورواه الهَرَوِيُّ حتى آرَضُوا على وزن آمنوا، أي ضَرَبُوا بأنفسهم إلى الأرض من الري، وفي حديث آخر أن آل أبي مَعْبَد كانوا يؤرخون بذلك، اليوم، ويسمون: يوم الرجل المبارك، يقولون: فعلنا كَيْتٌ وكَيْتٌ قبل أن يأتينا الرجل المبارك، أو بعد ما جاء الرجل المبارك، ثم إنها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله، ومعها ابنٌ صغير قد بلغ السَّغْيَ فمر بالمدينة على مسجد رسول الله - ﷺ - وهو يكلم الناس على المِنْبَرِ فانطلق إلى أمه يَشْتَدُّ، فقال لها: يا أُمَّتَاهُ إني رأيت اليوم الرجل المبارك، فقالت له: يا بني وَنَحَكَ هو رسولُ الله - ﷺ .

ومما يُسأل عنه في هذا الحديث أن يقال: هل استمرت تلك البركة في شاة أُم معبد بعد ذلك اليوم، أم عادت إلى حالها؟ وفي الخبر عن هشام بن حُبَيْش الكعبي، قال: أنا رأيت تلك الشاة وإنها لتأدُم أُم معبد وجميع صِرْمِها، أي: أهل ذلك الماء، وفي الحديث

- | | |
|---|------------------------------------|
| (١) مرملين: أي نفذ زادهم. | (٢) مستين: من السنة، وهي الجذب. |
| (٣) كسر الخيمة: أي جانبها. | (٤) الجهد: المشقة. |
| (٥) تفاجت: أي فتحت ما بين رجليها للحلب. | (٦) يربض الرهط: ينقلهم حتى يربضوا. |
| (٧) عدلاً: مرة بعد مرة. | (٨) عازب: بعيدة عن المرعى. |
| (٩) حيال: ليست بحامل. | |

طريق الهجرة

قال ابن إسحاق: فلما خرج بهما دليهما عبدُ الله بن أَرْقَط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفَانَ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قُدَيْدًا، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخَرَّار، ثم سلك بهما ثِيَّةَ المَرَّة، ثم سلك بهما لَقْفًا. قال ابن هشام: ويقال: لَقْتًا. قال مَعْقِل بن خُوَيْلِد الهذلي:

نَزِيْعًا مُخْلِِبًا مِنْ أَهْلِ لَقْتٍ لَحِيٍّ بَيْنَ أَثْلَةٍ وَالنُّجَامِ

أيضًا من الغريب في وصف الشاة: قال ما كان فيها بُصْرَةٌ وهي النقط من اللبن تبصر بالعين.

بلاد في طريق الهجرة

وذكر أن دليهما سلك بهما عُسْفَانَ. قال المؤلف رضي الله عنه: وقد روى عن كثير أنه قال: سُمِّي عُسْفَانَ لتعسفِ السيول فيه، وسُئِلَ عن الأبواء الذي فيه قبرُ أَمَّةِ أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ: لم سُمِّي الأبواء؟ فقال: لأن السيول تَتَبَوَّءُ أي: تحل به، وبِعُسْفَانَ فيما رُوي كان مسكن الجُدَمَاء، ورأيت في بعض المسندات أن رسول الله ﷺ مرَّ بعُسْفَانَ وبه الجُدَمَاء فأسرع المشي ولم ينظر إليهم، وقال: «إن كان شيء من العلل يعدى فهو هذا»، وهذا الحديث هو من روايتي، لأنه في مسند الحارث بن أبي أسامة، وقد تقدم اتصال سندي به، وكنت رأيته قبل في مسند وَكِيع بن الجراح، وليس فيه إسناد.

فصل: وذكر أن دليهما سلك بهم أَمَجًا ثم ثِيَّةَ المَرَّة، كذا وجدته مخفف الراء مقيدًا، كأنه مُسَهِّلُ الهمزة من المرأة.

وذكر لَقْفًا بفتح اللام مقيدًا في قول ابن إسحاق، وفي رواية ابن هشام: لَقْتًا، واستشهد ابن هشام بقول مَعْقِل [ابن خُوَيْلِد] الهذلي:

نَزِيْعًا^(١) مُخْلِِبًا^(٢) مِنْ أَهْلِ لَقْتٍ^(٣) لَحِيٍّ بَيْنَ أَثْلَةٍ وَالنُّجَامِ

وألقيت في حاشية الشيخ على هذا الموضع قال: لَقْتُ بكسر اللام ألفيته في شعر مَعْقِل هذا في أشعار هُذَيْل في نسختي، وهي نسخة صحيحة جدًا، وكذلك ألفاه من وثقته وكلفته

(١) النزيع: الغريب، أو المسية أمه.

(٢) المحلب: المعين من غير قومك.

(٣) لَقْتٍ: موضع [ثنية] بين مكة والمدينة.

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما مَذْلَجَة لَقْف ثم استبطن بهما مَذْلَجَة مِجَاج - ويقال: مِجَاج، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مَرْجِج مِجَاج، ثم تبطن بهما مَرْجِج من ذي الْعَصْوِين - قال ابن هشام: ويقال: الْعَصْوِين - ثم بطن ذي كَشْر، ثم أخذ بهما على الْجَدَاجِد، ثم على الْأَجْرَد، ثم سلك بهما ذَا سَلَم، من بطن أَعْدَاء

أن ينظر فيه لي في شعر مَغْقَل هذا في أشعار هُذَيْل مكسور اللام في نسخة أبي علي القالي المقروءة على الزيايدي، ثم على الأحول، ثم قرأتها على ابن دُرَيْد رحمه الله، وفيها صَرِيحًا مُخْلِيًا، وكذلك كان الضبط في هذا الكتاب قديمًا، حتى ضبطه بالفتح عن القاضي، وعلى ما وقع في غيرها. انتهى كلام أبي بحر. وقد ذكر أبو عُبَيْد الْبَكْرِي: لِقْتًا، فقیده بكسر اللام كما ذكر أبو بحر وأشد قبله:

لَعْمُرُكَ مَا خَشِيت، وقد بلغنا جبالَ الْجَوَزِ من بَلَدٍ تَهَام
صَرِيحًا مُخْلِيًا الْبَيْت.

وذكر المواضع التي سلك عليها، وذكر فيها مِجَاج بكسر الميم وجيمين، وقال ابن هشام: ويقال فيها: مِجَاج بالفتح، وقد ألفيت شاهدًا لرواية ابن إسحاق في لَقْف، وفيه ذكر مِجَاج بالحاء المهملة بعد الجيم، وهو قول محمد بن عَزْوَة بن الزُّبَيْر:

لَعَنَ اللَّهُ بَطْنَ لَقْفٍ مَسِيلًا وَجَاخًا وَمَا أَحْبُّ مَجَاخًا
لَقِيَتْ نَاقَتِي بِهِ، وَبَلِقْفٍ بَلَدًا مُجْدِبًا وَأَرْضًا شَحَاخًا
هكذا ذكره الزبير بن أبي بكر، ولقف آخر غير لَقْفٍ فيما قال البكري.

وذكر مَرْجِج الجيم على الحاء، وذكر مَذْلَجَة تَغْنِج بكسر التاء والهاء، والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فَعْلِل إلا أن يقوم دليل من اشتقاق على زيادة التاء، أو تصح رواية من رواه تُغْنِج بضم التاء، فإن صَحَّتْ فالتاء زائدة، كسرت أو ضمت وَتَغْنِج صخرة، يقال لها: أُم عَفَى عُرِفَتْ بامرأة كانت تسكن هناك، فمر بها النبي ﷺ واستسقاها فلم تسقه، فدعا عليها فَمُسِخَتْ صخرة، فهي تلك الصخرة فيما يذكرون^(١).

وذكر الْجَدَاجِد بجيمين ودالين كأنها جمع جُدْجُد، وأحسبها آبارًا ففي الحديث: أتينا على بئر جُدْجُد، قال أبو عبيد: الصواب: بئر جُدْ أَي قديمة، وقال الهَرَوِيُّ عن اليزيدي: وقد يقال: بئر جدجد قال: وهو كما يقال في الكم كمكم وفي الرِّف رَقْرَف.

(١) قصة دعاء النبي ﷺ على المرأة فمسخت صخرة، في حاجة إلى دليل «صحيح».

مَدَلَجَةً يَغْنَهُنَّ، ثُمَّ عَلَى الْعَبَائِدِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: الْعَبَائِبُ، وَيُقَالُ: الْعِثْيَانَةُ. يَرِيدُ الْعَبَائِبُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا الْفَاجَّةُ، وَيُقَالُ: الْقَاحَةُ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ هَبَطَ بِهِمَا الْعَرْجُ، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِمَا بَعْضُ ظَهْرِهِمْ، فَحَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ، يُقَالُ لَهُ: أَوْسُ بْنُ حُجْرٍ، عَلَى جَمَلٍ لَهُ - يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الرِّدَاءِ - إِلَى الْمَدِينَةِ، وَيَبِيعُ مَعَهُ غَلَامًا لَهُ، يُقَالُ لَهُ: مَسْعُودُ بْنُ هُنَيْدَةَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا دَلِيلُهُمَا مِنَ الْعَرْجِ، فَسَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْعَاثِرِ، عَنْ يَمِينِ رَكُوبَةٍ - وَيُقَالُ: ثَنِيَّةُ الْغَاثِرِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ -

وَذَكَرَ الْعَبَائِدُ كَأَنَّهُ جَمَعَ عَبَادَ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هِيَ الْعَبَائِبُ، كَأَنَّهُمَا جَمَعَ: عُبَابٌ مِنْ عَبَيْتِ الْمَاءِ عُبَاً، فَكَأَنَّهُمَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِثْلُ تَعُبٌ عُبَابًا أَوْ تَعُبٌ عُبَاً.

وَذَكَرَ الْفَاجَّةَ بَقَاءَ وَجِيمٍ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هِيَ: الْقَاحَةُ بِالْقَافِ وَالْحَاءِ.

قِصَّةُ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ:

وَذَكَرَ قَدُومَهُمْ عَلَى أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ، وَهُوَ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُجْرٍ الْأَسْلَمِيُّ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ فِيهِ: ابْنُ حَجْرٍ، وَهُوَ قَوْلُ الدَّارِقُطَنِيِّ، وَالْمَعْرُوفُ، ابْنُ حُجْرٍ بَضْمِ الْحَاءِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَبْعُوثِ ذِكْرُ مِنْ اسْمِهِ حَجْرٌ فِي أَنْسَابِ قُرَيْشٍ، وَمِنْ يَسْمَى: حُجْرًا مِنْ غَيْرِهِمْ يَسْكُونُ الْجَيْمَ، وَمِنْ يَسْمَى الْحَجْرَ بِكسر الْحَاءِ، فَانْظُرْهُ هُنَاكَ عِنْدَ ذِكْرِ خَدِيجَةَ وَأُمِّهَا، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ أَنَّهُ بِفَتْحَتَيْنِ.

وَذَكَرَ أَنَّ أَوْسًا حَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَلَى جَمَلٍ لَهُ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الرِّدَاءِ، وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ ابْنُ إِسْحَاقَ يَقَالُ لَهُ: الرِّدَاحُ، وَفِي الْخَطَابِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِغَلَامِهِ مَسْعُودَ، وَهُوَ مَسْعُودُ بْنُ هُنَيْدَةَ: أَسْلَمُ بِهِمُ الْمُخَارِقُ بِالْقَافِ، قَالَ: وَالصَّحِيحُ الْمُخَارِمُ، يَعْنِي: مُخَارِمُ الطَّرِيقِ، وَفِي النَّسَوِيِّ أَنَّ مَسْعُودًا هَذَا قَالَ: فَكُنْتُ أَخْذُ بِهِمْ إِخْفَاءَ الطَّرِيقِ. وَفَقَّهَ هَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا خَائِفِينَ، فَلِذَلِكَ كَانَ يَأْخُذُ بِهِمْ إِخْفَاءَ الطَّرِيقِ وَمُخَارَقَهُ، وَذَكَرَ النَّسَوِيُّ فِي حَدِيثِ مَسْعُودِ هَذَا: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لَهُ: إِنَّتَ أَبَا تَمِيمٍ، فَقَالَ لَهُ: يَحْمِلُنِي عَلَى بَعِيرٍ وَيَبِيعُ إِلَيْنَا بَزَادَ، وَدَلِيلٌ يَدُلُّنَا، فَفِي هَذَا أَنَّ أَوْسًا كَانَ يُكْنَى أَبَا تَمِيمٍ، وَأَنَّ مَسْعُودًا هَذَا قَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَحَفِظَ عَنْهُ حَدِيثًا فِي الْخُمْسِ وَحَدِيثًا فِي صَلَاةِ الْإِمَامِ بِالْوَحْدِ وَالْإِثْنَيْنِ ذَكَرَهُ النَّسَوِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي مَسْعُودِ هَذَا: غَلَامٌ قَرْوَةٌ الْأَسْلَمِيُّ. وَقَالَ أَبُو عُمَرَ: قَدْ قِيلَ فِي أَوْسٍ هَذَا إِنَّ اسْمَهُ تَمِيمٌ، وَيَكْنَى أَبَا أَوْسٍ فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

حتى هبط بهما بطن رثم، ثم قدم بهما قُباء، على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتدَّ الضَّحَاء، وكادت الشمس تعتدل.

النزول بقباء:

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة، قال: حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: لما سمعنا بمَخرج رسول الله ﷺ من مكة، وتوَكَّفنا قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظر رسولَ الله ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فإذا لم نجد ظلاً دخلنا، وذلك في أيام حارَّة. حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظلٌ دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجلٌ من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع، وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ - علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قُبَيْلة، هدا جَدُّكم قد جاء. قال: فخرجنا إلى رسول الله ﷺ، وهو في ظلِّ نخلة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سِنِّه، وأكثرنا لم يكن رأى رسولَ الله ﷺ - قبل ذلك، ورَكِبَه الناس وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظلُّ عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فاطَّلَه بردائه، فعرفناه عند ذلك^(١).

وروي أن رسول الله ﷺ - قال لمسعود حين انصرف إلى سيده: مُرْ سَيْدَكَ أَنْ يَسِمَ الْإِبِلَ فِي أَعْنَاقِهَا قَيْدَ الْفَرَسِ، فلم تَزَلْ تلك سِمَتَهُمْ في إِبِلِهِمْ، وقد ذكرنا في شرح قصيدة أبي طالب عند قوله: مُوسِمَةُ الْأَعْضَادِ أَسْمَاءُ السَّمَاتِ كَالْعِرَاضِ وَالْجَبَاطِ وَالْهَلَالِ، وذكرنا قَيْدَ الْفَرَسِ، وأنه سِمَةٌ فِي أَعْنَاقِهَا، وقول الراجز:

كُومٌ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَيْدُ الْفَرَسِ تَنْجُو إِذَا اللَّيْلُ تَدَانَى وَالتَّبَسُّ

متى قدم الرسول ﷺ المدينة؟

كان قدومُ رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة من ربيع الأول، وفي شهر أيلول من شهور العَجَم، وقال غير ابن إسحاق قدمها لثَمَانِ خَلَوْنَ من ربيع الأول، وقال ابن الكلبي: خرج من الغار يوم الاثنين أولَ يوم من ربيع الأول، ودخل المدينة يوم الجمعة لِثْنَتَيْ عشرة سنة، وكانت بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ أَوْسَطَ أَيَّامِ الْتَشْرِيقِ.

(١) انظر البداية (٣/١٩٤) والطبقات لابن سعد (١/٢٣٣) والحاكم (٣/١١) والبخاري (٧/١٨٩) بنحوه.

المنازل التي نزلت بقباء

قال ابن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - على كُثُوم بن هِذَم، أخي بني عمرو بن عَوْف، ثم أحد بني عُبيد: ويقال: بل نزل على سعد بن خَيْثَمَة. ويقول من يذكر أنه نزل على كُثُوم بن هِذَم: إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كُثُوم بن هِذَم جلس للناس في بيت سعد بن خَيْثَمَة. وذلك أنه كان عَزْبًا لا أهل له، وكان منزل العُزَّاب من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين، فمن هنالك يقال: نزل على سعد بن خَيْثَمَة، وكان يقال لسعد بن خَيْثَمَة: بيت العُزَّاب. فإله أعلم أي ذلك كان، كلاً قد سمعنا.

ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على خُثَيْب بن إِسَاف، أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح. ويقول قائل: كان منزله على خارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر، أخي بني الحارث بن الخزرج.

وأقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أذى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ، فنزل معه على كُثُوم بن هِذَم.

سهيل بن حنيف^(١) وامرأة مسلمة:

فكان علي بن أبي طالب، وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول: كانت بقباء امرأة لا زوج لها، مسلمة. قال: فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها

كُثُوم بن الهِذَم

فصل: وذكر ابن إسحاق نزول رسول الله ﷺ - على كُثُوم بن الهِذَم، وكُثُوم هذا كُثَيْبَة أبو قيس، وهو كُثُوم بن الهِذَم بن أمْرِء القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وكان شيخاً كبيراً مات بعد قدوم رسول الله ﷺ - المدينة بيسير، هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي ﷺ، ثم مات بعده أسعد بن زُرَّارة بأيام، وسعد بن خَيْثَمَة، وأنه كان يقال لبيته: بيت العُزَّاب هكذا روي، وصوابه: الأعزب؛ لأنه جمع عَزَبٍ، يقال: رجل عَزَبٌ، وامرأة عَزَبٌ، وقد قيل: امرأة عَزَبَة بالتاء.

(١) انظر ترجمته في الطبقات (٤٧١/٣) (١٥/٦) الإصابة (٨٧/٢) الاستيعاب (٦٦٢/١).

بابها، فتخرج إليه فيعطيه شيئاً معه فتأخذه. قال: فاستربتُ بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة، فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف بن واهب، قد عرف أني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، فكان علي رضي الله عنه يَأْثُر ذلك من أمر سهل بن حنيف، حتى هلك عنده بالعراق.

قال ابن إسحاق: وحدثني هذا، من حديث علي رضي الله عنه، هند بن سهل بن حنيف، رضي الله عنه.

بناء مسجد قباء

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقباء، في بني عمرو بن عوف، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده.

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة. وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أي ذلك كان. فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي راثوناء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.

تأسيس مسجد قباء

فصل: وذكر تأسيس مسجد قباء، وأن رسول الله ﷺ أسسه لبني عمرو بن عوف، ثم انتقل إلى المدينة، وذكر ابن أبي خيثمة أن رسول الله ﷺ حين أسسه، كان هو أول من وضع حجرًا في قبلة، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر، ثم أخذ الناس في البناء. في الخطابي عن الشُّمُوس بنت النعمان [بن عامر بن مجمع الأنصارية] قالت: كان النبي ﷺ حين بنى مسجد قباء يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه، فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره. يقال: صهره وأصهره إذا ألصقه بالشيء، ومنه اشتقاق الصهر في القرابة، وهذا المسجد أول مسجد بني في الإسلام، وفي أهله نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] فهو على هذا المسجد الذي أسس على التقوى، وإن كان قد روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى، فقال: «هو مسجدي هذا»^(١)، وفي رواية

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٩) والنسائي (٣٦/٢) وأحمد (٩١/٨٩/٨/٣) (٥/١١٦/٣٣١) والخطيب =

أخرى قال: «وفي الآخر خير كثير»، وقد قال لبني عمرو عوف حين نزلت: «لَمَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَى»، «ما الظُّهُور الذي أثنى الله به عليكم؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستجمار بالحجر، فقال: «هو ذاكم فَعَلَيْكُمْوه»^(١)، وليس بين الحديشين تعارضٌ كلاهما أُسُسٌ عَلَى التَّقْوَى، غير أن قوله سبحانه: من أول يوم يقتضي مسجد قباء لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول الله - ﷺ - دار معجزته والبلد الذي هو مُهاجرة.

التاريخ العربي:

وفي قوله سبحانه: ﴿من أول يوم﴾ وقد عُلِمَ أنه ليس أول الأيام كلها، ولا أضافه إلى شيء في اللفظ الظاهر [فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمّر] فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ، فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة لأنه الوقت الذي عَزَّ فيه الإسلام، والذي أَمَرَ فيه النبي - ﷺ - وأُسُسَ المساجد. وَعَبَدَ الله آمَنًا كما يحب^(٢)، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله سبحانه من أول يوم أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذي يورُخ به الآن، فإن كان أصحاب رسول الله ﷺ أخذوا هذا من الآية، فهو الظن بأفهامهم، فهم أعلمُ الناس بكتاب الله وتأويله، وأفهمهم بما في القرآن من إشارات وإفصاح، وإن كان ذلك منهم عن رأي واجتهاد، فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل، إذ لا يعقل قول القائل: فعلته أول يوم إلا بإضافة إلى عام معلوم أو شهر معلوم، أو تاريخ معلوم، وليس هاهنا إضافة في المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره ففيه معتبر لمن اذْكُرْ وَعِلْمٌ لمن رأى بعين فؤاده واستبصر والحمد لله.

من ودخلها على الزمان:

وليس يحتاج في قوله من أول يوم إلى إضمار كما قرره بعض النحاة: من تأسيس أول يوم، فرازا من دخول من على الزمان، ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم، فإضماره للتأسيس لا يفيد شيئا، ومن تدخل على الزمان، وغيره، ففي التنزيل ﴿من

= (٧٩/٤) والحاكم (٤٨٧/١).

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٥) والبيهقي (١٠٥/١) والحاكم (١٥٥/١) والدارقطني (٦٢/١) بتحقيقي.

(٢) رد ابن المنير وغيره تفسير السهيلي لقوله تعالى: ﴿من أول يوم﴾ فانظر الفتح (٢١٤/٧) شرح المواهب (٣٥٣/١).

القبائل تعترضه لينزل عندها:

فاتاه عِثْبَانُ بن مالك، وعُبَّاسُ بن عُبَادَةَ بن نَضْلَةَ في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله. أقم عندنا في العدد والعِدَّة والمَنْعَة؛ قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، لناقته: فخلُّوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بَيَاضَةَ، تلقَّاه زياد بن لُبَيْد، وقَرْوَةُ بن عمرو، في رجال من بني بَيَاضَةَ فقالوا: يا رسول الله: هلّم إلينا، إلى العِدَّة والعِدَّة والمَنْعَة؛ قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، فخلُّوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرّت بدار بني ساعدة، اعترضه سعدُ بن عُبَادَةَ، والمنذر بن عمرو، في رجال من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله، هلّم إلينا إلى العدد والعِدَّة والمنعَة؛ قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، فخلُّوا سبيلها، فانطلقت، حتى إذا وازنت دارَ بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعدُ بن الربيع، وخارجةُ بن زيد، وعبد الله بن رَوَاحَةَ، في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله هلّم إلينا إلى العدد والعِدَّة والمنعَة، قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرّت بدار بني عدي بن النجار، وهم أخواله دُنْيَا - أم عبد المطلب، سَلَمَى بنت عمرو، إحدى نسائهم - اعترضه سَلِيط بن قيس، وأبو سَلِيط أُسَيْرَة بن أبي خارجة، في رجال من بني

قبل ومن بعد ﴿ والقَبْلُ والبَغْدُ زمان، وفي الحديث: «ما من دابة إلا وهي مُصِيخَةٌ»^(١) يوم الجمعة من حين تطلع الشمس إلى أن تغرب»^(٢)، وفي شعر النابغة [في وصف سيف]:

تُورِثُنَّ مِنْ أَزْمَانٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرُئْنَ كُلُّ التُّجَارِبِ
[تَقْدُ السُّلُوقِي الْمَضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِذَنَّ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْحَبَابِ]

وبين من الداخلة على الزمان، وبين منذ فرق بديع قد بيناه في شرح آية الوصية.

تحلحل وتلحح^(٣):

فصل: وذكر لقاء كل قبيلة من الأنصار له يقولون: هلّم إلينا يا رسول الله إلى العِدَّة والعِدَّة، فيقول: «خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة» حتى بَرَكْتَ بموضع مسجده، وقال:

(١) مصيخة: أي مصغية.

(٢) أخرجه أبو داود وابن حبان (١٠٢٤/٥٥١ موارد) وأحمد (٤٨٦/٢) والشافعي في مسنده (٧٢).

(٣) تحلحل: التحلل: التحرك والذهاب، وحَلَحَلْتُهُمْ: حَرَكْتُهُمْ، وتحلحلت عن المكان كترحزحت، ويقال: تحلحل: إذا تحرك وذهب، وتلحح: إذا أقام ولم يتحرك. اللسان (١٧٣/١١).

عديّ بن النجّار، فقالوا: يا رسول الله، هلّم إلى أخوالك، إلى العدد والعدة والمنعة؛ قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، فخلوا سبيلها، فانطلقت.

ميرك الناقة بدار بني مالك بن النجار:

حتى إذا أتت داز بني مالك بن النجّار، بركت على باب مسجده ﷺ، وهو يومئذ مزيّد لغلّامين يتيمين من بني النجّار، ثم من بني مالك بن النجّار، وهما في حجر معاذ ابن عفراء، سهل وسهيل ابني عمرو. فلما برّكت - ورسول الله ﷺ عليها - لم ينزل، وثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبرّكها أوّل مرة، فبركت فيه، ثم تحلّحت ورزّمت ووضعت جرائنها، فنزل عنها رسول الله ﷺ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رَحْلَهُ، فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ، وسأل عن المزيّد «لمن هو؟» فقال له معاذ ابن عفراء:

تَحَلَّحْتُ وَرَزَّمْتُ وَأَلَقْتُ بِجَرَانِهَا أَي: بعنقها، وفسره ابن قتيبة على تَلَخَّحَ أَي: لَزِم مكانه. ولم يبرح، وأنشد:

أناس إذا قيل أنفروا قد أتيتم أقاموا على أئقاليهم وتَلَخَّحُوا

قال: وأما تَحَلَّحَ بتقديم الحاء على اللام فمعناه: زال عن موضعه، وهذا الذي قاله قوي من جهة الاشتقاق، فإن التَلَخُّحَ يشبه أن يكون من لَجَحَتْ عَيْثُ: إذا التصقت، وهو ابن عَمِّي لَحًا.

وأما التَحَلُّحُ: فاشتقاقه من الحَلُّ والانحلال بَيْنَ، لأنه انفِكَكَ شَيْءٌ من شيء، ولكن الرواية في سيرة ابن إسحق: تَحَلَّحْتُ بتقديم الحاء على اللام، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوبًا من تَلَخَّحْتُ، فيكون معناه: لصقت بموضعها، وأقامت على المعنى الذي فسره ابن قتيبة في تَلَخَّحْتُ.

وأما قوله: وَرَزَّمْتُ فَيُقال: رَزَّمَتِ الناقة رُزُومًا إذا أقامت من الكلال وثوق رَزْمِي، وأما أَرَزَّمْتُ بالألف، فمعناه: رَعَتْ، وَرَجَّعَتْ في رُعَائِها، ويقال منه: أَرَزَّمَتِ الرَعْدُ، وَأَرَزَّمَتِ الرِيحُ قاله صاحب العين، وفي غير هذه السيرة: أنها لما أَلَقَتْ بِجَرَانِها في دار بني النجار جعل رجل من بني سلمة، وهو جَبَّارُ بن صَخْرٍ يَنْخُسُها رجاء أن تقوم فَتَبْرُك في دار بني سلمة، فلم تفعل.

المريد وصاحبا:

وقوله: كان المسجد مزيّدًا. المزيّد والجريّن [والجُزْنُ والمِجْرَنُ] والمِسْطَحُ وهو

هو يا رسول الله لَسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابني عمرو، وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه، فاتخذهُ مسجداً^(١).

المسجد والمسكن

قال: فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى مسجداً، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، ودأبوا فيه، فقال قائل من المسلمين:

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالتُّبْيُ يَغْمَلُ لَذَاكَ مِّنَّا الْعَمَلُ الْمَضْلُ

بالفارسية: مشطاح والجوخار واليَنْدَرُ والأَنْدَرُ لغاتٌ بمعنى واحد للموضع الذي يُجَعَل فيه الزرع والتمرُ للتَّيْسِ، وأنشد أبو حنيفة في الْمِسْطَح [التميم بن مُقِيل]:

تَرَى الْأَمْعَزَ^(٢) الْمَخْزُؤَ فِيهِ كَأَنَّهُ مِّنَ الْحَرِّ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحُ

قال: وَالْمَخْزُؤُ مِنْ: حَزَوْتُ الشَّيْءَ: إِذَا أَظْهَرْتَهُ. وَالْمِسْطَحُ هُوَ بِالْفَارْسِيَّةِ: مِسْطَح، وَأَمَّا الْمِسْطَحُ الَّذِي، هُوَ عُودُ الْخَبَاءِ فَعَرَبِيَّةٌ.

وذكر أن ذلك الميزب كان لَسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابني عَمْرِو يَتِيمَيْنِ فِي جَنْبِ مَعَاذِ ابْنِ عَفْرَاءَ وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: كَانَا يَتِيمَيْنِ فِي جَنْبِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّازَةَ وَهُمَا ابْنَا رَافِعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ شَهِدَ سُهَيْلٌ مِنْهُمَا بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدُ كُلُّهَا، وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ عَمْرِو يَشْهَدُ سَهْلٌ بَدْرًا، وَشَهِدَ غَيْرَهَا وَمَاتَ قَبْلَ أَخِيهِ سُهَيْلٍ.

حول بنيان المسجد

فصل: وذكر بُنْيَانُ الْمَسْجِدِ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ، وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ^(٣) [هَذَا] حِينَ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، [فَقَالُوا: لَا، وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: «ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْبِدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا: بَلْ نَهَبَهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا]، وَقَدْ تَرَجَّمُ الْبُخَارِيُّ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِفَقْهِهِ، وَهُوَ أَنَّ الْبَائِعَ أَوَّلَى بِتَسْمِيَةِ الثَّمَنِ الَّذِي يَطْلُبُهُ، قَالَ أَنَسُ:

(١) انظر مسلم (١٦٢٣/٣) البخاري (١٩٦/٧) الطبقات (٢٣٧/١).

(٢) الْأَمْعَزُ: الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ كَثِيرَةُ الصَّخَرِ وَالْحَصَى.

(٣) أخرجه البخاري (١١٧/١) (٢٦/٣) ومسلم في المساجد (٩) وأحمد في مسنده (١٢٣/٣) والطبري في تاريخه (٨/٢).

وارتجز المسلمون وهم بينونه يقولون:

لا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ ارحم الأنصار والمُهَاجِرَةَ

قال ابن هشام: هذا كلام وليس برجز.

قال ابن إسحاق: فيقول رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار»^(١).

عمار والفئة الباغية

قال: فدخل عمار بن ياسر، وقد أثقلوه باللِّين، فقال: يا رسول الله، قتلوني،

وكان في موضع المسجد نُخْلٌ وَخَرْبٌ ومقابر مشركين، فأمر بالقبور فُثِّشَتْ^(٢) وبِالْخَرْبِ فُسُوِيَتْ، وبِالنُّخْلِ فُقْطِطَتْ.

ويُروى في هذا الحديث نُخْلٌ وَخَرْبٌ مكان قوله: وَخَرْبٌ، وروي عن الشفاء بنت عبد الرحمن الأنصارية قالت: كان النبي - ﷺ - حين بنى المسجد يُؤمُّه جبريلُ إلى الكعبة ويقم له القبلة.

وذكر فيه قول الرجل لعمار: قد سمعتُ ما تقول يا ابن سُمَيَّة. قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحاق الرجل، وكره ابن هشام أن يسميه كي لا يُذكَرَ أحدٌ من أصحاب رسول الله - ﷺ - بمكروه، فلا ينبغي إذا بحثُ على اسمه.

سمية أم عمار^(٣)

وسُمَيَّة: أم عمار وقد تقدم التعريف بها في الهجرة الأولى ونبهنا على غلط ابن قتيبة^(٤) فيها فإنه جعلها وسُمَيَّة أم زياد واحدة وسُمَيَّة أم زياد كانت للحارث بن كَلْدَةَ المتطَّلب، والأولى: مَوْلَاةُ لبني مَخْزُوم وهي سُمَيَّة بنت خباط، كما تقدم، وكان أهدى سُمَيَّة

(١) انظر البخاري (٤٢/٥) البداية والنهاية (٢١٦/٣) الفتح (١١٨/٧).

(٢) أمره ﷺ بنش القبور لبناء المسجد، دعوة إلى أصحاب المقابر والمشاهد من أصحاب الطرق الصوفية وغيرهم إلى الاقتداء برسول الله ﷺ، وقد نهى ﷺ عن الصلاة في المساجد المُقامة على القبور، بل ونهى عن فهل هذا، وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «لعن - قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم - وفي رواية - وصاليجهم مساجد». فهي من يجيب؟!.

(٣) له ترجمة في الطبقات (٢٦٤/٨) الإصابة (٣٣٤/٤) الاستيعاب (١٨٩٣/٤).

(٤) انظر المعارف لابن قتيبة (٧٦).

يَحْمِلُونَ عَلَيَّ مَا لَا يَحْمِلُونَ. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: فَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْقُضُ وَفْرَتَهُ بِيَدِهِ، كَانَ رَجُلًا جَعْدًا، وَهُوَ يَقُولُ: «وَيْحَ ابْنِ سُمَيَّةَ، لَيْسُوا بِالَّذِينَ يَتَّقُونَكَ، إِنَّمَا تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ»^(١).

ارتجاز علي:

وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ:

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَغْمُرُ الْمَسَاجِدَا يَدَأُبُ فِيهِ قَائِمًا وَقَاعِدَا
وَمَنْ يُرَى عَنِ الْغُبَارِ حَائِدَا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر، عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به، فلا يُذرى: أهو قائله أم غيره.

مشادة عمار:

قال ابن إسحق: فأخذها عمار بن ياسر، فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام: فلما أكثر، ظنَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أنه إنما يُعرَضُ به، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن ابن إسحق، وقد سمى ابنُ إسحق الرجل.

الرسول ﷺ يوصي بعمار:

قال ابن إسحق: فقال: قد سمعتُ ما تقول منذ اليوم يا ابنِ سُمَيَّةَ، والله إني

إلى الحرث رَجُلٌ من مُلُوكِ الْيَمَنِ: يقال له أَبُو جَبْرِ، وذلك أنه عالجه من داءٍ كان به فَبَرَىءَ، فوهبها له، وكانت قبل أبي جبر لملكٍ من مُلُوكِ الْفَرَسِ وَقَدْ عَلَيْهِ أَبُو جَبْرِ، فأهداها إليه الملكُ ذكره ابنُ قُتَيْبَةَ، وفي جامع مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ أَنَّ عَمَارًا كَانَ يَنْقُلُ فِي بُنْيَانِ الْمَسْجِدِ لَبِنَتَيْنِ، لَبِنَةً عَنْهُ، وَلَبِنَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَالنَّاسُ يَنْقُلُونَ لَبِنَةً وَاحِدَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - لِلنَّاسِ أَجْرٌ وَلَكَ أَجْرَانِ، وَآخِرُ زَادِكَ مِنَ الدُّنْيَا شَرِيَّةٌ لَبْنِ، وَتَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ فَلَمَّا قُتِلَ يَوْمَ صِفِّينَ دَخَلَ عَمْرُو عَلَى معاويةَ فَرَعَا، فَقَالَ: قَتَلَ عَمَارًا، فَقَالَ معاويةُ: فَمَاذَا؟ فَقَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ»، فَقَالَ معاويةُ: دَخَضْتَ^(٢) فِي بَوْلِكَ، أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ مِنْ أَخْرَجَهُ^(٣)!

(١) أخرجه البخاري (١٢٢/١) (٢٥/٤) وأحمد (٩١/٣) والبيهقي في الدلائل (٥٤٦/٢).

(٢) أي زلقت.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٣٧/٣) والحاكم (٣٨٧/٣) وصححه على شرطهما.

لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك. قال: وفي يده عصا. قال: فغضب رسول الله ﷺ، ثم قال: «ما لهم ولعمَّار، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، إن عمَّارًا جِلْدَةٌ ما بين عيني وأنفي، فإذا بل ذلك من الرجل فلم يُسْتَبَقِ فاجتنبوه»^(١).

إضافة بناء أول مسجد إلى عمار

قال ابن هشام: وذكر سُفيان بن عُيينة عن زكريا، عن الشَّعْبِيِّ، قال: إن أوَّل من بنى مَسْجِدًا عَمَّارُ بن ياسر^(٢).

إضافة بناء المسجد إلى عمار

وذكر ابن إسحاق في هذا الموضع الحديث الوارد في عَمَّار، وهو: أوَّل من بنى لله مسجدًا عَمَّارُ بن ياسر، فيقال: كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد، وقد بناه معه الناس؟ فيقول: إنما عنى بهذا الحديث مسجد قُبَاء، لأنَّ عَمَّارًا هو الذي أشار على النبي - ﷺ - - ببنيانه، وهو جمع الحجارة له، فلما أَسَّسَهُ رسولُ الله - ﷺ - اسْتَمَّ بنيانه عَمَّارًا.

أطوار بناء المسجد:

كذلك ذكر ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه: وبُني مسجد رسول الله - ﷺ - وسَقِفَ بالعِجْرِيد وجعلت قبلته من اللَّبْن، ويقال: بل من حِجَارَةٍ مَنُصُّودَةٍ بعضها على بعض، وَجُعِلَتْ عُمْدُهُ من جُذُوعِ النَّخْلِ، فَتَخَرَّتْ في خلافة عُمَرَ فَجُرِّدَهَا، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالقَصَّةِ وَسَقَفَهُ بالسَّاجِ^(٣)، وجعل قبلته من الحجارة، فلما كانت أيام بني العباس بناه محمد بن أبي جعفر المتسمى بالمَهْدِي، ووسعه وزاد فيه، وذلك في سنة ستين ومائة، ثم زاد فيه المأمون بن الرَّشِيد في سنة ثنتين ومائتين، وأتقن بنيانه، ونقش فيه: هذا ما أمر به عبدُ الله المأمون في كلام كثير كَرِهْتُ الإطالة بذكره. ثم لم يبلغنا أن أحدًا غيَّر منه شيئًا، ولا أحدث فيه عملاً.

بيوت النبي ﷺ:

وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة، بعضها من جريد مُطَيَّنٍ بالطِّين وسقفها جريد،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١٩/١٢) وتقدم نحوه عند البخاري (١٢٢/١).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٣٨٥) عن الحكم بن عتيبة والقاسم بن عبد الرحمن.

(٣) الساج: ضرب من الشجر ضخيم.

الرسول ﷺ في بيت أبي أيوب

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب، حتى بُني له مسجده

وبعضها من حجارة مَرْضُومَةٍ، بعضها فوق بعض، مسقفة بالجريد أيضاً. وقال الحسن بن أبي الحسن: كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام، وأنا غلام مراهق، فأنال السقف بيدي، وكانت حُجْرُهُ - عليه السلام - أَكْسِيَّةً من شعر مربوطة في خشب عَزْرَعٍ وفي تاريخ البخاري أن بابه - عليه السلام - كان يُقَرَّع بالأظافر، أي لا حَلَقَ له، ولما تُوفِّيَ أزواجه عليه السلام خُلِطَت البيوت والحُجَر بالمسجد، وذلك في زمن عَبْدِ الملك، فلما ورد كتابه بذلك صَجَّ أَهْلُ المدينة بالبكاء، كيوم وفاته عليه السلام، وكان سريره خَشَبَاتٍ مشدودةً بالليف، بيعت زمن بني أُمَيَّةٍ، فاشترها رجل بأربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة. وهذا يدل على أن بيوته عليه السلام إذا أُضِيفَتْ إليه، فهي إضافة مِلْكٍ، كقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وإذا أُضِيفَتْ إلى أزواجه كقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فليست بإضافة مِلْكٍ، وذلك أن ما كان مِلْكًا له عليه السلام، فليس بمَوْزُوثٍ عنه.

حب حباب:

فصل: وذكر حديث أم أيوب، وقولها: انكسر حُبُّ لنا. الحُبُّ جَرَّةٌ كبيرة، جَمَعُهُ [أحب وحَبَاب] حَبِّه مثل جُحْرٍ وَجَحْرَةٍ [وأجحر وأجحر] وكأنه أخذ لفظه من حَبَابِ الماء أو من حَبِّية، وحَبَابُهُ بالألف: ترافعه. قال الشاعر:

كَانَ صَلَا جَهِيْرَةً حِينَ تَمْشِي حَبَابُ الْمَاءِ يَتَّبِعُ الْحَبَابَا
وَالْحَبْبُ بِغَيْرِ أَلْفٍ تُفَاخِثُ بِيضُ صِغَارٍ تَكُونُ عَلَى وَجْهِ الشَّرَابِ قَالَهُ ابْنُ ثَابِتٍ.

الثوم:

وذكر قوله عليه السلام لأُمِ أيوب - حين رَدَّ عليها الثَّرِيدَ من أجل الثوم: «أنا رجل أناجي»، وروى غيره حديث أم أيوب، وقال فيه: «إن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنسان»^(١). وروي أن خَصِيفَ بن الحارث قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله: الحديث الذي ترويه عنك أم أيوب أن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنسان أصحيح هو؟ قال: «نعم».

مصير منزل أبي أيوب

ومنزله أبي أيوب الذي نزل فيه النبي - ﷺ - تصير بعده إلى أفلح مولى أبي أيوب،

(١) انظر مسلم في المساجد (٧٢) وابن ماجه (٣٣٦٥) وأحمد (٣/٣٧٤).

ومساكنه، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب، رحمة الله عليه ورضوانه.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن مَرْثَد بن عبد الله اليزني، عن أبي رُهم السماعي، قال: حدثني أبو أيوب، قال: لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي، نزل في السُّفْل، وأنا وأمّ أيوب في العُلُو، فقلت له: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك، وتكون تحتي، فاطهَرُ أنت فكن في العُلُو، وننزل نحن فنكون في السُّفْل، فقال: «يا أبا أيوب، إن أرفق بنا وبمن يَغشانا، أن نكون في سُفْل البيت».

قال: فكان رسول الله ﷺ في سُفْلِهِ، وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حُبّ لنا فيه ماء فَمُت أنا وأمّ أيوبَ بِقُطَيْفَةٍ لنا، ما لنا لحاف غيرها، نَنَشَفُ بها الماء، تخوفا أن يَقْطُرَ على رسول الله ﷺ - منه شيء فيؤذيه.

قال: وكنا نصنع له العشاء، ثم نبعث به إليه، فإذا ردّ علينا فضله تيمّمت أنا وأمّ أيوب موضعَ يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعثائه وقد جعلنا له بصلاً أو ثُومًا، فردّه رسول الله ﷺ، ولم أرْ ليدّه فيه أثرًا قال: فجئته فزَعًا، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي رددتْ عشاءك ولم أر فيه موضع يدك، وكنتُ إذا رددته علينا، تيمّمتُ أنا وأمّ أيوبَ موضع يدك، نَبْتَغِي بذلك البركة؛ قال: «إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه». قال: فأكلناه، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد^(١).

تلاحق المهاجرين

قال ابن إسحاق: وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ، فلم يبق بمكة منهم أحد، إلا مفتون أو محبوس، ولم يُوعِبْ أهلُ هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ﷺ إلا أهلُ دور مُسْمُون: بنو مظعون من جُمَح؛ وبنو جَحْش بن

فاستراه منه بعد ما خَرِبَ، وتَثَلَّمَت حيطائه المُغِيرَةُ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار بعد حيلة احتالها عليه المغيرة ذكرها الزبير، ثم أصلح المغيرة ما وَهَى منه، وتصدق به على أهل بيت من فقراء المدينة، فكان بعد ذلك ابنُ أَفْلَحَ يقول للمغيرة: حَدَّغْتِي، فيقول له المغيرة: لا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ. هذا معنى ما ذكره الزُّبَيْرُ بن أبي بكر.

(١) أخرجه الطبراني (١٤١/٤).

رِثَاب، حلفاء بني أُمَيَّة؛ وبنو البُكَيْر، من بني سعد بن ليث، حلفاء بني عدي بن كعب،
فإن دُورَهم غُلِّقت بمكة هجرة، ليس فيها ساكن.

قصة أبي سفيان مع بني جحش

ولما خرج بنو جحش بن رِثَاب من دارهم، عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها
من عمرو بن علقمة، أخي بني عامر بن لؤي؛ فلما بلغ بني جحش. ما صنع أبو سفيان
بدارهم، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا
ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارًا خيرًا منها في الجنة؟» قال: بلى؛ قال: «فذلك
لك». فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة كلمه أبو أحمد في دارهم، فأبطأ عليه رسول
الله ﷺ؛ فقال الناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد، إن رسول الله ﷺ يكره أن ترجعوا في
شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عز وجل، فأمسك عن كلام رسول الله ﷺ، وقال
لأبي سفيان:

أبلغ أبا سفيان عن	أمر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعثها	تقضي بها عنك الغرامة
وحليفكم بالله رب	الناس مجتهد القسامه
أذهب بها، أذهب بها	طوقتها طوق الحمامه

من قصة أبي سفيان مع بني جحش

وذكر قول أبي أحمد بن جحش لأبي سفيان:

دار ابن عمك بعثها	تقضي بها عنك الغرامة
أذهب بها أذهب بها	طوقتها طوق الحمامه

أو أحمد هذا اسمه عَبد، وقيل: ثَمَامَة، والأول أصح، وكانت عنده الفارعة بنت أبي
سفيان، وبهذا السبب تطرق أبو سفيان إلى بيع دار بني جحش إذ كانت بنته فيهم. مات أبو
أحمد بعد أخيه زينب أم المؤمنين في خلافة عمر.

وقوله لأبي سفيان طوقتها طوق الحمامة مُتَنَزَّع من قول النبي - ﷺ - «مَنْ عَصَبَ شَيْئًا
من أرض طوقه يوم القيامة من سَبَعِ أرضين»^(١) وقال طوق الحمامة، لأن طوقها لا يفارقها،

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١٣٧/٣) ومسلم (١٥٣٨).

انتشار الإسلام ومن بقي على شركه:

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قَدِمَها شهرَ ربيع الأول، إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بُنيَ له فيها مسجدُه ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، إلا ما كان من خُطمة، وواقف، ووائل، وأمّية، وتلك أوس الله، وهم حيّ من الأوس، فإنهم أقاموا على شركهم.

الخطبة الأولى

وكانت أولُ خُطبة خطبها رسول الله ﷺ، فيما بلغني عن أبي سَلَمَة بن عبد الرحمن - نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فقدّموا لأنفسكم تَعْلَمَنَّ والله لِيُضَعِّقَنَّ أحدكم، ثم لِيَدَعَنَّ عَنَّمَه ليس لها راع، ثم ليقولَنَّ له ربه، وليس له تَرْجَمَان ولا حاجبٌ يحجبُه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآيتك مالا وأفضل عليك؟ فما قدّمتَ لنفسك؟ فليَنظُرَنَّ يمينًا وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لِيَنظُرَنَّ قدامه فلا يرى غير جهنم فمن

ولا تلقيه عن نفسها أبداً، كما يفعل مَنْ ليسَ طَوْقًا من الآدميين، ففي هذا البيت من السَّمَانة وخَلَاوة الإشارة ومَلَاحة الاستعارة ما لا مزيدَ عليه، وفي قوله: طَوْقُ الحمامة رَدٌّ على من تأوّل قوله عليه السلام: طَوْقُه من سبع أرضين أنه من الطّاقة، لا من الطّوق في العنق، وقاله الخطابي في أحد قوليه، مع أن البخاري قد رواه، فقال في بعض روايته له: خُسِفَ به إلى سَبْعِ أرضين، وفي مسند ابن أبي شيبَةَ: «من غَصَبَ شَبْرًا من أرض جاء به إسْطَاطًا في عُقَّة»^(١)، والإسْطَاطُ كالحَلَق من الحديد، وسِطَاطُ السيف حُدّه.

الخطبة (٢)

فصل: وذكر خُطبة رسول الله ﷺ - وفيها يقول الله عزّ وجلّ لعبده: ألم أوتِكَ مالا وأفضّلَ عليك، فماذا قدّمتَ. وفي غير هذا الكتاب زيادة، وهي: ألم أوتِكَ مالا، وجَعَلْتُكَ تَرْبِعَ وتَدَسَّعَ؟ وفسره ابن الأَثَرِيِّ، فقال: هو مثل، وأصله: أن الرئيس من العرب كان يَرْبِعُ قومه أي: يأخذ المَرْبَاعَ إذا غزا وتَدَسَّعَ: أي يُعْطِي ويُدْفَع من المالِ لمن شاء، ومنه قولهم: فلان ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبَةَ (٣٥١/٧).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣٩٤/٢) البداية والنهاية (٢١٣/٣) المنتظم (٦٥/٣) الدلائل (٥٢٤/٢).

استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بِشِقِّ من ثمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تُجْزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

الخطبة الثانية

قال ابن إسحاق: ثم خطب رسول الله ﷺ الناس مرة أخرى، فقال: «إِنَّ الْحَمْدَ لله، أَجْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَيْنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أَحِبُّوا، مَا أَحَبَّ اللَّهُ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قَلُوبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبَكُمْ فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ يَخْتَارُ وَيُصْطَفِي، قَدْ سَمَاهُ اللَّهُ خَيْرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ، الصَّالِحِ الْحَدِيثِ، وَمِنْ كُلِّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَاصْدُقُوا اللَّهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ».

الحب

وذكر خطبة رسول الله ﷺ - الثانية، وفيها: «أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قَلُوبِكُمْ»، يريد أن يَسْتَفْرِقَ حُبَّ اللَّهِ جَمِيعَ أَجْزَاءِ الْقَلْبِ، فَيَكُونُ ذِكْرُهُ وَعَمَلُهُ خَارِجًا مِنْ قَلْبِهِ خَالصًا لِلَّهِ، وَإِضَافَةً الْحُبِّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عِبْدِهِ مَجَازًا حَسَنًا لِأَنَّهُ حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ: إِرَادَةُ يَقَارُنُهَا اسْتِدْعَاءُ لِلْمَحْبُوبِ إِمَّا بِالطَّبِيعِ، وَإِمَّا بِالشَّرْعِ، وَقَدْ كَشَفْنَا مَعْنَاهَا بِغَايَةِ الْبَيَانِ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] جَمِيلٌ يَحِبُّ الْجَمَالَ»^(١) وَنَهْنَاهُنَا هُنَاكَ عَلَى تَقْصِيرِ أَبِي الْمَعَالِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ الْمَحَبَّةِ فِي كِتَابِ الْإِرَادَةِ مِنْ كِتَابِ الشَّامِلِ فَلْتَنْظُرْ هُنَاكَ.

من شرح الخطبة:

وقوله عليه السلام: «لَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ يَخْتَارُ وَيُصْطَفِي». الهاء في قوله: فإنه لا يجوز أن تكون عائدةً على كلام الله سبحانه، ولكنها

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في الإيمان (١٤٧) وأحمد (١٣٣/٤) والحاكم (٢٦/١). والله تعالى يُحِبُّ وَيُحِبُّ فَهُوَ الْوَدُودُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَزَّ وَجَلَّ. وانظر مزيد بيان «روضة المحبين» و«مدارج السالكين» للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى.

ضمير الأمر والحديث، فكأنه قال: إن الحديث من كل ما يخلق الله يختار، فالأعمال إذاً كلها من خلق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصاص: ٦٨]، وقوله: «قد سماه خيرته من الأعمال»، يعني: الذكر، وتلاوة القرآن؛ لقوله سبحانه: «ويختار»، فقد اختاره من الأعمال.

وقوله: «والمصطفى من عباده»، أي: وسمى المصطفى من عباده بقوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أي: العمل الذي اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم، فلا تكون من على هذا للتبويض، إنما تكون لا ابتداء الغاية، لأنه عملٌ استخرجه منهم بتوقيفه إياهم. والتأويل الأول أقرب مأخذاً والله أعلم بما أراد رسوله.

وقوله في أول الخطبة: «إن الحمد لله أحمده» هكذا برفع الدال من قوله: الحمد لله وجدته مقيداً مصححاً عليه، وإعرابه ليس على الحكاية^(١)، ولكن على إضمار الأمر كأنه قال: إن الأمر الذي أذكره، وحذف الهاء العائدة على الأمر كي لا يقدم شيئاً في اللفظ من الأسماء على قوله: «الحمد لله»، وليس تقديم إن في اللفظ من باب تقديم الأسماء، لأنها حرف مؤكد لما بعده مع ما في اللفظ من التحري للفظ القرآن والتميم به، والله أعلم.

وكانت خطبته في تلك الأيام على جذع، فلما صُنع له المنبر من طرْفَاء الغابة، وصنعه له عبد لامرأة من الأنصار اسمه باقوم خار الجذع خُوَارِ الناقة الخُلُوج، حتى نزل عليه السلام، فالتزمه، وقال: «لو لم ألتزمه ما زال يَخُور إلى يوم القيامة»^(٢)، ثم دفنه، وإنما دفنه، لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه إلى النبي ﷺ، وهذا ينظر إلى قوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] الآية، وإلى قوله عليه السلام في النخلة: «مثلها كمثل المؤمن»، وحديث خُوَارِ الجذع وحنينه منقول نقل الواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلق وكلهم نقل ذلك، أو سمعوه من غيره فلم ينكره.

(١) أي على النقل من الكلام السابق، كما تقول: إن الله وصف المؤمنين فقال إنهم هم: الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، ثم تقول فكل من «الآمرون والناهون»، ولا تقل: فكل من «الآمرين والناهين» بالجهر رغم تقدم حرف الجر «من» على اللفظتين، ولكن تقول فكل من «الآمرون والناهون» نقلاً عن قولك الأول، ويكون إعرابها: الآمرون: اسم مجرور بمن وعلامة جزه الكسرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الحكاية.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٣/٧) وابن ماجه (١٤١٥) وأحمد (١/٢٤٩/٢٦٧/٣٦٣) والدارمي (١/١٩) والطبراني (١٢/١٨٧) وأبو نعيم في الدلائل (١٤٢).

كتاب الموادة لليهود

قال ابن إسحق: وكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة

كتاب رسول الله ﷺ فيما بينه وبين اليهود^(١)

شرط لهم فيه، وشرط عليهم، وأمنهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وكانت أرض يثرب لهم قبل نزول الأنصار بها، فلما كان سئل العرم، وتفرقت سبًا نزلت الأوس والخزرج بأمر طريفة الكاهنة، وأمر عمران بن عامر، فإنه كان كاهنًا أيضًا وبما سجدت به لكل قبيلة من سبًا، فسجدت لبني حارثة بن ثعلبة. وهم الأوس والخزرج أن ينزلوا يثرب ذات النخل فتزلوها على يهود وحالفوهم وأقاموا معهم، فكانت الدار واحدة.

متى دخل اليهود يثرب؟

والسبب في كون اليهود بالمدينة، وهي وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كنعان أن بني إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز، وكانت منازلهم يثرب والجحفة إلى مكة، فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى، فوجه إليهم جيشًا، وأمرهم أن يقتلوهم، ولا يبقوا منهم أحدًا، ففعلوا وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلامًا حسنًا، فرقوا له، ويقال للملك: الأرقم بن أبي الأرقم فيما ذكر الزبير ثم رجعوا إلى الشام وموسى قد مات، فقالت بنو إسرائيل لهم: قد عصيتم وخالفتم، فلا تؤويكم، فقالوا: نرجع إلى البلاد التي غلبنا عليها فنكون بها، فرجعوا إلى يثرب، فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوس والخزرج بعد سيل العرم. هذا معنى ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الكبير المعروف: بكتاب الأغاني، وإن كان الزبير قد ذكره أيضًا في أخبار المدينة، ولا أحسب هذا صحيحًا لبعد عمر موسى عليه السلام، والذي قال غيره إن طائفة من بني إسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دُوح بخت نصر البابلي في بلادهم، وجاس خلال ديارهم، فحينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز كقرينة والثضير، وسكنوا خيبر والمدينة، وهذا معنى ما ذكر الطبري والله أعلم.

(١) انظر البداية والنهاية (٢٢٢/٣). والحديث أخرجه البخاري (١٩٥/٧) ومسلم (١٥٣٨).

من دون الناس، المهاجرون من قریش على ربعتهم يتعاقلون، بينهم، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عَوْف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تُقدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون

اسم يثرب:

وأما يثرب فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فُعرت باسمه، وهو يثرب بن قاي بن عييل بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لؤذ بن إزم، وفي بعض هذه الأسماء اختلاف وبنو عييل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحفَت بهم السيول وبذلك سُميت الجحفة، فلما احتلها رسول الله - ﷺ - كره لها هذا الاسم أعني: يثرب لما فيه من لفظ الثريب، وسماها طيبة والمدينة.

فإن قلت: وكيف كره اسمًا ذكرها الله في القرآن به، وهو المُقْتَدِي بكتاب الله، وأهل أن لا يعدل عن تسمية الله؟ قلنا: إن الله - سبحانه - إنما ذكرها بهذا الاسم حاكيا عن المنافقين؛ إذ قالت طائفة منهم: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣] فنبهه بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله، وأبوا إلا ما كانوا عليه في جاهليتهم، والله سبحانه قد سماها: المدينة، فقال غير حاكٍ عن أحد: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ [التوبة: ١٢٠]، وفي الخبر عن كعب الأبحار قال: إنا نجد في التوراة يقول الله للمدينة يَا طَابَةُ يَا طَبِيَّةُ يَا مَسْكِينَةَ لَا تَقْبَلِي الْكُنُوزَ أَرْفَعُ أَجَاجِيرَكَ عَلَى أَجَاجِيرِ^(١) الْقُرَى، وقد روي هذا الحديث عن علي بن أبي طالب يرفعه، وروي أيضًا أن لها في التوراة أَحَدَ عَشَرَ اسْمًا: المدينة وَطَابَةُ وَطَبِيَّةُ وَالْمَسْكِينَةُ وَالْجَابِرَةُ وَالْمُعَبَّةُ وَالْمَخْبُوبَةُ وَالْقَاصِمَةُ وَالْمَجْبُورَةُ وَالْعَذْرَاءُ وَالْمَرْحُومَةُ، وروي في معنى قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] أنها المدينة، وأن ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مَكَّةُ و﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ الأنصار.

تفسير على ربعاتهم:

وفي الكتاب: بنو فلان على ربعاتهم. هكذا رواه أبو عبيد عن ابن بكير عن عَقِيل بن خالد [من عَقِيل الأَبْلِي] عن الزهري ورواه عن عبد الله بن صالح بهذا الإسناد، فقال: رِبَاعَتِهِمْ. الألف بعد الباء، ثم قال أبو عبيد: يقال: فلان على رِبَاعِهِ قومه إذا كان نقيبهم ووافدهم.

(١) أجاجير: جمع إجار، وهو السطح الذي ليس له سور.

معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

قال ابن هشام: المُفْرَح: المُثْقَل بالدين والكثير العيال. قال الشاعر:

إذا أنت لم تَبْرَحْ تُؤْذِي أمانةً وتحملُ أخرى أفرَحَتْكَ الودائعُ

وأن لا يحالف مؤمنٌ مؤلى مؤمنٍ دونه؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين؛ وأن أيديهم عليه جميعاً، ولو

قال المؤلف: وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى، لأنها ولاية، وإن جعل الرباعة مصدرًا فالقياس فتح الراء، أي على شأنهم وعاداتهم من أحكام الديات والدماء يتعاقلون معاقلهم الأولى: جمع: مَعْقَلَةٌ وَمَعْقَلَةٌ من العقل وهو الذية.

من كلمات الكتاب:

وقال في الكتاب: وألاً يترك مُفْرَحٌ، وفسره ابن هشام كما فسرهُ أبو عبيد أنه الذي أثقله الدين، وأنشد البيت الذي أنشده أبو عبيد:

إذا أنت لم تَبْرَحْ تُؤْذِي أمانةً وتحملُ أخرى أفرَحَتْكَ الودائعُ

أي: أثقلتك يجوز أن يكون من أفعال السلب، أي سلبتكَ الفرح، كما قيل: أقسط الرجل إذا عدل، أي: أزال القسط، وهو الإغوجاج، ويجوز أن تكون الفاء مُبْدَلَةً من باء، فيكون من البرح وهو الشدة، تقول: لقيت من فلان بَرَحًا أي: شدة، وذكر أبو عبيد رواية أخرى مُفْرَجٌ بالجيم، وذكر في معناه أقوالاً، منها أنه الذي لا ديوان له، ومنها: أنه القتل بين القريتين لا يُدْرَى من قتله، ومنها أنه في معنى المُفْرَح بالحاء أي: الذي لا شيء له، وقد أثقله الدين، أو نحو هذا فيُقْضَى عنه من بيت المال.

كان وَلَدَ أحدهم؛ ولا يَقْتُلُ مؤمنٌ مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يُجبر عليهم أديانهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تَبِعَنَا من يَهُودٍ فَإِنَّ له النصرَ والأُسوةَ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم؛ وإن سَلِمَ المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال. سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كلَّ غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضًا، وإن المؤمنين يُبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه؛ وإنه لا يجبر مشرك مالا لقريش، ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط مؤمنًا قتلاً عن بُيِّنَةٍ فإنه قَوْدٌ به إلا أن يرضى وليُّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيامٌ عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُخَدِّثًا، ولا يُؤويه؛ وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عزَّ وجلَّ، وإلى محمد ﷺ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عَوْف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته، وإن لِيَهُودِ بني الثَّجَارِ مثل ما ليهود بني عَوْف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عَوْف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عَوْف، وإن ليهود بني جُثَمِ مثل ما ليهود بني عَوْف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عَوْف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عَوْف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جَفَنَةَ بطن من ثعلبة كأنفسهم؛ وإن لبني الشُّطَيْبَةِ مثل ما ليهود بني عَوْف، وإن البرّ دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم؛ إن بَطَانَةَ يهود كأنفسهم؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وإنه لا ينحجز على ثار جُرح، وإنه من فَنَكَ فبنفسه فَنَكَ، وأهل بيته، إلا من ظلم، وإن الله على أبرّ هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جَوْفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مُضَارٍّ ولا آثم، وإنه لا يُجار حُرْمَةً إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتِجَارٍ يُخاف فسادَه، فإن مردّه

وفيه: ولا يوتغ إلا نفسه، أي: لا يُوبِقُ، ويهلك إلا نفسه، يقال وَتَعَ الرجلُ، وأوتغَه غيره، قاله أبو عبيد. ومعنى قوله: يُبىء هو من البؤاء، أي: المساواة، ومنه قول مُهَلِّهَلٍ حين قَتَلَ ابْنًا للحارث بن عباد: بُوَيْشِيعَ نَعْلٍ كُتِبَ.

إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلح يصلحونه ويَلْبَسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا مَنْ حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض، من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن هشام: ويقال: مع البرّ المُحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن إسحق: وإن البرّ دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو آثم، وإن الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحق: وأخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال - فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل، تأخّوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هذا أخي فكان رسول الله - ﷺ سيّد المرسلين، وإمام

وقوله: «إن البرّ دون الإثم»، أي: إن البرّ والوفاء ينبغي أن يكون حاجزاً عن الإثم.

وقوله: «وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره»، أي: إن الله وحزبه المؤمنين على الرضى به، وقال أبو عبيد في كتاب الأموال: إنما كتب رسول الله - ﷺ - هذا الكتاب قبل أن تُفرض الجزية، وإذا كان الإسلام ضعيفاً. قال: وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المَعْنَم إذا قاتلوا مع المسلمين، كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب.

المؤاخاة بين الصحابة^(١)

فصل: المؤاخاة بين الصحابة: آخى رسول الله - ﷺ - بين أصحابه حين نزلوا المدينة، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويُسَدُّ أَرزَ بعضهم ببعض،

(١) انظر البداية (٢٢٢/٣) الطبقات لابن سعد (٢٣٨/١) الاكتفاء (٤٦٤/١) المنتظم (٧٠/٣) زاد المعاد (٦٣/٣).

المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسله ﷺ، وعم رسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين، الطيار في الجنة، ومعاذ بن جبل، أخو بني سلمة، أخوين.

قال ابن هشام: وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائبًا بأرض الحبشة.

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ابن أبي قحافة، وخارجة بن زهير، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعثمان بن مالك، أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين؛ وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله، وسعد بن معاذ بن النعمان، أخو بني عبد الأشهل، أخوين. وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين. والزبير بن العوام، وسلامة بن سلامة بن وقش، أخو بني عبد الأشهل، أخوين. ويقال: بل الزبير وعبد الله بن مسعود، حليف، بني زهرة، أخوين، وعثمان بن عفان، وأوس بن ثابت بن المنذر، أخو بني النجار، أخوين.

فلما عز الإسلام واجتمع السُّلَمُ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] أعني في الميراث^(١)، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ يعني في التَّوَادُّ وَشُمُولِ الدَّعْوَةِ. وذكر مؤاخاته بين أبي ذرٍّ والسُّنْدَرِ بن عمرو، وقد ذكرنا إنكار الواقدي لذلك في آخر حديث بيعة العقبة.

نسب أبي الدرداء:

فصل: وذكر مؤاخاة سَلْمَانَ وأبي الدُّرْدَاءِ، وأبو الدُّرْدَاءِ اسْمُهُ عُوَيْمِرُ بن عامر، وقيل: عُوَيْمِرُ بن زيد بن ثعلبة، وقيل: عُوَيْمِرُ بن مالك بن ثعلبة بن عمرو بن قيس بن أمية من بَلْحَارِثِ بن الْخَزْرَجِ، أمه: تَجْبَةُ بنت وقد بن عمرو بن الإطَنْابَةِ، وامراته: أم الدُّرْدَاءِ، اسمها: خَيْرَةُ بنت أبي حَذَرِدٍ، وأم الدرداء الصغرى، اسمها: جُمَانَةُ، مات أبو الدرداء بدمشق سنة اثنين وثلاثين، وقيل: سنة أربع وثلاثين.

(١) لعله يعني: أن الرسول ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار علي المواساة، والتوارث بعد الموت فلما أعز الله تعالى الإسلام بعد وقعة بدر، وأنزل الله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ نسخت هذه الآية ما قبلها وانقطعت المؤاخاة في التوارث. وهو الصحيح.

وطلحة بن عبيد الله، وكعب بن مالك، أخو بني سلمة، أخوين. وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي بن كعب، أخو بني النجار: أخوين؛ ومصعب بن عمير بن هاشم، وأبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النجار: أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش، أخو بني عبد الأشهل: أخوين. وعمار بن ياسر، حليف بني مخزوم، وحذيفة بن اليمان، أخو بني عبد عبس، حليف بني عبد الأشهل: أخوين ويقال: ثابت بن قيس بن الشماس، أخو بلحارث بن الخزرج، خطيب رسول الله ﷺ، وعمار بن ياسر: أخوين. وأبو ذر، وهو بُرَيْر بن جُنَادَة الْغِفَارِيّ والمُنْذِر بن عمرو، الْمُعْنِق ليموت، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: أخوين.

قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من العلماء يقول: أبو ذر: جُنْدَب بن جُنَادَة.

قال ابن إسحاق: وكان حاطب بن أبي بلتعة، حليف بني أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة، أخو بني عمرو بن عوف، أخوين، وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء، عويم بن ثعلبة، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين.

قال ابن هشام: عويم بن عامر، ويقال: عويم بن زيد.

قال ابن إسحاق: وبلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما، مؤذن رسول الله ﷺ، وأبو رُوَيْحَة، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي، ثم أحد الفزح، أخوين. فهؤلاء من سمي لنا، ممن كان رسل الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه.

بلال يوصي بديوانه لأبي رويحة:

فلما دَوَّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام، وكان بلال قد خرج إلى الشام، فأقام بها مُجَاهِدًا، فقال عمرُ لبلال: إلى من تجعل ديوانك يا بلال؟ قال: مع أبي رُوَيْحَة، لا أفارقه أبدًا، للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بينه وبينني، فضمَّ إليه، وضمَّ ديوان الحبشة إلى خثعم، لمكان بلال منهم، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام.

أبو أمانة:

قال ابن إسحاق: وهلك في تلك الأشهر أبو أمانة، أسعد بن زرارَة، والمسجد بيني، أخذته الذبحة أو الشهقة.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة: أن رسول الله ﷺ، قال: «بئس الميت أو أمانة، ليهود ومُنافقوا العرب يقولون: لو كان نبياً لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري: أنه لما مات أبو أمانة، أسعد بن زُرارة، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ، وكان أبو أمانة نقيبهم، فقالوا له: يا رسول الله، إن هذا قد كان منّا حيث قد علمت، فاجعل منّا رجلاً مكانه يُقيم من أمرنا ما كان يُقيم، فقال رسول الله ﷺ لهم: «أنتم أخوالي، وأنا بما فيكم، وأنا نقيبكم»^(٢)، وكره رسول الله ﷺ أن يخص بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بني النجار الذي يُقدّون على قومهم، أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم.

نسب الفرع:

فصل: وذكر مؤاخاة أبي زُوَيْحَة وبلال، وسماء: عبّد الله بن عبد الرحمن، وقال: هو أحد الفرع، لم يبينه بأكثر من هذا، والفرع عند أهل النسب، هو ابن شهران بن عفرس بن حُلف بن أقتل، وأقتل هو خثعم. وقد تقدم في أول الكتاب: لِمَ سمي خثعم وهو ابن أنمار، وقد تقدم خلاف النسابين فيما بعد أنمار.

والفرع هذا بفتح الزاي، وأما الفرع بسكونها، فهو الفرع بن عبد الله بن ربيعة [بن جندل]، وكذلك الفرع في خُراعة، وفي كلب هما ساكنان أيضًا قاله ابن حبيب، وقال الدارقطني: الفرع بفتح الزاي: رجل يزوي عن ابن عمر.

وذكر آخر في الرواة أيضًا بفتح الزاي يزوي حديثًا في الكذب على رسول الله ﷺ، يروي أن رسول الله ﷺ عقد لأبي زُوَيْحَة الخثعمي لواء عام الفتح، وأمره أن ينادي: «مَنْ دخل تحت لواء أبي زُوَيْحَة، فهو آمن»^(٣).

مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة:

فصل: وذكر مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة وعُوزيم بن ساعدة، وقال في حاطب: حليف

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٩/٢) وأحمد (١٣٨/٤) والحاكم (٢١٤/٣) والطبراني (١٠١/٦) وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٥١٥) وابن سعد في الطبقات (١٤١/٧٣).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٩/٢) من طريق المصنف به.

(٣) انظر جامع المسانيد (٦٠٩/٢).

.....

بني أسد، وقال غيره: كان عَبْدًا لِعُبَيْدِ اللَّهِ بن حميد بن زُهَيْر بن أسد بن عبد العزَّى، وقيل: كان من مَذْحِج، والأشهر: أنه من لُحْم بن عَدِي، واسم أبي بَلْتَعَةَ عَمْرُو بن أَشَدَّ بن مَعَاذٍ. وَالبَلْتَعَةُ من قولهم: تَبَلَّتْ الرجلُ إذا تَطَرَّفَ، قاله أبو عبيد في الغريب المصنف.

خبر الأذان

قال ابن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار، استحکم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفُرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفُرض الحلال والحرام، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبؤوا الدار والإيمان. وقد كان رسول الله ﷺ حين قَدِمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مَوَاقِيتِها، بغير دَعْوَةٍ فهم رسول الله ﷺ حين قَدِمها أن يجعل بُوقًا كَبُوقَ يَهُودَ الذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالنَّاقوس، فَتُجَتُّ لِيُضْرَبَ به للمسلمين للصلاة.

بدء الأذان^(١)

ذكر حديث عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، هكذا ذكره، وأكثر النسابة يقولون: زيد بن عبد ربه، وثعلبة أخو زيد ذكر حديثه عندما شاور رسول الله ﷺ أصحابه في الأذان، فقال بعضهم: ناقوس كناقوس النصارى، وقال بعضهم: بُوق كبوق اليهود، وفي غير السيرة أنهم ذكروا الشُّبُورَ، وهو البوق. قال الأَضْمَعِيُّ للمُقَضَّل، وقد نازعه في معنى بيت من الشعر، فرفع المفضل صوته، فقال الأَضْمَعِيُّ لو نَفَخْتَ في الشُّبُور ما نفعك، تكلم كلام النمل وأصيب!!.

(١) انظر خبر الأذان في الطبقات لابن سعد (٢٤٦/١) البداية والنهاية (٢٣١/٣) المنتظم (٧٧/٣) الاكتفاء (٤٦٥/١) وانظر حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه. في مسلم (٣٧٩) وأبو داود (٤٩٨ - ٤٩٩) بتحقيقي. وابن ماجه (٧٠٦) والترمذي (١٨٩). أخرجه بعضهم مختصرًا وبعضهم مطوَّلًا.

فبينما هم على ذلك، إذ رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، أخو بلحارث بن الخزرج، النداء، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، إنه طاف بي هذه الليلة طائف: مرَّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوسًا في يده، فقلت له: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعوا به إلى الصلاة،

وذكروا أيضًا القُنع وهو القَرْن، وقال بعضهم: هو تصحيف إنما هو القُنع والقُنع أولى بالصواب، لأنه من أُنْع صَوْتُهُ إذا رَفَعه، وقال بعضهم: بل نوقد نازًا، ونرفعها، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة، وقال بعضهم: بل نبعث رجلًا ينادي بالصلاة، فبينما هم في ذلك أُرِيَ عبدُ الله بن زيد الرؤيا التي ذكر ابن إسحاق، فلما أخبر بها رسولُ الله ﷺ - وأمره أن يُلقِيها على بلال، قال: يا رسول الله أنا رأيتها، وأنا كنت أحبها لنفسي، فقال: «ليؤذن بلال»، ولتُقيم أنت، ففي هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل، ويقيم غيره وهو معارض لحديث زياد بن عبد الله الصَّدِّيِّ حين قال له النبي - ﷺ: «مَنْ أَدْنُ فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ يُقِيمَ»^(١)، في حديث طويل إلا أنه يدور على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقيي وهو ضعيف، والأول أصح منه. قال أبو داود: وترجم الأنصار أن عبدَ الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضًا، ولولا ذلك لأمره رسولُ الله ﷺ - بالأذان، وقد تكلمت العلماء في الحكمة التي خصت الأذان بأن رآه رجل من المسلمين في نومه، ولم يكن عن وَحْيٍ من الله لنبيه كسائر العبادات والأحكام الشرعية، وفي قول النبي - ﷺ: له: «إنها لرؤيا حَقٌّ»، ثم بنى حكم الأذان عليها، وهل كان ذلك عن وحي من الله له، أم لا؟ وليس في الحديث دليلٌ على أن قوله ذلك كان عن وَحْيٍ، وتكلموا: لِمَ لَمْ يُؤذَّن رسولُ الله ﷺ؟ وهل أذن قط مرَّةً من عُمره دهره أم لا؟.

فأما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحي فلأن رسولَ الله ﷺ قد أُرِيَ ليلة الإسراء، وأُسمِعَهُ مَسَاهِدَةً فوق سَبْعِ سَمَوَاتٍ^(٢)، وهذا أقوى من الوحي، فلما تأخر فرضُ الأذان إلى المدينة، وأرادوا إعلام الناس بوقت الصلاة تَلَبَّثَ الوحي

(١) «ضعيف». أخرجه أبو داود (٥١٤) والترمذي (١٩٩) وابن ماجه (٧١٧) والبيهقي (٣٨١/١) وأبو نعيم في الحلية (١١٤/٧). وفيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي: ضعيف.

(٢) خبر سماع الأذان أخرجه البزار (١٦٣/٣) بسند فيه كذاب، فارم به. وكثيرًا ما بيني السهيلي رحمه الله تعالى على الحديث، وقد يكون ضعيفًا أو موضوعًا كحديث الباب، وقد مرَّ التنبيه على هذا غير مرة، فانتبه. وسيأتي الحديث مسندًا. وفيه زياد بن المنذر وكذبه غير واحد.

قال: أَفَلَا أدلك على خيرٍ من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

حتى رأى عبد الله الرؤيا، فوافقت ما رأى رسول الله ﷺ؛ فلذلك قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، وعلم حينئذ أن مُراد الحق بما رآه في السماء، أن يكونَ سُنةً في الأرض، وقوى ذلك عنده موافقةً رؤيا عمر للأنصاري مع أن السكينة تنطق على لسان عُمر واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي ﷺ من المؤمنين، لما فيه من التثوية من الله لعبده، والرفع لذكره، فلأن يكونَ ذلك على غير لسانه أثوّ به وأفخم لسانه، وهذا معنى بين فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فَمِنْ رَفَعِ ذكره أن أشاد به على لسان غيره. فإن قيل: وَمَنْ رَوَى أنه أَرى النداء من فوق سبع سَمَوَات، قلنا: هو في مسند أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار.

حدثنا أبو بكر محمد بن طاهر الإشبيلي سماعاً وإجازةً عن أبي علي الغساني عن أبي عمر التَّمَرِيّ بإسناده إلى البزار، قال البَزَّار: نا محمد بن عثمان بن مَخْلَد، نا أبي عن زياد بن المنذر، عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: لما أراد الله أن يُعَلِّمَ رسوله الأذان أتاه جبريلُ ﷺ بدأيةً يقال لها البراق، فذهب يركبها، فاستصعبت، فقال لها جبريل: اسكني فوالله ما ركبك عبدٌ أكرم على الله من محمد - ﷺ - قال: فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن - تبارك وتعالى - قال: فبينما هو كذلك، إذ خرج ملكٌ من الحجاب، فقال رسول الله - ﷺ -: «يا جبريل مَنْ هذا؟» فقال: والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكاناً، وإن هذا الملك ما رأيته مُنْذُ خُلِقْتُ قبل ساعتِي هذه، فقال: «الملك: الله أكبر، الله أكبر»، قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبيدي أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبيدي أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: فقيل من وراء الحجاب: صدق عبيدي أنا أكبر أنا أكبر، ثم أخذ الملك بيد محمد - ﷺ - فقدمه فأَمَّ أهل السماء، فيهم آدمٌ ونوحٌ قال أبو جعفر محمد بن علي: يومئذ أكمل الله لمحمد - ﷺ - الشرف على أهل السموات والأرض.

فلما أَخْبَرَ بها رسولُ الله ﷺ، قال: إنها لَرُؤْيَا حَقٍّ، إِنْ شَاءَ اللهُ، فقم مع بلال فألقِها عليه، فَلْيُؤَدِّنْ بها، فإنه أُنْذَى صوتًا منك. فلما أَدَّنَ بها بلالٌ سَمِعَهَا عمرُ بن الخطاب، وهو في بيته، فخرج إلى رسولِ الله ﷺ، وهو يجرُ رداءه، وهو يقول: يا نبيَّ الله، والذي بعثك بالحقِّ، لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسولُ الله ﷺ: «فَلِلَّهِ الحمد على ذلك».

قال المؤلف: وأَخْلَقْتُ بهذا الحديث أن يكون صحيحًا لما يَغْضُدُهُ وَيُسَاكِلُهُ من أحاديث الإسراء فبمجموعها يحصل أن معاني الصلاة كلها وأكثرها، قد جمعها ذلك الحديث، أعني الإسراء، لأن الله - سبحانه - رفع الصلاة الي هي مُنَاجَاةٌ عن أن تُفَرَّضَ في الأرض، لكن بالحضرة المقدَّسة المطهَّرة^(١)، وعند الكعبة العليا، وهي البيت المعمور، وقد ذكرنا طَرَفًا من هذا الغرض، ونَبَذًا من هذا المقصد في شرح حديث الإسراء وينضاف إليها في هذا الحديث ذكر الأذان الذي تضمنه حديثُ البزار مع ما روي أيضًا أنه مَرَّ وهو على البراق بملائكة قيام، وملائكة ركوع، وملائكة سُجُودٍ وملائكة جُلُوسٍ، والكلُّ يُصَلُّونَ لله، فجمعت له هذه الأحوال في صلاته، وحين مَثَلُ بالمقام الأعلى، ودنا فتدلى أَلَهُمْ أن يقول: التحيات لله إلى قوله: الصلوات لله، فقالت الملائكة: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقالت الملائكة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسولُ الله، فجمع ذلك له في تشهده^(٢).

وانظر بقلبك كيف شُرِعَ له عليه السلام ولأمته أن يقولوا تسع مرات في اليوم واللييلة في تسع جلسات في الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، فيحيون ويحيون تحية من عند الله مباركة طيبة، ومن قوله: السلام علينا كما قيل لهم، فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله، ومن ثم قال: الطيبات المباركات، كما في رواية ابن عباس في التشهد انظر إلى هذا كله كيف حيا وحيي تسع مرات، حَيَّته ملائكة كلِّ سماء، وحيَّاهم، ثم ملائكة الكرسي، ثم ملائكة العرش، فهذه تسع، فجعل التشهد في الصلوات على عدد تلك المرات التي سلَّم فيها وسلَّم عليه، وكلها تحيات لله، أي: من عند الله مباركة طيبة، هذا إلى ثكت ذكرناها في شرح سُبْحَانَ الله وبحمده، فإذا جمعت بعض ما ذكرناه إلى بعض عَرَفْتَ جملة من أسرار الصلاة وفوائدها الجليلة دون الخفية، وأما بقية أسرارها وما تضمنته أحاديث الإسراء من أنوارها، وما في الأذان من

(١) تقدم التنبيه غير مرة على هذه اللفظة ونسبتها إلى الله تعالى.

(٢) انظر التخرُّج قبل السابق.

رؤيا عمر في الأذان:

قال ابن إسحاق: حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، عن أبيه.

لطائف المعاني والحكم، في افتتاحه بالتكبير وختمه بالتكبير مع التكرار، وقول: لا إله إلا الله في آخره، وأشهد أن لا إله إلا الله في أوله^(١)، وما تحت هذا كله من الحكم الإلهية التي تملأ الصدور هيبة وتُنور القلوب بنور المحبة، وكذلك ما تضمنته الصلاة في شفعها ووثرها والتكبير في أركانها، ورفع اليدين في افتتاحها، وتخصيص البقعة المكرومة بالتوجه إليها، مع فوائد الوضوء من الأحداث لها، فإن في ذلك كله من فوائد الحكمة، ولطائف المعرفة ما يزيد في تلج الصدور، ويكحل عين البصيرة بالضياء والنور، ونعوذ بالله أن ننزع في ذلك بمنزعة فلسفي أو مقالة بدعي، أو رأي مجرد من دليل شرعي، ولكن بتلويحات من الشريعة، وإشارات من الكتاب والسنة يغضد بعضها بعضاً، وينادي بعضها بتصديق بعض: ﴿وَلَوْ كَانُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. لكن أضربنا في هذا الكتاب عن بث هذه الأسرار، فإن ذلك يخرج عن الغرض المقصود، ويشغل عما صمَدنا^(٢) إليه في أول الكتاب، ووعدنا به الناظر فيه من شرح لغات وأنساب وآداب، والله المستعان^(٣).

وقد عُرفت رؤيا عبد الله بن زيد وكيفية برواية ابن إسحاق وغيره، ولم تُعرف كيفية رؤيا عمر حين أري النداء، وقد قال: قد رأيت مثل الذي رأى، لكن في مُسنَد الحارث بيان لها. روى الحارث [بن أبي أسامة] في مُسنده أن رسول الله - ﷺ - قال: «أول من أذن بالصلاة جبريل أذن بها في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالاً إلى رسول الله - ﷺ - فأخبره بها، فقال عليه السلام لبلال: «سبقك بها

(١) قال بعضهم: الحكمة في قول المؤذن أولاً: «أشهد أن لا إله إلا الله» وفي نهايته «لا إله إلا الله» دون الشهادة؛ أنه قد يكون المؤذن كاذباً في شهادته الأولى وقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله» قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ﴾؛ فإنه إن كان كاذباً في شهادته الأولى وقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله» إلا أنه صادق في قوله في نهاية الأذان: «لا إله إلا الله» ولهذا كانت خاتمة الأذان هذه الكلمة وليس الشهادة. فتأمل.

(٢) صمدنا: أي توجهنا إليه. انظر للمحقق «القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى».

(٣) انظر لابن القيم في أسرار الصلاة وفوائدها: «الوبل الصيب» (٣٤ - ٤٢) تارك الصلاة، شفاء العليل (٤٥٢) إغاثة اللهفان (١/١٠٧/١٠٨/١٤٦/١٥٦) حكم سماع الغناء (١١٣) وللمحقق كل ما تقدم وزيادة في كتاب «الصلاة وأسرارها».

قال ابن هشام: وذكر ابن جُرَيج، قال: قال لي عطاء: سمعت عُبيد بن عُمَيْر اللَّيْثِي يقول: ائْتَمَر النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ بِالنَّاقُوسِ لِلْاجْتِمَاعِ لِلصَّلَاةِ، فَبَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَرِي خَشَبَتَيْنِ لِلنَّاقُوسِ، إِذْ رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْمَنَامِ: لَا تَجْعَلُوا النَّاقُوسَ، بَلْ أَذْنُوا لِلصَّلَاةِ. فَذَهَبَ عُمَرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي رَأَى، وَقَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَحْيَ بِذَلِكَ، فَمَا رَاعَ عُمَرُ إِلَّا بِلَالًا يُؤَذِّنُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ: قَدْ سَبَقَكَ بِذَلِكَ الْوَحْيُ ^(١).

ما كان يقوله بلال في الفجر:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن امرأة من بني النجار، قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذِّن عليه للفجر كلَّ غداة، فيأتي بسحر، فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطى، ثم قال: اللهم إني أحمدك وأستعينك على قریش أن يُقيموا على دينك. قالت: والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة ^(٢).

عمر ^(٣)، وذكر باقي الحديث. وظاهرُ هذا الحديث أن عمرَ سمع ذلك في اليقظة، وكذلك رؤيا عبد الله بن زيد في الأذان رآها، وهو بين النائم واليقظان: قال: ولو شئت لقلت: كنت يَقْظَانًا.

فصل: وأما قولُ السائل: هل أذن رسولُ الله ﷺ بنفسه قط، فقد روى الترمذي من طريقٍ يدور على عمر بن الرماح يرفعه إلى أبي هريرة أن رسولَ الله - ﷺ - أذن في سفر، وصلى بأصحابه، وهم على زَوَاحِلِهِمْ، السماء من فوقهم والبلّة من أسفلهم ^(٤)، فتَرَخَّ بعضُ الناس بهذا الحديث إلى أنه أذن بنفسه، وأسنده الدارقطني بإسناد الترمذي إلا أنه لم يذكر عمرَ بن الرماح، ووافقه فيما بعده من إسنادٍ ومثني، لكنه قال فيه: فقام المؤذن، فأذن، ولم يقل: أذن رسولُ الله - ﷺ - والمتَّصِلُ يَقْضِي على الْمُجْمَلِ المُحْتَمَلِ، والله أعلم.

(١) انظر أيضًا مصنف عبد الرزاق (١٧٧٥) والبداية (٢٣٣/٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٩) بتحقيق. وفيه مجهول. وهي المرأة من بني النجار.

(٣) أخرجه الحارث بن أبي أسامة بسند ضعيف. انظر الطالب (٢٢٤) الفتح (٧٨/٢).

(٤) أخرجه الترمذي.

أبو قيس بن أبي أنس

قال ابن إسحاق: فلما اطمأنت برسول الله ﷺ داره، وأظهر الله بها دينه، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس، أخو بني عدي بن النجار.

قال ابن هشام: أبو قيس، صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

قال ابن إسحاق: وكان رجلاً قد ترهب في الجاهلية، ولبس المُسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء، وهَمَّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها، ودخل بيتاً له، فاتخذة مسجداً لا تدخله عليه فيه طامث ولا جنب، وقال: أعبد رب إبراهيم، حين فارق الأوثان وكرهها، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فأسلم وحسن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قولاً لله عز وجل في جاهليته، يقول أشعاراً في ذلك

حديث صرمة بن أبي أنس^(١)

واسم أبي أنس: قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عمرو بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري، وهو الذي أنزل الله فيه، وفي عمر رضي الله عنهما: «أجل لكم ليلة الصيام الرُقْتُ إلى نسائكم» [البقرة: ١٨٧] إلى قوله: «وعفا عنكم» فهذه في عمر، ثم قال: «وكلوا واشربوا» إلى آخر الآية، فهذه في صرمة بن أبي أنس، وذلك أن إتيان النساء ليلاً في رمضان كان مُحَرَّمًا عليهم في أول الإسلام بعد النوم، وكذلك الأكل والشرب كان مُحَرَّمًا عليهم بعد النوم فأما عمر، فأراد امرأته ذات ليلة، فقالت له: إني قد نمت، فقال: كذبت ثم وقع عليها، وأما صرمة فإنه عمل في حائطه وهو صائم، فجاء الليل وقد جهده الكلال فغلبته عينه قبل أن يفطر، فجاءته امرأته بطعام كانت قد صنعت له، فوجدته قد نام، فقالت له: الخبيثة لك حرُم عليك الطعام والشراب فبات صائماً، وأصبح إلى حائطه يعمل فيه، فمر به رسول الله ﷺ، وهو طليح قد جهده العطش مع ما به من الجوع والنصب، فسأله رسول الله - ﷺ - فأخبره بقصته فرق عليه السلام، ودمعت عيناه، فأنزل الله تعالى الرخصة، وجاء بالفرج. بدأ بقصة عمر لفضله، فقال: «فالآن باشرؤهن» ثم بصرمة فقال: «وكلوا واشربوا» قال بعض أشياخ الصوفية: هذه العناية من الله أخطأ عمر خطيئة فرجحت الأمة بسببها.

(١) انظر الاستيعاب (١/٧٣٧).

جَسَانًا - وهو الذي يقول:

يقول أبو قَينس وأصبح غاديًا:
فأوصيكم بالله والبرِّ والثَّقَى
وإن قومكم سادوا فلا تَحْسُدُونهم
وإن نزلت إحدى الدواهي ب قومكم
وإن تاب عُزْم فادح فارقوهم
وإن أنتمُ أمعرتُم فتعففوا
ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
وأعراضكم والبرُّ بالله أولُ
وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
فأنفُسكم دون العَشيرة فاجعلوا
وما حَمَلوكم في المُلِمات فاحملوا
وإن كان فضلُ الخير فيكم فأفضِلوا

من شرح شعره:

وذكر من شعر صرمة:

فأوصيكم بالله والبرِّ والثَّقَى وأعراضكم والبرُّ بالله أولُ

برفع البر على الابتداء، وأول خبر له، وقد يحتمل في الظاهر أن يكون ظرفًا في موضع الخبر، ولكن لا يجوز ذلك في هذه الظروف المبنية على الضم أن تكون خبر المبتدأ، لا تقول: الصلاة، قبل إلا أن تقول: قبل كذا، ولا الخروج بعد إلا أن تقول: بعد كذا، وذلك لسرِّ دقيق قد حوِّم عليهما ابنُ جني^(١) فلم يُصِبِ المَفْصِل، والذي منع من ذلك أن هذه الغايات إنما تعمل فيها الأفعال المَلْفُوظُ بها لأنها غايات لأفعالٍ متقدمة، فإذا لم تأتِ بفعل يعمل فيها، لم تكن غايةً لشيء مذكور، وصار العامل فيها معنويًا، وهو: الاستقرار، وهي مضافة في المعنى إلى شيء، والشيء المضاف إليه معنوي، لا لفظي، فلا يدل العامل المعنوي على معنوي آخر، إنما يدل عليه الظاهر اللفظي، فتأملُه، فالضمة في أول على هذا حركة إعراب، لا حركة بناء، ولو قال: ابدأ بالبر أولُ لكانت حركة بناء، لكن من رواه: والبرُّ بالله أولُ بخفض الراء من البر فأول حينئذ ظرف مبني على الضم يعمل فيه: أوصيكم.

وفيه:

وإن أنتم أمعرتُم فتعففوا

الإمعارُ: الفقر.

(١) انظر الخصائص لابن جني (٢/٣٦٢).

قال ابن هشام: ويروى:

وإن ناب أمرٌ فادح فازفدوهمُ

قال ابن إسحق: وقال أبو قيس صِرْمَةٌ أيضًا:

سَبِّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاحٍ	طلعت شمسُه وكُلُّ هِلَالٍ
عالم السَّرِّ والبَيَانِ لَدَيْنَا	ليس ما قال ربُّنا بضلال
وله الطَّيْرُ تَسْتَزِيدُ وتَأْوِي	في وُكُورٍ من آمِنَاتِ الجبال
وله الوحشُ بالفلاة تراها	في حِقَافٍ وفي ظلال الرِّمال
وله هَوْدَتُ يَهُودٍ ودانت	كُلُّ دينٍ إذا ذَكَرَتْ عُضَالُ
ولَه شَمْسُ النُّصَارَى وقاموا	كُلَّ عِيدٍ لربِّهم واختِفَالُ
وله الرَّاهِبُ الحَبِيسُ تراه	رَهْنُ بُؤْسٍ وكانَ ناعِمَ بال

ومن شعره:

سَبِّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاحٍ طلعت شمسُه وكُلُّ هِلَالٍ

الشرق: طلوع الشمس، وهو من أسمائها أيضًا، وكذلك الشَّرْقُ بفتح الراء وكُلُّ هلال بالنصب على الظرف، أي: وقت كُلِّ هلال، ولو قلت في مثل هذا: وكُلُّ قمر على الظرف، لم يجز، لأن الهلال قد أُجْرِيَ مُجْرَى المصادر في قولهم: الليلة الهلال؛ فلذلك صح أن يكون ظرفًا لأن المصادر قد تكون ظروفًا لمعانٍ وأسرار ليس هذا موضعًا لذكرها، ولو خفضت وكُلُّ هلال عطفًا على صباح، لم يجز لأن الشَّرْقَ لا يضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح.

وفيه:

وله شَمْسُ النصارى

يعني دين الشَّمَامِسة^(١)، وهم الرُّهْبَانُ لأنهم يُشَمُّسُونَ أنفسهم، يريدون تعذيب النفوس بذلك في زعمهم.

(١) الشماسة: جمع شماس، خادم الكنيسة أقل رتبة من القسيس - ألا لعنة على الكافرين جميعًا.

يا بَنِي الْأَرْحَامِ لَا تَقْطَعُوهَا وَصَلُّوْهَا قَصِيْرَةً مِنْ طَوَالٍ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي ضِعَافِ الْيَتَامَى رِيْمًا يُسْتَحَلُّ غَيْرُ الْحَلَالِ
 وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلْيَتِيْمِ وَلِيًّا عَالِمًا يَهْتَدِي بِغَيْرِ السَّوَالِ
 ثُمَّ مَالِ الْيَتِيْمِ لَا تَأْكُلُوْهُ إِنَّ مَالِ الْيَتِيْمِ يَرْعَاهُ وَالِي

وفيه:

يا بَنِي الْأَرْحَامِ لَا تَقْطَعُوهَا

بنصب الأرحام، وهو أجود من الرفع في هذا الموضع للنهي.

وقوله:

وَصَلُّوْهَا قَصِيْرَةً مِنْ طَوَالٍ

وقد أملينا فيها في غير هذا الكتاب ما نعيده ههنا بحول الله، وأملينا أيضًا في معنى الرِّجْم واشتقاق الأم لإضافة الرِّحْم إليها، ووضعها فيه عند خلق آدم وحواء، وكون الأم أعظم حَقًّا في البرِّ من الأب، مع أنها في الميراث دونه أسرارًا بديعة، ومعاني لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية، فلتنظر هنالك.

وأما قوله: قَصِيْرَةً مِنْ طَوَالٍ، فيحتمل تأويلين أحدهما: أن يريد: صَلُّوا قَصْرَهَا مِنْ طَوِيلِكُمْ، أي: كونوا أنتم طوالاً بالصَّلَّة والبرِّ إن قصرت هي، وفي الحديث: أنه قال لأزواجه: «أَسْرَعُكُمْ لِحَوْقًا بِي: أَطْوَلُكُمْ يَدًا فَاجْتَمَعْنَ يَتَطَاوَلْنَ، فَطَالَتِ سَوْدَةُ، فَمَاتَتْ زَيْنَبُ أُولَهنَّ»^(١) أراد الطَّوْل بالصدقة والبر، فكانت تلك صفة زَيْنَب بنت جَحْش. والتأويل الآخر: أن يريد مدحًا لقومه بأن أرحامهم قصيرة النسب، ولكنها من قوم طوال كما قال:

أَحَبُّ مِنَ النُّسْوَانِ كُلِّ طَوِيلَةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ قَصِيرُ

وقال الطائي:

أَنْتُمْ بَنُو النَّسَبِ الْقَصِيرِ وَطَوِيلِكُمْ بِإِدِّ عَلَى الْكُبَرَاءِ وَالْأَشْرَافِ

والنَّسَبُ القصير: أن يقول: أنا ابنُ فلانٍ فيُعرف، وتلك: صفة الأشراف، ومن ليس بشريف لا يُعرف حتى يأتي بنسبة طويلة يبلغ بها رأس القبيلة. وقد قال زُؤْبَةُ: قال لي

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في الفضائل (١٠١) والحاكم (٢٥/٤) والطحاوي في المشكل (٨٢/١).

يا بَنِي، التَّخُومَ لَا تَخْزِلُوهَا إِنَّ خَزَلَ الثُّخُومَ ذُو عُقَالٍ
يا بَنِي الْأَيَّامِ لَا تَأْمَنُوهَا واحذروا مَكْرَهَا وَمَرَّ اللَّيَالِي
واعلموا أَنَّ مَرَّهَا لِنَفَادِ الْخَلْدِ لَقِيَ مَا كَانَ مِنْ جَدِيدٍ وَيَالِي
واجتمعوا أَمْرَكُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقَى سَوَى وَتَرَكَ الْخَنَا وَأَخَذَ الْحَلَالَ

وقال أبو قَيْسٍ صِرْمَةً أَيْضًا، يَذْكُرُ مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَمَا خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نُزُولِ رَسُولِهِ ﷺ عَلَيْهِمْ:

تَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا
وَيَغْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَرَ مِنْ يُوِيٍّ وَلَمْ يَرِ دَاعِيَا
فَلَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةِ رَاضِيَا
وَأَلْفَى صَدِيقًا وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى وَكَانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا
يَقْضُ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمَنَادِيَا
فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا قَرِيبًا وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا
بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حَلٍّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالتَّاسِيَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرِهِ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا
نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا
أَقُولُ إِذَا أَدْعُوكَ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ: تَبَارَكْتَ قَدْ أَكْثَرْتَ لِاسْمِكَ دَاعِيَا
أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتَ أَرْضًا مَخُوفَةً خَنَائِكَ لَا تُظْهِرُ عَلَيَّ الْأَعَادِيَا

النِّسَابَةُ: مَنْ أَنْتَ انْتَسِبَ، فَقُلْتُ: رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ، فَقَالَ: قَصَّرْتُ وَغُرِفْتُ. وَقَوْلُهُ:

إِنْ خَزَلَ الثُّخُومَ ذُو عُقَالٍ

الثُّخُومُ: جَمْعُ: تَخُومَةٍ، وَمِنْ قَالَ: تَخَمْتُ فِي الْوَاحِدِ، قَالَ: فِي الْجَمْعِ تُخُومٌ بِضَمِّ
التَّاءِ، وَأَرَادَ بِهَا الْأَرْفَ [أَوْ الْأَرْتَ] وَهِيَ الْحُدُودُ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: الثُّخُومُ وَالتُّخُومُ:
حُدُودُ الْبِلَادِ وَالْقُرَى، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حُدُودِ الْأَخْقَالِ الْأَرْفَ. وَالْعُقَالُ: مَا يَمْنَعُ الرَّجُلَ مِنَ
الْمَشْيِ، وَيَعْقِلُهَا يَرِيدُ أَنَّ الظِّلْمَ يُخَلِّفُ صَاحِبَهُ وَيَعْقِلُهُ عَنِ السَّبَاقِ، وَيَخْبِسُهُ فِي مَضَايِقِ
الْإِحْتِقَاقِ.

فَطَأُ مُغْرِضًا إِنْ الْحُتُوفَ كَثِيرَةً وَإِنَّكَ لَا تُبْقِي لِنَفْسِكَ بَاقِيَا
فَوَاللَّهِ مَا يَذْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَبْقَى إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا
وَلَا تَحْفِلُ الثُّخْلُ الْمُعِيْمَةُ رَبُّهَا إِذَا أَصْبَحَتْ رَبًّا وَأَصْبَحَ ثَاوِيَا
قال ابن هشام: البيت الذي أوله:

فَطَأُ مُغْرِضًا إِنْ الْحُتُوفَ كَثِيرَةً

والبيت الذي يليه:

فَوَاللَّهِ مَا يَذْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَبْقَى

وذكر قصيدته الياثية، وقال فيها: فَطَأُ مُغْرِضًا. البيت، قال ابن هشام: هو لأَفْتُونُ التَّغْلِييِّ، واسمه صُرَيْمُ بْنُ مَعْشَرٍ [بن ذُحَلِّ بْنِ تَيْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَنَمِ بْنِ تَغْلِبٍ]. قال المؤلف وسمي أَفْتُونًا في قول ابن دُرَيْدٍ لبيت قاله فيه:

مَنْئِينَا الْوُدَّ يَا أَفْتُونُ مَظْنُونُ

أو نحو هذا اللفظ. والأَفْتُونُ: الغُضُنُ الناعم، والأَفْتُونُ أيضًا العجوز الفانية، وأفْتُونُ هو الذي يقول:

لَوْ أَنِّي كُنْتُ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِزَمٍ عَزِيَّ بِهِمْ وَلَقَمَانٍ وَذِي جَدَنٍ
لَمَّا وَقَوْا بِأَخِيهِمْ مِنْ مُهَوَّلَةٍ أَخَا السُّكُونِ وَلَا جَارُوا عَنِ السَّنَنِ
أَتَى جَزَوْا عَامِرًا سِوَى بِفِعْلِهِمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوَى مِنَ الْحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ رِثْمَانُ أَتَفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ^(١)

وقول ابن هشام في البيتين: فَطَأُ مُغْرِضًا والذي بعده أنهما لأَفْتُونُ التَّغْلِييِّ المذكور عند أهل الأخبار، ولها سبب ذكروا أن أَفْتُونًا خرج في ركب، فمروا بربوة تعرف: بالإلهة^(٢)، وكان الكاهن قبل ذلك قد حدثه أنه يموت بها، فمر بها في ذلك الركب، فلما أشرفوا عليها وأُغْلِمَ بِاسْمِهَا، كَرِهَ الْمُرُورَ بِهَا، وَأَبُوا أَصْحَابُهُ إِلَّا أَنْ يَمُرُّوا بِهَا، وَقَالُوا لَهُ: لَا تَنْزِلْ عِنْدَهَا، وَلَكِنْ تَجُوزُهَا سَعْيًا، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا بَرَكْتَ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى حَيَّةٍ، فَنَزَلَ لِيَنْظُرَ فَتَهَشَّتْهُ الْحَيَّةُ، فَمَاتَ، فَقَبَّرَهُ هُنَاكَ، وَقِيلَ فِي حَدِيثِهِ: إِنَّهُ مَرَّ بِهَا لَيْلًا، فَلَمْ يَعْرِفْ بِهَا حَتَّى رَبَضَ الْبَعِيرُ

(١) انظر الفضليات (٣٠/٢) والبيان والتبيين (٩/٢) وأمالى القالي (٥١/٢).

(٢) الإلهة: موضع بين ديار تغلب والشام.

لأَفَنُونِ التَّغْلِيْبِيِّ، وَهُوَ صُرَيْمُ بْنُ مَعْشَرٍ، فِي أَيْبَاتِ لَهُ.

الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ عِنْدَ الْإِلَهِةِ فَجَزَعُ، فَقِيلَ لَهُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، فَقَالَ: فَلِمَ رَبَضَ الْبَعِيرُ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا. ذَكَرَهُ يَعْقُوبُ، وَعِنْدَمَا أَحْسَسَ بِالْمَوْتِ قَالَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَبَعْدَهُمَا:

كَفَى حَزَنًا أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ غُدْوَةً وَأُتْرِكَ فِي جَنْبِ الْإِلَهِةِ ثَاوِيَا

الأعداء من يهود

قال ابن إسحاق: وَنَصَبَتْ عِنْدَ ذَلِكَ أَحْبَارُ يَهُودَ . لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَدَاوَةَ، بَغْيًا وَحَسَدًا وَضَغْفًا، لَمَّا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ مِنْ أَخْذِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ، وَإِنْصَافَ إِلَيْهِمْ رِجَالًا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، مِمَّنْ كَانَ عَلَى جَاهِلِيَّتِهِ فَكَانُوا أَهْلَ نِفَاقٍ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْبَعْثِ، إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ قَهَرَهُمْ بِظُهُورِهِ وَاجْتِمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِ، فَظَهَرُوا بِالْإِسْلَامِ، وَاتَّخَذُوهُ جُنَّةً^(١) مِنَ الْقَتْلِ وَنَافَقُوا^(٢) فِي السِّرِّ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ مَعَ يَهُودَ لَتَكْذِيبِهِمُ النَّبِيَّ - ﷺ - وَجُحُودِهِمُ الْإِسْلَامَ . وَكَانَتْ أَحْبَارُ يَهُودَهُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ - رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَيَتَعَتَّنُونَهُ، وَيَأْتُونَهُ بِاللَّبْسِ، لِيَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، فَكَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِيهِمْ فِيمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ، إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمَسَائِلِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ عَنْهَا .

من يهود بني النضير:

منهم: حُيَيِّ بْنُ أَخْطَبَ، وَأَخْوَاهُ أَبُو يَاسِرَ بْنِ أَخْطَبَ، وَجُدَيْي بْنُ أَخْطَبَ،

تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن

ذكر فيهم جُدَيْي بْنُ أَخْطَبَ، بِالْجِيمِ، وَهُوَ أَخُو حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَأَمَّا حُدَيْيٌّ بِالْحَاءِ،

(١) جُنَّةٌ: أَي سَاتِرًا وَحِجَابًا وَوَقَايَةً مِنَ الْقَتْلِ .

(٢) النِّفَاقُ: لَفْظَةٌ قُرْآنِيَّةٌ، وَالْمُنَافِقُ هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ، أَخَذَتْ الْكَلِمَةُ مِنَ النَّفَقِ الْيَرْبُوعِ، وَهُوَ حَيَوَانٌ لِدَاهُ بَابَانِ يَدْخُلُ مِنْ أَحَدِهِمَا عِنْدَ الْهَرَبِ مِنْ مَفْتَرِسِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الْآخَرِ دُونَ أَنْ يَرَاهُ الْمَفْتَرِسُ، وَالنِّفَاقُ نِفَاقَانِ عَمَلِيٌّ وَاعْتِقَادِيٌّ، وَالْعَمَلِيُّ هُوَ الَّذِي جَاءَ الْحَدِيثُ بِالنِّهْيِ عَنْهُ «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ - خَمْسٌ» . وَالْإِعْتِقَادِيُّ كُنْفَاقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ، وَالْأَوَّلُ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَلَةِ وَالثَّانِي يَخْرُجُ مِنَ الْمَلَةِ . وَكَانَ النِّفَاقُ مَعْرُوفًا بِمَكَّةَ، إِنَّمَا ظَهَرَ فِي الْمَدِينَةِ . وَالْعِيَاذُ مِنَ النِّفَاقِ وَالشَّقَاقِ .

وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن أبي الحقيق، أبو رافع الأعور، وهو الذي قتله أصحاب رسول الله ﷺ بـخَيْبَر - والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف، وهو من طييء، ثم أحد بني نبهان، وأمه من بني النضير، والحجاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، وكزدم بن قيس، حليف كعب بن الأشرف، فهؤلاء من بني النضير.

من يهود بني ثعلبة:

ومن بني ثعلبة بن الفطيمون: عبد الله بن صوريا الأعور، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه؛ وابن صلوبا، ومخيريق، وكان خبرهم، أسلم.

من يهود بني قينقاع:

ومن بني قينقاع: زيد بن اللصيت - ويقال: ابن اللصيت - فيما قال ابن هشام - وسعد بن حنيف، ومحمود بن سحان، وعزير بن أبي عزيز، وعبد الله بن صيف. قال ابن هشام: ويقال: ابن صيف.

قال ابن إسحق: وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفنحاص، وأشيع، وتُعمان بن أضأ، وبخري بن عمرو، وشأس بن عدي، وشأس بن قيس، وزيد بن الحارث، وتُعمان بن عمرو، وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد، وتُعمان بن أبي أوفى، أبو أنس، ومحمود بن دخية، ومالك بن صيف. قال ابن هشام: ويقال: ابن صيف.

فذكره الدارقطني في نسب عتيبة بن الحارث بن شهاب بن حذی التميمي فارس العرب.

وذكر عزير بن أبي عزيز وألفيت بخط الحافظ أبي بحر في هذا الموضع يقول عزيز بن أبي عزيز، بزائين قیدناه في الجزء قبل.

وذكر ثعلبة بن الفطيمون والفطيمون كلمة عبرانية، وهي عبارة عن كل من ولي أمر اليهود، وملکهم، كما أن النجاشي عبارة عن كل من ملك الحبشة، وخاقان ملك الترك، وقد تقدم من هذا الباب جملة.

وذكر فيهم عبد الله بن صوريا الأعور، وكان أعلمهم بالتوراة، ذكر الثعشاش أنه أسلم لما تحقق من صفات محمد - ﷺ - في التوراة، وأنه هو وليس في سيرة ابن إسحق ذكر إسلامه.

قال ابن إسحاق: وكعب بن راشد، وعازر، ورافع بن أبي رافع، وخالد وأزار بن أبي أزار. قال ابن هشام: ويقال: آزر بن آزر.

قال ابن إسحاق: ورافع بن حارثة، ورافع بن حُرَيْمِلَة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن الثابت، وعبد الله بن سلام بن الحارث، وكان حَبْرَهُمْ وأَعْلَمَهُمْ، وكان اسمه الحُصَيْن، فلما أسلم سمَّاه رسول الله ﷺ - عبد الله. فهؤلاء من بني قَيْنَقَاع.

من يهود بني قريظة:

ومن بني قُريظة: الزُّبَيْر بن بَاطَا بن وَهَب، وعَزَال بن شَمُوِيل، وكعب بن أسد، وهو صاحب عَقْد بني قُريظة الذي تُقَضُّ عام الأحزاب، وشَمُوِيل بن زيد، وجَبَل بن عمرو بن سُكينة، والثَّحَام بن زيد، وقَزْدَم بن كعب، ووهب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وأبو نافع، وعدِي بن زَيْد، والحارث بن عَوْف، وكَزْدَم بن زيد، وأَسَامَة بن حَبِيب، ورافع بن رُمَيْلَة، وجَبَل بن أَبِي قُشَيْر، وَوَهْب بن يَهُوذَا، فهؤلاء من بني قُريظة.

من يهود بني زريق:

ومن يهود بني زُرَيْق: لَبِيد بن أَعْصَم، وهو الذي أَخَذَ رسول الله ﷺ عن نسائه.

يهود المدينة:

فصل: وقوله: ومن يَهُودِ بني زُرَيْق، ومن يهود بني حارثة، وذكر قبائل من الأنصار، وإنما اليهود بنو إسرائيل، وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر إنما هم [بنو] قُريظة [وبنو] النَّضِيرَ وَبَنُو قَيْنَقَاع، غير أن في الأوس والخزرج من قد تَهَوَّدَ، وكان من نسائهم مَنْ تَنَذَّرُ إذا ولدت إن عاش وَلَدُهَا أَنْ تَهَوِّدَهُ، لأن اليهودَ عندهم كانوا أهلَ عِلْمٍ وكتابٍ، وفي هؤلاء الأبناء الذين تَهَوَّدُوا نزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] حين أراد آبَاؤُهُمْ إكْرَاهَهُمْ على الإسلام في أخذ الأقوال.

السحر المنسوب إلى النبي ﷺ^(١):

وأما لَبِيدُ بن الأَعْصَم، الذي ذكره من يَهُودِ بني زُرَيْق، وقال: هو الذي أَخَذَ رسول الله ﷺ عن نسائه يعني من الأخْذَة، وهي صَرْبٌ من السحر. في الخبر أن القاسم بن

(١) انظر الحديث في البخاري (١٩٩/١٠) ومسلم في السلام (٢١٨٩) وانظر مزيد بيان في علاج السحر وغيره (زاد المعاد) (٤/٢٢٤).

محمد ابن الحنفية، كان مُؤَخِّدًا عن مسجد النبي - ﷺ - لا يستطيع أن يدخله، وكان لبيد هذا قد سَحَرَ رسول الله - ﷺ، وجعل سحره في مُشِطٍ ومُشَاطَةٍ. وروي: مُشَاقَّةٌ بالقاف، وهي مُشَاقَّةُ الكَثَّانِ، وَجُفٌ طَلْعَةٌ^(١) ذكر، هي فَحَالُ النخل، وهو دُكَارُهُ. والجُفُّ: غلاف للطلْعَةِ، ويكون لغيرها، ويقال للجُفِّ القِيَّاءُ وتُضَنعُ منه آنيةٌ يقال لها: التَّلَاتِلُ [جمع: تَلْتَلَةٌ] قاله أبو حنيفة ودفنه في بئرٍ ذي أَرْوَآنٍ، وأكثرُ أهلِ الحديث يقولون: دَزَوَانَ تحت رَاغُوفَةِ البئرِ [أو أَرْغُوفَتِهَا]، وهي صخرة في أسفلهِ يقف عليها المائِجُ^(٢)، وهذا الحديث مشهورٌ عند الناس، ثابت عند أهل الحديث، غير أنني لم أجد في الكتب المشهورة: كم لَبِثَ - رسول الله ﷺ - بذلك السحر، حتى شُفِيَ منه، ثم وقعت على البيان في جامع مَعْمَرِ بن راشد. رَوَى مَعْمَرٌ عن الزُّهْرِيِّ، قال: سَحَرَ رسولُ الله ﷺ سنةً يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الفعل، وهو لا يفعله، وقد طَعَنَتِ المعتزلةُ في هذا الحديث وطوائفٌ من أهل البدع، وقالوا: لا يجوز على الأنبياء أن يُسَحَرُوا، ولو جاز أن يُسَحَرُوا، لجاز أن يُجَنُّوا. ونَزَعَ بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] والحديث ثابتٌ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ، ولا مَطْعَنٌ فيه من جِهَةِ النقل، ولا من جِهَةِ العقل، لأنَّ العِصْمَةَ إِنَّمَا وَجَبَتْ لَهُمْ فِي عَقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ، وأما أَدْيَانُهُمْ، فَإِنَّهُمْ يُبْتَلَوْنَ فِيهَا، وَيُخَلَّصُ إِلَيْهِمْ بِالْجَرَّاحَةِ وَالضَّرْبِ وَالسُّمُومِ وَالْقَتْلِ، وَالْأَخْذَةُ الَّتِي أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ هَذَا الْفَنِّ، إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَعْضِ جَوَارِحِهِ دُونَ بَعْضٍ^(٣).

أما قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فإنه قد روي أنه كان يُخْرَسُ فِي الْعَزْوِ، حتى نزلت هذه الآية، فأمر حُرَّاسَهُ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُ، وقال: لا حاجة لي بكم، فقد عَصَمَنِي اللَّهُ مِنَ النَّاسِ، أو كما قال^(٤).

(١) الطلع: قطعة من النخلة.

(٢) وفيه أيضًا الدليل على بشرية الرسول ﷺ بمعناها المعلوم عند كل ذي لب، لا كما قال كثير من أهل الطرق الصوفية: أن له بشرية ولكنها تخالف البشرية التي عليها بنو آدم، ومن ثم أنكر بعضهم حديث البخاري ومسلم السابق ذكره آنفًا في قصة السحر، هذا وكما استخدم اليهود أمس السحر في محاولة على القضاء على النبي ﷺ وعلى أتباعه عند هجرتهم من مكة إلى المدينة، عاد أعداء الله اليوم يهودًا ونصارى - على معاودة الكرة مرة أخرى في محاولة للقضاء على الإسلام والمسلمين، فكان من آثار هذا الاستخدام الشيطاني لتسخير الجن وإرساله لإيذاء المسلمين والمسلمات والأطفال ما انتشر في [مصر] من إغماء للفتيات، ومن مس الجن للإنس واعتراهم أنهم إنما أرسلوا من قبل الكنائس لإيذاء المسلمين، فانتبه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦).

من يهود بني حارثة:

ومن يهود بني حارثة: كنانة بن صُوريا.

من يهود بني عمرو:

ومن يهود بني عمرو بن عَوْف: قَزْدَم بن عمرو.

من يهود بني النجار:

ومن يهود بني النجار: سِلْسِلَة بن بَرْهَام.

فقه حديث السحر:

وأما ما فيه من الفقه، فإن عائشة قالت له: هَلَا تَنْشُرُ^(١)، فقال: أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أُثِيرَ على الناسِ شَرًّا، وهو حديث مُشْكِل في ظاهره، وإنما جاء الإشكال فيه من قِبَلِ الرُّوَاةِ، فإنهم جعلوا جوابين لكلامين كلامًا واحدًا، وذلك أن عائشة قالت له أيضًا: هَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ، أي: هلا استخرجت السحر من الجُفِّ والمُشَاطَةِ، حتى ينظر إليه، فلذلك قال: وأكره أن أُثِيرَ على الناسِ شَرًّا، قال ابن بطال: كَرِهَ أن يخرجَه. فيتعلَّم منه بعضُ الناس، فذلك هو الشر الذي كَرِهَه.

قال المؤلف: ويجوز أن يكون الشرُّ غيرَ هذا، وذلك أن الساحرَ كان من بني زُرَيْقٍ، فلو أظهر سحرَه للناس، وأراهم إياه لأَوْشَكَ أن يُريدَ طائفةً من المسلمين قتلَه، ويتعصبَ له آخرون من عَشِيرَتِهِ فَيُثَوِّرَ شَرًّا كما ثار في حديثِ الإِفْكِ من الشَّرِّ ما سيأتي بيانه.

وقول عائشة: هلا استخرجته هو في حديثين رواهما البخاري جميعًا، وأما جوابه لها في حديث: هَلَا تَنْشُرُ: بقوله: أما أنا فقد شفاني الله، وجوابه لها حين قالت: هلا استخرجته: بأن قال: أكره أن أُثِيرَ على الناسِ شَرًّا، فلما جمع الراوي بين الجوابين في حديث واحد اسْتَغْلَقَ الكلامُ، وإذا نُظِرَتِ الأحاديثُ متفرقةً تَبَيَّنَتْ، وعلى هذا النحو سَرَحَ هذا الحديثُ ابنُ بطال.

وأما الفقه الذي أشرنا إليه فهو إباحة الثُّمرة من قول عائشة: هلا تَنْشُرُ، ولم ينكر عليها قولها.

(١) النشرة: ضرب من الرقى.

فهؤلاء أحبار اليهود، أهل الشرور والعداوة لرسول الله - ﷺ - وأصحابه، وأصحاب المسألة، والنضب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق.

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن إسحاق: وكان من حديث عبد الله بن سلام، كما حدثني بعض أهله عنه. وعن إسلامه حين أسلم، وكان حبراً عالماً، قال: لما سمعتُ برسول الله ﷺ عَرَفْتُ صفته واسمَه وزمائه الذي كُنَّا نَتَوَكَّفُ له، فكنت مُسِيراً لذلك، صامتاً عليه، حتى قَدِمَ

وذكر البخاري عن سعيد بن المسيَّب أنه سئل عن الثُّسرة للذي يُؤْخَذُ عن أهله، فقال: لا بَأْسَ لم يَنه عن الصَّلاح، إنما نَهَى عن الفساد، ومن استطاع أن يَنْفَع أَخاهُ فَلْيَفْعَلْ. ومن الناس من كره الثُّسرة على العموم، ونَزَعَ بحديث خَرَّجَهُ أَبُو داود مَرْفُوعاً: «أَنَّ الثُّسرةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»^(١)، وهذا - والله أعلم - في الثُّسرة التي فيها الخَوَاتِمُ والعَزَائِمُ، وما لَا يُفْهَمُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْعَجْمِيَّةِ، ولولا الإطالة المخرجة لنا عن غَرَضِنَا لَقَدَرْنَا الرُّخْصَةَ بِالْآثَارِ، وهذا القدر كَافٍ، والله المستعان. وكانتْ عَقْدُ السُّحْرِ أَحَدَ عَشَرَ عَقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الْمُعَوِذَتَيْنِ أَحَدَ عَشَرَ آيَةً، فأنحلت بكل آية عَقْدَةً^(٢)، قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ولم يقل النَّفَّاثِينَ، وإنما كان الذي سحره رجلاً والجواب: أَنَّ الْحَدِيثَ قد رواه إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي، وزاد في روايته أَنَّ زَيْنَبَ الْيَهُودِيَّةَ أَعَانَتْ لَبِيدَ بْنِ الْأَعْصَمِ عَلَى ذَلِكَ السَّحْرِ، مع أَنَّ الْأَخْذَةَ فِي الْغَالِبِ مِنْ عَمَلِ النِّسَاءِ وَكَيْدِهِنَّ.

إسلام عبد الله بن سلام^(٣)

سَلَامٌ هو بتخفيف اللام، ولا يوجد من اسمه سَلَامٌ بالتخفيف في المسلمين لأن السَلَامَ من أسماء الله، فيقال عبد السَلَامِ، ويقال: سَلَامٌ بالتشديد، وهو كثير، وإنما سَلَامٌ بالتخفيف في اليهود، وهو والد عبد الله بن سَلَامٍ منهم.

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٦٨) والبيهقي (٣٥١/٩) والبخاري في شرح السنة (١٥٩/١٢).

(٢) رُوِيَ مثل هذا من أسباب الزول وإسناده ضعيف.

(٣) له ترجمة في الطبقات (٣٥٢/٢) الإصاية (٣٢٠/٢) أسد الغابة (٢٦٤/٣) العبر (٥١/١) النجوم الزاهرة (١٢٥/١) الاستيعاب (١٥٦١/٣) تهذيب الكمال (٧٤/١٥) التهذيب (٢٤٩/٥) التفریب (٤٢٢/١) الثقات (٢٢٨/٣) مشاهير علماء الأمصار (٥٢) بتحقيقي.

رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقباء، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت لي عمتي، حين سمعت تكبيري: خيئك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادمًا ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمّة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بُعث بما بُعث به. قال: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كُنا نخبر أنّه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذا. قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ، فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي، فأمرتهم فأسلموا.

قال: وكنتم إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، إن يهود قوم بُهت وإنّي أحبّ أنْ تدخلني في بعض بيوتك، وتغيّبي عنهم، ثم تسألهم عني، حتى يُخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به يهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلّموه.

ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبي الذي كُنا نخبر أنّه يُبعث مع نفس الساعة، وهذا الكلام في معنى قوله عليه السلام: إني لأجد نفس الساعة بين كتفي، وفي معنى قوله: ﴿نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] ومن كان بين يديّ طالبه، فنفس الطالب بين كتفيه، وكان النفس في هذا الحديث عبارة عن الفتن المؤدّية بقيام الساعة، وكان بدؤها حين ولى أمته ظهره خارجًا من بين ظهرانيهم إلى الله تعالى، ألا تراه يقول في حديث آخر: وأنا أمان لأمتي، فإذا ذهب أتى أمتي ما يُوعدون، فكانت بعده الفتنة ثم الهرج المتصل بيوم القيامة، ونحو من هذا قوله عليه السلام: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين»^(١)، يعني السبابة والوسطى، وهو حديث يزويه أنس بن مالك، وابن بُريدة عن أبيه، وجبّير بن مطعم، وجابر بن سمرة وأبو هريرة وسهل بن سعد كلهم عن رسول الله - ﷺ - وفي حديث سهل سبقتها بما سبقت هذه هذه، يعني: الوسطى والسبابة، وفي بعض ألفاظ الحديث: إن كادت لتسبّقني. ورواه أيضًا: أبو جُبَيْرَةَ فقال: قال رسول الله ﷺ: «جئت أنا والساعة كهاتين سبقتها كما سبقت هذه هذه في نفس من الساعة، أو في نفس الساعة»^(٢)، خرجها الطبري بجميع أسانيدها، وبعضها في الصحيحين، وفي بعضها زيادة على بعض.

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٦٨/٧) ومسلم في الفتن (١٣٢) وأحمد (٢٢٢/٣) والبيهقي في الصفات (١٨٨) بتحقيقي. والهرج: القتل.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (١٦/١).

وسألوه، ثم قال لهم: أي رجل الحُصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيّدنا وابن سيّدنا، وخبرنا وعالمنا. قال: فلما قَرَعُوا من قولهم، خرجت عليهم، فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصِفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأومن به وأصدقّه وأعرفه، فقالوا: كذبت ثم وقعوا بي، قال: فقلت لرسول الله ﷺ ألم أُخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت، أهل غَدْر وكَذِب وفُجور! قال: فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمّتي خالدة بنت الحارث، فحَسُنَ إسلامها.

حديث مخيريق:

قال ابن إسحق: وكان من حديث مُخَيَّرِيق، وكان حبراً عالمًا، وكان رجلاً غنيًا كثير الأموال من النخل، وكان يَعْرِف رسول الله ﷺ بِصِفته، وما يجد في علمه، وغلب عليه إلف دينه، فلم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أُحُد، وكان يوم أحد يوم السبت، قال: يا معشر يَهُودَ، والله إنكم لتعلمون أن نَصَرَ محمد عليكم لَحَقَّ. قالوا: إن اليوم يوم السبت؛ قال: لا سبت لكم. ثم أخذ سيّاحه، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بأُحُد، وعهد إلى مَنْ وراءه من قومه: إِنَّ قُتِلْتُ هذا اليومَ، فأموالي لمحمد - ﷺ - يصنع فيها ما أراه الله. فلما

وخالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامها، وهي مما أغفله أبو عَمَر في كتاب الصحابة، وقد استدركنها عليه في جملة الاستدراكات التي ألحقناها بكتابه.

وذكر حديث مُخَيَّرِيق، وقال فيه: مُخَيَّرِيقُ خَيْرُ يَهُودَ، ومُخَيَّرِيقُ مُسْلِم، ولا يجوز أن يقال في مسلم: هو خير النصارى، ولا خير اليهود، لأن أفعَل من كذا إذا أُضِيفَ فهو بعض ما أُضِيفَ إليه^(١). فإن قيل: وكيف جاز هذا؟ قلنا: لأنه قال خير يهود، ولم يقل خير اليهود، ويَهُود اسم علم كَتُمُود، يقال: إنهم نسبوا إلى يَهُودَ بن يَغُوب، ثم عُرِبَت الذال دالاً، فإذا قلت: اليهود بالآلف واللام، احتمل وجهين النسب والدين الذي هو اليهودية^(٢)، أما النسب فعلى حد قولهم التَّيْم في التَّيْمِيَّين، وأما الدين فعلى حَدِّ قولك: النصارى والمجوسُ أعني: أنها صِفة، لا أنها نَسَبٌ إلى أب. وفي القرآن لفظُ ثالث، لا يتصور فيه

(١) الذي قال هذا إنما هو النبي ﷺ ۱۱۱.

(٢) هو بالطبع ليس ديناً من عند الله تعالى إنما «الدين عند الله الإسلام» وهو الذي أرسل به موسى وعيسى ومحمد ومن سبقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولعله يعني ما اتخذته اليهود شرعاً ومنهاجاً. فهو من معاني كلمة «الدين». انظر للمحقق «اللباب في تفسير فاتحة الكتاب» عند تفسير قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾.

اقتتل الناس قاتل حتى قُتل. فكان رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - يقول: «مخيريق خير يهود»^(١). وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها.

شهادة عن صفية

قال ابن إسحق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حيي بن أخطب، وعمي: أبو ياسر بن أخطب، مغلّسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كائنين كسنانين ساقطين يمسيان الهويني. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي: حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله؛ قال: أتعرفه؟ وتثبت؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.

إلا معنى واحد، وهو الدّين دون النسب، وهو قوله سبحانه: ﴿وقالوا كونوا هودًا أو نصارى﴾ [البقرة: ١٣٥]. بحذف الياء، ولم يقل: كونوا يهودًا لأنه أراد التّهود، وهو التّدين بدينهم، ولو قال: كونوا يهودًا بالتدين، لجاز أيضًا على أحد الوجهين المتقدمين، ولو قيل لقوم من العرب: كونوا يهودًا بغير تنوين. لكان محالاً، لأنّ تبديل النسب حقيقة محال، وقد قيل في هود: جمع هائد، وهو في معنى ما قلناه، فلتعرف الفرق بين قولك هودًا بغير ياء، ويهودًا بالياء والتنوين، ويهودًا بغير تنوين، فإنها تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم ولم يُسلم من أخبار يهود على عهد رسول الله ﷺ إلا اثنان. وقد جاء في الحديث: «لو اتبعني عشرة من اليهود لم يبق في الأرض يهودي إلا اتبعني»^(٢). رواه أبو هريرة. وسمع كعب الأحبار أبا هريرة يحدث، فقال له: إنما الحديث: اثنا عشر من اليهود، ومضداق ذلك في القرآن (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا) فسكت أبو هريرة. قال ابن سيرين: أبو هريرة أصدق من كعب. قال يحيى بن سلام كلاهما: (صدق)؛ لأن رسول الله ﷺ إنما أراد: لو اتبعني عشرة من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما^(٣).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٢/١٨٣) والبيهقي في الدلائل (١/١٨) وابن عساكر في تهذيبه (٢٤٥/٣) (٨٧/١٠). وانظر البداية (٣/٢٣٧) (٤/٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٤٩).

(٣) تأويل واستشهاد بالآية - بعيد - والله أعلى وأعلم.

مَنْ اجتمع إلى يهود من منافقي الأنصار

منافقو بني عمرو:

قال ابن إسحاق: وكان مِمَّنْ انضاف إلى يهود، ممن سمي لنا من المنافقين من الأوس والخزرج، والله أعلم. من الأوس، ثم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ ثم من بني لؤذان بن عمرو بن عوف: زُوَيِّ بن الحارث.

منافقو حبيب:

ومن بني حبيب بن عمرو بن عوف: جُلاس بن سُويد بن الصامت، وأخوه الحارث بن سويد.

من نفاق جلاس:

وجُلاس الذي قال - وكان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك - لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شرٌّ من الحُمُر. فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله ﷺ - عُمر بن سعد، أحدهم، وكان في حُجْر جُلاس، خلف جُلاس على أمه بعد أبيه، فقال له عُمر بن سعد: والله يا جُلاس، إنك لأحب الناس إليّ، وأحسنهم عندي يداً، وأعزهم عليّ أن يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحتك، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني، ولإحداهما أيسر عليّ من الأخرى. ثم مشى إلى رسول الله ﷺ، فذكر له ما قال جُلاس، فحلف جلاس بالله لرسول الله ﷺ: لقد كذب عليّ عُمر، وما قلت ما قال عُمر بن سعد. فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا يَنُومُوا إِلَّا أَنَّ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

قال ابن هشام: الأليم: الموجد. قال ذو الرمة يصف إبلاً:

وتَرَفَعَ مِنْ صَدُورِ شَمَرِ ذَلَاتٍ يَصُكُّ وَجُوهَهَا وَهَجَّ أَلِيمُ
وهذا البيت في قصيدة له.

ذكر المنافقين

فصل: وذكر تبئلاً من المنافقين، قال: وكان أذلّم، والأذلّم الأسود الطويل من كل شيء. وقيل لجماعة النمل: دَيْلَم، لسوادهم من كتاب العين.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه تاب فحسنت توبته، حتى عُرف منه الخير والإسلام.

ارتداد الحارث بن سويد وغدره:

وأخوه الحارث بن سويد، الذي قتل المجذّر بن زياد البلّوي، وقيس بن زيد، أحد بني ضبيعة، يوم أحد. خرج مع المسلمين، وكان منافقاً، فلما التقى الناس عدا عليهما، فقتلتهما ثم لحق بقريش.

قال ابن هشام: وكان المجذّر بن زياد قتل سويد بن صامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحارث بن سويد غرة المجذّر بن زياد، ليقتله بأبيه، فقتله وحده، وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول: والدليل على أنه لم يقتل قيس بن زيد، أن ابن إسحاق لم يذكره في قتلي أحد.

قال ابن إسحاق: قتل سويد بن صامت مُعَاذُ ابن عفراء غيلةً، في غير حرب، رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعَاث.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته، فكان بمكة، ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة، ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغني عن ابن عباس -: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] إلى آخر القصة.

وذكر الحارث بن سويد، وقتله للمجذّر بن زياد. واسم المجذّر: عبد الله، والمجذّر: الغليظ الخلق.

وذكر أن الله تعالى أنزل في الحارث بن سويد وارتداده: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦] فقل: إن هذه الآية مقصورة على سببها مخصوصة بمن سبق في علم الله أنه لا يهديه من كفره، ولا يتوب عليه من ظلمه، وإلا فالتوبة مفروضة، وقد تاب قوم بعد ارتدادهم فقبلت توبتهم. وقيل: ليس فيها نفى لقبول التوبة، فإنه قال: كيف يهدي الله، ولم يقل لا يهدي الله، على أنه قد قال في آخرها: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾^(١) وذلك يرجع إلى الخصوص، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية في الظلمة التي

(١) فائدة: لا يهدي الله تعالى القوم الظالمين، ولكنه يهدي الذين ظلموا، وفارق بين الذين ظلموا وهم الذين ظلموا أنفسهم أو غيرهم. قال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم...﴾ الآيات. فهؤلاء ظلموا أنفسهم بمعصيتهم، أما من تلبس بالظلم حتى صار =

منافقو بني ضبيعة:

ومن بني ضبيعة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف: بجاد بن عثمان بن عامر.

منافقو بني لؤذان^(١):

ومن بني لؤذان بن عمرو بن عوف: نُبْتَل بن الحارث، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ - فيما بلغني: من أحب أن ينظر إلى الشيطان، فلينظر إلى نُبْتَل بن الحارث، وكان رجلاً جَسِيماً أَدْلَم، نَازَر شعر الرأسِ أَحْمَرَ العينين، أَسْفَعَ الخَدَّين، وكان يأتي رسولَ الله ﷺ يتحدث إليه فيسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، وهو الذي قال: إنما محمد أذن، مَنْ حَدَّثَهُ شَيْئاً صدَّقه. فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ فيه: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَدُنُّ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض رجال^(٢) بلعجلان أنه حَدَّثَ^(٣): أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ فقال له إنه يجلس إليك رجل أدلم، نازر شعر الرأس، أسفع الخدين أحمر العينين، كأنهما قِذْران من صُفْر، كبده أغلظ من كبِد الحمار، ينقل حديثك إلى المنافقين، فاحذره. وكانت تلك صفة نُبْتَل بن الحارث، فيما يذكرون.

منافقو بني ضبيعة:

ومن بني ضبيعة: أبو حَبِيبَة بن الأزعر، وكان ممن بنى مسجد الضرار، وتعلية بن حاطب، ومُعْتَب بن قُشَيْر، وهما اللذان عَاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن

عند الصراط بالنور التام يوم القيامة، فإن ذلك مُتَنَفِّ عَمَّن مات غير تائب من كفره وظلمه. والله أعلم^(٣).

= صفة لازمة لهم، فهؤلاء لا يهديهم الله، فجاء وصفهم باسم الفاعل ﴿الظالمين﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ولم يأت وصفهم بالفعل «ظلموا وكفروا». كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَهَوَّأْ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فتأمل.

(١) انظر البداية (٢٣٧/٣). (٢) مجاهيل.

(٣) انظر قصة ارتداده والحديث في النسائي في الكبرى (تفسير سورة آل عمران: ٨٥). وفي المجتبى (٤٠٦٨) وأحمد (٢٤٧/١) والطبري في تفسيره (٢٤١/٣) وابن حبان (١٧٢٨ - موارد) والحاكم (١٤٢/٢) وصححه وأقره الذهبي - وهو كما قال - والواحد في أسباب النزول (٨٤).

من الصالحين، الخ القصة. ومعتب الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَةِ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] إلى آخر القصة. وهو الذي قال يوم الأحزاب: كان محمد يعدنا أن نأكل كُنُوزَ كسرى وقِيَصِرَ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط. فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١) والحارث بن حاطب.

معتب وابنا حاطب بدريون وليسوا منافقين:

قال ابن هشام: مُعْتَبٌ بن قُشَيْرٍ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب، وهم من بني أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم، وقد نسب ابنُ إسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بَدْر.

قال ابن إسحاق: وَعَبَادُ بن حُنَيْفٍ، أخو سهل بن حُنَيْفٍ؛ وَيُخْرِجُ، وهم ممن كان بَنِي مسجد الضَّرَارِ، وعمر بن خِذَام، وعبد الله بن نُبَيْل.

من بني ثعلبة:

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عَوْفٍ: جارية بن عامر بن العَطَاف، وابناه: زيد ومُجَمِّع، ابنا جارية، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار. وكان مجمّع غلامًا قد جمع من القرآن أكثره، وكان يصلي بهم فيه، ثم إنه لما أخرب المسجد، وذهب رجالٌ من بني عمرو بن عوف، كانوا يصلون ببني عمرو بن عوف في مسجدهم، وكان زمانُ عمر بن الخطاب، كلّهم في مجمّع ليصلي بهم؛ فقال: لا، أوليس بإمام المنافقين في مسجد الضرار؟ فقال لعمر: يا أمير المؤمنين، والله الذي لا إله إلا هو، ما علمت بشيء من أمرهم، ولكنني كنت غلامًا قارئًا للقرآن، وكانوا لا قرآن معهم، فقدّموني أصلي بهم، وما أرى أمرهم، إلا على أحسن ما ذكروا. فزعموا أن عمر تركه فصلّى بقومه.

من بني أمية:

ومن بني أمية بن زيد بن مالك: وَدِيعَةُ بن ثابت، وهو ممّن بنى مسجد الضرار،

(١) سورة الأحزاب آية رقم (١٢). وانظر البداية (٣/٢٣٧).

وهو الذي قال: إنما كنا نخوض ونلعب. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [المائدة: ٦٥]... إلى آخر القصة.

من بني عبيد:

ومن بني عبيد بن زيد بن مالك: خِدام بن خالد، وهو الذي أُخرج مسجد الضَّرار من داره؛ وبشر ورافع، ابنا زيد.

من بني النبيت:

ومن بني النبيت - قال ابن هشام: النبيت: عمرو بن مالك بن الأوس - قال ابن إسحاق: ثم من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مِزْبَع بن قَيْظِي، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه ورسولُ الله ﷺ عامدٌ إلى أحد: لا أَجِلُّ لك يا محمد إن كنتَ نبيًا، أن تمرَ في حائطي، وأخذ في يده حَفَنَةً من تراب، ثم قال: والله لو أعلم أنني لا أصيب بهذا التراب غَيْرَكَ لرميتُك به، فابتدره القومُ ليقْتُلوه، فقال رسولُ الله ﷺ: دعوه، فهذا الأعمى، أعمى القلب، أعمى البصيرة. فضربه سَعْد بن زيد، أخو بني عبد الأشهل بالقوس فشجّه؛ وأخوه أَوْس بن قَيْظِي، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ يوم الخندق: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة، فأذن لنا فلنرجع إليها. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاقًا﴾^(١).

قال ابن هشام: عورة، أي مُعَوَّرَةٌ للعدو وضائعة؛ وجمعها: عورات قال النَّابِغَةُ الذبياني:

مَتَى تَلْقَهُمْ لَا تَلْقَ لِلْبَيْتِ عَوْرَةً وَلَا الْجَارِ مَخْرُومًا وَلَا الْأَمْرِ ضَائِعًا
وهذا البيت في أبيات له. والعورة (أيضًا): عورة الرجل، وهي حرمة. والعورة (أيضًا) السَّوءة.

(١) سورة الأحزاب آية رقم (١٣).

من بني ظفر:

قال ابن إسحاق: ومن بني ظَفَر، واسم ظَفَر: كعب بن الحارث بن الخزرج حاطب بن أمية بن رافع، وكان شيخًا جسيمًا قد عسا في جاهليته وكان له ابنٌ من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات، فحمل إلى دار بني ظفر.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بنُ عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يا بن حاطب بالجنة. قال فتَجَمَّ نَفَاقُهُ حينئذ، فجعل يقول أبوه أجل جنة والله من حَزَل. عَرَّرْتُمُ والله هذا المسكين من نفسه.

قال ابن إسحاق: وبشير بن أبيرق، وهو أبو طعمة، سارق الدرعين، الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ وقُزَّمان: حليف لهم.

ذكر حديث بشير بن أبيرق سارق الدرعين:

وذكر أن الله أنزل فيه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] الآية: وكان من قصة الدرعين، وقصة بشير أن بني أبيرق، وهم ثلاثة بشير ومُبَشَّر وبِشْر نقبوا مشربة أو نقبها بِشِير وحده على ما قال ابن إسحاق، وكانت المشربة لِرِفَاعَةَ بن زَيْد، وسرقوا أدراعًا له، وطعامًا فعثر على ذلك، فجاء ابن أخيه قَتَادَةَ بن الثُّعْمَان يشكو بهم إلى رسول الله - ﷺ - فجاء أسيد بن غُزَوَةَ بن أبيرق إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله، إن هؤلاء عَمَدُوا إلى أهل بيت هم أهل صلاح ودين، فأبتوهم بالسرقة، ورموهم بها من غير بَيِّنَةٍ، وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله - ﷺ - على قَتَادَةَ وِرْفَاعَةَ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] الآية، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ [النساء: ١١٢] وكان البريء الذي رموه بالسرقة لِبَيْد بن سَهْل: قالوا: ما سرقناه، وإنما سرقه لَبِيد بن سَهْل، فبرأه الله، فلما أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل، هَرَبَ ابْنُ أَبِيرق السارق إلى مكة، ونزل على سُلَافَةَ بنت سعد بن شُهَيْد، فقال فيها حَسَنان بن ثابت بيتًا، يعرض فيه بها، فقالت: إنما أهديت لي شعرَ حَسَنان، وأخذت رَحْلَهُ، فطرحته خارج المنزل، وقالت: حَلَقْتُ وَسَلَقْتُ وَحَرَقْتُ إِنْ بَتَّ فِي منزلي ليلة سَوْدَاء، فهَرَبَ إلى خَبِير، ثم إنه نَقَبَ بيتًا ذات ليلة، فسقط الحائط عليه فمات. ذكر هذا الحديث بكثير من ألفاظه التَّزْمِيذِي، وذكره الكَشِّي والطبري بألفاظ مختلفة، وذكر قصة موته يحيى بن سلام في تفسيره ووقع اسمه في أكثر التفاسير: طُعْمَةُ بن أَبِيرق وفي

قال ابن إسحق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ كان يقول: إنه لمن أهل النار. فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً حتى قُتل بضعة نفر من المشركين، فأثبته الجراحات، فحُمِلَ إلى دار بني ظَفَر، فقال له رجال من المسلمين: أبشر يا قُزَمان، فقد أبليت اليوم، وقد أصابك ما ترى في الله: قال: بماذا أبشر، فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومي؛ فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهماً من كِنانته، فقطع به رواهش يده، فقتل نفسه^(١).

من بني عبد الأشهل:

قال ابن إسحق: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم، إلا أن الضحاك بن ثابت، أحد بني كعب، رهط سعد بن زيد، قد كان يُتهم بالنفاق وحب يهود.

قال حسان بن ثابت:

مَنْ مُلِبِعُ الضَّحَّاكِ أَنْ عُرُوقَهُ أَغِيثَ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ تَتَمَجَّدَا
أَتَحَبَّ يُهْدَانِ الْحِجَازَ وَدِينَهُم كِبَدَ الْحِمَارِ، وَلَا تَحَبَّ مُحَمَّدَا
دِينًا لِعَمْرِي لَا يُوَافِقُ دِينَنَا مَا اسْتَنْ آلَ فِي الْقَضَاءِ وَخَوْدَا

وكان جُلاس بنُ سويد بن صامت قبل توبته - فيما بلغني - ومعتب بن قُشير، ورافع بن زيد، وبشر، وكانوا يُدعون بالإسلام، فدعاهم رجال من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدعوههم إلى الكُهان، حكام أهل الجاهلية، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَتَزَّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].. إلى آخر القصة.

من الخزرج:

ومن الخزرج، ثم من بني النَجَّار: رافع بن ودِيعَة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سَهْل.

كتب الحديث: بِشِيرِ بْنِ أَبِي بَرٍّ، وقال ابن إسحق في رواية يونس بن بكير عنه: بِشِيرِ أَبُو طُعْمَة فليس طُعْمَة إذا اسماً له، وإنما هو أبو طُعْمَة، كما ذكر ابن إسحق في هذه الرواية

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (١٠٥) وأحمد (١٣٥/٤) والطبراني (٨٣/١٩).

من بني جشم:

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلِمة: الجدّ بن قَيْس، وهو الذي يقول: يا محمد، ائذن لي، ولا تَفْتِنِي. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]... إلى آخر القصة.

من بني عوف:

ومن بني عوف بن الخزرج: عبدُ الله بن أبي ابن سلُول، وكان رأسَ المُنافقين وإليه يجتمعون، وهو الذي قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلُّ في غزوة بني المُضطلق. وفي قوله ذلك، نزلت سورةُ المُنافقين بأسرها. وفيه وفي ودِيعَة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قُوفل، وسُويد، وداعس، وهم من رهط عبد الله بن أبي ابن سلُول؛ وعبد الله بن أبي ابن سلُول. فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسُّون إلى بني النضير حين حاصرهم رسول الله ﷺ: أن اثبتوا، فوالله لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا، وإن قوتلتم لننصرنكم. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

من أسلم من أحبار يهود نفاقًا:

قال ابن إسحاق: وكان ممن تعوذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو مُنافق، من أحبار يهود.

والله أعلم. وفي رواية يونس أيضًا أن الحائط الذي سقط عليه كان بالطائف لا بخيبر، كما قال ابن سَلَام، وأن أهل الطائف قالوا حينئذ: ما فارق محمدًا من أصحابه من فيه خير. والأبيات التي رمى بها حسان المرأة، وهي من بني عمرو بن عوف، وقد تقدم اسمها:

وما سارق الدُرْعَيْنِ إِذْ كُنْتَ ذَاكِرًا	بذي كَرَمٍ مِنَ الرِّجَالِ أَوَادِعَ
وقد أنزلته بنتٌ سعدٍ فأصبحت	ينازعها جَارَاسَتِهَا وَتَنَازَعَهُ
ظننتُ بأن يَخْفَى الذي قد صنعتم	وفيكم نَبِيٌّ عنده الوحي واضعه

من بني قينقاع:

من بني قَيْنَقَاع: سعدُ بنُ حُنيف، وزَيْدُ بنُ اللَّصِيْت، وتُعْمانُ بنُ أوفى بن عمرو، وعُثمانُ بنُ أوفى، وزيدُ بنُ اللَّصِيْت، الذي قاتلَ عمرُ بنُ الخُطَّابِ رضي الله عنه بسوقِ بني قَيْنَقَاع، وهو الذي قال، حين ضلَّتْ ناقَةُ رسولِ الله ﷺ: يزعمُ محمدٌ أَنه يأتِيه خبرُ السماء وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسولُ الله ﷺ، وجاءه الخبرُ بما قال عدوُّ الله في رَحْله، ودلَّ الله تبارك وتعالى رسولَه ﷺ على ناقته: «إِنْ قَائِلًا قال: يزعمُ محمد أَنه يأتِيه خبر السماء، ولا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علَّمَنِي اللهُ، وقد دلَّنِي اللهُ عليها، فهي في هذا الشَّعْب، قد حبَّسَتْها شجرةٌ بزمامها، فذهب رجالٌ من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسولُ الله ﷺ، وكما وصف» ورافعُ بنُ حُرَيْمَلة، وهو الذي قال له الرسول ﷺ - فيما بلغنا - حين مات: قد مات اليوم عظيمٌ من عظماء المنافقين؛ ورفاعةُ بنُ زيد بن التابوت، وهو الذي قال له رسولُ الله ﷺ حين هبَّت عليه الريح، وهو قافلٌ من غزوة بني المُضَطَّلِق، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها؛ فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «لا تخافوا، فإنما هبَّت لموتِ عَظِيمٍ من عَظَماء الكفار»^(١). فلما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة وجد رفاعةَ بنَ زَيْد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبَّت فيه الرِّيحُ وسلسلةُ بنِ بَرْهام. وكنانةُ بنُ صُورِيا.

طرد المنافقين من مسجد الرسول ﷺ

وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجدَ فيستمعون أحاديثَ المُسلمين، ويسخرون

وقع هذا البيئ في كتاب سيبويه^(٢). وذكر الشعر والخبر بطوله ابن إسحق في رواية يونس عنه.

فصل: وأشدُّ ابنُ هشام:

لَدَمَ الْوَلِيدَ وَراءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ

والبيت لتمييم بن أبي بن مُقْبِل، واللَّدْمُ: الضربُ، والغيب: العائر من الأرض.

باب إخراج المنافقين

وذكر ابن إسحق في باب إخراج المنافقين من المسجد أبا محمد، وقال: هو رجل من

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١١٠/٢) والبيهقي في الدلائل (٦١/٤).

(٢) انظر كتاب سيبويه (٢٤٢/١).

وَيَسْتَهْزِئُونَ بِدِينِهِمْ، فَاجْتَمَعَ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ مِنْهُمْ نَاسٌ فَرَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، خَافِضِي أَصْوَاتِهِمْ، قَدْ لَصِقَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأُخْرِجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ إِخْرَاجًا عَنِيقًا، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ، خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ كَلَيْبٍ، إِلَى عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، أَحَدِ بَنِي عَنَمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ - كَانَ صَاحِبَ آلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَذَ بَرَجْلَهُ فَسَحَبَهُ، حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ يَقُولُ: أُنْخَرِجَنِي يَا أَبَا أَيُّوبَ مِنْ مَزِيدِ بَنِي ثُعَلْبَةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو أَيُّوبَ أَيْضًا إِلَى رَافِعِ بْنِ وَدِيعَةَ، أَحَدِ بَنِي النَّجَّارِ فَلْيَبِهِ بِرِدَائِهِ ثُمَّ نَتَرَهُ نَتْرًا شَدِيدًا، وَلَطَمَ وَجْهَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَأَبُو أَيُّوبَ يَقُولُ لَهُ: أَفْ لَكَ مَنَافِقًا خَبِيثًا: أَدْرَاجَكَ يَا مَنَافِقَ مِنَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابن هشام: أي ارجع من الطريق التي جئت منها. قال الشاعر:

فَوَلَّى وَأَذْبَرَ أَذْرَاجَهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمًّا

وقام عمارة بن حَزْمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَمْرِو، وَكَانَ رَجُلًا طَوِيلَ اللَّحْيَةِ، فَأَخَذَ بِلَحْيَتِهِ فَقَادَهُ بِهَا قَوْدًا عَنِيقًا حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ جَمَعَ عَمَارَةَ يَدَيْهِ فَلَدَّمَهُ بِهِمَا فِي صَدْرِهِ لَذْمَةً خَرَّ مِنْهَا. قَالَ: يَقُولُ: خَذَشْتَنِي يَا عَمَارَةَ؛ قَالَ: أَبْعَدُكَ اللَّهُ يَا مَنَافِقَ، فَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْعَذَابِ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا تَقْرُبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابن هشام: اللدم: الضرب بِيَطْنِ الْكَفِّ. قال تميم بن أُبَيٍّ بن مُقْبِل:

وَلِلْفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ لَذَمَ الْوَلِيدِ وَرَاءَ الْعَيْنِ بِالْحَجَرِ

قال ابن هشام: الغيب: ما انخفض من الأرض. والأبهر: عرق القلب.

قال ابن إسحاق: وقام أبو محمد، رجل من بني النَّجَّارِ، كَانَ بِدْرِيًّا، وَأَبُو مُحَمَّدٍ مَسْعُودُ بْنُ أَوْسَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَضْرَمَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثُعَلْبَةَ بْنِ عَنَمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ، وَكَانَ قَيْسٌ غَلَامًا شَابًّا، وَكَانَ لَا يَعْلَمُ فِي الْمُنَافِقِينَ شَأْنَ غَيْرِهِ، فَجَعَلَ يَدْفَعُ فِي قَفَاهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ.

بني النجار، ولم يُعَرَفْ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا، وَهُوَ: أَبُو مُحَمَّدٍ مَسْعُودُ بْنُ أَوْسَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَضْرَمَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثُعَلْبَةَ بْنِ عَنَمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، يَعُدُّ فِي الشَّامِيِّينَ، وَهُوَ الَّذِي زَعَمَ أَنَّ الْوَثَرَ وَاجِبٌ، فَقَالَ عُبَادَةُ: كَذَبٌ^(١) أَوْ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي الْبَذَرِيِّينَ عِنْدَ الْوَاقِدِيِّ وَطَائِفَةٍ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيهِمْ.

(١) أي أخطأ.

وقام رجل من بَلْخَدْرَةَ بنِ الْخَزْرَجِ، رهط أبي سعيد الْخَدْرِي، يقال له: عبد الله بن الْحَارِث، حين أَمَرَ رسول الله ﷺ بإخراج المنافقين من الْمَسْجِدِ إِلَى رجل يُقَالُ له: الْحَارِث بن عمرو، وكان ذا جُمَّة، فأخذ بِجُمَّتِهِ فَسَحَبَهُ بِهَا سَحَبًا عَنِيقًا، على ما مَرَّ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، حتى أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ. قال: يقول المنافق: لقد أَغْلَظْتُ يَابْنَ الْحَارِث؛ فقال له: إِنَّكَ أَهْلٌ لَذَلِكَ، أَيِ عَدُوِّ اللَّهِ لَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ، فلا تَقْرُبَنَّ مَسْجِدَ رسول الله ﷺ، فَإِنَّكَ نَجَسٌ.

وقام رجل من بني عَمْرُو بنِ عَوْفٍ إِلَى أَخِيهِ زُوَيْي بنِ الْحَارِث، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ إِخْرَاجًا عَنِيقًا، وَأَقْفَ مِنْهُ، وقال: غلبَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ وَأَمْرُهُ.

فهؤلاء مَنْ حَضَرَ الْمَسْجِدَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِإِخْرَاجِهِمْ.

ما نزل من البقرة

في المنافقين ويهود ما نزل في الْأَحْبَارِ

ففي هؤلاء من أخبار يهود، وَالْمُنَافِقِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، نَزَلَ صَدْرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَى الْمِائَةِ مِنْهَا - فِيمَا بَلَّغْنِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

يقول الله سبحانه ويحمده: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(١)، أَيِ لَا شَكَّ فِيهِ^(٢).

قال ابن هشام: قال ساعدة بن جُوَيَّةِ الْهَذَلِي:

فقالوا عَهْدَنَا الْقَوْمَ قَدْ حَصَرُوا بِهِ فَلَا رَيْبَ أَنَّ قَدْ كَانَ ثُمَّ لَحِيمٌ

ذكر ما أنزل الله في المنافقين

فصل: وذكر ما أنزل الله في المنافقين والأحبار ومن يَهُودَ مِنْ صَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ،

(١) وقيل: بدأ القرآن بهذه الحروف ﴿أَلَمْ﴾ دون غيرها من بقية الحروف التي بدأت بها بعض السور، لأنها أوسط وأسهل الحروف خروجًا من الفم، وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى البعيد، والبقرة هي أول سور القرآن بعد الفاتحة فكيف يأتي اسم الإشارة «ذلك» وهو للبعد؟ قالوا: ذلك: أي ما سبق من القرآن التي نزلت قبل سورة البقرة، فهي ليست أول سور القرآن نزولاً، وقالوا: إشارة إلى الفاتحة.

(٢) فائدة: الفرق بين الريب والشك: أن الريب يكون مصحوبًا بسوء الظن بخلاف الشك.

وهذا البيت في قصيدة له، والرَّيْب (أيضًا): الرِّيبَة. قال خالد بن زهير الهذلي:

كَأَنَّنِي أَرِيْبُهُ بِرَيْبٍ

قال ابن هشام: ومنهم من يرويه:

كَأَنَّنِي أَرَبْتُه بِرَيْبٍ

وهذا البيت في أبيات له. وهو ابن أخي أبي ذؤيب الهذلي.

﴿هُدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يَعْرِفُونَ من الهدى، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي يُقِيمُونَ الصلاة بِفَرْضِهَا، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ احتسابًا لها: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، أي يصدقونك بما جئت به من الله عَزَّ وَجَلَّ، وما جاء به مَنْ قَبْلَكَ من الْمُرْسَلِينَ، لَا يَفْرَقُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَا يَجْحَدُونَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ. ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، أي هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك، وبما جاءك من ربك ﴿أَوَّلَكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾، أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم ﴿وَأَوَّلَكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الذين أدركوا ما طلبوا وَنَجَوْا مِنْ شَرِّ مَا مِنْهُ هَرَبُوا. ﴿إِنْ

واستشهد ابن هشام على الرَّيْب بمعنى الرِّيبَة بقول خالد بن زهير ابن أخت أبي ذؤيب، واسم أبي ذؤيب: حُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدٍ، والرجز الذي استشهد ببيت منه:

يَا قَوْمَ مَا لِي وَأَبَا ذُؤَيْبٍ كُنْتُ إِذَا أَتَيْتَهُ مِنْ غَيْبٍ
يَشْمُ عَظْفِي وَيَمْسُ ثَوْبِي كَأَنَّنِي أَرَبْتُه بِرَيْبٍ

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته، فلذلك، قال هذا.

وذكر ابن إسحاق: والذين يقيمون الصلاة، وأغفل التلاوة: وإنما هو: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣]. وكذلك وجدته مُتَّبِعًا عليه في حاشية الشيخ: وفي الإيمان بالغيب أقوال، منها أن الغيب هاهنا ما بعد الموت من أمور الآخرة، ومنها: أن الغيب، الْقَدَر، ومنها قول من قال: إن الغيب الْقَلْبُ، أي يؤمنون بقلوبهم، وقيل: يؤمنون بالغيب، أي بالله عَزَّ وَجَلَّ، وأحسن ما في هذه الأقوال قول الربيع بن أنس، أي: يؤمنون بظُهِرِ الغيب، أي: ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا عنهم، وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ: بَسِيَاةُ الْكَلَامِ، مع قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ فلا يحتمل قوله: يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ إِلَّا تَأْوِيلًا وَاحِدًا، فَإِلَيْهِ يَرُدُّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ.

الَّذِينَ كَفَرُوا»، أي بما أنزل إليك، وإن قالوا إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم، ممّا جاءهم به غيرك، فكيف يستمعون منك إنذارًا أو تحذيرًا، وقد كفروا بما عندهم من علمك. ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^(١) أي عن الهدى أن يُصيبوه أبدًا، يعني بما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك حتى يؤمنوا به، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك، ولهم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم.

فهذا في الأحبار من يهود، فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته.

وقوله سبحانه: لا رَيْبَ فيه، وقد ارتاب فيه كثير من الناس، قيل: هو على الخصوص في المؤمنين، أي لا ريب فيه عند. قال المؤلف: رضي الله عنه: وهذا ضعيف لأن التبرئة تعطي العموم، وأصح منه. أن الكلام ظاهره الخبر، ومعناه: النهي، أي: لا تَرْتَابُوا، وهذا النهي عامٌ لا يُخَصَّصُ، وأدق من هذا أن يكون خبرًا مَخْصُصًا عن القرآن، أي: ليس فيه ما يُريب، تقول: رأيتي منك كذا وكذا، إذا رأيت ما تُنكر، وليس في القرآن ما تُنكره العقول. والرَّيْبُ، وإن كان مُضْذِرًا فقد يُعْبَرُ به عن الشيء الذي يُريب، كما يُعْبَرُ بالضيف عن الضائف، وبالطَّيْفِ عن الخيالِ الطائف، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿لَيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فهذا خبر، لأن النهي لا يكون في موضع الصفة.

وقوله: لا رَيْبَ فيه في موضع الصفة ليوم، والحياة بعد الموت ليس فيه ما يُريبك، لأن من قدر على البدّة، فهو على الإعادة أقدر، وليس الريب بمعنى الشك على الإطلاق،

(١) فائدة: كثيرًا ما نسمع من الخطباء والوعاظ: أن الله ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ، وما أشبه، وللفظة «ختم» من لغة القرآن إنما تأتي في حالة الذمّ كهذه الآية في سورة البقرة وفي الجاثية، أما إذا جاءت صفة اسم مفعول «من رحيق مختوم» «ختامه مسك» فإنها تأتي في حالة المدح. فتأمل. قال الأزهري: الختم: أصله التغطية، وختم البذر في الأرض إذا غطاه. قال أبو إسحق: معنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق منه فلا يدخله شيء. ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: الختم والطبع يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سحبة وطبيعة فهو تأثير لازم لا يفارق. قلت: وفي اختصاص الختم على القلب وعلى السمع دون البصر فعليه غشاوة، ذلك أن السمع إذا خُتم عليه فلا يسمع وكذلك القلم إذا خُتم عليه - والعياذ بالله - فإنه لا ينفذ إليه شيء ويصير كما تقدم صفة لازمة له، بخلاف البصر فإنه يرى فالغشاوة أولى به من الختم، والغشاوة هي الغطاء، وهذا الغطاء أي الغشاوة إنما سَرَتْ إلى البصر عن طريق القلب الذي خُتم أولاً.

ما نزل في منافقي الأوس والخزرج:

﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَلْتَزِمُ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(١) يعني المنافقين من الأوس والخزرج، ومن كان على أمرهم. ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، أي شك ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، أي شكًا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٢) أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ من يهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق، وخلاف ما جاء به الرسول ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، أي إنا على مثل ما أنتم عليه. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: أي إنما نستهزئ بالقوم، ونلعب بهم. يقول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام يَعْمَهُونَ: يحارون. تقول العرب: رجل عَمَّ وعامه: أي حيران. قال رؤبة بن العجاج يصف بلدًا:

أعمى الهدى بالجاهلين العمَّه

وهذا البيت في أرجوزة له. فالعمَّه: جمع عامه؛ وأما عمه، فجمعه: عميهون. والمرأة: عميه وعمهاء.

لأنك تقول: رابني منك رائب، ولا تقول شكني، بل تقول: ارتبت كما تقول شككت، فالارتياب: قريب من الشك.

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ﴾ للتبعيض. وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ إنما هو مجرد قول بلا اعتقاد قلبي يصدق هذا القول وبلا عمل يصدق هذا القول، بخلاف وصف المؤمنين في الآيات الأولى من نفس السورة ﴿هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾... الآيات. وليس فيه أنهم قالوا: آمنا بالغيب.

(٢) وهذا هو حال المفسدون في الأرض، فهم يرفعون دائمًا شعار الإصلاح، فنقرأ في التاريخ: أن فلان هو صاحب حركة الإصلاح الزراعي، وفلان صاحب حركة الإصلاح التعليمي، وفلان صاحب حركة الإصلاح الديني، و... و... ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾^(١): أي الكفر بالإيمان ﴿فَمَا رَبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

قال ابن إسحاق: ثم ضرب لهم مثلاً، فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٢) أي لا يبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه، فتركهم الله في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٣): أي لا يرجعون إلى الهدى، صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي عن الخير، لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاة ما كانوا على ما هم عليه ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ أَصَابِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

قال ابن هشام: الصَّيِّبُ: المطر، وهو من صاب يَصُوب، مثل قولهم: السيد، من ساد يسود، والميِّت: من مات يموت؛ وجمعه: صَيَّاب. قال علقمة بن عبدة، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مائة بن تميم:

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيِّبٌ
وفيها:

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُعَمَّرٍ سَقَّتَكَ رَوَايَا الْمُنْزَنِ حَيْثُ تَصُوبُ
وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: أي هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل، من الذي هم عليه من الخلاف والتخوف لكم، على مثل ما وُصف، من الذي هو (في) ظلمة الصَّيِّب، يجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حَذَرَ الموت. يقول: والله منزل ذلك بهم

وذكر قول الله سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وأصل المرض: الضعف وتُتَوَر الأعضاء، وهو هاهنا ضَعْف اليقين، وتُتَوَر القلب عن كَدِّ النظر، وعطف: فزادهم الله، وإن

(١) قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ تخصيصهم بهذا الوصف، و﴿أُولَئِكَ﴾ للبعيد، أي فهم البعيدون عن رحمة الله، أو في القعر البعيد من جهنم والعباد بالله تعالى.

(٢) انظر في تفسيرها «أعلام الموقنين» لابن القيم - الجزء الأول، والصواعق المرسلة له أيضاً. والوابل (٧٨) وشفاء العليل (٩٦) واجتماع الجيوش (١٩).

(٣) قوله تعالى: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ في حق المنافقين، أما الكافرين فيقول عنهم «فهم لا يعقلون» فتأمل.

من النعمة، أي هو محيط بالكافرين ﴿يَكَاذُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾: أي لشدة ضوء الحق ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾؛ أي يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم من قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه في الكفر قاموا متحيرين. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ أي لما تركوا من الحق بعد معرفته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ للفرقتين جميعاً، من الكفار والمنافقين، أي وحدوا ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١).

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأنداد: الأمثال، واحدهم ندّ. قال لعبيد بن ربيعة:
أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدَّ لَهُ بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ
وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحق: أي لا تُشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ أي في شك مما جاءكم به، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي من استطعتم من أعيانكم على ما أنتم عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فقد تبين لكم

كان الفعل لا يُعطف على الاسم، ولا على مثل هذه الجملة، لو قلت: في الدار زيد، فأعطيته دِرْهَمًا لم يجز، ولكن لما كان في معنى قوله: في قلوبهم مرض كَمَغْنَى مَرَضَتْ، قلوبهم صح عطف الفعل عليه.

(١) قاعدة: من عادة القرآن أنه يتوصل بتقرير توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية، كما في الآية السابقة، فيعدّ التقرير بأن خالق السماء والأرض وخالق الناس جميعاً ومُنْزِلُ المطر إنما هو الرب، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. أي فلا تشركوا به شيئاً وهو الذي فعل لكم وبكم كذا وكذا. وانظر أيضاً ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾... الآية وما يليها من آيات، وانظر سورة الناس ﴿رَبِّ النَّاسِ مُلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾، وانظر سورة طه في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ الآيات.

الحَقَّ ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر.

ثم رَغَّبهم وحذَّره نقضَ الميثاق الذي أخذ عليهم لِنَبِيِّهِ ﷺ إذا جاءهم، وذكر لهم بدءَ خَلْقهم حين خلقهم، وشأنَ أبيهم آدم عليه السلام وأمره، وكيف صُنِعَ به حين خالف عن طاعته، ثم قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١) للأحبار من يهود ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بلاني عندكم وعند آبائكم، لما كان نجاها به فرعون وقومه ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾^(٢) الذي أخذتُ في أعناقكم لِنَبِيِّي أحمد إذا جاءكم ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾ أنجز لكم ما وعدتكم على تَصْدِيقِهِ واتباعه بوضَع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم ﴿وَيَا أَيُّهَا فَازَهُبُونَ﴾ أي أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من الثِّقَمَات التي قد عرفتكم، من المَسْخ وغيره ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم ﴿وَيَا أَيُّهَا فَاتَّقُوا وَلَا تَلْسِنُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تكتُموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي أتنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم، أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تَصْدِيقِ رسولي وتَنَقُّضِ ميثاقي، وتَجْحَدُونَ ما تَعْلَمُونَ من كتابي.

ثم عدَّد عليهم أحداثهم، فذكر لهم العجلَ وما صَنَعُوا فيه، وتوبته عليهم، وإقالتة إياهم، ثم قولهم: ﴿أَرَأَيْتُمُ اللَّهَ جَهْرَةً﴾.

وذكر قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وهم في التلاوة، فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، كما وهم في أول السورة. وبنو إسرائيل: هم بنو يَعْقُوب، وكان يسمى: إسرائيل، أي سِرِّي

(١) قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعلمنا أدب الخطاب والدعوة إلى الله تعالى بالحسنى، فعلى الرغم من كل ما صدر عن اليهود من كفر وإلحاد... إلا أنه تعالى بدأ أول خطاب يوجه إليهم في القرآن كله بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. ثم بعدها بقول تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وبعد نهاية السياق الموجه إليهم نجد القول الموجه إلى أمة النبي محمد ﷺ. ﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ فكونوا دائماً ذاكرين لي وليغمي عليكم فلا تشبهوا باليهود الذين نسوا نِعَمَ الله فاحتاجوا إلى تذكير الله تعالى لهم.

(٢) العجيب أن اليهود سمّوا كتابهم «العهد القديم»، والنصارى سمّوا كتابهم «العهد الجديد» ولم يوفَّ هؤلاء بالعهد القديم، ولا هؤلاء بالعهد الجديد!!!.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: جهرة، أي ظاهرًا لنا لا شيء يستره عتًا. قال أبو الأخرز الحِماني، واسمُه قُتيبة:

يَجْهَرُ أَجَوَافَ الْمِيَاهِ السَّدْمُ

وهذا البيت في أرجوزة له.

يجهر: يقول: يُظْهِرُ الْمَاءَ وَيَكْشِفُ عَنْهُ مَا يستره من الرمل وغيره.

قال ابن إسحق: وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرتهم، ثم إحياء إياهم بعد موتهم، وتظليله عليهم الغمام، وإنزاله عليهم المنّ والسلوى، وقوله لهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، أي قولوا ما أمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم؛ وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره، وإقالتة إياهم ذلك بعد هزئهم^(١).

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: المنّ: شيء كان يسقط في السّحر على شجرهم، فيجتنبونه خلواً مثل العسل، فيشربونه ويأكلونه. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لو أَطْعِمُوا الْمَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمْ ما أبصر الناسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجْعًا

وهذا البيت في قصيدة له. والسلوى: طير؛ واحدها: سلّوة؛ ويقال: إنها السّماني، ويقال للعسل (أيضًا): السلوى. وقال خالد بن زهير الهذلي:

وقاسمها بالله حَقًّا لَأَنْتُمْ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا

وهذا البيت في قصيدة له. وحِطَّة: أي حُطّ عنا ذُنُوبَنَا.

قال ابن إسحق: وكان من تبديلهم ذلك، كما حدّثني صالح بن كيسان عن صالح مولي التّوّمة بنت أميّة بن خلف، عن أبي هريرة ومن لا أنّهم، عن ابن عباس، عن

الله لكن لم يُذكروا في القراءة إلاّ أُضيفوا إلى إسرائيل، ولم يُسموا فيه: بنو يعقوب، ومتى ذكر إبراهيم وإسحق ويعقوب لم يُسم إسرائيل، وذلك لحكمة قرآنية، وهو أن القوم لما

(١) في بعض كتب التفسير أنهم قالوا بدلاً من «حطة» حنطة. وقالوا: هذا هو التبديل الذي صدر منهم. وهو بعيد، إذ إنهم ما كانوا يتحدثون العربية حتى يزدوا حرف النون هذا، بل لغتهم هي العبرية، والأرجح ما ذكره ابن إسحق.

رسول الله ﷺ، قال: «دَخَلُوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا منه سُجَّدًا يزحفون، وهم يقولون حِنط في شعير»^(١).

قال ابن هشام: ويروى: حنطة في شعيرة:

قال ابن إسحق: واستسقاء موسى لقومه، وأمره (إياه) أن يضرب بعصاه الحَجَرَ فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينًا، لكل سِنْبَط عَيْن يَشْرَبون منها، فد علم كل سِنْبَط عَيْنَه التي منها يشرب؛ وقولهم لموسى عليه السلام: «لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا».

قال ابن هشام: الفوم: الحنطة. قال أمية بن الصلت الثقفي:

فوق شيزي مثل الجوابي عليها قطع كالوذبل في نفى فوم

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الوذيل: قطع الفضّة والفوم: القمح؛ واحدته: فومة. وهذا البيت في قصيدة له.

«وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِيهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِضْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ».

قال ابن إسحق: فلم يفعلوا. وَرَفَعَهُ الطُّورُ فوقهم ليأخذوا ما أوتوا؛ والمسح الذي كان فيهم، إذ جعلهم قردةً بأخذائهم، والبقرة التي أراهم الله عز وجل بها العبرة في القتل الذي اختلفوا فيه، حتى بين الله لهم أمره، بعد التردد على موسى عليه السلام في صفة البقرة؛ وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة. ثم قال تعالى: «وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا

خُوطِبُوا بعبادة الله، وَذُكِّرُوا بدين أسلافهم مَوْعِظَةً لهم، وَتَنْبِيْهَا من غفلتهم سُمُوا بالاسم الذي فيه تَذَكُّرَةٌ بالله، فإن إسرائيل اسمٌ مضاف إلى الله تعالى في التأويل. ألا ترى: كيف تَبَّه على هذا المعنى رسول الله ﷺ - حين دعا إلى الإسلام قومًا، يقال لهم: بنو عبد الله، فقال لهم: يا بني عبد الله، إن الله قد حَسَّنَ اسمَ أبيكم يُحَرِّضُهُمْ بذلك على ما يقتضيه اسمُهم من العبودية لله، فكذلك قوله سبحانه: يا بني إسرائيل إنما ورد في مَغْرِضِ التَذَكُّرَةِ لهم بدين

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٤٠) والقرطبي (١/١٤١) والترمذي (٣٩٥٦) وابن الجوزي في زاد المسير (١/٨٦).

لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ^(١) أَي وَإِنْ مِنْ الْحَجَارَةِ لَأَلَيْنُ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَمَّا تَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْلَمُونَ﴾.

ثم قال لمحمد عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين يُؤَيِّسُهُمْ مِنْهُمْ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَغْلَمُونَ﴾ وليس قوله يَسْمَعُونَ التَّوْرَةَ، أَنْ كُلَّهُمْ قد سمعها، ولكنه فريق منهم، أي خاصة.

قال ابن إسحق، فيما بلغني عن بعض أهل العلم: قالوا لموسى: يا موسى، قد حيل بيننا وبين رؤية الله، فأسمعنا كلامه حين يكلمك، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربه، فقال له: نعم، مَزُهُمْ فَلْيَطَّهَّرُوا، أو ليطهروا ثيابهم، وليصوموا، ففعلوا. ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور؛ فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجَّدًا، وكلمه ربه، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى: يَا مَرْهَم وَيَنْهَاهُمْ، حتى عَقَلُوا عنه ما سمعوا، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل، فلما جاءهم حَرْفٌ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ما أمرهم به، وقالوا: حين قال موسى لبني إسرائيل: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِكَذَا وَكَذَا، قال ذلك الفريق الذي ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّمَا قَالَ كَذَا وَكَذَا، خِلَافًا لِمَا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ، فهم الذين عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾، أي بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة. ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾: لَا تَحْدِثُوا الْعَرَبَ بِهَذَا، فَإِنَّكُمْ قَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ فِيهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٢)﴾، أي تُقَرُّونَ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ، وقد عرفت أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ وَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا؛ اجْهَدُوهُ وَلَا تُقَرُّوا لَهُمْ

أبيهم، وَعُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ، فكان ذَكَرُهُمْ بهذا الاسم أَلِيقَ بِمَقَامِ التَّذَكُّرِ والتَّخْرِيسِ مِنْ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَا بَنِي يَعْقُوبَ، ولما ذكر مَوْهَبَتَهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَتَبَشِيرَهُ بِإِسْحَاقَ، ثم يَعْقُوبَ كَانَ لَفْظُ

(١) يشير تعالى إلى ما رآه اليهود من تفجر الماء من الحجر اثنتي عشرة عينا، وإلى الجبل الذي هبط ودُّك من خشية الله تعالى.

(٢) غيب يهودي وفكر غيبي، كأنهم إذا لم يتحدثوا فإن الله لا يقيم عليهم الحجة يوم القيامة!!! ولذلك عقب تعالى بقوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾. وتأمل قول بعضهم لبعض: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. هذا هو العقل اليهودي!!!.

به. يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُغْلِثُونَ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام، عن أبي عبيدة: إلا أمانِي: إلا قراءة، لأن الأمي: الذي يقرأ ولا يكتب. يقول: لا يعلمون الكتاب إلا (أنهم) يقرؤونه.

قال ابن هشام: عن أبي عبيدة ويونس أنهما تأولا ذلك عن العرب في قول الله عز وجل، حدّثني أبو عبيدة بذلك.

قال ابن هشام: وحدّثني يونس بن حبيب النحوي وأبو عبيدة: أن العرب تقول: تمنى، في معنى قرأ. وفي كتاب الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾. قال: وأنشدني أبو عبيدة النحوي:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرَهُ وَأَقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ
وَأَنشَدَنِي أَيْضًا:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ فِي اللَّيْلِ خَالِيًا تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رِسْلِ
وواحدة الأمانِي: أمنيّة. والأمانِي (أيضًا): أن يتمنى الرجل المال أو غيره^(١).

قال ابن إسحق: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: أي لا يعلمون الكتاب ولا يذرون ما فيه، وهم يجحدون بُبُوتَكَ بِالظَّنِّ. ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

دعوى اليهود قلة العذاب في الآخرة ورد الله عليهم:

قال ابن إسحق: وحدّثني مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة واليهود تقول: إنما مدّة الدنيا سبعة

يعقوب أولى بذلك المقام، لأنها مؤهبة بعقب أخرى، ويُشرى عقب بها يُشرى وإن كان اسمُ يعقوب عبرانيًا، ولكن لفظه موافق للعربي في العقب والتعقيب، فانظر مُشَاكَلَةَ الاسمين

(١) وهذا هو حال كثير من المسلمين اليوم، لا يعلمون الكتاب إلا أمانِي، مجرد أوهام وخيالات وتمني على الله تعالى، والقلب فاسد والعقل خرب، والعمل كفر وشرك. فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

آلاف سنة، وإنما يُعَذَّب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب. فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِئَتُهُ﴾ أي من عمل بمثل أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي خُلد أبداً. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أي من آمن بما كفرتم به، وعمل بما تركتم من دينه، فلهم الجنة خالدين فيها، يُخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً، لا انقطاع له.

قال ابن إسحاق: ثم قال: (الله عز وجل) يؤنبهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي ميثاقكم ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ أي تركتم ذلك كله ليس بالتقصص. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: تسفكون: تصبؤون. تقول العرب: سفك دمه، أي صبه، وسفك الرزق، أي هرقه. قال الشاعر:

وكنا إذا ما الضيف حل بأرضنا سفكنا دماء البذن في تربة الحال

قال ابن هشام: يعني «بالحال»: الطين الذي يخالطه الرمل، وهو الذي تقول له العرب: السهلة. وقد جاء في الحديث: أن جبريل لما قال فرعون: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ أخذ من حال البحر ﴿وَحَمَاتِهِ﴾ فضرب به وجه فرعون. (والحال: مثل الحمأة).

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أن هذا حق من ميثاقي عليكم ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أي أهل الشرك، حتى يسفكوا دماءهم معهم، ويخرجوهم من ديارهم مع هم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى تُفَادَوْهُمْ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم في دينكم ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾: في كتابكم ﴿إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْهُمْ يُبْغِضُ

للمقامين، فإنه من باب النظر في إعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام في منازل اللاتقة به.

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ^(١)، (أَي) أَنْفَادُونَهُمْ مُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، وَتَخْرِجُونَهُمْ كَفَارًا بِذَلِكَ. ﴿فَمَا جَزَاء مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ فَأَنْتَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ سَفْكَ دِمَائِهِمْ، وَافْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا فِدَاءَ أَسْرَاهُمْ.

فَكَانُوا فَرِيقَيْنِ، مِنْهُمْ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَلَهُمْ، حُلَفَاءُ الْخَزْرَجِ، وَالنَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ وَلَهُمْ، حُلَفَاءُ الْأَوْسِ. فَكَانُوا إِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ حَرْبٌ خَرَجَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ مَعَ الْخَزْرَجِ وَخَرَجَتْ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ مَعَ الْأَوْسِ يُظَاهِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ حُلَفَاءَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ، حَتَّى يَتَسَافَكُوا دِمَاءَهُمْ بَيْنَهُمْ وَبِأَيْدِيهِمُ التَّوْرَةُ يَغْرِفُونَ فِيهَا مَا عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ، وَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَهْلُ شِرْكَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ. لَا يَعْرِفُونَ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا بَعَثًا وَلَا قِيَامَةً، وَلَا كِتَابًا، وَلَا حِلَالًا وَلَا حُرَامًا، فَإِذَا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا افْتَدَوْا أَسْرَاهُمْ تَصَدِيقًا لِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَأَخَذَ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، يَفْتَدِي بَنُو قَيْنُقَاعَ مَنْ كَانَ مِنْ أَسْرَاهُمْ فِي أَيْدِي الْأَوْسِ وَتَفْتَدِي النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ مَا فِي أَيْدِي الْخَزْرَجِ مِنْهُمْ وَيُطْلُونَ مَا أَصَابُوا مِنَ الدِّمَاءِ، وَقَتَلُوا مِنْ قَتَلُوا مِنْهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، مُظَاهِرَةً لِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى حِينَ أَنْبَهُمْ بِذَلِكَ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، أَيِ تَفَادِيهِ بِحُكْمِ التَّوْرَةِ وَتَقْتُلُهُ، وَفِي حُكْمِ التَّوْرَةِ أَنْ لَا تَفْعَلَ، تَقْتُلُهُ وَتُخْرِجُهُ مِنْ دَارِهِ وَتُظَاهِرُ عَلَيْهِ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ، وَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ، ابْتِغَاءَ عَرْضِ الدُّنْيَا. فَفِي ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِمْ مَعَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ. فِيمَا بَلَّغْنِي. نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾، أَيِ الْآيَاتِ الَّتِي وَضَعَتْ عَلَى يَدَيْهِ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَخَلْقِهِ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ، وَالْخَبَرِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْغُيُوبِ مِمَّا يَدَّخِرُونَ فِي بَيُوتِهِمْ، وَمَا رَدَّ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوْرَةِ مَعَ الْإِنْجِيلِ، الَّذِي أَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ.

(١) وَهَذَا هُوَ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، آمَنُوا بِآيَةِ الزَّكَاةِ وَكَفَرُوا بِآيَةِ تَحْرِيمِ الرِّبَا، آمَنُوا بِآيَةِ الصَّوْمِ وَكَفَرُوا بِآيَةِ الصَّلَاةِ، آمَنُوا بِآيَةِ الْحَجِّ وَكَفَرُوا بِآيَةِ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، آمَنُوا بِبَعْضِ الشَّعَائِرِ وَكَفَرُوا بِآيَةِ الشَّرَائِعِ، تَجِدُ اللَّافِتَانِ وَقَدْ عُلِّقَ عَلَيْهَا ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فِيسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ﴾... الْآيَةُ وَلَا تَجِدُ لَافِتَةً عَلَيْهَا ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. أَظْهَرُوا بَعْضَ الْكِتَابِ وَأَخْفَوْا الْبَعْضَ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

ثم ذكر كفرهم بذلك كله، فقال: ﴿أَنكَلَمَا جَاءَكُم رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكَبَرْتُمْ فَفَرِّقَا كَذِبُتُمْ وَفَرِّقَا تَقْتُلُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: في أكنة^(١): يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ^(٢) من قومه، قال: قالوا: فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة، كنا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا: إن نبياً يبعث الآن تتبعه قد أظّل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما بعث الله رسوله ﷺ من قريش فاتبعناه كفروا به. يقول الله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، أي أن جعله في غيرهم: ﴿فَبَاؤُوا بَغْضَيبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: فباؤوا بغضب: أي اعترفوا به واحتملوه. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

أصالحكم حتى تبوؤوا بمثلها كصرخة حُبلى يسرتها قبيلها

قال ابن هشام: يسرتها: أجلستها للولادة. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة، وهي معهم، وغضب بكفرهم بهذا النبي ﷺ الذي أحدث الله إليهم.

ثم أثبتهم برفع الطور عليهم، واتخاذهم العجل إلهاً دون ربهم، يقول الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب عند الله، فابؤا ذلك

(١) غلف: أي على قلوبنا غشاوة فهي أوعية فلا تعي ولا تفقه ما تقول. انظر شفاء العليل لابن القيم (٤٣) رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنا كل خير.

(٢) مجاهيل.

على رسول الله ﷺ. يقول الله جلّ ثناؤه لنيّبه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾، أي بعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك، فيقال: لو تمّنوه يوم قال ذلك لهم ما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات. ثم ذكر رغبتهم في الحياة الدنيا وطول العُمر، فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أُخِرَصَ النَّاسُ عَلَى حَيَاةٍ﴾ اليهود ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْخِرِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾^(١)، أي ما هو بمُنجيه من العذاب، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثًا بعد الموت، فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزي بما ضيّع ممّا عنده من العلم. ثم قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

سؤال اليهود الرسول، وإجابته لهم عليه الصلاة والسلام:

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن (عبد) الرحمن بن أبي حُسين المكي عن شهر بن حوشب الأشعري^(٢): أن نفرًا من أحبار يهود جاؤوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ، فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وأمّا بك. قال: فقال لهم رسولُ الله ﷺ: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقنّني؟ قالوا: نعم، قال: فاسألوا عمّا بدا لكم، قالوا: فأخبرنا كيف يشبه الولد أمّه، وإنما النُطفة من الرجل؟ قال: فقال لهم رسولُ الله ﷺ: أنشدكم بالله وبآيame عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نُطفة الرجل بيضاء غليظة، ونُطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيتهما علّت صاحبتهما كان لها الشبهة؟ قالوا: اللهم نعم. قالوا: فأخبرنا كيف نومك؟ فقال: أنشدكم بالله وبآيame عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أنني لستُ به تنام عينه وقلبه يقظان؟ فقالوا: اللهم نعم، قال: فكذلك نومي، تنام عيني وقلبي يقظان. قالوا: فأخبرنا عمّا حرّم إسرائيلُ على نفسه؟ قال: أنشدكم بالله وبآيame عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنه اشتكى شكوى، فعافاه الله منها، فحرّم على نفسه أحبّ الطعام والشراب إليه شكرًا لله، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها؟ قالوا: اللهم نعم. قالوا: فأخبرنا عن الروح؟ قال: أنشدكم بالله وبآيame عند بني إسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني؟ قالوا: اللهم نعم، ولكنه يا محمد لنا

(١) ويبدو أن الكلمة الرائدة على ألسنة كثير من الناس عند التهتة من بعض المناسبات قولهم: «عقبال ألف سنة» أصلها هذا التمني لدى اليهود. والله أعلى وأعلم.

(٢) شهر بن حوشب: ضعيف الحديث.

عدو، وهو ملك، إنما يأتي بالشدة ويسفك الدماء، ولولا ذلك لاتبعناك، قال: فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ كُلُّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾، أي السحر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

إنكار اليهود نبوة سليمان بن داود عليه السلام ورد الله عليهم^(١):

قال ابن إسحاق: وذلك أن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين، قال بعض أبحارهم: ألا تعجبون من محمد، يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، أي باتباعهم السحر وعملهم به. ﴿وَمَا أُتِرَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يقول: الذي حرم إسرائيل على نفسه زائدتا الكبد والكليتان والشحم، إلا ما كان على الظهر، فإن ذلك كان يُقَرَّبُ للقربان، فتأكله النار.

كتابه ﷺ إلى يهود خيبر:

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر، فيما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ، صاحب موسى وأخيه، والمصدق لما جاء به موسى: ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى

(١) بالأصل: «إنكار اليهود نبوة داود عليهم السلام...» وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه.

سُوقِهِ يُعْجَبُ الزَّرَاعُ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا.

وإني أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى، وأنشدكم بالذي أنيس البحر لأبائكم حتى أنجاهم من فزعون وعمله، إلا أخبرتموني: هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كرهه عليكم. ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ - فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: شطؤه: فراخه، وواحدته: شطأة. تقول العرب: قد أشطأ الزرع إذا أخرج فراخه. وآزره: عاونه، فصار الذي قبله مثل الأمهات. قال امرؤ القيس بن حنجر الكندي:

بمَخْنِيَةٍ قد آزر الضال نُبْتُها مَجَرَّ جُيُوشِ غانمين وخُيِّبِ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال حميد بن مالك الأزقط، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مئة:

رَزَعَا وَقَضَبَا مُؤَزَّرَ الثُّبَاتِ

وهذا البيت في أرجوزة له. وسوقه غير مهموز جمع ساق، لساق الشجرة.

ما نزل في أبي ياسر وأخيه

قال ابن إسحق: وكان ممن نزل فيه القرآن، بخاصة من الأحرار وكفار يهود، الذي كانوا يسألونه ويتعثنونه ليلبسوا الحق بالباطل - فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رثاب - أن أبا ياسر بن أخطب مرّ برسول الله ﷺ، وهو يتلو فاتحة البقرة: ﴿الَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فأتى أخاه حَيَّي بن أخطب في رجال من

حديث أبي ياسر بن أخطب

فصل: وذكر ابن إسحق حديث أبي ياسر بن أخطب وأخيه حَيَّي بن أخطب حين سمعا «الْمَصَّ» ونحوها من الحروف، وأنهم أخذوا تأويلها من حروف أبجد إلى قوله: لعله قد جمع لمحمد وأمه هذا كله. قال المؤلف: وهذا القول من أحرار يهود، وما تأولوه من معاني هذه الحروف محتمل، حتى الآن أن يكون من بعض ما دلت عليه هذه الحروف

يهود، فقال: تعلّموا والله، لقد سمعت محمدًا يتلو فيما أنزل عليه: ﴿الَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، فقالوا: أنت سمعته؟ فقال: نعم، فمشى حُيَيُّ بن أخطب في أولئك النَّفَر من يهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا له: يا محمد، ألم يُذَكِّر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك: ﴿الَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾؟ فقال رسولُ الله ﷺ: بلى، قالوا: أجاءك بها جبريل من عند الله؟ فقال: نعم، قالوا: لقد بَثَّ الله قبلك أنبياء، ما نعلمه بيِّنَ لنبِيِّ منهم ما مدّة ملكه، وما أَكُلَ أُمَّتُهُ غيرك، فقال حُيَيُّ بن أخطب، وأقبل على من معه، فقال لهم: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة، أفَتَدْخُلُونَ في دين إنما مدّة مُلْكِهِ وأَكُلَ أُمَّتِهِ إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: ماذا؟ قال: ﴿الْمَصْرُ﴾. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون ومائة سنة، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: نعم ﴿الَّرَّ﴾ قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف

المقطّعة، فإن رسول الله - ﷺ - لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك، ولا صدقهم^(١). وقال في حديث آخر: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ»^(٢). وإذا كان في حَذِّ الاحتمال وَجِبَ أَنْ يُفَحِّصَ عنه في الشريعة هل يُشِير إلى صحته كتاب أو سُنَّة، فوجدنا في التنزيل ﴿وإن يومًا عند ربك كآلف سنة مما تُعَدُّون﴾ ووجدنا في حديث زَمَلِ الْخَزَائِعِي حين قص على رسول الله - ﷺ - رُؤْيَا، وقال فيها: رأيتك يا رسول الله على منبر له سبع درجات، وإلى جنبه نافذة عَجَفَاء، كأنك تبعثها، ففسر له النبي ﷺ النافذة بقيام الساعة التي أنذر بها، وقال في المنبر: ودرجاته الدنيا: سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفًا، والحديث وإن كان ضَعِيفَ الإسناد، فقد رُوِيَ موقوفًا على ابن عباس من طَرِيقِ صِحَاحٍ، أنه قال: «الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة، وبعث رسول الله - ﷺ - في آخر يوم منها. وقد مضت منه سنون، أو قال: مِثْوَن^(٣)، وصحح أبو جعفر الطبري هذا الأصل، وعضده بآثار، وذكر قول رسول الله - ﷺ - «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَإِنَّمَا سَبَقْتُهَا بِمَا سَبَقَتْ هَذِهِ»^(٤)، يعني: الوسطى والسَّابَّة، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة صححها وأورد منها

(١) لا صحة لهذا التأويل اليهودي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧/٣) والبيهقي (١٠/١٦٣) ومن الصفات له (٢٧٠) بتحقيقي. والحديث فيما لا يخالف عقيدة المسلمين المتقاة عن كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ «الصحيحة».

(٣) «موضوع». انظر ابن الجوزي من اللاكيء (٢/٢٣٦) وتذكرة الموضوعات للفتن (٢٢٤) وأخرجه أبو نعيم في تاريخ جرجان (١٤٠).

(٤) تقدم تخريجه.

واحدة، واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان، هل مع هذا غيره يا محمد؟ قال: نعم ﴿الْمَرَّ﴾. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة، ثم قال: لقد بُسِّس علينا أمرك يا محمد، حتى ما نَدري أقليلاً أعطيت أم كثيرًا؟ ثم قاموا عنه، فقال أبو ياسر لأخيه حَيَّيْ بن أخطب ولمن معه من الأحرار: ما يُدريكم لعلَّه قد جُمع هذا كله لمحمد، إحدى وسبعون، وإحدى وستون ومائة، وإحدى وثلاثون ومائتان، وإحدى وسبعون ومائتان، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة، فقالوا: لقد تشابه علينا أمره. فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(١).

قال ابن إسحاق: وقد سمعت من لا أنهم من أهل العلم يذكر: أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في أهل نَجْران، حين قَدِموا على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مَرْيَم عليه السلام.

قوله عليه السلام: «لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ يُوَخَّرَ هَذِهِ الْأَمَّةَ نِصْفَ يَوْمٍ»^(٢)، يعني: خمسمائة عام، وقد خَرَجَ، هذا الحديث الأخير أبو داود أيضًا. قال الطبري: وهذا في معنى ما قبله يشهد له وبينه فإن الوُسْطَى تزيد على السَّبَّابة بنصف سُبُعِ أَصْبَعٍ، كما أن نصف يوم من سبعة نِصْفِ سَبْعٍ. قال المؤلف: وقد مضت الخمسمائة من وفاته إلى اليوم بَيِّنٌ عليها، وليس في قوله: لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ يُوَخَّرَ هَذِهِ الْأَمَّةَ نِصْفَ يَوْمٍ ما ينفي الزيادة على النصف، ولا في قوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ما يقطع به على صحة تأويله، فقد قيل في تأويله غير هذا، وهو أن ليس بينه وبين الساعة نبي غيره، ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها، كما قال سبحانه: «افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ»، «وَأَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ» ولكن إذا قلنا: إنه - عليه السلام - بُعِثَ في الألف الآخر بعدما مضت منه سنون، ونظرنا بعدُ إلى الحروف المقطعة في أوائل السور، وجدناها أربعة عَشَرَ حرفًا يجمعها: قولك:

أَلَمْ يَسْطَعْ نَصْ حَقْ كَرِهَ^(٣)

ثم نأخذ العدد على حساب أبي جادٍ، فنجد: ق مائة، و: ر مائتين، و: س ثلاثمائة، فهذه ستمائة، و: ع سبعين، و: ص ستين، فهذه سبعمائة وثلاثون، و: ن خمسين، و: ك

(١) انظر تفسير ابن كثير (٥٧/١) الطبري (٢٠٧/١).

(٢) «صحيح». أخرجه أبو داود (٤٣٤٩) بتحقيقي. والحاكم (٤٢٤/٤) والطبري في تاريخه (١٨/١).

(٣) ويجمعها قولك: «نص قاطع حكيم له سر».

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أنه قد سمع: أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في نفر من يهود، ولم يُفسر ذلك لي. فإله أعلم أي ذلك كان.

كفر اليهود به ﷺ بعد استفتاحهم به وما نزل في ذلك:

قال ابن إسحاق: وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جببر، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل، ويشر بن البراء بن مغرور، أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شِرك، وتُخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم، أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

ما نزل في نكران مالك بن الصيف العهد إليهم بالنبي:

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن الصيف، حين بُعث رسول الله ﷺ، وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق، وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عهد إلينا في محمد عهد، وما أخذ له علينا من ميثاق. فأنزل الله فيه: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

عشرين، فهذه ثمانمائة، و: م أربعين، و: ل ثلاثين، فهذه ثمانمائة وسبعون، و: ي عشرة. و: ط تسعة، و: أ واحد، فهذه ثمانمائة وتسعون، و: ح ثمانية، و: ه خمسة، فهذه تسعمائة وثلاثة، ولم يُسم الله سبحانه في أوائل السور إلا هذه الحروف، فليس يبعد أن يكون من بعض مُقتضياتها وبعض فوائدها الإشارة إلى هذا العدد من السنين لما قدمناه في حديث الألف السابع الذي بعث فيه عليه السلام، غير أن الحساب محتمل أن يكون من مبعثه، أو من وفاته، أو من هجرته، وكلُّ قريبٍ بعضه من بعض، فقد جاء أشراطها، ولكن

(١) دعوة إلى حكام وملوك وساسة هذا الزمان أن يتعلموا من القرآن مع مَنْ يتعاملون، وإلى مَنْ يجلسون، ومع أي عقول يتحاورون، إلى الذين يعقدون مؤتمرات أو مؤتمرات السلام مع اليهود: اقرؤوا هذه الآية جيّداً وضعوها نصب أعينكم.

ما نزل في قول أبي صلوبا: «ما جئتنا بشيء نعرفه»:

وقال أبو صلوبا الفطيني لرسول الله ﷺ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية فتنبئك لها. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾.

ما نزل في قول ابن حريملة ووهب:

وقال رافع بن حريملة، ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمد، اثبتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سواء السبيل: وسط السبيل. قال حسان بن ثابت:

يا وَنَحْ أَنْصَارَ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بعد الْمُعْتَبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحِدِ

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

ما نزل في صد حبي وأخيه الناس عن الإسلام:

قال ابن إسحق: وكان حبي بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب، من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خصهم الله تعالى برسوله ﷺ، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُودُنَّكُمْ مِنْ

لا تأتيكم إلا بغتة^(١)، وقد روي أن المتوكل العباسي سأل جعفر بن عبد الواحد القاضي، وهو عباسي أيضاً: عما بقي من الدنيا، فحدثه بحديث يرفعه إلى رسول الله ﷺ - أنه قال: «إن أحسن أمتي، فبقاؤها يوم من أيام الآخرة، وذلك ألف سنة، وإن أساءت، فنصف يوم»^(٢)، ففي هذا الحديث تنميم للحديث المتقدم وبيان له؛ إذ قد انقضت الخمسمائة، والأمة بأقية والحمد لله.

(١) لا صحة لهذا التأويل البعيد جداً عن الصحة من تفسير الآيات بالحروف، وأصل هذا عند اليهود كما تقدم. فانتبه.

(٢) «ضعيف». انظر الفتح (٣٥١/١١).

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: ولما قَدِمَ أَهْلُ نَجْرَانٍ مِنَ النَّصَارَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَتَتْهُمْ أَحْبَابُ يَهُودٍ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَكَفَرَ بَعِيسَى وَبِالْإِنْجِيلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانٍ مِنَ النَّصَارَى لِلْيَهُودِ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَجَعَدَ نَبْوَةُ مُوسَى وَكَفَرَ بِالتَّوْرَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، أَيِ كُلِّ يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصَدِيقَ مَا كَفَرَ بِهِ، أَيِ يَكْفِرُ الْيَهُودُ بِعِيسَى، وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّصَدِيقِ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي الْإِنْجِيلِ مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ تَصَدِيقِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّوْرَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَكُلٌّ يَكْفِرُ بِمَا فِي يَدِ صَاحِبِهِ.

ما نزل في طلب ابن حريملة أن يكلمه الله:

قال ابن إسحاق: وقال رافعُ بن حُرَيْمَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ، فَقُلْ لِلَّهِ فَلْيُكَلِّمْنَا حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

معاني الحروف في أوائل السور:

فصل: ولهذه الحروف في أوائل السور معاني جَمَّةٌ وفوائد لطيفة، وما كان الله تعالى لِيُنْزَلَ فِي الْكِتَابِ مَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ، وَلَا لِيُخَاطَبَ نَبِيُّهُ وَذَوِي الْأَبَابِ مِنْ صَحْبِهِ بِمَا لَا يَفْهَمُونَ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ بَيَانًا لِلنَّاسِ، وَشَفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ، فَفِي تَخْصِيصِهِ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْأَرْبَعَةُ عَشَرَ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا حِكْمَةٌ بَلِ حِكْمٌ، وَفِي إِنْزَالِهَا مُقَطَّعَةٌ عَلَى هَيْئَةِ التَّهْجِيِّ فَوَائِدُ عِلْمِيَّةٌ وَفَقْهِيَّةٌ، وَفِي تَخْصِيصِهَا بِأَوَائِلِ السُّورِ، وَفِي أَنَّ كَانَتْ فِي بَعْضِ السُّورِ، دُونَ بَعْضٍ فَوَائِدُ أَيْضًا، وَفِي اقْتِرَانِ الْأَلْفِ بِاللَّامِ، وَتَقَدُّمِهَا عَلَيْهَا مَعَانٍ وَفَوَائِدُ، وَفِي إِرْدَافِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ بِالْمِيمِ تَارَةً، وَبِالرَّاءِ أُخْرَى، وَلَا تَوْجِدُ الْأَلْفَ، وَاللَّامَ فِي أَوَائِلِ السُّورِ، إِلَّا هَكَذَا مَعَ تَكَرُّرِهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً فَوَائِدُ أَيْضًا، وَفِي إِنْزَالِ الْكَافِ قَبْلَ الْهَاءِ، وَالْهَاءِ قَبْلَ الْيَاءِ ثُمَّ الْعَيْنِ ثُمَّ الصَّادِ مِنْ «كَهَيَّصَ» مَعَانٍ أَكْثَرُهَا تَنْبَهُ عَلَيْهَا آيَاتٌ مِنَ الْكِتَابِ، وَتَبَيَّنَ الْمُرَادُ بِهَا لِمَنْ تَدَبَّرَهَا.

ما نزل في سؤال ابن ضوريا للنبي عليه الصلاة والسلام بأن يهود:

وقال عبد الله بن ضوريا الأعور الفطيني لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهّد، وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبد الله بن ضوريا وما قالت النصارى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١). ثم القصة إلى قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

مقالة اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحق: ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة، وصُرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من مَقدم رسول الله ﷺ المدينة؛ أتى رسول الله ﷺ رِفاعَةُ بنُ قيس، وقَزْدَم بن عمرو، وكَعْب بن الأشرف، ورافعُ بن أبي رافع، والحجاجُ بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فقالوا: يا محمد، ما ولأكَ عن قبلك التي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلك التي كنت عليها تتبعك ونصدقك، وإنما يريدون

والتدبُّر والتذكر واجبٌ على أولي الألباب، والخوضُ في إيراد هذه المعاني، والقصدُ لإيضاح ما لاح لي عند الفكر والنظر فيها، مع إيراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثرٍ وعربية ونظرٍ يُخرجنا عن مقصود الكتاب وينأى بنا عن موضوعه والمراد به، ويقتضي إفرادَ جزءٍ أشرح ما أمكن من ذلك، ولعله أن يكون، إن ساعد القدر؛ والله المستعان، وهو ولي التوفيق، لا شريك له^(٢).

ذكر تحويل القبلة

فصل: وذكر تحويل القبلة، وما قالته جماعةُ يهودَ حين قالوا: يا محمد ما ولأكَ عن قبلك، وهم السفهاء من الناس، فيهم نزلت هذه الآية. وقال: سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم سيقولون ذلك، أي: لم أمركم بتحويلها إلا وقد علمت أن سيقولون ما

(١) أي قالت اليهود: كونوا هودًا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا. وليس المراد التخيير.

(٢) وقالوا في تفسيرها: إنها للإعجاز والتحدّي، أي: إن هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ إنما هو مكوّن من نفس هذه الحروف التي برعتم أنتم أيها العرب فيها. أي في العربية، وقالوا: معناها أن نقول: الله أعلم بما أراد بها.

بذلك فتنته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي ابتلاء واختبارًا ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي من الفتن: أي الذين ثبت الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي إيمانكم بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيكم، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة، وطاعتكم نبيكم فيها: أي ليعطينكم أجرهما جميعًا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: شطره: نحوه وقصده. قال عمرو بن أحمر الباهلي - وباهلة بن يعنصر بن سعد بن قيس بن عيلان - يصف ناقة له.

تعدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهي عاقدةٌ قد كَارَبَ الْعَقْدُ من إيفادها الْحَقْبَا
وهذا البيت في قصيدة له.

قالوه، وقد ذكرنا في حديث الهجرة، قصة البراء بن مَعْرُور فوائده في معنى تحويل القبلة، فلتنظر هنالك وأنشد في تفسير الشطر بيت ابن أحمر:

تَعْدُو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهي عاقدةٌ قد قَارَبَ الْعَقْدُ من إيفادها الْحَقْبَا
وَأَلْفَيْتُ في حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه، قال من إيفادها: من إشرافها، كذا قال محمد بن عبد الله البرقي، وقال: كَارَبَ موضعَ قَارَبَ، ووقع في شعر ابن أحمر:

تَعْدُو بنا عُرْضَ جَمْعٍ وهي مُوقِدةٌ قد قَارَبَ الْعُرْضُ من إيفادها الْحَقْبَا
تعدو: من العدو بنا وبرحلي: يعني غلامه. عُرْضَ جَمْعٍ: يعني مكة، وعَرْضَ أحب إلي، وعُرْضُ: كثرة الناس، عن الأصمعي، ومُوقِدةٌ، أي: مشرفة. أوفد: إذا أشرف، وروى غيره: وهي عاقدة، يريد عنقها لاوتها والعُرْضُ: الْبَطَانُ وهو حزام الرُّحْل. من إيفادها، أي إشرافها، وقد اقتادت: نصبت عُتْقَهَا وعَصَرَتْ بَذَنبَهَا وتَخَامَصَتْ ببطنها فقرب كل واحد من

وقال قيس بن خويلد الهذلي يصف ناقته:

إِنَّ الثُّعُوسَ بِهَا دَاءٌ مُخَايَرُهَا فَشَطَرُهَا نَظَرُ الْعَيْنِينَ مَحْسُورُ
وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: والثُّعُوسُ: ناقته، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير، من قوله:
وهو حسير.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ
وَلَيْنَ آتَيْنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ
بِتَابِعٍ قِبْلَةٍ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

قال ابن إسحاق: إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُفْتَرِينَ﴾.

كتمانهم ما في التوراة من الحق:

وسأل معاذ بن جبل، أخو بني سلمة، وسعد بن معاذ، أخو بني عبد الأشهل
وخارجة بن زيد، أخو بلحارث بن الخزرج، نفرًا من أحبار يهود عن بعض ما في
التوراة، فكتموهم إياه، وأبوا أن يُخبروهم عنه. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ
وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

جوابهم للنبي عليه الصلاة والسلام حين دعاهم إلى الإسلام:

قال: ودعا رسول الله ﷺ اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه،
وحذَّره عذاب الله ونقمته؛ فقال له رافع بن خارجة، ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد
ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيرًا منّا. فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك من
قولهما: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ
آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

الغرض والحَقُّ من صاحبه بذلك. هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل
البيت:

أنشأت أسأله عن حال رُفَّقَتِهِ فقال: حَيٍّ فَإِنَّ الرِّكَبَ قَدْ نَصَبَا

جمعهم في سوق بني قينقاع

ولما أصاب الله عز وجل قريشاً يوم بدر جمع رسول الله ﷺ يهود في سوق بني قينقاع، حين قدم المدينة، فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً، فقالوا له: يا محمد، لا يغيرتك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش، كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٢، ١٣].

دخوله ﷺ بيت المدراس:

قال: ودخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله، فقال له الثعمان بن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه، قالا: فإن إبراهيم كان يهوديًا؟ فقال لهما رسول الله ﷺ: فهلم إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾.

ما أنزل الله في بني قينقاع

فصل: وذكر ما أنزل الله سبحانه في بني قينقاع، وقولهم للنبي ﷺ: لو حاربنا، لعلمت أننا نحن الناس: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾ فمن قرأه: يَرَوْنَهُمْ بالياء، فمعناه أن الكفار يرون المؤمنين مثلهم، وإن كانوا أقل منهم لما كثروهم بالملائكة. فإن قيل: وكيف وهو يقول في آية أخرى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ قيل: كان هذا قبل القتال عندما حرَّز الكفار المؤمنين، فأروهم قليلاً، فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة، فأروهم، كثيراً فانهزموا، وقيل: إن الهاء في يَرَوْنَهُمْ عائدة على الكفار، وإن المؤمنين رَأَوْهُمْ مثلهم، وكانوا ثلاثة أمثالهم، فقللهم في عيون المؤمنين، وأما من قرأها بالتاء، فيجوز أن يكون الخطاب لليهود، أي ترون المشركين يوم بدر مثلي المؤمنين، وذلك أنهم كانوا ألقاً، فانخذل عنهم الأخنس بن شريق بني زُهرة، فصاروا سبعمائة أو نحوها، ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين، أي: ترون أبها المشركون المؤمنين مثلهم، حين

اختلاف اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام:

وقال أخبارُ يهودَ ونصارى نجران، حين اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازَعوا، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيمُ إلا يهوديًا، وقالت النصارى من أهل نجران: ما كان إبراهيمُ إلا نصرانيًا. فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ما نزل فيما همَّ به بعضهم من الإيمان غدوة والكفر عشية:

وقال عبدُ الله بن صيف، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوةً، ونكفر به عشيةً، حتى تلبسَ عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع، ويرجعون عن دينه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ما نزل في قول أبي رافع والنجراني «أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى»؟

وقال أبو رافع القرظي، حين اجتمعت الأخبارُ من يهود، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجلٌ من أهل نجران نصراني، يقال له: الرئيس، (ويروى: الرئيس، والرئيس): أو ذاك تُريدُ منا يا محمد وإليه تدعون؟ أو كما قال. فقال رسولُ الله ﷺ: معاذَ الله أن أعبد غيرَ الله أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثني الله، ولا أمرني؛ أو كما قال. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ

أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى المعنى الأول الذي قدمناه في قراءة من قرأ بالياء. وفي الآية تَخْلِيْطُ عن الفراء أضربنا عن ذكره، وجُلُّ ما ذكرناه آنفاً مذكور في التفاسير بالفاظ مختلفة.

بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

قال ابن هشام: الربانيون: العلماء الفقهاء السادة، واحدهم: رباني.

قال الشاعر:

لو كنت مُرْتَهَنًا فِي الْقَوْسِ أَفْتَنَنِي مِنْهَا الْكَلَامُ وَرَبَّانِي أَخْبَارِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الْقَوْسُ: صومعة الراهب. وأفتنني، لغة تميم. وفتنني، لغة قيس.

قال جرير:

لَا وَضَلَ إِذْ صَرَمْتُ هِنْدٌ وَلَوْ وَقَفْتُ لَا اسْتَنْزَلْتَنِي وَذَا الْمِسْحَيْنِ فِي الْقَوْسِ

أي صومعة الراهب. والرباني: مشتق من الرب، وهو اليد. وفي كتاب الله: ﴿فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا﴾، أي سيده.

وذكر ابن هشام في الربانيين أنهم العلماء الفقهاء السادة وفي البخاري عن بعض أهل العلم قال: الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، وقيل: نسبوا إلى علم الرب والفقه فيما أنزل وزيدت فيه الألف والنون لتفخيم الاسم، وأنشد ابن هشام:

لو كنت مُرْتَهَنًا فِي الْقَوْسِ أَفْتَنَنِي مِنْهَا الْكَلَامُ وَرَبَّانِي أَخْبَارِ

وقال: الْقَوْسُ: الصومعة، ومن كلام العرب: أنا بالْقَوْسِ وأنت بالْقَرْقُوسِ، فكيف نجتمع؟ وقال في أفتنني: هي لغة تميم، وفرق سيبويه بين فتنته وأفتنته، وجعله من قول الخليل، قال أفتنته: صيرته مُفْتَنًا أو نحو هذا، وفتنته، جعلت فيه فتنَةً، كما تقول: كَحَلَّتْهُ جعلت في عينيه كُحْلًا، ومأل هذا الفرق إلى أن فتنته صَرَفْتُهُ، فجاء على وزنه، لأن المفتون مَضْرُوفٌ عَنْ حَقٍّ، وأفتنته بمعنى أَضَلَلْتُهُ وَأَغْوَيْتُهُ، فجاء على وزن ما هو في معناه، وأما فتنت الحديد في النار، فعلى وزن فعلت، لا غير؛ لأنها في معنى: خَبَزْتَهَا، وَبَلَوْتُهَا ونحو ذلك.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣٨٤/٥) وأورده ابن كثير في الدر (٤٠/٢) وابن كثير في تفسيره (٥٤/٢).

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

ما نزل في أخذ الميثاق عليهم:

قال ابن إسحاق: ثم ذكر ما أخذ الله عليهم، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم، وإقرارهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إلى آخر القصة.

سعيهم في الوقعة بين الأنصار:

قال ابن إسحاق: ومَرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ، وكان شيخاً قد عسا، عظيم الكُفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نَقَرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج. في مجلس قد جَمَعَهُمْ، يتحدثون فيه، فغاضه ما رأى من أَلْفَتِهِمْ وجماعتهم، وصَلاح ذات بَيْنِهِمْ على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة. في الجاهلية فقال: قد اجتمع ملا بني قَيْلَةَ بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار. فأمر فتى شاباً من يَهُودَ كان معهم، فقال: اعْمِدْ إِلَيْهِمْ، فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بُعِثَ وما كان قَبْلَهُ وأنشدهم بعض ما كانوا يَقُولُوا فيه من الأشعار.

شيء عن يوم بعث:

وكان يوم بُعِثَ يوماً اقتتل في الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس عن الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حَضِيرُ بْنُ سِمَاكٍ الْأَشْهَلِيُّ، أَبُو أُسَيْدِ بْنِ حَضِيرٍ؛ وعلى الخزرج عمرو بن النُعمان البياضي، فقتل جميعاً.

قال ابن هشام: قال أبو قيس بن الأسلت:

على أن قد فُجِعْتُ بذي جِفاظٍ فَعَاوَدَنِي لَهُ حُزْنٌ رَصِينٌ
فلما تَفَتَّلُوهُ فَإِنَّ عَمْرًا أَعْصَى بِرَأْسِهِ عَضْبَ سَنِينِ

وهذان البيتان في قصيدة له. وحديث يوم بُعِثَ أطول مما ذكرت، وإنما منعي من استقصائه ما ذكرت من القطع.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سنين: مسنون، من سنّه، إذا شحذه.

قال ابن إسحق: ففعل. فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى ثواب رجلان من الحيين على الركب، أوس بن قنطي، أحد بني حارثة بن الحارث، من الأوس، وجبار بن صخر، أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئت ردذناها الآن جدعة، فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة - والظاهرة: الحرّة - السلاح السلاح. فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله، أيدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم»^(١)، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس. فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس وما صنع: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وأنزل الله في أوس بن قنطي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَغْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ما نزل في قولهم: «ما آمن إلا شرارنا»:

قال ابن إسحق: ولما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام، ورسخوا

(١) انظر البخاري (٢٢٣/٤).

فيه، قالت أحرارُ يهود، أهل الكُفر منهم: ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من أحرارنا ما تركوا دين آبائهم ودَّهَبوا إلى غيره. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: آناء الليل: ساعات الليل، وواحدها: إنِّي. قال المُتَنَخِّلُ الهذلي، واسمه مالك بن عُويمر، يرثي أئيلة ابنه:

حَلُّوْ وَمَرَّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ شِمْمُهُ فِي كُلِّ إِنِّي قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال ليبد بن ربيعة يصف حمار وخش:

يُطَرَّبُ آنَاءَ النَّهَارِ كَأَنَّهُ غَوِيَّ سَقَاهُ فِي التَّجَارِ نَدِيمُ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنني مقصور فيما أخبرني يونس.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ما نزل في نهي المسلمين عن مباطنة اليهود:

قال ابن إسحاق: وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود، لما كان بينهم من الجوار والحلف، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مُباططهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾، أي تؤمنون بكتابكم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم كنتم أحقَّ بالبغيضاء لهم منهم لكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ إلى آخر القصة.

تفسير آناء الليل:

فصل: وذكر ابن هشام في تفسير آناء الليل، قال: واحد الاناء إنِّي، واستشهد عليه بقول الهذلي، ثم أغرب بما حدَّثه به يونس، فقال: ويقال إنني فيما حدَّثني يونس بن حبيب، وهذا الذي قاله آخرًا هو لغة القرآن، قال الله تعالى: ﴿غَيْرِ نَظِيرِينَ إِنَّاهُ﴾.

ما كان بين أبي بكر وفنحاص:

ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود، فوجد منهم ناسًا كثيرًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأخبارهم، ومعه خبر من أخبارهم، يقال له: أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك يا فنحاص! اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا لرسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغني، ولو كان عنا غنيًا ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم أصحابكم، ينهاكم عن الربا ويغطيناه، ولو كان عنا غنيًا ما أعطانا الربا. قال: فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم، لضربت رأسك، أي عدو الله. قال: فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولًا عظيمًا، إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله ممًا قال، وضربت وجهه. فبح ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردًا عليه، وتضديقًا لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

ونزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وما بلغه في ذلك من الغضب: ﴿وَلَسْتُمْ مَعَهُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

ذكر جمل من الآيات المنزلة في قصص الأخبار:

فصل: وذكر ابن إسحق جملًا من الآيات المنزلة في قصص الأخبار ومسائلهم كلها واضحة، والتكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب إلى تفسير القرآن، وفي جملتها قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مَرْسَاهَا﴾ وقال الفراء في أيان: هي كلمتان، جعلت واحدة، والأصل: أي آن، والآن والأوان بمعنى واحد، كما يقال: راح وزياح، وأنشد:

نَسَاوَى تَسَافَوْا بِالرِّيَّاحِ الْمُقْلَلِ

وقد ذكر الهروي في أيان وجهًا آخر، قال: يجوز أن يكون أصله: أَيَوَان فاندغمت الياء في الواو مثل قِيَام.

ثم قال فيما قال فنحاص والأخبار معه من يهود: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُيِّنَ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني فنحاص، وأشيع وأشباههما من الأخبار، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا، أن يقول الناس: علماء، وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى ولا حق، ويحبون أن يقول الناس قد فعلوا.

أمرهم المؤمنين بالبخل:

قال ابن إسحق: وكان كرزيم بن قيس، حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبخري بن عمرو، وحيتي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار كانوا يخالطونهم، ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون لهم: لا تُنْفِقُوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تُسارعوا في الثقة فإنكم لا تدرُونَ علام يكون. فأنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي من التوراة، التي فيها تضديق ما جاء به محمد ﷺ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾... إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

جحدهم الحق:

قال ابن إسحق: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود، إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه، وقال: أرعنا سمعك يا محمد، حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام وعابه. فأنزل الله فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا﴾، (أي راعنا سمعك) ﴿لِيَّا بِالْأَسْثَةِ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وكلم رسول الله ﷺ رؤساء من أخبار يهود، منهم: عبد الله بن صوريا الأعور، وكعب بن أسد، فقال لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن

الذي جثثكم به لَحَقْ، قالوا: ما تعرف ذلك يا محمد: فَجَحَدُوا مَا عَرَفُوا، وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَى أَذْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: نَطْمِسُ: نَمْسَحُهَا فَنَسْوِيهَا، فَلَا يُرَى فِيهَا عَيْنٌ وَلَا أَنْفٌ وَلَا قَمٌ، وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يُرَى فِي الْوَجْهِ، وَكَذَلِكَ ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾. الْمَطْمُوسُ الْعَيْنُ: الَّذِي لَيْسَ بَيْنَ جَفْنَيْهِ شَيْءٌ. وَيُقَالُ طَمَسْتَ الْكِتَابَ وَالْأَثَرَ، فَلَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ. قَالَ الْأَخْطَلُ، وَاسْمُهُ الْغَوْثُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ الصَّلْتِ التَّغْلِبِيِّ، يَصِفُ إِبِلًا كَلَفَهَا مَا ذَكَرَ:

وَتَكْلِفُفْنَاهَا كُلَّ طَامِئَةِ الصُّوَى شَطَوْنِ تَرَى حِزْبَاءَهَا يَتَمَلَّمُلُ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: واحدة الصُّوَى: صُوءَةٌ. وَالصُّوَى: الْأَعْلَامُ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَالْمِيَاهِ.

قال ابن هشام: يَقُولُ: مُسِحت فاستوت بالأرض، فليس فيها شيء ناتئ...

النفر الذين حزبوا الأحزاب:

قال ابن إسحاق: وَكَانَ الَّذِينَ حَزَبُوا الْأَحْزَابَ مِنْ قُرَيْشٍ وَعَظْفَانٍ وَبَنِي قُرَيْظَةَ حُخَيْيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ، وَسَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، أَبُو رَافِعٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَأَبُو عَمَّارٍ، وَوُخُوحُ بْنُ عَامِرٍ، وَهَوْذَةُ بْنُ قَيْسٍ. فَأَمَّا وَخُوحٌ، وَأَبُو عَمَّارٍ، وَهَوْذَةُ، فَمِنْ بَنِي وَائِلٍ، وَكَانَ سَائِرُهُمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ. فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا: هَؤُلَاءِ أَحْبَابُ يَهُودٍ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ، فَسَلُّوهُمْ: دِيْنُكُمْ خَيْرٌ أَمْ دِيْنُ مُحَمَّدٍ؟ فَسَأَلُوهُمْ، فَقَالُوا: بَلْ دِيْنُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِيْنِهِ، وَأَنْتُمْ أَهْدَى مِنْهُ وَمِمَّنْ اتَّبَعَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الْجَنَّةُ (عند العرب): مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والطاغوت: كل ما أضلَّ عن الحقِّ. وجمع الجبت: جُبوت؛ وجمع الطاغوت: طواغيت^(١).

قال ابن هشام: وبلغنا عن ابن أبي نجيب أنه قال: الجِبْتُ: السحر؛ والطاغوت: الشيطان:

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.

قال ابن إسحق: إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.

إنكارهم التنزيل:

قال ابن إسحق: وقال سُكَيْن وعديّ بن زيد: يا محمّد، ما نعلم أنّ الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

ودخلت على رسول الله ﷺ جماعة منهم، فقال لهم: أما والله إنكم لتعلمون أنّي رسول من الله إليكم؛ قالوا: ما نعلمه، وما نشهد عليه. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

اجتماعهم على طرح الصخرة على رسول الله ﷺ:

وخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريّين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري. فلما خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تجدوا محمّداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا، فأتى رسول الله ﷺ الخبر، فانصرف عنهم، فأنزل الله تعالى فيه،

(١) وقالوا: الجبت: هو الأوهام والخيالات الفاسدة التي عشت في عقول أهل الكفر والشرك. والعياذ بالله تعالى.

وفيما أراد هو وقومه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

ادعائهم أنهم أحياء الله:

وأتى رسول الله ﷺ نعمان بن أضاء، ويخري بن عمرو، وشأس بن عدي،
فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الله، وحذرهم نِقْمته؛ فقالوا: ما نخوفنا يا
محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالَتِ
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ﴾.

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام:

قال ابن إسحاق: ودعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه، وحذرهم غير
الله وعقوبته، فأبوا عليه، وكفروا بما جاءهم به، فقال لهم مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وسعد بن
عُبَادَةَ وَعُقْبَةُ بْنُ وَهَبٍ: يا معشر يهود، اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله،
ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن خريملة، ووهب بن
يهودا: ما قلنا لكم هذا قط، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيرا ولا
نذيرا بعده. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ
لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قص عليهم خبر موسى وما لقي منهم، وانتقاضهم عليه، وما ردوا عليه من أمر
الله حتى تاهوا في الأرض أربعين سنة عقوبة.

وذكر آية التَّيِّهِ وحبس بني إسرائيل فيه أربعين سنة عقوبة من الله تعالى لمخالفتهم أمره
حين فزعوا من الجبارين لعظم أجسامهم، وقال لهم رجلان وهما يوشع بن نون من سبط
يوسف، وكالب بن يوفيا من سبط يامين ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾
فلما عصوهما دعا عليهم موسى، فتاهوا، أي تحيروا، وكانوا ستمائة ألف مقاتل، فتاهوا في
سِتَّةِ فَرَسِيخٍ مِنَ الْأَرْضِ، يمشون النهار كله، ثم يُمسُونَ حيث أصبحوا، ويَضْبِحُونَ حيث
أَمْسَوْا. وفي ذلك السنين أنزل عليهم المَنَّ والسَّلْوَى، لأنهم شغلوا عن المعاش بالتَّيِّهِ في
الأرض، وأبقيت عليهم ثيابهم لا تَخْلُقُ، ولا تَتَسَخَّ، وتطول مع الصغير، إذا طال، وفيها
استسقى لهم موسى، فأمر أن يأخذ حجرا من الطُّور، فيضربه بعصاه، فانفجرت منه اثنتا

رجوعهم إلى النبي ﷺ في حكم الرجم

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري أنه سمع رجلاً من مُزينة من أهل العلم، يحدث سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة حدثهم: أن أحبارَ يهودَ اجتمعوا في بيت المِذْرَاس حين قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة، وقد زنى رجلٌ منهم بعد إحصائه بامرأةٍ من يهودَ قد أخصنت، فقالوا: ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد، فسلوه كيف الحكم

عَشْرَةَ عَيْنًا، وفيها ظلل عليهم الغمَامُ لأنهم كانوا في البرِّيَّة، فظَلَّلُوا من الشمس، وذلك أن موسى كان نَدِم حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم في التيه، فكان يدعو الله لهم في هذه الأمور؛ لئلا يهلكوا في التيه جوعًا أو غُرْيًا أو عَطَشًا، فلما آسى عليهم قال له: ﴿لَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الذين قَسَقُوا أي: خرجوا عن أمرِك. ومات في أيام التيه جميعُ كبارهم إلا يوشع وكالبُ فما دَخَلَ الأرض على الجبارين إلا خُلُوفُهُم وأبناؤُهُم، وقيل: إن موسى مات في تلك السنين أيضًا ولم يشهد الفتحَ مع يوشع، وقيل: بل كان مع يوشع حين افتتحها^(١).

ذكر المرجومة من اليهود^(٢)

فصل: وذكر المرجومة من اليهود، وأن صاحبها الذي رُجم معها حَنًا عليها بنفسه ليقِيها الحجارة. حَنًا بالحاء تقيد في إحدى الروایتين عن أبي الوليد، وكذلك في الموطأ من رواية يحيى، فجعل يحنى عليها، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد: جَنًّا بالجيم والهمز، وعلى هذه الرواية فسره أبو عبيد، والجَنَاء: الانحناء، قال الشاعر عَوْفُ بن مُحَلِّم:

وَبَدَلْتَنِي بِالشُّطَاطِ الْجَنَّا وَكُنْتُ كَالصُّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ

وفي حُثُوِّها عليها من الفقه: أنهما لم يكونا في حُفْرَتَيْنِ، كما ذهب إليه كثير من الفقهاء في سُنَّة الرُّجْم، وكذلك رُوِيَ عن علي رحمه الله، أنه حفر لَشْرَاحَةَ بنتِ مالك الهَمْدَانِيَّة حين رَجَمَهَا. وأما الأحاديث فأكثرُها على ترك الحُفْرِ للمرجوم، واسم هذه المرجومة: بُسْرَةُ فيما ذكر بعض أهل العلم، وفي قصتهما أنزل الله: ﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ

(١) ذكر القرآن قصة التيه في سورة البقرة، وما أورده السهيلي رحمه الله تعالى هنا إنما هو متلقى عن أهل الكتاب.

(٢) انظر حكم الرقيم عند اليهود. سفر اللاويين. الصحاح (٢٠/٢٢). وحديث احتكام اليهود إلى النبي ﷺ في الرجم أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

فيهما، وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم من التَّجْبِيَةِ - والتَّجْبِيَةِ: الجلدُ بحبل من ليف مَظْلِيٍّ بقر، ثم تُسَوَّدُ وجوههما، ثم يُحْمَلَانِ على حمارين، وتُجْعَلُ وجوههما من قِبَلِ أَدْبَارِ الحمارين - فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ مَلِكٌ، وَصَدَقُوهُ، وَإِنْ هُوَ حَكَمَ فِيهِمَا بِالرَّجْمِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَنْ يَسْلَبَكُمْوهُ. فَاتَّوَّهُ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا رَجُلٌ قَدْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِأَمْرَاءٍ قَدْ أَحْصَنْتَ، فَاحْكُمْ فِيهِمَا، فَقَدْ وَلَّيْنَاكَ الْحُكْمَ فِيهِمَا. فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى أَحْبَارَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَدْرَاسِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ أَخْرِجُوا إِلَيَّ عِلْمَاءَكُمْ فَأَخْرِجْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ صُورِيَا.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض بني قريظة: أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ مع ابن صُورِيَا، أبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا، فقالوا: هؤلاء علماؤنا. فَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ حَصَلَ أَمْرُهُمْ، إِلَى أَنْ قَالُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ صُورِيَا: هَذَا مِنْ أَعْلَمَ مَنْ بَقِيَ بِالْتَّوْرَةِ.

قال ابن هشام: من قوله: «وحدثني بعض بني قريظة - إلى أعلم من بقي بالتَّوْرَةِ» من قول ابن إسحاق، وما بعده من الحديث الذي قبله.

فخلا به رسولُ اللَّهِ ﷺ، وكان غلامًا شابًا من أخذتهم سنًا فألظَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ المسألة، يقول له: يا ابن صُورِيَا، أَتَشُدُّكَ اللَّهُ وَأَذْكُرُكَ بِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَكَمَ فِيمَنْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِالرَّجْمِ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ أَنَّكَ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ. قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ فِي بَنِي غَنَمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ. ثُمَّ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ابْنُ صُورِيَا، وَجَّحَدَ نَبُوَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ ﴿الآيَةُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾، يَعْنِي مُحَمَّدًا، وَمَنْ حَكَمَ بِالرَّجْمِ قَبْلَهُ، لِأَنَّهُ حَكَمَ بِالرَّجْمِ لِأَوَّلِكَ الْيَهُودَ الَّذِينَ تَحَاكَمُوا إِلَيْهِ، وَالرَّبَّانِيُّونَ. يَعْنِي: عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَابْنَ صُورِيٍّ مِنَ الْأَحْبَارِ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ حَفِظُوا أَنَّ الرَّجْمَ فِي التَّوْرَةِ، لَكِنَّهُمْ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا، وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ؛ لِأَنَّهُمْ شَهِدُوا بِذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فَحَكَمَ بِالرَّجْمِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا يَبِينُ لَكَ أَنَّ الرَّجْمَ فِي الْقُرْآنِ، وَعَلَى هَذَا فَسَرَهُ مَالِكٌ فِيمَا بَلَغَنِي، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلرَّجُلَيْنِ: لِأَخْكَمَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَحَكَمَ بِالرَّجْمِ، كَمَا فِي الْكِتَابِ الْمَنْزُولِ عَلَى مُوسَى، وَعَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا، وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ أَقْوَالٌ غَيْرُ هَذَا، وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرْنَا.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلّفوا، وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه. ثم قال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَغْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾، أي الرجم ﴿فَاخْذَرُوا﴾ إلى آخر القصة.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن يزيد بن زكّانة عن إسماعيل بن طلحة بن إبراهيم، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله ﷺ برّجّهما، فرّجّما بباب مسجده، فلما وجد اليهودي مسّ الحجارة قام إلى صاحبه، فجأ عليها، يقبها مسّ الحجارة، حتى قتيلا جميعا.

قال: وكان ذلك مما صنع الله لرسوله ﷺ في تحقيق الزنا منهما.

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن نافع مولى عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر، لمّا حكوا رسول الله ﷺ فيهما، دعاهم بالتوراة، وجلس خبر منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجم، قال: فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر، ثم قال: هذه يا نبي الله آية الرجم، يأبى أن يتلوها عليك، فقال لهم رسول الله ﷺ: ويحكم يا معشر يهود! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم؟ قال: فقالوا: أما والله إنه قد كان فينا يُعمل به، حتى زنى رجل منا بعد إخصانه، من بيوت الملوك وأهل الشرف، فمَنعه الملك من الرجم، ثم زنى رجل بَعْدَهُ، فأراد أن يَرّجّمه، فقالوا: لا والله، حتى ترّجم فلائنا، فلمّا قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التَّجْبِيَةِ، وأماتوا ذَكَرَ الرّجْمِ والعمل به. قال: فقال رسول الله ﷺ: فأنّا أوّل من أخبى أمر الله وكتابه وعمل به، ثم أمر بهما فرّجّما عند باب مسجده. قال عبد الله بن عمر: فكنّت فيمن رَجّمَهما.

ظلمهم في الدّية:

قال ابن إسحاق: وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة، عن ابن عباس: أن الآيات من المائدة التي قال الله فيها: ﴿فَاخْذَرُوا الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْآيَاتِ مِنْهُ لِيُضِلُّوهُمُ وَيَسْتَفِيزُوا فِيهِمُ الْآيَاتِ﴾

واستشهد ابن هشام في تفسير الجهرة بقول أبي الأخرز الجعاني، واسمه: قتيبة، وجعّان هو ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، فقال:

يجهر أفواه المياه السدّم

فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا أَنْزَلْتُ فِي الدِّيَةِ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَذَلِكَ أَنْ قَتَلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَكَانَ لَهُمْ شَرَفٌ، يُؤَدُّونَ الدِّيَةَ كَامِلَةً، وَأَنْ بَنِي قُرَيْظَةَ كَانُوا يُؤَدُّونَ نِصْفَ الدِّيَةِ، فَتَحَاكَمُوا فِي ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِيهِمْ، فَحَمَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحَقِّ فِي ذَلِكَ، فَجَعَلَ الدِّيَةَ سَوَاءً.

قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان.

قصدهم الفتنة برسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن أسد، وابن صُلُوبَا، وعبد الله بن صُورِيَا، وشَأْسُ بن قيس، بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نَفْتِنَهُ عَنْ دِينِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ بَشَرٌ، فَاتَّوَه، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّد، إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّا أَحْبَابُ يَهُودٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَسَادَتُهُمْ، وَأَنَا إِنْ اتَّبَعْنَاكَ اتَّبَعْتُكَ يَهُودٌ، وَلَمْ يَخَالَفُونَا، وَأَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَعْضِ قَوْمِنَا خُصُومَةٌ، أَفَنَحَاكُمُ إِلَيْكَ فَتَقْضِيَ لَنَا عَلَيْهِمْ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنُصَدِّقُكَ، فَأَبَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاغْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُذُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

جحودهم نبوة عيسى عليه السلام:

قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله ﷺ نفرٌ منهم: أَبُو يَاسِرَ بن أَخْطَبَ، وَنَافِعَ بن أَبِي نَافِعٍ، وَعَازِرَ بن أَبِي عَازِرٍ، وَخَالِدٌ، وَزَيْدٌ، وَإِزَارَ بن أَبِي إِزَارٍ، وَأَشْبَعٌ، فَسَالُوهُ عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنَ الرِّسْلِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. فَلَمَّا ذَكَرَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ جَحَدُوا نُبُوَّتَهُ، وَقَالُوا: لَا نُؤْمِنُ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَلَا بِمَنْ آمَنَ بِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلْ

يَقَال: ماء سِدَامَ إِذَا غَطَاه الرَّمْلُ، وَجَمَعَهُ: سُدَمٌ، وَجَمَعَهُ عَلَى سَدَمٍ غَرِيبٌ، وَيَقَالُ أَيْضًا سِدَامٌ وَأَسْدَامٌ وَنَحْوُ مَنْ قَوْلُهُ يَجْهَرُ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي أَبِيهَا. وَاجْتَهَرَ لَهُمْ عَيْنُ الرِّوَاءِ، وَأَنْشَدَ فِي تَفْسِيرِ الْقَوْمِ وَأَنَّهُ الْبُرُ:

فَوْقَ شَيْزَى مِثْلَ الْجَوَابِي عَلَيْهِا قَطَعَ كَالْوَذِيلِ فِي نَقْبِي قَوْمِ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٤﴾ .

ادعائهم أنهم على الحق:

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَافِعُ بْنُ حَارِثَةَ، وَسَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ، وَمَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ، وَرَافِعُ بْنُ خُرَيْمَةَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، وَتُؤْمِنُ بِمَا عِنْدَنَا مِنَ التَّوْرَةِ، وَتَشْهَدُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ حَقٌّ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّكُمْ أَحَدُثْتُمْ وَجَحَدْتُمْ مَا فِيهَا مِمَّا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمِيثَاقِ فِيهَا، وَكُتِّمْتُمْ مِنْهَا مَا أَمَرْتُمْ أَنْ تُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ، فَبَرِئْتُ مِنْ إِحْدَائِكُمْ؛ قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُ بِمَا فِي أَيْدِينَا، فَإِنَّا عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَلَا نُؤْمِنُ بِكَ، وَلَا نَتَّبِعُكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

إشراكهم بالله:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التُّحَامُ بْنُ زَيْدٍ، وَقَزْدَمُ بْنُ كَعْبٍ، وَبَحْرِي بْنُ عَمْرٍو، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا تَعْلَمُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، بِذَلِكَ بُعِثْتُ، وَإِلَى ذَلِكَ أَذْعُو. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِهِمْ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

نهيه تعالى للمؤمنين عن موادتهم:

وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ التَّابُوتِ، وَسُوَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَنَافَقًا فَكَانَ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُوَادُّونَهُمَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا

الشَّيْزَى: خَشَبٌ أَسْوَدُ تُصْنَعُ مِنْهُ الْجَفَاءُ [مفردها: جَفَنَةٌ، وَهِيَ الْقِصْعَةُ، وَالْجَوَابِي: جَمْعُ جَابِيَةٍ: الْحَوْضُ يُجْبَى فِيهِ الْمَاءُ لِلْإِبْلِ]، وَالْوَذِيلُ: جَمْعُ وَذِيلَةٍ وَهِيَ السَّبِيكَةُ مِنَ الْفُضَّةِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَتُرِيكَ وَجْهًا كَالْوَذِيلِ لَمَّةَ لَا رِيَّانَ مِمْتَلِئِ وَلَا جَهْمِ

اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾.

سؤالهم عن قيام الساعة:

وقال جَبَل بن أَبِي قُشَيْرٍ، وَشُمُويل بن زَيْدٍ، لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنَا، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا كَمَا تَقُولُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أَيَّانَ مُرْسَاهَا: مَتَى مُرْسَاهَا. قال قَيْس بن الْخَدَّادِيَّة الْخُرَاعِي: فَجِئْتُ وَمُخْفَى السَّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا لِأَسْأَلَهَا أَيَّانَ مَنْ سَارَ رَاجِعٌ؟ وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةِ لَهُ. وَمُرْسَاهَا: مَنَتَهَا، وَجَمَعَهُ: مَرَّاسٌ. قال الْكُمَيْتُ بن زَيْدِ الْأَسَدِيِّ:

وَالْمُصِيبِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسُ وَمُرْسَى قِوَاعِدِ الْإِسْلَامِ
وهذا البيت في قصيدة له وَمُرْسَى السفينة: حَتَّى تَنْتَهِيَ. وَخَفَى عَنْهَا - عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ - يَقُولُ: يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهِمْ، فَتُخْبِرُهُمْ بِمَا لَا تُخْبِرُ بِهِ غَيْرَهُمْ. وَالْحَفِيٌّ: الْبَرُّ الْمُتَعَهِّدُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]. وَجَمَعَهُ: أَحْفِيَاءُ. وَقَالَ أَعْشَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

فَإِنْ تَسْأَلَنِي عَنِّي فَيَا رُبَّ سَائِلٍ حَفِيٌّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَضْعَدَا
وهذا البيت في قصيدة له. وَالْحَفِيٌّ أَيْضًا: الْمُسْتَحْفِي عَنْ عِلْمِ الشَّيْءِ، الْمَبَالِغُ فِي طَلِبِهِ.

ومنه قول عمرو بن العاص لمعاوية: أما والله لقد أَلْفَيْتُ أَمْرَكَ، وَهُوَ أَشَدُّ انْفِصَاحًا مِنْ حُقِّ الْكَهُولِ. كَذَلِكَ رَوَاهُ الْهَرَوِيُّ، وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: الْكَهْدَلُ، فَمَا زِلْتُ أَرُومُهُ بِوَدَائِلِهِ، وَأَصِلُهُ بِوَصَائِلِهِ، حَتَّى تَرَكْتُهُ عَلَى مِثْلِ فَلَكَةِ الْمَذَرِ. حُقُّ الْكَهُولِ: بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ، وَكَمَا قَالَ الْهَرَوِيُّ، قَالَ أَبُو عَمْرٍ الزَّاهِدُ فِي كِتَابِ الْيَاقُوتِ، كَمَا وَقَعَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِلْقَتَيْبِيِّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقُرَازِ فِي الْكِتَابِ الْكَبِيرِ، قَالَ: الْكَهْدَلُ: الْعَنْكَبُوتُ، وَقِيلَ: فِي الْكَهُولِ إِنَّهُ تُذَيِّ

ادعائهم أن عزيزاً ابن الله:

قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى أبو أنس، ومحمود بن دحية، وشأس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا له: كيف نتبعك وقد تركت قبيلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَلَيْسَ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] إلى آخر القصة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يضاھون: أي يشاكل قولهم قول الذين كفروا، نحو أن تحدث بحديث، فيحدث آخر بمثله، فهو يضاھيك.

طلبهم كتاباً من السماء:

قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله ﷺ محمود بن سنيحان، ونعمان بن أضاء، وبخري بن عمرو، وعزير بن أبي عزيز، وسلام بن مشكم، فقالوا: أحق يا محمد أن هذا الذي جئت به لحق من عند الله، فإننا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة؟ فقال: لهم رسول الله ﷺ: أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله. تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به؛ فقالوا عند ذلك، وهم جميع: فنحاص، وعبد الله بن ضوريا، وابن صلوبا، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وأشيع، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد، وجبل بن عمرو بن سكينه: يا محمد، أما تعلمك هذا إنس ولا وجن؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله، وإني لرسول الله، تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة؛ فقالوا: يا محمد، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به. فأنزل الله تعالى فيهم

العجوز، وفي العين الوديلة: المرأة، وقيل في القوم: إنه الثوم، واختاره ابن قتيبة، واحتج بأنه في مضعف عبد الله بن مسعود: وثومها، ولا حجة في هذا لما ذكره أبو حنيفة في النبات: أن الثوم، هو البر، وأنه يقال بالفاء وبالثاء، ومن الشاهد على القوم وأنه البر قول أبي أحيحة بن الجلاح، وقيل هو لأبي مخجن الثقي:

قد كنت أغني الناس شخصاً واحداً سكن المدينة عن زراعة قوم

وفيما قالوا: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الظهير: العون. ومنه قول العرب: تظاهروا عليه، أي تعاونوا عليه. قال الشاعر:

يا سَمِيَّ النَّبِيِّ أَصْبَحْتَ لِلذَّيْلِ نِ قَوَامًا وَلِلْإِمَامِ ظَهِيرًا
أي عونًا؛ وجمعه: ظهراء.

سؤالهم له ﷺ عن ذي القرنين:

قال ابن إسحاق: وقال حُيَيُّ بن أخطب، وكعبُ بن أسد، وأبو رافع وأشيع، وشُمُويل بن زيد، لعبدِ الله بن سلام حين أسلم: ما تكون النبوة في العرب ولكن صاحبك ملك. ثم جاؤا رسولَ الله ﷺ فسألوه عن ذي القرنين فَقَضَ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه، ممَّا كان قَصَّ على قُريش، وهم كانوا ممن أَمَرَ قُريشًا أن يسألوا رسولَ الله ﷺ عنه، حين بَعَثُوا إليهم النَّضْر بن الحارث، وعُقبة بن أبي مُعَيْط.

تهجمهم على ذات الله وغضب الرسول ﷺ لذلك:

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَى رَهْطٌ مِنْ يَهُودٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا اللَّهُ خَلَقَ، الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ قَالَ: فغضب رسولُ الله ﷺ حتى انتفخ لونه، ثم ساوَرَهُمْ غَضَبًا لِرَبِّهِ. قَالَ: فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَكَّنَهُ، فَقَالَ: خَفِّضْ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَاءَهُ مِنَ اللَّهِ بِجَوَابٍ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

قال: فلما تلاها عليهم، قالوا: فَصِفْ لَنَا يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ خَلَقَهُ؟ كَيْفَ ذَرَأَهُ؟ كَيْفَ عَصَدَهُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهِ الْأَوَّلِ، وَسَاوَرَهُمْ. فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَجَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِجَوَابٍ مَا سَأَلُوهُ. يَقُولُ

وَأُنْشِدُ فِي بَعْضِ مَا قَسَّرَ بَيْتَ الْأَخْطَلِ، قَالَ: وَهُوَ الْعَوْتُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ الصَّلْتِ، يُكْنَى أَبَا مَالِكٍ، وَالْمَعْرُوفُ: غِيَاثُ بْنُ الْعَوْتُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ الصَّلْتِ، وَسُمِّيَ: الْأَخْطَلُ لِقَوْلِهِ:

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَابْنِي جُعَيْلٌ وَأَمَّهُمَا لَأَسْتَارَ لِسِيْمٌ

الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال ابن إسحاق: وحدثني عتبة بن مسلم، مولى بني تميم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]. ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثاً، وليستعد بالله من الشيطان الرجيم».

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الصمد: الذي يُصَمَدُ إليه، ويُفزع إليه، قالت هند بنت مَعْبِد بن نَضْلَةَ تَبْكِي عمرو بن مَسْعُود، وخالد بن نَضْلَةَ، عَمَّيْهَا الْأَسَدِيَّيْنِ، وهما اللذان قَتَلَ الثُّعْمَانُ بن المُنْذِرِ اللَّخْمِيَّ، وَبَنِي الْغَرِيْبِيْنَ اللَّذِينَ بالكوفة عليهما:
أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرَى بَنِي أَسَدٍ بَعَمْرُو بن مَسْعُود وبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

كل أربعة إستان قيل: إن كعب بن جَعِيل قال له في خبر جرى بينهما، والأخطل يومئذ غلام يقرزم، أي: كما يَتَدَيُّ^(١) يقول:

فَقَالَ الْأَخْطَلُ، وَلَمْ يَكُنْ	قُبِحَ ذَاكَ الْوَجْهُ غِبَّ الْحُمَةِ
فَقَالَ جَعِيلُ: إِنَّكَ لَاخْطَلُ ^(٢)	وَقَعَلَ كَعْبُ بن جَعِيلِ أُمَّهُ

(٢) انظر الأغاني (٨/٢٨).

(١) أي بداية قوله شعراً.

فهرس محتويات الجزء الثاني
من
الروض الأنف

الفهرس

٣	مبادأة رسول الله ﷺ قومه
٣	أصل الصلاة لغة
٤	صلاة الرسول وأصحابه في الشُعاب
٤	عداوة الشرك للرسول ومساومته لعمه
٧	مناصرة أبي طالب للرسول ﷺ
٧	لو وضعوا الشمس في يميني
٨	عرض قريش على أبي طالب
٩	شعر أبي طالب
١٢	موقف الوليد بن المغيرة من القرآن
١٤	ما نزل في حق الوليد من القرآن
١٤	ذرني ومن خلقت وحيداً
١٦	أبو طالب يفخر بنسبه وابن أخيه
١٦	شرح لامية أبي طالب
٢٩	الاستسقاء
٣١	ذكر الرسول ﷺ ينتشر
٣٢	أبو قيس بن الأسلت ونسبه وشعره في الرسول ﷺ
٣٦	حرب داحس
٣٩	حرب حاطب
٤٠	حكيم بن أمية ينهى قومه عن عداوة الرسول
٤٠	ذكرى ما لقيه رسول الله ﷺ من قومه
٤٠	مفتريات قريش وإيذاؤهم للرسول ﷺ

٤١	السبب في تلقيه بالمدثر والنذير العريان
٤٢	تقديم المفعول على الفعل
٤٣	عتبة بن ربيعة والزئي
٤٤	إسلام حمزة رضي الله عنه
٤٥	عتبة بن ربيعة يذهب إلى الرسول (ﷺ)
٤٧	بين النبي (ﷺ) وبين قريش
٤٧	طلب الآيات
٤٩	عبد الله بن أبي أمية
٥٠	هم أبي جهل بالقاء الحجر
٥١	تفسير رأيت
٥٢	الأساطير وشيء عن الفرس
٥٧	حول سورة الكهف
٥٧	لِمَ قَدَّمَ الحمد على الكتاب
٥٨	شرح شواهد شعرية
٥٨	الرقيم وأهل الكهف
٥٩	إعراب أحصى
٥٩	عن الضرب وتزاور الشمس وفائدة القصة
٦٢	المتنازعون في أمرهم
٦٢	عن واو الثمانية
٦٣	آية الاستثناء
٦٤	ولبثوا في كهفهم
٦٥	السنة والعام
٦٦	ذكر قصة الرجل الطواف ذي القرنين
٦٨	حكم التسمي بأسماء النبيين
٧٠	أسباب نزول بعض الآيات وعن الروح
٧٢	الفرق بين الروح والنفس
٧٣	الروح سبب الحياة
٧٤	الإنسان روح وجسد
٧٥	عن تسيير الجبال وبعث الموتى
٧٥	النفس
٧٦	ابن هرمة

٧٦ من شرح الآيات
٧٩ خزنة جهنم وأبو الأشدين
٨٠ أول صحابي جهر بالقرآن
٨٠ بهت الرسول (ﷺ) أَنْ بشرًا يعلمه
٨١ الذين استمعوا إلى قراءة النبي (ﷺ)
٨١ حول آيات من القرآن
٨٣ ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة
٨٣ المكروه على الكفر والمعصية
٨٤ تعذيب بلال وعتقه
٨٥ من عتقاء أبي بكر
٨٦ بين أبي بكر وأبيه
٨٧ تعذيب عمار بن ياسر
٨٧ فتنة المعذبين
٨٨ رفض تسليم الوليد لقتله قريش
٨٨ زنيرة وغيرها
٨٨ أم عميس
٨٩ عن بلال
٩٠ ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة
٩٠ أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشة
٩٢ المهاجرون من بني هاشم وبني أمية
٩٢ رؤيا سعد وخالد ولدي العاص
٩٣ المهاجرون من بني أسد وبني عبد شمس
٩٣ المهاجرون من بني نوفل وبني أسد
٩٣ أبو أحيحة
٩٤ المهاجرون من بني عبد بن قصي وعبد الدار ولدي قصي
٩٤ المهاجرون من بني زهرة وبني هذيل وبهراء
٩٥ المهاجرون من بني تميم وبني مخزوم
٩٥ من سيرة الشماس
٩٦ المهاجرون من حلفاء بني مخزوم ومن بني جمح
٩٦ المهاجرون من بني سهم وبني عدي وبني عامر
٩٦ أمة بنت خالد وأبوها

٩٨	المهاجرون من بني الحارث
٩٨	عبد شمس
٩٩	عدد الذين هاجروا إلى الحبشة
٩٩	من شعر الهجرة الحبشية
١٠١	لا يضاف اسم إلى أن المصدرية
١٠٤	حول لام التعجب
١٠٥	من معاني شعر ابن مظعون
١٠٦	أم سلمة
١٠٧	النور الذي كان على قبر النجاشي
١٠٨	إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها
١٠٩	عمارة بن الوليد بن المغيرة
١١١	حوار بين النجاشي وبين المهاجرين
١١٣	إضافة العين إلى الله
١١٣	معنى أن عيسى كلمة الله وروحه
١١٥	المهاجرون وانتصار النجاشي
١١٥	قصة تملك النجاشي على الحبشة
١١٥	النجاشي أصحمة
١١٧	إسلام النجاشي والصلاة عليه
١١٧	من فقه حديث الهجرة إلى الحبشة
١٢٠	ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٢٢	تطهير عمر ليمس القرآن
١٢٥	زيادة في إسلام عمر
١٢٦	من تفسير حديث إسلام عمر
١٢٧	حول النهيم وهكذا
١٢٧	جميل بن معمر
١٢٩	خبر الصحيفة
١٢٩	موقف أبي لهب من رسول الله ﷺ
١٣١	شعر أبي طالب
١٣٢	لا التي للتبرئة
١٣٢	عود إلى شرح شعر أبي طالب
١٣٤	من جهالة أبي جهل

١٣٤ ما لقي رسول الله ﷺ من قومه
١٣٥ أبو لهب وامراته
١٣٥ ذكر أم جميل والمسد وعذابها
١٣٧ عن الجيد والعنق
١٣٨ غلو في الوصف بالحسن
١٤٠ حول قولهم: مذمم وحديث خباب
١٤١ إيذاء أُمّية بن خلف للرسول ﷺ
١٤١ إيذاء العاص للرسول ﷺ
١٤٢ إيذاء أبي جهل لرسول الله ﷺ
١٤٢ إيذاء النضر لرسول الله ﷺ
١٤٤ ابن الزبعرى والأخنس وما قيل فيهما
١٤٦ حصب جهنم
١٤٦ ما نزل في الأخنس
١٤٧ ما قيل في الوليد بن المغيرة وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط
١٤٧ ما قيل في حق الذين اعترضوا الرسول في الطواف
١٤٩ ما قيل في حق أبي جهل
١٥١ قصة ابن أم مكتوم
١٥٣ العائدون من أرض الحبشة
١٥٣ قصة الغرانيق وإسلام مكة
١٥٦ قصة ابن مطعون مع الوليد
١٥٨ أبو سلمة في جوار أبي طالب
١٥٨ أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة
١٦٠ حديث نقض الصحيفة
١٦٣ شرح دالية أبي طالب
١٦٦ قول حسان في مطعم وهشام بن عمرو
١٦٨ إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي
١٧٠ إسلام والد الطفيل وزوجته
١٧١ من قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة
١٧٦ مصير الأعشى
١٧٦ ذلة أبي جهل
١٧٦ أبو جهل والإراشي

١٧٨	ركانة ومصارعته
١٧٩	قدوم وفد النصارى من الحبشة
١٨٠	عن غلام المبيعة وصهيب وأبي فكيهة
١٨١	سبب نزول سورة الكوثر
١٨٤	الكوثر في الشعر
١٨٤	استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر
١٨٦	نزول ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾
١٨٧	ذكر الإسراء والمعراج
١٨٧	شرح ما في حديث الإسراء من المشكل
١٨٨	رواية ابن مسعود
١٨٩	حديث الحسن
١٨٩	حديث قتادة
١٩١	الإسراء رؤيا
١٩٤	شماس البراق
١٩٥	معنى قول الملائكة: مَنْ معك
١٩٦	باب الحَفَظَة
١٩٦	آدم في سماء الدنيا والأسودة التي رآها
١٩٧	الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل
١٩٩	صفة النبي ﷺ
٢٠٠	حديث أم هانئ عن الإسراء
٢٠١	رؤية النبي ربه
٢٠٣	لقاؤه للنبيين
٢٠٦	البيت المعمور
٢٠٦	فرض الصلاة
٢٠٧	فرض الصلوات خمسين
٢٠٨	أوصاف من الملائكة
٢٠٩	أكلة الربا في رؤية المعراج
٢١٠	الولد لغير رشدة
٢١١	حكم الحاكم لا يحلّ الحرام
٢١٢	مكان إدريس
٢١٢	قول الأنبياء في كل سماء

٢١٢	خرافة طلب موسى أن يكون من أمة أحمد
٢١٤	كفاية الله أمر المستهزئين
٢١٦	حديث الوليد بن المغيرة
٢١٦	عن مقتل أبي أزيهر وموقف دوس
٢١٩	شعر الجون
٢٢٠	ثورة لمقتل أبي أزيهر
٢٢٠	من أسواق العرب
٢٢١	آية الربا من البقرة
٢٢٢	الهم بأخذ ثأر أبي أزيهر
٢٢٢	عمل أم غيلان
٢٢٣	من المؤذنين لرسول الله
٢٢٣	ما عاناه الرسول ﷺ بعد وفاة أبي طالب وخديجة
٢٢٤	ما حدث بين النبي ﷺ وبين أبي طالب والمشركين
٢٢٤	الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب
٢٢٤	وفاة أبي طالب ووصيته
٢٢٧	ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب
٢٢٧	تفسير المشي في سورة ص
٢٢٨	تتابع المصائب بموت خديجة
٢٢٩	الرسول يسعى إلى الطائف
٢٢٩	موقف ثقيف من الرسول ﷺ
٢٣٢	نور الله ووجهه
٢٣٤	خبر عداس
٢٣٥	أمر جن نصيبين
٢٣٧	عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل
٢٣٨	العرض على بني كلب
٢٣٩	العرض على بني حنيفة
٢٣٩	العرض على بني عامر
٢٤١	عرض على العرب في المواسم
٢٤١	حديث سويد بن صامت
٢٤٣	ذكر مجلة لقمان
٢٤٤	إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

٢٤٥	الرسول مع نفر من الخزرج عند العقبة
٢٤٥	بدء إسلام الأنصار
٢٤٧	أسماء الخزرجيين الذين التقوا بالرسول عند العقبة
٢٤٨	بيعة العقبة الأولى
٢٥٠	رجال العقبة من الأوس
٢٥١	رجال العقبة الأولى من بني عمرو
٢٥٢	مصعب بن عمير ووفد العقبة
٢٥٣	أول جمعة أقيمت بالمدينة
٢٥٤	نقيع الخضعات
٢٥٦	لفظ الجمعة
٢٥٧	أيام الأسبوع
٢٥٨	إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير
٢٥٩	هل يغتسل الكافر إذا أسلم
٢٦١	من شرح شعر ابن الأسلت
٢٦٢	أمر العقبة الثانية
٢٦٢	البراء بن معرور وصلاة الكعبة
٢٦٣	قبلة الرسول
٢٦٤	إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام
٢٦٥	أم عمارة وأم منيع في بيعة العقبة الأخرى
٢٦٦	العباس والأنصار
٢٦٦	عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار
٢٦٧	ترجمة البراء
٢٦٨	والهدم الهدم
٢٦٩	أسماء النقباء الاثني عشر وتمام خبر العقبة
٢٦٩	مَنْ وَلِيَ النِّبَاء
٢٧٠	النقباء من الأوس
٢٧٠	شعر كعب بن مالك عن النقباء
٢٧١	ما قاله العباس بن عباد للخرزرج قبل المبايعة
٢٧٢	أول صحابي ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية
٢٧٢	الشیطان وبيعة العقبة
٢٧٣	الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار

٢٧٤	مجادلة جلة قريش للأنصار في شأن البيعة
٢٧٥	قريش تطلب الأنصار وتأسر سعد بن عباد
٢٧٥	خلاص سعد بن عباد
٢٧٨	قصة صنم عمرو بن الجموح
٢٧٨	إسلام عمرو بن الجموح
٢٨٠	شروط البيعة في العقبة الأخيرة
٢٨٠	أسماء من شهد العقبة
٢٨٢	من شهدها من بلحارث بن الخزرج
٢٨٥	ذكر خديج بن سلامة البلوي
٢٨٨	نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال
٢٩٠	الإذن لمسلمي مكة بالهجرة
٢٩٠	متى أسلم عثمان بن أبي طلحة
٢٩٢	هجرة عامر وزوجه وهجرة بني جحش
٢٩٣	الشعر الذي تمثل به أبو سفيان
٢٩٨	هجرة عمر وقصة عياش معه
٣٠٠	كتاب عمر إلى هشام بن العاصي
٣٠١	الوليد بن الوليد وعياش وهشام
٣٠١	منازل المهاجرين بالمدينة
٣٠٢	منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة
٣٠٤	سالم مولى أبي حذيفة
٣٠٦	خبر الندوة وهجرة الرسول ﷺ
٣٠٦	الملأ من قريش يتشاورون في أمر الرسول ﷺ
٣٠٩	ما يقال عن ليلة الهجرة
٣١٠	الآيات التي نزلت في تربص المشركين بالنبي
٣١٢	الهجرة إلى المدينة
٣١٢	إذن الله سبحانه لنبيه ﷺ بالهجرة
٣١٣	لم اشترت الراحلة
٣١٣	ذكر ابن إسحق في غير رواية ابن هشام
٣١٤	بكاء الفرح من أبي بكر
٣١٥	الذين كانوا يعلمون بالهجرة
٣١٥	الرسول ﷺ وأبو بكر في الغار

٣١٧	الذين قاموا بشؤون الرسول في الغار
٣١٨	لَمْ سُمِّيَتْ بذات النطاقين
٣١٨	الردّ على الرافضة فيما بهتوا به أبا بكر
٣١٩	راحلة النبي ﷺ
٣١٩	معية الله مع رسوله وصاحبه
٣٢٠	أبو جهل يضرب أسماء بنت أبي بكر
٣٢٠	خبر الجنّي الذي تغنى بمقدم الرسول ﷺ
٣٢١	آل أبي بكر بعد هجرته
٣٢١	خبر سراقه بن مالك
٣٢٤	حديث أم معبد
٣٢٥	نسب أم معبد وزوجها
٣٢٧	طريق الهجرة
٣٢٩	قصة أوس بن حجر
٣٣٠	التزول بقاء
٣٣٠	متى قَدِمَ الرسول ﷺ المدينة
٣٣١	المنازل التي نزلت بقاء
٣٣١	كلثوم بن الهدم
٣٣٢	بناء مسجد بقاء
٣٣٣	التاريخ العربي
٣٣٣	من ودخلها على الزمان
٣٣٤	القبائل تعترضه لينزل عندها
٣٣٥	مبرك الناقة بدار بني مالك بن النجار
٣٣٥	المريد وصاحبه
٣٣٦	المسجد والمسكن
٣٣٦	حول بنيان المسجد
٣٣٧	عمّار والفئة الباغية
٣٣٧	سُمِّيَ أم عمّار
٣٣٨	ارتجاز عليّ
٣٣٨	مشادة عمّار
٣٣٨	الرسول ﷺ يوصي بعمّار
٣٣٩	إضافة بناء أول مسجد إلى عمّار

٣٣٩	أطوار بناء المسجد
٣٣٩	بيوت النبي ﷺ
٣٤٠	الرسول ﷺ في بيت أبي أيوب
٣٤٠	مصير منزل أبي أيوب
٣٤١	تلاحق المهاجرين
٣٤٢	قصة أبي سفيان مع بني جحش
٣٤٣	انتشار الإسلام ومن بقي على شركه
٣٤٣	الخطبة الأولى
٣٤٤	الخطبة الثانية
٣٤٤	من شرح الخطبة
٣٤٦	كتاب المواعدة لليهود
٣٤٦	متى دخل اليهود يثرب
٣٤٧	اسم يثرب
٣٤٧	تفسير على ربعاتهم
٣٤٨	من كلمات الكتاب
٣٥٠	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
٣٥١	نسب أبي الدرداء
٣٥٢	بلال يوصي بديوانه لأبي رويحة
٣٥٣	نسب الفزع
٣٥٣	مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة
٣٥٥	بدء الأذان
٣٥٦	رؤيا عبد الله بن زيد
٣٥٩	رؤيا عمر في الأذان
٣٦٠	ما كان يقوله بلال في الفجر
٣٦١	أبو قيس بن أبي أنس
٣٦٢	من شرح شعره
٣٦٨	تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن
٣٧٠	السحر المنسوب إلى النبي ﷺ
٣٧٢	فقه حديث السحر
٣٧٣	إسلام عبد الله بن سلام
٣٧٥	حديث مخيريق

٣٧٦	شهادة عن صفية
٣٧٧	مَن اجتمع إلى يهود من منافقي الأنصار
٣٧٨	ارتداد الحارث بن سويد وغدره
٣٨٥	طرد المنافقين من مسجد الرسول ﷺ
٣٨٧	ذكر ما أنزل الله في المنافقين
٣٩٠	ما نزل في منافقي الأوس والخزرج
٣٩٠	تفسير ابن هشام لبعض الغريب
٣٩٧	دعوى اليهود قلة العذاب في الآخرة ورد الله عليهم
٤٠١	سؤال اليهود الرسول، وإجابته لهم عليه الصلاة والسلام
٤٠٢	إنكار اليهود نبوة سليمان بن داود عليه السلام ورد الله عليهم
٤٠٢	كتابه إلى يهود خيبر
٤٠٣	ما نزل في أبي ياسر وأخيه
٤٠٦	كفر اليهود به ﷺ بعد استفتاحهم به وما نزل في ذلك
٤٠٦	ما نزل في نكران مالك بن الصيف العهد إليهم بالنبي
٤٠٨	معاني الحروف في أوائل السور
٤٠٩	مقالة اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة
٤١١	كتمانهم ما في التوراة من الحق
٤١٢	جمعهم في سوق بني قينقاع
٤١٤	تفسير آناء الليل
٤١٨	ذكر جُمَل من الآيات المتزلة في قصص الأخبار
٤٢٣	رجوعهم إلى النبي ﷺ في حكم الرجم
٤٢٦	قصدهم الفتنة برسول الله ﷺ
٤٢٦	جحودهم نبوة عيسى عليه السلام
٤٢٧	ادعائهم أنهم على الحق
٤٢٧	إشراكهم بالله
٤٢٧	نهيهم تعالى للمؤمنين عن موادتهم
٤٢٨	سؤالهم عن قيام الساعة
٤٢٩	ادعائهم أن عزيزاً ابن الله
٤٢٩	طلبهم كتاباً من السماء
٤٣٠	سؤالهم له ﷺ عن ذي القرنين
٤٣٠	تهجمهم على ذات الله وغضب الرسول ﷺ لذلك

الروض الألف

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
أختعم السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ

ومعه
السيرة النبوية

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفى سنة ٢١٣ هـ

عَنْ عَلَيْهِ رَضِعَ مَرْثِيهِ
مَجْدِي بِهِ فَاصْوَ بِهِ سِيدَ الشُّرَى

تنبيه

وَضَعْنَا فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِبْنِ هِشَامٍ فِي أَعْلَى الصَّفَحَاتِ
وَوَضَعْنَا أَسْفَلَ مِنْهَا نَصَّ الرَّوْضِ الْأَلْفِ
وَفَصَّلْنَا بَيْنَهُمَا بِخَطِّ

الجزء الثالث

منشورات

مجمع كليات بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف:

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ نَصَارَى نَجْرَانَ، سِتُونَ رَاكِبًا، فِيهِمْ أَرْبَعَةُ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فِي الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إِلَيْهِمْ يُوَوِّلُ أَمْرَهُمْ: الْعَاقِبُ، أَمِيرُ الْقَوْمِ وَذُو رَأْيِهِمْ، وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ، وَالَّذِي لَا يُضْذِرُونَ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ الْمَسِيحِ^(١)، وَالسَّيِّدُ لَهُمْ: ثِمَالُهِمْ، وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمِعُهُمْ، وَاسْمُهُ: الْأَيْهَمُ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنِ عُلْقَمَةَ، أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، أَسْقَفُهُمْ وَخَبَرَهُمْ وَإِمَامَهُمْ، وَصَاحِبُ مَذْرَاسِهِمْ.

منزلة أبي حارثة عند ملوك الروم:

وَكَانَ أَبُو حَارِثَةَ قَدْ شَرَّفَ فِيهِمْ، وَدَرَسَ كَتَبَهُمْ، حَتَّى حَسُنَ عِلْمُهُ فِي دِينِهِمْ، فَكَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ مِنَ النُّصْرَانِيَّةِ قَدْ شَرَّفُوهُ وَمَوَّلُوهُ وَأَخْدَمُوهُ، وَبَنَوْا لَهُ الْكَنَائِسَ، وَبَسَطُوا عَلَيْهِ الْكَرَامَاتِ، لِمَا يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عِلْمِهِ وَاجْتِهَادِهِ فِي دِينِهِمْ.

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ نَجْرَانَ عُرِفَتْ بِنَجْرَانَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ يَغْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ، وَأَمَّا أَهْلُهَا فَهُمْ: بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ مِنْ مَذْجِجٍ.

(١) لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَكَذَا عَبْدُ الرَّسُولِ، وَكَذَا عَبْدُ الْعَالِ، وَعَبْدُ الْمُنْصَفِ، وَعَبْدُ الْمُنْتَقِمِ، وَعَبْدُ الْوَحِيدِ، وَعَبْدُ الْإِلَهِ، وَعَبْدُ الرَّاضِي، وَعَبْدُ النَّبِيِّ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي فِيهَا تَعْيِيدٌ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ لِمَا لَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى وَعِزُّ وَجَلِّ.

السبب في إسلام كرز بن علقمة:

فلما رجعوا إلى رسول الله - ﷺ - من نَجْرانَ، جَلَسَ أَبُو حارِثَةَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ مَوْجُهَاً، وَإِلَى جَنْبِهِ أَخٌ لَهُ، يُقَالُ لَهُ: كُوزُ بْنُ عُلْقَمَةَ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: كُزْزُ - فَعَثَرَتْ بَغْلَةُ أَبِي حارِثَةَ، فَقَالَ كُوزُ: تَعَسَّ الْأَبْعَدُ، يَرِيدُ: رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ لَهُ أَبُو حارِثَةَ: بَلْ أَنْتَ تَعَسْتَ! فَقَالَ: وَلِمَ يَا أَخِي؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ، فَقَالَ لَهُ كُوزُ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا؟ قَالَ: مَا صَنَعَ بَنَاهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ، شَرَفُونَا وَمَوَّلُونَا وَأَكْرَمُونَا، وَقَدْ أَبَوْا إِلَّا خِلَافَةَ، فَلَوْ فَعَلْتُ نَزَعُوا مِنَّا كُلَّ مَا تَرَى. فَأَضْمَرَ عَلَيْهَا مِنْهُ أَخُوهُ كُوزُ بْنُ عُلْقَمَةَ، حَتَّى أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ. فَهُوَ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْهُ هَذَا الْحَدِيثَ فِيمَا بَلَغَنِي.

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس منهم:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَغَنِي أَنَّ رُؤَسَاءَ نَجْرانَ كَانُوا يَتَوَارَثُونَ كِتَابًا عَنْدهُمْ. فَكُلَّمَا مَاتَ رَئِيسٌ مِنْهُمْ، فَأَفْضَتِ الرِّيَاسَةُ إِلَى غَيْرِهِ، خَتَمَ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ خَاتَمًا مَعَ الْخَوَاتِمِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ وَلَمْ يَكْسِرْهَا، فَخَرَجَ الرَّئِيسُ الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - ﷺ - يَمْشِي، فَعَثَرَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: تَعَسَّ الْأَبْعَدُ! يَرِيدُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَاسْمُهُ فِي الْوَضَائِعِ، يَعْنِي:.. الْكُتُبِ، فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَكُنْ لِابْنِهِ هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ شَدَّ فَكَسَرَ الْخَوَاتِمَ، فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ وَحِجٌّ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلْبًا وَضِيئُهَا مُغْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِيئُهَا
مُخَالَفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْوُضِينَ: الْحِزَامُ، حِزَامُ النَّاقَةِ. وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ: وَزَادَ فِيهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ:

مُغْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِيئُهَا

فَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَأَنْشَدَنَاهُ فِيهِ.

تأويل كن فيكون:

ذَكَرَ فِيهِ قَوْلُهُمُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَبَوْهُ يَا مُحَمَّدَ، يَعْنُونَ عَيْسَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ مَثَلٌ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَفِيهَا نُكْتَةٌ، فَإِنْ ظَاهَرَ الْكَلَامُ أَنَّ يَقُولُ: خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَكَانَ، فَيَعْطَفُ بِلَفْظِ الْمَاضِي عَلَى الْمَاضِي، وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْفَاءَ تَعْطِي التَّغْقِيبَ وَالتَّشْبِيهَ، فَلَوْ قَالَ: فَكَانَ لَمْ تَدُلْ الْفَاءَ إِلَّا عَلَى التَّسْبِيبِ، وَأَنَّ الْقَوْلَ سَبَبٌ لِلْكَوْنِ، فَلَمَّا جَاءَ بِلَفْظِ الْحَالِ دَلٌّ مَعَ التَّسْبِيبِ عَلَى اسْتِعْقَابِ الْكَوْنِ لِلْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ مَهْلٍ، وَأَنَّ

صلاة النصارى إلى المشرق:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: لما قَدِمُوا على رسول الله - ﷺ - المدينة، فدخلوا عليه مَسْجُده حين صَلَّى العصر، عليهم ثيابُ الجَبَرَاتِ، جُبَبٌ وأزديّة، في جمال رجال بني الحارث بن كعب. قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ: ما رأينا وفدًا مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله - ﷺ - يصلُّون، فقال رسولُ الله - ﷺ - دُعُوهم؛ فصلُّوا إلى المشرق.

أسماء وفد نجران ومعتقدهم ومجادلتهم الرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: فكانت تَسْمِيَةُ الأربعة عَشَرَ، الذين يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن عَلْقَمَةَ أخو بني بَكْر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخويلد، وعمر، وخالد، وعبد الله، ويَحْنَس، في سَتِّينَ رَاكِبًا، فكلَّم رسولُ الله - ﷺ - منهم أبو حارثة بن عَلْقَمَةَ، والعاقب عبد المسيح، والأيهم السَّيِّد - وهم من النَّصْرانية على دين المَلِك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وكذلك قولُ النَّصْرانية.

فهم يحتجُّون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يُخَيِّبُ الموتى، ويُبرئ الأسقام، ويُخبر بالغيوب، ويَخْلُقُ من الطين كهَيْئَةَ الطير، ثم يَنْفُخُ فيه فيكون طائرًا، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿ولنجعله آيةً للناس﴾.

ويحتجُّون في قولهم: «إنه ولد الله» بأنهم يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد، وهذا لم يصنعه أحدٌ من ولد آدم قبله.

الأمر بين الكاف والنون، قال له: كُنْ فإذا هو كائنٌ، واقتضى لفظُ فِعْلٍ الحالِ كَوْنَهُ في الحال، فإن قيل وهي مسألة أخرى: إن آدم مكث دهرًا طويلًا^(١)، وهو طين صَلْصَالٌ، وقوله للشَّيْء: كن فيكون يقتضي التعقيب، وقد خلق السموات والأرض في ستة أيام، وهي ستة آلاف سنة^(٢)، فأين قولُه: كن فيكون من هذا؟

(١) لا دليل صحيح على مكوثه دهرًا طويلًا.

(٢) يبدو أنه رحمه الله تعالى أخذ قوله تعالى: ﴿وإن يومًا عند ربك كآلف سنة مما تعبدون﴾ فجعل أيام الله على هذه المدة الزمنية، ومن ثم قال أن الله خلق السموات والأرض في ستة أي ستة آلاف سنة وهو تفسير بعيد جدًا كما يبدو.

ويحتجُونَ في قولهم: «إِنَّه ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ» بقول الله: فَعَلْنَا، وَأَمَرْنَا، وَخَلَقْنَا، وَقَضَيْنَا، فيقولون: لو كان واحدًا ما قال إلا فعلتُ، وقضيت، وأمرت، وخلقت، ولكنه هو وعيسى ومريم. ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن - فلَمَّا كَلَّمَهُ الْحَبْرَانِ، قال لهما رسولُ الله ﷺ: «أَسْلِمَا»، قالا: قد أسلمنا، قال: «إِنكُمَا لَمْ تُسْلِمَا، فَأَسْلِمَا»، قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك. قال: «كَذَبْتُمَا، يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ دَعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلِدَا، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبِ، وَأَكَلُكُمَا الْخَنْزِيرِ»؛ قالا: فَمَنْ أَبَوْهُ يَا مُحَمَّد؟ فَصَمْتَ عَنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فلم يُجِبْهُمَا^(١).

تفسير ما نزل من آل عمران في وفد نجران

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كله، صَدَرَ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ إِلَى بَضْعِ وَثَمَانِينَ آيَةٍ مِنْهَا، فَقَالَ جَلٌّ وَعَزٌّ: ﴿الَّذِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا، وتوحيده إياها بالخلق والأمر، لا شريك له فيه، ردًا عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجًا بقولهم عليهم في صاحبهم، ليعرفهم بذلك ضلالتهم، فقال: ﴿الَّذِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ليس معه غيره شريك في أمره ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الحي الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصلب في قولهم. والقيوم: القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به، وذهب عنه إلى غيره. ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، أي

فالجواب: ما قال أهل العلم في هذه المسألة، وهو أن قول الباري سبحانه: كن يتوجه إلى المخلوق مُطْلَقًا ومقيّدًا، فإذا كان مطلقًا كان كما أراد لحيته، وإذا كان مقيّدًا بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذي تقيد الأمر به، فإن قال له: كن في ألف سنة، كان في ألف سنة، وإن قال له: كن فيما دون اللحظة كان كذلك.

تأويل آيات محكمات

فصل: وذكر صَدَرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وفَسَّرَ مِنْهُ كَثِيرًا، فَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُخَكَّمَاتٌ﴾ وهو ما لا يحتمل إلا تأويلًا واحدًا، وهو عندي من أَحْكَمَتِ الْفَرَسَ بِحَكَمَتِهِ، أي: منعه من العدول عن طريقه كما قال حسان:

وَنُحَكِّمَ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا

(١) حديث وفد نجران أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٤٢٨ - ٤٣٠) وانظر تفسير ابن كثير (٢/٤٠).

بالصدق فيما اختلفوا فيه: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أنزل الكتب على من كان قبله: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، أي الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾، أي: إن الله منتقم ممن كفر بآياته، بعد علمه بها، ومغرفته بما جاء منه فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى، إذ جعلوه إلها ورثا، وعندهم من علمه غير ذلك، غرّة بالله، وكفرا به. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي: قد كان عيسى ممن صور في الأرحام، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه، كما صور غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلها، وقد كان بذلك المنزل؟! ثم قال تعالى إنزاهما لنفسه، وتوحيدا لها مما جعلوا معه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، العزيز في انتصاره ممن كفر به إذا شاء، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فيهنّ حجة الرب، وعظمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهنّ تصريف ولا تحريف عما وُضع عليه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لهنّ تصريف وتأويل، ابتلى الله فيهنّ العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام، ألا يضرفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحق. يقول عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي: ميل عن الهدى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾، أي ما تصرف منه، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا؛ لتكون لهم حجة، ولهم على ما قالوا شبهة ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾، أي: اللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾. ذلك على ما ركبوا

أي: تلججه فمنعه، وكذلك الآية المحكمة لا تتصرف بقارئها التأويلات، ولا تتعارض عليه الاحتمالات، وليس من لفظ الحكمة، لأن القرآن كله حكمة وعلم. والمتشابه يميل بالناظر فيه إلى وجوه مختلفة، وطرق متباينة، وقوله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ هذا من الحكمة ومن الإحكام الذي هو الإنقاذ، فالقرآن كله مُحَكَّم على هذا، وهو كله من هذا الوجه مُتَشَابِهٌ أيضًا، لأن بعضه يشبه بعضًا في بَرَاةِ اللفظ، وإعجاز النظم، وجزالة المعنى، وبدائع الحكمة، فكله مُتَشَابِهٌ وكله مُحَكَّم، وعلى المعنى الأول: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فأهل الزَيْغ يَغْطِفُونَ الْمُتَشَابِهَ على أهوائهم ويَجَادِلُونَ به عن آرائهم، والراسخون في العلم يَرُدُّونَ الْمُتَشَابِهَ إلى المحكم أخذًا بقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وَعِلْمًا بِأَنَّ الْكُلَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فلا يخالف بعضه بعضًا. روت عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ قال: إذا رأيتم الذين يُجَادِلُونَ

من الضلالة في قولهم: خلقنا وقضينا. يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾، أي: الذي به أرادوا ما أرادوا ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد، من رب واحد؟! ثم ردوا تأويل المُتَشَابِه على ما عرفوا من تأويل المُحْكَمَة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، واتَّسَق بقولهم الكتاب، وصدق بعضه بعضاً، فنفذت به الحُجَّة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودَمَغ به الكفر. يقول الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ في مثل هذا ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي لا تُمل قلوبنا، وإن ملنا بأحدائنا. ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. ثم قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، أي بالعدل (فيما يريد) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، أي: ما أنت عليه يا محمد: التوحيد

فيه، فَهَمْ أَوْلَئِكَ فَاحْذَرُوهُمْ^(١): وللسلف في معنى المُحْكَم ومعنى المُتَشَابِه أقوال متقاربة، إلا أن منهم من يرى الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ويروونه تمام الكلام، ويحتجون بقراءة ابن عباس ويقولون: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ^(٢)، وهو قول عمر بن عبد العزيز أن الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ لا يعلمون التأويل، وإن عِلِمُوا التفسير. والتأويل عند هؤلاء غير التفسير إنما هو عندهم في معنى قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وطائفة يرون أن قوله: وَالرَّاسِخُونَ مَغْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وأنهم عالمون بالتأويل، ويحتجون بما يطول ذكره من أثر ونظر، والذي أرتضيه من ذلك مذهب ثالث، وهو الذي قاله ابن إسحق في هذا الكتاب، ومعناه كله أن الكلام قد تَمَّ في قوله: وما يعلم تأويله إلا الله. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ: مبتدأ، لكن لا نقول: إنهم لا يعلمون تأويله. كما قالت الطائفة الأولى، ولكن نقول: إنهم يَعْلَمُونَهُ بَرْدَ الْمُتَشَابِه إِلَى الْمُحْكَم، وبلا استدلال على الْحَقِّ بِالْجَلِيِّ، وعلى المختلف فيه بِالْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، فَتَنَفَّذَ بِذَلِكَ الْحُجَّةَ، وَزَوَّاحَ الْبَاطِلِ، وَتَعَظَّمَ دَرَجَةُ الْعَالَمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ يَقُولُ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّي فكيف يختلف؟! ولما كان الْعِلْمَانِ مُخْتَلِفَيْنِ: عِلْمُ اللَّهِ، وَعِلْمُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ لم يَجْزُ عَطْفُ: «الرَّاسِخُونَ» على ما قبله، فَاللَّهُ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ^(٣).

(١) «صحيح». أخرجه البخاري ومسلم في العلم (١) وأبو داود (٤٥٩٨) بتحقيقي. وابن ماجه (٤٧) والدارمي (٥٥/١).

(٢) قراءة غير متواترة تقتقر إلى السند الصحيح.

(٣) تقدم التنبيه غير مرة على أنه ليس من أسمائه تعالى «القديم»، وكذا لم يرد عن النبي ﷺ ولا في خير القرون وصف علم الله تعالى بأنه علم قديم.

لِلرَّبِّ، وَالتَّصَدِيقَ لِلرَّسْلِ. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، أَي: الَّذِي جَاءَكَ، أَي: أَنَّ اللَّهَ الْوَاحِدَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ. ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾، أَي: بِمَا يَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهِمْ: خَلَقْنَا وَفَعَلْنَا وَأَمَرْنَا، فَإِنَّمَا هِيَ شُبْهَةٌ بَاطِلٌ قَدْ عَرَفُوا مَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، أَي وَحْدَهُ. ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ﴾ ﴿أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

ما نزل من القرآن فيما ابتدعته اليهود والنصارى:

ثم جمع أهل الكتابين جميعاً، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا، من اليهود والنصارى، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾، أَي: رَبُّ الْعِبَادِ، وَالْمَلِكُ الَّذِي لَا يَقْضِي فِيهِمْ غَيْرُهُ ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾، أَي: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أَي: لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ. ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بتلك القدرة ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُكَ، وَلَا يَصْنَعُهُ إِلَّا أَنْتَ، أَي: فَإِنْ كُنْتَ سَلَّطْتَ عَيْسَى عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي بَهَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ وَالْخَلْقِ لِلطَّيْرِ مِنَ الطَّيْنِ، وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ، لِأَجْعَلَهُ بِهِ آيَةً لِلنَّاسِ، وَتَصَدِّقًا لَهُ فِي نَبْوَتِهِ الَّتِي بَعَثَتْهُ بِهَا إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ مِنْ سُلْطَانِي وَقُدْرَتِي مَا لَمْ أُعْطِهِ تَمْلِكُ الْمُلُوكِ بِأَمْنِ النُّبُوَّةِ، وَوَضَعَهَا حَيْثُ شِئْتُ، وَإِلِجَ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَالنَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَإِخْرَاجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَإِخْرَاجَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، وَرَزَقَ مَنْ شِئْتُ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ فَكُلَّ ذَلِكَ لَمْ أَسْلُطْ عَيْسَى عَلَيْهِ، وَلَمْ أُمْلِكْهُ إِيَّاهُ، أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةً وَبَيِّنَةً! أَنْ لَوْ كَانَ إِلَهًا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي عِلْمِهِمْ يَهْرُبُ مِنَ الْمُلُوكِ، وَيَنْتَقِلُ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ، مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ.

لَا يَتَذَكَّرُ، وَلَا يَتَفَكَّرُ، وَلَا يَتَدَقَّقُ نَظْرًا، وَلَا يَفْحَصُ عَنْ دَلِيلٍ، فَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ هَكَذَا إِلَّا اللَّهُ، وَالزَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ بِالْفَحْصِ عَنِ الدَّلِيلِ، وَيَتَدَقَّقُ النَّظَرَ وَتَسْهِدَ الْعَبِيرِ، فَهَمَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وَهَذَا مَعْنَى كَلَامِ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي الْآيَةِ.

ما نزل من القرآن في وعظ المؤمنين وتحذيرهم:

ثم وعظ المؤمنين وحذرهم، ثم قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾، أي: إن كان هذا من قولكم حقاً، حباً لله وتعظيماً له ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، أي: ما مضى من كفركم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: على كفركم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

ما نزل من القرآن في خلق عيسى:

ثم استقبل لهم أمر عيسى: (عليه السلام)، وكيف كان بدء ما أراد الله به، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اضْطَمَقَ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ثم ذكر أمر امرأة عمران، وقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، أي: نذرته فجعلته عتيقاً، تعبده لله، لا ينتفع به لشيء من الدنيا: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعْتُهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾، أي: ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرراً لك نذيرة ﴿وَإِنِّي سَمِئْتُهَا مَرِيمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بعد أبيها وأُمها.

قال ابن هشام: كفَّلها: ضمَّها.

احتجاج القسيسين للثلاث:

فصل: وذكر احتجاج الأخبار والقسيسين من أهل نَجْرَانَ بقوله عز وجل: خَلَقْنَا وَأَمَرْنَا وَأَنبَأَهُ ذَلِكَ، وقالوا: هذا يدل على أنه ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم، وهذا من الزَّيْغِ بِالْمُتَّسَابِهِ، دون رَدِّهِ إِلَى الْمُحْكَمِ نحو قوله: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ و: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والعجب من ضَعْفِ عُقُولِهِمْ: كيف اِخْتَبَجُوا على محمد بما أُنْزِلَ على محمد، وهو أعلم بمعنى ما أُنْزِلَ عليه، لأن هذا اللفظ الذي احتجوا به مَجَازٌ عربي، وليس هو لفظ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وأصل هذا المجاز في العربية أن الكتاب إذا صَدَرَ عن حَضْرَةِ مَلِكٍ كانت العبارة فيه عن الملك بلفظِ الْجَمْعِ دلالة على أنه كلامُ مَلِكٍ مُتَّبِعٍ على أمره، وقوله: فلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتاب العزيز أنزله على مذاهبهم في الكلام، وجاء اللفظُ فيه على أسلوبِ الكلامِ الصَّادِرِ عن حَضْرَةِ الْمَلِكِ، وليس هذا في غير اللسانِ العربي، ولا يتطرق هذا المجازُ في حُكْمِ الْعَقْلِ إِلَى الكلامِ القديم، إنما هو في اللفظِ المنزَّل، ولذلك نجده إذا أخبر عن قولٍ قاله لِنَبِيِّ قَبْلُنَا، أو خاطب به غَيْرَنَا نحو قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ ولم يقل: خَلَقْنَا بِأَيْدِينَا، كما قال: مما عملته أَيْدِينَا، وقال حكاية عن وَخِيهِ لِمُوسَى:

آيات عن زكريا ومريم:

قال ابن إسحاق: فذكرها باليتم، ثم قصَّ خبرها وخبر زكريا، وما دعا به، وما أعطاها؛ إذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم، وقول الملائكة وطهرتك واضطفاك لها ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَازْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يقول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: ما كنت معهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أقلامهم: سهامهم، يعني قِداحهم التي استَهمُوا بها عليها، فخرج قِدَح زكريا فضمَّها، فيما قال الحسن بن أبي الحسن البصري.

دعوى كفالة جريج الراهب لمريم:

قال ابن إسحاق: كفلها هاهنا جريج الراهب، رجل من بني إسرائيل نجار، خرج السهم عليه بحملها، فحملها، وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك، فأصابته بني إسرائيل أزمة شديدة، فعجز زكريا عن حملها، فاستَهمُوا عليها أيهم يكفلها، فخرج السهم على جريج الراهب بكفلها فكفلها. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، أي: ما كنت معهم إذ يختصمون فيها. يُخْبِرُهُ بِخَفِيِّ مَا كَتَمُوا مِنْهُ مِنَ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ، لِتَحْقِيقِ نُبُوَّتِهِ وَالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ مِمَّا أَخْفَوْا مِنْهُ.

﴿وَلِتُضْمَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ولم يقل: كما قال في الآية الأخرى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ لأنه أخبر عن قولٍ قاله لم ينزله بهذا اللسان العربي ولم يَخْلُ لَفْظًا أَنزَلَهُ، وإنما أخبر عن المعنى، وليس المجاز في المعنى، وكذلك لا يجوز لعبد أن يقول رَبِّ اغْفِرْوا، ولا ازْحَمُونِي، ولا عَلَيَّكُمْ تَوَكَّلْتُ، ولا إِلَيْكُمْ أَنْتَبْتُ، ولا قالها نَبِيٌّ قَطُّ في مناجاته، ولا نَبِيٌّ في دعائه لوجهين، أحدهما: أنه واجب على العبد أن يُشْعِرَ قَلْبَهُ التَّوْحِيدَ، حتى يشاكل لَفْظَهُ عَقْدَهُ^(١). الثاني: ما قدمناه من سَنَرِ هذا المجاز، وأن سَبَبَهُ صدورُ الكلام عن حضرة المَلِكِ موافقةً للعرب في هذا الأسلوب من كلامها، واختصاصها بعبادة ملوكها وأشرافها، ولا ننظر لقول من قال في هذه المسألة، وبذلك رُوِجِعُوا، يعني: بلفظ الجمع، واحتج بقوله سبحانه خبرًا عَمَّنْ حضره الموت من الكفار إذ يقول: «رَبِّ ارْجِعُونِ»، فيقال له: هذا خَبَرٌ عَمَّنْ حضرته الشياطين، ألا

(١) أي عقيدته.

ثم قال: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، أي: هكذا كان أمره، لا كما تقولون فيه: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي عند الله ﴿وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يخبرهم بحالاته التي يتقلب فيها في عمره، كتقلب بني آدم في أعمارهم، صغارًا وكبارًا، إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آيةً لنبوته، وتغريقًا للعباد بمواقع قدرته. ﴿قَالَتْ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أي يصنع ما أراد، ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ مما يشاء وكيف يشاء، ﴿فَيَكُونُ﴾ كما أراد.

ما نزل من القرآن في بيان آيات عيسى عليه السلام

ثم أخبرها بما يريد به، فقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ﴾ التي كانت فيهم من عهد موسى قبله ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾، كتابًا آخر أحدثه الله عز وجل إليه لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي يحقق بها نبوتي، أني رسول منه إليكم ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الذي بعثني إليكم، وهو ربي وربكم ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾.

ترى قبله: «وأعوذ بك رب أن يحضرون»، فإنما جاء هذا حكاية عن حضرته الشياطين، وحضرته زبانية العذاب وجرى على لسانه في الموت ما كان يعتاده في الحياة من رد الأمر إلى المخلوقين، فلذلك خلط، فقال: رب، ثم قال: ازجعون، وإلا فأنت أيها الرجل المجيز لهذا اللفظ في مخاطبة الرب سبحانه: هل قلت قط في دعائك: ازحمون يا رب، وازرقون؟! بل لو سمعت غيرك يقولها لسطوت به، وأما قول مالك وغيره من الفقهاء الأمر عندنا، أو رأينا كذا، أو نرى كذا، فإنما ذلك، لأنه قول لم ينفرد به، ولو انفرد به لكان بدعة، ولم يقصد به تعظيمًا لنفسه، لا هو ولا غيره من أهل الدين والدعة.

احتجاجهم لألوهية عيسى

وأما احتجاج القسيسين بأنه كان يحيي الموتى، ويخلق من الطين كهية الطير فينفخ فيه، فلو تفكروا لأبصروا أنها حجة عليهم، لأن الله تعالى خصه دون الأنبياء بمعجزات تبطل مقالة من كذبه، وتبطل أيضًا مقالة من زعم أنه إله أو ابن الإله واستحال عنده أن يكون مخلوقًا من غير أب، فكان نفخه في الطين، فيكون طائرًا حيًا: تنبيهًا لهم لو عقّلوه على أن مثله كمثل آدم خلق من طين، ثم نفخ فيه الروح، فكان بشرًا حيًا، فنفخ الروح في الطائر

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأكمة: الذي يولد أعمى. قال رؤبة بن العجاج:

هَرَجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الْأَكْمَةِ

(وجمعه: كمة). قال ابن هشام: هَرَجْتُ: صحت بالأسد، وجلبت عليه. وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَتَّبِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾ أني رسول الله من الله إليكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَصَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾، أي لما سبقني عنها ﴿وَلَا حُلَّ لَكُمْ بَغْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، أي أخبركم به أنه كان عليكم حراماً فتركتموه، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم، فتصيرون يُسرّه وتخرجوه من تباعته ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي تبرئاً من الذين يقولون فيه، واحتجاجاً لربه عليهم، ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، أي هذا الذي قد حملتكم عليه وجئتكم به. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ والعدوان عليه، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ هذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم ﴿وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، أي هكذا كان قولهم وإيمانهم.

الذي خلقه عيسى من طين ليس بأعجب من ذلك، الكلُّ فعل الله، وكذلك إحياءه للموتى، وكلامه في المهد، كلُّ ذلك يدل على أنه مخلوق من نَفْخَةِ رُوحِ الْقُدُسِ فِي جَنِبِ أُمِّهِ، ولم يُخْلَقْ مِنْ مَنِيِّ الرَّجَالِ، فكان معنى الرُّوحِ فيه - عليه السلام - أقوى منه في غيره، فكانت مُعْجَزَاتُهُ رُوحَانِيَّةً ذَالَةً عَلَى قُوَّةِ الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُوحِ الْحَيَاةِ، ومن ذلك بقاؤه حياً إلى قُرْبِ السَّاعَةِ. وَرُويَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ الرُّوحَ الَّذِي تَمَثَّلَ لَهَا بِشَرًّا هُوَ الرُّوحُ الَّذِي حَمَلَتْ بِهِ، وَهُوَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلَ مِنْ فِيهَا إِلَى جَوْفِهَا. رَوَاهُ الْكَشِّي بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي^(١)، وَخَصَّ بِإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ، وَفِي تَخْصِيصِهِ بِإِبْرَاءِ هَاتَيْنِ الْآفَتَيْنِ مُشَاكَلَةً لِمَعْنَاهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَذَلِكَ أَنَّ فِرْقَةَ عِمِّيَّتَ بَصَائِرُهُمْ، فَكَذَّبُوا بُتُّوهُ، وَهُمْ الْيَهُودُ وَطَائِفَةٌ غَلَّوْا فِي تَعْظِيمِهِ بَعْدَمَا أَبْيَضَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْإِيمَانِ، ثُمَّ أَفْسَدُوا إِيْمَانَهُمْ بِالْغُلُوفِ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الْأَبْرَصِ أَبْيَضَ بَيَاضًا فَاسِداً، وَمَثَلُ الْآخَرِينَ مَثَلُ الْأَكْمَةِ الْأَعْمَى، وَقَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى

(١) حديث يضاد صريح القرآن، أن الذي تمثّل لها قال المفسرون: إنما هو جبريل عليه السلام، الذي خاطبها وبشرها بعيسى عليه السلام، لم يكن هو نفس الروح الذي حملت به.

الفريقين ما يُبطلُ المقاليتين، ودلائلُ الحُدُوثِ تُثبِتُ لَهُ العُبودِيَّةَ، وتَنفِي عنه الرُّبُوبِيَّةَ، وخصائصُ مُعْجَزَاتِهِ تَنفِي عن أُمِّهِ الرُّبُوبِيَّةَ وتُثبِتُ لَهُ ولِهَا الثُّبُوتَ والصِّدْقِيَّةَ، فكان في مَسِيحِ الْهُدَى مِنَ الْآيَاتِ ما يُشَاكِلُ حالَهُ، ومعناه حَكَمَةٌ مِنَ اللَّهِ، كما جَعَلَ في الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ مِنْ مَسِيحِ الضَّلَالَةِ، وهو الْأَغْوَرُ الدَّجَالُ ما يَشَاكِلُ حالَهُ، ويناسبُ صُورَتَهُ الْبَاطِنَةَ، على نَحْوِ ما شَرَحْنَا وَبَيَّنَّا فِي إِمْلَاءِ أَمَلِيَّاتِهِ عَلَى هَذِهِ التُّكْنَةِ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ^(١).

(١) تعقيب: أورد فضيلة الشيخ أحمد القطان في أحد أسفاره بعض من الأسئلة على أحد قساوسة النصارى، البروفسير المتخصص في مقارنة الأديان - فقال فضيلته سائلاً:

١ - هل سمعت أو رأيت أن هناك إنساناً نكح بقرة - مثلاً - فخرج المولود نصف إنسان ونصف بقرة؟ قال القسيس: لا. فالطبيعة العضوية لكل منهما مخالف للآخر تماماً. قال فضيلته معقباً: إذن كيف ساغ عندك أن «الله» نكح مريم فأنجب منها «عيسى» فكان نصف إله ونصف بشر!!!

٢ - ثم قال له: من المقرر أن الأعلى يحتوي الأدنى - الأكبر يحتوي الأصغر - بمعنى أن الحجرة وهي الأكبر تحتوي مَنْ بداخلها وهو الأصغر. فكيف ساغ عندك وفي عقيدتك أن رحم مريم - وهو الأدنى - احتوى الإله - وهو عيسى عليه السلام!!!

٣ - ثم قال له: من المقرر عندك أن عيسى - عليه السلام - نصف ناسوت ونصف لاهوت. أي النصفين صُلب على الصليب - كما في زعمكم - إن كان الناسوتي فالنصف اللاهوتي خائن مجرم، إذ من المقرر أن الإله يعلم الغيب، والنصف الإله علم أن النصف الناسوتي سيُصلب على الصليب - كما تزعم - ولم يخبر النصف الناسوتي - فهو خائن له. فهل هذا هو الإلهك الذي تعبداه؟ وإذا كان النصف اللاهوتي هو الذي صلب، فكيف ساغ عندك أن تعبد إلهاً يصلب على الصليب.

٤ - ثم قال له: هنا أب لسبعة أولاد، ستة منهم أشقياء والسابع مطيع لأبيه حليم به، قال الأب لأبنائه: إذا أردتم عفوي وصفحي ومحبي لكم فاقتلوا أخاكم السابع. المطيع الرؤوف بأبيه. ترى أي أب هذا، لا بد وأنه مجنون، كيف ساغ عندك وفي عقيدتك أن الله أمكن اليهود من ابنه - المسيح - كما تزعم - فصلبوه وهو الابن المطيع لله تعالى!!!

٥ - ثم قال له: إذا كان هناك نصيب من الحق مع عيسى ومحمد فاليهود لا يؤمنون بهما، فقد فاتهم نصيب من الحق، وأنتم أيها النصارى، إذا كان هناك نصيب من الحق مع محمد، فأتهم واليهود لم تؤمنوا منه. أما أنا فإذا كان نصيب من الحق مع موسى فأنا أؤمن به، وإذا كان مع عيسى فأنا أؤمن به، وإذا كان مع محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فأنا أؤمن به. ويقول العلامة ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ردّاً على النصارى سائلاً إياهم:

أُعْبَادُ الْمَسِيحِ لَنَا سَوَالٌ	نريد جوابه ممن وعاه
إذا مات الإله يُصْنَعُ قَوْمٌ	أما توه فما هذا الإله!!!
وهل أرضاه ما نالوه منه؟	فبشراهم إذا نالوا رضاه
وإن سخط الذي فعلوه فيه	فَقُوَّتُهُمْ إِذَا أَزْهَقَتْ قَرَاهُ

وضعتها أنثى:

فصل: وذكر في تفسير ما نزل فيهم قول حَتَّةُ أُم مَرْيَمَ، وهي بنت ماثان: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ قال بعض أهل التأويل: أشارت إلى معنى الحَيْضِ أن الأنثى تحيض، فلا تَخْدُم المسجد، ولذلك قال: (وليس الذكر كالأنثى) لأن الذكر لا يحيض، فهو أبدًا في خِدْمَةِ المسجد، وهذه إشارة حَسَنَةٌ. فإن قيل: كان القياس في الكلام أن يُقال: وليس الأنثى كالذكر، لأنها دونه، فما باله بدأ بالذكر؟ والجواب: أن الأنثى إنما هي دُونُ الذَّكَرِ في نَظَرِ العَبْدِ لِنَفْسِهِ؛ لأنه يَهْوَى ذُكْرَانَ البنين، وهم مع الأموال زينة الحياة الدنيا وأقرب إلى فتنة العبد، ونَظَرُ الرَّبِّ للعبد خَيْرٌ من نظره لنفسه، فليس الذكر كالأنثى على هذا، بل الأنثى أَفْضَلُ في المَوْهَبَةِ، ألا تراه يقول سبحانه: ﴿يَهَبْ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا نَّافِدُونَ﴾ فبدأ بذكرهنَّ قبلَ الذكور،

سميع يستجيب لمن دعاه
ثوى تحت التراب، وقد علاه
يدبرها وقد سمرت يدها؟
بنصرهم وقد سمعوا بكاه؟
له الحق شُدُّ على قفاه؟
يخالطه ويلحقه أذاه؟
وطالت حيث قد صفعوا قفاه؟
أم المحبي له رب سواه؟
وأعجب منه بطنٌ قد حواه
لدى الظلمات من حيض غذاه
ضعيفًا فاتحًا للشدي فاه
بلازم ذاك، هل هذا إله؟
سُيِّئَ كُلُّهُمْ عما افتر له
يُعْظَمُ أو يُقَبَّحُ مَنْ رماه؟
وإحراق له وللمن بغاه؟
وقد شُدَّتْ لتسمير يده
قَدُسُهُ، لا تُبْسُهُ إذ تراه
وتعيده؟ فلأنك من عداه
حوى ربَّ العباد وقد علاه
له شكلاً تَذَكَّرنا سناء
لضم القبر ربك في حشاه؟
بدايته، وهذا منتهاه

= وهل بقي الوجود بلا إله
وهل خلت الطباق السبع لما
وهل خلت العوالم من إله
وكيف تخلت الأملاك عنه
وكيف أطاقت الخشبان حمل الإل
وكيف دنا الحديد إليه حتى
وكيف تمكنت أيدي عداه
وهل عاد المسيح إلى حياة
ويا عجبًا لقبر ضم ربًا
أقام هناك تسعًا من شهور
وشق الفرج مولودًا صغيرًا
وياكل ثم يشرب ثم يأتي
تعالى الله عن إفك النصارى
أعباد الصليب لأي معنى
وهل تقضي العقول بغير كسر
إذا ركب الإله عليه كرهًا
فذاك المركب الملعون حقًا
يهان عليه ربُّ الخلق طرًا
فإن عظمت من أجل أن قد
وقد فقد الصليب فإن رأينا
فهلا للقبور سجدت طرًا
فيا عبد المسيح أفنق فهذا

رفع عيسى عليه السلام:

ثم ذكر (سبحانه وتعالى) رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقرؤا لليهود بصلبه، كيف رفعه وطهره منهم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْ فِي هَذِهِ الْبَيْتِ فَاصْبِرْ فِيهِ أَنْ يَخْلَقَ لَكَ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ الْقِيَامَةِ﴾. ثم القصة؛ حتى انتهى إلى قوله: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ القاطع الفاصل الحق، الذي لا يخالطه الباطل، من الخبر عن عيسى، وعمّا اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلن خبراً غيره. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ فاستمع ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أي ما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، أي قد جاءك الحق من ربك فلا تُمترين فيه، وإن قالوا: خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر، فكان كما كان عيسى لحماً ودمًا، وشعرًا وبشرًا، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا. ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي من بعد ما قصصت عليك من خبره، وكيف كان أمره، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

وفي الحديث: ابدؤوا بالإناث، يعني: في الرحمة وإدخال السرور على البنين، وفي الحديث أيضًا: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلَتْ أُنَا وَهُوَ الْجَنَّةُ كَهَاتَيْنِ»^(١) فترتب الكلام في التنزيل على حَسَبِ الْأَفْضَلِ في نظر الله للعبد، والله أعلم بما أراد.

المباهلة:

فصل: وذكر دُعَاءَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْلَ نَجْرَانَ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، وَأَنَّهُمْ رَضُوا بِبَذْلِ الْجَزِيَّةِ وَالصَّغَارِ، وَأَنْ لَا يَلَاغُوهُ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَعْضٍ: إِنَّ لَاعِثْمُوهُ، وَدَعَوْتُمْ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الْكَاذِبِ اضْطَرَمَّ الْوَادِي عَلَيْكُمْ نَارًا، وَفِي تَفْسِيرِ الْكُشِّي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ تَدَلَّى إِلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ بَاهَلُونِي لَأَسْتَوْصِلُوا مِنْ عَلَى جَدِيدِ الْأَرْضِ»^(٢).

نكتة: في قوله: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ بدأ بالأبناء والنساء قبل الأنفس. والجواب: أن أهل التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم، أي لِيَدْعُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وهذا نحو

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في البر والصلة (١٤٩) والبيهقي في الآداب (٢٦) بتحقيقي. والحاكم (١٧٧/٤).

(٢) انظر صحيح البخاري (٢١٧/٥) الفتح (٦٧/٨) وأحمد (٤١٤/١).

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: قال أبو عبيدة: نَبْتَهْل، ندْعُو باللعنة، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لَا تَفْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَلَتْهَا حَطْبًا نَعُودُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَنَبْتَهْلُ

وهذا البيت في قصيدة له. يقول: ندعو باللعنة. وتقول العرب: بهل الله فلائًا، أي لعنه، وعليه بهلة الله. (قال ابن هشام): ويقال: بهلة الله، أي لعنة الله، ونبتهل أيضًا: نجتهد، في الدعاء.

قال ابن إسحق: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي جئْتُ به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ من أمره ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. فدعاهم إلى النَّصَف، وَقَطَعَ عنهم الحجة.

إياؤهم الملاعة:

فلما أتى رسول الله ﷺ الخبرُ من الله عنه، والفضلُ من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعتهم إِنْ رَدَّوْا ذَلِكَ عَلَيْهِ، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا له: يا أبا القاسم، دَعْنَا نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا، ثم نَأْتِيكَ بما نريد أَنْ نَفْعَلَ فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه، ثم خَلَّوْا بِالْعَاقِبِ، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عَرَفْتُمْ إِنْ مُحَمَّدًا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ، ولقد جاءكم بِالْفَضْلِ من خَيْرِ صَاحِبِكُمْ، ولقد عَلِمْتُمْ مَا لَاعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ، وَإِنَّهُ لِلْاِسْتِنْصَالِ مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَبَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ، ثم انصرفوا إلى بلادكم. فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أَلَّا نُلَاعِنَكَ، وَأَنْ نَتْرَكَكَ عَلَى دِينِكَ وَنَرْجِعَ عَلَى دِينِنَا، وَلَكِنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ تَرْضَاهُ لَنَا، يَحْكُمَ بَيْنَنَا فِي أَشْيَاءِ اخْتَلَفْنَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنْ كُنَّا عِنْدَنَا رِضًا.

قوله: «فَسَلُّوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» في أحد القولين، أي: يسلم بعضكم على بعض، فَبَدَأَ بِذِكْرِ الْأَوْلَادِ الَّذِينَ هُمْ فَلَذَّ الْأَكْبَادِ، ثم بالنساء التي جعل بيننا وبينهم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، ثم مَنْ ورائهم مَنْ دُعَاءُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَدْعُو نَفْسَهُ، وَانْتَظَمَ الْكَلَامَ عَلَى الْأَسْلُوبِ الْمُعْتَادِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ. وفي حديث أهل نجران زيادة كثيرة عن ابن إسحق من غير رواية ابن هشام،

تولية أبي عبيدة أمورهم:

قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ: «اثنوني العشيّة أبعث معكم القويّ الأمين» قال: فكان عمر بن الخطاب يقول: ما أحببتُ الإمارة قطّ حُبِّي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرُحْتُ إلى الظُّهر مهجّراً، فلما صُلّي بنا رسولُ الله ﷺ الظُّهر سلّم، ثم نظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أُنطاول له ليراني، فلم يزل يلمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح، فدعاه فقال: «اخرج معهم، فأفّض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه». قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة^(١).

منها أن راهب نَجْرانَ حين رجع الوفد وأخبروه الخبر رحل إلى النبي - ﷺ - فسمع منه وأهدى إليه القُضيب^(٢) والقُعب^(٣) والبُرْد^(٤) الذي هو الآن عند خُلَفاء بني العباس يتوارثونه.

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) القُضيب: السيف.

(٣) القُعب: القُدح الضخم.

(٤) البرد: ضرب من الثياب.

نُبْد من ذكر المنافقين

ابن أبي وابن صيفي

قال ابن إسحاق: وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ - كما حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ - وَسَيِّدُ أَهْلِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ سَلُولِ الْعَوْفِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي الْحُبَلِيِّ، لَا يَخْتَلِفُ عَلَيَّ فِي شَرْفِهِ اثْنَانِ، لَمْ تَجْتَمِعِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ، حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ، غَيْرِهِ، وَمَعَهُ فِي الْأَوْسِ رَجُلٌ، هُوَ فِي قَوْمِهِ مِنَ الْأَوْسِ شَرِيفٌ مُطَاعٌ، أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ عَمْرِو بْنِ صَيْفِيٍّ بْنِ الثُّعْمَانِ، أَحَدُ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهُوَ أَبُو حَنْظَلَةَ، الْغَسِيلُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ قَدْ تَرَهَّبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَيْسَ الْمُسَوَّحُ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الرَّاهِبُ. فَشَقِيًّا بِشَرَفِهِمَا وَضُرِّهِمَا.

سلول

فصل: وذكر قصة عبد الله بن أبي ابن سلول، وسلول: هي أم أبي، وهي خُزَاعِيَّةٌ، وَهُوَ أَبِي بْنُ مَالِكٍ مِنْ بَنِي الْحُبَلِيِّ، وَاسْمُ الْحُبَلِيِّ: سَالِمٌ وَالتَّسْبُّ إِلَيْهِ: حُبْلِيٌّ بِضَمَّتَيْنِ، كَرِهُوا أَنْ يَقُولُوا: حُبْلَوِيٌّ أَوْ حُبْلِيٌّ أَوْ حُبْلَاوِيٌّ عَلَى قِيَاسِ التَّسْبِّ، لِأَنَّ حُبْلِيَّ وَسَكْرِيَّ وَنَحْوَهُمَا إِذَا كَانَا اسْمًا لِرَجُلٍ، لَمْ يَجَزْ فِي الْجَمْعِ عَلَى حُكْمِ التَّائِيثِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَاءٌ بِالْمَدِّ تَقُولُ فِي جَمْعِ رَجُلٍ اسْمُهُ: سَلَمَى أَوْ وَزْقَاءُ الْوَزْقَاوُونَ وَالسَّلْمُونَ، وَهَذَا بِخِلَافِ تَاءِ التَّائِيثِ، فَإِنَّكَ تَقُولُ فِي طَلْحَةٍ اسْمُ رَجُلٍ طَلْحَاتٍ، كَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي غَيْرِ الْعَلَمِيَّةِ، لِأَنَّ التَّاءَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلتَّائِيثِ، وَالْأَلْفُ تَكُونُ لِلتَّائِيثِ وَغَيْرِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ أَلْفُ التَّائِيثِ بِخِلَافِ تَاءِ التَّائِيثِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَعْلَامِ كَانَ النِّسْبُ إِلَيْهَا مُخَالَفًا لِلنِّسْبِ إِلَى مَا فِيهِ أَلْفُ التَّائِيثِ فِي غَيْرِ الْأَعْلَامِ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا فِي بَابِ النِّسْبِ لَا يَطْرُدُ وَإِنْ اطَّرَدَ الْجَمْعُ، كَمَا قَدِمْنَا، وَكَانَتْ التُّكْنَةُ الَّتِي خُصَّ بِهَا النِّسْبُ فِي بَنِي الْحُبَلِيِّ بِمُخَالَفَةِ الْقِيَاسِ كَرَاهِيَّتِهِمْ لِحُكْمِ التَّائِيثِ فِيهِ لِأَنَّ الْحُبْلِيَّ وَصَفَ

إسلام ابن أبي [نفاقاً] (١):

فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نَظَمُوا له الْخَرَزَ لِيَتَوَجَّوه، ثم يَمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ، وهم على ذلك. فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه مَلَكًا. فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مُصِراً على نفاق وضيغن.

للمرأة بالحبل، فليس كراهيتهم لبقاء حكم التائيب فيمن اسمه سَلَمَى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التائيب فيمن اسمه: حُبَلَى؛ فلذلك غَيَّرُوا النسب، حتى كأنهم نَسَبُوا إلى حُبَلٍ والله أعلم.

وأما سَلُولُ في خزاعة، وقد تقدم عند ذكر حُبُشِيَّةِ ابن سَلُولٍ قاسمُ رَجُلٍ مصروف، وأما بنو سَلُولٍ بن صَغَصَةَ إخوة بني عامر فهم: بنو مُرَّةَ بن صَغَصَةَ. وسَلُولُ: أمهم، وهي بنتُ ذُهل بن شَيْبَانَ، فجميع ما وقع لابن إسحاق في السَّيَر من سَلُولٍ: ثلاثة: واحد اسمُ رجلٍ مصروف، وثنيان غيرُ مصروفَيْن، وهما اللتان ذكرنا.

الملك في العرب:

وذكر أن الأنصار كانوا قَدْ نَظَمُوا الْخَرَزَ لعبد الله بن أبي لِيَتَوَجَّوه وَيَمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ، وذلك أن الأنصار يَمَنُّ، وقد كانت المملوكُ الْمُتَوَجِّون من اليَمَنِ في آلِ قَحْطَانَ، وكان أول من تَتَوَجَّعَ منهم سَبَأُ بنُ يَشْجَبَ بن يَغْرُبَ بن قَحْطَانَ، ولم يَتَوَجَّعْ من الْعَرَبِ إلا قَحْطَانِيٌّ كذلك قال أبو عُيَيْدَةَ، فقبل له: قد تَتَوَجَّعَ هُوَذَةُ بن عَلِي الحنفي صاحبُ الْيَمَامَةِ، وقال فيه الْأَعَشَى:

من يرى هُوَذَةُ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّيِّبٍ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
وفي الخرزات التي بمعنى التاج يقول الشاعر: [ليبد يذكر الحارث بن أبي شَمَرِ
الْعَسَانِي].

رَعَى خَرَزَاتِ الْمُلْكِ عَشْرِينَ حِجَّةً وَعَشْرِينَ حَتَّى قَادَ وَالشَّيْبُ شَامِلُ
وقال أبو عُيَيْدَةَ: لم يَكُنْ تاجاً، وإنما كانت خَرَزَاتٍ تُنْظَمُ، وكان سببُ تَتَوَجَّعَ هُوَذَةُ أنه أجاز لَطِيْمَةً لِكَسْرِي منعها مِمَّنْ أرادها من العرب، فلما وفد عليه تَوَجَّعَ لذلك ومَلَّكَهُ.

(١) ما بين القوسين زيادة رأيتها لازمة.

إصرار ابن صيفي على كفره:

وأما أبو عامر فأبى إلا الكُفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسلام ولرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ - كما حدثني محمد بن أبي أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر: «لا تقولوا الراهب ولكن قولوا: الفاسق».

ما نال ابن صيفي جزاء تعريضه بالرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: وحدثني جعفر بن عبد الله بن أبي الحَكيم، وكان قد أدرك وسمع، وكا راوية: أن أبا عامر أتى رسول الله ﷺ حين قَدِم المدينة، قبل أن يخرج إلى مكة، فقال: ما هذا الدين الذي جئت به؟ فقال: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم»، قال: فأنا عليها؟ فقال له رسول الله ﷺ: «إنك لست عليها»، قال: بلى، قال: «إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها»، قال: ما فعلت، ولكني جئت بها ببضء نقية؛ قال: «الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً - يعرض برسول الله ﷺ - أي أنك جئت بها كذلك». قال رسول الله ﷺ: «أجل، فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به». فكان هو ذلك عدو الله، خرج إلى مكة، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة خرج إلى الطائف. فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام. فمات بها طريداً غريباً وحيداً.

الاحتكام إلى قيصر في ميراثه:

وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأخوص بن جعفر بن كلاب، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قيصر، صاحب الروم. فقال قيصر: يرث أهل المَدَر أهل المَدَر، ويرث أهل الوَبَر أهل الوَبَر، فَوَرِثه كنانة بن عبد ياليل بالمَدَر دون علقمة.

هجاء كعب لابن صيفي:

فقال كعب بن مالك لأبي عامر فيما صنع:

مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ عَمَلٍ خَبِيثٍ	كَسَغِيكَ فِي الْعَشِيرَةِ عَبْدَ عَمْرٍو
فَلَمَّا قُلْتَ لِي شَرَفٌ وَتَخَلُّ	فَقَدْ مَا بَغْتَ إِيمَانًا بِكُفْرٍ

قال ابن هشام: ويروى:

فإما قلت لي شرف ومال

قال ابن إسحاق: وأما عبد الله بن أبي فأقام على شرفه في قومه متردداً، حتى غلبه الإسلام، فدخل فيه كارهاً.

خروج قوم ابن أبي عليه وشعره في ذلك:

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم الزهري، عن عروة بن الزبير، عن أسامة بن زيد بن حارثة، حب رسول الله ﷺ، قال: ركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادته يعود من شكوا أصابه على حمار عليه إكاف، فوقه قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف، وأزفني رسول الله ﷺ خلقه، قال: فمر بعبد الله بن أبي، وهو (في) ظل مزاحم أطمه.

قال ابن هشام: مزاحم: اسم الأطم.

قال ابن إسحاق: وحوله رجال من قومه. فلما رآه رسول الله ﷺ تَدَمَّ من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلاً فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل، وذكر بالله وحذر، وبشر وأنذر قال: وهو زام لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته، قال: «يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً فاجلس في بيتك فمن

مزاحم أطمه:

فصل: وذكر في حديث عبد الله بن أبي أن رسول الله ﷺ مرَّ به، وهو ظلُّ مزاحم أطمه، وأطام المدينة: سطوح، ولها أسماء، فمنها مزاحم ومنها الزوراء أطم بني الجلاح، ومنها معرض أطم بني ساعدة، ومنها: فارغ أطم بني خديلة، ومنها مسعط، ومنها: واقم، وفي معرض يقول الشاعر:

ونحن دَفَعْنَا عَنْ بُضَاعَةِ كُلِّهَا ونحن بنينا معرضاً فهو مُشْرِفُ
فأصبحَ مَغْمُورًا طَوِيلًا قَدَّالَهُ وَتَخَرَّبَ أَطَامَ بِهَا وَتَقَصَّفُ

وبُضَاعَةُ أَرْضِ بَنِي سَاعِدَةَ، وإليها تُنسَبُ بئرُ بني بُضَاعَةَ. والأَجَشُّ وكان بَقْبَاءَ، والحميم والنواحان، وهما أَطْمَانِ لبني أَثَيْفٍ وصِرَارَ وكان بالجَوَانِيَّةِ والرِّيَّانِ والشَّبَعَانِ وهو في تَمَغٍ. وزَاتِجَ والأَبْيَضِ، ومنها عاصم والرَّغْلُ وكان لَحْضَيْرَ بنِ سِمَاكٍ ومنها خَيْطٌ وواسط وحَبِيش، والأغلب ومنيع، فهذه أطام المدينة ذكر أكثرها الزبير، والأطم: اسم مأخوذ من

جاءك له فحدثه إياه، (و) من لم يأتك فلا تُعْتَهُ به، ولا تأتِه في مجلسه بما يكره منه». قال: فقال عبدُ الله بن رَواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى، فاعشنا به، واثتنا في مجالسنا ودورنا وبُيتنا، فهو والله مما نحَبْ ومما أكرمنا الله به وهدانا له، فقال عبد الله بن أبيّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى:

مَتَى مَا يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمُكَ لَا تَزَلْ تَذِلُّ وَيَضْرَعُكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ وَإِنْ جُدَّ يَوْمًا رِيْشُهُ فَهُوَ وَاقِعٌ

قال ابن هشام: البيت الثاني عن غير ابن إسحق.

غضب الرسول ﷺ من كلام ابن أبيّ:

- قال ابن إسحق: وحدثني الزُّهري، عن عُرْوَةَ بن الزَّبير، عن أسامة، قال: وقام رسولُ الله ﷺ، فدخل على سَعْدِ بن عُبَادَةَ، وفي وجهه ما قال عدوُّ الله ابن أبيّ، فقال: والله يا رسول الله إني لأرى في وَجْهِكَ شَيْئًا، لَكَأَنَّكَ سَمِعْتَ شَيْئًا تَكْرَهُهُ؛ قال: «أَجَل» ثم أخبره بما قال ابن أبيّ: فقال سعدُ: يا رسولَ الله، ارفُقْ به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وَإِنَّا لَنَنْظُمُ لَهُ الْخَرْزَ لَتَوُجِّهَ، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته مُلْكًا.

اِثْتَطَمَ: إذا ارتفع وعلا، يقال: اِثْتَطَمَ عَلَيَّ فَلَانٌ إِذَا غَضِبَ وَانْتَفَخَ، والأطمات: نيران معروفة في جبال لا تُخْمَدُ فيها، تأخذ بأغصان السماء، فهي أبدًا باقية، لأنها في معادن الكبريت، وقد ذكر المسعودي منها جملة، وذكر مواضعها، وقول عبد الله بن أبيّ:

مَتَى مَا يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمُكَ لَا تَزَلْ تَذِلُّ وَيَضْرَعُكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ

يقال: إن ابن أبيّ تمثّل بهما، ويقال: إنهما الخُفَافُ ابن نُذْبَةَ وخُفَافُ هو: ابنُ عَمْرِو بن الشَّريد أحدُ غُرَبَاءِ الْعَرَبِ^(١)، وأُمُّهُ. نُذْبَةُ، ويقال فيها: نُذْبَةُ، ونُذْبَةُ، وهو سلمى.

وذكر في حديث عبد الله أن رسولَ الله ﷺ - دخل على سَعْدِ بن عُبَادَةَ يعوذه، وفي رواية يونس زيادة، فيها فقه قال: كان سعدٌ قد دعاه رجلٌ من الليل فخرج إليه فضربه الرجلُ بسيف فأشواه^(٢)، فجاءه النبي ﷺ يعوذه من تلك الضربة، ولامه على خروجه ليلاً، وهذا هو موضع الفقه.

(١) أحد غربان العرب: أي أحد سودانهم.

(٢) أي لم يستطع قتله.

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ

مرض أبي بكر وعامر وبلال وحديث عائشة عنهم

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة، وعمر بن عبد الله بن عروة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ. قالت فكان أبو بكر، وعامر بن فهيرة، وبلال، مؤليا أبي بكر، مع أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوباء فدنوث من أبي بكر فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كل امرئ مصبّح في أهله والموت أذن من شراك نعليه
قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول. قالت: ثم دنوث إلى عامر بن فهيرة فقلت له: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حثفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يخمي جلده بروقه

وعك أبي بكر وبلال وعامر

فصل: وذكر حديث عائشة حين وعك أبو بكر، وبلال وعامر بن فهيرة، وما أجابوها به من الرجز فيذكر أن قول عامر:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه

يريد: بطاقته، فيما قال ابن هشام: قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول!
قالت: وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت. ثم رفع عَقِيرَتَه فقال:

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بَفَجٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرُ وَجَلِيلُ
وهل أَرِدُنَّ يَوْمًا مِياةَ مَجْنَّةٍ وهل يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

قال ابن هشام: شامة وطفيل: جبلان بمكة.

إنه لِعَمْرُو بن مَأمَةٍ، وفي هذا الخبر وما ذُكِرَ فيه من حَنِينِهِمْ إلى مَكَّةَ ما جُبِلَتْ عليه النفوسُ من حُبِّ الوطن والحنين إليه، وقد جاء في حديث أَصْبِلَ الْغَفَارِيِّ، ويقال فيه: الْهَدْلِيُّ أَنَّهُ قَدِيمٌ مِنْ مَكَّةَ، فسألته عائشة: كيف تركت مَكَّةَ يا أَصْبِلَ؟ فقال: تركتها حين ابْيَضَّتْ أَبَاطِطُهَا، وَأَخْجَنَ ثَمَامُهَا، وَأَعْدَقَ إِذْخِرُهَا، وَأَمَشَرَ سَلْمُهَا، فَاغْرُورَقَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وقال: «لَا تُشَوِّفُنَا يَا أَصْبِلَ»، وَيُرَوَّى أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «دَعِ الْقُلُوبَ تَقَرَّ»، وقد قال الأول:

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بوادي الحُزَامِي حَيْثُ رَثْنِي أَهْلِي
بِلَادَ بِهَا نَيْطُتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَقُطْعَنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكْنِي عَقْلِي
وأما قول بلال:

بَفَجٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرُ وَجَلِيلُ

فَفَجَّ موضع خارج مَكَّةَ به مُؤَنَةٌ يقول فيه الشاعر:

مَاذَا بَفَجٍّ مِنَ الْإِشْرَاقِ وَالطَّيْبِ وَمِنْ جَوَارِ نَقِيَّاتِ رَعَابِيْبِ^(١)

وَبَفَجٍّ اغْتَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وهو مُخْرَمٌ، وَالْإِذْخِرُ مِنْ نَبَاتِ مَكَّةَ. قال أحمد بن داود وهو أَبُو حَنِيْفَةَ الدِّينُورِي صاحبُ كتابِ النِّبَاتِ: الْإِذْخِرُ فِيمَا حَكِي عَنْ الْأَعْرَابِ الْأَوَّلِ لَهُ أَصْلٌ مُنْدِفَقٌ وَقُضْبَانٌ دَقَاقٌ، وَهُوَ ذَفِيرُ الرِّيحِ، وَهُوَ مِثْلُ الْأَضْلِ أَضْلُ الْكَوْلَانِ إِلَّا أَنَّهُ أَغْرَضُ كُعُوبًا، وَلَهُ ثَمَرَةٌ كَأَنَّهَا مَكَاسِجُ^(٢) الْقَصَبِ إِلَّا أَنَّهَا أَرْقُ وَأَصْغَرُ. قال أَبُو زِيَادٍ، الْإِذْخِرُ يُشَبَّهِ فِي نَبَاتِهِ بِنَبَاتِ الْأَسَلِ الَّذِي تُعْمَلُ مِنْهُ الْحُضْرُ، وَيُشَبَّهِ نَبَاتُهُ الْعَرَزُ، وَالْعَرَزُ صَرْبٌ مِنَ الثَّمَامِ، وَاحِدَتُهُ: عَرَزَةٌ، وَيَتَّخِذُ مِنَ الْعَرَزِ الْغَرَابِيلُ وَالْإِذْخِرُ أَرْقُ مِنْهُ، وَالْإِذْخِرُ يُطَحَنُ فَيَدْخُلُ

(١) رعايب: جارية رعبوب: أي حسناء، وقيل: الرطبة الحلوة، وقيل: هي البيضاء فقط. اللسان (٤٢١/١).

(٢) مكاسج: مكانس.

دعاء الرسول ﷺ بنقل وباء المدينة إلى مهيعة:

قالت عائشة رضي الله عنها: فذكرتُ لرسول الله ﷺ ما سمعتُ منهم، فقلت: إنهم لَيَهْذُونَ وما يَعْقِلُونَ من شدة الحمى. قالت: فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مكة، أو أشدَّ، وبارك لنا في مَدَّها وصاعها وانقل وباءها إلى مَهْيَعَةٍ»^(١)، ومَهْيَعَةٌ: الجُحْفَةُ.

في الطيب، وقال أبو عمرو: وهو من الجَبَّةِ، وقَلَمًا تنبت الإذْخِرَةُ مُنْقَرَدَةً، وقال في الجَلِيل عن أبي نصر: إن أهلَ الحجاز يُسَمُّونَ الثَّمَامَ الجَلِيلَ، ومعنى الجَبَّةِ التي ذكر أبو عمرو: وهو كل نبات له أصول ثابتة، لا تذهب بذهابِ فَرْعِهِ في الغَيْطِ، وتُلْقَحُ في الخريف، وليست كالشَّجَر الذي يَبْقَى أصلُهُ وفرعُهُ في الغَيْطِ، ولا كالنَّجْم الذي يذهب فرعُهُ وأصلُهُ، فلا يعود إلَّا زَرْيَعَتُهُ جانبَ النَّجْم والشَّجَر، فُسِّمِي جَبَّةً، ويقال لِلْجَبَّةِ أيضًا: الطريقة، قاله أبو حنيفة. وَمَجَنَّةٌ سَوْقٌ من أسواق العرب بين عُكَاظٍ وذِي المَجَاز، وكلها، أسواق قد تقدم ذكرُها. وَمَجَنَّةٌ يجوز أن تكون مَفْعَلَةٌ وفَعْلَةٌ، فقد قال سيوي: في المِجَنِّ إن ميمه أصلية، وأنه فِعْلٌ، وخالفه في ذلك الناسُ وجعلوه مِفْعَلًا، من جَنَّ إذا ستر، ومن أسواقهم أيضًا حُبَّاشَةٌ، وهي أبعد من هذه، وأما شَامَةٌ وطَفِيلٌ، فقال الخطَّابي في كتاب الأعلام في شَرْح البخاري: كنت أحسبُهما جَبَلَيْنِ، حتى مررتُ بهما، ووقفت عليهما فإذا هما عَيْنَانِ من ماءٍ، ويقوِّي قول الخطَّابي إنهما عَيْنَانِ قَوْلُ كُثَيْرٍ:

وما أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ مَوْقِفًا لَنَا، وَلَهَا بِالْخَبْتِ خَبْتِ طَفِيلٍ
وَالْخَبْتُ: مُنْخَفَضُ الْأَرْضِ.

وذكر قول النبي ﷺ: «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مَكَّةَ، وبارك لنا في مَدَّها وصَاعِهَا» يعني الطَّعَامَ الذي يُكَالُ بالصَّاع، ولذلك قال في حديث آخر: «كيلوا طعامكم يُبَارِكُ لكم فيه»^(٢)، وشكا إليه قومٌ سُرْعَةَ فَنَاءِ طعامهم، فقال: أَتَهِيلُونَ أم تَكِيلُونَ؟ فقالوا: بل نهيل، فقال: كِيلُوا ولا تَهِيلُوا ومن رواه: «قَوُّنُوا طعامكم يُبَارِكُ لكم فيه»^(٣)، فمعناه عندهم: تصغير الأَرْغَفَةِ، وهكذا رواه البزار من طريق أبي الدَّرْدَاءِ، وذَكَرَ في تفسيره ما قلناه، وذكر

(١) أخرجه البخاري (٣٠/٣) ومسلم في الحج (٤٨٠) وأحمد (٥٦/٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨٨/٣) وابن ماجه (٢٢٣١/٢٢٣٢) وأحمد (١٣١/٤) والطبراني (١٤٣/٤)، وانظر الفتح (٢٨١/١١).

(٣) «ضعيف جدًا». أخرجه الطبراني (١٣٧/٣). وأورده الفتن في التذكرة (١٤٣) وابن الجوزي في اللآلئ (١١٧/٢). وأخرجه البزار (٣٣٣/٣).

ما جهد المسلمون من الوباء:

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي: أن رسول الله - ﷺ لما قَدِم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة، حتى جُهدوا مرضًا، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ، حتى كانوا ما يصلُّون إلا وهُم قعود، قال: فخرج عليهم رسول الله ﷺ وهم يصلُّون كذلك، فقال لهم: «اعلموا أن صلاة القاعد

أبو عُبيد: المُدَّ في كتاب الأموال، أعني مُدَّ المدينة فقال: هو رَطْلٌ وثُلثٌ، والرَّطْلُ: مائةٌ وثمانيةٌ وعشرون دِزْهَمًا، والدِّزْهَمُ خمسون حَبَّةً وخمسانِ.

وقوله ﷺ: «وانْقُلْ حُمَاهَا، واجعلها بِمَهْيَعَةٍ»، وهي الجُحْفَةُ، كأنه عليه السلام لم يُرِدْ إِبْعَادَ الحُمَى عن جميع أرض الإسلام، ولو أراد ذلك لقال: انْقُلْ حُمَاهَا، ولم يَخْصُ موضعًا، أو كان يَخْصُ بلادَ الكفر، وذلك - والله أعلم - لأنه قد نَهَى عَنِ سَبِّ الحُمَى وَلَغْنِهَا في حديث أم المُسَيَّب^(١) وأخبر أنها طُهِوْرٌ^(٢)، وأنها حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ^(٣)، فجمع بين الرُّفْقِ بأصحابه فدَعَا لهم بِالشِّفَاءِ منها، وَتَيَّنَ أَنَّ لَا يُخْرَمُوا أَيْضًا الْأَجْرَ فيما يُصِيبُوا منها، فلم يُبْعِدْهَا كُلَّ البُعْدِ.

وأما مَهْيَعَةٌ، فقد اشتدَّ الوباءُ فيها بسبب هذه الدعوة، حتى قيل: إن الطائرَ يَمُرُّ بِغَدِيرِ حُمٍ فَيَسْقَمُ، وَغَدِيرٌ حُمٌ فيها، ويقال: إنها، ما وُلِدَ فيها مَوْلُودٌ فَبَلَغَ الحُلُمَ، وهي أَرْضٌ بُجْعَةٌ لَا تُسْكَنُ، وَلَا يُقَامُ فيها إقامة دائمة فيما بلغني والله أعلم.

وذكر تحريرَ رسول الله ﷺ المدينة، وفي غير هذه الرواية عن ابن إسحاق عن شُرَحْبِيلَ بن سعدٍ، قال: كنتُ أَصْطَادُ في حَرَمِ المدينة بِالْوَقَاقِصِ، وهي شِبَاكُ الطَّيْرِ، فَاصْطَدْتُ نَهْسًا، فَأَخَذَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَصَكُّ فِي قَفَايَ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ.

وذكر حديثَ عبد الله بن عمرو، وقوله عليه السلام: «صلاة القاعد على النَّصْفِ من صَلَاةِ الْقَائِمِ»^(٤) حين رَأَاهُمْ يَصَلُّونَ قُعُودًا مِنَ الْوَعَكِ، قال: فَتَجَسَّسَ النَّاسُ الْقِيَامَ عَلَى مَا بِهِم مِنَ السَّقَمِ، وهذا الحديث بهذا اللفظ يَقْوِي ما تَأَوَّلَهُ الْخَطَّابِيُّ في صلاة القاعد أنها على

(١) حديث نهى النبي ﷺ عن سب الحُمَى: أخرجه مسلم في البر والصلة (٥٣) والبيهقي في الكبرى (٣٧٧/٣) بلفظ: «لا تسبى الحمى بأنها تذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكبر خبث الحديد».

(٢) أخرجه الحاكم (٣٤٦/١) وابن حبان (٧٠٤ - موارد) والبيهقي في الدلائل (١٥٤/٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٤/٥) والطبراني في الكبير (١١٠/٨) والطحاوي في المشكل (٦٨/٣) والبيهقي في الآداب (٩٥٠) بتحقيقي.

(٤) أخرجه مسلم في المسافرين (١٢٠) والنسائي (٢٣/٣) وابن ماجه (١٢٣٠/١٢٢٩) وأحمد (١٩٣/٢).

على النُصف من صلاة القائم». قال: فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضَّعف والسَّقَم التماسَ الفضل.

بدء قتال المشركين:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ تهيأ لحربه، قام فيما أمره الله من جهاد عدوه، وقاتل مَنْ أمره الله به ممَّن يليه من المشركين، مُشركي العرب، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة.

النُصف من صلاة القائم، ثم قال الخطابي: إنما ذلك للضعيف الذي يستطيع القيام بكُلْفَةٍ، وإن كان عاجزًا عن القيام البتَّة، فصلاته مثل صلاة القائم، وهذا كُلُّه في الفريضة، والنافلة، وخالف أبو عُبَيْد في تخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلة في حال الصَّحة، واحتجَّ الخطابي بحديث عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، وفيه: وصلاته قائمًا على النُصف من صلاته قاعدًا، قال: وقد أجمعت الأمة أن لا يُصَلِّي أَحَدٌ مُضْطَجِعًا إِلَّا مِنْ مَرَضٍ، فدلَّ على أنه لم يُرَدَّ بهذا الحديث كُلُّه إلا المريض الذي يَقْدِر على القيام بكُلْفَةٍ، أو على القُعود بمشقة، ونسب بعضُ الناس التَّسْوِيَّ إلى التَّضْجِيفِ في هذا الحديث، وقالوا: إنما هو وصلاته نائمًا على النُصف من صلاته قاعدًا، فتوهمه التَّسْوِيَّ قائمًا، أي مُضْطَجِعًا، فترجم عليه في كتابه: باب صلاة النائم، وليس كما قالوا، فإن في الرواية الثانية: وصلاة النائم على النُصف من صلاة القاعد، ومثل هذا لا يَنْصَحَفُ، وقولُ الخطابي: أجمعت الأمة على أن المُضْطَجِعَ لا يُصَلِّي في حالِ الصَّحَّةِ نافلةً ولا غيرَها، وافقه أبو عُمَرَ على ادِّعاء الإجماع في هذه المسألة، وليست بمسألة إجماع كما زَعَمَا، بل كان مِنَ السَّلَفِ مَنْ يُجِيزُ لِلصَّحِيحِ أَنْ يَتَنَقَّلَ مُضْطَجِعًا، منهم الحَسَنُ البُضْرِيُّ، ذكر ذلك أبو عيسى التِّرْمِذِيُّ في مصنفه.

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام، قال: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمِطْلَبِيِّ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، حِينَ اشْتَدَّ الضَّحَاءُ، وَكَادَتِ الشَّمْسُ تَعْتَدِلُ، لِثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ التَّارِيخُ، (فِيهِمَا) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قال ابن إسحاق: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَشَهْرَ رَبِيعِ الْآخِرِ، وَجُمَادَيْنِ، وَرَجَبًا، وَشَعْبَانَ، وَشَهْرَ رَمَضَانَ، وَشَوَّالًا، وَذَا الْقَعْدَةِ، وَذَا الْحِجَّةِ - وَوَلِيَ تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ - وَالْمَحَرَّمِ، ثُمَّ خَرَجَ غَازِيًا فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ.

قال ابن هشام: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ.

غزوة ودّان وهي أول غزواته عليه الصلاة والسلام

موادعة بني ضمرة والرجوع من غير حرب:

قال ابن إسحاق: حَتَّى بَلَغَ وَدَّانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَنْبَاءِ، يَرِيدُ قَرِيْشًا وَبَنِي ضَمْرَةَ بْنِ

تاريخ الهجرة، وغزوة ودّان^(١)

ذكر قدوم رسول الله - ﷺ - الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي

(١) انظر الطبقات لابن سعد (٥٩١/١) الطبري في تاريخه (٢٥٩/٢)، زاد المعاد (٣/١٦٤) ابن =

بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنانة، فَوَادَعَتْهُ فيها بنو ضَمْرَة، وكان الذي وادَعَهُ منهم عليهم مَخْشِي بن عمرو الضَّمْرِي، وكان سيدهم في زمانه ذلك. ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيدًا، فأقام بها بقية صفر، وصدرًا من شهر ربيع الأول.

قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها.

باب الهجرة ما قاله ابنُ الكلبي وغيره في ذلك، وفي أي شهر كان قدومه من شهور العجم.

وذكر أنه أقام بالمدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، وجُمَادَيْن وكان القياس أن يقول: وشَهْرِي جُمَادَى، أو يقول: وبقية ربيع وربيعة الآخر، كما قال في سائر الشهور، ولكن الشهر إذا سميته بالاسم العَلَم، لم يكن ظَرْفًا، وكانت الإقامة أو العمل فيه كُلَّهُ إلا أن تقولَ شَهْرُ كَذَا، كما تقدم من كلامنا على شَهْر رَمَضَانَ في حديث المَبْعَثِ، وكذلك قال سيبويه، فقولُ ابنِ إسحاق: جُمَادَيْن وَرَجَبًا مستقيم على هذا الأصل.

وقوله: بقية شهر ربيع، فلأن العمل والإقامة كان في بعضه: فلذلك لم يقل: بقية ربيع الأول، لكنه قال: وشهر ربيع الآخر ليزدوج الكلام ويُشاكل ما قبله، وهذا كُلُّهُ من فصاحته رحمه الله أو من فصاحة مَنْ كانَ قَبْلَهُ إن كان رواه على اللفظ.

وقوله: وجُمَادَيْن وَرَجَبًا. كان القياس أن يقول: والجُمَادَيْن بالألف واللام، لأنه اسمُ عَلم، ولا يشئ العلم، فيكون معرفة إلا أن تُدْخِلَ عليه الألف واللام، فتقول: الزَّيْدَانِ والعُمَرَانِ، لكنه أجراه بفصاحته مجرى أَبَانَيْنِ وَقَنْوَيْنِ، وكل واحد من هذين اسمٌ لجبَلَيْنِ، ولا تدخله الألف واللام، لأن تعريقه لم يَزَلْ بالتثنية، لأنهما أبدًا متلازمان، فالتثنية لازمة لهما مع العَلَمِيَّة بخلاف الآدَمِيِّين، ولما كان جُمَادَيَانِ شَهْرَيْنِ مُتَكَارِهَيْنِ جعلهما في الزمان كأَبَانَيْنِ في المكان، ولم يجعلهما كالزَّيْدَيْنِ والعُمَرَيْنِ اللذين لا تلازُم بينهما، وهذا كلام العرب. قال الحُطَيْئَةُ:

باتت له بكثيب جَرْبَةً ليلة وطَفَاء بين جُمَادَيْن دُرُور

فإن قلت: فقد قالوا: السَّمَائِيْنَ في النجوم، وهما متلازمان، وكذلك السرطان، قلنا: إنما كان ذلك لوجود معنى الصفة فيهما، وهو عنده من باب الحارث، والعباس في الآدَمِيِّين، وأكشف سرَّ العَلَمِيَّة في الشهور والأيام وتقسيم أنواع العلمية، والمراد بها في

= سيّد الناس (٢٢٤/١) شرح المواهب (٣٩٢/١) البداية (٢٤٠/٣) المنتظم (٨٠/٣) البخاري (٢١٧/٧).

سرية عبدة بن الحارث وهي أول راية عقدما عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ، في مقامه ذلك بالمدينة عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قُصَيٍّ في ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز، بأسفل ثنية المُرّة، فلقي بها جَمْعًا عظيمًا من قُرَيْش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رَمَى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رُمي به في الإسلام.

مَنْ فَرَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ:

ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفرّ من المُشْرِكِينَ إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهْراني، حليف بني زُهْرَة، وعُثْبَة بن عَزْرَوان بن جابر المازني، حليف بني نُوَفل بن عبد مناف، وكانا مُسْلِمِينَ، ولكنهما خَرَجَا ليتوصَّلا بالكفَّار. وكان على القوم عِكْرَمَة بن أبي جهل.

قال ابن هشام: حدّثني ابن أبي عمرو بن العلاء، عن أبي عمرو المدني: أنه كان عليهم مِكَرَز بن خَفْص بن الأخيف، أحد بني مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر.

موضع غير هذا، وإنما أعجبتني فصاحة ابن إسحاق في قوله: بقية شهر كذا وشهر كذا وجُمادَيْن ورجَبًا وشُعْبَانَ ونَزَلَ الألفاظ عند منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها، يرحمه الله.

غزوة عبدة بن الحارث^(١)

وذكر في غزوة عُبيدَة ولقائه المُشْرِكِينَ: وعلى المُشْرِكِينَ مِكَرَز بن خَفْص بن الأخيف، هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم. وذكر ابن مأكولا في المؤتلف والمختلف عن أبي عبدة النسابة أنه كان يقول فيه مِكَرَز بفتح الميم، وكأنه مِفْعَلُ أو مَفْعَلُ من الكَرِيز، وهو الأَوِطُ^(٢) وكذلك ذكر هو وغيره في الأخيف ههنا أنه بفتح الهمزة وسكون الخاء، وكان ابن مأكولا وحده يقول في الأخيف من بني أُسَيْد بن عمرو بن تَمِيم، وهو جد الخَشْخَاشِ التميمي: أَخِيف بضم الهمزة وفتح الخاء، وقال الدارقطني: أخيف كما قالوا في الأول.

(١) انظر المغازي للواقدي (١٠/١) تاريخ الطبري (٤٠٤/٢) الطبقات لابن سعد (٧/٢) البداية والنهاية (٢٣٤/٣) المنتظم (٨٠/٣) الاكتفاء (٣/٢) الزاد (١٦٣/٣).

(٢) الأقط: اللبن المجفف.

شعر أبي بكر فيها

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، في غزوة عُبيدة بن الحارث - قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر رضي الله عنه:

أَمِنَ طَيْفٍ سَلَمَى بِالْبِطَاحِ الدَّمَائِثِ	أَرِقْتُ وَأَمِرٌ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثِ
تَرَى مِنْ لُؤْيٍ فَرْقَةً لَا يَصْدُهَا	عَنِ الْكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَلَا بَعْثُ بَاعِثِ
رَسُولٌ أَنَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكْذِبُوا	عَلَيْهِ وَقَالُوا: لَسْتَ فِينَا بِمَآكِثِ
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَذْبَرُوا	وَهَرُوا هَرِيرَ الْمُخَجَّرَاتِ اللَّوَاهِثِ
فَكَمْ قَدْ مَتَّئْنَا فِيهِمْ بِقَرَابَةٍ	وَتَرَكَ الثَّقَى شَيْءَ لَهُمْ غَيْرُ كَارِثِ
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعُقُوقِهِمْ	فَمَا طَيِّبَاتِ الْحَلِّ مِثْلُ الْخَبَائِثِ
وَإِنْ يَزْكِبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلَالَهُمْ	فَلَيْسَ عَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِبَلَاثِ
وَنَحْنُ أَنَاسٌ مِنْ دُؤَابَةٍ غَالِبِ	لَنَا الْعَزُّ مِنْهَا فِي الْفُرُوعِ الْأَثَائِثِ
فَأُولِي بَرِّ الرَّاqِصَاتِ عَشِيَّةٌ	خَرَجِيحٌ تَخْذِي فِي السَّرِيحِ الرِّثَائِثِ

شرح القصيدة المنسوبة

إلى أبي بكر وقصيدة ابن الزبيري وأبي جهل

فصل: وذكر ابن إسحاق القصيدة التي تُعزى إلى أبي بكر، ونقيضتها لابن الزبيري، والزبيري في اللغة السبيء الخلق، يقال: رجل زبيري، وامرأة زبيرة، والزبيري أيضا البعير الأرب الكثير شعر الأذنين مع قصر، قاله الزبير. وفي هذا الشعر أو الذي بعده ذكر الدبة وهو الكتيب من الرمل، وأما الدبة بضم الدال فإنه يقال: جرى فلان على دبة فلان أي على سنيته وطريقته، والدبة أيضا ظرف للزيت^(١)، قال الراجز:

ليك بالعنف عفاص الدبة

والدبة بكسر الدال هيئة الديب، وليس فيها ما يشكل معناه.

وقوله:

... تخذي في السريح الرثائث

(١) الدبة: الحال: وزكيت دبتة ودبه: أي لزمت حاله وطريقته، وعملت عمله، ودبة الرجل: طريقته من خير أو شر. اللسان (١/٣٧٢).

كَأَظْمِ ظَبَاءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عُكْفٍ
لَنْ لَمْ يُفَيِّقُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ
لَتَبْتَدِرَنَّهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مَصْدَقٍ
تُغَادِرُ قَتْلَى تَغْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ
فَأُبْلَغُ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً
فَإِنْ تَشَعَّثُوا عِزْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِكُمْ
فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ فَقَالَ:

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ أَفْقَرْتَ بِالْعَثَاثِ
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ وَالذَّهْرِ كُلِّهِ
لَجَيْشٍ أَنَانَا ذِي عُرَامٍ يَقُودُهُ
لِنَشْرَكِ أَضْنَامًا بِمَكَّةَ عُكْفًا
فَلَمَّا لَقَيْنَاهُمْ بِسُفْرِ رُدَيْنَةٍ
وَبَيْضِ كَأَنَّ الْمِلْحَ فَوْقَ مُثُونِهَا
بَكَيْتَ بَعَيْنٍ دَمْعُهَا غَيْرُ لَابِثٍ
لَهُ عَجَبٌ مِنْ سَابِقَاتٍ وَحَادِثٍ
عُبِيدَةٌ يُدْعَى فِي الْهِيَاجِ ابْنَ حَارِثٍ
مَوَارِيثَ مَوْرُوثٍ كَرِيمٍ لَوَارِثٍ
وَجُرْدٍ عِتَاقٍ فِي الْعَجَاجِ لَوَاهِثٍ
بِأَيْدِي كُفَاةٍ كَاللُّيُوثِ الْعَوَاثِ

السريح: شبه النعل تلبسه أخفاف الإبل، يريد: أن هذه الإبل الحَرَاجِيجُ، وهي الطَّوَالُ
تَحْدِي أَي: تُسْرِعُ فِي سَرِيحٍ قَدْ رَتَّ مِنْ طُولِ السَّيْرِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

دَوَمَى الْأَيْدِ يَخْطِطْنَ السَّرِيحَا

وَذَكَرَ الْعَثَاثَ، وَاحِدَهَا: عَثَثَ، وَهُوَ مِنْ أَكْرَمِ مَنَابِتِ الْعَشْبِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَفِي
الْعَيْنِ: الْعَثَثَ ظَهَرُ الْكَيْبِ الَّذِي لَا نَبَاتَ فِيهِ^(١).

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْشَّعْرِ أَنْكَرُوا أَنَّ تَكُونَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لِأَبِي بَكْرٍ،
وَيَشْهَدُ لِصِحَّةِ مَنْ أَنْكَرَ لَهُ مَا رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ
قَالَتْ: «كَذَّبَ مَنْ أَخْبَرَكُمْ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ بَيْتَ شَعْرِ فِي الْإِسْلَامِ»^(٢) رَوَاهُ مُحَمَّدُ الْبَخَارِيُّ عَنْ
أَبِي الْمُتَوَكِّلِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ. وَقَوْلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ: بَيْنَ نَسْرٍ وَطَامِثٍ، وَالنَّسْرُ: حَمْلُ الْمَرْأَةِ

(١) الْعَثَثُ: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: الْعَثَثُ مِنْ مَكَارِمِ الْمَنَابِتِ، وَالْعَثَثُ أَيْضًا: التَّرَابُ وَعَثَثَهُ: أَلْفَاهُ
فِي الْعَثَثِ، وَعَثَثَ الرَّجُلُ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ، وَالْعَثَثُ: الْفَسَادُ، وَالْعَثَثُ: الشَّدَائِدُ. اللِّسَانُ
(١٦٨/٢).

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ (١٣٧/٣).

نَقِيمُ بِهَا إِضْعَارَ مَنْ كَانَ مَائِلًا وَنَشْفِي الدُّخُولَ عَاجِلًا غَيْرَ لَابِثٍ
فَكَفُوا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَهَيْبَةٍ وَأَعْجِبْهُمْ أَمْرُ لَهُمْ أَمْرٌ رَائِثٌ
وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا نَاحَ نِسْوَةٍ أَيَّامِي لَهُمْ، مِنْ بَيْنِ نَسْرٍ وَطَامِثٍ
وَقَدْ غُودِرَتْ قَتْلَى يُخَبِّرُ عَنْهُمْ حَفِيٌّ بِهِمْ أَوْ غَافِلٌ غَيْرُ بَاحِثٍ
فَأَبْلُغْ أَبَا بَكْرٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً فَمَا أَنْتَ عَنْ أَغْرَاضٍ فِيهِ بِمَآكِثٍ
وَلَمَّا تَجِبَ مِنِّي يَمِينُ غَلِيظَةٍ تُجَدِّدُ حَزْبًا حَلْفَةً غَيْرَ حَانِثٍ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتًا واحدًا، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر هذه القصيدة لابن الزبغري.

شعر ابن أبي وقاص في رميته:

قال ابن إسحق: وقال سعد بن أبي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون:

أَلَا هَلْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ أَنَّى حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي
أَذُودَ بِهَا أَوَائِلَهُمْ ذِيَادًا بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلٍ
فَمَا يَغْتَدُّ رَامٍ فِي عَذْوٍ بِسَهْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي
وَذَلِكَ أَنَّ دِيْنَكَ دِيْنُ صِدْقٍ وَذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ وَعَدَلٍ
يَنْجِي الْمُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيُجْزِي بِهِ الْكُفَّارَ عِنْدَ مَقَامِ مَهْلٍ
فَمَهْلًا قَدْ غَوِيَتْ فَلَا تَعْبِيْنِي غَوِيَّ الْحَيِّ وَيَحْكُ يَا بَنَ جَهْلٍ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لسعد.

في أوله؛ والطامث معروف يقال: نُسِئت المرأة [نَسَأًا] إذا تأخر خيضها من أجل الحمل. من كتاب العين.

وقول أبي بكر: رَبَّ ابْنِ حَارِثٍ. يعني: عُيَيْدَةَ بَنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

أسماء ممنوعة من التثنية:

وقول أبي جهل:

وَوَرَّعْنِي مَجْدِي عَنْهُمْ وَصُحْبَتِي

أول راية في الإسلام كانت لعبيدة:

قال ابن إسحاق: فكانت راية عبيدة بن الحارث - فيما بلغني - أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام، لأحد من المسلمين. وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء، قبل أن يصل إلى المدينة.

سرية حمزة إلى سيف البحر:

ما جرى بين المسلمين والكفار:

وبعث في مقامه ذلك، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، إلى سيف البحر، من ناحية العيص، في ثلاثين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد. فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مائة راكب من أهل مكة. فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني. وكان مواعدًا للفريقين جميعًا، فانصرف بعض القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال.

كانت راية حمزة أول راية في الإسلام وشعر حمزة في ذلك:

وبعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين. وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معًا، فشبّه ذلك على الناس. وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شعرًا يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله ﷺ، فإن كان حمزة قد قال ذلك، فقد صدق إن شاء الله، لم يكن يقول إلا حقًا، فالله أعلم أي ذلك كان. فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا. فعبيدة بن الحارث أول من عقد له. فقال حمزة في ذلك، فيما يزعمون:

ترك صرّف مجدي^(١)، لأنه علم، وترك التنوين في المعارف كلها أصل لا يتون مضمّر ولا مبهم، ولا ما فيه الألف واللام ولا مضاف، وكذلك كان القياس في العلم، فإذا لم يتون في الشعر فهو الأصل فيه، لأن دخول التنوين في الأسماء إنما هو علامة لانفصالها عن الإضافة، فما لا يضاف لا يحتاج إلى تنوين، وقد كشفنا سرّ التنوين وامتناع التنوين والخفض مما لا يتصرف في مسألة أفردناها في هذا الباب، وأتينافيها بالعجب العجيب، والشواهد على حذف التنوين في الشعر من الاسم العلم كثيرة جدًا، فتأمل في أشعار السير والمغازي تجدها، وعرضنا في شرح هذه الأشعار الواردة في كتاب السيرة أن نشرح منها ما استغلق لفظه جدًا، أو غمض إعرابه على شرطنا في أول الكتاب.

(١) هو: مجدي بن عمرو الجهني. انظر المتظم (٣/ ٨٠).

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحزمة رضي الله عنه:

ألا يا لَقْؤمي للتحلُّم والجَهْل	وللنَّقْص من رأي الرِّجال وللعقل
وللرَّاكِبينا بالمَظالم لم نَطأ	لَهُم حُرُماتٍ من سَوامٍ ولا أَهلٍ
كأنَّا تَبَلَّناهم ولا تَبَلَّ عَندنا	لهم غيرُ أمرٍ بالعَفاف وبالعَدل
وأمرٍ بِإسلامٍ فلا يَقبلونه	وَيَنزِلُ مِنْهُم مِثْلَ مَنزلةِ الهَزَل
فَمَا بَرِحوا حَتَّى ائْتَدَبْتُ لُغارة	لهم حيث حَلُّوا أَبْغَى راحةِ الفُضْل
بأمرٍ رسولِ الله، أَوَّلَ خافِق	عليه لواءٌ لم يكن لَاحٍ من قَبلي
لواءٌ لَدَيْهِ النُّصرُ من ذي كرامةٍ	إِلِهُ عَزيزٍ فَعَلَهُ أَفْضَلُ الفِعل
عَشيَّةً سارُوا حاشِدِينَ وكَلُّنا	مَراحِلَهُ من عَظِيزِ أَصحابِهِ تَغلي
فلَمَّا تَرَّاءِنا أَناخُوا فَعَقَّلُوا	مَطايا وعَقَّلنا مَدَى غَرَضِ النُّبُل
فَقُلُّنا لَهُم: حَبِلَ الإِلهُ نَصيرنا	وما لَكم إِلا الضَّلالةُ مِن حَبَل
فشار أبو جَهلٍ هَناكَ باغِيّا	فخابَ ورَدَّ اللهُ كَيْدَ أَبي جَهل
وما نَحْنُ إِلا في ثَلاثين راکِباً	وَهُم مِئتان بَعدَ واحِدَةٍ فَضِل
فَيا لُلوَي لا تُطِيعُوا غَواثِكم	وفِئوا إِلى الإِسلامِ والمَنهَجِ السَّهل
فإِني أَخافُ أَن يُصَبَّ عَلَينَكم	عذابٌ فَتَدَعُوا بِالنَّدامةِ والشُّكْلِ

رواية شعر الكفرة:

لكني لا أعرض لشيء من أشعار الكفرة التي نالوا فيها من رسول الله ﷺ إلا شعر من أسلم وتاب كضرار وابن الزُبَيْر، وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن إسحق في إدخاله الشعر الذي نبيل فيه من رسول الله - ﷺ - ومن الناس من اعتذر عنه: قال حكاية الكفر ليس بكفر والشعر كلام، ولا فرق أن يروى كلام الكفرة ومُحاجَّتهم للنبي ﷺ وردُّهم عليه مَثُورًا وبين أن يروى منظومًا، وقد حكى ربُّنا سبحانه في كتابه العزيز مقالات الأُمم لأنبيائها، وما طَعَنوا به عليهم، فما ذُكر من هذا على جهة الحكاية نظرًا أو نثرًا فإنما يُقصد به الاعتبار بما مضى، وتذكُّر نعمة الله تعالى على الهدى، والإنقاذ من العَمَى. وقد قال عليه السلام: «لأن يَمْتَلَىءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلَىءَ شِغْرًا»^(١) وتأولته عائشة رضي الله عنها في الأشعار

(١) أخرجه البخاري (٤٥/٨) ومسلم في الشعر (١٠/٩/٨/٧) وأبو داود (٥٠٠٩) بتحقيق. والترمذي (٢٨٥١) وابن ماجه (٣٧٥٩/٣٧٦٠) وأحمد (١٧٥/١) (١٧٧).

شعر أبي جهل في الرد على حمزة:

فأجابه أبو جهل بن هشام، فقال:

عَجِبْتُ لِأَسْبَابِ الْحَفِیْظَةِ وَالْجَهْلِ
وَلِلتَّارِكِينَ مَا وَجَدْنَا جُدُودَنَا
أَتُونَا بِإِفْكِ كَيْ يُضِلُّوا عَقُولَنَا
فَقُلْنَا لَهُمْ: يَا قَوْمَنَا لَا تَخَالِفُوا
فِيكُمْ إِنْ تَفَعَّلُوا تَدْعُ نِسْوَةً
وَإِنْ تَرْجِعُوا عَمَّا فَعَلْتُمْ فإِنَّا
فَقَالُوا لَنَا: إِنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا
فَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا الْخِلَافَ وَزَيْنَا
تَيَمَّمْتُهُمْ بِالسَّاحِلَيْنِ بَغَارَةً
فَوَرَّعْنِي مَجْدِي عَنْهُمْ وَضَخْبَتِي
لِإِلِّ عَلَيْنَا وَاجِبٍ لَا نَضِيعُهُ
فَلَوْلَا ابْنُ عَمْرٍو كُنْتُ غَادِرْتُ مِنْهُمْ
وَلَكِنَّهُ أَلَى بِلَالٍ فَقَلَّصْتُ
فَإِنْ تُبْقِنِي الْإِيَّامُ أَرْجِعْ عَلَيْهِمْ
بِأَيْدِي حُمَاةٍ مِنْ لُؤَيٍّ بِنِ غَالِبٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُ هَذَا الشَّعْرَ لِأَبِي جَهْلٍ.

التي هُجِيَ بها رسول الله - ﷺ - وأنكرت قولَ مَنْ حمّله على الغُموّم في جميع الشعر، وإذا قلنا بما رُوِيَ عن عائشة في ذلك، فليس في الحديث إلا عيب امتلاء الجوف منه. وأما رواية السير منه على جهة الحكاية، أو الاستشهاد على اللغة، فلم يدخل في النهي، وقد ردّ أبو عبيد على من تأوّل الحديث في الشعر الذي هُجِيَ به الإسلام، وقال: رواية نصف بيت من ذلك الشعر حراماً، فكيف يُخصّص امتلاء الجوف منه بالذم، وعائشة أعلم، فإن البيتَ والبيتين والأبيات من تلك الأشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنثور الذي دُمّوا به رسول الله - ﷺ - لا فرق وقول عائشة الذي، قدمناه ذكره ابن وهب في جامعهِ، وعلى القول بالإباحة، فإن للنفس تقدّر تلك الأشعار وتبغضها وقائلها في الله، فالإعراض عنها خيرٌ من الخوض فيها والتبع لمعانيتها.

غزوة بواط

قال ابن إسحق: ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يريد قريشًا.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون.

قال ابن إسحق: حتى بلغ بواط، من ناحية رَضَوَى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا، فلبث بها بقيَّة شهر ربيع الآخر، وبعض جمادى الأولى.

غزوة العشيرة

أبو سلمة على المدينة:

ثم غزا قريشًا، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، فيما قال ابن هشام.

غزوة بواط^(١)

وَبُوطٌ جبلان فزعان لأضل، وأحدهما: جَلَسِي، والآخر غَوْرِي، وفي الجلسي بنو دينار [موالي بني كُليب بن كثير] يُنسبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مَرْوَانَ.

ذكر فيه استخلاف رسول الله - ﷺ - على المدينة السائب بن مَظْعُون، وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن خُدَافَةَ بن جُمَح، شهد بدرًا في قول ابن إسحق، ولم يذكره موسى بن عُقْبَةَ في البَدْرِين، وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخي هذا، فشهد بدرًا في قول جميعهم إلا ابن الكلبي، وقتل يوم اليمامة شهيدًا.

غزوة العشيرة^(٢)

يقال فيها: العُشَيْرَةُ والعُشِيرَاء وبالسین المهملة أيضًا العُسَيْرَةُ والعُسِيرَاء، أخبرني بذلك الإمامُ الحافظُ أبو بكر رحمه الله، وفي البخاري: أن قَتَادَةَ سُئِلَ عنها فقال: العُشِيرُ^(٣)، ومعنى العُسَيْرَةُ والعُسِيرَاء، أنه اسم مُصَغَّرٌ من العُسَرَاء والعُسَرَى، وإذا صغر تصغير التَّخْزِيمِ

(١) انظر المغازي للواقدي (١٢/١) البداية والنهاية (٢٤٦/٣) المنتظم (٨٩/٣) تاريخ الطبري (٤٠٧/٣) الطبقات لابن سعد (٣/١/٢) الاكتفاء (٨/٢) الزاد (١٦٥/٣) ابن سيد الناس (٢٢٦/١).

(٢) انظر المغازي للواقدي (١٣/١٢/١) البداية والنهاية (٢٤٦/٣) تاريخ الطبري (٤٠٨/٢) الاكتفاء (٨/٢) المنتظم (٩٠/٣) الطبقات لابن سعد (٤/١/٢) الدلائل للبيهقي (٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٧/٧) معلقًا.

الطريق إلى العشيرة:

قال ابن إسحاق: فسلك على نَقْب بني دينار، ثم على قَيْفَاء الْحَبَار، فنزل تحت شجرة بِبَطْحَاءِ ابْنِ أَزْهَر، يقال لها: ذات الساق، فصلَّى عندها. فثَمَّ مَسَّجَدُهُ ﷺ، وَصُنِعَ له عندها طَعَامٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ، وَأَكَلَ النَّاسُ مَعَهُ، فَمَوْضِعُ أَثَافِي الْبُرْمَةِ مَعْلُومٌ هُنَاكَ، وَاسْتَقْبَى له من ماء به، يقال له: الْمُشْتَرِب، ثم ارتحل رسولُ الله ﷺ فترك الْخَلَائِقَ بَيْسَارَ، وسلك شُعْبَةً يقال لها: شُعْبَةُ عَبْدِ اللَّهِ، وذلك اسمُها اليوم، ثم صَبَّ لِلْبَيْسَارِ حَتَّى هَبَطَ يَلِيلَ، فنزل بِمُجْتَمَعِهِ وَمُجْتَمَعَ الضُّبُوعَةِ، واستقى من بئرٍ بِالضُّبُوعَةِ، ثم سلك الْفَرْشَ: فَرْشٌ مَلَلٌ، حَتَّى لَقِيَ الطَّرِيقَ بِصَحَائِرِ الْيَمَامِ، ثم اعتدل به الطريق، حَتَّى نَزَلَ الْعُشَيْرَةَ من بطن يَنْبُع. فأقام بها جُمَادَى الْأُولَى وَلَيَالِي من جُمَادَى الْآخِرَةِ، وادع فيها بني مُذَلِّجٍ وحلفاءهم من بني ضُمْرَةَ، ثم رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

قيل: عُشَيْرَةٌ، وهي بَقْلَةٌ تَكُونُ أَذَنَّةُ أَيِّ عَصِيفَةٍ، ثم تَكُونُ سِحَاءً، ثم يقال لها: الْعَسْرَى. قال الشاعر:

وَمَا مَنَعَنَاهَا الْمَاءَ إِلَّا ضَنَانَةٌ بِأَطْرَافِ عَسْرَى شَوْكُهَا قَدْ تَخَدَّدَا

ومعنى هذا البيت كمعنى الحديث: «لَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُمنَعَ بِهِ الْكَلَاءُ»^(١). وأما الْعُشَيْرَةُ بِالشِّينِ الْمَنْقُوتَةِ، فوَاحِدَةُ الْعُشْرِ مُصَغَّرَةٌ.

وذكر فيها الضُّبُوعَةَ، وهو: اسم موضع، وهو قَعُولَةٌ مَنْ ضَبَعَتِ الْإِبِلُ: إِذَا أَمَرَّتْ أَضْبَاعُهَا فِي السَّيْرِ^(٢) وفي الضُّبُوعَةِ نَزَلَ عِنْدَ شَجَرَةٍ، يقال لها: ذات السَّاقِ، وابتنى ثَمَّ مَسْجِدًا، وَاسْتَسْقَى من ماءٍ هُنَاكَ يُقَالُ له الْمَشِيرِبُ كَذَلِكَ جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْبُكَائِيِّ وَغَيْرِهِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

وذكر فيه مَلَلًا، وهو اسم موضع يقال: إنه إنما سُمِّيَ مَلَلًا؛ لِأَنَ الْمَاشِي إِلَيْهِ مِنَ الْمَدِينَةِ لَا يَبْلُغُهُ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ وَمَلَلٍ، وهو على عشرين ميلًا من المدينة، أو أكثر قليلًا وذكر الْخَلَائِقَ وهي آبار معلومة.

ورواه غير أبي الوليد الْخَلَائِقَ بِخَاءٍ مَنْقُوتَةٍ، وفسرها بعضهم: جمع خَلِيفَةٍ وهي البئر التي لا ماء فيها، وأكثر روايات الكتاب على هذا فالله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (١٤٤/٣) ومسلم في المساقاة (٣٦) وأبو داود (٣٤٧٣) بتحقيقي. والترمذي (١٢٧٢) وابن ماجه (٢٤٧٨).

(٢) أي أسرع في السير.

تكنية علي بأبي تراب

وفي تلك الغزوة قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام ما قال .

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن محمد بن خيثم المحاربي، عن محمد بن كعب القرظي، عن محمد بن خيثم أبي يزيد، عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العسيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها، رأينا أناساً من بني مَذْلَج يعملون في عَيْن لهم وفي نَخْل، فقال لي علي بن أبي طالب: يا أبا اليَقْظَان، هل لك في أن تأتي هؤلاء القوم، فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئت، قال: فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم عَشِينَا الثَّوْمَ. فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في صُور من النخل، وفي دَفْعَاء من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ، يُحَرِّكُنَا بِرِجْلِهِ. وقد تَتَرَّبْنَا من تلك الدَفْعَاء التي نِمْنَا فيها، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «مالك يا أبا تُرَاب؟» لما يرى عليه من التراب، ثم قال: «ألا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أَحْيَمِرُ ثُمُودَ الذي عَقَرَ النَّاقَةَ، والذي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ - ووضع يده على قَرْنِهِ - حتى يَبْلُ مِنْهَا هَذِهِ». وأخذ بِلَحْيَتِهِ^(١).

وذكر قَرْشٌ مَلَلٌ، والقَرْشُ فيما ذكر أبو حنيفة: مكانٌ مُسْتَوٍ نَبَتُهُ العُرْفُطُ والسَّيَالُ والسَّمُرُ يكون نحواً من ميل أو قَرْسَخ، فإن أنبت العُرْفُطُ وحده فهو وَهْطٌ، وإن أنبت الطَّلَحُ وحده، فهو عَوَلٌ وجمعه غيلان على غير قياس، وإن أنبت النَّصِيَّ والسُّلْيَانَ، وكان نحواً من ميلين قيل له: لُيْمَةٌ.

تكنية علي بأبي تراب

وذكر حديثين في تَكْنِيَةِ علي بأبي تراب، وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه: وهو أن رسول الله - ﷺ - وجده في المسجد نائماً وقد تَرَبَّ جَنْبُهُ، فجعل يَحُثُّ التُّرَابَ عن جنبه، ويقول: قم أبا تراب، وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة^(٢)، وهذا معنى الحديث، وما ذكره ابن إسحاق من حديث عَمَّارٍ مخالف له، إلا أن يكون رسول الله ﷺ كَنَاهُ بها مرتين، مَرَّةً في المسجد، ومَرَّةً في هذه الغزوة، فالله أعلم.

أشقى الناس:

وذكر أشقى الناس قال: وهو أَحْيَمِرُ ثُمُودَ الذي عَقَرَ نَاقَةَ صَالِحٍ واسمه: قَدَارُ بن

(١) أخرجه الحاكم (١٤١/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦/١) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٩).

قال ابن إسحق: وقد حدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ إنما سَمِيَ عليًا أبا تراب، أنه كان إذا عَتَبَ على فاطمة في شيء لم يكلِّمها، ولم يَقُلْ لها شيئًا تَكْرَهه، إلا أنه يأخذ ترابًا فيضعه على رأسه. قال: فكان رسولُ الله ﷺ إذا رأى عليه التراب عَرَفَ أنه عَاتَبَ على فاطمة، فيقول: ما لك يا أبا تراب؟ فالله أعلم أي ذلك كان.

سرية سعد بن أبي وقاص وذهابه إلى الخرار ورجوعه من غير حرب^(١):

قال ابن إسحق: وقد كان بعث رسول الله ﷺ فيما بين ذلك من غزوة سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، في ثمانية رَهْط من المُهاجرين فخرَجَ حتى بلغ الخَرَّارَ من أرض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيدًا.

قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أن بَعَثَ سَعْدٌ هذا كان بعد حمزة.

غزوة سفوان وهي غزوة بدر الأولى^(٢):

قال ابن إسحق: ولم يُقَمِّ رسول الله ﷺ بالمدينة حين قَدِمَ من غَزْوَةِ العُشَيْرَةِ إلا ليالي قَلِيل لا تبلغُ العَشَرَ، حتى أغارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفَهْرِيُّ على سَرْحِ المدينة، فخرَجَ رسول الله ﷺ في طلبه، واستَعْمَلَ على المدينة زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحق: حتى بلغ واديًا، يقال له: سَفْوان، من ناحية بَدْر، وفاته كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ، فلم يُدْرِكْه، وهي غزوة بدر الأولى. ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها بَقِيَّةَ جُمَادَى الآخِرَةِ ورجبًا وشعبان.

سالف وأُمُّهُ فُذَيْزَةُ وهو من التسعة رَهْطِ المذكورين في سورة النمل، وقد ذكرت أسماءهم في كتاب التعريف والإعلام.

موادعة بني ضمرة:

وذكر مُوَادَعَتَهُ لبني ضَمْرَةَ، وهم بطن من كنانة، ثم من بني لَيْثٍ، وهم بنو غِفَّارٍ وبنو نُعَيْلَةَ بنِي مُلَيْلٍ بنِ ضَمْرَةَ، وكانت نسخةُ المَوَادَعَةِ فيما ذكر غيرُ ابنِ إسحق «بسم الله

(١) انظر المغازي للواقدي (١١/١) البداية والنهاية (٣٣٤/٣) الكامل (١٠/٢) الطبقات لابن سعد (٣/١/١) تاريخ الطبري (٤٠٣/٢) المنتظم (٨١/٣). والخرار: أبيات عن يسار الجحفة، حين تروح من الجحفة الجامعة. انظر المنتظم.

(٢) انظر المغازي (١٢/١) الطبقات (٤/١/٢) المنتظم (٨٩/٣) تاريخ الطبري (٤٠٧/٢) الدلائل (٨/٣) الاكتفاء (٩/٢).

سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ
وَنَزُولُ: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾
كِتَابُ الرَّسُولِ لَهُ

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ بْنِ رَثَابِ الْأَسَدِيِّ فِي رَجَبٍ، مَقْفَلَهُ مِنْ بَدْرِ الْأُولَى، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمِينَ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ، فَيَمْضِي لِمَا أَمَرَهُ بِهِ، لَا يَسْتَكْرِهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا.

وَكَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ. ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بِنُ عَبْدِ مَنَاةَ: أَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ؛ وَمِنْ حَلَفَائِهِمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، وَهُوَ أَمِيرُ الْقَوْمِ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مَخْصَنَ بْنِ حُزْثَانَ، أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ حُزَيْمَةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ. وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ: عُثْبَةُ بْنُ عَزْوَانَ بْنِ جَابِرٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ. وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. وَمِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ عَزْزِ بْنِ وَاثِلٍ، وَوَاقدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ عَرِينِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ، أَحَدُ بَنِي تَمِيمٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ. وَمِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ: سُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هَذَا كِتَابُ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِبَنِي ضَمْرَةَ، فَإِنَّهُمْ آمَنُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ لَهُمُ النِّصْرُ عَلَى مَنْ رَامَهُمْ إِلَّا أَنْ يُحَارَبُوا فِي دِينِ اللَّهِ مَا بَلَ بَحْرَ صُوفَةٍ، وَإِنْ النَّبِيُّ إِذَا دَعَاهُمْ لِنَصْرِهِ، أَجَابُوهُ، عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، وَلَهُمُ النِّصْرُ عَلَى مَنْ بَرَّ مِنْهُمْ وَأَتَقَى.

سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ^(١)

صَحْةُ الرَّمَايَةِ بِالْمُنَاوَلَةِ:

وَهُوَ الْمُجَدِّعُ فِي اللَّهِ، وَسَيَّاتِي حَدِيثُهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ وَتَرْجَمِ الْبَخَارِيِّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ احْتِجَاجًا بِهِ عَلَى صَحْةِ الرِّوَايَةِ بِالْمُنَاوَلَةِ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - نَاولَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ كِتَابَهُ، فَفَتَحَهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فَعَمِلَ عَلَى مَا فِيهِ. وَكَذَلِكَ الْعَالَمُ إِذَا نَاولَ

(١) انظر المغازي للواقدي (١٣/١) تاريخ الطبري (٤١٠/٢) البداية والنهاية (٢٤٨/٣) الطبقات (٥/١/٢) الاكتفاء (٩/٢) المنتظم (٩١/٣) الدلائل (١٧/٣) الدرر (٩٩) الزاد (١٦٧/٣) الكامل (١٢/٢).

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نَخْلَة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب، قال: سمعًا وطاعة؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نَخْلَة، أرصد بها قريشًا، حتى آتيه منهم بخبر؛ وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم. فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليَنطَلِقْ، ومن كره ذلك فليزجج، فأنا أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد.

وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمَعْدَن، فوق الفُرْع، يقال له: بحران، أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص، وعُتْبَةُ بن غَزْوانَ بغيرًا لهما، كانا يَغْتَقِبَانِه. فتخلفا عليه في طلبه. ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمَرَّت به عيرٌ لقريش تحمل زبيباً وأدماً، وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحَضْرَمي.

الخلاف حول نسب الحضرمي

قال ابن هشام: واسم الحضرمي: عبد الله بن عبَّاد، ويقال: مالك بن عبَّاد أحد

التلميذَ كتابًا جاز له أن يزوي عنه ما فيه، وهو فقهٌ صحيح، غير أن الناس جعلوا المناوَلَة اليوم على غير هذه الصورة يأتي الطالب الشيخ، فيقول: ناولني كتبك، فيناولُه ثم يمسك متاعه عنده، ثم ينصرف الطالب، فيقول: حدَّثني فلانٌ مُناوَلَة، وهذه رواية لا تصح على هذا الوجه، حتى يذهب بالكتاب معه، وقد أذن له أن يُحدِّثَ بما فيه عنه، وممَّن قال بصحة المناوَلَة على الوجه الذي ذكرناه مالكُ بن أنسٍ، روى إسماعيلُ بن صالح عنه أنه أَخْرَجَ لهم كتابًا مَشْدُودَة، فقال: هذه كتبتي صححتها ورويتها، فازووها عني، فقال له إسماعيل بن صالح: فنقول: حدَّثنا مالكٌ؟ قال: نعم، روى قصة إسماعيلَ هذه الدَارْقُطْنِي في كتاب رِوَاة مالك رحمه الله.

أولاد الحضرمي

وذكر عمرو بن الحضرمي، وكانوا ثلاثة: عَمْرًا وعامرًا والعلاء، فأما العلاء فمن أفاضل الصحابة، وأختهم الصَّغْبَة أم طَلْحَة بن عُبيد الله، وكانت قبل أبيه عند أبي سفيان بن حرب، وفيها يقول حين فارقه:

ولاني وصغبةً فيما نرى	بعيidan والودَّ وذَّ قَريب
فإن لا يكن نسبٌ ثاقبٌ	فعند الفتاة جَمالٌ وطيبٌ
فيال قصي ألا تغجبون	إلى الوئيرِ صار الغزالُ الرَّيبُ

الصَّدِف، واسم الصَّدِف: عمرو بن مالك، أحد السُّكُون بن أشرس بن كئدة، ويقال: كئدي.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة، وأخوه نُوْقُل بن عبد الله المَخْزُومِيَّان، والحكم بن كَيْسَان، مولى هشام بن المُغيرة.

فلما رَأَهم القوم هابوهم وقد نزلوا قَرِيبًا منهم، فأشرف لهم عُكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه، فلما رَأوه أَمَنُوا، وقالوا عُمَار، لا بأس عليكم منهم. وتشارور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب فقال القومُ والله لئن تركتم القومَ هذه اللَّيْلَةَ ليدخلنَّ الحرم، فليمتنعنَّ منكم به ولئن قَتَلْتُمُوهم لَتَقْتُلُنَّهم في الشهر الحرام؛ فتردَّد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شَجَعُوا أَنفُسَهُم عليهم، وأجمعوا على قتل من قَدَرُوا عليه منهم، وأخذ ما معهم. فَرَمَى واقِد بن عبد الله التَّمِيمِي عمرو بنَ الحَضْرَمِي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كَيْسَان؛ وأفلت القومُ نُوْقُل بن عبد الله فأعجزهم. وأقبل عبدُ الله بنُ جَحْش وأصحابه بالعرير وبالأسيرين، حتى قَدِمُوا على رسول الله ﷺ المدينة^(١).

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جَحْش: أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غَنَمْنَا الخمس وذلك أن يَفْرَضَ الله تعالى الخمسَ من المغانم - فَعَزَلَ لرسولِ الله ﷺ خمس العير، وقسم سائرَها بين أصحابه.

وفي نسب بني الحَضْرَمِيِّ اضطراب، فقد قيل ما قاله ابن إسحاق، وقيل: هو عبد الله بن عماد بن ربيعة، وقيل: ابن عِيَاد، وابن عِيَاد بالباء، والذي ذكره ابن إسحاق أصح، وهم من الصَّدِف، ويقال فيه: الصَّدِف بكسر الدال، قاله ابن دُرَيْد، والصَّدِف: مالك بن مُرْتَع بن ثُور وهو كئدة وقد قدمنا ما قيل في اسم كئدة وفي معناه في المبعث، وقد قيل في الصَّدِف: هو ابن سَمَال بن دُعِي بن زياد بن حَضْرَمَوْت، وقيل في حَضْرَمَوْت: إنه من ولد جَمِير بن سَبَأ، وقيل: هو ابن قُحْطَان بن عابر، والله أعلم.

(١) انظر البيهقي (٥٨/١٢/٩).

الرسول ﷺ يستنكر القتال في الشهر الحرام

قال ابن إسحق: فلما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ المدينة؛ قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام». فوَقَّفَ الْعِيرَ وَالْأَسِيرِينَ. وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؛ فلما قال ذلك رسولُ الله ﷺ سَقَطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وَعَتَّفَهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا صَنَعُوا. وَقَالَتْ قَرِيشٌ قَدْ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، وَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَّ، وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ، وَأَسْرَوْا فِيهِ الرِّجَالَ؛ فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْنٌ كَانَ بِمَكَّةَ: إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ.

وقالت يهود - تَفَاءَلَ بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو، عمرت الحرب؛ والحضرمي، حضرت الحرب؛ وواقد بن عبد الله، وقدت الحرب. فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

ما نزل من القرآن في فعل ابن جحش:

فلما أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَمِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيِ إِنْ كُنْتُمْ قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَقَدْ صَدُّوكم عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ الْكُفْرِ بِهِ، وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِخْرَاجِكُمْ مِنْهُ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ، أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾: أَيِ قَدْ كَانُوا يَفْتَنُونَ الْمُسْلِمَ فِي دِينِهِ، حَتَّى يَرُدُّوه إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِيمَانِهِ، فَذَلِكَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقَتْلِ ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ أَيِ ثُمَّ هُمْ مُقِيمُونَ عَلَى أَخْبَثِ ذَلِكَ وَأَعْظَمِهِ، غَيْرَ تَائِبِينَ وَلَا

حكمة تحريم القتال في الأشهر الحرم

وذكر الشهر الحرام، وما كان من أهل السَّريَّةِ فِيهِ، وَأَنَّهُ سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ لِمَا أَصَابُوا فِيهِ مِنَ الدَّمِّ، وَذَلِكَ أَنَّ تَحْرِيمَ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ كَانَ حُكْمًا مَعْمُولًا بِهِ مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَكَانَ مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ، وَمِمَّا جَعَلَهُ مَصْلَحَةً لِأَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٩٧] وَذَلِكَ لِمَا دَعَا إِبْرَاهِيمَ لَذَرِيَّتِهِ بِمَكَّةَ، إِذْ كَانُوا بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ أَنْ يَجْعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، فَكَانَ فِيمَا فُرِضَ عَلَى النَّاسِ مِنْ حَجِّ الْبَيْتِ قِيَامًا لِمَصْلَحَتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ، ثُمَّ جَعَلَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ أَرْبَعَةً: ثَلَاثَةً سَرَدًا، وَوَاحِدًا فَرْدًا، وَهُوَ رَجَبٌ، أَمَّا الثَّلَاثَةُ فَلِإِيَّامِنَ الْحِجَابِ وَإِرْدِينَ إِلَى مَكَّةَ، وَصَادِرِينَ عَنْهَا شَهْرًا قَبْلَ شَهْرِ الْحَجِّ، وَشَهْرًا بَعْدَهُ قَدَرِ مَا يَصِلُ الرَّاكِبُ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الْعَرَبِ، ثُمَّ يَرْجِعُ، حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ، وَأَمَّا رَجَبٌ فَلِلْعُمَارِ يَأْمَنُونَ فِيهِ مُقْبِلِينَ وَرَاجِعِينَ نِصْفُ

نازعين. فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفتح الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَقِ قبض رسولُ الله ﷺ العيرَ والأسيرين، وبعثت إليه قريشٌ في فداء عثمان بن عبد الله والحَكَم بن كَيْسان، فقال رسولُ الله ﷺ: لا تُفديكموها حتى يقدم صاحبانا - يعني سعد بن أبي وقاص، وعُتْبة بن غَزْوان - فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما، نقتل صاحبَيْكم. فقدم سعد وعُتْبة، فأفادهما رسولُ الله ﷺ منهم.

فأما الحَكَم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً. وأما عثمان بن عبد الله فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، فمات بها كافراً.

فلما تجلَّى عن عبد الله بن جَحْش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طَمِعُوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله: أَنْطَمَعَ، أن تكون لنا غزوة تُعْطَى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء.

والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير.

قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جَحْش: أن الله عز وجل قسم الفيء حين أحلَّه، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه الله، وخمسا إلى الله ورسوله، فوقع على ما كان عبد الله بن جَحْش صنع في تلك العير.

قال ابن هشام: وهي أول غنيمة غنمها المسلمون. وعمر بن الحُضْرَمي أول من قتله المسلمون، وعثمان بن عبد الله، والحَكَم بن كَيْسان أول من أسر المسلمون.

ما قيل من شعر في هذه السرية:

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبد الله بن جَحْش، ويقال: بل عبدُ الله جَحْش قالها، حين قالت قريش: قد أحلَّ محمدٌ وأصحابه

الشهر للإقبال، ونصفه للإياب، إذ لا تكون العُمْرة من أقاصي بلاد العرب كما يكون الحجُّ، أَلَا تَرَى أَنَا لَا نَغْتَمِر من بلاد المغرب، فإذا أردنا عُمْرةً فإنما تكون مع الحج، وأقصى منازل المُعْتَمِرِينَ بين مسيرة خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا، فكانت الأقوات تأتيهم في المواسم، وفي سائر العام تنقطع عنهم دُوبَانُ العربِ وقُطَاعُ الشُّبُلِ، فكان في رجب أمانٌ للسالكين إليها مصلحةً لأهلها ونظرًا من الله لهم دبره وأبقاه من ملَّةِ إبراهيم لم يُغَيَّرْ حتى جاء الإسلام، فكان القتال فيه مُحَرَّمًا كذلك صَدْرًا من الإسلام، ثم أباحت آيةُ السيف، وبقيت حُرْمَةُ الأشهر الحُرَم لم

الشَّهر الحرام، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال، وأسرُوا فيه الرجال - قال ابن هشام: هي لعبد الله بن جَحْش:

تَعْدُونَ قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً	وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدَ
صَدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ	وَكُفْرُ بِهِ وَاللَّهُ رَأْيٌ وَشَاهِدُ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ	لَيْثًا يُرَى اللَّهُ فِي الْبَيْتِ سَاجِدُ
فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ	وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٌ وَحَاسِدُ
سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا	بَنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدُ
دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَثْمَانُ بَيْنَنَا	يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقَدِّ عَانِدُ

صرف القبلة إلى الكعبة^(١):

قال ابن إسحق: ويقال: صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدّم رسول الله ﷺ المدينة.

تُسَخ، قال الله سبحانه: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ فَلَا تُظَلِّمُوا فِيهِن أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، فتعظيمُ حُرْمَتِهَا بَاقٍ، وَإِنْ أُبِيحَ الْقِتَالُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ أَنَّ تَحْرِيمَ الْقِتَالِ فِيهَا حَكْمٌ ثَابِتٌ لَمْ يُنْسَخْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ نَسَبِ النَّبِيِّ - ﷺ - ذَكَرَ سَعْدُ رَجَبٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّهُ لِلْعَرَبِ فِيمَا زَعَمُوا.

(١) انظر الطبقات (٣/٢/١) تاريخ الطبري (٤١٥/٢) البداية والنهاية (٣/٣٥٢) المنتظم (٩٣/٣) الدلائل (٥٧١/٢) الزاد (٦٦/٣). وانظر حديث تحويل القبلة في البخاري (٤٢١/١) والترمذي (٢٩٦٦).

غزوة بدر الكبرى

عير أبي سفيان:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حربٍ مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، منهم مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام.

ندب المسلمين للعرير وحذر أبي سفيان:

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن زومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس، كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سُقَّت من حديث بدر، قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مُقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم وقال

غزوة بدر^(١)

ويُذكر: اسم بئر حفرها رجلٌ من غفار، ثم من بني الناز منهم، اسمه: بدر، وقد ذكرنا في هذا الكتاب قول مَنْ قال: هو بدر بن قريش بن يخلد الذي سميت قريش به. ورؤي يونس عن ابن أبي زكريا عن الشَّعْبِيِّ قال: بدر: اسم رجل كانت له بدر.

(١) الخبر في المغازي للواقدي (١٩/١) الطبقات (٦/١/٢) البداية والنهاية (٢٥٦/٣) تاريخ الطبري (٤٢١/٢) المنتظم (٩٧/٣) الكامل (١٤/٢) الاكتفاء (١٤/٢) الدلائل (٢٥/٣).

هذه عِيرُ قُرَيْشٍ فيها أموالهم فاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُنْفِلُكُمْوهَا. فانتدب الناس فخفف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حَرْبًا، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبارَ ويسأل مَنْ لَقِيَ من الرُّكبانَ تخوفًا على أمر الناس. حتى أصاب خبرًا من بعض الرُّكبان: أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك. فاستأجر ضَمَضَمَ بنَ عَمْرٍو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قُرَيْشًا فيستنفرهم إلى أموالهم، ويُخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضَمَضَمُ بنَ عَمْرٍو سريعًا إلى مكة.

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحاق: فأخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قالوا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب، قبل قدوم ضَمَضَمِ مكة بثلاث ليال، رؤيا أفزعها. فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شرٌ ومُصيبة، فأتكم عني ما أحدثك به؛ فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت

تحسُّس الأخبار:

فصل: وذكر أبا سفيان، وأنه حين دنا من الحجاز، كان يتحسُّس الأخبار. التَّحَسُّسُ بالحاء: أن تَسْمَعَ الأخبارَ بنفسك، والتَّجَسُّسُ بالجيم: هو أن تفحص عنها بغيرك، وفي الحديث «لا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا»^(١).

رؤيا عاتكة^(٢)

وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذي رآته يصرخ بأعلى صوته: يا لَعُدْرٍ!! هكذا هو بضم الغين والdal جمع غُدُور، ولا تصح رواية من رَوَاه: يا لَعُدْرٍ بفتح الدال مع كسر الراء، ولا فتحها، لأنه لا ينادي واحدًا، ولأن لام الاستغاثة لا تدخل على مثل هذا البناء في النداء، وإنما يقول: يا لَعُدْرٍ انفروا وتخرِضًا لهم، أي: إن تخلَّضْتُمْ، فأنتم غُدْرٌ لقومكم وفتحت لَامَ الاستغاثة، لأن المنادى قد وقع موقع الاسم المضمر، ولذلك بنى، فلما دخلت عليه لام الاستغاثة وهي لام جر فتحت كما تفتح لَامُ الجر إذا دخلت على المضمرات، هذا قول ابن السراج، ولأبي سعيد السيرافي فيها تعليلٌ غير هذا كرهنا الإطالة بذكره، وهذا القول

(١) أخرجه البخاري (٢٤/١) ومسلم في البر والصلة (٢٨) وأحمد (٢/٢٨٧).

(٢) الطبري (٢/٢٣).

راكبًا أقبل على بَعِير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل عُذْر لمصارِعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه: ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بَعِيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل عُذْر لمصارِعكم في ثلاث: ثم مثل به بَعِيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دارٌ إلا دخلتها منها فُلقة؛ قال العباس: والله إن هذه لرؤيا، وأنبت فاكثمها، ولا تذكريها لأحد.

ذبوع الرؤيا وما أحدثت بين أبي جهل والعباس:

ثم أخرج العباس، فلقي الوليد بن عُتبة بن ربيعة، وكان له صديقًا، فذكرها له، واستكنمته إياها. فذكرها الوليد لأبيه عُتبة، ففشا الحديث بمكة، حتى تحدثت به قریش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قریش يعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأي أبي جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبئة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأيت عاتكة؛ قال: فقلت: وما رأيت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رَضِيتُم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم، قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فستربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقًا ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب أهل بيت من العرب. قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير، إلا أني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأيت شيئًا: قال. ثم تفرقنا.

مبني في شرح يا لَعْدُر إنما هو على رواية الشيخ، وما وقع في أصله، وأما أبو عُبيدة، فقال في المصنف: تقول يا عُذْر، أي: يا غادر، فإذا جمعت قلت: يا آل عُذْر، وهكذا والله أعلم. كان الأصل في هذا الخبر، والذي تقدم تغيير.

وقوله: ثم مثل به بَعِيره على أبي قبيس، سمي هذا الجبل أبا قبيس برجل هلك فيه من جُرْهُم اسمه قبيس بن شالخ، وقع ذكره في حديث عمرو بن مُضاض، كما سمي حُثَيْن الذي كانت فيه حُثَيْن بَحْثَيْن بن قَالِية بن مهْلَإِيل، أظنه كان من العَمَالِيق، وقد ذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استعجم.

فلما أُمِيتُ، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتنني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يَقَعَ في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غَيْرُ شيء مما سمعت، قال: قلت: قد والله فعلتُ، ما كان مني إليه من كَبِير. وأيم الله لأتعرّضن له، فإن عاد لأَكْفِيَنَّكُهُ.

قالت: فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مُغْضِبُ أَرَى أَنِي قد فاتني منه أمرٌ أَجِبُ أن أدركه منه. قال: فدخلتُ المسجدَ فرأيتَه، فوالله إني لأُمشي نحوه أتعرّضه، ليعودَ لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديدَ الوجه، حديدَ اللسان، حديدَ النظر. قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ. قال: فقلت في نفسي: ما له لعنة الله، أكل هذا فرق من أن أشاتمَه! قال: وإذا هو قد سَمِعَ ما لم أسمع: صوت ضَمْضَم بن عمرو الغفاري، وهو يَصْرُخُ بِبَطْنِ الوادي واقفاً على بعيره، قد جَدَعَ بعيره، وحولَ رَحْله، وشقَّ قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عَرَضَ لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تُذركوها، الغوثُ الغوثُ. قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر.

قريش تتجهز للخروج:

فتجهّز الناس سِرّاً، وقالوا: أيطنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحَضْرَمي، كلا والله ليعلمنَّ غيرَ ذلك. فكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً. وأوعبت قريش، فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ.

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها على أن يجزىء عنه، بعثه فخرج عنه، وتخلف أبو لهب.

معنى اللياط:

وذكر حديث أبي لهب، وبعثه العاصي بن هشام، وكان لاط له بأربعة آلاف درهم. لاط له: أي أَرَبَى له، وكذلك جاء اللَّيَاطُ مُفسِّراً في غريب الحديث للخطابي، وهو قوله عليه السلام في الكتاب الذي كتبه لثقيف: وما كان لهم من دين لا رَهَنَ فيه فهو لِيَاطٌ مُبْرَأٌ من الله. وقال أبو عُبَيْدٍ: وسمي الربا لِيَاطاً، لأنه مُلصَقٌ بالبيع، وليس ببيع، وقيل للربا لِيَاطاً لأنه، لاصقٌ بصاحبه لا يَفْضِيهِ، ولا يُوضَعُ عنه، وأصل هذا اللفظ من اللُّصُوقِ.

خروج عقبة

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح: أن أُمَيَّةَ بن خَلَف كان أجمع القُعودَ، وكان شيخًا جليلاً جَسِيمًا ثَقِيلًا، فأُتاه عُقْبَةُ بن أبي معيط، وهو جالس في المسجد بين ظَهْرَانِي قومه، بِمَجْمَرَةٍ يحملها، فيها نار ومِجْمَرٌ حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي استَجِمِرْ، فإنما أنت من النساء؛ قال: قَبَحَكَ اللهُ وَقَبَحَ ما جِئْتُ به، قال: ثم تَجَهَّز فخرج مع الناس.

ما وقع بين قريش وكنانة:

قال ابن إسحاق: ولما فرغوا من جهازهم، وأجمَعُوا المسيرَ، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خَلْفِنَا، وكانت الحربُ التي كانت بين قُريش وبين بني بَكْر - كما حدثني بعض بني عامر بن لُؤَيٍّ، عن محمد بن سعيد بن المُسيَّب - في ابنِ لِحَفْصِ بن الأَخِيْف، أحد بني مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ، خرج يَبْتَغِي ضَالَةً له بَضْجَنَان، وهو غلام حَدَث في رأسه دُؤَابَةٌ، وعليه حُلَّةٌ له، وكان غلامًا وضيئًا نظيفًا، فَمَرَّ بعامر بن يَزِيدَ بن عامر بن المُلُوح، أحد بني يَغَمَر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة، وهو بَضْجَنَان، وهو سيدُ بني بكر يومئذ، فرآه فأعجبه؛ فقال: من أنت يا غلام؟ قال: أنا ابنُ لِحَفْصِ بن الأَخِيْف القُرَشِي. فلما وَلَّى الغلام، قال عامر بن زيد: يا بني بكر، ما لكم في قُريش من دم؟ قالوا: بلى والله، إن لنا فيهم لدماء؛ قال: ما كان رجل ليقْتل هذا الغلام بَرَجْلَه إلا كان قد استوفى دمه. قال: فتبعه رجلٌ من بني بكر فقتله بدم كان له في قُريش؛ فتكَلَّمْتُ فيه قريش، فقال عامر بن يزيد: يا معشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء، فما شِئْتُمْ. إن شِئْتُمْ فأدُوا علينا ما لَنَا قِبَلْكُمْ، ونؤدِّي ما لَكُمْ قِبَلَنَا، وإن شِئْتُمْ فإنما هي الدماء: رجلٌ برجل، فتجافَوْا عَمَّا لَكُمْ قِبَلَنَا، ونتجافى عَمَّا لَنَا قِبَلْكُمْ، فهان ذلك الغلام على هذا الحَيِّ من قريش، وقالوا: صدق، رجل برجل. فلَهُوا عنه، فلم يطلبوا به.

المجمره والألوة

وعَزَمَ أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ على القُعود، وأنَّ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ جاءه بِمَجْمَرَةٍ فيها نار ومِجْمَرٌ، وقال: استَجِمِرْ فإنما أنت من النساء. المِجْمَرَةُ: هي الأداة التي يُجْعَلُ فيها البَخُور، والمِجْمَرُ هو البَخُور نفسه، وفي الحديث في صفة أهل الجنة مَجَامِرُهُم الأَلُوةُ، فهذا جَمْعُ مِجْمَرٍ لا مِجْمَرَةٍ، والأَلُوةُ: هي العود الرُّطْب، وفيها أَرْبَعُ لُغَاتٍ أَلُوةٌ وَأَلُوةٌ، وَلُوةٌ بغير ألف وليَّةٌ، قاله أبو حنيفة.

قال: فبينما أخوه مَكْرَزُ بن حَفْصِ بن الأَخِيْفِ يسير بَمَرِّ الظَّهْرانِ، إذْ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر المُلَوَّحِ على جمل له، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به، وعامرٌ متوشَّحٌ سيفه، فعلاه مَكْرَزُ بسيفه حتى قتله، ثم خاض بَطْنُه بسيفه، ثم أتى به مكة، فعَلَّقَه من الليل بأستار الكعبة. فلما أصبحت قريشٌ رأوا سيفَ عامر بن يزيد بن عامر معلقًا بأستار الكعبة، فعرفوه، فقالوا: إن هذا لسيفُ عامر بن يزيد، عدا عليه مَكْرَزُ بن حَفْصِ فقتله، فكان ذلك من أمرهم. فبينما هم في ذلك من حربهم، حَجَزَ الإسلام بين الناس؛ فتشاغلوا به، حتى أجمعت قريشُ المسير إلى بدر، فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر فخافوهم.

وقال مَكْرَزُ بن حَفْصِ في قتله عامرًا:

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ هُوَ عَامِرٌ	تَذَكَّرْتُ أَشْلَاءَ الْحَبِيبِ الْمُلْحَبِ
وَقُلْتُ لِنَفْسِي: إِنَّهُ هُوَ عَامِرٌ	فَلَا تَزْهَبِيهِ، وَانْظُرِي أَيَّ مَرْكَبِ
وَأَيَقَنْتُ أَنِّي إِنْ أَجَلَّلَهُ ضَرْبَةً	مَتَى مَا أَصَبَهُ بِالْفُرَافِرِ يَغْطِبُ
حَفَضْتُ لَهُ جَاشِي وَأَلْقَيْتُ كُلَّكَلِي	عَلَى بَطْلِ شَاكِي السِّلَاحِ مُجْرِبِ
وَلَمْ أَكْ لَمَّا التَفَ رُوعِي وَرُوعِهِ	عُصَارَةً هُجِنٍ مِنْ نِسَاءٍ وَلَا أَبِ
حَلَلْتُ بِهِ وَثْرِي وَلَمْ أَنْسَ دَخْلَهُ	إِذَا مَا تَنَاسَى دَحْلَهُ كُلُّ غَيْهَبِ

وذكر في شعر مَكْرَزِ:

تذكرت أشلاء الحبيب المُلْحَبِ

شرح شعر مَكْرَزِ:

الأشلاء: أعضاء مُقَطَّعة، والمُلْحَب من قولهم: لَحَبْتُ اللحم إذا قطعته طولاً ذكره صاحب العين^(١).

وذكر في شعر مَكْرَزِ:

مَتَى مَا أَجَلَّلَهُ الْفُرَافِرِ يَغْطِبِ

(١) لَحَب: قطعك اللحم طولاً، والمُلْحَب: المَقْطَع، وَلَحَبَهُ وَلَحَبَهُ: ضربه بالسيف، أو جرحه. اللسان (١/٧٣٦).

قال ابن هشام: الفَرَاثِرُ في غير هذا الموضع: الرجل الأَضْبَطُ، وفي هذا الموضع: السيف. والغَيْهَبُ: الذي لا عقل له، ويقال: تيس الظباء وفحل النعام، قال الخليل: العيَبُ: الرجل الضعيف عن إدراك وتره.

الشيطان وقريش:

وقال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراققة بن مالك بن جُعْشُم المَذَلِجِي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: أنا لكم جازٌّ من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعًا.

خروجه ﷺ:

قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه - قال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان - واستعمل عمرو بن أم مكتوم - ويقال اسمه: عبد الله ابن أم مكتوم أخا بني عامر بن لؤي، على الصلاة بالناس، ثم رد أبا لبابة من الرُّوحاء، واستعمله على المدينة.

اللواء والرايتان:

قال ابن إسحاق: ودفع اللواء إلى مُضْعَب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. قال ابن هشام: وكان أبيض.

قال ابن إسحاق: وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب، يقال لها: العُقاب، والأخرى مع بعض الأنصار.

إبل المسلمين إلى بدر:

قال ابن إسحاق: وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيرًا،

وقد فسر ابن هشام الفَرَاثِرَ، وقال: هو اسم سيف، وهو عندي من فَرَزَ اللحم إذا قطعه أنشد أبو عبيد:

كَكَلَبٍ طَسَمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ
أَنَحَى عَلَيْهِ يَوْمًا يُفَرِّزُهُ إِنْ يَلِغْ فِي الدِّمَاءِ يَنْتَهِسِ
وَيُزَوِّى: يُشْرِئُهُ. وَالْعَيْهَبُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ، وَيُقَالُ لَذَكَرِ النَّعَمِ عَيْهَبٌ.

فَاعْتَقِبُوهَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمَرْزُودُ بْنُ أَبِي مَرْزُودٍ الْعَنْوِيُّ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا^(١)، وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَأَبُو كُبَشَّةَ، وَأَنْسَةَ، مَوْلِيَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا.

قال ابن إسحاق: وجعل على السَّاقَةِ قَيْسَ بْنَ أَبِي صَعْصَعَةَ أَخَا بَنِي مَازَنَ بْنِ النَّجَّارِ. وَكَانَتْ رَأْيَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

الطريق إلى بدر:

قال ابن إسحاق: فسلكت طريقه من المدينة إلى مكة، على نَقَبِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ عَلَى الْعَقِيقِ، ثُمَّ عَلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ عَلَى أُولَاتِ الْجَيْشِ.

قال ابن هشام: ذات الجَيْشِ.

قال ابن إسحاق: ثُمَّ مَرَّ عَلَى تُرْبَانَ ثُمَّ عَلَى مَلَلٍ، ثُمَّ عَلَى غَمَيْسِ الْحَمَامِ مِنْ مَرَيَيْنِ، ثُمَّ عَلَى صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثُمَّ عَلَى السَّيَالَةِ، ثُمَّ عَلَى فَجِّ الرُّوحَاءِ، ثُمَّ عَلَى شُؤْكَةَ، وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمُعْتَدَلَةُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعِزْقِ الظُّبْيَةِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الظُّبْيَةُ: عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ - لَقُوا رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ، فَسَأَلُوهُ عَنِ النَّاسِ، فَلَمْ يَجِدُوا عَنْدهُ خَبْرًا، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: سَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَفِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنِي عَمَّا فِي بَطْنِ نَاقَتِي هَذِهِ قَالَ لَهُ سَلَامَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقَّشٍ: لَا تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَأَنَا أَخْبَرْتُكَ عَنْ ذَلِكَ. نَزَوْتُ عَلَيْهَا، فَفِي بَطْنِهَا مِنْكَ سَخْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْ، أَفَحَشْتُ عَلَى الرَّجُلِ»، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْ سَلَامَةَ.

مواضع نزل فيها الرسول ﷺ:

وَذَكَرَ عِزْقَ الظُّبْيَةِ، وَالظُّبْيَةَ: شَجَرَةً شَبِهَ الْقَتَادَةَ يُسْتَظَلُّ بِهَا، وَجَمَعَهَا: ظُبْيَانٌ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ السَّيَالَةَ فِي طَرِيقِ بَدْرٍ، وَالسَّيَالُ شَجَرٌ، وَيُقَالُ: هُوَ عِظَامُ السَّلَمِ، قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ.

(١) جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنا كل خير (٣٩٠١ / ٣٩٦٥):
أن أبا لبابة وعلي بن أبي طالب كانا زميلي رسول الله ﷺ. وأخرجه الحاكم أيضًا (٢٠ / ٣) وصححه
وافره الذهبي.

ونزل رسول الله ﷺ سَجَسَج، وهي بشر الزَّوْحَاء، ثم ارتحل منها، حتى إذا كان بالْمُنْصَرَف، ترك طريقَ مكة بَيْسَار، وسلك ذات اليمين على النَّازِيَةِ، يريد بدرًا، فسلك في ناحية منها، حتى جَزَعَ وادِيًا، يقال له رُخْقَان، بين النازية وبين مَضِيق الصَّفْرَاء، ثم على المضيق، ثم انصبَّ منه، حتى إذا كان قريبًا من الصفرَاء، بعث بَسْبَس بن عمرو

وذكر النَّازِيَةِ، وهي رَحْبَةٌ واسعة فيها عِصَاةٌ^(١) ومُروج^(٢).

وذكر سَجَسَجًا، وهي بِالزَّوْحَاء، وسميت سَجَسَجًا، لأنها بين جَبَلَيْن، وكلُّ شيء بين شَيْئَيْن، فهو: سَجَسَج. وفي الحديث: إن هواء الجَنَّةِ سَجَسَج، أي: لا حَرَّ ولا بَرْدٌ، وهو عندي من لفظ السَّجَاج، وهو لَبَنٌ غيرُ خَالِصٍ، وذلك إذا أكثر مزجه بالماء، قال الشاعر:

وَيَسْرُبُهَا مَزْجًا وَيَسْقِي عِيَالَهُ سَجَاجًا كَأَقْرَابِ الثُّعَالِبِ أَوْرَقًا

وهذا القول جارٍ على قياس مَنْ يقول: إن الثَّرَاثِرَةَ من لفظ: الثَّرَّة، وَرَقَرْتُ من لفظ: رَقَرْتُ إلى آخر الباب.

وذكر الصَّفْرَاء، وهي وادٍ كبير.

أنساب:

وذكر بَسْبَس بن عَمْرُو الْجَهَنِّي^(٣)، وَعَدِي بن أَبِي الزُّغَيَاء حين بعثهما رسول الله ﷺ يَتَحَسَّسَانِ الْأَخْبَارَ عَنْ عِيرِ قُرَيْش، وفي مُصَنَّف أبي داود: بَسْبَسَة مكان بَسْبَسٍ وبعض رواة أبي داود يقول: بُسْبَسَة بضم الباء: وكذلك وقع في كتاب مسلم ونسبه ابن إسحاق إلى جُهَيْنَةَ، ونسبه غيره إلى ذُبْيَان، وقال: هو بَسْبَس بن عَمْرُو بن ثَعْلَبَةَ بن خَرْشَةَ بن عَمْرُو بن سَعْد بن ذُبْيَان، وأما عدي بن أَبِي الزُّغَبَاء، واسم أبي الزُّغَبَاء: سَنَان بن سُبَيْع بن ثَعْلَبَةَ بن رَبِيعَةَ بن بُذَيْل، وليس في العرب بُذَيْلٌ بالذال المنقوطة غير هذا، قاله الدَّارِقُطْنِي، وهو بُذَيْلُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ كَاهِلِ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَلِكِ بْنِ عَطْفَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ، وجهينة: وهو ابن سُود بن أَسْلَم بضم اللام ابن الحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ، قال موسى بن عُقْبَةَ: عَدِيٌّ بن أَبِي الزُّغَبَاء حليف بني مالك بن النُّجَار مات في خلافة عَمَر، وكان قد شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق مع رسول الله ﷺ.

(١) عصاة: أعظم الشجر.

(٢) مروج: المروج الذي ترعى فيه الدواب.

(٣) انظر ترجمة له في الاستيعاب (١/١٩٠).

الْجُهَنِّي، حَلِيفَ بَنِي سَاعِدَةَ، وَعَدِيَّ بْنَ أَبِي الزُّغْبَاءِ الْجُهَنِيِّ، حَلِيفَ بَنِي النَّجَّارِ، إِلَى بَدْرِ يَتَحَسَّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَغَيْرِهِ. ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ قَدِمَهَا. فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ الصُّفْرَاءَ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، سَأَلَ عَنْ جَبَلَيْهِمَا مَا اسْمَاهُمَا؟ فَقَالُوا: يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا، هَذَا مُسْلِحٌ، وَلِلْآخَرِ: هَذَا مُخْرِيٌّ وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِهِمَا، فَقِيلَ: بَنُو النَّارِ وَبَنُو حُرَاقٍ، بَطْنَانِ مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَكَرِهَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُرُورُ بَيْنَهُمَا، وَتَفَاءَلَ بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ أَهْلِهِمَا. فَتَرَكَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالصُّفْرَاءَ بَيْسَارَ، وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ: ذَفْرَانٌ، فَجَزَعَ فِيهِ، ثُمَّ نَزَلَ.

التطير^(١) وكراهية الاسم القبيح:

وَذَكَرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ بِجَبَلَيْنِ، فَسَأَلَ عَلَى اسْمَيْهِمَا، فَقِيلَ لَهُ: أَحَدُهُمَا مُسْلِحٌ وَالْآخَرُ مُخْرِيٌّ، فَقَدَّلَ عَنْ طَرِيقَهُمَا، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الطَّيْرَةِ، الَّتِي نَهَى عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَلَكِنْ مِنْ بَابِ كِرَاهِيَةِ الْأَسْمِ الْقَبِيحِ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْتُبُ إِلَى أَمْرَائِهِ: «إِذَا أُبْرِذْتُمْ إِلَيَّ بِرَيْدٍ فَاجْعَلُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْأَسْمِ»^(٢)، ذَكَرَهُ الْبَزَارُ مِنْ طَرِيقِ بُرَيْدَةَ، وَقَدْ قَالَ فِي لِفْحَةٍ: مَنْ يَخْلُبُ هَذِهِ؟ فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: مَرْءٌ، فَقَالَ: «أَقْعُدْ»، حَتَّى قَالَ آخِرُهُمْ: اسْمِي: يَعِيشُ، قَالَ: احْلُبْ. اخْتَصَرْتُ الْحَدِيثَ وَفِيهِ زِيَادَةٌ رَوَاهَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ: فَقَالَ: لَا أُدْرِي أَقُولُ أَمْ أَسْكُتُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ»، فَقَالَ لَهُ: قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُنَا عَنِ التَّطْيِيرِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا تَطْيِيرُ، وَلَكِنِّي آثَرْتُ الْأَسْمَ الْحَسَنَ»، أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَدْ أَمْلَيْتُ فِي شَرْحِ حَدِيثِ الْمُوطِئِ فِي الشُّؤْمِ، وَأَنَّهُ إِنْ كَانَ فِي الْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ وَالِدَارِ تَحْقِيقًا وَبَيَانًا شَافِيًا لِمَعْنَاهُ، وَكَشَفًا عَنْ فَقْهِهِ لَمْ أَرِ أَحَدًا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - سَبَقَنِي إِلَى مِثْلِهِ.

جبال مسلح ومخريء:

وَهَذَا الْجَبَلَانِ لَتَسْمِيَّتُهُمَا بِهِذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ سَبَبٌ، وَهُوَ أَنَّ عَبْدًا لَبِنِي غِفَارٍ كَانَ يَزْعَى بِهِمَا غَنَمًا لِسَيِّدِهِ، فَرَجَعَ ذَاتَ يَوْمٍ عَنِ الْمَرْعَى، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: لَمْ رَجَعْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْجَبَلَ مُسْلِحٌ لِلْغَنَمِ، وَإِنَّ هَذَا الْآخَرَ مُخْرِيٌّ، فَسُمِّيَا بِذَلِكَ. وَجَدْتُ ذَلِكَ بِخَطِّ الشَّيْخِ الْحَافِظِ فِيمَا نَقَلَ عَنِ الْوَقَشِيِّ.

(١) التطير: التشاؤم.

(٢) انظر البزار (٤١٢/٢) وابن أبي شيبة (٣٤٩/١٢).

قول أبي بكر وعمر والمقداد في الجهاد:

وأناه الخبرُ عن قريش بمسيرهم لِيَمْنَعُوا عِيْرَهُمْ، فاستشار النَّاسَ، وأخْبَرَهُمْ عن قريش، فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن. ثم قام عمرُ بن الخطاب، فقال وأحسن، ثم قام المِقْدَاد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سيزت بنا إلى بَرْكِ الْعُمَادِ لَجَالَدْنَا معك من دونه، حتى تَبْلُغَهُ، فقال له رسول الله ﷺ: «خَيْرًا»، ودعا له به^(١).

الرسول ﷺ يستشير الأنصار:

ثم قال رسول الله ﷺ: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ». وإنما يريدُ الأنصارَ، وذلك أنهم عَدَدُ النَّاسِ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا بُرَاءُ من ذِمَامِكَ حتى تَصِلَ إلى ديارنا، فإذا وصلتَ إلينا، فأت في ذِمَّتِنَا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. فكان رسول الله ﷺ يَتَخَوَّفُ أَلَّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرى عَلَيْهَا نَضْرَهُ إِلَّا مِمَّنْ ذَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعدُ بن مُعَاذٍ: والله لَكَأَنَّكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: أَجَلٌ، قال: لقد آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنْ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُھودَنَا وَمَوَائِقِنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فامضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَتُحْنُ مَعَكَ، فوالذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لو استعرضتَ بنا هذا الْبَحْرَ فَخَضَّتْهُ لَخَضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا عَدَاً، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِمَّا مَا تَقْرُ بِهِ عَيْنُكَ، فَمِيزْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشِطَهُ ذَلِكَ؛ ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشَرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهُ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ.

برك الغماد:

وذكر قول المِقْدَاد: ولو بلغت بنا بَرْكُ الْعُمَادِ، وجدتُ في بعض كُتُبِ التفسير أنها مدينة الْحَبَشَةِ.

(١) انظر قول أبو بكر وسعد بن معاذ وعمر المِقْدَاد في البخاري (٢٢٣/٧) ومسلم (١٧٧٩) وأحمد في مسنده (٤٢٨/٣٩٠) والحاكم (٢٤٩/٣). وانظر الفتح (٢٢٤/٧).

تفرق أخبار قريش:

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَا فَرَّانَ، فسلك على ثَنَايا يقال لها الأصافر؛ ثم انحط منها إلى بلد يقال له: الدَّبَّة، وترك الحثَّانَ بيمين، وهو كَثِيبٌ عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريبًا من بَذْر، فركب هو ورجلٌ من أصحابه.

قال ابن هشام: الرجل هو أبو بكر الصديق.

قال ابن إسحاق: كما حدثني محمد بن يحيى بن حَبَّان: حتى وقف على شيخ من العَرَب، فسأله عن قُريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تُخبراني مِمَّنْ أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك»، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قُريش. فلما فرغ من خبره، قال: مِمَّنْ أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه. قال: يقول الشيخ: ما من ماء، أمن ماء العراق؟

قال ابن هشام: يقال: ذلك الشيخ سُفيان الضُمري.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب، والزُّبَيْر بن العَوَّام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه - كما حدثني يزيد بن رومان؛ عن عروة بن الزبير - فأصابوا رَاوِيَةً لقُريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فاتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قُريش، بعثونا نَسْقِيهم من الماء. فكَرِهَ القَوْمُ خبرهما، وَرَجَوْا أن يكونا لأبي سُفيان، فضربوهما. فلما أذلقوهما قالَا: نحن لأبي سُفيان، فتركوهما. وَرَكَع رسول الله ﷺ وسجد سجديته، ثم

تعوير قُلُب (١) المشركين:

وذكر القُلُب التي اخْتَفَرَهَا المشركون ليشربوا منها، قال: فأمر بتلك القُلُبِ فَعُورَتْ، وهي كلمة نبيلة، وذلك أن القُلُبَ لما كان عَيْنًا جعلها كَعَيْنِ الإنسان، ويقال في عَيْنِ الإنسان: عُرَتْهَا فَعَارَتْ، ولا يقال: عَوَزَتْهَا، وكذلك قال في القُلُبِ عَوَزَتْ بسكون الواو

(١) قُلُب: جمع قليب.

سَلَّمَ، وَقَالَ: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لَقَرِيشٌ، أَخْبَرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ؟» قَالَا: هُمُ وَاللَّهِ وَرَاءَ هَذَا الْكُتَيْبِ الَّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى - وَالْكُتَيْبُ: الْعَقَنْقَلُ - فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمْ الْقَوْمُ؟» قَالَا: كَثِيرٌ، قَالَ: «مَا عِدْتُهُمْ؟» قَالَا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «كَمْ يَنْحَرُونَ كُلُّ يَوْمٍ؟» قَالَا: يَوْمًا تِسْعًا، وَيَوْمًا عَشْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنَ التَّسْعِمَةِ وَالْأَلْفِ». ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: «فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ؟» قَالَا: عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَنُوفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ نُوفَلٍ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ نُوفَلٍ، وَالثَّغْنُورُ بْنُ الْحَارِثِ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَنُبَيْهَةُ، وَنُبَيْهَةُ ابْنَةُ الْحَجَّاجِ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلَقْتُ إِلَيْكُمْ أَفْلَادَ كَبْدَهَا».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ بَسْبَسُ بْنُ عَمْرِو، وَعَدِيٌّ بْنُ أَبِي الزُّغْبَاءِ قَدْ مَضَى حَتَّى نَزَلَا بَدْرًا، فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَخَذَا سَنًا لَهُمَا يَسْتَقِيَانِ فِيهِ، وَمَجْدِيٍّ بَنُ عَمْرُو الْجُهَنِيِّ عَلَى الْمَاءِ. فَسَمِعَ عَدِيٌّ وَيَسْبَسُ جَارِيَتَيْنِ مِنْ جَوَارِي الْحَاضِرِ وَهُمَا يَتَلَازمانِ عَلَى الْمَاءِ، وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لِمَا حَبَّتْهَا: إِنَّمَا تَأْتِي الْعَيْرَ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ، فَأَعْمَلُ لَهُمْ، ثُمَّ أَفْضِيكَ الَّذِي لَكَ. قَالَ مَجْدِيٌّ: صَدَقَتْ ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا. وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيٌّ وَيَسْبَسُ، فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا.

نَجَاةُ أَبِي سَفْيَانَ بِالْعَيْرِ:

وَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، حَتَّى تَقَدَّمَ الْعَيْرَ حَذْرًا، حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ، فَقَالَ لِمَجْدِيٍّ بْنِ عَمْرُو: هَلْ أَحْسَسْتَ أَحَدًا، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْكَرَهُ، إِلَّا أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَاكِبِينَ قَدْ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي سَنٍّ لَهُمَا، ثُمَّ انْطَلَقَا. فَأَتَى أَبُو سَفْيَانَ مُنَاخَهَا، فَأَخَذَ مِنْ أَبْعَارِ بَعِيرَيْهِمَا، فَقَتَّهَ، فَإِذَا فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفٌ يَثْرِبُ. فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا، فَضْرَبَ وَجْهَ عَيْرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ فَسَاخَلَ بِهَا، وَتَرَكَ بَدْرًا بَيْسَارًا، وَانْطَلَقَ حَتَّى أَسْرَعَ.

وَلَكِنْ لَمَّا رَدَّ الْفَعْلَ لَمَّا لَمْ يُسَمَّ فَاعْلُهُ ضَمَّتِ الْعَيْنُ، فَجَاءَ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَقُولُ: قَوْلُ الْقَوْلِ وَبُوعُ الْمَتَاعِ، وَهِيَ لُغَةُ هُذَيْلٍ وَبَنِي دُبَيْرٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَبَنِي فُقْعَسَ، وَبَنُو دُبَيْرٍ هُوَ تَصْغِيرُ أَذْبَرٍ عَلَى التَّرْخِيمِ، وَإِنْ كَانَتْ لُغَةً رَدِيئَةً، فَقَدْ حَسُنَتْ هُنَا لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى لَفْظِ الْوَاوِ، إِذْ لَوْ قَالُوا: عَيْرَتِ فَأَمِيتَتِ الْوَاوِ، لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ مِنَ الْعَوَرِ إِلَّا بَعْدَ نَظَرٍ، كَمَا حَافَظُوا فِي جَمْعِ عِيدٍ عَلَى لَفْظِ الْيَاءِ فِي عِيدٍ فَقَالُوا: أَعْيَادٌ، وَتَرَكَوا الْقِيَاسَ الَّذِي فِي رِيحٍ وَأَرْوَاحٍ عَلَى أَنْ أَرِيَاخًا لُغَةُ بَنِي

رؤيا جهيم بن الصلت:

وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحفة، رأى جُهيم بن الصَّلْت بن مَخرمة بن المَطْلَب بن عبد مناف رؤيا، فقال: إني رأيتُ فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان. إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له؛ ثم قال: قتل عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأمّية بن خلف، وفلان وفلان، فعَدَد رجالاً ممن قتل يوم بدر، من أشراف قريش، ثم رأيتُه ضرب في لَبّة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نُضْح من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل، فقال: وهذا أيضًا نبي آخر من بني المطلب، سيعلم غداً من المَقْتُول إن نحن التقينا.

كان أبو سفيان لا يريد حرباً:

قال ابن إسحق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرَزَ عِيزَه، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتَمْنَعُوا عِيرَكُمْ ورجالكم وأموالكم، فقد نَجَّاهَا اللهُ، فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نَرْجِعَ حتى نَرِدَ بدرًا - وكان بدر مَوْسِمًا من مواسم العرب، يجتمع لهم به سَوْقٌ كُلُّ عام - فنَقِمَ عليه ثلاثًا، فَنَنَحَرَ الجُزُرَ ونُطْعِمَ الطعام، ونُسْقِي الخمر، وتَغْرِفَ علينا القِيَان، وتسمع بنا العربُ وبمسيرنا وجَمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها، فامضُوا.

رجوع بني زهرة:

وقال الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثَّقَفِي، وكان حَلِيقًا لبني زهرة وهم بالجُحفة: يا بني زهرة، قد نَجَّى اللهُ لكم أموالكم، وخلَصَ لكم صاحبكم مَخرمةَ بن نُوْفَل، وإنما نَفَرْتُمْ لَتَمْنَعُوهُ وماله، فاجعلوا لي جُبْنَهَا وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تَخْرُجُوا في غير ضَيْعَةٍ، لا ما يقول هذا، يعني أبا جهل: فارجعوا، فلم يَشْهَدْها زُهْرِي واحد، أطاعوه وكان فيهم مُطَاعًا. ولم يكن بَقِيَ من قريش بَطْنٌ إلا وقد نَفَر منهم ناس،

أسد كي لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى العين، وإن كان من العَوْدَةِ، وقِسْ على هذا القول، وصحة الواو فيه، وكما حافظوا على الضمة في سُبُوح وقُدُوس، وقياسه: أن يكون على فَعُول بفتح الفاء كَتُوم وشَبُوط وبابه، ولكن حافظوا على الضمَّتَيْن، ليسَلَمَ لفظُ القُدُس والسُّبُحات وسُبُحان الله يَسْتَشْعِر المتكلمُ بهذين الاسمين معنى القُدُس، ومعنى سُبُحَانَ من أول وهلة، ولما ذكرناه كثيرة نظائر يُخرجنا إيرادها عن الغَرَضِ.

إلا بني عدي بن كعب، لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحدًا، ومشى القوم. وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم، وإن خرجتم معنا، أن هواكم لمع. محمد فرجع طالب إلى مكة مع من رجع. وقال طالب بن أبي طالب:

لا هُم إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبَ فِي غُضْبَةٍ مَحَالِفٌ مُحَارِبُ
فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ فَلَيْكِنَ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ
وَلَيْكِنَ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ

قال ابن هشام: قوله فليكن المسلوب، وقوله: ولكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر.

منزل المسلمين ومنزل قريش:

قال ابن إسحاق: ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدوة القُصوى من الوادي، خَلَفَ الْعَقْنَقَلُ وَبَطْنُ الْوَادِي، وَهُوَ يَلِيلٌ، بَيْنَ بَذْرِ وَبَيْنَ الْعَقْنَقَلِ، الْكُثِيبُ الَّذِي خَلْفَهُ قُرَيْشٌ، وَالْقَلْبُ بِيَدْرِ فِي الْعُدوة الدنيا مِنْ بَطْنِ يَلِيلٍ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَبَعَثَ اللَّهُ السَّمَاءَ، وَكَانَ الْوَدِي دَهْسًا، فَأَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنْهَا مَا لَبَّدَ لَهُمُ الْأَرْضَ وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ عَنِ السَّيْرِ، وَأَصَابَ قُرَيْشًا مِنْهَا مَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَرْتَحِلُوا مَعَهُ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَادِرُهُمْ إِلَى الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ بَذْرِ نَزَلَ بِهِ.

تفسير كلمات:

وذكر قول أبي جهل: قَمِ فَاثْشُدْ خُفْرَتَكَ، أَي: اطْلُبْ مِنْ قُرَيْشِ الْوَفَاءِ بِخُفْرَتِهِمْ لَكَ، لِأَنَّهُ كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ وَجَارًا، يُقَالُ: خَفَرْتُ الرَّجُلَ خُفْرَةً إِذَا أَجْرْتَهُ، وَالْخَفِيرُ الْمُجِيرُ^(١). قال: [عدي بن زيد] الْعِبَادِي.

مَنْ رَأَيْتَ الْأَيَّامَ خَلَدَنْ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

(١) خفر: الخاء والفاء والراء: أصلان: أحدهما الحياء، والآخر: المحافظة أو ضدها. فالأول الخفر: يُقَالُ خَفَرَتِ الْمَرْأَةُ: اسْتَحْيَتْ، تَخْفَرُ خَفْرًا، وَهِيَ خُفْرَةٌ. وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَيُقَالُ: خَفَرْتُ الرَّجُلَ خُفْرَةً، إِذَا أَجْرْتَهُ وَكُنْتُ لَهُ خَفِيرًا، وَتَخَفَرْتُ بِفُلَانٍ إِذَا اسْتَجَرْتُ بِهِ، وَيُقَالُ: أَخْفَرْتَهُ إِذَا بَعَثْتُ مَعَهُ خَفِيرًا، وَأَمَّا خِلَافُ ذَلِكَ فَأَخْفَرْتُ الرَّجُلَ: وَذَلِكَ إِذَا نَقَضْتُ عَهْدَهُ مَقَائِيسُ اللُّغَةِ (٢/٢٠٣).

مشورة الحباب :

قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة، أنهم ذكروا: أن الحباب بن المنذر بن الجُموح قال: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل، أمّنزلًا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدّمه، ولا نتأخّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نعوّز ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون؛ فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي». فانهض رسول الله ﷺ - ومنّ معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فعورت، وبنى حوضًا على القلب الذي نزل عليه فملأه ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

بناء العريش لرسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أن سغد بن معاذ قال: يا نبي الله، ألا تبني لك عريشًا تكون فيه، نُعدّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلدحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله، ما نحن بأشدّ لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يَمْنَعُكَ الله بهم، يناصحنوك ويجاهدون معك: فأثني عليه رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير. ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه.

ارتحال قريش:

قال ابن إسحاق: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت، فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوّب من العقنقل، - وهو الكتيب الذي جاءوا منه إلى الوادي - قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تُحاذك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أجنهم الغداة.

وقد قال رسول الله ﷺ - (وقد) رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر -: «إن يكن في أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يُطيعوه يَرتدوا».

وقوله: حَقَبَت الحرب، يقال: حَقَبَ الأمر إذا اشتد، وضائق فيه المسالك، وهو مُسْتَعَارٌ من حَقَبَ البعير إذا اشتدّ عليه الحَقَب وهو الحزام الأسفل، وراغ حتى يَبْلُغَ ثِيْلَهُ، فضاق عليه مسلك البَؤل.

وقد كان خُفاف بن أيماء بن رَحْضة الغفاري، أو أبوه أيماء بن رَحْضة الغفاري، بعث إلى قريش، حين مرّوا به، ابناً له بجزائره أهّداها لهم، وقال: إن أحببتُم أن نُمدّكم بسلاح ورجال فعلنا. قال: فأرسلوا إليه مع ابنه: أن وصلّتك رحم، قد قضيت الذي عليك، فلعنمري لئن كنّا إنّما نُقاتل الناسَ فما بنا من ضَعف عنهم، ولئن كنّا إنّما نُقاتل الله، كما يزعم محمّد، فما لأحد بالله من طاقة.

فلما نزل الناسُ أقبلَ نفرٌ من قريش حتى وَرَدُوا حوضَ رسول الله ﷺ فيهم حَكيم بن حِزام؛ فقال رسول الله ﷺ: «دعُوهم». فما شَرِب منه رجلٌ يومئذٍ إلا قُتل، إلا ما كان من حَكيم بن حِزام، فإنه لم يُقتل، ثم أسلم بعد ذلك، فحسُن إسلامه. فكان إذا اجتهد في يمينه، قال: لا والذي نَجاني من يوم بدر.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم، عن أشياخ من الأنصار، قالوا: لما اطمأنّ القوم، بعثوا عُمير بن وَهَب الجُمحيّ فقالوا: اخْزُر، لنا أصحابُ محمد، قال: فاستجَالَ بفرسه حولَ العسكر ثم رجع إليهم، فقال ثلاث مائة رجل، يزيدون قليلاً أو يَنْقُصُونَ، ولكن أمهلُوني حتى أنظرَ اللّقوم كمينٌ أو مَدَد؟ قال: فضرب في الوادي حتى أبعد، فلم يَرِ شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدتُ شيئاً، ولكني قد رأيتُ، يا معشرَ قُريش، البَلايا تحملُ المَنايا، نواضح يَثْرِب تحملُ الموت الناقع، قوم ليس معهم مَنعة ولا مَلْجأ إلا سيوفهم، والله ما أَرى أن يُقَتَّل رجلٌ منهم، حتى يُقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم.

فلما سمع حَكيم بن حِزام ذلك مشى في الناس، فأتى عُتْبَة بن ربيعة، فقال: يا أبا الوليد، إنك كبيرُ قُريش وسيّدُها، والمُطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حَكيم؟ قال: تَرْجع بالنّاس، وتَحمل أمرَ حليفك عَمرو بن الحَضرمي، قال: قد فعلتُ، أنت عليّ بذلك، إنّما هو حليفي، فعليّ عَقْلُه وما أُصِيبَ من ماله، فأَت ابن الحَنْظليّة.

وقول عُتْبَة في أبي جَهْل: سيعلم مُصَفَّرُ اسْتِه من انتفخ سَخْرُه. السَّخَرُ والسَّخَرُ الرَّثَّةُ، والسَّخَرُ أيضاً بفتح الحاء، وهو قياسٌ من كل اسم على فَعَلَ إذا كَانَ عَيْنُ الفعل حَرْفَ حَلَقٍ، أن يجوز فيه الفتح، فيقال في الدُّهر: الدُّهْر، وفي اللّخم: اللّخم حتى قالوا في التَّخو التَّخو، ذكرها ابن جني، ولم يعتمدوا على هذا التحريك الذي من أجل حَرْف الحَلَق لما كان لِعلّة، فلم يلقبوا الواو من أجله ألفاً حين قالوا: التَّخو والزَّهْد، ولو اغتَدُوا بالفتحة، للقبوا الواو

قال ابن هشام: والْحَنْظَلِيَّةُ أم أبي جهل، هي أسماء بنت مخربة، أحد بني نَهْشَل بن دارم بن مالك بن حَنْظَلَة بن مالك بن زَيْد مناة بن تميم - فلاني لا أخشى أن يَشْجُرَ أمرَ الناسِ غيرُهُ، يعني أبا جهل بن هشام. ثم قام عُتْبَة بن ربيعة خطيبًا، فقال: يا معشرَ قريش، إنكم والله ما تَصْنَعُونَ بأن تَلْقُوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النَّظَرَ إليه، قَتَلَ ابنَ عَمِّه أو ابنَ خاله، أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوا فذاك الذي أردتم، وإن كان غيرَ ألفاكم ولم تَعَرَّضُوا منه ما تريدون.

قال حَكِيم: فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل، وجدته قد نَثَلَ دِزْعاً له من جرابها، فهو يَهَيْئُهَا قال ابن هشام: يهيئها - فقلتُ له: يا أبا الحكم إنَّ عُتْبَة أرسلني إليك بكذا وكذا، للذي قال، فقال: انتَفَخَ والله سَخْرُهُ حين رأى محمداً وأصحابه، كلاً والله لا نزجج حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد، وما بعُتْبَة ما قال، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أَكَلَةُ جَزُورٍ، وفيهم ابْنُهُ، فقد تخَوَّفَكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرَمِي، فقال: هذا حليفُك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقمْ فَأَنْشُدْ خُفْرَتَكَ، ومقتل أخيك.

فقام عامر بن الحَضْرَمِي فَاكْتَشَفَ ثم صرخ: وَاَعْمَرَاهُ، وَاَعْمَرَاهُ. فحميت الحربُ وَحَقَّبَ الناسُ، واستَوْسَقُوا على ما هم عليه من الشرِّ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عُتْبَة.

فلما بلغ عُتْبَة قولَ أبي جهل: «انتفخ والله سحره»، قال: سيعلم مُصَفِّرُ اسْمِهِ من انتفخ سَخْرُهُ، أنا أم هو؟.

قال ابن هشام: السَّخْرُ: الرِّثَّة وما حولها مما يَغْلِقُ بِالْخُلُقُومِ من فوق الشُّرَّة. وما كان تحت الشُّرَّة، فهو القُضْب، ومنه قوله: رأيت عمرو بن لُحَيٍّ يَجْرُ قُضْبُهُ في النار: قال ابن هشام: حَدَّثَنِي بذلك أَبُو عُيَيْدَةَ.

ألفاً، كما لم يَغْتَدُوا بها في: يَهَبُ وَيَضَعُ، إذ كان الفتح فيه من أَجْلِ حَزْفِ الحَلْقِ، ولو اغْتَدُوا به، لرَدُّوا الواو فقالوا: يَوْضَعُ وَيَوْهَبُ، كما قالوا: يَوْجَلُ.

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري (٤٤٢/٢) الأغاني (١٨٩/٤) المتظم (١٠٥/٣).

ثم التمس عُتْبَةُ بِيضَةً لِيُدْخِلَهَا فِي رَأْسِهِ، فَمَا وَجَدَ فِي الْجَيْشِ بِيضَةً تَسَعُهُ مِنْ عِظَمِ هَامَتِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ اعْتَجَرَ عَلَى رَأْسِهِ يَبْزُدُ لَهُ.

مقتل الأسود المخزومي:

قال ابن إسحاق: وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سبى الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهديمه، أو لأموئن دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأتى قدامه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد (زعم) - أن يُبرِّ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

دعاء عتبة إلى المبارزة:

قال: ثم خرج بعد عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عوف، ومعوذ، ابنا الحارث - وأمهما عفرأ - ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن راحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مُنَادِيهِمْ يَا مُحَمَّدَ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبدة بن الحارث، وقم يا حمزة وقم يا علي»، فلما قاموا دنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبدة: عبدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا: نعم، أكفأ كرام. فبارز عبدة،

من قاتل أبي عذرها وما داء أبي جهل:

وقوله: مُصَفَّرُ اسْتِهِ، كلمة لم يخترعها عُتْبَةُ، ولا هو بأبي عذرها، قد قيلت قبله لقابوس بن الثُّعْمَانِ، أو لقابوس بن المنذر، لأنه كان مُزَفَّها لا يغزو في الحروب، فقيل له: مُصَفَّرُ اسْتِهِ، يريدون: صَفْرَةُ الْخُلُقِ وَالطَّيِّبِ، وقد قال هذه الكلمة قيس بن زهير في حذيفة يوم الهَبَاةِ، ولم يقل أحد إن حذيفة كان مسنوها، فإذا لا يصح قول من قال في أبي جهل من قول عُتْبَةَ فِيهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ: إنه كان مسنوها والله أعلم.

وسادة العَرَبِ لا تستعمل الخُلُقَ والطَّيِّبَ إِلَّا فِي الدَّعَةِ وَالْخَفْضِ وَتَعْيِيهِ فِي الْحَرْبِ أَشَدُّ الْعَيْبِ، وأحسب أن أبا جهل لما سَلِمَتِ الْعَيْرُ، وأراد أن يَنْحَرَ الْجَزُورَ، ويشرب الخمر بيدٍ، وتَغَزِفَ عَلَيْهِ الْقِيَانُ بِهَا استعمل الطيب أو هم به، فلذلك قال له عُتْبَةُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ، ألا ترى إلى قول الشاعر في بني مخزوم:

وَمِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ غَزَا بَذْرًا بِمَجْمَرَةٍ وَتَوَرَّ

وكان أسنَّ القوم، عتبة (بن) ربيعة، وبارز حمزة شَيْبَةَ بن ربيعة، وبارز عليّ الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يُمهل شَيْبَةَ أَنْ قتله؛ وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أَنْ قتله؛ واختلف عُبيدة وعتبة بينهما صُربتين، كلاهما أثبت صاحبه؛ وكرَّ حمزة وعليّ بأسياهما على عتبة فدَقَّقا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

قال ابن إسحق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عتبة بن ربيعة قال للفِثية من الأنصار، حين انتسبوا: أكفاء كرام، إنما نريد قومنا.

التقاء الفريقين:

قال ابن إسحق: ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يَحْمِلُوا حتى يأمرهم، وقال: «إِنْ أَكْتَفَكُم القوم فانصَحُوهم عنكم بالثَّبَل»، ورسول الله ﷺ في العريش، معه أبو بكر الصديق.

فكانت وَفْعَةُ بدر يوم الجمعة صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ من شهر رمضان.

قال ابن إسحق: كما حدثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين.

ابن غزية وضرب الرسول له في بطنه بالقدح

قال ابن إسحق: وحدثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله ﷺ عدَّلَ صُفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قِدَح يُعدِّل به القوم، فمرَّ بِسَوَادِ بن عَزِيَّة، حليف بني عَدِيٍّ بن النجار - قال ابن هشام: يقال، سَوَادٌ؛ مثقلة، وسَوَاد في الأنصار غير هذا، مخفَّف - وهو مُسْتَنَتِّل من الصَّفِّ - قال ابن هشام: ويقال: مُسْتَنَصِّل

يريد: أنه تَبَخَّرَ وَتَطَيَّبَ في الحرب.

وقوله: مُصَفَّرُ اسْتِهْ إنما أراد مُصَفَّرَ بَدَنِهِ، ولكنه قصد المبالغة في الذَّمِّ فخص منه بالذكر ما يَسُوؤُهُ أَنْ يُذْكَرَ.

حول سواد بني غزية

فصل: وذكر قصة سوادِ بن عَزِيَّة حين مرَّ به رسول الله ﷺ - وهو مُسْتَنَتِّلُ أمام الصَّفِّ، قال ابن هشام: ويقال: مُسْتَنَصِّلٌ. قوله: مُسْتَنَتِّلُ أمام الصَّفِّ، يقال: اسْتَنَتَّلْتُ واستَنَصَّلْتُ وأَبْرَزْتُكَ وأَبْرَزْتُكَ بالراء المهملة وبالزاي، هكذا تَقَيَّد في الغريب المصنف، كل هذا إذا تقدَّمت. سَوَادُ هذا بتخفيف الواو، وكل سَوَاد في العرب، فكذلك بتخفيف الواو

من الصف - قطعن في بطنه بالقذح، وقال: استؤ يا سَوَاد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فَأَقْذِنِي. فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: «استَقِد»، قال: فاعْتَقَه فقبَّل بطنه: فقال: «ما حملك على هذا يا سَوَاد؟» قال: يا رسول الله، حَضَرَ ما تَرَى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ. فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له^(١).

مناشدة الرسول ربه النصر

قال ابن إسحق: ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش فدخله، ومعه فيه أبو بكر الصديق، ليس معه فيه غيره، ورسول الله - ﷺ يُنَاشِدُ رَبَّهُ ما وَعده من النصر، ويقول فيما يقول: «اللهم إِنْ تَهْلِكْ هذه الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ لَا تُعْبَدُ»، وأبو بكر يقول: يا نبي الله: بَعْضَ مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لَكَ ما وَعَدَكَ^(٢).

وفتح السَّيْن، إلا عَمْرُو بن سَوَادٍ أحد بني عامر بن لُؤَيٍّ من شيوخ الحديث، وسَوَاد بضم السين، وتخفيف الواو، هو ابن مري بن إِزَاشَةَ بن قِضَاعَةَ ثم من بِلْيٍّ حلفاء الأنصار، ووقع في الأصل من كلام ابن هشام سَوَاد مثقلة ابن عَزْزِيَّة، إنما الصواب ما تقدم، وسَوَاد هذا هو عامل رسول الله - ﷺ - على خَيْبَر الذي جاءه بَتَمَرٍ جَنْيِبٍ، ذكره مالك في الْمُوطَأ ولم يُسَمِّهِ.

وقول ابن هشام: مُسْتَنْصِلٌ، معناه: خارج من الصَّف من قولك: نَصَبْتُ الرِمَحَ إذا أخرجت ثَعْلَبَةً^(٣) من السَّانِب.

تفسير بعض مناشدتك

وذكر قول أبي بكر بعض مناشدتك رَبِّكَ، فإن الله مُنْجِزٌ لَكَ ما وَعَدَكَ، رواه غير ابن إسحق كذلك مناشدتك، وفسره قاسم في الدلائل، فقال: كذلك قد يُرَادُ بها معنى الإغراء والأمر بالكف عن الفعل، وأنشد لجريز:

[تقول وقد ترامحت المطايا] كَذَاكَ القول إنَّ عليك عَيْنَا

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٣٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٤/٧) ومسلم (١٧٦٣) وأحمد (٣٢/٣٠/١).

(٣) الثعلب: أي طرف الرمح.

أي: حَسْبُكَ من القول، فدعه، وفي البخاري أن النبي ﷺ قال لأنجشه: «يا أنجشه رُوَيْدُكَ سَوْفَكَ بالقَوَارِيرِ»^(١)، وأورده مَرَّةً أخرى فقال فيه سَوْفَكَ وإنما دخله معنى النصب كما دخل: عليك زَيْدًا معنى النصب، وفي دونك، لأنك إذا قلت دونك زَيْدًا وهو يطلبه فقد أعلمته بمكانه فكأنك قلت: خذه، ومسألة كذاك من هذا الباب لأنك إذا قلت: كذاك القول أو السير، فكأنك قلت: كذاك أَمَرْتُ فَأَكْفَفْ وَدَعْ، فأصل البابين واحد وهو ظرف بعده ابتداء، وهو خبر يتضمن معنى الأمر أو الإغراء بالشيء، أو تركه، فنصبوا بما في ضَمَنِ الكلام، وَجَسْنَ ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظي إلى مَعْنَوِيٍّ، وإنما عدلوا عن مَعْنَوِيٍّ إلى معنوي، ولو أنهم حين قالوا: دونك زَيْدًا يلفظون بالفعل فيقولون: استقر دونك زيد، وهم يريدون الإغراء به والأمر بأخذه لَمَا جاز النصب بوجه، لأن الفعل ظاهر لَفْظِيٍّ، فهو أقوى من المعنوي.

معنى مناشدة أبي بكر:

فصل: وفي هذا الحديث من المعاني أن يقال: كيف جعل أبو بكر يأمر رسول الله - ﷺ - بالكَفِّ عن الاجْتِهَادِ في الدعاء، ويقوِّي رجاءه وَيُثَبِّتُهُ، ومقام رسول الله - ﷺ - هو المقام الأحمدُ وبقِيَّتُهُ فوق يقين كل أحدٍ، فسمعت شيخنا الحافظ^(٢) - رحمه الله - يقول في هذا: كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف، وكان صاحبه في مقام الرِّجَاءِ، وكلا، المقامين سواء في الفضل، لا يريد أن النبي والصديق سواء، ولكن الرجاء والخوف مقامان لا بد للإيمانِ منهما، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرِّجَاءِ لله، والنبي عليه السلام كان في مقام الخوف من الله، لأن الله أن يفعل ما شاء، فخاف أن لا يُعْبَدَ الله في الأرض بعدها، فخوفه ذلك عبادةً. وأما قاسم بن ثابت، فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا، وقال: إنما قال ذلك الصديق مأوِيَةً للنبي عليه السلام وِرْقَةً عليه، لما رأى من نَصَبِهِ في الدعاء والتَضَرُّعِ حتى سقط الرداء عن مَنَكِبَيْهِ، فقال له: بعض هذا يا رسول الله، أي: لِمَ تُتَعَبُ نفسك هذا التعب، والله قد وعدك بالنصر، وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي ﷺ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٤/٨) ومسلم في الفضائل (٧٠) والدارمي (٢٩٦/٢) وأحمد (١١٧/٣) والبيهقي في الأداب (٨١٩) بتحقيقي.

(٢) يعني القاضي أبا بكر بن العربي - علم من أعلام الحديث وأهله. دليس بن العربي النكرة الصوفي صاحب الرسائل والإشراقات.

(٣) وهذا الرأي الأخير هو الأرجح.

وقد حَقَّقَ رسولُ الله ﷺ حَقِيقَةَ وهو في العرش، ثم انتبه فقال: «أُبَشِّرُ يا أبا بكر، أَنَاكَ نصرُ الله. هذا جبريل آخِذٌ بعنانِ قَرَسٍ يقوده، على ثَنَايَا الثُّغَى».

جهاد النبي في المعركة:

قال المؤلف: وأما شِدَّةُ اجتهاد النبي - ﷺ - ونصِبِه في الدعاء فإنه رأى الملائكة تَنْصَبُ في القتالِ وجبريل على ثَنَايَا الْعُبَارِ، وأنصارُ الله يخوضون غَمَارَ الموتِ. والجهادُ على صَرَبَيْنِ: جهاد بالسيف، وجهاد بالدُّعَاءِ، ومن سُنَّةِ الإمام أن يكونَ من وراءِ الجُنْدِ لا يقاتلُ معهم، فكان الكلُّ في اجتهادٍ وجِدٍّ، ولم يكن لِيُريخَ نفسه من أحدِ الجِدِّينَ والجهاديين، وأنصارُ الله وملائكته يجتهدون، ولا لِيُؤثِرَ الدُّعَاةَ، وحزبُ الله مع أعدائه يَجْتَلِدُونَ.

المفاعلة:

وقوله: بعضُ مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ، والمفاعلة لا تكون إلا من اثنين والرَّبُّ لا يَنْشُدُ عَبْدَهُ، فإنما ذلك لأنها مُنَاجَاةٌ لِلرَّبِّ، ومحاولة لأمرٍ يريده، فلذلك جاءت على بناء المفاعلة، ولا بُدَّ في هذا البابِ من فِعْلَيْنِ لِفَاعِلَيْنِ، إمَّا مُتَّفَقَيْنِ في اللفظ، وإمَّا مُتَّفَقَيْنِ في المعنى، وظنُّ أكثرِ أهلِ اللغة أنها قد تكون من واحدٍ نحو: عاقبت العبدَ وطَارَقَتْ النُّعْلُ، وسافرتُ، وعافاه الله، فنقول: أمَّا عاقبتُ العبدَ فهي مُعَامَلَةٌ بينك وبينه، عامَلَك بالذنب، وعاملته بالعقوبة، فأخِذَ لفظها من العقوبة، ووزَّنها من المُعَاوَنَةِ، وأمَّا طَارَقَتْ النُّعْلُ، فمن الطرق وهو الفوه، فقد قَوَّيْنَهَا وَقَوَّيْتُكَ على المَشْيِ، فلفظها من الطرق، وبنائها على وزن المُعَاوَنَةِ والمُقَاوَاةِ، فهذا اتِّفَاقٌ في المعنى، وإن لم يكن في اللفظ، وأمَّا سافر الرجلُ فمن سَفَرَتْ: إذا كَشَفَتْ عن وَجْهِكَ، فقد سَفَرَ لِقَوْمٍ، وَسَفَرُوا لَهُ، فهذه مُوَافَقَةٌ في اللفظ والمعنى، وأمَّا المعافاة، فإن السيد يُعْفِي عبده من بَلَاءٍ فَيُعْفِي العبدَ سَيِّئَهُ من الشُّكُوى والإلحاح، فهذه موافقة في اللفظ، ثم تضاف إلى الله سبحانه اتساعاً في الكلام، ومجازاً حسناً.

عصب وعصم:

فصل: وذكر قول النبي - ﷺ - هذا جبريلُ على ثَنَايَا الثُّغَى، وهو الْعُبَارُ وفي حديث آخر أنه قال: رأيته على قَرَسٍ له شُفْرَاءُ، وعليه عِمَامَةٌ حُمْرَاءُ، وقد عَصَمَ بِشَنِيِّيَةِ الْعُبَارِ؛ قال ابن قتيبة: عَصَمَ وَعَصَبَ بمعنى واحد، يقال: عَصَبَ الرِّقُّ بفيه، إذا يَسَسَ وأنشد:

يَعْصِبُ فَاهُ الرِّقُّ أَيَّ عَصَبٍ عَصَبَ الْجُبَابِ بِشَفَاهِ الْوَطْبِ

وخالفه قاسم بن ثابت، وقال: هو عَصَمٌ من الْعَصِيمِ وَالْعُصْمِ، وهي كالبقية تبقى في اليد وغيرها من لَطَخٍ حِثَاءٍ أو عَرَقٍ أو شَيْءٍ يَلْصِقُ بِالْعَصْدِ، كما قالت

أول قتيل :

قال ابن إسحاق: وقد رُمي مِهْجَعٌ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فُقُتِلَ، فكان أول قتيل من المسلمين، ثم رُمي حارثُ بن سُرَاقَة، أحد بني عدي بن النجار، وهو يشرب من الحوض، بسهم فأصاب نحرَه، فُقُتِلَ.

تحريض المسلمين على القتال

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم، وقال: «والذي نفسُ محمد بيده، لا يُقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابراً مُحْتَسِباً، مُقْبِلاً غَيْرَ مُدِيرٍ، إلا أدخله الله الجنة». فقال عُمير بن الحُمَام، أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بَخْ بَخْ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل^(١).

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عوف بن الحارث، وهو ابن عَفراء قال: يا رسول الله، ما يُضْحِكُ الرَّبَّ من عبده، قال: «عَمَسَه يَدُه في العدو حاسراً». فَتَزَع دِرْعًا كانت عليه فَقَذَفَهَا، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتِلَ.

امرأة من العرب لأخرى: أعطني عُصَمَ حِثَائِكَ، أي ما سَلَّت من حِثَائِهَا، وَقَسَرْتَه من يدها.

حديث عمير بن الحُمَام

فصل: وذكر حديثَ عَمير بن الحُمَام بن الجُمُوح بن زيد بن حرام حين ألقى التَّمَرَات من يده، وقال: بَخْ بَخْ، وهي كلمة، معناها التعجب، وفيها لغات بَخْ بسكون الخاء وبسكرها مع التنوين، وبتشديدها مُنَوَّنة، وغير مُنَوَّنة، وفي حديث مسلم والبخاري: أن هذه القصة كانت أيضًا يوم أُحُدٍ لكنه لم يُسم فيها عَميرًا، ولا غيره فالله أعلم.

حديث عوف ابن عَفراء:

وقول عَوْف ابن عَفراء: ما يُضْحِكُ الرَّبَّ من عبده يا رسول الله؟ قد قيل في عَوْف: عَوْذُ بالذال المنقوطة، ويقوى هذا القول أن أخويه: مُعَاذٌ وَمُعَوِّذٌ.

(١) انظر مسلم في الإمامة (١٤٥).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صَعِير العُدْرِي، حليف بني زُهرة، أنه حدثه: أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جهل بن هشام: اللهم أَقْطَعْنَا للرحم، وآتانا بما لا يُعرف، فأخذه الغدَاة. فكان هو المُسْتَفْتَح.

ضحك الرب:

ويضحك الرب، أي يُرضيه غاية الرضى، وحقيقته أنه رَضِيَ معه تبشِير وإظهار كرامة، وذلك أن الضَّحْكَ مُضَادٌّ لِلْعُضْبِ، وقد يَغْضِبُ السَّيِّدُ، ولكنه يعفو ويُبْقِي الْعَثْبَ، فإذا رَضِيَ، فذلك أكثر من العفو، فإذا ضَحِكَ فذلك غاية الرضى؛ إذ قد يَرْضَى ولا يُظْهِر ما في نفسه من الرضى، فعَبَّرَ عن الرضى وإظهاره بالضَّحْكَ في حَقِّ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ مَجَازًا وبِلاغَةً، وتَضَمِينًا لهذه المعاني في لَفْظٍ وَجِيزٍ؛ ولذلك قال عليه السلام في طَلْحَةَ بْنِ الْبَرَاءِ: «اللهم التَّيَّ طَلْحَةُ يَضْحَكُ إِلَيْكَ، وتضحك إليه»^(١)، فمعنى هذا: الْقَهْ لِقَاءَ مُتَحَابِّينَ مُظْهِرَيْنِ لما في أنفسهما من رضى، وَمَحَبَّةٍ، فإذا قيل: ضَحِكَ الرَّبُّ لِفُلَانٍ، فهي كلمة وجيزة تتضمن رضى مع محبة وإظهار بِشْرٍ وكرامة، لا مَزِيدَ عليهما، فهي من جوامع الْكَلَمِ التي أُوتِيَهَا عليه السلام^(٢).

(١) أخرجه الطبري (٧٣/٤) وابن عبد البر في التمهيد (٢٧٣/٦) وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧٤) وابن سعد في الطبقات (٧٣/٢/٤).

(٢) الضحك: صفة من صفات ربنا جلَّ وعلا، نُؤْمِنُ بِهَا ونعتقد، كما آمنا أن الله تعالى «وجهًا» وكما آمنا أن الله تعالى «ساق» و«قدم» و«أصابع»، وكما آمنا أنه تعالى ينزل في الثلث الأخير من الليل، وأنه تعالى: «مستور على عرشه»، وكما أنه تعالى «يغضب»، وكما أنه تعالى «يفرح». كما صرح بهذا وغيره - من صفات ربنا جلَّ وعلا - القرآن والسنة «الصحيحة»، ونعرف كل هذا الله تعالى مؤمنين به كما نُؤْمِنُ أنه قدمه وساقه وأصابعه ووجهه وضحكه وغضبه وفرحه ونزوله لا يشابه في هذا أحدٌ من خلقه إذ «ليس كمثله شيء» وهو السميع البصير. وتفسير ضحك الله بأنه الرضى حيدة عن الحق، وقد فرق القرآن بين الرضى والضحك كما فرق السنة، وإذا ما سئل المسلم: كيف هو ضحك ربنا؟! قلنا له: السؤال عن الضحك كالسؤال عن الاستواء على العرش، فهل آمنت أن الله مستور على عرشه كما صرح القرآن في غير آية «الرحمن على العرش استوى»؟! فإذا آمنت بهذا وأنت لا تدري كيفية الاستواء؛ إلا إذا عاندت وكيفت، كذلك القول في الضحك والغضب والرضى والفرح وغير ذلك، ثم إن السؤال عن الصفات فرع عن السؤال عن الذات، فهل تستطيع أن تصف لنا ذات الله عزَّ وجلَّ؟! وبالطبع سيكون الرد بالنفي، قلنا: السؤال عن الصفات فرع من السؤال بالذات، فإذا انتفى الأول انتفى الثاني. انظر مزيد بيان وإيضاح [لزامًا]: «القواعد المثلى» لفَضِيلَةَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعَثِيمِيِّ - ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنها «الرسالة التدمرية»

رمي الرسول للمشركين بالحبصاء:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حَفْنَةً من الحَصْبَاءِ فاستقبل قريشاً بها، ثم قال: شَاهَتِ الوجوه، ثم نَفَحَهُمْ بها، وأمر أصحابه، فقال: شُدُّوا، فكانت الهزيمة، فقتل الله تعالى مَنْ قَتَلَ من صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، وأسر من أسر من أشرفهم. فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله ﷺ في العَرِيشِ، وسعد بن مُعَاذٍ قائم على باب العَرِيشِ، الذي فيه رسول الله ﷺ، مُتَوَسِّحاً السيفَ، في نفرٍ من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ، يخافون عليه كَرَّةَ العدوِّ، ورأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - في وجه سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الكراهية لما يَصْنَعُ النَّاسُ، فقال له رسول الله ﷺ: «والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم»، قال: أَجَلْ والله يا رسول الله، كانت أولُ وقعة أوقعها الله بأهلِ الشُّركِ. فكان الإِنْتَحَانُ في القتل بأهلِ الشُّركِ أَحَبَّ إِلَيَّ من استبقاء الرجال.

نهى النبي أصحابه عن قتل ناس من المشركين:

قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبُدٍ، عن بعض أهله، عن ابن عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ: «إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أَخْرَجُوا كَرَاهًا، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقَتْلَانَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامٍ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَخْرَجَ مُسْتَكْرَهًا». قَالَ: فَقَالَ أَبُو حُدَيْفَةَ: أَنْقَتُلْ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَتَنَا وَعَشِيرَتَنَا. وَنَتْرِكَ الْعَبَّاسَ، وَاللَّهُ لَيُنْ لِقِيَّتُهُ لِأَلْحِمَنَّهُ السِّيفَ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: لِأَلْجَمَّةِ (السِّيفِ) - قَالَ: فَلَبِغْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «يَا أَبَا حَفْصٍ» - قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لِأَوَّلُ يَوْمٍ كُنَّانِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي حَفْصٍ - أَيَضْرِبُ وَجْهَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسِّيفِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ بِالسِّيفِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ. فَكَانَ أَبُو حُدَيْفَةَ يَقُولُ: مَا أَنَا بِأَمِنْ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ، وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا، إِلَّا أَنْ تَكْفُرَها عَنِي الشَّهَادَةُ. فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا.

قال ابن إسحاق: وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي الْبَخْتَرِيِّ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ. فَلَقِيَهُ الْمُجَذَّرُ بْنُ زَيْدِ الْبَلَوِيِّ، حَلِيفُ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ الْمُجَذَّرُ لِأَبِي

الْبُخْتَرِيُّ: إِنْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ نَهَانَا عَنْ قَتْلِكَ - وَمَعَ أَبِي الْبُخْتَرِيِّ زَمِيلٌ لَهُ قَدْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ، وَهُوَ جُنَادَةُ بْنُ مُلَيْحَةَ بِنْتُ زُهَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ: وَجُنَادَةُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ. وَاسْمُ أَبِي الْبُخْتَرِيِّ: الْعَاصُ - قَالَ: وَزَمِيلِي؟ فَقَالَ لَهُ الْمُجَذَّرُ: لَا وَاللَّهِ، مَا نَحْنُ بِتَارِكِي زَمِيلِكَ، مَا أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا بِكَ وَحْدَكَ؛ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِذْنٌ لَأَمُوتَنَّ أَنَا وَهُوَ جَمِيعًا، لَا تَتَحَدَّثْ عَنِّي نِسَاءَ مَكَّةَ أَنِّي تَرَكْتُ زَمِيلِي جِرْصًا عَلَى الْحَيَاةِ. فَقَالَ أَبُو الْبُخْتَرِيِّ حِينَ نَازَلَهُ الْمُجَذَّرُ، وَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ، يَرْتَجِزُ:

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

فَاقْتَتَلَا، فَقَتَلَهُ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ. وَقَالَ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ فِي قَتْلِهِ أَبِي الْبُخْتَرِيِّ:

إِمَّا جِهَلْتُ أَوْ نَسِيتَ نَسْبِي فَأَثْبِتِ النُّسْبَةَ أَنِّي مِنْ بَلِي

الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْيَزْنِي وَالضَّارِبِينَ الْكَبْشَ حَتَّى يَنْحَنِي

بَشْرَ بَيْتَمَ مِنْ أَبَوَيْ الْبُخْتَرِيِّ أَوْ بَشْرُنْ بِمِثْلِهَا مِنِّي بَنِي

أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَضْلِي مِنْ بَلِي أَطْعُنُ بِالصُّغْدَةِ حَتَّى تَثْنِي

وَأَغِيطُ الْقِرْنَ بِعَظْبٍ مَشْرِفِي أَرْزَمَ لِلْمَوْتِ كِلَازَامَ الْمَرِي

فَلَا تَرَى مُجَذَّرًا يَفْري قَري

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «الْمَرِي» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ. وَالْمَرِي: النَّاقَةُ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ لِبَنِيهَا

عَلَى عَسَرٍ.

شرح كلام أبي البختري والمجذر:

فصل: وقول أبي البختري أنا وزميل. الزميل: الرديف، ومنه: اذمَل الرجل بحمله إذا ألقاه على ظهره، وفي مسند الحارث عن ابن مسعود، قال: «كُنَّا نَتَعَاقَبُ يَوْمَ بَذْرِ ثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، فَكَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلِذَا كَانَتْ عُقْبَتُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَا لَهُ: ازْكَبْ؛ وَلَتَمَشَّ عَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَيَقُولُ: مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا»^(١).

وقول المجذر: كِلَازَامَ الْمَرِي. الْمَرِي: النَّاقَةُ تُمَرَى لِلْحَلَبِ، أَيْ تُنَسَحُ أَخْلَافُهَا. وَلِازَامُهَا: صَوْتُهَا وَهَذَرُهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْفَرْقُ بَيْنَ أَرْزَمَتْ وَرَزَمَتْ.

(١) تقدم تخريجه.

قال ابن إسحاق: ثم إن المجذّر أتى رسول الله ﷺ، فقال: والذي بعثك بالحق لقد جاهدت عليك أن يستأسر فأتيتك به، (فأبى) إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته.

قال ابن هشام: أبو البختری: العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

مقتل أمية بن خلف:

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال ابن إسحاق: وحدثني أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما، عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبّاد عمرو، فتسمّيت، حين أسلمت، عبد الرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبّاد عمرو، أرغبت عن اسم سَمّاكَه أبواك؟ فأقول: نعم، فيقول: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أمّا أنت فلا تُجيبني باسمك الأول، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال: فكان إذا دعاني: يا عبّاد عمرو، لم أجبه. قال: فقلت له: يا أبا عليّ، اجعل ما شئت، قال: فأنت عبدُ الإله؟ قال: فقلت: نعم، قال: فكنت إذا مررتُ به قال: يا عبد الإله فأجيبه، فأتحدّث معه. حتى إذا كان يومَ بدر، مررتُ به وهو واقفٌ مع ابنه، عليّ بن أميّة، أخذ بيده، ومعني أذراع، قد استلبّتها، فأنا أجملها. فلما رأيته قال لي: يا عبّاد عمرو، فلم أجبه؟ فقال: يا عبد الإله؟ فقلت: نعم، قال: هل لك فيّ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأذراع التي معك؟ قال: قلت: نعم، ها الله ذا، قال: فطرحْتُ الأذراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كالיום قطّ، أمّا لكم حاجة في اللبن؟ (قال): ثم خرجت أمشي بهما.

قال ابن هشام: يريد باللبن، أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الواحد بن أبي عَون، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عبد الرحمن بن عوف، قال: قال لي أميّة بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه، أخذُ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل منكم المُعلّم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب؟ قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل؟ قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام، فيُخرجه إلى رَمضاء مكة إذا حميت، فيُضجّعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تُفارق دين محمد، فيقول

بلال: أَحَدٌ أَحَدٌ^(١). قال: فلما رآه، قال: رأس الكُفْر أُمِّيَّةٌ بن خَلْف، لا نجوُثُ إن نجا. قال: قلت: أي بلال، أبأسيري قال: لا نجوُثُ إن نجا. قال: قلت: أسمع يا ابن السُّوداء، قال: لا نجوُثُ إن نجا. قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكُفْر أُمِّيَّةٌ بن خَلْف، لا نجوُثُ إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المُسَكَّة وأنا أذبُ عنه. قال: فأخلف رجلُ السيف، فضرب رجلُ ابنه فوق، وصاح أُمِّيَّةٌ صيحة ما سمعتُ مثلها قط قال: فقلت: انجُ بنفسك، ولا نجا بك فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال: فهبرؤهما بأسيا فهم، حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً، ذهبت أذراعي وفجعتني بأسيري.

تفسير ها الله وهبرؤه:

وقول عبد الرحمن بن عوف لِأُمِّيَّة: هَا الله دَا. ها: تنبيه، وذا إشارة إلى نفسه، وقال بعضهم: إلى القَسَم، أي: هذا قسمي، وأراها إشارة إلى المُقْسِم، وخَفَضُ اسم الله يحرف القَسَم أضمره، وقام التنبيه مقامه، كما يقوم الاستفهام مقامه، فكانه قال ها أَنَذَا مُقْسِم، وفصل بالاسم المقسَم به، بين ها وذا، فعلم أنه هو المقسِم فاستغني عن أنا، وكذلك قول أبي بكر: لا هَا الله ذَا، وقول زُهَيْر:

تَعَلَّمَنْ هَا لَعَمْرُ اللهِ ذَا قَسَمًا

أكد بالمصدر قَسَمَهُ الذي دلَّ عليه التقدم.

وقوله: هَبْرؤه بأسيا فهم من الهَبْرَة وهي القطعة العظيمة من اللحم، أي قَطَعوه.

(١) أَحَدٌ: اسم من أسماء الله تعالى، صرح به القرآن كما في سورة الإخلاص، وهو من الأسماء الحسنى التي لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة في الإخلاص كما تقدم آنفاً، واسم الله «الأحد» يدل أكثر ما يدل على القوة والجمع وعدم التفرق والتجزؤ والانفصال، وإنما يُصرف هذا اللفظ «أَحَدٌ» إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وحده إذا جاء مفرداً، كما في حديث الباب - قول بلال رضي الله عنه وأرضاه. «أَحَدٌ أَحَدٌ». أيضاً يصرف هذا الاسم لله عَزَّ وَجَلَّ وحده إذا جاء في حالة الإثبات غير مضاف، كما في سورة الإخلاص أيضاً «قل هو الله أحد». فالكلام في حالة إثبات، والاسم جاء غير مضاف، أما إذا جاء الاسم في حالة الإثبات ولكنه جاء مضافاً، فإنه لا يعرف لله عَزَّ وَجَلَّ وحده، إنما يُعم ويشمل ويطلق كما في قوله تعالى في سورة الكهف «فابعثوا أحدكم يورثكم هذه»، أيضاً إذا في حالة النقص فهو يعم أيضاً ويشمل ويطلق، كما في نهاية سورة الإخلاص «ولم يكن له كفؤاً أحد» وكما في قوله تعالى: «يا نساء النبي لستن كأحد من النساء» إلى غير ذلك من الآيات. انظر مجموع الفتاوى (ج ١٦) للعلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاء الله عنا كل خير، وجمعنا الله وإياه في فتنة وتحت لواء نبيه - ﷺ - دون سابقة عذاب - آمين يا رب العالمين يا أرحم الراحمين. وانظر للمحقق «القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى».

شهود الملائكة وقعة بدر:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أضعدنا في جبل يُشرف بنا على بدر، ونحن مُشركان، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة. فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينما نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حَمَحَمَةَ الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أَقْدُمُ حَيَزُومُ، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا فكذت أهلي، ثم تماسكتُ.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدرًا، قال، بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعِي بَصْرِي لأريْتُكم الشَّعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني، وكان شهد بدرًا، قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري.

وذكر قول الغفاري حين سمع حَمَحَمَةَ الخيل في السحابة، وسمع قائلاً يقول: أَقْدُمُ حَيَزُومُ. أَقْدُمُ بضم الدال، أي أَقْدُمُ الخيل؛ وهو اسم فرس جبريل، وهو فيقول من الحزم، والحَيَزُومُ أيضًا أعلى الصدر، فيجوز أن يكون أيضًا سُمِّيَ به؛ لأنه صَدُرَ لخيَل الملائكة، ومتقدِّم عليها، والحياة أيضًا فرس أخرى لجبريل لا تمس شيئاً إلا حَيِي، وهي التي قبض من أثرها السامري، فألقاها في العجل الذي صاغه من ذهب، فكان له خَوَاز، ذكره الزَّجَّاج^(١).

نسب أبي داود المازني:

فصل: وذكر أبا داود المازني وقوله: لقد أثبتت رجلاً من المشركين، فسقط رأسه قبل أن أصِلَ إليه. اسم أبي داود هذا عَمْرُو، وقيل: عُمَيْر بن عامر، وهذا هو الذي قتل أبا البَحْتَرِيَّ بن هشام، وأخذ سيفه في قول طائفة من أهل السَّير غير ابن إسحاق وقال ابن إسحاق قتله المُجَذَّرُ كما تقدم.

(١) انظر مزيد بيان شرح الشافعية (٢/٢١٣).

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني من لا أَتَهم عن مِقْسَم، مولى عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن عباس، قال: كانت سِيما الملائكة يوم بدر عِمامَ بيضًا قد أرسَلوها على ظُهورهم، ويوم حُنين عِمامَ حُمْرا.

قال ابن هشام: وحَدَّثني بعضُ أهل العلم: أن عليَّ بن أبي طالب قال: العِمامُ: تيجان العرب، وكانت سِيما الملائكة يوم بدر تِمامَ بيضًا قد أَرزَحوها على ظُهورهم، إلا جبريل، فإنه كانت عليه عِمامة صَفراء.

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني من لا أَتَهم عن مِقْسَم، عن ابن عباس، قال: ولم تُقاتل الملائكةُ في يوم سوى بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سِواه من الأيام عَدَدًا ومَدَدًا لا يَضربون.

مقتل أبي جهل^(١):

قال ابن إسحاق: وأقبل أبو جهل يومئذ يَرْتَجز، وهو يقاتل ويقول:

ما تَنقِم الحَرْبُ العِوانَ مِنِّي بازل عامين حديث سِئِّي
لمثل هذا وَلَدَتْنِي أُمِّي

شعار المسلمين يدر:

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: أَحَدٌ أَحَدٌ.

لغويات:

وقول مُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو في مَقْتَلِ أَبِي جَهْلٍ: ما شَبَّهت رِجْلَهُ حين طاحتْ إِلاَّ بِالنَّوَةِ تَطِيحُ من تحت المِرْضَخَةِ. طاحت: ذهبت، ولا يَكُون إِلاَّ ذَهَابَ هَلَاكِ، والمِرْضَخَةُ: كالإِرْزَبَةِ^(٢) يُدَقُّ بها النوى لِلْعَلْفِ، والرِّضْخُ بالحاءِ مُهْمَلَةٌ: كَسَرُ اليَاسِ، والرِّضْخُ كَسَرُ الرُّطْبِ، ووقع في أصل الشيخ المِرْضَخَةُ بالحاء والخاء معًا، ويدل على أنه كسر لما صلب، وأنشد قول الطائي:

أَتَرَضَّخَنِي رَضَخَ النوى وهي مُضْمِتٌ ويأْكُلُنِي أَكَلَ الدِّبَا وهو جائع

(١) الخبر في البخاري (٣١٤١) الفتح (٢٤٦/٦) ومسلم في المغازي (٤) والطبري (٤٥٥/٢) والمنتظم (١١٤/٣) وأحمد (٤٤٤/١).

(٢) الإِرْزَبَةُ: الرزبة: قطعة عظيمة من الحديد.

عود إلى مقتل أبي جهل

قال ابن إسحق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه، أمر بأبي جهل أن يلتمس في القَتلى.

وكان أول من لقي أبا جهل، كما حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة، عن ابن عباس، وعبد الله بن أبي بكر أيضًا قد حدثني ذلك، قالوا: قال مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ، أَخُو بَنِي سَلِمْةَ: سمعتُ القَوْمَ وأبو جهل في مثل الحَرَجَةِ - قال ابن هشام: الحَرَجَةُ: الشجر الملتف. وفي الحديث عن عمر بن الخطاب: أنه سأل أعرابيًا عن الحَرَجَةِ؛ فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها - وهم يقولون: أبو الحَكَم لا يخلص إليه. قال: فلما سمعتها جعلته من شأني، فَصَمَدَتِ نحوه، فلما أمكنتني حملت عليه، فضربته ضربة أطلت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تَطِيحُ من تحت مِرْضَخَةِ الثَّوِي حين يُضْرَبُ بها. قال: وضربني ابنه عِكْرَمَةُ على عاتقي، فَطَرَحَ يدي فتعلقت بجلدة من جَنْبِي، وأجهَضَني القتالُ عنه، فلقد قاتلتُ عَامَةً يومي، وإنِّي لَأَسْحُبُهَا خَلْفِي، فلما آذنتني وضعتُ عليها قدمي، ثم تمطيتُ بها عليها حتى طرحها.

قال ابن إسحق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان.

ثم مرَّ بأبي جهل وهو عَقِيرٌ، مُعَوِّذُ ابْنِ عَفْرَاءَ، فضربه حتى أثبتته، فتركه وبه رمق. وقاتل مُعَوِّذٌ حتى قُتِلَ، فمرَّ عبدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بِأَبِي جَهْلٍ: حين أمرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُلْتَمَسَ في القَتلى، وقد قال لهم رسول الله ﷺ: - فيما بلغني - «انظروا، إن خفي عليكم في القَتلى، إلى أثر جزح في ركبته، فإني ازدحمتُ يومًا أنا وهو على مأذبة لعبد الله بن جُدْعَانَ، ونحن غلامان، وكنتُ أشفُ منه ببسير، فدفعته فوق على ركبتيه، فُجِحَشَ في

وإنما نحتجوا بقول الطائي، وهو حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ لَعَلَّمَهُ، لا لأنه عَرَبِي يُحْتَجُّ بِلُغَتِهِ.

الغلامان اللذان قُتِلَا أبا جهل

وذكر الغلامين اللَّذَيْنِ قُتِلَا أبا جَهْلٍ، وَأَنَّهُمَا مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ وَمُعَوِّذُ ابْنِ عَفْرَاءَ، وفي صحيح مسلم أَنَّهُمَا مُعَاذُ ابْنِ عَفْرَاءَ وَمُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ، وَعَفْرَاءُ هِيَ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ عُرِفَ بِهَا بَنُو عَفْرَاءَ وَأَبُوهُمْ الْحَارِثُ بْنُ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادٍ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي ذَلِكَ، وَرَوَايَةُ ابْنِ إِدْرِيسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، كَمَا فِي كِتَابِ مُسْلِمَ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَأَصَحُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ حَدِيثُ أَنَسٍ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَأْتِنِي بِخَبَرِ أَبِي جَهْلٍ»، الْحَدِيثُ، وَفِيهِ أَنَّ ابْنِي عَفْرَاءَ قُتِلَا.

إحداهما جَحْشًا لم يزل أثره به». قال عبد الله بن مسعود: فوجدته بآخر رَمَقٍ فعرفته، فوضعتُ رجلي على عنقه - قال: وقد كان ضَبَّتْ بي مرَّةً بمكة، فأذاني وَلَكْزني، ثم قلت له: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني، أَعَمَدُ من رجل قتلتموه، أخْبِرْني لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله.

قال ابن هشام: ضَبَّتْ: قبَضَ عليه وَلَزِمه. قال ضابيء بن الحارث البُرْجَمي:

فأصبحتُ ممَّا كان بَيْنِي وبينكم من الودِّ مثلَ الضابِثِ الماءِ باليدِ

قال ابن هشام: ويقال: أَعَارَ على رجل قتلتموه، أخْبِرْني لمن الدائرة اليوم؟

قال ابن إسحق: وزعم رجال من بني مَخْزوم، أن ابن مسعود كان يقول:

قال لي: لقد ارتقيت مُرْتَقَى صَغَبًا يا رُوَيْعِي الغنم، قال: ثم اختزئتُ رأسه ثم جئتُ به رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأسُ عدو الله أبي جهل، قال: فقال رسول الله ﷺ: «الله الذي لا إله غيره» - قال: وكانت يمينُ رسولِ الله ﷺ - قال: قلت: نعم، والله الذي لا إله غيره، ثم أَلْقَيْتُ رأسه بين يدي رسولِ الله ﷺ فحمد الله.

وقولُ أبي جهل: اغمَدُ من رجل قتلتموه، ويُرْوَى قتله قومُه، أي: هل فوق رجلٍ قتله قومُه، وهو معنى تفسير ابن هشام، حيث قال: أي ليس عليه عارٌ، والأول: تفسير أبي عُبَيْدٍ في غريب الحديث، وقد [أنشد] شاهدًا عليه:

[تُقَدِّمُ قَيْسَ كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةً وَيُثْنِي عَلَيْهَا فِي الرِّجَاءِ ذُنُوبَهَا]

وَأَعْمَدُ مِنْ قَوْمِ كَفَاهُمْ أَخُوهُمْ صِدَامُ الْأَعَادِي حِينَ قُلْتُ نُيُوبَهَا

قال المؤلف رضي الله عنه: وهو عندي من قولهم عَجَدَ البعيرُ يَعْمَدُ: إذا انْفَسَخَ سَنَامُهُ، فهلك، أي أَهْلَكَ مِنْ رَجُلٍ قتله قومُه، وما ذكره ابن إسحق من قول أبي جهل هذا، وما ذكره أيضًا من قوله لابن مسعود: لقد ارتقيت مُرْتَقَى صَغَبًا يا رُوَيْعِي الغنم. مُرْتَقَى صَغَبًا يعارض ما وقع في سِيرِ ابن شِهَابٍ وفي مغازي ابن عُقْبَةَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ وَجده جالسًا لا يتحرك، ولا يتكلم فسلبه دِرْعَهُ، فإذا في بدنه نُكَّتْ سُودٌ، فحَلَّ تَسْبِغَةَ الْبَيْضَةِ، وهو لا يتكلم، واختَرَطَ سِنْفَهُ يعني سيفَ أبي جهل فضرب به عنقه، ثم سأل رسولَ الله ﷺ - حين احتمل رأسه إليه عن تلك النُّكَّتِ السُّودِ التي رآها في بدنه، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته، وأن تلك آثارُ ضَرْبَاتِ الملائكة، وروى يونس عن أبي العُمَيْسِ، قال: أراني القاسمُ بنُ عبدِ الرحمنِ سِنْفَ عبدِ الله بنِ مسعود، قال: هذا سيفُ أبي جهل حين قتله

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيْدة وغيره من أهل العلم بالمغازي: أن عمر بن الخطَّاب قال لسعيد بن العاص، ومَرَّ به: إني أراك كأنَّ في نفسك شيئاً، أراك تظنُّ أنني قتلْتُ أباك، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتلِهِ، ولكنني قتلْتُ خالي العاصَّ بن هشام بن المُغيرة، فأما أبوك فإني مررتُ وهو يبحث بحثَ الثور بروقه فجدتُ عنه، وقصدَ له ابنُ عمِّه عليّ فقتله.

خبر عكاشة بن محصن

قال ابن إسحاق: وقَاتَلَ عُكَّاشَةُ بن مَحْصَن بن حُزْثَان الأسديّ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف، يومَ بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأَتَى رسولُ الله ﷺ فأعطاه جَدَلًا من حطب، فقال: قاتل بهذا يا عُكَّاشَةُ، فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزّه، فعاد سيفًا في يده طويلَ القامة، شديد المَثْن، أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله

فأخذه فإذا سيفٌ قصير عريض فيه قَبَائِعُ فضة^(١) وحَلَقٌ فضةٌ قال أبو عُمَيْسٍ، فضرب به القاسمُ عنقَ ثورٍ فقطعه، وثَلَمَ فيه ثَلَمًا، فرأيت القاسمَ جَزَعَ من ثَلَمِهِ جَزَعًا شديدًا.

إضمار حرف الجر:

وقول النبي عليه السلام الذي لا إله إلا هو، بالخفضِ عند سيبويه وغيره، لأن الاستفهامَ عوضٌ من الخافضِ عنده، وإذا كنت مُخَيَّرًا قلت: الله بالنصب لا يجوز المُبرَدُ غيرَه، وأجاز سيبويه الخفضَ أيضًا لأنه قَسَمٌ، وقد عَرَفَ أن المقسَمَ به مخفوضٌ بالباء أو بالواو، ولا يجوز إضمار حروف الجر إلا في مثل هذا الموضع؛ أو ما كثر استعماله جدًا كما زُوي أن رُؤْبَةً كان يقول: إذا قيل له كيف أصبحت؟ خَيْرٌ عافاك الله.

وقول النبي - ﷺ - في أبي جهل حين ذكر مزاحمته له في مأذبة عبد الله بن جُدعان، وقد تقدم في المولد التعريفُ بعبد الله بن جُدعان وذكرنا خبرَ جَفَنَتِه، وسبب غناه بعد أن كان صُغْلُوكًا بآتم بيان.

خبر عكاشة بن محصن^(٢)

يقال فيه: عُكَّاشَةُ بالتشديد والتخفيف، وهو من عَكَشَ على القوم إذا حَمَلَ عليهم، قاله صاحبُ العين، وقال غيره لِعُكَّاشَةٍ: [والعُكَّاشُ] العنكبوت، وأما سَيْفُهُ الذي كان جَزَلًا

(١) قبائع: جمع قبعة: وهي التي تكون على رأس السيف.

(٢) انظر الخبر في البداية (٢٩٠/٣). والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (٩٨/٣).

تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى: العَوْن. ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الردة، وهو عنده، قُتل طليحة بن خويلد الأسدي، فقال طليحة في ذلك:

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم أليسوا وإن لم يُسلموا برجال
فإن تك أذاودُ أصبن ونسوة فلن تذهبوا قِرْعًا بقتل جبال
نصبت لهم صدرَ الجمالة إنها معاودةٌ قيل الكُماة نزال
فيومًا تراها في الجلال مَصونة ويومًا تراها غيرَ ذات جلال
عشيّة غادرتُ ابن أقرم ثاويًا وعُكاشة الغنميّ عند حجال
قال ابن هشام: حبال: ابن طليحة بن خويلد. وابن أقرم: ثابت بن أقرم الأنصاري.

من حطب، فقد قيل: إنه لم يزل مُتَوَارِثًا عند آل عُكاشة، وقد روي مثل قول عكاشة في السيف عن عبد الله بن جحش، وسيأتي، ذكرها عند غزوة أحد، وأما قوله:

فلن يذهبوا قِرْعًا بقتل جبالٍ

فالقِرْعُ أن يُطلَّ الدُم، ولا يطلب بثاره، وجبال: هو ابن أخي طليحة لا ابنه، وهو جبال بن مسلمة بن خويلد، ومسلمة: أبوه هو الذي قُتل عُكاشة، اعتنقه مسلمة وضرّبه طليحة على قَرَس، يقال لها: اللزّام، وكان ثابت على فرس يقال لها: المُخَبَّر، وقصّته مشهورة في أخبار الردّة.

وذكر الواقدي في الردّة بعد قوله:

فَيَوْمًا تراها في الجلال مَصونة ويومًا تراها في ظلالِ عَوال
إلى آخر الشعر.

وذكر في الخبر أن عُكاشة وثابت بن أقرم البلويّ حليفي الأنصار كانا في جيش خالد حين نَهَد إلى طليحة، فاستقدا أمام جيش خالد للمسلمين، فوقعا في خيل لطليحة، وهو فيهم، فاستشهدا معًا، وذلك في يوم بُزَاخَة^(١)، كذلك قال كل من ألف من السَّيَرِ إلّا سليمان التيمي، فإنه ذكر أن عُكاشة قتل في سريّة بعثها رسول الله ﷺ إلى بني أسد، والأول هو المعروف.

(١) بزّاخة: موضع ماء لبني أسد، أو لطبيء..

قال ابن إسحاق وعُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ الَّذِي قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ؛ قَالَ: «إِنَّكَ مِنْهُمْ، أَوْ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ وَبَرَدَتْ الدَّعْوَةُ».

وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ، فيما بلغنا^(١) عن أهله: «مَثَا خَيْرُ فَارِسٍ فِي الْعَرَبِ؛ قَالُوا: وَمَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ»، فَقَالَ ضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَارِ الْأَسَدِيُّ: ذَاكَ رَجُلٌ مَثَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: «لَيْسَ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُ مَثَا لِلْجَلْفِ».

سَبَقَكَ بِهَا عَكَّاشَةُ:

وذكر قول النبي ﷺ لعُكَّاشَةَ حِينَ قَالَ: «ادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»^(٢). هَكَذَا الْحَدِيثُ فِي الصَّحَاحِ، وَزَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَرَدَتْ الدَّعْوَةُ.

وذكر أَبُو عُمَرَ الثَّمَرِيُّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يُسَمِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ كَانَ مُنَافِقًا، وَلِذَلِكَ لَمْ يَذَعْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ الْمُؤَلَّفُ: وَهَذَا لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ فِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ^(٣) مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ خِيَارِ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ مَعْنَى قَوْلِهِ: سَبَقَكَ بِهَا عَكَّاشَةُ، أَيُّ: سَبَقَكَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي هِيَ صِفَةُ السَّابِقِينَ أَلْفًا، تَزَكُّ التَّطَيُّرِ وَنَحْوِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: لَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا عَلَى أَخْلَاقِهِمْ بِحَسَنِ أَدْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَلَطَّفَ فِي الْكَلَامِ [و] لَا سِيَّامَا مَعَ أَصْحَابِهِ الْكَرَامِ.

قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَالَّذِي عِنْدِي فِي هَذَا أَنَّهَا كَانَتْ سَاعَةً إِبْجَابَةً عَلِمَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا انْقَضَتْ، قَالَ لِلرَّجُلِ مَا قَالَ، يَبِينُ هَذَا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيهِ بَعْدَ ذِكْرِ عُكَّاشَةَ، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ

(١) فِيهِ مَجَاهِيلٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٧٤/٧) وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (٣٦٧) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٤٦) وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢٧١/١) وَالدَّارِمِيُّ (٣٢٨/٢). دُونَ «وَبَدُونَ الدَّعْوَةَ». وَانْظُرْ تَرْجُمَةَ عَكَّاشَةَ بْنِ مِخْصَنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الطَّبَقَاتِ (٩٢/٣) الْإِصَابَةِ (٤٩٤/٢) حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ (١٢/٢) تَارِيخِ الصَّحَابَةِ (١٤٩) الْاسْتِيعَابِ (١٨٣٧/٣).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ (٨٩/١).

حديث بين أبي بكر وابنه عبد الرحمن يوم بدر:

قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن، وهو يومئذ مع المشركين، فقال: أين مالي يا حبيث؟ فقال عبد الرحمن:

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ شِكَّةٍ وَيَغْبُوبٍ وَصَارِمٍ يَقْتُلُ ضَلَالُ الشَّيْبِ
فيما ذكر لي عن عبد العزيز بن محمد الدراوذي.

طرح المشركين في القليب

قال ابن إسحق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرحوا في القليب طُرحوا فيه، إلا ما كان أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ، فإنه انتفخ في دِرْعه فَمَلَأَهَا، فَذَهَبُوا لِيَحْرَكُوهُ، فَتَزَايلَ لَحْمُهُ، فَأَقْرَوَهُ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مَا غِيَّبَهُ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ. فَلَمَّا أَلْقَاهُمْ فِي الْقَلِيبِ، وَقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

منهم، ثم سكتوا ساعةً يتحدثون، ثم قام الثالث، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةٌ، وصاحبه، ولو قلتُ لقلتُ، ولو قلتُ لَوَجَبْتُ، وهي في مسند ابن أبي شَيْبَةَ، وفي مسند البزار أيضًا^(١). ويقوي هذا المعنى رواية ابن إسحق، فإنه زاد، فقال فيها: سبقك به عَكَاشَةٌ وَبَرَدَتْ الدَّعْوَةُ، فَقِفْ عَلَى مَا ذَكَرْتَهُ فِي تَفْسِيرِ حَدِيثِ عَكَاشَةٍ، فإنه من فوائد هذا الكتاب. وممن لم يشهد بدرًا لُعْذِرٌ، وهو من الثَّقَبَاءِ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَزْرَجِ، لأنه نَهَشْتُهُ حَيَّةً، فلم يستطع الخروج هذا قول الثَّقَبِيِّ، ولذلك لم يذكره ابن إسحق، ولا ابن عُبَيْة في البَذَرِيِّينَ، وقد ذكره طائفةٌ فيهم، منهم ابن الكلبي وجماعة.

نداء أصحاب القليب^(٢)

مسألة نحوية:

وقوله عليه السلام: يا عُبَيْةُ بْنُ رَبِيعَةَ، ويا شَيْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ: الحديث، يجوز يا شَيْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ، بضم التاء ونصب النون وينصبهما جميعًا، أما من يقول: جاءني زيدُ ابن فلان بالتنوين، فهو الذي يقول: يا زيدُ ابن بضم الدال، ويكتب ابن بالألف على هذا، ومن يقول: جاءني زيدُ ابنُ بلا تنوين، فهو الذي يقول في النداء: يا زيدُ ابن بنصب الدال،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٢٧/٧) والبزار (٨٩/١).

(٢) انظر خبر أصحاب القليب في البخاري في الجهاد (١٨٤) الفتح (٣٠٠/٧) ومسلم في الجنة (١٤). وانظر تاريخ الطبري (٣٧/٢).

فقال: «يا أهل القلب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا؟» قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلّم قومًا موتي؟ فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقًا».

قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، وإنما قال لهم رسول الله ﷺ: «لقد علموا».

قال ابن إسحاق: وحذّني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: سمع أصحاب رسول الله ﷺ، رسول الله ﷺ من جوف الليل وهو يقول: يا أهل القلب، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبه بن ربيعة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، فعدد من كان منهم في القلب: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا؟ فقال المسلمون: يا رسول الله، أئنّادي قومًا قد جيّفوا؟ قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

ويكتب ابنا بغير ألف، لأنه جعل الابن مع ما قبله اسمًا واحدًا، فعلى هذا تقول يا حارث ابن عمرو فتكتبه بألف، لأنك أردت يا حارث بالضم، لأنك لو أردت يا حارث ابن بالنصب لم ترّخمه، لأنه قد صار وسط الاسم، وقد جعله سيبويه بمنزلة قولك: امرأ، وكذلك قوله: ويا أبا جهل بن هشام إن نؤنت اللام من أبي جهل كتبت الابن بألف، وإن لم تنوّنه كتبت بغير ألف.

وذكر إنكار عائشة أن يكون عليه السلام قال: لقد سمعوا ما قلت، قالت: وإنما قال: لقد علموا أن الذي كنت أقول حق. قال المؤلف: وعائشة لم تحضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه السلام، وقد قالوا له: يا رسول الله أتخاطب قومًا قد جيّفوا أو أجيفوا^(١)، فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين، جاز أن يكونوا سامعين؛ إما بأذان رؤوسهم إذا قلنا: إن الروح يُعاد إلى الجسد أو إلى بعض الجسد عند المسألة، وهو قول الأكثرين من أهل السُنّة، وإما بإذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجّه السؤال إلى الروح، من غير رجوع منه إلى الجسد، أو إلى بعضه، وقد روي أن عائشة احتجّت بقول الله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾^(٢) وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾^(٣) أي: إن الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب، لا أنت، وجعل الكفار أمواتًا وضمًّا على جهة التشبيه بالأموات،

(٢) سورة فاطر آية رقم (٢٢).

(١) أي أنتنوا.

(٣) سورة الزخرف آية رقم (٤٠).

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال يوم هذه المقالة: «يا أهل القليب، بنس عشيرة النبي كتتم لنبيكم، كذبتُموني وصدقتني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتُموني نصرني الناس؛ ثم قال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟» للمقالة التي قال.

شعر حسان فيمّن ألقوا في القليب

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت:

عرفتُ ديارَ زَيْنَب بالكَيْبِ	كَخَطِّ الوَخِي في الوَرَقِ القَشِيبِ
تَدَاوَلُها الرِّياحُ وكلَّ جَوْنٍ	من الوَسْمِ مُنْهَمِرٍ سَكوبِ
فأمسى رَسْمُها خَلَقًا وأمستْ	يَبابًا بعد ساكِنها الحَبِيبِ
فَدَغَ عَنكَ التَّدْكَرَ كلَّ يومٍ	ورُدُّ حَرارةِ الصُّدْرِ الكَيْبِ
وخبّر بالذي لا عيبَ فيه	بصِدْقٍ غيرِ إخبارِ الكَذُوبِ
بما صَنَعَ المليكُ غداةَ بدرٍ	لنا في المُشْرِكِينَ من التُّصِيبِ

وبالضَّم، فالله هو الذي يُسْمِعهم على الحقيقة، إذا شاء لا نبيّه، ولا أحدٌ، فإذا لا تَعْلَقُ بالآية من وجهين، أحدهما: أنها إنما نزلت في دُعاء الكفار إلى الإيمان.

الثاني: أنه إنما نفى عن نبيّه أن يكون هو المسمِع لهم وصدّق الله فإنه لا يُسْمِعهم إذا شاء إلا هو، ويفعل ما شاء وهو على كل شيء قدير.

من معاني شعر حسان

فصل: وذكر شعر حسان وقال فيه:

كَخَطِّ الوَخِي في الوَرَقِ القَشِيبِ

القشيبُ في اللغة: الجديدُ، ولا معنى له في هذا البيت، لأنهم إذا وصفوا الرسوم وشبَّهوها بالكُتُبِ في الورق، فإنما يصفون الخط حينئذ بالدُرُوسِ والامْحَاءِ، فإن ذلك أدلّ عليّ عَفَاءِ الديارِ وطُمُوسِ الآثارِ، وكثرة ذلك في الشعر تغني عن الاستِشهادِ عليه، ولكن منه قول النابغة:

[وقفت فيها أَصِيلًا ناسئِلُها	عيت جوابًا وما بالرَّبعِ من أحدِ
إلا الأواري لأياما أبينها	والنَّوى كالحوضِ بالمظلومةِ [الجلد]

غداةَ كأنَّ جَمَعَهُم جِراءَ بدت أركائه جُنح الغروب
فلاقيناهم مَنّا بِجَمع كأشد الغابِ مُزدانٍ وشيب
أمام محمّد قد وازرّوه على الأعداء في لَفح الحروب

وقول زهير:

[وقفت بها من بعد عشرين حِجَّةً] فلأيا عَرَفْتَ الدارَ بعد توهم

وقال آخر:

ولأَ رُسوم الدارِ قَفَرًا كأنها سُطُورٌ محاها البَاهِلِيُّ بن أَضَمّا

ولكن أراد حسان بالقشيب هاهنا الذي خالطه ما يُفْسده، إمّا من دَنَس، وإما من قَدَم، يقال: طَعَامٌ مُقَشَّب، إذا كان فيه السُّم. وقال الشاعر: [خُوَيْلِد بن مَرّة أبو خِرَاشِ الهُدَلِيُّ]:

[يَه نَدَعُ الكَمِيَّ على يديه] نحر تخالَه نَسْرًا قَشِيْبًا

معناه: مَسْمُوم، لأن القَشْبَ هو السمّ قاله ابن قُتَيْبَةَ^(١) في تفسير حديث آخر من يخرج من النار، وفيه قَشْبَنِي ريحها، وأحرقني ذكاهما. وقال أبو حنيفة في القَشْبِ هو: نبات رَطْبٌ مَسْمُوم يُنْصَب لسباع الطير في لحم، فإذا أكلته ماتت، قال: والعرب يُجَنِّبُونه ماشيتهم في المرعى، كي لا تُحَطِّمَه، فيفوح من ريحه ما يقتلها، ف قوله في البيت الذي استشهد به القَتْبِيُّ: تخالَه نَسْرًا قَشِيْبًا، أي: نَسْرًا أكل ذلك القَشْب في اللحم والله أعلم، قال: والألبُ أيضًا، ضَرَبَ من القَشْبِ، إن وجدت ريحه سباعُ الطير عَمِيَتْ وَصَمَّتْ، وإن أكلته ماتت، قال: والضَّجَاجُ أيضًا: كلُّ نباتٍ مَسْموم.

معنى ألقائهم في القليب:

فصل: فإن قيل: ما معنى إلقائهم في القليب، وما فيه من الفقه؛ قلنا: كان من سُنته عليه السلام في مغازبه إذا مرَّ بجيفة إنسانٍ أمر بدَفْنِهِ لا يَسألُ عنه مؤمنًا، كان أو كافرًا، هكذا وقع في السُّنَنِ للدَّارِقُطَنِيِّ، فإلقاؤهم في القليب من هذا الباب، غير أنه كره أن يَشَقَّ على أصحابه لكثرة جِيفِ الكفار أن يأمرهم بدفنهم، فكان جرّهم إلى القليبِ أيسرَ عليهم، ووافق أن القليب جفوه رجلٌ من بني النار، اسمه: بَذَرٌ، فكان. فالأَ مقدّمًا لهم، وهذا على أحد القولين في بدرٍ، والله أعلم.

(١) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (ص ٧٣).

بأيديهم صَوَارِمُ مُزْهَفَاتٍ وكلُّ مجرَّبٍ خاطِي الكُعبِ
بنو الأوسِ العَطَارِفِ وازرَتْها بنو النَجَّارِ في الدِّينِ الصَّليبِ
فغَادَرْنَا أبا جَهْلٍ صَرِيْعًا وعُثْبَةً قد تركنا بالجُبُوبِ

عود إلى شعر حسان:

وفي شعر حسان أيضًا:

بنو الأوسِ العَطَارِفِ وازرَتْها

ولو قال آزرَتْها بالهمز لجاز، وكان من الأزر، وفي التنزيل (فآزره) أي: شدَّ أزره، وقوّاه، ولكن أراد حسان معنى الوزير، فإنه سمي وزيرًا من الوزر، وهو الثقل، لأنه يخمل عن صاحبه ثقلاً ويُعينه، وقيل: هو من الوزر، وهو الملجأ، لأن الوزير يلجأ إلى رآيه، وقد ألفيته في نسخة الشيخ أبي بخر: آزرَتْها مُضَلِّحًا بغير واو إلا أنَّ وازرَتْها وزنه: فأعلت، وآزرت وزنه أفعَلْتُ.

وقوله:

وعُثْبَةً قد تركنا بالجُبُوبِ

معنى الجبُوب:

الجُبُوب اسمٌ للأرض، لأنها تُجَبُّ أي تحفر وتُجَبُّ من دُفِنَ فيها، أي تقطعه، وهذا القول أولى، لأنهم قالوا: جُبُوبٌ مثل: صُبُورٍ وشُكُورٍ في المؤنث، ولم يقولوا: جُبُوبَةٌ، فيكون من باب حَلُوبَةٍ وركُوبَةٍ، ويدخلون فيها الألف واللام تارة، فيقولون: الجُبُوب، كما في هذا البيت، وتارة يجعلونه اسمًا علمًا، فيقولون: جُبُوب، مثل شُعُوب، قال الشاعر:

بَنَى عَلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مَكَائِهِ نَوَى بَيْنَ أَخْجَارٍ رَهِيْنَ جَبُوبِ

ومنه قيل: جَبَّانٌ وجَبَّانَةٌ للأرض التي يُدْفَنُ فيها الموتى، فهو فَعْلَانٌ من الجَبَّ والجُبُوب، وهو قول الخليل في معنى الجَبَّانِ، وغيره يجعله فَعْلَالًا من الجَبْنِ.

مرة أخرى شعر حسان:

وقوله: خاطِي الكُعبِ، أي: مُكْتَئِز الكُعبِ قَوْيُها [والكُعبُوب: عُقد القناة]، وقولُ حسان: العَطَارِفِ، أراد: العَطَارِيفَ كما تقدم في شعر الجَرْهُمِيِّ:

تَطَلُّ بِهَا أَمْنَا وَفِيهَا الْعَصَافِرُ

أراد العصافير، وحذف الياء ضرورة.

وَشَيْبَةً قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالٍ ذَوِي حَسَبٍ إِذَا تُسَبَّوْا حَسِبَ
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ
أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ؟
فَمَا نَطْفُؤْا، وَلَوْ نَطْفُؤْا لَقَالُوا: صَدَقْتَ وَكَنتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبًا!

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ﷺ أن يُلقوا في القليب، أخذ عُتْبَةُ بن ربيعة، فسُجِبَ إلى القليب، فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عُتْبَةَ، فإذا هو كَتِيبٌ قد تغير لونه، فقال: «يا أبا حذيفة، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟» أو كما قال ﷺ؛ فقال: لا، والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مضرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرته ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أخزني ذلك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له: خيرا.

من نزل فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾:

وكان الفتية الذين قُتلوا ببدر، فنزل فيهم من القرآن، فيما ذكر لنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١) فِتْيَةٌ مُسْمِينَ. من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الحارث بن زَمْعَةَ بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد.

تفسير قول ابن أبي بكر:

فصل: وذكر قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لابنه يوم بدر أين مالي يا خبيث، فقال:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا شِكَّةٌ وَيَغْبُوبٌ

الشِّكَّةُ: السلاح، واليَغْبُوبُ من الخيل: الشديدُ الجزي، ويقال: الطويل، والأَوَّلُ أصح، لأنه مأخوذ من غَابِ الماء، وهو شِدَّةُ جَرِيهِ، ويقال للجذول الكثير الماء: يَغْبُوبٌ، وقد كان للنبي ﷺ قَرَسٌ اسمه: السَّكْبُ وهو من سَكَبْتُ الماء، فهذا يَقْوِي معنى اليَغْبُوبِ، وذكر غير ابن إسحاق أنَّ عبدَ الرحمن بن أبي بكر قال لأبيه بعدما أسلم: يا أبت لقد

(١) سورة النساء آية رقم (٩٧).

ومن بني مخزوم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني جمح: علي بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح.

ومن بني سهم: العاص بن مئنه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم.

وذلك أنهم كانوا أسلموا، ورسول الله ﷺ بمكة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة حبسهم آبائهم وعشائهم بمكة وقتنهم فافتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً.

ذكر الفياء بيدر

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر، مما جمع الناس، فجمع، فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم بأحق به منا، والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى أكتافه، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكننا خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو، فقمننا دونه، فما أنتم بأحق به منا.

أهدفت لي يوم بدر ميراً فصدفت^(١) عنك، فقال: والله لو كنت أهدفت لي أنت ما صدفت عنك.

العرش والعريش

فصل: وذكر تنازعهم في النفل، وما احتجت به الطائفة الذين كانوا يخمون رسول الله ﷺ في العريش، والعريش: كل ما أظلك وعلاك من فوقك، فإن علوته أنت فهو عرش لك، لا عريش، والعريش أيضاً فيما ذكر أبو حنيفة أربع نخلات أو خمس في أصل واحد.

بنو عابد وبنو عائذ:

وذكر قول أبي أسيد: وجذت يوم بدر سيف بني عابد الذي يقال له المرزبان. بنو عابد في بني مخزوم، وهم بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأما بنو عائذ بالياء والذال

(١) صدفت: أي جلت وابتعدت عنك.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي - واسمه صُدِّي بن عجلان فيما قال ابن هشام - قال: سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال، فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النّقل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسوله، فقسّمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بَوَاء يقول: على السواء.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد الساعدي مالك بن ربيعة، قال: أصبْتُ سيفَ بني عائذ المُخزومين الذي يسمّى المَرْزُبَان يوم بدر، فلما أمر رسول الله ﷺ الناس أن يردّوا ما في أيديهم من النّقل، أقبلتُ حتى ألقِيته في النّقل. قال: وكان رسول الله ﷺ لا يَمْنَع شيئاً سئلَه، فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم، فسأله رسول الله ﷺ، فأعطاه إياه.

المعجّمة، فهم بنو عائذ بن عِمْران بن مَخْزُوم رَهْط آل المُسيّب، والأولون رَهْط آل بني السائب.

حول القسم:

وأما قوله: فقسّمها رسول الله - ﷺ - عن بَوَاء يقول: على سَوَاءٍ، فقد رواه أبو عُبَيْدٍ في الأموال، فقال فيه: فقسّمها رسول الله - ﷺ - عن فُؤادٍ، وفسّره، فقال: جعلَ بعضهم فوقَ بعضٍ، أي فضّل في القسم مَنْ رأى تفضيلَه، وفي غريب الحديث قولاً آخر، وهو أن معنى عن فُؤادٍ: السُرعة في القسم كفُؤاد الناقة، ورواه ابن إسحاق أشهر وأثبت عند أهل الحديث.

سبب نزول أول الأنفال:

وفي الحديث الذي ذكره أبو عُبَيْدٍ أن سَعْدَ بن أبي وقاصٍ، قال: قتلتُ يوم بدر العاصيَ بن سَعِيد بن العاصي، وأخذتُ سيفَه، وكان يقال له: ذو الكَتِيفَة. فأُتيت به رسولُ الله - ﷺ - وقلْتُ: يا رسول الله ثَقُلَني، فأمرني أن أجعله في القَبْضِ^(١)، فأخذني ما لا يعلمه إلا الله، فقلت: قُتِلَ أخي عُمَيْرٌ وأُخِذَ سَلْبِي فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾^(٢) الآية، فأعطاني رسولُ الله ﷺ السيفَ^(٣)، قال أبو عُبَيْدٍ وأهل السِّير يقولون: قَتَلَ العاصيَ بن سَعِيد عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) سورة الأنفال آية رقم (١).

(١) القَبْض: أي المقبوض.

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد (٤٤/٤٣) والترمذي (٣٠٧٩) وأبو داود (٢٧٤٠) بتحقيقي والنسائي في =

بعث ابن رواحة وزيد بشيرين:

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية، بما فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة. قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر - حين سوينا التراب على رُقِيَّة ابنة رسول الله ﷺ، التي كانت عند عثمان بن عفان. كان رسول الله ﷺ خلّفني عليها مع عثمان - أن زيد بن حارث قد قَدِم. قال: فجئته وهو واقف بالمصلى قد غَشِيَهُ الناس، وهو يقول: «قُتِلَ عُتْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزَمْعَةُ بن الأسود، وأبو الْبَخَرِيِّ والعاصُ بن هشام، وأمِّيَّة بن خَلَف، ونُبَيْهَة ومُنْبَهَة ابنا الْحَجَّاج. قال: قلت: يا أَبَتِ، أَحَقُّ هذا. قال: نعم، والله يا بني.

ققول رسول الله من بدر:

ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة، ومعه الأسارى من المُشْرِكِينَ، وفيهم عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْط، والنُّضْر بن الحارث، واحتمل رسول الله ﷺ معه النُّفْل الذي أُصِيب من المشركين، وجعل على النُّفْل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدؤل بن عمرو بن غنم بن مازن بن النُّجَار؛ فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام: يقال: إِنَّهُ عَدِيّ بن أَبِي الرُّغْبَاء:

أَقِمْ لَهَا صُدُورَهَا يَا بَسْبَسُ أَلَيْسَ بِذِي الطَّلَحِ لَهَا مُعَرَّسُ
وَلَا بِصَخْرَاءِ غُمَيْرٍ مَحْبَسُ إِنَّ مَطَايَا الْقَوْمِ لَا تُخَيِّسُ
فَحَمَلَهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْيَسُ قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَفَرَ الْأَخْنَسُ

ثم أقبل رسول الله ﷺ - حتى إذا خرج من مَضِيقِ الصُّفْرَاءِ نَزَلَ عَلَى كَثِيبٍ بَيْنَ الْمَضِيقِ وَبَيْنَ النَّازِيَةِ - يُقَالُ لَهُ: سَيْر - إِلَى سَرْحَةٍ بِهِ. فَقَسَمَ هُنَالِكَ النُّفْلَ الَّذِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ لَقِيَهِ الْمُسْلِمُونَ يَهْتَفُونَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمِنْ مَعِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ - كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ، وَزَيْدُ بْنُ رُومَانَ: مَا الَّذِي

= الكبرى [تفسير سورة الأنفال] وأحمد (١٧٨/١) والطيالسي (٢٠٨) وأبو يعلى (٧٨٢/٧٣٥) وأبو نعيم في الحلية (٣١٢/٨) والبخاري في الآداب (٢٤) وأبو عوانة (١٠٣/٤).

تُهَنِّتُونَنَا بِهِ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَائِزَ صَلَعًا كَالْبُذْنِ الْمُعَقَّلَةِ، فَنَحْرِنَاهَا، فَتَبْسِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ ابْنِ أَخِي، أَوْلَئِكَ الْمَلَأَ.

قال ابن هشام: المَلَأَ: الأشراف والرؤساء.

مقتل النضر وعقبة:

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصَّفْرَاءِ قُتِلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَمَا أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

قال ابن إسحاق: ثم خرج حتى إذا كان بِعِزْقِ الظَّنِيَّةِ قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ.

قال ابن هشام: عِزْقُ الظَّنِيَّةِ مِنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قال ابن إسحاق: والذي أَسَرَ عُقْبَةَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَةَ أَحَدُ بَنِي الْعَجْلَانِ.

قال ابن إسحاق: فقال عُقْبَةُ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِ فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: النَّارُ. فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيُّ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عِمَارٍ بْنُ يَاسِرٍ.

قال ابن هشام: ويقال قتلته علي بن أبي طالب فيما ذكر لي ابن شهاب الزهري وغيره من أهل العلم.

عقبة بن أبي معيط:

فصل: وذكر أن رسول الله ﷺ - قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، قَالَ: وَكَانَ الَّذِي أَسَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَةَ، وَسَلِيمَةُ هَذَا بِكَسْرِ اللَّامِ، وَهُوَ سَلِيمَةُ بْنُ مَالِكٍ أَحَدُ بَنِي الْعَجْلَانِ بَلَوِي بِالنَّسَبِ أَنْصَارِي بِالْجَلْفِ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا وَأَمَّا عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَاسْمُ أَبِي مُعَيْطٍ أَبَانُ بْنُ أَبِي عَمْرِو، وَاسْمُهُ ذُكْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، يُقَالُ: كَانَ أُمَيَّةً، قَدْ سَاعَى أُمَةً^(١) أَوْ بَغَتْ أُمَةً لَهُ، فَحَمَلَتْ بِأَبِي عَمْرِو، فَاسْتَلَحَقَهُ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِعُقْبَةَ حِينَ قَالَ: أَأَقْتُلُ مِنْ بَيْنِ قُرَيْشٍ صَبْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا^(٢)، يُعَرَّضُ بِنَسَبِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقِدَاحَ فِي الْمَيْسِرِ رُبَّمَا جُعِلَ مَعَهَا قِدْحٌ

(١) ساعى أمة: أي زنا بها. والعياذ بالله.

(٢) حنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا: مَثَلٌ يُضْرَبُ لِرَجُلٍ يُنْسَبُ إِلَى نَسَبٍ لَيْسَ مِنْهُ.

قال ابن إسحاق: ولقي رسول الله ﷺ بذلك الموضع أبو هند، مولى قزوة بن عمرو البياضي بحميت مملوء حيسًا.

مستعار قد جُرِبَ منه الفَلَحُ واليَمْنُ فَيُسْتَعَارُ لذلك، ويُسمَّى: المَنِيعَ، فإذا حُرِكَ في الربابة مع القِداح تَمَيَّزَ صوته لمخالفة جَوْهَرِهِ جَوْهَرُ القِداح، فيقال: حينئذٍ حن قدح ليس منها، فتُمَثَّلُ عَمْرُ بهذا المَثَل، يريد أن عُقْبَةَ ليس من قُرَيْش، وكذلك رُوي أن النبي - ﷺ - قال حينئذٍ: إنما أنت يهوديٌّ من أهل صَفُورِيَّة^(١)، لأن الأمة التي وَلَدَتْ أباه كانت لليهوديِّ من أهل صَفُورِيَّة، واسمُها: ثُرَيْي، قاله القُتَيْبِيُّ، وكذلك قال دَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ التُّسَابَةِ لمعاويةَ حين سألَه: هل أدركت عبدَ المطلب؟ فقال نعم أدركته شَنِخًا وَسِيمًا قَسِيمًا جَسِيمًا يُحْفُ به عَشْرَةٌ مِنْ بنيه كأنهم النجوم، قال: فهل رأيت أُمِيَّةَ بن عبد شمس؟ قال: نعم رأيتها أَخِفْشُ^(٢) أُرْزِقُ دَمِيمًا، يقوده عبده ذَكْوَانُ، فقال: ويحك ذاك ابنُ أبو عمرو، فقال دَغْفَلُ: أنتم تقولون ذلك.

الطعن في نسب بني أمية:

قال المؤلف:

وهذا الطعن خاص بنسب عُقْبَةَ من بني أمية، وفي نَسَبِ أُمِيَّةَ نَفْسِهِ مقالةٌ أخرى تعم جميعَ الفَصِيلَةِ، وهي ما رُوي عن سَفِينَةَ^(٣) مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ حين قيل له: إن بني أُمِيَّةَ يزعمون أن الخِلَافَةَ فيهم، فقال: كذبت استاءه بني الرُّزْقَاءِ، بل هم مُلوك، ومن شرِّ الملوك، فيقال: إن الرُّزْقَاءِ هذه هي [أُم] أُمِيَّةَ بن عَبْدِ شَمْسٍ، واسمها أَرْزَبُ، قاله الأَضْبَهَائِيُّ في كتاب الأمثال، قال: وكانت في الجاهلية من صَوَاحِبِ الرايات^(٤).

قال المؤلف رضي الله عنه: وقد عَفَا الله عن أمرِ الجاهليَّةِ، ونهى عن الطعن في الأنساب، ولو لم يجب الكُفُّ عن نَسَبِ بني أمية إلا لموضع عُثْمَانُ بن عَفَّان رضي الله عنه، لكان حَرَى بذلك.

(١) صفورية: بلدة بالأردن.

(٢) أخيفش: تصغير أخفش، وهو فساد في العين يضعف نورها.

(٣) هو مهران مولى رسول الله ﷺ.

(٤) صواحب الرايات: كانت البغايا في الجاهلية ينصبن راية تدل على أن هذا البيت هو أحد بيوت البغاء، كحال ما يجري في جاهلية اليوم من تعريف شوارع بعينها كشارع الهرم، فهو محل الراقصات وأهل الزنا والبغاء، وما أكثر شوارع الهرم في الأمصار الإسلامية!!!.

وقال ابن هشام: الْحَمِيْتُ: الزُّقُّ، وكان قد تخَلَّف عن بدر، ثم شهد المشاهد كُلِّها مع رسول الله ﷺ، وهو كان حَجَّام رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأتكحوه، وأنكحوا إليه، ففعلوا».

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة، قال: قَدِمَ بِالْأَسَارَى حين قَدِمَ بِهِمْ، وَسُودَةُ بنت زَمْعَةَ زوج النبي ﷺ عند آل عَفْرَاء، في مَنَاحَتِهِمْ عَلَى عَوْفٍ وَمُعَوِّذِ ابْنِي عَفْرَاء، وذلك قبل أن يُضْرَبَ عَلَيْهِنَ الْحِجَاب.

قال: تقول سَوْدَة: والله إني لعندهم إذ أتينا، فقليل: هؤلاء الأسارى، قد أُتِيَ بِهِمْ قالت: فرجعت إلى بيتي، ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سُهَيْل بن عمرو في ناحية الْحُجْرَةِ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنْقِهِ بِحَبْلٍ قالت: فلا والله ما ملكت نَفْسِي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أي أبا يزيد: أعطيتم بأيديكم، ألا مُتُّمْ كَرَامًا، فوالله ما أنبهنني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سودة، أعلَى الله ورسوله تحرّضين؟» قالت: قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني ثُبَيْهِ بْنُ وَهَبٍ، أخو بني عبد الدار. أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فَرَّقَهُمْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وقال: اسْتَخْضُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا. قال: وكان أبو عَزِيز بن عَمِير بن هاشم، أخو مُضْعَبِ بن عُمَيْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ فِي الْأَسَارَى.

أبو هند الحَجَّام:

فصل: وذكر أبا هند الحَجَّام، وأنه لقي رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَهُ مِنْ بَدْرِ. أبو هند اسمُه: عبدُ الله، وهو مولى فَرْوَةَ بن عَمْرِو النَّيَّاسِي، وأما طيبة^(٢) الحَجَّام فهو مولى بني حارثة، واسمُه: نافع، وقيل: دُنَيْرٌ وقيل: مَيْسَرَةُ، ولم يشهد بدرًا.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٣٩/٢) والحاكم (٢٢/٣) والبيهقي (٨٩/٩).

(٢) قوله: وأما طيبة، لعله تصحيف صوابه: وأبو طيبة. وهي كنية نافع الحجام.

قال: فقال أبو عزيز: مَرَّ بِي أَخِي مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فقال: شُدَّ يَدُكَ بِهِ، فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ، لَعَلَّهَا تُفْدِيهِ مِنْكَ، قال: وكنت في رَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعِشَاءَهُمْ خَصُونِي بِالْخُبْزِ، وَأَكَلُوا الثَّمَرَ، لَوْصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهُمْ بَنَاءً، مَا تَقَعَ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كَسْرَةُ خُبْزٍ إِلَّا نَفَّحْنِي بِهَا. قال: فَاسْتَحْيِي فَأَرَدَهَا عَلَى أَحَدِهِمْ، فِيرَدَّهَا عَلَى مَا يَمْسُهَا.

بلوغ مصاب قريش إلى مكة:

قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ لِأَبِي الْيَسْرِ، وهو الذي أسره، ما قال قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي، فقال له مُضْعَبُ: إنه أخي دونك. فسألت أُمَّهُ عَنْ أَغْلَى مَا فُدِيَ بِهِ قُرَشِيٍّ، فَقِيلَ لَهَا: أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَبِعْتَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَفَدَيْتَهُ بِهَا.

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُزَاعِيُّ، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسَدِ، وَثُبَيْهِ وَمَنْبُهُ ابْنُ الْحَجَّاجِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، فلما جعل يُعَدِّدُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ؛ قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وهو قاعد في الحجر: والله إِنْ يَغْلُظْ هَذَا فَاسْأَلُوهُ عَنِّي؛ فقالوا: ما فعل صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ؟ قال: ها هو ذاك جالساً في الحجر، وقد والله رَأَيْتُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ حِينَ قُتِلَا.

أسارى بدر:

ذكر فيهم أبا عزيز بن عُمَيْرٍ حِينَ مَرَّ بِهِ، وهو أَسِيرٌ عَلَى أَخِيهِ مُضْعَبٍ، فقال مُضْعَبُ لِلَّذِي أَسْرَهُ: اشْدُدْ يَدَيْكَ بِهِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

قال المؤلف رحمه الله: وقد تقدم في باب الهجرة خبر إسلام مصعب، وما كانت أُمَّهُ تصنع به، وأرجأت التعريف به وبإخوته إلى هذا الموضع، فأما أبو عزيز، فاسمه زُرَّارَةُ، وأمه التي أرسلت في فدائه أُمُ الْخُنَّاسِ بِنْتُ مَالِكِ الْعَامِرِيَّةِ، وهي أُمُ أَخِيهِ مُضْعَبٍ، وأخته هند بن عُمَيْرٍ، وهند هي أُمُ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ حَاجِبِ الْكَعْبَةِ، جد بني شَيْبَةَ أَسْلَمَ أَبُو عَزِيزٍ، وروى الحديث، وأسلم أخوه أبو الروم، وأبو يَزِيدَ: وَلَا خَفَاءَ بِإِسْلَامِ مُضْعَبِ أَخِيهِ، وَغُلِظَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، فقال: قُتِلَ أَبُو عَزِيزٍ يَوْمَ أُحُدٍ كَافِرًا، وَلَمْ يَصِحْ هَذَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ ثُبَيْهُ بْنُ وَهَبٍ وَغَيْرُهُ، وَلَعَلَّ الْمَقْتُولَ بِأُحُدٍ كَافِرًا أَخٌ لَهُمْ غَيْرُهُ.

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلامًا للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دَخَلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يَكُثُّ إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجلٌ إلَّا بعث مكانه رجلاً، فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش، كبت الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوَّةً وعزًّا. قال: وكنت رجلاً ضعيفًا، وكنت أعمل الأقداح. أنحتُها في حُجرة رَمَزِم. فوالله إني لجالسٌ فيها أنحت أقداحي، وعندي أم الفضل جالسةٌ وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجله يَشْرُ، حتى جلس على طُنب الحُجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالسٌ إذ قال الناسُ: هذا أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب - قال ابن هشام: واسم أبي سُفيان المغيرة - قد قدم قال: فقال أبو لهب: هَلُمَّ إليّ، فعندك لعمرى الخبر، قال: فجلس إليه والناسُ قيامٌ عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلَّا أن لَقِينا القومَ فَمَتَّخِناهم أَكتافنا يَقودوننا كيف شاءوا ويأسِرُوننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لُمت الناس، لَقِينا رجالاً بيضًا، على خيل بُلُق، بين السماء والأرض، والله ما تُليق شيئًا، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرَفَعْتُ طُنب الحُجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة؟ قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربةً

خبر أبي رافع حين قدم فل قريش:

اسم أبي رافع: أسلم، وقال ابن مَعِين: اسمه إبراهيم، وقيل: اسمه هُرْمَزُ^(١)، وكان عبدًا قَبْطِيًّا للعباس، فوهبه للنبي ﷺ، فلما أسلم العباسُ وبشَّر أبو رافع رسول الله ﷺ - بإسلامه، فأعتقه، فكان مولى رسول الله ﷺ - وقيل: كان عبدًا لبني سعيد بن العاصي، وهم عشرة فأعتقوه إلَّا خالد بن سعيد، فإنه وَهَبَ حِصَّته فيه للنبي ﷺ - فأعتقه النبي ﷺ - والأول أصح توَفِّي في قول الواقدي قبل مقتل عثمان بيسير.

أم الفضل وضربها لأبي لهب:

وذكر أبا لهب وضربه لأبي رافع حين ذكر الملائكة وانتصار أم الفضل له وضربها لأبي لهب، وأم الفضل هي لُبَابَةُ الكُبْرَى بنتُ الحارث [ابن حَزَن بن بُجَيْر بن الهَزَم بن رُوَيْبَةَ بن

(١) وقيل: يسار، وقيل صالح، وقيل: عبد الرحمن. وقيل: أسلم وهو أشهر.

شديدة. قال: وثاؤزته فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربةً فلعت في رأسه شجةً منكورة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده فقام، مُولِّياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبَّح ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته.

عبد الله بن هلال بن عامر بن صغصعة [الهلالية] أخت ميمونة، وأختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد، ولدت أم الفضل من العباس سبعة نجباء قال الشاعر:

ما وَلَدَتْ نَجِيبَةً مِنْ فَخْلٍ كَسَبَعَةٍ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ

وهم عبد الله وعبيد الله، وعبد الرحمن، والفضل، ومغبد، وقثم، ويقال في السابع: كثير بن العباس، والأصح في كثير أن أمه رومية، ولم تلد أم الفضل من العباس إلا من سمينا وأختا لهم، وهي أم حبيب، وقد ذكرها ابن إسحق في رواية يونس [بن بكير]، وذكر أن رسول الله ﷺ - رآها وهي طفلة تدب بين يديه، فقال: «إن بلغت هذه وأنا حي تزوجتها»، فقُبِض عليه السلام قبل أن تبلغ فتزوجها سفيان بن الأسود بن عبد الأسد [بن هلال بن عبد الله بن عمرو] المخزومي فولدت له رزقا ولبابة.

وذكر ابن إسحق أن أبا لهب حين ضربته أم الفضل بالعمود على رأسه قام منكسراً، ولم يلبث إلا يسيراً، حتى رماه الله بالعدسة فقتله.

وذكر الطبري في كتابه^(١) أن العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها، ويرون أنها تغدي أشد العدوى، فلما رُمي بها أبو لهب، تباعد عنه بنوه، فبقي ثلاثاً لا تقرب جنازته، ولا يدفن، فلما خافوا السببة دفعوه بعود في حفرة ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن إسحق في رواية يونس: لم يخفروا له، ولكن أسند إلى حائط وقذفت عليه الحجارة من خلف الحائط وورِي وذكر أن عائشة كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها، وفي صحيح البخاري أن بعض أهله رآه في المنام في شر رحبة^(٢)، وهي الحالة، فقال: ما لقيت بعدكم، يعني: راحة، غير أنني سقيت في مثل هذه بعثتي ثوبية، هكذا في رواية الأصيلي عن أبي زيد، وفي رواية غيره، قال: ما لقيت بعدكم راحة، غير أنني سقيت في مثل هذه، وأشار إلى الثقرة بين السبابة والإبهام، بعثتي ثوبية، وفي غير البخاري أن الذي رآه من أهله هو أخوه العباس، قال: مكثت حولاً بعد موت أبي لهب لا

(١) الطبري في تاريخه (٢/٤٠) ط. دار الكتب العلمية. مع اختلاف عما حكاه السهيلي - رحمه الله تعالى - هنا.

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٣٧) ومسلم (١٥٣٧). وفيهما «في شر خيبة».

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: ناحت قریش علی قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمدًا وأصحابه، فيشمتوا بكم؛ ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يَأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء. قال: وكان الأسود بن المطَّلَب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زَمعة بن الأسود، وعَقيل بن الأسود، والحارث بن زَمعة، وكان يحب أن يبكي على بَنيه، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لَغلام له وقد ذهب بصره: انظر هل أحلَّ النُخب؛ هل بكت قریش علی قتلاها؟ لعلِّي أبكي على أبي حَكيمَة، يعني زَمعة، فإن جوفي قد احترق قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بَعير لها أضلَّته. قال: فذاك حين يقول الأسود:

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلُّ لَهَا بَعِيرٌ	وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ	عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ
عَلَى بَذْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْنٍ	وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ	وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعًا	وَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدِ
أَلَا قَدْ سَادَ بَغْدُهُمْ رِجَالٌ	وَلَوْلَا يَوْمٌ بَذَرَ لَمْ يَسُودُوا ^(١)

أراه في نوم، ثم رأيت في شَرِّ حال، فقال: ما لقيتُ بعدكم رَاحَةً إِلَّا أَنْ الْعَذَابَ يَخَفُّ عَنِّي كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ، وذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلِدَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَكَانَتْ تُؤَيَّبَةُ قَدْ بَشَّرَتْهُ بِمَوْلده، فَقَالَتْ لَهُ: أَشَعَرْتَ أَنْ أَمِئَةً وَلَدْتَ غُلَامًا لِأَخِيكَ عَبْدِ اللَّهِ؟ فَقُلْ لَهَا: أَذْهَبِي، فَأَنْتِ حُرَّةٌ، فَنَفَعَهُ ذَلِكَ^(٢)، وَفِي فِي النَّارِ كَمَا نَفَعَ أَخَاهُ أَبَا طَالِبٍ ذَبَّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَهُوَ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ هَذَا النُّفْعَ إِنَّمَا هُوَ نُفْصَانٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَإِلَّا فَعَمَلُ الْكَافِرِ كُلُّهُ مُخَبَّطٌ بِلَا خِلَافٍ، أَي: لَا يَجِدُهُ فِي مِيزَانِهِ، وَلَا يَدْخُلُ بِهِ جَنَّةً، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَصِلُ تُؤَيَّبَةُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَيُنْجِفُهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَرْضَعَتْهُ،

(١) انظر تاريخ الطبري (٤١/٢). وكذا الخبر التالي.

(٢) كل عمل حسن يعملُه العبد كافرًا، فإنه يثاب عليه في الدنيا إما مالا أو صحة أو أولاد أو غير ذلك، حتى إذا جاء يوم القيامة لم يكن له من الحسنات شيئًا. قال تعالى: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا رَّبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...﴾ الآيات.

قال ابن هشام: هذا إقواء، وهي مشهور من أشعارهم، وهي عندنا إكفاء. وقد أسقطنا من رواية ابن إسحق ما هو أشهر من هذا.

قال ابن إسحق: وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبيرة السهمي، فقال رسول الله - ﷺ: «إِنَّ لَهُ بِمَكَّةَ كَيْسًا تَاجِرًا ذَا مَالٍ، وَكَأَنَّكُمْ بِهِ قَدْ جَاءَكُمْ فِي طَلَبِ فِدَاءِ أَبِيهِ؛ فَلَمَّا قَالَتْ قُرَيْشٌ لَا تَعْجَلُوا بِفِدَاءِ أَسْرَائِكُمْ لَا يَأْرَبُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ»، قَالَ الْمُطَلِّبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ - وَهُوَ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَنِي: صَدَقْتُمْ، لَا تَعْجَلُوا وَانْسَلْ مِنَ اللَّيْلِ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذَ أَبَاهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَانْطَلَقَ بِهِ.

أمر سهيل بن عمرو وفداؤه:

(قال): ثم بعث قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ الْأَسَارَى، فَقَدِمَ مِكَرَزُ بْنُ حَفْصِ بْنِ الْأَخِيفِ فِي فِدَاءِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ الَّذِي أَسْرَهُ مَالِكُ بْنُ الدُّخَشْمِ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ:

أَسْرَتْ سُهَيْلًا فَلَا أَبْتَغِي أَسِيرًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَمَمِ
وَخِئْدِفُ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَتَى فَتَاهَا سُهَيْلٌ إِذَا يُظْلَمَ
ضَرَبْتُ بِذِي الشَّفْرِ حَتَّى أَثْنَى وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ذِي الْعَلَمِ
وَكَانَ سُهَيْلٌ رَجُلًا أَعْلَمَ مِنْ شَفْتِهِ السُّفْلَى.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدُّخشم.

وَأَرْضَعَتْ عَمَّهُ حَمْزَةً، وَلَمَّا افْتَتَحَ مَكَّةَ سَأَلَ عَنْهَا، وَعَنْ ابْنِ لَهَا اسْمَهُ: مَسْرُوحٌ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمَا قَدْ مَاتَا.

ضُبيرة:

وَذَكَرَ الْمُطَلِّبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ بْنِ ضُبَيْرَةَ، وَقَدْ ذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ عَنِ الْعُبَيْرِيِّ أَنَّهُ يَقَالُ فِيهِ: ضُبَيْرَةُ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ، وَاسْمُ أَبِي ضُبَيْرَةَ: عَوْفٌ.

ابن الدخشم:

وَذَكَرَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَشْمِ [بِنِ مِزْصَخَةَ] وَيَقَالُ فِيهِ: الدُّخَيْشُ، وَيَقَالُ فِيهِ: ابْنُ الدُّخَيْشِ وَيَقَالُ: إِنَّهُ الَّذِي سَارَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمْ يَدْرَ مَا سَارَّهُ بِهِ حَتَّى جَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِهِ، وَهُوَ فِي حَدِيثِ الْمَوْطَأِ، وَالَّذِي سَارَّهُ هُوَ عِثْبَانُ بْنُ

قال ابن إسحق: وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء، أخو بني عامر بن لؤي: أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، دغني أنزع نبيتي سهيل بن عمرو، ويدلّع لسائه، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً»^(١).

قال ابن إسحق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا الحديث: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه».

قال ابن هشام: وسأذكر حديث ذلك المقام في موضعه إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحق: فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم، قالوا: هات الذي لنا، قال: اجعلوا رجلي مكان رجله، وخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلّوا سبيل سهيل، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم، فقال مكرز:

قَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثِمَانٍ سَبَاً فَتَى
يَنَالُ الصِّمِيمَ غُرْمُهَا لَا الْمَوَالِيَا

مالك^(٢)، وقد برأ النبي ﷺ مالك بن الدُخْشُم من النفاق، حيث قال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قالوا: بلى، قال: أليس يُصَلِّي؟ قالوا: بلى»، فقال في حديث الموطأ: «أولئك الذين نهاني الله عنهم»^(٣)، وقال في حديث مسلم: «فإن الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله»^(٤).

حول شعر مكرز:

وذكر مكرز، وقد تقدم في اسم مكرز أنه يقال بكسر الميم وفتحها، ولكن لا يُزوَى في السيرة إلا بالكسر.

وقول مكرز:

قَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثِمَانٍ سَبَاً فَتَى

بكسر الثاء من ثِمَانٍ، لأنه جمع ثمين، مثل سَمِين وسمان.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٧/١٤) والطبري في تاريخه (٤١/٢) من طريق ابن إسحق به.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٣٧/١).

(٣) أخرجه مالك (١٣٧/١) والبيهقي (١٩٦/٨) وابن عبد البرقي التمهيد (١٠٠/٤٩/١٦٢).
وعبد الرزاق (١٨٦٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (١١٦/١) ومسلم في المساجد (٢٦٣) والبيهقي (١٠٠/١٢٤) وابن خزيمة (١٦٥٣) وأبو عوانة (١٣/٢).

رَهَنْتُ يَدِي وَالْمَالِ أَيْسَرُ مِنْ يَدِي عَلَيَّ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ الْمَخَازِيَا
وَقُلْتُ: سَهْلٌ خَيْرُنَا فَادْمُؤُوا بِهِ لَأَنْتَانَا حَتَّى تُدِيرَ الْأَمَانِيَا
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لِمَكْرَز.

أَسْرَ عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَإِطْلَاقُهُ:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: كان عمرو بن أبي سُفْيَانَ بن حَرْبٍ، وكان لَبْنَتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ - قال ابن هشام: أُمُّ عَمْرُو بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بِنْتُ أَبِي عَمْرُو، وَأَخْتُ أَبِي مُعَيْطٍ بْنِ أَبِي عَمْرُو - أَسِيرًا فِي يَدِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ أَسْرَى بَذَر.

قال ابن هشام: أسره علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: فقيلاً لأبي سُفْيَانَ: أَفْدِ عَمْرًا ابْنَكَ، قَالَ: أَتُجْمَعُ عَلَيَّ دَمِي وَمَالِي! قَتَلُوا حَنْظَلَةَ، وَأَفْدَى عَمْرًا! دَعَا فِي أَيْدِيهِمْ يُفْسِكُوهُ مَا بَدَأَ لَهُمْ.

قال: فبينما هو كذلك، مَخْبُوسٌ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ خَرَجَ سَعْدُ بْنُ التُّعْمَانِ بْنُ أَكَّالٍ، أَخُو بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مُعَاوِيَةَ مُعْتَمِرًا وَمَعَهُ مَرْيَّةُ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا مُسْلِمًا، فِي غَنَمٍ لَهُ التَّقِيعُ: فَخَرَجَ مِنْ هُنَالِكَ مُعْتَمِرًا، وَلَا يَخْشَى الَّذِي صُنِعَ بِهِ، لَمْ يَظُنْ أَنَّهُ يُحْبَسُ بِمَكَّةَ، إِنَّمَا جَاءَ مُعْتَمِرًا: وَقَدْ كَانَ عَهْدَ قُرَيْشًا لَا يَغْرَضُونَ لِأَحَدٍ جَاءَ حَاجًّا، أَوْ مُعْتَمِرًا إِلَّا بِخَيْرٍ، فَعَدَا عَلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بِمَكَّةَ فَحَبَسَهُ بِابْنِهِ عَمْرُو، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

أَرْهَطُ ابْنَ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَعَاقَدْتُمْ لَا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا
فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لِنَامٍ أَذْلَةٌ لَنْ لَمْ يَفْكُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبْلَا
فَأَجَابَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ:

لَوْ كَانَ سَعْدٌ يَوْمَ مَكَّةَ مُطْلَقًا لَأَكْثَرَ فِيكُمْ قَبْلَ أَنْ يُؤْسَرَ الْقَتْلَا
بِعَظْبِ حُسَامٍ أَوْ بِصَفَرَاءِ تَبْعَةٍ تَحَنَّنْ إِذَا مَا أَنْبَضَتْ تَخْفِزُ النَّبْلَا

ومشى بنو عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ خَبْرَهُ؛ وَسَلَّوْهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ

عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله - ﷺ - فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلّى سبيل سعد^(١).

أسر أبي العاص ابن الربيع

قال ابن إسحاق: وقد كان في الأسارى أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، حتن رسول الله ﷺ، وزوج ابنته زينب.

قال ابن هشام: أسره خراش بن الصمة، أحد بني حرام.

سبب زواج أبي العاص من زينب:

قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكة المغدودين: مالا، وأمانة، وتجارة، وكان لهالة بنت خويلد، وكانت خديجة خالته. فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فزوجه، وكانت تعدّه بمنزلة ولدها. فلما أكرم الله رسوله ﷺ نبوته آمنت به خديجة وبناته، فصدفته، وشهدن أن ما جاء به الحق، ودين بدينه، وثبت أبو العاص على شيزكه.

أبو العاصي ابن الربيع

وذكر أبا العاصي ابن الربيع بن عبد العزى، واسم أبي العاصي: لقيط، وقيل فيه: هاشم وقيل: مهشم، وقيل: هشيم، وهو الذي يقول في أهله زينب بنت رسول الله - ﷺ - وكان بالشام تاجرا حين قالها:

ذكرت زينب لما يمممت إصمما^(٢) فقلت: سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بغل سيثني بالذي علما

ولدت له زينب بنت رسول الله ﷺ أمامة وعليها، مات علي وهو صغير، وتزوج أمامة علي بن أبي طالب، وتزوجها بعده المغيرة بن نوفل، وهي التي جاء فيها الحديث رواه عمرو بن سليم الزرقني عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلي، وهو حامل أمامة بنت زينب الحديث^(٣) قال عمرو بن سليم: كانت تلك الصلاة صلاة الصبح، هكذا رواه

(١) انظر تاريخ الطبري (٤٢/٢).

(٢) إصمما: وإد دون المدينة، وقيل: موضع ماء بين مكة واليمامة.

(٣) حديثه ﷺ لأمامة في الصلاة أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

سعي قريش في تطليق بنات الرسول من أزواجهن:

وكان رسول الله ﷺ قد زوّج عُثْبَةَ بن أبي لهب زُفَيْة، أو أُمّ كُلثوم. فلمّا بادى قُريشًا بأمر الله تعالى وبالعداوة، قالوا: إنكم قد فرّغتم محمدًا من همّه، فردّوا عليه بناته، فاشغَلوه بهنّ. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارقِ صاحبك ونحن نزوِّجك أيّ امرأة من قُريش شئت، قال: لا والله، إني لا أفارق صاحبتني، وما أحبّ أنْ لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله ﷺ يثنّي عليه في صِهره خيرًا، فيما بلغني. ثم مشوا إلى عُثْبَةَ بن أبي لهب، فقالوا له: طلقِ بنتَ محمد ونحن نُنكحك أيّ امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوّجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتّها. فزوّجه بنت سعيد بن العاص وفارقها، ولم يكن دَخَلَ بها، فأخرجها الله من يده كرامةً لها، وهوانًا له، وخلفَ عليها عثمانُ بن عفّان بعده.

أبو العاص عند الرسول وبعث زينب في فدائه:

وكان رسول الله ﷺ لا يُجَلِّ بمكة ولا يحترّم، مغلوبًا على أمره، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت وبين أبي العاص ابن الربيع، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدّر أن يفرّق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما صارت قريش إلى بدر، صار فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب في الأسارى يوم بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ.

[عبد الملك بن عبد العزيز] بن جُرَيْج عن ابن عِتَابٍ عن عمرو بن سليم، ورواه ابن إسحق في غير السيرة عن المقبري عن عمرو بن سليم، فقال فيه: في إحدى صلاتي الظهر أو العصر، وكان الذي أسر أبا العاصي من الأنصار عبد الله بن جُبَيْر، ذكره غير ابن إسحق، وكانت رقية بنت رسول الله ﷺ تحت عُثْبَةَ بن أبي لهب، وأُمّ كُلثوم تحت عُثْبَةَ، فطلّقاها بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(١) فأما عُثْبَةُ، فدعا عليه النبي ﷺ أن يُسلطَ الله عليه كَلْبًا من كلابه فافترسه الأسد من بين أصحابه، وهم نيام حوله، وأما عُثْبَةُ ومُعْتَبُ ابنا أبي لهب، فأسلما ولهما عقب.

وقوله في خبر هند: فلا تَضْطَني مني. تَضْطَني، أي: لا تَقْبِضي عني وشاهدُه [قَوْلُ الطَّرْمَاحِ بن حَكِيم]:

إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاءُ والدِه اضْطَني ولا يَضْطَني من شَتَمِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ

(١) سورة المسد آية رقم (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص ابن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أذخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقّة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوها لها أسيرها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها.

خروج زينب إلى المدينة تأهبها وإرسال الرسول رجلين ليصحبها

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه، أو وعد رسول الله ﷺ ذلك، أن يخلّي سبيل زينب إليه، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيعلم ما هو، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلّي سبيله، بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: كونا بطن يأجج حتى تمرّ بكما زينب، فتصحبها حتى تأتياني بها، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بذر شهر أو شينيه، فلما قدّم أبو العاص مكة أمرها بالقوق بأبيها، فخرجت تجهّز.

هند تحاول تعرف أمر زينب:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهّز بمكة للقوق بأبي لقيتني هند بنت عتبة، فقالت: يا بنت محمد، ألم يبلغني أنك تُريدين اللقوق بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمي، لا تفعل، إن كانت لك حاجة بمتاع ممّا يرقّق بك في سفرك، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تضطّني مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت: ولكني خفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك، وتجهّزت.

ما أصاب زينب من قريش عند خروجها ومشورة أبي سفيان

فلما فرغت بنت رسول الله ﷺ من جهازها قدّم لها حموها كنانة بن الربيع أخو

هكذا وجدته في حاشية الشيخ، وقد روي هذا البيت في الحماسة: يَضُنّي بالضاد المعجمة، وكأنه يفتعل من الضنى وهو الضعف.

اتباع قريش لزينب

فصل: وذكر خروج زينب بنت رسول الله - ﷺ - من مكة، واتباع قريش لها، قال:

زَوْجَهَا بَعِيرًا، فَرَكِبْتَهُ، وَأَخَذَ قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا نَهَارًا يَقُودُ بِهَا، وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ لَهَا. وَتَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا حَتَّى أَدْرَكُوهَا بِذِي طُوًى، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَبَقَ إِلَيْهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْفَهْرِيُّ، فَرَوَّعَهَا هَبَّارٌ بِالرَّمْحِ وَهِيَ فِي هَوْدَجِهَا، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ حَامِلًا - فِيمَا يَزْعُمُونَ - فَلَمَّا رِيَعَتْ طَرَحَتْ ذَا بَطْنِهَا وَبَرَكَ حَمُوهَا كِنَانَةً، وَنَشَرَ كِنَانَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَدْنُو مِنِّي رَجُلٌ إِلَّا وَضَعْتُ فِيهِ سَهْمًا، فَتَكَزَّكَرَ النَّاسُ عَنْهُ. وَاتَى أَبُو سَفْيَانَ فِي جِلَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، كَفَّ عَنَّا نَبْلَكَ حَتَّى نَكَلِّمَكَ، فَكَفَّ؛ فَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تُصِيبْ، خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ عِلَانِيَةً، وَقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ، فَيُظَنُّ النَّاسُ إِذَا خَرَجَتْ بَابِنْتَ إِلَيْهِ عِلَانِيَةً عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا أَنَّ ذَلِكَ عَنْ ذَلِّ أَصَابِنَا عَنْ مُصِيبَتِنَا الَّتِي كَانَتْ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَّا ضَعْفٌ وَوَهْنٌ، وَلِعَمْرِي مَا لَنَا بِحَبْسِهَا عَنْ أَبِيهَا مِنْ حَاجَةٍ، وَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثُورَةٍ، وَلَكِنْ ارْجِعْ بِالْمَرْأَةِ، حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْ قَدْ رَدَدْنَاهَا، فَسَلِّهَا سِرًّا، وَالْحَقِّقْهَا بِأَبِيهَا؛ قَالَ: فَفَعَلَ. فَأَقَامَتْ لِيَالِي، حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ خَرَجَ بِهَا لَيْلًا حَتَّى أَسْلَمَهَا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَصَاحِبِهِ، فَقَدِمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَسَبَقَ إِلَيْهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَالْفَهْرِيُّ، وَلَمْ يُسَمِّ ابْنُ إِسْحَاقَ الْفَهْرِيَّ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هُوَ نَافِعُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، وَفِي غَيْرِ السِّيَرَةِ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، هَكَذَا ذَكَرَهُ الْبَزَارُ فِيمَا بَلَغَنِي.

وَذَكَرَ أَنَّ زَيْنَبَ حِينَ رَوَّعَهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ أَلْقَتْ ذَا بَطْنِهَا، وَزَادَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ نَحَسَّ بِهَا الرَّاحِلَةَ فَسَقَطَتْ عَلَى صَخْرَةٍ، وَهِيَ حَامِلٌ فَهَلَكَ حَبْلُهَا، وَلَمْ تَزَلْ تُتَهَرِّقُ الدَّمَاءَ حَتَّى مَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ إِسْلَامِ بَغْلِهَا أَبِي الْعَاصِي.

وَذَكَرَ الزَّبِيرُ أَنَّ هَبَّارَ بْنَ الْأَسْوَدِ لَمَّا أَسْلَمَ وَصَحَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَهُ بِمَا فَعَلَ، حَتَّى شَكَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ: «سُبُّ مَنْ سَبَّكَ يَا هَبَّارُ»^(١)، فَكَفَّتِ النَّاسُ عَنْ سَبِّهِ بَعْدَ. وَلَدَتْ زَيْنَبُ [أُمَامَةَ] وَهِيَ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ السَّلِيمِ بْنُ خُلْدَةَ بْنِ مَخْلَدٍ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقِ الزُّرَيْقِيِّ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ الْحَدِيثِ. قَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِيمٍ إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(١) لَا أَظُنُّ أَنَّ مِنْ أَخْلَاقِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَعْبُدُوا مُسْلِمًا بِمَا كَانَ مِنْهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَضْلًا أَنْ يَقُولَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «سَبُّ مَنْ سَبَّكَ مِنَ الصَّحَابَةِ»!!! وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ. وَانْظُرْ تَرْجُمَةَ هَبَّارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْاِسْتِيعَابِ (١٥٣٦/٤).

شعر لأبي خيثمة فيما حدث لزينب

قال ابن إسحاق: فقال عبد الله بن رَوَاحَة، أو أبو خَيْثَمَة، أخو بني سالم بن عوف، في الذي كان من أمر زينب، قال ابن هشام: هي لأبي خَيْثَمَة:

أتاني الذي لا يَقْدِرُ النَّاسُ قَدْرَهُ	لزينب فيهم من عقوق ومأثم
وإخراجها لم يُخْزَ فيها محمّد	على مَاقِطٍ وبيننا عطر منشم
وأَمْسَى أبو سُفْيَانٍ من جِلْفٍ ضَمَضَم	ومن حَرِينَا في رَغَمٍ أنفٍ ومندم
فَرَرْنَا ابْنَهُ عَمْرًا وَمَوْلَى يَمِينِهِ	بذي حَلَقٍ جَلَدِ الصَّلَاصِلِ مُحْكَم
فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ مِنَّا كَتَائِبُ	سُرَاءُ خَمِيسٍ فِي لَهَامٍ مُسَوِّم
نَزَوْعُ قَرِيشَ الْكُفْرِ حَتَّى نَعْلَهَا	بخاطمة فوق الأنوف بِمِيسَم
نُزِّلْهُمْ أَكْنَافَ نَجْدٍ وَنَخْلَةَ	وإن يُتْهِمُوا بالخيل والرَّجُلِ نُتْهِم

تفسير قصيدة أبي خيثمة

وذكر شعر ابن رَوَاحَة، وقيل: بل قالها أبو خَيْثَمَة، وفيها:

على مَاقِطٍ وبيننا عطر منشم

المَاقِطُ: مُعْتَرِكُ الْحَرْبِ، وَعِطْرُ مَنْشَمٍ كناية عن شدة الحرب، وهو مَثَلٌ، وأصله - فيما زعموا - أن مَنْشَمَ كانت امرأة من خَزَاةٍ تباع العطر والطيب، فَيُشْتَرَى منها للموتى، حتى تَشَاءُوا بها لذلك، وقيل: إن قومًا تحالفوا على الموتِ، فغمسوا أيديهم في طيب مَنْشَمٍ المذكورة تأكيدًا لِلْجِلْفِ، فَضَرِبَ طيبُها مَثَلًا في شدة الحرب، وقيل: مَنْشَمُ امرأة من عُذَانَة، وهو بطن من تميم، ثم من بني يربوع بن حَنْظَلَة وأن هذه المرأة هي صاحبة يَسَارِ الذي يقال له: يَسَارُ الواعب، وأنه كان عبدًا لها، وأنه راودها عن نفسها، فقالت له: أُنْهَلْ حَتَّى أَشِمَّكَ طيبَ الحرائر، فلَمَّا أمكنها من أنْفِهِ أَنْحَتَ عليه بالموسى حتى أَوْعَبَتْهُ جَدْعًا^(١)، فقيل في المثل: لاقى الذي لاقى يَسَارَ الْكَوَاعِبِ، فقيل: عِطْرُ مَنْشَمٍ.

وفي الشعر:

بذي حَلَقٍ جَلَدِ الصَّلَاصِلِ مُحْكَم

يعني: الثَّلْ، والصَّلَاصِلُ جمع: صَلَصَلَة، وهي صَلَصَلَة الحديد.

(١) أَوْعَبَتْهُ جَدْعًا: استأصلته قطع.

يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى لَا يُعَوِّجَ سِرْبُنَا وَتَلْجِقَهُمْ آثَارُ عَادٍ وَجُرْهُمُ
وَيَتَدَمَّ قَوْمٌ لَمْ يُطِيعُوا مُحَمَّدًا عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَيَّ حَيْنٍ تَتَدَمَّ
فَأُبْلَغَ أَبَا سُفْيَانَ إِمَّا لَقِيْتَهُ لَنْ أَنْتَ لَمْ تُخْلِصْ سَجُودًا وَتُسَلِّمَ
فَأَبْشِرْ بِخَزْيٍ فِي الْحَيَاةِ مُعَجَّلٍ وَسِرْبَالٍ قَارٍ خَالِدًا فِي جَهَنَّمَ
قال ابن هشام: ويروى: وسربال نار.

الخلاف بين ابن إسحق وابن هشام في مولى يمين أبي سفيان:

قال ابن إسحق: ومولى يمين أبي سفيان، الذي يعني: عامر بن الحضرمي، كان في الأسارى، وكان حلف الحضرمي إلى حرب بن أمية.

قال ابن هشام: مولى يمين أبي سفيان، الذي يعني: عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي، فأما عامر بن الحضرمي فقتل يوم بدر.

شعر هند وكنانة في خروج زينب:

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هند بنت عتبة، فقالت لهم:
أَفِي السَّلْمِ أَغْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاءَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ

وذكر قول هند بنت عتبة لفل فُرَيْش حين رجعوا من بدر.

أَفِي السَّلْمِ أَغْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاءَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ

يقال: عَرَكْتَ الْمَرْأَةَ وَدَرَسْتَ وَطَمِثْتَ إِذَا حَاضَتْ، وقد قيل أيضًا: يقال: ضَجَّكَتْ إِذَا حَاضَتْ، وتأول عليه قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَجَّكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقٍ﴾^(١) وقد قيل أيضًا: يقال: أَكْبَرَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا حَاضَتْ، وحمل بعضهم عليه قوله تعالى: ﴿أَكْبَرَتْهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾^(٢) والهاء على هذا القول من أَكْبَرَتْهُ عَائِدَةٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، وهو تأويل ضعيف، وَنَصَبَ أَغْيَارًا عَلَى الْحَالِ، والعامل فيه فِعْلٌ مُخْتَرَلٌ لِأَنَّهُ أَقَامَ الْأَغْيَارَ مَقَامَ اسْمٍ مُشْتَقٍّ، فكانه قال: أَفِي السَّلْمِ بُلْدَاءُ جَفَاءَ مِثْلَ الْأَغْيَارِ، ونصب جَفَاءَ غِلْظَةً نَصَبَ الْمَصْدَرِ الْمَوْضُوعَ مَوْضِعَ الْحَالِ، كما تقول: زيد الأسدُّ شِدَّةً، أي يماثله مماثلة شديدة؛ فالشدة صفة للمماثلة، كما أن المشافهة صفة للمكالمة، إذا قلت: كَلَّمْتُهُ مُشَافِهَةً فهذه حال من المصدر في الحقيقة، وتعلّق حرف الجرّ من قولها: أَفِي السَّلْمِ، بما أدّته الأعيار من مَعْنَى الْفِعْلِ، فكانها قالت:

(٢) سورة يوسف آية رقم (٣١).

(١) سورة هود آية رقم (٧١).

وقال كِنَانَةُ بن الرِّبِيع في أمر زَيْنَب، حين دَفَعَهَا إلى الرُّجُلَيْن:

عَجِبْتُ لهَبَّارَ وأَوْبَاشَ قَوْمِهِ يُرِيدُونَ إخْفَارِي ببنتِ مُحَمَّدٍ
ولستُ أبالي ما حَيَّيْتُ عَدِيدَهُمْ وما استجمعتُ قَبْضًا يَدِي بالمُهْنَدِ

الرسول يحل دم هبار:

قال ابن إسحاق: حدَّثني يزيد بن أبي حبيب، عن بُكَيْر بن عبد الله بن الأشَج، عن سليمان بن يسار، عن أبي إسحاق الدَّوسِي، عن أبي هريرة، قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيَّةً أنا فيها، فقال لنا: «إِنْ ظَفَرْتُمْ بهَبَّارَ بن الأسود، أو الرجل (الآخر) الذي سبقَ معه إلى زينب - قال ابن هشام: وقد سَمِيَ ابنُ إسحاقَ الرجل في حديثه (وقال: هو نافع بن عبد قيس) فحزَّ قوهما بالنار»^(١). قال: فلَمَّا كان الغدُ بعثَ إلينا، فقال: إني كنتُ أَمَرْتُكُمْ بِتَخْرِيقِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا، ثم رأيتُ أنه لا ينبغي لأحد أن يعذَّبَ بالنار إلا الله، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ بهما فاقتلوهما.

إسلام أبي العاص بن الربيع:

استيلاء المسلمين على تجارة معه وإجارة زينب له:

قال ابن إسحاق: وأقام أبو العاص بمكة، وأقامت زَيْنَب عند رسول الله ﷺ بالمدينة، حين فَرَّقَ بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيلَ الفَتح خَرَجَ أبو العاص تاجِرًا إلى الشام، وكان رجلًا مَأْمُونًا، بمال له وأموال لرجال من قريش، أَيْضَعُوهَا معه، فلَمَّا فرغ من تجارته وأقبلَ قافلًا، لقِيته سَرِيَّةُ لرسول الله ﷺ، فأصَابُوا ما معه، وأَعَجَزَهُمْ هَارِبًا، فلَمَّا قَدِمَتِ السَّرِيَّةُ بما أصابوا من ماله، أقبلَ أبو العاص تحت الليل حتى دَخَلَ على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستعجارَ بها، فأجارته، وجاء في طَلَبِ ماله، فلَمَّا خرج رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبْح - كما حدَّثني يزيد بن رومان - فَكَبَّرَ وكَبَّرَ الناس معه، صرخت زينب من صُفَّةِ النساء: أيها الناس، إني قد أَجَرْتُ أبا العاص بن الربيع. قال: فلما سَلِمَ

أُفِي السَّلَامُ تَتَبَلَّدُونَ، وهذا الفعل المختَزَلُ الناصب للأعيار لا يجوز إظهاره للسر الذي نبهنا عليه في قول المبرق [عبد الله بن الحارث]:

وعَائِذَا بك أن يعلموا فَيُطْعَمُونِي

انظره في الهجرة إلى الحبشة.

(١) أخرجه الدارمي (٢/٢٢٢) وابن أبي شيبة (١٢/٣٨٩).

رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعْتُ؟» قالوا: نعم؛ قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء من ذلك حتى سمعْتُ ما سمعتم، إنه يُجير على المسلمين أذناهم». ثم انصرف رسول الله ﷺ، فدخل على ابنته، فقال: «أي بُنَيَّة، أكرمي مثواه، ولا يَخْلُصَنَّ إليك، فإنك لا تحلين له»^(١).

المسلمون يردون عليه ماله ثم يسلم:

قال ابن إسحق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ بعث إلى السريّة الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: إن هذا الرجل مئاً حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسّنوا وتردّوا عليه الذي له، فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فنيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به؛ فقالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالذلّوا ويأتي الرجل بالشئنة وبالإداوة، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ، حتى ردّوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئا. ثم احتمل إلى مكة، فأدّى إلى كلّ ذي مال من قريش ماله، ومن كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا. فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك وفيا كريما قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، والله ما منّني من الإسلام عنده إلا تخوّف أن تظنّوا أنني أردت أن أكل أموالكم، فلما أذاها الله إليكم وفرغتم منها أسلمت. ثم خرج حتى قدّم على رسول الله ﷺ.

زوجته تردّ إليه

قال ابن إسحق: وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: ردّ عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح الأول لم يُحدث شيئا (بعد ست سنين).

ردّ زينب على زوجها

وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ ردّ زينب على أبي العاصي على النكاح الأول، لم يُحدث شيئا بعد ست سنين، ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ ردّها عليه بنكاح جديد، وهذا الحديث هو الذي عليه العمل، وإن كان حديث داود بن الحصين أصحّ إسنادا عند أهل الحديث ولكن لم يُقلّ به أحد من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام قد كان فزق بينهما، قال الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ

(١) انظر الطبراني (١٨٥/٩).

مثل من أمانة أبي العاص:

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة: أن أبا العاص ابن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تُسَلِّمَ وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بش ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي.

قال ابن هشام: وحدثني عبد الوارث بن سعيد التَّنُوزِي، عن داود بن أبي هند، عن عامر السُّعْبِي، بنحو من حديث أبي عبيدة، عن أبي العاص.

الذين أطلقوا من غير فداء:

قال ابن إسحق: فكان ممن سُمِّي لنا من الأسارى ممن مَنَّ عليه بغير فداء، من بني عبد شمس بن عبد مناف: أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس مَنَّ عليه رسول الله ﷺ بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بفدائه. ومن بني مخزوم بن يقظة: المُطَلِّب بن حنطب بن الحارث بن عبيدة بن عمر بن مخزوم، كان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله. فلحق بقومه.

قال ابن هشام: أسره خالد بن زيد، أبو أيوب الأنصاري، أخو بني النجار.

حِلُّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُمْ^(١) وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ قَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَعْنَى رَدَّهَا عَلَيْهِ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ، أَيْ: عَلَى مِثْلِ النِّكَاحِ الْأَوَّلِ، فِي الصَّدَاقِ وَالْحَبَاءِ لَمْ يُخْذَتْ زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ مِنْ شَرْطٍ، وَلَا غَيْرِهِ.

شعر بلال في مقتل أمية:

وذكر قتل بلالٍ لِأُمَيَّةَ بن خلف ولم يذكر شعره في ذلك، وذكره ابن إسحق في غير هذه الرواية وهو:

فلما التقينا لم نُكْذِبْ بِحَمَلَةٍ	عليهم بأسيافٍ لنا كالعقائِقِ
ومَطْرُورَةٍ حُمُرُ الطُّبَاةِ كَأَنَّهَا	إِذَا رُفِعَتْ أَشْطَانُ ذَاتِ الْإِبَارِقِ
بني جُمَحٍ قَدْ حُلَّ قَعَصٌ بِشِيخِكُمْ	عَلَى مَاءٍ بَذَرِ رَأْسِ كُلِّ مُنَافِقِ
هَجَمْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ وَاشْتَجَرَتْ بِهِ	مَصَالِيْتُ لِلْأَنْصَارِ غَيْرُ زَوَاهِقِ
هَوَى حِينَ لَأَقَانَا وَفُرِّقَ جَمْعُهُ	عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ مِنْ رَأْسِ خَالِقِ

(١) سورة الممتحنة آية رقم (١٠).

قال ابن إسحاق: وصيفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ترك في أيدي أصحابه، فلما لم يأت أحد في فدائه أخذوا عليه لبيعته إليهم بفدائه، فخلوا سبيله، فلم يف لهم بشيء، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

وما كان صيفي ليوفي ذمة قفا تغلب أغيا ببعض الموارِد

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأبو عزة، عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن خذافة بن جَمَح، كان محتاجا ذا بنات، فكلَّم رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، لقد عرفت ما لي من مال، وإنني لذو حاجة، وذو عيال، فامنن عليّ؟ فامن عليه رسول الله ﷺ، وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحدًا. فقال أبو عزة في ذلك، يمدح رسول الله ﷺ، ويذكر فضله في قومه:

مَنْ مُبْلَغُ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا	بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ وتَدْعُو إلى الحق والهدى	عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بُوِّثَتْ فينا مِباءةٌ	لها درجَات سَهْلَةٌ وُضْعُود
فلأنك مَنْ حَارَبْتَهُ لِمَحَارَبِ	شَقِيٍّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيد
ولكن إذا دُكِرْتُ بدرا وأهله	تاؤب ما بي: حَسْرَةٌ وقعود

ثمن الفداء:

قال ابن هشام: كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل، إلى ألف درهم، إلا من لا شيء له، فمَنْ رسول الله ﷺ عليه.

وذكر الزبير في هذا الخبر عن ابن سلام عن حَمَاد بن سَلَمَةَ أن أُمَيَّة حين أحاطت به الأنصار، قال: يا أَحَدُ رَأَى، أما لَكُمْ بِاللُّبْنِ حَاجَةٌ؟ قال: وكان أُمَيَّة يُذَكِّرُ بفصاحته، ومعنى هذا الكلام: هل رأى أَحَدٌ مِثْلَ هَذَا، ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث أسنده عن مُقَاتِلِ بن سُلَيْمَانَ، قال: قال النُّضْرُ بن الحَارِث حين نزلت: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] الآية، وكان النضر قد قال: الملائكة بنات الرَّحْمَنِ، فلما سَمِعَ الآية قال: ألا تَرَاهُ قد صَدَّقَنِي، فقال له أُمَيَّة بن خلف - وكان أفصح منه - لا والله، بل كَذَبُكَ؛ فقال ما كان للرحمن من ولد، وروِيَ عن ثَغْلَب أنه قال في قول أُمَيَّة، يا أَحَدُ: يا اسْتِفْتَحَ، ومعناه يا هؤلاء أَجَدُّ رَأَى.

إسلام عُمير بن وهب

صفوان يحرضه على قتل الرسول:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير قال: جلس عُمير بن وهب الجُمحي مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قُريش في الحجر بيسير، وكان عُمير بن وهب شيطانًا من شياطين قُريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عُمير في أسارى بدر.

قال ابن هشام: أسره رفاعه بن رافع أحد بني زريق.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: فذكر أصحاب القلب ومُصابهم، فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير؛ قال له عُمير: صدقت والله، أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة: ابني أسير في أيديهم؛ قال: فاعتنمها صفوان وقال عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عُمير: فاكتم شأني وشأنك؛ قال: أفعل.

رؤية عمر له وإخباره الرسول بأمره:

قال: ثم أمر عُمير بسيفه، فشجذ له وسم، ثم انطلق حتى قديم المدينة؛ فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحًا السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عُمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيتنا، وحزرننا للقوم يوم بدر.

إسلام عمير بن وهب^(١)

فصل: وذكر إسلام عُمير بن وهب إلى آخره، وليس فيه ما يُشكّل.

(١) انظر ترجمته في الاستيعاب (١٢٢١/٣). وانظر الخبر في تاريخ الطبري (٤٤/٢) والمنتظم (١٢٥/٣).

ثم دخل عُمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه؛ قال: فأدخله عليّ، قال: فأقبل عُمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّيه بها، وقال لرجال ممّن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون؛ ثم دخل به على رسول الله ﷺ.

الرسول يحدثه بما بينه هو وصفوان فيسلم:

فلما رآه رسول الله ﷺ، وعمرُ أخذَ بحمالة سيفه في عنقه، قال: أُرسله يا عمر، اذُنْ يا عُمر؛ فدنا ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عُمر، بالسلام: تحية أهل الجنة». فقال: أما والله يا محمد إن كنتُ بها لحديث عهد؛ قال: فما جاء بك يا عُمر؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه؛ قال: فما بالُ السيف في عنقك؟ قال: قُبِحها الله من سُيوف، وهل أغنت عناً شيئاً؟ قال: اضدقني، ما الذي جئتُ له؟ قال: ما جئتُ إلا لذلك، قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قُريش، ثم قلت: لولا ذين عليّ وعيالٍ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً، فتحملُ لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك؛ قال عُمر: أشهد أنك رسول الله، وقد كنّا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله^(١)، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن، وأطيقوا له أسيرَه»، ففعلوا.

رجوعه إلى مكة يدعو للإسلام:

ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد للأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى،

(١) شهد عمير أن الذي أخبر النبي ﷺ الخبر هو الله عز وجل، وفيه شهادة له ﷺ أنه لا يعلم الغيب كما صرح القرآن والسنة الصحيحة، فقد أخبره تعالى خبر عمير كما في قوله تعالى أيضاً: ﴿قل نبأني العليم الخبير﴾.

وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤدي أصحابك في دينهم؟ قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة. وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام، تُنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الرُّكبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً.

قال ابن إسحاق: فلما قدم عمير مكة، أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤدي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير.

هو أو ابن هشام الذي رأى إبليس وما نزل فيه

قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب، أو الحارث بن هشام، قد ذكر لي أحدهما، الذي رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر، فقال: أين، أي سراق؟ ومثل عدو الله فذهب، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾^(١). فذكر استدراج إبليس إياهم، وتشبهه بسراقه بن مالك بن جُعشم لهم، حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة في الحرب التي كانت بينهم. يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ﴾ ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة، قد أيد الله بهم رسوله ﷺ والمؤمنين على عدوهم ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَزَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾. وصدق عدو الله، رأى ما لم يروا، وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. فذكر لي أنهم كانوا يزونه في كل منزل في صورة سراقه لا ينكرونه، حتى إذا كان يوم بدر، والتقى الجمعان نكص على عقبيه، فأوردتهم ثم أسلمهم.

هل تجسد إبليس في غزوة بدر؟

وذكر في آخر الحديث أن عمير بن وهب هو الذي رأى إبليس يوم بدر حين نكص على عقبيه، وذكر غيره أن الحارث بن هشام تشبث به، وهو يرى أنه سراقه بن مالك، فقال: إني أين سراق أين تغير فلكنم لكم طرحة على قفاه، ثم قال: إني أخاف الله رب العالمين، وإنما كان تمثل في صورة سراقه المدلجي، لأنهم خافوا من بني مدلج أن يعرضوا لهم، فيشغلوه من أجل الدماء التي كانت بينهم، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقه المدلجي، وقال: إني جار لكم من الناس، أي: من بني مدلج، ويروى أنهم رأوا سراقه

(١) سورة الأنفال آية رقم (٤٨) وما يليها.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب :

قال ابن هشام : نكص : رجع . قال أوس بن حَجَر ، أحد بني أُسَيْد بن عَمْرٍو بن تميم :

نَكَصْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ يَوْمَ جِثْتُمْ تُزْجُونَ أَنْفَالَ الْخَمِيسِ الْعَرَمِ
وهذا البيت في قصيدة له .

شعر لحسان في الفخر بقومه وما كان من تغرير إبليس بقریش :

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت :

قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ آوَا نَبِيَّهُمْ وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُفَّارُ
إِلَّا خَصَائِصَ أَقْوَامٍ هُمْ سَلَفُ لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَنْصَارُ

بمكة بعد ذلك ، فقالوا له : يا سُرَاقَةُ أَخْرَمْتَ الصَّفَّ ، وأوقعت فينا الهزيمة ؟ فقال : والله ما علمت بشيء من أمركم ، حتى كانت هزيمتكم ، وما شهدت ، وما علمت فما صدقوه ، حتى أسلموا وسمِعوا ما أنزل الله فعلموا أنه كان إبليس تمثّل لهم .

وقول اللّعين : إني أخاف الله ربّ العالمين ، لأهل التأويل فيه أقوال أحدها : أنه كذب في قوله : إني أخاف الله ، لأن الكافر لا يخاف الله ، الثاني : أنه رأى جنود الله تنزل من السماء ، فخاف أن يكون اليوم الموعود الذي قال الله فيه : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(١) وقيل أيضاً : إنما خاف أن تدركه الملائكة لما رأى من فعلها بحزبه الكافرين ، وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل أن قريشاً حين توجهت إلى بدر مرّ هاتف من الجنّ على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون ، وهو ينشد بأنفذ صوت ، ولا يرى شخصه :

أَزَارَ الْحَنِيفِيُونَ بَذْرًا وَقِيَعَةً سَيَنْقُضُ مِنْهَا رُكْنَ كِسْرَى وَقَيْصَرَا
أَبَادَتْ رِجَالًا مِنْ لُؤْيٍ ، وَأَبْرَزَتْ خَرَائِدَ يَضْرِبْنَ التَّرَائِبَ حُسْرَا
فِيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى عَدُوَّ مُحَمَّدٍ لَقَدْ جَارَ عَنْ قُضْدِ الْهَدَى وَتَحَيَّرَا

فقال قائلهم : مَنْ الحنيفيون ؟ فقالوا : هم محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين .

(١) سورة الفرقان آية رقم (٢٢) .

مُسْتَبْشِرِينَ بِقَسَمِ اللَّهِ قَوْلَهُمْ أَهْلًا وَسَهْلًا فَفِي أَمْنٍ وَفِي سَعَةٍ فَأَنْزَلُوهُ بَدَارَ لَا يُخَافُ بِهَا وَقَاسَمُوهُ بِهَا الْأَمْوَالِ إِذْ قَدَمُوا سِيزْنَا وَسَارُوا إِلَى بَذْرِ لَحْيِنِهِمْ دَلَاهُمُ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ وَقَالَ إِنِّي لَكُمْ جَارٌّ فَأَوْرَدَهُمْ ثُمَّ التَّقِينَا فَوَلُّوا عَنْ سَرَاتِهِمْ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنْشَدَنِي قَوْلُهُ: «لَمَّا أَتَاهُمْ كَرِيمُ الْأَصْلِ مُخْتَارُ أَبُو زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ».

المطمعون من قریش:

من بني هاشم:

قال ابن إسحاق: وكان الْمُطْمَعُونَ، من قُرَيْشٍ، ثم من بني هاشم بن عبد مناف: العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

من بني عبد شمس:

ومن بني عَبْدِ شَمْسٍ بن عبد مناف: عُبَيْة بن ربيعة بن عَبْدِ شَمْسٍ.

من بني نوفل:

ومن بني نُوْفَلٍ بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نُوْفَلٍ، وطُعَيْمَةُ بن عَدِيٍّ بن نُوْفَلٍ، يَعْتَقَبَانِ ذَلِكَ.

من بني أسد:

ومن بني أَسَدٍ بن عبد الْعُزَّى: أبا الْبَخْتَرِيِّ بن هِشَامٍ بن الحارث بن أَسَدٍ، وَحَكِيمٍ بن حِزَامٍ بن خُوَيْلِدٍ بن أَسَدٍ، يَعْتَقَبَانِ ذَلِكَ.

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: النضر بن الحارث بن كَلْدَة بن عَلْقَمَة بن عبد مناف بن عبد الدار.

نسب النضر:

قال ابن هشام: النضر بن الحارث بن عَلْقَمَة بن كَلْدَة بن عبد مناف بن عبد الدار.

من بني مخزوم:

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يَقْظَة: أبا جهل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم.

من بني جمح:

ومن بني جُمَح: أُمَيَّة بن خَلَف بن وهب بن خُذافة بن جُمَح.

من بني سهم:

ومن بني سَهْم بن عمرو: ثُبَيْهَا وَمُنْبَهَا ابني الحَجَّاج بن عامر بن خُذيفة بن سعد بن سَهْم، يَعْتَقَبَان ذلك.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: سُهَيْل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِشَل بن عامر.

أسماء خيل المسلمين يوم بدر:

قال ابن هشام: وحَدَّثَنِي بعضُ أهل العلم: أَنَّهُ كَانَ مع المُسْلِمِينَ يوم بدر من الخيل، فَرَس مَزْنَد بن أَبِي مَزْنَد العَنَوِيّ، وكان يقال له: السَّبَل؛ وفرس المِقْدَاد بن عمرو البَهْرَانِيّ، وكان يقال له: بَغْزَجَة، ويقال: سَبْحَة؛ وفرس الزبير بن العوام، وكان يقال له: اليَغْسُوب.

خيل المشركين:

قال ابن هشام: ومع المشركين مائة فرس.

نزول سورة الأنفال

ما نزل في تقسيم الأنفال:

قال ابن إسحق: فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها، فكان مما نزل منها في اختلافهم في الثفل حين اختلفوا فيه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

فكان عبادة بن الصّامت - فيما بلغني - إذا سُئل عن الأنفال، قال: فينا معشر أهل بدر نزلت، حين اختلفنا في الثفل يوم بدر، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه

ذكر ما أنزل الله في بدر

أنزل سورة الأنفال بأسرها، والأنفال هي الغنائم، وقال أبو عبيد في كتاب الأموال: الثَّفْلُ، إحسانٌ وتَفَضُّلٌ من المنعمِ فسُمِّيَتِ الغنائمُ أنفالاً، لأن الله تعالى تَفَضَّلَ بها على هذه الأمة، ولم يُجْلِّها لأحد قبلهم. قال المؤلف: أما قوله: إن الله تَفَضَّلَ بها فصحيح، فقال قال عليه السلام: «ما أُجِلَّتِ الغنائم لأحد سِوَدِ الرَّؤُوسِ قبلكم، إنما كانت نار تنزل من السماء فتأكلها»^(٢)، وأما قوله: فسُمِّيَتِ الغنائمُ أنفالاً لهذا، فلا أحسبه صحيحاً، فقد كانت العرب في الجاهلية الجَهْلَاءِ تسميها أنفالاً.

وقد أنشد ابن هشام لأوس بن حَجَرِ الأسيدي، وهو جاهلي قديم:

نَكَضْتُمْ عَلَى أَغْقَابِكُمْ يَوْمَ جِثْتُمْ تُزَجُّونَ أَنْفَالَ الْخَمِيسِ الْعَرَفَرَمِ

ففي هذا البيت أنها كانت تسمى أنفالاً قبل أن يُجْلِّها الله لمحمد وأُمِّهِ، فأصل اشتقاقها إذاً من الثَّفْلِ، وهو الزيادة لأنها زيادة في أموال الغانمين، وفي بيت أوس بن حجر أيضاً شاهد آخر على أن الجيش كان يسمى: خَمِيساً في الجاهلية، لأن قوماً زعموا أن اسم الخميس من الخمس الذي يؤخذ من المغنم، وهذا لم يكن حتى جاء الإسلام، وإنما كان لصاحب الجيش الرُّنْعُ، وهو المِرْبَاع، وسيأتي القول في اشتقاقه فيما بعد إن شاء الله. قرأ ابن مسعود وعطاء «يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ» وقرأت الجماعة: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ» والمعنى صحيح في القراءتين؛ لأنهم سألوها وسألوا عنها لمن هي.

وقول عبادة بن الصّامت: نزلت فينا أهل بدر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ لَأَنَّا تَنَازَعْنَا

(١) سورة الأنفال آية رقم (١) وما عليها. (٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/٣٢).

أَخْلَقْنَا؛ فَرَدَّه عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَسَمَهُ بَيْنَنَا عَنْ بَوَاءٍ - يَقُولُ: عَلَى السَّوَاءِ - وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَصَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ.

ما نزل في خروج القوم مع الرسول لملاقاة قريش:

ثم ذكر القومَ ومسيرَهم مع رسول الله ﷺ حين عرف القومُ أنَّ قريشًا قد ساروا إليهم، وإنما خرجوا يُريدون العيرَ طمعًا في الغنيمة، فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى

فِي الثَّقَلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، كَذَلِكَ جَاءَ فِي التفسير لعُبْدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَغَيْرِهِ أَنَّ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ مَعَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، وَأَبَا الْيَسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو فِي طَائِفَةٍ مَعَهُ، وَكَانَ أَبُو الْيَسْرِ قَدْ قَتَلَ قَتِيلَيْنِ، وَأَسَرَ أُسَيْرَيْنِ تَنَازَعُوا، فَقَالَ الَّذِينَ حَوَّوْا الْمَغْنَمَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ، وَقَالَ: الَّذِينَ شُغِلُوا بِالْقِتَالِ، وَاتَّبَاعُ الْقَوْمِ نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ، فَانْتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ وَرَدَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ - ﷺ - وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، حِينَ جَاءَ بِالسَّيْفِ، فَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ فِي الْقَبْضِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَكَانَ السَّيْفُ لِلْعَاصِي بْنِ سَعِيدٍ، يُقَالُ لَهُ: ذُو الْكَنْيَفَةِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - السَّيْفَ لِسَعْدٍ، وَقَسَمَ الْغَنِيمَةَ عَنْ بَوَاءٍ أَيْ: عَلَى سَوَاءٍ، وَقَدْ قَدَّمْنَا الْحَدِيثَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، وَفِيهِ أَنَّهُ قَسَمَهَا عَلَى فُوقٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الْآيَةَ فَنَسَخَتْ ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وَهُوَ أَصَحُّ الْأَقْوَالِ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ^(١). وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَنْفَالَ مَا شَدَّ مِنَ الْعَدُوِّ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَابَّةٍ، أَوْ نَحْوَهَا، فَلَيْسَتْ مَنْسُوخَةٌ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ: إِنَّ الْأَنْفَالَ، هُوَ الْخُمْسُ نَفْسُهُ، وَإِنَّمَا تَكُونُ مَنْسُوخَةٌ إِذَا قُلْنَا إِنَّهَا جُمْلَةُ الْغَنَائِمِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ الْأَثَارُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَالْأَنْفَالُ تَنْقَسِمُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ نَقْلٌ لَا يُخْمَسُ، وَنَقْلٌ مِنْ رَأْسِ الْغَنِيمَةِ، وَنَقْلٌ مِنَ الْخُمْسِ، وَنَقْلٌ السَّرَايَا وَهُوَ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْخُمْسِ، وَنَقْلٌ مِنْ خُمْسِ الْخُمْسِ، فَأَمَّا الَّذِي لَيْسَ فِيهِ خُمْسٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ الْغَنِيمَةِ، وَلَا مِنَ الْخُمْسِ، فَهُوَ سَلْبُ الْقَتِيلِ يُقْتَلُ فِي غَيْرِ مَعْمَعَةٍ الْحَرْبِ، وَفِي غَيْرِ الرُّخْفِ، فَهُوَ مَلِكٌ لِلْقَاتِلِ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ قَوْلُ الْأَوْزَاعِيِّ، وَأَهْلُ الشَّامِ، وَقَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَفِيهِ قَوْلُ ثَانٍ، وَهُوَ أَنَّ السَّلْبَ مِنْ جُمْلَةِ الثَّقَلِ يُخْمَسُ مَعَ الْغَنِيمَةِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي فِي الْمَوْطَأِ حِينَ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ: الْفَرَسُ مِنَ الثَّقَلِ وَالذَّرْعُ مِنَ الثَّقَلِ، وَقَالَ فِي غَيْرِ الْمَوْطَأِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْفَرَسُ مِنَ النَّقْلِ، وَفِي الثَّقَلِ الْخُمْسُ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ

(١) وقيل: ليست بمنسوخة. انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية.

الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: أي كراهية اللقاء بالقوم، وإنكاراً لمسير قُريش، حين ذكروا لهم ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: أي الغنيمة دون الحرب ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَحِقَّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: أي

مسلم روى هذا الحديث، فقال في آخره: يريد أن السِّلْب للقاتل، ففسره على مذهب شيخه، ومن حجتهم أيضاً أن عُمَر رضي الله عنه خَمَسَ سَلْبَ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ حين قتل مَرْزُبَانَ الرَّازَةِ فسلبه سيوَارِنَه وَمِنْطَقَتَه، وما كان عليه، فبلغ ثمنه ثلاثين ألفاً، وقال أصحاب القول الأول لا حُجَّة في حديث عمر، لأنه إنما خَمَسَ الْمَرْزُبَانَ، لأنه استكثره، وقال: قد كان السِّلْب لا يُخَمَس، وإن سَلَبَ الْبَرَاءِ بَلَغَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وأنا خامسه، واحتجوا بحديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، إِذ قُتِلَ قَتِيلًا، فقال رسول الله - ﷺ - له: سَلَبُهُ أَجْمَعُ. ومن حُجَّة مَالِكٍ، ومن قال بقوله: عمومُ آيةِ الْخُمْسِ، فإنه قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ وحديثُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ جَمَيْرِ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَمَنَعَهُ ذَلِكَ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَخْبَرَ عَوْفٌ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فقال لخالد: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟ فقال: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اذْفَعْهُ إِلَيْهِ، فَلَقِيَ عَوْفٌ خَالِدًا فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ، وَقَالَ: هَلْ أَتَجَزَّتْ لَكَ مَا ذَكَرْتَ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - [فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ] فَاسْتَغْضِبَ، فَقَالَ: لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو إِلَيَّ أُمْرَائِي [إِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُهُمْ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَرَعَى إِبِلًا وَغَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَفِيهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا فَشَرَعَتْ فِيهِ، فَشَرِبَتْ صَفْوَةً وَتَرَكَتْ كَذَرَهُ فَصَفَّوْهُ لَكُمْ وَكَذَرَهُ عَلَيْهِمْ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ] ^(١).

ولو كان السِّلْب حقًا له من رأس الغنيمة لما رَدَّه رسولُ الله ﷺ، فهذا هو القسم الواحد من الثقل.

والقسم الثاني: هو من رأس الغنيمة قبل تخميسها، وهو ما يُعْطَى الْأِدْلَاءُ، الَّذِي يَذْلُونُ عَلَى غَوْرَةِ الْعَدُوِّ، وَيَذْلُونُ [عَلَى] الطَّرِيقِ، وَمَا يُعْطَى الدُّعَاةُ وَغَيْرِهِ مِمَّا يُنْتَفَعُ أَهْلُ الْجَيْشِ بِهِ عَامَّةً.

والقسم الثالث ما تُنْقَلُهُ السَّرَايَا، فَقَدْ كَانَتْ تُنْقَلُ فِي الْبِدَاةِ الرُّبْعُ بَعْدَ الْخُمْسِ، وَفِي الْعَوْدَةِ الثُّلُثُ مِمَّا غَنِمُوهُ؛ كَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثِ رَوَاهُ مَكْحُولٌ عَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ، وَأَخَذَتْ بِهِ طَائِفَةٌ.

(١) أخرجه مسلم (١٣٧٣) وأحمد (١٧٥/٣) وسعيد بن منصور في سننه (٢٦٩٧).

بالوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أي لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوهم، وقلة عددهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بدعاء رسول الله ﷺ ودعائكم

والقسم الرابع من الثقل: ما يُنقله الإمام من الخمس لأهل الغنائ والمنفعة، لأن ما كان للرسول عليه السلام من الغنيمة، فهو للإمام بعده يَصْرِفُه فيما كان النبي عليه السلام يَصْرِفُه، وهو قول مالك وأكثر العلماء، وقالت طائفة: هو مَقْصُورٌ على الأصناف التي ذُكرت في القرآن، وهم ذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وقد أُعطيَ المَقْدَادُ حِمَارًا من الخُمُسِ أعطاه له بعض الأمراء، فردّه لما لم يكن من هؤلاء الأصناف المذكورين، وأما أَنَسُ بن مالك، فإنه فعل خلاف هذا، أعطاه مُعَاوِيَةُ ثلاثين رأسًا من الغنيمة، فأبى أن يُقبلها، إلا أن تكون من الخُمُسِ، وأصح القولين: أن الإمام له النظر في ذلك، فإن رأى صَرَفَ الخُمُسَ إلى منافع المسلمين، ولم تكن بالأصناف الأربعة حاجة شديدة إليه صَرَفَه، وإلا بدأ بهم، وَصَرَفَ بَقِيَّتَه فيما يرى، واخْتَلَفَ فِي ذَوِي الْقُرْبَى مَنْ هُمْ، فقال ابن عباس: كنا نرى أنهم يَبْنُو هاشم، فأبى ذلك علينا قومنا، وقالوا: هم قريش كلهم، كذلك قال في الكتاب الذي كتبه إلى نَجْدَةَ الْحَزْوَريِّ، واختلفوا أيضًا في قرابة الإمام بعد النبي ﷺ: «أهم داخلون في الآية أم لا؟» والصحيح: دخولهم من ذوي القربى، لقوله عليه السلام: «إذا أطعم الله نبيًا طُعْمَةً، فهي للخليفة بعده»^(١)، أو قال: للقائم بعده. ومما اختلفوا فيه من معنى آية الخُمُسِ: قسم خمس الخُمُسِ، فقال أبو العالية في قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ أي: للكعبة، يخرج لها نصيب من الخُمُسِ، وللرسول نصيب، وباقي الخمس للأربعة الأصناف، وقالت طائفة: خُمُسُ الخُمُسِ للرسول، وباقيه للأربعة الأصناف. وقالت طائفة: الخمس كله للرسول يَصْرِفُه في تلك الأصناف وغيرها، وإنما قال الله: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ تَنْبِيْهَا عَلَى شَرْفِ الْمَكْسَبِ وَطِيبِ الْمَعْتَمِ، كذلك قال في القِيءِ، وهو مما أفاء الله على المسلمين من الأرضين التي كانت لأهل الكفر فقال فيه: ﴿لِللرَّسُولِ﴾ الآية، ولم يقل في آيات الصَّدَقَاتِ مثل ذلك، ولا أضافها لنفسه ولا للرسول، لأن الصَّدَقَةَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، فلا تَطْيِبُ لمحمد، ولا لآل محمد، فقال فيها: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ الآية، أي: ليست لأحد إلا لهؤلاء، وهذا كله قول سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وتفسيره، وسيأتي القول في غَزْوَةِ حُتَيْنٍ فيما أعطى النبي - ﷺ - للمؤلفة قلوبهم، هل كان من رأس الغنيمة أم من الخُمُسِ أم من خُمُسِ الخُمُسِ إن شاء الله.

(١) أخرجه البيهقي (٦/٣٠١/٣٠٣).

﴿آتِي مُبِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ﴿إِذْ يُعْشِيكُمُ الثُّعَاسُ أَمَةً مِنْهُ﴾: أي أنزلت عليكم الأمانة حين نمتم لا تخافون ﴿وَيُنْزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ﴾ لِلْمَطَرِ الَّذِي أَصْلَبَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَحَبَسَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَنْسَبِقُوا إِلَى الْمَاءِ، وَخَلَّى سَبِيلَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾: أي ليذهب عنكم شك الشيطان، لَتَخْوِيفِهِ إِيَاهُمْ عَدُوَّهُمْ، وَاسْتِجْلَادِ الْأَرْضِ لَهُمْ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَنْزِلِهِمْ الَّذِي سَبَقُوا إِلَيْهِ عَدُوَّهُمْ.

عن قتال الملائكة:

فصل: وذكر قوله سبحانه: ﴿بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ وقد قال في أخرى: ﴿بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ فقليل في معناه: إن الألف أَرْدَقَهُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ، فَكَانَ الْأَكْثَرُ مَدَدًا لِلْأَقَلِّ، وَكَانَ الْآفُ مُرْدِفِينَ لِمَنْ وَرَاءَهُمْ بِكَسْرِ الدَّالِ مِنْ مُرْدِفِينَ، وَكَانُوا أَيْضًا مُرْدِفِينَ بِهِمْ بِفَتْحِ الدَّالِ، وَالْآفُ هُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: ﴿فَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَكَانُوا فِي صُورِ الرِّجَالِ، وَيَقُولُونَ: لِلْمُؤْمِنِينَ اثْبُتُوا، فَإِنْ عَدُوَّكُمْ قَلِيلٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ وَنَحْنُ هَذَا، وَقَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ مَا وَقَعَتْ ضَرْبَةٌ يَوْمَ بَذَرٍ إِلَّا فِي رَأْسٍ أَوْ مَفْصِلٍ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ قَتْلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ قَتْلَاهُمْ، بِأَثَارِ سُودٍ فِي الْأَعْنَاقِ وَفِي الْبَنَانِ، كَذَلِكَ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ، وَيَقَالُ لِمَفَاصِلِ الْأَصَابِعِ وَغَيْرِهَا بَنَانٌ وَاحِدَتُهَا بَنَانَةٌ، وَهُوَ مِنْ أَبَنَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ فِيهِ وَثَبَتْ، قَالَه الزَّجَّاجُ.

وقوله: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ الْآيَةُ، كَانَ الْعَدُوُّ قَدْ أَخْرَجُوا الْمَاءَ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَفَرُوا الْقُلُوبَ لَأَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَحْدَثُوا وَأَجْتَبَ بَعْضُهُمْ، وَهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَى الْمَاءِ، فَسُوسَ الشَّيْطَانُ لَهُمْ أَوْ لِبَعْضِهِمْ، وَقَالَ: تَزْعُمُونَ أَنْكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَقَدْ سَبَقَكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ إِلَى الْمَاءِ، وَأَنْتُمْ عِطَاشٌ وَتَصْلُونَ بِلَا وُضوءٍ، وَمَا يَنْتَظِرُ أَعْدَاؤُكُمْ إِلَّا أَنْ يَقْطَعَ الْعَطْشُ رِقَابَكُمْ، وَيُذْهِبَ قُورَكُمْ فَيَتَحَكَّمُوا فِيكُمْ كَيْفَ شَاءُوا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاءَ فَحَلَّتْ غَزَالِيهَا^(١) فَتَطَهَّرُوا وَزَوَّوْا وَتَلَبَّدَتْ الْأَرْضُ لِأَقْدَامِهِمْ وَكَانَتْ رِمَالًا وَسَبَخَاتٍ، فَتَبَيَّنَتْ فِيهَا أَقْدَامُهُمْ وَذَهَبَ عَنْهُمْ رَجْزُ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ نَهَضُوا إِلَى أَعْدَائِهِمْ فَعَلَبَوْهُمْ عَلَى الْمَاءِ، وَغَارُوا الْقُلُوبَ الَّتِي كَانَتْ تَلِي الْعَدُوَّ فَعِطَشَ الْكُفَّارُ، وَجَاءَ النَّصْرُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَبَضَ النَّبِيُّ ﷺ - قَبْضَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ وَرَمَاهُمْ بِهَا، فَمَلَأَتْ عِيُونَ جَمِيعِ الْعَسْكَرِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: أَي: عَمَّ

(١) عزلاء: مفرد عزاليها، وهو مصب الماء من الرواية ونحوها.

ما نزل في تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر، وتحريضهم:

ثم قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْتُمْ مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي أزرؤ الذين آمنوا ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ وَمَنْ يُؤَلِّهْهُمْ يَوْمَئِذٍ ذُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: أي تحريضاً لهم على عدوهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم.

ما نزل في رمي الرسول للمشركين بالخصباء:

ثم قال تعالى في رمي رسول الله ﷺ إياهم بالخصباء من يده، حين رماهم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: أي لم يكن ذلك برمينك، لولا الذي جعل الله فيها من نضرك، وما ألقى في صدور عدوك منها حين هزمهم الله ﴿وَلِيَبْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾: أي ليعرف المؤمنون من نعمته عليهم في إظهارهم على عدوهم، وقلة عددهم، ليعرفوا بذلك حقه، ويشكروا بذلك نعمته.

جميعهم، ولم يكن في قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم، فالله هو الذي رمى سائرهم إذ رميت أنت القليل منهم، فهذا قول، وقال أحمد بن يحيى: معناه: وما رميت قلوبهم بالرعب حين رميت الخصباء، ولكن الله رمى وقال هبة الله بن سلامة: الرمي أخذ وإرسال وإصابة وتبليغ، فالذي أثبت الله لنبيه هو الأخذ والإرسال، والذي نفى عنه هو الإصابة والتبليغ، وأثبتهما لنفسه.

حول التولي يوم الزحف والانتصارات الإسلامية الباهرة:

وقوله: ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ﴾ الآية قال الحسن: ليس الفرار من الزحف من الكبائر إلا يوم بدر وفي الملحمة الكبرى التي تأتي آخر الزمان^(١). وقال غيره: هو من الكبائر إذا حضر الإمام ولم يتحيز إلى فئة فأما إذا كان الفرار إلى الإمام، فهو متحيز إلى فئة، وقد قال عمر بن الخطاب حين بلغه قتل أبي عبيد بن مسعود، وما أوقع الفرس بالمسلمين: هلا تحيز إلي أبو عبيد بن مسعود، فإنني فئة لكل مسلم، ورؤي مثل هذا عن النبي ﷺ - أنه قال لأصحابه الذين رجعوا من غزوة مؤتة، ذلك أنهم قالوا: «نحن القراؤون يا رسول الله، فقال:

(١) بل الأمر على إطلاقه في الفرار من الزحف.

ما نزل في الاستفتاح:

ثم قال: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: أي لقول أبي جهل: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يُعرف، فأجبه الغداة. والاستفتاح: الإنصاف في الدعاء.

يقول الله جل ثناؤه: ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾: أي لقریش: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعَذِّبُكُمْ﴾: أي بمثل الوقعة التي أصبناكم بها يوم بدر: ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي أن عددكم وكثرتكم في أنفسكم لن تُغني عنكم شيئاً، وإني مع المؤمنين، أنصرهم على من خالفهم.

ما نزل في حض المسلمين على طاعة الرسول:

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله، وترغمون أنكم منه، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: أي كالمنافقين الذي يُظهرون له الطاعة، ويُسرّون له المعصية ﴿إِنَّ سَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي المنافقون الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم، بُكْمٌ عن الخير، ضَمٌّ عن الحق، لا يعقلون: لا يعرفون ما عليهم في ذلك من الثَّغْمَةِ والتَّباعَةِ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾، أي لأنفذ لهم الذين قالوا بالسنتهم، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ما وفوا لكم بشيء ممّا خرجوا عليه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: أي للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذلّ، وقواكم بها بعد الضعف، ومنّعكم بها من عدوّكم بعد القهر منهم لكم، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ

بل أنتم العكّارون، وأنا فِتْنَتُكُمْ^(١)، وهو حديث مشهور اختصرته، والقدر الذي يحرم معه الفرار الواحد مع الواحد، والواحد مع الاثنين، فإذا كان الواحد للثلاثة، لم يُتَبَّ على الفرار فراره، كان متحيزاً إلى فِئَةٍ أو لم يكن. وذكر أبو الوليد بن رُشد في مقدماته عن بعض الفقهاء، قال: إذا كان المسلمون اثنا عشر ألفاً لم يَجُزْ لهم الفرار من ثلاثة أمثالهم، ولا من أكثر من ذلك، لقوله عليه السلام: «لَنْ تَغْلِبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَةٍ، وَقَدْ كَانَ وَقُوفُ الْوَاحِدِ

(١) أخرجه أبو داود (١٣٧٣) بتحقيقي والترمذي (١٧١٦) وأحمد (١١١/٢) والبيهقي (٧٨/٩) والحميدي (٦٨٧) وأبو نعيم في الحلية (٥٧/٩).

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ أَي لَا تُظْهِرُوا لَهُ مِنَ الْحَقِّ مَا يَرْضَى بِهِ مِنْكُمْ، ثُمَّ تُخَالِفُوهُ فِي السِّرِّ إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هَلَاكٌ لِأَمَانَتِكُمْ، وَخِيَانَةٌ لَأَنْفُسِكُمْ. ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٢﴾: أَي فَضْلاً بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لِيُظْهِرَ اللَّهُ بِهِ حَقَّكُمْ، وَيُطْفِئَ بِهِ بَاطِلَ مَنْ خَالَفَكُمْ.

ما نزل في ذكر نعمة الله على الرسول:

ثم ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، حِينَ مَكَرَ بِهِ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ أَوْ يُنَبِّئُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ ﴿١٣﴾ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿١٤﴾: أَي فَمَكَرْتُ بِهِمْ بِكَيْدِي الْمَتِينِ حَتَّى خَلَصْتُكَ مِنْهُمْ.

ما نزل في غزوة قريش واستفتاحهم:

ثم ذَكَرَ غَزَاةَ قُرَيْشٍ وَاسْتِفْتَاحَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، إِذْ قَالُوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أَي مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ كَمَا أَمْطَرْتَهَا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿أَوْ اثْنَا بَعْدَآبِ أَلِيمٍ﴾ أَي بَعْضُ مَا عَذَّبْتَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَنَا، وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعَذِّبُنَا وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُهُ، وَلَمْ يَعَذِّبْ أُمَّةً وَنَبِيِّهَا مَعَهَا حَتَّى يُخْرِجَهَا عَنْهَا. وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ، يَذْكُرُ جَهَالَتَهُمْ وَغَرَّتَهُمْ وَاسْتِفْتَاحَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، حِينَ نَعَى سُوءَ أَعْمَالِهِمْ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أَي لِقَوْلِهِمْ: إِنَّا نَسْتَغْفِرُ وَمُحَمَّدٌ بَيْنَ أَظْهَرُنَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ وَإِنْ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ كَمَا يَقُولُونَ: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أَي مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَبَدَهُ: أَي أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولِئَاؤُهُ إِلَّا الْغُلَقُونَ﴾ الَّذِينَ يُحَرِّمُونَ حُرْمَتَهُ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ عِنْدَهُ: أَي أَنْتَ وَمَنْ آمَنَ بِكَ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُدْفَعُ بِهَا عَنْهُمْ ﴿إِلَّا مَكَاةً وَتَضْيِيقَةً﴾.

إِلَى الْعَشْرَةِ حَتْمًا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ وَنَسَخَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ الْآيَةَ، كَذَلِكَ زُيِّنَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنْ لَا يَتَّبِعِينَ فِيهِ النَّسْخَ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ خَبَرٌ، وَالْخَبَرُ لَا يَدْخُلُهُ النَّسْخُ، وَقَوْلُهُ: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ثَمَّ حُكْمًا مَنْسُوخًا، وَهُوَ الثُّبُوتُ لِلْعَشْرَةِ، فَإِذَا لِلآيَةِ ظَهَرُ وَبَطْنٌ، فَظَاهَرُهَا خَبَرٌ، وَوَعْدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَغْلِبَ الْعَشْرَةُ الْمِائَةَ، وَيُطَاعَتُهَا وَجُوبُ الثُّبُوتِ لِلْمِائَةِ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ قَوْلُهُ: ﴿حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ فَتَعَلَّقَ النَّسْخُ بِهَذَا الْحُكْمِ الْبَاطِنِ، وَبَقِيَ الْخَبَرُ وَعَدًا حَقًّا قَدْ أَبْصَرَهُ الْمُؤْمِنُونَ - عَيْنَانَا فِي زَمَنِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: المكاء: الصغير. والتصدية: التصفيق. قال عنترة بن عمرو (بن شداد) العبسي:

ولرُبِّ قِزْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مَجْدَلًا تَمْكُؤُ فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ
يعني: صوتُ خروجِ الدم من الطَّعنة، كأنه الصغير. وهذا البيت في قصيدة له.
وقال الطُّرُمَاح بن حَكِيم الطَّائِي:

لها كُلُّما رِيْعَتْ صَدَاةٌ وَرُكْدَةٌ بِمُضْدَانِ أَعْلَى ابْنِي شَمَامِ الْبَوَائِنِ
وهذا البيت في قصيدة له. يعني الأروية، يقول: إذا فزعت قرعت بيدها الصُّفَاةَ ثم ركدت تَسْمَعُ صَدَى قَرْعِهَا بيدها الصُّفَاةَ مِثْلُ التَّصْفِيْقِ: والمُضْدَانِ: الحِرْز. وابنا شَمَام: جبلان.

قال ابن إسحاق: وذلك ما لا يُرضي الله عَزَّ وَجَلَّ ولا يحبه، ولا ما افترض عليهم، ولا ما أمرهم به ﴿فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل.

المدة بين ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ وبدر:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبَيْر، عن أبيه عبَّاد، عن عائشة قالت: ما كان بين نزول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾، وقول الله تعالى فيها: ﴿وَدَّزْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ إلا يسير، حتى أصاب الله قُرَيْشًا بالوقعة يوم بدر.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأنكال: القيود؛ واحدها: نِكل. قال رؤية بن العجاج:

يَكْفِيكَ نِكْلِي بَغْيِي كُلَّ نِكْلٍ

وهذا البيت في أرجوزة له.

عُمَر بن الخطَّاب، وفي بقية خلافة أبي بكر في مُحاربة الروم وفارس بالعراق والشام، ففي تلك الملاحم هَزَمَتِ المِثُونُ الْآلَافَ من المشركين، وقد هَزَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِائَةَ أَلْفٍ حِينَ إِقْبَالِهِ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ وَلَمْ يَبْلُغْ عَسْكَرُهُ خَمْسَةَ أَلْفٍ، بَلْ قَدْ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ فَتُوحِ الشَّامِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ فِي أَلْفٍ فَارِسٍ، وَكَانَ قَدْ أَقْبَلَ مِنَ الْعِرَاقِ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِالشَّامِ، وَكَانَ

ما نزل فيمن عاونوا أبا سفيان :

قال ابن إسحاق: ثم قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان، وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة، فسألوهم أَنْ يَقُوهُمْ بها على حرب رسول الله ﷺ، ففعلوا.

ثم قال: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا﴾ لحربك ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي من قُتل منهم يوم بدر.

الأمر بقتال الكفار :

ثم قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: أي حتى لا يُفْتَنَ مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه شريك، ويُخْلَع ما دونه من الأنداد ﴿فَإِنْ انْتَهَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ الذي أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عددهم وقلة عددكم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

ما نزل في تقسيم الفيء :

ثم أعلمهم مَقَاسِمَ الفيء وحُكْمَه فيه، حين أحله لهم، فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ من الوادي ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ من الوادي إلى مكة ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: أي غير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا لِيَمْنَعُوهَا من غير ميعاد منكم ولا منهم ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم

الرُّومُ في أربعمئة ألف، فلقى منهم خالد مائة ألف ففَضَّ جمعهم وهزمهم، وقد هَزَمَ أهل القَادِسيَّةَ جِيوشَ رُسْتَمَ وقتلوه وكان رُسْتَمَ في أكثر من مائتي ألف، ولم يكن المسلمون في عَشْرِ ذلك العدد وجاؤا معهم بِالْفَيْلَةِ أمثالِ الحُصُونِ عليها الرجالُ ففرت الفيلة، وأطاحت ما عليها، ولم يَزِدْهَا شَيْءٌ دُونَ الْبَلَدِ الذي خرجت منه، وكذلك ما ظهر من فتح الله ونَصْرِهِ على يَدَيِ موسى بن نُصَيْرٍ بِإِفْرِيقِيَّةَ، والأندلس، فقد كان في ذلك أعجبُ الْعَجَبِ، فكان وعدُ الله مفعولاً ونَصْرُهُ للمسلمين ناجزاً، والحمد لله.

ثم بلغكم كثرة عددهم، وقله عددكم ما لقيتموهم ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي ليقضي ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم. ففعل ما أراد من ذلك بلطفه، ثم قال: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآفة والعيبة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

ما نزل في لطف الله بالرسول:

ثم ذكر لطفه به وكيدته له، ثم قال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَلتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فكان ما أراك من ذلك نعمة من نعمه عليهم، شجعهم بها على عدوهم، وكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم، لعلمه بما فيهم.

قال ابن هشام: تُخَوِّف: مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحق ولم أذكرها.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلُّلُكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: أي ليؤلف بينهم على الحرب للثقة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه، من أهل ولايته.

ما نزل في وعظ المسلمين وتعليمهم خطط الحرب:

ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذي ينبغي لهم أن يسيروا به في حربهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ تقاتلونهم في سبيل الله عز وجل: ﴿فَانْبِئُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الذي له بذلتكم أنفسكم، والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾: أي لا تختلفوا فیتفرق أمركم ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي وتذهب حدتكم ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي إني معكم إذا فعلتم ذلك ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾: أي لا تكونوا كآبي جهل وأصحابه، الذين قالوا: لا نرجع حتى نأتي بدرًا فننحر بها الجزر ونسقى بها

وقال النقاش في معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ﴾ معناه: إن يصيروا يغلبوا، وغلبتهم ليس بأن يسلموا كلهم، ولكن من سلم منهم رأى غلبة أهل دينه، وظهورهم على الكفر، ولا يقدح في وعد الله أن يستشهد جملة من الصابرين، وإنما هذا كقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ إلى قوله: ﴿حتى يغطوا الجزية عن يدهم صاغرون﴾ فقد تجز الموعود وغلبوا كما وعدوا. هذا معنى كلامه، والذي قدمناه أبين.

الخمير، وتعزف علينا فيها القيآن، وتسمع العرب: أي لا يكون أمركم رياء، ولا سُمعة، ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة في نضر دينكم، وموازية نبيكم، لا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾.

قال ابن هشام: وقد مضى تفسير هذه الآية.

قال ابن إسحاق: ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر، وما يلقون عند موتهم، ووصفهم بصفتهم، وأخبر نبيه ﷺ عنهم، حتى انتهى إلى أن قال: ﴿فَإِذَا تَفَقَّهْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفْتُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ أي فنكل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون ﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ﴾: أي لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة، وعاجل خلفه في الدنيا. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾: أي إن دعوك إلى السلم على الإسلام فصالحهم عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ إن الله كافيك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

الذين في قلوبهم مرض في بدر:

وفي هذه السورة قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ نزلت في قوم من أهل مكة آمنوا ولم يهاجروا، ثم خرجوا مع المشركين إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين شكوا، وقالوا: غر هؤلاء دينهم، منهم قيس بن الوليد بن المغيرة، وقيس بن الفاكه وجماعة ساهم أبو بكر الثقاش^(١)، وهم الذين قتلوا فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم.

رأي الأخنس وأبي جهل في النبي ﷺ:

وأنخنس يؤمئذ أبي بن شريق بنحو من ثلثمائة من قريش، فسُمي الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن أبي سلمة بن عبد الغزي بن غيرة [وذلك أنه خلا بأبي جهل حين تراءى الجمعان، فقال: أترى أن محمداً يكذب؟ فقال أبو جهل: كيف يكذب على الله، وقد كنا نُسَمِّيه الأمين، لأنه ما كذب قط، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوءة، فأى شيء بقي لنا، فحينئذ

(١) منهم: الحارث بن زمة بن الأسود، والعاص بن منه بن الحجاج، وعلي بن أمية بن خلف. انظر تفسير ابن كثير للآية.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: جنحوا للسُّلم: مالوا إليك للسُّلم. الجنوح: الميل. قال لبيد بن ربيعة:

جُنُوحُ الهَالِكِيَّ عَلَى يَدَيْهِ مُكِبًا يَجْتَلِي نُقَبَ النُّصَالِ

انخنس الأخنسُ بني زُهرة وحشد إبليسَ جميعَ جُنوده، وجاء بنفسه، ونزل جبريل بألفٍ من الملائكة في صُورِ الرجال، فكان في خمسمائة من الملائكة من الميمنة، وميكائيل في خَمسمائة من الملائكة في الميسرة، ووراءهم مَدَدٌ لم يقاتلوا، وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران، وكان إسرافيلُ وَسَطَ الصَّفِّ لا يقاتل، كما يقاتل غيره من الملائكة، وكان الرجلُ يرى المَلَكَ على صورة رجل يعرفه، وهو يُثَبِّتُه ويقول له: ما هُم بِشَيْءٍ، فكَرَّرَ عليهم^(١)، وهذا في معنى قوله سبحانه: ﴿فَتُبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ذكره ابن إسحق في غير رواية ابن هشام، وفي مثل هذا يقول حسان:

مِيكَالُ مَعَكَ وَجِبْرِيلُ كِلَاهِمَا مَدَدٌ لِنَضْرِكَ مِنْ عَزِيزٍ قَادِرٍ

ويقال: كان مع المسلمين يومئذ سَبْعُونَ مِنَ الْجِنِّ، كانوا قد أسلموا^(٢).

مَنْ الْآخَرُونَ؟

وذكر قول الله تعالى: ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ ولم يذكر الآخرين مِنْ هُمْ، وقيل في ذلك أقوالٌ قيل: هم المنافقون، وقيل: هم اليهود وأصح ما في ذلك أنهم الجن، لرواية ابن المُلكِيِّ عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال في آخرين من دونهم قال: هم الجن ثم قال عليه السلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَخْبُلُ أَحَدًا فِي دَارٍ فِيهَا فَرَسٌ عَتِيقٌ»^(٣)، ذكره الحارث في مُسنَّده وأنشد:

جُنُوحُ الهَالِكِيَّ^(٤) عَلَى يَدَيْهِ مَكِبًا يَجْتَلِي نُقَبَ النُّصَالِ

الهَالِكِيَّ: الصَّيْفَلُ. وَنُقَبُ النُّصَالِ: جَرَبُ الحديد، وَصَدْوُهُ، وهو في معنى النُقَب، واحدها نُقْبَةٌ.

(١) تفسير من قَبْلِ السهيلي رحمه الله تعالى ينقصه الدليل «الصحيح».

(٢) انظر التعليق السابق. وقد صُدِّرَ الكلام بقوله: «ويقال». فأحسن.

(٣) أخرجه الحارث في مسنده كما في المطالب العالية لابن حجر (٣٦٣٠). والقرطبي في تفسيره (٣٨/٨). وأورده ابن كثير في تفسيره (٣١٧/٢) وأنكره وقال: لا يصح إسنادُه ولا متنه.

(٤) الهالكِي: الحدَّاد. وهو هنا كما قال رحمه الله تعالى: الصيقل.

وهذا البيت في قصيدة له. والسلم أيضاً: الصلح، وفي كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْآغْلُونَ﴾، وقرأ: ﴿إِلَى السَّلْمِ﴾، وهو ذلك المعنى. قال زهير بن أبي سلمى:

وقد قلتما إن نذكرك السلم واسعاً بمالٍ ومعروف من القول تسلم
وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: وبلغني عن الحسن بن أبي الحسن البصري، أنه كان يقول: ﴿وإن جئحوا للسلم﴾ للإسلام. وفي كتاب الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ وقرأ: ﴿في السلم﴾، وهو الإسلام. قال أمية بن أبي الصلت:

فما أنابوا لسلم حين تُنذِرهم رُسل الإله وما كانوا له عضداً
وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العربُ للدُّو تعملُ مُستطيلة: السلم. قال طرفة بن العبد، أحد بني قيس بن ثعلبة، يصف ناقه له:

لها مرفقان أفتلان كأنما تمرَّ بسلمى دالح مُتشدِّدٍ
وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإنَّ حسبك الله﴾ هو من وراء ذلك. ﴿هو الذي أيدك بنصره﴾ بعد الضعف ﴿وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم﴾ على الهدى الذي بعثك الله به إليهم ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكنَّ الله ألف بينهم﴾ بدينه الذي جمعهم عليه ﴿إنَّه عزيزٌ حكيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: أي لا يقاتلون على نيَّة ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر.

قال ابن إسحق: حدَّثني عبد الله بن أبي نجيح من عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس قال: لما نزلت هذه الآية اشتدَّ على المسلمين، وأعظموا أن يُقاتل عِشْرُونَ مِائَتَيْنِ، ومائة ألفاً، فخفف الله عنهم، فنسخها الآية الأخرى، فقال: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. قال: فكانوا إذا كانوا على الشَّطْر

من عدوهم لم يَنْبَغِ لهم أن يفروا منهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم.

ما نزل في الأسارى والمغانم

قال ابن إسحاق: ثم عاتبه الله تعالى في الأسارى، وأخذ المغانم، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مَغْنَمًا من عدو له.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد أبو جعفر بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتَ بالرُّعب، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا، وأُعْطِيتُ جوامعَ الكَلَمِ، وأُحِلَّتْ لي المغانم ولم تُحِلَّ لنبي كان قبلي، وأُعْطِيتُ الشَّفاعةَ، خمس لم يؤتَهنَّ نبي قبلي».

قال ابن إسحاق: فقال «ما كان لِنَبِيِّ»: أي قبلك «أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى» مِنْ عدوهِ «حَتَّى يُشَخِّنَ فِي الْأَرْضِ» أي يشخن عدوهُ، حَتَّى يَنْفِيهِ مِنَ الْأَرْضِ «تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا»: أي المتاع، الفداء بأخذ الرجال «وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ»: أي قَتْلَهُمْ لظُهُور الدِّينِ الذي يريد إظهاره، والذي تُدْرِكُ بِهِ الْآخِرَةُ «لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمُ فِيهَا

حول غنائم بدر

فصل: وذكر في السورة: «لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ» يعني بإحلال الغنائم لمحمد وأُمَّتِهِ لَمَسَكُمُ فِيهَا أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ، فقال النبي ﷺ -: «لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»^(١)، وقال: «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مَا نَجَا مِنْهُ إِلَّا عُمَرُ»^(٢)، لِأَنَّ عُمَرَ كَانَ قَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِقَتْلِ الْأَسَارَى وَالْإِثْحَانِ فِي الْقَتْلِ، وَأَشَارَ أَبُو بَكْرٍ بِالْإِبْقَاءِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ نَزَلَتِ الْآيَةُ: «فَكُلُّوا مِمَّا عَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا» وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَسَارَى، فَقَالَ: مَاذَا تَرَوْنَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ، اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ بَوَادٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ، فَأَضْرِمْهُ نَارًا، ثُمَّ أَلْقِهِمْ فِيهَا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: قَطَعَ اللَّهُ رَحِمَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَثَرْتُكَ، وَأَصْلُكَ وَقَوْمُكَ تَجَاوَزَ عَنْهُمْ، يَسْتَنْقِذُهُمُ اللَّهُ بِكَ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ الْقَوْلَ مَا قَالَ عُمَرُ، وَمِنْ قَائِلٍ

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٣) وأحمد (٣١/١) والطبري في تاريخه (٤٦/٢) والبيهقي في الكبرى (٦٨/٩).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٤٧/٢) وفي تفسيره (٣٤/١٠).

أَخَذْتُمْ: أي من الأسارى والمغانم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي لولا أنه سبق مني أني لا أعذب إلا بعد التَّهْيِ ولم يَكْ نهاهم، لعذبتكم فيما صنعتكم، ثم أحلها له ولهم رحمةً منه، وعائدة من الرحمن الرحيم. فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

يقول القول ما قال أبو بكر، فخرج النبي ﷺ، فقال: ما قولكم في هذين الرجلين، إنَّ مثلَهُما كمثل إخوة لكم، كانوا قَبْلَكُمْ، قال نوح: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ الْآيَةَ، وقال موسى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ الآية، وقال عيسى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية، وقال إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الآية. وإن الله يَشَدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ، حتى تكون كالْحَجَرِ، وَيُلَيِّنُ قُلُوبَ رِجَالٍ، حتى تكون أَلَيِّنَ مِنَ اللَّبَنِ، ويروى من اللَّيْنِ، وإن بكم عَيْلَةٌ فلا يَقْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَةٍ عُتِقَ. قال عبدُ الله [ابن مسعود]: فقتل: إِلَّا سَهْلَ ابْنِ بَيْضَاءَ، وقد كنت سمعته يذكر الإسلام، قال: فجعلت أنظر إلى السماء متى تقع عليَّ الحِجَارَةُ فقلت: أَقْدَمَ الْقَوْلَ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - إِلَّا سَهْلَ ابْنِ بَيْضَاءَ، ففرحت بذلك^(١)، قال أبو عبيدة: أما أهلُ المعرفة بالمغازي، فإنهم يقولون: إنما هو سَهْلُ ابْنِ بَيْضَاءَ أَخُو سُهَيْلٍ، فأما، سُهَيْلٌ، فكان من المهاجرين، وقد شهد مع رسول الله - ﷺ - بدرًا، ثم إن النبي - ﷺ - لم يَفِدْ بعدها بمالٍ، إنما كان يَمُنُّ أَوْ يُفَادِي أَسِيرًا بِأَسِيرٍ، كذلك قال أبو عُبَيْدٍ: وذلك والله أعلم لقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ يعني الفِدَاءَ بِالْمَالِ، وإن كان قد أحلَّ ذلك وطَّيِّبه، ولكن ما فعله الرسولُ بعد ذلك أَفْضَلَ مِنَ الْمَنْ أَوْ الْمُفَادَاةَ بِالرِّجَالِ، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ﴾ كيف قَدَّمَ الْمَنْ عَلَى الْفِدَاءِ، فلذلك اختاره رسولُ الله ﷺ وقدمه، وأما مذاهبُ الْفُقَهَاءِ فِي هَذَا، فالأَوْرَاعِي وَسُفْيَانُ وَمَالِكٌ يَكْرَهُونَ أَخْذَ الْمَالِ فِي الْأَسِيرِ، لما في ذلك من تقوية العدو بالرجال، واختلفوا في الصغير إذا كان معه أمُّه، فأجاز فِدَاءَهُ بِالْمَالِ أَهْلُ الْعِرَاقِ، واختلف فيه عن مَالِكٍ، وَالصَّحِيحُ مَنَعُهُ، وكان العباسُ عَمَّ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْأَسْرَى، فَقَدَّى نَفْسَهُ، وَقَدَّى ابْنَتِي أَخِيهِ، فقال للنبي ﷺ: لقد تركتني أَنْكَفَفْتُ قُرَيْشًا فَقِيرًا مُغْدِمًا، فقال النبي ﷺ: «أَيْنَ الذَّهَبُ الَّتِي تَرَكْتَهَا عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ وَعَدُّهَا كَذَا وَكَذَا، وَقُلْتَ لَهَا: كَيْتَ وَكَيْتَ، فقال: مَنْ أَعْلَمَكَ بِهَذَا يَا ابْنَ أَخِي؟ فقال: الله، فقال: حديثٌ ما أطلع عليه إِلَّا عَالِمُ الْأَسْرَارِ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٨٤) والبيهقي (٣٢١/٦) وابن أبي شيبة (٣٧٢/١٤) والطبراني (١٧٧/١٠) والطبري في تفسيره (٣٣/١٠) والبيهقي في الدلائل (١٣٤/٣).

ما نزل في التواصل بين المسلمين:

وحضَّ المسلمين على التواصل، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون مَنْ سواهم، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي يُوالِ المؤمنُ المؤمنَ من دون الكافر، وإن كان ذا رحم به ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ أي شبهة في الحق والباطل، وظهور الفساد في الأرض بتولي المؤمن الكافر دون المؤمن.

الله^(١)، فحينئذ أسلم العباس، وكان في الأسرى من يكتب، ولم يكن في الأنصار أحد يُحسن الكتابة فكان منهم مَنْ لا مال له، فيقبل منه أن يُعَلِّمَ عَشْرَةَ مِنَ الْعِلْمَانِ الْكِتَابَةَ، ويخلي سبيله، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غِلْمَةِ الْأَنْصَارِ، وهذه عيون أخبار، وصلتها بما ذكره ابن إسحق في يوم بدر جمعتها من كتب التفاسير والسير ولخصتها.

خيل بدر:

فصل: وذكر ابن إسحق الخيل التي كانت للمسلمين يوم بدر، فذكر بَعْرَجَةَ فَرَسَ الْمُقْدَادِ، وَالْيَغْبُوبَ فَرَسَ الزُّبَيْرِ، وَفَرَسًا لِمُرَيْدِ الْعَتَوِيِّ، ولم يكن لهم يومئذ خيل إلا هذه، وفي فرس الزبير اختلاف، وقد كان للنبي ﷺ خيل بعد هذا اليوم، منها: السَّكْبُ وَاللِّزَازُ وَالْمُرْتَجِزُ وَاللَّخِيفُ، وقد ذكره البخاري من حديث عباس بن سهل عن أبيه، قال: ويقال فيه: اللَّخِيفُ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ، وقال القُتَيْبِيُّ: كَانَ الْمُرْتَجِزُ فَرَسًا اشْتَرَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَعْرَابِيٍّ، ثُمَّ أَنْكَرَ الْأَعْرَابِيُّ أَنْ يَكُونَ بَاعَهُ مِنْهُ، فَشَهِدَ خُرَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ بِالْبَيْعِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «بِمَ تَشْهَدُ؟» قَالَ: أَشْهَدُ بِصَدَقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَجُعِلَتْ شَهَادَتُهُ شَهَادَةً رَجُلَيْنِ، وَالْحَدِيثُ مشهور، غير أن في مُسْنَدِ الْحَارِثِ زيادة فيه، وهي أنه، عليه السلام، ردَّ الْفَرَسَ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ، وقال: لَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَأَصْبَحْتَ مِنَ الْغَدِ شَائِلَةً بِرِجْلِهَا، أَي: قَدْ مَاتَتْ. قال الطبري: وَمِنْ خَيْلِهِ الضَّرِيسُ، وَمُلَاوِخٌ، وَالْوَرْدُ وَهُوَ الَّذِي وَهَبَهُ لِعُمَرَ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ رَجُلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحَدِيثُهُ فِي الْمَوْطَأِ، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الدَّرْعِ: ذَاتُ الْقُضُولِ، وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا: فَضَّةٌ، وَرَايَةُ يُقَالُ لَهَا الْعُقَابُ، وَقَوْسَانِ أَحَدُهُمَا: الصُّفْرَاءُ وَالْأُخْرَى: الزُّورَاءُ وَسَيْفُهُ: ذُو الْفِقَارِ لِفَقَرَاتِ كَانَتْ فِي وَسْطِهِ، وَكَانَ لُنْبِيهِ وَمُنْبَهُ ابْنَتِي الْحِجَابِ سُلْبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَيُقَالُ: إِنْ أَصْلَهُ كَانَ مِنْ حَدِيدَةٍ وَجَدَتْ مَذْفُونَةً عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَصْنِعَ مِنْهَا ذُو

(١) انظر الدر المنثور (٣/٢٠٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٣٨٣) والقرطبي في تفسيره (٨/٥٣).

ثم رَدَّ الموارِث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التي بينهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي بالميراث ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الفَقَار، وَصَمَامَة عَمْرُو بن مَعْدِي كَرَبَ التي وهبها لخالد بن سعيد، وكانت مَشْهُورَة عند العرب، وكان له حَزْبَة يُقال لها: الثَّبَّة، وذكر العَقِيلِي في كتاب الضُعَفَاء جملة من آلاته عليه السلام في حديث أسنده، فمنها الجمع اسم كِنَانَتِهِ، والمدة اسم لمرأة كان ينظر فيها، وقضيب يسمى: المَمْشُوق، وذكر الجَلَمَنِيْن، ونسبت ما قال في اسمه، وأما بغلته دُلْدُل وحماره عُقَيْر، فقد ذكرناهما في كتاب الأعلام، وذكرنا ما كان في أمر الحِمَار من الآيات، وزدنا هنالك في اسْتِقْصَاء هذا الباب، ورأينا أن لا نُخْلِي هذا الكتاب مما ذكرنا هنالك، أو أكثره، وأما دُلْدُل فماتت في زمن معاوية، وهي التي أهداها إليه المَقْوِسُ، وأما الِيعْقُورُ فطَرَحَ نفسه في بئر يوم مات النبي - ﷺ - فمات، وذكر ابن قُورْكَ في كتاب الفصول أنه كان من مغنم خَيْبَر، وأنه كَلَّمَ النبي ﷺ، وقال له: يا رسول الله أنا زِيَادُ بْنُ شِهَابٍ، وقد كان في آبائي سِتُون حِمَارًا كُلُّهُمْ رَكِبَهُ نَبِيٌّ، فاركبني أنت، وزاد الجَوِينِي في كتاب الشامل^(١) أن النبي - ﷺ - كان إذا أراد أحدًا من أصحابه أرسل إليه هذا الحمار، فيذهب حتى يضرب برأسه الباب، فيخرج الرجل، فيعلم أنه قد أرسل إليه، فيأتي النبي ﷺ، وكان له ثُرْسٌ فيما ذكر الطبري فيه تمثال كَرَأْس الكَبْشِ وكان يكرهه فيه، فأصبح ذات يوم قد انمحي، ولم يبق منه أثر، وأما رُدَاوُه عليه السلام، فكان يقال له: الحَضْرِمِي، وبه كان يشهد العيدين، كان طوله أَرْبَع أَذْرُع وعرضه ذراعان وشِبْرٌ، وكان له جَفَنَة عظيمة يُقال لها الغَرَاء يحملها أربعة رجال جرى ذكرها في حديث خَرَجَه أَبُو داود، فهذه جُمْلَة تَشْرِيْبٌ إلى معرفتها أنفُسُ الطالبين، وترتاح بالمذاكرة بها قلوب المتأدبين، وكُلُّ ما كان من باب المعرفة بنبينا عليه السلام، ومتصلًا بأخبار سيرته مما يُؤْنِقُ الأسماعَ، ويَهْزِ بِأرواح المحبة الطباع، والحمد لله على ما علم من ذلك^(٢).

(١) انظر الشامل (١٧٨/٢).

(٢) انظر مزيد بيان «زاد المعاد» لابن القيم (٦٧/١).

من شهد بدرًا من المسلمين

من بني هاشم والمطلب:

قال ابن إسحاق: وهذ تسمية من شهد بدرًا من المسلمين، ثم من (قريش، ثم من) بني هاشم بن عبد مناف وبني المطلب بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

محمد رسول الله ﷺ سيد المرسلين، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم؛ وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أسدُ الله وأسدُ رسوله، عم رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم؛ وزيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكَلبي، أنعم الله عليه ورسولُه ﷺ.

قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن الثعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن ربيعة بن ثور بن كعب بن وبرة.

قال ابن إسحاق: وأنسَه مولى رسول الله ﷺ، وأبو كَبْشة مولى رسول الله ﷺ.

تسمية من شهد بدرًا^(١)

قد تقدم التعريف بكثير منهم، ومن غيرهم مِمَّن جرى ذكره في السيرة والتنبيه إلى ما تَشَوُّف إليه نفس الطالب من هذا الفن وسائرهم قد نسبته ابن إسحاق وابن هشام في هذا

(١) انظر المنتظم (١٢٧/٣) البداية والنهاية (٣/٣١٥) جوامع السيرة النبوية لابن حزم (١٤٨) الواقدي في المغازي (١٥١) تلقيح الفهوم لابن الجوزي (٢/٢) وابن سعد (١/١/٣) والبخاري (٨٧/٦).

قال ابن هشام: أنس: حبشي، وأبو كبشة: فارسي.

قال ابن إسحاق وأبو مَرْثِدٍ كَنَازُ بْنُ حِصْنِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ خَرْشَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ جِلَازِ بْنِ عَثْمِ بْنِ غَنِيٍّ بْنِ يَعْصَرَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ.

قال ابن هشام: كَنَازُ بْنُ حُصَيْنٍ.

قال ابن إسحاق: وابنه مَرْثِدُ بْنُ أَبِي مَرْثِدٍ، خَلِيفَا حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ وَغُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ؛ وَأَخَوَاهُ الطُّفَيْلُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْحُصَيْنُ بْنُ الْحَارِثِ؛ وَمِسْطَحٌ، وَاسْمُهُ: عَوْفُ بْنُ أَثَّانَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ. اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا.

من بني عبد شمس:

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تخلف على امرأته رُقَيْيَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمِهِ، قَالَ: وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَأَجْرُكَ؛ وَأَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ؛ وَاسَالِمٌ، مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ.

قال ابن هشام: واسم أبي حذيفة مهشم.

نسب سالم:

قال ابن هشام: وسالم، سائبة لثبيته بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، سبيته فانقطع إلى أبي حذيفة فتبناه، ويقال: كانت ثبيته بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة، فأعتقت سالمًا سائبة، فقيس: سالم مولى أبي حذيفة.

قال ابن إسحاق: وزعموا أن صبيحًا مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس تجهز للخروج مع رسول الله ﷺ، ثم مرض، فحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

الباب، ونسبنا نحن فيما تقدم طائفة لم ينسبهم ابن إسحاق في هذا الباب، منهم: أبو الهيثم [مالك] بن التَّيْهَانِ تقدم التعريف به في بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ وأنه من بني إرَاش في قول ابن إسحاق، وقال ابن هشام: إِرَاشَةُ.

من حلفاء بني عبد شمس:

وشهد بدرًا من حلفاء بني عبد شمس، ثم من بني أسد بن خزيمة: عبد الله بن جحش بن رثاب بن يغمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد؛ وعكاشة بن مخصن بن حزنان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد؛ وشجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن ضهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وأخوه عتبة بن وهب؛ ويزيد بن رقيش بن رثاب بن يغمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد؛ وأبو سنان بن مخصن بن حزنان بن قيس، أخو عكاشة بن مخصن؛ وابنه سنان بن أبي سنان، ومخرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وربيعه بن أكتم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد.

من حلفاء بني كبير:

ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد: ثقف بن عمرو، وأخواه: مالك بن عمرو، ومذلاج بن عمرو.

قال ابن هشام: مذلاج بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وهم من بني حخر، آل بني سليم. وأبو مخشي، حليف لهم. ستة عشر رجلًا.

قال ابن هشام: أبو مخشي طائي، واسمه: سويد بن مخشي.

من بني نوفل:

قال ابن إسحاق: ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن عذوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان: وحباب، مولى عتبة بن عذوان - رجلان.

وذكر في بني الحارث بن فهر عياض بن أبي زهير، هكذا ألقبته في نسخة الشيخ أبي بحر وغيرها من النسخ الصحاح، وهو وهم، والصواب: عياض بن زهير، وليس الوهم في ابن إسحاق، لأنه قد ذكره في المهاجرين إلى الحبشة، فقال فيه ابن زهير على الصواب، وكذا قال في ابن أخيه عمرو بن الحارث بن زهير، وغنم بن زهير والد عياض بن غنم صاحب الفتوحات الذي يقول فيه ابن الرقيات:

وعياض وما عياض بن غنم كان من خير من تجن النساء

من بني أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصى: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد؛ وحاطب بن أبي بلتعة، وسعد مولى حاطب. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: حاطب بن أبي بلتعة، واسم أبي بلتعة: عمرو، لخمى، وسعد مولى حاطب، كليي.

من بني عبد الدار:

قال ابن إسحق: ومن بني عبد الدار بن قصى: مضعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، وسويط بن سعد بن خزيمة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصى. رجلان.

من بني زهرة:

ومن بني زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة؛ وسعد بن أبي وقاص - وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة. وأخوه عمير بن أبي وقاص.

ومن خلفائهم: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن قائش بن دزيم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاة. قال ابن هشام: ويقال: هزل بن قاس بن دز - ودهير بن ثور.

قال ابن إسحق: وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمع بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة، من القارة.

قال ابن هشام: القارة: لقب لهم. ويقال:

قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا

وكانوا رماة.

والحارث بن زهير والد عمرو بن الحارث بن زهير، وقد ذكر ابن إسحق عمرو بن الحارث أيضاً؛ فقال فيه: ابن زهير لا ابن أبي زهير والحمد لله.

قال ابن إسحاق: وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة بن غنشان بن سليم بن ملكان بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، من خزاعة.

قال ابن هشام: وإنما قيل له: ذو الشمالين، لأنه كان أعسر، واسمه عُمير.

قال ابن إسحاق: وخَبَّاب بن الأرت، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: خباب بن الأرت، من بني تميم، وله عقب، وهم بالكوفة؛ ويقال: خَبَّاب من خزاعة.

من بني تيم:

قال ابن إسحاق: ومن بني تيم بن مُرة: أبو بكر الصديق، واسمه عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم.

قال ابن هشام: اسم أبي بكر: عبد الله، وعتيق: لقب، لحسن وجهه وعثقه.

قال ابن إسحاق: وبلال، مولى أبي بكر - وبلال مولد من مولدي بني جُمح، اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف، وهو بلال بن رباح، لا عقب له - وعامر بن فُهيرة.

قال ابن هشام: عامر بن فُهيرة، مولد من مولدي الأسد، أسود، اشتراه أبو بكر منهم.

قال ابن إسحاق: وصُهيب بن سنان، من الثمر بن قاسط.

نسب النمر:

قال ابن هشام: النمر: بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار؛ ويقال: أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: صُهيب، مولى عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، ويقال: إنه

وذكر ابن إسحاق في البدرين عاصم بن عدي لم يشدها، لأن رسول الله ﷺ رَدَّه من الرُّوحاء لسبب ذكره موسى بن عُقبة وغيره، وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه شيء عن أهل مسجد الضَّرَارِ، وكان قد استخلفه على قُبَاءِ والعالية، فردَّه لينظر في ذلك، وضرب له بسهميه مع أهل بدر، وعاصم هو المذكور في حديث اللّعان الذي يقال له: عُوَيْمَرُ الْعَجْلَانِيُّ وهو عُوَيْمَرُ بْنُ أَبِيصَرٍ، ويقال فيه: ابن أشقر: سَلِ لِي يَا عَاصِمُ عن ذلك رسول الله ﷺ ثَوَفِي سَنَةَ خَمْسٍ وأربعين، وهو ابن عشرين ومائة يُكنى أبا عمرو، وقيل: أبا عَبْدِ الله.

رُومِي. فقال بعض من ذكر إنه من الثَّمر بن قاسط: إنما كان أسيرًا في الروم فاشترى منهم. وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «صُهِيبَ سَابِقُ الرُّومِ»^(١).

قال ابن إسحاق: وطلحة بن عُبَيْد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم، كان بالشَّام، فَقَدِمَ بعد أن رجع رسولُ الله ﷺ من بدر، فكلَّمه، فضرب له بَسْهَمَه، فقال: وأَجْرِي يا رسولَ الله؟ قال: وأَجْرُكَ. خمسة نفر.

من بني مخزوم:

قال ابن إسحاق: ومن بني مَخْزُوم بن يَقْظَة بن مُرَّة: أَبُو سَلَمَة بن عبد الأسد، واسمُ أَبِي سَلَمَة عبدُ الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم؛ وشماس بن عثمان بن الشَّرِيد بن سُؤيد بن هَزْمِي بن عامر بن مخزوم.

سبب تسمية الشَّمَّاس:

قال ابن هشام: واسم شَمَّاس: عثمان، وإنما سَمِيَ شَمَّاسًا، لأنَّ شَمَّاسًا من الشَّمَّامسة قَدِمَ مكة في الجاهليَّة، وكان جميلًا، فَعَجِبَ النَّاسُ من جَماله. فقال عُتْبَة بن ربيعة، وكان خَالَ شَمَّاس: ها أنا آتيكم بشَمَّاس أحسن منه، فأتى بابن أخته عثمان بن عثمان فسمي شَمَّاسًا، فيما ذكر ابنُ شِهَاب الزهري وغيره.

قال ابن إسحاق: والأَرْقَمُ بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم: عبد مناف بن أسد، وكان أسد يُكْنَى: أبا جُنْدَب بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم؛ وعَمَّار بن ياسر.

قال ابن هشام: عَمَّار بن ياسر، عَنَسِيّ، من مَذْحِج.

قال ابن إسحاق: ومُعْتَب بن عَوْف بن عامر بن الفضل بن عَفِيف بن كَلْبِ بن حُبْشِيَّة ابن سَلُول بن كَعْب بن عمرو، حليف، لهم من خُزاعة، وهو الذي يُدعى: عَيْهَامَة، خمسة نفر.

قصة خَوَات:

وذكر ابن إسحاق فيمن رَدَّه النبي ﷺ - يوم بدر، وَضَرَبَ له بَسْهَمَه خَوَات بن جُبَيْر، رَدَّه من الصُّفراء، وسبب ذلك - فيما ذكر ابن عقبة أن حَجَرًا أصابه في رِجله فَوَرِمَتْ عليه،

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٦١/١/٣) وابن عساكر في تهذيبه (٦٠٩/٣) (٤٠٠/٦) والطبري في تفسيره (٦٦/٢٢).

من بني عدي وحلفائهم:

ومن بني عديّ بن كعب: عمرُ بن الخطّاب بن نُقيل بن عبد العُزّي بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رِزّاح بن عديّ؛ وأخوه زيد بن الخطّاب؛ ومهجع، مولى عمر بن الخطّاب، من أهل اليمن، وكان أوّل قتيل من المسلمين بين الصّفين يوم بدر، رُمي بسهم.

قال ابن هشام: مهجع، من عك بن عدنان.

قال ابن إسحق: وعمر بن سُراقَة بن المُعْتَمِر بن أنس بن أذاة بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رِزّاح بن عديّ بن كعب؛ وأخوه عبد الله بن سُراقَة، وواقد بن عبد الله بن عبد مَناف بن عَرِين بن ثُعْلَبَة بن يَزْبوع بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، حليف لهم، وخولّي بن أبي خولّي ومالك بن أبي خولّي، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خولّي، من بني عجل بن لَجِمْ بن صُغْب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحق: وعامر بن ربيعة، حليف آل الخطّاب، من عنز بن وائل.

قال ابن هشام: عنز بن وائل: بن قاسط بن هُثب بن أفضى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أفضى: بن دُعْمَي بن جديلة.

قال ابن إسحق: وعامر بن البُكَيْر بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة، من بني سعد بن ليث؛ وعافل بن البُكَيْر؛ وخالد بن البُكَيْر، وإياس بن البُكَيْر، حلفاء بني عديّ بن كعب؛ وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُقيل بن عبد العُزّي بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رِزّاح بن عديّ بن كعب، قدّم من الشّام بعدما قدّم رسولُ الله ﷺ من بدر، فكلّمه، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه؛ قال: وأجري يا رسول الله؟ قال: وأجرك. أربعة عشر رجلاً.

واغتلت، فردّه النبي ﷺ - لذلك، وهو صاحبُ حَوْلَة ذات النّخيين في الجاهلية، وهي امرأة من بني تميم الله بن ثُعْلَبَة بن عُكّابة بن صُغْب بن عليّ بن بكر بن وائل، ويروى أن النبي ﷺ - سأله عنها وبَسَمَ فقال: يا رسول الله قد رَزَقَ الله خيراً، وأعوذ بالله من الحورِ بعد الكور^(١)، ويروى أنه قال له: ما فعل بعيرك الشّارد؟ فقال: قَيْدَه الإسلامُ يا رسول الله،

(١) يعني: من النقصان بعد الزيادة.

من بني جُمح وحلفائهم:

ومن بني جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب: عثمان بن مَظْعون بن حَبِيب بن وهب بن حُذافة بن جُمح؛ وابنه السائب بن عثمان؛ وأخواه قُدامة بن مَظْعون؛ وعبدُ الله بن مَظْعون؛ ومَعمر بن الحارث بن مَعمر بن حَبِيب بن وهب بن حُذافة بن جُمح. خمسة نفر.

ومن بني سَهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن حُنَيْس بن حُذافة بن قَيْس بن عدي بن سَعْد بن سَهم. رجل.

من بني عامر:

قال ابن إسحاق: من بني عامر بن لُؤَيٍّ: ثم من بني مالك بن حِسل بن عامر: أبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العُزَي بن أبي قَيْس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسل بن عبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزَي بن أبي قَيْس بن عبد وُد بن نصر بن مالك؛ وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسل - كَأَن خَرَجَ مع أبيه سُهَيْل بن عمرو، فلما نزل الناسُ بَدْرًا فرَّ إلى رسول الله ﷺ، فشَهِدَهُ معه - وعُمَيْر بن عَوْف، مولى سُهَيْل بن عمرو؛ وسعد بن خَوْلَة، حليف لهم. خمسة نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خَوْلَة، من اليمَن.

من بني الحارث:

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فِهْر: أبو عُبَيْدة بن الجَرَّاح، وهو عامر بن الله بن الجَرَّاح بن هلال بن أَهْيَب بن ضَبَّة بن الحارث وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبي شَدَاد بن ربيعة بن هلال بن أَهْيَب بن ضَبَّة بن الحارث؛ وسُهَيْل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أبي أَهْيَب بن ضَبَّة بن الحارث؛ وأخوه صَفْوَان بن وهب، وهما ابنا بِيضَاء؛ وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أَهْيَب بن ضَبَّة بن الحارث. خمسة نفر.

وقيل: معنى قوله: بعيرك الشارد: أنه مَرَّ في الجاهلية بِنِسْوَة أعجبه حُسْنُهن، فسألَهن أَن يَفْتِلَنَ لَهُ قَيْدًا لِبَعِيرٍ لَهُ، زعم أَنه شارد، وجلس إليهن بهذه العِلَّة، فَمَرَّ به النبي ﷺ - وهو يتحدَّث إليهن، فأعرض عنه وعنهن، فلما أسلم سألَهُ عن ذلك البعير الشارد، وهو يَتَّبِعُ لَهُ، فقال خَوَات: قَيْدَهُ الإسلامُ يا رسولَ الله، قال الواقدي: يُكْنَى أبا صالح، وَرَوَى الثَّمَرِيُّ فِي

عدد مَن شهد بدرًا من المهاجرين :

فجميع من شهد بدرًا من المهاجرين، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، ثلاثة وثمانون رجلاً.

قال ابن هشام: كثير من أهل العلم، غير ابن إسحق، يذكرون في المهاجرين بيدر، في بني عامر بن لؤي: وهب بن سعد بن أبي سرح، وحاطب بن عمرو؛ وفي بني الحارث بن فهر: عياض بن أبي زهير.

الأنصار ومن معهم من بني عبد الأشهل :

قال ابن إسحق: وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ من المسلمين ثم من الأنصار، ثم من الأوس بن حارث بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل؛ وعمرو بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أنس بن رافع بن امرئ القيس.

من بني عبيد بن كعب وحلفائهم :

ومن بني عبيد بن كعب بن عبد الأشهل: سعد بن زيد بن مالك بن عبيد. ومن بني زُعوراء بن عبد الأشهل - قال ابن هشام: ويقال: زُعوراء - سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة، وعباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زُعوراء، وسلمة بن ثابت بن وقش، ورافع بن يزيد بن كُرْز بن سَكَن بن زُعوراء، والحارث بن خزيمة بن عدي بن أبي بن عثم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لهم من بني عوف بن الخزرج ومحمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بني حارثة بن الحارث، وسلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة بن الحارث.

قال ابن هشام: أسلم بن حريش بن عدي.

قال ابن إسحق: وأبو الهيثم بن التيهان، وعبيد بن التيهان.

حديث مُسْنَد إلى خَوَات أن عُمَرَ بن الخطَّاب، كُتِبَ: أبا عبد الله، وذلك أنه كان معه في رَكْب، فقال له: الرُّكْبُ عَنَّا من شِعْرِ ضِرَارٍ، فقال عمر: دعوا أبا عبد الله يغنينا بُنَيَاتُ فُؤَادِهِ قال: فأنشدهم حَتَّى السَّحَر، فقال عمر: ازْفَع لِسَانُكَ يَا أبا عبد الله فَقَدْ آسَحَرْنَا.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التَّيهان.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن سهل. خمسة عشر رجلاً.

قال ابن هشام: عبدُ الله بن سهل: أخو بني زَعُوراء؛ ويقال: من غَسَّان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظَفَر، ثم من بني سَوَاد بن كَعْب، وكعب: هو ظَفَر.
- قال ابن هشام: ظَفَر: بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوس: قتادة بن النُّعْمان بن زيد بن عامر بن سَوَاد؛ وعُبَيْد بن أَوْس بن مالك بن سَوَاد، رجُلان.

سبب تسمية عبيد بمقرن:

قال ابن هشام: عُبَيْد بن أَوْس الذي يُقال له: مقرن، لأنه قَرَن أربعة أسرى في يوم بدر. وهو الذي أسر عَقِيل بن أَبِي طالب يومئذ.

من بني عبد بن رزاح وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني عَبد بن رَزَاح بن كعب: نَضْرُ بن الحارث بن عبد؛ ومعتَب بن عبد.

ومن حلفائهم، من بلي: عبدُ الله بن طارق. ثلاثة نفر.

من بني حارثة:

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مسعود بن سَعْد بن عامر بن عدي بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: مسعود بن عبد سعد.

قال ابن إسحاق: وأبو عَبَس بن جَبْرِ بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

ومن حلفائهم، ثم من بلي: أبو بُردة بن نيار، واسمه: هانيء بن نيار بن عمرو بن عُبَيْد بن كلاب بن ذُهْمان بن عَنَم بن دُبَيان بن هَمِيم بن كاهل بن دُهل بن هُتَي بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. ثلاثة نفر.

نسب النعمان بن عَصَر:

وذكر النُّعْمان بن عَصَر، ولم ينسبه، وهو ابن عَصَر ابن الرُّبَيْع بن الحارث بن أديم البلَوِي، وقيل: عَصَر بن عُبَيْد بن وائلة بن حارثة البلَوِي، قتل باليمامة.

من بني عمرو:

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني ضُبَيْعَة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: عاصم بن ثابت بن قَيْس، وقيس أبو الأفلح بن عِصْمَة بن مالك بن أَمَة بن ضُبَيْعَة - ومعتب بن قُشَيْر بن مُلَيْل بن زيد بن العَطَاف بن ضُبَيْعَة؛ وأبو مُلَيْل بن الأزعر بن زيد بن العَطَاف بن ضُبَيْعَة، وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العَطَاف بن ضُبَيْعَة.

قال ابن هشام: عُمَيْر بن مَعْبِد.

قال ابن إسحاق: وسهل بن حنيف بن واهب بن الحكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث: بن عمرو، وعمرو الذي يقال له: بخرج بن حَنْس بن عوف بن عمرو بن عوف. خمسة نفر.

من بني أمية:

ومن بني أُمَيَّة بن زيد بن مالك: مُبَشَّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أُمَيَّة، ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر، وسعد بن عُبَيْد بن التُّعْمَان بن قَيْس بن عمرو بن زيد بن أُمَيَّة: وعُويْم بن ساعدة، ورافع ابن عُنْجَدَة - وعُنْجَدَة أُمُه، وفيما قال ابن هشام - وعُبَيْد بن أَبِي عُبَيْد، وثعلبة بن حاطب.

وزعموا أن أبا لُبَابَة بن عبد المنذر، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله ﷺ فرجعهما، وأمر أبا لُبَابَة على المدينة، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر. تسعة نفر. قال ابن هشام: ردّهما من الرّوحاء.

قال ابن هشام: وحاطب بن عمرو بن عُبَيْد بن أُمَيَّة، واسم أبي لُبَابَة: بَشِير.

من بني عبيد وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبَيْد بن زيد بن مالك: أُنَيْس بن قَتَادَة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عُبَيْد.

تصويب أنساب:

وذكر في نسب زيد بن وِدِيعَة جَزْء بن عَدِيّ.

وذكر أبو بَخْرٍ أنه قَيْدُه عن أبي الوليد جَزْء بسكون الزاي، وأنه لم يجده عن غيره إلا بكسر الزاي.

ومن خُلَفائهم من بلي: مَعْن بن عديّ بن الجَدّ بن العَجَلان بن ضُبَيْعة وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عديّ بن العَجَلان، وعبد الله بن سَلَمَة بن مالك بن الحارث بن عديّ بن العَجَلان، وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عديّ بن العَجَلان؛ ورُبَيْع بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجَدّ بن العَجَلان. وخرج عاصم بن عديّ بن الجَدّ بن العَجَلان، فردّه رسول الله ﷺ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر. سبعة نفر.

من بني ثعلبة:

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: عبد الله بن جُبَيْر بن النُعمان بن أُمَيَّة بن البرَك - واسم البرَك: امرؤ القيس بن ثعلبة - وعاصم بن قَيْس.

قال ابن هشام: عاصم بن قَيْس: بن ثابت بن النُعمان بن أُمَيَّة بن امرئ القيس بن ثعلبة.

قال ابن إسحق: وأبو ضَيَّاح بن ثابت بن النُعمان بن أُمَيَّة بن امرئ القيس بن ثعلبة؛ وأبو حَتَّة.

قال ابن هشام: وهو أخو أبي ضَيَّاح، ويقال: أبو حَيَّة. ويقال لامرئ القيس: البرَك بن ثعلبة.

قال ابن إسحق: وسالم بن عُمير بن ثابت بن النُعمان بن أُمَيَّة بن امرئ القيس بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: ثابت: بن عمرو بن ثعلبة.

قال ابن إسحق: والحارث بن النُعمان بن أُمَيَّة بن امرئ القيس بن ثعلبة وخَوَات بن جُبَيْر بن النُعمان، ضرب له رسول الله - ﷺ - بسهم مع أصحاب بدر. سبعة نفر.

وذكر رافع ابن عُنْجَدَة، وقال: هي أمه، ولم يذكر أباه، واسمه: عَبْدُ الحارث، والعُنْجَدَة حَبّ الزَّيْب، ويقال: هو الزَّيْب، وأما عَجْمُ الزَّيْب، فهو الْفِرْصِدُ [أو الْفِرْصِدُ أو الْفِرْصَادُ] قاله أبو حنيفة.

وذكر كَعْب بن جَمَّازٍ بالجيم والزاي، كما قال ابن هشام، لا كما قال ابن إسحق، فإن أهل النسب على ما قال ابن هشام، غير أن الدَّارَقُطْنِي قَيَّدَ فيه روايةً ثالثة: ابن حِمَّان بنون وحاء مكسورة.

من بني جحجبي وحلفائهم:

ومن بني جَحْجَبِي بن كُلفَة بن عَوْف بن عمرو بن عوف: منذر بن محمد بن عُبَبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جَحْجَبِي بن كلفة.

قال ابن هشام: ويقال: الحريس بن جَحْجَبِي.

قال ابن إسحاق: ومن حلفائهم من بني أُثَيْف: أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُثَيْف بن جُشَم بن عبد الله بن تَيْم بن إراش بن عامر بن عُمَيْلة بن قَسْمِيل بن فَرَّان بن بَلِي بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. رجлан.

قال ابن هشام: ويقال تميم بن إراشة، وقسميل بن فازان.

من بني غنم:

وقال ابن إسحاق: ومن بني غَنَم بن السُّلَم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس سعد بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنَم؛ ومُنذر بن قُدَّامة بن عَرْفَجة؛ ومالك بن قُدَّامة بن عَرْفَجة.

قال ابن هشام: عرفجة: بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنَم.

قال ابن إسحاق: والهارث بن عَرْفَجة؛ وتميم، مولى بني غنم. خمسة نفر.

قال ابن هشام: تميم: مولى سَعْد بن خَيْثمة.

من بني معاوية وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: جَبْرِ بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة بن الحارث بن أُمَيَّة بن معاوية؛ ومالك بن ثُمَيْلة، حليف لهم من مُزينة، والثُّعْمان بن عَصْر، حليف لهم من بَلِي. ثلاثة نفر.

وذكر فيهم أبا حُمَيْصَةَ، واسمه: مَعْبُد بن عَبَّاد: قال أبو عَمْرٍو: كذا قَيْدُهُ إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق، وغيره يقول فيه عن ابن إسحاق يقول فيه: أبو حُمَيْصَةَ بخاء منقوطة وصاد مهملة.

وذكر في البَلَوِيِّين أبا عقيل، ولم يُسَمَّه وكان اسمه في الجاهلية عَبْدَ العُزَّى، فسماه النبي ﷺ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَدُوَّ الأوثان ابن عبد الله بن ثُعْلَبَةَ قُتِلَ باليمامة.

عدد من شهد بدرًا من الأوس :

فجميع من شهد بدرًا من الأوس مع رسول الله ﷺ ومن ضُرب له بسهمه وأجره،
أحد وستون رجلًا.

من بني امرئ القيس :

قال ابن إسحق: وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ من المسلمين، ثم من الأنصار، ثم
من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني الحارث بن الخزرج، ثم
من بني امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج:
خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس، وسعد بن زبيح بن عمرو بن
أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس، وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن
عمرو بن امرئ القيس، وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ
القيس، أربعة نفر.

من بني زيد :

ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.
بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاص بن زيد - قال ابن هشام: ويقال: جلاس، وهو عندنا
خطأ - وأخوه سمالك بن سعد. رجлан.

من بني عدي :

ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: سبيع بن قيس
عَيْشَة بن أُمَيَّة بن مالك بن عامر بن عدي، وعبد بن قيس بن عَيْشَة أخوه.

قال ابن هشام: ويقال: قيس: بن عَبْسَة بن أُمَيَّة.

قال ابن إسحق: وعبد الله بن عَبْس. ثلاثة نفر.

صاحب الصاع :

وأما أبو عقيل صاحب الصاع الذي لَمَزَهُ المنافقون، فاسمه حِثْحَاتٌ، وفيه أَنْزَلَتْ:
﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) وذلك أنه جاء بصاع من تَمَرٍ فَوَضَعَهُ فِي الْعَرَقَةِ
حِينَ حَتَّ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَضَحِكَ مِنْهُ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا: إِنْ اللَّهُ لَغَنِيٌّ
عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ.

(١) سورة التوبة آية رقم (٧٩).

من بني أحمر:

ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر، وهو الذي يُقال له: ابن فُسْحَم رجل. قال ابن هشام: فُسْحَم أمه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر.

من بني جشم:

قال ابن إسحاق: ومن بني جُشَم بن الحارث بن الخزرج، وزيد بن الحارث بن الخزرج، وهما التوأمان: حُبَيْب بن إِسَاف بن عِتَبَة بن عمرو بن خَدِيج بن عامر بن جُشَم، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه بن زيد، وأخوه حُرَيْث بن زيد بن ثعلبة، زعموا، وسُفْيَان بن بَشْر. أربعة نفر.

قال ابن هشام: سُفْيَان بن نَسْر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد.

من بني جدارة

قال ابن إسحاق: ومن بني جِدَارَة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: تَمِيم بن يَعَار بن قَيْس بن عدي بن أُمَيَّة بن جِدَارَة، وعبد الله بن عُمَيْر من بني حارثة.

قريوش أو قريوس:

وقع في أنساب البَذَرِيِّين ابن قَرْيُوش بكسر القاف والشين المنقوطة وقال ابن هشام: قريوس بالسین المهملة، كذا قيده أبو الوليد، وفي أكثر الروايات قَرْيُوس بفتح القاف والباء المضمومة المنقوطة بواحدة، قَرْيُوش: فَعْيُول من التَّقْرِش، وهو التَّكْسُب، وبالسین فَعْيُول من القَرْس، وهو البرد، وقَرْيُوش بالسین المنقوطة أصح فيه لأنه من التَّقْرِش وهو التَّكْسُب، كما سُمِّيَتْ قَرْيُوشُ به، قاله قُطْرُب. ومِمَّنْ لم يَشْهَدْ بَدْرًا لَعُدْرٍ، وهو من الثَّقَبَاءِ سَعْدُ بن عُبَادَة سَيِّد الخَزْرَجِ لأنه نَهَشْتَهُ حَيَّةً، فلم يستطع الخروج، هذا قول القَتَيْبِيِّ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ولا ابن عتبة، وقد ذكرته طائفة فيهم: ابن الكلبي وجماعة.

وذكر أبا الضَّيَّاحِ واسمه الثُّعْمَان، وقيل: عُمَيْر بن ثابت بن الثُّعْمَان، قَتِلَ يوم خَيْبَر.

جدارة أو خدارة

وذكر في بني النَجَّار من ينسب إلى جِدَارَة بن الحارث، وجِدَارَة أخو خُدْرَة رهط أبي سعيد الخُدْرِيِّ، وغير ابن إسحاق يقول في جِدَارَة خُدَارَة بالخاء المضمومة، قاله ابن

قال ابن هشام: ويقال: عبد الله بن عُمَيْر بن عَدِي بن أُمَيَّة بن جِدَارَة.

قال ابن إسحاق: وزيد بن الْمُزَيْن بن قيس بن عَدِي بن أُمَيَّة بن جِدَارَة.

قال ابن هشام: زيد بن الْمُرَي.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن عُرْفُطَة بن عَدِي بن أُمَيَّة بن جِدَارَة. أربعة نفر.

من بني الأبحر:

ومن بني الأبحر، وهم بنو خُذْرَة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عبَّاد بن الأبحر. رجل.

من بني عوف:

ومن بني عَوْف بن الخزرج، ثم من بني عَبِيد بن مالك بن سالم بن عَنَم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحُبَلَى - قال ابن هشام: الحُبَلَى: سالم بن عَنَم بن عوف، وإنما سمي الحُبَلَى، لِعَظَم بطنه: عبدُ الله بن عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبِيد (المشهور بابن سَلُول)، وإنما سَلُول امرأة، وهي أم أبي: وأوس بن خَوْلِي بن عبد الله بن الحارث بن عبِيد. رجلان.

من بني جزء وحلفائهم:

ومن بني جَزْء بن عَدِي بن مالك بن سالم بن عَنَم: زيد بن وَدِيعَة بن عمرو بن قَيْس بن جَزْء؛ وَعُقْبَة بن وَهَب بن كَلْدَة، حليف لهم من بني عبد الله بن عَطْفَان؛ ورفاعة بن عمرو بن زَيْد بن عمرو بن ثَعْلَبَة بن مالك بن سالم بن عَنَم؛ وعامر بن سَلَمَة بن عامر، حليف لهم من أهل اليمن. قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن سلمة وهو من بَلِي، من قُضاعة.

قال ابن إسحاق: وأبو حُمَيْصَة مَعْبِد بن عبَّاد بن قُشَيْر بن المُقَدَّم بن سالم بن عَنَم.

ذُرَيْد^(١)، وكذلك قيده التَّمَرِي، فهما خُذْرَة وخُذَارَة ابنا الحارث بالخاء المنقوطة، وقاله ابن هشام بالخاء المهملة، كذلك قال أبو عمر، وقيده الشيخ أبو بَحر عن أبي الوليد فقال ابن هشام.

(١) انظر الاشتقاق لابن دريد (٤٥٥).

قال ابن هشام: مَعْبِد بن عباد بن قشير بن المقدم، ويقال: عُبَادَة بن قيس بن القُدَم.

وقال ابن إسحاق: وعامر بن البُكَيْر، حليف لهم. ستة نفر.

قال ابن هشام: عامر بن العُكَيْر، ويقال: عاصم بن العُكَيْر.

من بني سالم:

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخَزْرَج، ثم من بني العَجْلان بن زَيْد بن غَنَم بن سالم: نوفل بن عبد الله بن نَضْلَة بن مالك بن العجلان بن العجلان. رجل.

من بني أضرم:

ومن بني أضرم بن فُهر بن ثعلبة بن غَنَم بن سالم بن عوف - قال ابن هشام: هذا غَنَم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج، وغَنَم بن سالم، الذي قبله على ما قال ابن إسحاق -: عُبَادَة بن الصَّامِت بن قيس بن أضرم؛ وأخوه أَوْس بن الصَّامِت. رجلان.

من بني دعد:

ومن بني دَعْد بن فُهر بن ثعلبة بن غنم: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد، والنعمان الذي يقال له: قَوْقل. رجل.

ومن بني قَرْيُوش بن غَنَم بن أمية بن لَوْذَان بن سالم - قال ابن هشام: ويقال: قَرْيُوس بن غَنَم - ثابت بن هَزَال بن عمرو بن قَرْيُوش. رجل.

ومن بني مَرْصَخَة بن غَنَم بن سالم: مالك بن الدُخْشَم بن مَرْصَخَة. رجل.

قال ابن هشام: مالك بن الدُخْشَم: بن مالك بن الدُخْشَم بن مَرْصَخَة.

رجيلة أو رخيلة:

وذكر رُجَيْلَة بن ثُعْلَبَة، وقيد في رواية موسى بن عقبة رُخَيْلَة بالخاء المنقوطة، كما وقع في رواية موسى بن عقبة.

من بني لؤذان وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني لؤذان بن سالم: ربيع بن إياس بن عمرو بن عثم بن أمية بن لؤذان، وأخوه ورقة بن إياس، وعمرو بن إياس، حليف لهم من أهل اليمن. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن إياس، أخو ربيع وورقة.

قال ابن إسحاق ومن حلفائهم من بلي، ثم من بني غصينة - قال ابن هشام: غصينة، أمهم، وأبوهم عمرو بن عمارة - المجذر بن زياد بن عمرو بن زُمرة بن عمرو بن عمارة بن مالك ابن غصينة بن عمرو بن بئيرة بن مثنو بن قسرين بن تيم بن أراش بن عامر بن عميلة بن قسيميل بن فاران بن بلي بن عمرو بن الخفاف بن قضاة.

قال ابن هشام: ويقال: قسر بن تميم بن إراشة، وقسيميل بن فاران. واسم المجذرة عبد الله.

قال ابن إسحاق: وعُباد بن الحشاش بن عمرو بن زُمرة، ونحّاب بن ثعلبة بن حزمة بن أضرم بن عمرو بن عمارة.

قال ابن هشام: ويقال بحّاث بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن ثعلبة بن حزمة بن أضرم. وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية - حليف لهم - من بهراء، قد شهد بدرًا، خمسة نفر.

قال ابن هشام: عتبة بن بهز، من بني سليم.

من بني ساعدة:

قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة: أبو دُجانة، سمالك بن خَرشة.

قال ابن هشام: أبو دُجانة: (سيمالك) بن أوس بن خَرشة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة.

تصويب نسب:

وذكر فيهم أبا شيخ بن ثابت، واسمه: أتبى وهو أخو حسان، وقيل: بل هو ابن أتبى بن ثابت وحسان عمه، ووقع في نسخة الشيخ أبي بحر غلط أصلحته، وكان قبل الإصلاح أبو شيخ أتبى بن ثابت بن المنذر.

قال ابن إسحاق: والمُنذر بن عمرو بن حُنَيْس بن حارثة بن لَوْذَان بن عبد وَد بن زيد بن ثعلبة. رجлан.

قال ابن هشام: ويقال: المنذر: بن عمرو بن خَنْبَش.

من بني البدي وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني البدي بن عامر بن عَوْف بن حارثة بن عمرو بن الخَزْرج بن ساعدة: أبو أُسَيْد مالك بن ربيعة بن البدي، ومالك بن مسعود وهو إلى البدي. رجلان.

قال ابن هشام: مالك بن مسعود: بن البدي، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

من بني طريف وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني طريف بن الخَزْرج بن ساعدة: عبدُ رَبِّهِ بن حَقّ بن أوس بن وَقْش بن ثعلبة بن طريف. رجل.

ومن حلفائهم، من جُهينة: كعبُ بن حمار بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: كعب: بن جَمَّار، وهو من عُبْشان.

قال ابن إسحاق: وضَمْرَة وزِياد وبُسْبَس، بنو عمرو.

قال ابن هشام: ضَمْرَة وزِياد، ابنا بشر.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن عامر، من بلي. خمسة نفر.

من بني جشم:

ومن بني جُشَم بن الخَزْرج، من بني سَلَمَة بن سعد بن عليّ بن أسد بن سارِدة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزْرج ثم من بني حَرَام بن كعب بن عَنَم بن كعب بن سَلَمَة: خَرَّاش بن الصَّمّة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام، والحُبَاب بن المُنذر بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام، وعُمَيْر بن الحُمَام بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام، وتميم مولى خَرَّاش بن الصَّمّة وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، ومُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح، ومعوذ بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد حَرَام، وخَلَّاد بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام، وعُقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حَرَام، وحبيب بن أسود، مولى لهم،

وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام، وثعلبة الذي يقال له: الجذع، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام. اثنا عشر رجلاً.

نسب الجموح:

قال ابن هشام: كل ما كان ها هنا الجموح، (فهو الجموح) بن زيد بن حرام، إلا ما كان من جد الصمة (بن عمرو)، فإنه الجموح بن حرام.

قال ابن هشام: عمير بن الحارث: بن لبدة بن ثعلبة.

من بني عبيد وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة، ثم من بني خنساء بن سنان بن عبيد: بشر بن البراء بن معرور بن صخر ابن مالك ابن خنساء، والطفيل بن مالك ابن خنساء، والطفيل بن النعمان ابن خنساء، وسنان بن صيفي بن صخر ابن خنساء، وعبد الله بن الجد بن قيس بن صخر ابن خنساء، وعتبة بن عبد الله بن صخر ابن خنساء، وجبار بن صخر بن أمية ابن خنساء، وخارجة بن حمير، وعبد الله بن حمير، حليفان لهم من أشجع، من بني دهمان. تسعة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: جبار بن صخر بن أمية بن خناس.

من بني خناس:

قال ابن إسحاق: ومن بني خناس بن سنان عبيد: يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس، ومעقل بن المنذر بن سرح بن خناس، وعبد الله بن النعمان بن بلدمة. قال ابن هشام: ويقال: بلدمة وبلدمة.

قال ابن إسحاق: والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدي، وسواد بن زريق بن ثعلبة بن عبيد بن عدي.

قال ابن هشام: ويقال: سواد: بن رزن بن زيد بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة. ويقال: معبد بن قيس: بن صيفي بن صخر بن حرام بن ربيعة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن قَيْس بن صَخْر بن حَرَام بن ربيعة بن عديّ بن غنم. سبعة نفر.

من بني النعمان:

ومن بني النُعمان بن سِنان بن عُبَيْد: عبدُ الله بن عبد مناف بن النعمان؛ وجابر بن عبد الله بن رِثاب بن النُعمان: وخُلَيْدة بن قَيْس بن النُعمان. والنُعمان بن سِنان، مولى لهم. أربعة نفر.

من بني سواد:

ومن بني سَواد بن غَنَم بن كَعْب بن سَلِمة، ثم من بني حَدِيدة بن عمرو بن غَنَم بن سَواد - قال ابن هشام: عمرو بن سَواد، ليس لسَواد ابن يقال له غنم: أبو المُنذر، وهو يَزِيد بن عامر بن حَدِيدة؛ وسُلَيْم بن عمرو بن حَدِيدة؛ وقُطَبة بن عامر بن حَدِيدة؛ وعترة مولى سُلَيْم بن عمرو. أربعة نفر.

قال ابن هشام: عترة، من بني سُلَيْم بن مَنصور، ثم من بني ذَكوان.

من بني عديّ بن نابي:

قال ابن إسحاق: ومن بني عديّ بن نابي بن عمرو بن سَواد بن غَنَم: عَبْس بن عامر بن عديّ، وثعلبة بن غَنَمَة بن عديّ، وأبو اليَسَر، وهو كعب بن عمرو بن عَبَّاد بن عمرو بن غَنَم بن سَواد؛ وسَهْل بن قيس بن أبي كعب بن القَيْن بن كَعْب بن سَواد، وعمرو بن طَلْق بن زِيد بن أُمَيَّة بن سنان بن كعب بن غَنَم، ومُعَاذ بن جَبَل بن عمرو بن أَوْس بن عائذ بن عديّ بن كعب بن عديّ بن أُدَيّ بن سعد بن عليّ بن أسد بن سارِدة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر. ستة نفر.

قال ابن هشام: أَوْس: بن عَبَّاد بن عديّ بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن سعد.

قال ابن هشام: وإنما نُسب بن إسحاق مُعَاذ بن جَبَل في بني سَواد، وليس منهم، لأنه فيهم.

تسمية من كسروا آلهة بني سلمة:

قال ابن إسحاق: والذين كسروا آلهة بني سلمة: مُعَاذُ بْنُ جَبَل، وعبد الله بن أنيس، وثعلبة بن غنمة، وهم في بني سواد بن غنم.

من بني زريق:

قال ابن إسحاق: ومن بني زُرَيْق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُسَم بن الخزرج، ثم من بني مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيْق - قال ابن هشام: ويقال: عامر: بن الأزرق: قَيْس بن مُخَصِّن بن خالد بن مُخَلَّد.

قال ابن هشام: ويقال: قيس: بن حصن.

قال ابن إسحاق: وأبو خالد وهو الحارث بن قَيْس بن خالد بن مُخَلَّد وَجُبَيْر بن إياس بن خالد بن مُخَلَّد، وأبو عُبادة، وهو سعد بن عثمان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد وأخوه عَقَبَة بن عثمان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد؛ وَذَكْوَان بن عبد قَيْس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد؛ ومسعود بن خَلْدَة بن عامر بن مُخَلَّد. سبعة نفر.

من بني خالد:

ومن بني خالد بن عامر بن زُرَيْق: عَبَاد بن قيس بن عامر بن خالد. رجل.

من بني خلدة:

ومن بني خلدة بن عامر بن زُرَيْق: أَسْعَد بن يَزِيد بن الْفَاكَة بن زِيد بن خَلْدَة، وَالْفَاكَة بن بَشْر بن الْفَاكَة بن زِيد بن خَلْدَة.

قال ابن هشام: بُشْر بن الْفَاكَة.

قال ابن إسحاق: وَمِعَاذ بن مَاعِص بن قيس بن خَلْدَة، وأخوه: عَائِذ بن مَاعِص بن قيس بن خَلْدَة، ومسعود بن سَعْد بن قيس بن خَلْدَة. خمسة نفر.

من بني العجلان:

ومن بني الْعَجْلَان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق: رِفَاعَة بن رَافِع بن الْعَجْلَان وأخوه خَلَاد بن رافع بن مالك بن الْعَجْلَان، وَعُبَيْد بن زَيْد بن عامر بن الْعَجْلَان. ثلاثة نفر.

من بني بياضة^(١):

ومن بني بَيَاضَة بن عامر بن ذُرَيْق. زياد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سِنَان بن عامر بن عديّ بن أُمَيَّة بن بَيَاضَة، وفَزْوَة بن عمرو بن وَذْفَة بن عبيد بن عامر بن بَيَاضَة.
قال ابن هشام: ويقال: وَذْفَة.

قال ابن إسحاق: وخالد بن قيس بن مالك بن العَجَلان بن عامر بن بَيَاضَة، ورُحَيْلَة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بَيَاضَة.
قال ابن هشام: ويقال: رُحَيْلَة.

قال ابن إسحاق: وعَطِيَّة بن نُؤَيْرَة بن عامر بن عطية بن عامر بن بَيَاضَة، وخَلِيفَة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهِيرَة بن بَيَاضَة. ستة نفر.
قال ابن هشام: ويقال: عَلِيفَة.

من بني حبيب:

قال ابن إسحاق: ومن بني حَبِيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرج: رافع بن المُعَلَّى بن لَوْذَان بن حارثة بن عَدِيّ بن زيد بن ثُعْلَبَة بن زيد مَنَاة بن حَبِيب. رجل.

من بني النجار:

قال ابن إسحاق: ومن بني النَجَّار، وهو تَيْم الله بن ثُعْلَبَة بن عمرو بن الخَزرج ثم من بني غَنَم بن مالك بن النَجَّار، ثم من بني ثُعْلَبَة بن عبد عَوْف بن غَنَم: أبو أيوب خالد بن زيد بن كُلَيْب بن ثعلبة. رجل.

من بني عسيرة:

ومن بني عَسِيرَة بن عَبْد عوف بن غَنَم: ثابت بن خالد بن النعمان بن خَنْسَاء بن عَسِيرَة. رجل.

(١) بني بياضة وبني حبيب: اختلطت بعض الأوراق في طبعة فضيلة الشيخ: عبد الرحمن الوكيل - رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاء الله عنا كل خير. فتغير مكانها.

قال ابن هشام: ويقال: عُسَيْر، وعُسَيْرَة.

من بني عمرو:

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عبد عوف بن عَنَم: عُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو، وسُرَاقَة بن كعب بن عبد العَزَى بن عَزِيَّة بن عمرو. رجُلان.

من بني عبيد بن ثعلبة:

ومن بني عُبَيْد بن ثعلبة بن عَنَم: حارثَة بن الثُّعْمان بن زَيْد بن عبيد، وسُلَيْم بن قَيْس بن قَهْد: واسم قَهْد: خالد بن قَيْس بن عبيد. رجُلان.
قال ابن هشام: حارثة بن الثُّعْمان: بن ثَفْع بن زَيْد.

من بني عائذ وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني عائذ بن ثعلبة بن عَنَم - ويقال عابد فيما قال ابن هشام: سُهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ، وعدِيّ بن الرُّغْبَاء، حليف لهم من جُهيْنة. رجُلان.

من بني زيد:

ومن بني زيد بن ثعلبة بن عَنَم: مَسْعُود بن أَوْس بن زيد، وأبو خُزَيْمة بن أَوْس بن زيد بن أَضْرَم بن زَيْد، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زيد. ثلاثة نفر.

من بني سواد وحلفائهم:

ومن بني سَواد بن مالك بن غنم: عوف، ومُعَوِّذ، ومُعَاذ، بنو الحارث بن رفاعَة بن سَواد، وهم بنو عَفْراء.

نسب عَفْراء:

قال ابن هشام: عَفْراء بنت عُبَيْد بن ثعلبة بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النَجَّار، ويقال: رفاعَة بن الحارث بن سَواد.

قال ابن إسحاق: والثُّعْمان بن عمرو بن رفاعَة بن سَواد، ويقال: نُعَيْمان، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعامر بن مُخلد بن الحارث بن سَواد، وعبد الله بن قَيس بن خالد بن خَلدة بن الحارث بن سَواد، وعُصَينة، حليف لهم من أشجع، ووَدِيعَة بن عمرو، حليف لهم من جُهينة، وثابت بن عمرو بن زيد بن عديّ بن سَواد. (و) زعموا أن أبا الحَمراء، مولى الحارث ابن عَفراء، قد شهد بَذْرًا. عشرة نفر.

قال ابن هشام: أبو الحَمراء، مولى الحارث بن رفاعَة.

من بني عامر بن مالك:

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن مالك بن النَجَّار - وعامر: مَبْذول ثم من بني عتيك بن عمرو بن مَبْذول: ثعلبة بن عمرو بن مِخْصَن بن عمر بن عَتيك، وسَهْل بن عتيك بن عمرو بن الثُّعْمان بن عَتيك، والحارث بن الصُّمَّة بن عمرو بن عَتيك، كُسير به بالرُّوحاء فَضْرَبَ له رسول الله ﷺ بِسَهْمِهِ. ثلاثة نفر.

من بني عمرو بن مالك:

ومن بني عمرو بن مالك بن النَجَّار - وهم بنو حُدَيْلة - ثم من بني قَيس بن عُبيد بن زيد بن مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النَجَّار.

نسب حُدَيْلة:

قال ابن هشام: حُدَيْلة بنت مالك بن زيد الله بن حَبِيب بن عبد حارثة بن مالك بن عَظْب بن جُشم بن الخَزْرج، وهي أُم مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النَجَّار، فَبَنُو مُعاوية يَتَنَسِبُونَ إليها.

قال ابن إسحاق: أَبِي بن كَعْب بن قَيس، وأنس بن مُعاذ بن أنس بن قَيس. رجُلان.

من بني عديّ بن عمرو:

ومن بني عديّ بن عمرو بن مالك بن النَجَّار:

قال ابن هشام: وهم بنو مَغالة بنت عوف بن عبد مَنَاة بن عمرو بن مالك بن كِنانة بن حُزَيْمة، ويقال: إنها من بني زُرَيْق، وهي أُم عديّ بن عمرو بن مالك بن النَجَّار، فَبَنُو عديّ يَتَنَسِبُونَ إليها:

أوس بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عديّ، وأبو شَيْخ
أبيّ بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عديّ.

قال ابن هشام: أبو شيخ أبيّ بن ثابت، أخو حَسَّان بن ثابت.

قال ابن إسحق: وأبو طَلْحَة، وهو زيد بن سَهْل بن الأسود بن حَرَام بن عمرو بن
زيد مَنَاة بن عديّ. ثلاثة نفر.

من بني عديّ بن النجّار:

ومن بني عديّ بن النجّار، ثم من (بني) عديّ بن عامر بن عَنَم بن النجّار:
حارثُ بن سُرَاقَة بن الحارث بن عديّ بن مالك بن عديّ بن عامر، وعمرو بن ثُعَلْبَة بن
وَهَب بن عديّ بن مالك بن عديّ بن عامر، وهو أبو حَكِيم، وسَلِيط بن قَيْس بن
عمرو بن عَتِيك بن مالك بن عديّ بن عامر، وأبو سَلِيط؛ وهو أَسِيرَة بن عمرو؛ وعمرو
أبو خَارِجَة بن قَيْس بن مالك بن عديّ بن عامر؛ وثابت بن خُنَسَاء بن عمرو بن
مالك بن عديّ بن عامر؛ وعامر بن أُمَيَّة بن زَيْد بن الحَسْحَاس بن مالك بن عديّ بن
عامر؛ ومُخْرَز بن عامر بن مالك بن عديّ بن عامر؛ وسواد بن غَزِيَّة بن أَهْيَب، حليف
لهم من بَلِيّ. ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال: سَوَاد.

من بني حرام بن جندب:

قال ابن إسحق: ومن بني حَرَام بن جُنْدَب بن عامر بن عَنَم بن عديّ بن النجّار:
أبو زيد، قَيْس بن سَكَن بن قَيْس بن زَعُورَاء بن حَرَام، وأبو الأَعُور بن الحارث بن
ظالم بن عَبَس بن حَرَام.

قال ابن هشام: ويقال: أبو الأَعُور: الحارث بن ظالم.

قال ابن إسحق: وسَلِيم بن مِلْحَان؛ وحَرَام بن مِلْحَان - واسم مِلْحَان: مالك بن
خالد بن زيد بن حرام. أربعة نفر.

من بني مازن بن النجار وحلفائهم:

ومن بني مازن بن النجّار، ثم من بني عَوْف بن مَبْدُول بن عمرو بن عَنَم بن

مازن بن النَجَّار: قيسُ بن أبي صَعَصعة - واسم صَعَصعة: عمرو بن زيد بن عوف -
وعبدُ الله بن كَعْب بن عمرو بن عَوْف: وعُصيمة، حليف لهم من بني أسد بن خُزيمة.
ثلاثة نفر.

من بني خنساء بن مَبْذول:

ومن بني خَنَسَاء بن مَبْذول بن عمرو بن غنم بن مازن: أبو داود عُمير بن عامر بن
مالك بن خَنَسَاء، وسُرَاقَة بن عَمْرُو بن عطية بن خَنَسَاء. رجُلان.

من بني ثعلبة بن مازن:

ومن بني ثعلبة بن مازن بن النَجَّار: قيس بن مُحَلَّد بن ثعلبة بن صَخْر بن
حبيب بن الحارث بن ثعلبة. رجل.

من بني دينار بن النجار:

ومن بني دينار بن النَجَّار، ثم من بني مَسْعُود بن عبد الأشهل بن حارثة بن
دينار بن النَجَّار: الثُّعْمَانُ: بن عبد عمرو بن مَسْعُود، والضَّحَّاك بن عبد عمرو بن
مَسْعُود، وسُلَيم بن الحارث بن ثعلبة بن كَعْب بن حارثة بن دينار، وهو أخو الضَّحَّاك
والثُّعْمَان ابني عبد عمرو، لأُمهما، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن
سُهَيل بن عبد الأشهل. خمسة نفر.

ومن بني قَيس بن مالك بن كَعْب بن حارثة بن دينار بن النَجَّار: كعب بن زَيْد بن
قَيس: وَبَجِير بن أَبِي بَجِير، حليف لهم. رجُلان.

قال ابن هشام: بُجَيْر: من عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن عَطْفَان، ثم من بني
جَذيمة بن رَوَاحَة.

قال ابن إسحق: فجميع من شهد بدرًا من الخَزْرج مائة وسبعون رجلاً.

من فات ابن إسحق ذكرهم:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العِلْم يذكُر في الخَزْرج ببذَر، في بني العَجَلان بن
زَيْد بن عَنَم بن سالم بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن الخَزْرج: عِثْيَان بن مالك بن

عمرو بن العجلان؛ ومُلائل بن وَبَرَة بن خالد بن العجلان؛ وعِصْمَة بن الحُصَيْن بن وبرة بن خالد بن العجلان.

وفي بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن عَظْب بن جُشم بن الخزرج، وهم في بني زُرَيْق هلال بن الْمُعَلَّى بن لُوْذان بن حارثة بن عَدِيّ بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب.

عدد البدرين جميعاً:

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد بَدْرًا من المسلمين، من المُهاجرين والأنصار من شهدا منهم، ومن ضُرب له بسهمه وأجره، ثلاث مائة رجل وأربعة عشر رجلاً؛ من المُهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً، من الأوس واحد وستون رجلاً، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً.

مَن استشهد من المسلمين يوم بدر

القرشيون من بني عبد المطلب:

واستشهد من المسلمين يوم بدر، مع رسول الله ﷺ، من قُرَيْش؛ ثم من بني المُطَلِّب بن عبد مناف: عُبَيْدة بن الحارث بن المُطَلِّب قتله عُتْبَة بن ربيعة، قطع رجله، فمات بالصَّفراء. رجل.

حول الذين استشهدوا في بدر

فصل: وذكر فيمن استشهد يوم بَدْرٍ: عُمَيْر بن أَبِي وَقَّاصٍ، وذكر الواقدي أن النبي ﷺ، كان قد رَدَّه في ذلك اليوم، لأنه استصغره، فبَكَى عُمَيْرٌ، فلما رأى النبي ﷺ بكاءه أَذِنَ له في الخروج معه، فقتل وهو ابنُ بَيْتٍ عَشْرَةَ سَنَةٍ، قتله العاصي بن سَعِيد.

وذكر ابن إسحاق حارثة بن سراقه، فيمن قُتل يوم بدر وهو أول قتيل من المسلمين في ذلك اليوم، رماه حبان بن العرقه بسهم فأصاب حنجرته فمات، وجاءت أمه وهي الربيع بنت النضر عَمَة أنس، فقالت: يا رسول الله قد علمت موضع حارثة مني فإن يكن في الجنة اصبر واحتسب، وإن يكن غير ذلك، فستري ما أصنع، فقال: أو جنة واحدة هي؟ إنما هي جنات وإن ابنك منها لفي الفردوس^(١).

(١) أخرجه البخاري (٩٨/٥) (١٤٢/٨).

من بني زهرة:

ومن بني زهرة بن كلاب. عُمَيْر بن أَبِي وَقَّاص بن أَهْنَب بن عبد مناف بن زهرة، وهو أخو سَعْد بن أَبِي وَقَّاص، فيما قال ابن هشام؛ وذو الشَّمالَيْن بن عبد عمرو بن نَضْلَة، حليف لهم من خُزاعة، ثم من بني عُبْشَان. رجُلان.

من بني عدي:

ومن بن عَدِيَّ بن كَعْب بن لُؤَيٍّ: عاقلُ بن البُكَيْر، حليف لهم من بني سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَة بن كنانة؛ ومِهْجَع، مولى عمر بن الخطَّاب. رجُلان.

وذكر فيهم عمير بن الحمام بن الجموح، وقد قدمنا ذكره، وقتله خالد بن الأعم.

وذكر ذا الشمالين الخزاعي الغباش حليف بني زهرة، وهو الذي ذكره الزهري في حديث التسليم من ركعتين، قال: فقام ذو الشمالين رجل من بني زهرة، فقال: أقصرت الصلاة، أم نسيت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أصدق ذو اليمين؟» لم يروه أحد هكذا بهذا اللفظ إلا ابن شهاب الزهري، وهو غلط عند أهل الحديث، وإنما هو ذو اليمين السلمي، واسمه: خرباق، وذو الشمالين قتل يوم بدر، وحديث التسليم من ركعتين، شاهده أبو هريرة، وكان إسلامه بعد بدر بستين، ومات ذو اليمين السلمي في خلافة معاوية، وروى عنه حديثه في التسليم ابنه مطير بن الخرباق، يرويه عن مطير ابنه شعيب بن مطير^(١).

ولما رأى المبرد حديث الزهري: فقام ذو الشمالين، وفي آخره أصدق ذو اليمين؟ قال: هو ذو الشمالين وذو اليمين، كان يسمى بهما جميعاً، وجهل ما قاله أهل الحديث والسير في ذي الشمالين، ولم يعرف رواية إلا الرواية التي فيها الغلط، قال ذلك في آخر كتاب الكامل في باب الأذواء يوم بدر.

ومن البَذْرِيِّين عُلَيْفَةُ بن عَدِيَّ البَيَاضِي أيضاً، هكذا اسمه عند أهل السَّيَر، وسماه ابن إسحق فقال: خَلِيفَةُ بن عَدِيَّ بالخاء. وممن شهد بدرًا، ولم يذكره ابن هشام عن البَكَّائِي، وذكره ابن إسحق في رواية إبراهيم عن سعد عنه: عِيَّاض بن زُهَيْر بن أَبِي شَدَّاد بن رَبِيعَة بن هِلَال بن وَهَّيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْرٍ وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة، وقد ذكره في البدرين موسى بن عُقْبَة وخَلِيفَةُ بن خَيْط وجَمَاعَة. وممن ذُكِر في البَذْرِيِّين ولم يذكره ابن إسحق يَزِيد بن الأَخْنَس السَّلْمِي، وابنه مَعْن بن يَزِيد وأبوه الأَخْنَس، ولا

(١) انظر حديث ذو اليمين عن البخاري (١٨٣/٢) ومسلم في المساجد (٩٩) وأبو داود (١٠٨) والنسائي (٢٢/٣) وانظر الفتح (٤٨٣/١٠).

من بني الحارث بن فهر:

ومن بني الحارث بن فهر: صَفْوَانُ ابْنُ بَيْضَاءَ رَجُلٌ. سِتَّةُ نَفَرٍ.

ومن الأنصار:

ومن الأنصار، ثم من بني عمرو بن عوف: سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ، وَمُبَشَّرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذَرِ بْنِ زُبَيْرٍ. رَجُلَانِ.

من بني الحارث بن الخزرج:

ومن بني الحارث بن الخزرج: يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: ابْنُ قُسْحَمٍ. رَجُلٌ.

من بني سلمة:

ومن بني سلمة؛ ثم من بني حَرَامٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ غَنَمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلَمَةَ: عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ. رَجُلٌ.

من بني حبيب:

ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْبٍ بْنِ جُشَمٍ: رَافِعُ بْنُ الْمُعَلَّى. رَجُلٌ.

من بني النجار:

ومن بني النجار. حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ بْنِ الْحَارِثِ. رَجُلٌ.

من بني غنم:

ومن بني غنم بن مالك بن النجار: عَوْفٌ وَمُعَوِّذٌ، ابْنَا الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادٍ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ. رَجُلَانِ. ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ.

يُعْرَفُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا ثَلَاثَةَ آبَ وَابْنٍ وَجَدَّ إِلَّا هَؤُلَاءِ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالسَّيْرِ لَا يُصَحِّحُ شَهَادَتَهُمْ بَدْرًا لَكِنْ شَهِدُوا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَيَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ هَذَا هُوَ ابْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ جَنَابٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ جُرَّةَ بَضْمِ الْجَيْمِ ابْنِ زُعْبٍ مِنْ بَنِي بُهْثَةَ بْنِ سُلَيْمٍ. قَالَ ابْنُ مَكْوَلَا: لَا يُعْرَفُ جُرَّةَ بَضْمِ الْجَيْمِ إِلَّا هَذَا، وَلَا جُرَّةَ بِكَسْرِ الْجَيْمِ إِلَّا السُّؤْمُ بَنَتْ عَمْرُو بْنُ جُرَّةَ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ أُمِ الشَّدَاخِ وَاسْمُهُ يَغْمَرُ بْنُ عَوْفٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي حَدِيثِ قُصَيٍّ وَلَمْ سُمِّيَ الشَّدَاخِ. وَمِمَّنْ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْبَذَرِيِّينَ خَدِيمُ بْنُ فَاتِكٍ [ابْنُ الْأَخْرَمِ] وَأَخُوهُ سَبْرَةُ

من قتل بيدر من المشركين

من بني عبد شمس:

وَقُتِلَ من المشركين يومَ بدر من قُريش، ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف: حَنْظَلَةُ بن أَبِي سُفْيَانَ بن حَزْبِ بن أُمَيَّةَ بن عبد شمس، وَقَتْلَهُ زَيْدُ بن حَارِثَةَ؛ مولى رسول الله ﷺ فيما قال ابنُ هشام، ويقال: اشترك فيه حمزة وعلي وزيد، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: والحارث بن الحَضْرَمِيِّ، وعامر بن الحَضْرَمِيِّ حليفان لهم قتل عامراً: عَمَّارُ بن ياسر؛ وقتل الحارث: النعمان بن عصر، حليف للأوس، فيما قال ابنُ هشام. وعُمَيْرُ بن أبي عُمَيْر، وابنه: موليان لهم. قتل عُمَيْرُ بن أبي عُمَيْر: سالم، مولى أبي حُدَيْفَةَ؛ فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعُبَيْدَةُ بن سَعِيد (بن) العاص بن أُمَيَّةَ بن عبد شمس، قتله الزبير بن العوام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّةَ قتله علي بن أبي طالب. وعُقْبَةُ بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أُمَيَّةَ بن عبد شمس، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، أخو بني عمرو بن عوف، صَبْرًا.

الْأَسَدِيَّان. وممن ذكره البخاري في البدرين من بني سَلَمَةَ جَابِرُ بن عبد الله بن عمرو بن حِزَام، وقال أبو عمر: لا يصح شهوده بَدْرًا، وذكر اختلاف الناس في ذلك، وفي السنن لأبي داود أن جابرًا قال: كنت أُمِيحُ أصحابي الماء يوم بدر، أي: كان صَغِيرًا فلم يُسْهِمَ له، وزعم بعضهم أن هذه الرواية تَضْحِيفٌ، وأن الصحيح كُنْتُ مَنِحَ أصحابي يوم بدر، والمَنِحُ: السَّهْمُ، يريد أنهم كانوا يُزْسِلُونَهُ في حوائجهم لِصَغَرِ سَنِهِ. وممن شهد بَدْرًا وذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام: طَلَيْبُ بن عُمَيْرٍ من بني عَبْدِ بن قُصَيٍّ، وأمه أَرْوَى عَمَّة رسول الله ﷺ.

من قُتِلَ من المشركين^(١)

فصل: وذكر فيمن قتل من المشركين يوم بدر العاصي بن سعيد بن العاصي، وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذي أسنده أبو عُبَيْدٍ إلى سَعْدِ بن أبي وقاص، قال: قتلت يومَ بدرِ العاصي بن سعيد وأخذت سيفه ذا الكَتِيفَةِ، وذكر الحديث، قال أبو

(١) انظر الواقدي (١٤٣) وابن سيد الناس (٢٨٥) جوامع السيرة النبوية لابن حزم (١٨٢).

قال ابن هشام: ويقال: قتله علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس، قَتَلَهُ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ.

قال ابن هشام: اشترك فيه هو وحمزة وعلي:

قال ابن إسحاق: وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ وَعَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَنْمَارِ بْنِ بَغِيضٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا.

من بني نوفل:

ومن بني نوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نوفل، قتله - فيما يذكرون - خَبِيبُ بْنُ إِسَافٍ، أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ؛ وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ نَوْفَلٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ وَيُقَالُ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. رَجُلَانِ.

من بني أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ: رَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ.

قال ابن هشام: قتله ثابت بن الجذع، أخو بني حرام، فيما قال ابن هشام.

ويقال: اشترك فيه حمزة وعلي بن أبي طالب وثابت.

قال ابن إسحاق: والحارث بن رَمْعَةَ، قَتَلَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ - فيما قال ابن هشام - وَعَقِيلُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ، اشْتَرَكَا فِيهِ - فيما قال ابن هشام - وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ، وَهُوَ الْعَاصُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ قَتَلَهُ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادِ الْبَلَوِيِّ.

قال ابن هشام: أبو الْبَخْتَرِيِّ: الْعَاصُ بْنُ هَاشِمٍ.

قال ابن إسحاق: ونوفل بن خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ، وَهُوَ ابْنُ الْعَدَوِيَّةِ، عَدِيٍّ خُزَاعَةٍ، وَهُوَ الَّذِي قَرَنَ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ، وَطَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ حِينَ أَسْلَمَا فِي حَبْلٍ، فَكَانَا يُسَمَّيَانِ: الْقَرَيْنَيْنِ لَذَلِكَ، وَكَانَ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ - قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. خَمْسَةٌ نَفَرٍ.

عُبَيْدٌ: وَأَهْلُ السَّيْرِ يَقُولُونَ: قَتَلَهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَبَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ يَقُولُونَ: قَتَلَهُ أَبُو الْيَسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الزَّيْبِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْقَاضِي فِي

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصي: الثَّضَرُ بن الحارث بن كَلْدَة بن عَلْقَمَة بن عبد مناف بن عَبْدِ الدَّار، قَتَلَهُ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ صَبْرًا عند رسولِ الله ﷺ بالصَّفْرَاء، فيما يذكرون.

قال ابن هشام: بالأثيل. قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث: بن علقمة بن كَلْدَة بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: وزيد بن مُلَيْص، مولى عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. رجлан.

قال ابن هشام: قَتَلَ زَيْدُ بن مُلَيْص بِلَالُ بن رِيَّاح، مولى أَبِي بكر، وزيدُ حليف لبني عبد الدار، من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، ويقال: قَتَلَهُ الْمُقْدَاد بن عمرو.

من بني تيم بن مرة:

قال ابن إسحاق: ومن بني تيم بن مُرَّة: عُمَيْر بن عُثْمَان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم.

قال ابن هشام: قَتَلَهُ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِب، ويقال: عبد الرحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وعُثْمَان بن مالك بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، قَتَلَهُ صُهَيْب بن سِنَان. رجلان.

من بني مخزوم:

ومن بني مَخْزُوم بن يَقْظَة بن مُرَّة: أَبُو جَهْل بن هشام - واسمه عمرو بن هشام بن الْمُغَيَّرَة بن عبد الله بن عمرو بن مَخْزُوم - ضربه مُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح، فَقَطَعَ رِجْلَهُ، وَضَرَب ابْنَهُ عِكْرَمَة يَدَ مُعَاذٍ فَطَرَحَهَا، ثُمَّ ضَرَبَهُ مُعَوِّذُ ابن عَفْرَاء حَتَّى أَثْبَتَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ: ثُمَّ دَقَّفَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

أَنَسَابَ قُرَيْشٍ لَهُ: وَالْعَاصِي قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ بَذْرِ كَافِرًا حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بنَ حَمَزَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بنِ سَعْدٍ عَنْ صَالِحِ بنِ كَيْسَانَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: بَيْنَمَا عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ [وَعُمَرُ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ] إِذْ مَرَّ بِهِ سَعِيدُ بنُ الْعَاصِي،

أَنْ يُلْتَمَسَ فِي الْقَتْلَى - وَالْعَاصُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ، قَتَلَهُ عَمْرُ بْنُ
الْخَطَّابِ وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ.

قال ابن هشام: ثم أحد بني عمرو بن تميم، وكان شجاعاً، قتلته عمار بن ياسر.

قال ابن إسحاق: وأبو مُسَافِعٍ الْأَشْعَرِيُّ، حَلِيفٌ لَهُمْ، قَتَلَهُ أَبُو دُجَانَةَ السَّاعِدِيُّ -
فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَخَزَمَلَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَلِيفٌ لَهُمْ.

قال ابن هشام: قَتَلَهُ خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ، أَخُو بُلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ،
وَيُقَالُ بُلٌّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَخَزَمَلَةُ، مِنَ الْأَسَدِ.

قال ابن إسحاق: وَمَسْعُودُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِيمَا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَأَبُو قَيْسِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ.

قال ابن هشام: قتلته حمزة بن عبد المطلب.

قال ابن إسحاق: وَأَبُو قَيْسِ بْنِ الْفَاكِهَةِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ،
وَيُقَالُ: قَتَلَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قال ابن إسحاق: وَرِفَاعَةُ بْنُ أَبِي رِفَاعَةَ بْنِ عَابِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ
قَتَلَهُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، أَخُو بُلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالْمُنْذَرُ بْنُ أَبِي
رِفَاعَةَ بْنِ عَابِدٍ، قَتَلَهُ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ الْجَدِّ بْنِ الْعَجْلَانِ حَلِيفُ بَنِي عُبَيْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ
مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُنْذَرِ بْنِ أَبِي
رِفَاعَةَ بْنِ عَابِدٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُ: إِنِّي وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخِي مَا قَتَلْتُ أَبَاكَ يَوْمَ بَذْرِ، وَلَكِنِّي قَتَلْتُ
خَالَيَ الْعَاصِيَّ بْنَ هِشَامٍ، وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَعْتَذِرُ مِنْ قَتْلِ مُشْرِكٍ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ:
سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي: [وَهُوَ يَوْمُئِذٍ حَدِيثُ السَّنِّ] لَوْ قَتَلْتَهُ كُنْتُ عَلَى الْحَقِّ، وَكَانَ عَلَى
الْبَاطِلِ قَالَ: فَعَجِبَ عَمْرُ مِنْ قَوْلِهِ، وَلَوَّى كَفَّيْهِ، وَقَالَ: قُرَيْشٌ أَفْضَلُ النَّاسِ إِسْلَامًا،
وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَمَانَةً، وَمَنْ يُرْذِ بِقُرَيْشٍ سُوءًا يَكُفَّهُ اللَّهُ لِفِيهِ، وَقَالَ: قَالَ عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ: زَعَمُوا أَنْ عَمَرَ قَالَ: رَأَيْتَهُ يَنْحُثُ التُّرَابَ كَأَنَّهُ تَوْرٌ، فَصَدَدْتُ عَنْهُ، وَحَمَلْتُ لَهُ
عَلِيًّا فَقَتَلَهُ^(١).

(١) حمل له علي: أي توجه إليه لقتله. وانظر نسب قريش (١٧٦).

قال ابن إسحاق: والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

قال ابن هشام: السائب بن أبي السائب شريك رسول الله ﷺ الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله ﷺ: نِعَمَ الشَّريكِ السَّائِبُ لا يُشَارِي ولا يُمَارِي، وكان أسلم فحسن إسلامه - فيما بلغنا - والله أعلم.

وذكر ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس: أن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين.

قال ابن هشام: وذكر غير ابن إسحاق: أن الذي قتله الزبير بن العوام.

السائب بن أبي السائب:

وذكر فيمن قُتِلَ من المشركين: السائب بن أبي السائب، واسم أبي السائب صَيْفِي بن عَابِدٍ، وأنكر ابنُ هشام أن يكون السائب قُتِلَ كافرًا قال: وقد أسلم وحسن إسلامه، وذكر أبو عَمَرَ عن ابن الزبير أن السائب قُتِلَ كافرًا يومَ بَدْرٍ، قال: وأخسبه أتبع في ذلك قول ابن إسحاق، قال: وقد نَقَضَ الزُّبَيْرُ ذلك في مَوَضعين من كتابه بعد ذلك، فقال: حَدَّثَنِي يَحْيَى بن مُحَمَّد بن عبد الله بن ثَوْبَان عن جَعْفَر بن عِكْرَمَةَ عن يَحْيَى بن كَعْبٍ عن أبيه كَعْبٍ مَوْلَى سَعِيد بن العاصي، قال: مرَّ معاويةُ وهو يَطُوفُ بالبيتِ، ومعه جُنْدُهُ، فزحموا السائبَ بنَ صَيْفِي بن عابدٍ، فسقط، فوقف عليه معاويةُ وهو يَوْمِئِذٍ خَلِيفَةُ فقال: ارفعوا الشيخَ، فلما قام قال: ما هذا يا معاوية؟ تَضَرَّعُونَا حول البيت؟! أَمَا والله لقد أردت أن أتزوَّجَ أُمِّكَ، فقال معاوية: لَيْتَكَ فَعَلْتَ، فجاءت بمثل أبي السائب، يعني عبد الله بن السائب، وهذا واضح في إدراكه الإسلامَ، وفي طول عُمرِهِ، وقال في موضع آخر: حَدَّثَنِي أَبُو ضَمْرَةَ أَنَسُ بن عِيَّاض اللَّيْثِيُّ، قال: حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ يعني: المُنَاجِزَ، وهو عبدُ الله بن السائب، قال: كان جَدِّي أَبُو السَّائِبِ شَرِيكَ النَّبِيِّ - ﷺ - فقال النَّبِيُّ ﷺ: «نِعَمَ الشَّرِيكَ كان أَبُو السَّائِبِ، لا يُشَارِي ولا يُمَارِي [ولا يُدَارِي]»، وهذا كله من الزبير مُنَاقِضَةً فيما ذكر أن السائب بن أبي السائب قُتِلَ يوم بدر كافرًا. وقال ابن هشام: السائب بن أبي السائب الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله ﷺ - نِعَمَ الشَّرِيكَ أَبُو السَّائِبِ لا يُشَارِي^(١) ولا يُمَارِي^(٢)، كان قد أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا. قال ابنُ هشام: وذكر ابن شهاب عن

(٢) يماري: يُجَادَل.

(١) المشاركة: الملاجة في الأمر.

قال ابن إسحاق: والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قُتِلَ حَمَزَةُ بن عبد المطلب، وحاجبُ بن السائب بن عُويم بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، قال ابن هشام: ويقال: عائذ بن عمران بن مخزوم، ويقال: حاجز بن السائب - والذي قُتِلَ حاجب بن السائب علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعُويم بن السائب بن عُويم، قُتِلَ النعمان بن مالك القوقلي مبارزةً، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعمرو بن سُفيان، وجابر بن سُفيان، حليفان لهم من طييء، قُتِلَ عمراً يزيد بن رُقَيْش، وقتل جابر أبو بُزْدَة بن نيار، (فيما) قال ابن هشام.
قال ابن إسحاق: سبعة عشر رجلاً.

من بني سهم:

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْنَص بن كَعْب بن لُؤي: مُنْبَه بن الحجاج بن عامر بن خُذَيْفَة بن سعد بن سَهْم، قُتِلَ أبو اليُسْر، أخو بني سَلَمَة، وابنه العاص بن مُنْبَه بن الحجاج، قُتِلَ علي بن أبي طالب فيما قال ابن هشام: وتُبَيْه بن الحجاج بن عامر، قُتِلَ حَمَزَةُ بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقاص اشتراكاً فيه، فيما قال ابن هشام، وأبو العاص بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سهم.

قال ابن هشام: قُتِلَ علي بن أبي طالب، ويقال: النعمان بن مالك القوقلي، ويقال: أبو دُجَانَة.

عُبَيْد الله بن عَبْدِ الله بن عُتْبَة عن ابن عباس أَنَّ السائب بن أبي السائب بن عَابِد بن عَبْدِ الله بن عُمَرَ بن مَخْزُوم [بن يَقْظَة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي] مِمَّنْ هاجر مع رسول الله - ﷺ - وأعطاه يوم الجِعْرَانَة من غنائم حُتَيْن. قال أبو عَمَر: هذا أولى ما عُول عليه في هذا الباب، وقد ذكرنا أن الحديث فيمن كان شريك رسول الله - ﷺ - من هؤلاء مُضْطَرِب جداً، منهم من يجعل الشركة: للسائب، ومنهم من يجعلها لأبي السائب أبيه، كما ذكرنا عن الزُبَيْر ههنا، ومنهم من يجعلها لقَيْس بن السائب [بن عويمر]، ومنهم من يجعلها لعَبْد بن أبي السائب، وهذا اضطراب لا يَثْبُت به شيء ولا تقوم به حُجَّة والسائب بن أبي السائب من المؤَلَّفَة قلوبهم ومِمَّنْ حَسُن إسلامه. هذا آخر كلام أبي عَمَر في كتاب الاستيعاب حَدَّثني به أبو بكر بن طاهر الإشبيلي عن أبي علي العَسَائِنِي عنه، كذلك اختلفت الرواية في هذا الكلام: كان خير شريك لا يُشَارِي ولا يُماري، فمنهم من يجعله من قول النبي ﷺ في أبي السائب، ومنهم من يجعله من قول أبي السائب في النبي ﷺ.

قال ابن إسحاق: وعاصم بن عَوْف بن ضُبيرة بن سَعِيد بن سَعْد بن سَهْم، قَتَلَهُ أَبُو
الْيَسَر، أَخُو بَنِي سَلِمْة، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَام. خَمْسَةَ نَفَرٍ.

من بني جمح:

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَيٍّ: أُمَيَّة بن خَلَف بن وَهَب بن
حُذَافَة بن جُمَح، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي مَازَن.

قال ابن هشام: ويقال: بَل قَتَلَهُ مُعَاذُ ابْنِ عَفْرَاء وخَارِجَة بن زَيْد وَخَبِيب بن إِسَاف،
اشْتَرَكُوا فِي قَتْلِهِ.

قال ابن إسحاق: وابنه عَلِيّ بن أُمَيَّة بن خَلَف، قَتَلَهُ عَمَّار بن يَاسِر؛ وَأَوْس بن
مِغِير بن لُؤْذَانَ بن سَعْد بن جُمَح، قَتَلَهُ عَلِيّ بن أَبِي طَالِب فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَام، وَيُقَالُ:
قَتَلَهُ الْحَصَيْن بن الْحَارِث بن الْمُطَّلِب وَعُثْمَان بن مَطْعُون اشْتَرَكَا فِيهِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ
هِشَام.

قال ابن إسحاق: ثَلَاثَةُ نَفَرٍ.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: مُعَاوِيَة بن عامر، حَلِيف لَهُمْ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، قَتَلَهُ
عَلِيّ بن أَبِي طَالِب. وَيُقَالُ: قَتَلَهُ عُكَّاشَة بن مِخْصَن، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَام.

قال ابن إسحاق: وَمُعْتَبِد بن وَهَب، حَلِيف لَهُمْ مِنْ بَنِي كَلْب بن عَوْف بن كَعْب بن
عامر بن لَيْث، قَتَلَ مُعَبِّدًا خَالِدًا وَإِيَّاسَ ابْنَا الْبَكَّير، وَيُقَالُ: أَبُو دُجَانَة، فِيمَا قَالَ ابْنُ
هِشَام. رَجُلَانِ.

أَوْس بن خُولِي:

وَذَكَرَ فِيمَنْ شَهِدَ بَذْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ: أَوْس بن خُولِي أَحَدُ بَنِي الْحُبْلَى، يُقَالُ: كَانَ مِنْ
الْكَمَلَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ شُجَاع بن وَهَب، وَالْخُولِي فِي اللُّغَةِ هُوَ الَّذِي
يَقُومُ عَلَى الْخَيْلِ، وَيَخْدُمُهَا وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ جَمِيلًا الْكَلْبِيَّ، كَانَ خُولِيًّا لِمُعَاوِيَة، وَفِي هَذَا مَا
يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْيَاءَ فِي الْخَيْلِ أَصْلُهَا الْوَاوُ.

أَخُو طَلْحَة:

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامَ فِيمَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مَالِك بن
عُبَيْدِ اللَّهِ بن عُثْمَانَ وَهُوَ أَخُو طَلْحَة بن عُبَيْدِ اللَّهِ.

عدهم:

قال ابن هشام: فجميع من أخصي لنا من قَتلى قُريش يوم بدر: خمسون رجلاً.

قال ابن هشام: حَدَّثني أبو عُبَيْدة، عن أبي عمرو: أَنَّ قَتلى بدر من المُشركين كانوا سبعين رجلاً، والأسرى كذلك، وهو قول ابن عَبَّاس، وسعيد بن المسيَّب. وفي كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾^(١) يقوله لأصحاب أحد - وكان من استشهد منهم سبعين رجلاً - يقول: قد أصبتم يوم بدر مثلي من استشهد منكم يوم أحد، سبعين قتيلًا وسبعين أسيرًا. وأنشدني أبو زيد الأنصاري لكَعْب بن مالك:

فأقام بالعَظَن المُعَظَن منهمُ سبعون، عُثْبَةُ منهمُ والأسودُ

قال ابن هشام: يعني قَتلى بدر، وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم أحد سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها.

مَن فات ابن إسحق ذكرهم:

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابنُ إسحق من هؤلاء السبعين القَتلى.

من بني عبد شمس:

من بني عَبْدِ شَمْس بن عبد مناف: وهبُ بن الحارث، من بني أنمار بن بغيض، حليف لهم، وعامرُ بن زيد، حليف لهم من اليمن. رجлан.

من بني أسد:

من بني أسد بن عبد العُزَّى: عُقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعمير مولى لهم. رجلان.

ابن عبد الله بن جذعان:

وذكر عمرو بن عبد الله بن جذعان التيمي، وعبدُ الله بن جذعان^(٢) هو الجَوَاد المشهورُ صاحب الجَفَنَة العظيمة التي كان يأكل منها الراكبُ على البعير، وكان النبي - ﷺ - يستظل بِظِلِّهَا، ووقع فيها إنسان فغرق ومات، وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حديثه، والسبب في غناه بعد أن كان صُغُلوكًا، وسؤال عائشة عنه النبي ﷺ: «هل ينتفع بجوده أم لا».

(٢) - الصواب: بالدال.

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٦٥).

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: نُبَيْه بن زيد بن مُلَيْص، وَعَبِيد بن سَلَيْط، حليف لهم من قيس. رجُلان.

من بني تيم:

ومن بني تَيْم بن مُرَّة: مالِك بن عُبيد الله بن عُثْمان وهو أخو طَرْحَة بن عُبيد الله بن عُثْمان أُسر فمات في الأسارى، فُعِدَّ في القَتْلَى، ويقال: وعمرو بن عبد الله بن جُدْعان. رجُلان.

من بني مخزوم:

ومن بني مَخْزُوم بن يَقْظَة: حُذَيْفَة بن أَبِي حُذَيْفَة بن المُغْيِرَة، قتله سعد بن أَبِي وقَّاص، وهشام بن أَبِي حُذَيْفَة بن المُغْيِرَة، قتله صُهَيْب بن سنان، وزهير بن أَبِي رِفَاعَة قتله أَبُو أُسَيْد مالِك بن رَبِيعَة، والسائب بن أَبِي رِفَاعَة قَتْلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَوْف، وعائذ بن السَّائِب بن عُويْمر، أُسر ثم افتُدي فمات في الطريق من جراحة جرحه إِيَّاهَا حمزة بن عبد المطلب، وعُمير حليف لهم من طَيِّء، وخيار، حليف لهم من القارة. سبعة نفر.

من بني جمح:

ومن بني جَمَح بن عمرو: سَبْرَة بن مالِك، حليف لهم. رجل.

من بني سهم:

ومن بني سَهْم بن عمرو: الحارث بن مُنْبَه بن الحجاج، قتله صُهَيْب بن سنان، وعامر بن عَوْف بن ضُبَيْرَة، أخو عاصم بن ضُبَيْرَة، قَتْلَهُ عبد الله بن سَلْمَة العَجْلاني، ويقال: أَبُو دُجَانَة. رجُلان.

حذيفة بن أبي حذيفة:

وذكر ابن هشام فيهم أيضًا حُذَيْفَة بن أَبِي حُذَيْفَة بن المُغْيِرَة، واسم أَبِي حُذَيْفَة هذا مُهْشَم، وهو أخو هِشَام وهاشم [وبه كان يُكْتَب] ابْنِي المَغْيِرَة، وهشام: والد أَبِي جَهْل، وهاشم جدُّ عمر لأمه، ومُهْشَم هو: أَبُو حُذَيْفَة، وأما أَبُو حُذَيْفَة بن عُتْبَة فاسمه قيس، ولم يقل ذلك ابن إسحق ولا ابن هشام، وإنما قالوا فيه مُهْشَم، وهو عند أهل النُسب غَلَطٌ إنما مُهْشَم أَبُو حذيفة بن عُتْبَة.

ذكر أسرى قريش يوم بدر

من بني هاشم:

قال ابن إسحاق: وأسر من المُشركين من قريش يومَ بدر، من بني هاشم بن عبد مناف: عَقِيلُ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم؛ ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم.

تسمية من أُسر من المشركين يوم بدر

لم يُسمِ ابنُ إسحاق، ولا ابنُ هشام مَنْ أسلم منهم، والحاجةُ ماسةٌ بقارىء السيرة إلى معرفة ذلك، فأولهم وأفضلهم العباسُ عمُ رسول الله - ﷺ - ولا خفاءً بإسلامه وفضله، وقد ذكرنا سببَ إسلامه في فصل قبل هذا الفصل، وأن أبا اليسر كَعْبَ بنَ عَمْرٍو هو الذي أسره، وكان قصيرًا ذَمِيمًا، وفي مُسند البزار أنه قيل للعباس: كيف أسرك أبو اليسر، ولو أخذته بكفك لوسعته كفك، فقال: ما هو إلا أن لقيته، فظهر في عَنَتِي كالحندمة، والحندمةُ جبل من جبال مكة.

عقيل بن أبي طالب:

وعقيلُ بن أبي طالب ممن أسلم وحسن إسلامه، أسلم عام الحُدَيْبية، وقال النبي ﷺ: «يا أبا يزيد إني أحبُّك حُبَّين حُبًّا لقربتك مني، وحُبًّا لِمَا أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ»^(١)، سكن عقيلُ البَصْرَةَ، ومات بالشام في خلافة مُعاوية. رَوَى عن رسول الله ﷺ حديثًا في الوُضوء بالمدِّ والطَّهْوَرِ بالصاع، وحديثًا آخر أيضًا: «لا تقولوا بالرفاءِ والبَينين»^(٢)، وقولوا: بارك الله لك، وبارك عليك». وكان أَسَنُّ من جَعْفَرٍ بعشرِ سنين، وكان جعفرُ أَسَنُّ من عَلِيٍّ بعشرِ سنين، وكان طالبُ أَسَنُّ من عقيل بمثل ذلك.

نوفل بن الحارث

ومنهم: نُوْفَلُ بن الحارث بن عبد المطلب، يقال: أسلم عامَ الحَندَقِ، وهاجر، وقيل: بل أسلم حين أسير، وذلك أن النبي ﷺ قال له: «أفد نفسك»، قال: ليس لي مال أفندي به، قال: «أفد نفسك بأزمَاجِك التي بجُدَّة»، قال: والله ما علم أحدٌ أن لي بجُدَّة أزمَاجًا

(١) «مرسل». أخرجه الطبراني (١٧/١٩١) وابن سعد في الطبقات (٤/١/٣٠) والحاكم في مستدركه (٣/٤٥٧٦) عن ابن إسحاق مرسلًا.

(٢) الرفاء: أي الاتفاق والوئام.

من بني المطلب:

ومن بني المطلب بن عبد مناف: السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب؛
ونُعْمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب. رجلان.

من بني عبد شمس وحلفائهم:

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن
عبد شمس؛ والحارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، ويقال: ابن
أبي وخره، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحق: وأبو العاص ابن الزبيع بن عبد العزى بن (عبد) شمس؛ وأبو
العاص بن نوفل بن عبد شمس.

غير الله، أشهد أنك رسول الله^(١) وهو ممن ثبت مع رسول الله - ﷺ - يوم حنين وأعان
رسول الله - ﷺ - عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رُمح فقال له النبي ﷺ: «كأنِّي أنظر إلى
أزماحك هذه تُفصِّفُ ظُهورَ المشركين». مات بالمدينة سنة خمس عشرة، وصلى عليه
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنهما -.

أبو العاصي ابن الربيع وغيره:

ومنهم أبو العاصي ابن الربيع صهرُ رسول الله - ﷺ - وقد ذكرنا خبره مع ما ذكر ابن
إسحق من حديثه، وذكرنا الاختلاف في اسمه قبل هذا.

ومنهم أبو عَزِيزُ بْنُ عُمَيْرِ الْعَبْدَرِيِّ، وقد ذكرنا اسمه واسم أمه وإخوته، في أول خبر
بذِر. ومنهم السائب بن أبي حُبَيْشِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وهو الذي قال فيه
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه -: ذاك رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ فِيهِ عَيْنًا، وما أحد إلا وأنا أقدر أن
أعييه بعد رسول الله ﷺ - وقد قيل: إن هذه المقالة قالها عُمَرُ فِي ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ،
والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبي حُبَيْشِ الْمُسْتَحَاضَةِ.

ومنهم خالد بن هشام، ذكره بعضهم في المؤلفة قلوبهم.

ومنهم عبدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّائِبِ، واسم أبي السائب: صَيْفِي، وقد تقدم قولُ عَمَرَ فِيهِ،
وفي أبيه، وعنه أخذ أهل مكة القراءة، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/١/٣١).

ومن حلفائهم أبو ريشة بن أبي عمرو؛ وعمرو بن الأزرق، وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي. سبعة نفر.

من بني نوفل وحلفائهم:

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غزوان بن جابر، حليف لهم من بني مازن بن منصور؛ وأبو ثور، حليف لهم. ثلاثة نفر.

من بني عبد الدار وحلفائهم:

ومن بني عبد الدار بن قصي: أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ والأسود بن عامر، حليف لهم. ويقولون: نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث بن السباق. رجлан.

من بني أسد وحلفائهم:

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي. السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد؛ والحويث بن عباد بن عثمان بن أسد.

قال ابن هشام: هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد.

قال ابن إسحق: وسالم بن شمّاس، حليف لهم. ثلاثة نفر.

من بني مخزوم:

ومن بني مخزوم بن يقطنة بن مرة: خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وأمّية بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وصنفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وأبو المنذر بن أبي رفاعة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم؛ وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم؛

ومنهم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وبنو عمر بن مخزوم ثلاثة: عبد العزى، وعابد، ومن أهل النسب من ذكر فيهم عثمان بن عمر، وبنو مخزوم ثلاثة: عمر والد هؤلاء الثلاثة، وعمران، وعمار، هؤلاء فيهم العدد، ويذكر في بني مخزوم أيضًا عمير وعميرة ولم يعقب عميرة إلا بنتًا اسمها: زينب، ومن حديث المطلب

وخالد بن الأعلم، حليف لهم، وهو كان - فيما يذكرون - أول من ولى فازًا منهزمًا، وهو الذي يقول:

ولسنا على الأدبارِ تَذمي كُلومنا ولكن على أقدامنا يَقْطُر الدَّمُ
تسعة نفر.

قال ابن هشام: ويروى: «لُسنا على الأعقاب».

وخالد بن الأعلم، من خُزاعة، ويقال: عُقيلي.

من بني سهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب: أبو وداعة بن ضُبيرة بن سعيد بن سَعْد بن سَهْم، كان أول أسير أفتدي من أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة: وفروة بن قيس بن عدي بن خُذافة بن سعد بن سهم، وخنظلة بن قبيصة بن خُذافة بن سَعْد بن سهم، والحجاج بن قيس بن عدي بن سَعْد بن سهم. أربعة نفر.

هذا عن رسول الله - ﷺ - أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس، وفي إسناده ضَعْفٌ^(١).

الحكم بن عبد المطلب:

ومن ولده الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب، وكان أكرم أهل زمانه، وأسخاهم، ثم تزهد في آخر عمره، ومات بمنبج، وفيه يقول [عباءة بن عمر] الرائي يريته:

سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا فقلت إنهما ماتا من الحكم
ماتًا مع الرُّجلِ المُوْفي بِدَمَّتِهِ قبل السؤال إذا لم يُوفَ بالدَّمَمِ

وذكر الدارقطني عن حميد بن معروف قال: حضرت وفاة الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب، فأصابته من الموت شدة، فقال قائل في البيت: اللهم هَوِّنْ عليه الموت، فقد كان، وقد كان، يُثْنِي عليه فأفاق الحكم، فقال: مَنْ المتكلم؟ فقال الرجل: أنا، فقال الحكم: يقول، لك ملك الموت أنا بكلِّ سَخِي رَفِيق، ثم كأنما كانت

(١) «حسن». أخرجه الترمذي (٣٦٧١) والحاكم (٦٩/٣) وابن أبي حاتم في العلل (٢٦٦٧).

من بني جمح:

ومن بني جَمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدُ الله بن أبي بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح؛ وأبو عَزَّة عمرو بن عبد بن عُثمان بن وهيب بن حُذافة بن جُمح، والفاكه، مولى أُمَيَّة بن خلف، ادَّعاه بعد ذلك رباح بن المُعترف، وهو يزعمُ أنه من بني شَمَاح بن مُحارب بن فهر - ويقال: إن الفاكه: بنُ جَزول بن حِذيم بن عوف بن غَضب بن شَمَاح بن محارب بن فهر - وَهَب بنُ عُمير بن وهب بن خَلَف بن وهب بن حُذافة بن جُمح، وربيعه بن دَرَّاج بن العنيس بن أَهبان بن وهب بن حُذافة بن جُمح. خمسة نفر.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لُؤي: سُهَيْل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدَّ بن نَضْر بن مالك بن جِسْل بن عامر، أسره مالك بن الدُخْشُم، أخو بني سالم بن عَوْف؛ وعبد بن

فَتِيلَةَ فُطُفِثَتْ، وقد ذكر هذا الخبر الزُّبَيْرُ بن أبي بكر أيضًا، وحين سُجِنَ الحَكُمُ في ولايةٍ وليها، قال فيه شاعر:

خَلِيلِيَّ إِنِ الْجَوْدَ فِي السَّجْنِ فَابْكِيَا على الجود إذ سُدَّتْ عليه مَرافِقُهُ
في أبياتٍ، فأعطى قاتل هذا الشعر ثلاثة آلاف دِرْهَم.

من الذين أسلموا من أسارى بدر:

ومنهم: أبو وَدَاعَةَ الحارث بن صُبَيْرَةَ بن سَعِيد بن سَعْدِ بن سَهْم أسلم هو وابنه المَطْلُبُ بن أبي وَدَاعَةَ يوم فتح مَكَّة.

ومنهم الْحَجَّاجُ بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سَعِيد بن سَهْم، ولم يوافق الواقدي ولا غيره لابن إسحق على قوله: سَعِيد بن سَهْم، وقالوا: إنما هو سَعْد، وقد تقدم هذا، وأحسب ذكر الحجاج في هذا الموضع، وهما فإنه من مُهاجرة الحَبَشَةِ وقديم المدينة بعد أحد، فكيف يُعَدُّ في أسرى المشركين يوم بدر.

ومنهم عبد الله بن أَبِي بن خَلَفِ الجَمَحِيَّ أسلم يوم الفتح، وقُتِلَ يوم الجمل، ومنهم: وَهْبُ بن عُمَيْرِ الجَمَحِيَّ أسلم بعد أن جاء أبو عُمَيْر في فِدائِهِ فأسلم جميعًا، وقد ذكر خبر إسلامه ابنُ إسحق قبل هذا.

ومنهم سُهَيْلُ بن عَمْرٍو أسلم ومات بالشام شهيدًا، وهو خطيب قُرَيْش، وأخباره مشهورة في السيرة وغيرها.

زَمْعَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وَدَّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلِ بْنِ عَامِرٍ،
وعبد الرحمن بن مشنوء بن وفدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن
مالك بن حنبل بن عامر. ثلاثة نفر.

من بني الحارث:

ومن بني الحارث بن فهر: الطفيل بن أبي قُتَيْع، وعُتْبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَخْدَم.
رجلان.

قال ابن إسحق: فجميع من حُفِظَ لَنَا مِنَ الْأَسَارَى ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا.

ما فات ابن إسحق ذكرهم:

قال ابن هشام: وقع من جملة العدد رجل لم تذكر اسمه.

وممن لم يذكر ابن إسحق من الأسارى:

من بني هاشم:

من بني هاشم بن عبد مناف: عتبة، حليف لهم من بني فهر. رجل.

من بني المطلب:

ومن بني المطلب بن عبد مناف: عَقِيلُ بْنُ عَمْرِو، حليف لهم، وأخوه تميم بن
عمرو، وابنه. ثلاثة نفر.

من بني عبد شمس:

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن أسيد بن أبي العيص، وأبو العريض
يسار، مولى العاص بن أمية. رجلان.

ومنهم: عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ أَخُو سَوْدَةَ بَثَّتْ زَمْعَةَ أَسْلَمَ، وَهُوَ الَّذِي خَاصَمَهُ سَعْدٌ فِي ابْنِ
وَلِيدَةَ زَمْعَةَ، وَاسْمُ الْإِبْنِ الْمَخَاصِمِ فِيهِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ
لَكَ يَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٧٠/٣) ومسلم في الرضاع (٣٩) والنسائي (١٨٠/٦) وابن ماجه (٢٠٠٤) وأحمد
(١٢٩/٦) والدارقطني (٣١٢/٣) بتحقيقي ومالك (٧٣٩) والشافعي في مسنده (١٨٨) وغيرهم في
غيرهم.

من بني نوفل:

ومن بني نوفل بن عبد مناف: نَبْهان، مولى لهم. رجل.

من بني أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى: عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث. رجل.

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: عَقِيل، حليف لهم من اليمن. رجل.

من بني تيم:

ومن بني تيم بن مُرَّة: مُسافع بن عِيَّاض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وجابر بن الزبير، حليف لهم. رجلا.

من بني مخزوم:

ومن بني مَخْزُوم بن يَقْظَة: قَيْسُ بن السَّائب. رجل.

من بني جمح:

ومن بني جمح بن عمرو: عمرو بن أَبِي بن خَلَف، وأبو زُهْم بن عبد الله، حليف لهم، وحليف لهم ذهب عني اسمه، ومَوْلِيَّان لَأُمَيَّة بن خَلَف، أحدهما نِسْطَاس، وأبو رافع، غلام أُمَيَّة بن خَلَف. ستة نفر.

ومنهم قَيْسُ بنُ السَّائِبِ [بن عُويَمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم] المَخْزُومِي، إليه كان وَلَاءُ مُجَاهِدِ بن جُبَيْر، القاري، ويقال: فيه مُجَاهِدِ بن جُبَيْر، وهو قول ابن إسحاق، وكان مجاهدٌ يقول: «في مَوْلَاي قَيْسُ بن السَّائِبِ أنزل الله سبحانه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾»^(١) فافطَّر وأطعم عن كل يوم مِسْكِينًا، وهو الذي قال: كان رسول الله ﷺ - في الجاهلية شريكِي، فكان خير شريك لا يُشاريني ولا يُماريني»^(٢)، وقيل: إن أباه قال هذه المقالة، وتقدم الاضطراب في ذلك والاختلاف، وقوله: يُشاريني من شَرِي الأمر بينهم إذا تَغَاضَبُوا.

ومنهم نِسْطَاسُ مَوْلَى أُمَيَّة بن خَلَف، يقال: إنه أسلم بعد أحد، وكان يُحَدِّثُ عن انهزَامِ المُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، ودخول المسلمين عليه في القَبَّة وهُرُوبِ صَفْوَان بخبر عجيب لم يذكره ابن إسحاق، فهذه جملة مَنْ أسلم من الأَسَارَى الذين أُسِرُوا يوم بدر.

(٢) أخرجه البخاري في الطبقات (١/٣/٧٠).

(١) سورة البقرة آية رقم (١٨٤).

من بني سهم:

ومن بني سهم بن عمرو: أسلم، مولى نبيه الحجاج. رجل.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لؤي: حبيب بن جابر، والسائب بن مالك. رجلان.

من بني الحارث:

ومن بني الحارث بن فهر: شافع وشفيع، حليفان لهم من أرض اليمن. رجلان.

ممن لم يسلم من الأسارى:

وذكر فيمن لم يسلم منهم عبد الله بن حميد بن زهير الأسدي، والمعروف فيه عبيد الله بن حميد، كذلك ذكره ابن قتيبة، وأبو عمر، والكلاباذي أبو نصر، وهو مولى حاطب بن أبي بلتعة.

وما ذكره ابن إسحق في نسب بلي بن قازان بن عمرو، فإنه عند أكثر أهل النسب قران بغير ألف غير أن منهم من يشدد الراء، وهو ابن دُرَيْد، وقال: هو فعَلان من الفِرار.

تاريخ وفاة رقية:

فصل: وذكر في السيرة تخلف عثمان على امرأته رُقِيَّة فَضْرَبَ له رسول الله - ﷺ - بِسَهْمِهِ وأَجْرَهُ، كان موتها يومَ قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِشِيرًا بَوْقَعَةَ بَدْرٍ، وهذا هو الصحيح في وفاة رقية، وقد رَوَى الْبُخَارِيُّ في التاريخ حديثَ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - شَهِدَ دَفْنَ بِنْتِهِ رُقِيَّةَ، وَقَعَدَ عَلَى قَبْرِهَا، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ لَمْ يُقَارَفْ^(١) اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ فِي قَبْرِهَا^(٢)، ثُمَّ أَنْكَرَ الْبُخَارِيُّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ، وَخَرَجَهُ فِي كِتَابِ الْجَامِعِ، فَقَالَ فِيهِ: عَنْ أَنَسٍ شَهِدْنَا دَفْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَلَمْ يُسَمَّ رُقِيَّةَ وَلَا غَيْرَهَا وَرَوَاهُ الطَّبْرِيُّ، فَقَالَ فِيهِ: عَنْ أَنَسٍ شَهِدْنَا دَفْنَ أُمِّ كَلْثُومَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَبَيَّنَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَهُوَ كُلُّهُ حَدِيثٌ وَاحِدٌ، وَمَنْ قَالَ: كَانَتْ رُقِيَّةَ، فَقَدْ وَهَمَ بِلَا شَكِّ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: «أَيُّكُمْ يُقَارَفُ اللَّيْلَةَ»، فَقَالَ: فَلْيُخَبِّرْ بَنُ سَلِيمَانَ، وَهُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ، يَعْنِي: الذَّنْبَ هَكَذَا وَقَعَ فِي الْجَامِعِ، وَهُوَ خَطَأٌ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، كَانَ أَوْلَى بِهِذَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَيُّكُمْ لَمْ يُقَارَفْ أَهْلَهُ، وَكَذَا رَوَاهُ غَيْرُهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: أَرَادَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَنْ يَخْرِمَ عُثْمَانَ

(٢) أخرجه البخاري (١٣١/٣) معلقاً.

(١) يقارف: يجامع.

ما قيل من الشعر في يوم بدر

قال ابن إسحق: وكان ممَّا قيل من الشعر في يوم بدر، وتراذ به القوم بينهم لما كان فيه، قولُ حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها:

ألم ترَ أمراً كان من عَجَبِ الدهرِ وللحَيْنِ أسبابٌ مبَيِّنة الأمرِ
وما ذاك إلا أن قَوْمًا أفادهم فحانوا تواصٍ بالعقوق^(١) وبالكُفرِ

النزول في قبرها، وقد كان أحقُّ الناس بذلك، لأنه كان بَعْلَهَا، وفقد منها عِلْقًا لا عوضَ منه، لأنه حين قال عليه السلام: «أَيُّكُمْ لم يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ أَهْلَهُ سَكَتَ عثمان»، ولم يقل: أنا، لأنه كان قد قَارَفَ ليلة ماتت بعضُ نسائه، ولم يَشْغَلْهُ الهَمُّ بالمصيبة، وانقطاعَ صِهْرِهِ من النبي ﷺ عن المُقَارَفَةِ، فَحَرَمَ بذلك ما كان حَقًّا له، وكان أولى به من أبي طَلْحَةَ وغيره، وهذا بَيِّنٌ في معنى الحديث، ولعل النبي ﷺ قد كان علم ذلك بالوحي، فلم يقل له شيئًا، لأنه فعل فِعْلًا حَلَالًا، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مَبْلَغًا يَشْغَلُهُ حتى حُرِمَ ما حُرِمَ من ذلك بَتَّغْرِيضٍ غيرِ تَضَرُّيعٍ والله أعلم.

أشعار يوم بدر

وقد قدَّمنا في آخر حديث الهجرة: آنا لا نعرض لشرح شيء من الشعر الذي هُجِيَ به المسلمون، ونال فيه من رسول الله ﷺ المشركون إلا شِعْرًا أسلم صاحبه، وتكلَّمنا هنالك على ما قيل في تلك الأشعار وذكرنا قول من طعن عن ابن إسحق بسببها هنالك وبيَّنا الحقَّ والحمد لله.

الشعر المنسوب إلى حمزة:

الشعر المنسوب إلى حمزة فيه:

وما ذاك إلا أن قَوْمًا أفادهم

أفادهم: أهلكهم، يقال: فاد الرجلُ وفاظ، وفَطَسَ، وفَازَ، وفَوَزَ إذا هَلَكَ، ولا يقال: فاض بالضاد، ولا يقال: فاظت نفسه إلا في لغة بني ضَبَّةَ بن أد.

وقوله: تَوَاصٍ هو تَفَاعُلٌ من الوَصِيَّةِ، وهو الفاعل بأفادهم.

(١) العقوق: المخالفة في الأمر.

فكانوا رهوناً للرَّكِيَّةِ^(١) مِنْ بَذَرٍ
فساروا إِلَيْنَا فَالتَّقَيْنَا عَلَى قَدَرٍ
لَنَا غَيْرَ طَعْنٍ بِالمُثَقِّفَةِ^(٢) السُّمَرِ
مُشْهَرَةَ الْأَلْوَانِ بَيْنَةَ الْأَثَرِ
وَشَيْئَةٍ فِي الْقَتْلِ تَجْزِجُ فِي الْجَفْرِ^(٣)
فَشَقَّتْ جُيُوبُ الثَّائِحَاتِ عَلَى عَمُرٍ
كَرَامٍ تَفْرَعُنِ^(٤) الذَّوَائِبَ^(٥) مِنْ فَهْرِ^(٦)
وَحَلُّوا لَوَاءَ غَيْرٍ مُحْتَضِرِ النَّضْرِ
فَخَاسَ^(٧) بِهِمْ، إِنَّ الْخَيْثَ إِلَى عَذْرِ
بَرِثْتَ إِلَيْكُمْ مَا بَيَّ الْيَوْمَ مِنْ صَبْرِ
أَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو قَسْرِ
وَكَانَ بِمَا لَمْ يَخْبِرِ الْقَوْمُ ذَا خُبَرِ
ثَلَاثُ مِثْقَالٍ كَالْمُسَدَّمَةِ^(٨) الزُّهْرِ
بِهِمْ فِي مَقَامٍ ثُمَّ مُسْتَوْضِحِ الذَّكْرِ
لَدَى مَا أَرَقَ فِيهِ مَنَائِمُهُمْ تَجْرِي

عَشِيَّةً رَاخُوا نَحْوَ بَذَرٍ بِجَمْعِهِمْ
وَكُنَّا طَلَبْنَا الْعِيرَ لَمْ نَبْغِ غَيْرَهَا
فَلَمَّا التَّقَيْنَا لَمْ تَكُنْ مَثْنَوِيَّةً
وَصَرْبٍ بَيِّضٍ يَخْتَلِي الْهَامَ^(٩) حَدُّهَا
وَنَحْنُ تَرَكْنَا عُثْبَةَ الْعَيِّ ثَاوِيَا
وَعَمُرُو نَوَى فِيمَنْ نَوَى مِنْ حُمَاتِهِمْ
جُيُوبُ نِسَاءٍ مِنْ لُؤْيٍ بَنِ غَالِبٍ
أُولَئِكَ قَوْمٌ قُتِلُوا فِي ضَلَالِهِمْ
لِإِوَاءِ ضَلَالٍ قَادَ إِبْلِيسُ أَهْلَهُ
وَقَالَ لَهُمْ، إِذْ عَايَنَ الْأَمْرَ وَاضِحًا
فَلِنَايَ أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَإِنِّي
فَقَدَّمَهُمْ لِلْحَيْنِ حَتَّى تَوَزَّطُوا
فَكَانُوا غَدَاةَ الْبِثْرِ أَلْفًا وَجَمَعْنَا
وَفِينَا جُثُودَ اللَّهِ حِينَ يُمَدَّنَا
فَشَدَّ بِهِمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال:

وَلِلْمُحْزَنِ مَنِّي وَالْحَرَارَةِ فِي الصَّدْرِ
فَرِيدٌ هَوَى مِنْ سِلْكَ نَاطِمِهِ يَجْرِي
رَهِينَ مَقَامٍ لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَذَرٍ

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالْهَجَرِ
وَلِلدَّمْعِ مِنْ عَيْنَيْ جَوْدًا كَأَنَّهُ
عَلَى الْبَطْلِ الْحُلُو الشَّمَائِلُ إِذْ نَوَى

وفيه يُجْزِجُ فِي الْجَفْرِ. الْجَفْرُ كُلُّ بِثْرٍ لَمْ تُطَوَّ، ومثلها: الْجَفْرَةُ، وَيُجْزِجُ: يجعل بعضه على بعض.

- (٢) المثقفة: الرماح.
(٤) الجفر: البثر.
(٦) الذوائب: الشعر المضفور.
(٨) خاس: نكت.

- (١) الركبة: البثر.
(٣) الهام: القامة.
(٥) تفرعن: جعلتها فروعا.
(٧) فهر: بطن من قريش.
(٩) المسدمة: بقع في الفضاء تشبه النجوم.

فلا تَبْعُدْنَ يا عمرو من ذي قُرابة
 فإنَّ يَكُ قَوْمٍ صَادَفُوا مِنْكَ دَوْلَةً
 فقد كُنْتَ فِي صَرْفِ الزَّمانِ الَّذِي مَضَى
 فإِلَّا أُمْتُ يا عَمْرُو أَتَرَكَكَ نائِراً
 وأَقَطْعُ ظَهراً مِنْ رِجالٍ بِمَعْشَرٍ
 أَغْرَهُمْ ما جَمَعُوا مِنْ وَشِيظَةٍ
 فَيالَ لُؤْيٍ دَبَّيْوْا عَنْ حَرِيْمِكُمْ
 تَوَارِثُها أَباؤُكُمْ وَوَرِثُتُمْ
 فَمَّا لِحَلِيمٍ قَدْ أَرادَ هَلاكَكُمْ
 وَجِدُّوا لِمَنْ عَادَيْتُمْ وَتَوازَرُوا
 لَعَلَّكُمْ أَنْ تَتَّارُوا بِأَخِيكُمْ
 بِمَطَرَداتٍ فِي الْأَكْفِ كَأَنَّها
 كَأَنَّ مَدَبَ الذَّرِّ فَوْقَ مُتُونِها

وَمِنْ ذِي نِدَمٍ كانَ ذَا خُلُقٍ غَمِرَ
 فلا بُدَّ لِلأَيامِ مِنْ دُولِ الدَّهْرِ
 هَوَاناً مِنْكَ ذَا سُبُلٍ وَغَرِ
 ولا أَتَبَقُ بُقْياً فِي إِخاءٍ ولا صَهْرٍ
 كَرامٍ عَلَيْهِمْ مِثْلُ ما قَطَعُوا ظَهْرِي
 وَنَحْنُ الصَّمِيمُ فِي القَبائِلِ مِنْ فِهرٍ
 وَالْهَلْهَلُ لا تَتَرَكُوها لَذِي الفَخْرِ
 أَواسِيها وَالْبَيْتَ ذَا السَّقْفِ وَالسُّتْرِ
 فلا تَغْذِرُوهُ آلَ غالِبٍ مِنْ عُذْرٍ
 وَكُونُوا جَمِيعاً فِي التَّأْسِي وَفِي الصَّبْرِ
 ولا شَيْءٌ إِنْ لَمْ تَتَّارُوا بِذَوِي عَمْرٍو
 وَمِضَضٌ تُطِيرُ الهَمامَ بَيْنَهُ الأَثَرِ
 إِذا جُرِّدَتْ يَوماً لِأَعْدائِها الحُزُرِ

قال ابن هشام: أبَدَلنا مِنْ هَذِهِ القَصِيدَةِ كَلِمَتَيْنِ مِمَّا رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ، وَهُما «الفخر» فِي آخِرِ البَيْتِ، وَ «فَمَا لِحَلِيمٍ» فِي أَوَّلِ البَيْتِ، لِأَنَّهُ نالَ فِيهِمَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

قال ابن إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طالِبٍ فِي يَومِ بَدْرٍ:

قال ابن هشام: وَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِالشَّعْرِ يَغْرِفُها ولا تَقْيِضُها، وَإِنَّمَا كَتَبَناها لِأَنَّهُ يَقَالُ: إِنْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعانَ قُتِلَ يَومَ بَدْرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي القَتْلِ، وَذَكَرَهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْلَى رُسُولَهُ
 بِما أَنْزَلَ الكُفَّارَ دارَ مَذَلَّةٍ
 فَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ
 فَجاءَ بِفُرْقانٍ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٍ
 فَأَمَّنَ أَقْوامٌ بِذاكَ وَأَيَقَنُوا

بَلَاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فَضْلِ
 فَلاقُوا هَوَاناً مِنْ إِسارٍ وَمِنْ قَتْلِ
 وَكانَ رَسُولُ اللَّهِ أُزْسِلَ بِالْعَدْلِ
 مَبْيُنةً آيائِهِ لَذَوِي العَقْلِ
 فَأَمْسُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مُجْتَمِعِي الشُّمْلِ

وأنكر أقوامَ فزَاغت قلوبُهم
وأمكنَ منهم يومَ بذرِ رسولِهِ
بأيديهم بيضٌ خِفَافٌ عَصَوْا بِهَا
فكم تركوا من نَاشِيءٍ ذي حَمِيَّةٍ
تَبِيْتُ عِيونُ النَّاتِحَاتِ عَلَيْهِمُ
نَوَاحٍ تَنعَى عُثْبَةَ الْعَيِّ وابْنَهُ
وذا الرِّجْلِ تَنعَى وابنَ جُدَعَانَ فِيهِمُ
ثَوَى مِنْهُمْ فِي بئرِ بدرٍ عَصَابَةٌ
دعا الْعَيِّ مِنْهُمْ مَنْ دَعَا فَأَجَابَهُ
فَأَضْحَوْا لَدَى دارِ الْجَحِيمِ بِمَغْزِلٍ
فَأَجَابَهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ:

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ تَنعَى سَفِيهِهِمْ
تَنعَى بِقَتْلَى يَوْمَ بَدْرٍ تَتَابَعُوا
مَصَالِيَتَ بَيْضٍ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
بِأَمْرِ سَفَاهٍ ذِي اعْتِرَاضٍ وَذِي بُطْلٍ
كِرَامِ الْمَسَاعِي مِنْ غُلَامٍ وَمِنْ كَهْلٍ
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَطَاعِيمٍ فِي الْمَخْلٍ

شعر علي:

وقال في الشعر الذي يعزى إلى علي:

بأيديهم بيضٌ خِفَافٌ عَصَوْا بِهَا

يقال: عَصَيْتُ بالسيفِ وَعَصَوْتُ بالعَصَا، فإذا أَخْبَرْتَ عَنْ جَمَاعَةٍ قُلْتَ: عَصَوْا بِضَمِّ
الضادِّ، كما يقال: عَمُوا، وَمِنَ الْعَصَا تَقُولُ: عَصَوْا، كما تقول: غَزَوْا.
وقوله: مُسَلِّبَةٌ، أَيِ قَدْ لَبِستِ السِّلَابَ، وَهِيَ خِزْفَةٌ سَوْدَاءُ تَلْبَسُهَا الثَّكَلَى. قال لَبِيدُ:
وإِنِّي مُلَاعِبُ الرِّمَاحِ وَمِنْذَرُهُ الْكَتِيبَةُ الرِّدَاحِ
يَضْرِبُنَّ حُرًّا أَوْجِهَ صِحَاحِ فِي السُّلْبِ السُّودِ وَفِي الْأَمْسَاحِ
فَالسُّلْبُ: جَمْعُ سِلَابٍ.

(٢) إسبال: إرسال الدمع وكثرته.

(٤) الويل: نزوله مجتمعاً.

(١) خبلاً: فساداً.

(٣) الرشاش: نزوله متفرقاً.

أَصِيبُوا كِرَامًا لَمْ يَبِيعُوا عَشِيرَةً
كَمَا أَصْبَحَتْ غَسَانُ فَيْكُم بِطَانَةٌ
عُقُوقًا وَإِنَّمَا بَيْئْنَا وَقَطِيعَةً
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ
فَلَا تَفْرَحُوا أَنْ تَقْتُلُوهُمْ فَقَتَلْتُمْ
فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْرَحُوا بَعْدَ قَتْلِهِمْ
يَفْقُدُ ابْنُ جُذْعَانَ الْحَمِيدَ فِعَالُهُ
وَشَنِيبَةً فِيهِمْ وَالْوَلِيدَ وَفِيهِمْ
أُولَئِكَ فَابْنِكِ ثُمَّ لَا تَبْنِكِ غَيْرَهُمْ
وَقُولُوا لِأَهْلِ الْمَكْتَنِينَ تَحَاشَدُوا
جَمِيعًا وَحَاطُوا آلَ كَعْبٍ وَذَبُّوا
وَالَا فَبِئْتُوا خَائِفِينَ وَأَصْبَحُوا
عَلَى أُنْتِي وَاللَّاتِ يَا قَوْمُ فَاعْلَمُوا
سِوَى جَمْعِكُمْ لِلْسَّابِغَاتِ وَلِلْقَنَا

بِقَوْمِ سِوَاهُمْ نَازِحِي الدَّارِ وَالْأَضْلِ
لَكُمْ بَدَلًا مَثًا فَيَا لَكَ مِنْ فِعْلٍ
يَرَى جَوْرَكُمْ فِيهَا ذُووُ الرَأْيِ وَالْعَقْلِ
وَخَيْرُ الْمَنَآيَا مَا يَكُونُ مِنَ الْقَتْلِ
لَكُمْ كَائِنْ خَبَلًا مُقِيمًا عَلَى خَبَلٍ
شَتِيَّتًا هَوَاكُم غَيْرُ مُجْتَمَعِي الشَّمْلِ
وَعُتْبَةَ وَالْمَذْعُوَ فَيْكُم أَبَا جَهْلٍ
أُمِيَّةَ مَأْوَى الْمُغْتَرِّينَ وَذُو الرِّجْلِ
نَوَاحٍ تَدْعُو بِالرِّزْيَةِ وَالثُّكُلِ
وَسِيرُوا إِلَى أَطَامٍ يَثْرِبُ ذِي الثُّخْلِ
بِخَالِصَةِ الْأَلْوَانِ مُحَدَّثَةِ الصُّفْلِ
أَذَلُّ لَوْطِ الْوَاطِنِينَ مِنْ الثُّغْلِ
بَكُمْ وَائْتِ أَنْ لَا تُقِيمُوا عَلَى تَبَلٍ
وَلِلْبَيْضِ وَالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ وَالتَّبَلِ

وقال ضرار بن الخطاب بن مزداس، أخو بني مُحارب بن فِهْر في يوم بدر:

عَجِبْتُ لَفَخْرِ الْأَوْسِ وَالْحَيْنِ دَائِرٍ
وَفَخْرِ بَنِي التَّجَارِ وَإِنْ كَانَ مَعَشَرٌ
فَإِنْ تَكُ قَتْلَى غَوْدِرَتْ مِنْ رَجَالِنَا
وَتَزِيدِي بِنَا الْجُزْدَ الْعَنَاجِيحَ وَسَطَكُمْ
وَوَسْطَ بَنِي التَّجَارِ سَوْفَ نَكْرَهَا
فَتَتْرَكَ صَرْعَى تَغْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ
وَتَبْكِيهِمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ نِسْوَةً
وَذَلِكَ أَنَّا لَا تَزَالُ سَيُوفُنَا
فَإِنْ تَظْفَرُوا فِي يَوْمٍ بَدْرٍ فَإِنَّمَا
وَبِالنَّفَرِ الْأَخْيَارِ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ

عليهم غداً والذهر فيه بصائرُ
أَصِيبُوا بِبَذَرِ كُلِّهِمْ ثُمَّ صَابِرُ
فَإِنَّا رَجَالٌ بَعْدَهُمْ سُنْغَادِرُ
بَنِي الْأَوْسِ حَتَّى يَشْفَى النَّفْسَ ثَائِرُ
لَهَا بِالْقَنَا وَالدَّارَعِينَ زَوَافِرُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْأَمَانِيُّ نَاصِرُ
لَهُنَّ بِهَا لَيْلٌ عَلَى التَّوَمِ سَاهِرُ
بِهَنْ دَمٍ مَمَّنْ يَحَارِبُنْ مَائِرُ
بِأَحْمَدَ أَمْسَى جَدُّكُمْ وَهُوَ ظَاهِرُ
يُحَامُونَ فِي الْأَوَاءِ وَالْمَوْتُ حَاضِرُ

يَعْدُ أَبُو بَكْرٍ وَحِمَزَةٌ فِيهِمْ
وَيُدْعَى أَبُو حَفْصٍ وَعَثْمَانُ مِنْهُمْ
أُولَئِكَ لَا مَنْ نَتَجَبُ فِي دِيَارِهَا
وَلَكِنْ أَبُوهُمْ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
هَمُّ الطَّاعِنُونَ الْخَيْلَ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ
فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ:

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهِ قَادِرٌ
قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نَلَاقِيَّ مَعْشَرًا
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مِنْ يَلِيهِمْ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا نُحَاوِلُ غَيْرَنَا
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ تَحْتَ لَوَائِهِ
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وَكُلُّ مُجَاهِدٍ
شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ
وَقَدْ غَرَّيْتُ بَيْضُ^(٢) خِفَافَ كَأَنَّهَا
بَهَنٌ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدُوا
فَكَبَّ أَوْ جَهِلَ صَرِيحًا لَوَجْهِهِ
وَشِيْبَةً وَالتَّيْمِيَّ غَادَرَنَ فِي الْوَعَى
فَأَمْسَوْا وَقُوْدُ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا
تَلَطَّيَ عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شَبَّ حَمِيْئُهَا
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا
لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَُوا بِهِ

عَلَى مَا أَرَادَ، لَيْسَ اللَّهُ قَاهِرُ
بَعُوثًا وَسَبِيلَ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
مِنَ النَّاسِ حَتَّى جَمَعَهُمْ مُتَكَاثِرُ
بِاجْمَعِهَا كَعْبٌ جَمِيعًا وَعَامِرُ
لَهُ مَغْقَلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرُ
يُمَشُّونَ فِي الْمَاضِيِّ وَالنَّفْعُ ثَائِرُ^(١)
لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ
مَقَائِيسُ يُزْهِيْهَا لَعَيْنَيْكَ شَاهِرُ
وَكَانَ يُلَاقِي الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرُ
وَعَتْبَةٌ قَدْ غَادَرَنَهُ وَهُوَ عَائِرُ
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا بِذِي الْعَرْشِ كَافِرُ
وَكُلَّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرُ
بِزُرِّ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرُ^(٣)
فَوَلُّوا وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاجِرُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّةِ اللَّهِ زَاجِرُ

(٢) البيض: السيوف.

(١) الثائر: من يلقي الشر على الناس.

(٣) ساجر: سيل جارف.

وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ يَبْكِي قَتْلَى بَدْرٍ:

قال ابن هشام: وتروي للأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش، أحد بني أُسَيْد بن عمرو بن تميم، حليف بني نُوَفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحق: حليف بني عبد الدار:

ماذا على بَدْر وماذا حَوْلُه	من فِثْيَةٍ بِيضِ الوُجُوهِ كِرَامِ
تركوا نُبْيَهَا خَلْفَهُمْ وَمُنْبَهَا	وابني رَبِيعَةَ خَيْرَ خَضَمِ فِثَامِ
والحارثُ القِيَاضُ يَنْزُقُ وَجْهَه	كالبدْرِ جَلَى لَيْلَةِ الإِظْلَامِ
والعاصِي بن مُنْبَهٍ ذا مِرَّة	رُفْحًا تَمِيمًا غَيْرَ ذِي أَوْصَامِ
تَنُمِي بِهِ أَعْرَافُهُ وَجُدُودُهُ	ومآثر الأَخْوالِ والأَعْمَامِ
وَإِذَا بَكَى بِأَكِّ فَاغْوَلَ شَجْوَه	فَعَلَى الرَّئِيسِ المَاجِدِ ابنِ هِشَامِ
حَيَّا الإِلَهَ أَبَا الوَلِيدِ وَرَفَظَه	رَبُّ الأَنَامِ، وَخَصَّصَهُم بِسَلامِ

فأجابه حُسان بن ثابت الأنصاري، فقال:

ابنك بَكَتْ عَيْنَاكَ ثُمَّ تَبَادَرَتْ	بَدَمٌ تُعَلِّ غُرُوبُهَا سَجَامِ
ماذا بَكَيْتَ بِهِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا	هَلَا ذَكَرْتَ مَكَارِمَ الأَثْوَامِ
وَذَكَرْتَ مَنَّا مَا جَدًّا ذَا هِمَّةٍ	سَنَحَ الخَلَائِقِ صَادِقِ الإِقْدَامِ
أَعْنِي النَّبِيَّ أَخَا المَكَارِمِ والنَّدَى	وَأَبْرُؤَ مَنْ يُؤَلِي عَلَى الإِقْسَامِ
فَلِمِثْلِهِ وَلِمِثْلٍ مَا يَدْعُو لَهُ	كَانَ المُمَدِّحَ ثُمَّ غَيْرَ كَهَامِ

شعر لحسان في بدر أيضًا

وقال حُسان بن ثابت الأنصاري أيضًا:

تَبَلَّتْ فَوَادِكُ فِي المَنَامِ خَرِيدَةً^(١) تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَامِ

حول شعر حُسان

وفي شِعْرِ حُسان:

تَبَلَّتْ فَوَادِكُ فِي المَنَامِ خَرِيدَةً

(١) خريدة: حسناء بكر.

كَالْمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ أَوْ عَاتِقِي^(١) كَدِمِ الدَّبِيحِ مُدَامَ
تُفْجُ الْحَقِيقَةِ^(٢) بُؤُصُهَا^(٣) مُتَنَصِّدٌ بَلْهَاءَ غَيْرِ وَشِيكَةِ الْأَقْسَامِ
بُنِيَتْ عَلَى قَطْنٍ أَجْمٌ كَأَنَّهُ فَضْلًا إِذَا قَعَدْتَ مَدَاكُ^(٤) رُخَامِ

يجوز أن يكون أراد بالمنام النَّوْمَ، وموضع النَّوْمِ، ووقت النَّوْمِ، لأنَّ مَفْعَلًا يَصْلَحُ فِي هَذَا كُلُّهُ فِي ذَوَاتِ الْوَاوِ، وَقَدْ تُسَمَّى الْعَيْنُ أَيْضًا مَنَامًا، لِأَنَّهَا مَوْضِعُ النَّوْمِ، وَعَلَيْهِ تَوَوَّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ أَيِ فِي عَيْنِكَ، وَيَقْوِيهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَقُلُّكُمْ فِي أَغْنِيهِمْ﴾.

الفرق بين مفعول وفعل:

وَلَا فَرْقَ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ بَيْنَ مَفْعَلٍ فِي هَذَا الْبَابِ وَقَفْعَلٍ، نَحْوَ مَضْرَبٍ وَمَضْرَبٌ، وَمَنَامٍ وَنَوْمٍ، وَكَذَلِكَ هُمَا فِي التَّعْدِيَةِ سَوَاءٌ، نَحْوَ ضَرْبٍ زَيْدٌ عَمْرًا وَمَضْرَبٌ زَيْدٌ عَمْرًا، وَأَمَّا فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ وَالْعِلْمِ بِجَوْهَرِ الْكَلَامِ، فَلَا سَوَاءٌ، فَإِنَّ الْمَصْدَرَ إِذَا حَدَّثَتْهُ قُلْتُ: ضَرْبَةٌ وَنَوْمَةٌ، وَلَا يَقَالُ: مَضْرِبَةٌ وَلَا مَنَامَةٌ، فَهَذَا فَرْقٌ، وَفَرْقٌ آخَرُ تَقُولُ: مَا أَنْتَ إِلَّا نَوْمٌ وَإِلَّا سَيْرٌ إِذَا قَصِدَتِ التَّوَكِيدَ، وَلَا يَجُوزُ: مَا أَنْتَ إِلَّا مَنَامٌ وَإِلَّا مَسِيرٌ، وَمِنْ جِهَةِ النَّظَرِ أَنَّ الْمِيمَ لَمْ تَزِدْ إِلَّا لِمَعْنَى زَائِدٍ كَالزَّوَائِدِ الْأَرْبَعِ فِي الْمَضَارِعِ، وَعَلَى مَا قَالُوهُ، تَكُونُ زَائِدَةً لِّغَيْرِ مَعْنَى. فَإِنْ قُلْتُ: فَمَا ذَاكَ الْمَعْنَى الَّذِي تُعْطِيهِ الْمِيمُ؟

قُلْنَا: الْحَدَّثَ يَتَضَمَّنُ زَمَانًا وَمَكَانًا وَحَالًا، فَالْمَذْهَبُ عِبَارَةٌ عَنِ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ الذَّهَابُ، وَعَنِ الْمَكَانِ أَيْضًا، فَهُوَ يُعْطِي مَعْنَى الْحَدَّثِ وَشَيْئًا زَائِدًا عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَدْتَ الْحَدَّثَ مَقْرُونًا بِالْحَالَةِ وَالْهَيْئَةِ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٥) فَأَحَالَ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ عَلَى الْبَشَرِ، ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٦) وَلَمْ يَقُلْ: مَنَامٌ لَخَلَوْ هَذَا الْمَوْطِنُ مِنْ تِلْكَ الْحَالَةِ، وَتَعَرَّيَ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى الزَّائِدِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى، وَمِنْ لَمْ يَعْرِفْ جَوْهَرَ الْكَلَامِ لَمْ يَعْرِفْ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ.

عود إلى شعر حسان:

وفي هذا الشعر:

بُنِيَتْ عَلَى قَطْنٍ أَجْمٌ كَأَنَّهُ

- (١) عاتق: جيد الشراب.
(٢) نفج الحقية: ضخمة العجز.
(٣) البوص: الحرير الأبيض.
(٤) مداك: حجر في رائحة الطيب.
(٥) سورة الروم آية رقم (٢٣).
(٦) سورة البقرة آية رقم (٢٥٥).

وتكاد تَكْسَلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشَهَا
أَمَّا النَّهَارَ فَلَا أَقْتَرُ ذِكْرَهَا
أَفْسَمْتُ أَنْسَامَهَا وَأَتْرَكَ ذِكْرَهَا
يَا مَنْ لِعَادِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً
بَكَرْتُ عَلَيَّ بِسُخْرَةٍ (٢) بَعْدَ الْكَرَى (٣)
زَعَمْتُ بِأَنَّ الْمَرْءَ يَكْرُبُ عُمْرَهُ
إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي
تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ
تَذَرُ الْعَنَاجِيحَ (٥) الْجِيَادَ بِقَفْرَةٍ
فِي جِسْمِ خَزْعَبَةٍ (١) وَحُسْنِ قَوَامٍ
وَاللَّيْلَ تُوزِعُنِي بِهَا أَخْلَامِي
حَتَّى تُغَيِّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي
وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهَوَى لُؤَامِي
وَتَقَارِبُ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ
عَدَمَ لِمُعْتَكِرٍ مِنَ الْأَضْرَامِ
فَتَجَوْتُ مَنَجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ (٤) وَلِجَامِ
مَرِّ الدُّمُوكِ (٦) بِمُخَصَّدٍ وَرِجَامِ (٧)

قَطَّنُهَا: تَبَجَّهَا وَوَسَطُهَا، وَأَجَمْتُ أَي: لَا عَظَامَ فِيهِ.

وقوله: كَأَنَّهُ فُضْلًا، نَصَبَ فُضْلًا عَلَى الْحَالِ، أَي: كَأَن قَطَّنُهَا إِذَا كَانَتْ فُضْلًا، فَهُوَ
حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي: كَأَنَّهُ، وَإِنْ كَانَ الْفُضْلُ مِنْ صِفَةِ الْمَرْأَةِ لَا مِنْ صِفَةِ الْقَطَنِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ
الْقَطَنُ بَعْضُهَا صَارَ كَأَنَّهُ حَالٌ مِنْهَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي قَعْدَتْ لِاسْتِحَالَةِ
أَنْ يَعْمَلَ مَا بَعْدَ إِذَا فِيمَا قَبْلُهَا، وَالْفُضْلُ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ: الْمُتَوَشَّحُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ،
وَالْمَدَاكُ صَلَاةُ الطَّيِّبِ (٨)، وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنْ دُكْتُ أَدُوْكَ، إِذَا دَقَّقْتَ، وَمِنَ الدُّوْكَةِ وَالدُّوْكَةُ (٩).

وقوله: مَرِّ الدُّمُوكِ يُقَالُ: دَمَكَهُ دَمَكًا، إِذَا طَحَنَهُ طَحْنًا سَرِيعًا، وَبَكَرَةُ دُمُوكَ، أَي: سَرِيعَةُ الْمَرِّ،
وَكَذَلِكَ أَيْضًا: رَحَى دُمُوكَ، وَالْمُخَصَّدُ الْحَبْلُ الْمُحَكَّمُ الْفَتْلَ، وَالرَّجَامُ: وَاحِدُ
الرَّجَامَيْنِ، وَهُمَا الْحَشَبَتَانِ اللَّتَانِ تُلْقَى عَلَيْهِمَا الْبَكَرَةُ، وَالرَّجَامُ أَيْضًا: جَمْعُ رُجْمَةٍ، وَهِيَ
حِجَارَةٌ مَجْتَمِعَةٌ، جَمْعُ رَجَمٍ وَهُوَ الْقَبْرُ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ:

تَمَتَّنْ مِنْ رُقَادٍ أَوْ سُهَادٍ وَلَا تَأْمَلْ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ
فَلَنْ لثَالِثِ الْحَالَيْنِ مَغْنَى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَنَامِ

- (١) خَزْعَبَةٌ: فَتَاةٌ حَسَنَاءُ. (٢) السَّحَرُ: آخِرُ اللَّيْلِ.
(٣) الْكَرَى: النَّوْمُ. (٤) طِمْرَةٌ: الْجَوَارِ الطُّوِيلُ الْقَوَائِمُ.
(٥) الْعَنَاجِيحُ: صِفَةُ لِلْجِيَادِ. (٦) الدُّمُوكُ: الَّتِي تَسِيرُ سِرًّا بَطِيئًا.
(٧) الرَّجَامُ: الْإِبِلُ الشَّدِيدَةُ.
(٨) صَلَاةُ الطَّيِّبِ: الْحَجَرُ الَّذِي يُسَنُّ عَلَيْهِ الطَّيِّبُ.
(٩) الدُّوْكَةُ: الشَّرُّ.

مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَازْمَدَّتْ بِهِ
وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرِكَ
طَحَنَتْهُمْ، وَاللَّهُ يُنْفِذُ أَمْرَهُ،
لَوْلَا إِلَالُهُ وَجَزِيُّهَا لَتَرَكْنَهُ
مَنْ بَيْنَ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثَاقُهُ
وَمَجْدَلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لَدَغْوَةِ
بِالْعَارِ وَالذِّلِّ الْمُبِينِ إِذْ رَأَى
بِيَدَيَّ أَعْرَى إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ
بِيضٌ إِذَا لَأَقَتْ حَدِيدًا صَمَمَتْ
وَتَوَى أَحْبَبْتُهِ بِشَرِّ مَقَامٍ
تَصَرَّ إِلَالُهُ بِهِ ذَوِي الْإِسْلَامِ
حَزَبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضِرَامِ
جَزَرِ السَّبَاعِ وَدُسْنِهِ بِخَوَامِي^(١)
صَفَرٍ إِذَا لَاقَى الْأَسِنَّةَ حَامِي
حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الْأَغْلَامِ
بِيضُ السُّيُوفِ تَسُوقُ كُلَّ هَمَامٍ
نَسَبُ الْقِصَارِ سَمِيدَعٍ^(٢) مِقْدَامٍ
كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالِ كُلِّ غَمَامٍ

شعر الحارث في الرد على حسان

فأجابه الحارث بن هشام، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

الله أعلم ما تركت قتالهم حتى حبوا مهري بأشقر مزبد

وَأَزَقْدَتْ: أَسْرَعَتْ، وَمَصْدَرُهُ: أَزَقَدَادٌ، وَكَذَلِكَ أَزَمَدَتْ، وَافْعَلٌ فِي غَيْرِ الْأَلْوَانِ
وَالْخَلْقِ عَزِيزٌ، وَأَمَّا انْقَضَ فَلَيْسَ مِنْهُ فِي شَيْءٍ، لِأَنَّكَ تَقُولُ فِي مَعْنَاهُ: تَقْضُصُ الْبِنَاءِ،
فَالْقَافُ: فَاءُ الْفِعْلِ، وَكَذَلِكَ تَقْضَى الْبَازِي، لِأَنَّهُ مِنْهُ، وَغَلَطَ الْفَسَوِيُّ فِي الْإِيضَاحِ، فَجَعَلَ
يُرِيدُ أَنَّ يَنْقَضَ مِنْ بَابِ أَحْمَرٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ انْقَدَّ وَانْجَرَّ وَالنُّونُ زَائِدَةٌ، وَوزنه: انْفَعَلَ،
وَكَذَلِكَ غَلَطَ الْقَالِي فِي التَّوَادِرِ فَقَالَ فِي قَوْلِهِ: وَجَرِيهَا انْثِرَارٌ أَنَّهُ أَفْعِلَالٌ مِنَ الثَّرِّ، كَمَا قَالَ
الْفَسَوِيُّ فِي الْإِنْقِضَاضِ، وَإِنَّمَا هُوَ انْفِعَالٌ مِنْ عَيْنٍ ثَرَّةٌ أَيْ كَثِيرَةٌ الْمَاءِ.

ودسنه بخوام يعني: الحوافر، وما حول الحوافر، يقال: الحامية، وجمعه خوام.

حول شعر الحارث بن هشام

وقول الحارث بن هشام:

حتى علوا مهري بأشقر مزبد

يعني: الدَّم، ومزبد، قد علاه الزُّبْدُ.

(٢) السميدع: الشريف الشجاع.

(١) حوام: اسم موضع.

وعرفتُ أَنِّي إِن أَقَاتِلُ وَاحِدًا
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجِبَّةُ فِيهِمْ
قال ابن إسحق: قالها الحارثُ يعتذر من فراره يوم بدر.

قال ابن هشام: تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها، لأنه أقذع فيها.

شعر لحسان فيها أيضًا:

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت:

لقد عِلِمْتُ قريشَ يوم بَدْر
بأنَّا حينَ تَشْتَجِرِ الْعَوَالِي
قَتَلْنَا ابْنِي ربيعةَ يومَ سَارَا
وفرَّ بها حكيماً يومَ جَالَتْ
وولَّثْتُ عند ذاكَ جُمُوعَ فِهْرٍ
لقد لاقَيْنُكُمْ ذُلًّا وَقَتْلًا
وكلُّ الْقَوْمِ وَلَّوْا جَمِيعًا
وقال حسان بن ثابت أيضًا:

يا حار قد عَوَّلْتُ غيرَ مُعوَّلٍ
إذ تَمَتَّطِي سُرْحَ الْيَدَيْنِ نَجِيبَةً
والقومُ خَلْفَكَ قد تركتَ قتالهم
ألاً عَطَفْتُ على ابنِ أُمِّكَ إذ ثَوَى
عجلَ المَلِكِ له فأهْلَكَ جَمْعَهُ
وقال ابن هشام: تركنا منها بيتًا واحدًا أقذع فيه.

وقوله: والأحبةُ فيهم: يعني مَنْ قُتِلَ أو أُسِرَ: من رَهْطه وإخوته.

(١) مرطى: الناقة تلقى أولادها غير تامين، ناقص الشعر.

(٢) قصص: مكسر. (٣) بشنار: بأقبح العيب والذم.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

قال ابن هشام: ويقال: بل قالها عبد الله بن الحارث السهمي:

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَآذِي يَقْدُمُهُم	جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رَغْدِيدٍ ^(١)
أَغْنِي رَسُولَ إِلَهِ الْخَلْقِ فَضْلَهُ	عَلَى الْبَرِيَّةِ بِالتَّقْوَى وَبِالْجُودِ
وَقَدْ زَعَمْتُمْ بَأَن تَخْمُوا ذِمَارَكُمْ ^(٢)	وَمَاءٌ بَذَرُ زَعَمْتُمْ غَيْرُ مَوْزُودٍ
ثُمَّ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ	حَتَّى شَرِينَا زَوَاءَ غَيْرِ تَضْرِيدِ
مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِذٍ ^(٣)	مُسْتَحْكَمٍ مِنْ حَبَالِ اللَّهِ مَمْدُودِ
فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ تَتَّبِعُهُ	حَتَّى الْمَمَاتِ وَتَضُرُّ غَيْرُ مَخْدُودِ
وَإِفٍ وَمَاضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ	بَذَرُ أَنْارٍ عَلَى كُلِّ الْأَمَاجِيدِ

قال ابن هشام: بيته: «مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِذٍ» عن أبي زيد الأنصاري قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

خَابَتْ بَنُو أَسَدٍ وَأَبَ غَزْيُهُم	يَوْمَ الْقَلِيبِ بِسَوْءٍ وَفُضُوحِ
مِنْهُمْ أَبُو الْعَاصِي تَجَدَّلَ مُقْعَصًا	عَنْ ظَهْرٍ صَادِقَةِ النَّجَاءِ سُبُوحِ
حَيْنًا لَهُ مِنْ مَانِعٍ بِسَلَاحِهِ	لَمَّا ثَوَى بِمَقَامِهِ الْمَذْبُوحِ
وَالْمَرْءُ زَمْعَةٌ قَدْ تَرَكْنَ وَنَحْرُهُ	يَذْمَى بِعَانِدٍ مُغْبِطٍ مَسْفُوحِ
مُتَوَسِّدًا حُرَّ الْجَبِينِ مُعْفَرًا	قَدْ عُرِّ مَارِنٌ أَنْفِهِ بِقُبُوحِ
وَنَجَا ابْنُ قَيْسٍ فِي بَقِيَّةِ رَهْطِهِ	بَشْفَا الرِّمَاقِ مَوْلِيَا بِجُرُوحِ

وقال حسان بن ثابت أيضًا:

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَتَى أَهْلَ مَكَّةَ	إِبَارَتُنَا الْكُفَّارِ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ
قَتَلْنَا سَرَاةَ الْقَوْمِ عِنْدَ مَجَالِنَا	فَلَمْ يَزْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُثْبَةَ قَبْلَهُ	وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدِينِ وَلِلنُّحْرِ

(٢) ذِمَارِكُمْ: الدمار كل ما يلزم حمايته.

(١) رغديد: جبان.

(٣) منجذم: منقطع.

قَتَلْنَا سُؤِيدًا ثُمَّ عُثْبَةَ بَغْدَه
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرَرًا
تَرْكُنَاهُمْ لِلْعَاوِيَاتِ يَنْتَبِئُهُمْ
لَعَمْرُكَ مَا حَامَتِ فَوَارِسُ مَا لَكَ
وَطُعْمَةٌ أَيْضًا عِنْدَ ثَائِرَةِ الْقَثَرِ
لَهُ حَسَبٌ فِي قَوْمِهِ نَابِهَ الذِّكْرِ
وَيَضْلَوْنَ نَارًا بَعْدَ حَامِيَةِ الْقَمَرِ
وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقِينَا عَلَى بَذَرِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته:

قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُثْبَةَ قَبْلَهُ
قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

نَجَّى حَكِيمًا يَوْمَ بَذَرِ شَدُّهُ
لَمَّا رَأَى بَذْرًا تَسِيلُ جِلَاهُهُ
لَا يَنْكُلُونَ إِذَا لَقُوا أَعْدَاءَهُمْ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ مَاجِدٍ ذِي مَنَعَةٍ
وَمُسَوِّدٍ يُغْطِي الْجَزِيلَ بِكَفِّهِ
زَيْنِ الثَّدْيِ مَعَاوِدِ يَوْمِ الْوَعَى
كَنَجَاءٍ مُهَرٍّ مِنْ بَنَاتِ الْأَعْوَجِ
بَكْتِيْبَةٍ خَضْرَاءٍ مِنْ بَلْخَزْرَجِ
يَمْشُونَ عَائِدَةَ الطَّرِيقِ الْمَنْهَجِ
بَطْلٍ بِمَهْلَكَةِ الْجَبَانِ الْمُخْرَجِ
حَمَالِ أَثْقَالِ الدِّيَاتِ مُتَوَجِّ
ضَرْبِ الْكُمَاةِ بِكُلِّ أَبْيَضٍ سَلَجَجِ

عود إلى حسان:

وقول حسان:

بكتيبة خضراء من بلخزرج

العرب تجعل الأسود أخضر، فتقول: ليل أخضر كما قال: [ذو الرُّمَّة]:

قد اغسَفَ النازِحُ المجهولُ مَعْسَفُهُ
وتسمي الأخضر أسود، إذا اشتدت خضرته، وفي التنزيل: (مُذَاهِمَاتَانِ)، قال أهل
التأويل: سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّةِ الْخُضْرَةِ.

وقوله: بكل أبيض سَلَجَجِ، وهو السيف الماضي الذي يقطع الضربة بسهولة، ومنه
المَثَلُ: الْأَخْذُ سَلْجَاجًا^(١) والقضاء لِيَانًا^(٢)، أي الأخذ سهل يسوغ في الحلق بلا عُسْرٍ، كما
قالوا: الْأَخْذُ سَخْرِيْطٌ [وَسْرِيْطٌ] والقضاء ضَرِيْطٌ [وَضْرِيْطٌ] فسرِيْطٌ من سَرِطَتِ الشَّيْءِ إِذَا

(٢) لِيَانٌ: بطيء.

(١) سَلْجَاجٌ: سريع.

قال ابن هشام: قوله سَلَجَج، عن غير ابن إسحق.

قال ابن إسحق: وقال حسان أيضًا:

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللَّهِ قَوْمًا	وإن كَثُرُوا وأَجْمَعَتِ الزُّخُوفُ
إذا مَا أَلْبُوا جَمْعًا عَلَيْنَا	كَفَانَا حَدَّهُمْ رَبُّ رُؤُوفٍ
سَمَوْنَا يَوْمَ بَذَرٍ بِالْعَوَالِي	سِرَاعًا مَا تُضْغِضِعُنَا الحُتُوفُ
فَلَمْ تَرِ عُضْبَةً فِي النَّاسِ أَتَكَى	لَمَنْ عَادُوا إِذَا لَقِحتْ كَشُوفُ
ولَكُنَّا تَوَكَّلْنَا وَقُلْنَا	مَآثِرُنَا وَمَغَقَلْنَا السُّيُوفُ
لَقِينَاهُمْ بِهَا لَمَّا سَمَوْنَا	وَنَخْنُ عِصَابَةً وَهُمْ أُلُوفُ

بَلَعْتَهُ سَهْلًا، فَسَلَجَجُ مِنْ هَذَا، إِلَّا أَنَّهُمْ ضَاعَفُوا الْجِيمَ، كَمَا ضَاعَفُوا الدَّالَّ مِنْ مَهْدَدٍ، وَلَمْ يُذَغِّمُوا إِلَّا أَنَّهُمْ الْحَقَوهُ بِجَفَقَرٍ.

وقوله: بَلَحَزَزَج، أراد: بني الحَزَزَج، فحذف النون لأنها من مَخْرَج اللام، وهم يَخْلِفُونَ اللام في مثل، عَلَمَاءٍ وَظُلُمْتُ، كراهية اجتماع اللَّامَيْنِ، وكذلك أَحَسْتُ كراهية التضعيف، وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - تَرَبَّتْ يَمِينُكَ وَأَلَّتْ، أرادت: أَلَّتْ، أي طَعِنَتْ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَالَهُ أَلٌ وَعُلٌّ، وَيُرْوَى: أَلَّتْ فَتَكُونُ التَّاءُ عَلَمًا لِلتَّائِيثِ، أي أَلَّتْ يَدُكَ، وَعِنْدَنَا فِيهِ رَوَايَةٌ ثَالِثَةٌ فِي كِتَابِ مُسْلِمٍ، وَهِيَ تَرَبَّتْ يَدَاكَ وَأَلَّتْ بِكُسْرِ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ اللام وَهِيَ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَقُولُ فِي: رَذَذَتْ رَذَذَتْ فَيَدْغَمُ مَعَ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ، وَهِيَ لُغَةٌ حَكَاهَا سِيبَوَيْهِ^(١) [مِنْ أَحْكَامِ الْأَفْعَالِ الْمَبْنِيَةِ عَلَى صِيغَةِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ]. وَذَكَرَ شَعْرُ كَعْبٍ فِيهِ:

لَعَمْرُ أَبِيكَمَا يَا ابْنَي لُؤَيٍّ عَلَى زَهْرٍ لَدَيْكُمْ وَانْتِخَاءٍ

الانتِخَاءُ: افْتِخَالٌ مِنَ التَّخَوُّةِ، وَيُقَالُ: نُخِيَ الرَّجُلُ وَانْتَخَى. وَمِنْ الزَّهْوِ: زُهِيَ وَازْدَهَى، وَلَا يَكُونُ الْأَمْرُ مِنْ مِثْلِ هَذَا إِلَّا بِاللَّامِ، لِأَنَّ الْفِعْلَ فِيهِ لِغَيْرِ الْمَخَاطَبِ، وَإِذَا أَمَرَ مَنْ لَيْسَ بِمَخَاطَبٍ، فَإِنَّمَا يُؤْمَرُ بِاللَّامِ كَقَوْلِكَ: لَتَزِهْ يَا فُلَانٌ وَلَتُغْنِ بِحَاجَتِي، وَكَانَ الْقِيَاسُ أَيْضًا أَنْ لَا يُقَالَ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ: مَا أَفْعَلَهُ، وَلَا هُوَ أَفْعَلُ مِنْ كَذَا، كَمَا لَا يُقَالَ فِي الْمَرْكُوبِ: مَا أَرْكَبَهُ، وَلَا فِي الْمَضْرُوبِ، مَا أَضْرَبَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ: مَا أَزْهَاهُ، وَمَا أَغْنَاهُ بِحَاجَتِي، وَقَالُوا: هُوَ أَشْغَلَ مِنْ ذَاتِ النَّخِيَيْنِ، وَهُوَ أَزْهَى مِنْ غُرَابٍ، وَالْفِعْلُ فِي هَذَا كُلِّهِ زُهِيَ وَشَغِلَ فَهُوَ مَشْغُولٌ وَمَزْهُوٌّ. وَقِيلَ فِي الْمَجْنُونِ: مَا أَجْنَهُ حَكَاهُ أَبُو

(١) لغة بكر بن وائل وغيرهم.

وقال حسان بن ثابت أيضًا، يهجو بني جُمَحَ ومن أصيب منهم:

جَمَحَتْ بنو جُمَحَ لَشِقْوَةِ جَدِّهِمْ إِنَّ الدَّلِيلَ مُوَكَّلٌ بِذَلِيلِ
قُتِلَتْ بنو جُمَحَ بِبَذْرِ عَثْوَةٍ وَتَخَذَلُوا سَفِيًّا بِكُلِّ سَبِيلِ
جَحَدُوا الْكِتَابَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَاللهُ يُظْهِرُ دِينَ كُلِّ رَسُولِ
لَعَنَ الْإِلَهُ أَبَا خُزَيْمَةَ وَابْنَهُ وَالْخَالِدَيْنِ، وَصَاعِدَ بْنَ عَقِيلِ

شعر عبدة بن الحارث في قطع رجله:

قال ابن إسحق: وقال عبدة بن الحارث بن المُطَّلَب في يوم بدر، وفي قُطْع رِجْلِهِ حين أُصِيبَ، في مُبَارَزَتِهِ هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم - قال ابن هشام، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعبدة:

سَتَبْلُغُ عَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَعَةً يَهْبُ لها مَنْ كَانَ عَنْ ذَاكَ نَائِيَا
بِعُثْبَةٍ إِذْ وَلَّى وَشَيْبَةَ بَغْدَه وَمَا كَانَ فِيهَا بِكُرٍّ عُثْبَةَ رَاضِيَا
فَإِنْ تَقَطَّعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسْلِمٌ أَرْجِي بِهَا عَيْشًا مِنَ اللَّهِ دَانِيَا
مَعَ الْخُورِ أَمْثَالِ التَّمَائِيلِ أَخْلَصْتُ مَعَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيَا
وَبِغْتُ بِهَا عَيْشًا تَعَرَّقْتُ صَفْوَه وَعَالَجْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الْأَدَانِيَا
فَاكْرَمْنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلٍ مَنَّهُ بِثُوبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا إِلَيَّ قِتَالُهُمْ غَدَاةَ دَعَا الْأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا
وَلَمْ يَنْبَغِ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سَوَاءَنَا ثَلَاثَتَنَا حَتَّى حَضَرْنَا الْمَنَادِيَا
لَقَيْنَاهُمْ كَالْأُسْدِ تَخْطُرُ بِالْقَنَا نُقَاتِلُ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
فَمَا بَرَحْتُ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا ثَلَاثَتَنَا حَتَّى أَزِيرُوا^(١) الْمَنَائِيَا^(٢)

عَمَر [صالح بن إسحق] الجَزَمِي. وقال سيبويه: واعلم أن العرب تقدم في كلامها ما هم به أهم، وهم ببيانته أغني، وإن كان جميعاً يهملانهم، ويُعْنِيَانَهُمْ، فقال: أهما وأغنى، وهو من همهم وعناهم، فهم به مَغْنِيُون! مثل مَضْرُوبُونَ، فجاز في هذا الأفعال ما ترى، وسبب جَوَازِهِ: أن المفعول فيها فاعلٌ في المعنى، فالْمَزْهُوُّ مُتَكَبِّرٌ وكذا الْمُنْخَوُّ وَالْمَشْغُولُ مُشْتَغَلٌ وفَاعِلٌ لَشَغْلِهِ، والمَعْنَى بِالْأمر كذلك، والمَجْنُونُ كَالْأَحْمَقِ، فيقال: ما أَجَنَّهُ، كما يقال: ما

(٢) المنائيا: المنايا.

(١) أزيروا: أحاطت به.

قال ابن هشام: لما أصيبت رجلٌ غُبيدة قال: أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنني أحقُّ منه بما قال حين يقول:

كذبتُم وبيتِ الله يُبْزَى محمدٌ ولمَّا نُطاعن دُونَهُ ونُناضلِ
ونُسلِّمه حتى نُصرِّع حَوْلَهُ ونذهلَ عَن أبنائِنا والحلائِلِ

وهذان البيتان في قصيدة لأبي طالب، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب.

رثاء كعب لعبيدة بن الحارث:

قال ابن إسحاق: فلما هلك غُبيدة بن الحارث من مُصاب رجله يوم بدر، قال كعب بن مالك الأنصاري يَبْكِيه:

أيا عَيْنِ جُودي ولا تَبْخَلِي بدمْعِكَ حَقًّا ولا تَنْزُرِي
على سَيِّدِ هَذَا هُلْكُهُ كَرِيمَ المَشاهِدِ والعُنُصرِ
جَرِيءِ المَقْدَمِ شاكي السُّلاحِ كَرِيمِ النُّثا طَيِّبِ المَكْسِرِ
عُبَيْدَةَ أُمَسَّى ولا نَزْتَجِيهِ لَعُوفِ عَرانَا ولا مُنْكَرِ
وقد كانَ يَحْمِي عُدَّةَ القِتَا ل حَامِيَةِ الجَيْشِ بالمِبتَرِ

أَحْمَقَهُ، وليس كذلك مَضْرُوب، ولا مَرْكُوبٌ ولا مَشْتُوم، ولا مَمْدُوح، فلا يقال في شيء منه: ما أَفْعَلَهُ، ولا هو أَفْعَلُ من غيره.

فإن قلت: فكان ينبغي على هذا القياس أيضًا أن يُؤمَر فيه بغير اللام، كما يُؤمَر الفاعلُ إذا، وقد قلّتم: إنه فاعل في المعنى فالجواب: أن الأمر إنما هو بلفظ المستقبل، وهو تَضْرِب وتُخْرِج، فإذا أمرت حذف حرف المضارعة، وبقيت حروف الفعل على بنيةِها، وليس كذلك زُهَيْتَ فأنت تُزْهِى، ولا شَغِلْتَ فأنت تُشْغِل، لأنك لو حذفته منه حرف المضارعة ل بقي لفظ الفعل على بنيةٍ ليست للغائب، ولا للمخاطب، لأن بنية الأمر للمخاطب أَفْعَل، وبنيته للغائب، فَلْيَفْعَل، والبنية التي قَدَرناها لا تصلح لواحدٍ منهما، لأنك كنت: تقول أَزْهِى من زُهَيْتَ، وكنت تقول: من شَغِلْتَ أَشْغَل، فتخرج من باب شَغِلْتَ فأنت مشغول إلى باب شَغِلْتَ غَيْرَكَ، فأنت شَاغِل، فلم يستقم فيه الأمر إلا باللام.

شعر لكعب في بدر:

وقال كعب بن مالك أيضًا، في يوم بدر:

ألا هل أتى غَسَّانَ في نَّاي دارِها وأخْبِرُ شيءَ بالأُمُورِ عَليمِها
بأن قد رَمَثْنَا عن قِسي عداوِة مَعَدَّ مَعًا جُهَاثُها وحَليمِها
لأنَّا عَبَدْنَا اللهَ لم نَزُجْ غيرَه رَجاءَ الجِنانِ إِذْ أَتانا رَعيِمِها
نبيّ له في قَومِه إِزْتُ عِزَّة وأَعراقُ صَدَقِ هَذَبُها أرومِها^(١)
فساروا وسِرنا فَالتَقِينا كائِنا أُسودَ لِقاءٍ لا يُرَجى كَليمِها^(٢)
ضَرَبناهُم حَتى هَوَى في مَكزِنا لَمَنخِرِ سَوءٍ من لُؤي عَظيمِها
فولَّوا ودُسناهُم ببيض صَوارم سَواءَ عَلينا جِلْفُها وصَميمِها

وقال كعب بن مالك أيضًا:

لَعَمْرُ أبِيكُما يا ابْنَي لُؤي على زَهِوٍ لَدَينِكمُ وانْتِخاءِ
لَمّا حامَتْ فِوارِسُكم ببذِر ولا صَبَروا به عِندَ اللِّقاءِ
ورَدَّناهُ بنُورِ اللهِ يَجْلُو دُجى الظُّلَماءِ عَنّا والغِطاءِ
رِسولُ اللهِ يَقدُمُنا بأَمْرِ مِن أَمْرِ اللهِ أَحكمَ بالقضاءِ
فما ظَفَرَتْ فِوارِسُكم ببدر وما رَجَعوا إِلَيكُم بالسَّواءِ
فلا تَغْجَلْ أبا سُفَيانَ وارْقُب جِياذَ الخَيلِ تَطْلُعُ من كَداءِ^(٣)
بَنضِرِ اللهِ رُوحُ القُدسِ فيها وميْكالُ، فيا طِيبَ المَلاءِ

وقوله:

وميكالُ فيا طيبَ الملاءِ

لراد الملاء، وليس من باب مد المقصور، إذ لا يجوز في عصى عصاء، ولا في رَحَى: رَحَاء في الشعر، ولا في الكلام، وإن كانوا قد أشبعوا الحركات في الضرورة، فقالوا: في الكلِّ الكلِّ الكَلْكَال، وفي الصَّيارِف: الصياريف، ولكن مد المقصود أبعد من هذا، لأن زيادة

(٢) كليهما: جريهما.

(١) أرومها: أصولها.

(٣) كداء: اسم موضع.

شعر طالب في مدح الرسول وبكاء أصحاب القلب:

وقال طالبُ بن أبي طالب، يمدح رسول الله ﷺ، ويبكى أصحاب القلب من قريش يوم بدر:

ألا إن عَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبًا تُبْكِي عَلَى كَعْبٍ وَمَا إِنْ تَرَى كَعْبًا
ألا إن كَعْبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا وَأَزْدَاهُمْ ذَا الدَّهْرِ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبًا
وعامر تَبْكِي لِلْمُلَمَّاتِ غُدُوَّةَ فَيَالَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَرَى لَهُمَا قُرْبًا
هَمَّا أَخْوَايَ لَنْ يُعَدَّاءَ لِعَيْيَةٍ تُعَدُّ وَلَنْ يُسْتَامَ جَارُهُمَا غَضْبًا
فِيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَتَوَفَّلَا فِدَا لِكَمَا لَا تَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَرْبًا
وَلَا تُضْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وَدِّ وَأَلْفَةٍ أَحَادِيثَ فِيهَا كُلُّكُمْ يَشْتَكِي النَّكْبَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ وَجَيْشٍ أَبِي يَكْسُو مَلَأُوا الْمِثْلُ الشُّعْبَا
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءٌ غَيْرُهُ لِأَضْبَحْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبًا
فَمَا إِنْ جَنِينَا فِي أَقْرِيشٍ عَظِيمَةٍ سِوَى أَنْ حَمَيْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثُّرْبَا
أَخَا ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ مُرَّرًا^(١) كَرِيمًا نَشَاءُ لَا بِخِيَلًا وَلَا دَرْبًا^(٢)
يُطِيفُ بِهِ الْعَافُونَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ يَوْمُونَ بَحْرًا لَا تَزُورَا وَلَا صَرْبًا
فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكَ نَفْسِي حَزِينَةً تَمْلُمُ حَتَّى تَضُدُّوا الْخَزْرَجَ الضَّرْبَا

شعر ضرار في رثاء أبي جهل:

وقال ضرار بن الخطاب الفهري، يرثي أبا جهل:

ألا مَنْ لَعِينٍ بَاتَتْ اللَّيْلُ لَمْ تَنْمِ تُرَاقِبُ نَجْمَانِ فِي سَوَادٍ مِنَ الظُّلَمِ
كَأَنَّ قَذَى فِيهَا وَلَيْسَ بِهَا قَذَى سِوَى عَبْرَةٍ مِنْ جَائِلِ الدَّمْعِ تَنْسَجِمِ
فَبَلِّغْ قُرَيْشًا أَنَّ خَيْرَ نَدْبِهَا وَأَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي بِسَاقٍ عَلَى قَدَمِ

الألف تغيير واحد، ومد المقصور تغييران، زيادة ألف وهمز ما ليس بهموز، غير أنه قد جاء في شعر طرفة:

وَكَشْحَانِ لَمْ يَنْقُصْ طَوَاءُهُمَا الْحَبْلُ

(١) مرزا: مصابًا.

(٢) ذريًا: الذرب: سلاطة اللسان.

ثَوَى يَوْمَ بَدْرَ رَهْنِ خَوْصَاءَ رَهْنُهَا
فَالْكَيْتُ لَا تَنْفُكُ عَيْنِي بِعَبْرَةٍ
عَلَى هَالِكِ أَشْجَى لُؤَيٍّ بِنِ غَالِبِ
تَرَى كَسَرَ الْخَطَى فِي نَحْرِ مُهْرِهِ
وَمَا كَانَ لَيْتُ سَاكِنُ بَطْنِ بَيْشَةٍ
بِأَخْرِ أَمْنُهُ حِينَ تَخْتَلِفُ الْقَنَا
فَلَا تَجْزَعُوا أَلَّ الْمُغِيرَةِ وَاضْبِرُوا
وَجِدُوا فَإِنَّ الْمَوْتَ مَكْرُمَةً لَكُمْ
وَقَدْ قُلْتُ إِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ لَكُمْ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِضَرَارِ.

شعر الحارث بن هشام في رثاء أبي جهل:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، يَبْكِي أَخَاهُ أَبَا جَهْلٍ:

أَلَا يَا لَهْفٍ نَفْسِي بَعْدَ عَمَرُو
يُخْبِرُنِي الْمُخْبِرُ أَنَّ عَمْرًا
فَقَدْ مَا كُنْتُ أَخْسَبُ ذَاكَ حَقًّا
وَكُنْتُ بِنِعْمَةٍ مَا دُمْتُ حَيًّا
كَأَنِّي حِينَ أُمْسِي لَا أَرَاهُ
عَلَى عَمَرُو إِذَا أُمْسَيْتُ يَوْمًا
وَهَلْ يُغْنِي التَّلَهُّفُ مِنْ قَتِيلِ
أَمَامَ الْقَوْمِ فِي جَفْرِ مُحِيلِ
وَأَنْتَ لِمَا تَقْدُمُ غَيْرُ فِيلِ
فَقَدْ خُلِفْتُ فِي دَرَجِ الْمَسِيلِ
ضَعِيفُ الْعَقْدِ ذُو هَمٍّ طَوِيلِ
وَطَرْفٍ مَنْ تَذْكُرُهُ كَلِيلِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكِرُهَا لِلْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ؛ وَقَوْلُهُ: «فِي جَفْرٍ» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

لَكِنَّهُ حَسَنُهُ قَلِيلًا فِي بَيْتِ طَرْفِهِ فِي أَنَّهُ لَمْ يُرِدِ الطَّوِيَّ الَّذِي هُوَ مُصَدَّرٌ، طَوِيٌّ يَطْوِي: إِذَا جَاعَ، وَخَوِيٌّ بَطْنُهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ: رِقَّةَ الْخَضِرِ، وَذَلِكَ جَمَالٌ فِي الْمَرْأَةِ، وَكَمَالٌ فِي الْخِلْقَةِ، فَجَاءَ بِاللَّفْظِ عَلَى وَزْنِ جَمَالٍ وَكَمَالٍ، وَظَهَرَ فِي لَفْظِهِ، كَانَ فِي نَفْسِهِ، وَالْعَرَبُ تَنْحُو بِالْكَلِمَةِ إِلَى وَزْنِ مَا هُوَ فِي مَعْنَاهَا، وَقَدْ مَضَى مِنْهُ كَثِيرٌ وَسَيَرِدُ عَلَيْكَ مَا هُوَ أَكْثَرُ.

شعر ابن الأسود في بكاء قتلى بدر:

قال ابن إسحق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شعوب الليثي، وهو شداد بن الأسود:

وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلامٍ	تُحْيِي بِالسَّلامَةِ أُمُّ بَكْرٍ
مِنَ الْقَيْنَاتِ وَالشَّرَبِ الْكَرامِ	فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَذَرٍ
مِنَ الشَّيْزَى ^(١) تُكَلَّلُ بِالسَّنامِ	وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَذَرٍ
مِنَ الْحَوَمَاتِ ^(٢) وَالتَّعَمِ الْمُسامِ	وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِي بَذَرٍ
مِنَ الْغَايَاتِ وَالْدُّسْعِ ^(٣) الْعَظامِ	وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِي بَذَرٍ
أَخِي الْكَاسِ الْكَرِيمَةِ وَالنَّدَامِ	وَأَصْحَابِ الْكَرِيمِ أَبِي عَلِيٍّ
وَأَصْحَابِ الشُّنْيَةِ مِنْ نَعَامِ	وَأَنْتَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَقِيلٍ
كَأَمِّ السَّقْبِ ^(٤) جَائِلَةِ الْمَرَامِ	إِذْ لَطَلَّتْ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِمِ
وَكَيْفَ لِقَاءُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ؟	يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ لَسَوْفَ نَحْيَا

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة النحوي:

يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ بِأَنْ سَنَحْيَا وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ
قال: وكان قد أسلم ثم ارتد.

شعر أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر:

وقال ابن إسحق: وقال أمية بن أبي الصلت، يرثي من أصيب من قریش يوم بدر:

مِ بَنِي الْكَرامِ أُولِي الْمَمَادِخِ	أَلَا بَكَيْتِ عَلَى الْكَرَا
عِ الْأَيْكِ فِي الْغُصْنِ الْجَوَانِحِ	كَبُكَ الْحَمَامِ عَلَى فُرُو

وأما المَلَأُ وَالْخَطَأُ وَالرَّشَأُ^(٥) وَالْفَرَأُ^(٦) وما كان من هذا الباب، فإن هَمْزَتَهُ تُقْلَبُ أَلِفًا فِي الْوَقْفِ بِإِجْمَاعٍ نَعَمْ، وَفِي الْوَضَلِ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ، فَيَكُونُ الْأَلِفُ عَوْضًا مِنَ الْهَمْزَةِ، وَقَدْ

(١) الشيزى: القطاع المملوء بالطعام.
(٢) الحومات: أشد أماكن القتل.
(٣) الدسع: العطاء الجزيل.
(٤) السقب: ولد الناقة عند ولادته.
(٥) الرشا: الظبي إذا قوي واشتد.
(٦) الفراء: حمار الوحش.

يَبْكِينَ حَرَى مُسْتَكِي
أَمْثَالَهُنَّ الْبَاكِيا
مَنْ يَبْكُهُمْ يَبْكُ عَلَى
مَاذَا يَبْذُرُ فَالْعَقْنُ
فَمَدَافِعَ الْبَرْقَيْنِ فَالْحَـ
شُمُطٍ^(٥) وَشُبَّانٍ بِهَا
أَلَا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى
أَنْ قَدْ تَغْيِرُ بَطْنُ مـ
مَنْ كُلِّ بِطَرِيقٍ لَطـ
دُعْمُوصُ^(٨) أَبْوَابِ الْمُلُـ
مِنَ السَّرَاطِمَةِ^(٩) الْخَلَا
الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِـ
الْمُطْعِمِينَ الشُّخْمَ قَوْ
تُقْلُ الْجِفَانِ مَعَ الْجِفَا
لَيْسَتْ بِأَضْفَارِ لِمَنْ
لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْدَ

نَاتٍ يَرْخَنَ مَعَ الرُّوَاتِحِ
تِ الْمُعُولَاتِ مِنَ النُّوَاتِحِ
حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلُّ مَادِحِ
قَلَّ^(١) مِنْ مَرَاذِيهِ^(٢) جَحَاجِحِ^(٣)
ثَانٍ مِنْ طَرَفِ الْأَوَاشِحِ^(٤)
لَيْلٍ مَغَاوِيرٍ وَحَاوِحِ^(٦)
وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحِ
كُتَّةٍ فَهِيَ مُوحِشًا الْأَبَاطِحِ^(٧)
رَيْقِ نَقِي الْقَوْنِ وَاضِحِ
كَ وَجَائِبِ لِلْخَزَقِ فَاتِحِ
جِمَّةٍ^(١٠) الْمَلَاوِثَةِ^(١١) الْمَنَاجِحِ^(١٢)
بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ بِكُلِّ صَالِحِ
قِ الْخُبْزِ شَخْمًا كَالْأَنَافِحِ^(١٣)
نَ إِلَى جِفَانٍ كَالْمَنَاضِحِ
يَغْفُو وَلَا رَحَ^(١٤) رَحَاحِ
[الضَّيْفِ] وَالْبُسْطِ السَّلَاطِحِ^(١٥)

يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْعَوَاضِ وَالْمُعَوَّضِ مِنْهُ، كَمَا قَالُوا: هَرَأَقَ الْمَاءَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْهَاءُ بَدَلًا مِنْ
الْهَمْزَةِ، فَجَمَعُوا بَيْنَهُمَا، وَقَالُوا فِي النَّسَبِ إِلَى قَمٍ: فَمَوِيٌّ، وَقَالُوا: فِي النَّسَبِ إِلَى الْيَمَنِ:

- (١) العَقْنُ: الْوَادِ السَّحِيقُ.
(٢) مَرَاذِيهِ: رُؤْسَاءُ.
(٣) جَحَاجِحِ: مَسَارِعِينَ إِلَى الْمَكَارِمِ.
(٤) أَوَاشِحِ: سِوْفِ.
(٥) شُمُطُ: شَبُوحُ.
(٦) وَحَاوِحِ: أَقْوِيَاءُ.
(٧) أَبَاطِحِ: جَمْعُ أَبْطَحَ. وَهُوَ مِيلٌ فِيهِ رَمْلٌ وَحَصَى.
(٨) دُعْمُوصُ: بَلْعُطُ.
(٩) السَّرَاطِمَةُ: جَمْعُ سَرَطِمٍ وَهُوَ الْأَكُولُ.
(١٠) الْخَلَا جِمَّةُ: جَمْعُ خَلَجِمٍ. وَهُوَ صَاحِبُ الْجِسْمِ الطَّوِيلِ الْمَمْشُوقِ.
(١١) الْمَلَاوِثَةُ: الْأَقْوِيَاءُ.
(١٢) الْمَنَاجِحِ: الْقَاضُونَ حَاجَتَهُمْ.
(١٣) الْأَنَافِحِ: اللَّبَنُ الصَّافِي.
(١٤) الرَّحَ: الْجِفَانُ الْوَاسِعَةُ.
(١٥) السَّلَاطِحِ: الْمَرِيضَةُ.

وَهُبُ الْمِئِينَ^(١) مِنَ الْمِئِ
سَوَقِ الْمُؤَبِّلِ^(٢) لِلْمُؤَبِّ
لِكِرَامِهِمْ فَزَقَ الْكِرَا
كَتَشَاقُلِ الْأَزْطَالِ بِالْقَدِ
خَذَلَتْهُمْ فِئَةٌ وَهُمْ
الضَّارِبِينَ التَّقْدِيمِ
وَلَقَدْ عَنَانِي صَوْتُهُمْ
لِلَّهِ دَرْ بَنِيسِي عَمَّ
إِنْ لَمْ يُغَيِّرُوا غَارَةَ
بِالْمُقَرَّبَاتِ، الْمُتَبَعْدَا
مُزْدَا عَلَى جُزْدٍ إِلَى
وُيَاقِ قِرْنُ قِرْنَهُ
بِزُهَاءِ أَلْفِ ثَمَّ أَلْـ

نَ إِلَى الْمِئِينَ مِنَ اللُّوَاقِحِ
لِ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِحِ^(٣)
مَ مَزِيَّةً وَزَنُ السَّرَّوَاغِحِ^(٤)
سِنَاطَسٍ فِي الْأَيْدِي الْمَوَاقِحِ^(٥)
يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الْقَضَائِحِ
بِ الْمُهَيَّئَةِ الصَّفَائِحِ
مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْقٍ وَصَائِحِ
لِيَّيْ أَيْمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِحِ
شَغَوَاءِ تُجْجِرُ كُلَّ نَابِحِ
تِ، الطَّامَحَاتِ مَعَ الطَّوَامِحِ
أُسْدٍ مُكَالِبَةِ كَوَالِحِ^(٦)
مَشْيِ الْمُصَافِحِ لِلْمُصَافِحِ
فِي بَيْنِ ذِي بَدَنٍ وَرَامِحِ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ. وأنشدني
غير واحد من أهل العلم بالشعر بيته:

وُيَاقِ قِرْنُ قِرْنَهُ
وَأُنْشَدَنِي أَيْضًا:

وَهُبُ الْمِئِينَ مِنَ الْمِئِ
سَوَقِ الْمُؤَبِّلِ لِلْمُؤَبِّ
يَنْ إِلَى الْمِئِينَ مِنَ اللُّوَاقِحِ
لِ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِحِ

يَعْنِي، ثم قالوا: يَمَانٍ، فَعَوَّضُوا الْأَلْفَ مِنْ إِحْدَى الْيَاءَيْنِ، ثُمَّ قَالُوا: يَمَانِيَّ بِالتَّشْدِيدِ فَجَمَعُوا
بَيْنَ الْعَوَضِ وَالْمُعَوَّضِ مِنْهُ، فَيَا طَيْبَ الْمَلَأِ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الْخَطَاءُ فِي
الْخَطَأِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَكُلُّهُمْ مُسْتَفْهِجٌ لَصَوَابٍ مَن
يُخَالِفُهُ مُسْتَحْسِنٌ لَخَطَائِهِ

(٢) المؤبل: المكان الكثير الإبل.

(٤) الرواجح: الأشياء الثقيلة.

(٦) كوالح: الذين انكشف شفاههم عن أسنانهم.

(١) المئين: المائتين.

(٣) بلادح: وادٍ قبل مكة.

(٥) الموائح: التي تغترف الماء غرقاً.

قال ابن إسحاق: وقال أمية بن أبي الصلت، يبكي زَمْعَة بن الأسود، وقتلى بني أسد:

عَيْنُ بَكِّي بِالمُسْبِلَاتِ أَبَا الْحَدِّ	أَرِثْ لَا تَذْخِرِي عَلَى زَمْعَة
وَابْكِي عَقِيلَ بْنَ أَسْوَدٍ أَسَدَ الْب	أَسْ لِيَوْمِ الْهِيَاكِ وَالذَّفْعَة
تِلْكَ بَنُو أَسَدٍ إِخْوَةُ الْجَوِّ	زَاءُ لَا خَائَةَ وَلَا خَدَعَة
هُمْ الْأُسْرَةُ الْوَسِيطَةُ مِنْ كَفِّ	بِ وَهُمْ ذِرْوَةُ السَّنَامِ وَالْقَمْعَة
أَتَبَتُوا مِنْ مَعَاشِرِ شَعَرِ الْ	رَأْسِ وَهُمْ الْحَقْوُهُمُ الْمَنَعَة
أَمْسَى بَنُو عَمَّتِهِمْ إِذَا حَضَرَ الْب	أَسْ أَكْبَادُهُمْ عَلَيْهِمْ وَجَعَة
وَهُمُ الْمُطْعَمُونَ إِذْ قَحَطَ الْقَطْ	رَوْحَالَتْ فَلَا تَرَى قَرْعَة

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذه الشعر مُختلطة، ليست بصحيحة البناء، لكن أنشدني أبو مُحرز خلف الأحمر وغيره، روى بعض ما لم يَزِدْ بعض:

عَيْنُ بَكِّي بِالمُسْبِلَاتِ أَبَا الْحَا	رِثْ لَا تَذْخِرِي عَلَى زَمْعَة
وَعَقِيلَ بْنَ أَسْوَدٍ أَسَدَ الْبَاءِ	سَ لِيَوْمِ الْهِيَاكِ وَالذَّفْعَة
فَعَلَى مِثْلِ هُلُكِهِمْ خَوَاتِ الْجَوِّ	زَاءُ، لَا خَائَةَ وَلَا خَدَعَة
وَهُمُ الْأُسْرَةُ الْوَسِيطَةُ مِنْ كَفِّ	بِ، وَفِيهِمْ كَذِرْوَةُ الْقَمْعَة
أَتَبَتُوا مِنْ مَعَاشِرِ شَعَرِ الرَّأ	سِ، وَهُمْ الْحَقْوُهُمُ الْمَنَعَة
فَبَنُو عَمَّتِهِمْ إِذَا حَضَرَ الْبَاءِ	سَ عَلَيْهِمْ أَكْبَادُهُمْ وَجَعَة
وَهُمُ الْمُطْعَمُونَ إِذْ قَحَطَ الْقَطْ	رَوْحَالَتْ فَلَا تَرَى قَرْعَة

وقد قال وَرَقَةُ^(١):

إِلَّا مَا عَفَزَتْ خَطَائِيَا

(فإن قيل): فقد أنشد أبو علي في مَدِّ المقصور:

يَا لَكَ مِنْ تَمَرٍ وَمِنْ شَيْشَاءٍ يَنْشَبُ فِي الْمَسْعَلِ وَاللَّهَاءِ

(١) الصواب زيد بن عمرو بن نفيل. وهو سهو من السهيلي رحمه الله تعالى.

شعر أبي أسامة

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدي بن جشم بن معاوية حليف بني مخزوم قال ابن هشام: وكان مُشركًا وكان مَرَّ بهُيَيزَة بن أبي وهب وهم مُنهزمون يوم بدر، وقد أَعْيَى هُبَيْرَة، فقام فَأَلْقَى عنه دِرْعَه وحمله فمضى به، قال ابن هشام: وهذه أَصَحُّ أَشعار أَهل بدر: ولمَّا أَن رَأَيْتُ الْقَوْمَ خَفُوا وقد شالت نَعَامَتُهُمْ لِنَفْرِ

أَرَادَ: جَمَعَ لَهَاةً. قلنا: يحتمل أَن يكون كَلَامًا مُؤَلَّدًا، وإن كان عربيًا، فلعلَّ الرواية فيه: اللّهاء بكسر اللام، فيكون من باب أَكَمَة وإِكَام، وقد ذكرها أبو عبيد في الغريب المصنف بالكسر والفتح.

شرح شعر أبي أسامة

وذكر شعر أبي أسامة بن زهير الجُشمي وفيه:

وقد زالت نَعَامَتُهُمْ لِنَفْرِ

العربُ تضرب زَوَالِ النُّعَامَةِ مثلاً لِلْفِرَارِ، وتقول: شالت نَعَامَةُ الْقَوْمِ، إِذَا فَرُّوا وَهَلَكُوا. قال الشاعر:

يا ليت ما أُمْنَا شَالَتْ نَعَامَتُهَا إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ إِمَّا إِلَى نَارٍ
وقال أُمَيَّة:

اشْرَبَ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ

والتَّعَامَةُ في اللغة: باطن القَدَم، ومن ماتَ فقد شالت رِجْلُهُ، أي: ارْتَفَعَتْ، وظهرت نَعَامَتُهُ، والتَّعَامَةُ أَيضًا الظُّلْمَةُ، وابنُ التَّعَامَةِ عِرْق في باطن القَدَم، فيجوز أن يكون قوله: زالت نَعَامَتُهُمْ، كما يقال: زال سَوَادُهُ، وَضَحًا ظُلُهُ إِذَا مات، وجائز أن يكون ضَرَبَ التَّعَامَةِ مَثَلًا، وهو الظاهر في بيت أبي أسامة؛ لأنه قال: زالت نَعَامَتُهُمْ لِنَفْرِ، والعرب تقول: أَشْرَدُ من نَعَامَةٍ، وَأَنْفَرُ من نَعَامَةٍ قال الشاعر:

هُم تَرَكُواكَ أَسْلَحَ من حُبَارَى^(١) رَأَتْ صَفَرًا وَأَشْرَدَ من نَعَامِ

(١) الحبارى: نوع من الطيور طويل العنق.

وَأَنْ تُرِكَتْ سَرَاةُ الْقَوْمِ صَزَعَى كَأَنْ خِيَارَهُمْ أَذْبَاخُ عِشْرِ

وقال آخر:

وَكُنْتُ نَعَامًا عِنْدَ ذَاكَ مُنْفَرًا

فإذا قلت: زالت نعامته، فمعناه: نَفَرَتْ نَفْسُهُ التي هي كالنعام في شرودها وقوله:

وَأَنْ تُرِكَتْ سَرَاةُ الْقَوْمِ صَزَعَى

سراة كل شيء: ما علا منه، وسراة الفرس: ظهره لأنه أعلاه. قال الشاعر يصف
جَمَارًا:

بَسَرَاتِهِ نَدَبَ لَهَا وَكُلُومَ

وقولهم: سَرَاةُ الْقَوْمِ، كما تقول: كاهِلُ الْقَوْمِ، وَذِرْوَةُ الْقَوْمِ، قال معاوية: إِنْ مُضَرَ
كَاهِلُ الْعَرَبِ، وَتَمِيمٌ كَاهِلٌ مُضَرٌ، وَبُثُو سَعْدٌ كَاهِلٌ تَمِيمٍ. وقال بعض خطباء بني تميم: لَنَا
الْعِزُّ الْأَقْعَسُ، وَالْعَدَدُ الْهَيْضَلُ، وَنَحْنُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْقُدَامُ، وَنَحْنُ الذِّرْوَةُ وَالسَّنَامُ، وَهَذَا
مَعْنَى صَحِيحٌ بَيْنٌ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ فِي الذِّرْوَةِ، وَلَا فِي السَّنَامِ، وَلَا فِي الْكَاهِلِ إِنَّهُ
جَمَعَ أَيَّ مِنْ أَبْنِيَةِ الْجَمْعِ، وَلَا اسْمٌ لِلْجَمْعِ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُقَالَ: فِي سَرَاةِ الْقَوْمِ، إِنَّهُ
جَمَعَ سَرِيٍّ، لَا عَلَى الْقِيَاسِ، وَلَا عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ، كَمَا لَا يُقَالَ: ذَلِكَ فِي كَاهِلِ الْقَوْمِ،
وَسَنَامِ الْقَوْمِ، وَالْعَجَبُ كَيْفَ خَفِيَ هَذَا عَلَى النَحْوِيِّينَ، حَتَّى قَلَّدَ الْخَالِفُ مِنْهُمْ السَّالِفَ،
فَقَالُوا: سَرَاةُ جَمَعَ سَرِيٍّ^(١)، وَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يَكُونُ جَمْعًا لَهُ، وَهُمْ يَقُولُونَ فِي جَمْعِ
سَرَاةٍ: سَرَوَاتٍ، مِثْلَ قَطَاةٍ وَقَطَوَاتٍ، يُقَالُ: هَؤُلَاءِ مِنْ سَرَوَاتِ النَّاسِ، كَمَا تَقُولُ: مِنْ
رُؤُوسِ النَّاسِ، قَالَ: قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ:

وَعَمْرَةَ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَا تَنْفَحُ بِالْمِسْكِ أَزْدَانُهَا

ولو كان السراة جمعًا ما جمع لأنه على وزن فَعْلَةٍ، ومثل هذا البناء في المجموع لا
يجمع، وإنما سَرِيٍّ فَعِيلٌ مِنَ السَّرْوِ، وَهُوَ الشَّرَفُ، فَإِنْ جُمِعَ عَلَى لَفْظِهِ، قِيلَ سُرَى
وَأَسْرِيَاءَ، مِثْلَ غَنِيٍّ وَأَغْنِيَاءَ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ وَجُودُهُ وَقَلَّةٌ وَجُودُهُ لَا يَذْفَعُ الْقِيَاسُ فِيهِ، وَقَدْ حَكَاهُ
سَيِّبُونَهُ.

وقوله: أَذْبَاخُ عِشْرِ: جمع ذبح، وَعِشْرٌ بِكَسْرِ الْعَيْنِ: الصَّنَمُ الَّذِي كَانَ يُغْتَرُّ لَهُ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ، أَيُّ: تُذْبَحُ لَهُ الْعَتَائِرُ، جَمَعَ: عَتِيرَةٌ، وَهِيَ الرَّجَبِيَّةُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي نَسَبِ

(١) وفي اللسان جمع سراة: سروات.

وكانت جُمَّةً وافث حَمَامًا ولَقِينَا المَنَايا يَوْمَ بَذْرِ
نَصَدَّ عَنِ الطَّرِيقِ وأَذْرَكُونَا كَأَن زُهَاءَهُم عَيْطَانِ بَخر
وقال القائلون: مَنِ ابْنُ قَيْسٍ؟ فقلتُ: أبو أسامة، غير فخر
أَنَا الجُشَمِيُّ كيما تَعْرِفُونِي أَبِئِنَّ نَسَبَتِي نَقَرًا بِنَقْرِ
فإن تَكُ في الغَلاصِمِ من قُرَيْشٍ فلاني من مُعاوية بن بَكْرِ
فأبلغ مالِكًا لَمَّا عُشِينَا وعندك مالٍ - إن نَبَأَتْ - حُبْرِي
وأبلغ إن بلغتِ المِزءَ عَنَّا هُبيرة، وهو ذو عِلْمٍ وَقَدْر
بأنِّي إذ دُعيت إلى أَقْيَدِ كَرَزَتْ ولم يَضِقْ بالكَرِّ صَدْرِي
عَشِيَّةً لا يُكْرُ على مُضَافٍ ولا ذي نَعْمَةٍ مِنْهُمْ وصَهْر
فدُونُكُمْ بني لَأَيِّ أَخاكُمْ ودونك مالِكًا يا أُمَ عَمْرُو

النبي - ﷺ - أَوَّلَ مَنْ سَنَّ العَتِيرَةَ، وأنه بُورُ بن صَحُورًا، وأن أباه سَنَّ رَجَبًا للعَرَبِ، فكان يُقال له: سَعْدُ رَجَبٍ، ولو قال: أَذْبَاحُ عَتَرٍ بفتح العين لجاز لأنه مصدر.

وقوله: وكانت جُمَّةً. الجُمَّةُ: السواد، والجُمَّةُ: الفِرْقَةُ، فإن كان أرادَ بالجُمَّةِ سوادَ القومِ وكثرتهم، فله وَجْهٌ، وإن كان أرادَ الفِرْقَةَ منهم، فهو أَوْجَهُ، وقد ذكره صاحب العَيْنِ.
وقوله: عَطَيَانُ بَحْرٍ: قَيْصَانَهُ.
وقوله:

أَبِئِنَّ نَسَبَتِي نَقَرًا بِنَقْرِ

النَقْرُ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ وغيره، يقول: إن طَعَنْتُمْ في نَسَبِي، وَعَبَثْتُمُوهُ بَيَّنْتُ الحَقَّ ونَقَرْتُ في أنسابكم، أي عَيَنْتُها، وَجَارَيْتُ على النَّقْرِ بالنَقْرِ، وقالت جارية من العرب: مُرُوا بي على بَنِي نَقْرِي يعني الفَتَيانَ الذين يَنْظُرُونَ إِلَيَّ ولا تَمُرُّوا بي على بَنَاتِ نَقْرِي، يعني النِّسَاءَ اللَّواتِي يَنْقُرْنَ أَي: يَعْبَنَ.

وقوله: دُعِيتُ إلى أَقْيَدِ، تَضَعِيرُ وَقْدٍ، وهم المتقدمون من كل شيءٍ مِنْ ناسٍ أو خَيْلٍ أو أَيْلٍ، وهو اسمٌ للجمع مثل: رَكْبٍ، ولذلك جاز تصغيره، وقيل: أَقْيَدُ: اسمٌ مَوْضِعٍ.
وقوله: على مُضَافٍ. المضافُ: الخائفُ المُضْطَرُّ.
وقوله:

فدُونُكُمْ بَنِي لَأَيِّ أَخاكُمْ

فَلَوْلَا مَشْهَدِي قَامَتْ عَلَيْهِ مُوقَفَةُ الْقَوَائِمِ أُمُّ أَجْرِي
دَفْعُ اللَّقْبُورِ بِمَنْكَبَيْهَا كَأَنَّ بَوَاجِئَهَا تَحْمِيمٌ قَذَرُ
فَأَقْسِمُ بِالَّذِي قَدْ كَانَ رَبِّي وَأَنْصَابُ لَدَى الْجَمَرَاتِ مُغَرُ
لَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا حَسَبِي إِذَا مَا تَبَدَّلَتِ الْجُلُودُ جُلُودَ نِمْرُ

هذا شاهد لما ذكرناه في نَسَبِ النبي - ﷺ - واشتقاق تلك الأسماء، وقلنا في لؤي: إنه تصغير لأبي، واخترنا هذا القول على قول ابن الأَثَرِيِّ وَقَطْرِبُ، وحكىنا قوله، وشاهدته، وإنما أراد ههنا ببني لأبي بَنِي لُؤْيٍ، فجاء به مُكَبَّرًا على ما قلناه.

وقوله:

مُوقَفَةُ الْقَوَائِمِ أُمُّ أَجْرٍ

يعني: الضُّبْعُ، ومُوقَفَةُ من الوَقْفِ، وهو الخَلْخَالُ، لأن في قوائمها سَوَادًا. قال الشاعر [أبو وَجْزَةَ السَّعْدِي] (١):

وَخَائِفٍ لِحِمٍ شَاكَا بِرَاشَتِهِ كَأَنَّهُ قَاطِمٌ وَقَفَيْنِ مِنْ عَاجِ
وَأُمُّ أَجْرٍ: جَمْعُ جَرٍ، وكما نقول: ذَلُو وَأَذَلِ، وهذا كقول الهَذَلِيِّ (٢):
وَعُودِرَ ثَاوِيَا وَتَأَوَّبَتِهِ مُوقَفَةُ أَمِينٍ لَهَا قَلِيلُ
وَالْقَلِيلُ: عُرْفُهَا، وكقول الآخر:

يَا لَهْفٍ مِنْ عَرْقَاءِ ذَاتِ قَلِيلَةٍ جَاءَتْ إِلَيَّ عَلَى ثَلَاثٍ تَخْمَعُ
وَتَظَلُّ تَنْشِطُنِي وَتَلْحَمُ أَجْرِيَا وَسَطَ الْعَرِينِ، وليس حيٌّ يدفعُ
لَوْ كَانَ سَيْفِي بِالْيَمِينِ دَفَعْتُهَا عَنِّي وَلَمْ أُوَكِّلْ وَجَنَّبِي الْأَضْبُعُ
فوصفها أنها تَخْمَعُ، كما قال ابن المهَلَّب: الضُّبْعَةُ العَرَجَاءُ، وَلَحَنَ في قوله: الضُّبْعَةُ.
وقال آخر:

فَلَوْ مَاتَ مِنْهُمْ مَنْ جَرَحْنَا لِأَصْبَحَتْ ضِبَاعَ بَأَكْنَافِ الشَّرِيفِ عَرَائِيسَا

(١) في اللسان (٤٨٩/١٢): البيت منسوب لأبي وجزة.

(٢) في اللسان (٥٣٢/١١): البيت لساعدة بن جؤية. والقليل: الشعر المجتمع.

فَمَا إِنْ خَادِرٍ مِنْ أَسَدٍ تَزَجِ مُدِلٌ عَنَبَسَ فِي الْغِيلِ مُجَرِي
فَقَدْ أَخْمَى الْأَبَاءَ مِنْ كُلاَفٍ فَمَا يَذْنُو لَهُ أَحَدٌ بِنَقْرِ
بِخَلٍ تَعَجَزُ الْحُلَفَاءُ عَنْهُ يُوَاتِبُ كُلَّ هَجْهَجَةٍ وَزَجَرِ
بِأَوْشَكِ سَوْرَةٍ مِئِي إِذَا مَا حَبَوْتُ لَهُ بِقَرْقَرَةٍ وَهَذَرِ
بَبِيضٍ كَالْأَسِنَّةِ مُزَهَفَاتٍ كَأَنْ ظَبَاتِهِنَّ جَحِيمُ جَمَرِ

وذلك أن الضُّبْعَ يَفْلِبُ القَتِيلَ على قَفَاهُ فيما ذكر، وتَسْتَعْمِلُ كَمَرَتَهُ، لأنها أَشْيَقُ البهائم، ولذلك يقال لها حين تَضْطَاد: أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ بِجَرَادٍ عَضَالٍ وَكَمَرٍ رِجَالٍ، يخدعونها بذلك، وهي تُكْنَى أُمَّ عَامِرٍ، وَأُمَّ عَمْرٍو، وَأُمُّ الْهَيْبَرِ [وَأُمُّ عِتَابٍ وَأُمُّ طُرَيْقٍ وَأُمُّ نَوْفَلٍ]، وَأُمُّ خَنْوَرٍ وَأُمُّ خَنْوَرٍ مَعًا وتسمى: خَضَاجِرَ وَجَعَارَ [وَالْعَثْوَاءُ وَذِيخَةٌ وَعَيْلَمٌ وَجِنَعَرٌ، وَأُمُّ جَعُورٍ] وَقَتَامٌ وَجِيَالٌ وَعَيْشُومٌ، وَقَتَامٌ أَيْضًا اسْمٌ لِلْغَنِيمَةِ الكثيرة يقال: أَصَابَ الْقَوْمَ قَتَامًا، قاله الزبير، وَحَيْثَلٌ وَعَيْثُومٌ، وَأَمَّا الذَّكْرُ منها فَعَيْلَامٌ وَعَيْثَانٌ وَذَيْخٌ [وَأَبُو كَلْدَةَ وَنَوْفَلٌ وَالْأَعْيُ].

وقوله في وصف الأسد في الغِيل: مُجَرٍ، أَي: ذُو أَجْرَاءٍ، وَالْأَبَاءُ: الْأَجَمَةُ التي هو فيها، وكذلك الْغِيلُ وَالْخَذَرُ وَالْعَرِينُ وَالْعَرِيسَةُ.

وقوله: أَخْمَى الْأَبَاءَ، أَي: حَمَاهَا، وَأَخْمَى لَغَةً فِي حَمَى لَكِنهَا ضَعِيفَةٌ، وَلَعَلَهُ أَرَادَ: أَخْمَى الْأَبَاءَ، أَي: جَعَلَهَا كَالنَّارِ الْحَامِيَةِ، يُقَالُ: أَخْمَيْتُ الْحَدِيدَةَ فِي النَّارِ، يَعْنِي: إِنْ أَبَاءَتْهُ قَدْ حُمِيَتْ بِهِ فَلَا تُقَرَّبُ.

وقوله: مِنْ كُلاَفٍ، لَعَلَهُ أَرَادَ مِنْ شِدَّةِ كَلَفٍ بِمَا يَخْشِيهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى وَزْنٍ، فَعَالٍ، لِأَنَّ الْكَلْفَ إِذَا اشْتَدَّ: كَالْهَيْامِ وَالْعَطَاشِ، وَفِي مَعْنَى الشَّعَارِ، وَلَعَلَّ كُلاَفًا اسْمٌ مَوْضِعٌ، وَقَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ: الْكُلاَفُ: اسْمُ شَجَرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقوله: بِخَلٍ، هُوَ الطَّرِيقُ فِي الرَّمْلِ، وَالْهَجْهَجَةُ مِنْ قَوْلِكَ: هَجْهَجْتُ بِالذُّبِّ إِذَا زَجَرْتَهُ. قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

لَمْ يُنْجِ مِنْهَا صِيَاخُ الْهَجْهَجِ

وقوله: بِقَرْقَرَةٍ وَهَذَرٍ. الْقَرْقَرَةُ صَوْتُ شَدِيدٌ مُنْقَطِعٌ، وَجَاءَ فِي صِفَةِ عَامِرِ الْحَدَّاءِ أَنَّهُ كَانَ قَرَارِقِي الصَّوْتِ، فَلَمَّا كَبُرَ وَضَعَفَ صَوْتُهُ، قَالَ:

أَصْبَحَ صَوْتُ عَامِرٍ صُيًّا أَبْكُمْ لَا يُكَلِّمُ الْمَطِيًّا

(١) هُو: عمران بن عاصم الغزي. انظر البيان والتبيين للجاحظ (٤٨/١).

وَأَكْلَفَ مُجْنِلٍ مِنْ جِلْدِ ثَوْرٍ وَصَفْرَاءَ الْبُرَايَةِ ذَاتِ أَزْرِ
وَأَبْيَضَ كَالْغَدِيرِ ثَوَى عَلَيْهِ عُمَيْرٌ بِالْمَدَاوِسِ نِصْفَ شَهْرٍ
أَرْقَلَ فِي حَمَائِلِهِ وَأَمَشِي كَمِشِيَّةٍ خَادِرٍ لَيْثٍ سِبْطَرٍ
يَقُولُ لِي الْفَتَى سَعْدُ هَدِيًّا فَقُلْتُ: لَعَلَّهُ تَقْرِبُ غَدْرٍ
وَقُلْتُ أبا عَدِي لَا تَطْرُزْ وَذَلِكَ إِنْ أَطَعْتَ الْيَوْمَ أَمْرِي
كَذَابِهِمْ بِفَزْوَةٍ إِذَا آتَا فَظَلَّ يُقَادَ مَكْتُوفًا بَصْفَرٍ

قال ابن هشام: وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر:

نَصُدُّ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَذْرَكُونَا كَأَنَّ سِرَاعَهُمْ تَيَّارُ بَخْرٍ
وقوله: مدلّ عَنَسٍ فِي الْغَيْلِ مُجْرِي - عن غير ابن إسحق.

قال ابن إسحق: وقال أبو أسامة أيضًا:

أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ عَنِي رَسُولًا مُعْلَغَلَةً يُثَبِّتُهَا نَظِيفُ
أَلَمْ تَعْلَمْ مَرَدِّي يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ بَرَقَتْ بِجَنْبَيْكَ الْكُفُوفُ

وهو عامر بن ربيعة الحذاء الثعلبي، وإليه يُنسَبُ بئو الحذاء، وذكر أهل اللغة أن الكَشِيشَ أولُ رُغَاءِ الْجَمَلِ، ثم الكَيْتُ ثم الهَذَرُ، ثم الْقَرْقَرَةُ، ثم الرُّغْدُ، ويقال: رَغْدٌ يَزُغْدُ ثم الْقَلَاخُ [أو الْقَلَخُ أو الْقَلِيخُ الأخيرة عن سيبويه] إذا جعل كأنه يَتَقَلَعُ.

وقوله: وَأَكْتَفَ مُجْنَاءً، يعني: التُّرْسَ، وهو من أَجْنَأَتِ الشَّيْءِ، إذا جَنَيْتَهُ فهو مُجْنَأٌ، ويعني: بَصْفَرَاءُ الْبُرَايَةِ: الْقَوْسُ، وَبُرَايَتُهَا: مَا يُرَى مِنْهَا، وجعلها صَفْرَاءَ لَجِدَّتِهَا وَقُوَّتِهَا. وقوله: وَأَبْيَضَ كَالْغَدِيرِ: أَرَادَ السَّيْفَ، وَعُمَيْرُ اسْمُ صَانِعٍ، وَالْمَدَاوِسُ: جَمْعُ مِدْوَسٍ، وَهِيَ الْآلَةُ الَّتِي يَدُوسُ بِهَا الْحَدَّادُ، وَالصَّبْقُلُ مَا يَصْنَعُهُ، وَوَصَفَهُ إِثَّاها بِالْمُعْرِ، الْمُعَرُّ: جَمْعُ أَمْعَرٍ، وَهُوَ الْأَحْمَرُ، وَالْخَادِرُ: الدَّاخِلُ فِي الْخَذْرِ وَمُسَبِّطَرٌ: غَيْرُ مُتَقَبِّضٍ.

وقوله:

يقول لي الفتى سَعْدُ هَدِيًّا

الْهَدِيُّ: مَا يُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ، وَالْهَدْيُ أَيْضًا الْعَرُوسُ تُهْدَى إِلَى زَوْجِهَا، وَنَصَبَ هَدِيًّا هُنَا عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ، كَأَنَّهُ أَرَادَ أَهْدِيَ هَدِيًّا.

وقد تُرِكَت سُراءُ القومِ صَزَعَى كَأَن رُؤوسَهُم حَدَجٌ نَقِيفٌ
وقد مَالَتْ عَلَيْكَ بَبْطُنَ بَذِرٍ خِلَافَ القَوْمِ دَاهِيَةً خَصِيفٌ
فَنَجَّاهُ مِنَ العَمَرَاتِ عَزَمِي وَعَوْنُ اللَّهِ والأَمْرِ الحَصِيفِ
وَمُنْقَلَبِي مِنَ الأَبْوَاءِ وَجَدِي ودونكَ جَمْعُ أعداءٍ وقُوفِ

شرح القصيدة الفاوية لأبي أسامة:

وقوله في الشعر الفاوي:

كَأَن رُؤوسَهُم حَدَجٌ نَقِيفٌ

الحدَجُ: جمع حَدَجَةٍ، وهي: الحَنْظَلَةُ، والنَّقِيفُ: المنْقُوفُ، كما قال امرؤ القيس:

[كَأَنِّي عَدَاءُ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الحَيِّ] نَاتِفٌ حَنْظَلٍ

وهو المُسْتَخْرِجُ حَبِّ الحَنْظَلِ.

وقوله: دَاهِيَةٌ خَصِيفٌ، أي: مُتَرَاكِمَةٌ من خَصَفْتُ التَّلَّأَ أو من خَصَفْتُ اللِّيفَ، إِذَا نَسَجْتَهُ، وقد يُقال: كَتَبْتُ خَصِيفًا، أي: مُنْتَسِجَةً، بعضها ببعض، مُتَكَائِفَةً، وفي كتاب سيويه: كَتَبْتُ خَصِيفًا أي: سوداء.

وقوله: وَمُنْقَلَبِي مِنَ الأَبْوَاءِ، هو: الموضِعُ الذي فيه قَبْرُ أَمْنَةٍ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَسُمِّيَ الأَبْوَاءُ، لِأَنَّ السُّيُولَ تَتَبَّوْا، وفي الحديث أن رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ بِالأَبْوَاءِ، فِي أَلْفِ مُقْتَعٍ فَبَكَى وَأَبَكَى^(١)، ووجدت على البيت المتقدم الذي فيه: حَدَجٌ نَقِيفٌ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الحَنْظَلُ: مِنَ الأَعْلَافِ وَهُوَ يَنْبِت شَرْيَاً، كَمَا يَنْبِت شَرْيَ القَتَاءِ، وَالشَّرْيُ: شَجَرُهُ، ثُمَّ يَخْرُجُ فِيهِ زَهْرٌ، ثُمَّ يَخْرُجُ فِي الزَّهْرِ جِرَاءٌ مِثْلَ جِرَاءِ البَطِيخِ^(٢)، فَإِذَا ضَخَمَ وَسَمِنَ حَبُّهُ سَمُوهُ الحَدَجُ وَاحْدَتُهُ حَدَجَةٌ، فَإِذَا وَقَعَتْ فِيهِ الصُّفْرَةُ سَمُوهُ: الحُطْبَانُ، وَزَادَ أَبُو حَنِيفَةَ أَنَّ الحَنْظَلَةَ إِذَا اسْوَدَّتْ بَعْدَ الخُضْرَةِ، فَهِيَ: قَهْقَرَةٌ، وَذَكَرَ فِي القَتَاءِ الحَدَجَ وَالْجِرَاءَ كَمَا ذَكَرَ فِي الحَنْظَلِ، وَكَذَلِكَ الشَّرْيَةُ اسْمٌ لِشَجَرَتَيْهِمَا، وَفِي القَتَاءِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بِطِيخًا القُحَّ^(٣)، وَقَبْلَ القُحِّ يَكُونُ خَضَفًا، وَأَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ القُشْعُرُ^(٤) وَالشُّغُرُورُ^(٥) وَالضُّغْبُوسُ^(٦) وَنَقِيفٌ مَعْنَاهُ: مَكْسُورٌ. لِأَنَّهُ يُقَالُ: نَقَفْتُ رَأْسَهُ عَنْ دِمَاغِهِ، أَيْ: كَسَرْتَهُ.

(١) أخرجه الحاكم (١٧٣/٢).

(٢) قال الأزهرى: الصواب الفج.

(٣) الشعورور: القناء الصغير.

(٤) جراء البطيخ: صغاره.

(٥) القشعر: القناء، بلغة أهل الجوف من اليمن.

(٦) الضغبوس: القناء الصغير أيضاً.

وَأَنْتَ لِمَنْ أَرَادَكَ مُسْتَكِينٌ بِجَنْبِ كُرَاشٍ مَكْلُومٍ نَزِيفٌ
وَكُنْتُ إِذَا دَعَانِي يَوْمَ كَرْبٍ مِنَ الْأَصْحَابِ دَاعٍ مُسْتَضِيفٌ
فَأَسْمَعُنِي وَلَوْ أَحْبَبْتُ نَفْسِي أَخٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَوْ حَلِيفٌ
أَرَدَ فَأَكْشِفُ الْغُمَى وَأُزْمِي إِذَا كَلَّحَ الْمَشَافِرُ وَالْأَثُوفُ
وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ عَلَى يَدَيْهِ يَتَوَّءُ كَأَنَّهُ غُضُنُ قَصِيفٍ
دَلَفْتُ لَهُ إِذَا اخْتَلَطُوا بِحَرَى مُسَخَّسِحَةٍ لِعَانِدِهَا حَفِيفٌ
فَذَلِكَ كَانَ صُنْعِي يَوْمَ بَذَرٍ وَقَبْلُ أَخُو مَدَارَةِ عَزُوفٍ
أَخُوكُمْ فِي السَّنِينَ كَمَا عَلَّمْتُمْ وَحَرْبٍ لَا يَزَالُ لَهَا صَرِيفٌ
وَمُقْدَامٌ لَكُمْ لَا يَزْدَهِينِي جَنَانُ اللَّيْلِ وَالْأَنْسُ اللَّفِيفُ
أُخْوَضُ الصَّرَّةَ الْحَمَاءَ خَوْضًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَلْجَأَ الشَّفِيفُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَرَكْتُ قَصِيدَةً لِأَبِي أُسَامَةَ عَلَى اللَّامِ، لَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ بَذَرٍ إِلَّا فِي
أَوَّلِ بَيْتٍ مِنْهَا وَالثَّانِي، كَرَاهِيَةَ الْإِكْثَارِ.

شعر هند بنت عتبة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بِنْتُ رَبِيعَةَ تَبْكِي أَبَاهَا يَوْمَ بَدْرٍ:
أَعَيْنِي جُودًا بَدَمَعَ سَرَبٌ عَلَى خَيْرِ خَنْدِفٍ لَمْ يَنْقَلِبْ

وَقَوْلُهُ: أَخْوَضَ الصَّرَّةَ الْحَمَاءَ. الصَّرَّةُ: الْجَمَاعَةُ، وَالصَّرَّةُ: الصِّيَاحُ، وَالصَّرَّةُ: شِدَّةُ
الْبَزْدِ، وَإِبَاهَا عَنِي، لِأَنَّهُ ذَكَرَ الشَّفِيفَ فِي آخِرِ الْبَيْتِ، وَهُوَ بَزْدٌ وَرِيحٌ، وَيُقَالُ لَهُ: الشَّقَانُ
أَيْضًا، أَنشَدَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ:

قِلْ لِلشَّمَالِ الَّتِي هَبَّتْ مُرْغَزَعَةً تُذِرِي مَعَ اللَّيْلِ شَقَانًا بِصُرَادٍ
أَقْرِئِ السَّلَامَ عَلَى نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ وَحَاضِرٍ بِاللَّوَى إِنْ كَانَ أَوْ بَادٍ
سَلَامٌ مُغْتَرِبٍ فِقْدَانٍ مَنْزِلَهُ إِنْ أَتَجَدَّ النَّاسُ لَمْ يَهْمُمْ بِإِنْجَادٍ

شعر هند

وَفِي شِعْرِ هِنْدٍ: جَمِيلُ الْمَرَاةِ، أَرَادَتْ: مَرَاةَ الْعَيْنِ، فَنَقَلْتُ حَرَكَةَ الْهَمْزَةِ إِلَى السَّاكِنِ،
فَذَهَبَتِ الْهَمْزَةُ، وَإِنَّمَا تَذْهَبُ الْهَمْزَةُ إِذَا نَقَلْتَ حَرَكَتَهَا، لِأَنَّهُ تَبْقَى فِي تَقْدِيرِ أَلْفٍ سَاكِنَةٍ،
وَالسَّاكِنُ الَّذِي قَبْلَهَا بَاقٍ عَلَى حُكْمِ السَّكُونِ لِأَنَّ الْحَرَكَةَ الْمَنْقُولَةَ إِلَيْهِ عَارِضَةٌ، فَكَأَنَّهُ قَدْ
اجْتَمَعَ سَاكِنَانِ، فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ لِلذَّكَاءِ، هَذَا مَعْنَى كَلَامِ ابْنِ جَنِّي.

تَدَاعَى لَهُ رَهْطُهُ غُدْوَةً
يُذِيقُونَهُ حَدَّ أَشْيَافِهِمْ
يَجْرُونَهُ وَعَفِيرُ الثَّرَابِ
وَكَانَ لَنَا جَبَلًا رَاسِيَا
وَأَمَّا بُرِّي فَلَمْ أَغْنِهِ
وَقَالَتْ هِنْدُ أَيْضًا:

يَرِيبَ عَلَيْنَا دَهْرُنَا فَيَسُوؤُنَا
أُبْعِدَ قَتِيلَ مَنْ لُوِّيَ بِنَ غَالِبِ
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ رَزْنَتْ مُرَّرًا
فَأُبْلَغَ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مَالِكَا
فَقَدْ كَانَ حَرْبٌ يَسْعَرُ الْحَرْبَ إِنَّهُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِهِنْدَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَتْ هِنْدُ أَيْضًا:

لِلَّهِ عَيْنَانَا مَنْ رَأَى
يَا رُبَّ بَاكِ لِي غَدَا
كَمْ غَادَرُوا يَوْمَ الْقَلْبِ
مِنْ كُلِّ غَيْثٍ فِي السَّنِي
قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى
قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى
يَا رُبَّ قَائِلَةٍ غَدَا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِهِنْدَ.

وقول هند:

فَأَمَّا بُرِّي فَلَمْ أَغْنِهِ

فهو تصغير البراء اسم رجل، وقولها:

قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى فَأَنَا الْغَدَاةُ مُوَامِيهِ

قال ابن إسحق: وقالت هند أيضًا:

يا عَيْنُ بَكِّي عُثْبَةَ	شِيخًا شَدِيدَ الرُّقْبَةِ
يُطْعِمُ يَوْمَ الْمَسْغَبَةِ	يُدْفِعُ يَوْمَ الْمَغْلَبَةِ
إِنِّي عَلَيْهِ حَرِبَةٌ	مَلْهُوفَةٌ مُسْتَلَبَةٌ
لَنَهْطَنَّ يَثْرِبَةَ	بَغَارَةً مُنْثَعِبَةَ
فِيهَا الْخِيُولُ مُقَرَّبَةٌ	كُلُّ جَوَادٍ سَلْهَبَةٌ

شعر صفية:

وقال صفية بنتُ مُسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. تبكي أهل القلب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش: (وتذكر مصابهم):

يا مَنْ لِعَيْنٍ قَذَاها عَائِرُ الرَّمْدِ	حَدَّ النَّهَارِ وَقَرْنَ الشَّمْسِ لَمْ يَقْدِرْ
أُخْبِرْتُ أَنَّ سَرَاةَ الْأَكْرَمِينَ مَعَا	قَدْ أَخْرَزَتْهُمْ مَنَائِهُمُ إِلَى أَمَدٍ
وَقَرَّ بِالْقَوْمِ أَصْحَابُ الرِّكَابِ وَلَمْ	تَغْطِفْ غَدَائِدِي أُمُّ عَلَى وَلَدٍ
قَوْمِي صَفِيٍّ وَلَا تَنْسِيَ قَرَابَتَهُمْ	وإنْ بَكَيْتِ فَمَا تَبْكِينَ مِنْ بُعْدٍ
كَانُوا سُقُوبَ سَمَاءِ الْبَيْتِ فَانْقَصَفَتْ	فَاصْبِحِ السَّمَكِ مِنْهَا غَيْرَ ذِي عَمَدٍ

قوله: مُوَامِيَّة، أي: ذليلة، وهو مُوَامِيَّةٌ بهمزة، ولكنها سُهِّلَتْ، فصارت واوًا، وهي من لفظ الأمة، تقول: تَأْمَيْتُ أُمَّةً أي: اتَّخَذْتُهَا، ويجوز أن يكونَ مَقْلُوبًا مِنَ الْمُوَامِيَّةِ، وهي الموافقة، فيكون الأصلُ مُوَامِيَّة، ثم قلبَ فصار مُوَامِيَّة على وزن مُقَاعِلَةٍ، تريد أنها قد ذَلَّتْ، فلا تَأْبَى، بل تُوافِقُ الْعَدُوَّ على كُرْهِهِ، ومنه اشتقاق التَّوَامِ لأن وَزْنَهُ قَوْعَلٌ مثل التَّوَلَّجِ والتَّاءُ فيهما جميعًا بَدَلٌ مِنْ: واوٍ، قاله صاحب العين.

وقولها:

مَلْهُوفَةٌ مُسْتَلَبَةٌ

الْأَجُودُ فِي مُسْتَلَبَةٍ أَنْ يَكُونَ بِكَسْرِ اللَّامِ مِنَ السَّلَابِ وَهِيَ الْخِرْقَةُ السُّودَاءُ الَّتِي تَحْمَرُ بِهَا الثُّكْلَى، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لَا أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ حِينَ مَاتَ عَنْهَا جَعْفَرُ: «تَسْلَبِي ثَلَاثًا، ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ»^(١)، وَهُوَ حَدِيثٌ مَنْسُوخٌ بِالْإِخْدَادِ، وَمُتَأَوَّلٌ، ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ.

(١) أخرجه البيهقي (٣٤٨/٧) والقرطبي (١٨١/٣).

قال ابن هشام: أنشدني بيتها: «كانوا سقوب» بعض أهل العلم بالشعر.

قال ابن إسحق: قالت صفية بنت مسافر أيضاً:

ألا يا مَنْ لِعَيْنٍ لَلْتِ	بَكِّي دَمْعُهَا فإنا
كَعَزَّتِي دالَجٍ يَسْقِي	خِلَالَ الغَيْثِ الدَّانِ
وما لَيْتُ غَرِيفٍ ذو	أظافيرٍ وأسنان
أبو شَيْبَلَيْنِ وَثاب	شديدُ البَطْشِ عَزْثان
كَحَبِّي إِذْ تَوَلَّى و	وَجُوهُ القَقُومِ أَلوان
وبالكَفِّ حُسام صا	رم أُنَيْضُ ذُكْران
وأنت الطَّاعنُ النُّجْلا	ءِ مِنْهَا مُزِيدُ آن

قال ابن هشام: ويرون قولها: «وما لَيْتُ غَرِيفٍ» إلى آخرها مفصلاً من البيتين اللذين قبله.

شعر هند بنت أئانة:

قال ابن إسحق: وقالت هند بنت أئانة بن عباد بن المطلب تزني عبید بن الحارث بن المطلب:

لقد ضَمَّنَ الصُّفراءُ مجداً وسودداً	وحلماً أصيلاً وأقر اللبَّ والعقل
عَبِيدَةً فابْكِيهِ لأضيافٍ غُزْبَةٍ	وأرملة تَهْوِي لِأَشْعَثَ ^(١) كالجِذْلِ ^(٢)
وبَكِيهِ للأقوامِ في كلِّ شُتْوَةٍ	إذا احمرَّ آفاقُ السَّمَاءِ مِنَ المَحَلِّ
وبَكِيهِ للأيَّتامِ والريِّحُ زَفَزَفَ ^(٣)	وتَشَيَّبَ قَدْرَ طالما أَزِيدَتِ تَغْلِي
فإن تُصبحَ الثَّيرانُ قد ماتَ ضَوْوُها	فقد كان يُذَكِّيهِنَّ بِالْحَطَبِ الجَزَلِ ^(٤)
لطارِقِ لَيْلٍ أو لَمُلْتَمَسِ القِرَى	ومُسْتَنْبَحٍ أَصْحَى لَدَيْهِ على رِشْلِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لهند.

(٢) الجذل: من يلتجأ إليه ويُشار.

(٤) الجزل: الغليظ.

(١) أشعث: مغبر الشعر.

(٣) زفزف: شديدة الهبوب.

شعر قتيلة بنت الحارث

قال ابن إسحق: وقالت قُتَيْلَةُ بنت الحارث أخت النُّضْر بن الحارث، تَبْكِيهِ:

يا رَاكِبًا إِنَّ الْأُنْيَلَ مَظِنَّةٌ	من صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوقِفٌ
أُبْلِغُ بِهَا مَيْتًا بَأَنَّ تَحِيَّةً	مَا إِنْ تَرَأَى بِهَا النَّجَائِبَ تَخْفُقُ
مِنِّْي إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ	جَادَتْ بِوَاكِفِهَا وَأُخْرَى تَخْفُقُ
هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ	أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ
أُمَحَمَّدُ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ	فِي قَوْمِهَا وَالْفَخْلُ فَخْلٌ مُغْرَقُ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا	مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُحْنَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلٌ فَذِيَّةٌ فَلْيُتْفِقَنَّ	بَاعِزٌ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَقُ
فَالنُّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةٌ	وَأَحْقُهُمْ إِنْ كَانَ عِثْقٌ يُغْتَقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ	لِلَّهِ أَزْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا	رَسَفَ الْمُقَيِّدُ وَهُوَ عَانٍ مُوْتَقُ

شعر قتيلة

وذكر ابن هشام شِعْرَ قُتَيْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ تَزَنِّي أَخَاهَا النُّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا بِنْتُ النَّضْرِ لَا أَخْتَهُ كَذَلِكَ قَالَ الزَّيْبِرُ^(١) وَغَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ فِي كِتَابِ الدَّلَائِلِ، وَقُتَيْلَةُ هَذِهِ كَانَتْ تَخْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْأَصْغَرِ، فَهِيَ جَدَّةُ الثُّرَيَّا بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ حِينَ خَطَبَهَا سُهَيْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ:

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا	عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ	وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ

وَرَهْطُ الثُّرَيَّا هَذِهِ يُقَالُ لَهُمُ: الْعَبَلَاتُ، لِأَنَّ أُمَّهُمُ عَبْلَةُ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ جَادِبٍ.

وَفِي شِعْرِ قُتَيْلَةَ:

أُمَحَمَّدُ هَا أَنْتَ ضَنْيَ نَحِيْبَةٍ

(١) انظر نسب قريش (٢٥٥).

قال ابن هشام: فيقال، والله أعلم: إن رسول الله ﷺ لمَّا بلغه هذا الشعر، قال: «لو بلغني هذا قبل قتله لمَنَنْتُ عليه».

تاريخ الفراغ من بدر:

قال ابن إسحاق: وكان فراغُ رسولِ الله ﷺ من بدر في عَقَب شهر رمضان أو في شوال.

قال قاسم: أرادت يا مُحَمَّداه على الثُّدْبَة، قال: والضُّئِي الولد، والضُّئِي الأصل، يقال: ضُت المرأة واضئنت وضنت تَضُو إذا ولدت.

غزوة بني سليم بالكُذَرِ

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة لم يُقم بها إلا سبعَ ليالٍ حتى غزا بنفسه، يريد بني سَلِيم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سِبَاعُ بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِيُّ، أو ابن أُم مَكْنُوم.

قال ابن إسحاق: فبلغ ماءً من مياههم؛ يقال له الكُذَرُ، فأقام عليه ثلاثَ لَيَالٍ ثم رجع إلى المدينة، ولم يَلْقَ كَيْدًا، فأقام بها بَقِيَّةَ شَوَالٍ وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قُرَيْشٍ.

غزوة قرقرة الكدر^(١)

الْقَرْقَرَةُ: أرض مَلَسَاءَ، والكُذَرُ: طير في ألوانها كُذَرَةٌ، عرف بها ذلك الموضع، وقد كان عمرُ بنُ الحَطَّابِ - رضي الله عنه - يذكر مسيرَه مع رسول الله ﷺ - في تلك الغَزْوَةِ، فقال لِعِمْرَانِ بنِ سَوَادَةَ حين قال له: إن رِعِيَّتَكَ تشكو منك عُنفَ السِّبَاقِ، وقهر الرعيَّةِ فدقر على الدَّرَّةِ، وجعل يَمَسُحُ سُبُورَهَا، ثم قال: قد كنت زَمِيلَ رسول الله ﷺ في قَرْقَرَةَ الكُذَرِ، فكنت أُرْتَعِ فأشبع وأسقي فأزوي، وأكثيرُ الزُّجَرِ، وأقلُّ الضَّرْبِ، وأزُدُّ العَنُودَ، وأزجر العَرُوضَ، وأضمُّ اللَّفُوتَ، وأشهر العصا، وأضربُ باليد، ولولا ذلك لأغذرتُ [بعض ما أسوق] أي: لضيَّعتُ قَتَرَتُكَ، يذكر حُسْنَ سياسته، فيما ولي من ذلك. والعنود: الخارجُ عن الطريق، والعروضُ المُستَضَعِبُ من الناس والدواب.

(١) انظر البداية والنهاية (٣/٣٤٦) ابن سعد (٢/١/٢٢) الزاد (٣/١٨٩) جوامع السيرة (١٨٨) ابن سيد الناس (١/٢٩٤) شرح المواهب (١/٤٥٤) المنتظم (٣/١٥٦) الواقدي (١/١٨٢) الكامل (٢/٣٥) تاريخ الطبري (٢/٤٨٢).

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المصلي، قال: ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، ويزيد بن رومان ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة، ورجع فل قريش من بدر، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ، فخرج في مائتي راكب من قريش، ليبري يمينه، فسلكت التجديفة، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: ثيب، من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل، حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حبي بن أخطب، فضرب عليه باب، فأبى أن يفتح له باب، وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك، وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه، فأذن له، فقرأه وسقاه، وبطن له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها، قال لها: العريض، فحرقوا في أضوار من نخل بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً

وذكر أن أبا سفيان كان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة، حتى يغزو محمداً. في هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل، كما بقي فيهم الحج والنكاح؛ ولذلك سموها جنابة، وقالوا: رجل جُنِبَ وقوم جُنِبَ، لمجانبتهم في تلك الحال البيت الحرام، ومواضع قرباتهم، ولذلك عُرف معنى هذه الكلمة في القرآن أعني قوله: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ فكان الحدث الأكبر معروفاً بهذا الاسم، فلم يحتاجوا إلى تفسيره، وأما الحدث الأصغر، وهو الموجب للوضوء، فلم يكن معروفاً قبل الإسلام؛ فلذلك لم يقل فيه: وإن كنتم محدثين، فتوضؤوا كما قال: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ بل قال: ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ الآية [المائدة: ٦] فبين الوضوء وأعضاءه وكيفيته، والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجيء من الغائط، وملامسة النساء، ولم يحتج في أمر الجنابة إلى بيان أكثر من وجوب الطهارة، منها: الصلاة.

وقوله: أضوار نخل، هي: جمع صؤر. والصؤر: نخل مجتمعة.

(١) انظر البداية (٣/٣٤٤) الواقدي (١/١٨١) ابن سعد (٢/١٠٢) المنتظم (٣/١٥٦) ابن حزم (١٥٢) السيرة الحلبي (٢/٢٧٧) الكامل (٢/٣٦) الاكتفاء (٢/٧٧) تاريخ الطبري (٢/٤٨٣) الدرر (١٣٩) عيون الأثر (١/٣٥٤) التويري (١٧/٧٠) الزاد (٣/١٨٩) ابن سيد الناس (١/٣٤٤).

له في حَرْث لهما، فَقَتْلُوهُمَا، ثم انصرفوا راجعين، وَنَذَرَ بِهِم النَّاسُ. فخرج رسولُ الله ﷺ في طلبهم، واستعملَ على المدينة بَشِيرَ بن عبدِ المُنْذِر، وهو أبو لُبَابَة، فيما قال ابنُ هِشَام، حتى بلغ قَرْقَرَةَ الكُذْر، ثم انصرف راجعًا، وقد فاته أبو سُفْيَان وأصحابه، وقد رأوا أزوادًا من أزواد القوم قد طَرَحُوا في الحَرْث يتخَفُّون منها للنَّجَاء، فقال المسلمون، حين رجع بهم رسولُ الله ﷺ: يا رسولَ الله، أَتَطْمَع لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم».

قال ابن هشام: وإنما سُمِّيَت غزوة السَّوِيق، فيما حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدة: أَنَّ أَكْثَرَ ما طَرَحَ القَوْمُ من أَزْوَادِهِم السَّوِيقُ، فَهَجَمَ المسلمون على سَوِيقٍ كثير، فَسُمِّيَت غزوة السَّوِيق.

قال ابن إسحق: وقال أبو سُفْيَان بن حَزْب عند مُنْصَرَفِهِ، لما صنع به سَلامُ بن مِشْكَم:

لِجَلْفٍ فَلَمْ أَتَدَمْ وَلَمْ أَتَلَوِّمْ	وَأَنِّي تَخَيَّرْتُ الْمَدِينَةَ وَاحِدًا
عَلَى عَجَلٍ مِنِّي سَلامُ بن مِشْكَم	سَقَانِي فَرَوَانِي كُفْمِيًّا مُدَامَةً
لِأَفْرِحِهِ: أَبْشَرَ بَعَزَ وَمَغْنَم	وَنَمَّا تَوَلَّى الْجَيْشُ قَلْتُ وَلَمْ أَكُنْ
صَرِيحُ لُؤْيٍ لَا شَمَاطِيطُ جُزْهُمْ	تَأْمُلُ فَإِنَّ الْقَوْمَ سَرَّ وَإِنَّهُمْ
أَتَى سَاعِيًّا مِنْ غَيْرِ خَلَّةٍ مُغْدِمٍ	وَمَا كَانَ إِلَّا بَعْضُ لَيْلَةٍ رَاكِبٍ

سلامة بن مشكم:

وذكر سَلامُ بن مِشْكَم، ويقال: فيه سَلامُ، ويقال: إنه ولد شَغْنَاء التي يقول فيها حَسَّان:

لِشَغْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمْتُهُ فَلَيْسَ لَعَقْلِهِ مِنْهَا شِفَاءُ

وقول أبي سُفْيَان: شَمَاطِيطُ جُزْهُمْ. الشَّمَاطِيطُ: الخَيْلُ الْمُتَفَرِّقَةُ، ويقال للأَخْلَاطِ مِنَ النَّاسِ أَيْضًا: شَمَاطِيط، وأصله مِنَ الشَّمِيطِ، وهو اخْتِلَاطُ الظَّلَامِ بالضوء، ومنه الشَّمَطُ فِي الرَّأْسِ.

وقوله: وَلَمْ أَكُنْ لِأَفْرِحِهِ، والمُفَرِّحُ: الَّذِي قَدْ أَثْقَلَهُ الدَّيْنُ، وقد تَقَدَّمَ شرحه.

غزوة ذي أمر^(١):

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها، ثم غزا نجدًا، يريد غطفان، وهي غزوة ذي أمر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بنجد صفرًا كله أو قريبًا من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلقَ كيدًا. فلبث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلا قليلاً منه.

غزوة الفرع من بحران^(٢):

ثم غز (رسول الله) ﷺ، يريد قريشًا، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بحران، مغدنا بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيدًا.

وذكر أن رسول الله - ﷺ - أتى بخران مغدنا بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام به شهر ربيع الآخر، وجمادى الأولى. الفرع بضمتين، يقال: هي أول قرية مازت إسماعيل وأمه التمر بمكة، وهي من ناحية المدينة، وفيها عينان يقال لهما: الرُبض والتَّجف يسقيان عشرين ألف نخلة كانت لحمزة بن عبد الله بن الزبير. وتفسير الرُبض: منابت الأراك في الرمل والفرع بفتحيتين موضع بين الكوفة والبصرة. قال سويد بن أبي كاهل:

حَلْ أَهْلِي حَيْثُ لَا أَطْلُبُهَا جَانِبَ الْحَضَرِ وَحَلْتُ بِالْفَرَعِ

ثم رجع إلى المدينة. وقول ابن إسحاق: أقام شهر ربيع وجمادى لأن الربيع مُشْتَرَك بين اسم الشهر، وزمن الربيع، فكان في لفظ الشهر بيان لما أراد. وجمادى اسم علم ليس فيه اشتراك، وقد قدمنا قول سيبويه، ومما لا يكون العمل إلا فيه كله المحرّم وصفر يعني هذه الأسماء كلها، وكذلك أسماء الأيام، لا تقول: سيزت الخميس ولا مشيت الأربعاء إلا

(١) انظر البداية (٢/٤) الطبقات (٢٣/١/٢) المنتظم (١٥٧/٣) الواقدي (١٩٣/١) الكامل (٣٨/٢) الاكتفاء (٧٨/٢) تاريخ الطبري (٤٨٧/٢) سيرة ابن هشام (٤٥/٢) الدلائل (١٦٧/٣) النويري (٧٧/١٧) عيون الأثر (٣٦٢/١) السيرة الحلبية (٢٧٩/٢) جوامع السيرة (١٨٩).

(٢) انظر الواقدي (١٩٥) ابن سعد (٢٤/١/٢) ابن كثير (٢/٤) جوامع السيرة (١٨٩) الزاد (١٩٠/٣) ابن سيد الناس (٣٠٤/١) شرح المواهب (١٦/٢).

أمر بني قينقاع

نصيحة الرسول لهم وردهم عليه :

(قال): وقد كان فيما بين ذلك، من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع، وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع، ثم قال: «يا مَعْشَرَ يَهُودَ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من الثَّغْمَةِ، وأسلموا، فإنكم قد عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ»، قالوا: يا محمد، إِنَّكَ تَرَى أَنَا قَوْمُكَ! لَا يُغَرِّنُكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاللَّهِ لَشَنُ حَارِبِنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَا نَحْنُ النَّاسَ.

ما نزل فيهم:

قال ابن إسحاق: فحدثني مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير، أو عن

والعمل فيه كُله حتى تقول يوم الأربعاء، أو يوم كذا، وفي الشهور شهر كذا، فحينئذ يكون ظرفًا لا يدل على وقوع العمل فيه كُله.

خبر بني قينقاع^(١)

وقد تقدّم منه طَرَفٌ قبل غَزْوَةِ بَدْرٍ.

وفيه أن عبد الله بن أبيّ قال للنبي ﷺ: أَخْبِسْ فِي مَوَالِي وَأَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - غَضِبَ حَتَّى رَأَوْا لَوَجْهَهُ ظِلَالًا، هَكَذَا فِي نُسْخَةِ الشَّيْخِ مُصَحَّحًا عَلَيْهِ، وَفِي غَيْرِهَا ظُلُلًا جَمَعَ ظُلَّةً، وَقَدْ تَجَمَّعَ فُعْلَةٌ عَلَى فِعَالٍ نَحْوَ بُرْمَةٍ وَبِرَامٍ وَجُفْرَةٍ وَجِفَارٍ فَمَعْنَى الرَّوَائِثِ إِذَا وَاحِدٌ، وَالظُّلَّةُ مَا حَجَبَ عَنْكَ ضَوْءُ الشَّمْسِ وَصَحْوُ السَّمَاءِ، وَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - مُشْرِقًا بَسَامًا، فَإِذَا غَضِبَ تَلَوَّنَ الْوَانَا فَكَانَتْ تِلْكَ الْأَلْوَانُ حَائِلَةً دُونَ الْإِشْرَاقِ وَالطَّلَاقِ وَالضِّيَاءِ الْمُنْشَرِّ عِنْدَ تَبَسُّمِهِ، وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ كَانَ يَسْطَعُ عَلَى الْجِدَارِ نَوْرٌ مِنْ نَوْرِهِ إِذَا تَبَسَّمَ، أَوْ قَالَ: تَكَلَّمَ، يُنْظَرُ فِي السَّمَائِلِ لِلتَّرْمِيزِ^(٢).

وذكر فيه الآية التي نزلت فيهم: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ الْفِئَةُ عَلَى وَزْنِ فِعَةٍ مِنْ

(١) انظر البداية والنهاية (٣/٤) تاريخ الطبري (٤٧٩/٢) المنتظم (١٣٦/٣) الواقدي (١٧٦/١) الكامل (٣٣/٢) الطبقات (١٩/٢/١) ابن سيد الناس (٢٩٤/١) الاكتفاء (٧٩/٢) ابن حزم (١٥٤) السيرة الحلبية (٢٧٢/٢) الشامية (٢٦٥/٤) الدلائل (١٧٣/٣) الزاد (١٩٠/٣) شرح المواهب.

(٢) الشامل (٣٣).

عُكْرَمَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ إِلَّا فِيهِمْ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾: أَيُّ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُرَيْشٍ ﴿فِيئَةُ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

كانوا أول من نقض العهد:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن بني قَيْنِقَاعَ كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

سبب الحرب بينهم وبين المسلمين:

قال ابن هشام: وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة، عن أبي عون، قال: كان من أمر بني قَيْنِقَاعَ أن امرأة من العرب قَدِمَتْ بِجَلْبٍ لَهَا، فباعته بسوق بني قَيْنِقَاعَ، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يُريدونها على كُفٍّ وجهها، فأبَتْ، فَعَمِدَ الصائغ إلى طَرَفِ ثوبها فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا، فلما قامت انكشفت سَوْءَتُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا، وشَدَّتْ اليهود على المُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فاستصرخ أهلُ المُسْلِمِ المسلمين على اليهود، فَغَضِبَ المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قَيْنِقَاعَ.

ما كان من ابن أبي مع الرسول:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حُكْمِهِ، فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مَوَالِييَ، وكانوا خُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ؛ فقال: يا محمد أحسن في مَوَالِييَ، قال: فأعرض عنه فأدخل يده في جَيْبِ دِرْعِ رسول الله ﷺ.

فَأَوْتُ رَأْسَهُ بِالْعَصَا إِذَا شَقَّقْتُهُ، أَوْ مِنَ الْفَأَوِ، وَهِيَ جِبَالٌ مُجْتَمِعَةٌ، وَبَيْنَهُمَا فُسْحَةٌ مِنَ الْأَرْضِ، فَحَقِيقَةُ الْفَيْئَةِ الْفِرْقَةُ الَّتِي كَانَتْ مُجْتَمِعَةً مَعَ الْأُخْرَى، فَافْتَرَقَتْ^(١).

(١) فَأَوْتُ: الْفَاءُ وَالْأَلْفُ وَالْوَاوُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْفِرَاجٍ فِي شَيْءٍ. يُقَالُ: فَأَوْتُ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ فَأَوَا، أَيِ فَلَقْتُهُ. وَالْفَأَوُ: فَرْجُهُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ. مَقَائِيسُ اللُّغَةِ (٤/٤٦٨).

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذات الفضول.

قال ابن إسحق: فقال له رسول الله ﷺ: أزلني، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظلالاً، ثم قال: ويحك! أزلني؛ قال: لا والله لا أرسلك حتى تُحسن في مالي، أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تخصصهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «هُم لك».

مدة حصارهم:

قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في مُحاصرته إياهم بشير بن عبد المُنذر، وكانت مُحاصرته إياهم خمس عشرة ليلة.

تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفي ابن أبي:

قال ابن إسحق: وحدثني أبي إسحق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصّامت، قال: لما حاربت بنو قَيْنِقَاع رسول الله ﷺ، تشبّت بأمرهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وقام دونهم. قال: ومشى عبادة بن الصّامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف، لم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عزّ وجلّ، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه السورة من المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَقوله: إني أخشى الدائر، ﴿يَسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، ثُمَّ الْقَصَّةَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. وذكر لتولي عبادة بن الصّامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بني قَيْنِقَاع وحلفهم ولايتهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

إصابة زيد للعرير وإفلات الرجال:

قال ابن إسحاق: وسريّة زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله ﷺ فيها، حين أصاب عير قريش، وفيها أبو سُفيان بن حَرْب، على القردة ماء من مياه نجد. وكان من حديثها: أنّ قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجّار، فيهم أبو سُفيان بن حرب، ومعه فضة كثيرة، وهي عظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل، يقال له: فُرات بن حيّان يذلّهم في ذلك على الطريق.

قال ابن هشام: فُرات بن حيّان، من بني عجل، حليف لبني سَهْم.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ.

سرية زيد

ذكر فيها فُرات بن حيّان العجليّ منسوب إلى عجل بن لُجيم بن صُعب بن عليّ بن بكر بن وائل. واللُجيم: تصغير لُجَم وهي دُوَيْبَة تَطِيرُ بها العرب، وأنشدوا:

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعَرَوِ سَ إِلَى سَبَّةٍ مِثْلُ جُخْرِ اللَّجَمِ

وكان عين قريش ودليل أبي سُفيان، أسلم فُرات وحسن إسلامه، وقال فيه رسول الله - ﷺ -: «إن منكم رجالاً نكلهم إلى إسلامهم، منهم فُرات»^(١)، وأرسله رسول الله - ﷺ إلى ثَمَامَةَ بن أثال في شأنِ مُسَيْلَمَةَ، وردّته، ومرّ به رسول الله ﷺ، وهو مع أبي هريرة، والرّجال بن عُثْفُوَة، فقال: ضرس أحدكم في النار مثل أحد، فما زال فُرات وأبو هريرة خائفين حتى بلغتهما ردة الرّجال، وإيمانه بِمُسَيْلَمَةَ، فخرّا ساجدين، واسم الرّجال: نَهَارُ بن عُثْفُوَة، والعُثْفُوَة ضرب من الثّبت، يقال له: الصّليّان.

(١) «صحيح». أخرجه أبو داود (٢٦٥٢) بتحقيقي. وأحمد (٣٣٦/٤) والبيهقي (١٩٧/٨) والحاكم (٥١١/٢). وأبو نعيم في الحلية (١٨/٢).

شعر حسان في تأنيب قریش:

فقال حسان بن ثابت بعد أخذ في غزوة بدر الآخرة يؤتب قریشاً لأخذهم تلك الطريق:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جِلَادُ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ

وفيها يقول حسان:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا

الْفَلَجَاتُ: جمع فَلَج، وهي العين الجارية، يقال: ماءً فَلَجٌ، وعَيْنٌ فَلَجٌ، وذكره أبو حنيفة: فَلَجَاتٌ بالحاء المهملة، وقال: الْفَلَحَةُ المزرعة^(١).

حول كلمة المخاضة والملك:

وقوله:

جِلَادُ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ

أي: التي أكلت الأراك، قَدُمِيَتْ أَفْوَاهُهَا، وَالْمَخَاضُ واحدُهَا خَلْفَةٌ من غير لفظها، وهي الحَامِلُ [من الثوق]، وقد قيل في الواحد: مَخِضٌ، ومنه قول الطائي:

وَأَخْرَجَتْهَا عَنْ وَقْتِهَا وَهِيَ مَخِضٌ

وعندي أن المخاض في الحقيقة ليس بجمع، إنما هو مصدر؛ ولذلك وُصِفَ به الجميع، وفي التنزيل: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾^(٢) وقولهم: ناقة مَخِضٌ، كقولهم: حَامِلٌ، أي: ذات مَخَاضٍ، وذات حَمَلٍ، وقد يقول الرجل لِنِسَائِهِ: أَنْتِ الْطَّلَاقُ، فليس الطَّلَاقُ بجمع، وإنما معناه: ذَوَاتُ طَّلَاقٍ، وكذلك معنى الْمَخَاضِ، أي ذَوَاتُ مَخَاضٍ، غير أنه قيل للواحدة: مَخِضٌ، ولم يقل: ناقة مَخَاضٍ، أي: ذات مَخَاضٍ، كما يقال: امرأة زَوْرٌ وِصْوْمٌ، لأن المصدر إذا وُصِفَ به فإنما يُراد به الكثير ولا تكثير في حمل الواحدة، ألا ترى أنك تقول هي أَصْوْمُ الناسِ، وما أَصْوَمَهَا، ولا يُقال إذا حَبِلَتْ: ما أَحْبَلَهَا، لأنه شيء

(١) فلج: الفاء واللام والجيم أصلاً صحيحان يدل أحدهما على فوز وغلبة، والآخر على فُرْجَةٍ بين الشيتين المتساويين. فالأول: قولهم قُلج الرجل على خصمه إذا فاز، والسهم الفالج: الفائز. والأصل الآخر: الفلج في الأسنان، والفلج النهر، سمي بذلك لأنه قُلج أي كان الماء شقه شقاً فصار قُرْجَةً. فاما الفلوجة فالأرض المصلحة للزرع، والجمع فلاليج. السابق (٤/٤٤٨).

(٢) سورة مريم آية رقم (٢٣).

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج فقولاً لها ليس الطريق هنالك

واحد، كما لا يقال في الموت: ما أموتها، فلما عُدِمَ قصدُ التَّكْثِيرِ والمبالغة لم تُوصَف به، كما لا تُوصَف بالسَّيْرِ إذا قلت: ما هي إلا سَيْرٌ، فإذا كانت إبلاً كثيرةً حصل معنى الكثرة، فوَصِفَتْ بالمخاض، وهو المصدر لذلك، فإن قلت: فقد يقول الرجل: أنتِ الطلاقُ، وأنتِ الفراقُ قلنا: فيه معنى التَّكْثِيرِ والمبالغة، ولذلك جاز لأنه شيء يَتِمَادَى ويدوم، لا سِيَّما إن أراد بالطلاق الطلاقَ كُلَّهُ لا واحدةً، ولي كذلك المَخَاضُ والحَمْلُ، فإن مُدَّتْهُ معلومةٌ ومقدَّارةٌ مُوقَّتٌ.

وقوله:

بأيدي الملائك، هو جَمَعَ مَلَكٍ على غير لفظه، ولو جمعوه على لفظه لقالوا: أملاك، ولكن الميم من مَلِكٍ زائدةٌ فيما زعموا، وأصله مَأْلَكٌ من الأَلْوَكِ، وهي الرسالة، قال لبيدٌ:

وْغَلَامٍ أَرْسَلْتُهُ أُمَّهُ بِأَلْوَكٍ فَبَدَّلْنَا مَا سَأَلْ
وقال الطائي:

مَنْ مُبْلِغُ الْفِثْيَانِ عَنِي مَأْلَكَا أَبِي مَتَى يَتَنَلَّمُوا أَتَهْدُمُ

و [أبو تمام حبيب بن أوس] الطائي وإن كان مُتَوَلِّدًا، فإنما يُخْتَجُّ به لِتَلْقَى أهل العربية له بالقبول وإجماعهم على أنه لم يَلْحَن، وإذا كان الأصل فيه مَأْلَكَا فإنما قَلَبُوهُ إِزَادَةَ الْغَاءِ الهمزة، إذ سَهَلُوا ولو سَهَلُوا مَأْلَكَا، والهمزة مَقْدَمَةٌ لم تسقط، وإنما تسقط إذا سَكَنَ قبلها، فقالوا: مَلَكٌ، فإذا جَمَعُوا عادت الهمزة، ولم تعد إلى موضعها لثلاث تَرْجِع كَجَمْعِ مَأْلَكَةٍ، وهي الرسالة ولو قيل: إن لفظَ مَلِكٍ مأخوذٌ من المَلَكُوتِ، فلذلك لم يُهَمَزْ، لأن أكثر الملائكة ليسوا برُسُلٍ، ولو أريد معنى الرسالة لقالوا: مُؤْلَكٌ، كما تقول: مُرْسَلٌ، وَلِضُمَّتِ الميمُ في الواحد، وتكون الهمزة على هذا زائدةً في الجميع كما زادوها في شَمَالٍ وهي من شَمَلَتِ الرِّيحُ، لكان هذا وَجْهًا حَسَنًا، وسِرُّ زيادة الهمزة في شَمَالٍ، وهي من شملت الرِّيحَ، فأطلعت الهمزة رأسها لذلك، إذ قد اجتمع فيها أنها من عن شمال البيت، وأنها شامية، وكذلك الملائكة هم من مَلَكُوتِ الله، وفيهم رُسُلٌ، ولواحد منهم من مَلَكُوتِ الله فقط، لأنه لَا يَتَّبِعُضُ كما تَتَّبِعُضُ الْجُمْلَةُ منهم، فأما قول الشاعر:

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَأْلِكٍ تَنْزَلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات لحسان بن ثابت، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله (في) موضعها.

مقتل كعب بن الأشرف

استنكاره خبر رسولي الرسول بقتل ناس من المشركين:

قال ابن إسحق وكان من حديث كعب بن الأشرف: أنه لما أصيب أصحاب بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين، بعثهما رسول الله ﷺ إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه، وقتل مَنْ قُتل من المشركين، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة الظفري، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح بن أبي أمامة بن سهل، كل قد حدثني بعض حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلاً

فهزم مألَكًا، وهو واحد، والبيت مجهولٌ قائله، وقد نسبته ابن سيدة إلى علقمة، وأنكر ذلك عليه، ومع هذا فقد وصف مألَكًا بالرسالة لقوله: تَنَزَّلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ، فَحَسَنَ الهمة لتضمينه معنى الألوک، كما حَسَنَ في جملة الملائكة، إذ للجُمْلَةِ بغضٌ هم إرسال، والكُلُّ من مَلَكُوتِ الله سبحانه، وليس في الواحد إلا معنى المَلَكُوتِيَّةِ فقط حتى يَتَخَصَّصَ بالرسالة، كما في هذا البيت المذكور، فيتضمن حينئذٍ المَعْنِيَيْنِ، فَتَطْلُعُ الهمة في اللفظ، لما في ضِمْنِهِ مَعْنَى الألوک، وهي الرسالة^(١).

مقتل كعب بن الأشرف^(٢)

ذكر فيه أنه شَبَّ بِنِسَاءِ المسلمين، وآذاهم، وكان قد شَبَّ بِأُمِّ الْفَضْلِ زَوْجِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فقال:

أَزَاحِلُ أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ لِمَنْعَبَتِهِ وَتَارِكُ أَنْتَ أُمُّ الْفَضْلِ بِالْحَرَمِ
في أبيات رواها يونس عن ابن إسحق.

(١) انظر أيضًا تفسير الرازي والقرطبي لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

(٢) انظر الواقدي (١٨٤/١) البداية والنهاية (٥/٤) تاريخ الطبري (٤٨٧/٢) المنتظم (١٥٨/٣) الاكتفاء (٨٢/٢) الطبقات (٢١/٢/١) الكامل (٣٨/٢) ابن حزم (١٥٤) الدلائل (١٨٧/٣) النوري (٧٢/١٧) عيون الأثر (٣٥٦/١) الزاد (١٩١/٣) جوامع السيرة لابن حزم (١٩٠). وانظر أيضًا الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

من طييء، ثم أحد بني نيهان، وكانت أمه من بني النضير، حين بلغه الخبر: أحق هذا؟
أترؤن محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمي هذان الرجلان - يعني زيداً وعبد الله بن رواحة -
فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن
الأرض خير من ظهرها.

شعره في التحريض على الرسول:

فلما تيقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فنزل على عبد المطلب بن أبي
وداعة بن ضبيرة السهمي، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن
عبد مناف، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ، ويُشد الأشعار، ويبكي
أصحاب القلب من قريش، الذين أصيبوا ببدر، فقال:

وَلَمَثَلٍ بِذِرٍ تَسْتَهْلُ وَتَذْمَعُ	طَحَنَتْ رَحَى بَذِرٍ لَمَهْلِكِ أَهْلِهِ
لَا تَبْعَدُوا إِنَّ الْمُلُوكَ تُصْرَعُ	قُتِلَتْ سَرَاةُ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ
ذِي بَهْجَةٍ يَاوِي إِلَيْهِ الضُّبَيْعُ	كَمْ قَدْ أَصِيبَ بِهِ مَنْ أَبْيَضَ مَاجِدِ
حَمَالُ أَثْقَالٍ يَسُودُ وَيُزْعُ	طَلَقَ الْيَدَيْنِ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْلَفَتْ
إِنَّ ابْنَ الْأَشْرَفِ ظِلٌّ كَغَبَا يَجْزَعُ	وَيَقُولُ أَقْوَامٌ أَسْرُ بِسُخْطِهِمْ
ظَلَّتْ تَسُوحُ بِأَهْلِهَا وَتُصَدِّعُ	صَدَقُوا فَلَيْتَ الْأَرْضَ سَاعَةً قُتِلُوا
أَوْ عَاشَ أَغْمَى مُزْعَشًا لَا يَسْمَعُ	صَارَ الَّذِي أَثَرَ الْخَدِيدِ بَطْفَنِهِ
خَشَعُوا الْقَتْلَ أَبِي الْحَكِيمِ وَجَدَعُوا	تُبْتُتُ أَنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ كُلَّهُمْ
مَا نَالَ مِثْلَ الْمُهْلِكِينَ وَتُبَّعُ	وَابْنَا رَبِيعَةَ عِنْدَهُ وَمُنَبِّهُ
فِي النَّاسِ يَبْنِي الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ	تُبْتُتُ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامِهِمْ
يَخْمَى عَلَى الْحَسَبِ الْكَرِيمِ الْأَزْوَاعُ	لِيَزُورَ يَثْرِبَ بِالْجُمُوعِ وَإِنَّمَا

قال ابن هشام: قوله: «تُبَّعُ»، «وَأَسْرُ بِسُخْطِهِمْ». عن غير ابن إسحق.

وذكر فيه قوله عليه السلام: «مَنْ لِكَغِبِ [ابن الأشرف]، فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(١). فيه
من الفقه: وجوب قتل مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ - ﷺ - وإن كان ذا عهد، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله
فإنه لا يرى قتل الذمّي في مثل هذا، ووقع في كتاب شريف المصطفى أن الذين قتلوا

(١) أخرجه البخاري (١٨٦/٣) ومسلم في الجهاد (١١٩) والطبراني (٧٨/١٩) والحاكم (٤٣٤/٣) والطحاوي في المشكّل (٧٦/١٠).

شعر حسان في الرد عليه:

قال ابن إسحق: فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري، فقال:

أَبْكَى لَكَعْبٍ ثُمَّ عَلَّ بِعَبْرَةٍ مِنْهُ وَعَاشَ مَجْدَعًا لَا يَسْمَعُ
ولقد رأيتُ بَبْطَنَ بَدْرِ مِنْهُمْ قَتَلَى تَسُحَ لَهَا الْعَيُونَ وَتَدْمَعُ
فَأَبْكَى فَقَدْ أَبْكَيتُ عَبْدًا رَاضِعًا شِبْهَ الْكُلَيْبِ إِلَى الْكُلَيْبَةِ يَتَّبِعُ
ولقد شَفَى الرَّحْمَنُ مِنَّا سَيِّدًا وَأَهَانَ قَوْمًا قَاتَلُوهُ وَصُرَعُوا
وَنَجَا وَأَقْلَيْتُ مِنْهُمْ مَنْ قَلْبُهُ شَعْفٌ يَظَلُّ لَخَوْفِهِ يَتَصَدَّعُ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان. وقوله: «أبكى لكعب» عن غير ابن إسحق.

شعر ميمونة في الرد على كعب:

قال ابن إسحق: وقالت امرأة من المسلمين من بني مُرَيْد، بطن من بلي كانوا حلفاء في بني أمية بن زيد؛ يقال لهم: الجعادرة، تُجيب كعبًا - قال ابن إسحق: اسمها

كعب بن الأشرف حملوا رأسه في مَخْلَافٍ إلى المدينة، فقبل: إنه أول رأس حُمِلَ في الإسلام، وقيل: بل رأس أبي عَزَّة الجُمَحِيِّ الذي قال له النبي ﷺ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُنْحٍ مَرَّتَيْنِ»^(١)، فَقَتَلَهُ وَاخْتَمَلَ رَأْسَهُ فِي رُفْحٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فِيمَا ذَكَرَ، وَأَمَّا أَوَّلُ مُسْلِمٍ حُمِلَ رَأْسُهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَغَمَرُوا بَنَ الْحَقِيقِ، وَلَهُ صُحْبَةٌ.

وفيه من قول حسان في كعب:

بَكَى كَعْبٌ ثُمَّ عَلَّ بِعَبْرَةٍ

فيه دخول زحافٍ على زحافٍ، وذلك أنَّ أَوَّلَ الْجُزْءِ سَبَبٌ ثَقِيلٌ وَسَبَبٌ خَفِيفٌ فَإِذَا دَخَلَ فِيهِ الزَّحَافُ الَّذِي يُسَمَّى الْإِضْمَارَ صَارَا سَبَبَيْنِ خَفِيفَيْنِ، فَيَعُودُ مُتَّفَاعِلُنَ إِلَى وَزْنِ مُسْتَفْعِلُنَ، وَمُسْتَفْعِلُنَ يَدْخُلُهُ الْخَبْنُ وَالطُّيُّ، وَهُوَ حَذْفُ الرَّابِعِ مِنْهُ، فَشِبْهُ حَسَّانِ مُتَّفَاعِلُنَ فِي الْكَامِلِ بِمُسْتَفْعِلُنَ لَمَّا صَارَ إِلَى وَزْنِهِ، فَحَذْفُ الْحَرْفِ السَّاكِنِ وَهُوَ الرَّابِعُ مِنْ مُتَّفَاعِلُنَ إِلَى وَزْنِ مُفْتَعِلُنَ، وَهُوَ غَرِيبٌ فِي الزَّحَافِ فَإِنَّهُ زِحَافٌ سَهْلٌ زِحَافًا آخَرُ، وَلَوْلَا الزَّحَافُ الَّذِي هُوَ الْإِضْمَارُ، مَا جَازَ الْبَيِّنَةُ حَذْفُ الرَّابِعِ مِنْ مُتَّفَاعِلُنَ.

(١) أخرجه البخاري (٣٨/٨) ومسلم في الزهد (٦٣).

ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها، وينكر تقيضتها لكعب بن الأشرف:

تَحْتُنْ هَذَا الْعَبْدُ كُلَّ تَحْتُنْ يُبْكِي عَلَى قَتْلِي وَلَيْسَ بِنَاصِبٍ
بَكَتْ عَيْنٌ مِنْ يَبْكِي لَبَدْرٍ وَأَهْلِهِ وَعُلَّتْ بِمَثْلِهَا لُؤَيٌّ بِنَ غَالِبٍ
فَلَيْتَ الَّذِينَ ضَرَجُوا بِدِمَائِهِمْ يَرَى مَا بِهِمْ مِنْ كَانَ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
فَيَعْلَمَ حَقًّا عَنْ يَقِينٍ وَيُبْصِرُوا مَجَرَّهْمَ فَوْقَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ

شعر كعب في الرد على ميمونة:

فأجابها كعب بن الأشرف، فقال:

أَلَا فَازْجُرُوا مِنْكُمْ سَفِيهَا لَتَسْلُمُوا عَنْ الْقَوْلِ يَأْنِي مِنْهُ غَيْرَ مُقَارِبٍ
أَتَشْتُمْنِي أَنْ كُنْتُ أَبْكِي بِعَبْرَةٍ لَقَوْمٍ أَتَانِي وَدُهُمْ غَيْرُ كَاذِبٍ
فإني لباك ما بقيتُ وذاكِر مَآثِرِ قَوْمٍ مَجْدُهُمْ بِالْجَبَاجِبِ
لعمري لقد كانت مُرَيَّدٌ بِمَغْزِلٍ عَنْ الشَّرِّ فَاحْتَالَتْ وَجُوهُ الثُّعَالِبِ
فَحَقُّ مُرَيَّدٍ أَنْ تَجِدَ أَنْوْفُهُمْ بِشَتْمِهِمْ حَيَّ لُؤَيٍّ بِنَ غَالِبٍ
وَهَبْتُ نَصِيْبِي مِنْ مُرَيَّدٍ لَجَعْدَرٍ وَفَاءٍ وَبَيْتِ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

تشبيب كعب بنساء المسلمين والحيلة في قتله:

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فَشَبَّبَ بنساء المسلمين حتى آذاهم. فقال رسول الله ﷺ، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بُرْدة مَنَ لِي بَابِنَ الْأَشْرَفِ؟ فقال له محمد بن مسلمة، أخو بني عَبْدِ الْأَشْهَلِ: أنا لك يا رسول الله، أنا أَقْتُلُهُ؛ قال: فافعل إن قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ. فرجع محمد بن مسلمة فمَكَثَ ثَلَاثًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا مَا يُغْلِقُ بِهِ نَفْسَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فدعاه، فقال له: «لَمْ تَرَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؟» فقال يا رسول الله، قلت لك قولاً لَا أَدْرِي هَلْ أَفِينُ لَكَ بِهِ أَمْ لَا؟ فقال: «إنما عليك الجهد»؛ فقال: يا رسول الله، إنه لَا بَدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَقُولَ، قال: «قولوا ما بدا لكم، فأنتم في حَلٍّ مِنْ ذَلِكَ». فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة، وسيلكان بن سلام بن وقش، وهو أبو نائلة، أحد بني عبد الأشهل، وكان

وذكر في الذين قَتَلُوا كَعْبًا أَبَا عَبْسٍ بَنَ جَبْرِ، واسمه: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وذكر سيلكان بن سلامة، واسمه: سَعْدٌ.

أَخَا كَغَبِ بْنِ الْأَشْرَفِ مِنَ الرُّضَاعَةِ، وَعَبَادُ بْنُ بَشْرِ بْنِ وَقْشٍ، أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَالْحَارِثُ مِنْ أَوْسِ بْنِ مُعَاذٍ، أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَأَبُو عَنَسٍ بْنُ جَبْرِ، أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ؛ ثُمَّ قَدَّمُوا إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ كَغَبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتَوْهُ، سِلْكَانَ بْنُ سَلَامَةَ [بَنِ وَقْشٍ] أَبَا نَائِلَةَ، فَجَاءَهُ، فَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً، وَتَنَاشَدُوا شِعْرًا، وَكَانَ أَبُو نَائِلَةَ يَقُولُ الشَّعْرَ، ثُمَّ قَالَ: وَيَحَكَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ! إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهَا لَكَ، فَاسْكُتْ عَنِّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ؟ قَالَ: كَانَ قُدُومُ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا بَلَاءً مِنَ الْبَلَاءِ، عَادَتْنَا بِهِ الْعَرَبُ، وَرَمَتْنَا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدٍ، وَقَطَّعَتْ عَنَّا السُّبُلَ حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ، وَجُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَأَضْبَحْنَا قَدْ جُهِدْنَا وَجْهَدَ عِيَالُنَا؛ فَقَالَ كَعْبٌ: أَنَا ابْنُ الْأَشْرَفِ، أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخْبِرُكَ يَا ابْنَ سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا أَقُولُ؛ فَقَالَ لَهُ سِلْكَانُ: إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَبِيعَنَا طَعَامًا وَتَزْهِنَكَ وَتُوثِقَ لَكَ، وَتُحْسِنَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ: أَتَزْهِنُونِي أَبْنَاءَكُمْ؟ قَالَ: لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحْنَا، إِنَّ مَعِيَ أَصْحَابًا لِي عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيكَ بِهِمْ، فَتَبِيعَهُمْ وَتُحْسِنَ فِي ذَلِكَ، وَتَزْهِنَكَ مِنَ الْحَلْقَةِ مَا فِيهِ وَفَاءً، وَأَرَادَ سِلْكَانُ أَنْ لَا يُنْكَرَ السَّلَاحُ إِذَا جَاءُوا بِهَا؛ قَالَ: إِنْ فِي الْحَلْقَةِ لَوْفَاءً، قَالَ: فَارْجِعْ سِلْكَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبِرْهُمْ خَبْرَهُ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السَّلَاحَ، ثُمَّ يَنْتَظِلُّوا فَيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ، فَاجْتَمِعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: أَتَزْهِنُونِي نِسَاءَكُمْ؟ قَالَ: كَيْفَ نَزْهِنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَشْبَهَ أَهْلَ يَثْرِبَ وَأَعْطُوهُمْ؛ قَالَ: أَتَزْهِنُونِي أَبْنَاءَكُمْ؟

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْزِ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ؛ اللَّهُمَّ أَعْنِهِمْ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، وَهُوَ فِي لَيْلَةِ مُقَمَّرَةٍ، وَأَقْبَلُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى حِصْنِهِ، فَهَتَفَ بِهِ أَبُو نَائِلَةَ، وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِغُرَسٍ، فَوَثِبَ فِي مِلْحَفَتِهِ، فَأَخَذَتْ امْرَأَتُهُ بِنَاحِيَّتِهَا، وَقَالَتْ: إِنَّكَ أَمْرُؤُ مُحَارِبٍ، وَإِنْ أَصْحَابَ الْحَزْبِ لَا يَنْزِلُونَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، قَالَ: إِنَّهُ أَبُو نَائِلَةَ، لَوْ وَجَدَنِي نَائِمًا لَمَا أَيقَظَنِي، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي صَوْتِهِ الشَّرَّ؛ قَالَ: يَقُولُ لَهَا كَغَبٌ: لَوْ يُدْعَى الْفَتَى لَطَغَنَةً لِأَجَابٍ. فَنَزَلَ فَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ سَاعَةً، وَتَحَدَّثُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ أَنْ تَتَمَاشَى إِلَى شَعْبِ الْعَجُوزِ، فَتَتَحَدَّثَ بِهِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ؟ قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ. فَخَرَجُوا يَتَمَاشَوْنَ، فَمَشُوا سَاعَةً، ثُمَّ إِنَّ أَبَا نَائِلَةَ شَامَ يَدَهُ فِي قَوْدِ رَأْسِهِ، ثُمَّ شَمَّ يَدَهُ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ طِيْبًا أَغَطَرَ قُطًّا، ثُمَّ مَشَى سَاعَةً، ثُمَّ عَادَ لِمِثْلِهَا حَتَّى اطمَأَنَّ، ثُمَّ مَشَى سَاعَةً، ثُمَّ عَادَ

لمثلها، فأخذ بفؤد رأسه، ثم قال: اضربوا عدو الله، فضربه، فاختلفت عليه أسيافهم، فلم تُغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً في سيفي، حين رأيت أسيافنا لا تُغني شيئاً، فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حِصْنٌ إلّا وقد أوقدث عليه نار، قال: فوضعت في ثُنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوق عدو الله، وقد أصيب الحارث بن أوس بن مُعاذ، فجرح في رأسه أو في رجله، أصابه بعض أسيافنا. قال: فخرجنا حتى سلّكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بُعات حتى أسندنا في حرة العريض، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس، ونزف الدّم، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا. قال: فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل، وهو قائم يصلي، فسلمنا عليه، فخرج إلينا، فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوّعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلّا وهو يخاف على نفسه.

شعر كعب بن مالك في مقتل ابن الأشرف:

قال ابن إسحق: فقال كعب بن مالك:

فغودر منهم كعبٌ صريعاً	فلذت بعد مضرعه النضير
على الكفين ثمّ وقد علته	بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دسّ ليلاً	إلى كعب أخا كعب يسير
فما كره فأنزله بمكر	ومحمود أخو ثقة جُور

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير، سأذكرها إن شاء الله في حديث ذلك اليوم.

شعر حسان في قتل ابن الأشرف وابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق:

لله درّ عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفٍ^(١)
 حَتَّى أَتُوكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ فَسَقَّوْكُمْ حَتْفًا بِبَيْضِ دُفْفٍ^(٢)
 مُسْتَنْصِرِينَ لِنَضْرَ دِينَ نَبِيَّهِمْ مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجَفٍ^(٣)

وذكر في شِعْرِ حَسَّانِ الْفَاوِي، وفيه: بَيْضٌ دُفْفٌ. الدُّفْفُ: جَمْعُ دَفِيفٍ وهو الْخَفِيفُ السَّرِيعُ، وهو جَمْعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَإِنَّمَا فُعِّلَ جَمْعُ فَاعِلٍ وَلَكِنَّ الدَّفِيفَ مِنَ الشُّيُوفِ فِي مَعْنَى الْقَاطِعِ وَالصَّارِمِ.

وفيه: فِي عَرِينٍ مُغْرِفٍ. الْعَرِينُ: أَجْمَةُ الْأَسَدِ، وَهُوَ الْعَرِيفُ أَيْضًا، وَالْغَرِيفُ أَيْضًا الْكَثِيرُ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ أَرَادَ بِمُغْرِفٍ مُكْثِرًا مِنَ الْأَسَدِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ أَرَادَ تَوْكِيدَ مَعْنَى الْغَرِيفِ، كَمَا يُقَالُ: حَيْثُ مُخِثٌ.

وذكر قول امرأة كعب: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي صَوْتِهِ الشَّرَّ، وَفِي كِتَابِ الْبُخَارِيِّ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ.

وفيه: مَا رَأَيْتُ عِطْرًا كَالْيَوْمِ، مَعْنَاهُ: عِنْدَ سَيِّبُونِهِ: مَا رَأَيْتُ كَعِطْرِ أَرَاهَ الْيَوْمَ عِطْرًا: كَذَلِكَ قَالَ فِي قَوْلِ الْعَرَبِ: لَمْ أَرِ كَالْيَوْمِ رَجُلًا، أُنِي: كَرَجُلٍ أَرَاهَ الْيَوْمَ رَجُلًا، فَحُذِفَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْكَافُ، وَحُذِفَ الْفَعْلُ، وَهُوَ أَرَى، وَفَاعِلُهُ وَمَفْعُولُهُ، وَهَذَا حَذْفٌ كَثِيرٌ لَا سِيَّمًا، وَقَدْ يُقَالُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ، وَلَا تَذَكَرُ بَعْدَهُ شَيْئًا إِذَا تَعَجَّبْتَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَحْذِفُوا هَذَا الْحَذْفَ الْكَثِيرَ، وَلَكِنَّهُمْ أَوْقَعُوا التَّعَجُّبَ عَلَى الْيَوْمِ، لِأَنَّ الْأَيَّامَ تَأْتِي بِالْأَعَاجِبِ، وَالْعَرَبُ تَذَمُّهَا وَتَمْدَحُهَا فِي نَظْمِهَا وَنَثَرِهَا، وَيَعْلَمُ الْمَخَاطَبُ أَنَّ الْيَوْمَ لَمْ يُذَمَّ لِنَفْسِهِ وَلَا يُعْجَبَ مِنْهُ لِنَفْسِهِ، فَيَلْتَمِسُ مِنْكَ الْبَيَانَ وَالتَّفْسِيرَ لِمَا تَعَجَّبْتَ مِنْهُ، فَتَأْتِي بِالْتَّمِيزِ لِتُبَيِّنَ. فَعِطْرًا مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمِيزِ، وَالْدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْسُنُ خَفْضُهُ بِمَنْ، لِأَنَّهُ مُتَعَجَّبٌ مِنْهُ، فَتَقُولُ: لَمْ أَرِ كَالْيَوْمِ مِنْ رَجُلٍ.

ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بعد قوله: فمشوا ساعة، قال فجعل كَعْبٌ يَنْشُدُ:

رُبَّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ الْمِشْيَةَ أَبَاءَ أَنْفِ
 لَيْنِ الْجَانِبِ فِي أَقْرَبِهِ وَعَلَى الْأَعْدَاءِ كَالسُّمِّ الدُّعْفِ

(٢) دقف: خفاف سريعة.

(١) مغرف: واسع.

(٣) مجحف: ناقص.

قال ابن هشام: وسأذكر قتلَ سَلامَ بن أبي الحَقِيق في موضعه إن شاء الله .
وقوله: «ذَفَف» عن غير ابن إسحق .

أمر محيصة وحويصة

لوم حويصة لأخيه محيصة لقتله يهوديًا ثم إسلامه:

قال ابن إسحق: وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودٍ فَأَقْتُلُوهُ»^(١)،
فوُتت مُحَيصَةُ بن مَسْعُود - قال ابن هشام: ويقال: مُحَيصَةُ بن مَسْعُود بن كَعْب بن

وَكِرَامَ لَمْ يَشْنُهِمْ حَسَبٌ	أَهْلَ عِزٍّ وَجِغَاطٍ وَشَرَفٍ
يَبْذُلُونَ الْمَالَ فِيمَا نَابَهُمْ	لِحَقُوقٍ تَغْتَرِيهِمْ وَغُرَفٍ
وَلُيُوثٍ حِينَ يَشْتَدُّ الْوَعَى	غَيْرِ أَنْكَاسٍ وَلَا مِيلٍ كُشِفٍ
فَهُمْ أَهْلُ سَمَاحٍ وَقِرَى	وَجِغَاطٍ لَمْ يُعَانُوا بِصَلَفٍ
سَكَنُوا مِنْ يَثْرِبَ كُلِّ رُبَى	وَسُهُولٍ حَيْثُ حَلُّوا فِي أَثْفٍ
وَهُمْ أَهْلُ مَشَارِبٍ بِهَا	وَحُصُونٍ وَنَخِيلٍ وَغُرَفٍ
وَلَهَا بِئُرٌ رَوَاءَ جَمَّةٍ	مَنْ يَزِدُّهَا بِلِئَاءٍ يَغْتَرِفُ
وَنَخِيلٍ فِي بِلَاعٍ جَمَّةٍ	تُخْرِجُ الثَّمَرَ كَأَمْثَالِ الْأَكْفِ
وَصَرِيرٍ مِنْ مَحَالٍ خَلَّتْهُ	آخِرَ اللَّيْلِ مَهَارِيجُ نُذْفٍ
تَذُلُّجُ الْجُونُ عَلَى أَكْتافِهَا	بِدِلَالٍ ذَاتِ أَزْكَانٍ صَدْفٍ
كُلُّ حَاجَاتِي قَدْ قَضَيْتُهَا	غَيْرِ حَاجَاتِي فِي بَطْنِ الْجُرْفِ

قتل محيصة اليهودي

مُحَيصَةُ بن مَسْعُود كَانَ أَصْغَرَ مِنْ أَخِيهِ حُوَيْصَةَ، لَكِنْ سَبَقَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَشَهِدَ أُحُدًا وَالْخَنْدَقَ، وَأَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَهْلِ فَدَكٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فِي أَجْرَةِ الْحَجَّامِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَمَا أَلْحَ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ: «اعْلَفْهُ نَاضِحَكَ وَاجْعَلْهُ فِي كَرِشِكَ»^(٢)، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا طَيْبَةَ الْحَجَّامَ، كَانَ عَبْدًا لَهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ اسْمُ أَبِي طَيْبَةَ.

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٠٢) بتحقيقي والبيهقي في الدلائل (٢٠٠/٣) وابن سعد (٢٢/١/٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٢٧٧) وابن ماجه (٢١٦٦) وأحمد (٣٠٧/٣) ومالك (٩٧٤).

عامر بن عَدِيٍّ بن مَجْدَعَةَ بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس - على ابن سُنَيْتَةَ - قال ابن هشام: ويقال سُبَيْتَةُ - رجلٍ من تَجَارِ يهود، كَانَ يُلَابِسُهُمْ وَيُبَايِعُهُمْ فقتله، وكان حُوَيْصَةَ بن مَسْعُود إِذْ ذَاكَ لَمْ يُسْلَمْ، كَانَ أَسْرَ مَنْ مُحَيِّصَةَ، فلما قتله جعل حُوَيْصَةَ يَضْرِبُهُ، ويقول: أَيِ عَدُوِّ اللَّهِ، أَقْتَلْتَهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَرُبِّ شَحْمٍ فِي بَطْنِكَ فِي مَالِهِ. قَالَ مُحَيِّصَةُ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ مَنْ لَوْ أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ لِأَوَّلِ إِسْلَامِ حُوَيْصَةَ، قَالَ: أَوَّلَهُ لَوْ أَمَرَكَ مُحَمَّدٌ بِقَتْلِي لَقَتَلْتَنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَوْ أَمَرَنِي بِضَرْبِ عُنُقِكَ لَضَرَبْتُهَا! قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ دِينًا بَلَغَ بِكَ هَذَا لَعَجَبٌ، فَأَسْلَمَ حُوَيْصَةَ.

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثَ مَوْلَى ابْنِي حَارِثَةَ، عَنْ ابْنَةِ مُحَيِّصَةَ، عَنْ أَبِيهَا مُحَيِّصَةَ.

فَقَالَ مُحَيِّصَةُ فِي ذَلِكَ.

يَلُومُ ابْنُ أُمِّي لَوْ أَمَرْتُ بِقَتْلِهِ	لَطَبَّقْتُ ذِفْرَاهُ بِأَبْيَضٍ قَاضٍ
حُسَامٍ كَلَوْنِ الْمَلْحِ أَخْلِصَ صَفْلَهُ	مَتَى مَا أَصَوَّبَهُ فَلَيْسَ بِكَاذِبٍ
وَمَا سَرَنِي أَنِّي قَتَلْتُكَ طَائِعًا	وَأَنْ لَنَا مَا بَيْنَ بُضْرَى وَمَأْرِبٍ

رواية أخرى في إسلام حويصة:

قال ابن هشام: وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْمَدَنِيِّ، قَالَ: لَمَّا ظَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي قُرَيْظَةَ أَخَذَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ مِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْأَوْسِ عَلَى الْخَزْرَجِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ، فَجَعَلَتِ الْخَزْرَجُ تُضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ وَيَسْرَهُمْ ذَلِكَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَزْرَجِ وَوُجُوهُهُمْ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَنَظَرَ إِلَى الْأَوْسِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ فِيهِمْ، فَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لِلْخَلْفِ الَّذِي بَيْنَ الْأَوْسِ وَبَيْنَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَدَفَعَهُمْ إِلَى الْأَوْسِ، فَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَوْسِ رَجُلًا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَقَالَ: لِيَضْرِبَ فَلَانٌ وَلِيَذْقَفَ فَلَانٌ، فَكَانَ مِمَّنْ دَفَعَ إِلَيْهِمْ كَعْبُ بْنُ يَهُوذَا، وَكَانَ عَظِيمًا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَدَفَعَهُ إِلَى مُحَيِّصَةَ بن مَسْعُودٍ، وَإِلَى أَبِي بُزْدَةَ بن

وقوله: مَا بَيْنَ بُضْرَى وَمَأْرِبٍ. بُضْرَى بِالشَّامِ، وَمَأْرِبُ بِالْيَمَنِ، حَيْثُ كَانَ السُّدُ، وَمَأْرِبُ: اسْمُ قَضْرٍ كَانَ لِسَبَأَ. وَقَالَ الْمَسْعُودِي: مَأْرِبُ اسْمُ كُلِّ مَلِكٍ وَلِيٍّ أَمَرَ سَبَأَ، كَخَاقَانَ فِي التُّرْكِ، وَكِسْرَى فِي الْفُرْسِ، وَقَيْصَرَ فِي الرُّومِ، وَالنَّجَاشِي فِي الْحَبَشَةِ.

وَجَوَيْصَةُ: تَصْغِيرُ حَوَاصٍ مِنْ حُصْنِ الثُّوبِ إِذَا خُطَّتْ.

نَبَار - وأبو بُردة الذي رَخَّص له رسولُ الله ﷺ في أن يذبح جَذْعًا من المَعَز في الأَضْحَى - وقال: «ليضربه مُحْيِصَة وليذْفَف عليه أبو بُردة»، فَضْرِبَهُ مُحْيِصَة ضَرْبَةً لَمْ تَقْطَعْ، وَذَفَفَ أَبُو بُرْدَةَ فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ. فَقَالَ حُوَيْصَة: وَكَانَ كَافِرًا، لِأَخِيهِ مُحْيِصَة: أَقْتَلْتَ كَعْبَ بْنَ يَهُوذَا؟ قَالَ: نَعَمْ؛ فَقَالَ حُوَيْصَة: أَمَا وَاللَّهِ لِرُبِّ شَحْمٍ قَدْ نَبَتَ فِي بَطْنِكَ مِنْ مَالِهِ، إِنَّكَ لِلثِّيمِ يَا مُحْيِصَة، فَقَالَ لَهُ مُحْيِصَة: لَقَدْ أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ مِنْ لَوْ أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَقَتَلْتُكَ فَعَجِبَ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ذَهَبَ عَنْهُ مَتَعَجِّبًا. فَذَكَرُوا أَنَّهُ جَعَلَ يَتَقَيَّظُ مِنَ اللَّيْلِ: فَيَعْجَبُ مِنْ قَوْلِ أَخِيهِ مُحْيِصَة. حَتَّى أَصْبَحَ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنْ هَذَا لَدَيْنِ. ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ مُحْيِصَة فِي ذَلِكَ أَبْيَاتًا قَدْ كَتَبْنَاهَا.

المدة بين قدوم الرسول بحران وغزوة أحد:

قال ابن إسحاق: وكانت إقامة رسول الله ﷺ، بعد قدومه من بحران، جمادى الآخرة ورجباً وشعبان وشهر رمضان، وغزته قُريشُ غزوةً أُحد في شوال سنة ثلاث.

وفي حديثهما ذكر سُئِنَتِ المَقْتُولِ، كَأَنَّهُ تَصْغِيرُ سِنٍّ. وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي اسْمِهِ: سُئِنَتِ بِالْبَاءِ كَأَنَّهُ مَصْغَرُ تَصْغِيرِ التَّرْحِيمِ مِنْ سَبِيَّةٍ، قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ: السَّبِيَّةُ ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ، وَأَمَّا سُئِنَتِ بِالشَّيْنِ الْمَنْقُوطَةِ. فَوَالِدُ صِفْلَابِ بْنِ سُئِنَةَ قَرَأَ عَلَى نَافِعِ بْنِ أَبِي نَعِيمٍ، وَقَالَ: قَالَ لِي نَافِعٌ: يَا صِفْلَابُ بَيْنَ النَّوْنِ عِنْدَ الْحَاءِ وَالْخَاءِ وَالْعَيْنِ وَالْعَيْنِ وَالْهَاءِ وَالْأَلِفِ.

غزوة أُحُد

وكان من حديث أُحُد، كما حدَّثني محمد بن مُسلم الزُّهري ومحمد بن يَحْيَى بن حَبَّان وعاصم بن عمر بن قَتادة والحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ وغيرهم من علمائنا، كُلُّهم قد حدَّث بعض الحديث عن يوم أُحُد، وقد اجتمع حديثهم كُلُّه فيما سَقَتْ من هذا الحديث عن يوم أُحُد قالوا، أو من قاله منهم:

غزوة أُحُد^(١)

فضل أُحُد:

وَأُحُدُ الْجَبَلُ الْمَعْرُوفُ بِالْمَدِينَةِ، سُمِّيَ بِهَذَا الْاسْمِ لِتَوَحُّدِهِ وَانْقِطَاعِهِ عَنْ جِبَالٍ أُخَرَ هُنَالِكَ، وَقَالَ فِيهِ الرَّسُولُ - ﷺ -: «خَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»^(٢)، وَلِلْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَقْوَالٌ. قِيلَ: أَرَادَ أَهْلَهُ، وَهُمْ الْأَنْصَارُ، وَقِيلَ: أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُهُ إِذَا رَأَاهُ عِنْدَ الْقُدُومِ مِنْ أَسْفَارِهِ بِالْقُرْبِ مِنْ أَهْلِهِ وَلِقَائِهِمْ، وَذَلِكَ فَعَلَ الْمُحِبِّ، وَقِيلَ: بَلِ حُبُّهُ حَقِيقَةٌ، وَضَعِ الْحُبَّ فِيهِ كَمَا وَضَعَ التَّسْبِيحُ فِي الْجِبَالِ الْمُسَبَّحَةِ مَعَ دَاوُدَ، وَكَمَا وَضِعَتْ الْخَشْيَةُ فِي الْجِحَارَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَحِيطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٣) وَفِي الْآثَارِ الْمُسْتَنَدَةِ أَنَّ

(١) انظر الواقدي: (١٩٩/١) البداية (٩/٤) الطبري (٤٩٩/٢) الاكتفاء (٨٧/٢) المنتظم (١٦١/٣) الدلائل (٢٠١/٣) الطبقات (٢٥/٢/١) الكامل (٤٤/٢) ابن سيد الناس (٢/٢) التويري (٨/١٣) السيرة الحلبيه (٢٨٤/٢) الشاميه (٢٧١/٤) الزاد (١٩٢/٣) البخاري (٩٣/٥) مسلم (١٤٧/١٢) - نووي.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٥/٢) ومسلم في الحج (٤٦٢).

(٣) سورة البقرة آية رقم (٧٤).

التحريض على غزو الرسول:

لما أصيب يوم بدر من كُفَّار قُريش أصحاب القليب، وَرَجَعَ فَلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِعِيَرِهِ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعِكرمةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُريشٍ، مِمَّنْ أَصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُريشٍ تِجَارَةً، فَقَالُوا: يَا مَغَشَّرَ قُريشٍ، إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمَ، وَقَتْلَ خِيَارِكُمْ، فَأَعِثُّنَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ، فَلَعْنًا نَذْرُكَ مِنْهُ ثَارُنَا بِمَنْ أَصَابَ مَنًّا، ففعلوا.

ما نزل في ذلك من القرآن:

قال ابن إسحاق: ففيهم، كما ذكر لي بعض أهل العلم، أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾^(١).

اجتماع قريش للحرب:

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سُفْيَانُ بْنُ حَرْبٍ وَأَصْحَابُ الْعِيرِ بِأَحَابِيشِهَا، وَمَنْ أَطَاعَهَا مِنْ قِبَائِلِ كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ. وَكَانَ أَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيُّ قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ

أُحْدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ مِنْ دَاخِلِهَا، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ رُكِّنَ لِבَابِ الْجَنَّةِ^(٢)، ذَكَرَهُ ابْنُ سَلَامٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَبَسَ بْنِ جَبْرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُحْدُ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، وَهُوَ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَعَيْرٌ يَبْغِضُنَا وَيُبْغِضُهُ، وَهُوَ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ»^(٣)، وَيَقْوِيهِ قَوْلُهُ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(٤)، مَعَ قَوْلِهِ: يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، فَتَنَاسَبَتْ هَذِهِ الْآثَارُ، وَشَدَّ بَعْضُهَا بَعْضًا.

(١) سورة الأنفال آية رقم (٣٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٨٦/٦) ورمز له السيوطي بالضعف وأخرجه ابن عدي في الكامل (١٤٩٧/٤) وابن الجوزي في الموضوعات (١٤٨/١).

(٣) انظر التخريج السابق والميزان (٧٢٤٧) وتنزيه الشريعة (١٩٥/١) والبخاري في تاريخه (١٩٣/٥) والعقيلي في الضعفاء (٣٠٨/٢) والطبراني (١٨/١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨/٨) ومسلم في البر والصلة (١٦٥) وأبو داود (٥١٢٧) والترمذي (٢٣٨٦) وأحمد (٣٩٢/١).

وحاجة، وكان في الأسارى فقال: إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامُننْ عليّ صلى الله عليك وسلّم، فَمَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ. فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزة إنك امرؤ شاعرٌ، فأعِنَّا بِلِسَانِكَ، فاخْرُجْ معنا، فقال: إن محمداً قد مَنَّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه، قال: فأعِنَّا بنفسك، فلك الله عليّ إن رجعتُ أن أغنيك، وإن أُصِبتُ أن أجعل بناتِكَ مع بناتي، يُصِيبهنَّ ما أصابهنَّ من عُسرٍ ويُسرٍ. فخرج أبو عزة في تهامة، ويدعو بني كنانة ويقول:

إِيهَآ بَنِي عَبْدِ مِئَاةِ الرُّزَامِ أَنْتُمْ حُمَاةٌ وَأَبُوكُمْ حَامٍ
لَا تَعِدُونِي نَضْرَكُم بَعْدَ الْعَامِ لَا تُسْلِمُونِي لَا يَحِلُّ إِسْلَامُ

وخرج مُسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كنانة، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسولِ الله ﷺ، فقال:

يَا مَالِ، مَالِ الْحَسَبِ الْمُقَدَّمِ أَنْشُدْ ذَا الْقُرَيْيِ وَذَا التَّدْمِ
مَنْ كَانَ ذَا رُحْمٍ وَمَنْ لَمْ يَزَحْمِ الْجِلْفَ وَسَطَ الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ
عند حطيم الكعبة المعظم

مشكلة اسم الجبل لأغراض التوحيد:

وقد كان عليه السلام يحب الاسم الحسنَ ولا أحسنَ من اسم مُشْتَقٍّ من الأَحَدِيَّةِ، وقد سَمَّى الله هذا الجبل بهذا الاسم، تَقْدِيمَةً لما أَرَادَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ مُشَاكَلَةِ اسْمِهِ، ومعناه، إذ أهله وهم الأنصارُ نَصَرُوا التَّوْحِيدَ والمَبْعُوثَ بدين التَّوْحِيدِ، عنده استقرَّ حَيًّا وَمَيِّتًا، وكان من عادته عليه السلام أن يَسْتَعْمَلَ الْوَتَرَ وَيُجِيبُهُ فِي شَأْنِهِ كُلَّهُ اسْتِشْعَارًا لِلأَحَدِيَّةِ، فقد وافق اسم هذا الجبل لأغراضه عليه السلام ومقاصده في الأسماء، فقد بَدَّلَ كَثِيرًا مِنَ الْأَسْمَاءِ اسْتِيقْبَاحًا لَهَا مِنْ أَسْمَاءِ الْبِقَاعِ وَأَسْمَاءِ النَّاسِ، وذلك لَا يُخْصِي كَثْرَةً؛ فَاسْمُ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ أَوْفَقِ الْأَسْمَاءِ لَهُ، ومع أنه مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَحَدِيَّةِ، فحركاتُ حُرُوفِهِ الرَّفْعُ، وذلك يُشْعِرُ بارتفاع دينِ الْآخِدِ، وعلوه، فَتَعَلَّقَ الْحُبُّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ اسْمًا وَمُسَمًى، فَخُصَّ مِنْ بَيْنِ الْجِبَالِ بِأَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ^(١)، إِذَا بُسِّتَ الْجِبَالُ بَسًا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَبَثًّا وَفِي أُحَدٍ قَبْرِ هَارُونَ أَخِي مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَفِيهِ قُبُصٌ، وَثُمَّ وَاوَاهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَا قَدْ مَرَّا بِأَحَدٍ حَاجِّينَ، أَوْ

(١) حديث أن أحد مع النبي ﷺ في الجنة لا صحة لها.

ودعا جُبَيْر بن مُطْعِم غلامًا له حَبَشِيًّا يقال له: وَخْشِي، يَفْذِف بحربة له قَذَف الحَبْشَة، قَلَمًا يُخْطِئ بها، فقال له: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عمَّ محمدٍ بعُمِّي طَعْنَمَة بن عَدِي، فأنت عَتِيق.

خروج قريش معهم نساؤهم:

فخرجت قُرَيْشٌ بِحَدِّهَا وَجَدِّهَا وَأَحَابِيشِهَا، ومن تابعها من بني كنانة، وأهل تهامة، وخرجوا معهم بِالطُّعْنِ، التماس الحَفِيطَة، وَالْأَفِرْوَا. فخرج أبو سُفْيَان بنُ حَرْب، وهو قائدُ الناس، بهند بنت عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المُغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المُغيرة، وخرج صَفْوَان بن أُمَيَّة بِبَرْزَة بنت مَسْعُود بن عمرو بن عُمير الثَّقَفِيَّة، وهي أم عبد الله بن صَفْوَان بن أُمَيَّة.

قال ابن هشام: ويقال: رَقِيَّة.

قال ابن إسحاق: وخرج عمرو بن العاص بِرَيْطَة بنت مُنَبِّه بن الحَجَّاج وهي أم عبد الله بن عمرو، وخرج طَلْحَة بن أبي طَلْحَة وأبو طَلْحَة عبدُ الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، بِسُلَافَة بنت سَعْد بن شُهَيْد الأنصاريَّة وهي أم بني طَلْحَة: مُسَافِع والجَلَّاس وكِلَاب، قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ (هم) وأبوهم؛ وخرجت حُنَاس بنت مالك بن المَضْرِب إحدى نساء بني مالك بن حِجْل مع ابنها أبي عزيز بن عَمِير، وهي أم مُصْعَب بن عمير؛ وخرجت عَمْرَة بنت عَلْقَمَة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مَنَاة بن كِنَانَة. وكانت هند بنت عُتْبَة كُلَّمَا مَرَّت بِوَخْشِي أو مَرَّ بها، قالت: وَيْهَا أبا دَسْمَة اشْف واستشف، وكان وَخْشِي يُكْنَى بِأَبِي دَسْمَة، فأقبلوا حتى نزلوا بَعَيْنَيْن، بِجَبَل بِطْن السَّبْخَة من قناة على شَفِير الوادي، مقابل المَدِينَة.

مُعْتَمِرِينَ، رُوِيَ هَذَا الْمَعْنَى فِي حَدِيثِ أَسْنَدِهِ الزُّبَيْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي كِتَابِ فَضَائِلِ الْمَدِينَةِ^(١).

وذكر ابن إسحاق مَسِيرَ قُرَيْشٍ بِالطُّعْنِ التماس الحَفِيطَة، والحَفِيطَة. الْعَصْبُ لِلْحَرَمِ، ويقال: أَخْفِطَ الرَّجُلُ إِذَا أُغْضِبَ.

(١) لا صحّة لقصة دفن موسى لهارون عليهما السلام في أحد.

رؤيا رسول الله ﷺ

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: «إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقرًا، ورأيت في دُباب سِنْفِي ثَلَمًا، ورأيتُ أَنِي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دَرْعِ حَصِينَةٍ، فَأَوْلَتْهَا: المدينة».

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت بقرًا لي تُذْبَح، قال: فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثَلَم الذي رأيتُ في دُباب سِنْفِي، فهو رَجُلٌ من أهل بَيْتِي يُقتل».

مشاورة الرسول القوم في الخروج أو البقاء:

قال ابن إسحق: فإن رأيتُم أن تُقيموا بالمدينة وتَدْعُوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بِشَرِّ مُقَامٍ، وإن هم دَخَلُوا علينا قاتلناهم فيها، وكان رأيُ عبد الله بن أبي ابن سلُولَ مع رأي رسول الله ﷺ، يَرَى رأيَه في ذلك، وألَّا يُخْرِجَ إليهم، وكان رسول الله ﷺ يَكْرَهُ الخُرُوجَ، فقال رجالٌ من المسلمين، ممن أكرَم الله بالشَّهادة يوم أُحُدٍ وغيره، مَن كان فاتِه بدرَ: يا رسول الله، اخْرُج بنا إلى أعدائنا، لا يَرَوْنَ أَنَا جَبَنًا عنهم وضَعُفنا. فقال عبدُ الله بن أبي ابن سلُولَ: يا رسول الله، أَقِم بِالْمَدِينَةِ لا تَخْرُجْ إليهم،

رؤيا رسول الله ﷺ^(١)

فصل: وذكر رؤيا رسول الله ﷺ حين رأى بقرًا تُنَحَرُ حوله، وثَلَمَةً في سِنْفِهِ وفي غير السيرة قال: رأيت بقرًا تُنَحَرُ والله خَيْرٌ، فَأَوْلْتُ الخَيْرَ ما جاء الله به من الخير يَوْمَ بَدْرٍ، وقد كانت بَدْرٌ قَبْلَ أُحُدٍ، ولكن نفع الله بذلك الخير الذي كان في يوم بدرٍ، وكان فيه تَأْسِيفَةٌ وَتَغْزِيبَةٌ لهم، فلذلك تَضَمَّنَتْهُ الرؤيا بقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾^(٢) وفي البخاري: ما جاء الله به من الخير بعد بَدْرٍ. وفي مُسْلِمٍ: وإذا الخيرُ ما جاء الله به بعدُ وثولِبُ الصَّدَق الذي أتانا الله به يوم بَدْرٍ، وهذه أَقْلُ الرِّوَايَاتِ إِشْكَالًا.

«قال المؤلف» أبو القاسم [السهيلي]: أما البقرُ فعِبارَةٌ عن رجال مُسْلِحِينَ يَتَنَاطَحُونَ وقد رأت عائشة - رضي الله عنها - مثلَ هذا، فكان تأويلُه قتلَ مَنْ قُتِلَ معها يوم الجَمَلِ.

(١) «صحيح» أخرجه أحمد (٢٧١/١) والبيهقي في الدلائل (٢٠٦/٣) والطبراني في الكبير (٣٩٤/١١) وانظر الفتح (٣٤٦/٧).

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٦٥).

فوالله ما خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ لَنَا قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِثًا، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ، فَدَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَخْبَسٍ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمُ الرِّجَالُ فِي وَجْهِهِمْ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاءُوا. فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبُّ لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ فَلَبِسَ لَأَمَتَهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَّغَ مِنَ الصَّلَاةِ. وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: اسْتَكَرْهُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ. فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَكَرْهُنَا كَمَا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لَنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لَأَمَتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتَلَ»، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ^(١).

قال ابن هشام: واستعمال ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس.

انخذال المنافقين:

قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشَّوْطِ بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبدُ الله بن أبي ابن سلول بثلاث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما نَذْرِي عَلامَ نَقُتْلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَرَجَّ بَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ التَّفَاقُقِ وَالرَّيْبِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: يَا قَوْمُ، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ أَلَّا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيِّكُمْ

وقوله: وَاللَّهُ خَيْرٌ، أَي: رَأَيْتَ بَقَرًا تُنْخَرُ، وَرَأَيْتَ هَذَا الْكَلَامَ، لِأَنَّ الرَّائِيَّ قَدْ يُمَثَّلُ لَهُ كَلَامٌ فِي خَلْدِهِ، فَيَرَاهُ بَوْهِمِهِ، كَمَا يَرَى صُورَةَ الْأَشْيَاءِ، وَمَنْ خَبَرَ أَحْوَالَ الرُّؤْيَا عَرَفَ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ، وَمِنْ غَيْرِهِ، لَكِنَّ الصُّورَ الْمَرْيِيَّةَ فِي النَّوْمِ تَكُونُ فِي الْغَالِبِ أَمْثَالًا مَضْرُوبَةً، وَقَدْ تَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَمَّا الْكَلَامُ الَّذِي يَسْمَعُهُ بِسَمْعِ الْوَهْمِ مُمَثَّلًا فِي الْخَلْدِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى ظَاهِرِهِ، مِثْلُ أَنْ يَسْمَعَ: أَنْتَ سَالِمٌ أَوْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكَ، أَوْ مَا أَشْبَهَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ، فَلَيْسَ لَهُ مَعْنَى سِوَى ظَاهِرِهِ.

وذكر أن فَرَسًا ذُتِبَ بِذَيْلِهِ، فَأَصَابَ كُلابَ سَيْفٍ فَاسْتَلَّه. قال ابن هشام: كُلابُ السَّيْفِ هِيَ الْحَدِيدَةُ الْعَقَفَاءُ، وَهِيَ الَّتِي تَلِي الْعِمْدَ، وَفِي كِتَابِ الْعَيْنِ: الْكَلْبُ مِسْمَارٌ فِي قَائِمِ السَّيْفِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤/١٣) معلقًا بعضه. والدارمي (١٢٩/٢) وأحمد (٣٥١/٣) والحاكم (١٢٨/٢ / ١٢٩ / ٢٩٦ / ٢٩٧) وصححه وأقره الذهبي.

عندما حَضَرَ من عدوهم؛ فقالوا: لو نعلم أنكم تُقاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أنه يكون قتالاً. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيُعني الله عنكم نبيّه.

قال ابن هشام: وذكر زياد، محمد بن إسحق عن الزهري: أن الأنصار يوم أحد، قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا تستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم.

حادثة تفاعل بها الرسول:

قال زياد: حدّثني محمد بن إسحق، قال: ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرة بني حارثة، فذَبَ قَرْسٌ بذَنِبِهِ، فأصاب كَلَابَ سيفٍ فاستلّه.

قال ابن هشام: ويقال: كَلَابٌ سيف.

قال ابن إسحق: فقال رسول الله ﷺ - وكان يحبّ الفأل ولا يَغْتَفُفُ لصاحب السيف: «سَبِّمْ سَيْفَكَ، فَإِنِّي أَرَى السُّيُوفَ سَتَسْلُ اليومَ».

الفأل والطيرة:

قال: وكان رسول الله ﷺ يُحِبُّ الْفَأْلَ، وَلَا يَغْتَفُفُ، يَفْتَالُ يَفْتَعِلُ مِنَ الْعِيَاةِ. وظاهر كلامه أن الْعِيَاةَ فِي الْمَكْرُوهِه خَاصَّةً، وَالْفَأْلَ فِي الْمَحْبُوبِ، وقد يكون في المكروه، والطيرة تكون في المحبوب المكروه، وفي الحديث أنه نَهَى عن الطيرة، وقال: خَيْرُهَا الْفَأْلُ، قَدْ عَلِيَ أَنَّهَا تَكُونُ عَلَى وَجْهِهِ وَالْفَأْلُ خَيْرُهَا. وَلَفْظُهَا يُعْطِي أَنَّهَا تَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لِأَنَّهَا مِنَ الطَّيْرِ، تقول العرب: جرى له الطائر بخير، وجرى له بشرٌ، وفي التنزيل: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾^(١).

وقوله في هذا الحديث: فَإِنِّي أَرَى السُّيُوفَ سَتَسْلُ الْيَوْمَ، يَقْوَى مَا قَدَّمَناهُ مِنَ التَّوَسُّمِ وَالزَّجْرِ الْمَصِيبِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مَكْرُوهِ لَكِنَّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ قَدَّمَنا فِيهِ قَوْلًا مُقْنِعًا فِي حَدِيثِ زَمْزَمَ وَثُقْرَةُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ، وَلِلَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ، وَإِعْمَالُ الْفِكْرِ فِي الْوُقُوفِ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ عِبَادَةٌ.

(١) سورة الإسراء آية رقم (١٣).

ما كان من مربع حين سلك المسلمون حائطه :

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَتَبَ : أَيُّ مِنْ قَرَبَ ، مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟» فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَتَفَذَّ بِهِ حَرَّةَ بَنِي حَارِثَةَ ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ لِمَرْبَعِ بْنِ قَيْظِي ، وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ ، فَلَمَّا سَمِعَ حَسَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَامَ يَحْثِي بِي وَجُوهَهُمُ التَّرَابَ ، وَيَقُولُ : إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي . وَقَدْ ذَكَرَ لِي أَنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدَ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ . فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَقْتُلُوهُ ، فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ ، أَعْمَى الْبَصَرِ» . وَقَدْ بَدَّرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، قِيلَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ ، فَضَرَبَهُ بِالْقَوْسِ فِي رَأْسِهِ ، فَشَجَّهُ .

قال : ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد ، في غُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سَرَحَتْ قَرِيشُ الظَّهْرَ وَالْكَرَاعَ فِي زُرُوعٍ كَانَتْ بِالصَّمْغَةِ ، مِنْ قَنَاةَ لِلْمُسْلِمِينَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْقِتَالِ : أَتُرْعَى زُرُوعُ بَنِي قَيْلَةَ وَلَمَّا

المستصغرون يوم أحد :

وذكر المُسْتَصْغَرَيْنِ يَوْمَ أَحَدٍ الَّذِينَ أَرَادُوا الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَرَدَّ أَصْغَرَهُمْ ، مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَأَسِيدُ بْنُ ظَهْيرٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِلَى آخَرِهِمْ ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِمْ عَرَابَةَ بْنُ أَوْسٍ بْنِ قَيْظِي ، وَقَدْ ذَكَرْتَهُ طَائِفَةٌ فِيهِمْ ، وَمِمَّنْ ذَكَرَهُ فِيهِمُ الْقُتَيْبِيُّ فِي كِتَابِ الْمَعَارِفِ ^(١) ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّمَاخُ :

إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

وَلِعَرَابَةَ أَخٌ اسْمُهُ : كَبَائَةُ ، لَهُ صُحْبَةٌ . وَمِنَ الْمُسْتَصْغَرَيْنِ يَوْمَ أَحَدٍ سَعْدُ بْنُ حَبْتَةَ ، عُرِفَ بِأُمِّهِ ، وَهِيَ حَبْتَةُ بِنْتُ مَالِكِ أَنْصَارِيَّةٌ ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ بُجَيْرٍ مِنْ بَجِيلَةَ ، رَدَّهُ النَّبِيُّ - ﷺ - يَوْمَ أَحَدٍ لِصِغَرِ سِنِّهِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْحَنْدَقِ رَأَى يِقَاتِلُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فِدَعَاهُ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي وَلَدِهِ وَنَسَلِهِ ، فَكَانَ عَمًّا لِأَرْبَعِينَ ، وَخَالًا لِأَرْبَعِينَ ، وَأَبَا لِعَشْرِينَ ، وَمِنْ وَلَدِهِ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي يَغْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبَ بْنِ حُبَيْشِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حَبْتَةَ .

(١) المعارف (ص ١١٢) .

تَضَارِب! وَتَعَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْقِتَالِ، وَهُوَ فِي سَبْعِ مِائَةِ رَجُلٍ، وَأَمَرَ عَلَى الرُّمَاءِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، أَخَا بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ مُغْلَمٌ يَوْمُئِذٍ بِثِيَابٍ بَيْضٍ، وَالرُّمَاءُ خَمْسُونَ رَجُلًا، فَقَالَ: انْضَحِ الْخَيْلَ عَنَّا بِالْبُئْبُلِ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَأُثِّبَتْ مَكَانَكَ لَا تُؤْتِيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ. وَظَاهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ دِرْعَيْنِ وَدَفَعَ اللُّوَاءَ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَخِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ.

من أجازهم الرسول وهم في الخامسة عشرة:

قال ابن هشام: وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزاري، ورافع بن خديج، أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما، ف قيل له: يا رسول الله إن رافعا رام، فأجازه، فلما أجاز رافعا، قيل له: يا رسول الله، فإن سمرة يضرب رافعا، فأجازه. ورد رسول الله ﷺ: أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، أحد بني مالك بن النجار، والبراء بن عازب، أحد بني حارثة، وعمر بن حزم، أحد بني مالك بن النجار، وأسيد بن ظهير، أحد بني حارثة، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة.

حول شعر هند بنت عتبة:

وذكر قول هند بنت عتبة:

وَنَهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ

وَنَهَا كَلِمَةً مَعْنَاهَا الْإِغْرَاءُ.

قال الراجز:

وَهُوَ إِذَا قِيلَ لَهُ وَنَهَا قُلْ فَإِنَّهُ مُوَاشِكٌ مُسْتَفْجِلٌ

وَأَمَّا وَاهَا، فَإِنْ مَعْنَاهَا: التَّعَجُّبُ، وَإِيَّهَا مَعْنَاهَا: الْأَمْرُ بِالْكَفِّ.

وقولها: إِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقُ، فيقال: إِنَّهَا تَمَثَّلَتْ بِهَذَا الرَّجَزِ، وَإِنَّهُ لِهِنْدُ بِنْتُ طَارِقِ بْنِ بَيَاضَةَ الْإِيَادِيَّةِ، قَالَتْهُ فِي حَرْبِ الْفُرْسِ لِإِيَادٍ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ إِنْشَادُهُ: بَنَاتِ طَارِقِ، بِالنَّصْبِ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ، كَمَا قَالَ:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ

وإن كانت أَرَادَتْ النُّجْمَ فَبَنَاتِ مَرْقُوعٍ، لِأَنَّهُ خَبِرُ مُبْتَدَأِ أَي: نَحْنُ شَرِيفَاتِ رَفِيعَاتِ كَالنُّجُومِ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ عِنْدِي بَعِيدٌ، لِأَن طَارِقًا وَضُفَّ لِلنُّجُومِ لَطَرُوقُهُ، فَلَوْ أَرَادَتْهُ لَقَالَتْ:

قال ابن إسحاق: وَتَعَبَّأْتُ قُرَيْشَ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافِ رَجُلٍ، وَمَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ قَدْ جَنَّبُوهَا، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ.

أمر أبي دجانة

وقال رسول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ، أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَشْرَبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِي؟ قَالَ: أَنَا أَخْذُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ^(١). وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شَجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ، إِذَا كَانَتْ، وَكَانَ إِذَا أَعْلِمَ بِعَصَابَةٍ لَهُ حُمْرَاءَ، فَاعْتَصَبَ بِهَا عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ سَيَقَاتِلُ، فَلَمَّا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَ عَصَابَتَهُ تِلْكَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفِّينِ.

بنات الطارق إلا أني وجدت للزُبَيْرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِ أَنْسَابِ قُرَيْشٍ لَهُ أَوَّلُ هَذَا الرِّجْزِ الَّذِي قَالَتْهُ عِنْدَ يَوْمِ أُحُدٍ:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقِ مَشْيَ الْقَطَا النَّوَائِقِ

إِلَى آخِرِ الرَّجَزِ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَذِيرِيُّ، قَالَ: جَلَسْتُ لَيْلَةً وَرَاءَ الضُّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ الْجُدَامِيِّ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَأَنَا مُتَقَنِّعٌ فَذَكَرَ الضُّحَّاكُ وَأَصْحَابَهُ قَوْلَ هِنْدٍ يَوْمَ أُحُدٍ: نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ، فَقَالُوا: مَا طَارِقُ؟ فَقُلْتُ: النَّجْمُ، فَالْتَفَتَ الضُّحَّاكُ، فَقَالَ: أَبَا زَكْرِيَّا، وَكَيْفَ بِذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾^(٢): فَإِنَّهَا قَالَتْ: نَحْنُ بَنَاتُ النَّجْمِ، فَقَالَ: أَحْسَنْتِ.

أبو دجانة

وذكر أبا دُجَانَةَ، وَلُبَسَهُ الْمُسَهَّرَةَ، وَأَبُو دُجَانَةَ السَّاعِدِيُّ مِمَّنْ دَافَعَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - وَحَنَا عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَّسَ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ، حَتَّى كَثُرَتْ الثُّبُلُ فِي ظَهْرِهِ، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، بَعْدَ أَنْ شَارَكَ فِي قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ، اشْتَرَكَ فِي قَتْلِهِ هُوَ وَوَخْشِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، وَسَنَذَكَرَ مَا قَالَهُ سَيْفُ بْنُ عُمَرَ فِي قَاتِلِ مُسَيْلِمَةَ فِي آخِرِ الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (١٢٨) وأحمد (١٢٣/٣) والحاكم (٢٣٠/٣) وابن أبي شيبة (٢٠٦/١٢) وابن سعد (١٠١/٢/٣).

(٢) سورة الطارق آية رقم (١ - ٣).

قال ابن إسحق: فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، عن رجل من الأنصار من بني سَلَمَة، قال: قال رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دُجَانَة يتبخر: «إنها لمشية يبغضها الله، إلا في مثل هذا الموطن».

أمر أبي عامر الفاسق:

قال ابن إسحق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن أبا عامر، عبد عمرو بن صَيْفِي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضُبَيْعَة، وقد كان خرج حين خرج إلى مَكَّة مُبَاعِدًا لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلامًا من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلاً، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان؛ فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مَكَّة، فنَادَى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر؛ قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمي في الجاهلية: الزَاهِب، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق - فلما سمع رَدُّهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم بالحجارة.

وذكر قول أبي دُجَانَة:

إني امرؤ عاهدني خليلي

يغني رسول الله - ﷺ - وكذلك كان أبو هُرَيْرَة يقول: حدثني خليلي، وأنكره عليه بعض الصحابة، وقال له: متى كان خليلك، وإنما أنكر عليه المنكر هذا لقوله عليه السلام: «لو كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، ولكن أخوة الإسلام»^(١) وليس في هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابيُّ حَدَّثَنِي خليلي، لأنهم يريدون به معنى الحبيب، وإنما فيه عليه أن النَّبِيَّ ﷺ لم يكن يقولها لأحد من أصحابه، ولا خَصَّ بها أحداً دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له، وما كان في قلوبهم من المَحَبَّة له يقتضي هذا، وأكثر منه، ما لم يكن الغلوُّ والقولُ المكروه، فقد قال عليه السلام: «لا تُطْرُونِي، كما أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢). وقال لرجل قال له: أنت سَيِّدُنَا وَأَطَوَّلْنَا طَوْلًا، وأنت الْجَفْنَةُ الْغَرَاءُ، فقال: «قولوا بقولكم، ولا يَسْتَجِوِبَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»^(٣) أي: قولوا بقول أهل

(١) أخرجه البخاري (٤/٥) ومسلم في فضائل الصحابة (١ - ٥) والترمذي (٣٦٥٩) وابن ماجه (٩٣) وأحمد (٣٧٧/١) والحميدي (١١٣) وعبد الرزاق (١٩٠٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤/٤) ومسلم في القدر (٣٤) وأحمد (٢٣/١).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٩/٣) والنسائي بنحوه. والبيهقي في الدلائل (٣١٨/٥) وفي الصفات (٢٢) بتحقيقي.

أُسْلُوبُ أَبِي سُفْيَانَ فِي تَحْرِيزِ قُرَيْشٍ:

قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سُفْيَانَ لأَصْحَابِ اللِّوَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يُحَرِّضُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى الْقِتَالِ: يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، إِنَّكُمْ قَدْ وَلَّيْتُمْ لَوَاءَنَا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَصَابَنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، وَإِنَّمَا يُؤْتِي النَّاسَ مِنْ قِبَلِ رَايَاتِهِمْ إِذَا زَالَتْ زَالُوا، فَإِنَّمَا أَنْ تَكْفُونَا لَوَاءَنَا، وَإِنَّمَا أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَتَكْفِيَكُمْوهُ، فَهَمُّوا بِهِ وَتَوَاعَدُوهُ، وَقَالُوا: نَحْنُ نُسَلِّمُ إِلَيْكَ لَوَاءَنَا، سَتَعْلَمُ غَدًا إِذَا التَّقِينَا كَيْفَ نَضَعُ! وَذَلِكَ أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ.

تَحْرِيزُ هِنْدَ وَالنِّسْوَةِ مَعَهَا:

فلما التقى الناس، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، قَامَتِ هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ فِي النَّسْوَةِ اللَّاتِي مَعَهَا، وَأَخَذَتِ الدُّفُوفَ يَضْرِبُ بِهَا خَلْفَ الرِّجَالِ، وَيُحَرِّضُهُمْ فَقَالَتْ هِنْدُ فِيمَا تَقُولُ:
وَيْهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ

وتقول:

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ وَنَفْرِشُ النُّمَارِقِ
أَوْ تُذْبِرُوا نُفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقِ

شِعَارُ الْمُسْلِمِينَ:

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ: أَمِثْ أَمِثْ، فيما قال ابن هشام.

تمام قصة أبي دجانة:

قال ابن إسحاق: فاقتتل الناس حتى حَمِيتِ الْحَرْبُ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتَّى أَمْعَنَ فِي النَّاسِ.

دِينَكُمْ وَأَهْلٍ مَلَيْتُكُمْ، كَذَا فَسَرَهُ الْخَطَّابِيُّ، وَمَعْنَاهُ عِنْدِي: قُولُوا: بِقَوْلِكُمْ، لَا بِقَوْلِ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّهُ قَدْ جَعَلَهُمْ جَرِيًّا لَهُ، أَي: وَكَيْلًا وَرَسُولًا، وَإِذَا كَانُوا جَرِيًّا لَهُ، وَقَالُوا: مَا يُرْضِيهِ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الْمُنَاطِقِ، فَقَدْ قَالُوا بِقَوْلِهِ: وَيَسْتَجْرِيئُكُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: جَرِيْتُ جَرِيًّا، أَي: وَكَلْتُ وَكَيْلًا. وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ آخَرُ: أَنْتَ أَشْرَفُنَا حَسَبًا وَأَكْرَمُنَا أُمًّا وَأَبَا، فَقَالَ: كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ طَبَقٍ؟ فَقَالَ: أَرْبَعَةُ أَطْبَاقٍ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ فِيهَا مَا يَزْعُ عَنِّي غَرَبَ لِسَانِكَ^(١). رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ فِي جَامِعِهِ.

(١) أوردته السيوطي في الدر (١١٢/٣) والزبيدي في الإتحاف (٤٩٧/٧).

قال ابن هشام: حدّثني غير واحد، من أهل العلم، أن الزُّبير بن العوّام قال: وَجِدْتُ في نفسي حين سألتُ رسول الله ﷺ السَّيْفَ فَمَنَعَنِي وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَقُلْتُ: أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي، وَاللهُ لَا نَظَرَ مَا يَصْنَعُ؛ فَاتَّبَعْتَهُ، فَأَخْرَجَ عَصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عَصَابَةَ الْمَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إِذَا تَعَصَبَ بِهَا، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْعِ لَدَى التُّخَيْلِ
أَلَا أَقُومُ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوُلِ أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرُّسُولِ

قال ابن هشام: ويروى في الكَيْوُلِ.

قال ابن إسحق: فجعل لا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ. وكان في المُشْرِكِينَ رجل لا يَدَعُ لَنَا جَرِيحًا إِلَّا ذَفَّفَ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَذْنُو مِنْ صَاحِبِهِ. فدَعَا اللهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَالْتَقِيَا، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضْرَبَ الْمُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ، فَاتَّقَاهُ بِدَرْقَتِهِ، فَعَصَّتْ سَيْفُهُ، وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا. قال الزبير: فقلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قال ابن إسحق: وقال أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ: رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَخْمَشُ النَّاسَ خَمَشًا شَدِيدًا، فَصَمَدْتُ لَهُ، فَلَمَّا حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَلَوْلَ فَإِذَا امْرَأَةٌ، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً.

وقول أبي دُجَانَةَ:

أَلَا أَقُومُ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوُلِ

قال أبو عبيد: الْكَيْوُلُ آخِرُ الصَّفُوفِ، قَالَ: وَلَمْ يَسْمَعْ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: مِثْلُ مَا قَالَ أَبُو عَبِيدٍ، وَزَادَ فِي الشَّرْحِ، وَقَالَ: سُمِّيَ بِكَيْوُلِ الزُّنْدِ، وَهِيَ سَوَادٌ وَدُخَانٌ يَخْرُجُ مِنْهُ آخَرًا، بَعْدَ الْقَذْحِ إِذَا لَمْ يُوْرَ نَارًا، وَذَلِكَ شَيْءٌ لَا غِنَاءَ فِيهِ، يُقَالُ مِنْهُ كَالِ الزُّنْدِ يَكُولُ، فَالْكَيْوُلُ فَيَنْعُولُ مِنْ هَذَا، وَكَذَلِكَ كَيْوُلُ الصُّفُوفِ لَا يُوْقَدُ نَارَ الْحَرْبِ، وَلَا يُزَكِّيْهَا، هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ لَا لَفْظِهِ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ نَحْوًا مِنْ هَذَا إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: كَالِ الزُّنْدِ يَكِيلُ بِالْيَاءِ لَا غَيْرَ.

وقوله: رَأَيْتُ رَجُلًا يَخْمَشُ النَّاسَ خَمَشًا شَدِيدًا، يُرَوَّى بِالشَّيْنِ وَبِالسَّيْنِ، فَالْمَعْنَى بِالسَّيْنِ غَيْرُ مُعْجَمَةٍ فِي هَذَا الْمَكَانِ الشَّدَّةُ، كَأَنَّهُ قَالَ: يَشْدَهُمْ وَيُسْجَعُهُمْ، لِأَنَّهُ يُقَالُ: رَجُلٌ

مقتل حمزة:

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أزطاة بن عبد سُرخبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد الثُفَر الذين يَحْمِلُونَ اللِّوَاء ثم مرَّ به سِبَاعُ بن عبد العُزَّى العُبْسَانِي، وكان يُكنى بأبي زيار، فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مُقْطَعة البُظُور - وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثَّقَفِي.

(قال ابن هشام: شريق بن الأخنس بن شريق) وكانت خَتَّانَةً بِمَكَّة - فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

قال وَحْشِي، غلامُ جُبَيْر بن مُطْعَم: والله إني لأنظر إلى حَمْزَةَ يَهْدُ الناس بسيفه ما يُلِيق به شيئاً، مثل الجمل الأورق إذ تقدمني إليه سِبَاع بن عبد العُزَّى، فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مُقْطَعة البُظُور، فضربه ضربة، فكأنَّ ما أخطأ رأسه، وهزرتُ حَرْبتي حتى إذا رَضِيتُ منها دفعْتُها عليه، فوقعت في ثُنَّتِه حتى خرجتُ من بين رجليه، فأقبل نحوي، فغلب فوقع، وأمهلتُه حتى إذا مات جئتُ فأخذتُ حَرْبتي، ثم تنحيتُ إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره.

وحشي يحدث الضمري وابن الخيار عن قتله حمزة

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجتُ أنا وعُبَيْد الله بن عدي بن الخيار، أخو بني نَوفَل بن عبد مناف، في زمان مُعاوية بن أبي سُفْيَان، فَأَذَرْنَا مع الناس، فلما قَفَلْنَا مَرَزْنَا بِحِمَص - وكان وَحْشِي، مولى جُبَيْر بن مُطْعَم، قد سَكَنَهَا، وأقام بها - فلما قَدِمْنَاهَا، قال لي عُبَيْد الله بن عَدِي: هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قَتْلِ حمزة كيف قَتَله؟ قال: قلت له: إن شئت. فخرَجْنَا نسأل عنه بِحِمَص، فقال لنا

أَحْمَس، أي: شجاع شديد، والمعنى فيه بالشين مُعْجَمَةً أَلَّا يَقَادَ والإغضاب، لأنه يقال: أَحْمَشْتُ النَّارَ أَوْقَدْتُهَا وَحْمَشْتُ الرَّجُلَ، وَأَحْمَشْتُهُ: أَغْضَبْتُهُ، فيكون أَفَعَلْتُ من ذلك للإيقاد والإغضاب، وَفَعَلْتُ للإغضاب.

حديث وحشي

قال فيه: فإذا شَيْخٌ كبير، كالبُغَاثِ، قال أبو عبيد: البُغَاثُ الطَّيْرُ الذي لا يُصَاد به مثل الرَّحْم، والجِدَاء، وأحدثها بِغَاثَةٍ. ويقال: بغاثي وجمعه بَغَاثٌ وَبُغَثَانٌ. وقال ابن إسحاق في رواية يونس عند ذكر البُغَاثِ البُغَاثُ هو ذَكَرُ الرَّحْمِ إذا هَرِمَ اسودَّ.

رجل، ونحن نسأل عنه: إنكما ستجدانه بفناء داره، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر، فإن تجده صاحياً تجدًا رجلاً عربياً، وتجداه عنده بعض ما تُريدان، وتُصيّبا عنده ما شئتما من حديث تُسألانه عنه، وإن تجده وبه بغض ما يكون به، فانصرفا عنه ودعاه. قال: فخرجنا نَمْشي حتى جئناه، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له، فإذا شيخٌ كبير مثل البُغاث.

- قال ابن هشام: البُغاث: ضرب من الطير إلى السواد.

فإذا هو صاح لا بأس به. قال: فلما انتهينا إليه سلّمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عديّ، فقال: ابنٌ لعديّ بن الخيار أنت؟ قال: نعم، قال: أما والله ما رأيْتُكَ منذ ناولْتُكَ أُمّك السعدية التي أرضعتك بذي طوى، فإني ناولْتُكها وهي على بَعرها، فأخذْتُكَ بَعْرَ ضِيك، فلمعت لي قَدَماك حين رفعتك إليها، فوالله ما هو إلا أن وقفت عليّ فعرفتُهما. قال: فجلسنا إليه، فقلنا له: جئناك لتحَدِّثنا عن قَتْلِكَ حَمْزة، كيف قَتَلْتَه؟ فقال: أما إني سأحدِّثكما كما حدّث رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كُنْتُ غلاماً لجُبَيْر بن مُطعم، وكان عُمهُ طَعْنَمَةُ بن عديّ قد أُصِيبَ يومَ بدر، فلَمَّا سارت فُرِيشٌ إلى أحد، قال لي جُبَيْر: إن قَتَلْتَ حَمْزة عَمَّ محمد بعْمِي فأنت عَتِيق. قال: فخرجتُ مع الناس، وكُنْتُ رجلاً حَبْشِيًّا أَقْدِفَ بِالْحَزْبَةِ قَذْفَ الْحَبْشَةِ، قَلَمًا أَخْطِئُ بِهَا شَيْئًا؛ فلما التَقَى النَّاسُ خرجتُ أنظر حَمْزة وأنبْصُرَه، حتى رأيتَه في عَرْضِ النَّاسِ مثلَ الْجَمَلِ الْأَوْزَقِ، يَهْدُ النَّاسُ بِسَيْفِهِ هَذَا، ما يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ، فوالله إني لَأَنْهِيَّ لَهُ، أُرِيدُهُ وَأُسْتَرِّ مِنْهُ

وقول وَخَشِيٍّ لِعَبِيدِ اللَّهِ: ما رأيْتُكَ مُنْذُ ناولْتُكَ أُمّكَ السَّعْدِيَّةَ، ولم يَذْكُرْ اسْمَهَا، وأمَّ عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَدِيٍّ هي أم قَتَالِ بنتُ أَبِي العَيْصِ بن أُمَيَّةَ ذَكَرَهَا الْبَخَارِيُّ فِي هَذَا الْخَبَرِ، ولم يَقُلْ: السَّعْدِيَّةَ فَهِيَ إِذَا قُرِشِيَّةٌ أُمَوِيَّةٌ لَا سَعْدِيَّةٌ إِلَّا أَنْ يَرِيدَ بِهَا مُرْضِعَتَهُ إِنْ كَانَتْ سَعْدِيَّةً، وأما عُبَيْدُ اللَّهِ بن عَدِيٍّ، فوُلِدَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ومات فِي خِلافةِ الْوَلِيدِ بن عَبْدِ الْمَلِكِ، وَلَهُ دَارٌ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ دَارِ عَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَزُورِي عَنْ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَغَيْرِهِ، وَلَهُ حَدِيثٌ فِي الْمَوْطَأِ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ.

وقوله: بذي طوى: مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ، وَقَدْ قَدَمْنَا الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذِي طَوَاءَ بِالْهَمْزِ وَالْمَدِّ، وَبَيْنَ طَوَى بِالضَّمِّ وَالْقَصْرِ فَاعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا.

وقول وَخَشِيٍّ: يَهْدُ النَّاسَ بِسَيْفِهِ، مَا يُلِيقُ شَيْئًا، مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْزَقِ، يَرِيدُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - وَزُقَةُ الْغُبَارِ، وَإِنَّهُ قَدْ نَافَعَ بِهِ إِذَ الْأَوْزَقُ مِنَ الْإِبْلِ لَيْسَ بِأَقْوَاهَا، وَلَكِنَّهُ أَطْيَبُهَا لَحْمًا فِيمَا ذَكَرُوا.

بشجرة أو حَجَرٍ لَيَذْنُو مِنِّي إِذْ تَقْدَمُنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، فَلَمَّا رَأَاهُ حَمْزَةُ قَالَ لَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مَقْطَعَةِ الْبُظُورِ. قَالَ: فَضْرِبُهُ ضَرْبَةً كَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ. قَالَ: وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي، حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا، دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنْتِهِ، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، وَذَهَبَ لِيُتَوَّ نَحْوِي، فَغُلِبَ، وَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، فَفَعَدْتُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بَغِيرُهُ حَاجَةٌ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأَعْتَقَ. فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ أُعْتِقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ حَتَّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَمَكَثْتُ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ وَفَدَّ الطَّائِفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُسَلِّمُوا تَعَيَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ، فَقُلْتُ: أَلْحَقْ بِالشَّامِ، أَوْ الْيَمَنِ، أَوْ بِيَعُضِ الْبِلَادِ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي، إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ، وَتَشْهَدُ شَهَادَتَهُ.

وحشي بين يدي الرسول يسلم:

فلما قال لي ذلك، خرجتُ حتى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يَرُغْهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَتَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ؟ فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ: «أَوْحَشِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَعَدُّ فَحَدَّثَنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ»، قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمَا، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ: «وَيْحُكَ! غَيَّبَ عَنِّي وَجْهَكَ، فَلَا أُرِيكَ». قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ لثَلَاثًا يَرَانِي، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ - ﷺ.

قتل وحشي لمسيلمة:

فلما خرج المسلمون إلى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ خَرَجْتُ مَعَهُمْ، وَأَخَذْتُ

وقوله: بِهِذُ النَّاسِ، هُوَ بِالذَّالِ الْمَنْقُوطَةِ، ذَكَرَهُ صَاحِبُ الدَّلَائِلِ، وَفَسَّرَهُ مِنَ الْهَذِّ وَهِيَ السَّرْعَةُ وَأَمَّا الْهَذْمُ بِالْمِيمِ، فَسَرْعَةُ الْقَطْعِ، يُقَالُ: سَيْفٌ يَهْذِمُ، وَالْهَيْذَامُ: الْكَثِيرُ الْأَكْلِ، وَهُوَ الشُّجَاعُ أَيْضًا، وَفِي الْحَدِيثِ: أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ، يُرْوَى بِالذَّالِ الْمَنْقُوطَةِ أَيْ قَاطِعِهَا، وَمِمَّا ذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي خَبَرٍ وَخَشِي، قَالَ: فَخَرَجْتُ حِينَ قَالَ لَيْسَ سَيِّدِي مَا قَالَ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَجُلٌ عَبَّعَ عَلَيْهِ دِرْعَ قُضَاءٍ وَإِذَا هُوَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِي، وَإِذَا رَجُلٌ خَلَّاسٌ، أَيُّهُمْ غَشَمَشَمَ بِهِذُ النَّاسِ، كَأَنَّهُ جَمَلَ أَوْزَقٍ، فَكَمَنْتُ لَهُ إِلَى صَخْرَةٍ كَأَنَهَا فُسْطَاطٌ، وَقُلْتُ: هَذَا الَّذِي أُرِيدُ، وَهَزَزْتُ حَزْبَةَ لِي عَرَّاصَةً، فَرَمَيْتُ بِهَا، فَأَصَبْتُ ثُنْتَهُ، وَذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ. الْعَبَّعَ: الشَّابَّ، وَالذَّرْعَ الْقَضَاءُ: الْمُحْكَمَةُ النَّسْجِ، وَالْأَيُّهُمْ: الَّذِي لَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْأَيُّهَمِينَ، يَعْنِي: السَّيْلَ وَالْحَرِيقَ. وَالْعَرَّاصَةُ: الَّتِي تَضْطَرِبُ مِنَ اللَّيْنِ.

وقوله في قتل مُسَيْلِمَةَ: سَبَقَنِي إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَسَيَّاتِي ذَكَرَ مُسَيْلِمَةَ وَنَسَبَهُ،

حَزْبَتِي الَّتِي قَتَلْتُ بِهَا حَمْزَةً؛ فَلَمَّا التَقَى الْإِسْرَافِيُّ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ قَائِمًا فِي يَدِهِ السِّيفَ، وَمَا أَعْرَفَهُ، فَتَهَيَّأَتْ لَهُ، وَتَهَيَّأَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، كِلَانَا يُرِيدُهُ فَهَزَزْتُ حَزْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتَ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِيهِ، وَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ فَضْرِبَهُ بِالسِّيفِ، فَرُبُّكَ أَعْلَمُ أَيْنَا قَتَلَهُ، فَإِنْ كُنْتَ قَتَلْتَهُ، فَقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ قَتَلْتُ شَرَّ النَّاسِ.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن الفضل، عن سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْيَمَامَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ يَوْمَئِذٍ صَارِحًا يَقُولُ: قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ.

خَلَعَ وَحْشِيَّ مِنَ الدِّيَوَانِ:

قال ابن هشام: فبلغني أن وحشيًا لم يزل يُجَدُّ فِي الْخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ الدِّيَوَانِ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ قَاتِلَ حَمْزَةٍ^(١).

مَقْتَلُ مُصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ:

قال ابن إسحاق: وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ، وَكَانَ

وَطَرَفٌ مِنْ حَدِيثِهِ فِي آخِرِ الْكِتَابِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَحْشِيٌّ، وَلَمْ يُسَمِّهِ ابْنُ إِسْحَاقَ، فَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِ الرَّدَّةِ، أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي شَارَكَ وَحْشِيًّا، فِي قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ الْمَازِنِيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَذَكَرَ سَيْفُ بْنُ عُمَرَ فِي كِتَابِ الْفَتْوحِ أَنَّهُ عَدِيُّ بْنُ سَيْهَلٍ، وَأَنشَدَ لَهُ:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي وَوَحْشِيَّيْهِمُ قَتَلْتُ مُسَيْلِمَةَ الْمُفْتَتَنِ
وَيَسْأَلُنِي النَّاسُ عَنْ قَتْلِهِ فَقُلْتُ: ضَرَبْتُ، وَهَذَا طَعْنُ

فِي آيَاتٍ لَهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قُبَيْلَ هَذَا الْحَدِيثِ. أَنَّ أَبَا دُجَانَةَ أَيْضًا شَارَكَ فِي قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ، وَذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ الثَّمَرِيُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَرَادَ وَحْشِيَّ. وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ زِيَادَةً فِي إِسْلَامِ وَحْشِيٍّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا وَحْشِيٌّ، فَقَالَ: دَعُوهُ فَلِإِسْلَامِ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِ أَلْفِ رَجُلٍ كَافِرٍ.

(١) قوله في نسبته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - نظر - إذ كيف يقول له هذا وهو يعلم أن الإسلام يجب ما قبله، وأن الله غفور رحيم فيقول تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ وقد فعل عمر الكثير وصدرت منه الأفعال العظام قبل الإسلام وقد غفر الله تعالى له.

الذي قتله ابن قَمِيَّةَ اللَّيْثِي، وهو يَظُنُّ أنه رسولُ الله ﷺ، فَرَجَعَ إلى قُرَيْشٍ فقال: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا. فلما قُتِلَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أُعْطِيَ رسولُ الله ﷺ اللِّوَاءَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وقاتل عليّ بن أبي طالب ورجال من المسلمين.

قال ابن هشام: وحَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ المَازَنِي، قال: لما اشتد القتال يومَ أحد، جَلَسَ رسولُ الله ﷺ تحت رايةِ الأَنْصَارِ، وأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: أن قَدَّمَ الرَايَةَ. فتقدَّم عليّ، فقال: أنا أبو القُصَمِ، ويقال: أبو القُصَمِ، فيما قال ابن هشام - فناده أبو سَعْدِ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القُصَمِ في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزَ بين الصَّفَيْنِ، فاختلعا ضَرْبَتَيْنِ فَضْرِبَهُ عَلِيٌّ فَصَرَعَهُ، ثم انصرف عنه ولم يُجْهَزْ عليه؛ فقال له أصحابه: أفلا أجهز عليّ؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرِّحْمُ، وعرفتُ أن الله عز وجل قد قتله.

ويقال: إنَّ أبا سعد بن أبي طَلْحَةَ خرج بين الصَّفَيْنِ، فنادى أنا قاصم من يبارز برازا، فلم يخرج إليه أحدٌ. فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجئته، وأن قتلانا في النار، كذبتُم واللات! لو تعلمون ذلك حقًا لخرج إليّ بعضكم، فخرج إليه عليّ بن أبي طالب، فاختلعا ضَرْبَتَيْنِ فَضْرِبَهُ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ.

وذكر قول أبي سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: أنا قاصم من يبارزني، فبرزَ إليه عليّ، فقال أبو القُصَمِ بالقاف، قاله ابن هشام، وهو أصحُّ، وإنما قال عليّ - عليه السلام: أنا أبو القُصَمِ، لقول أبي سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: أنا قاصم من يبارزني، فالقُصَمِ: جَمْعُ قُصْمَةٍ، وهي: العَضْلَةُ المُهْلِكَةُ، ويجوز أن يكون جَمْعُ القُصْمَى، أي: الدَّاهِيَةِ التي تَقْصِمُ. والدَّوَاهِي القُصَمِ على وزن الكُوبِ، وهذا المعنى أصحُّ، لأنه لا يعرف قُصْمَةً، ولكنه لما قال أبو سعد: أنا قاصم، قال عليّ: أنا أقصم منك، بل أنا أبو القُصَمِ، أي أبو المَعْضِلَاتِ القُصَمِ والدَّوَاهِي العَظْمِ، والقُصَمُ كسر بَيْنُوتَةٍ، والقُصَمُ: كَسَرٌ يَغْيِرُ بَيْنُوتَةَ كَكَسَرِ الْقَضِيبِ الرُّطْبِ ونحوه، وفي التنزيل: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾^(١) وفيه ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾^(٢) وقول ابن إسحق: قَتَلَ أبا سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، كذلك رَوَاهُ الكَشْفِيُّ في تفسيره عن سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، قال: لما كفَّ عنه عليّ طَعْنَتَهُ فِي حَنْجَرَتِهِ، فَدَلَّعَ لِسَانَهُ إِلَيَّ، كما يصنع الكلبُ ثم مات.

وذكر ابن إسحق أيضًا هذا في غير رواية ابن هشام، وقول عليّ: إنه اتَّقَانِي بِعَوْرَتِهِ، فَادَّكَرَنِي الرِّجْمَ، فَعَطَفْتَنِي عَلَيْهِ الرِّجْمُ، وقد فعلها عليّ مرة أخرى يوم صِفَيْنِ، حَمَلَ عَلَى

(١) سورة الأنبياء آية رقم (١١).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٥٦).

قال ابن إسحق: قتل أبا سَعْد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص.

شأن عاصم بن ثابت:

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح. فقتل مُسافِع بن طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة كلاهما يشعره سَهْمًا. فيأتي أمه سُلَافَة. فيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بُنَيَّ. من أصابك؟ فيقول: سمعتُ رجلاً حينَ رَماني وهو يقول: خُذْها وأنا ابن أبي الأفلح. فنذرتُ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر. وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مُشْرَكًا أبداً. ولا يمسّه مشرك.

وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ، وهو يحمل لواء المشركين:

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللَّوَاءِ حَقًّا أَنْ يَخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ تَنَذِقًا
فَقَتْلَهُ حِمْرَةٌ بِنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ.

حنظلة غسيل الملائكة

والتقى حَنْظَلَة بن أبي عامر الغَسِيل وأبو سَفِيان، فلما استَغْلَاه حَنْظَلَة بن أبي عامر رآه شَدَاد بن الأسود، وهو ابن شَعُوب، قد علا أبا سَفِيان. فضربه شَدَاد فقتله. فقال رسولُ الله ﷺ: «إِنْ صَاحِبِكُمْ، يَعْنِي حَنْظَلَة لَتَغْسِلَهُ الْمَلَائِكَةُ». فسألوا أهله من شأنه؟ فستلت صاحبه عنه، فقالت: خَرَجَ وهو جُنُبٌ حينَ سَمِعَ الهاتفة.

بُشْر بن أَرْطَاة، فلما رأى أنه مقتول كشف عن عَوْرَتِهِ، فانصرف عنه، وَيُزَوَّى أيضًا مثلُ ذلك عن عَمْرُو بن العاصي، مع عَلِيٍّ - رضي الله عنه - يومَ صِفَيْنَ، وفي ذلك يقول الحارث بن النَّضْرِ السَّهْمِي، رواه ابن الكلبي وغيره:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فَارِسٌ غَيْرُ مُنْتَهٍ وَعَوْرَتُهُ وَسَطُ الْعَجَاجَةِ بِأَيْدِيهِ
يَكْفُ لَهَا عَنْهُ عَلِيٌّ سِنَانَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ فِي الْخَلَاءِ مُعَاوِيَةُ

عن مقتل حنظلة

فصل: وذكر مَقْتَل حَنْظَلَة بن أبي عامر الغَسِيل، واسم أبي عامر: عَمْرُو، وقيل: عَبْدُ عَمْرُو بن صِفِي، وذكر شَدَاد بن الأسود بن شَعُوب حينَ قتله، بعدما كان علا حَنْظَلَة أبا سَفِيان ليقتله، وذكر الحُمَيْدِيُّ في التفسير مكانَ شَدَادِ جَعْفُونَة بن شَعُوب اللَّيْثِي، وهو مولى نافع بن أبي نعيم القاري.

وذكر قولَ النبي ﷺ - إِنْ صَاحِبِكُمْ لَتَغْسِلَهُ الْمَلَائِكَةُ يَعْنِي: حَنْظَلَة، وفي غير السيرة،

- قال ابن هشام: ويقال: الهائعة. وجاء في الحديث: خيرُ الناس رجلٌ مُنْسَك بعنانِ فرسه، كلما سمع هَيْعَةً طار إليها. قال الطرمّاح بن حَكِيم الطائي، والطرّمّاح الطويل من الرجال:

أنا ابن حُماة المَجْد من آلِ مالك إذا جَعَلْتَ خُورَ الرِّجالِ تَهْيِيعَ
(والهَيْعَةُ: الصَّيْحَةُ التي فيها الفزع).

قال ابن إسحق: فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسَلته الملائكة».

شعر الأسود في قتلها حنظلة وأبا سُفيان:

(قال ابن إسحق): وقال شَداد بن الأسود في قَتْلِهِ حنظلة:

لأَحْمِيْنُ صاحِبِي ونَفْسِي بَطْعَنَةً مِثْلَ شُعاعِ الشَّمْسِ
وقال أبو سُفيان بن حَزْب، وهو يَذْكُر صَبْرَهُ في ذلك اليَوْم، ومعاونة ابن شُعُوب
إِيَّاه على حَنْظَلَةٍ:

ولو شِئْتُ نَجَّيْتُ كُمَيْتَ^(١) طِمْرَةً ولم أَحْمِلِ النِّعْماءَ لابنِ شُعُوبِ
وما زال مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى دَنَتْ لَغُروبِ

قال: رَأَيْتُ الملائكة تَغْسِلُهُ في صِحاَفِ القِصَّةِ بِماءِ المُزَنِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، قال ابن إسحق، فَسِئَلْتُ صاحِبَتَهُ، فَقالت: خَرَجَ وهو جُنُبٌ حينَ سَمِعَ الهائِعةَ^(٢). صاحِبَتُهُ يعني امرأَتَهُ، وهي جَمِيلَةٌ بنتُ أَبِي ابنِ سَلُولَ أَخْتُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي، وكان ابْنَتِي بها تلكَ اللَّيلة، فَكانت عَرُوسًا عِنْدَهُ، فرَأَتْ في النِّوْمِ تلكَ اللَّيْلِ كانَ بابًا في السَّمَاءِ فُتِحَ لَهُ فَدَخَلَهُ، ثُمَّ أَغْلِقَ دَوْنَهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ غِدِهِ، فَدَعَتْ رِجالاتًا مِنْ قَوْمِها حينَ أَصْبَحَتْ فَأَشْهَدَتْهُمْ على الدُّخُولِ بِها حَشِيَّةً أَنْ يَكُونَ في ذَلِكَ نَزاعٌ، ذَكَرَهُ الواقِدي فيما ذَكَرَ لي، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُ التَّمَسَّ في القَتْلِ، فوجدوه يَفْطُرُ رَأْسَهُ ماءً، وَليس بِقُرْبِهِ ماءٌ تَصْديقًا لما قالَهُ الرِّسُولُ ﷺ، وفي هَذا الخَبَرِ مُتَعَلِّقٌ لِمَنْ قالَ مِنَ الفُقهاءِ: إِنَّ الشَّهِيدَ يُغْسَلُ إذا كانَ جُنُبًا، وَمِنَ الفُقهاءِ مَنْ يَقولُ لا يُغْسَلُ كَسائِرُ الشَّهادَةِ، لأنَّ التَّكْلِيفَ ساقَطٌ عَنْهُ بِالمَوْتِ.

شعر أَبِي سُفيان:

وقول أَبِي سُفيان:

وَمَا زال مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى دَنَتْ لَغُروبِ

(١) كَمَيْت: خَمْرَة.

(٢) الهائِعة: يعني نداء الحرب.

أَقَاتِلُهُمْ وَأَذْعِي بِالْغَالِبِ وَأَذْقُعُهُمْ عَنِي بِرُكْنٍ صَلِيبِ
فَبِكِّي وَلَا تَزْعِي مَقَالَةً عَاذِلِ وَلَا تَسْأَمِي مِنْ عَبْرَةٍ وَنَجِيبِ
أَبَاكِ وَإِخْوَانَا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا وَحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبِ
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَتْنِي قَتَلْتُ مِنَ النَّجَّارِ كُلَّ نَجِيبِ
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرَمًا كَرِيمًا وَمُضْعَبًا وَكَانَ لَدَى الْهَنْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبِ
فَوَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمْ لَكَانَتْ شَجَا فِي الْقَلْبِ ذَاتُ ثُدُوبِ
فَأَبَا^(١) وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَابِيبُ مِنْهُمْ بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْطَبٍ^(٢) وَكَثِيبِ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ كِفَاءً وَلَا فِي خُطَّةٍ بِضَرْبِ

يُروى بخفض غُدْوَةٍ، ونصبها، فمن خفضه فأعرابه بَيَّنَّ، لأن لَدُنْ بمنزلة: عند، لا يكون ما بعده إلا مَخْفُوضًا، وأما نصبه فَعَرِيبٌ، وشيء خَصَّتْ العربُ به غُدْوَةٌ، ولا يُقَاس عليها، وكثيرًا ما يذكرها سِبْيُونُهُ، وَيُمنَعُ من القياس عليها، وذلك أن لَدُنْ يقال فيها: لَدُنْ وَلَدٌ، فلما كانت تَارَةً تُتَوَّنُ، ولا تُتَوَّنُ أُخْرَى، شَبَّهَهَا إِذَا تَوَنَّتْ بِاسْمِ الْفَاعِلِ فَتَنْصَبُوا غُدْوَةً بعدها، تَشْبِيهَا بِالْمَفْعُولِ، ولولا أَنَّ غُدْوَةً، تُتَوَّنُ إِذَا تُكْرِثُ، وتُتَوَّنُ ضَرُورَةً إِذَا كَانَتْ مَعْرِفَةً مَا عُرِفَ نَصْبُهَا، لأنها اسمٌ غير مُنْصَرِفٍ لِلْعَلَمِيَّةِ والتَّأْنِيثِ، فَخَفَضُهَا وَنَصْبُهَا سَوَاءٌ، فَإِذَا تَوَنَّتْ لِلضَّرُورَةِ، كما في بيت أَبِي سُفْيَانَ أَوْ أَرَدْتَ غُدْوَةً مِنَ الْغَدَوَاتِ تَبَيَّنَ حِينَئِذٍ أَنَّهُمْ قَصَدُوا التَّنْصِبَ والتشبيه بالمفعول، ووجه آخر من البَيَانِ، وهو أَنَّهُمْ قَدْ رَفَعُوهَا، فَقَالُوا: لَدُنْ غُدْوَةٌ غَيْرَ مَضْرُوقَةٍ، كما يرفع الاسم بعد اسم الفاعل إِذَا كَانَ فاعلاً وَيُنْصَبُ إِذَا كَانَ مَفْعُولاً إِذَا تَوَّنَ اسمُ الْفَاعِلِ، كذلك غُدْوَةٌ بعد لَدُنْ، لا يكون هذا فيها إِلَّا إِذَا تَوَنَّتْ لَدُنْ، فَإِنْ قُلْتَ: لَدِ غُدْوَةٍ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْخَفْضُ إِنْ تَوَنَّتْهَا، وَإِنْ تَرَكْتَ صَرْفَهَا لِلتَّعْرِيفِ، فَالْفَتْحَةُ عِلَامَةٌ خَفْضِهَا، ولا تكون غُدْوَةٌ عَلَمًا إِلَّا إِذَا أَرَدْتَهَا لِيَوْمٍ بَعِينِهِ، وَبُكْرَةٍ مِثْلَهَا فِي الْعَلَمِيَّةِ، وَليست مِثْلَهَا مَعَ لَدُنْ وَضَحْوَةً وَعَشِيَّةً مَضْرُوقَتَانِ، وَإِنْ أَرَدْتَهُمَا لِيَوْمٍ بَعِينِهِ. وقد فَرَّغْنَا مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ هَذَا الْبَابِ فِي «نَتَائِجِ الْفِكْرِ»^(٣) وَأَوْضَحْنَا هُنَاكَ بَدَائِعَ وَعَجَائِبَ لَمْ يَبَيِّنْهَا أَحَدٌ إِلَّا أَنَّهَا مُتَنَزِّعَةٌ مِنْ فَخْوَى كَلَامِ سِبْيُونِهِ، وَمِنْ قَوَاعِدِهِ الَّتِي أَصْلُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وقولُ أَبِي سُفْيَانَ فِي هَذَا الشَّعْرِ: بِهِمْ خَدَبٌ. الْخَدَبُ الْهَوَجُ: وَفِي الْجَمْهَرَةِ طَغَنَةٌ خَدَبَاءُ إِذَا هَجَمَتْ عَلَى الْجَوْفِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ بِالْخَدَبِ.

(٢) معطب: في البداية: مغبط.

(١) أبوا: عادوا.

(٣) انظر ص (٣٣).

شعر حسان في الرد على أبي سفيان:

فأجابه حسان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

دَكَرْتُ الْقُرُومَ ^(١) الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتُ لَزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبٍ
أَتَعَجَّبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمَزَةً مِنْهُمْ نَجِيبًا وَقَدْ سَمِئَتْهُ بَنَجِيبٍ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعَثْبَةً وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبٍ
غَدَاةً دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاغَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهَ بِخَضِيبٍ

قال ابن إسحق: وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه، فقال:

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا ابْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لِأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ ^(٢) غَيْرَ مُجِيبٍ
وَلَوْلَا مَكْرِي الْمُهَرَّ بِالنَّعْفِ قَزَقْتَ ضَبَاعَ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاءَ كَلِيبٍ
قال ابن هشام: قوله: «عليه أو ضراء» عن غير ابن إسحق.

وأما قول حسان:

إِذَا عَضَلُ سَيَقَتْ إِلَيْنَا كَانَهَا جَدَايَةُ شُرَكَ مُغْلَمَاتِ الْحَوَاجِبِ
شُرَكَ: جَمْعُ شِرَاكِ.

والجداية: جداية السرج، على أن المعروف جدية السرج، لا جدابته في أقرب من هذا المعنى أن يريد الجداية من الوحش، وبالشرك الأشرار التي تُنصب لها، ولذلك قال: دَامِيَاتِ الحَوَاجِبِ، وهذا أَصَحُّ في معناه، فقد ذكر أبو عبيد أن الجداية يقال للواحد والجمع والذكر والأنثى من أولاد الظباء، ويبعد أن تكون الجداية جمع جدية، وهي جدية السرج والرحل، وإن كان قد يقال في الجمع فعال وفَعَالَةٌ نحو جَمَالٍ وَجَمَالَةٌ، ولكنه هنا بعيد من طريق المعنى والله أعلم.

ويروى شرك بكسر الشين، وأقرب ما يقال في معنى هذا البيت: أنه أراد الجداية من الوحش، وهي أولاد الظباء ونحوها، وقد ذكر أبو عبيد أنه يقال: جداية للواحد والجمع والذكر والأنثى، فيكون الشرك على هذا في معنى الأشرار التي يُصَادُ بها، وقد قيل: إن شُرَكَ اسمٌ مَوْضِعٍ، والله أعلم، وعَضَلُ قَبِيلَةٌ مِنْ حُزَيْمَةِ غَادِرَةَ، وسيأتي ذكر غَدَرِ عَضَلٍ

(١) القروم: الأسياد.

(٢) النعف: المكان المرتفع.

شعر الحارث في الرد على أبي سُفيان أيضًا:

قال ابن إسحق: وقال الحارث بن هشام يُجيب أبا سُفيان:

جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بَبْدَرٍ كَمِثْلِهِ عَلَى سَابِحٍ ذِي مَنِعَةٍ وَشَبِيبٍ
لَدَى صَخْنٍ بَدْرٍ أَوْ أَقَمْتَ نَوَائِحًا عَلَيْكَ وَلَمْ تَخْفِلْ مُصَابَ حَبِيبٍ
وَإِنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ لَأَبَيْتَ بِقُلُوبٍ مَا بَقِيَتْ نَخِيبٍ

قال ابن هشام: وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سُفيان لأنه ظنَّ أنه عَرَضَ به في قوله:

وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الكلب منهم

لفرار الحارث يوم بدر.

حديث الزبير عن سبب الهزيمة

قال ابن إسحق: ثم أنزل الله نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَصَدَقَهُمْ وَغَدَهُ، فَحَسُّوهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنِ الْعَسْكَرِ، وَكَانَتِ الْعَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا.

قال ابن إسحق: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، أَنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَنِي أَنْظُرُ إِلَى خَدَمِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ وَصَوَاحِبِهَا مَشْمُرَاتِ هَوَارِبٍ، مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِذْ مَالَتِ الرِّمَاءُ إِلَى الْعَسْكَرِ، حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ وَخَلُّوا ظَهْرَنَا لِلْخَيْلِ، فَاتَيْنَا مِنْ خَلْفِنَا، وَصَرَخَ صَارِخٌ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؛ فَانْكَفَأْنَا وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللُّوَاءِ حَتَّى مَا يَذْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ.

قال ابن هشام: الصارخ: أَرَبُ الْعَقْبَةِ، يَعْنِي الشَّيْطَانُ.

وَالْقَارَةُ. وَقَوْلُهُ: مُغْلَمَاتُ الْحَوَاجِبِ، يَعْنِي: بِالْدماءِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ سَوَادَهَا مَا بَيْنَ أَعْيُنِهَا، كَمَا أَشَدَّ سَيُوبُهُ [لِلْأَعْيُنِ]:

وَكَأَنَّهُ لَهَقَّ السَّرَاةَ كَأَنَّهُ مَا حَاجِبِيهِ مُعَيَّنٍ بِسَوَادٍ

الصارخ يوم أحد

فصل: وذكر الصارخ يوم أُحُدٍ بِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَقَوْلُ ابْنِ هِشَامٍ: الصَّارِخُ إِزْبُ الْعَقْبَةِ، هَكَذَا قِيدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِكَسْرِ الهمزة وسكون الزاي، وَذَكَرْنَا فِي بَيْعَةِ

شجاعة صوّاب وشعر حسان في ذلك :

قال ابن إسحق: وحدثني بعض أهل العلم: أن اللّواء لم يزل صريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش، فلاثوا به. وكان اللّواء مع صوّاب، غلام لبني أبي طلحة، حبشي وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قُطعت يده، ثم برك عليه، فأخذ اللّواء بصدره وعنقه حتى قُتل عليه، وهو يقول: اللهم هل أغزرت - يقول: أعذرت - فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فَحَرَّمْ بِاللَّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ	لِوَاءٍ حِينَ رُدَّ إِلَى صُؤَابٍ
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهِ بَعْبِدٍ	وَالْأُمُّ مَنْ يَطَا عَفَرَ التَّرَابِ
ظَنَنْتُمْ، وَالسَّفِيهِ لَهُ ظُنُونُ	وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصُّؤَابِ
بِأَنَّ جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقَيْنَا	بِمَكَّةَ بَيْنَكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ ^(١)
أَقْرَ الْعَيْنِ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ	وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

قال ابن هشام: آخرها بيتا يروى لأبي خراش الهذلي، وأنشد فيه خلف الأحمر:

أَقْرَ الْعَيْنِ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهَا وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

في أبيات له. يعني امرأته. في غير حديث أحد. وتروى الأبيات أيضا لمعقل بن خويلد الهذلي.

العقبه ما قاله ابن ماکولا في أم كُرْز بنت الأَرَب بن عمرو بن بَكِيل، وأنه قال: لَا يُعْرِفُ الأَرَبُ فِي الْعَرَبِ إِلَّا هَذَا، وَأَرَبُ الْعَقْبَةِ، وذكرنا حديث ابن الزبير الذي ذكره القُتَيْبِيُّ إِذْ رَأَى رَجُلًا طَوْلُهُ شَبْرَانِ عَلَى بَرْدَعَةٍ رَحْلِهِ، فَنَفَضَهَا مِنْهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا أَرَبُ، قَالَ: وَمَا أَرَبُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ، فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَبُ مَعَ قَوْلِ يَغْفُوبٍ فِي الْأَلْفَاظِ: الإِزْبُ: الرَّجُلُ الْقَصِيرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ هَلِ الإِزْبُ: وَالْأَرَبُ شَيْطَانٌ وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانِ، وَيُقَالُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي صَرَخَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ جَبَلٌ عَيْنِينَ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَقْرَزْتَ يَوْمَ عَيْنَيْنِ، وَعَيْنَانِ أَيْضًا: بَلَدٌ عِنْدَ الْحِيرَةِ، وَبِهِ عُرِفَ خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ الشَّاعِرُ.

(١) العياب: الثياب ملطخة بالدم.

شعر حسان في عمرة الحارثية:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورَفَعها اللِّواء:

إذا عَضَلَ^(١) سَيْقَتْ إِلَيْنَا كَأَنهَا جَدَايَةٌ شُرَكَ مُغْلَمَاتِ الْحَوَاجِبِ
أَقَمْنَا لَهُمْ طَعْنًا مُبِيرًا مَنَكَّلًا وَحُزْنَاهُمْ بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَلَوْلَا لَوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا يُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْنَ الْجَلَائِبِ
قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له.

ما لقيه الرسول يوم أحد:

قال ابن إسحاق: وانكشف المسلمون، فأصابَ فيهم العدو، وكان يومَ بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ. فذُت بالحجارة حتى وقع لشيقه، فأصيبت رباعيته، وشُج في وجهه، وكُلِّمت شفته، وكان الذي أصابه عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

قال ابن إسحاق: فحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال:

كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢).

حال من رموا النبي:

فصل: وذكر ابن قِمْتَةَ، واسمُه عبدُ الله، وهو الذي قتل مُضْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَجَرَخَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَعُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَخُو سَعْدٍ، هُوَ الَّذِي كَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ - عَلَيْهِ السَّلَام - ثُمَّ لَمْ يُولَدْ مِنْ نَسْلِهِ وَلَدٌ، فَبَلَغَ الْحُلُمَ إِلَّا وَهُوَ أَبْخَرٌ أَوْ أَهْتَمُّ يُعْرِفُ ذَلِكَ فِي عَقِبِهِ.

وممن رماه يومئذ عبدُ الله بن شِهَابٍ جَدُّ شَيْخِ مَالِكٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابٍ، وَقَدْ قِيلَ لِابْنِ شِهَابٍ: أَكَانَ جَدُّكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ شِهَابٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَ: نَعَمْ،

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٢٨).

(١) عضل: رجال دماء.

قال ابن هشام: وذكر رُبَيْح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدْرِي عن أبيه، عن أبي سعيد الخُدْرِي: أن عُتْبَةَ بن أبي وقاص رَمَى رسولَ الله ﷺ يومئذ، فَكَسَرَ رِبَاعِيَتَهُ اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جَبْهَتِهِ، وأن ابن قَمِيَّة جَرَحَ وَجْنَتَهُ فدخلت حَلَقَتَانِ من حَلَقِ المغفر في وَجْنَتِهِ، ووقع رسول الله ﷺ في حُفْرَةٍ من الحُفَرِ التي عمل أبو عامر ليقع فيها المُسلمون، وهم لا يعلمون؛ فأخذ عليّ بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، وَرَفَعَهُ طَلْحَةُ بن عُبيد الله حتى استَوَى قائمًا، ومضَّ مالك بن سِنَان، أبو أبي سعيد الخُدْرِي، الدَّم: عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدردته؛ فقال رسول الله ﷺ: «من مَسَّ دَمِي دَمَهُ لم تُصَبْه النار».

ولكن من ذلك الجانب يعني مع الكُفَّار، وعبدُ الله هذا هو عبدُ الله الأصغر، وأما عبد الله بن شهاب، وهو عبد الله الأكبر، فهو من مُهَاجِرَةِ الحَبَشَةِ، تُؤْفَى بمَكَّة قبل الهجرة، وقد اختلف فيهما أيهما كان المهاجرُ إلى أرض الحبشة، فقليل: الأكبر، وقيل: الأصغر، وكان أحدهما جدَّ الزُهْرِيّ لأبيه، والآخَرُ لأُمِّهِ، وقد أسلم الذي شَهِدَ أَحَدًا مع الكُفَّار، وَجَرَحَ رسولُ الله - ﷺ - فالله ينفعه بإسلامه.

أسماء أجزاء الليل:

وذكر مالك بن سِنَان والدَ أبي سعيد الخُدْرِي مِن بَنِي خُدْرَةَ، وهو الحَارِثُ بن الخَزْرَج، والخُدْرَةُ في اللغة: نحو من خُمُسِ اللَّيْلِ، وبعده اليعفور، وهو خُمُسُ آخر من الليل، وبعده الجَهْمَةُ والسُدُقَةُ، والذي قبل الخُدْرَةَ يقال له: الهَزِيعُ، كل هذا من كتاب كُرَاع.

عن الدم والبول:

وذكر أن ابن مالك سِنَان مَضَى دَمَ رسول الله - ﷺ - وازدردته، وقد فعل مثل ذلك ابنُ الزُّبَيْرِ، وهو غُلَامٌ خَزَوْرٌ حين أعطاه رسولُ الله - ﷺ - دَمَ مَحَاجِمِهِ لِيَذْفِنَهُ فَمَشَرَبَهُ، فقال له النبي ﷺ - كما قال لمالك حين ازدردَ دَمَ جُرْجِه: «مَنْ مَسَّ دَمِي دَمِي، لم تُصَبْه النَّارُ»^(١). لكنه قال لابن الزُّبَيْرِ: وَيَلْ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ. ذكره الدَّارَقُطْنِي في السَّنَنِ، وفي هذا من الفِقْهِ أن دَمَ رسولِ الله - ﷺ - يخالف دَمَ غَيْرِهِ في التَّحْرِيمِ وكذلك بَوْلُهُ قد شَرِبْتَهُ أَمْ أَيْمَنْ حين وجدته في إناء من عِيدَانٍ تحت سَرِيرِهِ، فلم يُنْكِرْ ذلك عليها، وذلك والله أعلم للمعنى الذي بَيَّنَّاهُ في حديث نزول المَلَكَيْنِ عليه حين غَسَلَ جَوْفَهُ بِالثَّلْجِ في

(١) أخرجه ابن عساکر في تهذيبه (١١٢/٦).

قال ابن هشام: وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي: أن النبي ﷺ قال: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»^(١).

وذكر، يعني عبد العزيز الدراوردي، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة، عن أبي بكر الصديق: أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الخلفتين من وجه رسول الله ﷺ، فسقطت ثنيته، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيته الأخرى، فكان ساقط الثنيتين.

شعر حسان في عتبة وما أصاب به الرسول:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص:

إذا الله جازى معشراً بفعالهم وضرمهم الرحمن رب المشارق
فأخزأك ربي يا عتيب بن مالك ولقأك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يميناً للئبي تعمداً فأذميت فاه، قُطعت بالبوارق
فهلاً ذكرت الله والمَنْزِل الذي نصير إليه عند إحدى البوائق

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

ابن السكن وبلاؤه يوم أحد:

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ، حين غشيه القوم: «من رجل يشري لنا نفسه؟ كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو، قال: فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار - وبعض الناس يقول: إنما هو عُمارة بن يزيد بن السكن - فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً ثم رجلاً، يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين، فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: «أذنوه مني»، فأذنوه منه، فوسده قدمه، فمات وخذه على قدم رسول الله ﷺ.

طسب الذهب، فصار بذلك من المتطهرين، وبيئاً أيضاً هنالك أنه من المتطهرين كأمنه لتطهره من الأحداث، والحمد لله، إلا أن أبا عمر التَّمَرِي ذكر في الاستيعاب أن رجلاً من الصحابة اسمه: سَالِم حَجَم رسول الله - ﷺ - ثم ازدرد دمه، فقال له رسول الله ﷺ: «أما علمت أن

(١) أخرجه الطبراني (٧٦/١) وابن أبي عاصم (٦١٤/٢) وابن عساكر (٨/٧).

حديث أم سعد عن نصيبها في الجهاد يوم أحد:

قال ابن هشام: وقاتلت أم عُمارة، نُسبية بنت كعب المازنية يوم أحد.

فذكر سَعِيد بن أَبِي زَيْد الأنصاري: أن أم سعد بنت سَعْد بن الرَّبِيع كانت تقول: دخلتُ على أم عُمارة، فقلت لها: يا خالة، أخبريني خَبْرَكَ، فقالت: خرجتُ أوّل النهار وأنا أنظرُ ما يَضُنُّع الناس، ومعِي سِقَاء فيه ماء، فانتَهيتُ إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه، والدولة والريح للمُسلمين. فلما انهزم المُسلمون، انحزتُ إلى رسول الله ﷺ، ففُتِمْتُ بأبْشَرِ القِتال، وأدبَ عنه بالسَّيف، وأزْمِي عن القَوْس، حتى خَلَصْتُ الجِراحَ إليّ. قالت: فرأيتُ على عاتقها جُرْحًا أَجْوَفَ له عَوْر، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قَمِيَّة، أقماه الله! لما وَلَّى الناسُ عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دَلُونِي على مُحَمَّد، فلا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا، فاعترضتُ له أنا ومُضْعَبُ بن عَمِير، وأناسٌ مِمَّنْ ثَبَّتَ مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه دِزْعان.

أبو دجانة وابن أبي وقاص يدفعان عن الرسول:

قال ابن إسحاق: وترس دون رسول الله ﷺ أبو دُجَانَة بنفسه، يقع النبلُ في ظهره، وهو مُنْحَنٍ عليه، حتى كُثِرَ فيه النبلُ. ورمى سعدُ بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيته يُناولني النبل وهو يقول: ارم، فذاك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل. فيقول: ارم به.

بلاء قتادة وحديث عينه:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قَوْسه حتى اندقت سبيتها، فأخذها قَتَادَةُ بن النُّعْمَانِ، فكانت عنده، وأصيب يومئذ عينُ قَتَادَةَ بن النُّعْمَانِ، حتى وقعت على وَجْته.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادَةَ: أن رسول الله ﷺ ردها بيده، فكانت أحسنَ عَينيه وأحدهما.

الدَّم كُلُّهُ حَرَامٌ؟ غير أنه حديث لا يُعْرَفُ له إِسْنَادٌ والله أعلم وحديث ابن الزُبَيْر الذي تقدم ذكره روي الزُبَيْر بن أَبِي بَكْرٍ ما يَشُدُّهُ وَيُتَمِّمُ معناه. قال في حديث أسنده: لما وُلِدَ عبدُ الله بن الزُبَيْرِ نظر إليه رسولُ الله ﷺ، فقال: هو هو، فلما سمعت بذلك أسماءُ أمُّه،

شأن أنس بن النضر:

قال ابن إسحاق: وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار، قال: انتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يُجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله ﷺ، قال: فماذا تُصنعون بالحياة بعده؟ (قوموا) فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قُتل، وبه سمي أنس بن مالك.

قال ابن إسحاق: فحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته بيناته.

ما أصاب ابن عوف من الجراحات:

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم: أن عبد الرحمن بن عوف أصيب قوه يومئذ فهُتَم، وجرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رجله فعرَج.

أول من عرف الرسول بعد الهزيمة:

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قُتل رسول الله ﷺ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزهري كعبُ بن مالك، قال: عرفت عينيه تزهرا من تحت المغفر، فتأديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إلي رسول الله ﷺ: «أَنْ أَنْصِتَ».

قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين.

أمسكت عن إرضاعه، فقال لها - عليه السلام: أَرْضِعِيهِ، ولو بماء عينيك، كَبَشُ بَيْنِ ذُنَابٍ، وَذُنَابٌ عَلَيْهَا ثِيَابٌ لَيَمْنَعَنَّ الْبَيْتَ، أَوْ لَيَقْتُلَنَّ دُونَهُ^(١).

(١) انظر جامع المسانيد (٢/٨٠٩).

قتل الرسول لأبي بن خلف

(قال): فلما أُسِنِدَ رسولُ الله ﷺ في الشَّعْبِ أدركه أُبَيُّ بْنُ خَلْفٍ وهو يقول: أيُّ محمد، لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتُ، فقال القوم: يا رسول الله، أَيْغِطِفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ»؛ فلَمَّا دَنَا، تناول رسولُ الله ﷺ الحَزْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ يقول بعضُ القوم، فيما ذُكِرَ لي: فلَمَّا أَخَذَهَا رسولُ الله ﷺ مِنْهُ انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً، تَطَايَرْنَا عَنْهُ، تَطَايَرَ الشَّعْرَاءُ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ بِهَا - قال ابن هشام: الشعراء: ذباب له لدغ - ثم استقبله فطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَادَا مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مَرَارًا.

قتل الرسول لأبي بن خلف^(١)

فصل: وذكر قتلَ رسولِ الله ﷺ لأُبَيِّ، وفيه: تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايَرَ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ. الشَّعْرَاءُ: ذُبَابٌ صَغِيرٌ لَهُ لَدَغٌ، تقول العَرَبُ في أمثالها: قِيلَ لِلذُّبِّ: مَا تقول في عُثَيْمَةٍ تَحْرُسُهَا جُوزِيرَةٌ؟ قال: شُحَيْمَةٌ فِي حَلْقِي، قيل: فما تقول في عُثَيْمَةٍ يحسرها عُثَيْمٌ؟ قال: شَعْرَاءُ فِي إِنْطِي أَخْشَى خَطَوَاتِهِ الْخَطَوَاتِ: سِهَامٌ مِنْ قُضْبَانٍ لَيْتَنِي يَتَعَلَّمُ بِهَا الْغُلَّامَانِ الرَّمْيَ وهي الْجُمَاخُ أيضًا قال الشاعر:

أَصَابَتْ حَبَّةَ الْقَلْبِ بِسَهْمٍ غَيْرِ جُمَاخٍ

من كتابِ أبي حَنِيفَةَ، ورواه الْقُتَيْبِيُّ: تَطَايَرَ الشَّعْرَاءُ، وقال: هي جَمْعُ شَعْرَاءَ، وهي ذُبَابٌ أَضْعَفُ مِنَ الْقَمْعِ^(٢)، وفي الحديث من غير رواية ابنِ إِسْحَاقٍ فَزَجَلَهُ بِالْحَزْبَةِ، أَي رَمَاهُ بِهَا.

(١) انظر الخبر في البداية (٣٣/٤) والطبري في تاريخه (٦٧/٢) ط. دار الكتب العلمية. وكلاهما مرسل.

(٢) القمع: جمع قمعة. ضرب من الذباب الصغير.

قال ابن هشام: تَدَادَا، يَقُول: تَقَلَّبَ عَنْ فَرَسِهِ، فَجَعَلَ يَتَدَخَّرُ.

قال ابن اسحق: وكان أَبِي بن خلف، كما حَدَّثَنِي صَالِحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فيقول: يا محمد إن عِنْدِي الْعَوْدَ، فَرَسًا أَغْلَفَهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذَرَّةٍ، أَقْتُلَكَ عَلَيْهِ؛ فيقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». فلما رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ وَقَدْ خَدَشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدَشًا غَيْرَ كَبِيرٍ، فَاخْتَقَنَ الدَّمَ، فَقَالَ: قَتَلَنِي وَاللَّهِ مُحَمَّدًا! قَالُوا لَهُ: ذَهَبَ وَاللَّهُ فَوَادِك! وَاللَّهُ إِنْ بِكَ مِنْ بَأْسٍ؛ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لِي بِمَكَّةَ: أَنَا أَقْتُلُكَ، فَوَاللَّهِ لَوْ بَصُقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي. فَمَاتَ عَدُوُّ اللَّهِ بِسَرَفٍ وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ.

شعر حسان في مقتل أَبِي بن خلف:

قال ابن إسحق: فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ	أَبِي يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِيلَ رِمِّ عَظَمٍ ^(١)	وَتَوَعِيدَهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو النَّجَارِ مِنْكُمْ	أُمِّيَّةً إِذْ يَغَوُّتُ: يَا عَقِيلُ
وَتَبَّ ابْنَا رَبِيعَةَ إِذْ أَطَاعَا	أَبَا جَهْلٍ، لِأُمُهِمَا الْهَبُولُ ^(٢)
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شَغَلْنَا	بِأَسْرِ الْقَوْمِ، أَسْرَتَهُ فَلِيلُ

قال ابن هشام: أَسْرَتَهُ: قَبِيلَتَهُ.

وقال حسان بن ثابت أيضًا في ذلك:

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي أَبِيًّا	لَقَدْ أَلْقَيْتَ فِي سُحْقِ السَّعِيرِ
تَمْنَى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ	وَتُقْسِمُ إِنْ قَدَرْتَ مَعَ الثُّدُورِ
تَمْنَى الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ	وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لَاقَيْتُكَ طَعْنَةً ذِي حِفَاطٍ	كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَخْيَاءِ طُرًّا ^(٣)	إِذَا نَابَتْ مُلِمَّاتُ الْأُمُورِ

(٢) الهبول: الثكلى.

(١) رِمِّ عظم: أي عظم بالي.

(٣) طُرًّا: جمعًا.

انتهاء الرسول إلى الشعب:

(قال): فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فَمِ الشَّعْبَ خَرَجَ عَلَيَّ بن أبي طالب، حتى ملأ دوقته ماءً من المِهْرَاسِ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فَوَجَدَهُ له رِيحًا، فعافه، فلم يَشْرَبْ منه، وغسل عن وَجْهِهِ الدَّم، وصَبَّ على رأسه وهو يقول: اشتدَّ غَضَبُ اللَّهِ على من دَمَى وجه نبيه^(١).

حرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة:

قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن كيسان عَمَّنْ حَدَّثَهُ^(٢) عن سَعْدِ بن أبي وقاص أنه كان يقول: والله ما حَرَصْتُ على قَتْلِ رجل قط كحِرْصِي على قَتْلِ عُتْبَةَ بن أبي وقاص، وإن كان ما علمتُ لَسَيِّءِ الخلق مَبْعُضًا في قومه، ولقد كَفَانِي منه قولُ رسول الله ﷺ: «اشتدَّ غَضَبُ اللَّهِ على من دَمَى وجه رسوله».

حول عين قتادة:

وذكر قَتَادَةُ بن الثُّعْمَانِ بن زَيْدٍ، وهو أخو أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ لأمه، وهو الرَّجُلُ الذي سَمِعَهُ رسولُ الله ﷺ - يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدِّدُهَا، فقال: وَجِبْتُ، وحديثه في المَوْطَأِ، وذكر أن عَيْنَهُ أُصِيبَتْ يوم أُحُدٍ. رُوي عن جَابِرِ بن عبد الله، قال: أُصِيبَتْ عَيْنُ رَجُلٍ مِنَّا يوم أُحُدٍ، وهو قَتَادَةُ بن الثُّعْمَانِ، حتى وقعت على وَجْهِهِ، فأتينا به رسول الله ﷺ - فقال: إن لي امرأَةً أُحِبُّهَا، وأخشى إن رَأَيْتَنِي أَنْ تَقْدَرَنِي، فأخذها رسولُ الله ﷺ - بيده وَرَدَّهَا إلى مَوْضِعِهَا، وقال: «اللَّهُمَّ اكْشِبْهُ جَمَالَ»، فكانت أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ، وأَحَدُهُمَا نَظْرًا، وكانت لا تَزِمُدُ إِذَا رَمَدَتْ الأخرى^(٣)، وقد وَقَدَ على عُمَرَ بن عَبْدِ العَزِيزِ - رحمه الله - رجلٌ من ذُرِّيَّتِهِ، فسأله عُمَرُ من أنت؟ فقال:

أنا ابنُ الذي سالت على الخَدَّ عَيْنُهُ فَرُدَّتْ بِكَفِّ المُضْطَفَى أَيَّمَا رَدٍّ
فعادت كما كانت لأوَّلِ أمرها فَيَا حُسْنَ مَا عَيْنِي وَيَا حُسْنَ مَا خَدِّي
فقال عُمَرُ بِنُ عَبْدِ العَزِيزِ رضي الله عنه:

تلك المكارِمُ لا قَعْبَانِ^(٤) من لَبَنِ شَيْبًا بِمَاءٍ قَعَادًا بَغْدُ أَبْوَالًا

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٦٧/٢) وابن حبان (٢٢١٢) والبيهقي في الدلائل (٢٦٥/٣) والطبراني (٣٦٦/١) وأحمد (٢٨٨/١).

(٢) مجهول.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٥٢/٣).

(٤) قعبان: القعب القدح الضخم.

صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم:

قال ابن إسحاق: فبينما رسول الله ﷺ بالشعب، معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علّت عاليةً من قريش الجبل.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالد بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا!»^(١) فقاتل عمر بن الخطاب ورهطاً معه من المهاجرين حتى أقبطوهم من الجبل.

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له:

قال ابن إسحاق: ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بَدَنُ^(٢) رسول الله ﷺ، وظاهر بين دِرْعَيْنِ، فلما ذهب لينهض ﷺ لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به، حتى استوى عليها. فقال رسول الله ﷺ، كما حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يومئذ يقول: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع»^(٣).

قال ابن هشام: وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب.

صلاة الرسول قاعداً:

قال ابن هشام: وذكر عمر مولى عُفْرَةَ: أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

فَوَصَلَهُ عُمَرُ، وأحسن جائزته، وقد رُوِيَ أَنَّ عَيْنَيْهِ جَمِيعًا سَقَطَتَا، فَرَدَّهُمَا النَّبِيُّ - ﷺ - . رواه محمد بن أبي عثمان [أبو مَرْوَانَ الْأَمْوِيُّ] عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَفْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَخِيهِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ: أَصَابَتْ عَيْنَايَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَسَقَطَتَا عَلَى وَجْهَتِي، فَأَتَيْتُ بِهِمَا النَّبِيَّ - ﷺ - . فَأَعَادَهُمَا النَّبِيُّ - ﷺ - . مَكَانَهُمَا، وَبَصَقَ فِيهِمَا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٠/٤) والبيهقي في الدلائل (٢٣٨/٣).

(٢) بَدَنٌ: أي كبر سنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٣٨) وأحمد (١٦٥/١) والحاكم (٢٥/٣) والبيهقي في الدلائل (٢٣٨/٣) وابن حبان (٢٢/٢ - موارد) وابن سعد (١٥٥/١/٣) وابن أبي عاصم (٦١٢/٢).

مقتل اليمان وابن وقش :

قال ابن إسحاق: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المُنْقَى، دون الأغوص.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، رَفَعَ حُسَيْلُ بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شَيْخَانُ كَبِيرَانِ: لا أَبَالُكَ، ما تَنْتَظِرُ؟ فوالله لا بَقِيَ لَوَاحِدٌ مِّنَّا من عمره إلا ظَمءُ حِمَارٍ، إنما نحن هَامَةٌ اليوم أو غَدٍ، أفلا نأخذ أسيافنا، ثم نُلْحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لعلَّ الله يرزقنا شهادةً مع رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فأخذَا أسيافهما ثم خَرَجَا، حتى دخلا في الناس، ولم يُعْلَمَ بهما، فأَمَّا ثابت بن وقش فقتله المُشْرِكُونَ، وأما حُسَيْلُ بن جابر فاختلعت عليه أسيافُ المُسلمين،

فعادتا تَبْرَقَانِ. قال الدَّارِقُطْنِي: هذا الحديثُ غَرِيبٌ عن مالك، تفرد به عَمَّارُ بن نَضْرٍ، وهو ثِقَّةٌ ورواه الدَّارِقُطْنِي عن إبراهيم الحزبي عن عَمَّار بن نَضْرٍ [السَّعْدِي أَبُو يَاسِرِ المَرْزُوبِي].

حول نسب حذيفة اليماني:

فصل: وذكر ثابت بن وقش، والوقش: الحركة، وحُسَيْلُ بن جابر والد حذيفة بن اليمان، وسُمِّيَ حُسَيْلُ بن جابر اليماني، لأنه من ولد جِرْزَوَةَ بن مازن بن قُطَيْعَةَ بن عَبْسٍ [ابن بغيض] وكان جِرْزَوَةُ قد بَعُدَ عن أهله في اليمَنِ زَمَنًا طويلاً، ثم رجع إليهم فسموه اليماني، وحذيفة بن اليمان يُكْنَى أبا عَبْدِ اللَّهِ حليف بني عبد الأشهل أمُّهُ الرِّبَابُ بنتُ كَعْبٍ. قال ابن إسحاق: فَاخْتَلَفَتْ عليه: يَغْنِي اليماني أسيافُ المُسلمين. وفي تفسير ابن عباس: إن الذي قتله منهم خطأ هو عُتْبَةُ بن مَسْعُودٍ أخو عبد الله بن مَسْعُودٍ، وَجَدُ عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عُتْبَةَ بن مَسْعُودٍ الفقيه، ذكره عَبْدُ بن حميد في التفسير، وعُتْبَةُ هو أَوَّلُ من سَمِيَ الْمُضَحَّفِ مُضَحَّفًا، فيما رَوَى ابْنُ وَهْبٍ في الجامع.

الهامة والظمة:

وقول ثابت بن وقش وحُسَيْلُ: إنما نحن هَامَةٌ اليوم أو غَدٍ، يريد: الموت، وكان من مذهب العرب في الميت أن رُوحَه تصير هَامَةً، ولذلك قال الآخر:

وكيف حَيَاءُ أَضْدَاءِ وَهَامٍ

وقوله: لم يَبْقَ من عُمرِنَا إلا ظَمءُ حِمَارٍ. إنما قال ذلك، لأن الحمار أَقْصَرُ الدَّوَابِّ ظِمْنًا، والإبل أطولها أَظْمَاءً.

فَقَتَلُوهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ، فَقَالَ حُذِيفَةُ: أَبِي، فَقَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّ عَرَفْنَاهُ، وَصَدَقُوا. قَالَ حُذِيفَةُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدِيَهُ؛ فَتَصَدَّقَ حُذِيفَةُ بِدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ فَزَادَهُ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا.

مقتل حاطب ومقالة أبيه:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع، وكان له ابن يقال له: يزيد بن حاطب، أصابته جراحة يوم أحد، فَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى دَارِ قَوْمِهِ وَهُوَ بِالْمَوْتِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الدَّارِ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ لَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: أَبْشُرْ يَا ابْنَ حَاطِبٍ بِالْجَنَّةِ؛ قَالَ: وَكَانَ حَاطِبٌ شَيْخًا قَدْ عَسَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَجَنَّمَ يَوْمئِذٍ نَفَاقَهُ، فَقَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَبْشُرُونَهُ؟ بِجَنَّةٍ مِنْ حَزْمٍ! غَرَرْتُمْ وَاللَّهِ هَذَا الْغَلَامُ مِنْ نَفْسِهِ.

مقتل قزمان منافقًا كما حدث الرسول بذلك:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: كان فينا رجلٌ أُتِيَ لَا يُدْرَى مِمَّنْ هُوَ، يُقَالُ لَهُ: قُزْمَانٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، إِذَا ذُكِرَ لَهُ: إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ وَحْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَا بَأْسٍ، فَأَتَيْتُهُ الْجِرَاحَةَ، فَاحْتَمَلَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ يَا قُزْمَانُ، فَأَبْشُرْ، قَالَ: بِمَاذَا أَبْشُرُ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ قَاتَلْتُ إِلَّا عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَاتَلْتُ. قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَقَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ.

حول بعض رجال أحد:

وذكر قُزْمَانٌ، وَهُوَ اسْمٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقَرْمِ، وَهُوَ رُذَالُ الْمَالِ، وَيُقَالُ: الْقُزْمَانُ: الرَّدِيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وذكر الْأَصْبِرِمَ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ وَفَش، وَيُقَالُ فِيهِ: وَفَشٌ بِتَحْرِيكِ الْقَافِ.

وقول حاطب الْمُنَافِقِ: الْجَنَّةُ مِنْ حَزْمٍ، يَرِيدُ الْأَرْضَ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا، وَكَانَتْ تُنَبِّئُ الْحَزْمَ^(١) أَي: لَيْسَ لَهُ جَنَّةٌ إِلَّا ذَاكَ.

(١) الحرمل: ضرب من النبات.

قتل مخيريق:

قال ابن إسحاق: وكان ممن قُتل يوم أحد مُخَيْرِيق، وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطْيُون، قال: لما كان يوم أحد، قال: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لَحَقٌّ، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سَبْتُ لكم.

فأخذ سيفه وعُدته، وقال: إن أَصِبتُ فَمَالِي لِمُحَمَّدٍ يَضَعُ فِيهِ مَا شَاءَ، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قُتل؛ فقال رسولُ الله ﷺ - فيما بلغنا -: «مُخَيْرِيقُ خَيْرِ يَهُودٍ».

أمر الحارث بن سويد:

قال ابن إسحاق: وكان الحارث بن سويد بن صامت مُنافِقًا، فخرج يوم أحد مع المسلمين، فلما التقى الناس، عدا على المُجَذَّر بن ذِياد البَلَوِي، وقَيْس بن زيد، أحد بني ضُبَيْعة، فقتلها، ثم لَحِقَ بِمَكَّةَ بِقُرَيْشٍ؛ وكان رسولُ الله ﷺ - فيما يذكرون - قد أمر عُمَرُ بن الخطَّاب بِقَتْلِهِ إِنْ هُوَ ظَفَرَ بِهِ، ففاته، فكان بِمَكَّةَ؛ ثم بَعَثَ إِلَى أَخِيهِ الْجَلَّاس بن سويد يطلب التوبة، ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني؛ عن ابن عباس: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١) إلى آخر القصة.

تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذّر:

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ^(٢): أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدٍ قَتَلَ الْمُجَذَّرَ بْنَ ذِيادٍ، وَلَمْ يَقْتُلْ قَيْسَ بْنَ زَيْدٍ، وَالِدَ لَيْلَى عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي قَتْلَى أَحَدٍ؛ وَإِنَّمَا قَتَلَ الْمُجَذَّرَ لِأَنَّ الْمُجَذَّرَ بْنَ ذِيادٍ كَانَ قَتَلَ أَبَاهُ سُوَيْدًا فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِيمَا مَضَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ خَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ مِنْ بَعْضِ حَوَاطِئِ الْمَدِينَةِ، وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُضْرَّجَانِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَيُقَالُ: بَعْضُ الْأَنْصَارِ.

(١) سورة آل عمران آية رقم (٨٦). (٢) مجهول.

قال ابن إسحق: قتل سويد بن الصّامت معاذ ابن عفراء غيلةً، في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعث.

أمر أصيرم:

قال ابن إسحق: وحَدَّثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن معاذ عن أبي سُفيان، مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هُريرة قال: كان يقول: حَدَّثوني عن رجل دَخَلَ الجنةَ لم يُصَلِّ قطُّ، فإذا لم يعرفه النَّاسُ سألوهُ: من هو؟ فيقول: أَصِيرم، بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وَقْش. قال الحُصَيْن: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأنُ الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلامَ على قومه. فلَمَّا كان يومَ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى أحد، بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل في عُرْضِ النَّاسِ، فقاتل حتى أثْبَتَتْهُ الجراحة. قال: فبينما رجالٌ من بني عبد الأشهل يَلْتَمِسُونَ قَتْلَهُم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمُتَّكَر لهذا الحديث، فسألوهُ ما جاء به، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أَحَدَبٌ على قومك أم رَغْبَةٌ في الإسلام؟ قال: بل رَغْبَةٌ في الإسلام، آمَنتُ بالله وبرسوله وأسلمتُ، ثم أخذت سيفي، فغَدَوْتُ مع رسول الله ﷺ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «إنه لمن أهل الجنة».

مقتل عمرو بن الجموح

قال ابن إسحق: وحَدَّثني أبي إسحقُ بن يَسار، عن أشياخ من بني سلمة: أن عمرو بن الجَمُوح كان رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بَنُونَ أربعة مثل الأسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حَبْسَهُ، وقالوا له: إن الله

ابن الجموح

فصل: وذكر خبر عمرو بن الجَمُوح حين أراد بنوه أن يمنعوهُ من الخروج إلى آخر القصة، وزاد غيرُ ابن إسحق أنه لما خَرَجَ قال: اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنِي، فاستشهد، فجعلوه بَنُوهُ على بَعير، ليحملوه إلى المدينة، فاستَضَعَبَ عليهم البعيرُ، فكان إذا وَجَّهوه إلى كُلِّ جهةٍ سارع إلا جهةَ المدينة، فكان يأبى الرجوعَ إليها، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله: اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنِي إليها، فدفنوه في مَضْرَعِهِ^(١).

(١) لا صحة لقصة البعير.

عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ عَذَّرَكَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنْ بَنِي يَرِيدُونَ أَنْ يَخْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالْخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بَعْرُجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَّرَكَ اللَّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ، وَقَالَ لِبْنِيهِ: مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ».

هند وتمثيلها بحمزة:

قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة، كما حدثني صالح بن كيسان، والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجذعن الأذان والأثف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأثفهم خدماً وقلائد، وأعطت خدماً وقلائدها وقرطتها وخشياً، غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة، فلاكتها، فلم تستطع أن تُسيغها، فللقطتها، ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيْنَاكم بيوم بذر	والحزب بعد الحزب ذات سُغر
ما كان عن عُتْبة لي من صبر	ولا أخي وعمه وبكري
شَفِيْتُ نفسي وقَضِيْتُ نذري	شَفِيْتُ وخشيَّ عليل صدري
فشُكِرَ وخشيَّ عليَّ عُمرِي	حتى تَرَمَّ أعظمي في قُبْري

شعر هند بنت أثاثة في الرد على هند بنت عتبة:

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبَّاد بن المُطَلِّب، فقالت:

حَزِيَّتْ في بدر وبعد بذر	يا بنتَ وقَّاعٍ عظيم الكُفر
صَبَّحَكَ اللهُ غداة الفجر	ملها شِمْيَيْن الطَّوَالِ الزُّهْر

حكم (من) والساكن بعدها:

فصل: وقول هند بنت أثاثة:

مِلْ هَاشِمِيَيْنِ الطَّوَالِ الزُّهْرِ

يَحْذِفُ التَّوْنُ مِنْ حَرْفٍ مِنْ لَاتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنْ وَخَذَهَا لَكْثَرَةً اسْتَعْمَالَهَا، كَمَا خُصِّتْ تُونَهَا بِالْفَتْحِ إِذَا التَّقْتُ مَعَ لَامِ التَّعْرِيفِ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي تَوْنٍ سَاكِنَةٍ غَيْرِهَا، كَرَهُوا تَوَالِيَّ الْكَسْرَتَيْنِ مَعَ تَوَالِيِ الاسْتِعْمَالِ، فَإِنَّ التَّقْتُ مَعَ سَاكِنٍ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ نَحْوُ مِنْ آيْنِكَ، وَمِنْ اسْمِكَ، كَسَرَتْ عَلَى الْأَصْلِ، وَالْقِيَاسُ الْمُسْتَبَبُّ. قَالَ سَيِّوْنَةُ: وَقَدْ فَتَحَهَا قَوْمٌ فَصَحَاءُ يَعْنِي مَعَ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ.

بِكَلِّ قُطَاعِ حُسَامٍ يَفْرِي حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٍّ صَقْرِي
إِذَا رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرِي فَخَضْبًا مِنْهُ ضَوَاحِي الثَّخَرِ
وَنَذْرُكَ السُّوءِ فَشَرَّ نَذْرِ

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها.

شعر لهند بنت عتبة أيضًا:

قال ابن إسحق: وقالت هند بنت عتبة أيضًا:

شَفِيتُ مِنْ حَمْزَةِ نَفْسِي بِأَحَدٍ حَتَّى بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الْكَيْدِ
أَذْهَبَ عَنِّي ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدُ مِنْ لَذَّةِ الْحُزَنِ الشَّدِيدِ الْمُعْتَمِدِ
وَالْحَرْبِ تَغْلُوكُمْ بِشُؤْبِوبٍ بَرِدٍ تُقَدِّمُ إِقْدَامًا عَلَيْكُمْ كَالْأَسَدِ

تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة:

قال ابن إسحق: فحدثني صالح بن كيسان أنه حدث: أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت: يا ابن الفُرَيْعة - قال ابن هشام: الفُرَيْعة بنت خالد بن خنيس، ويقال: خنيس: بن حارثة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لو سمعت ما تقول هند، وأريت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسان: والله إني لأنظر إلى الحزبة تهوي وأنا على رأس فارع - يعني أطمه - فقلت: والله إن هذه لسلّاح ما هي بسلّاح العرب، وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ولا أذري، لكن أسمعني بعض قولها أكفكموها؛ قال: فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت؛ فقال حسان بن ثابت:

أَشِرَّتْ لَكَاعٍ وَكَانَ عَادَتُهَا لَوْ مَا إِذَا أَشَرْتُ مَعَ الْكُفَرِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له تركناها، وأبياتًا أيضًا له على الدال. وأبياتًا آخر على الذال، لأنه أقذع فيها.

لكاع ولكع:

وقول حسان في هِنْدٍ: أَشِرَّتْ لَكَاعٍ، جعله اسمًا لها في غير النداء، وذلك جائز، وإن كان في النداء أكثر، نحو يا عَدَارِ وَيَا فَسَاقِ، وكذلك لُكْعُ، قد استعمل في غير النداء، نحو

استنكار الحليس على أبي سفيان تمثيله بحمزة:

قال ابن إسحق: وقد كان الحليس بن زُبَّان، أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأبيش، قد مرّ بأبي سفيان، وهو يضرب في شذق حمزة بن عبد المطلب بزُج الرمح ويقول: ذُقْ عَقَقْ؛ فقال الحليس: يا بني كِنَانَة، هذا سيد قُريش يصنع بابن عمه ما ترون لحماً؟ فقال: ويحك!! اكْتُمها عني، فإنها كانت زَلَّةً.

شماتة أبي سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر:

ثم إن أبا سفيان بن حَرْب، حين أراد الانصراف، أشرف على الجبل، ثم صرَّخ بأعلى صوته فقال: أَنْعَمْتَ فعَال، وإن الحرب سجال يوم بيوم، أغلِ هُبْل، أي أظهر دينك، فقال رسول الله ﷺ: قُمْ يا عمر فأجبه، فقل: الله أعلى وأجل، لا سَوَاء، قَتَلْنَا في الجنة، وقَتَلَاكم في النَّار. فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هَلُمَّ إليّ يا عمر، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «اتته فانظر ما شأته؛ فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أَقَتَلْنَا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قَمِيَّة وأبرُّ؛ لقول ابن قَمِيَّة لهم: إني قد قتلت محمداً.

قال ابن هشام: واسم ابن قَمِيَّة عبد الله.

قوله عليه السلام: «أَيْنَ لُكْعٌ»^(١) يعني: الحَسَن أو الحُسَيْن مُمَارِحًا لَهُمَا. فإن قيل: إن النبي - ﷺ - كان يَمْزَحُ، ولا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا، فكيف يقول: أَيْنَ لُكْعٌ وقد سمَّاه سَيِّدًا في حديث آخر؟ فالجواب: أنه أراد التشبيه باللُكْع الذي هو الفَلَوُّ أو المَهْرُ لأنه طفل كما أن الفَلَوُّ والمَهْر كذلك، وإذا قُصِدَ بالكلام قُصْدُ التشبيه، لم يكن كَذِبًا، ونحوه قوله عليه السلام: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا لُكْعُ بْنُ لُكْعٍ»^(٢)، واللُكْعُ في اللغة: وَسَخُ الغُرْلَةِ، وهو أيضًا الفَلَوُّ الصَّغِيرُ، فمن أجل هذا جاز أن يُسْتَعْمَلَ في غير النَّدَاءِ، لأنه على هذا الوجه غيرُ مَعْدُولٍ كما عُدِلَ خُبْتُ عَنْ حَبِيبٍ، وَفُسِّقَ عَنْ فَاسِقٍ، وقال ابن الأَثْبَارِيِّ في الزَّاهِر: اشتقاقه من المَلَاكِعِ، وهو ما يخرج مع المولود من ماء الرِّجَمِ ودُمِهَا، وأنشد:

رَمَتِ الْفَلَاةُ بِمَغْجَلٍ مُتَسَرِّبِلٍ غَرَسَ السَّلَى وَمَلَاكِعَ الْأَمْشَاجِ

(١) أخرجه البخاري (٢٠٥/٧) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٢) وأحمد (٥٣٢/٢) والبخاري في الأدب (١١٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٠٩) وأحمد (٣٨٩/٥) والبخاري في تاريخه (٩٦/٧).

تَوْعُدُ أَبِي سُفْيَانَ الْمُسْلِمِينَ :

قال ابن إسحاق: ثم نادى أبو سُفْيَان: إنه قد كان في قَتْلَاكُمْ مثل، والله ما رَضِيتُ، وما سَخِطْتُ، وما نَهَيْتُ، وما أَمَرْتُ.

ولما انصرف أبو سُفْيَان ومن معه، نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قُلْ: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

خروج علي في آثار المشركين :

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جئوا الخيل، وامتنطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم. قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون؛ فجئوا الخيل، وامتنطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة.

قال: ويُقال في الواحد يا لُكْعُ، وفي الاثنين يا ذَوِي لَكَيْعَةٍ، وَلَكَاعَةٍ، ولا تُضَرَفُ لَكَيْعَةٍ، ولكن تُضَرَفُ لَكَاعَةٍ لأنه مُضَدَّرٌ وفي الجميع، يا ذَوِي لَكَيْعَةٍ وَلَكَاعَةٍ وفي المؤنث على هذا القياس.

قال المؤلف: ولا يقال: يا لَكَاعَانِ، ولا فَسَقَانِ، لِسِرِّ شرحناه في غير هذا الكتاب. وتلخيص معناه: أن العَرَبَ قَصَدَتْ بهذا اللَّيْلِ من النَّدَاءِ قَصْدَ الْعَلَمِ، لأن الاسمَ الْعَلَمَ أَلَزَمَ لِلْمُسَمَّى من الوَصْفِ الْمُشْتَقِّ من الفعل نحو فَاسِقٌ وَغَادِرٌ، كما قالوا: عُمَرُ، وعدلوا عن عَامِرِ الذي هو وصف في الأصلِ تحقيقًا منهم للعلمية، ثم إن الاسمَ الْعَلَمَ لا يُتَّى ولا يُجْمَع وهو عَلَمٌ، فإذا تُتِّي زال عنه تعريف العلمية، فَمَنْ أَجَلَ ذلك لم يُتَّىوا يا فَسَقُ ويا غُدَرُ، لأن في ذلك تَقْضًا لما قَصَدُوهُ من تَنْزِيلِهِ مَنَزِلَةَ الاسمِ الْعَلَمِ، أي: إنه مُسْتَحَقٌّ لأن يُسَمَّى بهذا الاسم، فهذا أبلغ من أن يقولوا: يا فَاسِقُ، فيجئوا بالاسم، الذي يجري مَجْرَى الْفِعْلِ والفعل غير لازم، والعَلَمُ أَلَزَمَ منه، والتثنية والجمعُ تُبْطِلُ العلمية كما ذكرنا فافهمه، ووقع في الموطأ من رواية يحيى في حديث عبد الله بن عمر أنه قال لمولاة له: افْعَلِي لُكْعُ، وقد عَيَّت هذه الرواية على يحيى، لأن المرأة إنما يقال لها: لَكَاعُ، وقد وجدت الحديث كما رواه يحيى في كتاب الدارقطني، وَوَجَّهه في العربية أنه مَنْقُولٌ غير مَعْدُولٍ فجاز أن يقال لِلْأَمَةِ يا لُكْعُ كما يقال لها إذا سَبَتْ: يا زُبْلُ ويا وَسَخُ إذ اللعع ضَرْبٌ من الوَسَخِ، كما قدمناه وهو في كتاب العين.

أمر القتلى بأحد

وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ كما حدّثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صغصعة المازني، أخو بني النُّجَّار: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ ابْنِ الرَّبِيعِ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟» فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق. قال: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر، أفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ قال: أنا فِي الْأَمْوَاتِ فَأَبْلُغْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي السَّلَامَ، وقل له: إن سعد ابن الربيع يقول لك: جزاك الله عثاً خيراً ما جرى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقُلْ لهم: إن سعد ابن الربيع يقول لكم: إنه لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرَفُ. قال: ثم لم أُبْرَحْ حَتَّى مَاتَ؛ قال: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرَهُ.

قال ابن هشام: وحدثني أبو بكر الزُّبَيْرِي: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَبِئْتُ لِسَعْدِ ابْنِ الرَّبِيعِ جَارِيَةً صَغِيرَةً عَلَى صَدْرِهِ يَرْشِفُهَا وَيَقْبَلُهَا؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ بِنْتُ رَجُلٍ خَيْرٍ مِنِّي، سَعْدُ ابْنِ الرَّبِيعِ، كَانَ مِنَ الثُّقَبَاءِ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ.

الرسول يسأل عن ابن الربيع

فصل: وذكر قول النبي ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ ابْنِ الرَّبِيعِ؟» فقال رجل من الأنصار: أنا^(١)، وذكر الحديث. الرجل: هو محمد بن مسلمة، ذكره الواقدي، وذكر أنه نادى فِي الْقَتْلَى: يَا سَعْدُ ابْنِ الرَّبِيعِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، حَتَّى قَالَ: يَا سَعْدُ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَرْسَلَنِي أَنْظُرَ مَا صَنَعْتَ، فَأَجَابَهُ حِينَئِذٍ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَهَذَا خِلَافَ مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرٍ فِي كِتَابِ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ رُبَيْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي التَّمَسَّ سَعْدًا فِي الْقَتْلَى هُوَ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٥) والحاكم (٣/ ٢٠١).

حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلة:

قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني يتلمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده بيطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه وأذناه.

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: «لولا أن تحزن صفيّة، ويكون سنة من بعدي لتركته، حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم»، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وعيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: «لن أصاب بمثلك أبداً؟ ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا!» ثم قال: «جاءني جبريل فأخبرني أنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله».

وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أَرْضَعْتَهُمْ مَوْلَاةً لَأَبِي لَهَبٍ.

ما نزل في النهي عن المثلة

قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان بن قزوة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني من لا أتهم، عن ابن عباس: إن الله عز وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله ﷺ، وقول أصحابه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(١) فعفا رسول الله ﷺ، وصبر ونهى عن المثلة.

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن الحسن، عن سمرة بن جندب،

حميد الطويل وطلحة الطلحات

وذكر عن حميد الطويل عن الحسن عن سمرة عن النبي - ﷺ - في النهي عن المثلة، وحميد الطويل هو حميد بن تيرويه، ويقال: ابن تيري يكنى أبا حميدة مولى طلحة

(١) سورة النحل آية رقم (١٢٦).

قال: «ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط. ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المثلة»^(١).

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم^(٢) عن مِقْسَم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسُجِّي ببردة ثم صلى عليه، فكَبَّر سَبْع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة.

الطلحات، وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة. فإن قيل: فقد مثل رسول الله - ﷺ - بالعُرَيْنَيْنِ فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، وتركهم بالحرّة^(٣).

قلنا: في ذلك جَوَابَان: أحدهما: أنه فعل ذلك قِصَاصًا لأنهم قَطَّعُوا أَيْدِي الرُّعَاءِ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ، رُوي ذلك في حديث أنس، وقيل: إن ذلك قبل تحريم المثلة. فإن قيل: فقد تركهم يَسْتَسْقُونَ، فلا يُسْقَوْنَ، حتى ماتوا عَطَشًا، قلنا: عَطَشَهُمْ لأنهم عَطَشُوا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ - ﷺ - تلك الليلة، رُوي في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بِلا لَبَن، قال: «اللَّهُمَّ عَطِّشْ مَنْ عَطَّشَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكَ»^(٤). وقع هذا في شرح ابن بَطَّال، وقد خَرَّجَهُ النَّسَوِيُّ.

الصلاة على الشهداء

وروى ابن إسحاق عَمَّن لا يُتَّهَمُ عن مِقْسَم عن ابن عباس أن النبي - ﷺ - صلى على حَمَزَةَ، وعلى شهداء يوم أُحُد، ولم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز، ولا الأوزاعي لوجهين، أحدهما ضَعْفُ إِسْنَادِ هذا الحديث، فإن ابن إسحاق قال: حَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ، يعني: الحسن بن عمار - فيما ذكروا - ولا خلاف في ضَعْفِ الْحَسَنِ بن عمار عند أهل الحديث، وأكثرهم لا يَرْوُونَهُ شَيْئًا، وإن كان الذي قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ غير الحسن، فهو مَجْهُول، والجَهْلُ يُؤَبِّقُهُ.

والوجه الثاني: أنه حديث لم يصحبه العمل، ولا يروى عن رسول الله - ﷺ - أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية في غزوة أُحُد، وكذلك في مدة

(١) أخرجه ابن عدي (٣/١١٦٩).

(٢) مجهول.

(٣) حديث العرينين أخرجه الترمذي ومسلم وغيرهما.

(٤) أخرجه النسائي (٧/٩٩).

صفية وحزنها على حمزة:

قال ابن إسحق: وقد أقبلت فيما بلغني، صفية بنت عبد المطلب لتتظر إليه وكان أخاها لأبيها وأُمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: القها فأزجعهما، لا ترى ما بأخيها، فقال لها: يا أُمه، إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تَزجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مُثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولاضبرن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، قال: خلّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، فصلّت عليه واستزجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن.

دفن عبد الله بن جحش مع حمزة

قال: فزعم لي آل عبد الله بن جحش - وكان لأُميمة بنت عبد المطلب، حمزة خاله، وقد كان مُثل به كما مُثل بحمزة، إلا أنه لم يُنقَر عن كبده - أن رسول الله ﷺ دفنه مع حمزة في قبره، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله.

الخليفتين إلا أن يكون الشهيد مُرتباً^(١) من المعركة، وأما ترك غسله، فقد أجمعوا عليه، وإن اختلفوا في الصلاة إلا رواية شاذة عند بعض التابعين، والمعنى في ذلك - والله أعلم - تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾^(٢) الآية مع أن في ترك غسله معنى آخر، وهو أن دمه أثر عبادة، وهو يحيى يوم القيامة وجُرحه يشبّ دماً، وريحه ريح المسك، فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تخفيف الوجه من ماء الوضوء، وهو قول الزهري، قال الزهري: وبلغني أنه يوزن، ومن هذا الأصل انتزع كراهية السواك بالعشي للصائم لئلا يذهب خلوف فمه، وهو أثر عبادة، وجاء فيه ما جاء في دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ريح المسك، ويؤزى أطيب يوم القيامة من ريح المسك. رواه مسلم باللفظين جميعاً، والمعنى واحد، وجاءت الكراهية للسواك بالعشي للصائم عن عليّ وأبي هريرة، ذكر ذلك الدارقطني.

عبد الله بن جحش المجدع

وذكر عبد الله بن جحش ابن أخت حمزة، وأنه مُثل به كما مُثل بحمزة، وعبد الله هذا يُعرف بالمجدع في الله، لأنه جُدع أنفه وأذناه يؤمئذ، وكان سعد بن أبي وقاص يحدث أنه لقيته يوم أحد أول النهار، فخلأ به، وقال له عبد الله: يا سعد هلّم فلندع الله وليذكر كل

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٦٩).

(١) مرتب: جريح.

دفن الشهداء:

قال ابن إسحاق: وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاًهم إلى المدينة، فدفنهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وقال: «ادفنوهم حيث صرعوا»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم الزهرري، عن عبد الله بن ثعلبة بن ضَعِيرِ العُذْرِي، حليف بني زهرة: أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القَتلى يوم أحد، قال: «أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يُجرح في الله، إلّا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمِي جرحه، اللّونُ لونُ دَمٍ والريحُ يرح مسك، وانظروا أكثر هؤلاء جَمْعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القَبْرِ - وكانوا يَدْفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد»^(٢).

قال: وحدثني عمي موسى بن يسار، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما من جريح يُجرح في الله إلّا والله يبعثه يوم القيامة وجُرحه يَدْمِي، اللّون لون دم، والريح يرح مسك».

واحد منا حاجته في دعائه، وليؤمن الآخر، قال سعد: فدَعَوْتُ الله أن ألقى فارساً شديداً بأسه شديداً حَزْده^(٣) من المُشْرِكِينَ فأقتله، وأخذ سَلْبَهُ، فقال عبدُ الله: آمين، ثم استقبل عبدُ الله القَبْلَةَ، ورفع يديه إلى السَّماء، وقال: اللهم لَقِّنِي اليومَ فارساً شديداً بأسه شديداً حَزْده، يقتلني ويَجْدُعُ أنفي وأُذُنِي، فإذا لقيتُكَ عَدَاً تقول لي: يا عَبْدِي: فيم جُدِعَ أنفُكَ وأُذُنُكَ، فأقول: فيكَ يا رب، وفي رسولكَ، فتقول لي: صَدَقْتَ، قل يا سَعْدُ: آمين، قال: فقلت: آمين، ثم مررت به آخر النهار قتيلاً مَجْدُوعَ الْأَتَنِفِ والأُذُنَيْنِ، وأن أذُنَيْهِ وَأَنْفَهُ معلقان بِخَيْطٍ، ولقيتُ أنا فلاناً من المشركين، فَقَتَلْتُهُ، وأخذتُ سَلْبَهُ، وذكر الزُّبَيْرُ أن سَيْفَ عبدِ الله بن جَحْشٍ انقطع يوم أُحُدٍ فأعطاه رسولُ الله ﷺ - عُرْجُونًا، فعاد في يده سيفاً، فقاتل له، فكان يسمى ذلك السيفُ العُرْجُونُ، ولم يزل يُتَوَارَثُ حتى بيع من بغاء التركي^(٤) بمائتي دينار، وهذا نحو من حديث عُكَّاشَةَ الذي تقدّم إلّا سَيْفَ عُكَّاشَةَ، كان يُسَمَّى العَوْنُ، وكانت قصّة عُكَّاشَةَ يوم بَدْرٍ، وكان الذي قتلَ عبدَ الله بن جَحْشٍ أبو الحَكَمِ بن الأَخْنَسِ بن شَرِيْقٍ وكان عبدُ الله حين قُتِلَ ابنُ بَضْعٍ وأربعين سنة، فيما ذكروا ودُفِنَ مع حَمْزَةَ في قَبْرِ واحد.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٧٣/٢) والبيهقي في الدلائل (٢٩/٣) والنسائي (٧٩/٤) وابن سعد (١٠٥/٢/٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤/٢) والنسائي (٦٢/٤) والترمذي (١٠٣٦) وأبو داود (٣٠٣٨) والدارقطني (١٧٧/٤) بتحقيق. وابن الجارود في المتقى (٥٥٢) كلام بنحوه.

(٣) حرده: غضبه. (٤) بغاء التركي: أحد أمراء المعتصم بالله.

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني أبي إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بني سَلَمَةَ^(١): أن رسول الله ﷺ، قال يومئذ، حين أمر بدَفْنِ القَتْلَى: «انظروا إلى عَمْرُو بن الجَمُوح، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام، فإنهما كانا مُتصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد».

حزن حمنة على حمزة:

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعًا إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش، كما ذكر لي، فلما لقيت الناس نُعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها زوجها مَضْعَب بن عُمير، فصاحت وولولت! فقال رسول الله ﷺ: «إن زَوْج المرأة منها لَبكان! لِمَا رأى من تَبَّتْها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها».

بكاء نساء الأنصار على حمزة:

قال ابن إسحاق: ومَرَّ رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظَفَر، فسَمِعَ الكُباةَ والثَّوَّاحَ على قَتْلِهِمْ، فَذَرَفَتْ عينا رسول الله ﷺ، فبَكَى، ثم قال: «لكنَّ حمزة لا بواكي له!» فلما رجع سعد بن مُعَاذ وأُسَيد بن حُضَير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: حَدَّثني حَكِيم بن حَكِيم عن عَبَّاد بن حُثَيْف، عن بعض رجال بني عبد الأشهل، قال: لما سمع رسول الله ﷺ بُكَاءَهُنَّ على حمزة خرج عليهن وهنَّ على باب مَسْجِدِهِ يبكين عليه، فقال: «ارجعن يَرْحَمَكُنَّ اللهُ، فقد آسِيتَنَّ بأنفسكن»^(٢).

قال ابن هشام: ونُهي يومئذ عن النَّوح.

حديث عمر وأبي سُفيان:

فصل: ومِمَّا وقع في هذه الغَزْوَةِ من الكَلِمِ الذي يُسأل عنه قول أبي سُفيان حين قال: اغْلُ هُبْلًا، أي زِدْ غُلُوءًا، ثم قال: أَتَعَمَّتْ، فَعَالٍ، قالوا: معناه الأَزْلَامُ، وكان اسْتَقْسَمَ بها حين خَرَجَ إلى أُحُدٍ، فخرج الذي يُحِبُّ وقوله: فَعَالٍ، أمر أي عالٍ عنها وأقصر عن لَوْمِها، تقول العرب: اغْلُ عَنِّي، وعَالٍ عني بمعنى: أي ازْفَعْ عني، ودعني. ويُروى أن الرُّبَيْرَ قال لأبي سُفيان يوم الفَتْح: أين قولك: أَتَعَمَّتْ، فَعَالٍ؟ فقال: قد صنع الله خَيْرًا، وذهب أمرُ الجاهلية.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/٣٠٢).

(١) مجاهيل.

إني نذيرٌ لأهل البَسلِ صاحبةً لكلّ ذي إزبةٍ منهم ومعقول
 من جيشٍ أحمد لا وخشٍ^(١) تنابلهً وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالِقيل
 فثنى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

رسالة أبي سُفيان إلى الرسول على لسان ركب:

ومرّ به ركبٌ من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة؛ قال: فهل أنتم مبلغون عني محمدًا رسالةً أُرسلكم بها إليه، وأحمل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتُموها؟ قالوا: نعم؛ قال: فإذا وافيتُموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لِنُستأصل بقيتهم، فمرّ الركبُ برسولِ الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سُفيان؛ فقال: ﴿حَسْبنا الله ونعم الوكيل﴾ .

كف صفوان لأبي سُفيان عن معاودة الكرة:

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عبيدة: أن أبا سُفيان بن حَرْبَ لَمَّا انصرف يوم أحد، أراد الرجوع إلى المدينة، لِنُستأصل بقيّة أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خُلف: لا تَفعلوا، فإنّ القوم قد حَرَبُوا، وقد خَشِينَا أن يكون لهم قتال غير الذي كان، فارجعُوا، فَرَجَعُوا. فقال النبي ﷺ، وهو بحمراء الأسد، حين بلغه أنهم هَمُّوا بالرجعة: والذي نَفْسِي بيده، لقد سَوِّمت لهم حجارة، لو صُبَّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب.

وتسمية هذا سِناد عَرَبية لا صِناعية، قال عَدِيُّ بن الرَّقَّاع:

وقَصِيدَةٌ قد بِتْ أجمعَ بَيْنِها حتى أَقوِّمَ مَيلَها وَسِنادَها
 نظرَ المُثَقِّفِ في كُغُوبِ قَناتِهِ كيما يقيِمَ ثِقافَهُ مُنادَها
 وقوله: لا تَنابِلَة. التَنابِلَة: القِصار، وأحدُهم: تَنبَالٌ، تَفَعَّالٌ من التَّبل، وهي صِغارُ الحَصَى .

(١) وخش: رديء.

مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة: وأخذ رسول الله ﷺ في جهة ذلك، قبل رجوعه إلى المدينة، معاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو جد عبد الملك بن مروان، أبو أمه عائشة بنت معاوية، وأبا عزة الجمحي، وكان رسول الله ﷺ أسره بيد، ثم من عليه، فقال: يا رسول الله، أفلني، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعتُ محمدًا مرتين، اضرب عنقه يا زبير». فضرب عنقه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين»^(١)، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت، فضرب عنقه.

مقتل معاوية بن المغيرة:

قال ابن هشام: ويقال: إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلَا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل، فأقام بعد ثلاث وتواري، فبعثهما النبي ﷺ، وقال: إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا، فوجداه فقتلاه.

أبو عزة الجمحي

وذكر أبا عزة، وكان الذي أسره عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، كذا ذكر بعضهم، وأحسبه عبد الله بن عُمَيْرٍ أَحَدَ بَنِي خُدَّارَةَ، أو عبد الله بن عُمَيْرٍ الْخَطْمِي. ومن خبر أبي عزة ما ذكر الزُّبَيْرُ عَنْ ابْنِ جُعْدَبَةَ وَالضُّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ. وَالْجُعْدَبَةُ فِي اللُّغَةِ وَاحِدَةُ الْجِعَادِ، وَهِيَ الثَّقَاخَاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمَاءِ. قَالَا: بَرَّصَ أَبُو عَزَّةَ الْجُمَحِي، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تُؤَاكِلُهُ وَلَا تُجَالِسُهُ فَقَالَ: الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، فَأَخَذَ حَدِيدَةً، وَدَخَلَ بَعْضَ شِعَابِ مَكَّةَ فَطَعَنَ بِهَا فِي مَعْدُو، وَالْمَعْدُ مَوْضِعُ عَقِبِ الرَّكَابِ مِنَ الدَّابَّةِ، وَقَالَ ابْنُ جُعْدَبَةَ: فَمَارَتِ الْحَدِيدَةُ، وَقَالَ الضُّحَّاكُ: بَيْنَ الْجِلْدِ وَالصَّفَاقِ فَسَالَ مِنْهُ أَصْفَرُ قَبْرَى، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ رَبِّ وَاثِلٍ وَنَهْدٍ وَالتَّهَمَاتِ وَالْجِبَالِ الْجُرْدِ
وَرَبِّ مَنْ يَزْعَى بِأَرْضِ نَجْدٍ أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَكَ وَابْنُ عَبْدٍ
أَبْرَأْتَنِي مِنْ وَضَحِ بَجْلِدٍ مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ فِي مَعْدِي

(١) تقدم تخريجه. والمسند فيه انقطاع.

شأن عبد الله بن أبي بعد ذلك

قال ابن إسحاق: فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول، كما حدَّثني ابن شهاب الزُّهري، له مقامٌ يقومه كل جمعة لا يُنْكَر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسولُ الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيُّها الناس، هذا رسولُ الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزّروه، واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بيّابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أيّ عدوّ الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْراً أن قمت أشدّ أمره. فلقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسجد، فقال: ما لك؟ ويلك! قال: قمتُ أشدّ أمره، فوثب عليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويُعنّفونني، لكأنما قلت بَجْراً أن قمتُ أشدّ أمره، قال: ويلك! ارجع يستغفر لك رسولُ الله ﷺ، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

كان يوم أحد يوم محنة:

قال ابن إسحاق: كان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وتَمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المنافقين ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مُستخف بالكُفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

موصل مقالة أبي سفيان:

وذكر إرسال أبي سفيان مع الركب بالوعيد، وكان الموصّل مقالته للمؤمنين تُعيّم بن مسعود، ﴿فقالوا حسّينا الله ونعم الوكيل﴾، كذلك جاء في التفسير.

قول لعبد الله بن أبي

وذكر قول عبد الله بن أبي حين أُخْرِج من المسجد: لكأنما قلت: بَجْراً. البَجْرُ: الأثر العظيم والبجاري: الدّواهي، وفي وصية أبي بكر: يا هادي الطريق جُزّت، إنما هو الفَجْر أو البَجْر، قال الخطابي: معناه الداهية.

وذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية قول النبي ﷺ في قتلى أحد: «يا ليتني غودزت مع أصحاب نُحْص الجبَلِ». نُحْصُ الجبَل: أسفلهُ، قاله صاحب العين.

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبِكَائِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَطْلُبِيِّ، قَالَ: فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي يَوْمِ أَحَدٍ مِنَ الْقُرْآنِ سِتُونَ آيَةً مِنْ آلِ عِمْرَانَ، فِيهَا صِفَةٌ مَا كَانَ فِي يَوْمِهِمْ ذَلِكَ، وَمُعَاتَبَةٌ مِنْ عَائِبٍ مِنْهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِذْ عَدَوْتُ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال ابن هشام: تَبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ: تَتَخَذُ لَهُمْ مَقَاعِدَ وَمَنَازِلَ. قَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ:

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعَا
وهذا البيت في أبيات له.

أي: سَمِيعٌ بِمَا يَقُولُونَ، عَلِيمٌ بِمَا تَخْفُونَ.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾: أَنْ تَتَخَاذَلَا، وَالطَائِفَتَانِ: بَنُو سَلَمَةَ بْنِ جُشَمٍ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَبَنُو حَارِثَةَ بْنِ الثَّبِيتِ مِنَ الْأَوْسِ، وَهُمَا الْجَنَاحَانِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: أَيِ الْمُدَافِعِ عَنْهُمَا مَا هَمَّتَا بِهِ مِنْ قَسْلِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا عَنْ ضَعْفٍ وَوَهْنٍ أَصَابَهُمَا غَيْرُ شَيْءٍ فِي دِينِهِمَا، فَتَوَلَّى دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمَا بِرَحْمَتِهِ وَعَائِدَتِهِ، حَتَّى سَلِمَتَا مِنْ وَهْنِهِمَا وَضَعْفِهِمَا، وَلِحَقِّقَتَا بِنَبِيِّهِمَا ﷺ.

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَسَدِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ: قَالَتِ الطَائِفَتَانِ: مَا نَحِبُ أَنَّا لَمْ نَهَمْ بِمَا هَمَمْنَا بِهِ، لَتَوَلَّى اللَّهُ إِيَّانَا فِي ذَلِكَ.

قال ابن إسحاق: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أَيِ مَنْ كَانَ بِهِ ضَعْفٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَيَّ، وَلْيَسْتَعِزْ بِي، أَعْنَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَدْفَعْ عَنْهُ، حَتَّى أَبْلُغْ بِهِ، وَأَدْفَعْ عَنْهُ، وَأَقْوِيهِ عَلَى نَيْتِهِ. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أَيِ فَاتَّقُونِي، فَإِنَّهُ شُكْرُ نِعْمَتِي. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ وَأَنْتُمْ أَقْلُ عَدَدًا

تفسير ما نزل من القرآن في أحد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم:

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارئ السيرة من تفسير ذلك، وذكر قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية لم يزد على ما في الكتاب منه. وفي تفسير

إني نذيرٌ لأهل البَسلِ ضاحيةٌ لكلّ ذي إزبةٍ منهم ومعقول
من جيشٍ أحمد لا وخشٍ^(١) تنابله وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقيـل
فثنى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

رسالة أبي سُفيان إلى الرسول على لسان ركب:

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة؛ قال: فهل أنتم مبلغون عتيّ محمدًا رسالةً أُرسلكم بها إليه، وأحمّل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتُموها؟ قالوا: نعم؛ قال: فإذا وافيتُموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لِنُستأصل بقيتهم، فمرَّ الركبُ برسولِ الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سُفيان؛ فقال: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

كفّ صفوان لأبي سُفيان عن معاودة الكرة:

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عبيدة: أنّ أبا سُفيان بن حَرْبٍ لَمَّا انصرف يوم أحد، أراد الرجوع إلى المدينة، لِنُستأصل بقيّة أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خَلَف: لا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَرَبُوا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قِتَالٌ غَيْرُ الَّذِي كَانَ، فَارْجِعُوا، فَرَجَعُوا. فقال النبي ﷺ، وهو بحمراء الأسد، حين بلغه أنهم همّوا بالرجعة: والذي نَفْسِي بِيده، لَقَدْ سَوِّمَتْ لَهُمْ حِجَارَةٌ، لَوْ صُبِّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ الْذَاهِبِ.

وتسمية هذا سِنَادَ عَرَبِيَّةٍ لَا صِنَاعِيَّةٍ، قَالَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ:

وَقَصِيدَةٌ قَدْ بِتْ أَجْمَعَ بَيْنَهَا حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا
نَظَرَ الْمُتَّقِفِ فِي كُغُوبِ قَنَاتِهِ كَيْمَا يَقِيمُ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا
وقوله: لَا تَنَابِلَةٌ. التَّنَابِلَةُ: الْقِصَارُ، وَأَحَدُهُمْ: تَنَبَّأَ، تَفَعَّلَ مِنَ النَّبْلِ، وَهِيَ صِغَارُ الْحَصَى.

(١) وخش: رديء.

مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة: وأخذ رسول الله ﷺ في جهة ذلك، قبل رجوعه إلى المدينة، معاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو جد عبد الملك بن مروان، أبو أمه عائشة بنت معاوية، وأبا عزة الجمحي، وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر، ثم مَنّ عليه، فقال: يا رسول الله، أقلني، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تُمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خَدَعْتُ محمدًا مرتين، اضرب عنقه يا زُبَيْر». فضرب عنقه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن لا يُلْدَغ من جُحر مرتين»^(١)، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت، فضرب عنقه.

مقتل معاوية بن المغيرة:

قال ابن هشام: ويقال: إن زيد بن حارثة وعَمَّار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد خَمراء الأسد، كان لجا إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل، فأقام بعد ثلاث وتوارى، فبعثهما النبي ﷺ، وقال: إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا، فوجداه فقَتلاه.

أبو عزة الجمحي

وذكر أبا عزة، وكان الذي أسره عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، كذا ذكر بعضهم، وأحسبه عبد الله بن عُمَيْرٍ أَحَدَ بَنِي خُدَاةَ، أو عبد الله بن عُمَيْرٍ الْخَطَمِي. ومن خبر أبي عزة ما ذكر الزُّبَيْرُ عَنْ ابْنِ جُعْدَبَةَ وَالضُّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ. وَالْجُعْدَبَةُ فِي اللُّغَةِ وَاحِدَةُ الْجَعَادِ، وَهِيَ الثُّفَاخَاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمَاءِ. قَالَا: بَرِصَ أَبُو عَزَّةَ الْجُمَحِيُّ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تُوَاكِلُهُ وَلَا تُجَالِسُهُ فَقَالَ: الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، فَأَخَذَ حَدِيدَةً، وَدَخَلَ بَعْضَ شِعَابِ مَكَّةَ فَطَعَنَ بِهَا فِي مَعَدِّهِ، وَالْمَعْدُ مَوْضِعُ عَقِبِ الرَّاكِبِ مِنَ الدَّابَّةِ، وَقَالَ ابْنُ جُعْدَبَةَ: فَمَارَتِ الْحَدِيدَةُ، وَقَالَ الضُّحَّاكُ: بَيْنَ الْجِلْدِ وَالصَّفَاقِ فَسَالَ مِنْهُ أَصْفَرُ قَبْرِيءَ، فَقَالَ:

وَالْتَهَمَاتِ وَالْجِبَالِ الْجُرُودِ	اللَّهُمَّ رَبِّ وَاثِلٍ وَنَهْدِ
أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَكَ وَابْنُ عَبْدِ	وَرَبِّ مَنْ يَزْعَى بِأَرْضِ نَجْدِ
مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ فِي مَعْدِي	أَبْرَأْتُنِي مِنْ وَضَحِ بَجْلِدِ

(١) تقدم تخريجه. والمسند فيه انقطاع.

شأن عبد الله بن أبي بعد ذلك

قال ابن إسحاق: فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول، كما حدَّثني ابن شهاب الزُّهري، له مقامٌ يقومه كل جمعة لا يُنكر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسولُ الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسولُ الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزُّوه، واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عَدُوَّ الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعتَ ما صنعتَ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكانما قلت بَجْراً أن قمت أشدَّ أمره. فلقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسجد، فقال: ما لك؟ ويلك! قال: قمتُ أشدَّ أمره، فوثب عليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويُعنّفونني، لكانما قلت بَجْراً أن قمتُ أشدَّ أمره، قال: ويلك! ارجع يستغفر لك رسولُ الله ﷺ، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

كان يوم أحد يوم محنة:

قال ابن إسحاق: كان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وتَمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المنافقين ممَّن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مُستخف بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

موصل مقالة أبي سفيان:

وذكر إرسال أبي سفيان مع الركب بالوعيد، وكان الموصِّل مقالته للمؤمنين نُعيماً بن مسعود، «فقالوا حسُّبنا الله ونعم الوكيل»، كذلك جاء في التفسير.

قول لعبد الله بن أبي

وذكر قول عبد الله بن أبي حين أُخْرِج من المسجد: لكانما قلت: بَجْراً. البَجْرُ: الأثر العظيم والْبَجَارِي: الدَّواهي، وفي وصية أبي بكر: يا هَادِي الطريق جُرْتُ، إنما هو الفَجْرُ أو البَجْرُ، قال الخطابي: معناه الداهية.

وذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية قول النبي ﷺ في قتلى أُحُد: «يا ليتني غُوِذْتُ مع أصحاب نُحْص الجَبَلِ». نُحْصُ الجَبَلِ: أسفله، قاله صاحب العين.

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبِكَائِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَطْلَبِيِّ، قَالَ: فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي يَوْمِ أَحَدٍ مِنَ الْقُرْآنِ سِتُونَ آيَةً مِنْ آلِ عِمْرَانَ، فِيهَا صِفَةٌ مَا كَانَ فِي يَوْمِهِمْ ذَلِكَ، وَمُعَاتَبَةٌ مِنْ عَاتِبٍ مِنْهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِذْ عَدَوْتُ مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال ابن هشام: تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ: تَتَخَذُ لَهُمْ مَقَاعِدَ وَمَنَازِلَ. قال الكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ:

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعَا

وهذا البيت في أبيات له.

أي: سَمِعَ بِمَا تَقُولُونَ، عَلِمَ بِمَا تَخْفُونَ.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾: أَنْ تَتَخَذَلَا، وَالطَائِفَتَانِ: بَنُو سَلَمَةَ بْنِ جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَبَنُو حَارِثَةَ بْنِ النَّبِيِّتِ مِنَ الْأَوْسِ، وَهُمَا الْجَنَاحَانِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: أَيِ الْمُدَافِعِ عَنْهُمَا مَا هَمَّتَا بِهِ مِنْ فَشْلِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا عَنْ ضَعْفٍ وَوَهْنٍ أَصَابَهُمَا غَيْرُ شَيْءٍ فِي دِينِهِمَا، فَتَوَلَّى دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمَا بِرَحْمَتِهِ وَعَائِدَتِهِ، حَتَّى سَلِمَتَا مِنْ وَهْنِهِمَا وَضَعْفِهِمَا، وَلَحِقَتَا بَنِيَّهُمَا ﷺ.

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَسَدِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ: قَالَتِ الطَائِفَتَانِ: مَا نَحْبُ أَنَّا لَمْ نَهَمْ بِمَا هَمَمْنَا بِهِ، لَتَوَلَّى اللَّهُ إِيَّانَا فِي ذَلِكَ.

قال ابن إسحاق: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أَيِ مَنْ كَانَ بِهِ ضَعْفٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَيَّ، وَلَيْسَتَيْنِ بِي، أَعْنَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَدْفَعُ عَنْهُ، حَتَّى أُبْلَغَ بِهِ، وَأَدْفَعُ عَنْهُ، وَأَقْوِيهِ عَلَى نَيْتِهِ. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أَيِ فَاتَّقُونِي، فَإِنَّهُ شَكَرَ نِعْمَتِي. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ وَأَنْتُمْ أَقْلُ عَدَدًا

تفسير ما نزل من القرآن في أحد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم:

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارئ السيرة من تفسير ذلك، وذكر قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية لم يزد على ما في الكتاب منه. وفي تفسير

وأضعف قُوَّة ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: أي إِنْ تَصْبِرُوا لعدوِّي، وتُطِيعُوا أَمْرِي، ويأتوكم من وَجْهِهِمْ هَذَا، أَمَدِّدْكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: مسوِّمين: مُعَلِّمِينَ. بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال: أَعْلَمُوا عَلَى أَذْنَابِ خَيْلِهِمْ وَنَوَاصِيهَا بِصُوفٍ أَبْيَضٍ. فَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَقَالَ: كَانَتْ سِيَمَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمَ بَيْضًا. وَقَدْ ذَكَرْتَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ بَدْرٍ. وَالسِّيَمَا: الْعَلَامَةُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: أي عِلَامَتُهُمْ. وَ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنُصَّودٍ مُسَوِّمَةٍ﴾ يَقُولُ: مُعَلِّمَةٍ. بَلَّغْنَا عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: عَلَيْهَا عَلَامَةٌ، أَنَّهُ لَا يَسْتَمِنُ مِنْ حِجَارَةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهَا مِنْ حِجَارَةِ الْعَذَابِ. قَالَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

فَالآنَ تُبَلِّى بِي الْجِيَادُ السَّهْمَ وَلَا تُجَارِينِي إِذَا مَا سَوَّوْا
وَشَخَّصْتَ أَبْصَارَهُمْ وَأَجْذَمُوا

[أَجْذَمُوا «بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ»: أَيِ اسْرَعُوا: وَأَجْذَمُوا «بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ»: أَقْطَعُوا].

وهذه الأبيات في أرجوزة له: وَالْمُسَوِّمَةُ (أَيْضًا) الْمَرْعِيَّةُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ﴾ وَ﴿شَجَرٍ فِيهِ تُسَيَّمُونَ﴾. تَقُولُ الْعَرَبُ: سَوَّمَ خَيْلَهُ وَابْلَهُ، وَأَسَامَهَا: إِذَا رَعَاهَا. قَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ:

رَاعِيًا كَانَ مُسَجِّحًا فَفَقَدْنَا هُ وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هُلُكُ السَّوَامِ

قال ابن هشام: مُسَجِّحًا: سَلِسَ السِّيَاسَةَ مُحَسَّنَ (إِلَى الْغَنَمِ). وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: أَيِ مَا سَمَّيْتُ لَكُمْ مَنْ سَمَّيْتُ مِنْ جُنُودِ مَلَائِكَتِي إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، لَمَّا أَعْرَفَ مِنْ ضَعْفِكُمْ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِي، لِسُلْطَانِي وَقُدْرَتِي، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِزَّ وَالْحُكْمَ إِلَيَّ، لَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي. ثُمَّ قَالَ: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: أَيِ لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِقَتْلِ يَنْتَقِمُ بِهِ

الترمذي حديث مَرْفُوعٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ يَدْعُو عَلَى أَبِي سُفْيَانَ وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ

منهم، أو يردّهم خائبين: أي ويرجع مَنْ بَقِيَ منهم فَلَا خَائِبِينَ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يَكْتَبْتُهُمْ: يَغْمُهُمْ أَشَدَّ الْعَمِّ، ويمنعهم ما أرادوا. قال ذو الرُّمَّة:
ما أَنَسَ مِنْ شَجَنِ لَا أَنَسَ مَوْفَقُنَا في حَيْرَةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَمَكْبُوتٍ
وَيَكْتَبْتُهُمْ (أَيْضًا) يصرعهم لوجوههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ»: أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي، إلا ما أمرتك به فيهم، أو أثوب عليهم برحمتي، فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم فبِحَقِّي «فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ»: أي قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إِيَّاي «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»: أي يغفر الذنب ويَرْحَمُ العباد، على ما فيهم.

وعمر بن العاصي، حتى أنزل الله تعالى: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» قال: فتابوا وأسلموا، وحسن إسلامهم، وهذا حديث ثابت في حسن إسلام أبي سفيان خلاًفاً لمن زعم غير ذلك، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف في حسن إسلامه، وفي موته شهيداً بالشام، وأما عمرو بن العاصي، فقد قال فيه النبي عليه السلام: «أسلم الناس وأمن عمرو»^(١)، وقال في حديث جرى: ما كانت هجرتي للمال، وإنما كانت لله ورسوله، فقال له النبي - ﷺ -: «نِعِمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»^(٢)، فسماه: رجلاً صالحاً، والحديث الذي جرى: أنه كان قال له: إني أريد أن أبعثك وجهاً يسلمك الله فيه، ويُعْنَمَكَ، وأزعب^(٣) لك رغبة من المال، وستأتي نُكْتُ وعُيُونٌ من أخبار الحارث، وأبي سفيان - فيما بعد - إن شاء الله.

معنى اتخذ:

وذكر قوله سبحانه: «وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» وفيه فضل عظيم للشهداء وتبينة على حب الله إياهم حيث قال: «وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» ولا يقال: اتَّخَذْتُ وَلَا اتَّخَذُ إِلَّا فِي مُضْطَقِّي

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٢٤) وأحمد (١٥٥/٤) والطبراني في الكبير (٣٠٧/١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٢/٤) والحاكم (٢٣٦/٢) وابن أبي شيبة (١٨/٧).

(٣) أزعب: أذفع.

النهي عن الربا:

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾؛ أي لا تأكلوا في الإسلام، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره، مما لا يحل لكم في دينكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي فأطيعوا الله لعلكم تتجرون مما حذركم الله من عذابه، وتذكرون ما رغبكم الله فيه من ثوابه، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: أي التي جعلت دارًا لمن كفر بي.

الحض على الطاعة:

ثم قال: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ معاتبَةً للذين عصَوْا رسولَ الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره. ثم قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي دارًا لمن أطاعني وأطاع رسولي: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي وذلك هو الإحسان، وأنا أحب من عمل به، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي إن أتوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم بمغصية ذكروا نهي الله عنها، وما حرم عليهم، فاستغفروه لها، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي لم يقيموا على مغصيتي كِفْعَل مَنْ أشرك بي فيما غلَّوا به في كفرهم، وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيري.

مَحْبُوب، قال الله سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ وقال: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ فالإِتِّخَاذُ إنما هو اقْتِنَاءٌ واجْتِبَاءٌ، وهو افتعال من الأخِذِ، فإذا قلت: اتَّخَذْتُ كَذَا، فمعناه: أَخَذْتُهُ لِنَفْسِي، واختَرْتُهُ لَهَا، فالتاء الأولى بَدَلٌ من ياء، وتلك الياء بَدَلٌ من هَمْزَةِ أَخَذَ، فَقُلِبَتْ تَاءٌ إذ كانت الواو تنقلب تاء في مثل هذا البناء، نحو اتَّعَدَ واتَّزَرَ والياءُ أَخْتُ الواو، فَقُلِبَتْ في هذا الموضع تَاءٌ، وكثُر استعمالهم لهذه الكلمة، حتى قالوا: تَتَّخَذْتُ بحذف إحدَى التاءين اكتفاءً بأحَدَيْهِمَا عن الأُخْرَى، ولا يكون هذا الحذف إلا في الماضي خَاصَّةً، لا يقال: تَتَّخَذُ كما يقال: تَتَّخَذُ، لأن المستقبل ليس فيه هَمْزَةٌ وَضَلِ، وإنما فَرَّزُوا في الماضي من ثقل الهمزة في الابتداء، واستَغْنَوْا بحركة التاء عنها، وكسروا الخاء من تَتَّخَذْتُ لأنه لا مستقبل له مع الحذف، فحَرَكُوا عَيْنَ الفعل بالحركة التي كانت له في المستقبل. وكلامنا هذا على اللغة المشهورة، وإلا فقد حُكِيَ يَتَّخَذُ في لغة ضعيفة ذكرها أبو عبيد، وذكرها النحاس في إعراب القرآن.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾: أي ثواب المُطيعين.

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه:

ثم استقبل ذكر المُصيبة التي نزلت بهم، والبلاء الذي أصابهم، والتَّمحيص لما كان فيهم، واتخاذَه الشُّهداء منهم، فقال: تعزيةً لهم، وتغريفاً لهم فيما صنعوا، وفيما هو صانع بهم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾: أي قد مَضَتْ مني وقائع نَقْمة في أهل التَّكْذِيب لِرُسْلي والشُّرك بي: عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، فرأوا مَثَلات قد مَضَتْ مني فيهم، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك مني، فإني أُمْلِيتُ لهم: أي لثلاث يظنون أن نَقْمتي انقطعت عن عدوكم وعدوي للدولة التي أدلتهم بها عليكم، لِيَتْلِيَكُم بِذَلِكَ، لِيُعْلَمَكُم ما عندكم.

ثم قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي هذا تفسير للناس إن قَبِلُوا الهدى ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾: أي نور وأدب ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي لمن أطاعني وعرف أمري، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي لا تَضَعُفُوا ولا تَبْتَئِسُوا على ما أصابكم، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ﴾ أي لكم تكون العاقبة والظهور ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم صَدَقْتُمْ نبي بما جاءكم به عني. ﴿إِنْ يَمَسُّنَا مِنْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾: أي جراح مثلها، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: أي نُصَرِّفُهَا بَيْنَ النَّاسِ لِلْبَلَاءِ والتَّمحيص ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: أي لِيُمَيِّزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَلِيُكْرِمَ مِنْ أَكْرَمِ مَنْ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِالشَّهَادَةِ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: أي الْمُنَافِقِينَ الذي يُظْهِرُونَ بِالسُّنْتِهم الطَّاعَةَ وقلوبهم مُصْرِةً على الْمَغْصِيَةِ ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يَخْتَبِرَ الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّى يَخْلُصَهُم بِالْبَلَاءِ الذي نَزَلَ بِهِمْ،

أدلة على صحة خلافة أبي بكر:

وذكر قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الرِّدَّةِ على أعقابهم، فلم يَصُرْ ذلك ديناً لله، ولا أُمَّةً نَبِيَّه، وكان أبو بكر يُسَمَّى: أمير الشَّاكِرِينَ لذلك، وفي هذه الآية دليل على صحة خلافتِهِ، لأنه الذي قاتل المنقِلِينَ على أعقابهم حين رَدَّهم إلى الدين الذي خرجوا منه، وكان في قوله سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ دليل على أنهم سَيَظْفَرُونَ بِمَنْ ارْتَدَّ، وَتَكْمُلُ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةُ، فيشكرون، فتحريضُهُ إِيَّاهُمْ على الشُّكْرِ - والشُّكْرُ لا يكون إلا على نعمة - دليل على أن بَلَاءَ الرِّدَّةِ لا يَطُولُ، وأن الظَّفَرَ بهم سَرِيعٌ، كما كان.

وكيف صَبَرهم وَيَقِينهم ﴿وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: أي يُبْطِل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، حتى يظهر منهم كُفْرهم الذي يَسْتُرون به.

دعوة الجنة للمجاهدين:

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: أي حسبتم أن تدخلوا الجنة، فتصيبوا من ثوابي الكرامة، ولم أختبركم بالشدة، وأبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم في، ولقد كنتم تَمْنُونَ الشَّهَادَةَ عَلَى الذي أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم، يعني الذين استنهضوا رسول الله ﷺ إلى خروجه بهم إلى عدوهم، لما فاتهم من حضور اليوم الذي كان قبله يبدّر، ورغبة في الشهادة التي فاتتهم بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ يقول: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: أي الموت بالسيف في أيدي الرجال قد خَلِيَ بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم، ثم صَدَّهم عنكم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: أي لقول الناس: قُتِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وانهمزهم عند ذلك، وانصرافهم عن عدوهم ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ رَجِعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ كَفَّارًا كَمَا كُنْتُمْ، وتركتهم جهاد عدوكم، وكتاب الله. وما خَلَفَ نبِيهِ ﷺ من دينه معكم وعندكم وقد بَيَّن لكم فيما جاءكم به عَنِّي أَنَّهُ مَيِّتٌ وَمَفَارِقُكُمْ، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾: أي يرجع عن دينه ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: أي ليس ينقص ذلك عِزَّ الله تعالى ولا مُلْكُهُ ولا سُلْطَانُهُ ولا قُدْرَتُهُ، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: أي مَنْ أطاعه وَعَمِلَ بِأَمْرِهِ.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ فيه أيضًا: التصحيحُ لخلافة أبي بكر، لأنه الذي دعا الأعْرَابَ إلى جِهَادٍ حَنِيفَةٍ، وكانوا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، ولم يُقاتِلُوا لِجُزْيَةٍ، وإنما قُوتِلُوا لِيُسَلِّمُوا، وكان قتالهم بأمر أبي بكر، وفي سلطانه، ثم قال: ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ فأوجب عليهم الطاعة لأبي بكر، فكان في الآية كالنص على خلافته.

وكذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكَانُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وقد بَيَّن في سورة الْحَشْرِ مِنَ الصَّادِقُونَ، وهم المهاجرون بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فأمر الذين تبوؤوا الدارَ والإيمانَ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ، أي: تَبَعًا لَهُمْ، فحصلت الخلافة في الصادقين بهذه الآية، فاستحقوها بهذا الاسم، ولم يكن في الصادقين مَنْ سَمَّاهُ اللهُ الصَّادِقَ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ، فكانت له خَاصَّةٌ، ثم للصادقين بعده.

ذكره أن الموت بإذن الله :

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾: أي أن لمحمد ﷺ أجلاً هو بالغة، فإذا أذن الله عز وجل في ذلك كان. ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾: أي من كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة في الآخرة، نُؤْتِهِ مِنْهَا ما قُسم له من رزق، ولا يَغدوه فيها، وليس له في الآخرة من حظ. ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما وُعد به، مع ما يُجزى عليه من رزقه في دُنياه، وذلك جزاء الشَّاكرين، أي المتقين.

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

ثم قال: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيبُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ أي وكأين من نبي قُتل معه ريبون كثير فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا أي جماعة، فَمَا وَهَنُوا لَفَقْدَ نَبِيِّهِمْ، وما ضعفوا عن عدوهم؛ وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم، وذلك الصبر، والله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

ريبون ورفعها في الآية

وذكر قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ^(١) مَعَهُ رِيبُونٌ كَثِيرٌ﴾ ارتفع ريبون على تفسير ابن إسحاق بالابتداء، والجملة في موضع الحال من الضمير في قُتل، وهذا أصح التفسيرين، لأنه قال: فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ، ولو كانوا هم المقتولين ما قال فيهم: ما وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ أي: ما ضَعُفُوا، وقد يُخْرَجُ أيضًا قول من قال: رِيبُونٌ مفعول لم يَسْمُ فاعله بقتل على أن يكون معنى قوله: فَمَا وَهَنُوا أي ما وَهَنَ الباقون منهم، لما أُصِيبُوا به مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِهِمْ، وهذا وَجْهٌ، ولكن سبب نزول الآية يدل على صحة التفسير الأول.

وقوله: رِيبُون، وهم الجماعات في قول أهل اللغة، وقال ابن مسعود: رِيبُون أُلوفٌ، وقال أَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ: الرِّيبِيُّ: عشرة آلاف^(٢).

(١) في مصحف عثمان الذي بين أيدينا «قاتل».

(٢) وقيل: الرِّيبُون: المُعَبَّدُونَ للرب، العابدون له تعالى.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: واحد: الرَّبَّيْن: رَبِّي؛ وقولهم: الرِّبَاب، لولد عبد مناة بن أذ بن طابخة بن إلياس، ولضبة، لأنهم تَجَمَّعُوا وتحالفوا، من هذا، يريدون الجماعات. وواحدة الرِّبَاب: رَبَّة (وربابة) وهي جماعات قِداح أو عصي ونحوها، فشَيَّهوها بها. قال أبو ذؤيب الهذلي:

وكأَنَّ رِبَابَهُ وَكَأَنَّهُ يَسِرُّ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَضْدَعُ
وهذا البيت في أبيات له. وقال أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت:

حَوْلَ شَيَاطِينِهِمْ أَبَابِيلُ رَبِّ يَوْمَ شَدُّوا سَنَوْرًا مَدُشُورًا
وهذا البيت في قصيدة له:

قال ابن هشام: والرِّبَابَة (أيضًا) الخِرقة التي تُلَفَّ فيها القِداح.

قال ابن هشام: والسَّنُور: الدروع. والدُّسْر: هي المسامير التي في الحِلَق، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾^(١).

قال الشاعر، وهو أبو الأَخْزَر الجَمَّاني، من تميم:

دَسَرَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمَقْوَمِ

قال ابن إسحق: أي فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا إنما ذلك بذنوب منكم، واستغفروه كما استغفروه، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم، ولا تَرْتَدُّوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يُثَبَّتْ أقدامكم، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان؛ وَقَدْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ، فلم يفعلوا كما فعلتم، فَاتَاهُمُ اللهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا بِالظُّهُورِ على عَذْوِهِمْ، وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَمَا وَعَدَ اللهُ فِيهَا، وَاللهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

من تفسير آيات أحد:

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَابِكُمْ غَمًّا بَغَمًّا﴾ وعلى: تفسير ابن إسحق غَمًّا بعد غَمِّ الباء متعلقة بمحذوف، التقدير: غَمٌّ مقرون بَغَمٍّ، وعلى تفسير آخر متعلقة: بِأَتَابِكُمْ، أي: أَتَابِكُمْ غَمًّا بما غَمَّمْتُمْ نَبِيَّهَ حِينَ خَالَفْتُمْ أَمْرَهُ.

(١) سورة القمر آية رقم (١٣).

تحذيره إياهم من إطاعة الكفار:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: أي عن عدوكم، فتذهب دنياكم وآخرتكم ﴿بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾، فإن كان ما تقولون بالسستكم صدقًا في قلوبكم فاعتصموا به، ولا تستنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينه. ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ﴾: أي الذي به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم من حجة، أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نضر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بي، وأتبعتم أمري، للمصيبة التي أصابتكم منهم بذنوب قد متموها لأنفسكم، خالفتكم بها أمري للمعصية، وعصيتكم بها النبي ﷺ. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَغَمْتَ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وقد وقّيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم، إذ تحسونهم بالسيف، أي القتل، بإذني وتسلطي أيديكم عليهم، وكفّي أيديهم عنكم.

قال ابن هشام: الحسن: الاستئصال: يقال: حَسَسْتُ الشيء: أي استأصلته بالسيف وغيره. قال جرير:

تحسُّهم السُّيُوفُ كما تَسَامَى حريقُ النَّارِ فِي الْأَجَمِ الْحَصِيدِ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال رؤبة بن العجاج:

إِذَا شَكُونَا سَنَةً حَسُوسَا

تَأْكُلُ بَعْدَ الْأَخْضَرِ الْيَبِيسَا

وهذان البيتان في أرجوزة له.

وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ قال ابن عباس: هو عَبْدُ اللَّهِ بن جُبَيْرِ الذي كان أميرًا على الرُّمَّةِ، وكان أمرهم أن يَلْزَمُوا مكائهم، وألَّا يُخَالِفُوا أَمْرَ نَبِيِّهم، فثبت معه طائفة، فاستشهد، واستشهدوا، وهم الذين أرادوا الآخرة، وأقبلت طائفة على الْمُعْتَمِ، وأخذ السِّلْبَ، فكَرَّ عليهم العدو، وكانت المصيبة، وفي الخبر: لقد رأيت خَدَمَ هِنْدٍ وصَوَاحِبَهَا، وهُنَّ مُشْمَرَاتٌ فِي الْحَرْبِ. والخَدَمُ: الخلائيلُ، وكذلك قوله حين ذكر هَذَا، وأنها اتخذت من أَذَانِ الشُّهَدَاءِ وَأَنْفِهِمْ خَدَمًا وَقَلَانِدًا، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا وَقَلَانِدَهَا وَقِرْطَهَا وَخَشِيئًا، معناه: الْخَلَاخِلُ أيضًا.

قال ابن إسحق: ﴿حتى إذا فشلتم﴾: أي تخاذلتم ﴿وتنازعتم في الأمر﴾ أي اختلفتم في أمري، أي تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم، يعني الرماة ﴿وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون﴾: أي الفتح، لا شك فيه، وهزيمة القوم عن نساءهم وأموالهم، ﴿منكم من يريد الدنيا﴾: أي الذين أرادوا النهب في الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾: أي الذين جاهدوا في الله، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا، رغبة فيها، رجاء ما عند الله من ثوابه في الآخرة؛ أي الذين جاهدوا في الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعرض من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أن لا يهلككم بما أتيتهم من مغصية نبيكم، ولكني عدت بفضلي عليكم، وكذلك ﴿من الله على المؤمنين﴾ أن عاقب ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم، بما أصابوا من مغصيته، رحمة لهم، وعائدة عليهم، لما فيهم من الإيمان.

تأنيبه إياهم لفرارهم عن نبيهم:

ثم أتبعهم بالفرار عن نبيهم ﷺ، وهم يدعون لا يغطفون عليه لدعائه إياهم، فقال: ﴿إِذْ تَضَعُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾: أي كرتنا بعد كرب، بقتل من قتل من إخوانكم، وعلو عدوكم عليكم، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال: قتل نبيكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم عماً بغم؛ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم؛ من ظهوركم على عدوكم، بعد أن رأيتموه بأعينكم، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. وكان الذي فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذي أصابهم، أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم ﷺ، فلما رأوا رسول الله ﷺ حياً بين أظهرهم، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم، والمصيبة التي أصابتهم في إخوانهم، حين صرف الله القتل عن نبيهم ﷺ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي

وقوله سبحانه: ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا ههنا﴾ في صحيح التفسير أن عتاب بن قشير هو قاتل هذه المقالة، وكان متبوءاً بالثفاق.

قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»، فأنزل الله النعاس أمانةً منه على أهل اليقين به، فهم نيام لا يخافون، وأهل التفاق قد أهتمهم أنفسهم، يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية، تخوف القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة، فذكر الله عز وجل تلاؤمهم وحسرتهم على ما أصابهم. ثم قال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ لم تحضروا هذا الموطن الذي أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم ﴿لَبَرَزَ﴾ لأخْرَجَ ﴿الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ إلى موطن غيره يُصرعون فيه، حتى يتبلى به ما في صدورهم ﴿وَلِيُمَتِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم.

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت في الله:

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أي لا تكونوا كالمنافقين الذين يتهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، والضرب في الأرض في طاعة الله عز وجل، وطاعة رسوله ﷺ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا: لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لقلة اليقين بربهم، ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ﴾: أي يُعَجِّلُ ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: أي إن الموت لكائن لا بد منه، فموت في سبيل الله، أو قتل، خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة في الآخرة ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ أي ذلك كان ﴿لِلَّهِ تَخَشَّرُونَ﴾: أي أن إلى الله المرجع، فلا تغرنكم الدنيا، ولا تغترون بها، وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه من ثوابه أثر عندكم منها.

ذكره رحمة الرسول عليهم:

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: أي لتركوك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي فتجاوز عنهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فذكر لنبيه ﷺ

وقوله: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: يظنون أن الله خاذل دينه ونبيه.

وقوله: ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ أي: أهل الجاهلية كآبي سُفيان وأصحابه.

لِيَنَّهُ لَهِمْ، وَصَبْرَهُ عَلَيْهِمْ، لَضَعْفِهِمْ، وَقَلَّةَ صَبْرِهِمْ عَلَى الْغُلْظَةِ لَوْ كَانَتْ مِنْهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَا خَالَفُوا عَنْهُ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ. ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاغْفِرْ عَنْهُمْ﴾: أَيِ تَجَاوَزْ عَنْهُمْ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذُنُوبِهِمْ، مِنْ قَارَفٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أَيِ لْتَرِيهِمْ أَنْكَ تَسْمَعُ مِنْهُمْ، وَتَسْتَعِينُ بِهِمْ، وَإِنْ كُنْتَ غَنِيًّا عَنْهُمْ، تَأَلَّفًا لَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى دِينِهِمْ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: أَيِ عَلَى أَمْرِ جِئَاكَ مِنِّي وَأَمْرٍ مِنْ دِينِكَ فِي جِهَادٍ عَدُوَّكَ لَا يُصْلِحُكَ وَلَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ، فَاْمُضْ عَلَى مَا أَمَرْتُ بِهِ، عَلَى خِلَافٍ مِنْ خَالَفَكَ، وَمُوَافَقَةٍ مِنْ وَافَقَكَ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، أَيِ ارْضَ بِهِ مِنَ الْعِبَادِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ: أَيِ لئَلَّا تَتْرَكَ أَمْرِي لِلنَّاسِ، وَارْقُضْ أَمْرَ النَّاسِ إِلَى أَمْرِي، وَعَلَى اللَّهِ لَا عَلَى النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.

ما نزل في الغلول

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلْ مِمْنَ يَعْلَلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أَيِ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكْتُمَ النَّاسَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ، عَنْ رَهْبَةٍ مِنَ النَّاسِ وَلَا رَغْبَةٍ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَأْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهِ، ثُمَّ يُجْزَى بِكَسْبِهِ، غَيْرَ مَظْلُومٍ وَلَا مُعْتَدِيٍّ عَلَيْهِ ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ عَلَى مَا أَحَبَّ النَّاسُ أَوْ سَخَطُوا ﴿كَمْ مِنْ بَاءٍ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لِرِضَا النَّاسِ أَوْ لِسَخَطِهِمْ. يَقُولُ: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى طَاعَتِي، فَتَوَابَهُ الْجَنَّةَ وَرِضْوَانَهُ مِنَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَاسْتَوْجِبَ سَخَطَهُ، فَكَانَ ﴿مَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أَسْوَءُ الْمَثَلَانِ! فَاعْرِفُوا. ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَغْمَلُونَ﴾ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا فِي الْجَنَّةِ وَالتَّارِ: أَيِ إِنْ اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَهْلُ طَاعَتِهِ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ وَفَسَّرَهُ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ أَمَرَ بِمَشَاوَرَتِهِمَا.

حكم الغلول

وَذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلْ مِمْنَ يَعْلَلُ﴾ وَفَسَّرَهُ أَنْ يَكْتُمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَأَكْثَرُ الْمَفْسُرِينَ يَقُولُونَ: نَزَلَتْ فِي الْغُلُولِ، وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ أَنَّهُمْ فَقَدُوا قَطِيقَةً مِنَ الْمَغْنَمِ، فَقَالَ قَاتِلُ: لَعَلَّ النَّبِيَّ - ﷺ - أَخَذَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ، وَمَنْ قَرَأَ يَعْلَلُ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْغَيْنِ فَمَعْنَاهُ أَنْ يُلْقَى غَالًا، تَقُولُ: أَجْبَنْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَلْفَيْتَهُ جَبَانًا، وَكَذَلِكَ أَغْلَلْتُهُ: إِذَا وَجَدْتَهُ. غَالًا، وَقَدْ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ لِبْنِي سَلِيمٍ: قَاتَلْنَاكُمْ، فَمَا أَجْبَأَكُمْ، وَسَلَّانَاكُمْ فَمَا أَبْخَلْنَاكُمْ وَتَفْسِيرُ ابْنِ

فضل الله على الناس يعث الرسل:

ثم قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولاً من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم، وفيما عملتم، فيعلمكم الخير والشر، لتعرفوا الخير فتعملوا به، والشر فتتقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، لتتخلصوا بذلك من نقمته، وتذكروا بذلك ثوابه من جنته ﴿وَإِنْ﴾ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ: أي لفي عمياء من الجاهلية، أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة، صم عن الخير، بكم عن الحق، غمي عن الهدى.

ذكره المصيبة التي أصابتهم:

ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم، فقال: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي إن تك قد أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوتكم، في اليوم الذي كان قبله بيدر، قتلاً وأسراً ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم ﷺ، أنتم أحللتكم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي إن الله على ما أراد بعباده من نعمة أو عقو قدير ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنِ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فيأذني، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نضري، وصدقتكم وغدي، ليميز بين المؤمنين والمنافقين، وليعلم الذين نافقوا منكم: أي ليظهر ما فيهم. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾: يعني عبد الله بن أبي وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ، حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد، وقولهم: لو نعلم أنكم تقاتلون لسننا معكم، ولدفعنا عنكم، ولكنا لا نظن أنه يكون قتال. فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم. يقول الله عز وجل: ﴿هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي يظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ أي ما يخفون ﴿الَّذِينَ قَالُوا

إسحق [غير] خارج عن مقتضى اللغة. فمن كتم فقد غل، أي: ستر، وكذلك من خان في شيء وأخذه خفية، فقد ستره وكتمه، وأصل الكلمة: السَّتر والإخفاء، ومنه الغلالة والغلل للماء الذي يُعطيه الشجر والنبات، وقد أمر النبي - ﷺ - في بعض المغازي بإحراق متاع الغال، وأخذت به طائفة من الفقهاء، منهم أحمد وإسحق.

لِإِخْوَانِهِمْ ﴿الَّذِينَ أَصَابُوا مَعَكُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ﴾: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي أنه لا بد من الموت، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله، حرصاً على البقاء في الدنيا، وفراراً من الموت.

الترغيب في الجهاد

ثم قال لنبيه ﷺ، يرغب المؤمنين في الجهاد، ويهون عليهم القتل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أي لا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله أَمْواتًا: أي قد أحييتهم، فهم عندي يُرزقون في رَوْح الجنة وفضلها، مَسْرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه، وَيَسْتَبْشِرُونَ بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، أي وَيُسْرُونَ بلُحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مَضُوا عليه من جهادهم، لِيَشْرَكُوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن. يقول الله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لما عاينوا من وفاء الموعود، وعظيم الثواب.

الشهادة والشهداء

فصل: وذكر قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآيات، وهؤلاء هم الذين سَمَّاهم الله شهداء بقوله: ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ وهذا الاسم مأخوذ من الشَّهَادَةِ أو من المُشَاهَدَةِ، فإن كان من الشهادة فهو شَهِيد بمعنى مَشْهُودٍ، أي مَشْهُود عليه، وَمَشْهُودٌ له بالجنة، أما مَشْهُودٌ عليه، فَلَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - حين وقف على قَتْلِ أُحُدٍ، قال: «هؤلاء الذين أَشْهَدَ عليهم، أي: أَشْهَدُ عليهم بالوفاء»، وقال: عليهم، ولم يقل: لهم، لأن المعنى: أجيء يوم القيامة شَهِيداً عليهم، وهي وَلايَةُ وقِيادة، فوصلت بحرف عُلَى، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون فعلاً بمعنى فاعل، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: تَشْهَدُونَ عليهم، وهذا، وإن كان عامّاً في جميع أُمَّة محمد - عليه الصلاة والسلام - فالشهداء أَوَّلَى بهذا الاسم، إذ هم تَبَعَ لِلصَّادِقِينَ وَالنَّبِيِّينَ. قال الله سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ فهذان وَجْهَانِ في معنى الشَّهِيد، إذا جعلته مُسْتَقّاً من الشَّهَادَةِ، وإن كان من المُشَاهَدَةِ، فهو فَعِيلٌ بمعنى: فاعل أيضاً، لأنه يشاهد من مَلَكُوتِ الله، ويعاين من مَلَائِكَتِهِ ما لا يُشَاهَدُ غيره، ويكون أيضاً بمعنى مَفْعُولٍ، وهو من المُشَاهَدَةِ؛ أي: إن الملائكة تشاهد قبضه، والعروج بروحه، ونحو

مصير قتلى أُحد:

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ، تَرَدُّ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى فَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَشْرِبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ، وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانُنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا، لَثَلَا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ»؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَأَنَا أَبْلِغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ ﷺ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ﴾...

ذلك، فيكون فعلاً بمعنى مفعول. وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعلاً بمعنى مفعول، ويكون معناه. مشهوداً له بالجنة، أو يشهد عليه النبي عليه السلام كما قال: «هؤلاء أنا شهيد عليهم»، أي: قِيمَ عليهم بالشهادة لهم، وإذا حُشِرُوا تحت لوائه، فهو والٍ عليهم، وإن كان شاهداً لهم، فَمِنْ هَاهُنَا اتَّصَلَ الْفِعْلُ بِلَعْنِي، فَتَقَوَّى هَذَا الْوَجْهَ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ، وَمِنْ وَجْهِ آخَرٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - حِينَ ذَكَرَ الشَّهَدَاءَ قَالَ: «وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعٍ^(١) شَهِيدٌ»، وَلَمْ يَقُلْ: شَهِيدَةٌ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ: «وَالنَّفْسَاءُ شَهِيدٌ يَجْرُهَا جَنِيئُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ^(٢)»، وَلَمْ يَقُلْ: شَهِيدَةٌ وَقَعِيلٌ إِذَا كَانَ صِفَةً لِمَوْثُوثٍ كَانَ بِغَيْرِ هَاءٍ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، نَحْوُ: امْرَأَةٌ قَتِيلٌ وَجَرِيحٌ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، كَانَ بِالْهَاءِ كَقَوْلِهِمْ: امْرَأَةٌ عَلِيْمَةٌ وَرَجِيْمَةٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الشَّهِيدَ مَشْهُودٌ لَهُ، وَمَشْهُودٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا اسْتِفْرَافٌ مِنَ اللَّغَةِ صَحِيحٌ، وَاسْتِنْبَاطٌ مِنَ الْحَدِيثِ بَدِيعٌ، قَفَّفَ عَلَيْهِ.

وذكر ابنُ إسحاق حديثَ ابنِ عباس المرفوعَ، وفيه أن الله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر، وعن قتادة قال: ذكر لنا أن أرواح الشهداء تتعارف عند السدرة في أجواف طير بيض، وقد أنكر هذه الرواية قوم، وقالوا: لا يكون روحان في جسد واحد، وإن ذلك مُحَالٌ، وهذا جهلٌ بالحقائق، فإن معنى الكلام بين، فإن روح الشهيد الذي كان في جسده في الدنيا، يُجْعَلُ فِي جَسَدٍ آخَرَ كَأَنَّهُ صُورَةٌ طَائِرٌ، فَيَكُونُ فِي هَذَا الْجَسَدِ الْآخِرِ، كَمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِ، إِلَى أَنْ يُعِيدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا خَلَقَهُ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ لَا تُعَارِضُ مَا رَوَوْهُ مِنْ قَوْلِهِ: فِي صُورِ طَيْرٍ خُضِرَ، وَالشَّهَدَاءُ طَيْرٌ خُضِرَ، وَجَمِيعُ الرِّوَايَاتِ كُلُّهَا مُتَّفِقَةٌ الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا الَّذِي يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ قِيَامُ حَيَاتَيْنِ بِجَوْهَرٍ وَاحِدٍ، فَيَخِيَا الْجَوْهَرُ بِهِمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا رُوحَانِ فِي جَسَدٍ فَلَيْسَ بِمُحَالٍ إِذَا لَمْ تُنْقَلْ بِتَدَاخُلِ الْأَجْسَامِ، فَهَذَا الْجَنِينُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَرُوحُهُ غَيْرُ

(٢) أخرجه الطبراني (١٨/٨٧).

(١) بجمع: أي حاملاً.

رُوحِهَا، وقد اشتمل عليهما جَسَدٌ واحد، وهذا أن لو قيل لهم: إن الطائر له رُوحٌ غيرُ رُوحِ الشَّهِيد، وهما في جَسَدٍ واحد، فكيف، وإنما قال: في أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرٍ، أي: في صورة طَيْرٍ خُضِرٍ، كما تقول: رأيت مَلَكًا في صورة إنسانٍ، وكذلك قوله عليه السلام: «إنما نَسَمَةُ المؤمن طائرٌ يَغْلُقُ في ثَمَرِ الْجَنَّةِ»^(١) تأوَّلَهُ بعضهم مَخْصُوصًا بالشَّهِيد، وقال بعضهم: إنما الشَّهِيد في الْجَنَّةِ يأكل منها حيث شاء، ثم يأوي إلى قناديل مُعَلَّقة في العَرْشِ، وغير الشَّهِيد من المؤمنين نَسَمَتُهُ، أي: رُوحه طائر، لا أن رُوحه جُعِلَ في جَوْفِ طائر، ليأكل ويشرب، كما فُعلَ بالشَّهِيد لكن الرُوحَ نفسَه طائرٌ يَغْلُقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ، يَغْلُقُ بفتح اللام يُنْشَبُ بها، وَيَرَى مَقْعَدَهُ منها، ومن رواه: يَغْلُقُ فمَعْنَاهُ يُصِيبُ العُلُقَةَ، أي: ينال منها ما هو دون نَيْلِ الشَّهِيد، فضرب العُلُقَةَ مثلاً، لأن من أصاب العُلُقَةَ من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيره ممَّن أدرك الرِّغْدَ، فهو مثْلُ مَضْرُوبٍ يُفْهَمُ منه هذا المعنى.

وإن كان أراد يَغْلُقُ الأكلَ نفسَه، فهو مخصوص بالشَّهِيد، فتكون رواية من رواه بالضَّمِّ للشَّهداء، ورواية الفتح لمن دونهم، فالله أعلم بما أراد رسوله من ذلك.

وقوله: ثم تأوي إلى قَنَادِيلٍ يُصَدِّقُهُ قَوْلُهُ تعالى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩]. وإنما تأوي إلى تلك القناديل ليلاً، وتَسْرُحُ نَهَارًا، فتعلم بذلك الليل من النهار، وبعد دخول الجنة في الآخرة، لا تأوي إلى تلك القناديل - والله أعلم - وإنما ذلك مُدَّةُ البَرْزَخِ هذا ما يدل عليه ظاهر الحديث. وقال مجاهد: الشهداء يأكلون من ثَمَرِ الْجَنَّةِ وليسوا فيها، وقد أنكر أبو عُمر قولَ مجاهد، وردَّه وليس بمنكر عندي، ويشهد له ما وقع في مُسْنَدِ ابنِ أَبِي شَيْبَةَ وغيره عن النبي - ﷺ - قال: «الشَّهداءُ يَنْهَرُ» أو «على نَهَرٍ» يقال له: «بارقٌ عند باب الجنة في قَبَابٍ خُضِرٍ يَأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ مِنْهَا بُكَرَةً وَعَشِيًّا»^(٢)، فهذا يبين ما أراد مجاهدٌ، والله أعلم.

ومما وقع السِّيرة أيضًا، ولم يذكره ابنُ هِشَامٍ حديث رواه ابنُ إسحاق، قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرُوه، قال: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قال: «الشَّهداءُ ثَلَاثَةٌ، فَأَدْنَى الشَّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةُ رَجُلٍ خَرَجَ مَسْودًا بِنَفْسِهِ وَرَخِلَهُ، لَا يَرِيدُ أَنْ

(١) أخرجه النسائي (١٠٨/٤) وابن ماجه (٤٢٧١) وأحمد (٤٥٥/٣) وأبو نعيم في الحلية (١٥٦/٩) ومالك في الموطأ (٢٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦/١) وابن أبي شيبة (٢٩٠/٥) والحاكم (٧٤/٢) والطبراني (٤٠٥/١٠) وابن حبان (١٦١١ - موارد).

قال ابن إسحاق: وحدثني الحارث بن الفضيل، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً».

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أما إننا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فيطلع الله عز وجل عليهم إطلاعةً فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ قال: فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطلع الله عليهم إطلاعةً، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون، فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطلع عليهم إطلاعةً، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون، فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا. إلا أننا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا، ثم نرد إلى الدنيا، فنقاتل فيك، حتى نقتل مرة أخرى.

يقتل ولا يقتل أنه سَهَمَ غَزَبَ فأصابه، قال: فأول قَطْرَةٍ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِهِ، يغفر الله بها ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ثم يُهَيِّطُ الله إِلَيْهِ جَسَدًا مِنَ السَّمَاءِ، فيجعل فيه رُوحَهُ، ثم يصعد به إلى الله، فما يَمُرُّ بِسَمَاءٍ مِنَ السَّمَوَاتِ إِلَّا شَفَعَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، حتى ينتهي به إلى الله، فإذا انتهى به إليه وقع ساجداً، ثم يُؤَمَّرُ بِهِ فَيُكْسَى سَبْعِينَ رُوحًا مِنَ الْإِسْتَبْرَقِ، ثم يقول رسول الله ﷺ: «كَأَخْسَنَ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَفَائِقِ الثُّغَمَانِ». وحدث كعب الأخبار عن قول - رسول الله عليه السلام - فقال كعب الأخبار: أجَلْ كَأَخْسَنَ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَفَائِقِ الثُّغَمَانِ، ثم يقول: اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء، فاجعلوه معهم، فيؤتى به إليهم من قبة خضراء، في روضة خضراء عند باب الجنة يخرج عليهم حوث وتور من الجنة لغدائهم، فيلبانهم، حتى إذا كثر عجبهم منها طعن الثور الحوت بقرنه، فبقره لهم عما يدعون. ثم يروحان عليهم لعنائهم، فيلبانهم، حتى إذا كثر عجبهم منهما ضرب الحوث الثور بقرنه لهم عما يدعون، فإذا انتهى إلى إخوانه سألوهم تسألوا الراكب يقدم عليكم بلادكم، فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: أفلس، فيقولون: فما أهلك ماله فوالله إن كان لكيساً جموعاً تاجراً، فيقال لهم: إننا لا نعد الفلّس ما تعدون، وإنما نعد الفلّس من الأعمال، فما فعل فلان وامراته فلانة؟ فيقول: طلقها، فيقولون: فما الذي نزل بينهما، حتى طلقها، فوالله إن كان بها لمُعْجَبًا؟ فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: مات أيّهات قبل بزمان، فيقولون: هلك والله ما سمعنا له بذكر، إن الله طريقين، أحدهما: علينا،

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أُبشرك يا جابر؟» قال: قلت: بلى يا نبي الله؛ قال: «إن أباك حيث أُصيب بأحد أحياء الله عز وجل»، ثم قال له: ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أي رب، أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك، فأقتل مرة أخرى^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا، فيقاتل في سبيل الله، فيقتل مرة أخرى».

ذكر من خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد:

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ أي الجراح، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا، الثفر من عبد القيس، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال، قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم. يقول الله عز وجل: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دَارِهِمْ لِيَنْصَرِفَ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ﴾، أي لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: أي يرهبكم بأوليائه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: أي المنافقون ﴿إِنَّهُمْ لَن

والآخر، يخالف بها عتًا، فإذا أراد الله بعبد خيرًا أمر به علينا، ففرغناه، وعرفنا متى مات، وإذا أراد الله بعبد شرًا خولف به عنا، فلم نسمع له بذكر، هلك والله فلان، فإن هذا لأدنى الشهداء عند الله نزلة، وإن الآخر رجل خرج مسودًا بنفسه ورخله يحب أن يقتل، ولا يقتل، أنه سهم عذب فأصابه، فذلك رفيق إبراهيم خليل الرحمن يوم القيامة يحك ركبته ركبته، وأفضل الشهداء: رجل خرج مسودًا بنفسه ورخله يحب أن يقتل وأن يقتل، وقاتل حتى قتل قنصًا فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهرًا سيفه، يتمنى على الله، لا يسأله شيئًا إلا أعطاه

(١) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١٩٣/٢).

يَضْرَبُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضْرَبُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرَ لَاتُقْسِمُهُمُ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ: أَيِ الْمُنَافِقِينَ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِقَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أَيِ فِيمَا يُرِيدُ أَنْ يَتْلِيَكُمْ بِهِ، لَتَحْذَرُوا مَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أَيِ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ أَيِ تَرْجِعُوا وَتَتُوبُوا ﴿فَلََكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

ذَكَرَ مَنْ اسْتَشْهَدَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ^(١):

مِنْ بَنِي هَاشِمٍ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أَحَدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَنُ عَبْدِ مَنْفٍ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَتَلَهُ وَخَشِي، غُلَامٌ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ.

مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ:

وَمِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بَنُ عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَنْشٍ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُرَيْمَةَ.

إِيَّاهُ^(٢). وَقَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْحَوْتِ وَلَعِبِهِ مَعَ الثَّوْرِ وَقَدْ خَرَّجَهُ هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ لَهُ بِأَكْثَرِ مَا وَقَعَ هَا هُنَا، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْهُ ذِكْرُ أَكْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كَبِدِ أَوَّلِ مَا يَأْكُلُونَ، ثُمَّ يُنْخَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَابِ التَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ أَنَّ الْحَوْتَ لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ قَرَرُ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَهُوَ حَيَوَانٌ سَابِغٌ لِيَسْتَشِيرَ أَهْلُ هَذِهِ الدَّارِ أَنَّهُمْ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَ بِدَارٍ قَرَارٍ، فَإِذَا نُجِرَ لَهُمْ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَأَكَلُوا مِنْ كَبِدِهِ، كَانَ فِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ لَهُمْ بِالرَّاحَةِ مِنْ دَارِ الزَّوَالِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ صَارُوا إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، كَمَا يُذَبِّحُ لَهُمُ الْكَبَبُ الْأَمْلَحُ عَلَى الصُّرَاطِ، وَهُوَ صَوْرَةُ الْمَوْتِ لِيَسْتَشِيرُوا أَنْ لَا مَوْتَ، وَأَمَّا الثَّوْرُ فَهُوَ آلَةُ الْحَرْثِ، وَأَهْلُ الدُّنْيَا لَا يَخْلُونَ مِنْ أَحَدِ الْحَرْثَيْنِ، حَرْثٍ لِدُنْيَاهُمْ، وَحَرْثٍ لِآخِرَاهُمْ، فَفِي نَخْرِ الثَّوْرِ لَهُمْ هُنَالِكَ إِشْعَارٌ بِإِرَاحَتِهِمْ مِنَ الْكَدِّ وَثَرَفِهِمْ مِنْ نَصَبِ الْحَرْثَيْنِ، فَاعْتَبِرُوا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

(١) انظر الواقدي (٢٩١) ابن سعد (٢/٢٩١) تلقيح الفهوم (٢٢٤) البداية والنهاية (٤/٤٦٤) جوامع السيرة لابن حزم (٢٠٤).

(٢) أورده ابن حجر في المطالب (١٨٧٤) والهيتمي في المجمع (٥/٢٩١) والسيوطي في الدر المنثور (٩٨/٢). وقصة النور الذي يحمل الأرض - موضوعة - وكذلك قصة لعبه مع الحوت.

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: مُصْعَب بن عُمير، قتله ابنُ قَمَيْثَةَ اللَّيْثِي.

من بني مخزوم:

ومن بني مخزوم بن يَقْظَةَ: شَمَّاس بن عُثْمان. أربعة نفر.

من الأنصار:

ومن الأنصار، ثم من بني عبد الأشهل: عمرو بن مُعَاذ بن الثُّعْمان، والحارث بن أنس بن رافع، وعُمارَة بن زياد بن السُّكن.

قال ابن هشام: السُّكْن: بَنُ رافع بن امرئ القيس؛ ويقال: السُّكْن.

قال ابن إسحاق: وَسَلْمَة بن ثابت بن وَقْش، وعمرو بن ثابت بن وَقْش. رجلان.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة: أن أباهما ثابتًا قُتِل يومئذ. ورفاعة بن وَقْش. وَحُسَيْن بن جابر، أبو حُذَيْفَة وهو اليَمان، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، فتصدَّق حُذَيْفَة بديته على مَنْ أصابه؛ وَصَيْفِي بن قَيْظِي. وَحَبَاب بن قَيْظِي. وَعَبَّاد بن سَهْل، والحارث بن أوس بن مُعَاذ. اثنا عشر رجلاً.

من راتج:

ومن أهل راتج: إِيَّاس بن أَوْس بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأَعْلَم بن زَعُوراء بن جُشَم بن عبد الأشهل؛ وَعُبَيْد بن التَّيْهَان.

قال ابن هشام: ويقال: عَتِيك بن التَّيْهَان.

وحبيب بن يَزِيد بن تَيْم. ثلاثة نفر.

إغفال ابن إسحاق نسب عبيد بن التيهان:

فصل: وذكر ابن إسحاق فيمن استشهد يوم أحد عُبَيْد بن التَّيْهَان. واسم التَّيْهَان: مالِك، ولم يرفع نَسَبَه، وكذلك فعل في هذا النسب حيث وقع في هذا الكتاب، وهو نَسَبٌ مختلف فيه، وقد رفعناه عند ذكر أبي الهَيْثَم، وذكرنا الخلاف فيه هنالك.

وقول كعب بن مالك:

ولا مِثْل أَضْيَافِ الْأَرَاثِيِّ مَغْشَرَا

من بني ظفر:

ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع. رجل.

من بني ضبيعة:

ومن بني عمرو بن عوف، ثم من بني ضبيعة بن زيد: أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد، وحَنْظَلَة بن أبي عامر بن صَيْفِي بن نعمان بن مالك بن أمة، هو غَسِيل الملائكة، قتله شَدَاد بن الأسود بن شعوب الليثي. رجلان.

قال ابن هشام: قيس: بن زيد بن ضبيعة، ومالك: بن أمة بن ضبيعة.

من بني عبيد:

قال ابن إسحق: ومن بني عبيد بن زيد: أنيس بن قتادة. رجل.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: أبو حَيَّة، وهو أخو سعد بن خَيْثمة لأمه.

قال ابن هشام: أبو حَيَّة: بن عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحق: وعبد الله بن جُبَيْر بن الثُّعْمَان، وهو أمير الرماة. رجلان.

من بني السلم:

ومن بني السَّلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس: حَيْثمة أبو سعد بن خَيْثمة. رجل.

من بني العجلان:

ومن حلفائهم من بني العَجَلان: عبدُ الله بن سَلَمَة. رجل.

من بني معاوية:

ومن بني مُعاوية بن مالك: سَبِيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة. رجل.

يعني: أبا الهَيْثَم، فجعله إِزَاشِيًا، وليست إراشة من الأنصار، ونسبه موسى بن عُقْبَة في جماعة معه إلى بَلِيٍّ، وقالوا: هو حَلِيفُ الأنصار، وليس من أنفسهم، وقال ابن إسحق والواقدي في المستهشد يوم أحد: عُبَيْد بن التَّيْهَان، وقال ابنُ عُقْبَة، وأبو معشر، وابنُ عمارة: هو عَتِيكُ بن التَّيْهَان.

من بني النَجَّار:

قال ابن هشام: ويقال: سُؤَيْقُ بن الحارث بن حاطب بن هَيْشَةَ.

قال ابن إسحاق: ومن بني النَجَّار، ثم من بني سَوَاد بن مالك بن غَنِي: عمرو بن قَيْس، وابنه قيس بن عمرو.

قال ابن هشام: عمرو بن قيس: بَنُ زَيْد بن سواد.

قال ابن إسحاق: وثابت بن عمرو بن زَيْد، وعامر بن مَخْلَد. أربعة نفر.

من بني مَبْذُول:

ومن بني مَبْذُول: أَبُو هُبَيْرَة بن الحارث بن عَلْقَمَة بن عمرو بن ثَقَف بن مالك بن مَبْذُول، وعمرو بن مُطَرَف بن عَلْقَمَة بن عمرو. رجلان.

من بني عمرو:

ومن بني عمرو بن مالك: أَوْس بن ثابت بن المُنْذِر. رجل.

قال ابن هشام: أَوْس بن ثابت، أَخُو حَسَّان بن ثابت.

من بني عَدِي:

قال ابن إسحاق: ومن بني عَدِي بن النَجَّار: أَنَس بن النُّضْر بن صَمُصَم بن زَيْد بن حَرَام بن جُنْدَب بن عامر بن عَثَم بن عَدِي بن النَجَّار. رجل.

قال ابن هشام: أَنَس بن النُّضْر، عَمَّ أَنَس بن مالك: خَادِم رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

من بني مازن:

ومن بني مازن بن النَجَّار: قَيْس بن مُخْلَد، وكيسان، عبد لهن. رجلان.

من بني دينار:

ومن بني دينار بن النَجَّار: سُلَيْم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو. رجلان.

أبو حَنَّة أو حَنَّة:

وذكر فيهم أبا حَنَّة الأنصاري البَذْرِي، وقال ابن هشام: أَبُو حَنَّة بن ثابت بالنون، وكذلك قال الواقدي، قال: ليس فيمن شَهِد يوم بدرٍ مَنْ اسمه أَبُو حَنَّة بالباء، وكذلك رَوَى موسى بن عُقْبَة عن ابن شهاب: أَبُو حَنَّة بالنون شَهِد بدرًا، واستشهد يوم أحد، وهو من

من بني الحارث:

ومن بني الحارث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير، دفنا في قبر واحد، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب. ثلاثة نفر.

من بني الأبرج:

ومن بني الأبرج، وهم بنو خذرة: مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبرج، وهو أبو أبي سعيد الخدري.

قال ابن هشام: اسم أبي سعيد الخدري: سنان، ويقال: سعد.

قال ابن إسحق: وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عبادة بن الأبرج، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبرج. ثلاثة نفر.

من بني ساعدة:

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة، وثقف بن قزوة بن البدوي. رجلان.

من بني طريف:

ومن بني طريف، رَهْط سعد بن عبادة: عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وثقف بن ثعلبة بن طريف، وضمرة، حليف لهم من بني جهينة. رجلان.

من بني عوف:

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني سالم، ثم من بني مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم: نوفل بن عبد الله، وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان، ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم، والمجدّر بن زياد، حليف لهم من بلي، وعبادة بن الحسحاس.

دفن الثعمان بن مالك، والمجدّر، وعبادة في قبر واحد. خمسة نفر.

الأوس، واسمه ثابت، وقيل: عمرو بن ثابت، والاختلاف في اسمه، وفي كُنْيَتِهِ كثير. وأما أبو حبة المستشهد يوم اليمامة، فهو أبو حبة بن عَزَّة بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل، ولم

من بني الحبلى:

ومن بني الحبلى: رِفاعَة بن عمرو. رجل.

من بني سلمة:

ومن بني سلمة، ثم من بني حرام: عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، وعمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، دُفنا في قبر واحد، وخلاد بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، وأبو أيمن، مولى عمرو بن الجَمُوح. أربعة نفر.

من بني سواد:

ومن بني سواد بن غنم: سليم بن عمرو بن حديدة، ومولاه عنترة، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القين. ثلاثة نفر.

من بني زريق:

ومن بني زريق بن عامر: ذكوان بن عبد قيس، وعبيد بن المعلّى بن لؤذان. رجلان.

قال ابن هشام: عبيد بن المعلّى، من بني حبيب.

عدد الشهداء:

قال ابن إسحاق: فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، خمسة وستون رجلاً.

من بني معاوية:

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا، من الأوس، ثم من بني معاوية بن مالك: مالك بن نُمَيْلة، حليف لهم من مزينة.

من بني خطمة:

ومن بني خطمة - واسم خطمة: عبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عدي بن خُرشة بن أمية بن عامر بن خطمة.

يخالف في ذلك إلا من لا يؤبه بقوله، واسمه: زَيْد بن عُزَيَّة بن عمرو، وهو من الخزرج، والأول من الأوس، وقد قيل في الأول: أو حبة بياء معجمة باثنتين، فالله أعلم.

من بني الخزرج:

ومن الخزرج، ثم من بني سواد بن مالك: مالك بن إياس.

من بني عمرو:

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار: إياس بن عدي.

من بني سالم:

ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إياس.

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد:

من بني عبد الدار:

قال ابن إسحق: وقُتل من المُشركين يوم أحد من قُرَيْش، ثم من بني عَبْدِ الدَّار بن قُصَيٍّ من أصحابِ اللِّواء: طَلْحَة بن أَبِي طَلْحَة، واسم أبي طَلْحَة: عَبْدُ اللَّهِ بن عبد العُزَّى بن عُثْمَان بن عبد الدار، قتله عَلِيٌّ بن أَبِي طالب، (و) أَبُو سَعِيد بن أَبِي طَلْحَة، قتله سَعْدُ بن أَبِي وَقَّاص.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عَلِيٌّ بن أَبِي طالب.

قال ابن إسحق: وعُثْمَان بن أَبِي طَلْحَة، قتله حمزة بن عبد المُطَّلِب، ومسافع بن طَلْحَة، والجلاس بن طَلْحَة، قَتَلَهُمَا عاصم بن ثابت بن أَبِي الأَقْلَح، وكلاب بن طَلْحَة، والحارث بن طَلْحَة، قَتَلَهُمَا قُزْمان، حليف لبني ظَفَر.

قال ابن هشام: ويقال: قتل كلابًا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عوف.

قال ابن إسحق: وأرطاة بن عَبْدِ شَرَحْبِيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله حمزة بن عبد المُطَّلِب، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله قُزْمان، وضَوَّاب: غلام له حَبَشِيٍّ، قتله قُزْمان.

وَحَنَّة بالنون: دَيْرُ حَنَّة معروف بالشام، وَحَنَّة أُم مَرْيَم بنتِ عِمْرَان، وَحَنَّة بخاء منقوطة بنتُ يَحْيَى بن أَكْثَم القاضِي، وهي أُم مُحَمَّد بن نَصْر المَرْوَزِيّ الفقيه وَجَنَّة بالجيم لا يعرف إلا أَبُو جَنَّة خَالُ ذِي الرُّمَّة الشاعر، قاله ابن مَكْوَلَا.

قال ابن هشام: ويقال: قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ويقال: سَعِدَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ،
ويقال: أَبُو دُجَانَةَ.

قال ابن إسحاق: والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قُتِلَ
قُزْمان. أحد عشر رجلاً.

من بني أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ: عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن
أسد. قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. رَجُلٌ.

من بني زهرة:

ومن بني زهرة بن كلاب: أبو الحَكَمِ بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب
الثَّقَفِي، حليف لهم، قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وسباع بن عبد العزى - واسم
عبد العزى: عمرو بن نضلة بن غُبْشان بن سليم بن ملكان بن أفضى - حليف لهم من
خُزَاعَةَ، قُتِلَ حمزة بن عبد المطلب. رجلاً.

من بني مخزوم:

ومن بني مخزوم بن يقظة، هشام بن أبي أمية بن المغيرة، قُتِلَ قُزْمان، والوليد بن
العاص بن هشام بن المغيرة، قُتِلَ قُزْمان، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، قُتِلَ
علي بن أبي طالب، وخالد بن الأعلم، حليف لهم، قُتِلَ قُزْمان. أربعة نفر.

من بني جمح:

ومن بني جَمَح بن عمرو: عمرو بن عبد الله بن عَمِير بن وهب بن حُذافة بن
جمح، وهو أبو عَزَّة قُتِلَ رسولُ الله ﷺ صَبْرًا، وأُبَيُّ بن خَلَف بن وهب بن حُذافة بن
جَمَح، قُتِلَ رسولُ الله ﷺ بيده. رجلاً.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لؤي: عُبيدة بن جابر، وشيبة بن مالك بن المَضْرَب، قُتِلَهما
قُزْمان. رجلاً.

قال ابن هشام: ويقال: قُتِلَ عُبيدة بن جابر عبدُ الله بن مسعود.

وذكر فيمن استشهد يوم أحد عبدُ الله بن سَلَمَةَ العَجَلَانِي، سَلَمَةُ بفتح اللام تقيد في
الأصل، وفي الأصول الصَّحاح من رواية ابن هشام، وذكره الدَّارَقُطْنِي في باب سَلَمَةَ بكسر

عدد قتلى المشركين:

قال ابن إسحق: فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين، اثنان وعشرون رجلاً.

اللام، وأخبر أنها رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق، وكذلك ذكر أبو عمر أيضاً أنها رواية إبراهيم بن سعد، والله أعلم.

ذكر ما قيل من الشعر يوم أُحُد

شعر هبيرة:

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم أُحُد، قولُ هُبَيْرَةَ بن أبي وَهَب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم - قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم:

ما بالَ هَمِّ عَمِيدٍ ابَاتَ يَطْرُقُنِي	بالوَدَّ من هِنْدَ إِذْ تَغْدُو عَوَادِيهَا
بَاتَتْ تُعَاتِبُنِي هِنْدٌ وَتَعْدُلُنِي	والحَرْبُ قد شَغِلَتْ عَنِّي مَوَالِيهَا
مَهْلًا فَلَا تَعْدُلِينِي إِنْ مِنْ خُلُقِي	مَا قد عَلِمْتَ وَمَا إِنْ لَسْتُ أَخْفِيهَا
مُسَاعِفٌ لَبَنِي كَغَبٍ بِمَا كَلَّفُوا	حَمَالُ عِبَاءٍ وَاثْقَالُ أَعَانِيهَا
وقد حملتُ سِلَاحِي فوق مُشْتَرَفٍ ^(١)	سَاطِ ^(٢) سَبُوحٍ ^(٣) إِذَا تَجْرِي يُبَارِيهَا
كَأَنَّهُ إِذْ جَرَى عَنِيرَ بَفْدَقْدَةٍ ^(٤)	مُكَدَّمٌ ^(٥) لَاجِقٌ بِالْعُونِ يَحْمِيهَا
مَنْ آلَ أَعْوَجَ يَزْتَاحُ النُّدْيَ لَهُ	كَجَذَعِ شُغْرَاءٍ مُسْتَغْلٍ مَرَاقِيهَا
أَعْدَدْتُهِ وَرِقَاقَ الْحَدِّ مُنْتَخِلًا	وَمَارِنًا ^(٦) لَخُطُوبٍ ^(٧) قَدْ أَلَاقِيهَا

شرح ما وقع في هذه الغزوة من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شَرْحِ شِعْرِ الكَفَرَةِ والمُفَاحِرِينَ بِقِتَالِ النَّبِيِّ - ﷺ - - إِلَّا مَنْ

- | | |
|--------------------------------------|---------------------------------|
| (١) مشترف: ترس كبير. | (٢) ساط: بعيد الخطو. |
| (٣) سبوح: سريع غير مضطرب في جريه. | (٤) فدفدة: ضرب البعير بأقدامها. |
| (٥) مكدم: كثير العض متمرس في القتال. | (٦) مارنًا: رمح صلب. |
| (٧) الخطوب: الأمور العظام. | |

هذا وَبَيَضَاءَ مِثْلِ النَّهْيِ مُحْكَمَةٌ
سُقْنَا كِنَانَةً مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ
قَالَتْ كِنَانَةٌ: أُنَى تَذْهَبُونَ بِنَا؟
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ مِنْ أَحَدٍ
هَابُوا ضِرَابًا وَطَغْنَا صَادِقًا خَذِمًا^(٢)
ثُمَّتْ رُخْنَا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرْدٌ
كَأَنَّ هَامَهُمْ عِنْدَ الْوَعَى فَلَقُوا
أَوْ حَنْظَلٌ دَغْدَغَتَهُ الرِّيحُ فِي غُصْنٍ
قَدْ نَبَذَ الْمَالَ سَحًا^(٣) لَا حِسَابَ لَهُ
وَلَيْلَةٌ يَضْطَلِي بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا^(٤)
وَلَيْلَةٌ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ الْأُنْدِيَةِ

نِيطَتْ^(١) عَلَيَّ فَمَا تَبَدُّو مَسَاوِيهَا
عُرْضُ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا
قُلْنَا: التُّخَيْلُ، فَأُمُّوهُا وَمَنْ فِيهَا
هَابَتْ مَعَدَّةً فَقُلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا
مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا
وَقَامَ هَامُ بَنِي التُّجَّارِ يَبْكِيهَا
مَنْ قَيْضُ رُبْدٍ^(٣) نَفَثَهُ عَنْ أَدَاجِيهَا
بِالِ تَعَاوَرِهِ^(٤) مِنْهَا سَوَافِيهَا^(٥)
وَنَطْعُنَ الْخَيْلَ شُرَّارًا فِي مَاقِيهَا
يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِ^(٨) الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا
جَزِبْنَا جُمَادِيَّةً قَدْ بَثَّ أَسْرِيهَا

أَمَرَ مِنْهُمْ، لَكِنَّهُ ذَكَرَ فِي شَعْرِ هُبَيْرَةَ الَّذِي بَدَأَ بِهِ بَيْتَيْنِ لَيْسَا مِنْ شَعْرِهِ، فَلِذَلِكَ ذَكَرْتُهُمَا، وَهُمَا:

وَلَيْلَةٌ يَضْطَلِي بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ الْأُنْدِيَةِ
قَوْلُهُ: يَضْطَلِي بِالْفَرْثِ، أَيُّ: يَسْتَنْدِفِيءُ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ.

يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِ الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا
جَزِبْنَا جُمَادِيَّةً قَدْ بَثَّ أَسْرِيهَا

حول جمع ندى وأسماء الشهور:

وقوله: يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِ الْمُثْرِينَ، يريد يَخْتَصُّ الْأَغْنِيَاءَ طَلَبًا لِمَكَافَأَتِهِمْ، وَلِيَأْكُلَ عَنْدهُمْ، يَصِفُ شِدَّةَ الزَّمَانِ، قَالَهُ يَعْقُوبُ فِي الْأَلْفَاظِ، وَنَسَبَهُمَا لِلْهُذَلِيِّ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَنَّهُمَا لَيْسَا لَهُبَيْرَةَ وَنَسَبَهُمَا لَجَنْوَبَ أَخْتِ عَمْرُو ذِي الْكَلْبِ الْهُذَلِيِّ.

وقوله: ذَاتِ الْأُنْدِيَةِ^(٩): جَمْعُ نَدَى عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ جَمْعُ الْجَمْعِ كَأَنَّهُ

- (١) نِيطَتْ: حَثَّ.
(٢) خَذِمًا: قَاطِعًا.
(٣) رِبْدٌ: غِبَارٌ.
(٤) تَعَاوَرَهُ: تَدَاوَلَهُ.
(٥) السَوَافِي: الْإِبِلُ الرِّيْضَةُ.
(٦) سَحًا: مُسْتَمَرًّا دُونَ انْقِطَاعٍ.
(٧) جَازِرُهَا: مَا يُجْزَرُ مِنَ النَّوْقِ.
(٨) النَّقْرُ: الْعَيْبُ.
(٩) انْظُرْ شَرْحَ الشَّافِيَةِ (٤/٢٧٧).

من القَريس^(١) ولا تَسْري أفاعِها
كالبرق ذاكِيةً الأزْكان أحمِها
من قبله كان بالمشئى يُغاليها
دنت عن السُّورة العُليا مساعِها

لا يَنْبح الكلبُ فيها غيرَ واحدة
أوقدت فيها لذي الضَّرَاء جاحمة^(٢)
أورثني ذاكمَ عَمُرُو ووالده
كانوا يُبارون أنواء النُّجوم فما

شعر حسان في الرد على هبيرة:

قال ابن إسحق: فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

سُقْتُمْ كِنانةَ جَهلاً من سَفاهتكم إلى الرُّسول فَجُنْدُ الله مُخْزِها
أورَدْتُموها حِياضَ الموتِ صاِحِية أُمّة الكُفْر غَرَّتْكم طواغِها
جَمَعْتُموها أَحابِيشاً بلا حَسَبِ أَهْلَ القَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْناه فِيها
ألا اغْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ الله إِذْ قَتَلْتُمْ كَم من أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بلا ثَمَنِ

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

قال ابن هشام: وبيت هبيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه:

ولَيْلَةٍ يَضْطَلِي بالفَرْث جازِرُها يَخْتَصُّ بالنَّقْرى المُثْرِين داعِها

يروى لجنوب، أخت عمرو ذي الكلب الهذلي، في أبيات لها في غير يوم

أحد.

جمع نَدَى على نداء مثل جَمَلٍ وَجَمالٍ، ثم جمع الجمع على أَفْعِلَة، وهذا بعيد في القياس، لأن الجمع الكثير لا يُجمع، وفِعال من أبنية الجمع الكثير، وقد قيل: هو جَمْع نَدْيٍ والنَّدْيُ المجلس، وهذا لا يُشبه معنى البيت، ولكنه جمع جاء على مثال أَفْعِلَة، لأنه في معنى الأَهْوِيَة والأَشْيِيَة ونحو ذلك، وأقرب من ذلك أنه في معنى الرُّذاذ والرُّشاش، وهما يجمعان على أَفْعِلَة، وأراد بِجُمادى الشَّهْر، وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر في زمن جُمودِ الماء، ثم انتقل بالأهْلَة وبقي الاسم عليه، وإن كان في الصيف والقَيْظ، وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سَمِيَتْ بأسماء مأخوذة من أحوال السَّنة الشمسية، ثم لزمها، وإن خَرَجَتْ عن تلك الأوقات.

(٢) جاحمة: جمر شديد الاشتعال.

(١) القريس: البرد الشديد.

شعر كعب في الرد على هبيرة

قال ابن إسحق: وقال كعب بن مالك يُجيب هُبيرة بن أبي وهب أيضًا:

ألا هل أتى عَسَّانَ عَنَّا ودونهم	مِنَ الْأَرْضِ خَزَقَ سَيْرُهُ مُتَنَغِّعٍ
صَحَارٍ وَأَعْلَامَ كَأَنَّ قَتَامَهَا ^(١)	مِنَ الْبُغْدِ نَقَعَ هَامِذٌ مُتَقَطِّعٍ
تَظَلَّ بِهِ الْبُزْلُ الْعَرَامِيسُ ^(٢) رَزَّحَا	وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السُّنَيْنِ فَيُفْرِعُ
بِهِ جَيْفُ الْحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُهَا	كَمَا لَاحَ كَثَانُ التَّجَارِ الْمُوَضَّعِ
بِهِ الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ ^(٣) يَمْشِينَ خِلْفَةً	وَبَيْضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَتَقَلَّعُ
مَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ	مُذْرَبَةٍ ^(٤) فِيهَا الْقَوَانِسُ ^(٥) تَلْمَعُ
وَكُلِّ صُمُوتٍ فِي الصُّوَانِ كَأَنَّهَا	إِذَا لَبَسَتْ تَهَيَّ مِنَ الْمَاءِ مُتَرَعٌ ^(٦)

شرح شعر كعب

وذكر شعر كعب بن مالك يجيب هُبيرةَ وأوله: ألا هل أتى عَسَّانَ. وقد افتتح قصيدة أخرى في أشعار بدر بهذا اللفظ، فقال:

ألا هل أتى عَسَّانَ فِي نَائِي دَارِهَا

وإنما يذكر عَسَّانَ لأنهم بَنُو عَمِّ الْأَنْصَارِ، وَالْأَنْصَارُ بَنُو حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ.

وَالَّذِينَ بِالشَّامِ بَنُو جَفْتَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، وَالْكُلُّ عَسَّانُ، لِأَنَّ عَسَّانَ مَاءٌ شَرِبُوا مِنْهُ حِينَ ارْتَحَالِهِمْ مِنَ الْيَمَنِ فَسُمُّوا بِهِ.

وَقَوْلُهُ: سَيْرُهُ مُتَنَغِّعٌ، أَي: مُضْطَرَبٌ. وَقَوْلُهُ: الْعَرَامِيسُ: جَمْعُ عَرِيسٍ، وَهِيَ النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ عَلَى السَّيْرِ.

وَقَوْلُهُ: قَيْضُهُ يَتَقَلَّعُ، أَي: يَتَشَقَّقُ، وَالْقَيْضُ: قُشُورُ الْبَيْضِ، وَالْقَوَانِسُ: جَمْعُ قَوْنَسٍ، وَهِيَ: بَيْضَةُ السَّلَاحِ.

وَقَوْلُهُ: وَكُلِّ صُمُوتٍ فِي الصُّوَانِ، يَعْنِي: الدَّرَجَ جَعَلَهَا صُمُوتًا لَشِدَّةِ نَسْجِهَا وَإِحْكَامِ

(٢) البزل العراميس: نوع من الوعول.

(٤) مذربة: الذرب: هدة اللسان.

(٦) مترع: مليء.

(١) قتامها: غبارها.

(٣) الأرام: حجارة تُنصب لِيَهْتَدَى بِهَا.

(٥) القوانس: كالقلنصوة على الرأس.

ولكن ببذر سائلوا مَنْ لَقِيْتُمْ
وإِنَّا بأَرْضِ الْخَوْفِ لو كان أهلها
إذا جاء مِنَّا رَاكِبٌ كان قَوْلُهُ
فَمَهْمَا يَهْمُ النَّاسِ مما يَكِيدُنَا
فلو غَيْرُنَا كانت جَمِيعًا: تَكِيدُهُ الـ
نُجَالِدُ لا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ
ولمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرْضِ قال سَرَاتُنَا
وفينا رسولُ الله نَتَّبِعُ أَمْرَهُ
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ من عِنْدِ رَبِّهِ
نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَضَرْنَا
وقال رسولُ الله لما بَدَا لَنَا
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّبًا
ولكن خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
فَسِزْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً^(١) فِي رِحَالِهِمْ
بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنُورُ^(٢) وَالْقَنَا
فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ
نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
تَهَادَى قَسِي الثُّبُعِ فِينَا وَفِيهِمْ
وَمَنْجُوقَةٌ^(٣) حِرْزَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ

مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ تَدْفَعُ
سَوَانَا لَقَدْ أَجَلُّوا بَلِيلٌ فَأَقْشَعُوا
أَعْدَاؤَا لِمَا يُزْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ
فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
جَرِيَّةٌ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَقْطَعُوا
عَلَامٌ إِذَا لَمْ تَمْنَعْ الْعِرْضَ نَزَرَ؟
إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلُ لَا نَتَطَّلَعُ
يُنْزَلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُزْفَعُ
إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ
ذَرُّوا عَنْكُمْ هَؤُلَ الْمَنِيَّاتِ وَأَطْمَعُوا
إِلَى مَلِكٍ يُخَيَّا لَدَيْهِ وَيُزْجَعُ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ^(٤) لَا نَتَخَشَّعُ^(٥)
إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَزَّعُ
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقْتَعُ
ثَلَاثُ مِائِينَ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ
نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشْرِعُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرَبِيُّ الْمُقْطَعُ
يُذَرُّ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةً تُضْنَعُ

صَنَعَتِهَا، وَالنَّهْيُ وَالنَّهْيُ: الْعَدِيرُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ، لِأَن مَاءَهُ قَدْ مُنِعَ مِنَ الْجَرْيَانِ بَارْتِفَاعِ
الْأَرْضِ، فغادره السَّيْلُ، فَسُمِّيَ غَدِيرًا، وَنَهْتَهُ الْأَرْضُ فَسُمِّيَ نَهْيًا.

وقوله: وَمَنْجُوقَةٌ، مَفْعُولَةٌ مِنْ نَجَفْتُ: إِذَا حَفَرْتُ، وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ نَجَفْتُ الْعِزْرَ إِذَا

(١) جهرة: علناً.

(٢) البيض: السيوف.

(٣) نتخشع: نخاف ونضطرب.

(٤) السنور: كل سلاح من حديد.

(٥) منجوقة: سهم له نصاع عريض.

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً
وَحَيْلٌ تَرَاهَا بِالْقَضَاءِ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرِّحَى
ضَرَبْنَاهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَائِهِمْ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً
وَرَاوَا سِرَاعًا مُوجِفِينَ كَأَنَّهُمْ
وَرُحْنَا وَأَخْرَانَا بِطَاءٍ كَأَنَّنَا
فَنَلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرَبِمَا
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ
وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا نَرَى
بَنُو الْحَزْبِ لَا نَعْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
بَنُو الْحَزْبِ إِنْ نَظْفَرُ فَلَسْنَا بِفُحْشٍ
وَكُنَّا شِهَابًا يَتَّقِي النَّاسُ حَرَّهُ

تَمُرُّ بِأَغْرَاضِ الْبِصَارِ تَقْفَعُ^(١)
جَرَادٌ صَبَا فِي قَرَّةٍ يَتَرَّعُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ مَذْفَعُ
كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبُ مُصْرَعٍ
كَأَنَّ ذَكَانَا حَرُّ نَارٍ تَلْفَعُ
جَهَامٌ^(٢) هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعُ
أَسْوَدٌ عَلَى لَحْمٍ بِبَيْشَةٍ^(٣) ظَلَعُ
فَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
وَقَدْ جُعِلُوا كُلُّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
عَلَى كُلِّ مَنْ يَخِيِي الذُّمَارَ^(٤) وَيَمْنَعُ
عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرُ تَذْمَعُ
وَلَا نَحْنُ بِمَا جَرَّتِ الْحَرْبُ نَجْزَعُ
وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِهَا نَتَوَجَّعُ
وَيَفْرُجُ عَنْهُ مَنْ يَلِيهِ وَيَسْفَعُ

شَدَدَتْهَا بِالنَّجَافِ، وَهُوَ الْحَبْلُ، فَإِنْ كَانَ أَرَادَ الرُّمَاحَ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: مَنُجَوِّفَةٌ، أَي: مَشْدُودَةٌ مُتَّقَفَةٌ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ أَسِنَّتَهَا، فَهِيَ أَيْضًا مَنُجَوِّفَةٌ، مِنْ نَجَفْتُ إِذَا حَفَرْتَ، لِأَنَّ تَغْلَبَ الرُّمَحِ دَاخِلٌ فِي الْحَدِيدَةِ، فَهِيَ مَنُجَوِّفَةٌ لَهُ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ السِّيُوفَ، فَمَنُجَوِّفَةٌ، أَي: كَالْمَحْفُورَةِ، لِأَنَّ مَتُونَهَا مَدُوسَةٌ مَضْرُوبَةٌ بِمَطَارِقِ الْحَدِيدِ، فَهِيَ كَالْمَحْفُورَةِ.

وقوله:

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً تَمُرُّ بِأَغْرَاضِ الْبِصَارِ تَقْفَعُ

يقول: تَشُقُّ أَبْدَانُ الرِّجَالِ حَتَّى تَبْلُغَ الْبِصَارَ فَتَقْفَعُ فِيهَا، وَهِيَ جَمْعُ بَصْرَةٍ، وَهِيَ حِجَارَةٌ لَيِّنَةٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ جَمْعَ بَصِيرَةٍ، مِثْلَ كَرِيمَةٍ، وَكِرَامٍ، وَالْبَصِيرَةُ الدُّرْعُ، وَقِيلَ: التُّرْسُ، وَالْبَصِيرَةُ أَيْضًا: طَرِيقَةُ الدَّمِّ فِي الْأَرْضِ، فَإِنْ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ، فَهِيَ جَدِيَّةٌ، وَلَا مَعْنَى لَهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ.

(٢) جهام: سحاب لا ماء فيه.

(٤) الذمار: كل ما يحمى ويحافظ عليه.

(١) تقفع: تضطرب...

(٣) بيشة: نبات فيه سم.

فَحَزَّتْ عَلَيَّ ابْنُ الزَّبْعَرَى وَقَدْ سَرَى
فَسَلَّ عَنْكَ فِي غُلْيَا مَعْدُ وَغَيْرِهَا
وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الْحَرْبُ مَفْخَرًا
شَدَذْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالتَّضَرُّ شِدَّةً
تَكْرَرْنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا
عَمَدُنَا إِلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ وَمَنْ يَطْرُ
فَخَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَخَاذَلُوا
لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتْبِع
مَنْ النَّاسَ مَنْ أَحْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعَ
وَمَنْ حَدُّهُ يَوْمَ الْكَرْيَةِ أَضْرَعَ
عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأَيْتَةِ سُرْعَ
عَزَّ إِلَى مَزَادِ مَأْوَها يَتَهَزَّعُ
بِذِكْرِ اللِّوَاءِ فَهُوَ فِي الْحَمْدِ أَسْرَعَ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَمْرَهُ وَهُوَ أَضْنَعُ
قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال:

مُجَالِدُنَا عَنْ جِذْمِنَا كُلِّ فُخْمَةٍ

فقال رسول الله ﷺ: «أَيُصْلِحُ أَنْ تَقُولَ: مُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا؟» فقال كعب: نعم؛
فقال رسول الله ﷺ: «فَهُوَ أَحْسَنُ»؛ فقال كعب: مُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا.

شعر لابن الزبعرى

قال ابن إسحق: وقال عبد الله بن الزبعرى في يوم أحد:
يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ

شرح شعر ابن الزبعرى

وقول ابن الزبعرى:

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ، فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ

إقرار الجاهلية بالقدر:

قوله: قَدْ فُعِلَ: أي: قَدْ فُرِعَ منه، وقد كانوا في الجاهلية يَقْرُونَ بِالْقَدَرِ، وقال لبيد في
الجاهلية:

إِنْ تَقْوَى رَبُّنَا خَيْرٌ نَقُلْ
مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى
وقال راجزهم:

يَا أَيُّهَا اللَّائِمُ لُْمْنِي، أَوْ قَدَزْ
إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَا الْقَدَرُ

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدًى
 وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ^(١) بَيْنَهُمْ
 كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ
 أَبْلِغْنَ حَسَانَ عَنِّي آيَةً
 كَمْ تَرَى بِالْجَزْرِ مِنْ جُنُجْمَةٍ
 وَسَرَابِيلٍ حِسَانٍ سُرَيْثٍ
 كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ
 صَادِقِ النَّجْدَةِ قَزَمٍ بَارِعٍ
 فَسَلِ الْمِهْرَاسَ مَنْ سَاكِنُهُ؟
 لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَذْرِ شَهْدُوا
 حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَزَكَهَا
 ثُمَّ خَفُوا عِنْدَ ذَاكُم رُقُصًا
 فَقَتَلْنَا الضَّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ
 لَا أَلُومَ النَّفْسِ إِلَّا أَنَّنَا
 بِسُيُوفِ الْهِنْدِ تَغْلُو هَامَهُمْ
 وَكِلَا وَجْهٍ وَقَبَلٍ
 وَسَوَاءٌ قَبْرِ مُثَرٍّ وَمُقِلٍ
 وَبِنَاتِ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ
 فَقَرِيضِ الشَّعْرِ يَشْفِي ذَا الْعُلَلِ
 وَأَكْفٌ قَدْ أُتِرَتْ وَرِجُلٍ
 عَنْ كُمَاةٍ أَهْلَكُوا فِي الْمُتَنَزَّلِ
 مَاجِدِ الْجَدِيدِ مَقْدَامِ بَاطِلٍ
 غَيْرِ مُلْتَاثٍ^(٢) لَدَى وَقَعِ الْأَسْلِ^(٣)
 بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلِ
 جَزَعِ الْخَزْرَجِ مَنْ وَقَعِ الْأَسْلَ
 وَاسْتَحَرَ الْقَتْلَ فِي عَبْدِ الْأَثَلِ
 رَقَصَ الْحَقَّانِ يعلو فِي الْجَبَلِ
 وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَذْرِ فَاعْتَدَلِ
 لَوْ كَرَزْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعَلَ
 عَلَلًا تَغْلُوهُمْ بَعْدَ نَهْلِ

وقوله: غَيْرُ مُلْتَاثٍ، هو مُفْتَعَلٌ مِنَ اللَّوْثَةِ كَمَا قَالَ الضَّبِّي:

عِنْدَ الْحَفِيطَةِ إِنْ ذِي لُوثَةٍ لَنَا

وَالْمِهْرَاسُ: حَجَرٌ مَثْقُورٌ يَمْسُكُ الْمَاءَ، فَيَتَوَضَّأُ مِنْهُ، شُبَّهَ بِالْمِهْرَاسِ الَّذِي هُوَ الْهَاطُونُ، وَوَهْمُ الْمُبَرَّدُ، فَجَعَلَ الْمِهْرَاسَ اسْمًا عَلَمًا لِلْمِهْرَاسِ الَّذِي بِأُحْدِ خَاصَّةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ لِكُلِّ حَجَرٍ يُقَرِّ فَاْمَسَكَ الْمَاءَ. وَرَوَى ابْنُ عُيَيْنٍ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يَمُرُ بِمِهْرَاسٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ كَيْفَ يَغْتَسِلُ مِنْهُ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: هَلَّا قُلْتَ مَرٌّ بِغَدِيرٍ، وَمَنْ يَجْعَلُ لَهُ مِهْرَاسًا فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ؟ فَهَذَا يَبَيِّنُ لَكَ أَنَّ الْمِهْرَاسَ لَيْسَ مَخْصُوصًا بِالْمِهْرَاسِ، الَّذِي كَانَ بِأُحْدِ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - مَرَّ بِقَوْمٍ يَتَجَادُونَ مِهْرَاسًا أَيْ: يَرْفَعُونَهُ.

(٢) مُلْتَاثٌ: بَطِيءٌ.

(١) خِسَاسٌ: نَاقِصَاتٌ.

(٣) الْأَسْلُ: الرَّمَاةُ.

ردّ حسان على ابن الزبعرى

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، قال:

كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلَ	ذَهَبَتْ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ وَقَعَةً
وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا دُولَ	وَلَقَدْ نَلْتُمُ وَنَلْنَا مِنْكُمْ
حَيْثُ نَهْوِي عِلَلًا بَعْدَ نَهْلٍ	نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ
كُسُلَاحِ النَّيْبِ يَأْكُلُنَ الْعَصَلَ	نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ
هُرَبًا مِنَ الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرِّسْلِ	إِذْ تُؤَلُّونَ عَلَى أَغْقَابِكُمْ
فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ	إِذْ شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً
مَنْ يُلَاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهْلُ	بَحَنَاطِيلٍ ^(١) كَأَشْرَافِ الْمَلَا
وَمَلَأْنَا الْفَرْطَ ^(٢) مِنْهُ وَالرَّجَلَ	ضَاقَ عَنَّا الشَّعْبُ إِذْ يَجْزَعُهُ

شعر حسان يردّ به على ابن الزبعرى

قول حسان يجيبه:

هُرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرِّسْلِ

يعني: العَنَمُ إذا أرسلها الراعي، يقال لها حينئذٍ: رَسَل.

وقوله: كَأَشْرَافِ الْمَلَا، الْأَشْرَافُ: جمع شَرَفٍ، وهو الشَّخْصُ، والملا: ما اتَّسَعَ من الأرض، ويريد بالأشراف هاهنا أَشْخَاصَ الشَّجَرِ وَأَصُولَهَا.

وقوله: يُهْلُ، أراد: فِيْهَالٍ ثم جزم للشرط، فانحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وهو من الهَوْل، يقال: هَالَنِي الأمرُ يَهْوِلُنِي هَوْلًا إذا أَفْرَعَكَ.

وقوله: وَمَلَأْنَا الْفَرْطَ، أراد: الْفَرْطَ بتحريك الراء، وهي الْأَكْمَةُ، وما ارتفع من الأرض، وَالرَّجَلُ: جمع رَجَلَةٍ، وهو الْمُطْمَسُّ من الأرض، وَالرَّجَلَةُ أيضًا في معنى الرَّجُلِ من الْجَرَادِ، قال الشاعر:

وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَزَشَفُ رَجَلَةٍ

يريد بِالْحَزَشَفِ جَمَاعَةَ الرُّبَا، وَهُمْ صِغَارُ الْجَرَادِ، ضَرَبَهُمْ مَثَلًا لِلرَّجَالَةِ وَالرُّمَامَةِ، وَجَمَعَ الْفَرْطَ: أَفْرَاطَ.

(٢) الفَرَطُ: الصغير.

(١) خنَاطِيل: دواهي.

برجالٍ لَسْتُمْ أَمْثَالَهُمْ أَيْدُوا جَبْرِيلَ نَضْرًا فَتَزَلْ
وَعَلَّوْنَا يَوْمَ بَذِرٍ بِالثَّقَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَضَدِيقِ الرُّسُلِ
وَقَتَّلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ وَقَتَّلْنَا كُلَّ جَخَجَاحٍ^(١) رِقْلَ
وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً يَوْمَ بَذِرٍ وَأَحَادِيثِ الْمَثَلِ
وَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا شَاهِدٌ يَوْمَ بَذِرٍ وَالتَّنَابِيلِ الْهُبُلِ
فِي قُرَيْشٍ مِنْ جَمُوعٍ جُمِعُوا مِثْلَ مَا يُجْمَعُ فِي الْخَضْبِ الْهَمَلِ^(٢)
نَحْنُ لَا أَمْثَالَكُمْ وَلَدًا اسْتَهَا نَخْضِرُ النَّاسَ إِذَا الْبَاسُ نَزَلَ

وقوله: وَلَدًا اسْتَهَا: كلمةٌ تقولها العربُ عند السَّبِّ، تقول: يَا بَنِي اسْتَهَا، والوُلْدُ: بمعنى الأولاد. وكتب أهل دِمَشَقَ إلى أهلِ مِزَّةَ وهي على فَرْسَخٍ مِنْ دِمَشَقَ وكانوا أَمَسَكُوا عنهم الماءَ فكتبوا إليهم: مِنْ أَهْلِ دِمَشَقَ إِلَى بَنِي اسْتَهَا.
وبعد: فَأَمَّا إِنْ يَمْسِينَا الْمَاءُ وَإِلَّا صَبَّحْتُمْ الْخَيْلُ. ذكره الجاحظ^(٣).

متى يضر حذف حرف الجر؟:

وقوله فِي الْمُؤْمِنِينَ: أَيْدُوا جَبْرِيلَ، أَي: أَيْدُوا جَبْرِيلَ، وَحُذِفَ الْجَارُ فَتَعَدَّى الْفِعْلُ فَتَصَبَّ، وَلَا يَضُرُّ هَذَا الْحَذْفُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ الْمُتَعَدِّي بِحَرْفٍ جَرِّ مُتَصَمِّمًا لِمَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ نَاصِبٍ، كَقَوْلِهِمْ: أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ أَي كَلَّفْتُكَ الْخَيْرَ وَالزَّمَمْتُكَ، وَلَا يَسْتَقِيمُ نَهَيْتُكَ الشَّرَّ إِذْ لَيْسَ فِي مَعْنَى نَهَيْتُكَ فِعْلٌ. نَاصِبٌ وَقَوْلُهُ: أَيْدُوا جَبْرِيلَ، أَي: أَضْحِبُوهُ، وَنَحْوُ هَذَا، فَحُسِّنَ حَذْفُ الْبَاءِ لِهَذَا.

عود إلى شعر حسان:

وقول حسان:

نُخْرِجُ الْأَضْبَحَ مِنْ اسْتَاهِكُمْ

رواه أبو حنيفة: نَخْرَجُ الْأَضْيَاحَ، وَهُوَ اللَّبَنُ الْمَمْزُوجُ بِالْمَاءِ، وَهُوَ فِي مَعْنَى الْأَضْبَحِ، لِأَنَّ الصُّبْحَةَ بَيَاضٌ غَيْرُ خَالِصٍ، فَجَعَلَهُ وَضْفًا لِلْبَنِّ الْمَمْدُوقِ الْمُخْرَجِ مِنْ بَطُونِهِمْ.

وقوله:

كسلاح الثيب يأكلن العَصْلَ

(٢) الهمل: الماء السائل.

(١) ججججج: بطل كريم.

(٣) انظر البيان والتبيين (١/٢٠١).

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاري: «وأحاديث المثل» والبيت الذي قبله.
وقوله: «في قريش من جموع جَمَعُوا» عن غير ابن إسحق.

شعر كعب في بكاء حمزة وقتلى أحد

قال ابن إسحق: وقال كعب بن مالك يكي حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين:

نَشَجْتُ ^(١) وهل لك من مَنَشَجٍ	وكنْتَ متى تَذَكَّرَ تَلَجَجٍ
تَذَكَّرَ قَوْمِ أَتَانِي لَهُم	أَحَادِيثُ فِي الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
فَقَلْبُكَ مَنْ ذَكَرَهُم خَافَقُ	مَنْ الشُّوقِ وَالْحَزَنِ الْمُنْضِجِ ^(٢)
وَقَتْلَاهُمْ فِي جَنَانِ النَّعِيمِ	كَرَامُ الْمَدَاحِلِ وَالْمَخْرَجِ
بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللَّوَاءِ	لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوَجِ
عُدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا	جَمِيعًا بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ
وَأَشْيَاعُ أَحْمَدَ إِذْ شَايَعُوا	عَلَى الْحَقِّ الثُّورِ وَالْمَنْهَجِ
فَمَا بَرَحُوا يَضْرِبُونَ الْكُفَاةَ	وَيَمْضُونَ فِي الْقَسْطِ الْمُرْهَجِ
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكَ	إِلَى جَنَّةِ دَوْحَةِ الْمَوْلَجِ

العَصَلُ: نبات كالرفلين يُضْلَح الإِبِلُ إذا أَكَلَتْه، ويكثر شربها للماء، وهو من الحَمْضِ،
ويثبت في السَّبَاحِ، قاله أبو حنيفة.

شعر كعب بن مالك

وقول كعب بن مالك:

لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوَجِ
الْأَضْوَجُ: جمع ضَوْجٍ، والضَّوْجُ: جانب الوادي.

وقوله: فِي الْقَسْطِ الْمُرْهَجِ. الْقَسْطَلُ: الغُبَارُ، وكذلك الرَّهَجُ، وقد شرحنا السِّلَجِجَ
فيما مضى، والجمال الْأَذْعَجُ: يعني الأسود، ومنه الحديث في صفة النبي - ﷺ - فِي عَيْنَيْهِ
دَعَجٌ، وفي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ.

(٢) المنضج: القديم.

(١) نشجت: بكيت.

فَكُلُّهُمْ مَاتَ حُرَّ الْبَلَاءِ عَلَى مَلَّةِ اللَّهِ لَمْ يَخْرَجْ
كَحَمْرَةٍ لَمَّا وَقَى صَادِقًا بِذِي هَبَّةٍ صَارِمٍ سَلَجَجْ^(١)
فَلَقَاهُ عَبْدٌ بَنِي نَوْفَلٍ يُبْزِرُ كَالْجَمَلِ الْأَذْعَجِ
فَأَوْجَرَهُ حَزْبَةً كَالشَّهَابِ تَلَهَّبُ فِي اللَّهَبِ الْمُوهَجِ
وَنُغْمَانُ أَوْقَى بِمِيشَاقِهِ وَحَنَظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُخْنَجْ^(٢)
عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ إِلَى مَنْزِلٍ فَاخِرِ الزُّبُرِجِ
أُولَئِكَ لَا مَنْ ثَوَى مِنْكُمْ مِنَ النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْمُزْتَجِ

وقوله:

وَحَنَظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُخْنَجْ

أي: لم يُغْلَهْ شيءٌ عن الطريق المستقيم يقال: حَنَجْتُ الشيءَ إِذَا أَمَلْتُهُ وَعَدَلْتَهُ عَنْ وَجْهِهِ، وَيُقَالُ أَيْضًا: أَخْنَجْتُهُ فَهُوَ مُخْنَجٌ، وَسَيَأْتِي فِي الشَّعْرِ بَعْدَ هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ.

وقوله:

عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ

أَنَّ الرُّوحَ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى النَّفْسِ، وَهِيَ لُغَةٌ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ. أَمْرٌ دُو الرُّمَّةِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

يَا نَازِعَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا قُبِضْتُ وَقَارِجَ الْكَزْبِ أَنْقِذْنِي مِنَ النَّارِ
فَكَانَ ذَلِكَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِهِ.

وقوله: فَاخِرِ الزُّبُرِجِ، أَي: فَاخِرِ الزَّيْنَةِ، أَي: ظَاهِرِهَا.

وقوله: فِي الدَّرَكِ الْمُزْتَجِ، أَي: الْمُغْلَقِ، يُقَالُ: ازْتَجْتُ الْبَابَ إِذَا أَغْلَقْتَهُ، وَهُوَ مِنَ الرُّتَاجِ، قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مَاتَتْ أُمُّهَا، وَتَزَوَّجَ أَبُوهَا:

وَلَكِنْ قَدْ أَتَى مِنْ دُونِ وَدِّي وَبَيْنَ فَوَادِهِ غَلِقَ الرُّتَاجُ
وَمَنْ لَمْ يُؤْذِهِ أَلَمٌ بِرَأْسِي وَمَا الرُّثْمَانُ إِلَّا بِالرُّتَاجِ
وَمِنْهُ قِيلَ: ازْتَجَ عَلَى الْخَطِيبِ، إِذَا أَغْلِقَ عَلَيْهِ بَابَ الْقَوْلِ.

(٢) يُخْنَجُ: يَمِيلُ.

(١) سَلَجَجَ: صَارِمٌ.

شعر ضرار في الرد على كعب:

فأجابه ضرار بن الخطّاب الفهريّ، فقال:

أَبْجَزَعُ كَغَبٍّ لِأَشْيَاعِهِ	وَيَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
عَجِيجَ الْمُذَكِّي رَأَى إِلْفَهُ	تَرَوْحَ فِي صَادِرِ مُخَنِّجِ
فَرَّاحَ الرُّوَايَا وَغَادَزْنَهُ	يُعْجِجُ قَسْرًا وَلَمْ يُخَدِّجِ
فَقُولَا لَكَغِبٍ يُثْنِي الْبُكَاءُ	وَلِلْنِيِّ مِنْ لَحْمِهِ يَنْضَجِ
لِمِضْرَعِ إِخْوَانِهِ فِي مَكْرٍ	مِنَ الْخَيْلِ ذِي قَسْطِلِ مُزْهَجِ
فِيَا لَيْتَ عَمْرًا وَأَشْيَاعَهُ	وَعُتْبَةً فِي جَمْعِنَا السُّوْرَجِ
فَيَشْفُوا الثُّفُوسَ بِأَوْتَارِهَا	بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنَ الْخَزْرَجِ
وَقَتْلَى مِنَ الْأَوْسِ فِي مَعْرِكِ	أُصِيبُوا جَمِيعًا بِذِي الْأَضُوجِ
وَمَقْتَلِ حِمْزَةٍ تَحْتَ الْلُوءِ	بِمُطَرِّدٍ، مَازِنٍ، مُخَلَّجِ
وَحَيْثُ انْتَنَى مُضْعَبُ ثَاوِيَا	بِضَرْبَةِ ذِي هَبَّةٍ سَلْجَجِ
بِأُحْدٍ وَأَشْيَافُنَا فِيهِمْ	تَلَهَّبَ كَاللَّهَبِ الْمُوهَجِ
عَدَاةَ لَقِينَاكُمُ فِي الْحَدِيدِ	كَأَسَدِ الْبَرَّاحِ فَلَمْ تُغْنِجِ
بِكُلِّ مَجْلُحَةٍ كَالْعُقَابِ	وَأَجْرَدِ ذِي مَيْعَةٍ مُسْرَجِ
فَدُسْنَاهُمْ ثُمَّ حَتَّى انْتَنَوْا	سَوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مُخْرَجِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار. وقول كعب: «ذي النور والمنهج» عن أبي زيد الأنصاري.

شعر ابن الزبيري في يوم أحد:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي يَوْمِ أُحُدٍ، يَبْكِي الْقَتْلَى:	
أَلَا ذَرَفَتْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دُمُوعُ	وَقَدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشَّبَابِ قُطُوعُ
وَسَطَ بَيْنَ تَهْوَى الْمَزَارِ وَقَرَفَتْ	نَوَى الْحَيِّ دَارَ بِالْحَبِيبِ فَجُوعُ
وَلَيْسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِي حَرَاةٍ	وَلِنْ طَالَ تَذَرَأُ الدَّمُوعِ رُجُوعُ
فَذَرْ ذَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَى أُمَّ مَالِكِ	أَحَادِيثُ قَوْمِي وَالْحَدِيثُ يَشِيعُ
وَمُجْتَبِنَا جُرْذَا إِلَى أَهْلِ يَثْرِبِ	عَنَاجِجَ مِنْهَا مُثَلَّدٌ وَتَزْرِيعُ

وفي شعر ضرار: من جَمَعِنَا السُّوْرَجِ، وهو فَوْعَلٌ مِنَ السَّرَاجِ يريد المضيء.

عَشِيَّة سِرْنَا فِي لِهَامٍ يَفُودُنَا
نَشْدُ عَلَيْنَا كُلَّ زَغَفٍ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا رَأَوْنَا خَالَطَتْهُمْ مَهَابَةٌ
وَوَدُّوا لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ يَنْشَقُّ ظَهْرُهَا
وَقَدْ عُرِيتَ بَيْضُ كَأَنَّ وَمِيضَهَا
بِأَيْمَانِنَا نَغْلُو بِهَا كُلَّ هَامَةٍ
فَغَاذَرْنَا قَتْلَى الْأَوْسِ غَاصِبَةً بِهِمْ
وَجَمَعَ بَنِي التُّجَّارِ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ
وَلَوْلَا غُلُوُّ الشُّغْبِ غَاذَرْنَا أَحْمَدًا
كَمَا غَادَرْتُ فِي الْكَرِّ حَمَزَةَ ثَاوِيَا
وَنَعْمَانِ قَدْ غَاذَرْنَا تَحْتَ لَوَائِهِ
بِأَخِي وَأَرْمَاحِ الْكِمَاةِ يُرِذْنَهُمْ

شعر حسان في الرد على ابن الزبيري

فأجابه حسان بن ثابت، فقال:
أشاقك من أم الوليد ربوع
عفاهن صيفي الرياح وواكف
فلم يبق إلا موقد النار حوله
قدغ ذكر دار بددت بين أهلها
وقل إن يكن يوم بأخذ يعد
فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم
وحامى بنو التجار فيه وصابروا
أمام رسول الله لا يخذلونه
وقوا إذ كفرتم يا سخي برؤسكم

بلاقع ما من أهلين جميع
من الذل رجاف السحاب هموع
رواكد أمثال الحمام كنوع
نوى لمتينات الجبال قطوع
سفيه فإن الحق سوف يشيع
وكان لهم ذكر هناك رفيع
وما كان منهم في اللقاء جزوع
لهم ناصر من رؤسهم وشفيح
ولا يستوي عبد وفي ومضيع

من شعر حسان

وفي شعر حسان:

وقوا إذ كفرتم يا سخي برؤسكم

بأيديهم يَبْضُ إِذَا حَمَشَ الْوَعَى
كما غادرت في النَّقْعِ عُتْبَةُ ثَاوِيَا
وقد غادرت تَحْتَ الْعَنَاجَةِ مُسْنَدَا
يَكْفُ رَسُولُ اللَّهِ حَيْثُ تَنْضَبُتْ
أُولَئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ فُرُوعِكُمْ
بِهِنَّ نَعَزَ اللَّهُ حَتَّى يُعَازِنَا
فَلَا تَذْكُرُوا قَتْلَى وَحِمَزَةَ فِيهِمْ
فَإِنَّ جِنَانَ الْخُلْدِ مَنَزِلَةٌ لَهُ
وَقَتْلَاكُمْ فِي الثَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ
فَلَا بُدَّ أَنْ يَزْدَى لَهُنَّ صَرِيع
وَسَعْدًا صَرِيعًا وَالْوَشِيعُ شُرُوع
أَبِيًا وَقَدْ بَلَ الْقَمِيصِ نَجِيع
عَلَى الْقَوْمِ مِمَّا قَدْ يُثْرَنَ نُقُوع
وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَقُرْع
وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ يَأْسَخِينُ فِطِيع
قَتِيلٌ ثَوَى لِلَّهِ وَهُوَ مُطِيع
وَأَمْرٌ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيع
حَمِيمٌ مَعًا فِي جَوْفِهَا وَصَرِيع

أَرَادَ سَخِينَةً، فَرَحَّمُ وَعَنَى قُرَيْشًا لِأَنَّهَا كَانَتْ تُقَلَّبُ بِذَلِكَ [لِلْمَدَاوِمَتِهِمْ عَلَى ضَرْبِ هَذَا الْحِصَاءِ الْمَتَّخَذِ مِنَ الدَّقِيقِ الَّذِي يُسَمَّى: سَخِينَةً]، وَفِي أَشْعَارِ ضِرَارٍ فِي الْعَيْنِيَّةِ مِنْهَا أَمْرُهَا شَاعَ، أَرَادَ: شَائِعٌ، فَقَلِبْتُ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ:

لَاثٌ بِهِ الْأَشْيَاءُ^(١) وَالْعُنْبَرِيُّ^(٢)

أَرَادَ: لَايْثُ، وَكَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لَا يَخْتَكِرُ الطَّعَامَ إِلَّا طَاغٍ»^(٣) أَوْ بَاغٍ أَوْ زَاغٍ أَرَادَ: زَائِعٌ.

وَفِي شِعْرِهِ الْقَافِي:

رَشَاشُ الطُّغْنِ وَالْوَرَقِ

الْوَرَقِ: مَا تَعَقَّدَ مِنَ الدَّمِّ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ وَغَيْرُهُ، وَفِيهِ مَا بِهِ رَهَقٌ، أَيُّ: عَيْنَبٌ، وَالْمُرْهَقُ مِنَ الرُّجَالِ الْمَعِيبُ.

(١) الْأَشْيَاءُ: صِغَارُ النَّخْلِ.

(٢) الْعَبْرِيُّ: سِدْرٌ يَنْبِتُ ضِفَافُ النَّهْرِ.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَسَاقَاةِ (١٣٠) وَأَبُو دَاوُدَ (٣٤٤٧) وَالتِّرْمِذِيُّ (١٢٦٧) وَابْنُ مَاجَةَ (١٢٥٣) وَأَحْمَدُ (٤٠٠/٦) بَلَفَظَ «لَا يَخْتَكِرُ إِلَّا خَاطِيءٌ».

شعر عمرو بن العاص في يوم أحد:

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرهما لحسان وابن الزبغري وقوله: «ماضي الشبابة، وطير يجفن» عن غير ابن إسحق.

وقال ابن إسحق: وقال عمرو بن العاصي (في) يوم أحد:

مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيبِ الْمُنْطَقِ	خَرَجْنَا مِنَ الْفَيْفَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّا
لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ وَالْأَمَانِيِّ تَصْدُقُ	تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَّارِ جَهْلًا لِقَاءَنَا
كَرَادِيسٍ خَيْلٍ فِي الْأَزْقَةِ تَمْرُقُ	فَمَا رَاعَهُمُ بِالْشَّرِّ إِلَّا قُجَاءَةٌ
وَدُونَ الْقِبَابِ الْيَوْمَ ضَرْبٌ مُحَرِّقُ	أَرَادُوا لَكَيْمًا يَسْتَبِيحُوا قِبَابَنَا
إِذْ رَامَهَا قَوْمٌ أُبِيحُوا وَأُخْنِقُوا	وَكَانَتْ قِبَابًا أُوْمِنْتَ قَبْلَ مَا تَرَى
وَأَيْمَانَهُمْ بِالْمُشْرِقِيَّةِ بَزَوْقُ	كَأَنَّ رُؤُوسَ الْخَزْرَجِيِّينَ غَدَوَةٌ

شعر كعب في الرد على ابن العاصي:

فأجابه كعب بن مالك، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

وَعِنْدَهُمْ مِنْ عَلَمْنَا الْيَوْمَ مَصْدَقُ	أَلَا أَبْلَغَا فَنَهْرًا عَلَى نَأْيِ دَارِهَا
صَبَرْنَا وَرَايَاتُ الْمَنِيَّةِ تَخْفِقُ	بَأْنَا عَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبِ
إِذَا طَارَتْ الْأَبْرَامُ نَسْمُوا وَتَزُتِقُ	صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصُّبْرُ مَثَا سَجِيَّةُ
وَقَدَمًا لَدَى الْغَايَاتِ نَجْرِي فَتَسْبِقُ	عَلَى عَادَةٍ تَلَكُمُ جَرِينَا بِصَبْرِنَا
نَبِيٌّ أَتَى بِالْحَقِّ عَفْثٌ مُصَدِّقُ	لَهَا حَوْمَةٌ لَا تَسْتَطَاعُ يَفْقُودُهَا
مُقَطَّعُ أَطْرَافٍ وَهَامٌ مُقَلَّقُ	أَلَا هَلْ أَتَى أَقْنَاءُ فَنَهْرٍ بِنِ مَالِكِ

شعر ضرار في يوم أحد:

قال ابن إسحق: وقال ضرار بن الخطاب:

إِذْ جَالَتْ الْخَيْلُ بَيْنَ الْجِزْعِ وَالْقَاعِ	إِنِّي وَجَدَكَ لَوْلَا مُقَدَّمِي فَرَسِي
أَصَوَاتُ هَامٍ تَزَاقِي أَمْرُهَا شَاعِي	مَا زَالَ مِنْكُمْ بِجَنْبِ الْجِزْعِ مِنْ أُحُدِ
أَفْلَاقُ هَامَتِهِ كَفَزْوَةِ الرَّاعِي	وَفَارِسٌ قَدْ أَصَابَ السَّيْفُ مَفْرِقَهُ

إني وجدك لا أنفك مُنتطَقًا
على رِحالة ملُوح مُثابرة
وما انتَمَيْتُ إلى حُورٍ ولا كُشِفِ
بل ضارِبين حَيِّك البيض إذ لحقوا
شُمَّ بهاليل مسترخٍ حمائلهم
وقال ضرار بن الخطَّاب أيضًا:

بصارِمٍ مثل لَوْنِ المِلحِ قَطَّاعٍ
نحو الصَّريخِ إذا ما ثَوَّبَ الدَّاعي
ولا لِئامِ غداةِ البَأسِ أوزاعٍ
شُمَّ العَرانين عندَ المَوْتِ لُدَّاعٍ
يَسْعَوْنَ للموتِ سَعْيًا غيرَ دَعْداعٍ

لَمَّا أَتَتْ مِنْ بَنِي كَعْبٍ مُزَيَّنَةٌ
وَجَرَّدُوا مَشْرِفِيَّاتٍ مُهَنَّدَةٌ
فَقُلْتُ يَوْمَ بَأْيَامٍ وَمَعْرَكَةٍ
قَدْ عُوْدُوا كُلُّ يَوْمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ
خَيْرٌ نَفْسِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلٍ
أَكْرَهْتُ مُهْرِي حَتَّى خَاضَ غَمْرَتَهُمْ
فَظَلَّ مُهْرِي وَسِزْبَالِي جَسِيدُهُمَا
أَيَقَنْتُ أَتِي مُقِيمٍ فِي دِيَارِهِمْ
لَا تَجْزَعُوا يَا بَنِي مَخْزُومٍ إِنَّ لَكُمْ
صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدْتُ

وَالخَزْرَجِيَّةُ فِيهَا الْبَيْضُ تَأْتَلِقُ
وَرَايَةً كَجَنَاحِ النَّسْرِ تَخْتَفِقُ
تُنْسَى لَمَّا خَلَقَهَا مَا هُزْهَزَ الْوَرَقُ
رِيحُ الْقِتَالِ وَأَسْلَابُ الَّذِينَ لَقُوا
مِنْهَا وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْمَجْدَ مُسْتَبَقُ
وَبَلَّهِ مِنْ نَجِيعِ عَائِلِكَ عَلَقُ
نَفْخُ الْعُرُوقِ رِشَاشُ الطَّعْنِ وَالْوَرَقُ
حَتَّى يُفَارِقَ مَا فِي جَوْفِهِ الْحَدَقُ
مِثْلَ الْمُغِيرَةِ فِيكُمْ مَا بِهِ رَهَقُ
تَعَاوَزُوا الضَّرْبَ حَتَّى يُدْبِرَ الشَّقَقُ

شعر عمرو في يوم أحد

وقال عمرو بن العاصي:

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَنْدُ
وَتَنَاوَلَتْ شَهْبَاءُ تَلْحُ
أَيَقَنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ
حَمَلْتُ أَثْوَابِي عَلَى
سَلَسٍ إِذَا نُكِبْنَ فِي الْـ

زُو شَرَّهَا بِالرَّضْفِ نَزْرًا
وَالنَّاسَ بِالضَّرَاءِ لَخْوًا
وَالْحَيَاءُ تَكُونُ لَغْوًا
عَتِدَ يَبْدُ الْخَيْلِ رَهْوًا
بَيْدَاءٍ يَغْلُو الطَّرْفَ عُلْوًا

في شعر عمرو بن العاص

وفي شعر عمرو بن العاصي: يَمْشُونَ قَطْوًا. الْقَطْوُ وَالْأَقْطِطَاءُ: مَشْيُ الْقَطَا.

وإِذَا تَنَزَّلَ مَآوُهُ مِنْ عِطْفِهِ يَزْدَادُ زُهُوُا
رَبِذَ كَيْغَفُورِ الصَّرِيحِ مِمَّا رَاعَهُ الرَّاوُونَ دَخَوَا
شَنِجَ نَسَاءِ ضَابِطِ لِلْحَيْلِ إِزْخَاءَ وَعَذَوَا
فَفِدَى لَهُمْ أُمِّي عَدَا الرُّوعِ إِذْ يَمْشُونَ قَنَطَوَا
سَيَرَا إِلَى كَبِشِ الْكَتِيحِ بَعْدَ إِذْ جَلَّثَهُ الشَّمْسُ جَلَوَا
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمره.

شعر كعب في الرد على عمرو بن العاصي

قال ابن إسحق: فأجابهما كعب بن مالك، فقال:

أَبْلَغُ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالصَّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمْ أَهْلَ اللَّوَاءِ فَفِيمَا بَكَثُرُ الْقِيلِ
وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدُ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالُ وَجَبْرِيلِ
إِنْ تَقْتُلُونَا قَدِينُ الْحَقِّ فِطْرَتُنَا وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ
وَإِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهًا فَرَأَيْ مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ
فَلَا تَمْنُوا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَافْتَعِدُوا إِنْ أَخَا الْحَرْبِ أَضْدَى اللَّوْنِ مَشْغُولُ
إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تَرَاخُ لَهُ عَزْجُ الضَّبَاعِ لَهُ حَذْمُ رَعَابِيلِ
إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَتَّجُهَا وَعِنْدَنَا لَذَوِي الْأَضْغَانِ تَنْكِيلُ
إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَمَا بَلَعَتْ مِنْهُ التَّرَاقِي، وَأَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولُ
فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا وَمَوْعِظَةً لِمَنْ يَكُونُ لَهُ لُبٌّ وَمَعْقُولُ

شعر كعب

وفي شعر كعب: حَذْمُ رَعَابِيلِ. الْحَذْمُ: الْقَطْعُ بِالْأَسْنَانِ. وَرَعَابِيلُ: قِطْعٌ مُتَمَرِّقَةٌ، يُقَالُ: خَبَاءُ مُرْعِبِلٍ، أَيْ: مُتَمَرِّقٌ.

وقوله:

إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَتَّجُهَا

مُسْتَعَارٌ مِنْ مَرِيئِ النَّاقَةِ إِذَا اسْتَذَرَّتْ لِبَنَاهَا، وَنَتَّجَتْهَا إِذَا اسْتَخْرَجَتْ مِنْهَا وَلَدًا، يُقَالُ: نَتَّجَتِ النَّاقَةُ، وَنَتَّجَهَا أَهْلُهَا، وَأَمَّا أَنْتَجَتِ تُنْتَجُ فَإِذَا دَنَا نَتَاجُهَا.

ولو هَبَطْتُمْ بِيَطْنِ السَّيْلِ كَافَحَكُمْ
تَلْقَاكُمْ غَضَبَ حَوْلِ النَّبِيِّ لَهُمْ
مِنْ جِذْمِ غَسَّانٍ مُسْتَرْخٍ حَمَائِلَهُمْ
يَمْشُونَ تَحْتَ عَمَائَاتِ الْقِتَالِ كَمَا
أَوْ مِثْلَ مَشْيِ أَسْوَدِ الظِّلِّ أَلْتَقَّهَا
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالْتَّهْيِ مُخَكِّمَةٍ
تَرَدَّ حَدَّ قِرَامِ السُّبُلِ خَاسِئَةٍ
وَلَوْ قَدَفْتُمْ بِسَلْعٍ عَنْ ظُهُورِكُمْ
مَا زَالِ فِي الْقَوْمِ وَثَرٌ مِنْكُمْ أَبَدًا
عَبْدٌ وَخُرٌّ كَرِيمٌ مُوْتِقٌ قَنَصَا
كُنَّا نُوْمِلُ أَخْرَاكِمِ فَأَغْجَلَكُمِ
إِذَا جَنَى فِيهِمُ الْجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا
مَا نَحْنُ لَا نَحْنُ مِنْ إِثْمِ مُجَاهِرَةٍ

ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ الْبَطْحَاءِ تَزْعِيلُ
مِمَّا يُعَدُّونَ لِلْهَيْجَا سَرَابِيلُ
لَا جُبْنَاءَ وَلَا مِيلَ مَعَاذِيلُ
تَمْشِي الْمَصَاعِبَةُ الْأُذْمُ الْمَرَايِيلُ
يَوْمٌ رَدَاذٍ مِنَ الْجَوَزَاءِ مَشْمُولُ
قِيَامُهَا قَلَجٌ كَالسَّيْفِ بُهْلُولُ
وَيَزْجَعُ السَّيْفُ عَنْهَا وَهُوَ مَقْلُولُ
وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْجِيلُ
تَغْفُو السَّلَامُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولُ
شَطْرُ الْمَدِينَةِ مَأْسُورٌ وَمَقْتُولُ
مِنَّا قَوَارِسُ لَا عُزْلٌ وَلَا مِيلُ
حَقًّا بَأَنَّ الَّذِي قَدْ جَرَّ مَحْمُولُ
وَلَا مَلُومٌ وَلَا فِي الْغُرْمِ مَخْدُولُ

شعر حسان في أصحاب اللواء

وقال حسان بن ثابت، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أخذ:

- قال ابن هشام: هذه أحسن ما قيل -.

وقوله:

يَوْمُ رَدَاذٍ مِنَ الْجَوَزَاءِ مَشْمُولُ

يريد: من أيام أنواء الجوزاء، وهو نوء الهفعة، أو الهنعة، وذلك في الشتاء في شهر
كانون الأول ومشْمُولٌ من الريح الشمال.

وقوله: التَّقَّهَا مِنَ اللَّثَقِ، وهو اللَّيْلُ وَالطَّيْنُ الْيَسِيرُ، وَالرَّدَاذُ معروف، وهو أكثر من
الطَّشِّ وَالْبَغْشِ، وَالطَّلُّ نَحْوُ مِنْهُ، أَوْ أَقْوَى مِنْهُ قَلِيلًا، يَقَالُ: أَرْضٌ مَطْلُولَةٌ وَمَبْغُوشَةٌ، وَلَا
يَقَالُ: مَرْدُودَةٌ، وَلَكِنْ يُقَالُ: مُرْدَّةٌ وَمُرْدٌ عَلَيْهَا قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ.

أجود ما قال حسان

وذكر شعر حسان. قال ابن هشام: هذه أجود ما قال، وهذه القصيدة التي قالها حسان

مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعَشَاءِ الْهُمُومُ
 مِنْ حَبِيبِ أَضَافَ قَلْبِكَ مِنْهُ
 يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي
 لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ
 شَأْنِهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَغْلُو
 لَمْ تَقْتُلْهَا شَفَسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ
 إِنْ خَالِي خَطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوْ
 وَأَنَا الصَّقَرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلَمَى
 وَأَبِيٍّ وَوَاقِدُ أَطْلِقَ لِي
 وَرَهْنْتُ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعًا
 وَسَطَتْ نِسْبَتِي الذَّوَابُّ مِنْهُمْ
 ، وَأَبِي فِي سَمِيحَةِ الْقَائِلِ الْفَا
 تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفَعَلَ الزَّبْعَرَى
 رَبُّ جِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا

وَحَيَالٌ إِذَا تَغَوَّرَ النُّجُومُ
 سَقَمَ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْثُومُ
 وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومُ
 رَ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ
 هَا لُجَيْنٌ وَلَوْلَوْ مَنْظُومُ
 غَيْرَ أَنَّ الشُّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ
 لِأَنَّ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ
 يَوْمَ نُعْمَانٍ فِي الْكُبُولِ سَقِيمُ
 يَوْمَ رَاحَا وَكَبَلُهُمْ مَخْطُومُ
 كُلُّ كَفٍّ جُزْءٌ لَهَا مَقْسُومُ
 كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمُ
 صِلْ يَوْمَ التَّقَتِّ عَلَيْهِ الْخُصُومُ
 خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
 لِ وَجْهَلٍ غَطَا عَلَيْهِ النُّعِيمُ

ليلاً، ونادى قومه أنا أبو الحُسام، أنا أبو الوليد، وهما كُنْيَتَانِ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَزُودُوا عَنْهُ قَبْلَ النَّهَارِ، مَخَافَةَ أَنْ يَعُوقَهُ عَائِقٌ، فَخَرَّ فِيهَا عَلَى ابْنِ الزَّبْعَرَى بِمَقَامَاتٍ لَهُ عِنْدَ مُلُوكِ الشَّامِ مِنْ أَبْنَاءِ جَفْتَةَ، افْتَكَّ فِيهَا عُنَاةً مِنْ قَوْمِهِ.

وذكر مقام خالد عند النُّعْمَانِ الْغَسَانِيِّ مِنْ آلِ جَفْتَةَ، وَلَيْسَ بِالنُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِّيرِ، وَقَالَ فِيهَا:
 رَبُّ جِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِ وَجْهَلٍ غَطَا عَلَيْهِ النُّعِيمُ
 غَطَاً بِتَخْفِيفِ الطَّاءِ أَنْشَدَهُ يُوسُفُ بْنُ حَبِيبٍ، وَهَكَذَا كَانَ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ مَذْكُورًا عَنْ يُونُسَ، وَغَطَاً ارْتَفَعَ وَعَلَا، وَأَنْشَدَ الْقُتَيْبِيُّ:

وَمِنْ تَعَاجِيبِ خَلْقِ اللَّهِ عَاطِيَةٌ يُغْصَى مِنْهَا مُلَاجِيٌّ وَغِرْزِيبُ
 مُلَاجِيٌّ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ، وَيُقَالُ: مُلَاجِيٌّ كَمَا قَالَ:

كَعَنْقُودٍ مُلَاجِيَّةٍ^(١) حِينَ بُورَا

(١) مَلَاخِيَّةٌ: عَنَبٌ.

إِنْ ذَهَرَا يَبُورُ فِيهِ ذُوو الْعِدِّ لَمْ لَدَهَرْ هُوَ الْعَثُوُ الزَّيْمِ
 لَا تَسْبِئُنِي فَلَسْتُ بِسَبِي إِنْ سَبِي مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ
 مَا أَبَالِي أَنْبَ بِالْحَزَنِ تَيْسُ أَمْ لِحَانِي بظَهْرِ غَيْبِ لَيْمِ
 وَلِيَّ الْبَاسِ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ أَسْرَةً مِنْ بَنِي قُصَيِّ صَمِيمِ
 تِسْعَةً تَحْمِلُ اللِّوَاءَ وَطَارَتْ فِي رَعَاعٍ مِنَ الْقَنَا مَخْزُومِ
 وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيحُوا جَمِيعًا فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومِ
 بَدِمَ عَانِكَ وَكَانَ حِفَاطًا أَنْ يُقِيمُوا إِنْ الْكَرِيمِ كَرِيمِ
 وَأَقَامُوا حَتَّى أَزِيرُوا شُعُوبًا وَالْقَنَا فِي نَحُورِهِمْ مَخْطُومِ
 وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَادَا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَ مِنْهَا الْحُلُومِ
 لَمْ تَطُقْ حَمْلُهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللِّوَاءَ التُّجُومِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ حَسَّانُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ:

منع النوم بالعشاء الهُموم

لَيْلًا، فَدَعَا قَوْمَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: خَشِيتُ أَنْ يُذَرِّكُنِي أَجَلِي قَبْلَ أَنْ أَصْبِحَ، فَلَا تَرُؤُوهَا عَنِّي.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: مَنْ قَالَ مُلَاجِيَةً بِالتَّشْدِيدِ شَبَّهَ بِالْمُلَاحِ وَهُوَ ثَمَرُ الْأَرَاكِ وَفِيهِ مُلُوحَةٌ، وَقَالَ: وَالْغَزْبِيبُ اسْمٌ لِنَوْعٍ مِنَ الْعِنَبِ، وَلَيْسَ بِتَعْتٍ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَلَعَلَّكَ أَنْ تَفْهَمَ مِنْهُ مَعْنَى قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ: ﴿وَعَرَابِيبُ سُودٍ﴾ [فَاطِرُ: ٢٧]. حِينَ وَصَفَ الْجُدَّدَ، وَسُوْدٌ عِنْدِي بِدَلٍّ، لَا تُعْتُ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ شَرْحُ الْآيَةِ لَمَنْ لَحَظَهُ مِنْ هَذَا الْمَطْلِعِ، فَإِنْ أَبَا حَنِيفَةَ زَعَمَ أَنَّ الْغَزْبِيبَ إِذَا أُطْلِقَ لَفْظُهُ، وَلَمْ يَقَيَّدْ بِشَيْءٍ مَوْصُوفٍ بِهِ، فَإِنَّمَا يَفْهَمُ مِنْهُ الْعِنَبُ الَّذِي هَذَا اسْمُهُ خَاصَّةً، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ وَفَهِمُ الْكِتَابِ.

وَذَكَرَ فِيهِ حُمَاةَ اللِّوَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَأَنَّهُمْ صُرِعُوا حَوْلَهُ حَتَّى أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ وَهِيَ عَمْرَةُ بِنْتُ عُلَقَمَةَ، فَلِذَلِكَ قَالَ:

لَمْ تَطُقْ حَمْلُهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللِّوَاءَ التُّجُومُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبَيْدة لِلْحَجَّاجِ بنِ عِلَاطٍ السُّلَمي يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويذكر قَتْلَهُ طَلْحَةَ بنِ أَبِي طَلْحَةَ بن عبد العُزَى بن عثمان بن عبد الدَّار، صاحب لواء المشركين يوم أُحُد:

لله أَيُّ مُذْذِبٍ عن حُرْمَةٍ أعني ابنَ فاطمة المُعَمِّ المُخَوَّلَا
سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ تركتُ طَلِيحَةَ لِلجَبِينِ مُجَدَّلَا
وَشَدَّدَتْ شِدَّةً بِاسِلٍ فَكَشَفْتَهُمْ بالجرِّ إِذْ يَهُوُونَ أَخْوَالَ أَخْوَلَا

شعر ابن عِلَاط:

وقال في شعر حَجَّاجِ بنِ عِلَاطٍ يمدح علياً رضي الله عنه.

لله أَيُّ مُذْذِبٍ عن حُرْمَةٍ

أَلْفَيْتُ في حاشية الشيخ أبي بَخْرٍ على هذا البيت في حاشية الأصل يعني أضل أبي الوليد، قال إبراهيم: أَيُّ نُصِبَ لأنه مَدِيحٌ والمدح نَصَبٌ في أَيِّ حاله، فأما ابنُ هشام فَرَفَعَ أَيُّ. قال المؤلف: وهذا الذي ذكره من نَصَبِ أَيُّ على المدح، لا يستقيم إلا أن تُقَدَّرَ حَذَفُ المبتدأ قبله، كأنه قال الله أنت لأنه لا يُنْصَبُ على المدح إلا بعد جملة تامة، وأما الرفع على أن تجعل خبره الله: ففحيحٌ لأنها وإن كانت خبراً، فأصلها الاستفهامُ فلها صدر الكلام كما كان ذلك في كم خبرية كانت، أو استفهامية، فالتقدير إذا: لله ذرّه أَيُّ مُذْذِبٍ عن حُرْمَةٍ هو، ألا ترى أنه يَقْبَحُ أن يقول: جاءني أَيُّ فتى، فإن جعلته وصفاً جارياً على ما قبلها، فقلت: جارتني رَجُلٌ أَيُّ رَجُلٍ جاز ذلك، لأنه إذا كان وصفاً لم تليهِ العوامل اللفظية، فكأنه لم يخرج عن أصله، إذ المبتدأ لا تليهِ العوامل اللفظية.

وقوله: أَخْوَلُ أَخْوَلَا، أي: متفرقين، ووقع تفسيره في بعض النسخ من قول ابن هشام، وكان أصله من الخَال، وهو الخِيَلَاءُ والكبر، تقول: فلانٌ أَخْوَلُ من فلانٍ، أي: أشدُّ كِبَرًا منه، واختيالاً، فمعنى قولهم: إذا جاء القومُ أَخْوَلُ أَخْوَلَا، أي: انفرد كُلُّ واحدٍ منهم بنفسه، وازدَهِاهُ الخالُ أن يكون تابعاً لغيره، فكلما رأيت أحداً منهم، قلت: هذا أَخْوَلُ من الآخر، هذا هو الأضَلُّ، ثم كثر حتى استعمل في التَّفَرُّقِ مثلاً، وإن لم يكن هناك من معنى الخال شيء، وقد قيل في أَخْوَل: إنه من تَخَوَّلْتُ بالمَوْعِظَةِ، ونحوها إذا فعلت ذلك شيئاً فشيئاً، وفي الحديث: كان رسولُ الله - ﷺ - يَتَخَوَّلُنَا بالمَوْعِظَةِ، مخافة السَّأَمَةِ علينا^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٧/١) ومسلم في كتاب صفات المنافقين (٨٣/٨٢) والترمذي (٢٨٥٥) وأحمد (٣٧٧/١) والحميدي (١٠٧).

شعر حسان في قتلى يوم أحد

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت يئكي حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد:

يا مَيِّ قُومِي فاندُبْنِ	بُسْحِيرَةَ شَجْوِ النُّوَّاحِ
كالحامِلاتِ الوقْرِ ^(١) بالـ	ثُقُلِ المُلِحَّاتِ الدَّوَالِحِ ^(٢)
المُغُولَاتِ الخَامِشَاتِ	ثُ وُجوه حُرَّاتِ صحاحِ
وكانَ سَيْلَ دُمُوعِهَا الـ	أَنْصَابُ تَخَضَّبُ بالذَّبَائِحِ
يَنْقُضْنَ أَشْعَارًا لَهْنَ	هُنَاكَ بَادِيَةَ المَسَائِحِ
وكأنَّها أَذْنَابُ خَيْـ	لٍ بِالضُّحَى شُمْسِ رِوَاسِ
مِنْ بَيْنِ مَشْزُورٍ وَمَجـ	زُورٍ يُذْغَذَعُ ^(٣) بِالْبَوَارِحِ
يَبْكِينَ شَجْوًا مُسْلَبًا	تِ كَدَحْثَهْنَ الكَوَادِحِ
ولَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا	مَجَلٌّ لَهُ جُلْبٌ قَوَارِحِ

شعر حسان الحائي

وذكر شعر حسان الحائي وقال فيه:

كالحامِلاتِ الوقْرِ بالـ ثُقُلِ المُلِحَّاتِ الدَّوَالِحِ
الدَّوَالِحُ: جمع دالحة وهي المُثَقَّلَة، وكذلك الدَّلُوحُ من السَّحَابِ، وهي المُثَقَّلَة بالماء وفيه.

يَنْقُضْنَ أَشْعَارًا لَهْنَ هُنَاكَ بَادِيَةَ المَسَائِحِ
المسائِح: جميع: مَسِيحَة، وهو ما لم يُنْشَطْ من الشَّعرِ بَدْهِنٍ، ولا شَيْءٍ، والمَسِيحَة أَيْضًا القِطْعَة من الفِضَّة، والمَسِيحَة الفَرَسُ.
وقوله: مِنْ بَيْنِ مَشْزُورٍ، أي: مُفَرَّقٍ، ويقال: شَرَزْتُ المِلْحَ إِذَا فَرَقْتَهُ، والمَجَلُّ كالجُرْح، تقول: مَجَلَّتْ يَدِي مِنَ العَمَلِ.

(٢) الدوالح: البطيئات المشي.

(١) الوقر: الحمل الثقيل.

(٣) يذغذع: يبدد.

إِذْ أَقْصَدِ الْجِذْثَانِ مَنْ
أَصْحَابَ أَخِي غَالَهُمْ
مَنْ كَانَ فَارَسَنَا وَحَا
يَا حَمَزَ، لَا وَاللَّهِ لَا
لُمْنَاخَ أَيَّتَمَ وَأَضَى
وَلَمَّا يَتُوبُ الدَّهْرُ فِي
يَا فَارَسَا يَا مِذْرَهَا^(٤)
عَنَّا شَدِيدَاتِ الْخُطُوبِ
ذَكَّرْتَنِي أَسَدَ الرَّسُو
عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ
يَغْلُو الْقَمَاقِمُ^(٦) جَهْرَةً
لَا طَائِشَ رَعَشٍ وَلَا
بَحْرَ فَلَيْسَ يُغَيَّبُ جَا
كُنَّا تُرْجِي إِذْ تُشَايِحُ^(١)
دَهْرَ أَلَمَ لَهُ جَوَارِحُ
مِينَا إِذَا بُعِثَ الْمَسَالِحُ^(٢)
أَنْسَاكَ مَا ضَرَّ اللَّقَائِحُ
يَافِ وَأَزْمَلَةَ ثَلَامِ
حَزْبٍ لِحَزْبٍ وَهِيَ لَافِحُ^(٣)
يَا حَمَزَ قَدْ كُنْتَ الْمُصَاحِ^(٥)
ب إِذَا يَتُوبُ لَهْنَ فَادِخُ
لَ، وَذَاكَ مِذْرَهْنَا الْمُنَافِخُ
عُدَّ الشَّرِيفُونَ الْجَحَاجِخُ
سَبَطَ الْيَدَيْنِ أَغْرَ وَاضِخُ
ذُو عِلَّةٍ بِالْحِمْلِ آنِخُ^(٧)
رَا مِنْهُ بَسَيْبُ^(٨) أَوْ مَنَادِخُ^(٩)

وقوله: تُشَايِحُ، أي: نحاذِر، كما قال الآخر:

وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْخُ

وقوله: قَدْ كُنْتَ الْمُصَاحِ، وفي الحاشية عند الشيخ المصاحف بالفاء في رواية أخرى، وأما الْمُصَاحِ بالميم، فيجوز أن يكون من صَمَخْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَذْبَتَهُ، قاله صاحب العين، قال: وَالصَّمَخْمُخُ مِنَ الرِّجَالِ: الشَّدِيدُ الْعَضْبِ، وَسِنَّهُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ، وَالصَّمَاخُ فِيمَا ذَكَرَ أَبُو حَنِيفَةَ الرِّيحُ الْمُتَنَتَّةُ.

وقوله: سَبَبٌ أَوْ مَنَادِخُ، يجوز أن يكون جَمْعٌ: مَنْدُوحَةٌ، وَهِيَ السَّعَةُ، وَقياسه: مَنَادِخُ بِالْيَاءِ، وَحَذْفُهَا ضَرُورَةٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الثَّنَجِ، فَيَكُونُ مُقَاعِلًا بِضَمِّ الْمِيمِ، أَيْ:

- (١) نُشَايِحُ: نِفَادِي.
(٢) الْمَسَالِحُ: حَامِلُوا السِّلَاحِ.
(٣) لَافِحُ: مَحْرَقَةٌ.
(٤) يَا مِذْرَهَا: يَا سَيِّدَ، يَا زَعِيمَ.
(٥) الْمُصَاحِ: أَيُّ قَاطِعِ رُؤُوسِ الْأَبْصَالِ.
(٦) الْقَمَاقِمُ: الْعَدَدُ الْكَثِيرُ.
(٧) آنِخُ: عَاجِزُ.
(٨) السَّيْبُ: مَجْرَى الْمَاءِ الضَّيْقِ أَوْ الصَّغِيرِ.
(٩) الْمَنَادِخُ: مَجْرَى الْمَاءِ الْكَبِيرِ أَوْ الْوَاسِعِ.

أَوْدَى شَبَابٌ أُولَى الْحَفَا
المُطْعِمُونَ إِذَا الْمَشَا
لَحْمَ الْجِلَادِ وَقَوْفُهُ
لِيَدَافِعُو عَنْ جَارِهِمْ
لَهْفِي لَشُبَّانٍ رُزْتُ
شُمٌ، بَطَارِقَةٌ، عَطَا
المُشْتَرُونَ الْحَمْدُ بَالُ
وَالْجَامِزُونَ^(٢) بَلْجَمِهِمْ^(٣)
مَنْ كَانَ يُزْمَى بِالنُّوَا
مَا إِنْ تَزَالُ رِكَابُهُ
رَاخَتْ تَبَارَى وَهُوَ فِي
حَتَّى تَثُوبَ لَهُ الْمَعَا

نَظَ وَالثَّقِيلُونَ الْمَرَاجِحُ
تَبِي مَا يُصَفَّقُهُنَّ نَاضِحُ
مِنْ شَخْمِهِ شَطَبٌ شَرَائِخُ
مَا زَامَ ذُو الضَّغْنِ الْمُكَاشِحُ^(١)
نَاهُمْ كَأَنَّهُمْ الْمَصَابِيخُ
رِفَةً، خَضَارِمَةً، مَسَامِخُ
أَمْوَالُ إِنْ الْحَمْدُ رَابِحُ
يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِحُ
قِرٍ^(٤) مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحُ
يَزْسِمَنَّ فِي غُبْرِ صَحَاصِحُ^(٥)
رَكِبَ صُدُورُهُمْ رَوَاشِحُ
لِي لَيْسَ مِنْ قَوْزِ السَّفَائِحِ^(٦)

مُكَائِرًا، ويكون بفتح الميم فيكون جمعٌ مَنْدُوحَةٌ مَفْعَلَةٌ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالسَّعَةِ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: أَنَا فِي مَنْدُوحَةٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَهِيَ مَفْعُولَةٌ مِنَ التُّذِخِ، وَوَهُم أَبُو عُيَيْدٍ، فَجَعَلَهُ مِنْ أُنْدَاحَ بَطْنُهُ إِذَا اتَّسَعَ، وَالنُّونُ فِي مَنْدُوحَةٍ أَصْلٌ، وَهِيَ فِي أُنْدَاحَ زَائِدَةٌ، لِأَنَّ وَزَنَهُ انْفَعَلَ، وَالْأَلْفُ فِي أُنْدَاحَ أَضَلُّ وَهِيَ بَدَلُ مَنْ وَאוْ كَأَنَّهُ مَنْدُوحَةُ الشَّجِ، وَالْمِيمُ فِي مَنْدُوحَةٍ زَائِدَةٌ، وَالدَّالُ عَيْنُ الْفِعْلِ، وَهُوَ فِي أُنْدَاحَ فَاءُ الْفِعْلِ، وَمَنْ هَاهُنَا قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يَا عَجَبًا لِابْنِ قُتَيْبَةَ يَتْرَكُ مِثْلَ هَذَا مِنْ غَلَطِ أَبِي عُيَيْدٍ، وَيَعْتَفُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ، فِيمَا لَا بَالَ لَهُ مِنَ الْعَلَطِ.

وقوله: خَضَارِمَةً: جمع خَضَرِمٍ، وهو الكثير العطاء.

وقوله: يَزْسِمَنَّ مِنَ الرَّسِيمِ فِي السَّيْرِ، وَالصَّحَاصِيحُ: جمع صَحْصَحٍ، وهي الأرض المَلْسَاءُ.

وقوله: لَيْسَ مِنْ قَوْزِ السَّفَائِحِ، السَّفَائِحُ: جمع سَفِيحَةٍ، وهي كَالْجُؤَالَتِي^(٧) ونحوه.

(١) الْمُكَاشِحُ: باطن العداوة والكره.

(٢) الْجَامِزُونَ: الممرعون.

(٣) بَلْجَمِهِمْ: مِنَ اللَّجْمِ وَهُوَ الْكَفُّ.

(٤) التَّوَاقِرُ: الْوَقَادُ.

(٥) صَحَاصِحُ: مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ أَجْرَدَ.

(٦) السَّفَائِحُ: السَّهْلَةُ.

(٧) الْجُؤَالَتِي: وَعَاءٌ مِنْ صُوفٍ وَنَحْوِهِ.

يا حَمَزَ قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالْعُودِ شَدَّ بِهِ ^(١) الْكَوَافِحَ ^(٢)
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ الـ تُزْبِ الْمُكَوَّرُ وَالصَّفَائِحَ
مَنْ جَنْدَلٌ ^(٣) تُلْقِيهِ فَوْ قَكَ إِذْ أَجَاد الضَّرْحَ ضَارِحَ
فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ بِالتُّزْبِ سَوَّثَهُ الْمَمَاسِيحَ
فَعَزَّأُونَا أَنَا نَقُومُ لَ وَقَوْلُنَا بَرْحَ بَوَارِحَ
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عَمٌّ لَا أَوْقَعَ الْجِذْثَانِ جَانِحَ
فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْنُ نَاهُ لَهْلَكَانَا النَّوَافِحَ ^(٤)
الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْمَمَادِحَ
مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدِيْ لَهُ لَه طَوَالَ الدَّهْرِ مَائِحَ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان، وبيته: «المطعمون إذا المشاتي» وبيته: «الجامزون بلُجْمِهِمْ»، وبيته: «من كان يُرْمَى بالنواقر» عن غير ابن إسحق.

شعر حسان في بكاء حمزة

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضًا يبكي حمزة بن عبد المطلب:

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمُهَا بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْهَاطِلِ
بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأَذْمَاءُ فَمَذَقَ الرُّوحَاءِ فِي حَائِلِ
سَاءَ لَتُهَا عَن ذَاكَ فَاسْتَعْجَمْتُ لَمْ تَذِرْ مَا مَزْجُوعَةُ السَّائِلِ
دَغَ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا وَابِكِ عَلَى حَمْزَةِ ذِي النَّائِلِ
الْمَالِيءِ الشَّيْزَى إِذَا أَغْصَفَتْ غَبْرَاءُ فِي ذِي الشَّيْمِ الْمَاحِلِ
وَالتَّارِكِ الْقِرْنَ لَدَى لِبْدَةٍ يَغْثُرُ فِي ذِي الْخُرْصِ الذَّابِلِ

شعر حسان اللامي ^(٥)

وقال في القصيدة اللَّامِيَّة: ذِي الْخُرْصِ الذَّابِلِ، يريد: الرُّنْحَ، وَالْخُرْصُ سِنَانُهُ

(٢) الكوافح: الأعداد.

(٤) نوافح: الطيِّب الروائح.

(٥) شعر حسان هو اللامي. أي منتهي باللام. وليس حسان هو اللامي.

(١) شَدَّ بِهِ: ابتعد.

(٣) جندل: صخر عظيم.

كَالْلَيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ
لَمْ يَمِرْ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
شُلْتُ يَدًا وَخَشِي مَنْ قَاتَلَ
مَطْرُورَةً مَارَّةً الْعَامِلِ
وَأَسْوَدَ نُورِ الْقَمَرِ النَّاصِلِ
عَالِيَةِ مُكْرَمَةِ الدَّاحِلِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابِنَا نَازِلِ
يَكْفِيكَ فَقَدْ الْقَاعِدَ الْخَازِلِ
دَمْعًا وَأَذْرَى عَبْرَةَ الثَّائِلِ
بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهْجِ الْجَائِلِ
مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْتُهُ جَاهِلِ
يَمْشُونَ تَحْتَ الْحَلْقِ الْفَاضِلِ
نِعْمَ وَزِيرُ الْفَارِسِ الْحَامِلِ

وَاللَّابِسِ الْخَيْلِ إِذْ أَجَحَمَتْ
أَبْيَضُ فِي الدَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ
مَالَ شَهِيدًا بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ
أَيُّ أَمْرٍ غَادَرَ فِي أَلَّةٍ
أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفَقْدَانِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي جَنَّةٍ
كُنَّا نَرَى حَمَزَةَ جِرْزًا لَنَا
وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ ذَا تُذْرٍ
لَا تَفْرَحِي يَا هِنْدُ وَاسْتَحْلَبِي
وَأَبْكِي عَلَى عُثْبَةٍ إِذْ قَطَّه
إِذَا خَرَّ فِي مَشِيخَةٍ مِنْكُمْ
أَزْدَاهُمْ حَمَزَةً فِي أُسْرَةٍ
غَدَاةَ جَنْبِرِيلَ وَزِيرٍ لَهُ

وجمعه خُرْصَان. وفيه:

شُلْتُ يَدًا وَخَشِي مَنْ قَاتَلَ

ترك تنوين العلم للضرورة:

ترك التنوين للضرورة لما كان اسماً علماً، والعلم قد يترك صرْفُه كثيراً، ومنع من ذلك البصريون، واحتج الكوفيون في إجازته بأن الشاعر قد يحذف الحرف والحرفين نحو قول علقمة [بن عبدة]:

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَنِّي عَلَى شَرَفٍ مَقْدَمٌ بِسَبَا الْكَثَّانِ مَلْثُومٌ
أي بسبائب، وقول لييد:

كَالْحَمَالِيحِ^(١) بِأَيْدِي الثَّلَامِ

أي الثَّلَامِيذ.

وقال ابن السراج محتجاً عليهم: ليس التنوين من هذا في شيء لأنه زائد لمعنى، وما زيد معنى لا يحذف.

(١) الحماليح: منافع الصائغ والحداد.

شعر كعب في بكاء حمزة

وقال كعبُ بن مالك يَبْكِي حمزةَ بن عبد المطلب:

طَرَقْتُ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدٌ وَجَزِعْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ
وَدَعَتْ فَوَازِكُكَ لِلْهَوَى ضَمِيرِيَّةٌ فَهَوَاكُ غُورِيٍّ^(١) وَصَخُوكُ مُنْجِدُ
فَدَعَ التَّمَادِي فِي الْعَوَايَةِ سَادِرًا^(٢) قَدْ كُنْتُ فِي طَلَبِ الْعَوَايَةِ تُفْنَدُ
وَلَقَدْ أَتَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعًا أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِذْتُ لَفَقْدِ حَمْزَةِ هَدَّةٍ ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ^(٣) مِنْهَا تَزْعَدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ جِرَاءَ بَمَثَلِهِ لَرَأَيْتُ رَأْسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
قَرُمَ تَمَكَّنَ فِي دُؤَابَةِ هَاشِمٍ حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّودَدُ^(٤)
وَالْعَاقِرُ الْكُومُ^(٥) إِذَا غَدَتْ رِيحٌ يَكَاذُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمَدُ
وَالثَّارِكُ الْقِرْنُ الْكَمِيُّ^(٦) مُجَدَّلًا يَوْمَ الْكَرْبِهِةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ ذُو لِبْدَةٍ شَتْنُ الْبَرَاثِنِ^(٧) أَزِيدُ
عَمَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصْفِيهِ وَرَدَ الْجِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ
وَأَتَى الْمَنِيَّةَ مُغْلِمًا فِي أُسْرَةٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهَدُ

شعر كعب

وفي شعر كعب:

طَرَقْتُ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدُ

أراد الرُّقَادُ مُسَهَّدُ صاحبه، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وهو الضمير المخفوض، فصار الضمير مفعولاً لم يُسَمَّ فاعله، فاستتر في المُسَهَّد. ومنه:

وَجَزِعْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ

أي: الأَغْيَدُ صاحبه، وهو الناعم.

(٢) سادر: غير متيقن.

(٤) السُّودد: السيادة.

(٦) الكمي: صاحب السلاح.

(١) غوري: نسبة إلى الغور.

(٣) الجوف: الطعان.

(٥) الكوم: الأشراف.

(٧) البراثن: الأسود.

ولقد إخالٌ بذاك هنداً بُشرت
 ممّا صَبَحْنَا بالعَقَنْقَل^(١) قَوْمَهَا
 وبِئْسَ بَذْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ
 حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ
 فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعْطَنُ مِنْهُمْ
 وَابْنُ الْمَغِيرَةِ قَدْ ضَرَبَنَا ضَرْبَةً
 وَأُمَيَّةُ الْجَمَحِيِّ قَوْمٌ مَيْلُهُ
 فَأَتَاكَ قُلُ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ
 شَتَانٌ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيَا
 وَقَالَ كَعْبٌ أَيْضًا يِكِي حَمْزَةً:

صَفِيَّةٌ قُومِي وَلَا تَعْجِزِي
 وَلَا تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلِي الْبُكَاءَ
 فَقَدْ كَانَ عِزًّا لِأَيْتَامِنَا
 يَرِيدُ بِذَاكَ رِضًا أَحْمَدُ
 وَيَكِي النِّسَاءِ عَلَى حَمْزَةٍ
 عَلَى أَسَدِ اللَّهِ فِي الْهَزَّةِ
 وَلَيْتَ الْمَلَّاحِمِ فِي الْبِزَّةِ
 وَرِضْوَانِ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

وقوله: والخيّل تَتَفَنُّهُمْ، أي: تتبع آثارهم، وأصله من تَفَنَّتِ الْبَعِيرُ، وهو ما حول الخُفِّ منه.

قصيدة كعب الزائية:

وقول كعب في الشعر الزائِي:

وَلَيْتَ الْمَلَّاحِمِ فِي الْبِزَّةِ

البِزَّةُ: الشَّارَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْبِزَّةُ السِّلَاحُ أَيْضًا، وَهُوَ مِنْ بَزَزْتُ الرَّجُلَ، إِذَا سَلَبْتَهُ بَزَّتَهُ، يُقَالُ: مَنْ عَزَّ بَزًّا، أَي: مَنْ غَلَبَ سَلَبًا، وَالْبَزَابِزُ: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ.

(٢) تَفَنُّهُمْ: تَلْقِيَهُمْ.

(١) الْعَقَنْقَلُ: الْوَادُ السَّحِيقُ.

شعر كعب في أحد

وقال كعب أيضًا في أحد:

إنيك عَمَرَ أبِيكَ الْكَرِيـ	م أن تَسْأَلِي عَنكَ من يَجْتَدِينَا
فإن تَسْأَلِي نَمَ لا تُكْذِبِي	يُخْبِرُكَ مَنْ قد سَأَلَتِ الْيَقِينَا
بأنَا لِيَالِي ذَاتِ الْعِظَا	م كِنَّا ثَمَالاً لِمَنْ يَغْتَرِينَا
تَلُودُ الْبُجُودُ بِأَذْرَائِنَا	من الضَّرِّ في أَرْمَاتِ السُّنِينَا
بِجَذْوَى فُضُولِ أُولِي وَجْدِنَا	وَبِالصَّبْرِ وَالْبَذْلِ فِي الْمُعْدِمِينَا
وَأَبْقَتْ لَنَا جَلَمَاتِ الْحُرُو	ب مَمَّنْ نَوَازِي لَدُنْ أن بُرِينَا
مِعَاطِنَ تَهْوِي إِلَيْهَا الْحُقُو	ق يَحْسِبُهَا من رَأَاهَا الْفَتِينَا
نُخَيْسَ فِيهَا عِتَاقُ الْجَمَا	ل صُخْمًا دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُونَا

نونية كعب

وقال أيضًا في القصيدة النونية:

تَلُودُ الْبُجُودُ، بِأَذْرَائِنَا

الْبُجُودُ: جمع بَجْدٍ، وهم جماعة من الناس، وَيُرْوَى التُّجُودُ بالنون، وهي المرأة الْمَكْرُوبَةُ. وَالْبُجُودُ من الإبل: الْقَوِيَّةُ وقوله: بِأَذْرَائِنَا، جمع ذَرَا من قولهم: أَنَا فِي ذَرَا فُلَانٍ، أَي فِي سِتْرِهِ، وتقول العرب: ليس في الشجر أَذْرَى من السَّلَمِ، أَي: أَذْفَا ذَرَا مِنْهُ، لَأنَّهُ يَقَالُ: مَا مَاتَ أَحَدٌ صَرْدًا قَطُّ فِي ذَرَا سَلَمَةٍ.

وقوله: جَلَمَاتِ الْحُرُوبِ. من قولك: جَلَمْتُ الشَّيْءَ، وَجَرَشْتُهُ إِذَا قَطَعْتَهُ، وَمِنْهُ: الْجَلَمَانُ. وقوله: لَدُنْ أَن بُرِينَا أَي خُلِقْنَا، وَالبَّارِي: الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ، أَي هَذَا حَالُنَا مِنْ لَدُنْ خُلِقْنَا.

وقوله: يَحْسِبُهَا من رَأَاهَا الْفَتِينَا، هي الصَّخُورُ السُّودُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُشَبِّهُ مَا فُتِنَ بِالنَّارِ، أَي: أَخْرَقَ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذَّارِيَاتُ: ١٣] وَأَصْلُ الْفَتَنِ الْإِخْتِبَارُ، وَإِنَّمَا قِيلَ: فَتَنَتْ الْحَدِيدَةُ بِالنَّارِ، لِأَنَّكَ تَخْتَبِرُ طَبِيعَهَا مِنْ حَيْثُهَا.

وقوله: دَوَاجِنَ^(١) حُمْرًا وَجُونًا، أَي: حُمْرًا وَسُودًا، وقوله: جَأَوَاءَ، أَي: كَتِيبَةً لَوُثْنَهَا لَوْنُ الْحَدِيدِ.

(١) الدواجن: المقيمة.

وَدَفَّاعَ رَجُلٍ كَمَوْجِ الْفُرا ت يَفْدُمُ جَأَوَاءَ جَوْلًا طَحُونَا
تَرى لونها مِثْلَ لونِ الثُّجور م رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ النَّاظِرِينَا
فإن كنتَ عَن شَأِنِنَا جَاهِلًا فَسَلْ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يَلِينَا
بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِن قُلِّصَتْ عَوَانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا جَحُونَا
أَلَسْنَا نَشْدُ عَلَيْهَا الْعِصَا ب حَتَّى تَدُرَّ وَحَتَّى تَلِينَا
وَيَوْمٌ لَهُ رَهَجٌ دَائِمٌ شَدِيدُ التَّهَاوُلِ حَامِي الْأَرِينَا

وقوله: جَوْلًا طَحُونًا: الجَوْلُ: جانبُ البئر.

وقوله: إِن قُلِّصَتْ^(١)، يعني الحرب، ثم وصفها فقال: عَضُوضًا جَحُونًا من العَضِّ، وَجَحُونًا من حَجَنْتُ العُودَ إذا لويته، وقوله:

أَلَسْنَا نَشْدُ عَلَيْهَا الْعِصَا ب حَتَّى تَدُرَّ وَحَتَّى تَلِينَا

هذا كله من صِفَةِ الحرب، شبهها بِنَاقَةٍ صَغْبَةٍ قُلِّصَتْ، أي صَارَتْ قُلُوصًا، أي: إنا نَذَلُّ صَغْبَهَا، وتلين من ضِرَاسِهَا. وقوله: ويوم له رَهَجٌ دائم الرهج: العُبار.

وقوله: شديد التَّهَاوُلِ: جمع تَهْوِيلٍ، والتَّهَاوِيلُ: ألوان مختلفة، قال الشاعر [عبد المسيح بن عَسَلَةَ] يصف روضًا:

وعازب قد علا التَّهْوِيلُ جَنِبَتَهُ لا تَنْفَعُ الثُّغْلُ فِي رَقْرَاقِهِ الْحَافِي

وقوله: حامي الأَرِينَا: جمع إَرَةٍ، وهو مُسْتَوْدَقُ النَّارِ، يجوز أن يكون وَزْنُهَا عِلَّةٌ من الْأَوَارِ، وهو الحَرّ، فحذفت الهمزة، وهمزت الواو لانكسارها، وجائز أن يكون وزنها فِعْلَةٌ من تَأَرَيْتُ بِالْمَكَانِ، لأنهم يَتَأَرَوْنَ حَوْلَهَا، وهذا الوجه هو الصحيح، لأنهم جَمَعُوهَا على إرين مثل سنين، ولا يُجْمَعُ هذا الجمع المسلم كجمع مَنْ يعقل إلا إذا حُلِيقَتْ لَامُهُ، وكان مُؤَنَّثًا، وكان لَامُ الفِعْلِ حَرْفَ عِلَّةٍ، ولم يكن له مذكر كالأمة، إذا اجتمعت فيه هذه الشُرُوط الأربعة جُمِعَ بالواو والنون في الرفع. والياء والنون في الخفض والنصب، كسينين وعِصِينِ، غير أنهم قد قالوا: رِقِينِ في جمع الرِّقَّةِ وهي الْوَرَقُ^(٢) وقد تكلّمنا على سِرِّ هذا الجمع وسِرِّ أَرْضِينِ في «نتائج الفكر»^(٣) بما فيه جَلَاءٌ والحمد لله.

(٢) الْوَرَقُ: النُضَّة.

(١) قُلِّصَتْ: انقُبِضَتْ.

(٣) انظره ص (٣١).

طَوِيلٌ شَدِيدٌ أَوَارِ الْقِتَا لَ تَنْفِي قَوَاجِزُهُ الْمُقْرِفِينَا
تَحَالُ الْكُمَاءُ بِأَعْرَاضِهِ ثِمَالًا عَلَى لَذَّةٍ مُنْزِفِينَا
تَعَاوَزُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كَوْسَ الْمَنَايَا بَحْدَ الطُّبِينَا
شَهِدْنَا كُنَّا أُولِي بَأْسِهِ وَتَحْتَ الْعِمَايَةِ وَالْمُعْلِمِينَا
بُخْرَسُ الْحَسِيسِ حِسَانِ رِوَاءِ وَيُضْرِيَّةٌ قَدْ أَجْمَنَ الْجُفُونَا

وقوله:

كنار أبي حَبَاجِبَ والضَّبِينَا

يقال: أبو حَبَاجِبَ ذُبَابٌ يَلْمَعُ بِاللَّيْلِ، وقيل: كان رجلاً لثيماً لا يرفع ناره خَشْيَةً الأضياف، ولا يوقدها إلا ضَعِيفَةً، وترك صَرْفَهُ ولم يَخْفِضْ، وهو في موضع الخفض، لما قَدَمناه من أن الاسم إذا تَرَكَ صَرْفَهُ ضرورةً أو غير ضرورة، لم يدخله الخفض كما لا يدخله التثوين، لثلاثِ يَشْبُهُ ما يُضَيِّفُهُ المتكلم إلى نفسه، وقال أبو حنيفة: لا أدري ما حَبَاجِبٌ ولا أبو حَبَاجِبٌ، ولا بلغني عن العرب فيه شيء، وقال في الإِزَةِ عن قوم حكى قولهم: هو من أَرَيْتُ الشيء إذا علمته، وقال: الأَرِيُّ هو عمل النحل وفعلها، ثم سَمِيَ العسل أَرِيًّا لهذا كما يُسَمَّى مَرْجًا وأنشد [لأبي ذُوَيْبٍ الهَذَلِي]:

وَجَاءُوا بِمَرْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّخْكَ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ

قال: والضَّخْكَ: الزُّبْدُ الأبيض، وقيل: الثُّغْرُ، وقيل: الطَّلْعُ، وقيل: العَجَبُ.

وقوله: والطُّبِينَا: جمع طُبَّةٍ، جَمَعَهَا على هذا الجمع المسلم، لما قَدَمناه في الأَرِينِ والسِّنِينِ، غير أنه لم يكسِر أول الكلمة كما كُسِرَتِ السِّينُ من سِنِينَ إِشْعَارًا بالجمع، لأن طُبِينَ لا يُشْبِهُ أن يكون واحدًا، إذ ليس في الأسماء فُعِيلٌ، وكَسَرُوا أول سِنِينَ إِيذَانًا بأنه جَمْعٌ كي لا يُتَوَهَّمُ أنه اسم على فُعُولٍ، إذ ليس في الأسماء فُعُولٌ ولا فُعِيلٌ ولم يبلغ سيبويه أن طُبَّةَ تجمع على طُبِينَ، وقد جاء في هذا الشعر، وفي غيره كما تراه.

وقوله: قَوَاجِزُهُ: جمع قَاجِزٍ وهو الوَثَابُ القَلِيقُ، يقال: قَحَزَ قَحَزَانًا [وقَحَزَا وقَحُوزًا]، إذا وَثَبَ وَقَلِقَ. وقوله: بُخْرَسِ الْحَسِيسِ، يصف الشبَّوْفَ بِالْخَرَسِ لوقوعها في الدم واللحم.

وقوله: حِسَانِ رِوَاءِ: من الدَّم، وقوله: بُضْرِيَّةٌ: منسوبة إلى بُضْرَى من أرض الشام، كما أن المَشْرِقِيَّةَ منسوبة إلى مَشَارِفَ من أرض الشام، لأنها تُصَنَعُ فيها.

وقوله: قَدْ أَجْمَنَ الْجُفُونَا، أي: كَرِهْنَ الإِقَامَ فيها، وَمَلَأْنَهُ، ومنه قولُ هِشَامٍ لِسَالِمِ بْنِ

فَمَا يَنْفِلِلْنَ وَمَا يَنْحَنِينَ وَمَا يَنْتَهِينِ إِذَا مَا نُهِينَا
كَبِزَقِ الْخَرِيفِ بِأَيْدِي الْكُمَاةِ يُفَجِّعْنَ بِالظَّلِّ هَامًا سُكُونَا
وَعَلَّمَنَا الضَّرْبَ أَبَاؤُنَا وَسَوْفَ نُعَلِّمُ أَيضًا بَنِينَا
جِلَادَ الْكُمَاةِ وَبَذَلَ الثَّلَا دِ عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا
إِذَا مَرَقَزْنَ كَفَى نَسْلُهُ وَأَوْرَثَهُ بَغْدَهُ آخِرِينَا
نَشِبٌ وَتَهْلِكَ آبَاؤُنَا وَبَيْنَا نُرَبِّي بَنِينَا فَنِينَا
سَأَلْتُ بِكَ ابْنَ الرُّبْعَرَى فَلَمْ أَنْبَأَكَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا هَجِينَا
خَبِيرًا تُطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَاتِ مُقِيمًا عَلَى اللَّؤْمِ حِينًا فَحِينَا
تَبَجَّسْتَ تَهْجُو رَسُولَ الْمَلِيكِ كَ قَاتَلَكَ اللَّهُ جِلْفًا لَعِينَا
تَقُولُ الْخَنَائِمُ تَرْمِي بِهِ نَقِي الثِّيَابَ تَقِيًا أَمِينَا

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذي يليه والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله: «نشب وتهلك آبأؤنا» والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصاري.

قال ابن إسحق: وقال كعب بن مالك أيضًا، في يوم أحد:
سَائِلُ قُرَيْشًا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ أَحَدٍ مَاذَا لَقِينَا وَمَا لَاقُوا مِنَ الْهَرَبِ
كُنَّا الْأَسْوَدَ وَكَانُوا الثَّمَرِ إِذَا رَحَفُوا مَا إِنْ تُرَاقِبُ مِنْ آلٍ وَلَا نَسَبِ
فَكَمْ تَرَكْنَا بِهَا مِنْ سَيِّدٍ بَطِلٍ حَامِي الدَّمَارِ كَرِيمِ الْجَدِّ وَالْحَسَبِ

عَبْدُ اللَّهِ: مَا طَعَامُكَ! قال: الْخَبِزُ بِالرَّيْتِ، قال: أَمَا تَأْجِمُهُمَا؟ قال: إِذَا أَجِمْتُهُمَا تَرَكْتُهُمَا حَتَّى أَشْتَهِيَهُمَا.

وقوله:

وتحت العَمَاية والمُعْلِمِينَا

بإسقاط الواو من أَوَّلِ الْقَسِيمِ الثاني وقع في الأصل وفي الحاشية، وتحت العَمَاية بواو العطف وقع في الأصلين، وبها يَكْمُلُ الوزْنُ ولا يجوز إسقاطها إلا على مذهب الْأَخْفَشِ الذي يُجِيزُ الْحَزْمَ فِي أَوَّلِ الْقَسِيمِ الثاني من البيت، كما يجيزه العَرُوضِيُّونَ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ.

وقوله: تطيف بك المُنْدِيَاتِ: أي الأمور الشَّيْئَةِ.

وقوله: تَبَجَّسْتَ، من تَبَجَّسَ الْمَاءُ، إِذَا انْفَجَرَ.

فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ يَتَّبِعُهُ
الْحَقُّ مَنْطِقَهُ وَالْعَذْلُ سِيرَتَهُ
نَجِدُ الْمُقَدَّمَ، مَاضِي الْهَمِّ، مُعْتَزِمٌ
بِمَضِي وَيَذْمُرُنَا عَنْ غَيْرِ مَغْصِيَةٍ
بَدَا لَنَا فَاتَّبَعْنَاهُ نُصَدِّقَهُ
جَالُوا وَجَلْنَا فَمَا فَاؤُوا وَمَا رَجَعُوا
لَيْسَ سِوَاءٍ وَشَتَّى بَيْنَ أَمْرِهِمَا

تُورُ مَضِيٍّ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهْبِ
فَمَنْ يُجِبُهُ إِلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبَبٍ
حِينَ الْقُلُوبُ عَلَى رَجْفٍ مِنَ الرُّعْبِ
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبِعْ عَلَى الْكَذِبِ
وَكَذَّبُوهُ فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ
وَنَحْنُ نَثْقِنُهُمْ لَمْ نَأَلْ فِي الطَّلَبِ
حِزْبُ الْإِلَهِ وَأَهْلُ الشُّرْكِ وَالنُّصَبِ

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «بمضي ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصاري.

شعر ابن رواحة في بكاء حمزة:

قال ابن إسحق: وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةٌ قَالُوا
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا
أَبَا يَنْغَلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ
أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا
رَسُولُ اللَّهِ مُضْطَرِّبِ كَرِيمٍ
أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي لُؤْيَا
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلْبٍ بَذَرِ
غَدَاةٍ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا

وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ
أَحْمَزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطُوقُ إِذْ يَقُولُ
فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ^(١) تَدُولُ
وَقَائِعُنَا بِهَا يُشْفَى الْغَلِيلُ
غَدَاةٌ أَنْتَكُمُ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ
عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ

(١) دائلة: منقلب.

وَعُثْبَةُ وَابْنُهُ خَرَا جَمِيعًا
وَمَتَرَكُنَا أُمِّيَّةً مُجْلَعِبًا^(١)
وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا
أَلَا يَا هِنْدُ فَبِكِي لَا تَمَلِّي
أَلَا يَا هِنْدُ لَا تُبْدِي شِمَاتًا
وَشَيْبَةُ عَضَّهُ السِّيفُ الصَّقِيلُ
وَفِي حَيْرُومِهِ^(٢) لَذَنْ نَبِيلُ
فَفِي أَشْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ
فَأَنْتَ الْوَالَهُ الْعَبْرَى الْهَبُولُ
بِحَمْزَةٍ إِنْ عَزَّكُمْ ذَلِيلُ

شعر كعب في أخذ:

قال ابن إسحق: وقال كعب بن مالك:

أَبْلَغُ قُرَيْشًا عَلَى نَأْيِهَا
فَخَزَنَتْهُمْ بِقَتْلَى أَصَابَتَهُمْ
فَحَلُّوا جَنَانًا وَأَبَقُوا لَكُمْ
تُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا وَسَطَهَا
رَمَتْهُ مَعْدُ بَعُورِ الْكَلَامِ
أَتَفَخَّرُ مِنَّا بِمَا لَمْ تَلِي
فَوَاضَلُ مِنْ نَعَمِ الْمُفْضِلِ
أَسُودًا تُحَامِي عَنِ الْأَشْبُلِ
نَبِيٍّ عَنِ الْحَقِّ لَمْ يَنْكُلِ
وَنَبِيلِ الْعَدَاوَةِ لَا تَأْتَلِي

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لم تلي»، وقوله: «من نعم المفضل» أبو زيد الأنصاري.

شعر ضرار في أخذ

قال ابن إسحق: وقال ضرار بن الخطاب في يوم أخذ:

مَا بَالُ عَيْنِكَ قَدْ أَزْرَى بِهَا السُّهُدُ
أَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأَلَّفَهُ
أَمْ ذَاكَ مِنْ شَغْبِ قَوْمٍ لَا جَدَاءَ بِهِمْ
مَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْعَيِّ الَّذِي رَكَّبُوا
وَقَدْ نَشَدْنَاهُمْ بِاللَّهِ قَاطِبَةً
كَأَنَّمَا جَالَ فِي أَجْفَانِهَا الرَّمْدُ
قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الْأَعْدَاءُ وَالْبُعْدُ
إِذِ الْحُرُوبُ تَلْظَّتْ نَارُهَا تَقْدُ
وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤْيٍ وَيَنْحَهُمْ عَضْدُ
فَمَا تَرَدَّدَهُمُ الْأَرْحَامُ وَالنُّشْدُ

شعر ضرار

وقول ضرار في قصيدته الدَّالِيَّةِ يَكْبُو فِي جَدِيَّتِهِ، أَي: فِي دَمِهِ.

(٢) الحيزوم: وسط الدار.

(١) مجلعبًا: مضطجعًا.

حتى إذا ما أبوا إلا مُحاربةً
سِرْنا إليهم بجيش في جوانبه
والجُزْدُ تَرْفُلُ بالأبطال شازيةً
جيش يَفُودُهُمْ صَخْرٌ ويرأسهم
فأبرز الحين قومًا من منازلهم
فغودرت منهم قَتلى مُجدلة
قَتلى كرامَ بنو النجار وسطهم
وحَمزة القزم مضروع تُطيف به
كأنه حين يَكْبُو في جديته
خوار نابٍ وقَدْ ولى صَحَابَتُهُ
مجلحين ولا يَلُونَ قد مُلِئوا
تَبْكي عليهم نساء لا يقول لها
وقَدْ تَرَكْنَاهُم للطَّير ملحمة
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لضَرَارِ.

رجز أبي زعنة يوم أحد:

قال ابن إسحق: وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة، أخو بني جُشَم بن الخزرج، يوم أحد:

أنا أبو زعنة يعدو بي الهُزَمُ لم تُمنع المَخْزاة إلا بالألم
يحمي الذمارَ خَزْرَجِي من جُشَمِ

وقوله: تُغَلَّبُ جَسَدُ، يريد تُغَلَّبُ الرُّمَحُ، وجَسَدٌ من الجِسَاد وهو الدم.

وقوله: الأضغان والجحد، حَرَكُ القاف بالكسر ضَرُورةٌ، ولو وقف على الدال بالسكون، وكان الاسمُ مخفوضًا كان الكسر أحسنَ في الوقف، كما قال: واضْطَفَافًا بِالرَّجْلِ، أي: الرَّجْل.

وقوله: العوصاء والكؤد، يريد الرُّمَّة العويصَ مَسْلُكُها، والكؤد جمع عَقَبَةٍ كؤودٍ وهي الشاقة.

رجز ينسب لعليّ في يوم أحد:

قال ابن إسحق: وقال عليّ بن أبي طالب - قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير عليّ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر، ولم أر أحدًا منهم يعرفها لعليّ:

لا هُمَّ إنَّ الحارث بن الصَّمَّةَ كان وفياً وبنا ذا ذِمَّةَ
أَقْبَلَ في مَهَامِهِ مُهِمَّةَ كَلِيلَةَ ظُلُمَاءِ مُذْلِهَمَةِ
بَيْنَ سُيُوفٍ وَرِمَاحِ جَمَّةَ يَبْغِي رَسُولَ اللَّهِ فيمَا نَمَّةَ
قال ابن هشام: قوله: «كليلة» عن غير ابن إسحق.

رجز عكرمة في يوم أحد

قال ابن إسحق: وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أحد:

كُلُّهُمْ يَزْجِرُهُ أَزْجَبُ هَلَا وَلَنْ يَرَوْهُ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلَا
يَحْمِلُ رُمَحًا وَرَثِيصًا جَخْفَلَا

شعر الأعشى التميمي في بكاء قتلى بني عبد الدار يوم أحد:

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش التَّمِيمِي . قال ابن هشام: ثم أحد بني أسد بن عمرو بن تميم - يكي قَتْلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أَحَدَ:

جِييَ مِنْ حَيِّ عَلِيٍّ نَائِيهِمْ بَنُو أَبِي طَلْحَةَ لَا تُصَرِّفْ
يَمُرُّ سَاقِيهِمْ عَلَيْهِمْ بِهَا وَكُلُّ سَاقٍ لَهُمْ يَعْرِفْ
لَا جَارُهُمْ يَشْكُو وَلَا ضَيْفُهُمْ مِنْ دُونِهِ بَابُ لَهُمْ يَصْرِفْ
وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِي يوم أحد:

قَتَلْنَا ابْنَ جَحْشٍ فَاعْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ وَحَمَزَةً فِي فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْقُلٍ
وَأَفْلَتْنَا مِنْهُمْ رَجَالًا فَأَسْرَعُوا فَلَيْتَهُمْ عَاجُوا وَلَمْ نَتَعَجَّلْ
أَقَامُوا لَنَا حَتَّى تَعُضَ سَيُوفُنَا سَرَاتِهِمْ وَكُلُّنَا غَيْرُ عَزَلْ

رجز عكرمة

وقول عِكْرِمَةَ: أَزْجَبُ هَلَا، هو من زَجَرَ الْخَيْلَ، وكذلك هِقِطٌ وَهَقِطٌ وَهَبٌ وَسَقَبٌ.
وذكر قول نعيم:

وحتى يكون القتل فينا وفيهم ويلقوا صبحاً شره غير مُنجلي
قال ابن هشام: وقوله: «وكلنا» وقوله: «ويلقوا صبحاً»: عن غير ابن إسحق.

شعر صفية في بكاء حمزة:

قال ابن إسحق: وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب:

أسائلة أصحاب أخذ مخافة بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كُنّا نرجي ونرتجي لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا بكاء وحزنًا مخضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مذرّها^(١) يذود عن الإسلام كل كفور
فيا ليت شلوي^(٢) عند ذاك وأعظمي لدى أضبع تغتادني ونسور
أقول وقد أغلى النعي عشيرتي جزى الله خيرًا من أخ ونصير

قال ابن هشام: وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها:

بكاء وحزنًا مخضري ومسيري

شعر نعم في بكاء شماس

قال ابن إسحق: وقالت: نعم، امرأة شماس بن عثمان، تبكي شماسًا، وأصيب يوم أحد:

يا عين جودي بفيض غير إنساس^(٣) على كريم من الفتيان أباس
صعب البديهة ميمون نقيبته حمال ألوية ركب أفراس

شعر نعيم

يا عين جودي بفيض غير إنساس

(٢) شلوي: جسدي.

(١) مدرّها: سيدًا.

(٣) إنساس: غير قليل.

أَقُولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزَعًا أَوْذَى الْجَوَادُ وَأَوْذَى الْمُطْعَمِ الْكَاسِي
وَقُلْتُ لَمَّا خَلَّتْ مِنْهُ مَجَالِسُهُ لَا يُبْعَدُ اللَّهُ عَنَّا قُرْبَ شَّمْسٍ

شعر أبي الحكم في تعزية نعم:

فأجابها أخوها، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يَزْبوع، يعزيها، فقال:

اَفْتَى حَيَاءَكَ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ فَإِنَّمَا كَانَ شَّمْسٌ مِنَ النَّاسِ
لَا تَقْتُلِي النَّفْسَ إِذْ حَانَتْ مَيِّتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَوْمَ الرُّوْعِ وَالْبَاسِ
قَدْ كَانَ حَمْزُهُ لَيْثَ اللَّهِ فَاصْطَبِرِي فَذَاقَ يَوْمَئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَمْسٍ

الإبساس: أَنْ تَسْتَدِيرَ لَبَنَ النَّاقَةِ بِأَنْ تَمْسَحَ صُرْعَهَا، وتقول لها: بَسْ بَسْ فاستعارت هذا المعنى للدفع الفاضل بغير تكلفٍ ولا استِذْارٍ له.

وقولها: صَغَبَ الْبِدِيَّةَ، أي: بِدِيَّتُهُ لَا تُعَارِضُ وَلَا تُطَاقُ، فكيف رَوَيْتُهُ وَاحْتِفَالَهُ.

شعر كعب اللامي:

وفي شعر كعب:

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بَكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

وضع المقصور في مَوْضِعِهِ، والممدود في موضعه، لأنَّ الْبُكَاءَ مَقْصُورٌ بمعنى الحزن والغم، وإن كان ممدوداً فهو الصُّرَاخُ، وكذلك قياس الأصوات أن تكون على فُعال، فقوله: حَقَّ لَهَا بُكَاهَا، أي: حَقَّ لَهَا حَزْنُهَا، لأنه الذي يَحِقُّ دُونَ الصُّرَاخِ. ثم قال: وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ، أي: لَيْسَ يَنْفَعُ الصُّبْحُ وَلَا الصُّرَاخُ، وَلَا يُجْدِي عَلَى أَحَدٍ، فَتَنَزَّلَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مَنَزَلَتِهَا.

وقوله: حَقَّ لَهَا، أي: حَقٌّ، والأصل: حَقَّقَ عَلَى فِعْلٍ، فبَكَاهَا: فاعِلٌ لَا مفعول، وكل فِعْلٌ إِذَا أَرَدْتَ الْمَبَالِغَةَ فِي الْأَمْرِ وَمَعْنَى التَّعَجُّبِ نَقَلْتَ الضَّمَّةَ مِنْ عَيْنِ الْفِعْلِ إِلَى فَائِهِ، فتقول: حُسْنٌ زَيْدٌ، أي: حَسَنٌ جَدًّا، فَإِنْ لَمْ تُرِدْ مَعْنَى التَّعَجُّبِ لَمْ يَجْزِ إِلَّا الضَّمُّ أَوْ التَّسْكِينُ، تقول: كَبُرَ زَيْدٌ وَكَبُرَ، وَلَا تقول: كُبِرَ إِلَّا مَعَ قَضْدِ التَّعَجُّبِ. قال الشاعر [الأخطل]:

فقلتُ: اَفْتُلُوها عَنْكُمْ بِمِزَاجِها وَحُبَّ بِها مَفْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ

شعر هند بعد عودتها من أحد:

وقالت هند بنت عتبة، حين انصرف المشركون عن أحد:
رجعتُ وفي نفسي بَلَابِلٌ^(١) جَمَّةٌ وقد فاتني بعضُ الذي كانَ مَطْلِبِي
مِنْ أَصْحَابِ بَدْرِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ بني هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب
ولكُنْني قد نِلْتُ شَيْئًا ولم يَكُنْ كما كُنْتُ أَرْجو في مسيري ومزكبي
قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهل العِلْم بالشعر قولها:
وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي
وبعضهم يُنكرها لهند، والله أعلم^(٢).

يعني الخمر. وقال آخر: [سهم بن حنظلة الغنوي]:
لم يمنع القومُ مِنِّي ما أزدتُ ولم أُعْطِيهِمْ ما أَرادُوا حُسْنَ ذا أَدْبَا
أي حَسَن، وقال آخر:

ألا حُبَّ بالبيت الذي أنت زائرُه

وقال: بالبيت، لأن معناه كمعنى أُحِبَّ بالبيت تَعْجَبًا. وقول كعب:

أبا يَغْلَى لك الأركانُ هَدَّتْ

كان حمزة يُكْنَى أبا يَغْلَى بابه يَغْلَى، ولم يَعِشْ لحمزة ولدٌ غَيْرُه، وأَعْقَبَ يَغْلَى خَمْسَةَ
من البنين، ثم انقرض عَقِبُهُمْ فيما ذكر مُضْعَبٌ وَيُكْنَى حمزةً أَيْضًا أبا عُمارة، وقد تقدم ذكره
في المَبْعَثِ، بهذه الكُتْبِيَّة، قيل: إن عُمارة بنت له كُتْيِي بها، وهي التي وقع ذكرها في السُّنَنِ
لِلدَّارِقُطِيِّ: أن مَوْلَى لَحْمَزَةَ مات، وترك بنتًا فَوَرِثَتْ منه النصفَ، وورثت بنتُ حَمَزَةَ النصفَ
الآخر، ولم يُسَمَّها في السنن، ولكن جاء اسمها في كتاب أحكام القرآن لَبُكْر بن العلاء والله
أعلم، وقد رُوي أن الولاء كان لها، وأنها كانت الْمُعْتَقَّة لا حَمَزَةَ.

(١) بلابل: شكوك.

(٢) اشتملت غزوة أحد على كثير من الأحكام الفقهية، والحكم العظيمة، والآيات العجيبة أورد الإمام
العلامة ابن القيم منها الكثير في الزاد. فانظره هناك (٣/ ٢١١ - ٢٤٢). رحمه الله تعالى رحمة واسعة
وجزاءه الله عنا كل وجهنا الله وإياه في جنته بفضل منه رحمة - دون سابقة عذاب - تحت لواء نبينا
وقائدنا وأسرتنا - محمد ﷺ. وجزاء الله عنا خير ما جازى نبيا عن أمته ورسولا إلى قومه.

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث مقتل خبيب وأصحابه

قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَاثِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَحَدٍ رَهْطٍ مِنْ غَضَلٍ وَالْقَارَةِ.

نسب عضل والقارة:

قال ابن هشام: غَضَلُ وَالْقَارَةُ، مِنَ الْهُونِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ.

قال ابن هشام: وَيُقَالُ: الْهُونُ، بضم الهاء.

قال ابن إسحاق: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا، فَأَبْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا فِي الدِّينِ، وَيُقرِّئُونَا الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُونَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. فَبْعَثَ رَسُولُ

مقتل خبيب وأصحابه^(١)

وَذَكَرَ غَدَرَ غَضَلٍ وَالْقَارَةِ، وَهُمَا بَطْنَانِ مِنْ بَنِي الْهُونِ، وَالْهُونُ هُمْ بَنُو الرِّيشِ وَيَثِيعُ ابْنِ الْهُونِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِمَعْنَى الْقَارَةِ، وَبِالْمَثَلِ جَرَى فِيهِمْ، وَالْقَارَةُ الْحَرَّةُ^(٢)، وَذَكَرْنَا السَّبَبَ فِي تَسْمِيَّتِهِمْ بِهَا.

وَذَكَرَ أَنَّ أَصْحَابَ خُبَيْبٍ كَانُوا سِتَّةً، وَفِي الْجَامِعِ الصَّحِيحِ لِلْبُخَارِيِّ أَنَّهُمْ كَانُوا عَشْرَةً، وَهُوَ أَصَحُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) انظر الواقدي (٣٤٤) الطبقات (٣٩/١/٢) تاريخ الطبري (٢٩/٣) البداية (٦٣/٤) المواهب (١٣٠/١) جوامع السيرة لابن حزم (٢١٤) البخاري (١٠٣/٥) أحمد في مسنده (٧٩/٥).

(٢) الحرّة: أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت.

الله ﷺ نفرًا ستة من أصحابه، وهم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، حليف حمزة بن عبد المطلب؛ وخالد بن البكير اللثمي، حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ وخبيب بن عدي، أخو بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة بن معاوية، أخو بني بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة بن غضب بن جشم بن الخزرج؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم. حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهذيل بناحية الحجاز، على صدور الهذأة غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلًا؛ فلم يزع القوم، وهم في رجالهم، إلا الرجال بأيديهم السيوف، قد غشوه؛ فأخذوا أسياقهم ليقاتلوهم، فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

مقتل مرثد وابن البكير وعاصم:

فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا؛ فقال عاصم بن ثابت:

مَا عَلَّتِي وَأَنَا جَلَدُ نَابِلُ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرُّ غُنَابِلُ

وذكر أسماء السّنة، وقد نسبهم فيما تقدّم، فأما خبيب فهو من بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وزيد بن الدثنة بن معاوية مقلوب من الدثنة والثدنة استرخاء اللحم.

وذكر فيهم عاصم بن ثابت وقوله:

مَا عَلَّتِي وَأَنَا جَلَدُ نَابِلُ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرُّ غُنَابِلُ

والغُنَابِلُ: الشديد، وكأنه من العبالّة، وهي القوّة، والنون زائدة، والعبالّة أيضًا: شجرة صلبة، وفي الخبر أن عصا موسى كانت من عبالّة، وقد روي أن عصا موسى كانت من عَيْنِ وَرَقَةِ آسِ الْجَنَّةِ^(١)، ويجوز أن يكون منخوّنًا من أصلين: من العنّ والتّبل، كأنه يصيب ما عزّله يتّبله.

(١) البحث في عصا يوسف عليه الصلاة والسلام وكيفيةها وطولها ووصفها، علم لا ينفع وجهل لا يضر، ولو كان في الأمر خيرًا لجاؤا وصفها وكيفيةها إلى غير ذلك في القرآن أو على لسان النبي ﷺ في السنة «الصحيحة»، فما وجدت من وصفها في كتب التفسير فارم به.

تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ الْإِلَٰهُ نَازِلُ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأُمِّي هَابِلُ

قال ابن هشام: هابل: تاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضًا:

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ وَضَالَّةٌ مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمُوقِدِ
إِذَا التَّوَجَّيْتُ افْتَرِشْتَ لَمْ أَزْعِدِ وَمُجْنَأٌ مِنْ جِلْدِ ثَوْرِ أَجْرَدِ
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدٍ

وقال عاصم بن ثابت أيضًا:

أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَامِي وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَرًا كَرَامًا
وَكَانَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ يُكْنَى: أَبَا سُلَيْمَانَ. ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ وَقُتِلَ صَاحِبَاهُ.

وذكر قوله: أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ.

قوله: أَبُو سُلَيْمَانَ، أَي: أَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ قَدْ عُرِفْتُ فِي الْحُرُوبِ، وَعِنْدِي نَبْلُ رَاشِهَا الْمُقْعَدِ، وَكَانَ رَاشِئًا صَانِعًا. وَرِيشُ: السَّهْمُ الْمَحْمُودُ فِيهِ اللَّوْأَمُ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الرِّيشَةُ بَطْنَهَا إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى، وَاللَّغَابُ يَعْكُسُ ذَلِكَ، أَنْ يَكُونَ ظَهْرُ وَاحِدَةٍ إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى، وَهُوَ الظُّهَارُ أَيْضًا، وَهُوَ اللَّوْأَمُ أَخَذَ اللَّأْمُ وَهُوَ السَّهْمُ الْمَرِيشُ قَالَ امْرَأُ الْقَيْسِ:

كُرِّكَ لِأَمْنَيْنِ عَلَى نَابِلِ

وَسُئِلَ رُؤْبَةُ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمَّتِي، وَكَانَتْ فِي بَنِي دَارِمٍ قَالَتْ: سَأَلْتُ امْرَأَ الْقَيْسِ، وَهُوَ يَشْرَبُ طِلَاءً لَهُ مَعَ عَلَقَمَةَ بْنِ عَبْدِ: مَا مَعْنَى قَوْلِكَ:

كُرِّكَ لِأَمْنَيْنِ عَلَى نَابِلِ

فَقَالَ: مَرَرْتُ بِنَابِلٍ وَصَاحِبُهُ يَنَاولُهُ الرِّيشَ لَوْأَمًا وَظَهَارًا، فَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَسْرَعَ مِنْهُ، وَلَا أَحْسَنَ فَشَبَّهَتْ بِهِ، ذَكَرَ هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ. وَقَوْلُهُ: وَضَالَّةٌ، أَي: سِهَامٌ قَدَّاحُهَا مِنَ الضَّالِّ، وَهُوَ السُّدْرُ. قَالَ الشَّاعِرُ [ذُو الرُّمَّةِ]:

قَطَعْتُ إِذَا تَخَوَّفْتُ الْعَوَاطِي ضُرُوبَ السُّدْرِ غُبْرِيًا وَضَالًا

حماية الدبر لعاصم:

فلما قُتِلَ عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه، لبيعه من سُلَافَة بنت سَعْد بن شَهِيد، وكانت قد نَذَرَتْ حين أصاب ابنها يوم أحد: لئن قَدَرْتُ على رأس عاصم لتَشْرِبَنَ في

فَالْعُبْرِيَّ منها ما كان على شَطُوطِ الْأَنْهَارِ، وَالضَّالَّ ما كان في الْبَرِّيَّةِ، وَالْعَوَاطِي هي الماشية تَغْطُو أي تَتَنَاوَلُ، وَإِنَّمَا تَتَنَاوَلُ أَطْرَافَ الشَّجَرِ في الصَّيْفِ، فَمَعْنَاهُ: قَطَعْتُ هَذِهِ الصَّحْرَاءَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَتَخَوَّفْتُ: أَي تَنَقَّضْتُ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]. وَذَكَرَ أَنَّ حُجَيْرَ بْنَ أَبِي إِهَابٍ هُوَ الَّذِي اشْتَرَى حُبَيْبًا، وَكَانَ حُبَيْبٌ قَدْ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ ثَوْقَلٍ أَخَا حُجَيْرٍ لِأُمِّهِ، وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ: اشْتَرَى حُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ ثَوْقَلٍ، لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالْمَعْنَى قَرِيبٌ مِمَّا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ.

وقوله: مَآوِيَّةُ بِنْتُ حُجَيْرٍ بِالْوَاوِ، رَوَاهُ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: مَآرِيَةٌ بِالرَّاءِ، وَبِالْوَاوِ وَقَعَ فِي النُّسخِ الْعَتِيقَةُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ، كَمَا رَوَاهُ ابْنُ بَكِيرٍ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَنْ اِشْتِقَاقِ هَذَا الْاسْمِ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، فَأَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ، وَذَكَرْنَا أَنَّ الْمَآرِيَّةَ بِالتَّخْفِيفِ هِيَ الْبَقَرَةُ، وَبِتَشْدِيدِ الْيَاءِ: الْقَطَاةُ الْمَلَسَاءُ، وَأَمَّا الْغِلَامُ الَّذِي أَعْطَتْهُ الْمُدَيَّةُ، فَقِيلَ: هُوَ أَبُو عَيْسَى بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَوْقَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، قَالَ الزَّيْبِرُ: وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ الَّذِي يَرِوِي عَنْهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ.

وَذَكَرَ أَنَّ أَبَا مَيْسَرَةَ هُوَ الَّذِي طَعَنَ حُبَيْبًا فِي الْخَشْبَةِ، وَهُوَ أَبُو مَيْسَرَةَ بْنُ عَوْفٍ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، وَالَّذِي طَعَنَهُ مَعَهُ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ يُكْنَى أَبَا سَرُوعَةَ، وَيُقَالُ: إِنْ أَبَا سَرُوعَةَ وَعُقْبَةُ أَخَوَانِ أَسْلَمَا جَمِيعًا وَلِعُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ حَدِيثٌ وَاحِدٌ فِي الرُّضَاعِ، وَشَهَادَةُ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٌ فِيهِ. وَحَدِيثُهُ مَشْهُورٌ فِي الصَّحَاحِ، فِيهِ أَنَّهُ قَالَ: تَزَوَّجْتُ بِنْتَ أَبِي إِهَابٍ بْنِ عَزِيزٍ، فَجَاءَتْ امْرَأَةً، سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا، وَذَكَرَ الْحَدِيثُ وَزَادَ فِيهِ الدَّارِقُطْنِيُّ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةً سَوْدَاءُ تَسْأَلُ، فَلَمْ نُعْطِهَا شَيْئًا، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ أَرْضَعْتُكُمَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ - وَقَالَ: إِنَّهَا كَاذِبَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَيْفَ؟» وَقَدْ قِيلَ: فَطَلَّقَهَا، وَنَكَحَتْ ضَرِيبَ بْنَ الْحَارِثِ، فَوُلِدَتْ لَهُ أُمُّ قَتَالٍ، وَهِيَ امْرَأَةُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَأُمُّ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ، وَنَافِعُ ابْنِ جَابِرٍ، وَاسْمُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي طَلَّقَهَا عُقْبَةُ: عُثَيَّةُ، وَتُكْنَى أُمُّ يَحْيَى، ذَكَرَ اسْمُهَا أَبُو الْحَسَنِ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ النِّسَاءِ، وَلَا كَثِيرٌ مِمَّنْ أَلَّفَ فِي الْحَدِيثِ.

وَذَكَرَ قِصَّةَ عَاصِمٍ خَيْنَ حَمَتِهِ الدُّبُرُ. الدُّبُرُ هَاهُنَا: الزُّنَابِيرُ، وَأَمَّا الدُّبُرُ فَصَغَارُ الْجِرَادِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: مَاءٌ دُبُرٌ قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ، قَالَ: وَقَدْ يُقَالُ لِلنَّحْلِ أَيْضًا: دُبُرٌ بفتح الدَّالِ وَاحِدَتِهَا

قَحْفَهُ الْخَمْرَ، فَمَنْعَتَهُ الدَّبْرُ، فَلَمَّا حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم الدَّبْرُ قَالُوا: دَعُوهُ يُمَسِّي فَتَذْهَبَ عَنْهُ، فَنَأْخُذْهُ. فَبَعَثَ اللَّهُ الْوَادِيَّ، فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا، فَذَهَبَ بِهِ. وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ قَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا أَنْ لَا يَمَسَّهُ مَشْرُكٌ، وَلَا يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا، تَنْجُسًا؛ فَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الدَّبْرَ مَنَعَتْهُ: يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ، كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّهُ مَشْرُكٌ، وَلَا يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، كَمَا أَمْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ.

مصرع خبيب وابن طارق وابن الدثنة:

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدِّثْنَةِ وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ، فَلَاثُوا وَرَقُوا وَرَغَبُوا فِي الْحَيَاةِ، فَأَغَطُوا بِأَيْدِيهِمْ، فَأَسْرَوْهُمْ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ، لِيَبْعُوهُمْ بِهَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالظَّهْرَانِ انْتَزَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ يَدَهُ مِنَ الْقِرَانِ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ، وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُ الْقَوْمَ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَبْرَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِالظَّهْرَانِ؛ وَأَمَّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدِّثْنَةِ فَقَدِمُوا بِهِمَا مَكَّةَ.

قال ابن هشام: فباعوهما من قُرَيْشٍ بِأَسِيرَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ كَانَا بِمَكَّةَ.

دَبْرَةٌ، قَالَ: وَيُقَالُ لَهُ: خَشْرَمٌ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، هَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنِ الْأَضَمِيِّ، وَرَوَايَةٌ غَيْرُهُ عَنْهُ أَنَّ وَاحِدَتَهُ: خَشْرَمَةٌ. وَالتَّوَلُّ جَمَاعَةُ النُّحْلِ أَيْضًا، وَلَا وَاحِدَ لَهَا، وَكَذَلِكَ التُّوْبُ وَاللُّوْبُ. وَمِنَ اللَّوْبِ: حَدِيثُ رَبَّانٍ بْنِ قَسْوَرٍ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - وَهُوَ نَازِلٌ بِوَادِي الشُّوْحِ فَكَلَّمْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مَعَنَا لُوبًا لَنَا - يَعْنِي نَحْلًا - كَانَتْ فِي عَيْلِمٍ لَنَا بِهِ طَرْمٌ وَشَمْعٌ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَضْرَبَ مِيتِينَ فَأَنْتَجَ حَيًّا، وَكَفَّتَهُ بِالثَّمَامِ، يَعْنِي نَارًا مِنْ زَنْدَيْنِ، وَنَحْسَهُ يَعْنِي: دُخْنَهُ، فَطَارَ اللَّوْبُ هَارِبًا، وَذَلَّى مِشْوَارَهُ فِي الْعَيْلِمِ فَاسْتَارَ الْعَسَلُ، فَمَضَى بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ سَرَقَ وَقَوْمٌ، فَأَضَرَّ بِهِمْ، أَفَلَا تَبْعَتُمْ أَثَرَهُ، وَعَرَفْتُمْ خَبْرَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ دَخَلَ فِي قَوْمٍ لَهُمْ مَنَعَةٌ، وَهُمْ جِيرَانُنَا مِنْ هُذَيْلٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «صَبْرَكَ صَبْرَكَ تَرُدُّ نَهْرَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ سَعَتُهُ كَمَا بَيْنَ اللَّيْقَةِ وَالسَّحِيقَةِ يَتَسَبَّبُ جَزْيًا بِعَسَلٍ صَافٍ مِنْ قَدَّاهِ مَا تَقْيَاهُ لُوبٌ، وَلَا مَجَّهُ ثُوبٌ»^(١). فَالْعَيْلِمُ الْبُتْرُ، وَأَرَادَ بِهَا هَا هُنَا قُبَّةَ النَّحْلِ أَوْ الْخَلِيَّةَ، وَقَدْ يُقَالُ لِمَوْضِعِ النُّحْلِ إِذَا كَانَ صَدْعًا فِي جَبَلٍ: شَيْقٌ، وَجَمْعُهُ: شَيْقَانٌ، وَيُقَالُ: لِكُلِّ دُخَانٍ نُحَاسٌ، وَلَا يُقَالُ: أَيَّامٌ إِلَّا لِدُخَانِ النُّحْلِ خَاصَّةً، يُقَالُ: آمَهَا يَتَوْمُهَا إِذَا دَخَنَتْهَا، قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ.

(١) أخرجه الدارقطني (٧٣) في المؤلف. وقال: حديثه [يعني ابن قيس - أو قيسور]: منكر.

قال ابن إسحاق: فابتاع حُبَيْبًا حُجَيْرُ بن أَبِي إِيَّابِ التَّمِيمِي، حليف بني نوفل، لِعُقْبَةَ بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أَبُو إِيَّابِ أَخَا الحارث بن عامر لأمه لقتله بأبيه.

قال ابن هشام: الحارث بن عامر، خال أَبِي إِيَّابِ، وأبو إِيَّابِ، أحد بني أُسَيْدِ بن عمرو بن تميم، ويقال: أحد بني عُدَسِ بن زيد بن عبد الله بن دارم، من بني تميم.

مثل من وفاء ابن الدثنة للرسول:

قال ابن إسحاق: وأما زيد بن الدَّثِنَةِ فابتاعه صفوان بن أمية ليقته بأبيه، أمية بن خَلَفٍ، وبعث به صفوان بن أمية مع مَوْلى له، يقال له: نِسْطَاس، إلى التَّعْنِيمِ، وأخبروه من الحَرَمِ ليقته. واجتمع رَهْطٌ من قُرَيْشٍ، فيهم أبو سُفْيَانِ بنُ حَرْبٍ؛ فقال له أبو سُفْيَانِ حين قَدِمَ ليقته: أُنْشِدْكَ الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك تُضْرِبُ عنقه، وأنت في أهلِكَ؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصِيبَهُ سُوءَةٌ تُؤْذِيهِ، وأتني جالس في أهلي. قال: يقول أبو سُفْيَانِ: ما رأيت من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحابِ محمدٍ محمداً؛ ثم قتله نِسْطَاس، يرحمه الله.

مقتل حجر بن عدي:

فصل: وذكر أن حُبَيْبًا أول من سَنَّ الرُّكْعَتَيْنِ عند القتل. قوله: هذا يدلُّ على أنهما سُنَّةٌ جاريةٌ، وكذلك فعلهما حُجَيْرُ بن عَدِيٍّ بن الأذْبَرِ حين قتله معاوية - رحمة الله - وذلك أن زيادا كتب من البَصْرَةِ إلى مُعَاوِيَةَ يذكر أن حُجْرًا وأصحابه، قد خرجوا على السُّلْطَانِ، وشَقُّوا عصا المسلمين، ووجَّه مع الكتاب بك فيه شهادة سبعين رجلاً فيهم الحسن بن أبي الحسن البَصْرِيَّ وابنُ سيرين والرَّبِيعُ بن زياد وجماعة من عِلْيَةِ التَّابِعِينَ ذكرهم الطَّبْرِيُّ^(١) يشهدون بما قال زيادٌ من خُروجِ حُجْرِ بن عَدِيٍّ عليه، وكان حُجْرٌ شديد الإنكار للظلم، غليظًا على الأمراء، وأنكر على زياد أمورًا من الظلم فخرج عليه، ولم يكن قَصْده الخروجُ على مُعَاوِيَةَ، فلما حِيلَ حُجْرٌ إلى معاوية في خَمْسَةِ من أصحابه، قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: أو أنا للمؤمنين أمير؟! ثم أمر بقتله، فعند ذلك صَلَّى حُجْرُ الرُّكْعَتَيْنِ، ثم لقي معاوية عائشةً بالمدينة، فقالت له: أما اتقيت الله يا مُعَاوِيَةَ في حُجْرِ بن عدي وأصحابه؟ فقال: أو أنا قَتَلْتُهُمْ، إنما قتلهم من شهد عليهم، فلما أكَثَرَتْ عليه، قال لها: دَعِينِي وَحُجْرًا

(١) انظر (٢٦٩/٥) ط. دار المعارف المصرية.

مقتل حبيب وحديث دعوته:

وأما حُبَيْبُ بن عديّ، فحدّثني عبدُ الله بنُ أبي نَجِيعٍ، أنه حَدَّثَ عن مَوايَةٍ، مَولاةِ حُجَيرِ بنِ أبي إهَابٍ، وكانت قد أسلمت، قالت: كان حُبَيْبٌ عِنْدِي، حُبَسَ في بَيْتِي، فلقد إِطْلَعَت عليه يَومًا، وإن في يده لَقُطْفًا من عِنَبٍ، مثلِ رأسِ الرِّجْلِ يَأْكُلُ منه، وما أَعْلَمُ في أَرْضِ الله عِنَبًا يُؤْكَلُ.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتَادَةَ وعبد الله بن أبي نَجِيعٍ جميعًا أنها قالت: قال لي حين حَضَرَ القَتْلُ: ابعثني إِلَيَّ بِحَدِيدَةٍ أَتَطَهَّرُ بِهَا لِلْقَتْلِ، قالت: فَأَعْطَيْتُ غَلامًا من الحَيِّ المَوْسَى، فقلت: ادْخُلْ بِهَا على هذا الرجل البيت؛ قالت: فوالله ما هو إِلَّا أَنْ وَلَّى الغَلامُ بِهَا إِلَيْهِ، فقلت: ماذا صَنَعْتُ! أَصَابَ والله الرجلُ ثَأْرَهُ بِقَتْلِ هذا الغَلامِ، فيكون رجلًا بِرَجُلٍ، فلما ناوله الحديدَ أَخَذَهَا من يده ثم قال: لَعَمْرُكَ، ما خَافْتُ أُمُّكَ عَذْرِي حين بَعَثْتُكَ بِهذه الحديدِ إِلَيَّ! ثم خَلَّى سَبِيلَهُ.

قال ابن هشام: ويقال: إن الغَلامَ ابْنُهَا.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بِحُبَيْبٍ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعِيمِ لِيَصْلُبُوهُ، قال لهم: إن رأيْتُمْ أَنْ تَدْعُونِي حتى أَزْكَعَ رُكْعَتَيْنِ فافعلوا؛ قالوا: دُونَكَ فَارْكَعْ. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أَمَا والله لولا أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا طَوَّلْتُ جَزْعًا من القَتْلِ لاسْتَكْثَرْتُ من الصَّلَاةِ. قال: فكان حُبَيْبُ بنُ عديّ أَوَّلَ من سَنَّ هَاتَيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ. قال: ثم رَفَعُوهُ على خَشَبَةٍ، فلما أوثقوه، قال: اللهم إِنَّا قد بَلَّغْنَا رِسَالَةَ رَسولِكَ، فبَلَّغْهُ الغَدَاةَ ما يُصْنَعُ بنا؛ ثم قال: اللهم أَحْصِهِمْ عَدَدًا، واقتُلْهُمْ بَدَدًا ولا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا. ثم قَتَلُوهُ رَحِمَةَ الله.

فكان مَعاويةُ بن أبي سُفْيَانَ يقول: حَضَرْتُهُ يَوْمَئِذٍ فِيمَنْ حَضَرَهُ مع أبي سُفْيَانَ، فلقد رأيته يُلقيني إلى الأَرْضِ قَرَقًا من دَعْوَةِ حُبَيْبٍ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دُعِيَ عليه، فاضْطَجَعَ لِجَنَبِهِ زالت عنه.

فإني مُلَاقِيهِ غَدَاً على الجَاذَةِ^(١)، قالت: فأين عَزَبُ^(٢) عنكَ جِلْمُ أبي سُفْيَانَ؟ فقال: حين غاب عني مثلك من قومي.

(١) يعني يوم القيامة.

(٢) عزب: أي غاب.

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث، قال سمعته يقول: ما أنا والله قُتلت خبيبًا، لأنني كنت أصغر من ذلك، ولكنّ أبا ميسرة، أخا بني عبد الدار، أخذ الحرية فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحرية، ثم طعنه بها حتى قتله.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا، قال: كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي على بعض الشام، فكانت تُصيبه غشية، وهو بين ظَهري القوم، فذكر ذلك لعمر بن الخطّاب، وقيل: إنّ الرجل مُصاب؛ فسأله عمر في قَدَمَةٍ قَدِمها عليه، فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يُصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنتُ فيمن حضر خُبيب بن عدّي حين قُتل، وسمعتُ دعوته، فإله ما خطرْتُ على قلبي وأنا في مجلس قطّ إلا غشي عليّ، فزادته عند عمر خيرا.

قال ابن هشام: أقام خُبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم، ثم قتلوه.

لِمَ صارت صلاة خُبيب سُنة؟

وإنما صار فعلُ خُبيب سُنة حَسَنَةً. والسُّنة إنما هي أقوالُ من النبي - ﷺ - وأفعالُ وإقرارُ، لأنه فعلها في حياته عليه السلام، فاستُحسن ذلك من فعله، واستحسنه المُعلّمون، مع أن الصلاة خَيْرُ ما خُتم به عملُ العبد، وقد صَلَّى هاتين الركعتين أيضًا زيد بن حارثة مولى النبي - ﷺ - وذلك في حياته عليه السلام، حدّثنا أبو بكر بن طاهر بن طاهر الإشبيلي، قال: أخبرنا أبو علي الغساني، قال: أخبرنا أبو عمر التَّمَرِيّ، قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الوارث بن سُفيان بن جَبْرُون، قال: أخبرنا أبو محمد قاسم بن أَصْبَغ، قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ: أخبرنا ابن مَعِين: أخبرنا قال: أخبرنا يَحْيَى بن عبد الله بن بكير المصري، قال: أخبرنا اللَّيْثُ بن سَعْد، قال: بلغني^(١) أن زيد بن حارثة أَكْثَرَى من رجل بَغْلًا من الطائف اشتراط عليه الكَرِيّ أن يُنزله حيث شاء، قال: فمال به إلى خَرَبَةٍ، فقال له: انزل فتزل، فإذا في الخَرَبَةِ قَتَلَى كثيرة، قال: فلما أراد أن يقتله، قال: دعني أَصَلِّي ركعتين، قال: صَلِّ، فقد صَلَّي قَبْلَكَ هؤلاء فلم تَنفَعْهُمْ صَلَاتُهُمْ شيئًا، قال: فلما صَلَّيْتُ أُناني، ليقتلني، قال: فقلتُ: يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، قال: فسمع صوتًا: لا تقتله، قال: فهاب ذلك فخرج يطلب أحدًا، فلم ير شيئًا، فرجع إليّ، فناديتُ: يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، ففعل ذلك

(١) انقطاع.

ما نزل في سرية الرجيع من القرآن

قال: قال ابن إسحق: وكان مما نزل من القرآن في تلك السرية، كما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال: قال ابن عباس: أما أصيبت السرية التي كان فيها مرزئد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا (هكذا)، لا هم قعدوا في أغليهم، ولا هم أدوا رسالة أصحابهم! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم، فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي لما يظهر من الإسلام بلسانه، ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾، وهو مخالف لما يقول بلسانه، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: أي ذو جدال إذا كلمك وراجعك.

ثلاثاً، فإذا أنا بفارس بيده حربة حديد في رأسها شُعْلَةٌ من نارٍ قطعته بها، فأنفذه من ظهره، فوقع ميتاً، ثم قال: لما دعوت المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين، كنت في السماء الدنيا، فلما دعوت المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك.

ما أنزل الله من القرآن في حق خبيب وأصحابه

فصل: وذكر ابن إسحق ما أنزل الله تعالى في خبر خبيب وأصحابه من قول المنافقين فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] الآية، وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله: وأنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، رواه أبو مالك عن ابن عباس، وقاله مجاهد، وقال ابن الكلبي: كنت بمكة، فُسِّلْتُ عن هذه الآية فقلت: نزلت في الأخنس بن شريق، فسمعتني رجل من ولده، فقال لي: يا هذا إنما أنزل القرآن على أهل مكة، فلا تُسَمِّ أَحداً ما دمت فيها، وكذلك قالوا في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] نزلت في ضبيب بن سنان حين هاجر، وترك جميع ماله لقرينش ويدعونه يهاجر بنفسه إلى الله ورسوله، واستشهد ابن هشام على تفسير الألد بقول مهلهل، قال: واسمه امرؤ القيس، ويقال: عدي، وقد صرح مهلهل باسم نفسه في الشعر الذي استشهد به ابن هشام، فقال:

صَرَخْتُ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتَكَ الْوَأَوِّي

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الألد: الذي يشغب، فتشتد خصومته؛ وجمعه: لُد. وفي كتاب الله عز وجل: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾. وقال المهلهل بن ربيعة التغلبي، واسمه امرؤ القيس؛ ويقال: عدي بن ربيعة:

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَازِ حَدًّا وَلِينَا وَخَصِيمًا أَلْدًا مِغْلَاقٍ
ويروى ذا مِغْلَاقٍ، فيما قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له، وهو الألدُد. قال الطرماح بن حكيم الطائي يصف الحزباء:

يُوفِي عَلَى جِذْمِ الْجَذُولِ كَأَنَّهُ خَضَمَ أَبْرًا عَلَى الْخُصُومِ أَلْدُدُ
وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: أي خرج من عندك ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أي لا يحب عمله ولا يرضاه. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبُهُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

وفيه البيت الذي ذكر ابن هشام:

إِنْ تَحْتَ الْأَخْجَارِ حَدًّا وَلِينًا وَخَصِيمًا أَلْدًا مِغْلَاقٍ^(١)
ويروى: مِغْلَاقٌ بالغين المعجمة، والمِغْلَاقُ: اللسان، وأما المِغْلَاقُ: بالغين مُعْجَمَةً، فالقول الذي يُغْلِقُ فَمَ الْخَضَمِ وَيُسَكِّتُهُ. وبعده:

حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَرْبَدٌ لَا يَنْدُ فَعَمَّ مِنْهَا السَّلِيمُ نَفْتُ الرَّاقِي
وسمي مهلهلاً بقوله:

لَمَّا تَوَقَّلَ فِي الْكَرَاعِ هَجِيئُهُمْ هَلْهَلْتُ أَثَارُ جَابِرًا أَوْ صَنِيلًا^(٢)
هَلْهَلْتُ: أي كذت وقَارَنْتُ، وأما الألدُ، فهو من اللدِيدَيْنِ، وهما جانباً العنق، فالألدُ الذي يربغ الخجة من جانب إلى جانب، يقال: تركته يتلدد، وقال الزجاج: الخصام جمع في هذه الآية، ولا يستقيم أن يكون معناه المخاصمة، لأن أفل الذي يراد به التفضيل إنما يكون بعض ما أضيف إليه، تقول: زيد أفصح الناس، ولا تقول: زيد أفصح الكلام.

(١) مغلّاق: أي ذا لسان جِدِل.

(٢) جابر وصنيل: رجلان من تغلب.

يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴿١﴾: أي قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله، والقيام بحقه، حتى هلكوا على ذلك، يعني تلك السَّريَّة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يَشْرِي نفسه: يبيع نفسه؛ وشَرَوْا: باعوا. قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحويرثي:

وَشَرَيْتُ بُرْذًا لَيْتَنِي من بعد بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهُ
برد: غلام له باعه: وهذا البيت في قصيدة له، وشَرَى أيضًا: اشترى.

قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهَا لَا تَجْزَعِي أُمَّ مَالِكٍ على ابْنِكَ إِنْ عَبْدٌ لَتِيمٌ شَرَاهُمَا
شعر خبيب حين أريد صلبه:

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في ذلك من الشعر، قول خبيب بن عدي، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلْبُوا	قبائلهم واستَجَمَعُوا كُلَّ مَجْمِعٍ
وَكُلُّهُمْ مُبْنِي الْعَدَاوَةِ جَاهِدٌ	عَلَيَّ لِأَنِّي فِي وِثَاقٍ بِمَضْبِعٍ ^(١)
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ	وَقُرْبَتٌ مِنْ جَذْعٍ طَوِيلٍ مُمْنَعٍ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي	وَمَا أَزْصِدُ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
فَذَا الْعَرْشِ، صَبَّرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي	فَقَدْ بَضَعُوا الْحَمَى وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ	يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلُو مُمْرَعٍ

قال الشيخ الحافظ رضي الله عنه: وهذا الذي قاله حَسَنٌ إِنْ كَانَ أَلَدُ مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي مُؤَنَّثُ الْفُعْلَى، أما إِنْ كَانَ مِنْ بَابِ أَفْعَلَ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ فَعْلَاءُ نَحْو: أَخْرَسُ وَخَرَسَاءُ، فَالْخَصَامُ مُصَدَّرٌ خَاصِمَتُهُ، وَهُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ الْمَفْسِرِينَ، فَإِنَّهُمْ فَسَرُوهُ بِالشَّدِيدِ الْخَصُومَةِ، فَالَّذِدُ إِذَا مِنْ صِفَةِ الْمُخَاصِمَةِ، وَإِنْ وُصِفَ بِهِ الرَّجُلُ مَجَازًا، وَيُقْوَى هَذَا قَوْلُهُ: وَخَصِيمًا

(١) مضجع: آلة يُشَقُّ بِهَا الْجِلْدُ.

وقد خَيَّرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ
وما بي جَذَارِ الْمَوْتِ، إِنِّي لَمَيِّتٌ
فوالله ما أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا
فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخْشَعًا

وقد هَمَلْتُ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعٍ
ولكن جَذَارِي جَحْمٌ ^(١) نَارٌ مُلْفَعٌ ^(٢)
على أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
وَلَا جَزْعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي

شعر حسان في بكاء خبيب

وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا:
ما بال عَيْنِيكَ لَا تَرْقَا مَدَامُعُهَا
على خَبِيبٍ قَتَى الْفِثْيَانِ قَدْ عَلِمُوا
فَاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزَاكَ اللَّهُ طَيِّبَةً
مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ
فِيمَ قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللَّهِ فِي رَجُلٍ
قال ابن هشام: ويروى: «الطرق» وتركنا ما بقي منها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضا يبكي خبيبا:

يا عين جُودِي بَدَمْعٍ مِنْكَ مَنْسَكَبٍ
وَأَبْكِي خُبَيْبًا مَعَ الْفِثْيَانِ لَمْ يَأُوبِ
صَفْرًا تَوْسُطَ فِي الْأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ
سَمَحَ السَّجِيَّةَ مَخْضًا غَيْرَ مُؤْتَشِبِ

أَلَدُّ، وَلَمْ يُضِفْهُ، وَلَا قَالَ أَلَدُّ مِنْ كَذَا، فَجَعَلَهُ مِنْ بَابِ أَصَمَ وَأَشَمَ وَنَحْوِهِ، وَيَقْوِيهِ أَيْضًا
قَوْلُهُمْ فِي الْجَمْعِ: قَوْمٌ لَدُّ، رَوَتْ عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: ﴿أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ
الْخَصِمَ الْأَلَدُّ﴾ ^(١) وَقَرَأَ ابْنُ مَحِيصَنٍ ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْهَاءِ، وَرَفَعَ
الْهَاءَ مِنْ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، أَيُّ: وَيَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قَلْبِهِ.

عَدَسٌ فِي شِعْرِ حَسَّانَ فِي خَبِيبٍ

وَذَكَرَ شِعْرَ حَسَّانَ فِي قِصَّةِ خُبَيْبٍ.

(٢) ملفع: متوقد.
(٤) أخرجه مسلم والبخاري (١٣٨/٧).

(١) جحم: نار قوية.
(٣) أوعث: تعثر عمله.

قد هاجَ عَيْنِي عَلَى عِلَاتِ عَبْرَتِهَا إِذْ قِيلَ نُصِّ إِلَى جِذْعٍ مِنَ الْخَشَبِ
يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لِطَيْبَتِهِ أَبْلَغَ لَدَيْكَ وَعِيدًا لَيْسَ بِالْكَذِبِ
بَنِي كُهَيْبَةَ أَنَّ الْحَرْبَ قَدْ لَقِحتُ مَخْلُوبُهَا الصَّابُ إِذْ تُمَرَى لِمُخْتَلَبِ
فِيهَا أُسُودُ بَنِي النَّجَّارِ تَقْدُمُهُمْ شُهْبُ الْأَسْتَةِ فِي مُعْصُوصِبِ لَجِبِ

قال ابن هشام: وهذه القصيدة مثل التي قبلها، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان، وقد تركنا أشياء قالها حسان في أمر حبيب لما ذكرت.

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

لَوْ كَانَ فِي الدَّارِ قَرْمٌ مَاجِدٌ بَطَلَ أَلْوِي مِنَ الْقَوْمِ صَفْرَ خَالِهِ أَنَسُ
إِذَنْ وَجَدْتَ خُبِيئًا مَجْلِسًا فَيْسَحًا وَلَمْ يُشَدَّ عَلَيْكَ السَّجْنُ وَالْحَرَسُ
وَلَمْ تَسْقُكْ إِلَى التَّنْعِيمِ زِعْنَفَةً مِنْ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مَنْ نَفَتْ عُدْسُ
دَلُوكَ عَذْرًا وَهُمْ فِيهَا أَوْلُو خُلْفٍ وَأَنْتَ ضَيْمٌ لَهَا فِي الدَّارِ مُخْتَبَسُ

قال ابن هشام: أَنَسُ: الأصم السلمي: خال مُطْعَم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. وقوله: «من نفث عُدْس» يعني حَجِير بن أبي إهاب، ويقال: الأعشى بن زُرارة بن النباش الأسدي، وكان حليفًا لبني نوفل بن عبد مناف.

وقوله فيه:

من القبائل منهم مَنْ نَفَثَ عُدْسُ

قوله: مَنْ نَفَثَ عُدْسُ، يعني: حَجِير بن أبي إهاب بن عُرَيْن، وهو ينتسب إلى بني عُدْس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ، ويقال: بل هو من بني رَيْبَعَةَ بن مالك بن حَنْظَلَةَ، ومن هاهنا ذَكَرَ نَفْيَ بني عُدْسِ لَهُ، من أجل الاختلاف في نسبه. وعُدْسُ بضم الدال في تميم، وهو هذا، وكل عُدْسٍ في العرب سواء فهو بفتح الدال، وهو من عَدَسٍ في الأرض إذا ذَهَبَ فيها، والله أعلم، فمن المفتوح الدال عُدْسُ بن عُبَيْدٍ في الأنصار، ثم في بني النَّجَّار، وهو جد أبي أَمَامَةَ أسعد بن زُرارة وقد قال بعض النسابين في عُدْسِ بن زيد بن عبد الله بن دَارِم الذي تقدم ذكره: عُدْسُ بفتح الدال، والأول أعرف وأشهر.

مَنْ اجْتَمَعُوا لِقَتْلِ خَبِيبٍ :

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجلبوا على خُبيب في قَتْلِهِ حين قُتِلَ من قُرَيْشٍ: عكرمة بن أبي جهل، وسعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود، والأخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زُهرة، وعُبَيْدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي، حليف بني أمية بن عبد شمس، وأمّية بن أبي عتبة، وبنو الحضرمي.

شعر حسان في هجاء هذيل لقتلهم خبيبا:

وقال حسان أيضا يهجو هذيلًا فيما صنعوا بخبيب بن عدي:

أَبْلَغُ بَنِي عَمْرِو بَأْنَ أَخَاهُمْ	شَرَاهُ امْرُؤٌ قَدْ كَانَ لِلْعَذْرِ لَازِمًا
شَرَاهُ زُهَيْرُ بَنِ الْأَعْرَ وَجَامِع	وَكَانَا جَمِيعًا يَزْكَبَانِ الْمَحَارِمَا
أَجَزْتُمْ فَلَمَّا أَنْ أَجَزْتُمْ عَذْرَتُمْ	وَكُنْتُمْ بِأَكْنَافِ الرَّجِيعِ لَهَاذِمَا
فَلَيْتَ خُبَيْبًا لَمْ تَخْنُهُ أَمَانَةٌ	وَلَيْتَ خُبَيْبًا كَانَ بِالْقَوْمِ عَالِمَا

قال ابن هشام: زهير بن الأعز وجامع: الهذليان اللذان باعا خبيبا.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

إِنْ سَرَكَ الْغَدْرُ صِرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ فَأَتِ الرَّجِيعَ فَسَلْ عَنْ دَارِ لُخْيَانِ

دعوة خبيب على قاتليه:

وذكر قول خُبيب حين رفعوه في الخشبة: اللهم أَخْصِهِمْ عَذْدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، فمن رواه بِدَدًا بكسر الهاء، فهو مصدر بمعنى التَّبَدُّد، أي: ذوي بَدَدٍ. فإن قيل: فهل أُجِيبَ فيهم دعوة خُبيب، والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مُسْتَجَابَةٌ^(١)؟

قلنا: أصابت منهم مَنْ سبق في علم الله أن يموتَ كافرًا، ومن أسلم منهم فلم يَغْنِهِ خُبيب ولا قصده بدعائه، ومن قُتِلَ منهم كافرًا بعد هذه الدعوة، فإنما قُتِلُوا بِدَدًا غير مُعْسَكِرِينَ ولا مُجْتَمِعِينَ كاجتماعهم في أُحُدٍ، وقبل ذلك في بدر، وإن كانت الْخَنْدُقُ بعد قِصَّةِ خُبيب فقد قُتِلَ منهم آحَادٌ فيها مُتَبَدِّدُونَ، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جَمْعٌ ولا معسكر عَزُوا فيه، فنفذت الدعوة على صُورَتِهَا وفيمن أراد خُبيب - رحمه الله - وحاشا له أن يكره إيمانهم وإسلامهم.

(١) قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمْ فَالْكَلْبُ وَالْقِرْدُ الْإِنْسَانُ مِثْلَانِ
لَوْ يَنْطِقُ النَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَأْنٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَنْشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَوْلَهُ:

لَوْ يَنْطِقُ النَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَأْنٍ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا:

سَالَتْ هُذَيْلُ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِيبْ
سَالُوا رَسُولَهُمْ مَا لَيْسَ مُعْطِيَهُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَكَانُوا سُبَّةَ الْعَرَبِ
وَلَنْ تَرَى لَهُذَيْلَ دَاعِيَا أَبَدًا يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْحَرْبِ
لَقَدْ أَزَادُوا خِلَالَ الْفُحْشِ وَيَحَهُمُ وَأَنْ يُحِلُُّوا حَرَامًا كَانَ فِي الْكُتُبِ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا:

لَعُمْرِي لَقَدْ شَانَتْ^(١) هُذَيْلُ بْنُ مُدْرِكٍ أَحَادِيثُ لِيخْيَانٍ صَلَّوْا بِقَبِيحِهَا
أَنَاسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ أَمَانَتُهُمْ ذَا عِقَّةٍ وَمَكَارِمِ
هُمْ عَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمَتْ هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَرَاتِ الْمَحَارِمِ
رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدْرًا وَلَمْ تَكُنْ بِقَتْلِ الَّذِي تَخْمِيهِ دُونَ الْحَرَامِ
فَسَوْفَ يَرَوْنَ النَّصَرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ حَمَتِ لَحْمِ شَهَادِ عِظَامِ الْمَلَايِمِ
أَبَابِيلُ دَبَّرَ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْ مَقَامًا لِمَاتِمِ
لَعَلَّ هُذَيْلًا أَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ يُؤَافِي بِهَا الرُّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
وَتُوقِعَ فِيهِمْ وَقَعَةُ ذَاتِ صَوْلَةٍ رَأَى رَأْيِي ذِي حَزْمٍ بِلِيخْيَانٍ عَالِمِ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ وَإِنْ ظَلِمُوا لَمْ يَذْفَعُوا كَفًّا ظَالِمِ
قُبَيْلَةٌ لَيْسَ الْوَفَاءُ يَهْمُهُمْ بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْمَخَارِمِ
إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْقَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَأْيِ الْبَهَائِمِ

(٢) الزمعان: سفلة القوم.

(١) شانت: عابت.

وقال حسان بن ثابت يهجو هذيلًا:

لَحَى الله لِيخْيَانًا فَلَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ
هَمُّ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حَزَّةٍ
فَلَوْ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَسْرِهِمْ
قَتِيلَ حَمَتِهِ الدَّبْرُ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ
فَقَدْ قَتَلْتَ لِيخْيَانَ أَكْرَمَ مِنْهُمْ
فَأَفَ لِلِيخْيَانِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
قُبَيْلَةٍ بِاللُّؤْمِ وَالْغَدْرِ تَغْتَرِي
فَلَوْ قَتَلُوا لَمْ تُوفِ مِنْهُ دِمَاؤُهُمْ
فَالَا أُمْتُ أَذْعَرَ هُذَيْلًا بَغَارَةَ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْأَمْرِ أَمْرُهُ
يُصْبِحُ قَوْمًا بِالرَّجِيعِ كَأَنَّهُمْ

وقال حسان بن ثابت أيضًا يهجو هذيلًا:

فَلَا وَاللَّهِ، مَا تَدْرِي هُذَيْلٌ
وَلَا لَهُمْ إِذَا اغْتَمَرُوا وَحَجُّوا
وَلَكِنَّ الرَّجِيعَ لَهُمْ مَحَلٌّ
كَأَنَّهُمْ لَدَى الْكُنَّاتِ أَضْلًا
هُمْ عَرُّوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا
فَبَيْسَ الْعَهْدِ عَهْدُهُمُ الْكَذُوبُ

قال ابن هشام: آخرها بيتًا عن أبي زيد الأنصاري.

شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا وأصحابه:

ابن كهية في شعر حسان

فصل: وذكر أشعار حسان في خبيب وأصحابه، وليس فيهم معنى خفي، ولا لفظ غريب وخشي، فيحتاج إلى تفسيره، ولكن في بعضها:

بني كهينة أن الحرب قد لقيت

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثِيبُوا
رَأْسَ السَّرِيَّةِ مَرْئِدَ وَأَمِيرِهِمْ وَابْنُ الْبُكَيْرِ إِمَامَهُمْ وَخُبَيْبُ
وَابْنُ لَطَارِقٍ وَابْنُ دُثْنَةَ مِنْهُمْ وَافَاهُ ثُمَّ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ

جعل كُهْنِيَّةً كَأَنَّهُ اسْمٌ عَلَّمَ لِأَمِّهِمْ، وَهَذَا كَمَا يَقَالُ: بَنِي ضَوْطَرَى وَبَنِي الْعَبْرَاءِ وَبَنِي
دَرْزَةَ قَالَ الشَّاعِرُ:

أَوْلَادُ دَرْزَةَ أَسْلَمُواكَ وَطَارُوا

وَهَذَا كُلُّهُ اسْمٌ لِمَنْ يُسَبُّ، وَعِبَارَةٌ عَنِ السَّفَلَةِ مِنَ النَّاسِ، وَكُهْنِيَّةٌ مِنَ الْكُهْنِيَّةِ، وَهِيَ
الْعُبْرَةُ، وَهَذَا كَمَا قَالُوا: بَنِي الْعَبْرَاءِ، وَأَكْثَرُ أَشْعَارِ حَسَّانَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، قَالَ فِيهَا مِنْ
هَذَا، لِأَنَّهُمْ إِخْوَةُ الْقَارَةِ، وَالْمُشَارِكُونَ لَهُمْ فِي الْعَذْرِ بِخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ، وَهَذَا لِي وَخُزَيْمَةُ
أَبْنَاءُ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ وَعَظْلُ الْقَارَةِ مِنْ بَنِي خُزَيْمَةَ.

حول العلم وضعه من التنوين مع الخفض:

وقوله: وَابْنُ لَطَارِقٍ، وَابْنُ دُثْنَةَ مِنْهُمْ، حَذَفَ التَّنْوِينَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: شَلَّتْ يَدَا
وَخَشِي مِنْ قَاتِلٍ، وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ حَذَفَ التَّنْوِينَ نَصَبَ، وَجَعَلَهُ كَالِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْصَرَفُ، وَهُوَ
فِي مَوْضِعِ الْخَفْضِ مَفْتُوحٌ، لَكَانَ وَجْهًا وَقِيَاسًا صَحِيحًا، لِأَنَّ الْخَفْضَ تَابِعُ التَّنْوِينِ، فَإِذَا زَالَ
التَّنْوِينُ زَالَ الْخَفْضُ، لِثَلَا يَلْتَبَسُ بِالْمُضَافِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ، لِأَنَّ ضَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ، وَإِنْ
كَانَ يَاءً فَقَدْ يَحْذَفُ، وَيَكْتَفِي بِالْكَسْرِ مِنْهُ، وَزَوَالَ التَّنْوِينِ فِي أَكْثَرِ مَا لَا يَنْصَرَفُ إِنَّمَا هُوَ
لِاسْتِغْنَاءِ الْاسْمِ عَنْهُ، إِذْ هُوَ عَلَامَةٌ الْإِنْفِصَالِ عَنِ الْإِضَافَةِ، فَكُلُّ اسْمٍ لَا يُتَوَهَّمُ فِيهِ الْإِضَافَةُ لَا
يَحْتَاجُ إِلَى التَّنْوِينِ، لَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يُتَوَّنْ لَمْ يُخَفَّضْ، لَمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّبَاسِيهِ بِالْمُضَافِ إِلَى
الْمُتَكَلِّمِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَشْعَارِ أَحَدٍ: كَنَارَ أَبِي حُبَاجٍ وَالطَّبِيئَا بَفَتْحِ الْبَاءِ مِنْ حُبَاجٍ فِي
مَوْضِعِ الْخَفْضِ، وَكَانَ حَقُّ كُلِّ عَلَمٍ أَلَّا يُتَوَّنَ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْإِضَافَةِ كَمَا لَمْ يُتَوَّنْ جَمِيعُ
أَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ، وَلَكِنَّهُ نَوَّنَ مَا نَوَّنَ مِنْهُ لِلْسَّرِّ الَّذِي بَيَّنَّاهُ فِي أَسْرَارِ مَا لَا يَنْصَرَفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ،
وَقَدْ أَمْلَيْنَا فِي ذَلِكَ جُزْءًا، وَلَكِنْ الْخَفْضُ فِي طَارِقٍ وَوَخَشِي مَرْوِيٍّ، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ
ضَرُورَةً شِعْرًا، وَلَمْ يَكْثَرِ فِي كَلَامِهِمْ لَمْ يُتَّبِعُوا الْخَفْضَ فِيهِ التَّنْوِينَ إِذْ لَا يُتَوَهَّمُ إِضَافَتُهُ إِلَى
الْمُتَكَلِّمِ، إِذْ لَا يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا فِي شِعْرِ، فَالْتَّبَسَ فِيهِ بَعِيدٌ.

اشتقاق اسم خبيب وهذيل:

وقوله:

وَابْنُ الْبُكَيْرِ إِمَامَهُمْ وَخُبَيْبُ

والعاصم المَقْتُول عند رَجِيعِهِمْ كَسَبَ المَعَالِي إِنَّهُ لَكُسُوبٌ
مَنْعَ الْمُقَادَّةَ أَنْ يَنْأَلُوا ظَهْرَهُ حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبٌ
قال ابن هشام: ويروى: حتى يَجْدُلَ إنه لنجيب.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر لِحْسان.

قال ابن إسحق: فأقام رسول الله ﷺ بَقِيَّةَ شَوَالٍ وَذَا الْقَعْدَةِ وَذَا الْحِجَّةِ - وَوَلَّى تِلْكَ
الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ - وَالْمَحْرَمَ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَ بَثْرَ مَعُونَةٍ فِي صَفَرٍ، عَلَى
رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أَحَدٍ.

أردف حَزَفَ الرُّوْيِ بَيَاءً مَفْتُوحٌ مَا قَبْلَهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ مَرَّتَيْنِ. وَخَبِيبٌ فِي اللُّغَةِ
تَصْغِيرُ خَبٍّ، وَهُوَ الْمَاكِرُ مِنَ الرِّجَالِ الْخَدَاعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصْغِيرُ خَابٍ مِنَ الْخَبِيبِ،
فَيَكُونُ مِنْ بَابِ تَصْغِيرِ التَّرْخِيمِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَى حَذْفِ الزَّوَائِدِ، وَأَمَّا هُذَيْلٌ فَقَالُوا فِيهِ:
إِنَّهُ مُصَغَّرُ تَصْغِيرِ التَّرْخِيمِ، لِأَنَّهُ مِنْ هَوَذَلِ الرَّجُلِ يَبُولُهُ إِذَا بَاعَدَ بِهِ، فَكَأَنَّهُ تَصْغِيرُ مُهَوِّذٍ عَلَى
حَذْفِ الزَّوَائِدِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصْغِيرُ هُذُلٍ، وَهُوَ التَّلُّ الصَّغِيرُ مِنَ الرَّمْلِ عَلَى تَصْغِيرِ
التَّرْخِيمِ أَيْضًا.

سالت بدون همزة:

وقوله:

سالت هُذَيْلُ رسول الله فَاجِشَّة

ليس على تسهيل الهمزة في سالت، ولكنها لغةٌ بدليل قولهم: تَسَائِلُ الْقَوْمُ، وَلَوْ كَانَ
تَسْهِيلاً، لَكَانَتِ الهمزة بَيْنَ بَيْنٍ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ وَزْنُ الشَّعْرِ بِهَا، لِأَنَّهَا كَالْمُتَحَرِّكِ، وَقَدْ تَقَلَّبَ
أَلْفًا سَاكِئَةً كَمَا قَالُوا: الْمِنْسَاءُ^(١)، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَتْ سَالٌ لُغَةً فِي سَالٍ
فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْمَضَارِعُ يَسِيلُ، وَلَكِنْ قَدْ حَكَى يُونُسُ: سِلْتُ تَسَالُ مِثْلَ خِفْتُ تَخَافُ، هُوَ
عِنْدَهُ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ، وَقَالَ الزَّجَاجُ: الرِّجْلَانِ يَتَسَايِلَانِ، وَقَالَ النَّحَّاسُ وَالْمُبَرِّدُ: يَتَسَاوِلَانِ،
وَهُوَ مِثْلُ مَا حَكَى يُونُسُ.

(١) المنساء: أي العصا.

حديث بثر معونة

سبب إرسال بعث بثر معونة:

وكان من حديثهم، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وغيره من أهل العلم، قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعِبُ الأُسَيْثَةِ على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، فلم يُسلم ولم يتبع من الإسلام، وقال: يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعَوْهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك؛ فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد؛ قال أبو براء: أنا لهم جار، فابغثهم فليدعُوا الناس إلى أمرك.

خبر بثر معونة^(١)

قال ابن إسحاق: وكانوا أربعين رجلاً، والصحيح أنهم كانوا سبعين، كذا وقع في صحيح البخاري ومسلم^(٢).

ملاعب الأُسَيْثَةِ وإخوته ومعوذ الحكماء:

وذكر أبا براء مُلَاعِبُ الأُسَيْثَةِ، وأنه أجار أصحاب بثر معونة من أهل نجد، وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، سُمِّيَ مُلَاعِبُ الأُسَيْثَةِ في يوم سُوَيْانَ، وهو يوم كانت فيه وقعة في أيام جَبَلَةَ، وهي أيام حَرْبٍ كانت بين قَيْسٍ وتميم، وَجَبَلَةُ اسم لهضبة عالية، وقد تقدم طَرَفٌ من هذا الحديث في أول الكتاب، وكان سبب تسميته في يوم سُوَيْانَ مُلَاعِبُ الأُسَيْثَةِ أن أخاه الذي يقال له فَارِسٌ قُزِّلَ، وهو طُفَيْلُ بن مَالِكٍ، وقد ذكرنا في أول الكتاب معنى قُزِّلَ، كان أسلمه في ذلك اليوم، وقُرَّ فقال شاعر:

قَرَزَتْ وَأَسْلَمْتَ ابْنَ أُمِّكَ عَامِرًا يُلَاعِبُ أَطْرَافَ الوَشِيحِ المُرْغَزِ

فَسُمِّيَ مُلَاعِبُ الأُسَيْثَةِ، وْمُلَاعِبُ الرُّمَاحِ. قال لييد:

وإنني مُلَاعِبُ الرُّمَاحِ ومِذْرَةُ الكَتِيبَةِ الرُّدَاحِ

(١) انظر البداية (٧١/٤) تاريخ الطبري (٥٤٥/٢) الواقدي (٣٤٦/١) الكامل (٦٣/٢) النويري (١٣٠/١٧) عيون الأثر (٦١/٢) الطبقات (٣٩/١/٢) الدلائل (٢٣٨/٣) ابن حزم (٢١٧) الاكتفاء (١٤٢/٢) المنتظم (١٩٨/٣) المواهب (١٣٣/١) الزاد (٢٤٦/٣).

(٢) انظر البخاري (٢٩٧/٧) ومسلم في الإمارة (٣١) وأحمد (١٣٧/٣) ٢٧٠ / ٢٨٩).

رجال البعث:

فبعث رسول الله ﷺ المُنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة، المُعَنِق لِيُمُوتَ في أربعين رجلاً من أصحابه، من خيار المسلمين: منهم: الحارث بن الصَّمَّة، وحرام بن مَلْحَانَ أخو بني عَدِيّ بن التَّجَار، وعُزْوَةُ بن أسماء بن الصُّلَيْبِ السُّلَمِي، ونافع بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخُزَاعِي، وعامر بن فِهْرَةَ، مولى أبي بكر الصَّدِيق، في رجال مُسَمَّين من خيار المسلمين. فساروا حتى نزلوا بَيْتَ مَعُونَةَ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُلَيْم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سُلَيْم أقرب.

عامر يقتل صحابيًا:

فلما نزلوها بعثوا حَرَامَ بن مَلْحَانَ بكتابِ رسولِ الله ﷺ - إلى عَدُوِّ الله عامرِ بن الطُّفَيْل؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لَنْ نُخْفِرَ أَبَا بَرَاءَ، وقد عقد لهم عقدًا وجَوَارًا؛ فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيْم من عُصَيَّة وِرْغِل وَذَكْوَانَ، فأجابوه إلى ذلك، فَخَرَجُوا حَتَّى غَشَوْا الْقَوْمَ، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سُيُوفَهُمْ،

وهو عَمُّ لَبِيد بن ربيعة، وكانوا إِخْوَةَ خَمْسَةَ: طُفَيْلٌ فَارَسٌ قُزَزِلٌ، وعَامِرٌ مُلَاعِبٌ الْأَسِيَّةُ، وَرَبِيعَةُ الْمُقْتَرِينَ وهو والد لَبِيدَ، وَعُبَيْدَةُ الْوَضَّاحُ، ومعاوية مُعَوِّذُ الْحُكَمَاءِ وهو الذي يقول:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ
وَفِي هَذَا الشَّعْرُ يَقُولُ:

يَعُوذُ مِثْلَهَا الْحُكَمَاءُ بَعْدِي
وَبِهَذَا الْبَيْتِ سُمِّيَ مُعَوِّذُ الْحُكَمَاءِ.

شعر لبيد عن ملاعب وإخوته أمام النعمان:

وإياهم عَنَى لَبِيدٌ حِينَ قَالَ بَيْنَ يَدَيِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِرِ:

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينِ الْأَرَبَةِ الْمُطْمِعُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ
يَا رَبُّ هِنَجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا

ثم ذكر الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ [الْعَبْسِيُّ] فَقَالَ:

مَهْلًا أَبْنَيْتَ اللَّغْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ

ثم قاتلوهم حتى قُتِلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعب بن زيد، أخا بني دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رَمَق، فارتث^(١) من بين القَتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيداً، رحمه الله.

ابن أمية والمنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بمقتل أصحابهما:

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار، أحد بني عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة بن الجلاح.

قال ابن إسحق: فلم يُنبئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر، فقلا: والله إن لهذه الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دِمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فنُخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكن ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنت لتُخبرني عنه الرجال؛ ثم قاتل القوم حتى قُتل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً؛ فلما أخبرهم أنه من مُضر، أطلقه عامر بن الطفيل، وجزّ ناصيته، وأعتقه عن رَقبة زعم أنها كانت على أمه.

إلى آخر الرجز في خبر طويل، إنما قال: الأربعة، وهم خمسة، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك، لا كما قال بعض الناس، وهو قول يُغزى إلى الفراء أنه قال: إنما قال أربعة، ولم يقل خمسة من أجل القوافي، فيقال له: لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقال: أراد جنة واحدة، وجاء بلفظ التثنية، لتتفق رؤوس الآي، أو كلاماً هذا معناه، فصمى صمام ما أشنع هذا الكلام، وأبعده عن العلم، وفهم القرآن: وأقل هَيبة قائله من أن يتبوأ مفعده من النار، فحذار منه حذار. ومما يدلُّك أنهم كانوا أربعة أن أربعة حين قال لبيد هذه المقالة أن في الخبر ذكر يُتم لبيد وصغر سنه، وأن أعمامه الأربعة استضعفوه أن يدخلوه معهم على النعمان حين همهم ما قائلهم به الربيع بن زياد، فسمعهم لبيد يتحدثون بذلك، ويهتُمون له، فسألهم أن يدخلوه معهم على النعمان، وزعم أنه سيفجحه فتهاوتوا بقوله، حتى اختبروه بأشياء مذكورة في الخبر، فبان بهذا كله أنهم كانوا أربعة، ولو سكت الجاهل لقل الخلاف والحمد لله.

(١) ارتث: أي رفع جريحاً.

قتل العامريين :

فخرج عمرو بن أميَّة، حتى إذا كان بالقَرْقرة من صَدْر قَنَاة^(١)، أقبل رجلان من بني عامر.

قال ابن هشام: ثم من بني كلاب، وذكر أبو عمرو المدني أنهما من بني سليم.

قال ابن إسحق: حتى نزلا معه في ظلِّ هو فيه. وكان مع العامريين عَقْدٌ من رسول الله ﷺ وجِوار، لم يعلم به عمرو بن أميَّة، وقد سألهما حين نزلا، ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأمهلهما، حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُورَةً من بني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو بن أميَّة على رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، قال رسول الله ﷺ: «لقد قتلتَ قَتيلين، لأديتَهما!».

كراهية الرسول عمل أبي براء:

ثم قال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً. فبلغ ذلك أبا براء، فشقَّ عليه إخفارُ عامرٍ إليَّاه، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجِواره؛ وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة.

ابن فهيرة والسماء

قال ابن إسحق: فحدَّثني هشام بن عروة، عن أبيه: أن عامر بن الطفيل كان يقول: مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمَّا قُتِلَ رأيتُهُ رُفِعَ بين السماء والأرض، حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة.

مصير ابن فهيرة

وذكر ابن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل قال يومئذ: مَنْ رَجُلٌ لَمَّا طَعَنَتْهُ رُفِعَ حتى رأيتُ السماء من دونه. هذه رواية البُكَائِي عن ابن إسحق، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك، وقال للنبي عليه السلام: مَنْ رَجُلٌ يا محمدُ لَمَّا طَعَنَتْهُ رُفِعَ إلى السماء؟ فقال: هو عامر بن فهيرة وروى

(١) هي قرقرة الكدر: موضع بناحية المعدن قريب من الأرحضية، بينه وبين المدينة ثمانية برد، وقناة واد يأتي من الطائف.

سبب إسلام ابن سلمى :

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض بني جَبَّار بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر، قال: - وكان جَبَّار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - (قال) فكان يقول: إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنتُ رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفَيْهِ، فنظرتُ إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعتَه يقول: فُزْتُ والله! فقلت في نفسي: ما فاز! ألسْتُ قد قتلْتُ الرجل! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة؛ فقلت: فاز لعَمْرُو الله.

شعر حسان في تحريض بني أبي براء على عامر:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر بن الطفيل:

وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ	بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرْغُمْ
لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأُ كَعْمَدٍ	تَهْكُمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ
فَمَا أَحْدَثَتْ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي	أَلَا أَبْلِغُ زَيْبَةَ ذَا الْمَسَاعِي
وَخَالِكَ مَا جَدُّ حَكَمُ بْنُ سَعْدٍ	أَبُوكَ أَبُو الْخُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ

نسب حكم وأم البنين:

قال ابن هشام: حكم بن سعد: من القَيْنِ بن جَسْر؛ وأم البنين: بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صُغْصعة وهي أم أبي براء.

عبد الرزاق وابن المبارك أن عامر بن فُهَيْرَةَ التُّمَسِ فِي الْقَتْلَى يَوْمئِذٍ، فَقَدِ، فَيَرُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ رَفَعَتْهُ أَوْ دَفَنَتْهُ.

أم البنين الأربعة:

وذكر قول حسان:

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرْغُمْ
وَأَنْتُمْ فِي ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ
وهذه أم البنين التي ذكر لبيد في قوله:

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةُ

واسمها: لَيْلَى بنتُ عامر - فيما ذكروا وقد ذكر ابن هشام نسبها، ولم يذكر اسمها.

طعن ربيعة لعامر:

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة (بن عامر) بن مالك على عامر بن الطفيل، فطعنه بالرمح، فوقع في فخذه، فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء، إن أمت قدمي لعمي، فلا يتبعن به، وإن أعش فسأري رأيي فيما أتني إلي.

مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له:

وقال أنس بن عباس السلمي، وكان خال طعيمة بن عدي بن نوفل، وقتل يومئذ نافع بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخُزَاعِي:

تركْتُ ابنَ وَرْقَاءِ الخُزَاعِي ثَاوِيَا بِمُغْتَرَكٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ
ذَكَرْتُ أَبَا الزَّيَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَيَقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ ثَائِرُ
وَأَبُو الزَّيَّانِ: طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِي.

وقال عبدُ الله بن رَوَاحَةَ يَبْكِي نَافِعَ بْنَ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءِ:

رَجِمَ اللَّهُ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ رَحْمَةً الْمُبْتَغَى ثَوَابِ الْجِهَادِ
صَابِرٌ صَادِقٌ وَفِي إِذَا مَا أَكْثَرَ الْقَوْمِ قَالَ قَوْلَ السُّدَادِ

شعر حسان في بكاء قتلى بئر معونة:

وقال حسان بن ثابت يَبْكِي قَتْلَى بَيْرِ مَعُونَةَ، وَيُخَصُّ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو:

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهْلِي بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًا غَيْرَ نَزْرِ
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةً لَاقُوا مَنَايَاهُمْ وَلَا قَتْلَهُمْ بِقَدْرِ

وذكر قول أنس بن عباس السلمي:

تركْتُ ابنَ وَرْقَاءِ الخُزَاعِي ثَاوِيَا بِمُغْتَرَكٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ
ذَكَرْتُ أَبَا الزَّيَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَيَقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ ثَائِرُ

الزبان أو الريان:

هكذا وقع في النسخة أبا الزبان، وفي رواية إبراهيم بن سعد: أبا الزبان بالراء المهملة، وبالياء أخت الواو، وهكذا ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف، كما في رواية إبراهيم بن سعد.

أَصَابَهُمُ الْقَنَاءُ بَعْقِدِ قَوْمَ تُخَوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بَعْدُ
فِيَا لَهْفِي لِمُنْذِرٍ إِذْ تَوَلَّى وَأَعْنَقَ فِي مَنِئْتِهِ بَصِيرَ
وَكَائِنٌ قَدْ أَصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُم مِنْ أَبْيَضِ مَاجِدٍ مِنْ سَرِّ عَمْرُو
قال ابن هشام: أنشدني آخرها بيتاً أبو زيد الأنصاري.

شعر كعب في يوم بثر معونة:

وأنشدني لكعب بن مالك في يوم بثر معونة، يُعَيِّرُ بني جعفر بن كلاب:
تَرَكَتُمْ جَارَكُمْ لِبَنِي سَلِيمٍ مَخَافَةَ حَزْبِهِمْ عَجْزًا وَهُونًا
فَلَوْ حَبْلًا تَنَاوَلَ مِنْ عُقِيلٍ لَمَدَّ بِحَبْلِهَا حَبْلًا مَتِينًا
أَوِ الْقُرْطَاءِ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ وَقَدْ مَا وَقَوْا إِذْ لَا تَفُونَا

نسب القرطاء

قال ابن هشام: القرطاء: قبيلة من هوازن، ويروى «من نفيل» مكان «من عقيل»، وهو الصحيح؛ لأن القرطاء من نفيل قريب.

القرطاء

وذكر شعر كعب وفيه: أَوِ الْقُرْطَاءِ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ. القرطاء: هم بنو قُزَيْطٍ وقُزَيْطٍ وقُزَيْطٍ، وهم أَبْنُؤُنْ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي كِلَابٍ.

شيء منسوخ:

ولما قتل أصحابُ بثر معونة نزل فيهم قرآن، ثم رُفِعَ: أَنْ أبلغوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا
فَرَضِي عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ، فثبت هذا في الصحيح؛ وليس عليه رَوْتُ الإِعْجَازِ، فيقال: إنه لم
يُنْزَلْ بهذا النظم، ولكن يَنْظُمُ مُعْجِزٍ كَنْظَمِ الْقُرْآنِ.

فإن قيل: إنه خَبَرٌ والخَبَرُ لا يدخله النسخ، قلنا: لم يُنسخ منه الخَبَرُ، وإنما نُسخَ منه
الحكم، فإنَّ حُكْمَ الْقُرْآنِ أَنْ يُثْلَى فِي الصَّلَاةِ، وَأَنْ لَا يَمَسَّهُ إِلَّا طَاهِرٌ، وَأَنْ يُكْتَبَ بَيْنَ
الْبُؤْحَيْنِ، وَأَنْ يَكُونَ تَعْلَمُهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، فَكُلُّ مَا نُسخَ، وَرَفَعَتْ مِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ،
وإن بقي محفوظاً، فإنه منسوخٌ، فإن تضمن حُكْمًا جَازَ أَنْ يَبْقَى ذَلِكَ الْحُكْمُ مَعْمُولًا بِهِ،
وَأَنْكَرْتَ ذَلِكَ الْمَعْتَزَلَةَ، وَإِنْ تَضَمَّنَ خَبَرًا بَقِيَ ذَلِكَ الْخَبَرُ مُصَدِّقًا بِهِ، وَأَحْكَامُ التَّلَاوَةِ مَنْسُوخَةٌ

عنه، كما قد نزل: «لو أن لابن آدمَ وَاِثْنَيْنِ مِنْ دَهَبٍ لَابْتَغَىٰ لهُمَا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتَوَبُّ اللَّهُ عَلَىٰ مَا تَابَ»^(١).

ويُزَوَّى: لا يملأ عَيْنَي ابْنِ آدَمَ، وَفَم ابْنِ آدَمَ، كل ذلك في الصحيح، وكذلك رُوي: وَاِدْيَا مِنْ مَالٍ أَيْضًا، فهذا خَبَرٌ حَقٌّ، والخبر لا يُنسخ، ولكن نُسخ منه أَحْكَامُ التَّلَاوَةِ له، وكانت هذه الآية أعني قوله: لو أَنَّ لابنَ آدَمَ في سُورَةِ يُوسُفَ بعد قوله: كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كذلك نُفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، كذلك قال ابن سلام، وأما الحكم الذي بَقِيَ، وكان قَرَأْنَا يُثَلَّى: «فَالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا، فَارْجُمُوهُمَا الْبَيْتَةَ نَكَالًا مِنْ اللَّهِ، وَلَا تَزْعَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَإِنْ ذَلِكَ كُفِّرَ بِكُمْ»^(٢)، فهذا حُكْمٌ كَانَ نَسْخُهُ جَائِزًا حِينَ نُسِخَ حُكْمُ التَّلَاوَةِ، وكان جَائِزًا أَنْ يَبْقَى حُكْمُ التَّلَاوَةِ، ونسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدّم.

(١) أخرجه البخاري (١١٥/٨) وأحمد (١٦٨/٣) والترمذي (٣٧٩٣) وابن ماجه (٤٢٣٥) وابن حبان (٤٨٤ - موارد).

(٢) انظر أحمد (١٨٣/٥) والبيهقي (٢١١/٨) والدارمي (١٧٩/٢) والقرطبي في تفسيره (٨٩/٥) وفتح الباري (٦٥/٩).

أمر إجلاء بني النضير في سنة أربع

بنو النضير يأترون بالرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، كما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف.

فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه صخرة كما

غزوة بني النضير وما نزل فيها^(١)

ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة في هذا الموضع، وكان ينبغي أن يذكرها بعد بذر، لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهري، قال: كانت غزوة بني النضير بعد بذر بسنة أشهر.

(١) انظر الواقدي (٣٦٣/١) الطبقات (٤٠/٢/١) تاريخ الطبري (٥٥٠/٢) البداية (٧٤/٤) الكامل (٦٤/٢) الاكتفاء (١٤٦/٢) المنتظم (٢٠٣/٣) ابن حزم (١٨١) عيون الأثر (٦١/٢) السيرة الحلبية (٣٤٤/٢) الشامية (٩/٤) أنساب الأشراف (١٦٣/١) الدرر لابن عبد البر (١٦٤) النوري (١٣٧/١٧). وانظر البخاري (٨٨/٥) الدلائل (١٧٦/٣) الفتح (٣٢٩/٧).

قال، ورسول الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رِضْوَانُ الله عليهم.

الله يُعَلِّمُ نَبِيَّهٖ بِمَا دَبَّرُوا:

فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْخَبِيرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلْبَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ، قَامُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ؛ فَقَالَ: «رَأَيْتَهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ». فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبِيرُ، بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْعَدْرِ بِهِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّهْيِيزِ لِحَزْبِهِمْ، وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: ثم سار الناس حتى نزل بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول، فحاصروهم ست ليال؛ ونزل تحريم الخمر.

حصار الرسول لبني النضير:

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله - ﷺ بقطع النخيل والتخريق فيها، فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟

قطع اللينة وتأويله:

وذكر نزول رسول الله - ﷺ - ببني النضير، وسيره إليهم حين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، وهتموا بقتله، فلما تحصنوا في حصونهم وحرق نخيلهم نادوه أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، وذكر الحديث. قال أهل التأويل: وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ [الحشر: ٥] الآية. واللينَةُ ألوانُ الثمر ما عدا العجوة والبرني ففي هذه الآية أن النبي - ﷺ - لم يخرق من نخيلهم إلا ما ليس بقوت للناس، وكانوا يفتاتون العجوة، وفي الحديث: «العجوة من الجنة»^(١)، وثمرها يغدو أحسن غذاء، والبرني أيضًا كذلك. وقال أبو

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٦٦ / ٢٠٦٨) وابن ماجه (٣٥٤٣ / ٣٥٤٥) وأحمد (٣٠١ / ٢) والدارمي (٢٣٨ / ٢).

تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح:

وقد كان رَهْط من بني عَوْف بن الخزرج، منهم (عَدُوَّ الله) عبدُ الله بن أُبَيِّ ابن سَلُول، ووديعه، ومالك بن أبي قَوْقُل، وسُوَيْد وداعس، قد بعثوا إلى بني النَّضِير: أن اثْبُتُوا وتمنَّعُوا، فإنَّا لن نُسَلِّمَكُم، إن قوتلتُم قاتلنا معكم، وإن أُخْرِجْتُم خَرَجْنَا معكم، فترَبَّصُوا ذلك من نَضْرَمهم، فلم يَفْعَلُوا، وقَذَف الله في قلوبهم الرُّعْب، وسألُوا رسولَ الله ﷺ أن يُجْلِيَهُم ويكفَّ عن دماءهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحَلْقَة، ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبلُ، فكان الرجلُ منهم يَهْدِيه بيته عن نِجَافِ بابِه، فيضعه على ظَهرِ بعيْرِه، فينطلق به. فخرجوا إلى خَيْبَر ومنهم مَنْ سار إلى الشام.

من هاجر منهم إلى خيبر:

فكان أشرفهم مَنْ سار منهم إلى خَيْبَر: سلامُ بن أبي الحَقِيق، وكنانة بن الرِّبيع بن أبي الحَقِيق، وحَيَّي بن أَخْطَب. فلما نزلوها دان لهم أهلُها.

قال ابن إسحق: فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حَدَّث: أنهم استقلُّوا بالنساء والأبناء والأموال، معه الدُّفوف والمزامير، والقيان يَغْزِفْنَ خَلْفَهُم، وإنَّ فيهم لَأُمَّ عَمْرٍو صاحبةَ عَزْوَة بن الوَزْد العَبْسِي، التي ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بني غِفَار، بزُهاءٍ وفَخْرٍ ما رُئِيَ مثله من حيٍّ من الناس في زمانهم.

تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين:

وخلَّو الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصَّة، يضعها حيث يشاء، فقَسَمها رسولُ الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلَّا أنَّ سَهْل بن حُنَيْف وأبا دُجَانَة سِمَاك بن خَرْشَة ذكرا فَقَرَّا، فأعطاهما رسولُ الله ﷺ.

حنيفة: معناه بالفارسية جِملٌ مُبَارَكٌ، لأنَّ بَرَّ معناه: جِملٌ، ونبيُّ معناه جَيِّدٌ، أو مُبَارَكٌ فَعَرَّبْتِه العربُ، وأدخلته في كلامها، وفي حديث وفد عبد القيس أن رسولَ الله ﷺ - قال لهم، وَذَكَرَ الْبَرْزَنِيُّ: إنه من خير تَمَرِكُمْ، وإنه دواءٌ وليس بِدَاءٍ، رواه منهم مَزِيدَةُ الْعَضْرِيِّ، ففي قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ﴾ ولم يقل: من نَخْلَةٍ على العموم: تنبيهٌ على كراهةِ قطع ما يُفْتَاتُ وَيَعْدُو من شَجَرِ الْعَدُوِّ إذا رُجِيَ أن يصيرَ إلى المسلمين، وقد كان الصُّدَيْق - رضي الله عنه - يوصي الجيوشَ ألا يَقْطَعُوا شَجَرًا مُثْمِرًا، وأخذ بذلك [أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو] الأَوْزَاعِيُّ، فلَمَّا تَأَوَّلُوا حديثَ بني النَّضِير، وإما رأوه خَاصًّا للنبيِّ عليه السلام، ولم

من أسلم من بني النضير:

ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلاان: يامينُ بن عُمر، أبو كعب بن عمرو بن جحاش؛ وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأخرزاها.

تحريض يامين على قتل ابن جحاش:

قال ابن إسحق: - وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسولَ الله ﷺ قال ليامين: ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك، وما هم به من شائي؟ فجعل يامينُ بن عُمر لرجل جُفلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون.

ما نزل في بني النضير من القرآن

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته. وما سلط عليهم به رسوله ﷺ، وما عمل فيه فيهم، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا وَظَنُّوا أَنَّهم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجف أبوابهم إذا احتملوها. ﴿فَاغْتَبَرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ وكان لهم من الله نقمة، ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: أي بالسيف، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ مع ذلك. ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾. واللينة: ما خالف العجوة من النخل ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي فبأمر الله قُطعت، لم يكن فساداً، ولكن كان نقمة من الله ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

يختلفوا أن سورة الحشر نزلت في بني النضير، ولا اختلفوا في أموالهم، لأن المسلمين لم يُوجِفُوا عليها بخيل ولا ركاب، وإنما قُذِفَ الرُّعْبُ في قلوبهم وجَلُّوا عن منازلهم إلى خَيْبَر، ولم يكن ذلك عن قتالٍ من المسلمين لهم، فقسمها النبي ﷺ - بين المهاجرين، ليرفع بذلك مُؤَنَّتَهُمْ عن الأنصار، إذ كانوا قد ساهمُوهم في الأموال والديار، غير أنه أعطى أبا دُجَانَةَ وسَهْلَ بن حَنْظَلٍ لحاجتهما، وقال غير ابن إسحق: وأعطى ثلاثة من الأنصار، وذكر الحارث بن الصَّمَّة فيهم.

حول أول سورة الحشر

وقوله سبحانه: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]. أي: يُخْرِبُونَهَا مِنْ دَاخِلٍ، والمؤمنون من خَارِجٍ، وقيل: معنى بأيديهم بما كَسَبَتْ أيديهم مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ، وأيدي المؤمنين، أي: بجهادهم.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: اللينة: من الألوان، وهي ما لم تكن بَرْنِيَّةً ولا عَجْوَةً من النخل، فيما حدَّثنا أبو عُبَيْدة. قال ذو الرُّمَّة:

كَأَنَّ قُتُودِي فَوْقَهَا عُشٌّ طَائِرٌ عَلَى لِينَةٍ سَوْفَاءَ تَهْفُو جُثُوبُهَا
وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وما أفاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ - قال ابن إسحاق: يعني من بني النَّضِير - ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي له خاصة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أوجفتم: حركتم وأتعبتم في السير. قال تميم بن أَبِي بن مُقْبِل أحد بني عامر بن صَغَصعة:

مذاويد بالبيض الحديثِ صقالها عن الرِّكَبِ أحيانًا إذا الرِّكَبُ أَوْجَفُوا
وهذا البيت في قصيدة له، وهو الوجيف. (و) قال أبو زيد الطائفي، واسمه حَزْملة بن المُنْدَر:

مُسْنَفَاتُ كَأَنَّهُنَّ قَنَا الْهِنْدَ بِدِ لَطُولِ الْوَجِيفِ جَذَبَ الْمَرُودَ
وهذا البيت في قصيدة له.

وقوله: (لأَوَّلِ الْحَشْرِ)، رَوَى موسى بن عُقْبَةَ أَنَّهُمْ قَالُوا له: إلى أين تخرج يا محمد؟ قال: إلى الْحَشْرِ، يعني: أرضَ الْمَخْشَرِ، وهي الشَّامُ، وقيل: إنهم كانوا من بَسْطٍ لم يُضْبَهُمْ جَلَاءٌ قَبْلَهَا، فلذلك قال: لأَوَّلِ الْحَشْرِ، والحشرُ: الجَلَاءُ، وقيل: إن الْحَشْرَ الثاني، هو حَشْرُ النار التي تخرج من قَعْرِ عَدَنَ فتَحْشُرُ النَّاسَ إلى الموقفِ، تَبَيَّتْ معهم، حيث باتوا، وتَقِيلُ معهم قَالُوا، وتَأْكُلُ مَنْ تَخْلَفُ، والآيةُ مُتَضَمِّنَةٌ لهذه الأقوالِ كُلِّهَا، ولزائدٌ عليها، فإن قوله: لأَوَّلِ الْحَشْرِ يُؤْذِنُ أَنَّ تَمَّ حَشْرًا آخَرَ، فكان هذا الْحَشْرُ والجَلَاءُ إلى خَيْبَرٍ، ثم أجلاهم عَمَرَ من خَيْبَرٍ إلى تَيْمَاءَ وأَرِيحَا، وذلك حين بلغه التَّثْبُثُ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَبْقَيْنَ دِينَارٌ بِأَرْضِ الْعَرَبِ»^(١).

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٤٦٣/٦).

قال ابن هشام: السَّنَاف: البطان. والوجيف (أيضاً): وجيف القلب والكبد، وهو الضربان. قال قيس بن الخطيم الظفري:

إِنَّا وَإِنْ قَدَّمُوا السَّيْفَ عَلِمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفْ
وهذا البيت في قصيدة له.

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى قلله وللرسول﴾ - قال ابن إسحق: ما يوجف عليه المسلمون بالخيول والركاب، وفتح بالحرب عنوة قلله وللرسول - ﴿ولذي القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلاً يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. يقول: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين، على ما وضعه الله عليه.

ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، ومن كان على مثل أمرهم ﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾: يعني بني النضير، إلى قوله: ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبأل أمرهم ولهم عذاب أليم﴾: يعني بني قينقاع. ثم القصة. . إلى قوله: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾.

ما قيل في بني النضير من الشعر:

وكان مما قيل في بني النضير من الشعر قول ابن لقيم العيثمي، ويقال: قاله قيس بن بحر بن طريف. قال ابن هشام: قيس بن بحر الأشجعي - فقال:

وقوله: ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ [الحشر: ٢]، يقال: نزلت في قتل كعب بن الأشرف.

وقوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ [الحشر: ٧]. وزوي عن مالك أنه قال: هم بنو قريظة، وأهل التأويل على أنها عامة في جميع القرى المفتوحة على المسلمين وإن اختلفوا في حكمها، فرأى قوم قسمها كما تقسم الغنائم، ورأى بعضهم للإمام أن يقفها، وسيأتي بيان هذه المسألة في غزوة خيبر إن شاء الله.

أَهْلِي فِدَاءَ لَامِرِيٍّ غَيْرِ هَالِكٍ
يَقْبِلُونَ فِي جَمْرِ الْعَصَاةِ وَبَذَلُوا
فَإِنْ يَكْ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ
يَوْمَ بِهَا عَمَرَوْ بِنُ بُهْنَةَ إِنَّهُمْ
عَلَيْهِنَّ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِي الْوَعَى
وَكُلُّ رَقِيقِ الشُّفَرَتَيْنِ مَهْنَدٌ
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً
بَأَنَّ أَخَاكُم فَاعْلَمَنَّ مُحَمَّدًا
فَدِينُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسُّمُ أُمُورِكُمْ
نَبِيٍّ تَلَاقْتُهُ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً
فَقَدْ كَانَ فِي بَذْرِ لَعْنَرِي عِبْرَةً
غَدَاةً أَتَى فِي الْخَزْرَجِيَّةِ عَامِدًا

أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسِيِّ الْمُرْتَمِّمِ^(١)
أَهْنِضِبْ عُودِي بِالْوَدِيِّ الْمُكَمِّمِ
تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلَا^(٢) وَيَزْمَرِ
عَذُو وَمَا حَيَّ صَدِيقَ كُمُجْرِمِ
يَهْزُونَ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ^(٣) الْمُقُومِ
تُؤَوِّرُثْنِ مِنْ أَزْمَانٍ عَادٍ وَجُزْمِ
فَهَلْ بَعْدَهُمْ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُتَكْرَمِ
تَلِيدُ الثَّدْيِ بَيْنَ الْحَجُونَ وَزَمَزَمِ
وَتَسْمُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مِغْظَمِ
وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرْجَمِ
لَكُمْ يَا قُرَيْشًا وَالْقَلِيبِ الْمُلَمِّمِ
إِلَيْكُمْ مُطِيعًا لِلْعَظِيمِ الْمُكْرَمِ

وذكر شِعْرُ الْعَبْسِيِّ فِي إِجْلَاءِ الْيَهُودِ، فَقَالَ:

أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسِيِّ الْمُرْتَمِّمِ

يريد: أَحَلَّهُمْ بِأَرْضِ غُرَبَةٍ، وَفِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمْ، وَالزَّيْنِمُ وَالْمُرْتَمِّمُ: الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ، أَيْ أَنْزَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَسِيِّ، أَيْ: الْمُبْعَدُ الطَّرِيدُ، وَإِنَّمَا جُعِلَ الطَّرِيدُ الدَّلِيلُ حَسِيًّا لِأَنَّهُ غُرَضَةُ الْأَكْلِ، وَالْحَسِيُّ وَالْحَسُوُّ مَا يُخْشَى مِنَ الطَّعَامِ حَسَوًا، أَيْ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَى أَكْلِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْحَسِيِّ مَعْنَى الْعَذِيٍّ مِنَ الْغَنَمِ، وَهُوَ الصَّغِيرُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الرُّغْيَ، يُقَالُ: بُدِّلُوا بِالْمَالِ الدُّثْرَ وَالْإِبِلَ الْكُومَ رُدَّالَ الْمَالِ وَغِدَاءَ الْغَنَمِ، وَالْمُرْتَمِّمُ مِنْهُ، فَهَذَا وَجْهٌ يَحْتَمِلُ، وَقَدْ أَكْثَرْتُ التَّقْيِيرَ عَنِ الْحَسِيِّ فِي مَضَائِهِ مِنَ اللُّغَةِ فَلَمْ أَجِدْ نَصًّا شَافِيًّا أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ: الْحَسِيَّةُ، وَالْحَسِيُّ مَا يُخْشَى مِنَ الطَّعَامِ، وَإِذْ قَدْ وَجَدْنَا الْعَذِيَّ وَاحِدًا غِدَاءَ الْغَنَمِ، فَالْحَسِيُّ فِي مَعْنَاهُ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ أَنْ يُقَالَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالْمُرْتَمِّمُ أَيْضًا: صِغَارُ الْإِبِلِ، وَسَائِرُ هَذَا الشَّعْرِ مَعَ مَا يَعْدُهُ مِنَ الْأَشْعَارِ لَيْسَ فِيهِ عَوِيضٌ مِنَ الْغَرِيبِ، وَلَا مُسْتَعْلَقٌ مِنَ الْكَلَامِ.

(١) المزمم: من دخل في قوم وليس منهم. (٢) الصلا: وسط الظهور.

(٣) الوشيح: الرماح.

مُعَانًا بِرُوحِ الْقُدُسِ يُنْكِي عَدُوَّهُ رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًّا بَعْلَمُ
رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ يَتْلُو كِتَابَهُ فَلَمَّا أَنَارَ الْحَقُّ لَمْ يَتَلَفَعْمُ
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ عَلُّوا لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ مُخَكَّمُ
قال ابن هشام: عمرو بن بُهْثَة، من غَطَفَان. وقوله: «بالحسي المزنم» عن غير ابن إسحق:

قال ابن إسحق: وقال علي بن أبي طالب: يذكر إجلاء بني النضير، وقتل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين غير علي بن أبي طالب، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم أر أحدًا منهم يعرفها لعلِّي:

عرفتُ وَمَنْ يَغْتَدِلُ يَغْرِيفُ	وَأَيَقُنْتُ حَقًّا وَلَمْ أَضْدِفُ
عَنِ الْكَلِمِ الْمُخَكَّمِ الْإِلَاءِ مِنْ	لَدَى اللَّهِ ذِي الرَّأْفَةِ الْأَرَأَفِ
رِسَائِلُ تُذَرِّسُ فِي الْمُؤْمِنِينَ	بِهَنْ أَصْطَفَى أَحْمَدَ الْمُضْطَفَى
فَأُضْبِحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيزًا	عَزِيزَ الْمَقَامَةِ وَالْمَوْقِفِ
فِيهَا أَيُّهَا الْمُوْعِدُوه سَفَاهَا	وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا وَلَمْ يَغْنُفِ
أَلَسْتُمْ تَخَافُونَ أَدْنَى الْعَذَابِ	وَمَا آمَنُ اللَّهَ كَالْأَخُوفِ
وَأَنْ تُضْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ	كَمَضْرُوعِ كَعْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
عُدَاةَ رَأَى اللَّهُ طُغْيَانَهُ	وَأَغْرَضَ كَالْجَمَلِ الْأَجْنَفِ ^(١)
فَأَنْزَلَ جَبْرِيلَ فِي قَتْلِهِ	بِوَحْيٍ إِلَى عَبْدِهِ مُلْطَفِ

الكاهنان:

وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قُرَيْظَةُ وَالتَّضْيِيرُ، وفي الحديث: يخرج في الكاهنَيْنِ رجلٌ يَذَرُسُ الْقُرْآنَ دَرْسًا لَمْ يَذَرُسْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَلَا يَذَرُسُهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ^(٢)، فكانوا يَرَوْنَهُ أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقَرِظِيِّ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ بْنِ عَطِيَّةٍ، وَسَيَاتِي خَبْرٌ جَدُّهُ عَطِيَّةٌ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، وَالْكَاهِنُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى الْكَاهِلِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُومُ بِحَاجَةِ أَهْلِهِ، إِذَا خَلَفَ عَلَيْهِمْ، يَقَالُ: هُوَ كَاهِنُ أَبِيهِ وَكَاهِلُهُ، قَالَ الْهَرَوِيُّ، فَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ سُمِّيَ الْكَاهِنَانِ بِهَذَا.

(١) الأجنف: المنحني الظهر.

(٢) أخرجه أحمد (١١/٦) والبيهقي في الدلائل (٤٩٩/٦).

قَدَسَ الرَّسُولُ رَسُولاً لَهُ بِأَبْيَضِ ذِي هَبَّةٍ مُزْهَفٍ
قَبَائِثَ عَيْوَنَ لَهُ مُغُولَاتٍ مَتَى يُنْعَ كَعْبٌ لَهَا تَذْرِفُ
وَقُلْنِ لِأَحْمَدَ ذَرْناً قَلِيلاً فَلَمَّا مِنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْتَفِ
فَخَلَّاهُمْ ثُمَّ قَالَ اظْعَنُوا^(١) دُحُورًا^(٢) عَلَى رَغَمِ الْآتِفِ^(٣)
وَأَجَلَى النُّضِيرِ إِلَى عُزْبَةٍ وَكَانُوا بَدَارِ ذَوِي زُخْرَفٍ
إِلَى أَذْرِعَاتٍ رُدَافَى وَهُمْ عَلَى كُلِّ ذِي دَبَرٍ أَعْجَفٍ
فَاجِبَهُ سَمَاكُ الْيَهُودِيِّ، فَقَالَ:

إِنْ تَفَخَّرُوا فَهُوَ فَخْرٌ لَكُمْ بِمَقْتَلِ كَعْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
عِدَاةَ عَدُوَّتُمْ عَلَى حَتْفِهِ وَلَمْ يَأْتِ غَدْرًا وَلَمْ يُخْلِفِ

خروج بني النضير إلى خيبر:

فصل: وذكر ابن إسحاق خروج بني النضير، إلى خيبر، وأنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم. الدفوف والمزامير والقيان يغرفن خلفهم، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد التي ابتاعوا منه، وكان إحدى نساء بني غفار. انتهى كلام ابن إسحاق، ولم يذكر اسمها في رواية البكائي عنه، وذكره في غيرها، وهي سلمى، قال الأصبغي: اسمها: ليلى بنت شعواء، وقال أبو الفرج: هي سلمى أم وهب امرأة من كنانة، كانت ناكحة في مزيته، فأغار عليها عروة بن الورد، فسباها، وذكر الحديث، وقول أبي الفرج إنها من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار، لأن غفار من كنانة غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وعروة بن الورد بن زيد، ويقال: ابن عمرو بن نائيب بن هذم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس، فهو عبيسي عطفاني قيسي، لأن عبيسا هو ابن بغيض بن ريث بن عطفان قال فيه عبد الملك بن مزوان: ما يسرني أن أحدا من العرب ولدني إلا عروة بن الورد لقوله:

أَتَهَزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ، وَقَدْ تَرَى بِجِسْمِي مَسَّ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ
إِنِّي أَمْرُؤُ عَافِي إِنْ أَيْتِي شِرْكَةً وَأَنْتَ أَمْرُؤُ عَافِي إِنْ أَيْتَكَ وَاجِدُ
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَخْسُو قَرَاخَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ^(٤)

(١) اظعنوا: ارتحلوا.

(٣) الآنف: السابق.

(٢) دحورًا: مهزومين.

(٤) انظر الأمالي للقالبي (٢/٢٠٤).

فَعَلَ اللَّيَالِي وَصَرَفَ الدُّهُورَ يُدِيلُ مِنَ الْعَادِلِ الْمُنْصِفِ
بِقَتْلِ النَّصِيرِ وَأَخْلَافِهَا وَعَقْرِ النَّخِيلِ وَلَمْ تُقْطَفِ
فَإِنْ لَا أُمْتُ نَأْتُكُمْ بِالْقَنَا وَكُلِّ جُسامٍ مَعَا مَرْهَفِ
بَكْفٍ كَمِيٍّ بِهِ يَخْتَمِي مَتَى يَلْقَى قِرْنًا لَهُ يُثْلِفِ
مَعَ الْقَوْمِ صَخْرٌ وَأَشْيَاعُهُ إِذَا غَاوَرَ الْقَوْمَ لَمْ يَضْعَفِ
كَلَيْتُ بِتَرْجٍ حَمَى غَيْلَهُ أَخِي غَابَةِ هَاصِرٍ أَجُوفِ

شعر كعب في إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف:

قال ابن إسحق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف:

لَقَدْ خَزَيْتُ بِغَذْرَتِهَا الْحُبُورَ^(١) كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ عَزِيزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَقَدْ أَوْقُوا مَعَا فَهَمًا وَعِلْمًا وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ التَّنْذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أَذَى كِتَابًا وَآيَاتٍ مُبَيِّنَةٌ تُنِيرُ
فَقَالُوا: مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ وَأَنْتَ بِمَنْكَرٍ مَثًا جَدِيرُ
فَقَالَ: بَلَى لَقَدْ أَذِنْتُ حَقًّا يُصَدِّقُنِي بِهِ الْقَهْمُ الْخَبِيرُ
فَمَنْ يَتَّبِعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجَزَّ الْكَفُورُ
فَلَمَّا أَشْرَبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا وَحَادَ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ الثُّفُورُ
أَرَى اللَّهَ النَّبِيَّ بِرَأْيٍ صِدْقٍ وَكَانَ اللَّهُ يَخْكُكُمْ لَا يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ نَصِيرُهُ نِعَمَ النَّصِيرِ

وكان يقال: مَنْ قَالَ: إِنْ حَاتَمَا أَسْمَحَ الْعَرَبُ، فَقَدْ ظَلَمَ عُرْوَةَ بْنَ الْوَزْدِ، قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: وَكَانَ عُرْوَةُ يَتَرَدَّدُ عَلَى بَنِي النَّصِيرِ، فَيَسْتَقْرِضُهُمْ إِذَا احتاجَ، وَيَبِيعُ مِنْهُمْ إِذَا غَنِمَ، فَرَأَوْا عَنْده سَلَمَى، فَأَعَجَبْتَهُمْ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهَا، مِنْهُمْ فَأَبَى فَسَقَوْهُ الْخَمْرَ، وَاحتالوا عَلَيْهِ، حَتَّى ابْتاعوها مِنْهُ، وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ:

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَلَّفُونِي عِدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ

(١) الحبور: جمع حبر، وهو العالم اليهودي.

فَذَلَّتْ بَعْدَ مَضْرَعِهِ النَّضِيرِ
بِأَيْدِينَا مُشْهَرَّةٌ ذُكُورِ
إِلَى كَغِبٍ أَخَا كَغِبٍ يَسِيرِ
وَمَخْمُودٌ أَخُو ثِقَّةٍ جَسُورِ
أَبَارَهُمْ^(١) بِمَا اجْتَرَمُوا الْمُبِيرِ
رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرِ
عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرِ
وَحَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبَ وَزُورِ
لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرِ
وَعُودَرٍ مِنْهُمْ نَخْلٌ وَدُورِ

فَعُودِرٍ مِنْهُمْ كَغِبٌ صَرِيْعًا
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثُمَّ وَقَدْ عَلَنَتْهُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا
فَمَا كَرِهَ فَانْزَلَهُ بِمَكْرِ
فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيرِ بَدَارِ سَوْءِ
عُدَاةٍ أَنَاهُمْ فِي الزَّخْفِ رَهْوَ^(٢)
وَعَسَّانَ الْحُمَاةَ مُوَازِرُوهُ
فَقَالَ السَّلَامُ وَيَحْكُمُ فَصَدُّوا
فَنَذَّاقُوا غِبَّ أَمْرِهِمْ وَبَالًا
وَأَجَلُّوا عَامِدِينَ لَقَيْتُقَاعَ

شعر سَمَّاكَ فِي الرَّدِّ عَلَى كَعْبٍ :

فَأَجَابَهُ سَمَّاكَ الْيَهُودِيُّ ، فَقَالَ :

بَلَيْلٍ غَيْرُهُ لَيْلٌ قَصِيرُ
وَكُلُّهُمْ لَهُ عِلْمٌ خَبِيرُ
بِهِ التَّوْرَةُ تَنْطِقُ وَالزُّبُورُ
وَقَدْ مَأْكَانَ يَأْمَنُ مَنْ يُجِيرُ

أَرِقْتُ وَضَافَنِي هَمٌّ كَبِيرُ
أَرَى الْأَخْبَارَ تُنَكِّرُهُ جَمِيعًا
وَكَانُوا الدَّارِسِينَ لِكُلِّ عِلْمٍ
قَتَلْتُمْ سَيِّدَ الْأَخْبَارِ كَغِبًا

وَرُوي أَيْضًا أَنَّ قَوْمَهَا افْتَدَوْهَا مِنْهُ ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَا تَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا ، وَلَا تَفَارِقُهُ ، فَاخْتَارَتْ قَوْمَهَا ، فَندَمَ ، وَكَانَ لَهُ مِنْهَا بَنُونَ ، فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ امْرَأَةً مِنَ الْقَرْبِ أَرْحَتْ سِتْرًا عَلَى بَعْلِ مِثْلِكَ أَغْضَ طَرْفًا ، وَلَا أَتَذَى كَفًّا وَلَا أَغْنَى غِنَاءً ، وَإِنَّكَ لَرَفِيعُ الْعِمَادِ^(٣) ، كَثِيرُ الرَّمَادِ^(٤) ، خَفِيفٌ عَلَى ظَهْوَرِ الْخَيْلِ ، ثَقِيلٌ عَلَى مُتُونِ الْأَعْدَاءِ ، رَاضٍ لِلْأَهْلِ وَالْجَارِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ عَنِكَ أَهْلِي ، لَوْلَا أَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ بَنَاتِ عَمِّكَ يَقْلُنَ : فَعَلْتُ أَمَةً عُرْوَةً ، وَقَالَ : أَمَةُ عُرْوَةٍ ، فَأَجَدُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهِ لَا يَجَامِعُ وَجْهِي وَجْهَ عَطْفَانِيَّةٍ أَبَدًا ، فَاسْتَوْصِ بِبَنِيكَ

(٢) رَهْوًا : يسير سيرًا خفيًا.

(١) أَبَارَهُمْ : أهلكهم.

(٣) رفيع العمداد : قيل رفيع النسب.

(٤) كثير الرماد : كناية عن الكرم ، لكثرة ما يطبخ في الدار . وانظر حديث أم زرع في البخاري ومسلم وغيرهما.

تَدَلَّى نَحْوَ مُحَمَّدٍ أَخِيهِ وَمُحَمَّدٌ سَرِيرَتَهُ الْفُجُورُ
فَغَادَرَهُ كَأَن دَمًا نَجِيعًا يَسِيلُ عَلَى مَدَارِعِهِ عَبِيرُ
فَقَدْ وَأَبْيَكُم وَأَبِي جَمِيعًا أُصِيبَتْ إِذْ أَصِيبَ بِهِ النَّضِيرُ
فَإِنْ نَسَلَمَ لَكُمْ نَتْرَكَ رِجَالًا بَكَغَبٍ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ تَدُورُ
كَأَنَّهُمْ عَتَائِرُ يَوْمِ عِيدٍ تُذْبَحُ وَفِي لَيْسَ لَهَا نَكِيرُ
بِإِيضٍ لَا ثَلِيْقٌ لَهُنَّ عَظْمًا صَوَافِي الْحَدِّ أَكْثَرُهَا ذُكُورُ
كَمَا لَا قَيْتُمْ مِنْ بَاسٍ صَخْرٍ بِأَخْذِ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرُ

شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني النضير:

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير:

لَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا رَأَيْتَ خِلَالَ الدَّارِ مَلْهَى وَمَلْعَبَا
فَإِنَّكَ عَمْرِي هَلْ أُرِيكَ ظَعَائِنَا سَلَكْنَ عَلَى رُكْنِ الشُّطَاةِ فَتِيَابَا
عَلِيهِنَّ عَيْنٌ مِنْ ظَبَاءِ تَبَالَةٍ أَوَانِسُ يُصْبِغِينَ الْحَلِيمَ الْمُجْرِبَا
إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَ فُجَاءَةً لَهُ بِوُجُوهِ كَالِدَنَانِيرِ مَرْحَبَا
وَأَهْلًا فَلَا مَمْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنَا أَنْ تُؤْتَبَا
فَلَا تَحْسَبْنِي كُنْتُ مَوْلَى ابْنِ مِشْكَمٍ سَلَامٌ وَلَا مَوْلَى حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَا

شعر خوات في الرد على ابن مرداس:

فأجابه خوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال:

تُبَكِّي عَلَى قَتْلَى يَهُودَ وَقَدْ تَرَى مِنْ الشُّجُو لَوْ تَبْكِي أَحَبَّ وَأَقْرَبَا
فَهَلَّا عَلَى قَتْلَى بَبْطُنٍ أُرَيْنِقَ بَكَيْتَ وَلَمْ تُغَوِّ مِنَ الشُّجُو مُسْهَبَا
إِذَا السُّلَمُ دَارَتْ فِي صَدِيقِ رَدَدَتَهَا وَفِي الدِّينِ صَدَادًا وَفِي الْحَرْبِ تَغْلَبَا
عَمَدَتْ إِلَى قَدَرِ لِقَوْمِكَ تَبْتَغِي لَهُمْ شَبَهًا كَيْمَا تَعَزَّ وَتَغْلَبَا

خَيْرًا، قال: ثم تزوجها بعده رجل من بني النضير، فسألها أن تُثني عليه في نادي قومه، كما أثنت على عُرْوَةَ، فقالت: اغفني، فإني لا أقول إلا ما علمته، فأبى أن يُغفِيها، فجاءت حتى وقفت على النادي، وهو فيه، فقالت: عَمُوا صَبَاحًا، ثم قالت: إن هذا أَمَرَنِي أَنْ أَثْنِي عَلَيْهِ بِمَا عَلِمْتُ فِيهِ، ثم قالت له: وَاللَّهِ إِنْ شَمَلْتِكَ لَا التِّقَافَ، وَإِنْ شُرْبِكَ لَا شَتِيفَافَ، وَإِنْ

لمن كان عَيْبًا مدْحُه وتَكْذُبا
ولم تُلَفْ فيهم قائلًا لك مَرْحبا
تَبَنُّوا مِنَ الْعِزِّ الْمُؤَثَّلِ مَنْصِبا
ولم يُلَفْ فيهم طالبُ العُزفِ مُجْدبا
تراهم وفيهم عِزَّةُ المَجْدِ تُرْتِبا

فإنَّكَ لَمَّا أَنْ كَلِيفْتَ تَمْدَحًا
رَحَلْتَ بِأَمْرِ كُنْتَ أَهْلًا لِمِثْلِهِ
فَهَلَّا إِلَى قَوْمِ مُلُوكٍ مَدَحْتَهُم
إِلَى مَعْشَرٍ صَارُوا مُلُوكًا وَكُتِرُوا
أولئك أُخْرَى مِنْ يَهُودَ بِمَذْحَةٍ

شعر ابن مرداس في الرد على خوات:

فأجابه عباس بن مرداس السلمي، فقال:

لهم نَعَمَ كانت من الذَّهْرِ تُرْتِبا
وقومك لو أدَّوا من الحقِّ مُوجِبا
وأوفَّقُ فعلاً للذي كان أَضُوبَا
لِيَبْلُغَ عِزًّا كان فيه مُرْكِبا
وقَتْلَهُمَ للجُوعِ إذ كنتَ مُجْدِبا
وأعْرِضْ عَنِ الْمَكْرُوهِ مِنْهُمْ وَتَكْبا
لَأَلْفَيْتَ عَمَّا قَدْ تَقُولُ مُنْكَبا
يُقَالُ لبَاغِي الْخَيْرِ أَهْلًا وَمَرْحِبا

هَجَوْتُ صَرِيحَ الْكَاهِنَيْنِ وَفِيكُمْ
أولئك أُخْرَى لو بَكَيْتَ عَلَيْهِمُ
من الشُّكْرِ إِنَّ الشُّكْرَ خَيْرٌ مَعْبَةٌ
فَكُنْتُ كَمَنْ أَمْسَى يُقَطِّعُ رَأْسَهُ
فَبَكَ بَنِي هَارُونَ وَاذْكُرْ فَعَالَهُمُ
أَخَوَاتُ أَذِرِ الدَّمْعَ بِالدَّمْعِ وَابْكِيَهُمُ
فإنَّكَ لو لَاقَيْتَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ
سِرَاعٌ إِلَى الْعَلْيَا كَرَامٌ لَدَى الْوَعَى

ضَجَعَتْكَ لَا أَنْجَعَا، وإنَّكَ لَتَشِيعَ لَيْلَةً تُضَافُ، وتَنَامُ لَيْلَةً تَخَافُ، فقال له قومه: قد كنتَ في غَنَى عن هذا، وفيها يقول عُزُوءُ بنُ الْوَزْدِ^(١):

لِبَرْقٍ فِي تِهَامَةٍ مُسْتَطِيرٍ
يَحُورُ رِيَابِهِ حُورُ الْكَسِيرِ
إِذَا حَلَّتْ مُجَاوِزَةُ السَّرِيرِ
وَأَهْلَكَ بَيْنَ أُمْرَةٍ وَكَبِيرِ
مَحَلُّ الْحَيِّ أَسْفَلَ ذِي النُّقِيرِ
مُعَرَّسًا فَوَيْقَ بَنِي النُّضِيرِ

أَرَفْتُ وَضَخْبَتِي بِمَضِيقِ عُمُقٍ
إِذَا قُلْتُ اسْتَهِلَّ عَلَى قَدِيدِ
سَقَى سَلَمَى، وَأَيَّنَ مَحَلُّ سَلَمَى
إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ
ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ أُمِّ وَهَبٍ
وَأَخْرُ مَفْهَدٍ مِنْ أُمِّ وَهَبٍ

(١) انظر الأغاني للأصبهاني (٧٥/٣) مع بعض النقص والتغير.

شعر لكعب أو ابن رواحة في الرد على ابن مرداس:

فأجابه كعب بن مالك، أو عبد الله بن رواحة، فيما قال ابن هشام، فقال:

لَعَمْرِي لَقَدْ حَكَّتْ رَحَى الْحَرْبِ بَعْدَ	أَطَارَتْ لُؤْيًا قَبْلَ شَرْقَا وَمَغْرِبَا
بَقِيَّةَ آلِ الْكَاهِنَيْنِ وَعِزَّهَا	فَعَادَ ذَلِيلًا بَعْدَمَا كَانَ أَغْلَبَا
فَطَاحَ سَلَامٌ وَابْنُ سَغِيَةِ عَثْوَةٌ	وَقِيدَ ذَلِيلًا لِلْمَنَايَا ابْنُ أَخْطَبَا
وَأَجْلَبَ يَنْبَغِي الْعِزِّ وَالذَّلُّ يَنْبَغِي	خِلَافَ يَدَيْهِ مَا جَنَى حِينَ أَجْلَبَا
كَتَارَكَ سَهْلَ الْأَرْضِ وَالْحَزْنَ هَمُّهُ	وَقَدْ كَلَنَ ذَا فِي النَّاسِ أَكْدَى وَأَصْعَبَا
وَشَأْسٌ وَعِزَالٌ وَقَدْ صَلَبَا بِهَا	وَمَا عُيْبَا عَنْ ذَاكَ فِيمَنْ تَعَيَّبَا
وَعَوْفٌ بَنَ سَلَمَى وَابْنُ عَوْفٍ كِلَاهُمَا	وَكَعْبُ رَئِيسُ الْقَوْمِ حَانَ وَخَيَّبَا
فُبُعْدًا وَسُخْقًا لِلنَّصِيرِ وَمِثْلَهَا	إِنْ أَعْقَبَ فَتُحَّ أَوْ إِنْ اللَّهُ أَعْقَبَا

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: ثم غزا رسول الله ﷺ بعد بني النضير بني المصطلق. وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحق فيه.

وَقَالَتْ: مَا تَشَاءُ، فَقُلْتُ: أَلَهُو	إِلَى الْإِصْبَاحِ آثَرَ ذِي أُثِيرِ
بِأَيِّسَةِ الْحَدِيثِ رُضَابٌ فِيهَا	بُعَيْدُ الثُّومِ كَالْعِنَبِ الْعَصِيرِ
أَطَغَتْ الْأَمِيرِينَ بِصَرْمِ سَلَمَى	فَطَارُوا فِي بِلَادِ الْيَسْتَعُورِ
سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْتَفُونِي	عِدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ
وَقَالُوا لَيْسَتْ بَعْدَ فِدَاءٍ سَلَمِ	بِمُغْنٍ مَا لَدَيْكَ وَلَا فَقِيرِ
وَلَا وَأَبِيكَ لَوْ كَالْيَوْمِ أَمْرِي	وَمَنْ لَكَ بِالتَّدْبِيرِ فِي الْأُمُورِ
إِذَا لَمَلَكْتَ عِضْمَةً أَمْ وَهَبِ	عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ
فِيَا لِلنَّاسِ كَيْفَ غَلَبْتُ نَفْسِي	عَلَى شَيْءٍ وَيَكْرَهُهُ ضَمِيرِي

قوله: السرير موضع في ناحية كنانة، وقوله: الْيَسْتَعُور: هو موضع قبل حرّة المدينة، فيه عِضَاهُ مِنْ سَمَرٍ وَطَلْحٍ، وقال أبو حنيفة: الْيَسْتَعُورُ شَجَرٌ يُسْتَاكُ بِهِ، يَنْبُتُ بِالسَّرَاةِ، وَالْيَسْتَعُورُ أَيْضًا مِنْ أَسْمَاءِ الدَّوَاهِي، وَالْيَاءُ فِي الْيَسْتَعُورِ أَصْلِيَّةٌ، فَهَذَا شَرَحَ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ عَمْرٍو، وَإِنَّمَا هِيَ أُمُّ وَهَبٍ كَمَا تَكَرَّرَ فِي شِعْرِهِ.

غزوة ذات الرقاع^(١) في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى، ثم غزا نجدًا محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، ويقال: عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام.

لِمَ سَمِيَتْ بِذَاتِ الرَّقَاعِ؟

قال ابن إسحاق: حتى نزل نخلًا، وهي غزوة ذات الرقاع.

قال ابن هشام: وإنما قيل لها: غزوة ذات الرقاع، لأنهم رقعوا فيها راياتهم، ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع.

قال ابن إسحاق: فلقي بها جمعًا عظيمًا من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضًا حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس.

غزوة ذات الرقاع

وسُمِيَتْ ذات الرقاع، لأنهم رقعوا فيها راياتهم في قول ابن هشام، قال: ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها: ذات الرقاع، وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود، وبقع بيض، كأنها مرقعة برقاع مختلفة، فسميت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك العزاة، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري، قال: «خرجنا مع النبي - ﷺ - في عزاة، ونحن ستة نفر بيننا بغير نعتيقه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدامي، وسقطت أظفاري، فكنا نلث على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، فحدث أبو موسى بهذا، ثم كره ذلك، فقال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه»^(٢).

(١) انظر الواقدي (٣٩٥/١) الطبري (٥٥/٢) البداية والنهاية (٨٣/٤) الطبقات (٤١/١/٢) الكامل (٦٦/٢) الدلائل (٣٦٩/٣) المنتظم (٢١٤/٣) النويري (١٥٨/١٧) السيرة الحلبية (٣٥٣/٢) ابن حزم (١٨٢) الاكتفاء (١٥٢/٢) عيون الأثر (٧٢/٢) البخاري (١١٣/٥) ومسلم (١٧/١٢ - نووي) الزاد (٢٥٠/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥/٧) ومسلم (١٨/٦).

صلاة الخوف

قال ابن هشام: حدّثنا عبد الوارث بن سعيد الثُّورِيّ - وكان يُكنى: أبا عُبيدة - قال: حدّثنا يونس بن عُبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، عن جابر بن عبد الله في صلاة الخَوْف، قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ بطائفة ركعتين ثم سَلِمَ، وطائفة مُقبلون على العدو. قال: فجاءوا فصلّى بهم ركعتين أخريين، ثم سَلِمَ.

قال ابن هشام: وحدّثنا عبد الوارث، قال: حدّثنا أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: صَفَّنَا رسولُ الله ﷺ صفَّين، فركع بنا جميعاً، ثم سجد رسولُ الله ﷺ، وسجد الصفّ الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم، ثم تأخّر الصفّ الأول، وتقدّم الصفّ الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي ﷺ بهم جميعاً ثم سجد النبي ﷺ وسجد الذين يلونه معه، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم، فركع النبي ﷺ بهم جميعاً، وسجد كلّ واحد منهما بأنفسهم سجّدتين.

صلاة الخوف^(١)

فصل: وذكر صلاة الخوف، وأوردها من طُرُقٍ ثلاثٍ، وهي مَزْوِيَّةٌ بصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ أكثر مما ذكر. سمعت شيخنا أبا بكر - رحمه الله - يقول: فيها سِتُّ عَشْرَةَ روايةً، وقد خرج المصنفون أصحّها، وخرّج أبو داود منها جُمْلَةً، ثم اختلف الفقهاء في التَّرْجِيح، فقال طائفة: يعمل منها بما كان أشبه بظاهر القرآن، وقالت طائفة: يُجْتَنَذُ في طَلَبِ الآخر منها، فإنه الناسخ لما قبله، وقالت طائفة: يُؤْخَذُ بأصحّها نقلاً، وأعلها رُوَاةً، وقالت طائفة - وهو مذهب شيخنا: يُؤْخَذُ بجميعها على حَسَبِ اختلاف أحوال الخَوْف، فإذا اشتدّ الخوف، أُخِذَ بِأيسرها مُؤَنَّةً، فإذا تفاقم الخوف صَلُّوا بغير إمام لِقَبْلَةٍ أو لغير قبله، وقد رَوَى ابنُ سَلَامٍ عن طائفة من السَّلَفِ أن صَلَاةَ الخوف، قد تَوَوَّلَ إلى أن تكونَ أَرْبَعُ تكبيراتٍ، وذلك عند مَغَمَّةِ القتال، وسيأتي بقيّة القول في صلاة الخوف في خَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ إن شاء الله، ومما تخالف به صلاةُ الخوفِ حُكْمُ غيرها أنه لا سَهْوٌ فيها على إمام، ولا على مأوم رواه الدارقطني بسند ثابت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا سَهْوٌ في صَلَاةِ الخَوْفِ»^(٢).

(١) انظر أبو داود (١٢٣٦) بتحقيقي. والنسائي (١٧٧/٣) وأحمد (٦٠/٥٩/٤). والتخريج السابق أيضاً. وانظر الفتح (٣٣٥/٦) والزاد (٢٥٢/٣).

(٢) أخرجه الدارقطني (٣٧٧/١) بتحقيقي.

قال ابن هشام: حَدَّثَنَا عبد الوارث بن سعيد الثَّوْرِي قال: حَدَّثَنَا أيوب عن نافع، عن ابن عمر، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوهم، فيركع بهم الإمام وَيَسْجُدُ بهم، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة، ويسجد بهم، ثم تصلي كل طائف بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة، وصلُّوا بأنفسهم ركعة ركعة.

هَمَّ غُورْثُ بْنُ الْحَارِثِ بِقَتْلِ الرَّسُولِ:

قال ابن إسحق: وَحَدَّثَنِي عمرو بن عُبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله: «أن رجلاً من بني مُحارب، يقال له: غُورْث، قال لقومه من غطفان ومُحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيفُ رسول الله ﷺ في حجره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم - وكان مُحلّى بفضة، فيما قال ابن هشام - قال: فأخذه فاستلّه، ثم جعل يهزه، ويهمم فيكِبته الله، ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: «لا، ولا أخاف منك؟» قال: أما تخافني وفي يدي السيف، قال: «لا، يَمْنَعُنِي الله منك». ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ، فردّه عليه^(١). قال: فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن إسحق: وَحَدَّثَنِي يزيد بن رومان: أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش، أخي بني النضير وما هم به، فالله أعلم أي ذلك كان.

قصة جمل جابر

قال ابن إسحق: وَحَدَّثَنِي وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ من نخل، على جَمَلٍ لي ضعيف، فلما قفل

رفع المنصوب

فصل: وذكر حديث جابر حين أبطأ به جملة فَتَخَسَّه النبي ﷺ - نَحْصَاتٍ، فخرج

(١) أخرجه مسلم (٥٧٦) وأحمد (٣٦٤/٣) والطبري في تاريخه (٨٦/٢) وابن سعد في الطبقات (٤٤/١/٢) والبيهقي في الدلائل (٣٧٥/٣) وأبو نعيم في الدلائل (٦٢/١). مع اختلاف. وإسناد ابن إسحق فيه ضعف.

رسول الله ﷺ، قال: جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلف، حتى أدركني رسول الله ﷺ، فقال: «ما لك يا جابر؟» قال: قلت: يا رسول الله، أبطأني جملي هذا؛ قال: «أنخه»؛ قال: فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ؛ ثم قال: «أعطني هذه العصا من يدك، أو أقطع لي عصا من شجرة»؛ قال: ففعلت. قال: فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات، ثم قال: «اركب»، فركبت، فخرج والذي بعثه بالحق، يواهي ناقته مواهقة.

قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ، فقال لي: «أتبينني جملك هذا يا جابر؟» قال: قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك؛ قال: «لا، ولكن يغنيه»، قال: قلت: فسمنيه يا

يواهي ناقته مواهقة. المواهقة كالمسابقة، والمجاراة، وأنشد سيويه لأوس بن حجر:

تَوَاهِي رِجْلَاهَا يَدَاهَا وَرَأْسُهُ لَهَا قَتَبٌ خَلَفَ الْحَقِيبَةَ رَادِفُ

رَفَعَ يَدَاهَا وَرِجْلَاهَا رَفَعَ الْفَاعِلُ، لأن المواهقة، لا تكون إلا من اثنين، فكل واحد منهما فاعل في المعنى كما ذكروا في قول الراجز:

قَدْ سَالَمَ الْحَيَّاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا الْأَفْعَوَانَ وَالشُّجَاعَ الشُّجَعَمَا

[وذا قَرْنَيْنِ ضَمُورًا ضِرْزِمًا^(١)]

هكذا تأوله سيويه، ولعل هذا الشاعر كان من لغته أن يجعل التثنية بالالف في الرفع والنصب والخفض كما قال:

تَرْوَدُ مِثْلًا بَيْنَ أَذْنَاهُ طَغْنَةً دَعْنَهُ إِلَى هَابِي الثُّرَابِ عَقِيمَ

وكما قال الآخر:

قَدْ بَلَعْنَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَهَا

وهي لغة بني الحارث بن كعب، قاله أبو عبيد. وقال النحاس في الكتاب المُنْع: هي أيضًا لغة الْخُفَمِ وَطَيْئٍ وَأَبْطُنٍ مِنْ كِنَانَةَ، والبيت أعني: تَوَاهِي رِجْلَاهَا يَدَاهَا، هو لأوس بن حجر الأسدي، وليس ممن هذه لغته، فالبيت إذاً على ما قاله سيويه.

مساومة جابر في جملة وما فيه من الفقه^(٢):

وذكر مساومة النبي ﷺ لجابر في الجمل، حتى اشتراه منه بأوقية، وأنه أعطاه أولاً دِزْهَمًا، فقال: لا إذا تغبني يا رسول الله؛ فإن كان أعطاه الدِزْهَمَ مازحًا، فقد كان يمزح،

(٢) انظر الحديث في البخاري (١٣٢/٣).

(١) الضرم: المسنة.

رسول الله؛ قال: «قد أخذته بدرهم»؛ قال: قلت: لا، إذن، تَغِينِي يا رسول الله! قال: «فِدرهمين»؛ قال: قلت: لا. قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية. قال: فقلت: أفقد رضىت يا رسول الله؟ قال: «نعم»؛ قلت: فهو لك، قال:

ولا يقول إلا حقًا، فإذا كان حقًا، ففيه من الفقه إباحة المكايسة الشديدة في البيع، وأن يُعطي في السلعة ما لا يشبه أن يكون ثمنًا لها ينص الحديث، وفي دليله أن من اشترى سلعة بما لا يشبه أن يكون لها ثمنًا، وهو عاقل بصير، ولم يكن في البيع تدليس عليه، فهو بين ماض لا رجوع فيه، وزوي من وجه صحيح أنه كان يقول له كلما زاد له درهمًا قد أخذته بكذا والله يغير لك، فكانه عليه السلام أراد بإعطائه إياه درهمًا درهمًا أن يكثر استغفاره له، وفي جمل جابر هذا أمور من الفقه سوى ما ذكرنا، وذلك أن طائفة من الفقهاء احتجوا به في جواز بيع وشرط^(١)، لأن النبي - ﷺ - شرط له ظهره إلى المدينة، وقالت طائفة: لا يجوز بيع وشرط، وإن وقع فالشرط باطل، والبيع باطل^(٢)، واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن جد أبيه عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي - ﷺ - «نهى عن شرط وبيع، وعن بيع وسلف»^(٣).

شعيب لا يروي عن أبيه وإنما عن جدّه:

وقد روى أبو داود هذا الحديث، فقال: عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن أبيه محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عمرو.

وهذه رواية مستغرنة عند أهل الحديث جدًا، لأن المعروف عندهم أن شعيبًا إنما يروي عن جدّه عبد الله، لا عن أبيه محمد لأن أباه محمدًا مات قبل جدّه عبد الله، فقف على هذه التنبيه في هذا الحديث، فقل من تنبه إليها، وقالوا: حجة في حديث جابر لما فيه من الاضطراب، فقد روي أنه قال: أفقرني ظهره إلى المدينة، وروي أنه قال: استثنيت ظهره إلى المدينة، وروي أنه قال: شرط لي ظهره، وقال البخاري: الاشتراط أكثر وأصح، وكذلك اضطربوا في الثمن، فقالوا: يغيته منه بأوقية، وقال بعضهم: بأربع أواق، وقال بعضهم: بخمس أواق، وقال بعضهم: بخمسة دنانير، وقال بعضهم: بأربعة دنانير، وقال بعضهم: هو في معنى الأوقية، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخاري، وقال مسلم في بعض رواياته: دينارين ودرهمين، وقالت طائفة بإبطال الشرط، وجواز البيع، واحتجوا بحديث بريرة حين

(١) وهو مذهب أحمد والبخاري. (٢) وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي.

(٣) «باطل». قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى (٦٣/١٨). وانظر السلسلة الضعيفة للعلامة الألباني حفظه الله تعالى وأمتع به (٤٩١).

«قد أخذته». قال: ثم قال: «يا جابر، هل تزوجت بعد؟» قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أَتَيْبًا أَمْ بِكَرًا؟» قال: قلت: لا، بل تَيْبًا؛ قال: «أَفَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ!» قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي أصيب يوم أُحُدٍ وترك بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا، فَكَفَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً، تَجْمَعُ رُؤُوسَهُنَّ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ؛ قال: «أَصَبْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَتُحَرَّتْ، وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَاكَ، وَسَمِعْتَ بِنَا، فَتَقَضَّضْتَ نِمَارِقَهَا» قال: قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نِمَارِقٍ؛ قال: «إِنهَا سَتَكُونُ، فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتَ فَاعْمَلْ عَمَلًا كَيْسًا». قال: فلما جِئْنَا صِرَارًا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَزُورٍ فَتُحَرَّتْ، وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ فلما أَمَسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ وَدَخَلْنَا، قال: «فَحَدَّثْتُ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ»، وما قال لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قالت: فدُونكَ، فسمع وطاعة. قال: فلما أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ، فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى أَنْخَتَهُ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قال: ثم جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ، قال: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَى الْجَمَلَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»

باعها أهلها من عائشة، واشتروا الولاء فأجاز النبي ﷺ البيع وأبطل الشرط، واستغفل مالك هذه الأحاديث أجمع، فقال: بإبطال البيع والشرط على صورة، وبجوازها على صورة أخرى، وبإبطال الشرط وجواز البيع على صورة أيضًا، وذلك بين في المسائل لمن تدبرها، وأبين ما توجد مُحْكَمَةُ الْأَصُولِ مُسْتَنْمَرَّةَ الْجَنَّةِ وَالْفُضُولِ فِي كِتَابِ الْمَقْدَمَاتِ لِابْنِ رُشْدٍ، فليَنظُرْهَا هُنَاكَ مَنْ أَرَادَهَا^(١).

الحكمة من مساومة النبي لجابر:

فصل: ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن تَعَلَّمَ قَطْعًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - لم يكن يَفْعَلُ شَيْئًا عَبَثًا بل كانت أفعاله مَفْرُونَةً بِالْحِكْمَةِ وَمُؤَيَّدَةً بِالْعِصْمَةِ، فاشتراؤه الجمل من جابر ثم أعطاه الثمن، وزاده عليه زيادة، ثم رَدَّ الجمل عليه، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك الْعَطَاءَ دُونَ مُسَاوَمَةٍ فِي الْجَمَلِ، وَلَا اشْتِرَاءٍ وَلَا شَرْطٍ وَلَا تَوْصِيلٍ، فَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ بِدِيْعَةٍ جَدًّا، فَلْتَنْظُرْ بَعِيْنَ الْاِعْتِبَارِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَأَلَهُ: هَلْ تَزَوَّجْتَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلَا بِكَرًا، فَذَكَرَ لَهُ مَقْتَلَ أَبِيهِ، وَمَا خَلَّفَ مِنَ الْبَنَاتِ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَخْبَرَ جَابِرًا أَنَّ اللَّهَ، قَدْ أَحْيَا أَبَاهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ رُوحَهُ، وَقَالَ: مَا تَشْتَهِي فَأَزِيدُكَ، فَأَكَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْخَبَرَ بِمِثْلِ مَا يُشَبِّهُهُ، فَاشْتَرَى مِنْهُ الْجَمَلَ، وَهُوَ مَطِيئَتُهُ، كَمَا اشْتَرَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَبِيهِ، وَمِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْفُسَهُمْ بِثَمَنِ هُوَ الْجَنَّةُ، وَنَفْسُ الْإِنْسَانِ مَطِيئَتُهُ، كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِنْ نَفْسِي

(١) انظر بداية المجتهد (١٣٢/٢).

قالوا: يا رسول الله، هذا جمل جاء به جابر، قال: «فأين جابر؟» قال: فدُعِيتُ له، قال: فقال: «يا ابن أخي خُذْ برأس جملك، فهو لك، ودَعَا بِإِلَآءٍ، فقال له: اذهب بجابر، فاعطه أُوقِيَّةً» قال: فذهبت معه، فأعطاني أُوقِيَّةً، وزادني شيئاً يسيراً. قال:

مَطِئَتِي، ثم زادهم زيادةً فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ثم رَدَّ عليهم أَنفُسَهُم التي اشترى منهم فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية، فأشار عليه السلام باشتراؤه الجمل من جابر وإعطائه الثمن وزادته على الثمن، ثم رَدَّ الجمل المُشْتَرَى عليه، أشار بذلك كُلُّهُ إلى تأكيد الخبر الذي أَخْبَرَ به عن فعل الله تعالى بأبيه، فتشاكل الفعلُ مع الخبر، كما تراه، وحاش لأفعاله أن تخلو من حِكْمَةٍ، بل هي كلها نَاطِرَةٌ إلى القرآنِ ومُنْتَزَعَةٌ منه ﷺ.

سياقه الحديث عن عمرو بن عبيد:

فصل: وَحَدَّثَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ جَابِرٍ، وَذَكَرَ حَدِيثَ غَوْرَثٍ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فَقَالَ فِيهِ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ، فَقَالَ فِيهِ: إِنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِقَتْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - رَمَى بِالزُّلْحَةِ فَنَدَرَ السِّيفُ مِنْ يَدِهِ، وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ. الزُّلْحَةُ: وَجَعٌ يَأْخُذُ فِي الصُّلْبِ، وَأَمَّا رِوَايَتُهُ الْحَدِيثَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ فَأَعْجَبُ شَيْءٍ سَبَّاقَتْهُ إِيَّاهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، وَقَدْ رَوَاهُ الْأَثْبَاتُ عَنْ جَابِرٍ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ مُتَّفَقٌ عَلَى وَهْنِ حَدِيثِهِ، وَتَرَكَ الرِّوَايَةَ عَنْهُ، لَمَّا اشْتَهَرَ مِنْ بِدْعَتِهِ، وَسُوءِ نَخْلَتِهِ، فَإِنَّهُ حُجَّةُ الْقَدَرِيَّةِ، فِيمَا يُسَيِّدُونَ إِلَى الْحَسَنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ، وَقَدْ بَرَّاهُ اللَّهُ مِنْهُ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا، وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ بَنُ دَأْبٍ، فَقَدْ كَانَ عَظِيمًا فِي زَمَانِهِ عَالِي الرُّتْبَةِ فِي الْوَرَعِ، حَتَّى افْتَنَّ بِهِ، وَبِمَقَالَتِهِ أُمَّةٌ فَصَارُوا قَدَرِيَّةً، وَقَدْ نُبِزَ بِمَذْهَبِهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، فَلَمْ يَسْقُطْ حَدِيثُهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجَادِلُوا عَلَى مَذْهَبِهِمْ، وَلَا طَعَنُوا فِي مُخَالِفِهِمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، كَمَا فَعَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ. فَمِمَّنْ نُبِزَ بِالْقَدَرِ ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ وَقَتَادَةُ وَدَاوُدُ بْنُ الْحُصَيْنِ وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَطَائِفَةٌ سِوَاهُمْ مِنَ الْأَثْبَاتِ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ يُكْنَى أَبُو عَثْمَانَ وَأَبُوهُ عُبَيْدُ بْنُ دَأْبٍ كَانَ صَاحِبَ شُرْطَةٍ فِيمَا ذَكَرُوا وَسَمِعَ يَوْمًا نَاسًا فِي ابْنِهِ هَذَا خَيْرُ النَّاسِ ابْنُ شَرِّ النَّاسِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: وَمَا يَعْجِبُكُمْ مِنْ هَذَا؟ هُوَ كِإِبْرَاهِيمَ وَأَنَا كَأَزَرَ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ، يَقُولُ بَعْدَ مَوْتِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ: مَا بَقِيَ أَحَدٌ يُسْتَحْيَا مِنْهُ بَعْدَ عَمْرُو، وَكَانَ يَقُولُ:

كُلُّكُمْ خَاتِلٌ صَنِيدٌ كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْدٌ غَيْرَ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ

وقد نُبِزَ ابْنُ إِسْحَاقَ بِالْقَدَرِ أَيْضًا، وَرِوَايَتُهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ تُؤَيِّدُ قَوْلَ مَنْ عَزَاهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فوالله ما زال يَنْمِي عندي، ويُرى مكانه من بيتنا، حتى أُصيب أمس فيما أُصيب لنا، يعني يوم الحرّة.

وقعة الحرّة وموقف الصحابة منها:

فصل: وذكر قول جابر فوالله ما زال يَنْمِي عندنا، ويُرى مكانه من بيتنا حتى أُصيب فيما أُصيب منا يوم الحرّة يعني: وَقَعَة الحرّة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يَدَي مُسْلِم بن عُقْبَة المُرِّي الذي يُسَمِّيهِ أَهْلُ المدينة مُسْرِف بن عُقْبَة، وكان سببها أن أَهْلَ المدينة خَلَعُوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مَرْوَانَ بن الحَكَم وبَنِي أُمَيَّة، وأَمَرُوا عليهم عبد الله بن حَنْظَلَة العَسِيل الذي عَسَلَتْ أَبَاهُ الملائكة يوم أُحُد، ولم يوافق على هذا الخَلْع أَحَدٌ من أَكابر الصَّحَابَة الذين كانوا فيهم. رَوَى البخاري أن عبد الله بن عمر لما أَرْجَف أَهْلُ المدينة بيزيد دعا بنيه ومَوَالِيَهُ، وقال لهم: إِنَّا قد بايعنا هذا الرجلَ على بَيْعَةِ الله وَبَيْعَةِ رسوله، وإنه والله لا يبلغني عن أَحَدٍ منكم أنه خَلَعَ يَدًا من طاعته إلا كانت الفَيْصَلُ بيني وبينه، ثم لَزِمَ بيته، ولزم أبو سَعِيد الخُدْرِي بيته، فدخل عليه في تلك الأيام التي انْتَهَبَتْ المدينة فيها، ف قيل له: من أنت أيها الشيخ؟ فقال: أنا أبو سعيد الخدري صاحب النبي - ﷺ - فقالوا له: قد سمعنا خَبَرَكَ، وَلِنَعْمَ ما فعلتَ حين كَفَفْتَ يَدَكَ، وَلَزِمْتَ بَيْتَكَ، ولكن هَاتِ المال، فقال قد أَخَذَهُ الَّذِينَ دَخَلُوا قَبْلَكُمْ عَلَيَّ، وما عندي شيء، فقالوا: كَذَبْتَ وَتَتَّقُوا لِحَيَّتِهِ، وأخذوا ما وجدوا حتى صُوفَ الفَرَشِ، وحتى أخذوا زوجين من حَمَامٍ كان صبيانه يلعبون بهما. وأما جابر بن عبد الله الذي كُنَّا بِمَسَاقِ حديثه، فخرج في ذلك اليوم يطوف في أَرْقَةِ المدينة والبيوت تَنْتَهَبُ، وهو أَعْمَى، وهو يَغْتَرُّ في القَتْلَى، ويقول: تَعَسَّ مَنْ أَخَافَ رَسُولَ الله ﷺ، فقال له قائل: وَمَنْ أَخَافَ رَسُولَ الله؟ فقال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ أَخَافَ المدينة، فقد أَخَافَ ما بين جَنْبَيْ»^(١)، فحملوا عليه ليقتلوه، فأجاره منهم مَرْوَانُ، وأدخله بيته، وقُتِلَ في ذلك اليوم من وُجُوهِ المهاجرين والأنصار أَلْفٌ وَسَبْعُمِائَةٍ، وقُتِلَ من أَخْلَاطِ الناس عَشْرَةُ أَلْفٍ سَوَى النِّسَاءِ والصُّبْيَانِ، فقد ذكروا أن امرأةً من الأنصار دخل عليها رجلٌ من أَهْلِ الشَّامِ، وهي تُزْضِعُ صَبِيَّهَا، وقد أَخَذَ ما كان عندها، فقال لها: هَاتِ الذَّهَبَ، وَالْأَقْتَلَتِكَ، وَقَتَلْتُ صَبِيَّكَ، فقالت: ويحك إن قتلتَه فأبوه أبو كَبْشَةَ صاحب النبي - ﷺ - وأنا من النسوة اللاتي بايَعْنَ رسولَ الله - ﷺ - وما خُنْتُ الله في شيءٍ بايعتُ رسولَه عليه، فانتَقَضَ الصَّبِيُّ من جِجْرِهَا، وتَذْيِهَا في قَيْتِهِ، وَضَرَبَ به الحائِطَ حتى انْتَرَسَ دماغُه في الأرض والمرأة تقول: يا بُنَيَّ لو كان عندي شيءٌ تُفْدِيكَ به، لفديتك، فما خرج من البيت حتى اسودَّ نصفُ وَجْهِهِ، وصار مُثَلَّةً في الناس.

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٥٤/٣٩٣).

ابن ياسر وابن بشر، وقيامهما على حراسة جيش الرسول وما أصيبا به :

قال ابن إسحاق: وحدثني عمي صدقة بن يسار، عن عقيل بن جابر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ دمًا، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال: «من رجل يكلؤنا ليلتنا (هذه)؟» قال: فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بفم الشعب». قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي، وهما عمار بن ياسر وعبد بن بشر، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب، قال الأنصاري للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيكه: أوله أم آخره؟ قال: بل أكفني أوله، قال: فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريبة القوم. قال: فرمى بسهم فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائماً، قال: ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه. قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت، قال: فوثب، فلما راهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب، قال: ولما رأى المهاجري ما

قال المؤلف: وأحسب أن هذه المرأة جدّة للصبي، لا أمّا له، إذ يبعد في العادة أن تباع النبي عليه السلام، وتكون يوم الحرّة في سنّ من تُرضع. والحرّة التي يُعرف بها هذا اليوم يقال لها: حرّة زهرة، وفي الحديث أن النبي - ﷺ - وقف بها، وقال: لَيَقْتُلَنَّ بهذا المكان رجالاً هم خيار أمتي بعد أصحابي، ويذكر عن عبد الله بن سلام، أنه قال: لقد وجدت صفتها في كتاب يهود بن يعقوب الذي لم يدخله تبديل، وأنه يقتل فيها قوم صالحون يحيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم، وذكر الحديث. وعرفت حرّة زهرة بقرية كانت لبني زهرة قوم من اليهود، وكانت كبيرة في الزمان الأول، ويقال: كان فيها ثلاثمائة صائغ، ذكر هذا الزبير في فضائل المدينة له: وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين، وقد كان يزيد بن معاوية قد أعذر إليهم فيما ذكروا، وبذل لهم من العطاء أضعاف ما يُعطي الناس واجتهد في استمالتهم إلى الطاعة، وتحذيرهم من الخلاف، ولكن أبى الله إلا ما أراد، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون: ﴿تِلْكَ أُمّةٌ قد خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ ولكم ما كَسَبْتُمْ ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا ألهبْتَنِي أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أجب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع علي الرمي ركعت فأذنتك، وأيم الله، لولا أن أضيق ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها.
قال ابن هشام: ويقال: أنفذها.

رجوع الرسول:

قال ابن إسحق: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً.

غزوة بدر الآخرة^(١) في شعبان سنة أربع

خروج الرسول:

قال ابن إسحق: ثم خرج في شعبان إلى بدر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزل.

استعماله ابن أبي على المدينة:

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري.

معنى الربيعة:

فصل: وذكر حديث^(٢) الأنصاري والمهاجري، وهما عبّاد بن بشر، وعمّار بن ياسر، وأن رجلاً من العدوّ رمى الأنصاري بسهم، وهو يصلي لما علم أنه ربيعة القوم. الربيعة هو الطليعة، يقال: ربأ على القوم يزبأ فهو ربأ وربيعة قال الشاعر [الهذلي]:

رَبَاءَ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقُلَّتِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَالْأَوْبُ وَالسَّبَلُ

قرباء: فعّال من ربأ إذا نظر من مكان مرتفع، وشمأ، يريد هضبة شمأ، وإنما قالوا: ربيعة بهاء التانيث، وطليلة؛ لأنهما في معنى العين، والعين مؤنثة، تقول: ثلاث أغين، وإن كانوا رجالاً، يعني الطلائع، لأن الطليعة والربيعة إنما يَراد منه عينه الناطرة، كما تقول في ثلاثة أعبد: اعتقت ثلاث رقاب، فتوثت، لأن الرقبة تزجمة عن جميع العبد، كما أن العين

(١) انظر الطبري (٤١/٣) ابن سيد الناس (٥٣/٢) المواهب (٩٣/٢) ابن سعد في الطبقات (٥٩/٢) الزاد (٢٥٥/٣).

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة (١٩٨ - بتحقيقي) وأحمد (٣٤٤/٣).

رجوع أبي سفيان في رجاله:

قال ابن إسحق: فأقام عليه ثمانِي ليالي ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجَنَّة، من ناحية الظَّهران، وبعض الناس يقول: قد بلغ عُسْفان، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصب تزعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جذب، وإني راجع، فارجعوا فرجع الناس. فسامهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق.

الرسول ومخشي الضمري:

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده فأتاه مخشي بن عمرو الضمري، وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجنث للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: «نعم، يا أخا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك ردنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالذك حتى يحكم الله بيننا وبينك»، قال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك منك من حاجة.

الذي هو الطليعة كذلك، ويجوز أن تكون الهاء في ربيته وطليعة للمبالغة، كما هي في علامة ونسابة، فعلى الوجه الأول تقول: ثلاث طلائع، وثلاث ربايا في جمع ربيته، كما تقول: ثلاث أعين، لأنه باب واحد من التانيث، وإذا كانت الهاء للمبالغة قلت: ثلاثة وأربعة، لأنك تقصد التذكير، لأن هاء المبالغة لا توجب تانيث المسمى، ولأنها في الصفة، والصفة بعد الموصوف؛ ولذلك تقول: هذا علامة، ولا تقول: هذه علامة بخلاف الرقبة والعين، لأنك تقول في العبد الذكر: هذه رقبة فاغثها، وفي العين: هذه طليعة، وهذه عين، وأنت تعني الرجل. هذا معنى الفرق بينهما.

فقه الحديث:

وفي هذا الحديث من الفقه صلاة المجروح وجرحه يثعب دما، كما فعل عمر بن الخطاب، وقد ترجم بعض المصنفين عليه لموضع هذه الفقه، وفيه متعلق لمن يقول: إن غسل النجاسة، لا يعد في شروط صحة الصلاة، وفيه من الفقه أيضا تعظيم حزمة الصلاة، وأن للمصلي أن يمتدأ عليها، وإن جر إليه ذلك القتل، وتفويت النفس، مع أن التعرض لقوات النفس، لا يحل إلا في حال المحاربة، ألا ترى إلى قوله: لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها، يعني: السورة التي كان يقرأها.

معبد وشعره في ناقة للرسول هوت

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سُفيان، فمرَّ به مَعْبُدُ بن أبي مَعْبِد الخُزاعي، فقال، وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به .

قد نَفَرْتُ مِنْ رُفْقَتِي مُحَمَّدٍ وَعَجْوَةٌ مِنْ يَثْرِبٍ كَالْعَنْجَبِ
تَهْوِي عَلَى دِينَ أَبِيهَا الْأَثْلَدِ قَدْ جَعَلْتُ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
وماء ضَخْنان لها ضَحَى الْعَدِ

شعر لابن رواحة أو كعب في بدر:

وقال عبدُ الله بن رَوَاحَة في ذلك - قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري
لكعب بن مالك:

وَعَدْنَا أبا سُفْيَانَ بَدْرًا فَلَمْ نَجِدْ لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا
فَأَقْسِمَ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقَيْتَنَا لَأَبْتَ دَمِيمًا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا
تَرَكْنَا بِهِ أَزْوََالَ عُثْبَةَ وَابْنَهُ وَعَمْرًا أبا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفْ لَدِينَكُمْ وَأَمْرُكُمُ السَّيِّئُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَلِإِنِّي وَإِنْ عَثُفْتُمُونِي لِقَائِلٌ فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطْعَمْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بَعْغِيرَهُ شِهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

شعر حسان في بدر

وقال حسان بن ثابت في ذلك:
دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جَلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ^(١)

حول رجز معبد وشعر حسان وأبي سُفيان

وذكر قول مَعْبِد:

وعجوة من يثرب كالْعَنْجَبِ

الْعَنْجَبُ: حَبُّ الزَّرْبِيبِ، وقد يقال للزبيب نفسه أيضًا عَنْجَبٌ، وأما الْعِنْبُ، فيقال: لِعِجْمِهِ: الْفِرْصَدُ. وَالْأَثْلَدُ: الْأَقْدَمُ مِنَ الْمَالِ التَّلِيدِ.

وأما قول حسان:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ.....

(١) الموارك: جوانب القوس من مجرى الوتر.

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم
إذا سلكت للعُور من بطنِ عالِج
أقمنا على الرُّس النُّزوع ثمانيا
بكلِّ كَمِيتِ جَوْزِهِ نَضَفَ خَلْفَهُ
تَرَى العَرَفِجَ^(١) العامي تَدْرِي أَصُولَهُ
فإن تَلَقَّ في تَطَوُّافِنَا والتماسنا
وإن تَلَقَّ قَيْسَ بنِ امرئ القَيْسِ بعده
فأبْلَغَ أبا سُفْيَانَ عَثِي رسالةً
وأنصاره حَقًّا وأيدي الملائك
فقُولَا لَهَا ليس الطَّرِيقُ هُنَالِكَ
بأزَعَنَ جَرَّارٍ عَرِيضَ المَبَارِكِ
وَقُبُّ طَوَالٍ مُشْرِفاتِ الحَوَارِكِ
مَناسِمُ أخفافِ المَطِيِّ الرُّوَاتِكِ^(٢)
فَرَاتَ بنِ حَيَّانٍ يَكُنْ رَهَنَ هَالِكِ
يُزْدُ في سَوَادٍ لَوْنُهُ لَوْنُ حَالِكِ
فإنَّكَ مِن عَرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ

شعر أبي سُفْيَانَ في الردِّ على حَسَّان

فأجابه أبو سُفْيَانَ بنُ الحارثِ بن عبد المطلب، فقال:

أَحْسَانُ إِنَّا يَا ابْنَ آكِلَةِ الفَعَا^(٣)
خَرَجْنَا وما تَنْجُو اليَعافِيرُ^(٤) بَيْنَنَا
إذا ما انبَعَثْنَا مِن مُنَاخٍ حَسِبْتَهُ
أَقَمْتَ على الرُّسِ النُّزوعَ تُرِيدُنَا
على الزُّرْعِ تَمَشِي خَيْلُنَا وَرِكَابُنَا
وَجَدَكَ نَغْتَالِ الحُرُوقَ كَذَلِكَ
ولو وَالَتْ مَنَا بِشَدِّ مُدَارِكِ
مُدْمَنُ أَهْلِ المَوَسِمِ المُمْتَعَارِكِ
وتَتْرُكُنَا في النُّخْلِ عِنْدَ المَدَارِكِ
فَمَا وَطِئْتَ أَلْصَقْنَهُ بِالذِّكَادِكِ

جمعُ فَلَجٍ، وهو الماء الجاري، سُمِّيَ فَلَجًا، لأنه قد خَدَّ في الأرضِ، وفرَّقَ بين
جانبيه مَأْخُودٌ مِن فَلَجِ الأَسْنَانِ، أو من الفَلَجِ وهو القَسْمُ، والفَالِجُ مِكْيَالٌ يُقَسَّمُ بِهِ، والفَلَجُ
والفَالِجُ بَعِيرٌ ذُو سَنَامَيْنِ، وهو من هذا الأصل، ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال: الفلجة
المزرعة.

وذكر شعر أبي سُفْيَانَ:

أَحْسَانُ إِنَّا يَا ابْنَ آكِلَةِ الفَعَا

الفَعَا: ضرب من التَّمَرِ، ويقال: هي غَبَرَةٌ تَعْلُو، البُسْرَ، والعَقَالِغَةُ في الفَعَا.

(٢) الرواتك: البعير يمشي بطيئا.

(٤) اليعافير: الغزلان.

(١) العرفج: رمال لا طريق فيها.

(٣) الفعا: التمر قبل أن ينضج.

أَقْمَنَّا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ بَجَزْدِ الْجِيَادِ وَالْمَطِيِّ الرُّوَاتِكِ
 حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ عِنْدَ قِبَابِهِمْ كَمَا خَذِكُمْ بِالْعَيْنِ^(١) أَزْطَالَ أَنْكَ^(٢)
 فَلَا تَبْعُثِ الْخَيْلَ الْجِيَادَ، وَقُلْ لَهَا عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُغْصِمِ الْمَتَمَاسِكِ
 سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلُهَا فَوَارِسُ مَنْ أَبْنَاءُ فَهْرٍ بِنِ مَالِكِ
 فَإِنَّكَ لَا فِي هَجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا وَلَا حُرْمَاتِ الدِّينِ أَنْتَ بِنَاسِكَ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: بَقِيَتْ مِنْهَا أَيْيَاتُ تَرْكِنَاهَا. لَقُبِحَ اخْتِلَافُ قَوَافِيهَا. وَأَنْشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ
 الْأَنْصَارِيُّ هَذَا الْبَيْتَ:

خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَاْفِيرُ بَيْنَنَا

وَالْبَيْتَ الَّذِي بَعْدَهُ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي قَوْلِهِ:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا

وَأَنْشَدَنِي لَهُ فِيهَا بَيْتُهُ: «فَأَبْلُغْ أَبَا سُفْيَانَ».

وفيه:

كَمَا خَذِكُمْ بِالْعَيْنِ أَزْطَالَ أَنْكَ

أَلْفَيْتُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي حَاشِيَةِ أَبِي بَحْرِ مَا هَذَا نَصُهُ: ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ فِي
 الطَّبَقَاتِ لَهُ هَذَا الْبَيْتَ:

حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ حَوْلَ بُيُوتِكُمْ كَمَا خَذِكُمْ فِي الْعَيْنِ أَزْطَالَ أَنْكَ

وَوَصَلَ بِهِ بِأَن قَالَ: فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَزْبٍ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ: يَا ابْنَ أَخِي:
 لَمْ جَعَلْتَهَا أَنْكَ إِنْ كَانَتْ لَفِضَةً بَيِّضَاءَ جَيِّدَةً.

وقوله:

سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلُهَا

وَفِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ: شَقِيتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ أَهْلُ ذِكْرِهَا.

وقوله:

خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَاْفِيرُ بَيْنَنَا

الْيَعَاْفِيرُ: الظُّبَاءُ الْعُفْرُ يَرِيدُ أَنَّهُمْ لِكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ لَا تَنْجُوا مِنْهُمْ الْيَعَاْفِيرُ.

(٢) أَنْكَ: مَتَأَلَمَ.

(١) الْعَيْنُ: أَيُّ الْمَالِ الْحَاضِرِ.

غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام من مقدم رسول الله ﷺ بها أشهرًا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل.

قال ابن هشام: في شهر ربيع الأول، واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِيِّ.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيدًا، فأقام بالمدينة بقية سنته.

غزوة دومة الجندل^(١)

قال أبو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ: سميت دومة الجندل بدومي بن إسماعيل، كان نزلها.

(١) انظر الواقدي (٤٠٢/١) الطبري (٥٦٤/٢) البداية (٩٢/٤) الطبقات (٤٤/١/٢) ابن حزم (١٨٤) النويري (١٦٢/١٧) أنساب الأشراف (١٦٤/١) المنتظم (٢١٥/٣) السيرة الحلبية (٣٦٢/٢) الشامية (٣٨٤/٤) الدلائل (٣٨٩/٣) عيون الأثر (٧٥/٢) الزاد (٢٥٦/٣) ابن سيد الناس (٥٤/٢) شرح المواهب (٩٤/٢ - ٩٥).

غزوة الخندق في شوال سنة خمس

تاريخها:

حدَّثنا أبو محمد بن عبد الملك بن هشام: قال: حدَّثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحق المطلبي، قال: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

اليهود تحرض قريشاً:

فحدَّثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير، ومَن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظي، والزُّهري، وعاصم بن عمر بن

غزوة الخندق^(١)

وَحَفَرُ الخَنْدَقِ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ مَكَايِدِ الْفُرْسِ وَخُرُوبِهَا، وَلِذَلِكَ أَشَارَ بِهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَأَوَّلُ مَنْ خَنْدَقَ الْخَنَادِقَ مِنْ مُلُوكِ الْفُرسِ فِيمَا ذَكَرَ الطَّبْرِي «مِنْوِشَهْرُ بْنُ أَبِيجَ بْنِ أَفْرِيدُونٍ وَقَدْ قِيلَ فِي أَفْرِيدُونٍ: إِنَّهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَكْثَرُهُمْ يَقُولُ فِيهِ: هُوَ ابْنُ أَثَقِيَّانَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ آلَةَ الرُّمِي، وَإِلَى رَأْسِ سِتِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ بُعِثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْكَمَائِنِ فِي الْحُرُوبِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ فَعَلَهَا بُخْتَنْصَرُ فِي قَوْلِ الطَّبْرِي.

(١) انظر البداية (٩٢/٤) الطبري (٥٦٤/٢) الكامل (٧٠/٢) الطبقات (٧٤/١/٢) الواقدي (٤٤٠/٢) إمتاع الأسماع (٢١٧/١) المنتظم (٢٢٧/٣) الاكتفاء (٣٨/٢) عيون الأثر (٧٦/٢) الزاد (٢٦٩/٣) السيرة الحلبية (٤٠١/٢) الشامية (٥١٢/٤) النوري (١٦٦/١٧) والدلائل (٣٩٢/١٣) البخاري (١٠٧/٥) ومسلم (١٤٥/١٢ - نووي).

فَتَادَة، وعبد الله بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض، قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود، منهم: سلام بن أبي الحَقِيقِ النَّضْرِي، وخِيسِي بن أَخْطَبِ النَّضْرِي، وَكِنانة بن أبي الحَقِيقِ النَّضْرِي، وهُوْدَةُ بن قيس الوائلي، وأبو عَمَّارِ الوائلي، في نفر من بني النَّضِيرِ، ونَفَرٌ من بني وائِل، وهُم الذين حَزَبُوا الأحزابَ على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قَدِمُوا على قُرَيْشِ مَكَّةَ، فدَعَوْهُمْ إلى حَزْبِ رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نَسْتَأْصِلَهُ - فقالت لهم قُرَيْش: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نَخْتَلِفُ فيه نحن ومحمد أَقْدَيْنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ؟ قالوا: بل دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وأنتم أولى بالحق (منه) فَهُم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنِّ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ . . . إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟﴾ أي النبوة، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ .

اليهود تحرّض غطفان:

قال: فلما قالوا ذلك لقُرَيْش، سرّهم ونشطوا لما دَعَوْهُمْ إليه، من حَرْبِ رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له. ثم خرج أولئك النَّفَر من يَهُودَ، حتى جاءوا غَطَفَانَ، من قيس عِيلَانَ، فدَعَوْهُمْ إلى حَرْبِ رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قُرَيْشًا قد تابَعُوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

خروج الأحزاب من المشركين

قال ابن إسحاق: فخرجت قُرَيْش، وقائدها أبو سُفْيَان بن حَزْب؛ وخرجت غَطَفَان، وقائدها عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بَذَر، في بني فَرَازَةَ؛ والحارث بن عَوْف بن أبي

وذكر تحزيب بني قُرَيْظَةَ الأحزاب، ونَسَب طائفة من بني النَّضِيرِ، فقال فيهم النَّضْرِي، وهكذا تقيد في النسخة العتيقة، وقياسه: النَّضِيرِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ قَوْلِهِمْ: تَقْفِي وَتَقْرِي، وهو خارج عن القياس، وإنما يقال: فَعَلِي فِي النَّسَبِ إِلَى فَعِيلَةٍ.

عينه بن حصن

وذكر قائد غَطَفَانَ يوم الأحزاب، وهو عُيَيْنَةُ بن حِصْن، واسمه حُذَيْفَةُ، وَسُمِّي: عُيَيْنَةُ

حارثة المُرِّي، في بني مُرَّة؛ ومُسعر بن رُخيلة بن ثويرة بن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن زَيْث بن عَطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع.

حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين:

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، صَرَبَ الحَنْدَقَ على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ تَزَغِيًّا للمسلمين في الأجر، وعَمَلَ معه المسلمون فيه، فَدَأَبَ فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين، وجعلوا يُوزَوْنَ بالضعيف من العمل ويتسلَّلون إلى أهلهم بغير عِلْمٍ من رسول الله ﷺ، ولا إذن، وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابته النائبة، من الحاجة التي لا بدَّ له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في الحقوق بحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبةً في الخير، واحتسابًا له.

ما نزل في حق العاملين في الخندق:

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير، والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

ثم قال تعالى، يعني المنافقين الذين كانوا يتسلَّلون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

لِشَرِّ كَانَ بَعِيْنُهُ، وهو الذي قال فيه عليه السلام: «الْأَحْمَقُ الْمُطَاعُ»، لأنه كان من الجَرَّارِينَ تَتَّبَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ قَتَاوَةٍ، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ وَدَّعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»^(١)، وفي رواية أخرى: أنه قال: «إِنِّي أَدَارِيهِ، لِأَنِّي أَخْشَى أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ خَلْقًا كَثِيرًا»، وفي هذا بيان معنى الشَّرِّ الذي اتَّقَى منه، وكان دخل على النبي ﷺ بغير إذن، فلما قال له:

(١) أخرجه البخاري (١٦/٨) ومسلم في البر والصلة (٧٣) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٤).

تفسير بعض الغريب:

قال ابن هشام: اللّواذ: الاستار بالشيء عند الهرب، قال حسان بن ثابت:
وَقُرْنِشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَاذًا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَ مِنْهَا الْحُلُومُ
وهذا البيت في قصيدة له قد ذكرتها في أشعار يوم أُحُد.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

قال ابن إسحاق: من صدق أو كذب.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْبُتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

المسلمون يرتجزون في الحفر:

قال ابن إسحاق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جُعِيل، سمّاه رسول الله ﷺ: عَمْرًا، فقالوا:

سَمَاءَ مَنْ بَعْدَ جُعِيلِ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا

فإذا مرّوا «بعمرو» قال رسول الله ﷺ: «عمرًا»، وإذا مرّوا «بظهر» قال رسول الله ﷺ: «ظهرًا».

الآيات التي ظهرت في حفر الخندق:

قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ، وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون.

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث: أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كُذْيَةٌ، فشكّوها إلى رسول الله - ﷺ - فدعا بإناء من ماء، فتقل فيه، ثم دعا بما

«أين الإذن؟» قال: ما استأذنت على مُضَرِّي قبلك، وقال: ما هذه الحُمَيْرَاءُ معك يا محمد؟ فقال: «هي عائشة بنت أبي بكر»، فقال: طَلَّفَهَا، وأنزل لك عن أُمِّ البنين، في أمور كثيرة تذكر من جفائه، أسلم، ثم ارتد، وآمن بطلّيحَة حين تنبأ وأخذ أسيرًا، فأتى به أبو بكر رضي الله عنه أسيرًا، فَمَنَّ عليه، ولم يزل مُظْهَرًا للإسلام على جَفَوْتِهِ وَعُنْجُهَيْتِهِ وَلُؤْنَةِ أَغْرَابِيَّتِهِ حتى مات. قال الشاعر:

وإني على ما كان من عُنْجُهَيْتِي ولؤْنَةِ أَغْرَابِيَّتِي لأديبُ

شاء الله أن يَدْعُو به، ثم نَضَح ذلك الماء على تلك الكُذْيَةِ، فيقول من حضرها: فوالذي بَعَثه بالحق نبيًا، لانهاالت حتى عادت كالثيب، لا ترد فأسًا ولا مِسْحَاة.

قال ابن إسحاق: وحدثني سَعِيد بن مِينَا أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ ابْنَةَ لَبْشِير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، قالت: دَعَنِي أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ، فَأَعْطَتْنِي حَفَنَةً مِنْ تَمَرٍ فِي ثَوْبِي، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بُنْيَةٍ، أَذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِغَدَائِهِمَا، قَالَتْ: فَأَخَذْتُهَا، فَانْطَلَقْتُ بِهَا، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْتَمِسُ أَبِي وَخَالِي؛ فَقَالَ: «تَعَالَى يَا بُنْيَّةُ مَا هَذَا مَعَكَ؟» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا تَمَرٌ، بَعَثَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ، وَخَالِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَتَغَدَّيَانِهِ؛ قَالَ: «هَاتِيه»؛ قَالَتْ: فَصَبَّبْتُهُ فِي كَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا مَلَأْتُهُمَا، ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فُبَسَطَ لَهُ، ثُمَّ دَحَا بِالتَّمَرِ عَلَيْهِ، فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ، ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ عِنْدَهُ: «اصْرُخْ فِي أَهْلِ الْخَنْدَقِ: أَنَّ هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ»، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَجَعَلَ يَزِيدُ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ.

قال ابن إسحاق: وحدثني سَعِيد بن مِينَا، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ، فَكَانَتْ عِنْدِي شُوبْهَةٌ، غَيْرَ جَدِّ سَمِينَةٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ قَالَ: فَأَمَرْتُ أَمْرَاتِي، فَطَحَنْتُ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ، فَصَنَعْتُ لَنَا مِنْهُ خَبْزًا، وَذَبَحْتُ تِلْكَ الشَّاةَ، فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَلَمَّا أُمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِنْصِرَافَ عَنِ الْخَنْدَقِ - قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارَنَا، فَإِذَا أُمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوبْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ خَبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ فَأَحَبُّ أَنْ تُنْصَرَفَ مَعِيَ إِلَى مَتْرَلِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يُنْصَرَفَ مَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ أَمَرَ صَارِخًا فَصَرَخَ: أَنْ أَنْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ؛ قَالَ: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ. قَالَ: فَبَرَكَ وَسَمِيَ (اللَّهُ)، ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَا فَرِغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا.

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثْتُ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْخَنْدَقِ، فَتَلَأَطْتُ عَلَيَّ صَخْرَةً، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيبٌ مِنِّي؛ فَلَمَّا رَأَيْتِي أَضْرِبُ وَرَأَيْتُ شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيَّ، نَزَلْتُ فَأَخَذْتُ الْجِغُولَ مِنْ يَدَيَّ، فَضَرَبْتُ بِهِ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْجِغُولِ بَرَقَةٌ،

وَذَكَرَ حَلْمَةُ الْحَلَمَقِ، وَأَنَّهُ عَرَضَتْ لَهُ صَخْرَةٌ، وَوَقَعَ فِي غَيْرِ السَّيْرِ عَبْلَةً وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّمَاءُ، وَجَمْعُهَا عِبَلَاتٌ، وَيُقَالُ لَهَا: الْعِبْلَاءُ وَالْأَعْبَلُ أَيْضًا، وَهِيَ صَخْرَةٌ بِيضَاءُ.

قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى؛ قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى. قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: «أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟» قال: قلت: نعم؛ قال: «أما الأول فإن الله فَتَحَ عليَّ بها اليمن؛ وأما الثانية فإن الله فَتَحَ عليَّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح عليَّ بها المشرق».

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول، حين فُتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده: افتتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتهم من مدينة ولا تَفْتَحُونَهَا إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك.

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياك من رومة، بين الجُرُفِ وزَغَابَةِ في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن

البرقات التي لمعت:

وذكر أنه لَمَعَتْ له من تلك الصخرة برقة بعد برقة، وخَرَجَ النَّسَوِيُّ من طريق البراء بن عازبٍ بآثمٍ مما وقع في السيرة، قال: لما أمرنا رسول الله ﷺ - أن نُخْرِجَ الْخَنْدَقَ عَرْضَ لَنَا حَجْرًا لَا يَأْخُذُ فِيهِ الْمَعُولُ، فَأَخَذَ الْمَعُولُ، وقال: «بسم الله»، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ، وقال: «الله أكبر أُعْطِيتُ مِفَاتِيحَ الشَّامِ، والله إني لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْخَمَرِ مِنْ مَكَانٍ هَذَا»، قال: ثم ضَرَبَ أُخْرَى، وقال: «بسم الله»، وكسَرَ ثُلُثًا آخَرَ، قال: «الله أكبر أُعْطِيتُ مِفَاتِيحَ فَارِسَ، والله إني لأُبْصِرُ قُصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ الْآنَ»، ثم ضرب ثالثة، وقال: «بسم الله»، فَقَطَعَ الْحَجَرَ، وقال: «الله أكبر أُعْطِيتُ مِفَاتِيحَ الْيَمَنِ، والله إني لأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ [من مكاني هذا الساعة]^(١)». وقوله: «فَأَسَا وَلَا مِسْحَاةً». الْمِسْحَاةُ: مِفْعَلَةٌ مِنْ سَحَوْتُ الطِّينَ، إِذَا قَشَرْتَهُ، وَيُقَالُ لِحَدِّ الْفَأْسِ وَالْمِسْحَاةِ: الْغُرَابُ، وَلِنَصْلَيْهِمَا: الْفِعَالُ بِكَسْرِ الْفَاءِ، قَالَه أَبُو عُبَيْدٍ فِي حَدِيثِ سَلْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ التَّهْدِي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ ضَرَبَ فِي الْخَنْدَقِ قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ بَدِينَا وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا حَبِذَا رَبًّا وَحَبِذَا دِينَا

تحقيق اسم زغابة:

وقوله: حتى نزلوا بين الجُرُفِ وزَغَابَةِ. زَغَابَةُ اسْمٌ مَوْضِعٌ بِالْغَيْنِ الْمُنْقُوطَةِ وَالزَّي

(١) أخرجه أحمد (٣٠٣/٤) وابن أبي شيبة (٤٢٢/١٤) والبيهقي في الدلائل (٤٢١/٣).

تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ يَهَامَةَ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقْمَى، إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ. وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ، حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبَ هُنَاكَ عَسْكَرَهُ، وَالْحَنْدُقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: وأمر بالذَّارِي والنِّسَاءَ فُجِعُوا فِي الْآطَامِ.

تحريض حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ لَكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ:

وخرج عدو الله حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ، حَتَّى أَتَى كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ الْقُرْظِي، صَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَعَهْدَهُمْ، وَكَانَ قَدْ وَاذَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ، وَعَاقَدَهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَاهَدَهُ؛ فَلَمَّا سَمِعَ كَعْبُ يُحْيِي بِنِ أَخْطَبَ أَغْلَقَ دُونَهُ بَابَ حِصْنِهِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، فَنَادَاهُ حُيَيُّ: وَيَحْكُ يَا كَعْبُ! افْتَحْ لِي، قَالَ: وَيَحْكُ يَا حُيَيُّ! إِنَّكَ امْرُؤٌ مَشُورٌ، وَإِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا، فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَلَمْ أَرْ مِنْهُ إِلَّا وِفَاءً

المفتوحة: وذكره البَكْرِيُّ بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه رُغَابَةٌ بضم الزاي والعين المهملة، وحكي عن الطَّبْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيْنَ الْجُرُفِ وَالْعَابَةِ، وَاخْتَارَ هَذِهِ الرَّوَايَةَ وَقَالَ: لِأَنَّ رُغَابَةَ لَا تُعْرَفُ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَالْأَعْرَفُ عِنْدِي فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ رَوَايَةُ مَنْ قَالَ: رُغَابَةٌ بِالْفَتْحِ الْمَنْقُوطَةِ، لِأَنَّ فِي الْحَدِيثِ الْمُسْتَدَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ فِي نَاقَةِ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ أَغْرَابِي، فَكَافَاهُ بَسِثٌ بَكَرَاتٍ، فَلَمْ يَرْضَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلَا تَتَعْجَبُونَ لِهَذَا الْأَغْرَابِي! أَهْدَى إِلَيَّ نَاقَةً أَغْرَفُهَا بَعِينَهَا، كَمَا أَعْرَفَ بَعْضَ أَهْلِي ذَهَبَتْ مِنِّي يَوْمَ رُغَابَةِ، وَقَدْ كَافَاهُ بَسِثٌ فَسَخَطَ». الْحَدِيثُ، وَقَالَ: «ذَنْبٌ نَقْمٌ وَنَقْمَى مَعًا».

يقتل في الذروة والغارب:

وذكر حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَمَا قَالَ لَكَعْبَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ. هَذَا مَثَلٌ، وَأَصْلُهُ فِي الْبَعِيرِ، يَسْتَضَعِبُ عَلَيْكَ فَتَأْخُذُ الْقِرَادَ مِنْ ذُرْوَتِهِ وَغَارِبِ سِنَامِهِ، وَتَقْتُلُ هُنَاكَ، فَيَجِدُ الْبَعِيرُ لَذَّةَ قِيَاسُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَضَرِبَ هَذَا الْكَلَامُ مَثَلًا فِي الْمُرَاوَضَةِ وَالْمُخَاتَلَةِ، وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ الزُّبَيْرِ حِينَ أَرَادَ عَائِشَةُ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَأَبَتْ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَقْتُلُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ حَتَّى أَجَابَتْهُ. وَقَالَ الْحَطِيطَةُ:

لَعَمْرُكَ مَا قُرَادُ بَنِي بَغِيضٍ إِذَا نَزَعَ الْقُرَادُ بِمُسْتَطَاعٍ
يُرِيدُ: أَنَّهُمْ لَا يُخَدَعُونَ وَلَا يَسْتَدْلُونَ.

وَصِدْقًا؛ قَالَ: وَنَحَكَ افْتَحَ لِي أَكْلَمَكَ؛ قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِ اغْلَقْتَ دُونِي إِلَّا تَخَوَّفْتَ عَلَى جَشِيشتِكَ^(١) أَنْ أَكَلَ مَعَهَا مِنْهَا، فَأَخْفَظَ الرَّجُلَ، فَفَتَحَ لَهُ، فَقَالَ: وَنَحَكَ يَا كَعْبُ، جِئْتُكَ بَعَزَ الدَّهْرِ وَبِخَرِ طَامٍ، جِئْتُكَ بِقُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ بِمُجْتَمَعٍ مِنْ رُومَةٍ، وَبَغَطْفَانٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ بِذَنْبٍ نَقَمَى إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ، قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي عَلَى أَنْ لَا يَبْرَحُوا حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ كَعْبُ: جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذَلِكَ الدَّهْرِ، وَبِجَهَامٍ^(٢) قَدْ هَرَّاقَ مَاءَهُ، فَهُوَ يُرْعِدُ وَيُبْرِقُ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيَحِكُ يَا حُيَيُّ! فَذَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَرْ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً. فَلَمْ يَزَلْ حُيَيُّ بِكَعْبٍ يَفْتَلُهُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ، حَتَّى سَمَحَ لَهُ، عَلَى أَنْ أُعْطَاهُ عَهْدًا مِنْ اللَّهِ وَمِيثَاقًا: لَنْ رَجَعْتُ قُرَيْشٍ وَغَطْفَانٍ، وَلَمْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ أَدْخَلَ مَعَكَ فِي حَصْنِكَ حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ. فَتَقَضَّ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ، وَبَرَّأَ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

التحرّي عن نقض كعب للعهد

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعدَ بن معاذَ بن النعمان، وهو يومئذ سيّد الأوس، وسعدَ بن عبادة بنِي دُلَيْمٍ، أحدَ بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيّد الخزرج ومعهما عبدُ الله بن رَواحة، أخو بني الحارث بن الخزرج، وخَوَاتُ بن جُبَيْرٍ، أخو بني عمرو بن عوف؛ فقال: انطلقوا حَتَّى تَنْتَظِرُوا، أَحَقُّ مَا بَلَّغْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلَا تَقْتُلُوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ.

اللحن^(٣)

وذكر قول النبي - ﷺ - - الْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلَا تَقْتُلُوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ.

اللَّحْنُ: الْعُدُولُ بِالْكَلَامِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ النَّاسِ إِلَى وَجْهٍ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا صَاحِبُهُ، كَمَا أَنَّ اللَّحْنَ الَّذِي هُوَ الْخَطَأُ عُدُولٌ عَنِ الصُّوَابِ الْمَعْرُوفِ.

(١) جشيتك: طعام يُصنع من القمح. (٢) جهام: سحاب لا ماء فيه.

(٣) لحن: اللام والحاء والنون له بناءان يدل أحدهما على إمالة شيء من جهته، ويدل الآخر على الفطنة والذكاء. فأما اللَّحْنُ بسكون الحاء فإمالة الكلام من جهته الصحيحة من العربية يقال: لَحَنَ لَحْنًا. وهذا عندنا من الكلام المولّد؛ لأن اللحن محدث، لم يكن من العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة. والأصل الآخر اللَّحْنُ: وهي الفطنة. يقال: لَحَنَ يَلْحَنُ لَحْنًا وهو لحن ولاحن. مقاييس اللغة (٥/٢٣٩).

قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: مَنْ رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعدُ بن مُعَاذٍ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حِدَّة، فقال له سعدُ بن عَبَّادَةَ: دَع عَنْكَ مُشَاتِمَتَهُمْ، فما بيننا وبينهم أَزْبَى من المُشَاتِمَةِ. ثم أَقبل سَعْدٌ وسَعْدٌ ومن معهما، إلى رسول الله ﷺ، فسَلَّمُوا عليه، ثم قالوا: عَضَلُ وَالْقَارَةُ، أي كغدر عَضَلُ والقارة بأصحاب الرجيع، حُبِيب وأصحابه، فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين».

قال السيرافي: ما عَرَفْتُ حقيقة معنى اللَّحْنِ إِلَّا من معنى اللَّحْنِ الذي هو ضِدُّه، فإن اللَّحْنَ عدول عن طريقِ الصوابِ، واللَّحْوُ قَصْدٌ إلى الصَّوابِ، وأما اللَّحْنُ بفتح الحاء، فأصله من هذا إِلَّا أَنه إِذا لَحَنَ لَكَ لِتَفْهَمَ عنه، ففهمت سُمِّيَ ذلك الْفَهْمَ لَحْنًا، ثم قيل لكل من فَهِمَ قد لَحَنَ بكسر الحاء، وأصله ما ذكرناه من الْفَهْمِ عن اللاحن قال الجاحظ في قول مالك بن أسماء [بن خازجة الفزاري]:

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحَّنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

أراد أَنَّ اللَّحْنَ الذي هو الْخَطَأُ قد يُسْتَمْلَحُ، وَيُسْتَطَابُ من الجارية الحديثة السنِّ، وَخُطِئَ الجاحظُ في هذا التأويل^(١)، وأخبر بما قاله الحجاجُ بن يُوْسُفَ لامرأته: هِنْدُ بنتِ أسماء بن خازجة، حين لَحَنَتْ، فَأَنكر عليها، اللَّحْنَ فَاحتجَّت بقول أخيها مالك بن أسماء:

وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

فقال لها الحجاجُ: لم يُرِدْ أخوك هذا، إنما أراد اللَّحْنَ الذي هو التَّوَرِيَّةُ والأَلْعَازُ، فسكتت، فلما حَدَّثَ الجاحظُ بهذا الحديث، قال: لو كان بلغني هذا قبل أن أُؤَلِّفَ كتابَ الْبَيَانِ ما قلت في ذلك ما قلت، فقليل له: أَفلا تُغَيِّرُهُ؟ فقال: كيف وقد سارت به الْبِغَالُ الشُّهُبُ وَأَنْجَدَ في الْبَلَادِ وَغَارَ.

وكما قال الجاحظ في معنى تَلَحَّنَ أحيانًا قال ابن قتيبة مثله أو قريبًا منه.

وقوله: يَفْتُ في أَعْضَادِ النَّاسِ، أي: يَكْسِر من قُوَّتِهِمْ وَيُوْهِئُهُمْ، وضرب الْعَضْدَ مثلاً، وَالْفَتْ: الْكَسْرُ، وقال: في أَعْضَادِهِمْ ولم يقل: يَفْتُ أَعْضَادَهُمْ، لأنه كنايةٌ عن الرُّغْبِ الدَّخْلِ في الْقَلْبِ، ولم يُرِدْ كَسْرًا حَقِيقِيًّا، ولا الْعَضْدَ الذي هو الْعَضْوُ، وإنما هو عبارة عما يَدْخُلُ في الْقَلْبِ مِنَ الْوَهَنِ، وهو من أَفْصَحِ الْكَلَامِ.

(١) انظر البيان والتبيين (١/١٤٧/٢٢٥).

ظهور نفاق المنافقين واشتداد خوف المسلمين:

وعظم عند ذلك البلاء، واشتدَّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظنٍّ، ونَجِمَ النُّفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعْتَب بن قُشير، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأخذنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

أكان معتب منافقاً؟

قال ابن هشام: وأخبرني من أثق به من أهل العلم: أن مُعْتَب بن قُشير لم يكن من المنافقين، واحتجَّ بأنه كان من أهل بدر.

قال ابن إسحق: وحتى قال أوس بن قَيْظي، أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك عن ملاء من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة. فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة: قريبا من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرَّمْي بالنبل والحِصار.

قال ابن هشام: ويقال الرَّمْيَا.

الهم بعقد الصلح مع غطفان

فلما اشتدَّ على الناس البلاء، بعث رسول الله ﷺ - كما حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري - إلى

وذكر أوس بن قَيْظي، وهو القائل: ﴿إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ﴾^(١) وابنه: عَرَابَةُ بن أوس كان سَيِّداً، ولا صُحْبَةَ له، وقد قيل: له صحبة، وقد ذكرناه فيمن استُصْغِر يوم أُحُدٍ، وهو الذي يقول فيه الشَّمَاخ:

إِذَا مَا رَأَيْتَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ
وَلِعَرَابَةَ أَخٍ اسْمُهُ: كِبَاثَةُ مَذْكُور فِي الصَّحَابَةِ أَيضًا.

مصالحة الأحزاب

فصل: وذكر ما همَّ به النبي ﷺ مِنْ مُصَالَحَةِ الْأَحْزَابِ عَلَى ثُلُثِ تَمْرِ الْمَدِينَةِ، وفيه من الفقه جواز إعطاء المال للعدو، إذا كان فيه نظر للمسلمين وحِياطة لهم، وقد ذكر أبو عبيد

(١) سورة الأحزاب آية رقم (١٣).

عُيِّنَتْهُ بَن حِضْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَذْرِ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّي، وَهَمَا قَائِدَا غَطَفَانَ، فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثَمَارِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَزْجَعَا بَيْنَ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا الصَّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ، وَلَمْ تَقَعْ الشَّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصَّلْحِ، إِلَّا الْمُرَاوَضَةُ فِي ذَلِكَ. فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ، بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ، فَقَالَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرًا نُحِبُّهُ فَتَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمْرُكَ اللَّهُ بِهِ، لَا بَدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: «بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهُ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنْنِي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالْبُوكُم مِّن كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِّنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَيَّ أَمْرًا»؛ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ. وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ثَمَرَةً إِلَّا قَرَىٰ أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ، نُغْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا! (وَاللَّهُ) مَا لَنَا بِهِذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهُ لَا نُغْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفُ حَتَّى يَخْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَنْتَ وَذَاكَ». فَتَنَاولَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ، فَمَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا.

عبور نفر من المشركين الخندق:

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس، أخو بني عامر بن لؤي.

- قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيس -.

قال ابن إسحاق: وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فهر، تلبسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيتوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تغنيق بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

هذا الخبر، وأنه أمر مغمول به، وذكر أن معاوية صالح ملك الروم على الكف عن تغور الشام بمال دفعه إليه، قيل: كان مائة ألف دينار، وأخذ من الروم رهنا، فغدرت الروم، ونقضت الصلح، فلم ير معاوية قتل الرهائين، وأطلقهم، وقال: وفاة بغدر خير من غدر بغدر، قال: وهو مذهب الأوزاعي وأهل الشام ألا تقتل الرهائين، وإن غدر العدو.

سلمان وإشارته بحفر الخندق

قال ابن هشام: يقال: إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ.

وحدثني بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان مئاً؛ وقالت الأنصار: سلمان مئاً، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان مئاً أهل البيت».

مبارزة علي لعمر بن عبد ود

قال ابن إسحق: ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أفتحوا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تغنيق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد؛ فلما كان يوم الخندق خرج مغليماً ليرى مكانه. فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا

سلمان مئاً

وذكر قوله عليه السلام: «سلمان مئاً أهل البيت»^(١) بالنصب على الاختصاص أو على إضمار أعني، وأما الخفض على البذل، فلم يره سيبويه جائزاً من ضمير المتكلم، ولا من ضمير المخاطب، لأنه في غاية البيان، وأجازه الأخفش.

حول مبارزة ابن أذ لعلي

فصل: وذكر خبر عمرو بن أذ العامري، ومبارزته لعلي إلى آخر القصة، ووقع في مغازي ابن إسحق من غير رواية ابن هشام عن البكائي فيها زيادة حسنة، رأيت أن أوردتها هنا تكميلاً للخبر.

قال ابن إسحق: إن عمرو بن أذ خرج فنادى: هل من مبارز؟ فقام علي - رضي الله عنه - وهو مقنع بالحديد، فقال: أنا له يا نبي الله، فقال: «إنه عمرو اجلس»، ونادى عمرو ألا رجل يؤنبهم، ويقول: أين جثثكم التي ترعمون أنه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون لي رجلاً، فقام علي، فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس إنه عمرو»، ثم نادى الثالثة وقال:

ولقد بَحَثْتُ مِنَ النَّدَا ۖ بِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟

(١) أخرجه الحاكم (٥٩٨/٣) والطبراني (٢٦١/٦) والطبري في تاريخه (٩٢/٢) وابن سعد (٥٩/١/٤).

يدعوك رجل من قُريش إلى إحدى خَلَتَيْنِ إلا أخذتها منه، قال له: أَجَل؛ قال له علي: فإنني أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإنني أدعوك إلى النزال، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكنني والله أحب أن أقتلك، فحَمِي عمرو عند ذلك، فاقتَحَمَ عن فرسه، فَعَقَرَهُ، وَضَرَبَ وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي رضي الله عنه. وخرجت خيلهم مُنْهَزِمَةً، حتى اقتحمت من الخندق هاربة.

وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ الْمُشَى جُعَ مَوْقِفَ الْقِرْنِ الْمُتَاجِرِ
وَكُنْذَاكَ إِنْسِي لِمَ أَزُلُّ مُتَسَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِزِ^(١)
إِنْ الشَّجَاعَةُ فِي الْفَتَى وَالْجَوْدُ مِنْ خَيْرِ الْقَرَائِرِ
فَقَالَ عَلِيٌّ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا لَهُ فَقَالَ: «إِنَّهُ عَمْرُو»، فَقَالَ: وَإِنْ كَانَ عَمْرًا، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ - فَمَشَى إِلَيْهِ عَلِيٌّ، حَتَّى أَنَاهُ وَهُوَ يَقُولُ:

لَا تَفْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَا كَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزٍ
ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ وَالصَّدْقُ مُنْجِي كُلِّ فَائِزٍ
إِنْسِي لِأَرْجُو أَنْ أَقْبَلَ يَمَ عَلَيْكَ نَائِحَةُ الْجَنَائِزِ
مِنْ ضَرْبَةٍ تَجْلَاءُ يَبُ قَتَى ذَكَرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزِ

فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: ابْنُ عَبْدٍ مُنَافٍ؟ قَالَ: أَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: غَيْرِكَ يَا ابْنَ أَخِي مِنْ أَعْمَامِكَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَهْرِيقَ دَمَكَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَكْرَهُ أَنْ أَهْرِيقَ دَمَكَ، فَغَضِبَ وَنَزَلَ فَسَلَّ سَيْفَهُ، كَأَنَّهُ شُعْلَةُ نَارٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ عَلِيٍّ مُغْضَبًا، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى فَرَسِهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: كَيْفَ أَقَاتَلُكَ وَأَنْتَ عَلَى فَرَسِكَ، وَلَكِنْ أَنْزِلْ مَعِي، فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ عَلِيٍّ: وَاسْتَقْبَلَهُ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِدَرَقَتِهِ، فَضَرَبَهُ عَمْرُو فِيهَا فَقَذَّهَا وَأَثْبَتَ فِيهَا السَّيْفَ، وَأَصَابَ رَأْسَهُ فَشَجَّهُ، وَضَرَبَهُ عَلِيٌّ عَلَى حَبْلِ الْعَاتِقِ، فَسَقَطَ، وَثَارَ الْعَجَاجُ، وَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ التَّكْبِيرَ، فَعَرَفَ أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ قَتَلَهُ، فَتَمَّ يَقُولُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَعْلَيَّ تَفْتَحِمُ الْفَوَارِسُ هَكَذَا عَنِي وَعَنْهُ أَخْرُوا أَصْحَابِي
فَالْيَوْمَ تَمْنَعُنِي الْفَرَارَ حَفِيفَتِي وَمُصَمَّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِي

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَهَضْتُ رَبِّي مُحَمَّدَ بَصَوَابِي
فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلاً^(١) كَالْجِدْعِ بَيْنَ ذَكَادِكِ^(٢) وَرَوَابِي
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَتَيْتِي كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَرْزِي أَثْوَابِي
لَا تَخْسِبُنَّ اللَّهَ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيَّهُ يَا مَغْشَرَ الْأَخْرَابِ
قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب.

أَدَى عُمَيْرٌ حِينَ أَخْلَصَ صَفْلَهُ صَافِي الْحَدِيدَةِ يَسْتَفِيضُ ثَوَابِي
فَعَدَوْتُ أَلْتَمِسُ الْقَرَاعَ بِمُزْهَفٍ عَظْبٍ مَعَ الْبَشَرَاءِ فِي أَقْرَابِ
قَالَ ابْنُ عَبْدٍ حِينَ شَدَّ أَلِيَّةَ وَخَلَفْتُ فَاسْتَمَعُوا مِنَ الْكَذَّابِ
أَلَّا يَفِرُّ وَلَا يَهْلُلَ فَالْتَفَى رَجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ كُلُّ ضِرَابٍ^(٣)

وبعده: نصر الحجاره إلى آخر الأبيات، إلا أنه روي: عَبَدَ الْحَجَارَةَ، وَعَبَدْتُ رَبِّي مُحَمَّدًا، وَرَوَيْتُ فِي مَوْضِعٍ: وَلَقَدْ بَحِثْتُ: وَلَقَدْ عَجَبْتُ، وَيُرْوَى: فَالْتَقَى أَسْدَانُ يَضْطَرِبَانِ كُلُّ ضِرَابٍ، وفيه إنصاف من علي - رضي الله عنه - لقوله: أَسْدَانُ، ونسبه إلى الشَّجَاعَةِ وَالنَّجْدَةِ: وقوله: أَدَى عُمَيْرٍ إِلَى قَوْلِهِ: ثَوَابِي، أَي: أَدَى إِلَيَّ ثَوَابِي، وَأَحْسَنَ جَزَائِي حِينَ أَخْلَصَ صَفْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ مُتَهَلِّلٌ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلَّا سَلَبْتَهُ دِرْعَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْعَرَبِ دِرْعٌ خَيْرَ مِنْهَا، فَقَالَ: إِنِّي حِينَ ضَرَبْتُهُ اسْتَقْبَلَنِي بِسَوَاتِهِ، فَاسْتَحْيَيْتُ ابْنَ عَمِّي أَنْ أَسْتَلِبَهُ، وَخَرَجْتَ خِيْلُهُمْ مُتَهَرِّمَةً، حَتَّى اقْتَحَمْتُ الْخَنْدَقَ هَارِبَةً، فَمَنْ هُنَا لَمْ يَأْخُذْ عَلَيَّ سَلْبَهُ، وَقِيلَ: تَنَزَّهَ عَنْ أَخْذِهَا، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا قَتَلُوا الْقَتِيلَ لَا يَسْلُبُونَهُ ثِيَابَهُ.

وقول عَمَرُو لِعَلِيٍّ: وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ، زَادَ فِيهِ غَيْرُهُ: فَإِنْ أَبَاكَ كَانَ لِي صَدِيقًا، قَالَ الزَّبِيرُ: كَانَ أَبُو طَالِبٍ يُتَادِمُ مُسَافَرَةَ ابْنِ أَبِي عَمْرٍو، فَلَمَّا هَلَكَ اتَّخَذَ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ نَدِيمًا، فَلِذَلِكَ قَالَ لِعَلِيٍّ حِينَ بَارَزَهُ مَا قَالَ.

(٢) ذَكَادِكُ: الْأَرْضُ الصَّعْبَةُ.

(١) مُتَجَدِّلاً: مَرْمِيًا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٣٢/٣) وَابَيْهَقِيُّ (١٣٢/٩) وَمِنَ الدَّلَائِلِ لَهُ (٤٣٨/٣).

شعر حسان في عكرمة

قال ابن إسحق: وألقى عكرمة بن أبي جهل رُمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رُمَحَهُ لَعَلَّكَ عَكْرِمَ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظَّلِيمِ مَا إِنْ تَجُورُ عَنِ الْمَغِيلِ
وَلَمْ تَلْقَ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنِسًا كَأَنْ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلِ

قال ابن هشام: الفُرْعُل: صغير الضباع، وهذه الأبيات في أبيات له.

شعار المسلمين يوم الخندق:

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: حمّ، لا يُنصرون.

حديث سعد بن معاذ:

قال ابن إسحق: وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري، أخو بني حارثة: أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة. قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن؛ فقالت عائشة: وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فمر سعد وعليه درع له مقلصة، قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربته يزفل بها ويقول:

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

الفرعل

وقول حسان في عكرمة:

كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلِ

الْفُرْعُلُ: وَلَدُ الضَّبْعِ.

وذكر قول سعد:

لَبْتُ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلٌ

هو بيت تمثل به عني به حَمَلٌ بن سَعْدَانَةَ بن حَارِثَةَ بن مَعْقِلِ بن كَعْبِ بن عَلِيٍّ بن جَنَابِ الْكَلْبِيِّ. وقوله: يَزْقُدُ بِالْحَرْبَةِ أَي: يُسْرِعُ بِهَا، يُقَالُ: ارْزُقْ وَأَزْمَدْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. قال ذو الرُّمَّة:

يَزْقُدُ فِي أَثَرِ عَرَاضٍ وَتَتَبَعُهُ صَهْبَاءُ شَامِيَّةٌ عُثُوثُهَا حَصْبُ

قال: فقالت له أمه: الحق: أي بني، فقد والله أخرت؛ قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد، والله لوددت أن دزع سعد كانت أسبغ مما هي، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمي سعد بن معاذ بسهم، فقطع منه الأكل، رماه كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، جبان بن قيس بن العرقعة، أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه، قال: خذها مني وأنا ابن العرقعة، فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تؤمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.

مَنْ قاتل سعد؟

قال ابن إسحاق: وحدثني مَنْ لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجُشمي، حليف بني مخزوم.

يعني الريح.

ابن العرقعة وأم سعد:

وابن العرقعة الذي رمى سعداً هو جبان بن قيس بن العرقعة، والعرقعة هي قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم [بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي] تكتي أم فاطمة، سُميت العرقعة لطيب ريحها، وهي جدة خديجة أم أمها هالة، وجبان هو ابن عبد مناف بن مُنذِب بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لؤي. وأم سعد اسمها: كَبْشَةُ بنت رافع [بن عبيد].

حول اهتزاز العرش:

وحديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه^(١)، وفي بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد مُعْتَجِراً بِعِمَامَةٍ من اسْتَبْرَقٍ، فقال: يا محمد من هذا الميِّت الذي قُتِحَتْ له أبواب السماء، واهتز له العرش؟ وفي حديث آخر: قال عليه السلام: «لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطؤوا الأرض قبلها»، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك، وقال عليه السلام: «لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد»^(٢)، وفي كتاب

(١) أخرجه البخاري (٤٤/٥) ومسلم في فضائل الصحابة (١٢٤) وابن ماجه (١٥٨) والبيهقي في الصفات (٣٩٧ - بتحقيقي) والحاكم (٢٠٦/٣) وغيرهم من غيرهم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٠٦/١٠).

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً لعكرمة بن أبي جهل:

أَعْكِرْمَ هَلَّا لُْمْتَنِي إِذْ تَقُولُ لِي فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدٌ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلْزَمْتُ سَعْدًا مَرِثَةً لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَرَافِقِ عَانِدٌ
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعْوَلْتُ عَلَيْهِ مَعَ الشُّمُطِ الْعَذَّازَى التَّوَاهِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا عُبَيْدَةً جَمْعًا مِنْهُمْ إِذْ يُكَابِدُ
عَلَى حِينٍ مَا هُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرَ مَزْعُوبٍ عَنِ الْقَضْدِ قَاصِدُ
(والله أعلم أي ذلك كان).

قال ابن هشام: ويقال: إن الذي رمى سعدًا خَفَاجَة بن عاصم بن حَبَّان.

الحديث عن جُبْنِ حَسَّان

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال:

الدلائل أن النبي ﷺ جلس على قبر سعد حين وضع فيه، فقال: «سبحان الله لهذا العبد الصالح ضُمَّ في قبره ضَمَّةٌ، ثم فَرَجَ عنه»، وأما ضَغْطَةُ القبر التي ذكر في الحديث، فقد روي عن عائشة - رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، ما انتفعت بشيء منذ سمعتك تذكر ضَغْطَةَ القبر، وضَمَّتَه [وصوتٌ مُنْكَرٌ ونكير] فقال: «يا عائشة، إن ضَغْطَةَ القبر على المؤمن أو قال: ضَمَّةُ القبر على المؤمن كَضَمَّةِ الأُمِّ الشَّقِيقَةِ يَدِيهَا عَلَى رَأْسِ ابْنِهَا، يشكو إليها الصَّدَاعَ، وصوتٌ مُنْكَرٌ ونكير كالْكُخْلِ فِي الْعَيْنِ، ولكن يا عائشة وَزِلْ لِلشَّاكِنِ [في الله] أولئك الذين يُضَغَطُونَ فِي قُبُورِهِمْ ضَغْطُ الْبَيْضِ عَلَى الصَّخْرِ». ذكره أبو سعيد بن الأعرابي في كتاب المعجم^(١).

وذكر ابن إسحاق في رواية [يونس] الشَّيْبَانِي عنه، قال: حدثني أُمَيَّةُ بن عبد الله، قال: قلت لبعض أهل سعد بن مُعَاذٍ: ما بلغكم في هذا، يعني: الضَمَّةُ التي انضَمَّهَا القبرُ عليه؟ قال: كَانَ يُقَصِّرُ فِي بَعْضِ الطُّهُورِ مِنَ الْبَوْلِ بَعْضَ التَّقْصِيرِ.

أكان حَسَّانُ جَبَانًا؟

فصل: وذكر حديث حَسَّان حين جُعِلَ فِي الْأَطَامِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ، وما قالت له صَفِيَّةُ فِي أَمْرِ الْيَهُودِيِّ حِينَ قَتَلْتَهُ، وما قال لها، وَمَحْمَلُ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ النَّاسِ عَلَى أَنْ

(١) أخرجه البيهقي في (٣/٣٦١).

كانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ، حصن حسان بن ثابت؛ قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت. قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا: قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجرت ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى تقتله. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل؛ قال: ما لي بسلبه من حاجة يا ابن عبد المطلب.

نعيم يخذل المشركين:

قال ابن إسحق: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه، فيما وصف الله من الخوف والشدّة، لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة»، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرّون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد

حساناً كان جباناً شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء، وأنكره؛ وذلك أنه حديث مُنْقَطِع الإسناد، وقال: لو صحّ هذا لهُجِّي به حسان، فإنه كان يهاجي الشعراء كغصيرار وابن الزبغري، وغيرهما، وكان يناقِضونه ويُرْذَوْنَ عليه، فما عيّره أحدٌ منهم بجبن، ولا وسمه به، فدلّ هذا على ضعف حديث ابن إسحق، وإن صحّ فلعلّ حسان أن يكون مُغْتَلّاً في ذلك اليوم بعلّة من شهود القتال، وهذا أولى ما تأوّل عليه، وممن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عَمَرَ رحمه الله في كتاب الدرر له.

وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدّهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا بأنتم، فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقّوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهْناً من أشرفهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تُناجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قُريشاً، فقال لأبي سُفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتُم وُدِّي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه، نُضْحاً لكم، فاكتبوا عَتي؛ فقالوا: نفعل، قال: تعلّموا أن معشر يهود قد ندّموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندّمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، من قُريش وغطفان رجالاً من أشرفهم فنُعطيَكمهم، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نُسْتَأْصَلَهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهْناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أضلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا يتهم، قال: فاكتبوا عَتي، قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السَّبْت من شَوّال سنة خمس، وكان من صُنْع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سُفيان بن حَرْب ورؤوس غطفان إلى بني قُريظة عِكرِمة بن أبي جهل، في نفر من قُريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتى تُناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو (يوم) لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين يُقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رُهْناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضَرَسْتكم الحرب، واشتدّ عليكم القتال أن تُنْشَمروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرُّسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدّثكم نُعيم بن مسعود لحقّ، فأرسلوا بني قُريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تُريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قُريظة، حين انتهت الرُّسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نُعيم بن مسعود لحقّ، ما يريد القوم إلا أن يُقاتلوا، فإن

رأوا فرصة انتهبوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم. وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وعطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمدًا حتى تُعطونا رُهْنًا، فأبوا عليهم وخذّل الله بينهم، وبعث الله عليهم الرّيح في ليالٍ شاتيّة باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم.

تعرف ما حلّ بالمشرّكين :

(قال): فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرّق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرايتم رسولَ الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم، يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيْتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ هُويًا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ - يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ - أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟» فما قام رجلٌ من القوم، من شدّة الخوف، وشدّة الجوع، وشدّة البرد، فلما لم يَقم أحد، دعاني رسولُ الله ﷺ، فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دَعاني، فقال: «يا حذيفة، اذهب فادخُل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدِثَنَّ شيئًا حتى تأتينا». قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجُنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بناء. فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤٌ مِنْ جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان.

أبو سُفيان ينادي بالرحيل :

ثم قال أبو سُفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أضبَحتم بدار مُقام، لقد هلك الكُراع والخفّ، وأخلفتنا بُئى قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولَقينا من شدّة الريح ما تَرَوْنَ، ما تطمئنُّ لنا قِدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يَستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جَمَله وهو مَغْقول، فَجَلَس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أَطلق عقاله إلّا وهو قائم، ولولا عَهْد رسولِ الله ﷺ إلي: «أن لا تُحدِثَ شيئًا حتى تأتيني» ثم شئت، لقتلته بهم.

قال حذيفة: فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو قائم يصلي في مزط لبعض نسائه،
مراجل.

قال ابن هشام: المراجل: ضرب من وشي اليمن.

فلما رأيته أدخلني إلى رجله، وطرح عليّ طَرْفَ المزط، ثم ركع وسجد، وإني
لفيه، فلما سلّم أخبرته الخبر، وسمعت غَطْفَانِ بما فعلت قُرَيْش، فانشمروا راجعين إلى
بلادهم.

الانصراف عن الخندق:

قال ابن إسحق: ولما أصبح رسولُ الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة
والمسلمون، ووضعوا السلاح.

غزوة بني قريظة في سنة خمس الأمر الإلهي بحرب بني قريظة

فلما كانت الظُّهر، أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ، كما حدّثني الزُّهري، معتمرًا بعمامة
من استبرق، على بَغْلَةٍ عليها رِحال، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أَوْقَدْ وضعتُ السلاح
يا رسولَ الله؟ قال: «نعم»، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت
الآن إلّا من طلب القوم، إن الله عزّ وجلّ يأمرُك يا محمد بالمسيرِ إلى بني قُريظة، فإني
عائدٌ إليهم فمززل بهم.

فأمر رسولُ الله ﷺ مؤذّنًا، فأذّن في الناس، من كان سامعًا مُطيعًا، فلا يصلّي
العصرَ إلّا ببني قُريظة.

واستعمل على المدينة ابنُ أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

عليّ يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة:

قال ابن إسحق: وقَدّم رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب بَرايته إلى بني قُريظة،
وابتدرها الناس. فسار عليّ بن أبي طالب، حتّى إذا دنا من الحُصون سمع منها مقالةً
قبيحةً لرسولِ الله ﷺ، فرجع حتّى لقي رسولَ الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسولَ الله، لا
عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: «لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟» قال:

نعم يا رسول الله، قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً». فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: «يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟» قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً.

جبريل في صورة دحية

ومرَّ رسول الله ﷺ بنَفَرٍ من أصحابه بالصَّوْرَيْنِ قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: «هل مرَّ بكم أحد؟» قالوا: يا رسول الله، قد مرَّ بنا دحية بن خليفة الكلبي، على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك جبريل، بُعث إلى بني قريظة يُزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم».

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال لها بئر أنا.

قال ابن هشام: بئر آتى.

الحديث عن الصورين ودحية

فصل: وذكر خروج النبي ﷺ إلى بني قريظة حين مرَّ بالصَّوْرَيْنِ، والصَّوْرُ الْقِطْعَةُ من النخل، فسألهم، فقالوا: مرَّ بنا دحية بن خليفة الكلبي. هو: دحية بفتح الدال، ويقال: دحية بكسر الدال أيضاً، والدُّحِيَّةُ بلسان اليمن: الرئيس، وجمعه دِحاء، وفي مقطوع الأحاديث أن النبي - ﷺ - رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية، تحت يد كل دحية سبعون ألف ملك، ذكره القتيبي، ورواه ابن سُنَجَرٍ في تفسيره مُسْتَدًّا إلى عبد الله بن الهذيل، رواه عنه أبو التَّيَّاح، وذكر أن حماد بن سلمة قال لأبي التَّيَّاح حين حدثه بهذا الحديث: ما الدُّحِيَّةُ؟ قال: الرئيس، وأما نَسَبُ دحية فهو ابن خليفة بن قزوة بن فضالة بن زَيْد بن امرئ القيس بن الخزرج، والخَزْرَجُ الْعَظِيمُ الْبَطْنُ ابن زَيْد مَنَاة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عَوْف بن عُذْرَةَ بن زَيْد اللَّاتِ بن رُقَيْدَةَ بن ثَوْر بن كَلْبٍ يُذَكَّرُ من جَمَالِهِ أنه كان إذا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لم تَبْقَ مُعَصِرٌ، وهي الْمَرَاهِقَةُ لِلْحَيْضِ أَلَا خَرَجَتْ تنظر إليه.

فقه لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة

وذكر قوله عليه السلام: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»^(١)، فغربت عليهم الشمس قبلها، فصلَّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه،

(١) أخرجه البخاري (١٩/٢) ومسلم في الجهاد (٦٩). والبيهقي (١١٩/١٠).

قال ابن إسحق: وتلاحق به الناس فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحدُ العصر إلا ببني قُريظة»، فشغلهم ما لم يكن منه بدٌ في حربهم، وأبوا أن يصلوا، لقول رسول الله ﷺ: «حتى تأتوا بني قريظة». فصلوا العصر بها، بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه، ولا عَنَّفهم به رسولُ الله ﷺ. حدَّثني بهذا الحديث أبي إسحق بن يسار، عن معبد بن كُعب بن مالك الأنصاري.

الحصار:

(قال): وحاصرهم رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى جَهدهم الحصار، وقذَفَ الله في قلوبهم الرعب.

وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قُريش وعُطفان، وفاءً لكُعب بن أسد بما كان عاهده عليه.

ولا عَنَّفهم به رسولُه ﷺ، وفي هذا من الفقه أنه لا يُعَابُ على من أخذ بظاهر حديث أو آية، فقد صَلَّتْ منهم طائفةٌ قبل أن تغرب الشمس، وقالوا: لم يُردِ النبي ﷺ - إخراج الصلاة عن وقتها، وإنما أراد الحث والإعجال، فما عَنَّفَ أحدٌ من الفريقين، وفي هذا دليل على أن كل مُخْتَلَفٍ في الفروع من المجتهدين مصيب، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصلٌ لهذا الأصل أيضًا، فإنه قال سبحانه: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ولا يستحيل أن يكون الشيء صَوَابًا في حقِّ إنسانٍ وَخَطَأً في حقِّ غيره، فيكون من اجْتَهَدَ في مَسْأَلَةٍ فَأَذَاهُ اجتهاده إلى التحليل مصيبًا في استحلاله، وآخر اجتهد فأذاه، اجتهاده ونظره إلى تحريمها، مُصِيبًا في تحريمها، وإنما المُحَالُ أن يُحْكَمَ في النازلة بِحُكْمَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ في حقِّ شَخْصٍ واحد، وإنما عسر فهمُ هذا الأصل على طائفتين: الظَاهِرِيَّةُ والمُعْتَزَلَةُ، أما الظَاهِرِيَّةُ فإنهم عَلَّقُوا الأحكام بالنصوص، فاستحال عندهم أن يكون النصُّ يأتي بحظرٍ، وإباحةٍ مَعًا إلا على وَجْهِ التَّنْصِيحِ، وأما المعتزلة، فإنهم عَلَّقُوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه، فصار حُسْنُ الفعل عندهم أو قُبْحُهُ صِفَةً عَيْنٍ، فاستحال عندهم أن يَتَّصِفَ فعلٌ بِالْحُسْنِ في حقِّ زَيْدٍ والقبح في حقِّ عَمْرٍو، كما يستحيل ذلك في الألوان، والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق، فليس الحَظَرُ والإباحة عندهم بصفاتٍ أعيانٍ، وإنما هي صفات أحكام، والحكم

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير مُنصرف عنهم حتى يُناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها شتم، قالوا: وما هي؟ قال: تُتابع هذا الرجل ونصّده فوالله لقد تبين لكم أنه لنبيّ مُرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارقُ حكمَ التّوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم عليّ هذه، فهَلُمّ فلنقتل أبنائنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُضلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثَقْلاً، حتى يَحْكُم الله بيننا وبين محمد، فإن نُهْلِكَ نهلك، ولم نترك وراءنا قِلاً نخشى عليه، وإن نُظْهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه، فإن اللَّيلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نُصيب من محمد وأصحابه غِرة، قالوا: نُفسد سَبْتنا علينا، ونُحدّث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المَسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولّدت أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً.

قصة أبي لبابة

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لُبَابَةَ بن عبد المُنذر، أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حُلفاء الأوس، لِنَسْتَشِيرَهُ في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم،

من الله تعالى يَحْكُم بالحظر في النازلة على من أذاه واجتهاده إلى الحظر، وكذلك الإباحة والتّذبّ والإيجاب والكراهة، كلّها صفاتُ أحكام، فكلُّ مجتهد وافق اجتهاده وجّها من التّأويل، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حَضِيضِ التقليد إلى هَضْبَةِ النّظر، فهو مُصِيبٌ في اجتهاده مُصِيبٌ للحكم الذي تَعَبَّد به، وإن تعبد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تَعَبَّد هو به، فلا يُعَدُّ في ذلك إلا على من لا يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أَوْضَحِ الطّرائق^(١).

حول قصة أبي لبابة

فصل: وذكر أبا لُبَابَةَ واسمه رِفَاعَةُ بن عبد المُنذر بن زبیر وقيل: اسمه مُبَشَّر، وتَوَبَّته

(١) انظر مزيد بيان بالفتح (٢/١٣٠).

فلما راوه قام إليه الرجال، وجَهَشَ إليه النساء والصبيان يَبْكُون في وجهه، فرق لهم، وقالوا له: يا أبا لُبابة! أترى أن نزل على حُكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى خلقه، إنه الذبيح. قال أبو لُبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفتُ أنني قد خبثُ الله ورسوله ﷺ، ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه، ولم يأت رسولَ الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمده، وقال: لا أبرح من عُمده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوبَ الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد حُنتُ الله ورسوله فيه أبداً.

توبة الله على أبي لُبابة

قال ابن هشام: وأنزل الله تعالى في أبي لُبابة، فيما قال سُفيان بن عُيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي قتادة: «يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» [الأنفال: ٢٧].

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوبَ الله عليه.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط: أنَّ توبة أبي لُبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السَّحَر، وهو في بيتِ أُمِّ سَلَمَةَ. (فقالَت أُمُّ سَلَمَةَ): فسمعتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك. قالت: فقلت: مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله

ورَبَطَه نَفْسَه حتى تاب الله عليه، وذكر فيه أنه أَقْسَمَ ألاَّ يَحُلَّه إلَّا رَسولُ الله ﷺ، وَرَوَى حَمَّادُ بن سَلَمَةَ عن علي بن زيد عن عَلِيِّ بن الحسين أن فاطمة أَرادت حَلَّة حين نزلت توبته، فقال: قد أَقْسَمْتُ ألاَّ يَجْلُنِي إلَّا رَسولُ الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «إِن فاطمة مُضْغَةٌ مِنِّي»^(١)، فَصَلَّى اللهُ عليه، وعلى فاطمة، فهذا حديثٌ يَدُلُّ على أن من سَبَّها فقد كَفَرَ، وأن من صَلَّى عليها، فقد صَلَّى على أبيها - ﷺ - وفيه: أَنْزَلَ اللهُ تعالى: «وَأَخْرُوجُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا» [التوبة: ١٠٢] الآية، غير أنَّ المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان، فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قُريظة، وقال آخرون: كان من المُخَلَّفِينَ: الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عن رسول الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ، فنزلت توبةُ الله عليه في هذه الآية.

(١) أخرجه أحمد (٤/٣٢٦).

سئكَ؟ قال: «تیب على أبي لبابة»، قالت: قلت: أفلا أبشّره يا رسول الله؟ قال: «بلى، إن شئت». قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أثبّر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مرّ رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

قال ابن هشام: أقام أبو لبابة مُرتبطاً بالجذع ستّ ليالٍ، تأتيه امرأته في كلّ وقت صلاة، فتحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع، فيما حدّثني بعض أهل العلم والآية التي نزلت في توبته قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَخْرُوجُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

لعلّ وعسى وليت:

فإن قيل: ليس في الآية نصّ على توبته وتوبة الله عليه أكثر من قوله تعالى: ﴿عسى الله أن يتوبَ عليهم﴾.

فالجواب: أن عسى من الله واجبةٌ وخبرٌ صدق. فإن قيل: وهو سؤال يجب الاعتناء به: إن القرآن نزل بلسان العرب، وليست عسى في كلام العرب بخبر، ولا تقتضي وجوباً، فكيف تكون عسى واجبةً في القرآن، وليس بخارج عن كلام العرب؟

وأيضاً: فإن لعلّ تعطي معنى التّرجي، وليست من الله واجبة، فقد قال: ﴿لعلهم يشكرون﴾ فلم يشكروا، وقال: ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ فلم يتذكر ولم يخش، فما الفرق بين لعلّ وعسى حتى صارت عسى واجبة؟.

قلنا: لعلّ تعطي التّرجي، وذلك الترجي مصروف إلى الخلق، وعسى مثلها في التّرجي، وتزيد عليها بالمُقاربة، ولذلك قال: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ [الإسراء: ٧٩] ومعناه التّرجي مع الخبر بالقرب، كأنه قال قُرْبُ أن يبعثك، فالتّرجي مَصْرُوفٌ إلى العبد، كما في لعلّ، والخبر عن القرب والمُقاربة مصروفٌ إلى الله تعالى، وَخَبَرُهُ حَقٌّ وَوَعْدُهُ حَتْمٌ، فما تضمنته من الخبر فهو الواجب دون التّرجي الذي هو محال على الله تعالى ومصروف إلى العبد، وليس في لعلّ من تَضَمَّنَ الخبر مثل ما في عسى، فمن ثَمَّ كانت عسى واجبةً إذا تكلم الله بها، ولم تكن كذلك لعلّ.

(١) سورة التوبة آية رقم (١٠٢).

إسلام بعض بني هذل:

قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سغية، وأسيد بن سغية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هذل، ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ.

عمرو بن سعدى:

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمّر بحرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة، فلما رآه قال: «من هذا؟» قال: أنا عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلّى سبيله. فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه. وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة، حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رُمته مُلقاة، ولا يدرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم أي ذلك كان.

فإن قيل: فهل يجوز في ليت ما كان في لعل من ورودها في كلام الباري سبحانه، على أن يكون التمني مضرّوفاً إلى العبد، كما كان الترجي في لعل كذلك؟

قلنا: هذا غير جائز، وإنما جاز ذلك في لعل على شرط وصورة، نحو أن يكون قبلها فعل، وبعدها فعل، والأول سبب للثاني نحو قوله: ﴿يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فقال بعض الناس: لعل ها هنا بمعنى كي، أي: كي تذكروه، وأنا أقول: لم يذهب منها معنى الترجي، لأن الموعظة، مما يُزجى أن تكون سبباً للتذكّر، فعلى هذه الصورة وردت في القرآن، ونحو قوله أيضاً: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢] هي ها هنا توقّع وتخوف، أي: ما أصابك من التكذيب مما يتخوّف ويتوقّع منه ضيق الصدر، فهذا هو الجائز في لعل، وأما أن ترد في القرآن داخلّة على الابتداء والخبر مثل أن تقول، مُبْتَدَأًا: لعل زيداً يؤمن، فهذا غير جائز، لأن الربّ سبحانه لا يترجى، وإن صُرف الترجي إلى حقّ المخلوق، وموضوعها في كلام العرب أن يكون المتكلّم بها لا يستقيم أيضاً إلا على الصورة التي قدمنا من كونها بمعنى: كي، ووقوعها بين السبب والمُسبّب، وإذا ثبت هذا فلا إشكال في ليت أنها لا تكون في كلام الباري سبحانه، لأن التمني مُحالٌ عليه، والترجي والتوقّع والتخوّف كذلك، حتى تزيلها عن الموضع الذي يكون معناها فيه للمتكلّم بها.

تَحْكِيمُ سَعْدٍ فِي أَمْرِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَرِضَاءِ الرَّسُولِ بِهِ

(قال) فلما أصبحوا نزلوا على حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فتَواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسولُ الله ﷺ قبل بني قُرَيْظَةَ قد حاصر بني قَيْنُقَاعَ، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبدُ الله بن أُبَيِّ ابنِ سَلُولَ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ. فلما كَلَّمْتَهُ الأوس قال رسولُ الله ﷺ: «أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قالوا: بلى، قال رسولُ الله ﷺ: «فذاك إلى سعد بن مُعَاذٍ». وكان رسولُ الله ﷺ قد جعل سعد بنَ مُعَاذٍ فِي خَيْمَةِ لَامِرَاءَ مِنْ أَسْلَمَ، يُقَالُ لَهَا: رُقَيْدَةُ، فِي مَسْجِدِهِ، كَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحَى، وَتَحْتَسِبُ بِنَفْسِهَا عَلَى خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذنق: «اجعلوه في خَيْمَةِ رُقَيْدَةَ حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ». فلما حَكَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، أَتَاهُ قَوْمُهُ فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ قَدْ وَطَّؤُوا لَهُ بوسادة من أدم، وكان رجلاً جَسِيماً جَمِيلاً، ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَحْسَنْ فِي مَوَالِيكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - إِنَّمَا وَلَّاكَ ذَلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ: «لَقَدْ أَتَى لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ». فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَتَعَى لَهُمْ رِجَالُ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ، عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ. فَلَمَّا انْتَهَى سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ» - فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَيَقُولُونَ: إِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَنْصَارَ، وَأَمَّا الْأَنْصَارُ، فَيَقُولُونَ: قَدْ عَمَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتَحْكُمَ فِيهِمْ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ، أَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ لَمَّا حَكَمْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا، فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِجْلَالاً لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ، وَتُقَسَمَ الْأَمْوَالُ، وَتُسَبَّى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَاصٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَعْدٍ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَزْوَاجٍ».

من أسماء السماء

فصل: وذكر حكم سعد في بني قُرَيْظَةَ، وقول النبي عليه السلام له: «لقد حكمت فيهم

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَاحِبَهُمْ مُخَاصِرُوا بَنِي قُرَيْظَةَ: يَا كَتِيْبَةُ الْإِيْمَانِ، وَتَقَدَّمَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا ذَوْقَنَ مَا ذَاقَ حُمَزَةُ أَوْ لَا فُتَحَنَ حِضْنُهُمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

تنفيذ الحكم في بني قريظة

قال ابن إسحاق: ثُمَّ اسْتَنْزِلُوا، فَجَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ بِنْتِ

بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ^(١)، هَكَذَا فِي السَّيْرَةِ: أَرْقَعَةٌ، وَفِي الصَّحِيحِ: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»^(٢)، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، لِأَنَّ الرِّقْعَ مِنْ أَسْمَاءِ السَّمَاءِ، لِأَنَّهَا رُفِعَتْ بِالتَّجْوِيمِ، وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الْجَزْبَاءُ وَبِزْفَعٍ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةِ الْبُكَائِيِّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي حُكْمِ سَعْدٍ: بِذَلِكَ طَرَقَنِي الْمَلِكُ سَحَرًا.

فوقية الله سبحانه:

وفيه من الفقه تعلیم حسن اللفظ إذا تكلمت بالفوق مُخْبِرًا عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ: بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَلَمْ يَقُلْ: فَوْقَ عَلَى الظَّرْفِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ نَازِلٌ مِنْ فَوْقٍ، وَهُوَ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا نَحْوُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، أَي: يَخَافُونَ عِقَابًا يَنْزِلُ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَهُوَ عِقَابُ رَبِّهِمْ.

فإن قيل: أوليس بجائز أن يخبر عنه سبحانه أنه فوق سبع سموات؟ قلنا: ليس في هذه الآية، ولا في هذا الحديث دليل على إطلاق ذلك، فإن جاز فبدليل آخر، وكذلك قول زينب: رَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ نَبِيِّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَنْ تَزْوِجَهُ إِلَٰهًا نَزَلَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ وَلَا يَبْعَدُ فِي الشَّرْعِ وَصْفُهُ سُبْحَانَهُ بِالْفَوْقِ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، لَا عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي يَسْبِقُ لِلْوَهْمِ مِنَ التَّخْيِيدِ، وَلَكِنْ لَا يَتَلَقَّى إِطْلَاقُ ذَلِكَ الْوَضْعَ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثَيْنِ لارتباط حرف الجر بالفعل، حتى صار وَضْعًا لَهُ لَا وَضْعًا لِلْبَارِي سُبْحَانَهُ، وَقَدْ أَمْلَيْنَا فِي حَدِيثِ الْأَمَةِ الَّتِي قَالَ لَهَا: أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ مَسْأَلَةٌ بَدِيعَةُ شَافِيَةٍ رَافِعَةٌ لِكُلِّ لَبْسٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

كيسة

فصل: وَذَكَرَ حَبَسَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَدَثِ، كَذَا وَقَعَ فِي هَذَا الْكِتَابِ،

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥٣/١/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨٢/٤) (٧٢/٨) ومسلم في الجهاد (٦٦/٦٤).

الحارث، امرأة من بني النُّجَّار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فحَنَدَقَ بها خنادق، ثم بعث إليهم، فَضْرَبَ أعناقهم في تلك الخنادق، يُخْرِجُ بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حُيَيُّ بن أخطب، وكَعْب بن أسد، رأس القوم، وهم ست مائة أو سبع مائة، والمُكَثَّر لهم يقول: كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة. وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كَعْب، ما تراه يُصنع بنا؟ قال: أفني كل موطن لا تَغْفِلُونَ؟ ألا ترون الداعي لا يَنْزِع، وأنه من دُهِب به منكم لا يَزِجُ؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ.

مقتل حُيَيِّ بن أخطب:

وَأَتَيْ بِحُيَيِّ بن أخطبَ عدو الله، وعليه حُلَّة له فُقَّاحِيَّة - قال ابن هشام: فُقَّاحِيَّة: ضرب من الوشي - قد شَقَّها عليه من كل ناحية قدر أُنْمَلَةٍ لثلاث يُسَلِّبُها، مجموعة يداه إلى عُقْفِهِ بحبل. فلما نُظِرَ إلى رسول الله ﷺ، قال: أما والله ما لُمت نفسي في عداوتك،

والصحيح عندهم بنت الحارث، واسمها: كَيْسَةُ بنت الحارث بن كُرَيْز بن حَبِيب بن عَبْدِ شَمْسٍ، وكانت تحت مُسَيْلِمَةَ الكَذَّاب، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، وكَيْسَةُ أُخْرَى مذكورة في النساء، وهي بنت عبد الحميد بن عامر بن كُرَيْز، وكَيْسَةُ بنت أبي بَكْرَةَ، روت عن أبيها عن النبي ﷺ - أنه كان يَنْهَى عن الْحِجَامَةِ يوم الثلاثاء أَشَدَّ النَّهْيِ، ويقول: «فيه ساعة لا يَرَقُ فيها الدَّم»^(١). وأما كَيْسَةُ بسكون الياء، فهي بنت أبي كَثِير تَزَوَّي عن أُمِّها عن عائشة في الخمر: «لا طَيْبَ الله مَنْ تَطَيَّبَ بها، ولا شَفِي من اسْتَشْفَى بها»، ذكره البخاري في الْأَشْرِبَةِ في بعض روايات الكتاب، ووقع اسمُها في السيرة من غير رواية ابن هشام: رَزَيْتُ بنت الحارث التُّجَارِيَّة، فالله أعلم. وأما كَيْسَةُ بنت الحارث، فهي التي أُنْزِلَ في دارها وفد بني حَنِيفَةَ، وسيأتي ذكرها.

رفيدة:

وذكر رُفَيْدَةَ، وهي امرأة من أسلم الذي كان سَعْدٌ يُمْرَضُ في خيمتها لم يذكرها أبو عَمْرٍ، وزادها أبو علي الغساني في كتاب أبي عَمْرٍ، حَدَّثَنِي بتلك الزوائد أبو بكر بن طاهر عنه، وحَدَّثَنِي عنه أيضًا عن أبي عمر أنه قال لأبي علي: أمانة الله في عُقْفِكَ، متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة، لم أذكره إلا الْحَقُّهُ في كتابي الذي في الصحابة.

(١) «ضعيف». انظر الموضوعات لابن الجوزي (٣/٢١١).

ولكنه من يَخْذُلُ اللهَ يُخْذَلْ، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بَأْسَ بأمر الله، كِتَابٌ وَقَدَرٌ وَمَلَحَمَةٌ كَتَبَهَا اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثم جَلَسَ فَضْرِبَتْ عَنْقَهُ.

فقال جَبَلُ بْنُ جَوَالٍ الثُّعْلِيُّ:

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ أَبْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللهُ يُخْذَلْ
لجَاهِدَ حَتَّى أْبْلَعَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلَقَلْ يَنْغِي الْعَزَّ كُلَّ مُقْلَقَلْ

المرأة القتيل من بني قريظة

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تَحَدَّثْتُ معي، وَتَضَحَّكَ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْتُلُ رِجَالَهَا فِي السُّوقِ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا: أَيْنَ فُلَانَةُ؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك، ما لك؟ قالت: أُقْتِلُ، قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته، قالت: فانطلق بها، فَضْرِبْتُ عَنْقَهَا، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: فَوَاللهِ مَا أَنْسَى عَجَبًا مِنْهَا، طَيِّبَ نَفْسِهَا، وَكَثْرَةَ ضَحْكِهَا، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ.

غزوة الخندق:

فصل: وذكر في غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ثُعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأَسَدُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأَسِيدُ بْنُ سَعْيَةَ وَهُمْ مِنْ بَنِي هَذَلٍ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى سَعْيَةَ وَسُعْنَةَ بِالنُّونِ، وَذَكَرْنَا الْإِخْتِلَافَ فِي أَسِيدٍ وَأَسِيدٍ، وَذَكَرْنَا خَبْرًا عَجِيبًا لَزَيْدِ بْنِ سَعْيَةَ بِالْيَاءِ، وَمَنْ قَالَ مِنَ النَّسَابِينَ هَذَلٌ بِسُكُونِ الدَّالِ فِي بَنِي هَذَلٍ، فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ.

قتل المرتدة

وأما حديث المرأة المقتولة من بني قُرَيْظَةَ، ففيها دليل لمن قال بقتل الْمُرْتَدَّةِ مِنَ النِّسَاءِ، أَخَذًا بِعُمُومِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ»^(١). وفي هذا الحديث مع الْعُمُومِ قُوَّةٌ أُخْرَى، وَهُوَ تَعْلِيْقُ الْحُكْمِ بِالْعِلَّةِ، وَهُوَ التَّبْدِيلُ وَالرَّدُّ، وَلَا حُجَّةَ مَعَ هَذَا لِمَنْ زَعَمَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ بَأْنَ لَا تُقْتَلُ الْمَرْأَةُ لِتَهْنِئَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ، وَلِلْإِخْتِجَاجِ لِلْفَرِيقَيْنِ، وَمَا نَزَلَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَوْطِنٌ غَيْرَ هَذَا.

(١) أخرجه البخاري (٧٥/٤) والترمذي (١٤٥٨) وأبو داود والنسائي (١٠٤/٧) وابن ماجه (٢٥٣٥) وأحمد (٢١٧/١).

قال ابن هشام: وهي التي طرحت الرُّحَا على خلَّاد بن سُويد، فقتلته.

شأن الزبير بن باطا

قال ابن إسحاق: وقد كان ثابت بن قيس بن شماس، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزُّهري، أتي الزُّبير بن باطا القُرظي؛ وكان يُكنى أبا عبد الرحمن وكان الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية. ذكر لي بعضُ ولد الزُّبير أنه كان منَّ عليه يوم بُعث، أخذه فجَزَّ ناصيته، ثم خَلَّى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل يَجْهَل مثلي مثلك، قال: إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي، قال: إن الكريم يَجْزي الكريم، ثم أتى ثابتُ ابن قيس رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنه قد كانت للزُّبير عليّ مئة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي ذمه، فقال رسولُ الله ﷺ: «هو لك»، فأتاه فقال: إن رسولَ الله ﷺ قد وهب لي دَمَك، فهو لك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابتُ رسولَ الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هب لي امرأته وولده، قال: «هُم لك». قال: فأتاه فقال: قد وهب لي رسولُ الله ﷺ أهلك وولدك، فهم لك، قال: أهل بيتٍ بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابتُ رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ماله، قال: هو لك. فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسولُ الله ﷺ ماله، فهو لك، قال: أي ثابت، ما فعل الذي كان وجهه مرآة صبيئة يترأى فيها عذارى الحي، كعبُ بن أسد؟ قال: قُتل، قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي حُيَيّ بن أخطب؟ قال: قُتل، قال: فما فعل مُقدمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا قَرَرنا، عَزَّال بن سَمَوَّال؟ قال: قُتل، قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قُرَيْظَة وبني عَمْرُو بن قُرَيْظَة؟ قال: ذهبوا قُتلوا. قال: فأني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا أَلْحَقْتَنِي بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله قَتْلَة دَلْوٍ ناضِحٍ حتى ألقى الأحبة. فقَدَّمه ثابت، فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله: «ألقى الأحبة». قال: يلقيهم والله في نار جهنم خالداً مخلداً.

الزبير بن باطا

فصل: وذكر حديثُ ثابت بن قيس مع الزُّبير بن باطا، وهو الزُّبيرُ بفتح الزاي وكسر الباء جَدُّ الزُّبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن، فقيل: الزُّبيرُ بفتح الزاي وكسر الباء كاسم جده، وقيل: الزُّبيرُ، وهو قول البخاري في التاريخ.

قال ابن هشام: قَبْلَةَ دَلُو ناضِح. وقال زهير بن أبي سُلمى في «قَبْلَةَ»: وقَابِلٍ يَتَعَيَّى كُلَّمَا قَدَرَتْ عَلَى الْعِرَاقِي يَدَاهُ قَائِمًا دَفَقًا وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: وَيُرَوَّى: وقَابِلٍ يَتَلَقَّى، يعني قابِل الدلو يتناول.

عطية القرظي ورفاعة

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ قد أمر بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ أُثْبِتَ مِنْهُمْ.

قال ابن إسحاق: وحدثني شُعبة بن الحجاج، عن عبد الملك بن عُمر، عن عطية القرظي، قال: كان رسولُ الله ﷺ قد أمر أن يُقْتَلَ من بني قُرَيْظَةَ كُلُّ مَنْ أُثْبِتَ مِنْهُمْ، وكنت غلامًا، فوجدني لم أُثْبِتَ فَخَلُّوا سَبِيلِي.

وذكر فيه قول الزبير:

فما أنا بصابر لله فَشَلَّةٌ دَلُو ناضِح

وقال ابن هشام: إنما هو قَبْلَةُ دَلُوٍ بالقاف والباء، وقَابِلُ الدَلُوِ هو الذي يأخذها من المُسْتَقَى.

وذكر أبو عُبَيْدٍ الحديث في الأقوال على غير ما قالاه جميعًا، فقال: قال الزبير: يا ثابِتُ الْحِجْفِيِّ بِهِمْ، فلست صابِرًا عنهم إِفْرَاعَةً دَلُو.

الإثبات أصل في معرفة البلوغ

وذكر حديث عطية القُرَظِيِّ، وهو جدُّ محمد بن كَعْبٍ القرظي، وذكر أنه لم يكن أُثْبِتَ فَتَرَكَ، ففي هذا أن الإثبات أصلٌ في معرفة البلوغ إذا جُهِلَ الاختِلَامُ، ولم تُعْرَفْ سُنُوهُ.

حَلَّةٌ حَيِّي:

وذكر حَيِّي بن أَخْطَبَ حين قُدِّمَ إلى القتل، وعليه حَلَّةٌ فُقَاجِيَّةٌ. الحَلَّة: إِزَارٌ وَرِدَاءٌ، وأصل تسميتها بهذا إذا كان الثوبان جديدين، كما حُلَّ طِيْهُمَا، فقليل له: حَلَّةٌ لهذا، ثم استمر عليه الاسم، قاله الخطابي.

وقوله: فُقَاجِيَّةٌ نُسِبَتْ إلى الفُقَاح، وهو الزَّهْرُ إذا انشَقَّتْ أَكِمَّتُهُ، وانصَرَجَتْ بَرَاعِيْمُهُ، وَتَفَتَّتْ أَخْفِيَّتُهُ، فيقال له حيثُذ: فُقَحَ وهو فُقَاحٌ. والقَتَائِعُ أيضًا في معنى البَرَاعِيمِ، واحدها: قُتْبَعَةٌ، وأما الفِقَاحُ بالعين فهو الفُطْرُ، ويقال له أيضًا: آذَانُ الكَمَاةِ من كتاب النبات.

قال: وحدثني أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صغصعة أخو بني عدي بن النجار: أن سلمى بنت قيس، أم المُنذر، أخت سليط ابن أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، قد صلت معه القبلتين، وباعته بيعة النساء - سأله رفاعه بن سموال القرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاعه، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل، قال: فوهبه لها فاستخيته.

الرسول ﷺ يقسم فيء بني قريظة:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ قسّم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال، وأخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفارس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل، من ليس له فرس، سهم. وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرساً، وكان أول فيء وقعت فيه السهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازي.

ويروى أيضاً: حُلَّة شُحَّيَّةٌ وهو سنح البُسر إذا تلّون. قاله الخطابي.

ولكنه مَنْ يَخْذُلِ اللَّهَ يُخْذَلِ

بنصب الهاء من اسم الله، ويصحح هذه الرواية أن في الخبر قول النبي ﷺ: أَلَمْ يُمَكِّنْ اللَّهُ مِنْكَ؟ فقال: بلى، ولقد قلّلتُ كُلَّ مُقَلَّلٍ، ولكن من يَخْذُلُكَ يُخْذَلِ، فقوله: يَخْذُلُكَ كقول الآخر في البيت:

ولكنه مَنْ يَخْذُلِ اللَّهَ يُخْذَلِ

لأنه إنما نَظَمَ في البيت كلام حَيٍّ.

سلمى بنت أيوب:

وذكر حديثه عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي صغصعة، وألفيث في حاشية الشيخ، قال: وقع في تاريخ البخاري أن أيوب نفسه هو المخبر أن سلمى بنت قيس هي: سلمى بنت أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله وهو الصحيح والله أعلم.

سلمى بنت قيس:

وقوله: عن سلمى بنت قيس، هي: سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبّيد بن مالك بن عمرو بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً.

شأن ريحانة:

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفّي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عَرَضَ عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخفّ عليّ وعليك، فتركها. وقد كانت حين سبائها قد تعصّت بالإسلام، وأبت إلا اليهوديّة، فعزلها رسول الله ﷺ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها. فبينما هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: إن هذا لثعلبة بن سعية يشرنني بإسلام ريحانة، فجاءه فقال يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسرّه ذلك من أمرها.

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة

قال ابن إسحق: وأنزل الله تعالى في أمر الخندق، وأمر بني قريظة من القرآن، القِصَّة في سورة الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم فرج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

تفسير آيات قرآنية

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ﴾ والقلب لا يَنْتَقِلُ من موضعه، ولو انتقل إلى الحَنْجَرَةِ لمات صاحبه، والله سبحانه لا يقول إلا الحق، ففي هذا دليل على أن التكلم بالمجاز على جهة المبالغة فهو حقّ إذا فُهِمَ المخاطبُ عنك، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفِقُ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧]، أي مثله كمثل من يريد أن يَفْعَلَ الفعل، ويهم به، فهو من مَجَازِ التَّشْبِيهِ، وكذلك هؤلاء مَثَلُهُمْ فيما بلغهم من الخوفِ والْوَهْلِ وضيقِ الصُّدْرِ كمثل المُتَخَلِّعِ قلبه من موضعه، وقيل: هو على حذف المضاف. تقديره: بلغ وجِيفُ القلوبِ الحَنَاجِرَ^(١) وأما قوله: ﴿إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨] فلا معنى لحمله على

(١) ويقول العلم الحديث: أن الإنسان إذا بلغ به الخوف بلغة فإن قلبه يتضخّم عن حجمه حتى يكاد يصل إلى حنجرة الخائف. فتأمل.

بَصِيرًا». والجنود قريش وعُطفان وبنو قُريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾. فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قُريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم قُريش وعُطفان. يقول الله (تبارك و) تعالى: ﴿هَنَالِكِ ابْتِلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ لقول مُعْتَب بن قُشير إذ يقول ما قال: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ لقول أوس بن قيطي وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾: أي المدينة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب، وواحداه: قطر، وهي الأقطار، وواحداه: قتر.

قال الفرزدق:

كم من غنى فتح الإله لهم به والخيل مُقْعِيَةٌ عَلَى الْأَقْطَارِ
ويُروى: «على الأقطار». وهذا البيت في قصيدة له.

المجاز، لأنه في صفة هول القيامة، والأمر فيه أشد مما تَقَدَّمَ، لا سِيَّما وقد قال في أخرى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءَ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، أي: قد فارق القلب الفؤاد، وبقي فارغاً هَوَاءً، وفي هذا دليل على أَنَّ القلب غير الفؤاد، كَانَ الفؤادُ هو غلاف القلب، ويؤيده قول النبي ﷺ في أهل اليمن: «الَّتَيْنِ قُلُوبُنَا وَأَرْقُ أَفْنَدَةٌ»^(١) مع قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الزمر: ٢٢]. ولم يقل للقاسية أفندتْهم، والقَسْوَةُ ضِدُّ اللين، فتأمل^(٢).

(١) أخرجه البخاري، ومسلم وأحمد (٤٨٠/٢).

(٢) ويؤيد أيضاً الفرق بين القلب والفؤاد قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لِتَبْذِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠] ففرق تعالى بين القلب والفؤاد في آية واحدة. ولبيان الفرق بينهما بإيجاز أقول: القلب هو هذه المضغة كلها التي إن صلحت صلح لها الجسد كله وإن فسدت - والعياذ بالله - فسد الجسد كله. أما الفؤاد فهو لبّه وخالصه ومن «فند» إذا سَخُنَ واشتعل، فالقلب يتلقى الآيات المرئية والمسموعة والمقروءة فإذا اشتغل بها وتفاعل معها تولد عن حرارة فيه فكان «فؤاداً». والله أعلى وأعلم - انظر أيضاً رسالة الفرق بين القلب والفؤاد للترمذي.

﴿ثُمَّ سُلِّمُوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾: أي الرجوع إلى الشرك ﴿لَا تَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيِّنَةً وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يقتلوا يوم أُحُد مع بني سلمة حين هموا بالفشل يوم أُحُد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً، فذكر لهم الذين أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ مِنْكُمْ﴾: أي أهل النفاق ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي إلا دفعا وتعذيرا ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: أي للضغن الذي في أنفسهم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: أي إعظاما له وفرقا منه ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ حِدَادٍ﴾: أي في القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هَيْبَةً مِنْ لَا يَرْجُونَ مَا بَعْدَهُ.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سلقوكم: بالغوا فيكم بالكلام، فأحرقوكم وأذوكم. تقول العرب: خطيب سلاق، وخطيب مسلق ومُسلق. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

فيهم المجد والسماحة والنجدة فيهم والخاطب السلاق
وهذا البيت في قصيدة له.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ فريش وعطفان ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَرْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: أي لثلاثا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكانٍ هو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به، فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾: أي صبرا على البلاء وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق، لما

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨] أي المُخَذَّلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ: فَيَعْوِفُونَهُمْ بِالتَّخْذِيلِ عَنِ الطَّاعَةِ، لقولهم: هَلُمَّ إِلَيْنَا. تقول: عاقني الأمر عن كذا، وعوفني فلان عن كذا، أي: صرفني عنه.

كان الله تعالى وَعَدَهُمْ وَرَسُولُهُ ﷺ. ثم قال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: أي فرغ من عمله، ورجع إلى ربِّه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: قضى نَحْبُهُ: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرني أبو عبيدة، وجمعه: نحوب، قال ذو الرمة:

عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّونَ بَعْدَ مَا قَضَىٰ نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبُرُ

وهذا البيت في قصيدة له. وهوبُر: من بني الحارث بن كعب، أراد: زيد بن هوبُر. والنحب (أيضًا): النذر قال جرير بن الخطمي:

بِطَخْفَةٍ جَالِذْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بِسْطَامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ

يقول: على نَذَرٍ كانت نَذَرْتُ أَنْ تَقْتُلَهُ فَقَتَلْتَهُ، وهذا البيت في قصيدة له. وبسطام: بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، وهو ابن ذي الجذنين: حدثني أبو عبيدة: أنه كان فارس ربيعة بن نزار. وطخفة: موضع بطريق البصرة.

والنحب (أيضًا): الخطار، وهو: الرهان. قال الفرزدق:

وَإِذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَئِنَّا عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لِلْجَزِيلِ وَأَفْضَلُ

والنحب (أيضًا): البكاء. ومنه قولهم ينتحب. والنحب (أيضًا): الحاجة والهمة، تقول: ما لي عندهم نَحْبٌ. قال مالك بن نويرة اليزبوعي:

وَمَا لِي نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنِّي تَلَمَّسْتُ مَا تَبْغِي مِنَ الشُّدْنِ الشُّجَرِ

وقال نهار بن تَوْسِعة، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

قال ابن هشام: هؤلاء موال بني حنيفة:

وَنَجَّى يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ رَكْضُ دِرَاكٍ بَعْدَ مَا وَقَعَ اللَّوَاءُ

ولو أذركنه لَقَضَيْنَ نَحْبًا بِهِ وَلِكُلِّ مُخْطِئَةٍ وَقَاءُ

والنحب (أيضًا): السير الخفيف المَرُّ.

قال ابن إسحق: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾: أي ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾: أي ما شكوا وما ترددوا في دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾: أي قريشًا وعطفان ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالِ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أي بني قريظة ﴿مَنْ صَيَّاصِيهِمْ﴾، والصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها.

قال ابن هشام: قال سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ، وبنو الحسحاس من بني أسد بن خزيمة:

وأصبحت الثيران صرعى وأصبحت
نساء تميم يبتدِرْنَ الصَّيَّاصِيَا
وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي (أيضًا): القرون. قال النابغة الجعدي:
وسادة رَهْطِي حَتَّى بَقِي — تُ فَرْدًا كَصِيصَةِ الْأَغْصَبِ
يقول: أصاب الموت سادة رهطي. وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو داود الإيادي:

فَدَعَرْنَا سُخْمَ الصَّيَّاصِي بِأَيْدِي — هُنَّ نَضَحْنَ مِنَ الْكَحِيلِ وَقَارِ

وذكر الصياصي وأنها الحصون، واستشهد بقول سُحَيْمٍ يصف سَيْلًا:

وأصبحت الثيران صرعى، وأصبحت
نساء تميم يبتدِرْنَ الصَّيَّاصِيَا
وألفيت في حاشية الشيخ أبي بحر رحمه الله على هذا البيت: الصياصي: قُرُونُ الثيران المذكورة فيه، لأنما توهم ابنُ هشام أنها الحصون والآطام، يقول: لما أهلك هذا السيلُ الثيرانَ وغرقها أصبحت نساء تميم يبتدِرْنَ أَخَذَ قُرُونَهَا، لِيُتَسَجَّنَ بِهَا الْبُجْدَ، وهي: الْأَكْسِيَّةُ، قال: هذا يعقوب عن الْأَضْمَعِيِّ. ويصحح هذا أنه لا حُصُونٌ في بادية الأعراب قال المؤلف: ويصحح هذا التفسير أيضًا رواية أحمد بن داود له، فإنه أنشده في كتاب الثبات له، فقال فيه: يَلْتَقِظَنَّ الصَّيَّاصِيَا وَلَمْ يَقُلْ: يبتدرن، وأنشد:

فَدَعَرْنَا سُخْمَ الصَّيَّاصِي بِأَيْدِي — هُنَّ نَضَحْنَ مِنَ الْكَحِيلِ وَقَارِ

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضًا: الشوك الذي للنساجين، فيما أخبرني أبو عبيدة. وأنشدني لذريد بن الصمة الجُشمي، جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن:

نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّماحُ تَنُوشُهُ كَوَفَعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي (أيضًا): التي تكون في أزجل الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار، والصياصي (أيضًا): الأصول. أخبرني أبو عبيدة أن العرب تقول: جَدَّ الله صيصيته: أي أصله.

قال ابن إسحاق: ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: أي قتل الرجال، وسبي الذراري والنساء، ﴿وَأَوْزَعَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا﴾: يعني خنير ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

إكرام سعد في موته

قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بني فريضة انفجر بسعد بن معاذ جرحه، فمات منه شهيدًا.

قال ابن إسحاق: حدثني معاذ بن رفاعة الزُرقي، قال: حدثني مَنْ شئت من رجال قومي: أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجزًا بعمامة من استبرق، فقال: يا محمد، من هذا الميت الذي فُتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش؟ قال: فقام رسول الله ﷺ سريعًا يجر ثوبه إلى سعد، فوجده قد مات.

الكُحَيْلُ: القَطْرُنُ، والقَارُ: الرُّقْتُ، شَبَّه السَّوَادَ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ بِنَضْحٍ مِنْ ذَلِكَ الْكُحَيْلِ وَالْقَارِ، يَصِفُ بَغْرَ وَخْشٍ، وَأَنشَدَ لِذَرِيدِ بْنِ الصَّمَّةِ:

كَوَفَعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ

وحمله الأَصْمَعِيُّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَ هَذَا مِنْ أَنَّهَا الْقُرُونُ الَّتِي يُنْسَجُ بِهَا، لَا أَنَّهَا شَوْكٌ كَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

اهتزاز العرش

وذكر اهتزاز العرش، وقد تكلم الناس في معناه، وظنوا أنه مُشْكِلٌ، وقال بعضهم: الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستيثارِ بقدوم رُوحه، وقال بعضهم: يريد حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَمَنْ عِنْدَهُ

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن قالت: أقبلت عائشة قافلة من مكة، ومعها أسيد بن حضير، فلقية موت امرأة له، فحزن عليها بعض الحزن، فقالت له عائشة: يغفر الله لك يا أبا يحيى، أتحنن على امرأة وقد أصبت بآبن عمك، وقد اهتز له العرش!

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري، قال: كان سعد رجلاً بادئاً، فلما حملة الناس وجدوا له خفة، فقال رجال من المنافقين: والله إن كان لبادئاً، وما حملنا من جنازة أخف منه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «إن له حَمَلَةً غيركم، والذي نفسي بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتز له العرش»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني مُعَاذ بن رِفاعة، عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح، عن جابر بن عبد الله، قال: لما دُفِن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ، سَبَّح رسولُ الله ﷺ، فسَبَّح الناس معه، ثم كَبَّر فكَبَّر الناس معه، فقالوا: يا رسول الله، مِمَّ سَبَّحت؟ قال: «لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره، حتى فرَّجه الله عنه».

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة: قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر لَضَمَّةً لو كان أحد منها ناجياً لكان سعدُ بن مُعَاذ».

قال ابن إسحاق: ولسعد يقول رجل من الأنصار:

وما اهتزَّ عرش الله من موت هالك
سمِغنا به إلا لسَعْدِ أَبِي عَمْرٍو

من الملائكة، استبعاداً منهم، لأن يَهْتَزَّ العرش على الحقيقة، ولا بُغْد فيه، لأنه مَخْلُوقٌ وتجاوز عليه الحركة، والهَزَّةُ، ولا يُغْدَلُ عن ظاهر اللفظ، ما وُجد إليه سبيل، وحديث اهتزاز العرش لموت سَعْدٍ صحيح. قال أبو عَمْرٍو: هو ثابت من طُرُقٍ متواترة، وما رُوي من قول البراء بن عازب في معناه: أنه سَرِيرُ سَعْدٍ اهْتَزَّ لم يلتفت إليه العُلَمَاءُ، وقالوا: كانت بين هذين الحَيِّينِ من الأنصار ضغائن. وفي لفظ الحديث: اهتزَّ عرش الرحمن، رواه أبو الزُّبَيْرِ عن جابر يرفعه، ورواه البخاري من طريق الأَعْمَشِ عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر، منهم أبو سعيد الخُدْرِيُّ، وأُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ، وَرُمَيْثَةُ بنت عمرو، ذكر ذلك التِّرْمِذِيُّ. والعجبُ لما رُوي عن مالك رحمه الله من إنكاره

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦/٢/٣).

وقالت أم سعد، حين احتُمل نَعشه وهي تبكيه - قال ابن هشام - وهي كَيْيشة بنت رافع بن معاوية بن عبید بن ثعلبة بن عبد بن الأبحر، وهو خُدرة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج:

وَيَلْ أُم سَعْدِ سَعْدًا صَرَامَةً وَحَدًا
وَسُودَدًا وَمَجْدًا وفارسًا مُعَدًا
سُدَّ بِهِ مَسَدًا يَقْدُ هَامًا قَدًا

يقول رسول الله ﷺ: «كُلَّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ، إِلَّا نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ».

شهداء الغزوة:

قال ابن إسحق: ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخَنْدَقِ إلا ستّة نفر. ومن بني عبد الأشهل: سعدُ بن مُعَاذٍ، وأنس بن أوس بن عَتِيكَ بن عمرو، وعبد الله بن سهل. ثلاثة نفر. ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سلمة: الطُفَيْل بن النعمان، وتعلبة بن عَنَمة. رجلان.

ومن بني التَّجَار، ثم من بني دينار: كعبُ بن زيد، أصابه سهم غَزَب، فقتله.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سَهْمُ غَزَبٍ وَسَهْمُ غَزَبٍ، بإضافة وغير إضافة، وهو الذي لا يُعرف من أين جاء ولا من رَمَى به.

قتلى المُشركين:

وقُتل من المشركين ثلاثة نفر.

من بني عبد الدَّار بن قُصَيٍّ: مُنْبَه بن عثمان بن عُبَيْد بن السَّبَّاق بن عبد الدَّار، أصابه سهم، فمات منه بمَكَّة.

قال ابن هشام: هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق.

للحديث، وكراهيته للتحدث به مع صحّة نقله، وكثرة الرواة له، ولعلّ هذه الرواية لم تصحّ عن مالك والله أعلم.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يقظة: نوفل بن عبد الله بن المغيرة، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، وكان اقتحم الخندق، فتورط فيه، فقتل، فغلب المسلمون على جسده. فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في جسده ولا بئمنه، فخلّ بينهم وبينه»^(١).

قال ابن هشام: أعطوا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم، فيما بلغني عن الزهري.

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن لؤي، ثم من بني مالك بن جسل: عمرو بن عبد ود، قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

قال ابن هشام: وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال: قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه جسل بن عمرو.

قال ابن هشام: ويقال عمرو بن عبد ود، ويقال: عمرو بن عبد.

شهداء المسلمين يوم بني قريظة:

قال ابن إسحاق: واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين، ثم من بني الحارث بن الخزرج: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، طرحت عليه رخی، فشدخته شدخا شديدا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجر شهيدين»^(٢).

ومات أبو سنان بن مخصن بن حزنان، أخو بني أسد بن خزيمة، ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة، فدفن في مقبرة بني قريظة التي يدفنون فيها اليوم، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام.

البشارة بغزو قريش:

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق، قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم»^(٣). فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذي يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤١٩/١٢). (٢) انظر الطبقات (٨٢/٢/٣).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤٥٨/٣).

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

شعر ضرار

وقال ضرار بن الخطّاب بن مزداس، أخو بني مُحارب بن فُهر، في يوم الخندق:
ومُشفقة تَظُنُّ بنا الظنونا وقد قُذنا عَرُثْدَسَة^(١) طحونا
كأنَّ رُهاءها أحد إذا ما بعدت أركائه للنّاظرينا
تَرى الأبدانَ فيها مُسبغاتٍ على الأبطال واليَلْب الحَصينا

فصل في أشعار يوم الخندق

شعر ضرار

ذكر فيها شِعْرَ ضِرَارِ بن الخطّاب:

على الأبطال واليَلْب الحَصينا

اليَلْب: الترسّة، وقيل: الدُرُق، وقيل: بَيضَات ودُرُوع كانت تُتَخَذُ من جلود الإبل،
ويشهد لهذا قولُ حبيب:

هذه الأسيئةُ والمادي^(٢) قد كُثرا فلا الصّياصي لها قَدْر ولا اليَلْب

أي: لا حاجة بعد وُجود الدُرُوع الماديّة إلى اليَلْب، وبعد الأسيئة إلى الصياصي،
وهي: القُرُون، وكانت أسْتُهم منها في الجاهلية. قال الشاعر:

يُهْزِهُزُ صَغْدَةٌ جَزْدَاءَ فيها نَقِيعُ السُّمِّ أو قَرْنٌ مَحِيثُ

(٢) المادي: سلاح من حديد.

(١) عرندسة: حرب طاحنة.

وَجُرَدًا كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ
كَأَنَّهُمْ إِذَا صَالُوا وَصَلْنَا
أَنَاسٌ لَا نَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا
فَأَخَجَزْنَاهُمْ شَهْرًا كَرِيئًا^(١)
مُزَاوَحُهُمْ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ
بِأَيْدِينَا صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٍ
كَأَنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرِّيَاتٍ
وَمِيضُ عَقِيقَةٍ^(٢) لَمَعَتْ بَلِيلٍ
فَلَوْلَا خَنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ
وَلَكِنْ حَالٌ دُونَهُمْ وَكَانُوا
فَإِنْ نَرَجُلٌ فَإِنَّا قَدْ تَرَكْنَا
إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ سَمِعَتْ نَوْحِي
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ
بِجَمْعٍ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ غَزَلٍ

نُؤَمُّ بِهَا الْغَوَاةَ الْخَاطِئِينَ
بِبَابِ الْخَنْدَقَيْنِ مُصَافِحُونَ
وَقَدْ قَالُوا أَلَسْنَا رَاشِدِينَ
وَكُنَّا قَوْتَهُمْ كَالْقَاهِرِينَ
عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مُدْجَجِينَ
نَقْدُ بِهَا الْمَفَارِقَ وَالشُّوُونَ
إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مَصَلَّتَيْنَا
تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقَ مُسْتَبِينَا
لَدَمَرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ
بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مَتَعَوِّذِينَ
لَدَى أَبْيَاتِكُمْ سَغْدًا رَهِينَا
عَلَى سَغْدٍ يُرْجَفُنَ الْحَنِينَا
كَمَا زُنَاكُمُ مُتَوَازِرِينَ
كَأَسَدِ الْغَابِ قَدْ حَمَتِ الْعَرِينَا

كعب يرد على ضرار

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة، فقال:

وسائلةٌ تُسائلُ ما لَقِينَا
وَلَوْ شَهِدْتُ رَأَيْنَا صَابِرِينَ
صَبَرْنَا لَا نَرَى إِلَهَ عَذْلًا
عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صَدِّقٍ
بِهِ نَغْلُو الْبَرِّيَّةَ أَجْمَعِينَ
نُقَاتِلُ مَغْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا
وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُزْصِدِينَ

شعر كعب

وذكر في شعر كعب:

فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّهِينَ

(٢) عقيقة: سهم يُرمى به جهة السماء.

(١) كَرِيئًا: شديدًا.

نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا
تَرَانَا فِي فَضَافِضٍ^(١) سَابِغَاتٍ^(٢)
وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ خِفَافٌ
يَبَابُ الْخُنْدَقِينَ كَأَنَّ أَشْدَا
فَوَارِسِنَا إِذَا بَكَرُوا وَزَاحُوا
لِنُنْصِرَ أَحْمَدًا وَاللَّهُ حَتَّى
وَيُعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا
بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ
فَإِذَا تَفَقُّلُوا سَعْدًا سَفَاهَا
سُيْذَخِلُهُ جِنَانًا طَيِّبَاتٍ
كَمَا قَدْ زِدَّكُمْ فَلَا شَرِيْدًا
خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا ثُمَّ خَيْرًا
بِرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ

شعر ابن الزبعرى:

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمي، في يوم الخندق:

حَتَّى الدِّيَارِ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رُسُومَهَا
قَفَرًا كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا
فَإَتَرَكَ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عَيْشَةٍ
وَأَذَكُّرَ بَلَاءٍ مَعَاشَرَ وَاشْكُرْهُمْ
طُولُ النِّبْلَى وَتَرَاوُحُ الْأَخْقَابِ
إِلَّا الْكَنِيفَ وَمَعْقِدَ الْأَطْنَابِ
فِي نِعْمَةٍ بِأَوَانِسٍ أَثْرَابِ
وَمَجْلَّةَ خَلْقِ الْمَقَامِ يَبَابِ
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ

متفعلين من الكَمَمِ وهو العَمَى، والأظهر في الأَكَمَةِ أنه الذي يولد أعمى، وقد قيل فيه: إنه الذي لا يُنْصَرُ بِاللَّيْلِ شَيْئًا، ذكر هذا القول البخاري في التفسير.

(٢) سابغات: رغيدة.

(٤) شوسًا: رافعي الرأس.

(١) فضافض: دروع واسعة.

(٣) المراح: المكان الواسع.

أَنْصَابُ مَكَّةَ عَامِدِينَ لِيَثْرِبِ
 يَدْعُ الْخُرُونَ مِنْهَاجًا مَعْلُومَةً
 فِيهَا الْجِيَادُ شَوَازِبُ^(٣) مَجْنُونَةٌ
 مِنْ كُلِّ سَلْهَبٍ^(٥) وَأَجْزَدُ سَلْهَبِ
 جَيْشٍ عَيْيْنَةٌ قَاصِدٌ بِلَوَائِهِ
 قَرْمَانُ^(٦) كَالْبَذَرَيْنِ أَصْبَحَ فِيهِمَا
 حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَدَوْا
 شَهْرًا وَعَشْرًا قَاهِرِينَ مُحَمَّدًا
 نَادُوا بِرَخْلَتِهِمْ صَبِيحَةَ قُلْتُمْ
 لَوْلَا الْخَنَادِقُ غَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ

حَسَّانُ يَرِدُ عَلَى ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ

فَأَجَابَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ:

هَلْ رَسَمَ دَارِسَةُ الْمَقَامِ يَبَابِ
 قَفَرٍ عَفَا رَهْمُ^(٩) السَّحَابِ رُسُومِهِ
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمْ
 قَدْعَ الدِّيَارِ وَذَكَرَ كُلَّ خَرِيدَةٍ^(١١)
 مُتَكَلِّمٌ لِمَحَاوِرَ بِجَوَابِ
 وَهُبُوبُ كُلِّ مُطَلَّةٍ مِزْبَابِ^(١٠)
 بَيْضُ الْوُجُوهِ ثَوَاقِبُ الْأَحْسَابِ
 بَيْضَاءُ آنَسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ^(١٢)

مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ حَوْلَ أَسْمَاءِ اللَّهِ

وَفِيهِ قَوْلُهُ:

وَجُنُودُ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْيَابِ

- | | |
|--|-------------------------|
| (١) غياطل: جمع غياطل، الليل شديد الظلمة. | (٢) جيجاب: كثير العدد. |
| (٣) شوازب: ضامرة ضعيفة. | (٤) قب: دقاق. |
| (٥) سلهب: فرس جسيم. | (٦) قرمان: سيد عظيم. |
| (٧) قضاب: شديد القطع. | (٨) سغب: جائعة. |
| (٩) رهم: مطر خفيف. | (١٠) مرياب: أرض ميتة. |
| (١١) خريدة: حساء. | (١٢) كعاب: ناهلة الثدي. |

واشكُّ الهموم إلى الإله وما ترى
ساروا بأجمعهم إليه وألبوا
جيش عيينة وابن حَزْب فيهم
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا
وغدوا علينا قادرين بأيديهم
بهُبوب مُعَصِفَةٍ^(٢) تُفَرِّق جَمْعهم
فَكَفَى الإلهُ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ
من معشر ظَلَمُوا الرَّسُولَ غَضَاب
أَهْلَ الْقُرَى وَبَوَادِي الْأَغْرَاب
مُتَحَمِّطُونَ^(١) بحلبة الأحزاب
فَتَلَّى الرَّسُولُ وَمَغْنَمِ الْأَسْلَابِ
رُذُومًا بَغْيَظِهِمْ عَلَى الْأَغْقَابِ
وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ
وَأَنَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرِ ثَوَابِ

فيه شاهد لمن زَعَمَ أَنَّ السَّيِّدَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وقد كره أكثر العلماء أن يقال في الدعاء:
يَا سَيِّدِي، وأجازه بعضهم، واحتجَّ بحديث ليس إسناده بالقوي أن النبي - ﷺ - قال له
رجل: يَا سَيِّد، فقال: «السَّيِّدُ اللَّهُ»^(٣).

وأما مذهبُ القاضي في مثل هذا من الأسماء التي يُراد بها المدح والتعظيم فذكرُ الله به
جائز ما لم يردَّ نهْيٌ عنه، أو تُجمَعُ الأُمّةُ على ترك الدعاء به، كما أجمعوا ألاَّ يُسمَّى بفقيه،
ولا عاقل ولا سخي، وإن كان في ذلك مدح.

قال المؤلف: والذي أقول في السَّيِّد: إنه اسمٌ يُعْتَبَرُ بالإضافة، لأنه في أصل الوضع
بعض ما أضيف إليه. تقول: فلان سَيِّدٌ قيس، إذا كان واحدًا منهم، ولا يقال: في قَيْسٍ هو
سَيِّدٌ تميم، لأنه ليس واحدًا منهم، فكذلك لا يقال في الله تعالى: هو سَيِّدُ النَّاسِ، ولا سَيِّدُ
الملائكة، وإنما يقال: رَهِيمٌ فإذا قلت: سَيِّدُ الْأَرْبَابِ، وسَيِّدُ الْكُرَمَاءِ، جاز، لأن معناه أكرمُ
الكرماء، وأعظمُ الأرباب، ثم يُشْتَقُّ له من اسمِ الرَّبِّ فيوصفُ بالرُّبُوبِيَّةِ ولا يوصفُ بالسُّودْدِ،
لأنه ليس له على الإطلاق، وقد جاء في شِعْرِ حَسَّانَ الذي يَزِيهِ به رسولُ الله ﷺ:

يَا ذَا الْجِلَالِ وَذَا الْعِلَا وَالسُّودْدِ

يصف الربَّ، ولكن لا تقوم الحجة في إطلاق هذه الأسماء إلا أن يَسْمَعَها الرسولُ
عليه السلام فلا يُنْكِرُها، كما سَمِعَ شِعْرَ كعب، فلم يُنْكِرْه، وإنما وصف على الوجه الذي
قدَّمناه، وعلى المعنى الذي بيَّناه.

(٢) معصفة: ريح شديدة.

(١) خمطاً: طابت ريعه.

(٣) «صحيح». أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) بتحقيقي. وأحمد (٢٤/٤). وانظر للمحقق «القول الأسني في تفسير الأسماء الحسنى».

مِنْ بَعْدَ مَا قَنَطُوا^(١) فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ
وَأَقْرَعَ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصَحَابِهِ
عَاتِي الْفُؤَادِ مَوْقِعَ ذِي رِيْبَةٍ
عَلِقَ الشَّقَاءَ بِقَلْبِهِ، فَفُؤَادُهُ
تَنْزِيلُ نُضْرٍ مَلِيْكِنَا الْوَهَّابِ
وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُزْتَابِ
فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرٍ الْأَثْوَابِ
فِي الْكُفْرِ آخِرُ هَذِهِ الْأَحْقَابِ

كعب يردّ على ابن الزبيري

وأجابه كعب بن مالك أيضًا، فقال:
أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً
بَنِيضَاءَ مُشْرِفَةِ الذُّرَى وَمَعَاظِنَا^(٢)
كَالْلُوبِ^(٣) يُبْذَلُ جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا^(٤)
مِنْ خَيْرِ نَخْلَةٍ^(٥) رَبَّنَا الْوَهَّابِ
حُمِّ الْجُدُوعِ غَزِيرَةِ الْأَخْلَابِ
لِلْجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُنْتَابِ

من شعر كعب

وقول كعب:

بَنِيضَاءَ مُشْرِفَةِ الذُّرَى وَمَعَاظِنَا

يعني: الأَطَامَ، وقوله: مَعَاظِنَا يعني: مَنَابِتِ النَّخْلِ عند الماءِ شَبَّهَهَا بِمَعَاظِنِ الْإِبِلِ، وهي: مَبَارِكُهَا عند الماءِ.

وقوله: حُمِّ الْجُدُوعِ، وَصَفَهَا بِالْحُمَةِ، وهي: السَّوَادُ، لأنها تضرب إلى السَّوَادِ، من الخضرة والنَّعْمَةِ، وَشَبَّهَ مَا يُجْتَنَى مِنْهَا بِالْحَلَبِ، فقال: غَزِيرَةُ الْأَخْلَابِ.

وقوله: كَالْلُوبِ، اللَّوْبُ: جَمْعُ لُوبَةٍ، وَاللَّابُ جَمْعُ لَابَةٍ وهي: الْحَرَّةُ، يقال: ما بين لَابَتَيْنِهَا مثل فلان، ولا يقال: ذلك في كُلِّ بَلَدٍ، فَقَدْ قَالَ شَبِيبُ بْنُ شَبِيبَةَ لِرَجُلٍ نَسَبَهُ إِلَى التَّصْحِيفِ فِي حَدِيثِ السَّقْفِ: إِنَّهُ يَظَلُّ مُخْبَظِطًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ: شَبِيبُ: بِالْظَّاءِ مَنْقُوطَةً، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَخْطَأْتُ، إِنَّمَا هُوَ بِالطَّاءِ. قَالَ الرَّاجِزُ:

إِنِّي إِذَا اسْتَنْشَدْتُ لَا أَخْبَنْطِي وَلَا أَحِبُّ كَثْرَةَ التَّمْطِي

(٢) نخلة: مذهب أو ديانة.

(٤) اللوب: العطاش.

(١) قنطوا: يشسوا.

(٣) المعاطن: مبارك الإبل.

(٥) حفيل: كثير.

وَنَزَائِعًا^(١) مِثْلَ السَّرَاحِ نَمَى بِهَا
عَرِيَّ الشَّوَى مِنْهَا وَأَزْدَفَ نَحْضَهَا^(٢)
قُودًا^(٣) تَرَاخَ إِلَى الصُّيَاخِ إِذْ غَدَتَ
وَتَحَوَّطَ سَائِمَةً^(٤) الدِّيارِ وَتَارَةً
حُوشُ^(٥) الْوُحُوشِ مَطَارَةً^(٦) عِنْدَ الْوَعَى

عَلَفَ الشَّعِيرَ وَجِزَّةً لِلْقَضَابِ^(٧)
جُرْزُ الْمُتُونِ وَسَائِرَ الْآرَابِ^(٨)
فَعَلَ الضَّرَاءَ تَرَاخَ لِلْكَلَابِ
تُرْزَى الْعَدَا وَيَثُوبُ بِالْأَسْلَابِ
عُبَسَ الْإِلْقَاءِ مُبِينَةَ الْإِنْجَابِ

فقال له شبيب: أَتَلَحَّنِي وَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَفْصَحُ مِنِّي، فقال له الرجل: وهذه لُخْنَةٌ أُخْرَى، أَوْ لِلْبُصْرَةِ لَابَتَانِ؟! إِنَّمَا اللَّابَتَانِ لِلْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ.

وقوله: يُبْذَلُ جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا، أي: الكثير منها، والمُتَنَابُ: الزائر مُفْتَعِلٌ مِنْ نَابٍ يَثُوبُ إِذَا أَلَمَ.

وقوله: وَنَزَائِعًا مِثْلَ السَّرَاحِ، يعني: الخيل العربية، التي تُزَعَّتْ مِنَ الْأَعْدَاءِ.

وقوله: مِثْلَ السَّرَاحِ بِالْجِيمِ، كَذَا وَقَعَ فِي الْأَصْلِ، أي: كل واحد منها كالسراج، ووقع في الحاشية بالحاء، وفسره فقال: جمع سِرْحَانٍ، وهو الذئب، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدتين من الاسم وهي الألف والنون، ولو جمعه على لفظه، لقال: سَرَاحِينَ.

وقوله: وَجِزَّةً الْمِقْضَابِ الْمِقْضَابُ: مَزْرَعَةٌ، وَجِزَّتُهَا مَا يُجَزُّ مِنْهَا لِلْخَيْلِ.

وقوله: عَرَى الشَّوَى مِنْهَا، يعني: القوائم. والنَحْضُ: اللحم. والآراب: المفاصِلُ، واحدهما إزْبٌ، وفي الحديث أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ آرَابٍ.

وقوله: قُودًا، أي: طوالَ الْأَغْنَانِ، وَالضَّرَاءُ: الْكَلَابُ الضَّارِيَّةُ، وفي الحديث: إِنْ قَنَسَا ضِرَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أي: أَشَدَّهُ الضَّارِيَّةَ، وَالْكَلَابُ: جمع كالب، وهو صاحب الكلاب، الذي يصيد بها.

وقوله: عُبَسَ الْإِلْقَاءِ: جمع عُبُوسٍ.

- | | |
|-----------------------------|---------------------------|
| (١) التزاع: الخيل والإبل. | (٢) المقضاب: المنجل. |
| (٣) النحض: اللحم الكثير. | (٤) الآراب: الحاجات. |
| (٥) قودًا: ممسكًا بقيادتها. | (٦) السائمة: الدابة ترعى. |
| (٧) حوش: ساق. | (٨) مطارة: سريعة. |

عَلِيفَتْ عَلَى دَعَةٍ فَصَارَتْ بُدْنًا
يَغْدُونَ بِالزُّغْفِ (٣) الْمُضَاعِفِ شَكَّهُ
وَصَوَارِمِ نَزَعِ الصِّيَاقِلِ (٦) غَلْبَهَا (٧)
يَصِلُ الِيمِينِ بِمَارِنِ (٨) مُتَقَارِبِ
وَأَغَرَّ أَزْرَقَ فِي الْقَنَاءِ كَأَنَّهُ
وَكْتِيبَةٍ يَنْفِي الْقِرَانَ فَتِيرَهَا (١١)
جَاوَى (١٣) مُلَمَلَمَةً كَأَن رَمَاحَهَا
يَأْوِي إِلَى ظِلِّ اللَّوَاءِ كَأَنَّهُ
أَغَيْتَ أَبَا كَرِبٍ وَأَغَيْتَ ثُبَعًا

دُخَسَ (١) الْبَضِيعُ (٢) خَفِيفَةُ الْأَقْصَابِ
وَبِمُتَرَصَاتٍ (٤) فِي الثَّقَافِ (٥) صِيَابٍ
وَبِكُلِّ أَرْوَعٍ مَاجِدِ الْأَنْسَابِ
وَكَلَّتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابٍ (٩)
فِي طُخْيَةِ (١٠) الظُّلْمَاءِ ضَوْءُ شِهَابٍ
وَتَرَدَّدَ قَوَاحِذُ (١٢) النَّشَابِ
فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ ضَرِيمَةٍ (١٤) غَابَ
فِي صَعْدَةِ الْحَطَّيْنِ فَيُؤْ عُقَابٍ
وَأَبَتْ بِسَالَتُهَا عَلَى الْأَغْرَابِ

وقوله: دُخَسَ الْبَضِيعُ. الْبَضِيعُ: اللَّحْمُ الْمُسْتَطِيلُ، وَالذَّخِيسُ مِنَ اللَّحْمِ: الْكَثِيرُ.

وقوله: خَفِيفَةُ الْأَقْصَابِ، يَعْنِي: جَمْعُ قُضْبٍ وَهُوَ الْمِئْيَ وَمِنْهُ سُمِّيَ الْجَزَارُ قَصَابًا،
وقوله: يَغْدُونَ بِالزُّغْفِ، أَي: بِالْدُرُوعِ.

وقوله: شَكَّهُ: حَلَقَهُ وَنَسَجَهُ، وَقَوْلُهُ:

وَبِمُتَرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِيَابٍ

الْمُتَرَصَاتُ: الْمُحْكَمَةُ، يَعْنِي: الرَّمَاحُ الْمُثَقَّفَةُ.

وقوله: نَزَعِ الصِّيَاقِلِ غَلْبَهَا، أَي: جُسَّاتُهَا وَخُسُونَةُ دَرَّتُهَا، يُقَالُ: عَلِبَ اللَّحْمُ إِذَا لَمْ
يَكُن رَخْصًا، وَعَلِبَ الثَّبَاتُ إِذَا جَسَأَ.

وقوله: بِمَارِنِ مُتَقَارِبِ. الْمَارِنُ: اللَّيْنُ، وَوَقِيعَتُهُ: صَفْلُهُ، وَخَبَابٌ: اسْمُ صَيْقَلٍ.

وقوله: وَأَغَرَّ أَزْرَقَ، يَعْنِي: الرَّمَحَ، وَطُخْيَةُ الظُّلْمَاءِ، أَي: شَدَّتْهَا، وَطَحَاءُ الْقَلْبِ:
ظُلْمَتُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السُّفْرَجَلِ: «إِنَّهُ يَذْهَبُ بِطَحَاءِ الْقَلْبِ».

(٢) البضيع: اللحم.

(٤) مترصات: الرمح المثقفة.

(٦) الصياقل: السيوف.

(٨) المارن: الرمح الصلب.

(١٠) طخية: شدة الظلام.

(١٢) القواحذ: السهام الشديدة.

(١٤) ضريمة: عزيمة.

(١) دحس: سمية.

(٣) الزغف: الدروع الواسعة.

(٥) الثقاف: الرماح.

(٧) غلبها: حدها.

(٩) خياب: الخب المخادع.

(١١) القتير: رؤوس المسامير في الدرع.

(١٣) جاوى: غليظة.

وَمَوَاعِظٌ مِّن رَّبِّنَا تُهْدَى بِهَا بِلِسَانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَخْزَابِ
جَكَمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بَزْغَمِهِمْ حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبُّهَا فَلْيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغُلَابِ

قال ابن هشام: حدّثني من أثنى به، قال: حدّثني عبد الملك بن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، قال: لما قال كعب بن مالك:

جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبُّهَا فَلْيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغُلَابِ
قال له رسول الله ﷺ: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا».

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:
مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُمَعِّعٍ^(١) بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُخَرِّقِ

وقول كعب:

جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبُّهَا

كان هذا الاسم مما سُمِّيَتْ به قُرَيْشٌ قديمًا، ذكروا أن قُصِيًّا كان إذا ذُبِحَتْ ذَبِيحَةٌ أَوْ نُجِرَتْ نَجِيرَةٌ بِمَكَّةَ أَتَى بِعَجْزِهَا، فَصَنَعَ مِنْهُ خَزِيرَةً، وَهُوَ لَحْمٌ يُطْبَخُ بِبُرٍّ فَيُطْعَمُهُ النَّاسُ، فَسُمِّيَتْ قُرَيْشٌ بِهَا سَخِينَةً. وقيل: إن العرب كانوا إذا أَسْتَتَوْا أَكَلُوا الْعِلْهَزَ، وَهُوَ الْوَبَرُ وَالْدَّمُ، وَتَأْكُلُ قُرَيْشُ الْخَزِيرَةَ وَالْفَتَّةَ^(٢) فَتَفَسَّتْ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَلَقَّبُوهُمْ: سَخِينَةً، وَلَمْ تَكُنْ قُرَيْشٌ تَكْرَهُ هَذَا اللَّقَبَ، وَلَوْ كَرِهَتْهُ مَا اسْتَجَازَ كَعْبٌ أَنْ يَذْكُرَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْهُمْ، وَلَتَرَكَهُ أَدَبًا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ كَانَ قُرَشِيًّا، وَلَقَدْ اسْتَنْشَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مَا قَالَهُ الْهَوَازِنِيُّ فِي قُرَيْشٍ:

يَا شِدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ
فَقَالَ: مَا زَادَ هَذَا عَلَى أَنْ اسْتَنْتَيْ، وَلَمْ يَكْرَهُ سَمَاعَ التَّلْقِيبِ بِسَخِينَةٍ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ لَمْ يَكُنْ مَكْرُوهًا عَنْدهُمْ، وَلَا كَانَ فِيهِ تَغْيِيرٌ لَهُمْ بِشَيْءٍ يَكْرَهُ.

شعر آخر لكعب:

وفي شعر كعب أيضًا:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُمَعِّعٍ بَعْضُهُ

(٢) الفتنة: التمر الكثير.

(١) يمعع: يقاتل قتالاً شديداً.

فَلَيَاتٍ مَأْسَدَةٌ تُسَنُّ سِيوفُهَا بين المذاذ^(١) وبين جَزَعِ الْخَنْدَقِ
 دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلِمِينَ وَأَسْلَمُوا مُهْجَاتٍ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
 فِي عُضْبَةٍ تَصَرَّ إِلَهُ نَبِيَّهِ بِهِمْ وَكَأَنَّ بَعْبِدِهِ ذَا مَرْفَقِ
 فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخُطُّ فِضُولُهَا كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَفِّقِ
 بَيْنِضَاءٍ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقَ الْجَنَادِبِ^(٢) ذَاتَ شَكِّ مُوْتَقِ
 جَذَلَاءَ^(٣) يَخْفِزُهَا نِجَادٌ مُهْتَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْنَقِ

الْمَعْمَعَةُ: صَوْتُ النَّارِ فِيْمَا عَظُمَ وَكَثُفَ مِنَ الشَّغَرَاءِ وَالْقَضْبَاءِ وَنَحْوِهَا، وَالْكَلْحَبَةُ صَوْتُهَا فِيْمَا دَقَّ كَالسَّرَاجِ وَنَحْوِهِ، وَالْقَطْمَطَةُ: صَوْتُ الْعَلْيَانِ، وَكَذَلِكَ الْعَرْغَرَةُ وَالْجَعَجَعَةُ صَوْتُ الرَّحَى، وَالذَّرْدَبَةُ صَوْتُ الطَّبْلِ.

وقوله: الأَبَاءُ، هُوَ الْقَصَبُ وَاحْدَتُهَا أَبَاءَةٌ، وَالهَمْزَةُ الْآخِرَةُ فِيهَا بَدَلٌ مِنْ يَاءٍ، قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْأَبَايَةِ، كَأَنَّ الْقَصَبَ يَأْبَى عَلَى مَنْ أَرَادَهُ بِمَضْغٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَيَشْهَدُ لِمَا قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ قَوْلُ الشَّاعِرِ [بِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ]:

يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِبَاءُ

وقوله: فَلَيَاتٍ مَأْسَدَةٌ، هِيَ: الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الْأَسَدُ، وَكَذَلِكَ الْمَسْبَعَةُ الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ السَّبَاعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَأْسَدَةٌ جَمْعُ أَسَدٍ كَمَا قَالُوا: مَشْيَخَةٌ وَمَغْلَجَةٌ، حَكَى سِيبَوِيهٌ مَشْيَخَةً وَمَشْيُوحَاءَ، وَمَغْلَجَةً وَمَغْلُوجَاءَ، وَالْفَيْتُ أَيْضًا فِي النَّبَاتِ مَسْلُومَاءٌ لَجَمَاعَةِ السَّلَمِ وَمَشْيُوحَاءَ لِلشَّيْخِ بِالْحَاءِ، الْمَهْمَلَةِ، الْكَثِيرِ.

وقوله: تُسَنُّ سِيوفُهَا، بِنَصَبِ الْفَاءِ، وَهُوَ الْأَصَحُّ عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ، وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ عِنْدَ أَبِي بَحْرٍ: تُسَنُّ سِيوفُهَا بِالرَّفْعِ، وَمَعْنَى الرَّوَايَةِ الْأُولَى: تُسَنُّ أَيُّ: تَضَقُّلٌ، وَمَعْنَى الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ أَيُّ: تُسَنُّ لِلْأَبْطَالِ، وَلَمِنْ بَعْدَهَا مِنَ الرِّجَالِ سَنَّةُ الْجُرَاقِ وَالْإِقْدَامِ.

وقوله في وصف الدُّزَعِ:

جَذَلَاءَ يَخْفِزُهَا نِجَادٌ مُهْتَدٍ

جَذَلَاءَ: مِنَ الْجَذَلِ، وَهُوَ: قُوَّةُ الْقَتْلِ، وَمِنْهُ الْأَجْدَلُ لِلصَّفَرِ، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ امْتِنَاعِ الصَّرْفِ فِي أَجْدَلٍ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ أَفْعَلَ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ فَعْلَاءٌ، وَمَنْ صَرَفَهُ شَبَّهَهُ

(٢) الجنادب: الجراد.

(١) المذاذ: اسم موضع.

(٣) جذلاء: محكمة.

تَلَكُم مَعَ التَّقْوَى تَكُون لِبَاسَنَا يَوْمَ الْهِجَابِ وَكُلَّ سَاعَةٍ مَصْدَقٌ
نَصِلَ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا قُدَّمَا وَتُلَحِّقُهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقْ
فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتُهَا بَلَّةٌ^(١) الْأَكُفُّ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ

بَارَنْبٌ وَأَفَكَلٌ، وَهُوَ أضعف الوجهين، وَإِنْ كَانُوا قَدْ قَالُوا فِي جَمْعِهِ: أَجَادِلْ مِثْلَ أَرَانِبٍ فَقَدْ قَالُوا أَيْضًا: الْأَجَارِعُ وَالْأَبَاطِحُ فِي جَمْعِ أَجَرَخَ وَأَنْطَحَ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَصْرِفُونَهُمَا مِنْ حَيْثُ قَالُوا فِي الْمَوْتِ: بَطَحَاءَ وَجَزَعَاءَ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي أَتْرَقَ وَبَرَقَاءَ.

وَقَوْلُهُ: يَخْفِزُهَا نِجَادٌ مُهَيَّئٌ^(٢)، كَقَوْلِ [أَبِي قَيْسٍ] بْنِ الْأَسْلَتِ فِي وَصْفِ الدَّرْعِ:
أَخْفِزُهَا عَنِّي بِذِي رَوْثِي أبيضَ مِثْلَ الْمَلِجِ قِطَاعِ
وَذَلِكَ أَنَّ الدَّرْعَ إِذَا طَالَتْ فَضُولُهَا خَفِزُوهَا، أَيْ: شَمَرُوهَا فَرَبَطُوهَا بِنِجَادِ السَّيْفِ.
وَقَوْلُهُ:

تَلَكُم مَعَ التَّقْوَى تَكُون لِبَاسَنَا

مِنْ أَجُودِ الْكَلَامِ: وَأَمْلَحَ الِاتِّفَاتَاتِ، لِأَنَّهُ قَوْلٌ انْتَزَعَهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ الْقَوْمِ عُزَيَّاتَنَا
وَمَوْضِعُ الْإِجَادَةِ وَالْإِحْسَانِ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ أَنَّهُ جَعَلَ لِبَاسَ الدَّرْعِ تَبَعًا لِلْبَاسِ التَّقْوَى، لِأَنَّ حَرْفَ مَعَ تَعْطِي فِي الْكَلَامِ أَنَّ مَا بَعْدَهُ هُوَ الْمَتَّبُوعُ، وَلَيْسَ بِتَابِعٍ، وَقَدْ احْتَجَّ الصَّدِيقُ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ الَّذِينَ آمَنُوا، وَنَحْنُ الصَّادِقُونَ، وَإِنَّمَا أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا مَعَنَا فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وَالصَّادِقُونَ هُمُ الْمَهَاجِرُونَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

حَكَمَ بَلَّةَ وَمَا بَعْدَهَا:

وَقَوْلُهُ: بَلَّةُ الْأَكُفُّ، بِخَفْضِ الْأَكُفِّ هُوَ الْوَجْهَ، وَقَدْ رُوِيَ بِالنَّصْبِ، لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ، أَيْ: دَعِ الْأَكُفَّ، فَهَذَا كَمَا تَقُولُ: رَوَيْدٌ زَيْدٌ، وَرَوَيْدٌ زَيْدٌ بِلَا تَنْوِينٍ مَعَ النَّصْبِ، وَبَلَّةَ كَلِمَةٌ بِمَعْنَى

(١) بَلَّةٌ: تَارِكَةٌ.

(٢) الْمَهَيَّئُ: السَّيِّدُ. وَبَارَكَ اللَّهُ فِي وَلَدِنَا «مَهَيَّئٌ». آمِينَ.

تَنْفِي الْجُمُوعِ كَقَضْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ نَلْقَى الْعَدُوَّ بِقُحْمَةٍ مَلْمُومَةٍ
وَزِدْ وَمَحْجُولٌ ^(٢) الْقَوَائِمِ أَبْلَقُ ^(٣) وَنُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُقْلَصٍ ^(١)
عِنْدَ الْهِيَاجِ أَسْوَدَ طَلٍّ مُلْثَقٍ ^(٤) تَزْدِي بِفُزْسَانٍ كَأَنَّ كَمَاثَهُمْ
تَحْتَ الْعِمَايَةِ بِالْوَشِيحِ ^(٥) الْمَرْهُقِ ^(٦) صَدُقْ يُعَاطُونَ الْكُفَاةَ حُتُوفَهُمْ
فِي الْحَزْبِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ مُوَفِّقٍ أَمْرُ الْإِلَهِ بَرَنْطُهَا لِعَدُوِّهِ
لِلدَّارِ إِنْ دَلَفَتْ ^(٧) خِيُولُ التَّرْقِ ^(٨) لَتَكُونَنَّ غَيْظًا وَحَيْطًا
مِنْهُ وَصِدْقُ الصَّبْرِ سَاعَةً نَلْتَقِي وَيُعَيِّنُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ
وَإِذَا دَعَا لِكَرْيِهِ لَمْ تُسَبِّقْ وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ
وَمَتَى نَرَى الْحُومَاتِ ^(٩) فِيهَا نُغْنِقُ وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا

دَع، وهي من المصادر المضافة إلى ما بعدها وهي عندي من لفظ البله والتبالة، وهو من الغفلة، لأن من غفل عن الشيء تركه، ولم يسأل عنه، وكذلك قوله: بَلْهُ الْأَكْفُ، أي: لا تسأل عن الأكف إذا كانت الجماعم ضاحية مُقْطَعَةً، وفي الحديث: يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بَلْهُ ما أطلعتهم عليه» ^(١٠).

وقوله: بِقُحْمَةٍ مَلْمُومَةٍ، أي: كَثِيبَةٍ مجموعة. وقوله: كَقَضْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ، الصحيح فيه: ما رواه ابن هشام عن أبي زيد: كرأس قدس المشرق، لأن قُدُسَ جَبَلٍ معروف من ناحية المشرق.

وقوله:

عِنْدَ الْهِيَاجِ أَسْوَدَ طَلٍّ مُلْثَقٍ

الطَّلُّ معروف، واللَّثَقُ ما يكون عن الطَّلِّ من رَلَقٍ وطين، والأَسْدُ أجوع ما تكون وأَجْرًا في ذلك الحين.

(٢) محجول: في قوائمه بياض.

(٤) ملثق: كثير الندى.

(٦) المزهق: الذي يصيب الهدف.

(٨) الترق: الصعبة الانقياد.

(١) مقلص: فرس طويل القوام.

(٣) أبلق: أسود فيه بياض.

(٥) وشيح: رماح.

(٧) دلفت: دخلت أو تقدمت.

(٩) الحومات: مواضع القتال الشديدة.

(١٠) أخرجه البخاري (٥١٢/٨ - فتح) ومسلم في الجنة (٢) والترمذي (٣١٩٧) وابن ماجه (٤٣٢٨) وأحمد (٤٣٨/٢) والبيهقي في الصفات (٢٠٨ - بتحقيق).

مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ فِينَا مُطَاعُ الْأَمْرِ حَقٌّ مُصَدَّقٌ
فَبِذَاكَ يَنْصَرُّنَا وَيُظْهِرْ عِزَّنَا وَيُصَيِّبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَلِكَ بِمِزْفَقٍ
إِنَّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُتَّقِي
قال ابن هشام: أنشدني بيته:

تِلْكَم مَعَ الثَّقَوَى تَكُونُ لِبَاسِنَا

وبيته:

مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ

أَبُو زَيْدٍ. وَأَنْشَدَنِي:

تَنْفِي الْجَمُوعُ كِرَاسُ قُدْسِ الْمَشْرِقِ

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

لَقَدْ عَلِمَ الْأَخْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَأَمُوا دِينَنَا مَا تُوَادُّ
أَضَامِيمٌ^(١) مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَصْفَقَتْ وَخَنَدَفَ لَمْ يَذُرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعٌ

قصيدة كعب العينية:

وقوله في العينية:

أَضَامِيمٌ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَصْفَقَتْ

واحد الأضاميم: إضمامة، وهو كل شيء مجتمع يُقال: إضمامة من الناس وإضمامة من كُتُبٍ.

قيس عيلان وقيس كبة:

وقوله: مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ، هو المشهور عند أهل النسب، وبعضهم يقول: إِنَّ قَيْسًا هُوَ عَيْلَانُ لَا ابْنَهُ، قَالَ: وَعَرِفَ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ بِفَرَسٍ، كَانَ لَهُ يَسْمَى: عَيْلَانًا، كَمَا عُرِفَ قَيْسُ كُبَّةً مِنْ بَجِيلَةَ بِفَرَسٍ اسْمُهُ: كُبَّةً، وَكَانَ هُوَ وَقَيْسُ عَيْلَانَ مُتَجَاوِرَيْنِ، فَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدُهُمَا وَقِيلَ: أَيُّ الْقَيْسَيْنِ هُوَ، قِيلَ: قَيْسُ عَيْلَانَ أَوْ قَيْسُ كُبَّةً، وَقِيلَ: إِنَّ عَيْلَانَ اسْمُ كَلْبٍ، كَانَ لَهُ، وَقِيلَ: عَيْلَانَ اسْمُ جَبَلٍ وُلِدَ عِنْدَهُ، وَقِيلَ: اسْمُ غَلَامٍ لِمَضَرَ كَانَ حَضَنَهُ،

يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَتَذُودُهُمْ عَنْ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَأٍ وَسَامِعِ
 إِذَا غَايَظُونَا^(١) فِي مَقَامِ أَعَانِنَا عَلَى غَيْظِهِمْ نَضُرُّ مِنَ اللَّهِ وَاسْعُ
 وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِينَا وَقُضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعِ
 هَذَا لَدَيْنَ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ:
 أَلَا أَبْلُغُ قُرَيْشًا أَنْ سَلَعًا وَمَا بَيْنَ الْعُرَيْضِ إِلَى الصَّمَادِ
 نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ مُدْرَبَاتُ وَخُوصِ ثُقُبَتِ مِنْ عَهْدِ عَادِ
 رَوَاكِدُ يَزْخَرُ الْمُرَارُ فِيهَا فَلَيْسَتْ بِالْجِمَامِ وَلَا الثَّمَادِ

وَقِيلَ: كَانَ جَوَادًا أَتْلَفَ مَالَهُ فَأَدْرَكَهُ عَيْلَةٌ فَسُمِّيَ عَيْلَانً، وَمِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ لِلْقَوْلِ الْآخِرِ قَوْلُ
 رُؤْبَةٍ^(٢):

وَقَيْسَ عَيْلَانً وَمَنْ تَقَيْسَا

شعر كعب في الخندق:

وقوله في الدالية:

وَمَا بَيْنَ الْعُرَيْضِ إِلَى الصَّمَادِ

الْعُرَيْضُ: مَوْضِعٌ، وَالصَّمَادُ: جَمْعُ صَمَدٍ، وَهُوَ مَا غُلِظَ مِنَ الْأَرْضِ.

وَقَوْلُهُ: نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ. يَعْنِي: حَدَائِقُ تَخْلُ تُسْقَى بِالنُّضْحِ، وَأَرَادَ بِالْخُوصِ
 أَبَارًا، وَإِنَّمَا جَعَلَ الْبُئْرَ خَوْصًا لِأَنَّ الْعَيْنَ الْخَوْصَاءَ هِيَ الْغَائِثَةُ، وَجَمَعَهَا خُوصٌ. فَعِيُونُ الْمَاءِ فِي
 الْأَبَارِ كَذَلِكَ غَائِثَةٌ.

وَأَنشَدَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي وَصْفِ الْإِبِلِ:

مَحْبَسَةٌ بَزْلًا كَانَ عِيُونَهَا عِيُونُ الرُّكَايَا أَتَكَزَّتْهَا الْمَوَاتِحُ

وَقَوْلُهُ: يَزْخَرُ الْمُرَارُ فِيهَا. الْمُرَارُ: اسْمُ نَهْرٍ.

(٢) وَقِيلَ: هُوَ لِلْعَجَاجِ.

(١) غَايَظُونَا: أَغْضَبُونَا.

كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَرْدِيَّ فِيهَا أَجَشَّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ
وَلَمْ نَجْعَلْ تِجَارَتَنَا اشْتِراءَ الْحَمِّ يِرْ لَأَرْضِ دَوْسٍ أَوْ مُرَادِ
بِلَادَ لَمْ تُثَرِّ إِلَّا لَكَيْمًا نُجَالِدُ إِنْ بِشِطْمٍ لِلْجِلَادِ
أَثَرِ سِكَّةِ الْأَنْبَاطِ فِيهَا فَلَمْ تَرِ مِثْلَهَا جَلْهَاتٍ وَادِ

وقوله:

كَانَ الْغَابَ وَالْبَرْدِيَّ فِيهَا أَجَشَّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ
يريد: صوت خَفِيفِ الرِّيحِ، كصوت الْأَجَشِّ، وهو الْأَبْحُ، وقد يوصف النبات أيضًا
بِالْعُتَّةِ مِنْ أَجْلِ خَفِيفِ الرِّيحِ فِيهِ، فيقال: رَوْضَةٌ غَنَاءٌ، وقد قيل: إنما ذلك من أَجْلِ صوت
الذُّبَابِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ، قاله أَبُو حَنِيفَةَ.

وقوله: تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ، أَي: صارت فِيهِ بُقَعٌ بِيضٌ مِنَ الْيَبْسِ، يقال للزَّرْعِ إِذَا صارَ
كَذَلِكَ: أَزْقَاطٌ، وَاشْحَامٌ وَاشْحَارٌ، وَإِذَا أَخَذَ السَّيْلُ الْحَبَّ قِيلَ: الْحَمُّ وَأَسْفَى مِنَ السَّقَى،
وَأَشْعٌ مِنَ الشَّعَاعِ بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَكسرها، وهو السَّقَى، ويقال: أَسْبَلَ الزَّرْعُ مِنَ السَّيْلِ، كما
يَقَالُ: بَعِيرٌ حَظْلٌ وَأَحْظَلُ الْمَكَانُ مِنَ الْحَنْظَلِ، وهي لغة أَهْلِ الْحِجَازِ، وَبنو تَمِيمٍ يَقُولُونَ:
سَبَلٌ، وَأما هَمْدَانُ فَيَسْمَوْنَ السَّيْلَ سُبُولًا، والواحدة سَبُولَةٌ فقياس لغتهم أَنْ يَقَالَ: أَسْبَلٌ،
وإنما فَخَرَتِ الْأَنْصَارُ فِي هَذَا الشَّعْرِ الَّذِي قَبْلَهُ بَنَخْلُهَا وَأَطَامِهَا، إِشارةً إِلَى عِزِّهَا وَمَنْعَتِهَا،
وأنها لَمْ تُغْلَبْ عَلَى بِلَادِهَا عَلَى قَدِيمِ الدَّهْرِ، كما أَجْلِيَتْ أَكْثَرُ الْأَعَارِبِ عَنْ مَحَالِهَا،
وَأَزَعَجَهَا الْخَوْفُ عَنْ مَوَاطِنِهَا، وَهذا الْمَعْنَى أَرَادَ حَسَّانُ فِي قَوْلِهِ:

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
لأن إقامتهم حَوْلَ قُبُورِ آبائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى مَنَعَتِهِمْ، وَالْأَمْغَالِبُ لَهُمْ عَلَى مَا
تَخَيَّرُوهُ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَأَثَرُهُ عِنْدَ ارْتِيَادِهِمْ.

وقوله:

أَثَرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبَاطِ فِيهَا

السَّكَّةُ: النَّخْلُ الْمَصْطَفُ، أَي: حَرَّثْنَاهَا وَغَرَسْنَاهَا، كما تَفْعَلُ الْأَنْبَاطُ فِي أَمْصَارِهَا لَا
تَخَافُ عَلَيْهَا كَيْدَ كَائِدٍ، وَإِنَّا هَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ بقوله: «خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ». وَالسَّكَّةُ
أَيْضًا: السُّتَّةُ، وهي الْحَدِيدَةُ الَّتِي يَشْتَقُّ بِهَا الْقَدَانُ الْأَرْضَ، وَيَقَالُ لَهَا أَيْضًا: الْمَانُ، وهو
تَفْسِيرُ الْأَضْمَعِيِّ، وَفَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ، وَأَنَّهَا النُّخْلُ، وَيَقَالُ أَيْضًا: أُبَيْثَتْ
الْأَرْضُ فِي مَعْنَى أُثِيرَتْ، قاله أَبُو حَنِيفَةَ، وَيُرْوَى فِي الْحِمَاسَةِ:

هَلَمْ إِلَيْهَا قَدْ أُبَيْثَتْ زُرُوعُهَا

على الغايات مُقْتَدِر جواد
من القول المُبَيِّن والسَّداد
لكم مِنَّا إلى شَطْر المَدَد
وكلَّ مُطَهَّم سَلِس القِيَاد
تَدِف دَفِيفَ صَفَرَاءِ الجَرَاد
تميم الخَلْق من أَخِرِ وهادي
خيولُ النَّاس في السَّنة الجَمَاد
إذا نادَى إلى الفَزَع المُنَادِي
تَوَكَّلْنَا على رَبِّ العِبَاد
سوى ضَرْب القَوَائِس والجِهَاد
مِنَ الأَقْوَامِ مِن قَارِ وبَادِي
أَرْدَنَاهُ وَأَلْيَنَ فِي الوِدَاد
جِيَاد الجَذَلِ فِي الأَرْب الشَّدَاد
كَرِيمٌ غَيْر مُعْتَلِثِ الزُّنَادِ

قَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُضَرٍ وَطُولِ
أَجِيبُونَا إِلَى مَا نَجْتَدِيكُمْ
وإلا فاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمِ
نَصْبُحُكُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبِ
وكلَّ طِمْرَةٍ خَفِيقُ حَشَاهَا
وكلَّ مُقَلَّصِ الأَرَابِ نَهْدِ
خِيُولَ لَا تُضَاعُ إِذَا أُضِيعَتْ
يُنَازِعُنَ الأَعِنَّةَ مُضْغِيَاتِ
إِذَا قَالَتْ لَنَا النُّذْرُ اسْتَعْدُّوا
وَقُلْنَا لَنْ يُفَرِّجَ مَا لَقِينَا
فَلَمْ تَرِ غُصْبَةً فَيَمْنُ لَقِينَا
أَشَدُّ بِسَالَةً مِنَّا إِذَا مَا
إِذَا مَا نَخُنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا
قَدَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلَّ صَفَرِ

أي: أُثِيرَتْ وفي الغريب المصنف:

وَحَقُّ بَنِي شِعَارَةَ أَنْ يَقُولُوا لِيَصْخُرَ الْعَيُّ مَاذَا تَسْتَبِيثُ
وَعَلَطَ أَبُو عُبَيْدٍ [الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ] فَجَعَلَ تَسْتَبِيثُ مِنْ نَبِيَّةِ الْبُثْرِ، وَهُوَ تَرَابُهَا، وَلَوْ كَانَ
كَذَلِكَ لَقَالَ: تَسْتَبِيثُ بَنُونَ قَبْلَ الْبَاءِ.

وقوله: جَلْهَاتٍ وَادٍ.

الْجَلْهَاتُ مِنَ الْوَادِي مَا كَشَفَتْ عَنْهُ السَّيُولُ الشَّغَرَاءُ فَأَبْرَزَتْهُ، وَهُوَ مِنَ الْجَلَّةِ وَهُوَ
انْحِسَارُ الشَّعْرِ عَنْ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ.

وقوله: صَفَرَاءُ الْجَرَادِ، وَهِيَ: الْخَيْفَانَةُ مِنْهَا، وَهِيَ الَّتِي أَلْقَتْ سُرَّاهَا، أَي: بَيَّضَهَا،
وَهِيَ: أَخْفُ طَيْرَانَا، وَالْكَتِفَانِ مِنَ الْجَرَادِ أَكْبَرُ مِنَ الْخَيْفَانِ، وَأَوَّلُ أَمْرِ الْجَرَادِ دُودٌ، وَيُقَالُ
لَهُ: الْغَمَصُ يَلْقِيهِ بَحْرُ الْيَمَنِ، وَلَهُ عَلَامَةٌ قَبْلَ خُرُوجِهِ، وَهُوَ بَرْقٌ يَلْمَعُ مِنْ ذَلِكَ الْبَحْرِ سَبْعَ
عَشْرَةَ أَمْرَةً، فَيَعْلَمُونَ بِخُرُوجِ الْجَرَادِ، قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ.

وقوله: غَيْر مُعْتَلِثِ الزُّنَادِ.

أَشَمَّ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ غَدَاةٌ بَدَا بِبِطْنِ الْجَزْعِ غَادِي
يُغَشَّى هَامَةً الْبَطْلُ الْمُدْكَى صَبِيَّ السَّيْفِ مُسْتَرْخِي التَّحَادِ
لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَفْكَ فَاهْدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ
قال ابن هشام بيته:

قَصَرْنَا كُلَّ ذِي حَضَرٍ وَطَوَّلَ

والبيت الذي يتلوه، والبيت الثالث منه، والبيت الرابع منه، وبيته:

أَشَمَّ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ

والبيت الذي يتلوه، عن أبي زيد الأنصاري.

مسافع يبكي عمراً في شعره:

قال ابن إسحاق: وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح يبكي عمرو بن عبد ود، ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه:

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ جَزَعِ الْمَذَادِ وَكَانَ فَارِسَ يَلِيلِ
سَمَحُ الْخَلَائِقِ مَا جَدَّ ذُو مَرَّةٍ يَبْغِي الْقِتَالَ بِشِكَّةٍ لَمْ يَثْكَلِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ وَلَّوْا عَنْكُمْ أَنْ ابْنَ عَبْدِ فِيهِمْ لَمْ يَعْجَلِ
حَتَّى تَكْتَفِيَهِ الْكُمَاءُ وَكُلُّهُمْ يَبْغِي مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُؤْتَلِي
وَلَقَدْ تَكْتَفَتْ الْأُسَّةُ فَارِسًا بِجَنُوبِ سَلْعٍ غَيْرِ نَكْسٍ أَمِيلِ
تَسْلُ الثَّرَالَ عَلَيَّ فَارِسٍ غَالِبٍ بِجَنُوبِ سَلْعٍ، لَيْتَهُ لَمْ يَنْزَلِ
فَاذْهَبْ عَلَيَّ فَمَا ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ فَخَرًا وَلَا لَاقِيَتْ مِثْلَ الْمُغْضَلِ
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِفَارِسٍ مِنْ غَالِبٍ لَأَقَى جِمَامَ الْمَوْتِ لَمْ يَتَحَلَّلِ
أَعْنِي الَّذِي جَزَعَ الْمَدَادَ بِمُهِرِهِ طَلَبًا لَشَأْرٍ مَعَاشِرٍ لَمْ يَخْذُلِ

مسافع يؤثب الفرسان الذين كانوا مع عمرو:

وقال مسافع أيضًا يؤثب فرسان عمرو الذين كانوا معه، فأجلوا عنه وتركوه:

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَالْجِيَادُ يَقُودُهَا خَيْلٌ تُقَادُ لَهُ وَخَيْلٌ تُنْعَلُ

الزناد المُعْتَلِكُ: هو الذي لا يدري من أي عود هو، وأصل الاعتلاك الاختلاط: يقال: علثت الطعام إذا خلطت حنطة بشعير، والعلائة: الزئذ الذي لا يوري نازًا.

أَجَلَّتْ فَوَارِسُهُ وَغَادِرَ رَهْطُهُ رُكْنَا عَظِيمًا كَانَ فِيهَا أَوَّلُ
عَجَبًا وَإِنْ أَعْجَبَ فَقَدْ أَبْصَرْتَهُ مَهْمَا تَسُومُ عَلَيَّ عَمْرًا يَنْزِلُ
لَا تَبْعَدَنَّ فَقَدْ أَصِيبْتُ بِقَتْلِهِ وَلَقِيتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَمْرًا يَثْقُلُ
وَهَبِيرَةَ الْمَسْلُوبِ وَلَى مُذِيرًا عِنْدَ الْقِتَالِ مَخَافًا أَنْ يُقْتَلُوا
وَضَرَارَ كَأَنَّ الْبَأْسَ مِنْهُ مُخْضَرًا وَلَى كَمَا وَلَى الْأَلِيمُ الْأَغْزَلُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لَهُ. وَقَوْلُهُ: «عَمْرًا يَنْزِلُ» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

هَبِيرَةُ يَبْكِي عَمْرًا وَيَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِهِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِهِ، وَيَبْكِي عَمْرًا، وَيَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ إِيَّاهُ:

لَعَمْرِي مَا وَلَّيْتُ ظَهْرِي خِمْدًا وَأَصْحَابَهُ جُنُبًا وَلَا خَيْفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكِنِّي قَلْبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ لَسَيْفِي عَنَاءً إِنْ شَرِبْتُ وَلَا نَبْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِي مَقْدَمًا صَدَدْتُ كَضِرْغَامٍ هَزَبِ أَبِي شَبْلٍ
ثَنَى عِظْفَهُ عَنْ قَرْزِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَكْرًا وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي
فَلَا تَبْعِدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا وَحَقَّ لِحُسْنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي
وَلَا تَبْعِدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا فَقَدْ بَنَتْ مَحْمُودُ الثَّنَا مَا جِدَ الْأَضْلُ
فَمَنْ لِي طَرَادَ الْخَيْلِ تُفْذَعُ بِالْقَنَا وَلِلْفَخْرِ يَوْمًا عِنْدَ قَرْقَرَةِ الْبُزْلِ
هُنَالِكَ لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ لَزَاذَهَا وَفَرَجَهَا حَقًّا فَتَى غَيْرُ مَا وَغَلُ
فَعَنَّاكَ عَلَى لَا أَرَى مِثْلَ مَوْقِفِ وَقَفْتُ عَلَى نَجْدِ الْمُقَدَّمِ كَالْفَخْلِ
فَمَا ظَفِرْتُ كَفَّاكَ فَخْرًا بِمِثَالِهِ أَمِئْتُ بِهِ مَا عِشْتُ مِنْ زَلَّةِ الثَّغْلِ

هَبِيرَةُ يَبْكِي عَمْرًا فِي شَعْرِهِ:

قَالَ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ يَبْكِي عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ إِيَّاهُ:

لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا لَوْيَ بْنَ غَالِبٍ لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا نَابَ نَائِبُ
لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا مَا يَسُومُهُ عَلَيَّ وَإِنَّ اللَّيْثَ لَا بَدَّ طَالِبُ

عَشِيَّةَ يَدْعُوهُ عَلِيٌّ وَإِنَّهُ
فِيَا لَهْفٍ نَفْسِي إِنْ عَمَرَا تَرْكُتُهُ
لِفَارِسُهَا إِذْ هَامَ عَنْهُ الْكَائِبُ
بِيَثْرِبَ لَا زَالَتْ هُنَاكَ الْمَصَائِبُ

حَسَّانُ يَفْتَخِرُ بِقَتْلِ عَمْرُو:

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَفْتَخِرُ بِقَتْلِ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ:

بَقِيَّتُكُمْ عَمْرُو أَبْخَنَاهُ بِالْقَنَا
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِكُلِّ مُهَيَّدٍ
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِبَذْرِ فَأُضْبِحَتْ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِحَسَّانٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا فِي شَأْنِ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ:

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدِ يَبْتَغِي
فَلَقَدْ وَجَدَتْ سُيُوفُنَا مَشْهُورَةً
وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَذْرِ غُضْبَةٍ
أُضْبِحَتْ لَا تُدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ
بِجَنُونٍ يَثْرِبُ ثَأْرَهُ لَمْ يَنْظُرِ
وَلَقَدْ وَجَدَتْ جِيَادَنَا لَمْ تُقْصِرْ
ضَرْبُوكَ ضَرْبًا غَيْرَ ضَرْبِ الْحُسْرِ
يَا عَمْرُو أَوْ لَجْسِيمٍ أَمْرٍ مُنْكَرٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِحَسَّانٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا:

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا هِذَمٍ رَسُولًا
أَكُنْتُ وَلِيِّكُمْ فِي كُلِّ كُزٍّ
وَمِنْكُمْ شَاهِدٌ وَلَقَدْ رَأَيْتِي
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَتُرَوَّى هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لِرَبِيعَةَ بِنِ أُمِّهِ الدِّيلِي، وَيُرَوَّى فِيهَا آخَرُهَا:
مُغْلَغَلَةٌ تَخْبُثُ بِهَا الْمَطِيُّ
وْغَيْرِي فِي الرِّخَاءِ هُوَ الْوَلِيُّ
رُفِعْتُ لَهُ كَمَا اخْتِمِلَ الصَّبِي
كَبَبَتْ الْخَزْرَجِيَّ عَلَى يَدَيْهِ
وَتُرَوَّى أَيْضًا لِأَبِي أُسَامَةَ الْجُشَمِيِّ.

شعر حسان في يوم بني قريظة وبكاء ابن معاذ:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكي سعد بن معاذ ويذكر حكمة فيهم:

لقد سَجَمْتُ^(١) من دَمَعِ عَيْنِي عِبْرَةً
قَتِيلِ ثَوَى فِي مَعْرِكٍ فُجِعْتُ بِهِ
عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثِ جَنَّةٍ
فَإِنْ تَكْ قَدْ وَدَعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أَبْتَ بِمَشْهَدٍ
بِحُكْمِكَ فِي حَيِّي قُرَيْظَةَ بِالَّذِي
فَوَاقَقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمُكَ فِيهِمْ
فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلَى^(٢)
فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا
وَحَقٌّ لَعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَى سَعْدٍ
عُيُونُ ذَوَارِي الدَّمَعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ
مَعَ الشُّهَدَاءِ وَقَدْهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
وَأَمْسَيْتُ فِي غَبْرَاءِ مُظْلَمَةِ اللَّحْدِ
كَرِيمِ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ
قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ
وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدٍ
شَرُّوا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَّتِهَا الْخُلْدِ
إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَضْدِ

شعر حسان في بكاء ابن معاذ وغيره:

وقال حسان بن ثابت أيضًا، يبكي سعد بن معاذ، ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

أَلَا يَا لِقَوْمِي هَلْ لَمَّا حُمَ دَافِعُ
تَذَكَّرْتُ عَضْرًا قَدْ مَضَى فَتَهَافَتَتْ
صَبَابَةٌ وَجَدَ ذَكَّرْتَنِي أَحِبَّةُ
وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الْجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ
وَقَفُوا يَوْمَ بَذَرِ لِلرَّسُولِ وَقَوْفَهُمْ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّ وَكَلُّهُمْ
فَمَا تَكَلُّوا حَتَّى تَوَلَّوْا جَمَاعَةً
وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ
بَنَاتُ الْحَشَى وَانْهَلَّ مِنْهُ الْمَدَامِعُ
وَقَتْلَى مَضَى فِيهَا طَفِيلٌ وَرَافِعُ
مَنَازِلَهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَاقِعِ^(٣)
ظِلَالُ الْمَنَايَا وَالسُّيُوفِ اللُّوَامِعُ
مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
وَلَا يَقْطَعُ الْأَجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ

(٢) الألى: البشر.

(١) سجمت: سالت.

(٣) بلاقع: قفر.

لأنهم يرجون منه شفاعة
فذلك يا خَيْرَ الْعِبَادِ بَلَاؤُنَا
لِنا الْقَدَمِ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَقْنَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَخَدَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا التَّيُّونُ شَافِعَ
إِجَابَتُنَا لِلَّهِ وَالْمَوْتُ نَاقِعَ
لأَوْلَانَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعَ
وَأَنْ قَضَاءُ اللَّهِ لَا بَدَّ وَاقِعَ

شعر آخر لحسان في يوم بني قريظة:

وقال حسان بن ثابت أيضًا في يوم بني قريظة:

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةَ مَاسَاها
أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ
عَدَاءٌ أَتَاهُمْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ
لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى
تَرْكُنَاهُمْ وَمَا ظَفَرُوا بِشَيْءٍ
فَهُمْ صَرَعَى تَحُومِ الطَّيْرِ فِيهِمْ
فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُضْحًا قُرَيْشًا
وقال حسان بن ثابت في بني قريظة:

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةَ مَاسَاها
وَسَعْدٌ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُصْحِ
فَمَا بَرَحُوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى
أَحَاطَ بِحِضْنِهِمْ مِثًّا صُفُوفِ
وقال حسان بن ثابت أيضًا في يوم بني قريظة:

تَفَاقَدَ مَعْشَرَ نَصْرُوا قُرَيْشًا
هُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ
وَلَيْسَ لَهُمْ بِبَلَدَتِهِمْ نَصِيرِ
وَهُمْ غُمَى مِنَ التَّوْرَةِ بُورِ^(١)

(١) بور: هالكين.

كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أَتَيْتُمْ
فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ
شِعْرُ أَبِي سُفْيَانَ فِي الرَّدِّ عَلَى حَسَّانَ:

فأجابه أبو سُفْيَانُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ:

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ
سَتَعْلَمُ أَئِنَّا مِنْهَا بِئُزُّوْهُ
فَلَوْ كَانَ التُّخَيْلُ بِهَا رِكَابًا
شِعْرُ ابْنِ جَوَالٍ فِي الرَّدِّ عَلَى حَسَّانَ:

وَأَجَابَهُ جَبَلُ بْنُ جَوَالٍ الثُّعْلِيُّ أَيْضًا، وَبَكَى النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ، فَقَالَ:

أَلَا يَا سَعْدُ بَنِي مُعَاذٍ
لَعَمْرِكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ
فَأَمَّا الْحَزْرَجِيُّ أَبُو حُبَابٍ
وَبُدِّلَتِ الْمَوَالِي مِنْ حَضِيرٍ
وَأَقْفَرَتِ الْبُؤَيْرَةُ مِنْ سَلَامٍ
وَقَدْ كَانُوا بِبِلَدَتِهِمْ ثِقَالًا
فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو حَكَمٍ سَلَامٍ
وَكُلَّ الْكَاهِنَيْنِ وَكَانَ فِيهِمْ
وَجَدْنَا الْمَجْدَ قَدْ ثَبَّتُوا عَلَيْهِ
أَقِيمُوا يَا سَرَاةَ الْأَوْسِ فِيهَا
تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا

لَمَّا لَقِيََتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ
غَدَاةً تَحْمَلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ
فَقَالَ لَقَيْنُثْقَاعٍ لَا تَسِيرَا
أُسَيْدَا وَالِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
وَسَغِيَةٌ وَابْنُ أَخْطَبٍ فَهِيَ بُورُ
كَمَا ثَقُلْتَ بِمَیْطَانِ الصُّخُورِ
فَلَا رَتْكَ السَّلَاحُ وَلَا دَثُورُ
مَعَ اللَّيْنِ الْخَضَارِمَةِ الصُّفُورِ
بِمَجْدٍ لَا تُغَيِّبُهُ الْبُدُورُ
كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَخْزَاةِ غُورُ
وَقَدَّرَ الْقَوْمُ حَامِيَةً تَفُورُ

مقتل سلام بن أبي الحقيق^(١)

الخزرج يستأذنون في قتل ابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بني قُرَيْظَةَ، وكان سلام بن أبي الحقيق، وهو أبو رافع فيمن حَزَبَ الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قد قَتَلَت كعب بن الأشرف، في عداوته لرسول الله ﷺ وتَحْرِيطِهِ عَلَيْهِ، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق، وهو بخَيْرٍ، فأذن لهم.

التنافس بين الأوس والخزرج في عمل الخير:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبد بن كعب بن مالك، قال: وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار والأوس، والخزرج، كانا يَتَصَاوَلَانِ مع رسول الله ﷺ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، لا تصنع الأوس شيئاً عن رسول الله ﷺ غَنَاءَ إِلَّا قَالَتِ الْخَزْرَجُ: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها؛ وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً؛ قال: فتذاكروا: مَنْ رَجُلٌ لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخير؛ فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم.

قصة الذين خرجوا لقتل ابن أبي الحقيق:

فخرج إليه من الخزرج من بني سَلَمَةَ خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سينان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربيعة، وخزاعي بن أسود، حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك، ونهاهم عن أن

مقتل ابن أبي الحقيق

ذكر فيه نفر الخمسة الذين قتلوه، وسماهم، وذكر فيهم ابن عُقْبَةَ أَسْعَدَ بن حَرَامٍ، ولا يُعْرَفُ أَحَدٌ ذكره غيره.

(١) انظر البخاري (٧/٢٦٣).

يَقْتُلُوا وَلِيدًا أَوْ امْرَأَةً، فخرجوا حتى إذا قَدَمُوا خَيْبَرَ، أَتَوْا دَارَ ابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ لَيْلًا، فلم يَدْعُوا بَيْتًا فِي الدَّارِ إِلَّا أَغْلَقُوهُ عَلَى أَهْلِهِ. وَكَانَ فِي عِلِّيَّةٍ لَهُ إِلَيْهَا عَجَلَةٌ قَالَ: فَاسْتَدَّوْا فِيهَا حَتَّى قَامُوا عَلَى بَابِهِ، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ امْرَأَتُهُ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ نَتَلَمَسُ الْمِيرَةَ. قَالَتْ: ذَاكُم صَاحِبُكُمْ، فَأَدْخِلُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ، أَغْلَقْنَا عَلَيْنَا وَعَلَيْهَا الْحَجَرَةُ، تَخَوَّفًا أَنْ تَكُونَ دُونَهُ مَحَاوَلَةً تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، قَالَتْ: فَصَاحَتْ امْرَأَتُهُ، فَتَوَهَّتْ بِنَا وَابْتَدَرْنَا؛ وَهُوَ عَلَى فَرَّاشِهِ بِأَسْيَافِنَا، فَوَاللَّهِ مَا يَدُلُّنَا عَلَيْهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِلَّا بَيَاضُهُ كَأَنَّهُ قُبْطِيَّةٌ مُلْقَاةٌ. قَالَ: وَلَمَّا صَاحَتْ بِنَا امْرَأَتُهُ، جَعَلَ الرَّجُلُ مَنَّا يَرْفَعُ عَلَيْهَا سَيْفَهُ، ثُمَّ يَذْكُرُ نَهْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَكْفِي يَدَهُ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَفَرَعْنَا مِنْهَا بَلِيلًا. قَالَ: فَلَمَّا ضَرَبْنَاهُ بِأَسْيَافِنَا تَحَامَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْسٍ بِسَيْفِهِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَنْفَذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: قَطْنِي قَطْنِي: أَيَّ حَسْبِي حَسْبِي. قَالَ: وَخَرَجْنَا، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ رَجُلًا

قَطْنِي وَقَدْ وَنُونُ الْوَقَايَةِ:

وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ: قَطْنِي قَطْنِي، قَالَ مَعْنَاهُ: حَسْبِي حَسْبِي.

قَالَ الْمُؤَلَّفُ: وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ أَصْلُهَا مِنَ الْقَطِّ، وَهُوَ الْقَطْعُ، ثُمَّ خُفِّفَتْ وَأُجْرِيَتْ مَجْرَى الْحَرْفِ، وَكَذَلِكَ قَدْ بِمَعْنَى قَطِّ هِيَ أَيْضًا مِنَ الْقَدِّ، وَهُوَ الْقَطْعُ طَوْلًا، وَالْقَطُّ بِالطَّاءِ هُوَ الْقَطْعُ عَرْضًا، يُقَالُ: إِنْ عَلِيًّا - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ إِذَا اسْتَعْلَى الْفَارِسَ قَدَّهُ، وَإِذَا اسْتَعَرَضَهُ قَطُّهُ، وَلَمَّا كَانَ الشَّيْءُ الْكَافِي الَّذِي لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ يَدْعُو إِلَى قَطْعِ الطَّلَبِ، وَتَرَكَ الْمَزِيدَ جَعَلُوا قَدْ وَقَطُّ تُشْعِرُ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَإِذَا ذَكَرْتَ نَفْسَكَ قُلْتَ: قَدِي وَقَطِي، كَمَا تَقُولُ: حَسْبِي، وَإِنْ شِئْتَ أَلْحَقْتَ نَوْنًا، فَقُلْتَ: قَذْنِي، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ سَكُونِ آخِرِهَا فَكَّرُوهَا تَحْرِيكَهُ مِنْ أَجْلِ الْبَاءِ، كَمَا كَرُوهَا تَحْرِيكَ آخِرِ الْفَعْلِ، فَقَالُوا: ضَرَبْنِي، وَكَذَلِكَ كَرُوهَا تَحْرِيكَ آخِرِ لَيْتَ فَقَالُوا: لَيْتَنِي، وَقَدْ يَقُولُونَ: لَيْتِي وَهُوَ قَلِيلٌ، وَقَالُوا: لَعَلَّنِي وَلَعَلِّي، وَقَالُوا: مَنْ لَدُنِّي فَأَدْخِلُوهَا عَلَى الْبَاءِ الْمَخْفُوضَةِ بِالظَّرْفِ كَمَا أَدْخِلُوهَا عَلَى الْبَاءِ الْمَخْفُوضَةِ بَيْنَ وَعَنْ، فَعَلُوا هَذَا وَقَايَةً لِأَوَاخِرِ هَذَا الْكَلِمِ مِنَ الْخَفْضِ وَخَصُّوا النَّوْنَ بِهَذَا؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ تَنْوِينًا فِي آخِرِ الْأَسْمِ، أَذْنَتْ بِامْتِنَاعِ الْإِضَافَةِ، وَكَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الَّتِي سَمَّيْنَا تُشْعِرُ بِامْتِنَاعِهَا مِنَ الْخَفْضِ، وَتُشْعِرُ فِي الْفَعْلِ وَالْحُرُوفِ بِامْتِنَاعِهَا مِنَ الْإِضَافَةِ أَيْضًا، لِأَنَّ الْحَرْفَ لَا يُضَافُ، وَكَذَلِكَ الْفَعْلُ مَعَ أَنَّ النَّوْنَ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِضْمَارِ فِي فَعْلَانَا، وَفَعْلُنَا فِي ضَمِيرِ الْمَفْعُولِ، فَمَا قَدْ وَقَطُّ فَاسْمَانِ، وَكَذَلِكَ لَدُنْ، وَلَكِنْ كَرُوهَا تَحْرِيكَ أَوَاخِرِهَا لَشَبْهِهَا بِالْحُرُوفِ. فَإِنْ قِيلَ: فَمَا مَوْضِعُ نِي مِنْ قَوْلِهِ: قَطْنِي؟ قُلْنَا: مَوْضِعُهَا خَفْضٌ بِالْإِضَافَةِ، كَمَا هِيَ فِي لَدُنِّي. فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تَكُونُ ضَمِيرُ الْمَفْعُولِ وَالْمَنْصُوبِ فِي ضَرَبْنِي وَلَيْتَنِي، ثُمَّ تَقُولُ: إِنَّهَا فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ؟ قُلْنَا: الضَّمِيرُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ الْبَاءُ وَحْدَهَا فِي الْخَفْضِ

سيء البصر، قال: فوقع من الدَّرَجَة فوُثِّثَ يده وَثْنًا شديدًا - ويقال: رِجله، فيما قال ابن هشام - وَحَمَلْنَاهُ حَتَّى نَأْتِيَ بِهِ مَنْهَرًا مِنْ عَيُونِهِمْ، فَنَدْخُلُ فِيهِ. قال: فأوقدوا النيران، واشتدوا في كُلِّ وَجْهِ يَطْلُبُونَا، قال: حَتَّى إِذَا يَنْسَوْنَ رَجَعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ، فَاسْتَنْفَوْهُ وَهُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ. قال: فقلنا: كيف لنا بِأَنْ نَعْلَمَ بِأَنْ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ مَاتَ؟ قال: فقال رجل منا: أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرُ لَكُمْ فَانْطَلِقْ حَتَّى دَخَلَ فِي النَّاسِ. قال: فوجدتُ امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المِضْبَاح تنظر في وجهه، وتحذتهم وتقول: أما والله لقد سمعتُ صَوْتَ ابْنِ عَتِيكَ، ثُمَّ أَكْذَبْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ: أَتَى ابْنُ عَتِيكَ بِهِذِهِ الْبِلَادِ؟ ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَتْ: فَاطِمْةٌ وَإِلَهُ يَعُودُ، فَمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلِمَةٍ كَانَتْ أَلَدَّ إِلَى نَفْسِي مِنْهَا. قال: ثُمَّ جَاءَنَا الْخَبَرُ فَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَنَا فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ، وَاخْتَلَفْنَا عَنْدهُ فِي قَتْلِهِ، كُلُّنَا يَدَّعِيهِ. قال: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ»، قال: فَجِئْنَا بِهَا، فَنَظَرُ إِلَيْهَا، فَقَالَ لِسَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ: «هَذَا قَتْلُهُ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الطَّعَامِ».

شعر حسان في قتل ابن الأشراف وابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف، وقتل سلام بن أبي الحقيق:

لِلَّهِ دُرٌّ عَصَابَةٌ لَا قَتِيَهُمْ يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ

والنصب، كما أن الكاف والهاء كذلك، وقد قالوا: مَنِيَّ وَعَنِيَّ، وهو ضمير خَفُضٍ، وفيه النون، وقالوا: لِيَتِي وَلَعَلِّي، وهو ضميرُ نَصَبٍ وليس فيه نون فإن قيل: فما موضع الاسم من الإعراب إذا قلت: قَطِيَّ وَقَدِيَّ؟ قلنا: إعرابهما كإعراب حَسْبِي مُبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ مَحْذُوفٌ، وإنما لزم حذفُ خبره لما دخله من معنى الأمر، ومن هذا الباب قول جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا: قَطِيَّ وَعِزَّتِكَ قَطِيَّ، ويروى: قَطْنِيَّ، وذلك بعد قولها: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، فإذا وضعت فيها القدم^(١)، ورُوي بعضها إلى بَعْضٍ، قالت: قَطْنِيَّ. وقد جمع الشاعر بين اللَّغَتَيْنِ، فقال:

قَدْ نَزِيَّ مِنْ نَضْرِ الْحُبَيْنَيْنِ قَدِيَّ

(١) أي قدم رب العزة سبحانه وتعالى عز وجل الذي «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» والحديث أخرجه البخاري (١٦٨/٨) ومسلم في الجنة (٣٨/٣٧) والترمذي (٣٢٧٢) وأحمد (٣/٢٣٤) والبيهقي في الصفات (٣٤٨ - بتحقيق) وابن خزيمة في التوحيد (٩٣ - بتحقيق).

يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخَفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرَفٍ
 حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا بَيْضَ دُفٍّ^(١)
 مُسْتَبْصِرِينَ لِنُضْرٍ دِينَ نَبِيَّهِمْ مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجَفٍ
 قال ابن هشام: قوله: «دُفٍّ»، عن غير ابن إسحق.

فهذا ما في قَط التي هي بمعنى حَسْبِي، فأما قَطُّ المَبْنِيَّةُ على الضَّم، فهي ظَرْفٌ لما مضى، وهي تقال بالتخفيف والثقل، وهي من القَطِّ أيضًا الذي بمعنى القطع، وفي مقابلتها في المستقبل: عَوْضٌ ما فعلته قَطُّ، ولا أفعله عَوْضٌ مثل قَبْلُ وَيَعْدُ.

(١) الدُفُّ: السيوف السريعة الحادة.

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عمرو وصحبه عند النجاشي:

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني يَزِيدُ بن أَبِي حَبِيبٍ، عن رَاشِد مَوْلَى حَبِيب بن أَبِي أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ، عن حَبِيب بن أَبِي أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ، قال: حَدَّثني عمرو بن العاص مِن فِيهِ، قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الحَنْدَقِ جَمَعْتُ رَجُلًا من قُرَيْشٍ، كانوا يَرون رأْيِي، وَيَسْمَعون مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُم: تَعْلَمون والله أَنِّي أَرى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعلو الأُمُورَ عُلُوءًا مُتَكَرِّرًا، وَإِنِّي قَد رَأَيْتُ أَمْرًا، فما تَرَوْنَ فِيهِ؟ قالوا: وماذا رَأَيْت؟ قال: رَأَيْتُ أَن نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ عِنْدَهُ، فَإِن ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنا كُنّا عِنْدَ النَجَاشِيِّ، فَإِنّا أَن نَكُونُ تَحْتَ يَدِيهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِن أَن نَكُونُ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ؛ وَإِن ظَهَرَ قَوْمُنا فَنَحْنُ مَن قَد عَرَفُوا، فَلَن يَأْتِينَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ، قالوا: إِن هَذَا الرَّأْيُ. قُلْتُ: فَاجْمَعُوا لَنَا ما نَهْدِيهِ فَلَهُ، وَكان أَحَبُّ ما يُهْدِي إِلَيْهِ مِن أَرْضِنا الْأَذَمُّ. فَجَمَعْنَا لَهُ أَذَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ.

إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد رحمة الله عليهما^(١)

روينا من طريق أبي بكر الخطيب بإسنادٍ يرفعه أن رسول الله - ﷺ - قال: «يقدم عليكم الليلة رجلٌ حكيم»^(٢)، فقدم عمرو بن العاصٍ مُهاجِرًا، ذَكَرَ فِيهِ اجْتِمَاعُهُ مَعَ خالِدٍ فِي الطَّرِيقِ

(١) انظر ترجمة عمرو في الإصابة (٢/٣) الاستيعاب (١١٨٤/٢) الطبقات (٢٥٤/٤) (٤٩٣/٧). وانظر ترجمة خالد بن الوليد رضي الله عنهما في الإصابة (٤١٣/١) الاستيعاب (٦٠٣/٢) تاريخ الصحابة (٣٤٩) الطبقات (٢٥٢/٤) (٤٩٤/٧) تهذيب الكمال (١٨٧/٨) التهذيب (١٢٤/٣).
(٢) أخرجه الخطيب في الموضح (٣٩/١).

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أنني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أضنع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً؛ قال: ثم قرّبه إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطيني لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مّد يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرّقا منه؛ ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه؛ قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الثاموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني وأتبعه، فإنه والله لعلّى الحق، وليظهرنّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فزعون وجنوده؛ قال: قلت: أفبأيعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته: على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكنمت أصحابي إسلامي.

اجتماع عمرو مع خالد في الطريق:

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام الميسم، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؛ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدّمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يُغفر لي وأتقدّم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو، بايع، فإن الإسلام يحب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها؛ قال: فبايعته، ثم انصرفت.

قال ابن هشام: ويقال: فإن الإسلام يحث ما كان قبله، وإن الهجرة تحث ما كان قبلها.

وقول خالد له: والله لقد استقام الميسم. من رواه الميسم بالياء، فهي العلامة، أي: قد تبين الأمر واستقامت الدلالة، ومن رواه المنسم بفتح الميم وبالنون، فمعناه: استقام الطريق ووجبّت الهجرة، والمنسم مقدّم خوف البعير، وكُنّي به عن الطريق للتوجه به فيه.

إسلام ابن طلحة^(١):

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم: أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، كان معهما، حين أسلما.

وذكر الزبيرُ خَبرَ عَمْرٍو هذا، وزاد فيه، أن عثمانَ بنَ طَلْحَةَ بنَ أَبِي طَلْحَةَ صَحِبَهُمَا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ عَمْرٍو: وَكُنْتُ أَسْنُ مِنْهُمَا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكِيدَهُمَا، فَقَدَّمْتُهُمَا قَبْلِي لِلْبَيْعَةِ، فَبَايَعَا، وَاشْتَرَطَا أَنْ يُغْفَرَ مِنْ ذَنْبِهِمَا مَا تَقَدَّمَ، فَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي أَنْ تُبَايَعَ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ مِنْ ذَنْبِي مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَلَمَّا بَايَعْتُ ذَكَرْتُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَأُنْسَيْتُ أَنْ أَقُولَ وَمَا تَأَخَّرَ.

ما قاله الضمري للنجاشي:

وذكر فيه قدوم عمرو بن أمية الضمري على النجاشي بكتاب النبي ﷺ، وكان في الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية، فإنه لما قدم عليه قال له: يا أضحمة إن علي القول عليك الاستماع إنك كائنك في الرقة علينا مينا، وكأنا بالثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيرا قط إلا لنلتاه، ولم نخفك على شيء إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ألا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك وقع الحز وإصابة المفضل، وإلا فانت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي عليه السلام رسله إلى الناس فرجك لما لم يرجهم له، وأمنتك على ما خافهم عليه لخبر سالف وأجر ينتظر، فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وإن العيان له ليس بأشقى من الخبر عنه، ولكن أغواني من الحبس قليل فأنظرنني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب، وسنذكر فيما بعد - إن شاء الله - ما قالته أرسال النبي ﷺ - إلى الملوك، وما ردت عليها.

الرسل إلى الملوك:

فإن دحية كان رسوله إلى قيصر، وخارجة بن حذافة كان رسوله إلى كسرى، وشجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني، وسليط بن عمرو إلى هودة بن علي الحنفي صاحب اليمامة، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي [ملك البحرين] والمهاجر بن أبي أمية إلى الحارث بن عبد كلال، وعمرو بن العاصي إلى الجلودي صاحب عمان،

(١) انظر ترجمته في الإصابة (٤٥٨/١) الاستيعاب (٦٨٤/٢) تاريخ الصحابة (٨٧٢) الطبقات (٤٤٨/٥) التهذيب (١٢٤/٧).

شعر ابن الزبيري في إسلام ابن طلحة وخالد:

قال ابن إسحق: فقال ابن الزبيري السهمي:

أَتَشْدُ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ جِلْفَنَا وَمُلَقَى نِعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبِلِ
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ جِلْفِهِ وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحَلِّلِ
أَمِفْتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي وَمَا يُبْتَغَى مِنْ مَجْدِ بَيْتٍ مُؤْتَلٍ^(١)
فَلَا تَأْمَنْنِ خَالِدًا بَغْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانُ جَاءَ بِالذُّهْمِ^(٢) الْمُعْضَلِ

وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون.

وحاطب بن أبي بلتعة إلى الموقس صاحب مضر، وعمر بن أمية إلى النجاشي كما تقدم، ولكل واحد منهم كلام قاله، وشعر نظمته سنذكره بعد إن شاء الله.

السمهرية:

فصل: وما وقع في أشعار السيرة من ذكر السمهرية من الرماح، فمنسوبة إلى سمهر وكان صنعا فيما زعموا يصنع الرماح، وكانت امرأته رديئة تبيعها، ف قيل للرماح: الرديئة لذلك، وأما الماسخي من القسي فمنسوبة إلى ماسخة، واسمها نبيسة بن الحارث أحد بني نضر بن الأزد، وقال الجعدي:

بِعِيسٍ تُعْطَفُ أَعْنَاقُهَا كَمَا عَطَفَ الْمَاسِخِيُّ الْقِيَانَا
وقد تنسب القسي أيضا إلى زارة وهي امرأة ماسخة. قال صخر الغي:

سَمَحَةٌ مِنْ قِيسِي زَارَةٌ حَمُ رَاءَ هَتُوفِ عِدَادِهَا^(٣) غِرْدُ

من كتاب النبات للديثوري، واليزية منسوبة إلى عبيد الطعان، وهو المعروف بيزن بن هماذي، والمأذية منسوبة إلى ماذي بن يافت بن نوح، قاله الطبري، وزعم أنه أول من عمل السيوف جم وهو رابع ملوك الأرض.

(٢) الدهيم: الأحمق.

(١) مؤتل: أصيل الشرف.

(٣) عداؤها: أي صوتها.

غزوة بني لحيان

«بسم الله الرحمن الرحيم» قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبلي قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهرَ ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: حبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غزوة.

فخرج من المدينة ﷺ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على غراب، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على محيص، ثم على البثراء، ثم صفق ذات اليسار، فخرج على بين، ثم على صخيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة، فأغذ السير سريعًا، حتى نزل على غران، وهي منازل بني لحيان، وغران وإد بين أمج وعسفان، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال. فلما نزلها رسول الله ﷺ

غزوة بني لحيان^(١)

ليس فيها ما يشكّل، وفيها من شعر حسان:

لَقُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرَبَ رَوْعُهُ

(١) انظر البداية (٨١/٤) الطبري (٥٩٥/٢) الطبقات (٥٦/١/٢) الاكتفاء (٢٠٦/٢) المنتظم (٣٤٩/٣) الكامل (٧٨/٢) الواقدي (٥٣٥/٢) الدلائل (٣٦٤/٣) ابن سيد الناس (٨٣/٢) شرح المواهب (١٤٦/٢).

وأخطأ من غرتهم ما أراد، قال: «لو أنا هَبَطْنَا عُسْفَانَ لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا مَكَّةَ»، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفَانَ، ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بلغا كِرَاعَ الْعَمِيمِ، ثم كَرَّ وراح رسولُ الله ﷺ قافلاً.

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول حين وجه راجعاً: «آيُونَ تَائِبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِرُبَّنَا حَامِدُونَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَأَبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ»^(١).

والحديث في غزوة بني لُخَيَانَ، عن عاصم بن عمر بن قَتَادَةَ، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالك؛ فقال كعب بن مالك في غزوة بني لُخَيَانَ.

لو أن بني لُخَيَانَ كَانُوا تَنَاظَرُوا لَقُوا عُصْبًا فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدِقٍ
لَقُوا سَرْعَانَا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أَمَامَ طُحُونٍ^(٢) كَالْمَجْرَةِ^(٣) فَيَلْقُ^(٤)

سَرْعَانَا النَّاسَ: سُبُاقُهُمْ، والسَّرْبُ: المال الرَّاغِي، كَأَنَّهُ جَمْعُ سَارِبٍ، ويقال: هو آمَنُ فِي سَرْبِهِ إِذَا لَمْ يُذْعَرْ، وَلَا خَافَ عَلَى مَالِهِ مِنَ الْغَارَةِ، وَمَنْ قَالَ: فِي سَرْبِهِ بِكْسَرِ السِّينِ، فَهُوَ مُكَلٌّ، لِأَنَّ السَّرْبَ هُوَ الْقَطِيعُ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ، فَمَعْنَى: آمَنَ فِي سَرْبِهِ، أَي: لَمْ يُذْعَرْ هُوَ نَفْسُهُ وَلَا دُعِرَ أَهْلُهُ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ: مَعْنَى فِي سَرْبِهِ أَي: فِي نَفْسِهِ لَمْ يُرْذَ أَنَّ النَّفْسَ يَقَالُ لَهَا: سِرْبٌ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يُذْعَرْ هُوَ وَلَا مَنْ مَعَهُ، لَا كَالْآخِرِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ، وَقِيلَ فِيهِ: آمَنَ فِي سَرْبِهِ بَفَتْحِ السِّينِ، فَكَانَ الْوَاحِدُ آمَنَ فِي مَالِهِ، وَالْآخِرُ آمَنَ فِي نَفْسِهِ، وَيَقَالُ: فِي سَرْبِهِ، أَي: فِي طَرِيقِهِ أَيْضًا.

وقوله:

أَمَامَ طُحُونٍ كَالْمَجْرَةِ فَيَلْقُ

يعني: كَتِيبَةً، جَعَلَهَا كَالْمَجْرَةِ لِلْمَعَانِ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ فِيهَا كَالنُّجُومِ حَوْلَ الْمَجْرَةِ، لِأَنَّ النُّجُومَ - وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ - حَوْلَهَا، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَجْرَةَ نَفْسَهَا نَجُومٌ صِغَارٌ مِتْلَاصِقَةٌ، فَبَيَاضُ الْمَجْرَةِ مِنْ بَيَاضِ تِلْكَ النُّجُومِ، وَقَدْ رُويَ فِي حَدِيثٍ مُنْقَطِعٍ: أَنَّ الْمَجْرَةَ الَّتِي فِي السَّمَاءِ هِيَ مِنْ لُعَابِ حَيَّةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ^(٥)، وَفِي حَدِيثٍ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - حِينَ بَعَثَهُ إِلَى

(١) انظر البخاري (٩/٣) والترمذي (٣٤٤٧/٣٣٤٠) وأبو داود وأحمد (٢٥٦/١) والدارمي (٢٩٠/٢) وابن حبان (٩٦٩ - ٩٧٠ - موارد).

(٢) طحون: حرب عظيمة.

(٣) المجرة: آلة للجز والقطع.

(٤) الفيلق: الجيش العظيم.

(٥) لا صحة لقصة الحية هذه.

ولكنهم كانوا وياراً^(١) تَبَعَتْ شِعَاب حِجَازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفِّقٍ

اليمن قال له: «إنك ستقدم على قوم يسألونك عن المَجْرَّة، فقل لهم: هي من عَرَق الأفعى التي تحت العرش»، لكن إسناد هذا الحديث ضعيف عند أهل النقل لا يُعْرَج عليه^(٢)، ذكره العقيلي، وعن علي أنها شَرَج السماء الذي تنشق منه، وأما قول المُنْجِمِينَ غير الإسلاميين في معنى المَجْرَّة، فذكر لهم القاضي في النقض الكبير نحوًا من عَشْرَةِ أقوال وأكثر، منها ما يُجَوِّزُه العقل، ومنها ما هو شبهُ الهَذْيَانِ، والله أعلم.

ويجوز أن يكون قوله كالمَجْرَّة، أي: أثر هذه الكتيبة الطُّحُون كَأثر المَجْرَّة نَقْشِر ما مَرَّت عليه، وتَكُنْسه. والفِلَقُ: فَيَعْلُ من الفِلَقِ وهي الداهية، كأنها تَفْلِقُ القلوبَ، وهي: الفِلَقَةُ أيضًا. قال ابن أحمر:

قد طَرَّقْتُ بِبِكْرِهَا أُمَّ طَبِيقٍ فدبروه خَبَرًا ضَخْمَ العُنُقِ
فَقِيلَ: وما ذاك؟ قال:

مَوْتُ الإِمَامِ فِلَقَةٌ مِنَ الفِلَقِ

(٢) بل موضوع كما يظهر عليه.

(١) وياراً: كثير الوبر.

الفهرس

٣	ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم
٤	تأويل كن فيكون
٦	تفسير ما نزل من ال عمران في وفد نجران
٦	تأويل آيات محكمات
١٠	احتجاج القسيسين للتثليث
١٢	ما نزل من القرآن في بيان آيات عيسى عليه السلام
١٢	احتجاجهم لألوهية عيسى
١٩	نُبد من ذكر المنافقين
٢٤	ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ
٢٩	تاريخ الهجرة
٢٩	غزوة ودان
٣١	غزوة عبيدة بن الحارث
٣٥	سرية حمزة إلى سيف البحر
٣٨	غزوة بواط
٣٨	غزوة العشيرة
٤٠	تكنية عبي بن أبي تراب
٤٢	سرية عبد الله بن جحش
٤٥	الرسول ﷺ يستنكر القتال في الشهر الحرام
٤٨	غزوة بدر الكبرى
٤٩	ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب
٥٢	خروج عقبة

٥٢	المجمرة والألوة
٦٧	ابن غزية وضرب الرسول له في بطنه بالقدح
٦٨	مناشدة الرسول ربه النصر
٧١	تحريض المسلمين على القتال
٧٧	شهود الملائكة وقعة بدر
٧٩	الغلامان اللذان قتلأ أبا جهل
٨١	خبر عكاشة بن محصن
٨٤	طرح المشركين في القلب
٩٠	ذكر الفيء ببدر
١٠٣	أسر أبي العاص بن الربيع
١٠٥	خروج زينب إلى المدينة تأهبها وإرسال الرسول رجلين ليصحبها
١٠٥	ما أصاب زينب من قريش عند خروجها ومشورة أبي سفيان
١٠٩	إسلام أبي العاص بن الربيع
١١٣	إسلام عمير بن وهب
١١٥	هل تجسّد إبليس في غزوة بدر
١١٧	المطمعون من قريش
١١٩	نزول سورة الأنفال
١١٩	ذكر ما أنزل الله في بدر
١٣٣	ما نزل في الأسارى والمغانم
١٣٧	من شهد بدرًا من المسلمين
١٦٤	من استشهد من المسلمين يوم بدر
١٦٧	من قتل ببدر من المشركين
١٧٦	ذكر أسرى قريش يوم بدر
١٨٤	أشعار يوم بدر
٢٢٠	غزوة بني سليم بالكُدر
٢٢٧	سرية زيد بن حارثة إلى القردة
٢٣٠	مقتل كعب بن الأشرف
٢٣٧	أمر محيصة وحويصة
٢٤٠	غزوة أحد
٢٤٤	رؤيا رسول الله ﷺ
٢٤٩	أمر أبي دجانة

٢٥٣ مقتل حمزة
٢٥٨ عن مقتل حنظلة
٢٦٢ حديث الزبير عن سبب الهزيمة
٢٦٢ الصارخ يوم أُحُد
٢٦٩ قتل الرسول لأبي بن خلف
٢٧٤ حول بعض رجال أُحُد
٢٨١ أمر القتلى بأُحُد
٢٨٢ ما نزل في النهي عن المثلة
٢٨٣ صلاة الرسول على حمزة والقتلى
٢٨٤ دفن عبد الله بن جحش مع حمزة
٢٨٥ دفن الشهداء
٢٨٨ غسل السيوف
٢٨٨ خروج الرسول في أثر العدو ليرهبه
٢٩٢ مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة
٢٩٤ ذكر ما أنزل الله في أُحُد من القرآن
٢٩٧ النهي عن الربا
٢٩٧ الحض على الطاعة
٢٩٨ ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه
٢٩٩ دعوة الجنة للمجاهدين
٣٠٠ ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء
٣٠٢ تحذيره إياهم من إطاعة الكفار
٣٠٥ ما نزل في الغلول
٣٠٧ الترغيب في الجهاد
٣٠٧ الشهادة والشهداء
٣١٢ ذكر من استشهد بأُحُد من المهاجرين
٣٢١ ذكر ما قيل من الشعر يوم أُحُد
٣٦١ ذكر يوم الرجيع
٣٦١ مقتل خبيب وأصحابه
٣٦٩ ما نزل في سرية الرجيع من القرآن
٣٨٢ ابن فهيرة والسماء
٣٨٥ نسب القرطاء

٣٨٧	أمر إجلاء بني النضير في سنة أربع
٤٠١	غزوة ذات الرقاع
٤٠٢	صلاة الخوف
٤١٠	غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع
٤١٥	غزوة دومة الجندل
٤١٦	غزوة الخندق
٤١٧	خروج الأحزاب من المشركين
٤٢٣	التحرّي عن نقض كعب للعهد
٤٢٥	مصالحة الأحزاب
٤٢٧	سلمان وإشارته بحفر الخندق
٤٣٦	الأمر الإلهي بحرب بني قريظة
٤٣٧	جبريل في صورة دحية
٤٣٩	قصة أبي لُبابة
٤٤٠	توبة الله على أبي لُبابة
٤٤٣	تحكيم سعد في أمر بني قريظة ورضاء الرسول به
٤٥٠	ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة
٤٥٥	اهتزاز العرش
٤٥٩	ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة
٤٨١	مقتل سلام بن أبي الحقيق
٤٨٥	إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد
٤٨٩	غزوة بني لحيان

السيرة النبوية لابن هشام

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
أخيه الشهابي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ

ومعه
السيرة النبوية

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المفايري
المتوفى سنة ٢١٣ هـ

عَلَّقَ عَلَيْهِ وَضَعَهُ شَيْخُهُ
مَجْدِي بِهِ فَاصِلٌ بِهِ سِيدُ الشُّرَى

تنبيه

وَضَعْنَا نَصَّ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ فِي أَعْلَى الصَّفَحَاتِ
وَوَضَعْنَا أَسْفَلَ مِنْهَا نَصَّ الرَّوَضِ الْأَنْفِ
وَفَصَّلْنَا بَيْنَهُمَا بِخَطِّ

الجزء الرابع

منشورات

محرر إلى بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الطريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٢٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يُقِم بها إلا ليالي قلائل، حتى أغار عُيَيْنَةَ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بدر الْفَزَارِي، في خَيْلٍ من غَطَفَانَ على لِقَاحٍ لرسول الله ﷺ بالغابة، وفيها رجلٌ من بني غِفَار وامرأة له، فَقَتَلُوا الرجلَ، واحتملوا المرأةَ في اللِّقَاحِ.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، ومن لا أتَّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، كلُّ قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث: أنه كان أول من نَذَرَ بهم سَلَمَةٌ بن عمرو بن الأَكُوْع الأسلمي، غَدًا يريد الغابة متوشِّحًا قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبَيْد الله معه فَرَسٌ له يقوده، حتى إذا علا ثَبِيَّةُ الْوَدَاعِ نَظَرَ إلى بعض خِيُولِهِمْ فَأَشْرَفَ في ناحية سَلْعَ. ثم صرخ: واصباحاه، ثم خرج يَشْتَدُّ في آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لَحِقَ بالقوم، فجَعَلَ يَرُدُّهُمْ بالنَّبْلِ، ويقول: إذا رمى خذها وأنا ابن الأَكُوْع، اليوم يوم الرُّضْع، فإذا وُجِّهَت الخيلُ نحوه انطلق هارِبًا، ثم عارضَهُمْ، فإذا أمكنه الرَّمْيُ رَمَى، ثم قال: خذها وأنا ابن الأَكُوْع، اليوم يوم الرُّضْع، قال: فيقول قائلهم: أُوَيَكِعُنَا هو أول النهار.

غزوة ذي قرد^(١)

ويقال فيه: قُرْدٌ بضمّتين هكذا أَلْفِيئُهُ مُقَيَّدًا عن أبي علي، والقَرْدُ في اللغة الصوفُ الرَّيْدِي، يقال في مثل: عَثَرْتُ على الْغَزَلِ بِأَخْرَةٍ فلم تَدْعُ بِنَجْدٍ قَرْدَةً.

(١) انظر البداية (١٧٨/٤) الطبري (٦٤٠/٢) الكامل (٩٢/٢) المنتظم (٢٥١/٣) ابن سيد الناس (٨٤/٢) شرح المواهب (١٥٣/١٤٨/٢) ابن حزم (٢٤٢) الطبقات (٦١/١/٢) الواقدي (٥٥٠/٢) الزاد (٢٧٨/٣). وانظر البخاري (٣٥٣/٧) ومسلم في الجهاد (١٥٠٦) وأبو داود (٢٧٥٢) وأحمد (٤٨/٤). والغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام.

تسابق الفرسان إلى الرسول ﷺ:

قال: وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع، فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ.

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان: المقداد بن عمرو، وهو الذي يُقال له: المقداد بن الأسود، حليف بني زهرة؛ ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار، عبّاد بن بشر بن وقش بن رُغبة بن زُعوراء، أحد بني عبد الأشهل، وسعد بن زيد، أحد بني كعب بن عبد الأشهل، وأسيد بن ظهير، أخو بني حارثة بن الحارث، يُشكّ فيه، وعُكاشة بن مِخْصَن، أخو بني أسد بن خُزيمة؛ ومُحرز بن نُضلة، أخو بني أسد بن خُزيمة، وأبو قتادة الحارث بن ربيعة، أخو بني سلمة؛ وأبو عيَّاش، وهو عبيد بن زيد بن الصّامت، أخو بني زُرَيْق. فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمرَ عليهم سعد بن زيد فيما بلغني، ثم قال: أخرج في طلب القوم، حتى ألحقك في الناس.

نصيحة الرسول لأبي عيَّاش:

وقد قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيْق، لأبي عيَّاش: «يا أبا عيَّاش، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً، هو أفرس منك فلحق بالقوم؟ قال أبو عيَّاش: فقلت يا رسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربت الفرس، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحتني، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول: «لو أعطيت أفرس منك»، وأنا أقول: أنا أفرس الناس، فزعم رجال من بني زُرَيْق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عيَّاش مُعَاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلْدة، وكان ثامناً، وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، ويطرح أسيد بن ظهير، أخا بني حارثة، والله أعلم أيّ ذلك كان. ولم يكن سلمة يومئذ، فارساً، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه. فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا.

مقتل محرز بن نُضلة:

قال ابن إسحق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم مُحَرِز بن نُضلة، أخو بني أسد بن خُزيمة - وكان يُقال لمحرز: الأخرم؛ ويقال له: قُمَيْر - وأن الفزع لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مُسلمة في الحائط، حين سَمِع صاهلة

الخيـل، وكان فرسًا صَنِيعًا جامًا، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل، حين رأين الفرسَ يجول في الحائط بِجَذَعٍ نخل هو مَرْبُوط فيه: يا قُمَيْر، هل لك في أن تركب هذا الفرسَ؟ فإنه كما ترى، ثم تَلْحَق برسول الله ﷺ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فَأَعْطَيْنَهُ إِيَّاهُ. فخرج عليه، فلم يلبث أن بذَّ الخيل بِجَمَامِهِ، حتى أدرك القومَ، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال: قِفُوا يا معشر بني اللَّكِيعة حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أذباركم من المهاجرين والأنصار. قال: وحمل عليه رجلٌ منهم فقتله، وجال الفرس، فلم يَقْدِر عليه حتى وقف على آريه من بني عبد الأشهل، فلم يَقْتُل من المسلمين غيره.

قال ابن هشام: وقُتِل يومئذ من المسلمين مع مُحَرَز، وقَّاص بن مُجَزَّر المُدَلِجِي، فيما ذَكَر غير واحد من أهل العلم.

أسماء أفراس المسلمين

قال ابن إسحاق: وكان اسم فرس محمود: ذا اللَّمة.

قال ابن هشام: وكان اسم فرس سَعْد بن زيد: لاجق، واسم فرس المِقْدَاد بَعْرَجَة، ويقال: سَبْحَة، واسم فرس عُكَّاشَة بن مِخْصَن: ذو اللَّمة؛ واسم فرس أبي قَتَادَة: حَزْوَ، وفرس عَبَّاد بن بِشْر: لَمَاع، وفرس أُسَيْد بن ظَهْير: مَسْنُون، وفرس أبي عِيَّاش: جُلُوة.

أسماء أفراس المسلمين

وذكر ابنُ إسحاق في هذه الغزوة أسماء خيل جماعة ممن حضرها، فذكر بَعْرَجَة فرس المِقْدَاد، والبَعْرَجَة: شِدَّةٌ جَزِي في مُعَالَبَة كأنه مَنُحُوت من بَعَجٍ إذا شق، وعَزٌّ، أي: غَلَبَ. وأما سَبْحَة فمن سَبَح إذا علا عَلُوًّا في اتساع، ومنه: سُبْحَانَ الله، وَسُبْحَاتُ الله: عَظَمَتُهُ وَعِلْوُهُ، لأن الناظر المفكر في [الله] سبحانه يَسْبَح في خِرٍ لا ساجِل له، وقد ذكرنا في معنى هذه الكلمة حقائق ودقائق أسرارٍ في شَرْح: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ. وأما حَزْوَ، فمن حَزَوْتُ الطير إذا رَجَزَتْها، أو من حَزَوْتُ الشيء إذا أظهرته. قال الشاعر:

تَرَى الْأَمْعَرَ الْمَحْزُورَ فِيهِ كَأَنَّهُ مِنَ الْحَرِّ وَاسْتِقْبَالِهِ الشَّمْسَ مَسْطَحٌ^(١)

وجُلُوة من جَلَوْتُ السَّيْفَ، وجَلَوْتُ العَرُوسَ، كأنها تَجْلُو القَمَّ عن قلب صاحبها، ومَسْنُون من سَنَنْتُ الحديدة إذا صَقَلْتُها.

(١) المسطح: ضرب من الحصير.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك: أن مُجَزَّرًا إنما كان على فرس لعكاشة بن مخصن، يقال له: الجناح، فقتل مُجَزَّر واستلبت الجناح.

قتلى المشركين:

ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربيعي، أخو بني سلمة، حبيب بن عيينة بن حِضْن، وغشاه بُرْذَه، ثم لحق بالناس. وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين.

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة:

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: فإذا حبيب مُسَجَّى ببُرْذَه أبي قَتَادَةَ، فاسترجع الناس وقالوا: قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ؛ فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأبي قَتَادَةَ ولكنه قَتِيل لأبي قَتَادَةَ، وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْذَه، لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ».

سلمة بن الأكوع:

وذكر سلمة بن الأكوع، واسم الأكوع: سِنَانٌ، وخبر سلمة في ذلك اليوم أطول مما ذكره ابن إسحاق، وأعجب، فإنه استلب وحده في ذلك اليوم من العدو وهو راجل قبل أن تلحق به الخيل ثلاثين بُرْذَةً وثلاثين دَرَقَةً، وقتل منهم بالنبل كثيرًا، فكلما هربوا أدركهم، وكلما راموه أفلت منهم، وشهرة حديثه تُغني عن سرده، فإنه في كتاب الحديث المشهورة، وقيل: إن سلمة هذا هو الذي كلّمه الذئب، وقيل: إن الذي كلّمه الذئب هو أهبان بن صيفي وهو حديث مشهور.

شرح اليوم يوم الرضع:

وقوله: اليوم يوم الرضع، يريد يوم اللثام، أي: يوم جُنْهَم، وفي قولهم: لثيم راضع أقوال، ذكرها ابن الأثيري. قيل: الراضع هو الذي رَضَعَ اللَّوْثُ في ثَدْيِ أُمِّه أي: غَدِي به، وقيل: هو الذي يَرْضَع ما بين أسنانه يَسْتَكْثِر من الجَسَع بذلك. وشاهد هذا القول قول امرأة من العرب تَدُم رَجُلًا: إنه لأَكَلَةٌ تُكَلَّةُ يَأْكُل من جَسَعِهِ خِلَلَهُ، أي: ما يَتَخَلَّلُ بين أسنانه. قال ابن قتيبة: ولم أسمع في الجَسَع، والحرص أبْلَغ من هذا، ومن قولهم: هو يُبِير الكلاب من

وأدرك عُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ أُوَيْبَارًا وابنه عَمْرُو بْنُ أُوَيْبَارٍ، وهما على بَعِيرٍ واحدٍ، فَاَنْتَظَمَهُمَا بِالرَّمْحِ فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا، وَاسْتَنْقَذُوا بَعْضَ اللَّقَاحِ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ، وَتَلَا حَقَّ بِهِ النَّاسُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً؛ وَقَالَ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ سَرَخْتَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ لَأَسْتَنْقَذْتُ بَقِيَّةَ السَّرْحِ، وَأَخَذْتُ بِأَغْنَاكِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنِي: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَغْبُقُونَ فِي عَظْفَانٍ»^(١).

تقسيم الفيء بين المسلمين:

فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ جَزُورًا، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ.

مَرَابِضُهَا، أَي: يَلْتَمِسُ تَحْتَهَا عَظْمًا يَتَعَرَّفُهُ، وَقِيلَ فِي اللَّثِيمِ الرَّاضِعِ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ النَّاسِ وَمَذْكُورٌ فِي كُتُبِهِمْ.

وقوله: اليوم يَوْمُ الرُّضْعِ بالرفع فيهما، وينصب الأول، ورفع الثاني، حكى سيبويه: اليوم يَوْمُكَ، على أن تجعل اليومَ ظَرْفًا فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ لِلثَّانِي، لِأَنَّ ظُرُوفَ الزَّمَانِ يَخْبِرُ بِهَا عَنْ زَمَانٍ مِثْلِهَا إِذَا كَانَ الظَّرْفُ يَتَّسِعُ، وَلَا يَضِيقُ عَلَى الثَّانِي، مِثْلُ أَنْ تَقُولَ: السَّاعَةُ يَوْمُكَ، وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩٠] أَنْ يَوْمَئِذٍ ظَرْفٌ لِيَوْمٍ عَسِيرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ ظُرُوفَ الزَّمَانِ أَحْدَاثٌ، وَلَيْسَتْ بِجُثْثٍ فَلَا يَمْتَنِعُ فِيهَا مِثْلُ هَذَا، كَمَا لَا يَمْتَنِعُ فِي سَائِرِ الْأَحْدَاثِ.

وقوله عليه السلام لِلْغِفَارِيَّةِ، واسمها ليلي، ويقال هي امرأة أبي ذرٍّ حين أخبرته أنها نَذَرَتْ إِنْ اللَّهُ نَجَّاهَا، عَلَيْهَا أَنْ تَنْحَرَهَا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ثُمَّ قَالَ: «بَسَّسَ مَا جَزَيْتَهَا أَنْ حَمَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَنَحَّاكَ بِهَا، ثُمَّ تَنْحَرِيْنَهَا إِنَّهُ لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِي مَا لَا تَمْلِكِينَ»^(٢)، فِيهِ حُجَّةٌ لِلشَّافِعِيِّ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ: إِنْ مَا أَحْرَزَهُ الْعَدُوُّ مِنْ مَالٍ إِنَّهُ لَهُمْ بِلَا ثَمَنِ قَبْلَ الْقَسَمِ وَبَعْدَهُ، لِأَنَّهُ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ مِلْكِهِ حَوَظُ الْعَدُوِّ لَهُ، وَقَالَ مَالِكٌ: هُوَ أَوْلَى بِهِ قَبْلَ الْقَسَمِ وَصَاحِبُهُ بَعْدَ الْقَسَمِ أَوْلَى بِهِ بِالثَّمَنِ، وَفِيهِ قَوْلَانِ آخِرَانِ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ.

(١) أخرجه مسلم في الجهاد (١٣٢). وابن سعد في الطبقات (٥٨/١/٢ - ٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٨/٥ - ٧٩) وأحمد (٤٢٩/٤ - ٤٣٠) وأخرجه عبد الرزاق (٩٣٩٥) والبخاري في شرح السنة (٣٢/١٠) وسعيد بن منصور في سننه (٢٩٦٧).

امراة الغفاري وما نذرت مع الرسول

وأقبلت امراة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله ﷺ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر، فلما فرغت، قالت: يا رسول الله، إني قد نذرت الله أن أنحرها إن نجاني الله عليها؛ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجأك بها ثم تنحرينها! إنه لا نذر في مغبة الله ولا فيما لا تملكين، إنما هي ناقة من إبلي، فارجعي إلى أهلك على بركة الله».

والحديث عن امراة الغفاري وما قالت، وما قال لها رسول الله ﷺ، عن أبي الزبير المكي، عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

شعر حسان في ذي قرد

وكان مما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان بن ثابت:

لولا الذي لاقت ومسن نسورها بجنوب ساية أمس في التفواد

حول النذر والطلاق والعق

وقوله عليه السلام: «إنه لا نذر في مغبة الله، ولا فيما لا تملكين»، وقوله عليه السلام: «لا نذر لأحد فيما لا يملك، ولا طلاق لأحد فيما لا يملك، ولا عتق لأحد فيما لا يملك»^(١)، حديث مزوي من طريق عبد الله بن عمرو، ومن طريق أبي هريرة ولكنه لم يخرج في الصحيحين لعل في أسانيده، وقد قال بهذا الحديث أن لا طلاق قبل الملك جماعة من الصحابة وفقهاء التابعين وفقهاء الأمصار، وسواء عندهم عين امرأة، أو لم يعين، وإليه مال البخاري رحمه الله، ورواه ابن كنانة عن مالك، وابن وهب، واحتج ابن عباس في هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] قال: فإذا لا طلاق إلا بعد نكاح، وقال شريك القاضي: النكاح عقد والطلاق حل، فلا يكون الحل إلا بعد العقد.

من شرح شعر حسان أعضاء الخيل

وذكر شعر حسان:

لولا الذي لاقت ومسن نسورها

(١) أخرجه ابن عساکر (٣٣٠/٥) والخطيب (٤٣٥/٨) والطحاوي في المشكل (٢٨١/١) والحاكم (٢٠٤/٢) والبيهقي (٣١٦/٧) وانظر نصب الراية (٢٧٨/٣) - بتحقيق).

لَلْقَيْنَكُم يَخْمِلْنَ كُلُّ مُدَجِّجٍ^(١) حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جِدَ الْأَجْدَادَ
وَلَسَرَّ أَوْلَادَ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا سِلْمٌ عَدَاةٌ فَوَارِسِ الْمِقْدَادِ
كُنَّا ثَمَانِيَّةً وَكَانُوا جَحْفَلًا^(٢) لِحِبَا^(٣) فَشَكُّوا بِالرَّمَاكِ بَدَادَ^(٤)

يعني: الخيل، والنسر كالنواة في باطن الحافر، وفي الفرس عشرون عضوًا، كلُّ عضو منها يُسمَّى باسم طائر، فمنها النسر والنعام والهامة والسمامة والسعدانة وهي الحمامة والقطاة الذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر والخرب والنهض، وهو فرخ العقاب والخطاب، ذكرها وبقيتها الأضعي، وروى فيها شِعْرًا لأبي خزيمة جرير، وهو:

وَأَقْبَ كَالسَّرْحَانِ تَمَّ لَهُ مَا بَيْنَ هَامِيهِ إِلَى النَّسْرِ
رَحِبَتْ نَعَامَتُهُ وَوُقِرَ قَرْخُهُ وَتَمَكَّنَ الصُّرْدَانُ فِي النَّخْرِ
وَأَنَافَ بِالْعُصْفُورِ فِي سَعَفٍ هَامٍ أَشْتَمَ مُوْتَقَ الْجِذْرِ
وَإِذَا ذَاكَ بِالذِّكْيَنِ صَلَّصَلَهُ وَتَبَتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصُّذْرِ
وَالشَّاهِضَانِ أَمْرًا جَلَزُهُمَا فَكَأَنَّمَا عُثْمَا عَلَى كَسْرِ
مُسْحَنَفِرَ الْجَنْبَيْنِ مُلْتَمِمْ مَا بَيْنَ شِيَمَتِهِ إِلَى الْغُرِّ
وَصَفَتْ سُمَانَاهُ وَحَافِرُهُ وَأَدِيمُهُ وَمَنَابِثُ الشَّغَرِ
وَسَمَا الْغُرَابُ لِمَوْقِعِهِ مَعَا فَأَيِّنَ بَيْنَهُمَا عَلَى قَدْرِ
وَإِكْتَنَ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَافُهُ وَنَاطَ سَمَامَتُهُ عَلَى الصُّقْرِ
وَتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ فَنَاطَ بِمَوْقِعِهَا عَنِ الْحُرِّ
وَسَمَا عَلَى نِقْوَتِهِ دُونَ جِدَائِهِ خَرَبَانِ بَيْنَهُمَا مَدَى الشُّبْرِ
يَدْعُ الرُّضِيمَ إِذَا جَرَى فَلَقَا بِتَوَائِمِ كَمَوَاسِمِ شُمْرِ
رُكْبَنَ فِي مَخْضِ الشَّوَى سَبِطٍ كَفَتْ الْوُثُوبُ مُشَدِّدِ الْأَسْرِ^(٥)

بداد وفجار:

وقوله: فَشَكُّوا بِالرَّمَاكِ بَدَادَ. بَدَادَ مِنَ التَّبَدُّدِ، وَهُوَ التَّفَرُّقُ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ غَيْرِ أَنَّهُ مُبَيَّنٌّ وَنَصْبُهُ كَانْتِصَابِ الْمَصْدَرِ، إِذَا قُلْتَ: مَشَيْتُ الْقَهْقَرَى، وَقَعَدْتُ الْفَرْقُصَاءَ، وَكَأَنَّهُ

(١) مدجج: كل فارس معه أسلحته.

(٢) الجحفل: الجيش الكبير.

(٣) لحبًا: كثيروا الهاتف.

(٤) بداد: متعبين.

(٥) انظر نهاية الأرب (ص ٢٣) العقد الفريد (١/٦١) سمط اللآلئ (٩١/٢).

كُنَّا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَيُقَدِّمُونَ عِثَانَ كُلِّ جَوَادٍ
 كَلَّا وَرَبَّ الرَّاqَصَاتِ إِلَى مِثْيَ يَقْطَعْنَ غُرْضَ مَخَارِمِ الْأَطْوَادِ
 حَتَّى تُبِيلَ الْخَيْلُ فِي عَرَصَاتِكُمْ ^(١) وَتُؤُوبَ بِالْمَلَكَاتِ وَالْأَوْلَادِ
 رَهْوًا ^(٢) بِكُلِّ مُقْلَصٍ ^(٣) وَطِمْرَةٍ ^(٤) فِي كُلِّ مُغْتَرِكٍ عَطْفَنَ رَوَادِي

قال: طَعَنُوا الطَّغْنَةَ التي يُقال لها بَدَادٍ، وَبَدَادٍ مثل فَجَارٍ من قوله: اخْتَمَلْتُ فَجَارٍ جعلوه اسمًا عَلَمًا للمصدر، كما قالوا: فَحَمَلْتُ بَرَّةً، فجعل بَرَّةً عَلَمًا لِلْبِرِّ، وسِرُّ هذه الْعَلَمِيَّةِ في هذا الموطن أَنَّهُمْ أَرَادُوا الْفِعْلَ الَّتِي يُسَمَّى بِاسْمِ ذَلِكَ الْفِعْلِ حَقِيقَةً، فقد يقول الإنسان: بَرَّ فَلَانٌ وَفَجَّرَ أَي: قَارَبَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، أو فَعَلَ مِنْهُ بَعْضَهُ، فإذا قال: فَعَلْتُ بَرَّةً، فإنما يريد الْبِرَّ الذي يُسَمَّى بِرًّا عَلَى الْحَقِيقَةِ، فجاء بالاسم الْعَلَمَ الذي هو عبارة عن مُسَمَّاهُ حَقِيقَةً، إذ لا يتصور هذا الضَرْبُ من المجاز في الأعلام، وكذلك إذا أَرَادَ الْفَجُورَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَأَرَادَ رَفَعَ الْمَجَازِ سَمَاءً، فجاز تحقِيقًا للمعنى، أَي: مثل هذه الفعلة ينبغي أَنْ تُسَمَّى بِاسْمِ الْفَجُورِ حَقِيقَةً، وكذلك قالوا في النداء: يَا فَسَاقٍ وَيَا فُسُوقَ فُجَاءُوا بِالصُّيغَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْعَلَمِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ مَعَ النَّدَاءِ خَاصَّةً، أَي: إن هذا الاسم ينبغي أَنْ يكون اسمه الذي يُدْعَى بِهِ، إذ الاسمُ الْعَلَمَ أَلَزَمَ لِمُسَمَّاهُ مِنْ اسْمٍ مُشْتَقٍّ مِنْ فِعْلٍ فَعَلَهُ، لَأَنَّ الْفِعْلَ لَا يُثْبِتُ، وَالاسْمُ الْعَلَمَ يُثْبِتُ، فهذا هو مَعْرَاضُهم في هذه الْأَسْمَاءِ التي هي عَلَى صِيغِ الْأَعْلَامِ في هذه المَواطِنِ، فتأملها، وقد بسطنا هذه الْغُرُضَ بَسْطًا شَافِيًا فِي أَسْرَارِ مَا يَنْصَرِفُ، وما لَا يَنْصَرِفُ، فَلْتَنْظُرْ هُنَاكَ، فَتَمَّ تَرَى سِرَّ بِنَائِهَا عَلَى الْكُسْرِ مَعَ مَا يَتَصَلُّ بِمَعَانِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْفَيْتُ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ: فَشَكُّوا بِالرَّمَاحِ فَشَلُّوا بِاللَّامِ الرِّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ، وَحَقِيقَةَ الْمَعْنَى، وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِينَ: فَشَكُّوا بِالْكَافِ كَمَا فِي هَذَا الْأَصْلِ. إِلَى هَاهُنَا انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ، وَالشَّلُّ بِاللَّامِ: الطَّرْدُ، وَالشُّكُّ بِالْكَافِ: الطَّغْنُ كَمَا قَالَ:

شَكُّ الْفَرِيصَةِ بِالْمِذْرَى فَأَنْفَذَهَا [شَكُّ الْمُبَيِّطِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَصْدِ]

عود إلى شرح شعر حسان:

وقوله: رَهْوًا أَي: مَشْيًا بِسُكُونٍ، وَيُقَالُ: لِمُسْتَنْقَعِ الْمَاءِ أَيْضًا رَهْوٌ وَالرَّهْوُ أَسْمَاءُ الْكُرْكِيِّ، وَالرَّهْوُ: الْمِرَاةُ الْوَاسِعَةُ.

وقوله: رَوَادِي، أَي: تَزْدِي بِفُرْسَانِهَا، أَي: تَسْرِعُ.

(١) عَرَصَاتِكُمْ: سَاحَاتُ دِيَارِكُمْ. (٢) رَهْوًا: أَي: بِتَهْلٍ.
 (٣) مُقْلَصٌ: صِفَةُ لِلنَّاقَةِ. (٤) طِمْرَةٌ: صِفَةُ لِلْخَيْلِ.

أَفَنِي دَوَابِرَهَا وَلَاخَ مُتُونَهَا يَوْمَ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمَ طَرَادُ^(١)
فَكَذَاكَ إِنَّ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ^(٢) وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوَادِ^(٣)
وَسُيُوفُنَا بِيضُ الْحَدَائِدِ تَجْتَلِي جُنُنُ^(٤) الْحَدِيدِ وَهَامَةُ الْمُزْتَادِ
أَخَذَ الْإِلَهُ عَلَيْهِمْ لِحْرَامِهِ وَلِعِزَّةِ الرَّحْمَنِ بِالْأَشْدَادِ
كَانُوا بَدَارٍ نَاعَمِينَ فَبُدِّلُوا أَيَّامَ ذِي قَرْدٍ وَجُوءَ عِبَادِ

غضب سعد على حسان ومحاولة حسان استرضاءه:

قال ابن هشام: فلما قالها حسان غَضِبَ عليه سعدُ بن زيد، وحلف أن لا يكلمه أبداً؛ قال: انطلقْ إلى خَيْلي وفوارسي فجعلها للمقداد! فاعتذر إليه حسان وقال: والله ما ذاك أردتُ، ولكن الروي وافق اسمَ المقداد؛ وقال أبياتاً يُرضي بها سعداً:

إِذَا أَرَدْتُمْ الْأَشَدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا غَنَاءٍ فَعَلَيْكُمْ سَغْدَا
سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ لَا يُهْدَى هَذَا فَلَـمْ يَقْبَلْ مِنْهُ سَعْدٌ وَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا.

شعر آخر لحسان في يوم ذي قرد

وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد:

أَظُنُّ عُيَيْنَةً إِذْ زَارَهَا بَأْنَ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورَا
فَأُكْذِبَتْ مَا كُنْتَ صَدَّقْتَهُ وَقُلْتُمْ سَنَغْنَمُ أَمْرًا كَبِيرَا
فَعِقَّتِ الْمَدِينَةُ إِذْ زُرْتَهَا وَأَنْسَتِ لِلْأَسَدِ فِيهَا زَثِيرَا
فَوَلُّوا صِرَاعًا كَشَدَّ النَّعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلِطٍ^(٥) حَصِيرَا

قصيدة أخرى لحسان

وقول حسان في خيل عيينة:

فَوَلُّوا سِرَاعًا كَشَدَّ النَّعَامِ مَ لَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلِطٍ حَصِيرَا

(٢) ملبونة: سكرى.

(٤) جنن: تروس.

(١) طراد: رماح قصيرة.

(٣) غواد: مبكرة.

(٥) ملط: ضبهاء.

أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِكِ أَحَبُّ بَذَاكَ إِلَيْنَا أَمِيرَا
رَسُولٌ نَصَّدَقُ مَا جَاءَهُ وَيَثْلُو كِتَابًا مَظِيئًا مُنِيرَا
شعر كعب في يوم ذي قَرَد:

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قَرَد للفوارس:

أَتَحَسَّبُ أَوْلَادُ اللَّيْقِيطَةِ أَنَّنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ
وَأَنَا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا نَتَنَشَّى عِنْدَ الرِّمَاحِ الْمَدَاعِسِ^(١)
وَأَنَا لَتَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الدُّرَا وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلَجِ^(٢) الْمَتَشَاوِسِ^(٣)
نَرُدُّ كُفَاةَ الْمُغْلَمِينَ إِذَا انْتَحَوْا بَضْرِبِ يُسْلَى نَخْوَةِ الْمُتَقَاعِسِ
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَاجِدٍ كَرِيمٍ كَسِرْ حَانَ الْعَصَاةِ^(٤) مُخَالِسِ^(٥)
يَذُودُونَ عَنْ أَخْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بَبِيضٍ تَقْدُ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَانِسِ^(٦)
فَسَائِلُ بَنِي بَذَرٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْذُقُوا مَنْ لَقِيْتُمْ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ^(٧) بِهِ وَخَرَّ فِي الصُّدْرِ مَا لَمْ يَمَارِسِ

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «وَأَنَا لَتَقْرِي الضَّيْفَ» أبو زيد.

شعر شَدَادَ لُعِينَةَ:

قال ابن إسحاق: وقال شَدَادُ بن عَارِضِ الْجُشَمِيِّ، فِي يَوْمِ ذِي قَرَدَ: لُعِينَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَكَانَ عُيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ يُكْنَى بِأَبِي مَالِكٍ:

فَهَلَّا كَرَزْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُذْبِرَةٌ تُقْتَلُ
ذَكَرْتُ الْإِيَابَ إِلَى عَسَجَرٍ وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعْدَ الْمُقْفَلِ

أَي: لَمْ يَنْتُمُوا بَعِيرًا، وَلَا كَشَفُوا عَنْهُ حَصِيرًا، يَعْنِي: بِالْحَصِيرِ مَا يَكْتَفُ بِهِ حَوْلَ الْإِبِلِ مِنْ عِيدَانِ الْحَظِيرَةِ، وَالْمِلْطُ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَطَّتِ النَّاقَةُ، وَالْأَطْتُ بِذَنْبِهَا إِذَا أَدَخَلَتْهُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا.

- (١) مداعس: الرمح يطعن به.
(٢) الأبلج: حسن الوجه.
(٣) المتشارس: البطل.
(٤) العضاة: الشجر الكثير.
(٥) مخالس: شجاع حذر.
(٦) القونس: أعلى بيضة الحديد.
(٧) خادر: أي متحير.

وَطَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَنِعة
إِذَا قَبِضْتَهُ إِلَيْكَ الشَّما
فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ
عَرَفْتُمْ قَوَارِسَ قَدِ عَوَّدُوا
إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشَقَّى بِهِمْ
فَيَغْتَصِمُوا فِي سَوَاءِ الْمُقا
مَسَحَ الْقَضَاءُ إِذَا يُرْسَلُ
لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ الْمِزْجَلُ
لَمْ يَنْظُرَ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
طَرَادَ الْكُماةِ إِذَا أَسْهَلُوا
قَضَاخًا وَإِنْ يُطَرَدُوا يَنْزِلُوا
م بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصَّنِيقُلُ

غزوة بني المصطلق

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبًا ثم غزا بني المصطلق من خُزاعة، في شعبان سنة ست.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذرَّ الغِفاريّ؛ ويقال: نُمَيْلَةُ بن عبد الله الليثي.

سبب الغزوة:

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبدُ الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان، كلُّ قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أَنَّ بني المصطلق يَجْمَعُونَ لَهُ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ؛ فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خَرَجَ إِلَيْهِمْ، حتى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يَقَالُ لَهُ: الْمَرِيسِيْع، من ناحية قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ، فتزاحف النَّاسُ

غزوة بني المصطلق^(١)

وهم بَنُو جَذِيْمَةَ بن كَعْبٍ من خُزَاعَةَ، فَجَذِيْمَةُ هُوَ الْمُصْطَلِقُ وَهُوَ مُفْتَعِلٌ مِنَ الصَّلَاقِ، وَهُوَ رَفَعُ الصَّوْتِ.

وذكر المُرَيْسِيْع، وَهُوَ مَاءٌ لَخُزَاعَةَ^(٢)، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: رَسَعَتْ عَيْنُ الرَّجُلِ: إِذَا دَمَعَتْ مِنْ فَسَادٍ.

(١) انظر البداية (١٥٧/٤) الزاد (٢٥٦/٣) الطبري (٥٩٣/٢) الطبقات (٤٥/١/٢) الكامل (٨١/٢) الاكتفاء (٢١٧/٢) المتظم (٢١٨/٣).

(٢) ماء خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم.

واقتتلوا، فهزَمَ الله بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقُتِلَ مِنْ قَتْلِ مَنْهُمْ، وَنَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَفَاءَهُمْ عَلَيْهِ.

مقتل ابن صبابه خطأ:

وقد أُصِيبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي كَلْبٍ بِنِ عَوْفٍ بِنِ عَامِرٍ بِنِ لَيْثٍ بِنِ بَكْرِ، يُقَالُ لَهُ: هِشَامُ بْنُ صُبَابَةَ، أَصَابَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ رَهْطِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَقَتَلَهُ خَطَأً.

فتنة

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، وَرَدَتْ وَارِدَةُ النَّاسِ وَمَعَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَّارٍ، يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ، فَازْدَحَمَ جَهْجَاهُ وَسَيَّانُ بْنُ وَبَرَ الْجَهْنِيَّ، حَلِيفَ بَنِي عَوْفٍ بِنِ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ، فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجَهْنِي: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهْجَاهُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؛ فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ، وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ: زَيْدُ بْنُ أَزْقَمٍ، غَلَامٌ حَدَثٌ، فَقَالَ: أَوْقَدُوا، قَدْ نَافَرُونَا وَكَاتَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاللَّهِ مَا أَعَدْنَا وَجَلَابِيبَ قَرِيشٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَتُنَّ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ.

وَذَكَرَ سَيَّانُ بْنُ وَبَرَةَ وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ سَيَّانُ بْنُ تَمِيمٍ مِنْ جُهَيْنَةَ بْنِ سَوْدٍ بِنِ أَسْلَمَ حَلِيفَ الْأَنْصَارِ.

تحریم دعوی الجاهلیة

وَذَكَرَ أَنَّهُ نَادَى: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَنَادَى جَهْجَاهُ الْغِفَّارِيُّ يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَهُمَا، وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ سَمِعَهُمَا مِنْهُمَا، قَالَ: «دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُتَنَبِّئَةٌ»^(١)، يَعْنِي: إِنَّهَا كَلِمَةٌ خَبِيثَةٌ، لِأَنَّهَا مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَجَعَلَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةً وَجِزَاءً وَاحِدًا، فَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الدَّعْوَةُ يَا لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ دَعَا فِي الْإِسْلَامِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَيَتَوَجَّهَ لِلْفُقَهَاءِ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنْ يُجَلَّدَ مِنْ اسْتِجَابِ لَهَا بِالسَّلَاحِ خَمْسِينَ سَوْطًا اقْتِدَاءً بِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِي جَلْدِهِ النَّابِغَةِ الْجَعْفَرِيِّ خَمْسِينَ سَوْطًا، حِينَ سَمِعَ: يَا لَعَامِرٍ، فَأَقْبَلَ يَشْتَدُّ بِعُصْبَةٍ لَهُ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنْ فِيهَا الْجَلْدُ دُونَ الْعَشْرَةِ لَنَهْيِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٣/٤) وَمُسْلِمٌ فِي الْبَرِّ وَالصَّلَاةِ (٦٤/٦٣) وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٣١٥) وَاحْمَدُ (٣٣٨/٣) وَالطَّحَاوِيُّ فِي الْمَشْكَلِ (٢٣٩/٤). وَانْظُرِ الْفَتْحَ (٦٥٢/٨).

ثم أقبل على مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتوهم أموالكم، أما والله أو أمتسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه، فأخبره الخبر، وعنده عمرُ بن الخطّاب، فقال: مُرْ بِهِ عَبَادَ بْنَ بِشْرِ فَلْيَقْتُلْهُ؛ فقال له رسولُ الله ﷺ: «فكيف يا عُمَرُ إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه!» لا ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسولُ الله ﷺ يرتل فيها، فارتحل الناس.

حول فتنة ابن أبي ونفاقه:

وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به. - وكان في قومه شريقاً عظيماً - فقال: مَنْ حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أُوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، حَدِّثْنَا عَلَى ابْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، وَدَفَعَا عَنْهُ.

قال ابن إسحق: فلما استقل رسولُ الله ﷺ وسار، لقيه أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فحيّاهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ رُحِتَ فِي سَاعَةِ مُنْكَرَةٍ، مَا كُنْتُ تَرُوحُ فِي مِثْلِهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ؟» قَالَ: وَأَيُّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي». قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: «زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ»، قَالَ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ تُخْرِجُهُ مِنْهَا إِنْ شِئْتَ، هُوَ وَاللَّهُ الذَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ؛ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اأَرْفُقْ بِهِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِكَ، وَإِنَّ قَوْمَهُ لَيَنْظُمُونَ لَهُ الْحَزْرَ لِيَتَوَجَّهَ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قَدْ اسْتَلَبْتَهُ مُلْكًا.

يُجْلَدُ أَحَدٌ فَوْقَ الْعَشْرَةِ إِلَّا فِي حَدٍّ، وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: اجْتِهَادُ الْإِمَامِ فِي ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ مِنْ سَدِّ الذَّرِيعَةِ وَإِغْلَاقِ بَابِ الشَّرِّ، إِمَّا بِالْوَعْدِ، وَإِمَّا بِالسَّجْنِ، وَإِمَّا بِالْجُلْدِ^(١).

فإن قيل: إن النبي ﷺ لم يُعَاقِبِ الرَّجُلَيْنِ حِينَ دَعَا بِهَا قَلْنَا: قد قال: دَعَا بِهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ، فَقَدْ أَكَّدَ النَّهْيَ، فَمَنْ عَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ هَذَا النَّهْيِ، وَبَعْدَ وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا بِالْإِثْنَانِ وَجَبَ أَنْ يُؤَدَّبَ، حَتَّى يَشْمَ نَتْنَهَا، كَمَا فَعَلَ أَبُو مُوسَى رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْجَعْفَرِيِّ، فَلَا مَعْنَى لِنَتْنِهَا إِلَّا سُوءُ الْعَاقِبَةِ فِيهَا وَالْعُقُوبَةُ عَلَيْهَا.

(١) أَلَا مِنْ مُجِيبٍ وَمَتَدَبِّرٍ يَا أَصْحَابَ الطَّرِيقِ «الصُّوفِيَّةُ» وَيَا عَبَادَ الْقُبُورِ وَالْمَشَايِخِ.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصَدَرَ يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقوا نيامًا، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبي.

ثم راح رسول الله ﷺ بالناس، وسلَّك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَيْقِ الثَّقِيع؛ يقال له: بقعاء. فلما راح رسول الله ﷺ هبَّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوفوها؛ فقال رسول الله ﷺ: «لا تخافوها، فإنما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكُفَّار». فلما قدموا المدينة وجدوا رفاة بن زيد بن الثَّابُوت، أحد بني قَيْنَقاع، وكان عظيمًا من عظماء يهود، وكَهْفًا للمُنافقين، مات في ذلك اليوم.

ما نزل في ابن أبي من القرآن:

ونزلت السورة التي ذَكَر الله فيها المنافقين في ابن أبي وَمَنْ كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: «هذا الذي أوفى الله بأذنه». وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه.

جهجاه:

وأما جَهْجَاهُ فهو ابن مَسْعُود بن سعد بن حَرَام، وهو الذي رَوَى عن النبي ﷺ: «المؤمن يأكل في مَعَى واحد، والكافر يأكل في سَبْعَةِ مَمْعَاء»^(١)، وهو كان صاحب هذه القصة فيما رَوَى ابن أبي شَيْبَةَ والبخاري^(٢)، وقد قيل أيضًا: إن الرجل الذي قال فيه عليه السلام هذه المقالة، هو ثُمَامَةُ بن أُنَال الحنفي، ذكره ابن إسحاق، وقيل: بل هو أبو بَصْرَةَ [جَمِيل بن بَصْرَةَ] الغفاري، قاله أبو عبيد، ومات جَهْجَاه هذا بعد قتل عثمان رحمه الله، أخذته الأَكِلَةُ في ركبته فمات منها، وكان قد كسر برُكْبَتِهِ عَصَا رسول الله ﷺ - التي كان يخطب بها، وذلك أنه انتزعها من عُثْمَانَ حين أُخْرِج من المسجد، ومُنِع من الصلاة فيه، فكان هو أحد المعينين عليه، حتى كسر العصا على رُكْبَتِهِ، فيما ذكروا، فابْتَلَى بما ابْتَلَى به من الأَكِلَةِ. نعوذ بالله من عُقُوبَتِهِ، ونستجير به من الأهواء المضلَّة.

(١) أخرجه البخاري (٩٢/٧) ومسلم في الأشربة (١٨٢/١٨٤/١٨٥) والترمذي (١٨١٨) وابن ماجه (٢٣٥٦/٢٣٥٧/٢٣٥٨) وأحمد (٢١/٢) والدارمي (٩٩/٢).

(٢) ابن أبي شيبه (١٣٣/٨) والبخاري (٤٣٠/٣٤٦/٣) (٧٦/١).

موقف عبد الله من أبيه

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فمُرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل (رجلاً) مؤمناً بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله ﷺ: «بل تترقق به، ونُحَسِّنُ صُحْبَتَهُ ما بقي معنا».

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعْتَفُونَهُ؛ فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله، لأزعدت له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته»؛ قال: قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

موقف عبد الله الصحابي من أبيه المنافق ودلالته

وذكر مقالة عبد الله بن أبي، وأن ابنه عبد الله بن عبد الله استأذن النبي ﷺ في قتل أبيه من أجل تلك المقالة، وفي هذا العلم العظيم والبزهاَن الثَّيَر من أعلام النبوة، فإن العرب كانت أشدَّ خَلْقِ الله حَمِيَّةً وتعصبًا، فبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يَزْعَب الرجل منهم في قتل أبيه وولده، تَقَرُّبًا إلى الله، وتَرْفَعًا إلى رسوله، مع أن الرسول - عليه السلام - أبعَد الناس نَسَبًا منهم، وما تأخر إسلام قومه وبني عمه وسَبَقَ إلى الإيمان به الأبعد إلا لحكمة عظيمة، إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به، لقليل: قوم أرادوا الفخر برجل منهم، وتعصبوا له، فلمَّا بادر إليه الأبعد، وقاتلوا على حُبِّهِ مَنْ كان منهم أو من غيرهم، عَلِمَ أن ذلك عَن بَصِيرَةٍ صادقة ويقين قد تَغَلَّغَلَ في قلوبهم، ورَهْبَةً من الله أزالَت صِفَةً، قد كانت سَدِكَتْ^(١) في نُفُوسِهِمْ من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتها إلا الذي فَطَرَ الْفِطْرَةَ الْأُولَى، وهو القادر على ما يشاء، وأما عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فكان من كُتَّابِ النَّبِيِّ - ﷺ - وكان اسمُه حُبَاب، وبه كان يُكْنَى أبوه، فسَمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله، مات شهيدًا باليَمَامَةِ رضي الله عنه، وَرَوَى الدَّارَقُطْنِي مُسْنَدًا أن النَّبِيَّ - ﷺ - مَرَّ على جَمَاعَةٍ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثم وَلَّى، فقال عبد الله: لقد عَنَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ، فَسَمِعَهَا ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ، فَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَنْ يَأْتِيَهُ بِرَأْسِ أَبِيهِ،

(١) سدكت: ألزمت.

قدوم مقيس مسلماً وشعره:

قال ابن إسحق: وقَدِمَ مَقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ مِنْ مَكَّةَ مُسَلِّمًا، فِيمَا يُظْهَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُكَ مُسَلِّمًا، وَجِئْتُكَ أَطْلُبُ دِيَّةَ أَخِي، قُتِلَ خَطَاً. فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدِيَّةِ أَخِيهِ هِشَامِ بْنِ صُبَابَةَ؛ فَأَقَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمَّ عَدَا عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُرْتَدًّا؛ فَقَالَ فِي شَعْرِ يَقُولُهُ:

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدِمَاتِ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا تُضَرِّجُ ثَوْبِيهِ دِمَاءَ الْأَخَادِعِ
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تَلِمَ فَتَحْمِينِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ
حَلَلْتُ بِهِ وَتَرِي وَأَدْرَكْتُ ثَوْرَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
ثَارْتُ بِهِ فَهَرًّا^(١) وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةً بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعَ^(٢)
وَقَالَ مَقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ أَيْضًا:

جَلَلَتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ لَهَا وَشَلَّ مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسْرَتَهُ لَا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرِ إِذْ ظَلِمُوا

شعار المسلمين:

قال ابن هشام: وَكَانَ شَعَارُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَنِي الْمُضْطَلَقِ: يَا مَنْصُورَ، أَيْمُثْ.

قتلى بني المصطلق:

قال ابن إسحق: وَأَصِيبُ مِنْ بَنِي الْمُضْطَلَقِ يَوْمَئِذٍ نَاسٌ، وَقَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ، مَالِكًا وَابْنَهُ، وَقَتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَجُلًا مِنْ فُرْسَانِهِمْ، يَقَالُ لَهُ: أَحْمَرُ، أَوْ أَحْمِيرُ.

فَقَالَ: «لَا، وَلَكِنْ بَرٌّ أَبَاكَ»^(٣) وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ بَلَغَتْهُ مَقَالَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي: مَتَنَ النَّاسُ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، وَيُرْوَى مَشَى، فَأَمَّا مَتْنٌ، فَقَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ: يَقَالُ: سَارُوا سَيْرًا مُمَاتِنًا، أَيْ: بَعِيدًا.

(٢) فارع: أشراف.

(١) فهراً: تعباً.

(٣) انظر المجمع (١٠٩/١) (٣١٨/٩).

أمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبيًا كثيرًا، فشا قسّمه في المسلمين؛ وكان فيمن أُصيب يومئذ من السّبايا جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث بن أبي ضَرَار، زوج رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما قسّم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث في السّهم لثابت بن قيس بن الشّمس، أو لابن عمّ له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة خلوة ملاحّة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها

حول حديث جويرية^(١) «ملاحه ومليح»

فصل: وذكر جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث، ووقعها في السّهم لثابت بن قيس، أو لابن عمّ له، ثم جاءت تستعين في كتابتها، قالت عائشة: وكانت امرأة خلوة ملاحّة. الملاحُ أبلغ من المليح في كلام العرب، وكذلك الوضاء أبلغ من الوضيء، والكبّار كذلك أبلغ من الكبير، غير أنه لا يوصف الباري سبحانه بهذا اللفظ، فيقال فيه كبّار بمعنى كبير، لأنه على بنية الجمع، نحو ضُرّاب وشهّاد، فكان لفظ الكبير ونحوه أبعد من الاشتراك، وأدّل على الوحدانيّة، والله أعلم^(٢).

وأما معنى: الملاحّة، فذهب قومٌ إلى أنها من المُلَحّة وهي البياض، تقول العرب: عَنّب مَلّاجِي والصحيح في معنى المليح، أنه مُسْتَعَارٌ من قولهم: طعامٌ مَلِيحٌ إذا كان فيه من المِلح بقدر ما يُضْلِحُه، ولذلك إذا بالغوا في المدح قالوا: مَلِيحٌ قَزِيحٌ، فَمَلِيحٌ من مَلَحْتُ القِدْرَ، وقَزِيحٌ من قَزَحْتُها إذا طيبت نكهتها بالأقاوية، وهي الأقزّاح، وبذلك على بُعد هذا المعنى من البياض قولهم: في الأسود: مَلِيحٌ، وفي العينين إذا اشتدّ سوادهما وحُسْنُهما كما جاء في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَالْقَيْنُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي﴾ [طه: ٢٩]. أنها ملاحّة في العينين، وقال الأضْمَعِيُّ: الحُسْنُ في العَيْنَيْنِ، والجَمَالُ في الأنفِ، والمَلّاحَةُ في الفمِّ. وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعْلِها: إنك لَجَمِيلٌ يا أبا صفْوان، فقال: وكيف وليس عندي رِداءُ الجَمال ولا بُزْنُسُه ولا عَمُوْدُه؟ ثم قال: عَمُوْدُه الطُّولُ، وأنا رَبْنَةُ، وبُزْنُسُه سِوَاذُ الشعرِ، وأنا أَشْمَطُ، ورِداؤُه البياضُ، وأنا آدَمُ، ولكن قلّبي: إنك مَلِيحٌ ظَرِيفٌ. فعَلِمَها أن المَلّاحَةَ قد تكون من صِفَةِ لآدَمَ، فهي إذا ليست من معنى البياض في شيء، وإنما هي ضدّ المَسَاسَةِ.

(١) أخرجه أحمد (٢٧٧/٦) والطبري في تاريخه (١١١/٢).

(٢) انظر للمحقق «القول الأسني في تفسير الأسماء الحسنى».

قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حُجْرَتِي فكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سِيرِي مِنْهَا ﷺ مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا جُورِيَّةُ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي صِرَارٍ، سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ، مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشُّمَّاسِ، أَوْ لَابِنِ عَمِّ لَهُ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي، قَالَ: «فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ»؛ قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ».

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله ﷺ قد تزوّج جُورِيَّةَ ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أُعْتُقَ بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المُصْطَلِقِ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها.

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسولُ الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِقِ ومعه جُورِيَّةُ بِنْتِ الْحَارِثِ، وكان بذات الجيش، دفع جُورِيَّةَ إلى رجل من الأنصار وديعةً، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسولُ الله المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بيعين منها،

غيرة نساء النبي، والنظر إلى المرأة:

وقول عائشة في جُورِيَّةَ: فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حُجْرَتِي فكَرِهْتُهَا. فيه ما كان عليه أزواجُ النبي - ﷺ - من الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، والعلم بموقع الْجَمَالِ مِنْهُ، كما قد رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَأَرْسَلَ عَائِشَةَ لَتَنْظُرَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ طَائِلًا، فَقَالَ: بَلَى لَقَدْ رَأَيْتُ: خَالًا قَدْ خَدَّهَا أَفْشَعْرَتْ مِنْهُ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِكَ. وَأَمَّا نَظَرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَجُورِيَّةَ حَتَّى عَرَفَ مِنْ حُسْنِهَا مَا عَرَفَ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ امْرَأَةً مَمْلُوكَةً، وَلَوْ كَانَتْ حُرَّةً مَا مَلَأَ عَيْنَهُ مِنْهَا، لِأَنَّهُ لَا يُكْرَهُ النَّظَرُ إِلَى الْإِمَاءِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ نَظَرُ إِلَيْهَا، لِأَنَّهُ نَوَى نِكَاحَهَا، كَمَا نَظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي قَالَتْ لَهُ: إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَصَعَّدَ فِيهَا النَّظَرَ ثُمَّ صَوَّبَ، ثُمَّ أَنْكَحَهَا مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرُّخْصَةُ فِي النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ عِنْدَ إِرَادَةِ نِكَاحِهَا، وَقَالَ لِلْمُغِيرَةِ حِينَ شَاوَرَهُ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ: «لَوْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا»^(١)، وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ حِينَ أَرَادَ نِكَاحَ ثُبَيْتَةَ بِنْتِ الصُّحَّاحِ، وَقَدْ أَجَاذَهُ مَالِكٌ فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ ذِكْرُهَا ابْنُ أَبِي زَيْدٍ. وَفِي

(١) انظر النسائي (٧٧/٦) ومسلم في النكاح (٧٤/٧٥).

فغَيَّبهما في شعب من شُعب العقيق، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق، في شعب كذا وكذا؟» فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت محمد رسول الله ﷺ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبي ﷺ، ودَفَعَتْ إليه ابنته جُوَيْرِةُ، فأسلمت، وحسُن إسلامها، فخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها، فزَوَّجَ إياها، وأصدقها أربعمئة درهم.

ما نزل من القرآن في حق الوليد بن عقبة:

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان: أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أن القوم قد هَمَّوا بقتله، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم، حتى هَمَّ رسول الله ﷺ بأن يغزوهم، فبينما هم على ذلك قَدِمَ وفدُهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك حين

مُسْنَدُ الْبَزَّارِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرَةَ: «لَا حَرَجَ أَنْ يَنْظُرَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ إِذَا أَرَادَ تَزَوُّجَهَا، وَهِيَ لَا تَشْعُرُ»^(١) وفي تراجم البخاري: النظرُ إلى المرأة قبل التزويج، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة: «أَرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَكُشِفَتْ عَنْ وَجْهِكَ، فَقَالَ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضْهُ»^(٢). وهذا استدلال حَسَنٌ. وفي قوله: إِنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَوَّالٌ، لَأَنْ رُؤْيَاهُ وَخِي، فَكَيْفَ يَشْكُ فِي أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

والجواب: أنه لم يشك في صحّة الرؤيا، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها، وقد تكون لمن هو نظيرُ المرءِ أو سَمِيهٍ، فمن هاهنا تَطَرَّقَ الشك ما بين أن تكون على ظاهرها، أو لها تأويل كذلك، وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث، ولغيره فيه قول لا أرضاه، فلا يخلو نظره عليه السلام إليها من أحد الأمرين، أو يكون ذلك قبل أن يُضْرَبَ الْحِجَابُ، وإلّا فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ وهو إمام المتقين وَقُدْوَةُ الْوَرَعِينَ ﷺ.

(١) أخرجه البزار (١٥٩/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧١/٥) (٦/٧) ومسلم في الفضائل (٧٩) والبيهقي (٨٥/٧).

بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنُكرِّمه، ونؤدِّي إليه ما قَبَلنا من الصدقة، فأنشَمَر راجِعًا، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أننا خرجنا إليه لقتله، ووالله ما جئنا لذلك، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾... إلى آخر الآيات. [الحجرات: ٦ - ٨].

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك، كما حدَّثني من لا أتهم عن الزهري، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، حتى إذا كان قريبًا من المدينة، وكانت معه عائشة في سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا.

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق سنة ست:

قال ابن إسحاق: حدَّثنا الزهري، عن علقمة بن وقاص، وعن سعيد بن جبير، وعن غزوة بن الزبير، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: كلُّ قد حدَّثني بعض هذا الحديث، وبعضُ القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعت لك الذي حدَّثني القوم.

الهدى في السفر مع الزوجات:

قال محمد بن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن عائشة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، عن نفسها، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فكلُّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعًا يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه، وكلُّ كان عنها ثقة، فكلهم حدَّث عنها ما سمع، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أفرع بين نسائه، فأئتهنَّ خرجَ سهْمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أفرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهْمي عليهنَّ معه، فخرج بي رسول الله ﷺ.

جويرية:

وأما جويرية فهي بنت الحارث بن أبي ضَرَارٍ بن حَبِيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة، وجذيمة المصطلق من خُزَاعَة، كان اسمها بَرَّة، فسماها رسول الله ﷺ - جَوَيْرِيَّة، وقد روي مثل هذا في حديث مَيْمُونَة بنت الحارث وكذلك زَيْنَب بنت جَحْش، كان اسمها بَرَّة أيضًا، وزينب بنت أبي سلمة ربيته عليه السلام، كان اسمها بَرَّة فسماها جُمع بغير ذلك الاسم، توفيت جَوَيْرِيَّة في شهر ربيع الأول سنة ست أو خمس وخمسين من الهجرة، وكانت قبل أن تُسَبَّى عند مُسَافِعِ بن صَفْوَانَ الخُزَاعِي.

حديث الإفك

قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلُق لم يهجهنَّ اللحم فيثقلن وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلسْتُ في هُودَجِي، ثم يأتي القوم الذين يُرْحلون لي ويَحْمِلونني، فيأخذون بأسفل الهُودَج، فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجتُ لبعض حاجتي، وفي عُتْقِي عَقْد لي، فيه جَزَع ظفار، فلما فرغت انسلت من عُتْقِي ولا أدري، فلما رجعتُ إلى الرَّحْل ذهبتُ أَلْتَمِسُه في عُتْقِي، فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرَّحِيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم حلافاً، الذين كانوا يُرْحلون لي البعير، وقد فرغوا من راحلته، فأخذوا الهُودَج، وهم يظنون أنني فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدوه على البعير، ولم يشكوا أنني فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجِيب، قد انطلق الناس.

قالت: فتَلَفَّقْتُ بجلبابي، ثم اضْطَجَعْتُ في مكاني، وعرفت أن لو قد افْتُقِدْتُ لُرُجِع إلي. قالت: فوالله إني لَمُضْطَجعة إذ مرَّ بي صَفْوَانُ بن المَعْطَل السُّلَمي، وقد كان

حديث الإفك^(١)

فيه من الغريب قولُ عائشة: والنساء يَوْمِئِذٍ لم يُهَيَّجُنَّ^(٢) اللحم فيثقلن. التَّهْيِيجُ: انتفاخُ في الجسم قد يكون من سِمَنِ، وقد يكون من آفة، قال الأَصْمَعِيُّ أو غيره: هَجَمْتُ على حَيٍّ من العرب بوادٍ خصبٍ، وإذا ألوانهم مُضْفَرَّةٌ ووجوههم مُهَيَّجَةٌ، فقلت لهم: ما بالكم؟ واديكُم أَخْصَبُ وادٍ، وأنتم لا تُشَبِّهُون المَخاصِب، فقال لي شيخ منهم: إن بلدنا ليست له ريحٌ، يريد: أن الجبال أحاطت به فلا تذهب الرياحُ وبَّاءه ولا رُمْدَه.

صفوان بن المعطل^(٣):

وفيه ذكر صَفْوَان بن المَعْطَلِ بن رُبَيْصَةَ بن خُزَاعِي بن مُحَارِبِ بن مُرَّةَ بن قَالِحِ بن

(١) انظر حديث الإفك في البخاري (٣٦٨/١٩٨/٥) ومسلم (٢٧٧٠) وأحمد (٢٧٢/٦) والترمذي (٣١٧٩) والزايد (٢٥٨/٣) وتفسير سورة النور لعبد الأعلى المودودي.

(٢) التهيج: امتلاء الجسم وانتفاخه.

(٣) له ترجمة من الإصابة (٢/١٩٠) الاستيعاب (٢/١٢٢٣) تاريخ الصحابة (٦٦٤).

تَخَلَّفَ عن العسكر لِبَعْض حاجته، فلم يَبِثْ مع الناس، فرأى سَوَادِي، فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يُضْرَبَ علينا الحِجَاب، فلما رآني قال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، طَعِينَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! وأنا متلففة في ثيابي، قال: ما خَلَّفَكَ يرحمك الله؟ قالت: فلما كَلَّمْتَهُ، ثم قَرَّبَ البعير، فقال: اركبي واستأخر عَنِّي. قالت: فركبتُ، وأخذَ برأس البعير، فانطلق سريعاً، يطلب الناسَ، فوالله ما أدركنا الناسَ، وما افتقدتُ حتى أَصْبَحْتُ، ونزل الناسَ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتَجَعَ العَسْكَرُ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.

ذَكْوَانُ بْنُ ثُعَلْبَةَ بْنِ بُهْتَنَةَ بْنِ سُلَيْمِ السُّلَمِيِّ، ثم الذُّكْوَانِيُّ يُكْنَى أَبَا عَمْرٍو، وكان يكون على سَاقَةِ الْعَسْكَرِ يلتقط ما يَسْقُطُ من مَتَاعِ الْمُسْلِمِينَ، حتى يَأْتِيَهُمْ بِهِ، ولذلك تَخَلَّفَ في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا، وقد رُوِيَ في تخلفه سببٌ آخر، وهو أنه كان ثَقِيلَ النَّوْمِ لا يَسْتَيْقِظُ حَتَّى يَزْتَجِلَ النَّاسُ. وَيَشْهَدُ لَصِحَّةِ هَذَا حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ أَنَّ امْرَأَةً صَفْوَانَ اشْتَكَتْ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - وَذَكَرَتْ أَشْيَاءَ مِنْهَا أَنَّهُ لَا يُصَلِّي الصُّبْحَ، فَقَالَ صَفْوَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ ثَقِيلُ الرَّأْسِ لَا أَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا اسْتَيْقِظْتَ فَصَلِّ» وَقَدْ ضَعُفَ الْبَزَّازُ حَدِيثَ أَبِي دَاوُدَ^(١) هَذَا فِي مُسْنَدِهِ. وَقُتِلَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَانْدَقَّتْ رِجْلُهُ يَوْمَ قُتِلَ، فَطَاعَنَ بِهَا، وَهِيَ مُنْكَسِرَةٌ، حَتَّى مَاتَ، وَذَلِكَ بِالْجَزِيرَةِ بِمَوْضِعٍ لَهُ شِمْطَاطٌ.

تفسير أسقطوا:

وفيه من غير رواية ابن إسحاق أنهم دَعَوُا الْجَارِيَةَ، فَسَالُوهَا حَتَّى أَسْقَطُوا لَهَا بِهِ، يَرِيدُ: أَفْصَحُوا بِالْأَمْرِ، وَنَقَرُوا عَنْهُ، يَقَالُ: سَاقَطَتِ الْحَدِيثُ مُسَاقَطَةً وَأَسْقَطُوا بِهِ، فِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ أَبُو حَيَّةَ [الثَّمِيرِيُّ]:

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثُ كَأَنَّهُ سِقَاطُ حَصَا الْمَرْجَانِ مِنْ سِلْكٍ نَاطِمٍ

كَذَا فَسَّرَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بَطَالٍ، وَفِيمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ الشَّيْبَانِيِّ عَنْهُ، أَنَّهُمْ أَدَارُوا الْجَارِيَةَ عَلَى الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَصْرُخُوا لَهَا حَتَّى فَطَنَتْ بِمَا أَرَادُوا، فَقَالَتْ: مَا أَعْلَمُ عَلَيْهَا عَيْبًا، الْحَدِيثُ. وَأَمَّا ضَرْبُ عَلِيٍّ لِلْجَارِيَةِ وَهِيَ حُرَّةٌ، وَلَمْ تَسْتَوْجِبْ ضَرْبًا، وَلَا اسْتِأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فِي ضَرْبِهَا، فَأَرَى مَعْنَاهُ أَنَّهُ أَغْلَظَ لَهَا بِالْقَوْلِ، وَتَوَعَّدَهَا بِالضَّرْبِ، وَأَنَّهُمَا أَنْ تَكُونَ خَانَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَكَتَمَتْ مِنَ الْحَدِيثِ مَا لَا يَسْعَاهَا كَتْمُهُ مَعَ إِدْلَالِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٥٨ - بتحقيق) وأحمد (٨٠/٣) وأصله في الصحيحين.

ثم قَدِمْنَا المدينة، فلم أَلْبَثْ أَنْ اِشْتَكَيْتُ شَكْوَى شَدِيدَةً، وَلَا يَبْلُغُنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَقَدْ انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِلَى أَبَوَيْ لَا يَذْكُرُونَ لِي مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ لُطْفِهِ بِي، كُنْتُ إِذَا اِشْتَكَيْتُ رَجَمَنِي وَلَطَفَ بِي، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِي فِي شَكْوَايَ تِلْكَ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي أُمِّي تَمَرُّضُنِي - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهِيَ أُمُّ رُومَانَ، وَاسْمُهَا زَيْنَبُ بِنْتُ عَبْدِ دُهْمَانَ، أَحَدُ بَنِي فِرَاسِ بْنِ عَنَمٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ - قَالَ: كَيْفَ تَبَيَّنَ لَكُمْ، لَا يَزِيدُ عَلَيَّ ذَلِكَ.

أَهْلُ الْبَيْتِ، وَفِي غَيْرِ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَتْ الْجَارِيَةُ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى الذَّهَبِ الْأَخْمَرِ.

بريرة^(١):

وَأَمَّا بَرِيرَةُ فَهِيَ مَوْلَاةُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الَّتِي اشْتَرَتْهَا مِنْ بَنِي كَاهِلٍ فَأَعْتَقَتْهَا، وَخُيِّرَتْ فِي زَوْجِهَا، وَكَانَ عَبْدًا لِبَنِي جَحْشٍ. هَذِهِ رَوَايَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَفِي رَوَايَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنَّهُ كَانَ حُرًّا، وَهِيَ رَوَايَةُ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدٍ عَنْ عَائِشَةَ، وَالْأُولَى رَوَايَةُ عُزْوَةَ وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ بِتَخْيِيرِ الْأُمِّ إِذَا عِتِقَتْ، وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا حُرًّا، وَقَوْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ عَلَى حَسَبِ رَوَايَتِهِمْ، فَلَا يَرُونَ تَخْيِيرَهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ زَوْجُهَا عَبْدًا، وَعَاشَتْ بَرِيرَةُ حَتَّى رَوَى عَنْهَا الْحَدِيثُ بَعْضُ التَّابِعِينَ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: كُنْتُ أَجَالِسُ بَرِيرَةَ قَبْلَ أَنْ أَلِيَّ هَذَا الْأَمْرَ، فَتَقُولُ لِي: يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ، إِنْ فِيكَ خِصَالًا خَلِيقَةً بِهَذَا الْأَمْرِ، فَإِنْ وَلِيْتَ هَذَا الْأَمْرَ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي الدَّمَاءِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا بِمَخْجَمَةٍ دَمِ أَرَاقِهَا مِنْ مُسْلِمٍ فِي غَيْرِ حَقٍّ». وَالْبَرِيرَةُ وَاحِدَةُ الْبَرِيرِ وَهُوَ ثَمَرُ الْأَرَاكِ.

أُمُّ رُومَانَ^(٢):

وَأَمَّا أُمُّ رُومَانَ، وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ فَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَهِيَ زَيْنَبُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ عُيُومِرِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ دُهْمَانَ، وَهِيَ مِنْ كِنَانَةَ، وَاخْتَلَفَ فِي عُمُودِ نَسَبِهَا، وَلِدَتْ لِأَبِي بَكْرٍ عَائِشَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَكَانَتْ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَخْبَرَةَ، فَوُلِدَتْ لَهُ الطُّفَيْلُ، وَتُوفِيَتْ أُمُّ رُومَانَ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَنَزَلَ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي قَبْرِهَا،

(١) لَهَا تَرْجُمَةٌ فِي الْإِصَابَةِ (٢٥١/٤) الطَّبَقَاتِ (٢٥٦/٨).

(٢) لَهَا تَرْجُمَةٌ فِي الْإِصَابَةِ (٤٥٠/٤) الطَّبَقَاتِ (٢٧٦/٨).

قال ابن إسحاق: قالت: حتى وَجَدْتُ في نفسي، فقلت: يا رسول الله، حين رأيت ما رأيت من جَفائِهِ لي: لو أَذْنْتُ لي، فانتقلت إلى أُمِّي، فمَرَضْتَنِي؟ قال: «لا عليكِ». قالت: فانتقلتُ إلى أُمِّي، ولا عَلِمَ لي شيء مما كان، حتى نَقِهْتَ من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قومًا عربًا، لا نتخذ في بُيوتنا هذه الكُفَّ التي تَتَّخِذُهَا الأعاجم، نَعَافُهَا ونكرهها، إنما كُنَّا نذهب في فُسْحِ المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن كلَّ ليلة في حوائجِهِنَّ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتي ومعِي أُمُّ مِسْطَحِ بنت أبي رُهم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أُمُّها بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، خالة أبي بكر الصديق رضي عنه؛ قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطَها، فقالت: تَعْسُ مِسْطَحُ! وَمِسْطَحُ لَقَبٌ واسمه: عَوْفٌ؛ قالت: قلت: بئسَ لَعَمْرُ اللَّهِ ما قلتُ لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قالت: قلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم والله فقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أَقْضِي حاجتي، ورجعت، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سَيَصْدَعُ كَبْدي؛ قالت: وقلت لأُمِّي: يغفر الله لك، تحدّث الناسُ بما تحدّثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا! قالت: أي بُنَيَّة، خَفُضِي عليك الشأن، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلّا كَثُرْنَ وكَثُرَ الناس عليها.

وقال: «اللهم إنه لم يَخَفْ عليك ما لَقِيتُ أُمَّ رومان فيك، وفي رسولك» وقال: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ»^(١).

وهم للبخاري:

ورَوَى البخاري حديثًا عن مَسْرُوقٍ، وقال فيه: «سَأَلْتُ أُمَّ رُومَانَ وهي أُمُّ عائشةَ عما قيل فيها» وَمَسْرُوقٌ وُلِدَ بعد رسول الله - ﷺ - بلا خلافٍ، فلم يَرِ أُمَّ رُومَانَ قَطُّ، فقيل: إنه وهم في الحديث، وقيل: بل الحديث صحيح، وهو مُقَدَّم على ما ذكره أهل السيرة من مَوْتِها في حياة النبي - ﷺ، وقد تكلّم شيخنا أبو بكر - رحمه الله - على هذا الحديث، واعتنى به لإشكاله، فأورَدَه من طُرُقٍ، ففي بعضها: حَدَّثَنِي أُمُّ رومان، وفي بعضها عن مَسْرُوقٍ عن أُمِّ رُومَانَ مُعَنَّيًا، قال رحمه الله: وَالْعَنَنَةُ أَصَحُّ فيه، وإذا كان الحديث مُعَنَّيًا كان محتملاً،

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٢٧٧).

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيراً ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي».

قالت: وكان كُبر ذلك عند عبد الله بن أبي ابن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمئة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصيني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمئة بنت جحش، فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تُضادني لأخته، فشقيت بذلك.

ولم يلزم فيه ما يلزم في حديثنا، وفي سألت، لأن الراوي أن يقول: عن فلان، وإن لم يُذكره وهو كثير في الحديث^(١).

تناصبي أو تناصيني:

وقول عائشة: لم تكن امرأة تُناصيني في المنزلة عنده غيرها، هكذا في الأصل تُناصيني، والمعروف في الحديث: تُناصيني من المُناصاة، وهي المساواة، وأصله من النَّاصية.

(١) يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في الزاد (٢٦٦/٣): «ومما وقع في حديث الإفك، أن في بعض طرق البخاري عن أبي وائل عن مسروق قال: سألت أم رومان عن حديث الإفك فحدثني. قال غير واحد: وهنا غلط ظاهر؛ فإن أم رومان ماتت على عهد رسول الله ﷺ، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها وقال: «من سَرَه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فليُنظر إلى هذه» قالوا: لو كان مسروق قَدِم المدينة في حياتها وسألها، للقي رسول الله ﷺ وسمع منه، ومسروق إنما قَدِم المدينة بعد موت رسول الله ﷺ، قالوا: وقد رَوَى مسروق عن أم رومان حديثاً غير هذا، فأرسل الرواية عنها، فظن بعض الرواة أنه سمع منها، فحمل هذا الحديث على السماع، قالوا: ولعل مسروقاً قال: سُئِلت أم رومان، فتصحفت على بعضهم؛ سألت؛ لأن من الناس من يكتب الهمزة بالالف على كل حال. وقال آخرون: كل هذا لا يرد الرواية الصحيحة التي أدخلها البخاري في صحيحه، وقد قال إبراهيم الحربي وغيره: إن مسروقاً سألها، وله خمس عشرة سنة، ومات وله ثمان وسبعون سنة، وأم رومان أقدم من حدث عنه، قالوا: وأما حديث موتها من حياة رسول الله ﷺ ونزوله في قبرها فحديث لا يصح وفيه عِلَّتَانِ تمنعان صحته: إحداهما: رواية علي بن زيد بن جدعان له، وهو ضعيف الحديث لا يحتج به، والثانية: أنه رواه عن القاسم بن محمد عن النبي ﷺ، والقاسم لم يدرك زمن رسول الله ﷺ، فكيف يُقدم هذا على حديث إسناده كالشمس يرميه البخاري في صحيحه ويقول فيه مسروق: سألت أم رومان فحدثتني، وهذا يرد أن يكون اللفظ: سُئِلت: وقد قال أبو نعيم في كتاب «معركة الصحابة»: قد قيل: إن أم رومان توفيت في عهد رسول الله ﷺ، وهو وهم» اهـ.

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفكمهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمُرنا بأمرِك، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم، قالت: فقام سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً، فقال: كذبت لعمر الله، لا نضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا، فقال أُسَيْدُ: كذبت لعمر الله، ولكنك مُنافِقٌ تُجادل عن المُنافقين، قالت: وتساور الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحَيِّين من الأوس والخزرج شرٌّ. ونزل رسولُ الله ﷺ، فدخل عليّ.

شعر حسان في العريض بابن المعطل:

وذكر قول حسان:

أَمسى الجلابيبُ قد عَزَوْا وقد كَثُرُوا وابنُ الفَرِيعةِ أَمسى بَيِضَةَ البَلَدِ

يعني بالجلابيب العُرَبَاءُ، وَبَيِضَةُ البَلَدِ، يعني: منفرداً، وهي كلمة يُتَكَلَّمُ بها في المدح تارةً وفي معنى القُلِّ أُخْرَى، يقال: فلانٌ بَيِضَةُ البَلَدِ، أي: أنه واحدٌ في قومه، عظيم فيهم، وفلان بَيِضَةُ البَلَدِ، يريد: أنه ذليل ليس معه أحد.

وأما قوله:

قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتَ صَاحِبَهُ

فقد يجوز أن يكون قوله: مَنْ مَبْتَدَأُ، وقد ثَكِلَتْ أُمُّهُ في موضع الخبرِ المُقَدَّم عليه، ويجوز أن يكونَ مَنْ مَفْعُولاً بِثَكِلْتُ، وَأَضْمِرُ قَبْلَ الذِّكْرِ مع اتصال الضمير بالفاعل، فيكون مثل قوله:

جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيٌّ بَنِ حَاتِمٍ

ومثل قوله:

أَبْقَى الْيَوْمَ مَجْدُهُ مُطْعِمًا

وقد تقدَّم القولُ فيه.

وقوله: فَيَغْطِلُ، يريد البحر أي: يَهِيحُ وَيَغْتَلِمُ، وأصل هذه الكلمة من الغَيْطَلَةِ، وهي: الظلمة، وأصلها: يَغْطَالُ مثل يَسْوَأُ، لكنه همز الألف لثلا يجتمع ساكنان، وإن كان اجتماعهما في مثل هذا الموضع حسناً كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾، ولكنهما في الشعر لا يجتمعان إلا في عروض واحدة، وهي المُتَقَارِبُ، ومع هذا فقد قرأ أيوب بن أبي

(قالت): فدعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى علي خيرًا وقاله، ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرًا، وهذا الكذب والباطل، وأما علي فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية، فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها، قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب، فضربها ضربًا

تَمِيمَة [كيسان] السُّخْتَانِي ولا الضالين بهمزة مفتوحة وقرأ عَمْرُو بن عُبَيْد: ﴿إِنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَّ﴾ [الرحمن: ٥٦] وأنشد الخطابي:

سَقَى مُطْغِيَاتِ الْمَخْلِ سَكْبًا وَدِيمَةً عِظَامُ ابْنِ لَيْلَى حَيْثُ كَانَ رَمِيمُهَا
فَأَصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ وَادٍ وَتَلْعَةً حَدَائِقُ خُضْرًا مُزْهِرًا عَمِيمُهَا
أنشد:

خَاطِمَهَا زَأْمَهَا أَنْ تَهْرُبَا

فإن قيل: الهمزة في هذا كله مفتوحة، وفي قوله: يَغْطِيلُ مَكْسُورَة، وكذلك في الحديث الصحيح: أَسْوَدُ مُرَبَّدٌ في رواية.

قلنا: إنما كُسِرَت الهمزة في مُزْهِرٌ وَمُرَبَّدٌ وَيَغْطِيلُ، بعد أن فُتِحَتْ في الماضي، فقليل: اغْطَالٌ، وأزْهَارٌ، فصار على وزن اطمأن، فجاء اسمُ الفاعل والمستقبل على ذلك القياس مكسورًا كما يُكْسَرُ في مُطْمَئِنٌّ.

تفسير العجيب:

وقول ثابت لعبد الله بن رَوَاحَةَ: أَمَا أَعْجَبَكَ ضَرْبُ حَسَّانٍ بِالسَّيْفِ، معناه: أَمَا جَعَلَكَ تعجب، تقول: عَجِبْتُ مِنَ الشَّيْءِ وَأَعْجَبَنِي الشَّيْءُ، إذا كان ذلك العجب من مَكْرُوهٍ أو مَحْبُوبٍ، وهو عند الناس بمعنى سَرَّنِي لا غير، وفي الحديث، وكلام العربِ شواهدُ كثيرةٌ على هذا المعنى منها في الكامل فَلَا عَجَبَنِي أَنْ أَعْجَبَهُ بِكَاءِ أَبِيهِ، وفي حديث ذكره عن عبد الرحمن بن حسان، وكذلك أنشد:

أَلَا هُرَيْثُ بَنَا قَرْشِيَّةً يَهْتَرُ مِنْكِبُهُ!

تقول لي: ابْنُ قَيْسٍ ذَا وَبَعْضُ الشَّيْبِ يُعْجِبُهَا.

وقال كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ:

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لِأَعْجَبَنِي سَغْيُ الْفَتَى، وَهُوَ مَحْبُوءٌ لَهُ الْقَدَرُ لَهُ

شديدًا، ويقول: اضدُقي رسولَ الله ﷺ، قالت: فتقول: والله ما أعلم إلا خيرًا، وما كنت أعيب على عائشة شيئًا، إلا أني كنت أعجن عجيني، فأمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله.

القرآن وبراءة عائشة

قالت: ثم دخل علي رسولُ الله ﷺ، وعندني أبواي، وعندني امرأة من الأنصار، وأنا أبكي، وهي تبكي معي، فجلس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا عائشة، إنه

وقوله عليه السلام: أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ، معناه: أَقْبَحْتَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ حِينَ سَمِيتَهُمْ بِالْجَلَابِيبِ مِنْ أَجْلِ هِجْرَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ؟

ببرحاء:

وقوله: فأعطاه عَوْضًا مِنْهَا بَيْرَحَاءَ، وذكر بعضهم أن هذه البئر سُمِّيتَ بَيْرَحَاءَ، بزجر الإبل عنها، وذلك أن الإبلَ يقال لها إذا رُجِرَتْ عن الماء، وقد رَوَيْتُ حَاحًا، وهكذا كان الأصيلي يقيده برفع الرء إذا كان الاسم مَرْفُوعًا، وبالمذ، وغير الأصيلي يقول: بَيْرَحَاءَ بالفتح على كل حال وبالقصر يجعله اسمًا واحدًا، وقد حكى عن بعضهم فيه بَيْرَحَاءَ، بفتح الباء مع القصر، وفي الصحيح أن أبا طلحة دَفَعَ بَيْرَحَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وجعلها صَدَقَةً، فأمره النبي - ﷺ - أن يجعلها في الأقربين، فقسمها بين أَبِي وَحْشَانَ، وفسر البخاري وأبو داود القرابة التي بين أبي طلحة وبينهما قالوا: فأما حَسَّانُ فهو ابن المنذر بن ثابت بن حَرَامٍ، وأبو طَلْحَةَ هو زيد بن سَهْلٍ بن حَرَامٍ، فهذه قرابة قَرِيبَةٌ، وأما أَبِي، فيجتمع معه في الأب السادس، وهو عَمْرُو بْنُ مَالِكِ بْنِ التَّجَّارِ، وقد كان أَبِي غَنِيًّا، فكيف ترك مَنْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُ، وَخَصَّهُ؟

والوجه في ذلك أن أبا كان ابن عَمَّةِ أَبِي طَلْحَةَ، وهي صهيلة بنت الأسود بن حرام، وهو معروف عند أهل النسب، فمن أجل ذلك النسب خَصَّهُ بها، لا من أجل النسب الذي ذكرناه فإنه بعيد، وإنما قال له النبي - ﷺ -: «اجعلها في الأقربين».

حول براءة عائشة

وفي المسند من حديث عائشة أنه لما أنزل الله براءتها قام إليها أبو بكر، فقبل رأسها، فقالت له: هَلَا كُنْتُ عَذْرَتِي، فقال: أَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّلُنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّلُنِي، إن قلت بما لا أعلم، وكان نزول براءة عائشة - رضي الله عنها - بعد قومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة في قول بعض المفسرين.

قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله، وإن كنت قد قارفت سوءاً، مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده، قالت: فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك، فقلص دمعِي، حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرتُ أبوي أن يجييا عني رسول الله ﷺ، فلم يتكلما. قالت: وأيم الله لأنا كنت أخقر في نفسي، وأضغر شأنًا من أن يُنزل الله في قرآنًا يُقرأ به في المساجد، ويصلى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عني، لما يعلم من براءتي، أو يُخبر خبراً، فأما قرآن ينزل في، فوالله لنفسِي كانت أخقر عندي من ذلك. قالت: فلما لم أر أبوي يتكلمان، قالت: قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ قالت: فقالا: والله ما ندري بماذا نُجيبه، قالت: والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، قالت: فلما أن استعجما عليّ، استعبرث فبكيّ، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً. والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة، لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تُصدّقوني. قالت: ثم التمسْتُ اسمَ يعقوب فما أذكره، فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجّي بثوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فرغت ولا باليت، قد عرفت أني بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمي، وأما أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُري عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجن أنفسهما، فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس، قالت: ثم سُري عن رسول الله ﷺ - ﷺ - فجلس، وإنه ليتحدّث منه مثل الجمان في يوم شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك، قالت: قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس، فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أناته، وحسان بن ثابت، وحمّنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حذّهم.

قال ابن إسحق: وحذّني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النّجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في

عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله؛ قال: فعائشة والله خير منك.

قالت: فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١ وما بعدها]، وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا.

قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبد الله بن أبي وأصحابه.

قال ابن هشام: والذي تولى كِبْرَهُ عبد الله بن أبي، وقد ذكر ذلك ابن إسحق في هذا الحديث قبل هذا. ثم قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: أي: فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه، ثم قال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

فلما نزل هذا في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، ولا أنفعه بشئ أبداً بعد الذي قال لعائشة، وأدخل علينا، قالت: فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يقال: كِبْرَهُ وكَبْرَهُ في الرواية، وأما في القرآن فكِبْرَهُ بالكسر.

قال ابن هشام: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ ولا يأل أولو الفضل منكم. قال امرؤ القيس بن حُجر الكندي:

أَلَا رَبُّ خَضَمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحَ عَلَى تَغْذَالِهِ غَيْرُ مُؤْتَلٍ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ﴾: ولا يحلف أولو الفضل، وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري، فيما بلغنا عنه.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦] وهو من الألية، والألية: اليمين. قال حسان بن ثابت:

أَكَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّْي أَلِيَّةٌ بِرٍّ غَيْرِ إِفْنَادِ

وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها. فمعنى: أن يؤتوا في هذا المذهب: أن لا يؤتوا، وفي كتاب الله عز وجل: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] يريد: أن لا تضلوا، ﴿وَيُمسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥] يريد أن لا تقع على الأرض، وقال ابن مفرغ الحميري:

لَا دَعَزْتُ السَّوَامَ فِي وَضَحِ الصُّبِّ حِجْ مُغِيرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدَا
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَمِيمًا وَالْمَنَايَا يَرْضُدُنِي أَنْ أَحِيدَا
يريد: أن لا أحمدا، وهذان البيتان في أبيات له.

قال ابن إسحاق: قالت: فقال أبو بكر: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح ففقهه التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

ابن المعطل يهّم بقتل حسان

قال ابن إسحاق: ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف، حين بلغه ما كان يقول فيه، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه وبمن أسلم من العرب من مضر، فقال:

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَنِيضَةُ الْبَلَدِ
قَدْ ثَكِلْتُ أُمَّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْثَنِ الْأَسَدِ
مَا لِقَتَيْلِي الَّذِي أَغْدُو فَأَخْذُهُ مِنْ دِيَّةٍ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدِ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطِئُ^(١) وَيَزْمِي الْعُبْرَ بِالزَّيْدِ
يَوْمًا بِأَغْلَبِ مِنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي مَلْعِظُ^(٢) أَفْرِي كَفَرِي الْعَارِضَ الْبَرْدِ

(١) يغطئ: يرتفع.

(٢) ملعظ: أي من الغيظ.

أَمَّا قُرَيْشٌ فإِنِّي لَنْ أَسْأَلَهُمْ حَتَّى يُنْيَبُوا مِنَ الْعَيَّاتِ لِلرَّشْدِ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَغْزِلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ حَقٌّ وَيُوقِفُوا بَعْدَهُ اللَّهَ وَالْوَكْدِ

فاعترضه صفوان بن المعطل، فضربه بالسيف، ثم قال: كما حدثني يعقوب بن عتبة:

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غُلَامٌ إِذَا هُوَ جِيئَ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

قال ابن إسحق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل، حين ضرب حسان، فجمع يديه إلى عنقه بحبل، ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن ربيعة، فقال: ما هذا؟ قال: أما أعجبتك ضرب حسان بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله، قال له عبد الله بن ربيعة: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت؟ قال: لا والله، قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل، فأطلقه، ثم أتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له، فدعا حسان وصفوان بن المعطل، فقال ابن المعطل يا رسول الله: آذاني وهجاني، فاحتملني الغضب، فضربتني، فقال رسول الله ﷺ لحسان: «أحسن يا حسان، أتشوهت على قومي أن هداهم الله للإسلام»، ثم قال: «أحسن يا حسان في الذي أصابك»، قال: هي لك يا رسول الله.

قال ابن هشام: ويقال: أبعد أن هداكم الله للإسلام.

قال ابن إسحق: فحدثني محمد بن إبراهيم: أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضاً منها بئرحاء، وهي قصر بني حذيلة اليوم بالمدينة، وكانت مالا لأبي طلحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله ﷺ، فأعطاه رسول الله ﷺ حسان في ضربته، وأعطاه سيرين، أمة قبطية، فولده له عبد الرحمن بن حسان، قالت: وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن ابن المعطل، فوجده رجلاً خصوراً، ما يأتي النساء، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً.

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَيْبَةٍ وَتُضَيِّحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

شعر حسان في مدح عائشة:

وقول حسان في عائشة:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَيْبَةٍ وَتُضَيِّحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

عَقِيلَةً حَيٍّ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ
 مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ
 فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفْعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَا مِلي
 وَكَيْفَ وَوَدَيَّ مَا حَيِيْتُ وَنُضْرَتِي لَأَلَّ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَ الْمَحَافِلِ

حَصَانٌ: فَعَالَ بفتح الحاء يكثر في أوصافِ المؤنث، وفي الأعلام منها، كأنهم قصدوا
 بتوالي الفَتَحَاتِ مُشَاكَلَةَ خِفَّةِ اللفظ لَخِفَّةِ المعنى، أي: المسمَّى بهذه الصفات خفيف على
 النفس، وَحَصَانٌ مِنَ الْحِصْنِ وَالتَّحَصُّنِ، وهو الامتناعُ على الرجال من نظرهم إليها، وقالت
 جارية من العرب لأُمها:

يَا أُمًّا أَبْصَرَنِي رَاكِبٌ يَسِيرُ فِي مُسَحْنَفِرٍ^(١) لِاحِبٍ^(٢)
 جَعَلْتُ أَخِي التَّرَابَ فِي وَجْهِهِ حُضْنَا وَأَخِي حَوْرَةَ الْغَائِبِ
 فقالت لها أُمها:

الْحُضْنُ أَذْنَى لَوْ تَابَيْتِهِ مِنْ حَفِيكَ التُّزْبِ عَلَى الرَّاكِبِ

ذكر هذه الأبيات أحمدُ بن أبي سَعِيدٍ السَّيرَافِي في شرح أبيات الإيضاح والرَّزَّازِ والثَّقَالِ
 بمعنى واحد، وهي القليلةُ الحركة.

وقوله:

وَتُضْبِحُ عَزْثِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ

أي: خَمِيصَةُ الْبَطْنِ مِنْ لُحُومِ النَّاسِ، أي: اغْتِيَابُهُمْ وَضَرْبَ الْعَزْتِ مَثَلًا، وهو عدم
 الطُّعْمِ وَخُلُوعِ الْجُوفِ، وفي التنزيل: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾
 [الحجرات: ١٢] ضرب المثل لأخذه في العِرْضِ بِأَكْلِ اللَّحْمِ، لأن اللحم يَثَرُ عَلَى الْعِظَمِ،
 والشاتمُ لأخيه كأنه يَقْشِرُ وَيَكْشِفُ ما عليه من سِرِّهِ.

وقال: مَيْتًا، لأن الميتَ لَا يُحْسَ، وكذلك الغائبُ لَا يَسْمَعُ ما يقول فيه الْمُغْتَابُ، ثم
 هو في التحريم كَأَكْلِ لَحْمِ الْمَيْتِ.

وقوله: مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ، يريد: الْعَفَائِفَ الْغَافِلَةَ قُلُوبُهُنَّ عَنِ الشَّرِّ، كما قال سبحانه:
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النور: ٢٣] جَعَلَهُنَّ غَافِلَاتٍ، لأن الذي

(٢) لاحِب: واسع.

(١) مسحفر: أي ممتد.

له رَتَّبَ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصَّرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَاثٍ^(١) وَلَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِيٍّ مَاجِلٍ
قال ابن هشام: بيته: «عقيلة حي» والذي بعده، وبيته: «له رتب عال» عن أبي زيد
الأنصاري.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة: أن امرأة امدحت بنت حسان بن ثابت عند
عائشة، فقالت:

حِصَّانَ رَزَّانَ مَا تُزَنُّ بِرَبِيبَةٍ وَتُضْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
فقالت عائشة: لكن أبوها.

رُؤْمِينَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ لَمْ يَهْمُمْ بِهِ قَطُّ وَلَا خَطَرَ عَلَى قُلُوبِهِنَّ، فَهُنَّ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ، وَهَذَا أَبْلَغُ مَا
يَكُونُ مِنَ الْوَصْفِ بِالْعَافِ.

وقوله:

له رَتَّبَ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ

الرَّتَّبُ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَعَلَا، وَالرَّتْبُ أَيْضًا: قُوَّةٌ فِي الشَّيْءِ وَغِلْظٌ فِيهِ، وَالسَّوْرَةُ
رُتْبَةٌ رَفِيعَةٌ مِنَ الشَّرَفِ مَأْخُودَةُ اللَّفْظِ مِنْ سُورِ الْبِنَاءِ.

وقوله:

فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَاثٍ

أَي: بِلَاصِقٍ، يُقَالُ: مَا يَلِيطُ ذَلِكَ بِفُلَانٍ، أَي: مَا يَلْصِقُ بِهِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الرَّبَا: لِيَاظًا،
لأنه أَلْصَقُ بِالْبَيْعِ، وَلَيْسَ بِبَيْعٍ. وَفِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَ لِثَقِيفٍ: وَمَا كَانَ مِنْ دَيْنٍ لَيْسَ فِيهِ
رَهْنٌ، فَإِنَّهُ لِيَاظٌ مُبْرَأٌ مِنَ اللَّهِ. وَسَيَأْتِي حَدِيثُهُ مَفْسَّرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وقوله في الشعر:

فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَا مَلِي

دَعَاءٌ عَلَى نَفْسِهِ، وَفِيهِ تَصْدِيقٌ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ حَسَّانَ لَمْ يُجْلَدْ فِي الْإِفْكِ، وَلَا خَاضَ

(١) بلائط: بلاحق.

شعر في هجاء حسان ومسطح:

قال ابن إسحق: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه في فريتهم على عائشة - قال ابن هشام: في ضرب حسان وصاحبيه:

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا هَاجِرًا وَمِسْطَحُ
تَعَاظُوا بِرَجْمِ الْعَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ وَسَخْطَةَ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَتْرَحُوا

فيه، وأنشدوا البيت الذي ذكره ابن إسحق:

لقد ذاق حسان الذي كان أهله

على خلاف هذا اللفظ:

لقد ذاق عبد الله ما كان أهله وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا: هَاجِرًا وَمِسْطَحُ

ما نزل في حق أصحاب الإفك:

وذكر ما أنزل الله تعالى في أصحاب الإفك وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥] وكانت عائشة - رضي الله عنها تقرأها: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ مِنَ الْوَلَقِ، وهو استمراء اللسان بالكذب. وأما إقامة الحد عليهم ففيه التوبة بين أفضل الناس بعد النبي - ﷺ - وأدنى الناس درجة في الإيمان، لا يُزاد القاذف على الثمانين، وإن شتم خير الناس بعد رسول الله ﷺ، ولا ينقص منها، فإن قذف قاذف اليوم إحدى أمهات المؤمنين سوى عائشة، فيتوجه فيه للفقهاء قولان: أحدهما: أَنْ يُجْلَدَ ثمانين كما يقتضيه عموم التنزيل، وكما فعل النبي - ﷺ - بالذين قذفوا أهله قبل نزول القرآن ببراءتها، وأما بعد نزول القرآن ببراءتها فيُقتل قاذفها قتل كُفْرٍ، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُورث، لأنه كذب الله تعالى.

والقول الثاني في قاذف أمهات المؤمنين غير عائشة - رضي الله عنهن أن يُقتل أيضًا، وبه كان يأخذ شيخنا - رحمه الله تعالى - ويحتج بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] الآية، وإذا قذف أزواج النبي عليه السلام، فقد سبَّه. فمن أعظم الإذية، أن يُقالَ عن الرجل: قَرْزَانٌ^(١) وإذا سبَّ نبيٍّ بمثل هذا فهو كُفْرٌ صَراحٌ وقد قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾ أي: خانتا في الطاعة لهما، والإيمان، وما بغت امرأة نبي قط، أي: ما زنت.

(١) قرنان: أي له قرين يشاركه في زوجه.

مَخَازِي تَبْقَى عُمُومُهَا وَفُضِّحُوا
شَابِيبُ قَطَرٍ مِنْ دُرِّ الْمُزْنِ تَسْفَحُ

وَأَذُوا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا فَجَلَّلُوا
وَضُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُخَصَّدَاتُ كَأَنَّهَا

إهداء سيرين إلى حَسَّان:

وذكر أن النبي - ﷺ - أعطى حَسَّانَ جَارِيَتَهُ بِضَرْبِ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِ لَهُ، وهذه الجاريةُ اسمها سيرين بنت شَمْعُونِ أَخْتُ مَارِيَةَ سُرِّيَّةُ النَّبِيِّ - ﷺ - وهي أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ الشَّاعِرِ، وكان عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَفْخَرُ بِأَنَّهُ ابْنُ خَالَةِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ - ﷺ - وقد روت سيرينُ هذه عن النبي - ﷺ - حديثًا قالت: رأى رسولُ اللَّهِ - ﷺ - خللاً في قبرِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِهِ فَأَصْلَحَهُ، وقال: «أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّ مِنَ الْعَبْدِ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَنْ يُصْلِحَهُ»^(١).

(١) انظر المجمع (٤٨/٤).

أمر الحديبية في آخر سنة ست، وذكربيعة الرضوان والصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً، وخرج في ذي القعدة معتمرًا، لا يريد حربًا.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ثُميلة بن عبد الله الليثي.

غزوة الحديبية^(١)

يقال فيها: الحُدَيْبِيَّةُ بالتخفيف، وهو الأعرف عند أهل العربية. قال الخطابي: أهلُ الحديث يقولون: الحُدَيْبِيَّةُ بالتشديد، والجِعْرَانَةُ كذلك، وأهل العربية يقولونهما: بالتخفيف، وقال البكري: أهلُ العراق يشدّدون الراء والياء في الجِعْرَانَةِ والحُدَيْبِيَّةِ، وأهل الحجاز يخففون، وقال أبو جعفر النحاس: سألت كل من لقيته ممن أئق بعلمه عن الحُدَيْبِيَّةِ، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف^(٢).

المبقات والإشعار:

فصل: وذكر خروج النبي - ﷺ - مُعْتَمِرًا إلى مكّة، ولم يذكر في حديثه: من أين أحرم، وفي الصحيح من رواية الزُّهْرِيِّ أنه أحرم من ذي الحُلَيْفَةِ، وهو خلاف ما يُروى عن

(١) انظر البداية (١٤٦/٤) الطبري (٦٢٠/٢) ابن سيّد الناس (١١٣/٢) شرح المواهب (١٧٩/٢) الطبقات لابن سعد (٩٥/٢) الزاد (٢٨٦/٣) الكامل (٨٦/٢) الاكتفاء (٢٢٣/٢) المنتظم (٢٦٧/٣) الواقدي (٥١٧/٢) أنساب الأشراف (١٦٩/١) ابن حزم (٢٤٨) البخاري (١٢١/٥).

(٢) الحديبية: قرية على تسعة أميال من مكّة. وسميت ببئر فيها عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها.

قال ابن إسحاق: واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قُريش الذي صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب، وخرج رسولُ الله ﷺ بمَن معه من المهاجرين والأنصار من لَحِقَ به من العرب، وساق معه الهَدي، وأحرم بالعمرة ليأمن الناسُ من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت ومعظمًا له.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدّثاه قالا: خرج رسولُ الله ﷺ عام الحُدَيْبِيَّة يريد زيارة البيت، لا يريد قتالًا، وساقَ معه الهَدي سَبعين بَدَنَةً، وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كلُّ بَدَنَةٍ عن عشرة نفر.

وكان جابر بن عبد الله، فيما بلغني، يقول: كنّا أصحابَ الحُدَيْبِيَّة أربعَ عشرة مائة^(١).

عليّ رحمه الله من قوله: «إن تمام العمرة أن تُحْرَمَ بها من دُورَةِ أهْلِكَ»^(٢)، وهذا من قول عليّ مُتَأَوَّلٌ فيمن كان منزله من وِزَاءِ الميقاتِ، فهو الذي يُحْرَم من دُورَةِ أهْلِهِ، كما يُحْرَمُ أهلُ مَكَّة من مَكَّة في الحجّ.

وفيه: أنه أشعَرَ الهَدي، وهو خلاف قول النُخَعِيّ وأهل الكوفة في قولهم إن الإشعارَ منسوخٌ بنهيه عن المُثَلَّة، ويقال لهم: إن التَّهْي عن المُثَلَّة كان بِإِثْرِ غَزْوَةِ أُحُد، فلا يكون الناسخُ متقدِّمًا على المنسوخ.

من شرح حديث الحديبية:

وفيه أنهم مرّوا بطريقِ أُجْرَد، ومعناه: كثيرُ الحجارة، والجَرْدُ: الحَجَرُ.

وفيه أنه بعث عَيْنًا له من خُزَاعَةٍ إلى مَكَّة، فدَلَّ على أنه يجوزُ للرجل أن يسافرَ وحده، إذا مسَّت الحاجةُ إلى ذلك، أو كان في ذلك صلاحٌ للمسلمين.

وفي البخاري والتَّسَوِّي أن عَيْنَهُ الذي أرسل جاءه بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ، وَالْأَشْطَاطُ: جَمْعُ شَطٍّ، وهو السَّئَامُ، قال الراجزُ:

شَطًّا رَمَيْتَ فَوْقَهُ بِشَطٍّ

(١) انظر البخاري (٣٤١/٧) ومسلم (١٨٥٦) والفتح (٣٤١/٧).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٧١/٢).

قال الزهري: وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سُفيان الكعبي - قال ابن هشام: ويقال بُسر - فقال: يا رسول الله هذه قُريش، قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العود المطافيل، قد لبسوا جلود الثُمر، وقد نزلوا بذئ طوى، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كُراع الغميم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا وَنَج قُريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وإيرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قُوة، فما تظن قُريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة».

وشط الوادي: أيضًا جانبه، وبعضهم يقول فيه الأشطاط بالطاء المعجمة، واسم عينه ذلك بُسر بن سُفيان بن عمرو بن عُمير الخُزاعي، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ مع بُذيل ابن أم أُصرم وهو بُذيل بن سلمة إلى خزاعة يستنقروهم إلى قتال أهل مكة عام الفتح.

وفيه أن قريشًا خرجت ومعها العود المطافيل. العود: جمع عاِذ، وهي الناقة التي معها ولدُها، يُريد أنهم خرجوا بدوات الألبان من الإبل، ليتزوّدوا ألبانها، ولا يَزجعوا، حتى يتأجّزوا محمدًا وأصحابه في زعمهم، وإنما قيل للناقة: عائد، وإن كان الولد هو الذي يعوذ بها، لأنها عاطفٌ عليه، كما قالوا: تتجّارة رابحة، وإن كانت مزبوحًا فيها، لأنها في معنى نامية وزاكية، وكذلك عيشة راضية لأنها في معنى صالحة، ومن نحو هذا قوله: «والهذي معكوفًا» [الفتح: ٢٥] وإن كان عاكفًا، لأنه مَحْبُوسٌ في المعنى، فتحول وزنه في اللفظ إلى وزن ما هو في معناه، كما قالوا في المرأة: تُهْرَقُ الدِّماء، وقياسه: تُهْرِقُ الدِّماء، ولكنه في معنى: تُسْتَحَاضُ، فحول إلى وزن ما لم يُسم فاعله الدماء منصوبة على المفعول كما كانت.

وقوله في بثر الحُدَيْبِيَّة: إنما يُتَبَرَّضُ ماؤها تَبَرُّضًا من البَرَضِ، وهو الماء الذي يَقْطُر قليلًا قليلًا، والبارض من النبات الذي كأنه يَقْطُر من الرّي والنعمة. قال الشاعر:

رَعَى بارِضَ البُهْمَى^(١) جَمِيمًا وبُسْرَةً وَصَنَعَاءَ حَتَّى آتَفَتْهُ^(٢) نِصَالُهَا

يقال لكل شيء في أوّله: بُسْرَة حتى للشمس عند طلوعها، وصنَعاء: مُتَّحِدَة قد شوّكت، قاله أبو حنيفة.

(١) البهيمى: ضرب من النبات أخضر، فإذا كبر فهو: جميم، ثم جمعاء.

(٢) آتفته: اشتكت بأنفها.

الرسول ﷺ يسلك طريقاً غير طريق قريش:

ثم قال: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا؟

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رجلاً من أسلم قال: أنا يا رسول الله، قال: فَسَلِّكْ بِهِمْ طَرِيقًا وَغَرًّا أَجْرَلُ بَيْنَ شِعَابٍ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْهُ، وَقَدْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَفْضُوا إِلَى أَرْضٍ سَهْلَةٍ عِنْدَ مُنْقَطَعِ الْوَادِي؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ: «قُولُوا: نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ»؛ فَقَالُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّهَا لِلْحِطَّةِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ». فَلَمْ يَقُولُوهَا.

قال ابن شهاب: فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال: «اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرِي الْحَمَشِ، فِي طَرِيقٍ تُخْرِجُهُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْمُرَارِ مَهْبِطِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ»؛ قَالَ: فَسَلِّكْ الْجَيْشَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ، فَلَمَّا رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتْرَةَ الْجَيْشِ قَدْ خَالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ، رَجَعُوا رَاكِضِينَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا سَلَكَ، فِي ثَنِيَّةِ الْمُرَارِ بَرَكْتَ نَاقَتُهُ، فَقَالَتِ النَّاسُ: خَلَّائَتْ النَّاقَةُ، قَالَ: «مَا خَلَّائَتْ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ. لَا تَدْعُونِي قُرَيْشَ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ

وَذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقًا وَغَرًّا أَجْرَلُ يُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ هُوَ نَاجِيَةُ الْأَسْلَمِيِّ، وَهُوَ سَائِقُ بُذْنِهِ، وَهُوَ نَاجِيَةُ بْنُ جُنْدَبٍ، وَيُقَالُ: فِيهِ ابْنُ عُمَيْرٍ، وَكَانَ اسْمُهُ: ذُكْوَانٌ، فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ: نَاجِيَةً حِينَ نَجَا مِنْ كَفَّارِ قُرَيْشٍ، وَعَاشَ إِلَى زَمَنِ مُعَاوِيَةَ، وَأَمَّا صَاحِبُ بُذْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَذْكُورِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي الْمُوطَأِ وَغَيْرِهِ، فَاسْمُهُ: ذُؤَيْبُ بْنُ حَلْحَلَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كُلَيْبٍ بْنِ أَصْرَمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُمَيْرٍ بْنِ حُبَشِيَّةَ ابْنِ سُلُوكَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُوَ لَحْيٌ بَنُ حَارِثَةَ جَدُّ خُرَاعَةَ، وَذُؤَيْبُ هَذَا هُوَ وَالِدُ قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبِ الْقَاضِي صَاحِبِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَعَاشَ ذُؤَيْبٌ إِلَى خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ أَيْضًا.

وَذَكَرَ فِي نَسَبِ أَسْلَمَ بْنِ أَفْصَى بْنِ أَبِي حَارِثَةَ، وَهُوَ وَهْمٌ، وَقَدْ أَصْلَحَهُ ابْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ: هُوَ حَارِثَةُ يَعْنِي ابْنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ بْنِ حَارِثَةَ الْغِطْرِيفِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازِنَ بْنِ الْأَسَدِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ إِسْحَاقَ لَمْ يَهْمُ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى أَبِي حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ عَمُّ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَحَارِثَةُ هُوَ أَبُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَدْعُونِي قُرَيْشَ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ»^(١)، الْحَدِيثُ، وَفِي غَيْرِ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤/٣٢٤).

إِيَّاهَا». ثم قال للناس: «انزِلُوا»، قيل له: يا رسول الله: ما بالوادي ماء نزل عليه، فأخرج سهمًا من كِنَانَتِهِ، فأعطاه رجلًا من أصحابه، فنزل به في قَلِيبٍ من تلك القُلُوبِ. فغَرَزَهُ فِي جَوْفِهِ، فجاش بالزَّوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسَ عَنْهُ بَعْطَنَ.

قال ابن إسحق: فحدَّثني بعضُ أهل العلم عن رجال من أسلم: أن الذي نزل في القليبِ بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب بن عمير بن يغمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سَهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أقصى بن أبي حارثة، وهو سائق بُذِنَ رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: أقصى بن حارثة.

قال ابن إسحق: وقد زعم لي بعضُ أهل العلم: أن البراء بن عازبٍ كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ، فالله أعلم أي ذلك كان.

وقد أنشدت أسلم أبياتًا من شعر قالها ناجيةٌ، قد ظننا أنه هو الذي نزل بالسهم، فزعمت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجيةٌ في القليبِ يَمِيحُ على الناسِ، فقالت:

يا أيها المائح دَلَوِي دُونَكَ إني رأيتُ الناسَ يَخْمَدُونَكَ
يُثْنُونَ خَيْرًا وَيَمَجِّدُونَكَ

قال ابن هشام: ويروى:

إني رأيتُ النَّاسَ يَمْدَحُونَكَ

رواية ابن إسحق عن الزُّهري أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا تدعوني قريش»، ولم يقل في الحديث: إن شاء الله، وقد تكلّموا في ذلك فقليل: إنما أسقط الاستثناء، لأنه أمرٌ واجبٌ كان قد أمر به، ألا تراه يقول في الحديث: «إنما أنا عبدُ الله ورسوله لن أخالف أمره، ولن يُضَيِّعَنِي»، وقيل: إن إسقاط الاستثناء، إنما هو من الراوي إمّا نسيه وإمّا لم يَحْفَظْهُ.

وفي الحديث: أَوْ تَنْفَرُدْ هَذِهِ السَّالِفَةُ. السَّالِفَةُ: صَفْحَةُ الْعُنُقِ، وانفرادها عبارة عن القتل أو الذبح، وفي الرجز الذي أنشده:

يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دَلَوِي دُونَكَ

لو قال: دُونَكَ دَلَوِي لكان الدَّلَوُ في موضع نصبٍ على الإغراء، فلما قدّمها على دُونَكَ، لم يَجْزُ نصبُها بدونك، ولكنه بفعلٍ آخر، كأنه قال: املا دَلَوِي، فقله: دُونَكَ أَمْرٌ بعد أمرٍ.

قال ابن إسحاق: فقال ناجية، وهو في القلب يَمِيح على الناس:

قد علمت جاريةً يمانية أتني أنا المائح واسمي ناجية
وطعنة ذات رَشاش وإهية طعننها عند صدور العادية

فقال الزهري في حديثه: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أنه بُدِّل بن وَزقاء الخُزاعي، في رجال من خُزاعة، فكلّموه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت، ومعظماً لحُرمته، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سُفيان، فَرَجِعُوا إلى قُريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تَعَجِّلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت، فاتهموهم وجَبَّهوهم وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عتوة أبداً، ولا تحدّث بذلك عنّا العرب.

قال الزهري: وكانت خُزاعة عَيَّبة نُضَح رسول الله ﷺ، مُسلمها ومُشركها، لا يُخفون عنه شيئاً كان بمكة.

قال: ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص بن الأخيْف، أخا بني عامر بن لُؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ مُقبلاً قال: «هذا رجلٌ غادر»^(١)، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلّمه، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبُدَيْل وأصحابه، فرجع إلى قُريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ.

ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة أو ابن زَبَّان، وكان يومئذ سيّد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كِنانة؛ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألّهون، فابعثوا الهذلي في وجهه حتى يراه»، فلما رأى الهذلي يسيل عليه من عُرض الوادي في قلائده، وقد أكل أوبارَه من طول الحبس عن مَحَلِّه، رجع إلى قُريش، ولم يَصِل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك. قال: فقالوا له: اجلس، فإنما أنت أغرابي لا عِلْم لك.

وفيه قوله ﷺ: في الحُلَيْس: «إن هذا من قوم يتألّهون»^(٢)، أي: يُعَظِّمون أمرَ الإله، ومنه قول رؤبة:

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَفْنَ من تَأَلَّه

أي: من تَنَسَّك وتعظيم لله سبحانه.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (١١٩/٢).

(١) أخرجه أحمد (٣٢٤/٤).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن الحُلَيْسَ غضب عند ذلك وقال: يا معشر قُريش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم. أَيْصَدُّ عن بيت الله مَنْ جاء مُعَظِّمًا له! والذي نفس الحُلَيْسِ بيده، لَتُحْلَنَ بين محمد وبين ما جاء له، أو لَأَنْفَرَنَ بالأحابيش نفرة رجل واحد. قال: فقالوا له: مَهْ، كَفْ عنا يا حُلَيْسَ حتى نأخذَ لأنفسنا ما نرضى به.

قال الزهري في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عُروة بن مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ؛ فقال: يا معشر قُريش، إني قد رأيت ما يلقى منكم مَنْ بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التَّعْنِيفِ وَسُوءِ اللَّفْظِ، وقد عَرَفْتُمْ أنكم والدُّ وإنِّي وَلَدٌ - وكان عُروة لُسْبَيْعَةَ بنت عبد شمس - وقد سمعتُ بالذي نابكم، فجمعتُ من أطاعني من قومي، ثم جِئْتُكم حتى آسَيْتُكُمْ بنفسِي، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمُتَّهِمٍ. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه، ثم قال: يا محمد، أَجْمَعْتُ أَوْ شَابَ النَّاسَ، ثم جِئْتُ بِهِمْ إِلَى بَيْضَتِكَ لَتَقْضِيَهُمْ بِهِمْ، إنها قُريش قد خَرَجَتْ معها العُوْدُ المِطَافِيلُ. قد لَبَسُوا جُلُودَ الثُّمُورِ، يُعَاهِدُونَ اللهَ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ عَثْوَةٌ أَبَدًا وَإِنَّمِ اللهُ، لَكَأَنِّي بِهِؤُلَاءِ قد انكشفوا عَنْكَ عَدَا. قال: وأبو بكر الصَّدِيقُ خَلَفَ رسول الله ﷺ قَاعِدٌ؛ فقال: امْضُضْ بَظَرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نُنْكَشِفُ عَنْهُ؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قُحَافَةَ، قال: أما والله لولا يَدُ

وصف الجمع بالمفرد:

وقول عُروَةَ بن مَسْعُودٍ لقُريش: قد عَرَفْتُمْ أنكم والدُّ، أي: كُلُّ واحدٍ منكم كالوَإِدِّ، وقيل: معناه أنتم حَيٌّ قد وَلَدْتَنِي، لأنه كان لُسْبَيْعَةَ بنتِ عَبْدِ شَمْسٍ، وقد يجوز أن يقال في الجماعة: هم لي صَدِيقٌ وَعَدُوٌّ. وفي التنزيل: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فَيُفْرَدُ لأنه صِفَةٌ لِفَرِيقٍ وحزبٍ وَيَقْبُحُ أن تقول: قومُك ضاحِكٌ أو بَاكِ، وإنما يحسنُ هذا إذا وَصَفْتَ بِصَدِيقٍ وَرَفِيقٍ وَعَدُوٌّ لأنها صِفَةٌ تَصْلُحُ لِلْفَرِيقِ وَالْحِزْبِ، لأنَّ العَدَاوَةَ وَالصَّدَاقَةَ صِفَتَانِ مُتَضَادَّتَانِ، فإذا كان على أَحَدِهِمَا الْفَرِيقُ الْوَاحِدُ، كان الْآخَرُ على صِدْهَها، وكانت قُلُوبُ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ في تلك الصِفَةِ على قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ في عُرْفِ العادة، فَحَسَنُ الْإِفْرَادِ، وليس يلزم مثلُ هذا في الْقِيَامِ والقعود ونحوه، حتى يقال: هم قَاعِدٌ أو قائمٌ كما يقال: هم صَدِيقٌ لما قَدَّمْنَاهُ من الاتِّفَاقِ والاختلافِ. وأما قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]، بلفظ الْإِفْرَادِ، وقال في موضع آخر: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾ [النور: ٥٩] فالأحسنُ في حكم الْبَلَاغَةِ أن يُعَبَّرَ عن الْأَطْفَالِ الرُّضْعِ بِالطِّفْلِ في الْوَاحِدِ والجميع، لأنهم مع جِدَّتَانِ الْوِلَادَةِ كَالْجِنْسِ الذي يقع على القليل والكثير بلفظ واحد، ألا تَرَى أن بَدْءَ الْخَلْقِ طِينٌ، ثم مِنيٌّ، وَالْمِنيُّ جنس لا يتميز بعضُه مِنْ بَعْضٍ، فلذلك لا

كانت لك عندي لكافأنتك بها، ولكن هذه بها، قال: ثم جعل يتناول لَحْيَةَ رسولِ الله ﷺ وهو يكلمه قال: والمغيرة بن شُعْبَةَ واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد. قال: فجعل يَفْرَعُ يَدَهُ إذا تناول لَحْيَةَ رسولِ الله ﷺ، ويقول: اكْفُفْ يَدَكَ عَنْ وَجْهِ رسولِ الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك، قال: فيقولُ عُرْوَةُ: وَيَحَكْ! ما أَفْظُكَ وَأَغْلَظُكَ! قال: فتبسم رسولُ الله ﷺ، فقال له عُرْوَةُ: مَنْ هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابنُ أخيك المِغِيرَةُ بن شُعْبَةَ»، قال: أي غُدر، وهل غَسَلْتُ سَوْءَتَكَ إِلَّا بِالْأَمْسِ.

قال ابن هشام: أراد عُرْوَةُ بقوله هذا أن المِغِيرَةَ بن شُعْبَةَ قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك، من ثقيف، فتهايج الحيَّان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رَهْطُ المِغِيرَةَ، فوَدَى عُرْوَةُ المقتولين ثلاثَ عَشْرَةَ دِيَّةً، وأصلح ذلك الأمر.

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْرِيُّ: فكلمه رسولُ الله ﷺ بَنَخُو مما كَلَّمَ به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يُريد حَرْبًا.

فقام من عند رسول الله ﷺ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يَبْصِقُ بُصَاقًا إِلَّا ابْتَدَرُوهُ، ولا يَسْقُطُ من شعره شيء إلا أخذوه. فرجع إلى قُرَيْش، فقال: يا معشر قُرَيْش، إني قد جِئْتُ كِشْرَى في مُلْكِهِ، وقِصر في مُلْكِهِ، والنَّجَاشِي في مُلْكِهِ، وإني والله ما رأيت مُلْكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قومًا لا يُسَلِّمُونَهُ لشيء أبداً، فَرَوْا رأيكم.

يُجْمَع، وكذلك الطين، ثم يكون الخلق علقًا، وهو الدم، فيكون ذلك جِنْسًا، ثم يخرجهم الله طِفْلًا، أي: جنسًا تَالِيًا لِلْعَلَقِ وَالْمَنِيِّ لا يكاد يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ إِلَّا عِنْدَ آبَائِهِمْ، فإذا كبروا وخالطوا الناس، وعرف الناس صُورَهُمْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَصَارُوا كَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، قيل فيهم: حينئذ أَطْفَالٌ، كما يقال: رِجَالٌ وَنِسَاءٌ، ولا يُعْتَرَضُ على هذا الأصلِ بِالْأَجْنَةِ أَنَّهُمْ مُعْتَبَرُونَ فِي الْبُطُونِ، فلم يكونوا كالجنس الظاهر للعيون كالماء والطين والعلَقِ، وإنما جُمِعَ الْجَنِينُ عَلَى أَجْنَةٍ، وَحَسُنَ ذَلِكَ فِيهِ، لِأَنَّهُ تَبَعَ لِلْبَطْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَيَقْوَى هَذَا الْغُرْضُ الَّذِي صَمَدْنَا إِلَيْهِ فِي الطِّفْلِ قَوْلُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مَجَاعَةَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَقَدْ سَأَلَهُ: هَلْ بَقِيَ مِنْ كُهُولِ بَنِي مَجَاعَةَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَشَكِيرٌ كَثِيرٌ، فَانْظُرْ كَيْفَ قَالَ: الْكُهُولُ وَجَمَعَ، وَقَالَ فِي الصَّغَارِ: شَكِيرٌ كَمَا تَقُولُ: حَشِيشٌ، وَنَبَاتٌ، فَتَفْرَدُ، لِأَنَّهُ جِنْسٌ وَاحِدٌ، وَالطِّفْلُ فِي مَعْنَى الشَّكِيرِ مَا دَامُوا رُضْعًا، حَتَّى يَتَمَيَّزُوا بِالْأَسْمَاءِ وَالصُّوَرِ عِنْدَ النَّاسِ، فَهَذَا حَكْمُ الْبَلَاغَةِ، وَمَسَاقُ الْفَصَاحَةِ فَافْهَمْهُ.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ دعا خِرَاشَ بن أُمَيَّةَ الخُزَاعِي، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، وَحَمَلَهُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ التَّلْعَبُ، لِيَبْلُغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لَهُ، فَعَقَرُوا بِهِ جَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَمَنَعَتْهُ الْأَحَابِيشُ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، حَتَّى أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس: أن قُرَيْشًا كَانُوا يَبْعَثُونَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَوْ خَمْسِينَ رَجُلًا، وَأَمْرُهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِعَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيَصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا، فَأَخْذُوا أَحَدًا، فَأَتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَفَعَفَا عَنْهُمْ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ، وَقَدْ كَانُوا رَمَوْا فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ.

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة، فبيلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها، وغلظتي عليها، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان. فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت، ومعظمًا لحُرْمَتِهِ.

قال ابن إسحاق: فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمّله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ؛ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ وما أرسله به؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف؛ فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتِلَ.

وأما قول غزوة: جمعت أو شاب الناس، يريد: أخلاطًا، وكذلك الأوباش.

وقوله في حديث المغيرة: «أما المالُ فلست منه في شيء»^(١). فيه من الفقه أن أموال المشركين حرام إذا أمّنوك وأمّنتهم، وإنما يحل بالمحاربة والمغالبة لا عند طمأنينتهم إليك وأمّنيتهم منك، فإن ذلك هو العذر، وفي هذا المعنى آثار قد مضى بعضها، وسيأتي بعضها في غزوة خيبر وغيرها.

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤/٣) وأحمد (٣٢٩/٤) والبيهقي في الكبرى (١١٣/٩) وفي الدلائل (١٠٤/٤) وعبد الرزاق (٩٦٧٨/٩٧٢٠).

بيعة الرضوان:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ، قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل: لا نَبْرَحَ حتى تُناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يُبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفر.

فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجَدُّ بن قيس، أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقتة. قد ضَبَأَ إليها، يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذُكر من أمر عثمان باطل.

قال ابن هشام: فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي: أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي.

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به عن حدثه بإسناد له، عن ابن أبي مليكة عن ابن أبي عمر: أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى.

أمر الهدنة:

قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قُرَيْش سهيل بن عمرو، أخا بني عامر بن لؤي، إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: أثبت محمدًا فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن

وفيه: أنهم كانوا يَتَدَلَّكُونَ بِخَاطَمَةِ النَّبِيِّ - ﷺ - إِذَا تَنَحَّم. وفي ذلك دليل على طهارة الْخَاطَمَةِ خِلَافًا لِلنَّخَعِيِّ، وما يُزَوَّى في ذلك عن سلمان الفارسي. وحديث: «إِذَا تَنَحَّم أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ»^(١) أُتِيَتْ فِي الْحُجَّةِ، لأن حديث السيرة يَحْتَمِلُ الْخُصُوصَ بِالنَّبِيِّ ﷺ.

حول المصالحة:

فصل: وذكر مُصَالَحَةَ النَّبِيِّ - ﷺ - لَقُرَيْشٍ وَشَرِيطِهِمْ أَنَّ لَا يَأْتِيَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِمَّنْ هُوَ عَلَى دِينِهِ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وفي هذا الحديث مصالحة المشركين على غير مال يؤخذ منهم، وذلك جائز إذا كان بالمسلمين ضَعْفٌ، وقد تقدّم مصالحتهم على مالٍ يغطونه في غزوة

(١) انظر مسلم في المساجد (٥٣) وأحمد (٢/٢٥٠) (٣/٩٣/٥٨) وابن خزيمة (١٣١١).

يرجع عنا عامة هذا، فوالله لا تحدث العربُ عنا أنه دَخَلَهَا علينا عَثْوَةً أبدًا. فأتاه سهيل بن عمرو؛ فلما رآه رسولُ الله ﷺ مقبلًا، قال: قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح.

فلما التأم الأمر ولم يَبْقَ إلَّا الكتابُ، وثبَ عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أو لسنّا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعَلَامُ نُعْطِي الدِّيَّةَ في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غَزْزه، فإني أشهد أنه رسول الله؛ قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله؛ ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألسنت برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أولسنّا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»، قال: فعَلَامُ نُعْطِي الدِّيَّةَ في ديننا؟ قال: «أنا عبدُ الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يُضَيِّعني!» قال: فكان عُمر يقول: ما زلت أنصدق وأصوم وأصلي وأعتق، من الذي صنعتُ يومئذ! مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوتُ أن يكون خيرًا.

الْخَنْدَقِ، واختَلَفَ: هل يجوزُ صلُحُهم إلى أكثر من عشر سنين؟ فقال بعضهم: يجوز ذلك إذا رآه لإمام، وقالت طائفة: لا يُتَجَاوَزُ في صلحهم إلى أكثر من عشر سنين، وحتَجَّتْهم أنَّ حَظَرَ الصُّلْحِ هو الأصلُ بدليل آية القتال، وقد ورد التحديدُ بالعشر في حديث ابن إسحق فحصلت الإباحةُ في هذا المقدارِ مُتَحَقِّقَةً، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الحظر، وفيه الصلحُ على أن يُرَدَّ المسلمُ إلى دارِ الكُفْرِ، وهذا منسوخ عند أبي حنيفة بحديث سريّة خالدٍ حين وجهه النبي - ﷺ - إلى خَنْعَمَ، وفيهم ناسٌ مُسلمون فاعتَصَمُوا بالسُّجُود فقتلهم خالدٌ، فَوَدَّاهُم النبي - ﷺ - نِصْفَ الدِّيَّةِ، وقال: «أنا بريء من مُسلمٍ بينَ مُشْرِكين»^(١)، وقال فقهاء الحجاز: هو جائز، ولكن للخليفة الأكبر لا لِمَن دونه، وفيه: نَسَخُ السُّنَّةِ بالقرآن على أحدِ القولين، فإن هذا العهد، كان يقتضي أن لا يأتيه مُسلمٌ إلَّا رَدَّه، فنسخ الله تعالى ذلك في النِّسَاءِ خاصَّةً، فقال عز وجل: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ [فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ]﴾ [الممتحنة: ١٠] هذا على رواية عَقل بن خالد عن الزُّهْرِيِّ، فإنه قال في الحديث: أنَّ لا يأتيه أحدٌ، وأخذَ يتضمَّن الرجال والنساء، والأحسن أن يقال في مثل هذا تَخْصِيصُ عُموم لا نَسَخٌ، على أن بعض خُذَّاقِ الأصوليين قد قال في العموم: إذا عُملَ بمقتضاه في عُضَر

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥ - بتحقيقي) والنسائي والترمذي (١٦٠٤) والبيهقي (١٣١/٨) وانظر تلخيص الحبير (١١٩/٤ - بتحقيقي).

عليّ يكتب شروط الصلح:

قال: ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، فكتبها، ثم قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ بن عمرو»، قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس

النبي - ﷺ - واعتقد فيه العموم، ثم ورد التخصيص فهو نسخ، وهو قول حسن، وفي رواية أخرى أن لا يأتيه لاجل. فهذا اللفظ لا يتناول النساء. وقالت طائفة: إنما استجّاز النبي - ﷺ - ردّ المسلمين إليهم في هذا الصلح لقوله عليه السلام: «لا تدعوني قرنيش إلى خطبة يعظمون فيها الحزم إلا أجبتهم إليها»، وفي ردّ المسلم إلى مكة عمارة البيت، وزيادة خير له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت، فكان هذا من تعظيم حرّمات الله تعالى، فعلى هذا القول يكون حكمًا مخصوصًا بمكة، وبالنبي ﷺ، ويكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون.

حكم المهاجرات:

فصل: وذكر قول الله سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١]. هذا عند أهل العلم مخصوص بنساء أهل العهد والصلح، وكان الامتحان أن يستخلف المرأة المهاجرة أنها ما خرجت ناشراً ولا هاجرت إلا الله ولرسوله، فإذا حلفت لم تردّ صداقها إلى بغليها، وإن كانت من غير أهل العهد لم تستخلف، ولم يردّ صداقها^(١).

وفيه: أن النبي ﷺ محا اسمه، وهو رسول الله، وكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، لأنه قول حقّ كلّ، وظن بعض الناس أنه كتب بيده، وفي البخاري أنه كتب، وهو لا يحسن الكتابة، فتوهم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة في تلك الساعة خاصة، وقال: هي آية، فيقال له: كانت تكون آية لولا أنها مناقضة لآية أخرى، وهو كونه أمياً لا يكتب، وبكونه أمياً في أمة أمية قامت الحجّة، وأفجم الجاحد، وانحسّمت الشبهة، فكيف يطلق الله يده، لتكون آية؟ وإنما الآية أن لا يكتب والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً، وإنما معنى: كتب أي: أمر أن يكتب.

(١) انظر تفسير الآية لابن كثير والقرطبي.

عشر سنين يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ، وَيَكْفُ بِعَظْمِهِمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ بَيْنَنَا عَيْنِيَّةٌ مَكْفُوفَةٌ، وَأَنَّهُ لَا إِسْلَاقَ وَلَا إِغْلَاقَ، وَأَنَّهُ مِنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمِنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ».

وكان الكاتبُ في ذلك اليومَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ كَتَبَ لَهُ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَزْمِ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَخُوهُ أَبَانُ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، وَأَبِي بْنُ كَعْبٍ الْقَارِي، وَقَدْ كَتَبَ لَهُ أَيْضًا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَتَبَ لَهُ كَثِيرًا معاويةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بعدَ عامِ الفَتْحِ، وَكَتَبَ لَهُ أَيْضًا الزَّيْبُرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَمُعَيْقِبُ بْنُ أَبِي قَاطِمَةَ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِي، وَجُهَيْنُمُ بْنُ الصَّلْتِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْجٍ، وَحَنْظَلَةُ الْأَسِيدِيُّ، وَهُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ بعدَ موْتِهِ:

إِنْ سَوَادَ الْعَيْنِ أَوْدَى بِهِ حُزْنٌ عَلَى حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ
وَالْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ، ذَكَرَهُمْ عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ فِي كِتَابِ الْكُتَّابِ لَهُ.

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ:

وَأَمَّا قَوْلُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو لَهُ: وَلَكِنْ أَكْتُبُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَإِنَّهَا كَلِمَةٌ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَقُولُهَا وَلِقَوْلِهِمْ لَهَا سَبَبٌ قَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي كِتَابِ التَّعْرِيفِ وَالْإِعْلَامِ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهَا أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ، وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهَا وَتَعَلَّمَهَا هُوَ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْجَنْ فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ ذَكَرَهُ الْمَسْعُودِيُّ وَهُوَ الْخَبَرُ الَّذِي لَخَصْنَاهُ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ.

عِيبة مكفوفة:

فصل: وذكر في الكتاب: وَإِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ عَيْنِيَّةٌ مَكْفُوفَةٌ أَي: صُدُورٌ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى مَا فِيهَا لَا تُبْدِي عِدَاوَةً، وَضَرَبَ الْعَيْنِيَّةَ مَثَلًا، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَكَادَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِنَّا وَمِنْهُمْ وَإِنْ قِيلَ أَبْنَاءُ الْعُمُومَةِ تَضَفَّرُوا

وقال عليه السلام: «الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْنِي»^(١) فَضَرَبَ الْعَيْنِيَّةَ مَثَلًا لِمَوْضِعِ السَّرِّ، وَمَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ وَدْهِمْ. وَالْكَرْشُ وَغَاءٌ يُصْنَعُ مِنْ كَرَشِ الْبَعِيرِ، يَجْعَلُ فِيهِ مَا يُطْبَخُ مِنَ اللَّحْمِ، يَقَالُ: مَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣/٥) وَأَحْمَدُ (١٥٦/٣) وَالْحَمِيدِيُّ (١٢٠١) وَانْظُرْ فَتْحَ الْبَارِي (١٢١/٧).

خزاعة في عهد محمد، وبنو بكر في عهد قريش:

فتوالت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتوالت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل، خرّجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، لا ندخلها بغيرها.

جندل بن سهيل

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يزُسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون: فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتليبيه؛ ثم قال: يا محمد؛ قد لُجّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا؛ قال:

وَجَدْتُ لِهَذِهِ الْبَضْعَةِ فَكَرِشَ، أَي: إِنَّ الْكَرْشَ قَدْ امْتَلَأَ، فَلَمْ يَسْغَهَا فَمُه. وَيُضْرَبُ أَيْضًا هَذَا مَثَلًا، كَمَا قَالَ الْحِجَاجُ: مَا وَجَدْتُ إِلَى دَمِ فُلَانٍ فَكَرِشَ.

وقوله: ولا إغلال، هي الخيانة، يقال: فُلَانٌ مَغْلٍ الْأَضْبَعِ، أَي: خَائِنُ الْيَدِ. قال الشاعر:

حَدَّثْتُ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ، وَلَمْ تَكُنْ بِالْعَذْرِ خَائِنَةً مِثْلَ الْأَضْبَعِ
وَالْإِسْلَافُ: السَّرْقَةُ، وَالْخُلْسَةُ وَنَحْوُهَا، وَهِيَ السَّلَةُ. قَالُوا فِي الْمَثَلِ: الْخَلَّةُ تَدْعُو إِلَى السَّيِّئَةِ.

أبو جندل وصاحبه في الخمر

فصل: وذكر خُزُوج أَبِي جَنْدَلٍ يَزُسف في الحديد. أبو جندل، هو العاصي بن سهيل، وأما أخوه عبد الله بن سهيل، فكان قد فرّ يوم بدر إلى المسلمين، فلاحق بهم، وشهد بدراً، والمشاهد كلها، وقتل يوم اليمامة شهيداً، وأما أبو جندل، فاستشهد مع أبيه بالشام في خلافة عُمر، وهو الذي شرب الخمر متأولاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [إذا ما اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] ﴿٩٣﴾ فجلده أبو عُبَيْدَةَ بأمر عُمر وجلد صاحبه، وهو ضرار، ثم إن أبا جندل أشفق من الذنب حتى قال: لقد هلكْتُ، فبلغ ذلك عمر رضي

«صدقَت»، فجعل ينتره بتليبيه، ويجرّه ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرَدَ إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فزاد ذلك النَّاسَ إلى ما بهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أبا جندل؛ اصبر واحتسب فإن الله جاعِلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرَجًا ومُخْرَجًا، إنَّا قد عَقَدْنَا بيننا وبين القوم صلْحًا، وأعطيناكم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنَّا لا نَعْدِرُ بهم»؛ قال: فوثب عمر بن الخطَّاب مع أبي جندل يَمْشِي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون وإنما دَمَ أحدهم دم كلب. قال: ويؤذني قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوتُ أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال: فضنَّ الرجلُ بأبيه، ونفذت القضية.

الذين شهدوا على الصلح:

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطَّاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن حفص، وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة.

الله عنه، فكتب إليه: إن الذي زَيْنَ لك الخطيئة هو الذي حَطَرَ عليك التوبة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ١ وما بعدها] الآية. وكان شربها معه ضَرَارُ بن الخطَّاب، وأبو الأَزْوَري، فلما أمر عمرُ أن يُجْلَدُوا، قالوا: دعنا نَلْقَى الْعَدُوَّ، فَإِنْ قُتِلْنَا فذاك، وَإِلَّا حَدِّثْتُمُونَا، فَقُتِلَ أَبُو الْأَزْوَري، وَخُذَّ الْآخَرَانِ.

فصل: وذكر قول عُمرَ - رضي الله عنه - فَعَلَامَ نُعْطَى الدِّيْنَةَ في ديننا، هي فَعِيلَةٌ مِنَ الدَّنَاءَةِ، وَأَصْلُهَا الْهَمْزُ، وفي غير رواية ابن إسحاق أن النبي ﷺ قال لعمر: «إني عبدُ الله ولستُ أَغْصِيهِ، وهو ناصري»، وأنه أتى أبا بكر - رضي الله عنه - فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فجأوبه أبو بكر بمثل ما جأوبه به النبي ﷺ حَزَقًا بِحَرْفٍ، ثم قال له: يا عُمرُ الزَّمْ غَرْزَهُ، فإني أشهد أنه رسولُ الله، قال عُمرُ: وما شَكَكْتُ منذ أَسْلَمْتُ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ، وفي هذا أن المؤمن قد يَشْكُ، ثم يُجَدِّدُ النظر في دلائلِ الْحَقِّ فيذهب شُكُّه، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: هو شيء لا يَسْلَمُ منه أَحَدٌ، ثم ذكر ابنُ عباس قولَ إبراهيم - ﷺ -: «وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» [البقرة: ٢٦٠] ولولا الخروجُ عما صَمَدْنَا^(١) إليه في هذا الكتاب لذكرنا ما للعلماء في قول

(١) صمدنا: أي قصدنا.

الإحلال

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الجِلِّ، وكان يُصلي في الحرم، فلما فرغ من الصُّلح قدم إلى هديه فنحره، ثم جلس فخلق رأسه، وكان الذي خلقه، فيما بلغني، في ذلك اليوم خِراش بن أُمَيَّة بن الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وخلق توابوا يَنَحِّرون وَيَخْلِقون.

المخلقون والمقصرّون

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي نجيع، عن مُجاهد عن ابن عبّاس، قال:

إبراهيم ﷺ: «ولكن لِيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي»، وذكرنا الثُّكَّةَ العُظْمَى في ذلك، ولعلنا أن نلقى لها موضعاً، فنذكرها. والشُّكُّ الذي ذكره عُمَرُ وابنُ عباس ما لا يُصِرُّ عليه صاحبه، وإنما هو من باب الوُسْوسَةِ التي قال فيها عليه السلام مُخْبِراً عن إبليس: «الحمدُ لله الذي ردَّ كيده إلى الوُسْوسَةِ»^(١).

موقف أم سلمة في الحديدية

وفي غير رواية ابن إسحاق من الصحيح أنه عليه السلام دخل على أم سلمة، وشكا إليها ما لقي من الناس حين أمرهم أن يَخْلِقُوا وَيَنَحِّروا، فلم يَفْعَلُوا لما بهم من الغَيْظِ، فقالت: يا رسول الله اخْرُجْ إليهم، فلا تكلّمهم، حتى تَخْلُقَ وَتَنَحِّرَ، فإنهم إذا رأوك قد فعلت ذلك، لم يُخَالِفُوكَ. ففعل ﷺ، وفعل الناس، وكان الذي خلق رأس رسول الله - ﷺ - في ذلك اليوم خِراش بن أُمَيَّة [بن ربيعة بن الفضل بن منقذ بن عفيف بن كليب بن حُبشية ابن سُلُول] الخزاعي [ثم الكلبي] وهو الذي كان بعثه رسول الله ﷺ يومئذ إلى مكّة ففعلوا بجمّله، وأرادوا قتله، فحينئذ بعث إليهم عثمان بن عفّان رضي الله عنه، ففي تَرْكِهِمْ لِلْبِدَارِ دليلٌ على أن الأمر ليس على الفور، كما ذهب إليه بعض الأصوليين، وفيه أنهم حَمَلُوا الأمر على غير الوجوب لقريّة، وهي أنهم رأوه لم يَخْلُقْ ولم يَنَحِّرْ، ولم يَقْصُرْ، فلما رأوه قد فعل اعتقدوا وجوب الأمر وامْتَثَلُوهُ. وفيه أيضاً إباحة مُشَاوَرَةِ النِّسَاءِ، وذلك أن النهي عن مُشَاوَرَتِهِنَّ إنما هو عندهم في أمر الولاية خاصّة، كذلك قال أبو جعفر النحاس في شرح هذا الحديث.

المقصرّون

فصل: وذكر ابنُ إسحاق استغفارَ النبي - ﷺ - لِلْمُخْلِقِينَ ثلاثاً وَلِلْمُقْصِرِينَ مرّةً واحدةً.

(١) أخرجه أبو داود (٥١١٢) وأحمد (٢٣٥/١) والطحاوي في المشكل (٢/٢٥٢).

خلق رجالاً يوم الحُدَيْبِيَّةِ، وَقَصَّرَ آخَرُونَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «يَرْحَمُ اللهَ الْمُحَلِّقِينَ»، قالوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يا رسولَ الله؟ قال: «يَرْحَمُ اللهَ الْمُحَلِّقِينَ»، قالوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يا رسولَ الله؟ قال: «وَالْمُقَصِّرِينَ»، فقالوا: يا رسولَ الله: فلمَ ظاهرتَ التَّرحِيمَ لِلْمُحَلِّقِينَ دُونَ الْمُقَصِّرِينَ؟ قال: «لَمْ يَشْكُوا».

وقال عبد الله بن أبي نَجِيحٍ: حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَهْدَى عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي هَدْيَاهُ جَمَلًا لِأَبِي جَهْلٍ، فِي رَأْسِهِ بُرَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ، يَغِيطُ بِذَلِكَ الْمَشْرُكِينَ.

نزول سورة الفتح:

قال الزهري في حديثه: ثم انصرف رسولُ الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

ذكر البيعة:

ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه، حتى انتهى إلى ذكر البيعة، فقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوِّتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

ذكر من تخلف:

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب، ثم قال: حين استفرَّجهم للخروج معه فأبطؤوا عليه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾. ثم القصة عن خبرهم، حتى انتهى إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾. . ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولي البأس الشديد.

قال ابن إسحق: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَارَسَ. قال ابن إسحق: وَحَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتُهُمْ، عَنْ الزَّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أُولُو الْبَأْسِ الشَّدِيدِ: حَنِيفَةُ مَعَ الْكَذَّابِ.

ولم يكن الْمُقَصِّرُ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا رَجُلَيْنِ، أَحَدُهُمَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَالْآخَرُ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، كَذَلِكَ جَاءَ فِي مُسْنَدِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاصًا مُسْتَقِيمًا وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

ذكر كَفَّ الرسول عن القتال:

ثم ذكر محبسه وكفّه إياه عن القتال، بعد الظفر منه بهم، يعني الثَّفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَنْبَلِّغَ مَجَلَّةٌ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: المعكوف: المحبوس، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:
وكانَ السَّمُوطُ عَكَّفَهُ السِّلْـكُ لك بعطفي جَنِداء أُمَ عَزَّال
وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَتُضَيِّقُكُمْ مِنْهُم مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، والمعرة: الغرم، أي أن تصيبوا منهم (معرة) بغير علم فتخرجوا ديتهم، فإما إثم فلم يخشه عليهم.

قال ابن هشام: بلغني عن مجاهد أنه قال: نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المغيرة، وسَلَمَةُ بن هشام، وعِيَّاش بن أبي ربيعة، وأبي جَنْدَل بن سُهيل. وأشباههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال تبارك وتعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ يعني سهيل بن عمرو حين حَمِي أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأن محمداً رسول الله، ثم قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾: أي التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ مُحْلِقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾: أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى، أنه سيدخل مكة آمنًا لا يخاف؛ يقول: محلّقين رؤوسكم، ومقصرين معه لا تخافون، فعلم من ذلك ما لم تعلموا، فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا، صلح الحديبية.

يقول الزهري: فما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس؛ فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضًا، والتقوا، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة، في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف.

ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

مجيء أبي بصير إلى المدينة وطلب قريش له:

قال ابن إسحاق: فلما قديم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير غُثبة بن أسيد بن جارية، وكان ممن حُبس بمكة، فلما قديم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله ﷺ وبعثا رجلاً من بني لؤي، ومعه مولى لهم، فَقَدِمَا رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس؛ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفِينَ قَرَجًا ومخرجًا، فأنطلق إلى قومك»، قال: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال: «يا أبا بصير، انطلق، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفِينَ قَرَجًا ومخرجًا».

قتل أبي بصير للعامري، ومقالة الرسول في ذلك

فانطلقَ معهم، حتى إذا كان بذِي الحُلَيْفَةِ، جلس إلى جدار، وجلس معه صاحبا، فقال أبو بصير: أصارمُ سيفُك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم؛ قال: انظر إليه؟ قال: انظر، إن شئت. قال: فاستلَّهُ أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسولُ الله ﷺ طالعا، قال: «إن هذا للرجل قد رأى فزعاً»، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال: «ويحك! ما لك؟» قال: قُتِلَ صاحبُكم صاحبي. فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير مُتَوَشِّحاً بالسَّيْفِ، حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، وَفَتَ ذِمَّتُك، وأذى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعتُ بدينِي أن أقتن به، أو يُعَبِّثَ بي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «ويل أمه مَحَشُ حرب لو كان معه رجال!».

أبو بصير وزملاؤه في العيص

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص، من ناحية ذي المَرْوَةِ، على ساحل البحر، بطريق قُرَيْشٍ التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المُسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: «وَيْلُ أمه مَحَشُ حرب لو كان معه رجال!»، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً، وكانوا قد ضيقوا على قُرَيْشٍ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمرُّ بهم عيرٌ إلا اقتطعوها، حتى كتبت قُرَيْشٍ إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلا آواهم، فلا حاجة لهم بهم. فأواهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه المدينة.

أبو بصير

وذكر حديثُ أبي بصيرٍ واختلف في اسمه، فقليل: عُبَيْدُ بن أسيد بن جارية، وقيل: عُبَيْة.

وذكر قول النبي ﷺ له حين قُتِلَ أحدَ الرجلين: وَيْلُ أمه مَحَشُ حرب. وفي الصحيح: «وَيْلُ أمه مِنْعَرُ حَرْبٍ»^(١)، يقال: حَشَشْتُ النارَ، وأزَّيْتُها، وأذَكَيْتُها، وأثَقَبْتُها وَسَعَرْتُها بمعنى واحد، وَسَمِّيَ الْأَسْعَرُ الْجُعْفِيُّ أَسْعَرَ بَقُولِهِ:

فلا يَدْعُنِي قَوْمِي لِسَعْدِ بن مالِكٍ لَيْسَ لَمْ أَسْعِزْ عَلَيْهِمْ وَأَثَقَبِ

(١) أخرجه البخاري (٢٥٧/٣) وأبو داود وأحمد (٣٣١/٤) والبيهقي في الكبرى (٢٢١/٩) وفي الدلائل (١٠٧/٤) وعبد الرزاق (٩٧٢٠) والطبري في تاريخه (١٢٥/٢).

قال ابن هشام: فلما بلغ سَهْل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري، أسند

وكان اسمه مَرْثَدَ بن حُمْرَانَ، ومالك في هذا البيت: هو مَذْحِجٌ، وأما لُحُوق أبي بَصِيرٍ بِسَيْفِ الْبَحْرِ، ففي رواية مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ، أنه كان يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ هُنَالِكَ، حتى لحق بهم أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سَهْلٍ فَقَدَّمُوهُ، لِأَنَّهُ قُرْشِيٌّ، فلم يزل أصحابه يكثرُونَ، حتى بلغوا ثَلَاثِمِائَةً، وكان أبو بصير كثيرًا ما يقول هنالك: اللَّهُ الْعَلِيُّ الْأَكْبَرُ، مَنْ يَنْصُرُ اللَّهَ فَسَوْفَ يُنْصَرُ، فلما جاءهم الْفَرُجُ من اللَّهِ تعالى، وكَلَّمَت قُرَيْشُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُؤَرِّبَهُمْ إِلَيْهِ لَمَّا ضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ، ورد كتاب النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو بَصِيرٍ فِي الْمَوْتِ، يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَأُعْطِيَ الْكِتَابَ فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيُسْرُّ بِهِ، حَتَّى قُبِضَ وَالْكِتَابُ عَلَى صَدْرِهِ، فَبُنِيَ عَلَيْهِ هُنَاكَ مَسْجِدٌ يَرْحَمُهُ اللَّهُ^(١).

(١) قوله: «فَبُنِيَ عَلَيْهِ هُنَاكَ مَسْجِدٌ». الفاء هذا ليست للتعقيب، أي بمجرد موته أقاموا على قبره مسجدًا، إذ ليس هذا من هدي الإسلام، بل قد ورد النهي الصحيح الصريح في أربعة عشر حديثًا عن الصلاة في المساجد المقامة على القبور فيقول ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - رواية الحديث - «فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خُشي أن يتخذ مسجد» رواه البخاري (١٥٦/٣) ومسلم (٦٧/٢). ويقول ﷺ: «ألا وإنه من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك» رواه ابن أبي شيبة (٨٣/٢). ويقول ﷺ: «وقد ذكرت أم سلمة وأم حبيبة ما رأنا بأرض الحبيشة من كنيسة بها تسمى - مارية - وفيها ما فيها من التصاوير». قال ﷺ معلقًا على هذا الكلام: «أولئك - أي النصارى - إذا كان فيهم الرجل الصالح ينوا على قبره مسجدًا، ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». رواه البخاري (٤١٦/١) ومسلم (٦٦/٢) وغيرها. إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها النهي صريحًا عن بناء المساجد على القبور، أو إدخال القبور في المساجد، وينظر العلماء إلى المساجد التي فيها قبور، فإذا كان القبر بُنِيَ أَوَّلًا ثُمَّ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْمَسْجِدُ هُدْمَ الْمَسْجِدِ، والعكس. وقد يقول قائل: كيف لا نصلي في المساجد التي بها قبور وينهى النبي ﷺ عن ذلك وهو مدفون في مسجده ونحن نصلي في هذا المسجد بل ونقرب إلى الله تعالى بالصلاة فيه؟! فيقال له: علينا أولاً أن نعلم كيف دُفِنَ النَّبِيُّ ﷺ عند موته وهل أمر بدفنه قبل في مسجده أم لا؟! أعلم أخي في الله: أن النَّبِيَّ ﷺ بعد موته اختلف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في موضع دفنه فقاتل بنفسه في البقيع وآخر يقول: بل يُدْفَنُ بِمَكَّةَ، حتى قال الصديق رضي الله عنه: «إني سمعت حديثًا من النَّبِيِّ ﷺ أنه إذا قُبِضَ نَبِيٌّ دُفِنَ مَكَانَهُ». فقام الصحابة بدفنه حيث قُبِضَ - ﷺ - بحجرة أم المؤمنين عائشة. وبقي الأمر كما هو حتى دخلت الحجرة وَضُمَّتْ إِلَى الْمَسْجِدِ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ، وذلك لأمر سياسته، ولم يكن قد بقي من الصحابة أحد بالمدينة. وهكذا دخل القبر في المسجد. هذا ويقول النَّبِيُّ ﷺ: «أنه لا تشد الرحال إلَّا إلى مساجد ثلاثة الحرام والأقصى ومسجده ﷺ، وأن الصلاة في مسجده تعدل ألف صلاة في غيره»، هذا والصلاة في المساجد المقامة على القبور محترمة في المذاهب الأربعة وعند أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا. وانظر مزيد بيان وإيضاح: الصارم المنكي (١٣٦) تاريخ الطبري (٢٢٢/٥) وكتاب تحذير الساجد للعلامة الألباني حفظه الله =

ظهره إلى الكعبة، ثم قال: والله لا أُوخِرَ ظَهري عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل، فقال أبو سُفْيَان بن حرب: والله إن هذا لهو السُّفَه، والله لا يُودَى ثلاثًا، فقال في ذلك مَوْهَب بن رِيَّاح أبو أَنيس، حليف بني زُهرة:

عمرة:

وفي الحديث من غير السيرة أن المسلمين حين حَلَقُوا في ذلك اليوم، وهم بالجلِّ قد مَنَعُوا أن يَدْخُلُوا الحَرَمَ جاءت الرِيحُ، فاحتملت شُعُورَهُمْ حتى أَلْقَتْهَا في الحَرَمَ، فاستَبَشَرُوا بقبول الله عُمرَتَهُمْ. ذكره أبو عُمَر.

والعُمرة مُشْتَقَّةٌ من عِمَارَةِ المسجد الحرام وَبُنِيَتْ على فُعْلة، لأنها في معنى قُزْبَةٍ، وَوُضِلَتْ إلى الله تعالى، وليس قول من قال: إنها الزيارة في اللُّغَةِ بَيِّنٌ، ولا في قول الأعشى حُجَّةٌ لهم لأنه مُحْتَمَلُ التَّأْوِيل وهو قوله:

وَجَاشَتْ النَفْسُ لَمَّا جَاءَ قُلُوبُهُمْ وراكِبٌ جاء من تَثْلِيثٍ مُغْتَمِرُ

قتل أبي بصير للكافر

فصل: ومما يُسأل عنه في حديث أبي بَصِيرٍ قتلُه الرجلَ الكافرَ، وهو في العهد: أكان ذلك حَرَامًا أم مُبَاحًا له، وظاهرُ الحديثِ رفعُ الحَرَجِ عنه، لأن النبيَّ - ﷺ - لم يَثْرِبْ، بل مَدَحَهُ، وقال: «وَنِلُّ أُمِّهِ مِحْشُ حَرْبٍ». فإن قيل: وكيف يكون ذلك جائزًا له، وقد حَقَّنَ الصُّلْحَ الدِّمَاءَ؟ قلنا: إنما ذلك في حق أبي بَصِيرٍ على الخُصوص، لأنه دافع عن نفسه ودينه، ومن قُتِلَ دون دَمِهِ فهو شَهِيدٌ، وإنما لم يُطالبهُ رسولُ الله ﷺ - بِدِيَّةٍ. ولأن أولياءَ المقتول لم يطالبوه، إمَّا لأنَّهُمْ كانوا قد أسْلَمُوا، وإمَّا لأن الله شَغَلَهُمْ عن ذلك، حتى انْتَكَمَ العهدُ، وجاء الفتح.

فإن قيل: فإن النبيَّ ﷺ كان يَدِي مَنْ قُتِلَ خَطَأً من أهل الصُّلْحِ كما وَدَى العامريين وغيرهما قلنا: عن هذا جوابان، أحدهما: أن أبا بَصِيرٍ كان قد رَدَّه إلى المشركين، فصار في حُكْمِهِمْ، ولم يكن في فِتْنَةِ المُسْلِمِينَ وَجْزِيهِمْ، فيحكم عليه بما يحكم عليهم.

والجواب الثاني: أنه إن كان قَتَلَ عَمْدًا، ولم يكن قَتَلَ خطأً، كما كان قَتَلَ العامريين، وقد قال عُمَرُ بن الخطَّاب: لا تَغْقِلُ العاقِلَةَ^(١) عَمْدًا ولا عَبْدًا [ولا صُلْحًا ولا اعتراقًا].

= ونفع به. فقد جمع فأوعى.

(١) العاقلة: الأقارب من جهة الأب.

قال ابن هشام: أبو أنيس أشعري.

شعر موهب في وذي أبي بصير:

أَتَانِي عَنْ سَهْمِيلَ دَزْءُ قَوْلٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْعِتَابَ تُرِيدُ مِنِّي
أَتُوْعِدُنِي وَعَبْدَ مَنْافَ حَوْلِي
فَإِنْ تَغْمِزُ قَنَاتِي لَا تَجْذُنِي
أُسَامِي الْأَكْرَمِينَ أَبَا بَقْوَمِي
هُمْ مَنَعُوا الظَّوَاهِرَ غَيْرَ شَكٍّ
بِكُلِّ طِمْرَةٍ وَبِكُلِّ نَهْدٍ
لَهُمْ بِالْخَيْفِ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدَ

فَأَيَقُظْنِي وَمَا بِي مِنْ رُقَادٍ
فَعَاتِبُنِي فَمَا بَكَ مِنْ بَعَادِي
بِمَخْزُومِ الْهَفَا مَنْ تُعَادِي
ضَعِيفَ الْعُودِ فِي الْكُرْبِ الشَّدَادِ
إِذَا وَطِئَ الضَّعِيفُ بِهِمْ أُرَادِي
إِلَى حَيْثُ الْبَوَاطِنُ فَالْعَوَادِي
سَوَاهِمَ قَدْ طَوَيْنَ مِنَ الطَّرَادِ
رِوَاقَ الْمَجْدِ رُفِعَ بِالْعِمَادِ

ابن الزبيري يرد على موهب:

فأجابه عبد الله بن الزبيري، فقال:

وَأَمْسَى مَوْهَبٌ كَحِمَارِ سَبْوٍ أَجَازَ بَبْلَدَةٍ فِيهَا يُنَادِي

من مواقف عمر في الحديبية:

فصل: وقول عمر للنبي - ﷺ: أَلَمْ تَعِدْنَا أَنَّا تَأْتِي الْبَيْتَ، ونطوفُ به؟ فقال: «نعم»، وذكر الحديث. كان النبي - ﷺ - قد أَرَى ذلك في منامه، ورؤيا الأنبياء وخي، ثم أنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية، وَيُسْأَلُ عن قوله: إن شاء الله آمين: ما فائدة هذا الاستثناء، وهو خبر واجب؟ وفي الجواب أقوال: أحدها: أنه راجع إلى قوله: آمين، لا إلى نفس الدخول، وهذا ضعيف، لأن الوعد بالأمان قد اندرج في الوعد بالدخول.

الثاني: أنه وعد على الجملة، والاستثناء راجع إلى التفصيل، إذ لا يذري كل إنسان منهم: هل يعيش إلى ذلك، أم لا، فرجع الشك إلى هذا المعنى، لا إلى الأمر الموعود به، وقد قيل: إنما هو تعليم للعباد أن يقولوا هذه الكلمة، ويستعملونها في كل فعل مُسْتَقْبَلٍ أعني: إن شاء الله^(١).

(١) وكفوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

فإن العبد مثلك لا يُناوي سُهَيْلاً ضَلَّ سَعِيكَ من تُعادي
فأقصر يا ابنَ قَيْنِ السُّوءِ عنه وعَدَ عن المقالة في البلاد
ولا تذكُر عِتَابَ أَبِي يَزِيدَ فهيهات البُحور من الثُّمَادِ

أمر المهاجرات بعد الهدنة:

الرسول ﷺ يَأْبَى رَدَّ أُمِّ كَلْثُومَ:

(قال ابن إسحق): وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أُمُّ كَلْثُومَ بنت عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ في تلك المدة، فخرج أَخَوَاهَا عُمَارَةُ والوليد ابنا عُقْبَةَ، حتى قَدِمَا على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردَّها عليهما بالعَهْدِ الذي بينه وبين قُرَيْشٍ في الحُدَيْبِيَّةِ، فلم يفعل، أبى الله ذلك.

حول آية المهاجرات المؤمنات:

قال ابن إسحق: فحدَّثني الزُّهْرِيُّ، عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ، قال: دخلتُ عليه وهو يَكْتُبُ كِتَابًا إلى ابنِ أَبِي هُتَيْدَةَ، صاحبِ الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.

بيعة الشجرة وأول من بايع:

فصل: وذكر بَيْعَةُ الشجرة، وسببها، ولم يذكر أولَ من بايع، وذكر الواقدي أن أولَ مَنْ بايع بَيْعَةَ الرضوانِ سَيِّدَانِ بنِ أَبِي سَيَّانٍ الأَسَدِيِّ. وقال موسى بن عُقْبَةَ: أولَ من بايع أبو سَيَّانٍ، واسمه: وَهْبُ بن مِخْصَنٍ أَخِي عُكَّاشَةَ بن مِخْصَنٍ الأَسَدِيِّ، وقال الواقدي: كان أبو سَيَّانٍ أَسَنَ من أخيه عُكَّاشَةَ بعشر سنين، شهد بدرًا، وتوفي يوم بني قُرَيْظَةَ، ويروى أنه حين قال للنبي ﷺ انْصُطْ يدك أبايعك، قال: «عَلَامَ تَبَايَعُنِي؟» قال: على ما في نفسك يا رسول الله، وأما سَيَّانُ ابْنُهُ، فهو أيضًا بَذْرِيٍّ، مات سنة ثلاثٍ وثلاثين، وأما مبايعتُهُم رسولَ الله ﷺ تحت الشجرة، وكانوا ألفًا وأربعمائة في إحدى الروایتين عن جابر وألفًا وخمسمائة في الرواية الأخرى عنه، فبايعوه في قول جابر على أن لا يَفِرُّوا. قال: ولم يبايعوه على الموت. وقال سَلَمَةُ بن الأَكْوَعِ: بايَعْنَا رسولَ الله ﷺ على المَوْتِ، قال الترمذي: وكلا الحديثين صحيح، لأن بعضهم بايَع على أن لا يَفِرُّوا، ولم يذكروا الموت، وبعضهم قال: أبايعك على الموت.

- قال ابن هشام: واحدة العَصَم: عِصْمة، وهي الحبل والسَّبَب. قال: عشي بني قيس بن ثعلبة:

إلى المَرْءِ قَيْنِسٍ نُطِيلُ السَّرَى ونأخذ من كُلِّ حَيٍّ عِصَم
وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَخُكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قال: فكتب إليه عروة بن الزبير: إن رسول الله ﷺ كان صالح قُرَيْشًا يوم الحُدَيْبِيَّةِ على أن يرده عليهم مَنْ جاء بغير إذن وليه، فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام أتى الله أن يُزِدَ دَنًّا إلى المُشْرِكِينَ إذا هُنَّ امْتَحِنَ بِمِخْنَةِ الإسلام، فعرفوا أنهم إنما جئنا رغبة في الإسلام، وأمر برده صدقاتهن إليهم إن احتسبن عنهم، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حُسبوا عنهم من نسائهم، ذلكم حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم، فأمسك رسول الله ﷺ النساء وردَّ الرجال، وسأل الذي أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء مَنْ حُسبوا منهنَّ، وأن يردها عليهم مثل الذي يردون عليهم، إن هم فعلوا، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لردَّ رسول الله ﷺ النساء كما ردَّ الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قُرَيْشٍ يوم الحُدَيْبِيَّةِ لأمسك النساء، ولم يردنَّ لهنَّ صداقًا، وكذلك كان يصنع بمنَّ جاءه من المسلمات قبل العهد.

قال ابن إسحاق: وسألت الزُّهْرِيَّ عن هذه الآية، وقول الله عزَّ وجلَّ فيها: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ فقال: يقول: إن فات أحدًا منكم أهله إلى الكُفَّارِ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم، فعوضوهم في شيءٍ إن أصبتموه، فلما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾... إلى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ﴾، كان ممن طلق عمرُ بن الخطَّاب، طلق امرأته

ما قاله أبو جندل:

فصل: ومما قاله أبو جندل بن شهيل أيام كونه مع أبي بصير بسيف البحر:

أبلغ قُرَيْشًا عن أبي جندل أنا بِبَيْتِ المَرْوَةِ فالسَّاجِلِ
في مَغْشَرٍ تَخْفُقُ أَيْمَانُهُمْ بالبَيْضِ فيها والقَنَا الدَّائِلِ
يَأْبُونَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ رُفْقَةٌ من بعد إسلامهم الوَاصِلِ

قُريبة بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة، وأم كلثوم بنت جَزول أم عبيد الله بن عمر الخُزاعيّة، فتزوجها أبو جهنم بن حُذيفة بن غانم، رجل من قومه، وهما على شركهما.

بشرى فتح مكة وتعجيل بعض المسلمين:

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عبيدة: أنّ بعض من كان مع رسول الله ﷺ قال له لما قدم المدينة: ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمنًا؟ قال: «بلى، أفقلت لكم من عامي هذا؟» قالوا: لا، قال: «فهو كما قال لي جبريل عليه السلام».

أو يجعل الله لهم مخرجًا	والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه	أو يقتل المرء ولم يأتل

ذكر المسير إلى خيبر

في المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبلي قال: ثم أقام رسولُ الله - ﷺ - بالمدينة حين رجع من الحُدَيْبِيَّةِ، ذا الحِجَّةِ وبعضُ المحَرَّمِ، وولي تلك الحِجَّةَ المشركون، ثم خرج في بقيَّةِ المحَرَّمِ إلى خيبر.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُمَيْلَةُ بن عبد الله اللَّيْثِي، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت بيضاء.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِي عن أبي الهيثم بن نصر بن دُهر الأسلمي أنَّ أباه حدّثه: أَنه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ - يقول في مسيره إلى

(١) غزوة خيبر

ذكر البَكْرِيُّ أَن أرضَ خَيْبَرٍ سُمِّيَتْ باسمِ رَجُلٍ من العَمَالِيقِ. نَزَلَهَا وهو خَيْبَرُ بن قَانِيَةَ بن مَهْلَإِيلَ، وكذلك قال في الوَطِيحِ، وهو من حُصُونِهَا أَنه سُمِّيَ بِالوَطِيحِ بن مازن، رَجُلٍ من ثُمُودَ وَلَفْظُهُ مأخوذ من الوَطَحِ، وهو ما تَعَلَّقَ بِالْأظْفَارِ، ومخالب الطير من الطين.

(١) انظر البداية والنهاية (١٨١/٤) الطبري (٩/٣) الكامل (٩٩/٢) الطبقات (٧٧/١/٢) المنتظم (٢٩٣/٣) الاكتفاء (٢٥١/٢) الواقدي (٦٣٣/٢) ابن حزم (٢٥٣) أنساب الأشراف (١٦٩/١) فتوح البلدان (٢٩) شرح المواهب (١٧٣/١) الزاد (٣١٦/٣) وانظر البخاري (١٣٠/٥).

خَبِير لعامر بن الأكوع، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع
سنان: «انزل يا ابن الأكوع، فخذ لنا من هناتك»، قال: فنزل يرتجز برسول الله ﷺ،
فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إننا إذا قوم بغوا علينا
فأنزلن سكينه علينا
وإن أرادوا فتنة أبينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

شرح هنة والحداء:

وذكر ابن إسحق قوله عليه السلام لسلمة بن الأكوع: خذ لنا من هناتك. الهنة: كناية
عن كل شيء لا تعرف اسمه، أو تعرفه، فتكني عنه، وأصل الهنة: هنة وهنة. قال
الشاعر:

[أرى ابن نزار قد جفاني وقلني] على هنوات شأنها متتابع

وفي البخاري^(١): أن رجلاً قال لابن الأكوع: ألا تنزل فتسمعنا من هنيئاتك، صغره
بالهاء، ولو صغره على لغة من قال: هنوات، فقال: هنيئاتك، وإنما أراد - ﷺ - أن يخذو
بهم، والإبل تستحث بالحداء، ولا يكون الحداء إلا يشغر أو رجز، وقد ذكرنا أول من سن
حداء الإبل، وهو مضرب بن نزار، والرجز شجر، وإن لم يكن قريضا، وقد قيل: ليس بشعر،
وإنما هي أشرطة أبيات، وإنما الرجز الذي هو شجر سداسي الأجزاء، نحو مقصورة ابن ذرير
أو رباعي الأجزاء نحو قول الشاعر:

يا مرياً خبير أخ نازغت در الحلمة

واحتج من قال في مشطور الرجز أنه ليس بشجر أنه قد جرى على لسان النبي - ﷺ -
وكان لا يجري على لسانه الشعر، وقد روي أنه أنشد هذا الرجز الذي قاله ابن الأكوع في
هذا الحديث، وقال أيضاً إما مُمَثِّلاً وإما مُنْشِئاً:

هل أنت إلا إضبع دمي وفي سبيل الله ما لقيت

وفي هذا الرجز من غير رواية ابن إسحق مما وقع في البخاري وغيره:

فاغفر فداء لك ما أبقينا

(١) البخاري (٣٥٦/٧).

فقال رسول الله ﷺ: «يرحمك الله»؛ فقال عمر بن الخطاب: وَجبت والله يا رسول الله، لو أَمَتَعْتَنَا به! فَقُتِلَ يومَ خَيْبَرِ شهيدًا، وكان قَتْلُهُ، فيما بلغني، أن سيفه رَجَعَ عليه وهو يُقَاتِلُ، فكلَّمَهُ كُلَّمَا شَدِيدًا، فمات منه؛ فكان المسلمون قد شَكُّوا فيه، وقالوا: إنما قتلَه سِلاحُهُ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوع رسولَ الله ﷺ عن ذلك، وأخبره بقول الناس، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنه لشَهِيدٌ»، وصَلَّى عليه، فصَلَّى عليه المسلمون.

ويُروى ما افْتَتَيْنَا أي: ما تَبَتَّعْنَا من الخطايا، من قَفَوْتُ الأثر، وافْتَتَيْتُهُ. وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وأما قوله: ما أبقينا، أي: ما خَلَّفْنَا مِمَّا اكْتَسَبْنَا، أو يكون معناه: ما أبقيْنَا من الذنوب، فلم نُحَقِّقْ التوبةَ منه كما ينبغي.

وقوله: فداء لك قد قيل: إن الخطابَ للنبي - ﷺ - أي: اغفر لنا تقصيرنا في حَقِّ وطاعتك، إذ لا يتصور أن يُقال لله تبارك وتعالى مثلُ هذا الكلام، وذلك أن معنى قولهم: فداء لك أي: فداء لك أنفسنا وأهلُونا، وحذف الاسم المبتدأ لكثرة دَوْرِهِ في الكلام مع العلم به، وإنما يُقْدِي الإنسانُ بنفسه مَنْ يجوز عليه الفداء.

استعمال الكلمة في غير موضعها:

وأقرب ما قيل فيه من الأقوال إلى الصواب أنها كلمةٌ يترجم بها عن مَحَبَّةٍ وتعظيم، فجاز أن يخاطب بها مَنْ لا يجوز في حَقِّهِ الفداء، ولا يجوز عليه الفداء قصداً لإظهار المحبة والتعظيم له، وإن كان أصلُ الكلمة ما ذكرنا، فَرُبَّ كلمةٍ تُركَ أصلُها، واستُعْمِلَتْ في غير ما وُضِعَتْ له أوَّلُ، كما جاءوا بلفظ القَسَمِ في غير موضع القسم، إذا أرادوا تعجبًا واستعظامًا لأمر، كقوله عليه السلامُ في حديث الأعرابي من رواية إسماعيل بن جعفر: «أَفْلَحَ وأَبِيهِ إنْ صَدَقَ»^(١)، ومُحَالٌ أن يَقْصُدَ ﷺ القسمَ بغير الله تبارك وتعالى، لا سِيَّما برجل مات على الكفر، وإنما هو تعجبٌ من قول الأعرابي، والمتعجب منه هو مُسْتَعْظَمٌ، ولفظ القَسَمِ في أصل وضعه لما يُعْظَم، فأتسع في اللفظ حتى قيل: على الوجه. وقال الشاعر:

فإن تَكْ لَيْلَى استودَعَتْني أمانة فلا وأبي أعْدائِها لا أخوئِها

(١) أخرجه البخاري (١٨/١) ومسلم في الإيمان (٩/٨) وأبو داود (٣٩٢/٣٢٥٢ - بتحقيقي). والنسائي (٢٢٨/١) وابن خزيمة (٣٠٦) والطحاوي في المشكل (٣٥٦/١) وانظر الفتح (١٠٧/١).

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَهُمْ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُعْتَبَرٍ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ، وَأَنَا فِيهِمْ: «قِفُوا»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ رَبَّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ، رَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّلْنَ، رَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللَّهِ». قَالَ: وَكَانَ يَقُولُهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكُلِّ قَرْيَةٍ دَخَلَهَا.

لَمْ يُرَدُّ أَنْ يُقْسِمَ بِأَبِي أَعْدَائِهَا، وَلَكِنَّهُ صَرَّبَ مِنَ التَّعَجُّبِ، وَقَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ شُرَاحِ الْحَدِيثِ إِلَى النِّسْخِ فِي قَوْلِهِ: أَفْلَحَ وَأَبِيهِ، قَالُوا: نَسَخَهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»^(١)، وَهَذَا قَوْلٌ لَا يَصِحُّ، لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - كَانَ يَخْلِفُ قَبْلَ النَّسْخِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَيُقْسِمُ بِقَوْمٍ كُفَّارٍ، وَمَا أَبْعَدَ هَذَا مِنْ شَيْئِهِ - ﷺ - تَالَهُ مَا فَعَلَ هَذَا قَطُّ، وَلَا كَانَ لَهُ بِخَلْقٍ. وَقَالَ قَوْمٌ: رَوَاةُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ مُصَحِّفُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ أَفْلَحَ وَاللَّهُ إِنْ صَدَقَ. وَهَذَا أَيْضًا مُنْكَرٌ مِنَ الْقَوْلِ، وَاعْتِرَاضٌ عَلَى الْإِثْبَاتِ الْعُدُولِ فِيهِمَا حِفْظُوا، وَقَدْ خَرَجَ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الزَّكَاةِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلٍ سَأَلَهُ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «وَأَبِيكَ لِأَنْتَبُكَ أَوْ قَالَ: لِأَخِيرَتِكَ»، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَخَرَجَ فِي كِتَابِ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ قَوْلُهُ لِرَجُلٍ سَأَلَهُ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ أَبْرَهُ، أَوْ قَالَ: أَصْلَهُ؟ فَقَالَ: «وَأَبِيكَ لِأَنْتَبُكَ، صِلْ أُمَّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ أَذْنَاكَ فَأَذْنَاكَ»، فَقَالَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ كَمَا تَرَى وَأَبِيكَ، فَلَمْ يَأْتِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ إِذَا فِي رَوَايَتِهِ بِشَيْءٍ إِمْرٍ، وَلَا بِقَوْلٍ بَدَعَ، وَقَدْ حَمَلَ عَلَيْهِ فِي رَوَايَتِهِ رَجُلٌ مِنْ عُلَمَاءِ بِلَادِنَا وَعِظَمَاءِ مُحَدِّثِهَا، وَغَفَلَ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ الْحَدِيثَيْنِ اللَّذَيْنِ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُمَا، وَقَدْ خَرَّجَهُمَا مُسْلِمٌ بِنِ الْحَجَّاجِ. وَفِي تِرَاجِمِ أَبِي دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ فِي مُصَنَّفِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ بِالنِّسْخِ، وَأَنَّ الْقَسَمَ بِالْآبَاءِ كَانَ جَائِزًا، وَالَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَيْسَ مِنْ بَابِ الْحِلْفِ بِالْآبَاءِ كَمَا قَدَمْنَا، وَلَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ: وَأَبِي، وَإِنَّمَا قَالَ: وَأَبِيهِ، أَوْ وَأَبِيكَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ أَوْ الْغَائِبِ، وَبِهَذَا الشَّرْطِ يَخْرُجُ عَنْ مَعْنَى الْحِلْفِ إِلَى مَعْنَى التَّعَجُّبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.

الإِسْنَادُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ:

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ، وَقَالَ: فِي إِسْنَادِهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ [أَبِي] مَرْوَانَ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ، لِأَنَّ عَطَاءَ بْنَ أَبِي مَرْوَانَ الْأَسْلَمِيَّ مَعْرُوفٌ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَكْتُبُ أَبَا مُضْعَبٍ، قَالَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ، وَبَعْضُ مَنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٣/٥) وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (٤) وَأَبُو دَاوُدَ (٣٢٤٨ - بِتَحْقِيقِي) وَابْنُ مَاجَةَ (٢١٠١) وَالنَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ (١٧/١).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغزَ عليهم حتى يُصبح، فإن سَمِعَ أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار. فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً، فركب وركبنا معه، فركبت خلف أبي طلحة، وإن قَدِمَ لتَمَسَّ قَدَم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عُمال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتيلهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش، قالوا: محمدٌ والخَمِيسُ معه! فأذبروا هُرَاباً، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المُنذرِينَ».

قال ابن إسحاق: حدثنا هارون عن حميد، عن أنس بمثله.

يُزوي السيرة يقول في هذا الإسناد عن عطاء بن أبي رباح، عن مَرْوَانَ الأَسْلَمِي والصحيح ما قَدَمناه.

المكاتيل:

فصل: وذكر حديث أنس حين استقبلتهم عُمال خيبر بمساحيهم ومكاتيلهم المكاتيل: جمع مَكْتَلٍ وهي الثَقَّةُ العظيمة، سُمِّيَتْ بذلك لِتَكْتَلِ الشَّيْءَ فيها، وهو تَلَاصُقُ بعضه ببعض، والكَتْلَةُ ومن التمر ونحوه فصيحة، وإن ابْتَدَلْتَهَا العامَّةُ.

خربت خيبر:

وقول النبي ﷺ حين رآهم: «الله أكبر خربت خيبر»^(١). فيه إباحة التَّفَاوُلِ وقوة لمن استجاز الرِّجَزَ، وقد قَدَمْنَا في ذلك قَوْلًا مُقْنِعًا، وذلك أنه رأى المَسَاحِي والمَكَاتِيلَ وهي من آلة الهَدم، والحفر مع أن لفظ المَسْحَاةِ من سَحَوْتُ الأرض إذ قَسَرْتُهَا، فدلَّ ذلك على خَرَابِ البَلَدَةِ التي أشرف عليها، وفي غير رواية ابن هشام قال: حين ذكر المساحي: كانوا يُؤْتُونَ الماءَ إلى رَزْعِهِمْ معناه: يَسْوِقُونَ. والأَنَّى هي الصافية.

الخَمِيس:

وقول اليهود: محمدٌ والخميس، سمي الجيش العظيم خَمِيسًا، لأن له سَاقَةً ومُقَدِّمَةً، وجناحين وَقَلْبًا، لا من أَجْلِ تخميس الغنيمة، فإن الخُمُسَ من سُنَّةِ الإسلام، وقد كان الجيش يُسَمَّى خَمِيسًا في الجَاهِلِيَّةِ، وقد ذكرنا الشاهد على ذلك فيما تَقَدَّمَ.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٩/٧) ومسلم في الجهاد (١٣٦٥) والترمذي (١٥٥٠) والنسائي (٢٧٢/١) وأحمد (١٠٢/٣).

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عِضْر فبنى له فيها مَسْجِدًا، ثم على الصُّبَاءِ، ثم أقبل رسول الله ﷺ بَحْيْشَهُ، حتى نزل بَوَادٍ يقال له: الرُّجِيعُ، فنزل بينهم وبين غَطَفَانَ، لِيُحَوِّلَ بينهم وبين أن يُمَدَّوا أهل خيبر، وكانوا لهم مُظَاهِرِينَ على رسول الله ﷺ.

فبلغني أن غطفان لما سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ رسول الله ﷺ من خيبر جَمَعُوا له ثم خرجوا لِيُظَاهِرُوا يَهُودَ عليه، حتى إذا ساروا مَنَقَلَةً سَمِعُوا خَلْفَهُمْ في أموالهم وأهلِيهِمْ حَسًّا ظَنُّوا أن القَوْمَ قد خالفوا إليهم، فَرَجَعُوا على أعقابهم، فأقاموا في أهلِيهِمْ وأموالهم، وَخَلَّوْا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

وَتُدْنَى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا، ويفتحها حِصْنًا حِصْنًا، فكان أولُ حِصُونِهِمْ افْتَتَحَ حِصْنَ نَاعِمٍ، وعنده قُتِلَ محمود بن مَسْلَمَةَ، أُلْقِيَتْ عليه منه رَحًا فقتلته، ثم القَمُوصُ، حِصْنُ بني أبي الحَقِيقِ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سَبَايَا، مِنْهُمْ صَفِيَّةُ بنتُ حِمْيَرَ بنِ أَخْطَبٍ، وكانت عِنْدَ كِنَانَةَ بنِ الرَّبِيعِ بنِ أَبِي الحَقِيقِ، وَبِئْتِي عَمَّ لَهَا، فاصطفى رسول الله ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ.

وكان دِخْيَةُ بن خَلِيفَةَ الكَلْبِيِّ قد سأل رسول الله ﷺ صَفِيَّةَ، فلما أصفها لِنَفْسِهِ أعطاه ابْنَتِي عَمِّهَا، وَفَشَّتِ السَّبَايَا من خَيْرٍ في المُسْلِمِينَ.

ما نهى عنه الرسول ﷺ في خيبر

وأكل المُسْلِمُونَ لُحُومَ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ من حُمْرِهَا، فقام رسول الله ﷺ، فنهى النَّاسَ عن أمور سَمَّاها لهم.

تدني الحصون:

وقوله: يَتَدْنَى الحصون، أي: يأخذ الأدنى فالأدنى.

حكم أكل لحوم الحمر الأهلية والخيول^(١)

وذكر نهيه عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الأهلية، وحديث جابر أنه نهى عليه السلام يوم خيبر عن أكل لحوم الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ، وَأَزْخَصَ لهم في لحوم الخيل، أما الحُمُرُ الأَهْلِيَّةُ فمَجْتَمَعٌ على تحريمها إِلَّا شَيْئًا يُزَوَّى عن ابنِ عَبَّاسٍ وعائشة، وطائفةٍ من التابعين.

(١) انظر البخاري (٧/٣٧٠) (٩/٥٦٤ / ٥٦٥ - فتح).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزاري عن عبد الله بن أبي سليط، عن أبيه. قال: أتانا نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحُمُر الإنسيّة، والقُدُور تُقُور بها، فكفأناها على وجوهها.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيج، عن مَكْحُول: أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع: عن إتيان الحَبَالَى من السَّبَايا، وعن أكل الحِمَار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغنم حتى تُقسم.

قال ابن إسحاق: وحدثني سَلَامُ بن كَزِيْرَة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، ولم يشهد جابر خَيْر: أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحُمُر، أذن لهم في أكل لحوم الخَيْل.

وَحُجَّةٌ من أباحها قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية وهي مَكِيَّةٌ، وحديث النهي عن الحُمُر كان بخَيْر فهو المبين للآية، والتَّائِيخُ للإِبَاحَةِ، ومن حُجَّتِهِمْ أيضًا قوله ﷺ لرجل استفتاه في أكل الحِمَار الأهلي، يقال في اسمه: غالب بن أَبَحْر المَزَنِي: «أَطْعِم أَهْلَكَ مِنْ سَمِينٍ مَالِك»^(١)، وهو حديثٌ ضعيفٌ لا يُعارضُ بمثله حديثُ النهي مع أنه مُحْتَمِلٌ لتأويلين، أحدهما: أن يكون الرجلُ ممن أصابته مَسْعَبَةٌ شديدةٌ، فأرْخَصَ له فيه، أو يكون ذلك منسوخًا بالتحريم، على أن بعضَ رِوَاةِ الحديث زاد فيه بيانًا، وهو قوله عليه السلام للرجل: «إنما نهيت عن حوالى القَرْيَةِ أو جوالى»^(٢) القرية على اختلافٍ في الرواية، وأما حديثُ جابرٍ في إباحة الخيل، فصحيح ويُعَضِّدُهُ حديثُ أسماء أنها قالت: ضَحَّيْنَا على عهد رسول الله ﷺ - بفرَسٍ. وقال بإباحة لحوم الخيل الشافعي والليث وأبو يوسف وذهب مالك والأوزاعي إلى كَرَاهَةِ ذلك، وقد رُوِيَ من طريق خالد بن الوليد أنه عليه السلام نهى عن أكلِ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ والبغالِ والخيلِ، وقد خَرَّجَهُ أبو داود، وحديثُ الإباحة أصحُّ غير أن مالكًا رحمه الله نَزَعَ بآية من كتاب الله، وهي أن الله جلَّ ذِكْرُهُ ذكر الأنعام، فقال: ﴿ومنها تأكلون﴾ ثم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال: ﴿لِتَرْكُوبُهَا وَزِينَةً﴾ هذا اثْتِرَاعٌ حَسَنٌ. ووجه الدليل من الآية أنه قال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾ [النحل: ٥] فذكر الدِّفْءَ والمنافع والأكل، ثم أفرد

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٠٩ - بتحقيق) بلفظ «حمر» والبيهقي (٣٣٢/٩) وابن سعد (٣١/٦) والطبراني في الكبير (٢٦٥/١٨) وابن أبي شيبة (٨٧/٨). وانظر الفتح (٦٥٦/٩) والزاد (٣٤٢/٣).

(٢) الجوالي: دابة تأكل العذرة.

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق مولى ثُجيب، عن حنش الصنعاني، قال: غزونا مع زُوَيْفَع بن ثابت الأنصاري المغرب، فافتتح قرية من قُرى المغرب يقال لها: جَزْبَة، فقام فينا خطيباً، فقال: يا أيها الناس، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله - ﷺ - يقوله فينا يومَ خير، قام فينا رسولُ الله ﷺ فقال: «لا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقيَ ماؤه زرعَ غيره، يعني إتيانَ الحبالى من السبايا، ولا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَغْنَمًا حتى يُقسم، ولا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابةً من فَيء المسلمين حتى إذا أعجبَهَا رَدَّهَا فيه، ولا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبًا من فَيء المسلمين حتى إذا أخلقه رَدَّه فيه»^(١).

الخيلَ والبغالَ والحميرَ بالذكر، ثم جاء بلام العلة والنسب، فقال: لتركبوها، أي: لهذا سَخَرْتُها لكم، فوجب أن لا يتعدى ما سَخَرْتُ له، وأما نهيه يومَ خَبَرٍ عن لُحوم الجلالة وعن رُكوبها، فهي التي تأكل الجلالة وهو الروث والتبر، وفي السنن للدارقطني^(٢) أنه عليه السلام نهى عن أكل الجلالة، حتى تُغْلَف أربعين يوماً، وهذا نحو مما روي عنه عليه السلام أنه كان لا يأكل الدجاجَ المُخَلَّاة، حتى تُقَصَّر ثلاثة أيام. ذكره الهروي.

الورق:

وذكر في الحديث نهيه عليه الصلاة والسلام عن: «بَيْعِ الْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ»^(٣)، وإباحة بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْوَرَقِ، فدلَّ على أن الورقَ والفِضَّةُ شيء واحد، وقد فَرَّقَ بينهما أبو عُبَيْدٍ في كتاب الأموال، فقال: الرِّقَّةُ والورق ما كان سَكَّةً مَضْرُوبَةً، فإن كان حُلِيًّا أو حَلِيَّةً، أو نُقْرًا^(٤) لم يُسَمَّ وَرَقًا، يريد بهذه التفرقة أن لا زَكَاةَ في حُلِيِّ الفِضَّةِ والذَّهَبِ، لأن الثَّيْبَ - ﷺ - حين ذكر الزَّكَاةَ قال: «فِي الرِّقَّةِ الْخُمْسُ»^(٥)، وحين ذكر الرِّبَا قال: «الْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ».

قال المؤلف: وفي هذا الحديث الذي ذكره ابن إسحاق، وفي أحاديث سواه قد تتبعته ما يدل على خلاف ما قال، منها قوله عليه السلام في صفة الحَوْضِ: «يَصُبُّ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ

(١) أخرجه أبو داود (٢١٥٨/٢١٥٩ بتحقيقي) وأحمد (١٠٨/٤) والدارمي (٢٥٠/٢).

(٢) الدارقطني (٢٨٧/٤ - بتحقيقي). (٣) أخرجه النسائي (٢٨٠/٧).

(٤) نُقْرًا: أي مخلوطاً مسبوکاً من ذهب وفضة.

(٥) أخرجه أبو داود (١٥٦٧ - بتحقيقي). بلفظ «في الرقعة ربع العشر».

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط، أنه حدث عن عبادة بن الصامت، قال: نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع ثبر الذهب بالذهب العَيْن، وتمر الفضة بالورق العَيْن، وقال: «ابتاعوا ثبر الذهب بالورق العَيْن، وتمر الفضة بالذهب العَيْن».

قال ابن إسحاق: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال.

شأن بني سهم:

فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم: أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء؛ فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه؛ فقال: «اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء، وأكثرها طعاماً وودكاً»^(١)، فغدا الناس ففتح الله عز وجل حصن الصُعب بن مُعاذ، وما بخير حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه.

مقتل مرحب اليهودي:

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وجاز من الأموال ما جاز، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلالم، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصره رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة.

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم خيبر، يا منصور، أمت أمت.

الجبّة أحدهما [من ذهب والآخر] من ورق^(٢)، وفي حديث عَزَفَجَة حين أصيب أنفه يوم الكلاب قال: فاتخذت أنفاً من ورق الحديث، في شواهد كثيرة تدل على أن الفضة تُسمى ورقاً على أي حال كانت.

وقوله: بالذهب العَيْن والورق العَيْن، يريد النقد، لأن الغائب تُسمى ضِمَاراً، كما قال، وعَيْنُهُ كَالْكَأَلِ الضَّمَار، وسُمي الحاضر: عَيْنًا لموضع المُعَايَنَةِ، فالعَيْن في الأصل مَضَرٌ عِنْتُهُ أَعْيُنُهُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ بَعَيْنِكَ، وسُمي المفعول بالمَصْدَرِ، ونَحْوُ منه الصَّيْدُ، لأنه مصدر

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٢٣/٤) والطبري في تاريخه (١٣٥/٢).

(٢) تقدم. وهو عند مسلم وغيره.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل، أخو بني حارثة، عن جابر بن عبد الله، قال: خرج مَرْحَبُ اليهودي من حِصْنِهِمْ، قد جمع سلاحه، يرتجز وهو يقول:

قد عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَتَى مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أَطْعُنُ أَخْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا أَلْيُوثُ أَقْبَلَتْ تَخْرَبُ
إِنْ حِمَايَ لِلْحِمَى لَا يُقْرَبُ

وهو يقول: مَنْ يُبَارِزُ؟

فأجابه كعب بن مالك، فقال:

قد عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَتَى كَعْبُ مُفَرِّجُ الْعَمَى جَرِيءُ صُلْبُ
إِذْ شَبَّتِ الْحَرْبُ ثَلَّتْهَا الْحَرْبُ مَعِيَ حُسَامُ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ
نَطَوُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّغْبُ نُعْطِي الْجَزَاءَ أَوْ يَفِيءُ النَّهْبُ
بَكْفٌ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَثْبُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري:

قد عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَتَى كَعْبُ وَأَنْبِي مَتَى تُشَبُّ الْحَرْبُ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ جَرِيءُ صُلْبُ مَعِيَ حُسَامُ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ
بَكْفٌ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَثْبُ نَذْكُكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّغْبُ
قال ابن هشام: وَمَرْحَبُ مِنْ جَمِيرِ.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن سهل، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لِهَذَا؟» قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله المَوْتُورُ الثَّائِرُ، قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ؛ فقال «فَقُمْ إِلَيْهِ» اللَّهُمَّ أَعِنِّهِ عَلَيْهِ. قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمَرِيَّة من شجر العُشْرِ فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلُّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى بَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

صِدَّتْ أَصِيدُ، وقد جاء في التنزيل: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥] فَسَمَاءُ بالمصدر، ولعلَّكَ أَنْ تَلْحَظَ مِنْ هَذَا الْمَطْلَعِ مَعْنَى الْعَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] فَقَدْ أَمْلَيْنَا فِيهَا، وَفِي مَسْأَلَةِ الْيَدِ مَسْأَلَتَيْنِ لَا يُعْدَلُ بِقِيَمَتِهِمَا الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا.

لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن، ثم حمل مَرْحَبٌ على محمد بن مسلمة، فضربه، فأتقاه بالدُرقة، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله^(١).

مقتل ياسر أخى مرحب:

قال ابن إسحق: ثم خرج بعد مَرْحَب أخوه ياسر، وهو يقول: مَنْ يبارز؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يا رسول الله! قال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله». فخرج الزبير فالتقى، فقتله الزبير.

قال ابن إسحق: فحدثني هشام بن عروة: أن الزبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً غضباً، قال: والله ما كان صارماً، ولكني أكرهته.

متى حرم نكاح المتعة^(٢)؟

فصل: ومِمَّا يَتَّصِلُ بحديث النهي عن أكل الحُمُر تنبيه على إشكال في رواية مالك عن ابن شهاب، فإنه قال فيها: نهى النبي ﷺ عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن لُحُوم الحُمُر الأهلية، وهذا شيء لا يعرفه أحد من أهل السير، ورواة الأثر، أن المتعة حُرِّمَتْ يوم خيبر، وقد رواه ابن عُيَيْنَةَ عن ابن شهاب عن عبد الله بن محمد، فقال فيه: إن النبي ﷺ - نهى عن أكل الحُمُر الأهلية عام خيبر، وعن المتعة، فمعناه على هذا اللفظ: ونهى عن المتعة بعد ذلك، أو في غير ذلك اليوم، فهو إذاً تقديم وتأخير، وقع في لفظ ابن شهاب، لا في لفظ مالك، لأن مالكا قد وافقه على لفظه جماعة من رُوَاة ابن شهاب، وقد اختلف في تحريم نكاح المتعة فأغرب ما رُوِيَ في ذلك رواية من قال: إن ذلك كان في غزوة تبوك، ثم رواية الحسن أن ذلك كان في غمرة القضاء، والمشهور في تحريم نكاح المتعة رواية الربيع بن سبرة عن أبيه أن ذلك كان عام الفتح. وقد خرَّج مسلم الحديث بطوله وفي هذا الحديث أيضاً حديث آخر خرجه أبو داود أن تحريم نكاح المتعة كان في حجة الوداع، ومن قال من الرواة كان في غزوة أوطاس، فهو موافق لمن قال عام الفتح، فتأمله والله المستعان.

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨٥) والحاكم (٣/٤٣٦).

(٢) حرم نكاح المتعة عام الفتح. انظر مسلم (١٤٠٦) والزايد (٣/٣٤٣).

شان علي يوم خير:

قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه سفيان، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برأيته، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل، فرجع ولم يك فتْح، وقد جهد؛ ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل، ثم رجع ولم يك فتح، وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفَرَّار». قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه، وهو أرمَد، فتقل في عينه، ثم قال: «خُذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك».

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح، يهزول هزولة، وإنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال يقول اليهودي: علّوتم، وما أنزل على موسى، أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وذكر قوله - عليه السلام -: «لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ويفتح على يديه»، وفي غير رواية ابن إسحاق: «فبات الناس يدوكون أيهم يغطاها»^(١) ومعناه من الذوكة، والذوكة، وهو اختلاط الأصوات.

علي ودعاء الرسول ﷺ:

وذكر أن علياً - رضي الله عنه - انطلق بالراية يأنح، وفي غير رواية ابن إسحاق يؤج، فمن رواه يأنح، فهو من الأنيح وهو علو النفس، يقال: فرس أنوح من هذا، ويروى عن عمر - رضي الله عنه - أنه رأى رجلاً يأنح ببطنه، فقال: ما هذا؟ فقال: بركة من الله، فقال: بل هو عذاب عذبك به. ومن رواه يؤج، فمعناه: يسرع، يقال: أجث الناقة تؤج إذا أسرع في مشيها، وزاد الشيباني عن ابن إسحاق في هذا الحديث حين ذكر أن علياً كان أزمَد، وأن النبي ﷺ - تقل في عينيه فبرأ، قال: «فما وجعت عينه حتى مضى سبيله»، قال: وكان علي يلبس القباء المحشو الثخين في شدة الحر، فلا ييالي بالحر، ويلبس الثوب الخفيف في شدة البرد، فلا ييالي بالبرد، وسئل عن ذلك فأخبر أن النبي - ﷺ - دعا له يوم خيبر حين رمدت عينه أن يشفيه الله، وأن يجنبه الحر والبرد، فكان ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥/٧) ومسلم (١٨٠٧) وأحمد (٥٢/٤).

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَأْيِهِ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْحِصْنِ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ فَقَاتَلَهُمْ، فَضْرِبَهُ رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ فَطَاحٍ تُرْسُهُ مِنْ يَدِهِ، فَتَنَاولَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَابًا كَانَ عِنْدَ الْحِصْنِ فَتَرَسَّ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ وَهُوَ يِقَاتِلُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ حِينَ فَرَّغَ، فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي نَفَرٍ سَبْعَةٍ مَعِيَ، أَنَا ثَامِنُهُمْ، نَجْهَدُ عَلَى أَنْ نَقْلِبَ ذَلِكَ الْبَابَ، فَمَا نَقْبَلُهُ.

أمر أبي اليسر:

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي بُرَيْدَةُ بْنُ سُفْيَانَ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي سُلَيْمَةَ عَنْ أَبِي الْيَسْرِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّا لَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرِ ذَاتِ عَشِيَّةٍ، إِذْ أَقْبَلْتُ غَنِمَ لِرَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ تَرِيدُ حِصْنَهُمْ، وَنَحْنُ مُحَاصِرُوهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يُطْعِمُنَا مِنْ هَذِهِ الْغَنَمِ؟» قَالَ أَبُو الْيَسْرِ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: فَافْعَلْ، قَالَ: فَخَرَجْتُ أَشْتَدُّ مِثْلَ الظَّلِيمِ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَوْلِيًا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَمْتِعْنَا بِهِ»؛ قَالَ: فَأَدْرَكْتُ الْغَنِمَ وَقَدْ دَخَلْتُ أُولَاهَا الْحِصْنَ فَأَخَذْتُ شَاتَيْنِ مِنْ أُخْرَاهَا، فَاحْتَضَنْتُهُمَا تَحْتَ يَدَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ بِهِمَا أَشْتَدُّ، كَأَنَّهُ لَيْسَ مَعِيَ شَيْءٌ، حَتَّى أَلْقَيْتُهُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَبَحَهُمَا فَأَكَلُوهُمَا، فَكَانَ أَبُو الْيَسْرِ مِنْ آخِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَلَاكًا، فَكَانَ إِذَا حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: «أَمْتِعُوا بِي، لِعَمْرِي، حَتَّى كُنْتُ مِنْ آخِرِهِمْ هُلُكًا».

صفية أم المؤمنين

قال ابن إسحاق: وَلَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُمُوصَ، حَصَنَ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ، أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَبِأُخْرَى مَعَهَا، فَمَزَّ بِهِمَا بِلَالٌ، وَهُوَ الَّذِي

صاحب المغانم وابن مغفل:

فصل: وَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ حِينَ اخْتَمَلَ جِرَابَ الشُّخْمِ، وَأَرَادَ صَاحِبُ الْمَغَانِمِ أَخْذَهُ مِنْهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَ صَاحِبِ الْمَغَانِمِ، وَرُوي عَنْ ابْنِ وَهْبٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ عَلَى الْمَغَانِمِ يَوْمَ خَيْبَرٍ أَبُو الْيَسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ هَكَذَا وَجَدْتُهُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْفَقْهِ مَرْوِيًّا عَنْ ابْنِ وَهْبٍ، وَلَمْ يَتَّصِلْ لِي بِهِ إِسْنَادٌ.

الصفى والمرباع

فصل: وَذَكَرَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيِّ، وَأُمُّهَا بُرَيْدَةُ بِنْتُ سَمُؤَالٍ، أُخْتُ رِفَاعَةَ بْنِ سَمُؤَالٍ

جاء بهما على قَتلى من قَتلى يهود، فلما رأتهما مع صفية صاحتا، وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها؛ فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «أغربوا عني هذه الشيطانة، وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفأها لنفسه. فقال رسول الله ﷺ لبلال، فيما بلغني حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: «أنزعت منك الرحمة يا بلال، حين تمر بامرأتين على قَتلى رجالهما؟»^(١) وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق، أن قمرًا وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تَمَنِينَ مَلِكَ الحجاز محمدًا، فلطم وجهها لطمًا خضر عينها منها. فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر.

المذكور في الموطأ، وأنه اصطفأها لنفسه، وفي حديث آخر عن عائشة قالت: كانت صفية من الصفي، والصفي ما يصطفيه أمير الجيش لنفسه قال الشاعر [عبد الله بن غنم الصفي] يخاطب بسطام بن قيس:

لك المِزْبَاعُ منها والصَّفَايَا [وحكمك والنشيطه والفضول]

فالمِزْبَاعُ رُبْعُ الغَنِيمة. والصَّفِي ما يُصْطَفَى للرئيس، وكان هذا في الجاهلية، فنسخ المِزْبَاعُ بالخُمس وبقي أمر الصفي.

مصدر أموال النبي ﷺ، وزواجه من صفية:

وكانت أموال النبي ﷺ من ثلاثة أوجه: من الصفي، والهدية تُهدى إليه، وهو في بيته لا في الغزو من بلاد الحرب، ومن خمس الخمس، وروى يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري، قال: حدثني عثمان بن كعب القرظي، قال: حدثني رجل من بني النضير، كان في حجر صفية بنت حبي من رَهْطِها يقال له: ربيع، عن صفية بنت حبي قالت: ما رأيت أحدًا قط أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ، لقد رأيت ركب بي من خير حين أفاء الله عليه على ناقته ليلًا فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخرًا الرخل، فيمسنني بيده، ويقول: «يا هذه مهلاً يا ابنة حبي»، حتى إذا جاء الصهباء^(٢)، قال: «أما إنني أعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك، إنهم قالوا لي: كذا، وقالوا لي: كذا»^(٣). وحديث

(١) أخرجه البيهقي (٢٠٠/٦).

(٢) الصهباء: موضع قبل خير.

(٣) أخرجه أبو يعلى بأسانيد ورجال الطريق الأول رجال الصحيح، إلا أن حميد بن هلال لم يدرك صفية، ومن رجال هذه ربيع ابن أخي صفية ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. قاله الهيثمي في المجمع (٢٥٢/٩).

بقية أمر خبير:

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ عِنْدَهُ كَنْزُ بَنِي النَّضِيرِ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ، فَجَحَدَ أَنْ يَكُونَ يَعْرِفُ مَكَانَهُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ يَهُودٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ كِنَانَةَ يَطِيفُ بِهَذِهِ الْحَرْبَةِ كُلِّ غَدَاةٍ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَكِنَانَةَ: «رَأَيْتَ إِنْ وَجَدْنَاهُ عِنْدَكَ، أَأَقْتُلُكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْخَرْبَةِ فَحُفِرَتْ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْضُ كَنْزِهِمْ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا بَقِيَ، فَأَبَى أَنْ يُؤَدِّيَهُ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّبِيرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَقَالَ: عَذَّبَهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَا عِنْدَهُ، فَكَانَ الزَّبِيرُ يَقْدَحُ بَرْزُلًا فِي صَدْرِهِ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَضَرَبَ عَنْقَهُ بِأَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ.

صلح خبير:

وَحَاصِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَهْلَ خَبِيرٍ فِي حَصْنِهِمُ الْوَطِيحِ وَالسَّلَامِ، حَتَّى إِذَا أُيْقِنُوا بِالْهَلَكَةِ، سَأَلُوهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ وَأَنْ يَحْقِنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ، فَفَعَلَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ حَازَ

اصْطِفَاءَهُ صَفِيَّةَ يَعَارِضُهُ فِي الظَّاهِرِ الْحَدِيثُ الْآخِرُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهَا صَارَتْ لِدُخْيَةٍ فَأَخَذَهَا مِنْهُ، وَأَعْطَاهُ سَبْعَةَ أَرْسُلٍ، وَيُرْوَى أَنَّهُ أَعْطَاهُ بِثَنِي عَمَّهَا عَوْضًا مِنْهَا، وَيُرْوَى أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «خُذْ رَأْسًا آخَرَ مَكَائَهَا»^(١)، وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ، فَإِنَّمَا أَخَذَهَا مِنْ دُخْيَةٍ قَبْلَ الْقَسْمِ: وَمَا عَوْضُهُ مِنْهَا لَيْسَ عَلَى جِهَةِ الْبَيْعِ، وَلَكِنْ عَلَى جِهَةِ الثَّقُلِ وَالْهَيْبَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ رِوَاةِ الْحَدِيثِ فِي الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ يَقُولُونَ فِيهِ: إِنَّهُ اشْتَرَى صَفِيَّةَ مِنْ دُخْيَةٍ، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ فِيهِ: بَعْدَ الْقَسْمِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.

وَكَانَ أَمْرُ الصَّفِيِّ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا غَزَا فِي الْجَيْشِ اخْتَارَ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ الْقَسْمِ رَأْسًا وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا قَعَدَ، وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَ الْجَيْشِ ضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَفِيٌّ، ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَمَرَ الصَّفِيُّ بَعْدَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ فِي قَوْلِ أَبِي ثَوْرٍ، وَخَالَفَهُ جَمَاهُورُ الْفُقَهَاءِ، وَقَالُوا: كَانَ خُصُوصًا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

صداق صافية:

وقوله: أَعْتَقَهَا، وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا، هُوَ صَحِيحٌ فِي النُّقْلِ، وَقَالَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ بِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ تَأَوَّلَهُ خُصُوصًا بِالنَّبِيِّ ﷺ أَوْ مَنْسُوخًا، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ بِهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَجَمَاعَةٌ سِوَاهُ لَا يَرَوْنَ مُجَرَّدَ الْعِتْقِ يُغْنِي عَنْ صَدَاقٍ.

(١) انظر البخاري ومسلم السابق.

الأموال كلها: الشَّق ونَطَاة والكَتِيبَة وجميع حصونهم، إلا ما كان من ذُنُك الحِصْنين.

حنش الصنعاني:

وذكر حديثَ حَنْشِ الصَّنْعَانِي عن رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ. هو حَنْشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّبَائِي جَاءَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مَعَ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، وَهُوَ الَّذِي ابْتَنَى جَامِعَ سَرَقُسْطَةَ، وَأَسَّسَ جَامِعَ قُرْطُبَةَ أَيْضًا، فِيمَا ذَكَرُوا، وَتَوَقَّعَ الْبُخَارِيُّ أَنَّهُ حَنْشُ بْنُ عَلِيٍّ، وَأَنَّ الْاِخْتِلَافَ فِي اسْمِ أَبِيهِ، وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ فَقَالَ: حَنْشُ بْنُ عَلِيٍّ السَّبَائِي مِنْ صَنْعَاءِ الشَّامِ، وَمِنْهَا أَبُو الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِي، وَحَنْشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّبَائِي مِنْ صَنْعَاءِ الْيَمَنِ، وَكِلَاهُمَا يُرَوَّى عَنْ عَلِيٍّ، فَمِنْ هَهُنَا دَخَلَ الْوَهْمُ عَلَى الْبُخَارِيِّ، هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ، وَيَزُودُ عَنْ عَلِيٍّ أَيْضًا حَنْشُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَحَنْشُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ وَهُمَا غَيْرُ هَذَيْنِ.

وطأ منهِّي عنه:

وفيه: أَنْ لَا تُوطَأَ حَامِلٌ مِنَ السَّبَايَا حَتَّى تَضَعَ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَمَةٍ مُجِجٍ أَي: مُقَرَّبٍ، فَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِهَا، فَقِيلَ: إِنَّهُ يَلُمُّ بِهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَلْعَنَهُ لَعْنَةً تَدْخُلُ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ»^(١). وَذَكَرَهُ الْحَدِيثُ.

فهذا وجه في معنى قوله: لَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ يَوْمُنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاؤَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ، مَعْنَى إِيْتَانِ الْحَبَالَى مِنَ السَّبَايَا، فَإِنْ فَعَلَ فَالْوَلَدُ مُخْتَلَفٌ فِي إِلْحَاقِهِ بِهِ، فَقَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ: لَا يُلْحَقُ بِهِ، وَقَالَ اللَّيْثُ: يُلْحَقُ بِهِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كَيْفَ يَسْتَعْبِدُهُ، وَقَدْ غَذَاهُ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ».

عليٌّ يقتل مرحبًا:

فصل: وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِقِصَّةِ مَرْحَبِ الْيَهُودِيِّ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ غَيْرِ رَوَايَةِ الْكِتَابِ قَوْلُ عَلِيٍّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ
أَضْرِبَ بِالسِّنْفِ رُؤُوسَ الْكُفَرَةِ
أَكِيلُهُم بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ

أَي: أَجْزَيْهِمْ بِالْوَفَاءِ، وَالسَّنْدَرَةُ: شَجَرَةٌ يُضْنَعُ مِنْهَا مَكَايِلُ عِظَامٍ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي النِّكَاحِ (١٣٩) وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٤/٣٧١).

فلما سَمِعَ بهم أهلُ قَدْكَ قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يُسَيِّرَهُمْ، وأن يَحْقِنَ دماءهم، ويخلُّوا له الأموال، ففعل. وكان فيمن مَشَى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحِيطَةٌ بن مَسْعُود أخو بني حارثة، فلما نزل أهلُ خَيْبَر على

حيدرة:

وفي قوله رضي الله عنه: سَمَنْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةٌ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ، ذكرها قاسم بن ثابت، أحدها: أن اسمه في الكُتُبِ المتقدمة أسدٌ، والأسدُ: هو الحَيْدَرَةُ. الثاني: أن أمه فاطمة بنت أسدٍ حين ولدته كان أبوه غائبا، فسمته، باسم أبيها أسدٍ، فقدم أبوه فَسَمَاهُ عَلِيًّا. الثالث: أنه لُقِّبَ في صِغَرِهِ بِحَيْدَرَةٍ، لأن الحَيْدَرَةَ الْمُعْتَلِيَّ لَحَمًا مع عِظَمِ بَطْنٍ، وكذلك كان عليُّ رضي الله عنه، ولذلك قال بعضُ اللصوص حين قَرَّ من سجنه الذي كان يسمى نافعا، وقيل فيه: يافع أيضا بالياء:

ولو أني مَكَثْتُ لهم قليلاً لَجَرُونِي إلى شَيْخِ بَطِينٍ
من حصون خيبر:

وذكر شقا والثُّطَاءَ وَشَقَّ بالفتح أَغْرَفَ عند أهل اللغة كذلك قَيْدَهُ البكري. وذكر وادي خاص من أَرْضِ خَيْبَر. وقال أبو الوليد: إنما هو وادي خَلَصٍ باللام، والأول تصحيف. وقال البكري: هو خَلَصٌ باللام وأنشد البكري لخالد بن عامر:

وَإِنْ بِخَلَصٍ خَلَصِ آرَةٌ بُدْنَا نَوَاعِمَ كَالْغِزْلَانِ مَرَضَى عُيُونُهَا
الحال والمعرفة لفظًا:

فصل: وذكر في أشعار خَيْبَرِ قولُ العَبْسِيِّ. وفي آخره:

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعَا تَحْتَ الْعَجَاجِ عَمَائِمِ الْأَبْصَارِ
وهو بيت مُشَكَّلٌ غير أن في بعض النسخ، وهي قليلة عن ابن هشام أنه قال: فَرَّتْ فَتَحَتْ، من قولك: فَرَزْتُ الدَّابَّةَ، إِذَا فَتَحَتْ فَاهَا. وَعَمَائِمِ الْأَبْصَارِ، هي مفعول فَرَّتْ، وهي جُفُونَ أعينهم، هذا قولٌ، وقد يصح أن يكون فَرَّتْ من الْفِرَارِ، وَعَمَائِمُ الْأَبْصَارِ من صِفَةِ الْعَجَاجِ، وهو الْعُبَارُ وَنَصَبَهُ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْعَجَاجِ، وإن كان لَفْظُهُ لَفْظُ الْمَعْرِفَةِ عند من ليس بِشَاذٌ فِي النَحْوِ. ولا ماهر في العربية، وأما عند أهل التحقيق، فهو نِكْرَةٌ، لأنه لم يرد الْعَمَائِمُ حَقِيقَةً وإنما أراد مثل الْعَمَائِمِ، فهو مثل قول امرئ القيس:

بِمُنَجَرِدٍ قَيْنِدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

ذلك، سألوا رسول الله ﷺ أن يُعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأمر لها؛ فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خَيْرَ فَيْئًا بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يَجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

فَقِيدُهَا هُنَا نَكْرَةً، لأنه أراد مثل القَيْدِ، ولذلك نَعَتَ به مُنَجَرِدًا، أو جعله في معنى مُقَيَّدٍ، وكذلك قول عَبْدَةَ بن الطَّيِّبِ:

تَحِيَّةٌ مِنْ غَادِرَتِهِ غَرَضُ الرِّدَى

فغضب غرضًا على الحال: وأصحُّ الأقوالِ في قوله سبحانه: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١] أنه حالٌّ من المُضْمَرِ المَخْفُوضِ، لأنه أرادَ التشبيهَ بالزهرة من النبات، ومن هذا النحو قولهم: جاء القومُ الجَمَاءُ العَفِيرُ انتصب على الحال، وفيه الألف واللام، وهو من باب ما قدَّمناه من التشبيه، وذلك أن الجَمَاءَ هي بَيْضَةُ الحَدِيدِ تُغْرِفُ بالجَمَاءِ والصَّلْعَاءِ، فإذا جُعِلَ معها المِغْفَرُ، فهي غَفِيرٌ، فإذا قلت: جاءوا الجَمَاءُ العَفِيرُ، فإنما أردت العمومَ والإحاطةَ بجميعهم، أي: جاءوا جَيَّةً تشملهم وتَسْتَوْعِبُهُمْ، كما تُحيط البَيْضَةُ العَفِيرُ بالرأس، فلما قصدوا مَعْنَى التشبيه دخل الكلامُ الكثيرُ كما تقدَّم، وكذلك قولهم: تَفَرَّقُوا أَيَدِي سَبَا، وَأَيَادِي سَبَا، أي: مثل أَيْدِي سَبَا، فَحَسُنَتْ فِيهِ الْحَالُ لذلك، والذي قُلْنَاهُ فِي معنى الجَمَاءِ العَفِيرِ رواه أبو حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ، وكان عَلَامَةً بكلام العرب، ولم يَقَعْ سَبَبُهُ عَلَى هذا الغرضِ فِي معنى الجَمَاءِ، فجعلها كلمةً شاذَّةً عن القياس، واعتقد فيها التعريفَ وقرنها بباب وَخَدَه، وفي باب وَخَدَه أسرارٌ قد أَمْلَيْنَاهَا فِي غير هذا الكتاب، وَمَسْأَلَةٌ وَخَدَه تَخْتَصُّ بِبَابِ وَخَدَه، وهذا الذي ذكرنا من التَّنْكِيرِ بسبب التشبيه، إنما يكون إذا شَبَّهَتْ الْأَوَّلُ بِاسْمِ مُضَافٍ، وكان التشبيهُ بِصِفَةٍ مُتَعَدِّيَةٍ إِلَى المضافِ إِلَيْهِ، كقوله: قَيْدُ الْأَوَابِدِ، أي: مُقَيَّدُ الْأَوَابِدِ، ولو قلت: مررت بامرأة القَمَرِ عَلَى التشبيه لم يَجْزِ، لأن الصفة التي وقع بها التشبيه غير مُتَعَدِّيَةٍ إِلَى القَمَرِ، فهذا شَرْطٌ فِي هذه المسألة، ومما يَحْسُنُ فِيهِ التَّنْكِيرُ وهو مضاف إلى معرفة اتفاق اللفظين كقوله: لَهُ صَوْتُ صَوْتِ الْحِمَارِ وَزَيْرُ زَيْرِ الْأَسَدِ، فإن قلت: فما بَالُ الجَمَاءِ الغفير، جاز فِيهَا الْحَالُ، وليست بمضافة؟ قلنا: لم تقل العربُ جاء القومُ البَيْضَةُ، فيكون مثل ما قدَّمناه من قولك: مررت بهذا القمر، وإنما قالوا: الجَمَاءُ الغفير بالصفة الجامعة بينها، وبين ما هي حالٌ منه، وتلك الصفة الجَمَمُ، وهو الاستِواءُ والغَفَرُ، وهي التغطية فمعنى الكلام: جاءوا جَيَّةً مُسْتَوِيَةً لَهُمْ، مُوَعِبَةً لجميعهم، فَقَوِيَ معنى التشبيه بهذا الوصفِ، فدخل التَّنْكِيرُ لذلك، وَحَسُنَ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ وهي خال من المَجِيءِ.

الشاة المسمومة

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مَصلِيَّة، وقد سألت أيَّ عُضْوٍ من الشاة أحبَّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرَت فيها من السمِّ، ثم سمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها؛ فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع، فلاك منها مُضْغَةً، فلم يُسْغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ؛ فأما بشر فأساغها؛ وأما رسول الله ﷺ فَلَفَظها، ثم قال: «إن هذا العظم ليُخبرني أنه مَسْموم»، ثم دعا بها، فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟» قالت: بلغت من قُومِي ما لم يَخف عليك. فقلت: إن كان مَلِكًا استرحت منه، وإن كان نبيًّا فسيُخْبَرُ، قال: فتجاوزَ عنها رسول الله ﷺ؛ ومات بشر من أَكَلِهِ التي أكل.

قال ابن إسحق: وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى، قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تَعُوده: يا أم بشر، إن هذا الأَوَانُ وُجِدَتْ فيه انقطاع أَبْهَرِي من الأَكَلَةِ التي أكلت مع أخيك بخير. قال: فإن كان المسلمون ليُرَوْنَ أن رسول الله ﷺ مات شهيدًا، مع ما أكرمه الله به من النبوة.

الشاة المسمومة^(١)

فصل: وذكر حديث الشاة المَسْمُومَةِ، وأكل بشر بن البراء منها، وفيه: أن الذراع كانت تُعْجِبُه، لأنها هادي الشاة، وأبعدُها من الأذى، فلذلك جاء مُفسِّرًا في هذا اللفظ.

فأما المرأة التي سَمَّته، فقال ابن إسحق: صفح عنها، وقد روى أبو داود أنه قتلها، ووقع في كتاب شَرَفِ الْمُضْطَفَى، أنه قتلها وصلبها، وهي زينب بنت الحارث بن سلام، وقال أبو داود: وهي أخت مَرْحَبِ الْيَهُودِي، وروى أيضًا مثل ذلك ابن إسحق. ووجه الجمع بين الروایتين أنه عليه السلام صفح عنها، أَوَّلُ لأنه كان - ﷺ - لا ينتقم لنفسه، فلما مات بشر بن البراء من تلك الأَكَلَةِ، قتلها، وذلك أن بشرًا لم يزل مُعْتَلًا من تلك الأَكَلَةِ حتى مات منها بعد حَوْلٍ، وقال النبي ﷺ عند موته: «ما زالت أَكَلَةُ خَبِيرِ تُعَادِنِي، فهذا أَوَانُ قَطَعْتَ أَبْهَرِي»^(٢) وكان يَنْفُثُ منها مثل عَجَمِ الزَّيْبِيب. وتُعَادِنِي، أي: تَعْتَادِنِي المرأة بعد

(١) انظر البخاري (٢٠٩/١٠) وأبو داود (٤٥٠٩) والدارمي (٣/١) وأحمد (٤٥١/٢).

(٢) أخرجه البيهقي (١١/١٠) والبخاري (٩٩/٨) معلقًا. وأبو داود (٤٥١٠).

رجوع الرسول إلى المدينة:

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فحاصر أهله ليالي، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

مقتل غلام للرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: فحدثني ثور بن زيد، عن سالم، مولى عبد الله بن مطيع، عن أبي هريرة، قال: فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى نزلنا بها أصيلاً مع مغرب الشمس، ومع رسول الله ﷺ غلام له أهده له رفاعاً بن زيد الجذامي، ثم الضبيي.

قال ابن هشام: جذام، أخو لحم.

قال: فوالله إنه ليضع رخل رسول الله ﷺ إذ أتاه سَهْم غَزَب فأصابه فقتله، فقلنا: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلأ، والذي نفس محمد بيده، إن شملته الآن لتحترق عليه في النار، كان غُلَّها من فيء المسلمين يوم خيبر». قال: فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: يا رسول الله، أصبتُ شراكين لنعلين لي، قال: فقال: يُقَدِّ لك مثلهما من النار.

أمر ابن مغفل والجرب:

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مَعْقِل المُرَني، قال: أصبتُ من فيء خيبر جَرَابَ شَحْم، فاحتملته على عاتقي إلى رخلي وأصحابي. قال: فلقيني

المرّة، قال الشاعر:

أَلَا قِي مِنْ تَذْكَرَ آلَ لَيْلَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ
وَالْأَبْهَرُ: عِرْقُ مُسْتَبِطِنِ الْقَلْبِ. قال ابن مَعْقِل:

وَلِلْفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ لَذَمَ الْوَلِيدِ وَرَاءَ الْعَيْبِ بِالْحَجَرِ

وقد روى مَعْمَرُ بن راشدٍ في جامعِهِ عن الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَسْلَمْتُ فتركها النبي ﷺ - قال معمر: هكذا قال الزُّهْرِيُّ: أَسْلَمْتُ، والناس يقولون: قتلها، وأنها لم تُسَلِّم، وفي جامع مَعْمَرِ بن رَاشِدٍ أَيْضًا أَنَّ أُمَّ بَشِيرَ بن البراء قالت للنبي ﷺ في المرض الذي مات منه ما تَتَّهِمُ يا رسول الله، فلاني لا أتهم ببشرٍ إلا الأكلَّة التي أكلها معك بخيبر، فقال: وأنا لا أتهم بنفسي إلا ذلك، فهذا أوانُ قَطَعْتَ أَبْهَرِي.

صاحب المغانم الذي جعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلم هذا نقسمه بين المسلمين، قال: قلت: لا والله لا أعطيكه، قال: فجعل يُجاذبني الجراب. قال: فرأنا رسول الله ﷺ ونحن نضع ذلك. قال: فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً، ثم قال لصاحب المغانم: لا أباك لك، خل بينه وبينه، قال: فأرسله، فانطلقت به إلى رجلي وأصحابي، فأكلناه.

أبو أيوب يحرس الرسول ﷺ ليلة بنائه بصفية

قال ابن إسحاق: ولما أغرس رسول الله ﷺ بصفية، تخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جمعتها لرسول الله ﷺ، ومسطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك. فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النجار متوشحاً سيفه، يحرس رسول الله ﷺ، ويطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله ﷺ، فلما رأى مكانه قال: ما لك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهاً وزوجها وقومها، وكانت حديثاً عهد بكفر، فخفتها عليك. فزعموا أن رسول الله ﷺ، قال: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني».

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر، فكان ببعض الطريق، قال من آخر الليل: من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟ قال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك. فنزل رسول الله ﷺ، ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلّى ما شاء الله عز وجل أن يصلي ثم استند إلى بغيره، واستقبل الفجر يرمقه، فغلبته عينه، فنام، فلم يوقظهم إلا مس الشمس، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب، فقال: «ماذا صنعت بنا يا بلال؟» قال: يا رسول الله، أخذ بنفسى الذي أخذ بنفسك، قال: «صدقت»، ثم اقتاد رسول الله ﷺ بغيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ، وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلم أقبل على الناس، فقال: «إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها»، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

شعر ابن لُقَيْم في فتح خيبر:

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ، فيما بلغني، قد أعطى ابن لُقَيْم العَبْسِي، حين افتتح خَيْبَر، ما بها من دَجاجة أو داجن، وكان فَتَحَ خَيْبَر في صَفَر، فقال ابنُ لُقَيْم العَبْسِي في خَيْبَر:

رُمِيتْ نَطَاةٌ مِنَ الرُّسُولِ بِقَيْلَقٍ	شَهْبَاءُ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَارٍ
وَاسْتَيْقَنْتَ بِالذَّلِّ لِمَا شُيِّعَتْ	وَرَجَالُ أَسْلَمٍ وَشَطْهَاءُ وَغِفَارٍ
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرُو بْنِ زُرْعَةَ غُدُوَّةَ	وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بَنَاهَارٍ
جَزَتْ بِأَبْطَحِهَا الذِّيُولُ فَلَمْ تَدَعِ	إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الْأَسْحَارِ
وَلِكُلِّ حِضْنٍ شَاغِلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ	مِنْ غَبَدٍ أَشْهَلَ أَوْ بَنِي النَّجَّارِ
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ اغْلَمُوا سِمَاهُمْ	فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يَثُورُوا لِفِرَارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لِيُغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ	وَلِيَثُورِينَ بِهَا إِلَى أَضْفَارِ
فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعَى	تَحْتَ الْعَجَاجِ غَمَائِمَ الْأَبْصَارِ

قال ابن هشام: فَرَّتْ: كَشَفَتْ، كما تُفَرِّ الذَّابَّةُ بالكشف عن أسنانها، يريد كَشَفَتْ عن جُفُونِ الْعُيُونِ غَمَائِمَ الْأَبْصَارِ، يريد الأنصار.

حديث المرأة الغفارية

قال ابن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من نساء المسلمين، فَرَضَخَ لهنَّ رسولُ الله ﷺ من الْفَيِّءِ، ولم يضرب لهنَّ بسهم.

حول حديث المرأة الغفارية

فصل: وذكر حديث الغِفَارِيَّةِ التي شَهِدَتْ خَيْبَرَ، ولم يُسَمَّها، وقد يقال: اسمُها لَيْلَى، ويقال: هي امرأةُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، وقولها: رَضَخَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَضْلُ الرُّضْخِ أَنْ تَكْسِرَ مِنَ الشَّيْءِ الرُّطْبِ كِسْرَةً فَتَغْطِبُهَا، وأما الرُّضْخُ بالحاء المهملة، فَكَسْرُ الْيَابِسِ، الصُّلْبِ، قال الشاعر:

كما تَطَايِرُ عَنْ مِرْضَاحِهِ الْعَجَمُ

قال ابن إسحاق: حدثني سليمان بن سُحَيْم، عن أُمَيَّة بن أَبِي الصلت، عن امرأة من بني غِفَار، قد سَمَّاهَا لي، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نِسْوة من بني غِفَار، فقلنا: يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خَيْبَر، فنُداوي الجَرْحَى، ونُعِين المسلمِينَ بما اسْتَطعنا، فقال: على بَرَكةِ الله. قالت: فخرجنا معه، وكنت جارية حَدَثَة، فأزْدَفني رسولُ الله ﷺ على حَقِيبة رَحْله. قالت: فوالله لنزل رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبْح وأناخ، ونزلت عن حَقِيبة رَحْله، وإذا بها دَمٌ مِنِّي، وكانت أَوَّلَ حَيْضَة حَضَّتْهَا، قالت: فَتَقَبَّضْتُ إلى الناقَة واستَحْيَيْتُ، فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما بي ورأى الدَّم، قال: «ما لك؟ لعلك نُفِسْتِ»، قالت: قلت: نعم، قال: «فاصلحي من نفسك، ثم خُذِي إِنْاء من ماء، فاطْرَحِي فيه مِلْحًا، ثم اغْسِلِي به ما أَصاب الحَقِيبة من الدَّم، ثم عودي لِمَرْكَبِك».

قالت: فلما فتح رسولُ الله ﷺ خَيْبَر، رَضَخَ لنا مِن الفَيءِ، وأخذ هذه القِلادة التي تَرَيْنَ في عُنُقِي فأعطانيها، وعلَّقها بيده في عُنُقِي، فوالله لا تُفارقني أَبَدًا.

قالت: فكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تُدْفَنَ معها. قالت: وكانت لا تَطْهَرُ من حَيْضَة إِلَّا جعلت في طَهْورِها مِلْحًا، وأوصت به أن يجعل في غُسْلِها حين ماتت.

من أحكام الماء:

وقولها: أمرني أن أجْعَلَ في طَهْورِي مِلْحًا. فيه رَدٌّ على مَنْ زَعَمَ مِنَ الفقهاء أن المِلْحَ في الماءِ إذا غَيَّرَ طَعْمَهُ صَيَّرَهُ مَضَافًا طَاهِرًا غيرَ مُطَهَّرٍ، وفي هذا الحديث ما يدفع قوله: ومن طريق النظر أن المَخَالِطَ للماءِ إذا غَلَبَ على أَحَدِ أوصافه الثلاثة: الطَّعْمُ، أو اللَوْنُ، أو الرائحة، كان حَكْمُ الماءِ كَحَكْمِ المَخَالِطِ له، فإن كان ظاهِرًا غيرَ مُطَهَّرٍ كان الماءُ به كذلك، وإذا كان لا ظاهِرًا ولا مُطَهَّرًا كَالْبَوْلِ كان الماءُ لمخالطته كذلك، وإن كان المَخَالِطُ له ظاهِرًا مُطَهَّرًا كَالترابِ كان الماءُ طَاهِرًا مُطَهَّرًا، والمِلْحُ إن كان ماءً جامدًا، فهو في الأصل طاهرٌ مُطَهَّرٌ، وإن كان معدنيًا تُرابيًّا، فهو كَالترابِ في مخالطة الماءِ، فلا معنى لقول من جعله ناقلاً للماءِ عن حَكْمِ الطهارة والتطهير، ووقع في رواية يونس في السيرة أن النبي ﷺ اغتسل عامَ الفتح من جَفْنَةٍ فيها ماءٌ وكافور، ومَحْمَلُ هذه الرواية عندي إن صَحَّتْ على أنه قَصْدُ بها التَطْيِيبُ، وأنه لم يكن مُخَدِّثًا، ولأبي حَنِيفَةَ في هذه الرواية مُتَعَلِّقٌ لِتَرْخِيصِهِ.

شهداء خبير

قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد بخبير من المسلمين، من قُريش ثم من بني أمية بن عبد شمس، ثم من حلفائهم: ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة بن عمرو بن لَكَيْز بن عامر بن عَنَم بن دُودان بن أسد، وَثَقِيف بن عمرو، وَرِقَاعَة بن مَسْرُوح.

ومن بني أسد بن عبد العُزَى: عبد الله بن الهُبَيْب، ويقال: ابن الهَبِيب، فيما قال ابن هشام، بن أَهْبَب بن سُحَيْم بن غَيْرَة، من بني سعد بن ليث، حليف لبني أسد، وابن أختهم.

ومن الأنصار ثم من بني سلمة: بِشْر بن البراء بن مَعْرُور، مات من الشاة التي سُم فيها رسولُ الله ﷺ: وَفُضَيْل بن النعمان. رجلان.

ومن بني زُرَيْق: مسعود بن سَعْد بن قيس بن خَلْدَة بن عامر بن زُرَيْق.

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل: محمود بن مَسْلَمَة بن خالد بن عدي بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة.

ومن بني عمرو بن عوف: أبو ضِيَّاح بن ثابت بن الثُّعْمَان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، والحارث بن حاطب؛ وعروة بن مُرَّة بن سُرَاقَة، وأَوْس بن القائد، وَأَنْبَيْف بن حُبَيْب، وثابت بن أَثْلَة، وطلحة.

ومن بني غِفَار: عُمارة بن عَقْبَة، رمى بسهم.

من شهداء خبير

وذكر فيمن استشهد بَخَيْبَر: أبا الضَّيَّاح بن ثابت، ولم يُسَمَّه، وقال الطبري: اسمه الثُّعْمَان بن ثابت بن النعمان، وقال غيره: اسمه عُمَيْر.

وذكر فيمن استشهد: عامر بن الأَكْوَع، وهو الذي رجع عليه سيفه فقتله، فشك الناس فيه، فقالوا: قتله سلاحه، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «إِنَّه جَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، وَقَلٌّ عَرَبِيٌّ، مُشَابِهٌ مِثْلَهُ»، وفي رواية: مَشَى به مثله، وَيُرْوَى أَيْضًا: نَشَأَ بها مثله، كل هذا يُرْوَى في الجامع الصحيح، وهذا اضطرابٌ من رُوَاة الكتاب، فمن قال: مشى بها مثله فالحاء عائدة على المدينة، كما تقول: ليس بين لَابِتَيْنِ مثلُ فلان، يقال: هذا في المدينة، وفي الكُوَيْتِ، ولا يقال: في بلد ليس حوله لَابِتَانِ، أي: حَرَّتَانِ، ويجوز أن تكون الهاء عائدة على الأرض، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

ومن أسلم: عامر بن الأكوع، والأسود الراعي، وكان اسمه أسلم.

قال ابن هشام: الأسود الراعي من أهل خيبر.

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهري، من بني زهرة: مسعود بن ربيعة، حليف لهم من القارة.

ومن الأنصار بني عمرو بن عوف: أوس بن قتادة.

أمر الأسود الراعي في حديث خيبر:

قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسود الراعي، فيما بلغني: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم له، كان فيها أجيرًا لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، اعرض علي الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم - وكان رسول الله ﷺ لا يخبر أحدًا أن يدعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال: يا رسول الله، إني كنت أجيرًا لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال: «اضرب في وجوهها فإنها سترجع إلى ربها» - أو كما قال - فقال الأسود: فأخذ حَفْنَةً من الحصى فرمى بها في وجوهها، وقال: «ارجعي إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك أبدًا»، فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها، حتى دخلت الحصن، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى الله صلاة قط، فأُتِيَ به رسول الله ﷺ، فوضع خلفه، وسُجِّي بِشِمْلَةٍ كانت عليه، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لِمَ أعرضت عنه؟ قال: «إن معه الآن رَوْجَتِيَه من الحور العين».

الحال من التكررة:

ومن رواه مُشَابِهًا مُفَاعِلًا من الشَّبه، فهو حَالٌ من عَرَبِي، والحال من التكررة لا بأس به إذا دَلَّتْ على تَضْجِيع مَعْنَى كما جاء في الحديث: فَصَلَّى خَلْفَهُ رَجُلًا قِيَامًا. الحَالُ هَاهُنَا مُصَحَّحَةٌ لِفَهْمِ الحديث، أي: صَلُّوا في هذه الحال، ومن احتج في الحال من التكررة بقولهم: وقع أمرٌ فَنَجَّأَ، فلم يصنع شَيْئًا، لأن فَنَجَّأَ، ليس حالًا من أمرٍ، إنما هو حَالٌ من الوقوع، كما تقول: جاءني رجل مَشِيًا، فليس مَشِيًا حَالٌ من رجل، كما توهّموا، وإنما هي حَالٌ من المجيء لأن الحال هي صاحبُ الحال، وتنقسم أقسامًا: حَالٌ من فاعل كقولك: جاء زيدٌ مَشِيًا، وحال من الفِعْل، كقولك: جاء زيدٌ مَشِيًا وَرَكْضًا، وحال من المفعول، كقولك: جاءني القومُ جَالِسًا، فهي صفة المفعول في وقت وقوع الفعل عليه، أو صفة الفاعل في وقت وقوع الفعل منه، أو صفة الفعل في وقت وقوعه ونعني بالفعل: المصدر.

قال ابن إسحاق: وأخبرني عبد الله بن أبي نجيح أنه ذكر له: أن الشهيد إذا ما أُصيب تدلّت (له) زوجته من الحُور العين، عليه تنفضان التراب عن وجهه، وتقولان: تَرَبَّ الله وجهه من ترابك، وقتل مَنْ قتلَكَ.

أمر الحجاج بن علاط السلمي

قال ابن إسحاق: ولما فُتحت خيبر، كلّم رسول الله ﷺ، الحجاج بن علاط السلمي، ثم البهزي، فقال: يا رسول الله، إن لي بمكة مالا عند صاحبتني أم شينة بنت أبي طلحة - وكانت عنده، له منها مَغْرَضُ بن الحجاج ومال متفرق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله، فأذن له، قال: إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول، قال: قل قال الحجاج: فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بئيتة البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قَرْيَةُ الحجاز، ريفًا ومَنعة ورجالا، فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط - قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي، عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز، قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسرّكم، قال: فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حجاج، قال: قلت: هُزِمَ هزيمة لم يسمعوا بمثلها قط، وقُتِلَ أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسرا، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن

حديث الحجاج بن علاط

فصل: وذكر حديث الحجاج بن علاط السلمي: وقد ذكرنا في حديث إسلامه خبرا عجيبا اتفق له مع الجن، وهو والد نضر بن حجاج الذي حلق عمر رأسه، ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه:

أَلَا سَبِيلَ إِلَى خَيْرٍ فَأَشْرَبَهَا أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى نَضْرٍ بِنِ حَجَّاجٍ

وهذه المرأة هي الفَزَيْعَةُ بنت هَمَام، ويقال: إنها أم الحجاج بن يوسف، ولذلك قال له عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر: يا ابن المُتَمَنِّية، وكان من أحسن الناس لِمَةً ووجهاً، فأتى الشام، فنزل على أبي الأعور السلمي، فهويته امرأته، وهواها، وفطن أبو الأعور لذلك بسبب يطول ذكره، فابتنى له قُبَّةً في أقصى الحَيِّ، فكان بها، فاشتد ضناه بالمرأة، حتى مات كَلَفًا بها، وسُمِّيَ الْمُضْنَى وضربت به الأمثال. وذكر الأصبهاني في كتاب الأمثال له خبره بطوله.

يُقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غُرمائي، فإني أريد أن أقدم خبير، فأصيب من قُل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك.

قال ابن هشام: ويقال: من فيء محمد.

قال ابن إسحق: قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأخث جَمْع سمعت به. قال: وجئت صاحبتى فقلت، مالي، وقد كان لي عندها مال موضوع، لعلني ألحق بخبير، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار، قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر، وجاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم. قال: قلت: فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء فإني في جَمْع مالي كما ترى، فانصرف عني حتى أفرغ. قال: حتى إذا فرغتُ من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعتُ الخروج، لقيت العباس، فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثًا، ثم قل ما شئت، قال: أفعل. قلت: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسًا على بنت مَلِكهم يعني صفية بنت حُيَيّ، ولقد افتتح خبير، وانتثل ما فيها، وصارت له ولأصحابه، فقال: ما تقول يا حجاج؟ قال: قلت: إي والله فاكتم عني، ولقد أسلمتُ وما جئتُ إلا لآخذ مالي، فَرَقًا من أن أُغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب، قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلّة له، وتحلّق، وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رآه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلّد لحزّ المصيبة، قال: كلاً، والله الذي حلّفتُم به، لقد افتتح محمد خبير وتُرك عروسًا على بنت مَلِكهم، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبح له ولأصحابه، قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مُسلمًا، فأخذ ماله، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه، فيكون معه. قالوا: يا لباد

وقوله: الحجاج بن علاط، والعلاط وَشَم في العنق، ويقال له: العُلْطَة أيضًا، وقوله للنبي ﷺ: لا بُد لي أن أقول، فقال له: «قل»، يعني التَّكْذُوب، فأباحه له، لأنه من خُدَع الحزب، وقال: المُبرّد: إنما صوابه: أَتَقُول إذا أردت معنى التَّكْذُوب، وأخذ هذا المعنى حبيب فقال:

بَحْسِبِ امْرِئٍ أَتْنِي عَلَيْكَ بِأَنَّهُ يَقُول، وَإِنْ أَزْبَى فَلَا يَتَقَوَّلُ
أي: يقول الحق إذا مدحك، وإن أفرط فليس إفراطه بتَقَوَّل.

الله! انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، قال: ولم يَنْشَبُوا أن جاءهم الخبر بذلك.

شعر حسان عن خبير:

قال ابن إسحق: وكان مما قيل من الشعر في يوم خبير قول حسان بن ثابت:
 بِئْسَمَا قَاتَلْتَ خَيَابِرَ عَمَّا جَمَعُوا مِنْ مَزَارِعِ وَنَخِيلِ
 كَرِهُوا الْمَوْتَ فَاسْتُبِيحَ جَمَاهُمْ وَأَقْرَؤُوا فِغْلَ اللَّثِيمِ الدَّلِيلِ
 أَمِنَ الْمَوْتَ يَهْرَبُونَ فَإِنَّ أَلَّ مَوْتَ مَوْتَ الْهَزَالِ غَيْرُ جَمِيلِ

حسان يعتذر عن أيمن

وقال حسان بن ثابت أيضاً، وهو يعتذر أيمن ابن أم أيمن بن عبيد، وكان قد تخلف

تفسير أولى لك:

وذكر غير ابن إسحق في حديث حجاج أن قُرَيْشًا قالت: حين أَفْلَتْهُمُ: أولى له، وهي كلمة معناها: الوعيد، وفي التنزيل: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤]، فهي على وزن أَفْعَل، من وَلِيَ أي: قد وَلَّيَهُ الشُّرُّ، وقال الفارسي: هي اسم علم ولذلك لم ينصرف، وجدت هذا في بعض مسائله، ولا تَنْضِحُ لي العَلَمِيَّةُ في هذه الكلمة، وإنما هو عندي كلامٌ حُذِفَ منه، والتقدير: الذي تصير إليه من الشر أو العقوبة أولى لك، أي: ألزم لك، أي: إنه يَلِيكَ، وهو أولى لك، ممَّا قَرَزْتَ منه، فهو في موضع رفع، ولم ينصرف لأنه وَضَفَ على وزن أَفْعَل، وقول الفارسي: هو في موضع نَضْبٍ جعله من باب تَبَّأ له، غير أنه جعله عَلَمًا لما رآه غير مُتَوَّنٍ.

أم أيمن

فصل: وذكر شِغَرَ حَسَّان في ابن أم أيمن، واسم أبيه عُبَيْدٌ، واسم أمه أم أيمن بَرَكَةُ، وهي أم أُسَامَةَ بن زَيْد، يقال لها: أم الطُّبَاءِ، قال الواقدي: اسمها بَرَكَةُ بنت ثَعْلَبَةَ [ابن عمرو بن حصن بن مالك بن مسلمة بن عمرو بن النعمان] وكانت أمة لعبد الله بن عبد المطلب، وكان النبي ﷺ يقول: «أُمُّ أَيْمَنٌ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي»، ويقال: كانت لَأَمْنَةَ بنتِ وَهَبٍ أم النبي - ﷺ - وهي التي هاجرت على قَدَمَيْهَا من مَكَّةَ إلى المدينة، وليس معها أحد، وذلك في حَرٍّ شَدِيدٍ، فَعَطِشَتْ، فسمعت حَفِيْفًا فوق رأسها، فالتفت، فإذا دَلْوٌ قد أَذْلَيْتَ لها من السَّمَاءِ فَشَرِبَتْ منها، فلم تَظْمَأْ أبدًا، وكانت تَتَعَهَّدُ الصَّوْمَ في حَمَارَةِ الْقَيْظِ، لِتَغِطِّشَ فلا

عن خيبر، وهو من بني عوف بن الخزرج، وكانت أمه أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، وهي أم أسامة بن زيد، فكان أخا أسامة لأمه:

على حين أن قالت لأيمَنَ أمه جَبُنْتُ ولم تشهد فوارسَ خَبيـر
وأيمَنُ لم يجبُنْ ولكنَّ مُهره أَضَرَّ به شُرْبُ المَديدِ المَحْمَر
ولولا الذي قد كان من شأن مُهره لَقَاتِلَ فيهم فارسًا غيرَ أعسر
ولكنه قد صدّه فعل مُهره وما كان منه عنده غيرَ أيسر
قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك، وأنشدني:

ولكنه قد صدّه شأنُ مُهره وما كانَ لولا ذاكُم بمُقَصِّر

شعر ناجية في يوم خيبر:

قال ابن إسحق: وقال ناجية بن جندب الأسلمي:

يا لِعبادِ الله فيمَ يُزْعَبُ ما هُوَ إلا مأكُلٌ ومَشْرَبُ
وَجَنَّةٌ فيه نعيمٌ مُعْجَبُ

وقال ناجية بن جندب الأسلمي أيضًا:

أنا لِمَن أنكَرني ابنُ جُنْدَبٍ يا رَبِّ قِرْنِ في مَكْرِي أنْكَبِ
طاحَ بمغْدَى أنْسرٍ وتَغْلَبِ

تَغَطَّشَ وكان النبي - ﷺ - يزورها، وكان الخليفةان يزورانها بعده، وقد روي مثل قصتها عن أم شريك الدؤيبية أنها عَطِشَتْ في سفر فلم تجد ماءً إلا عند يهودي، وأبى أن يسقيها إلا أن تدين بدينه فأبَتْ إلا أن تموت عطشًا، فذَلَّيْتُ لها دَلْوً من السماء فشربت، ثم رُفِعَت الدَّلْوُ، وهي تنظر. ذكر خبرها ابنُ إسحق في السيرة من غير رواية ابن هشام، وهو أطول مما ذكرناه.

وقول حسان:

وأيمَنُ لم يجبُنْ ولكن مُهره أَضَرَّ به شُرْبُ المَديدِ المَحْمَر

المديد: وقع في الأصل، وهو معروف، ولكن أَلْفَيْتُ في حاشية الشيخ عن ابن دُرَيْدٍ: المَريد براء، والمَريس أيضًا، وهو تَمَرٌ يُتَّقَعُ ثم يُمَرَسُ وأنشد:

مُسْتَقَات تُسْقَى ضَيَاحَ المَريد

قال ابن هشام: وأنشدني بعض الرواة للشعر قوله: «في مَكْرِي»، و «طاح بمَعْدَى».

شعر كعب في يوم خيبر:

وقال كعب بن مالك في يوم خيبر، فيما ذكر ابن هشام، عن أبي زيد الأنصاري:

ونحن وَرَدْنَا خَيْبَرًا وَقُرُوضَهُ	بكلِّ قَتَى عَارِي الأشاجِعِ مَذُودِ
جَوَادٍ لَذي الغَايَاتِ لَا وَاهِنِ الْقَوَى	جَرِيءٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
عَظِيمِ رَمَادِ الْقَدْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ	ضَرْوِبِ بِنَصْلِ الْمَشْرِفِيِّ الْمُهْتَدِ
يَرَى الْقَتْلَ مَذْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً	مِنْ اللَّهِ يَرْجُوهَا وَقُورًا بِأَحْمَدِ
يَذُودُ وَيُخْمِي عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ	وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيبُهُ	بِجُودِ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ
يَصَدِّقُ بِالْأَنْبِيَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا	يُرِيدُ بِذَاكَ الْفُوزَ وَالْعِزَّ فِي غَدِ

أبو أيوب في حراسة النبي ﷺ:

وذكر قول النبي ﷺ لأبي أيوب حين بات يحرسه: «حَرَسَكَ اللَّهُ يَا أبا أَيُّوبَ، كَمَا بَتَّ تحرس نبيه».

قال المؤلف: فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة، حتى إن الروم لَتَحْرُسَ قَبْرَهُ، وَيَسْتَسْقُونَ به، وَيَسْتَصْبِحُونَ، وذلك أنه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمس، فلما بلغوا القُسْطَنْطِينِيَّةَ مات أبو أيوب هنالك، وأوصى يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم، فركب المسلمون، ومَشَوْا به حتى إذا لم يجدوا مساعًا، دفنوه، فسألتهم الروم عن شأنهم، فأخبروهم أنه كبير من أكابر الصحابة، فقالت الروم ليزيد ما أَحْمَقَكَ وَأَحْمَقَ مَنْ أَرْسَلَكَ أَمِنْتُ أَنْ تُنْبِشَهُ بَعْدَكَ، فَتُخْرِقَ عِظَامُهُ، فأقسم لهم يزيد لئن فَعَلُوا ذلك لَتَهْدِمَنَّ كُلَّ كَنِيسَةٍ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، وَلَتَنْبِشَنَّ قُبُورَهُمْ، فحينئذ حلفوا لهم بدينهم لَيَكْرُمَنَّ قَبْرَهُ، وَلَيَحْرُسْنَهُ مَا اسْتَطَاعُوا، فروى ابن القاسم عن مالك، قال: بلغني أن الروم يَسْتَسْقُونَ بِقَبْرِ أَبِي أَيُّوبَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَيَسْقُونَ.

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أموال خيبر، على الشَّقِّ ونطاة والكَتِيبَةِ، فكانت الشَّقُّ ونطاة في سُهْمَانِ المسلمين، وكانت الكَتِيبَةُ خُمْسَ الله، وسهم النبي ﷺ، وسهم ذوي الْقُرْبَى واليَتَامَى والمساكين، وطُعْمَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وطُعْمَ رِجَالٍ مَشَوْا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَهْلِ فَدَكٍ بِالصَّلَحِ؛ مِنْهُمْ مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ شَعِيرٍ، وَثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ، وَقُسِمَتْ خَيْبَرُ عَلَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ، مَنْ شَهِدَ خَيْبَرَ، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَلَمْ يَغِبْ عَنْهَا إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ، فَقَسَمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَسَهْمِ مَنْ حَضَرَهَا، وَكَانَ وَاذِيَاها، وَوَادِي السَّرِيرَةِ، وَوَادِي خَاصٍ، وَهُمَا اللَّذَانِ قُسِمَتْ عَلَيْهِمَا خَيْبَرُ، وَكَانَتْ نَطَاةُ وَالشَّقُّ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَهْمًا، نَطَاةُ مِنْ ذَلِكَ خَمْسَةُ أَسْهُمٍ، وَالشَّقُّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سَهْمًا، وَقُسِمَتْ الشَّقُّ وَنَطَاةُ عَلَى أَلْفِ سَهْمٍ، وَثَمَانِمِائَةِ سَهْمٍ.

مَنْ قُسِمَتْ عَلَيْهِمْ خَيْبَرُ:

وكانت عِدَّةُ الَّذِينَ قُسِمَتْ عَلَيْهِمْ خَيْبَرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ سَهْمٍ وَثَمَانِمِائَةِ سَهْمٍ، بَرَجَالَهُمْ وَخَيْلَهُمْ، الرِّجَالُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً وَالْخَيْلُ مِائَتَا فَارَسٍ، فَكَانَ لِكُلِّ فَرَسٍ سَهْمَانِ، وَلِفَارَسِهِ سَهْمٌ، وَكَانَ لِكُلِّ رَاجِلٍ سَهْمٌ؛ فَكَانَ لِكُلِّ سَهْمٍ رَأْسٌ جَمِيعٍ إِلَيْهِ مِائَةُ رَجُلٍ، فَكَانَتْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَهْمًا جُمِعَ.

قال ابن هشام: وفي يوم خَيْبَرَ عَرَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَرَبِيَّ مِنَ الْخَيْلِ، وَهَجَّنَ الْهَجِينَ.

قال ابن إسحاق: فكان علي بن أبي طالب رأسًا، والزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ، أَخُو بَنِي الْعَجْلَانِ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَسَهْمُ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَسَهْمُ نَاعِمٍ، وَسَهْمُ بَنِي بَيَاضَةَ، وَسَهْمُ بَنِي عُبَيْدٍ، وَسَهْمُ بَنِي خَزَامٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَعُبَيْدِ السَّهَامِ.

قسم أموال خيبر وأراضيها

أَمَّا قَسْمُ غَنَائِمِهَا، فَلَا خِلَافَ فِيهِ وَفِي كُلِّ مَغْنَمٍ بَنَصُّ الْقُرْآنِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ، وَأَمَّا أَرْضُهَا، فَقَسَمَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ مَنْ حَضَرَهَا مِنْ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَأَخْرَجَ الْخُمْسَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي مَعْنَى: اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ، وَمَا مَعْنَى سَهْمِ اللَّهِ، وَسَهْمِ الرَّسُولِ، وَلَوْلَا الْخُرُوجُ عَمَّا صَدَدْنَا إِلَيْهِ لَذَكَّرْنَا سِرًّا

قال ابن هشام: وإنما قيل له عُبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر، وهو عُبيد بن أوس، أخذ بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

قال ابن إسحق: وسهم ساعدة وسهم غفار وأسلم، وسهم النجار وسهم حارثة، وسهم أوس. فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام، وهو الخوق وتابعه الشزير، ثم كان الثاني سهم بياضة، ثم كان الثالث سهم أسيد، ثم كان الرابع سهم بني الحارث بن الخزرج، ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم، وفيه قُتل محمود بن مسلمة، فهذه نطاة.

ثم هبطوا إلى الشق، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدي، أخي بني العجلان، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف، ثم سهم ساعدة، ثم سهم النجار، ثم سهم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، ثم سهم طلحة بن عبيد الله، ثم سهم غفار وأسلم، ثم سهم عمر بن الخطاب، ثم سهم سلمة بن عبيد وبني حرام، ثم سهم حارثة، ثم سهم عُبيد السهام، ثم سهم أوس، وهو سهم اللفيف، جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب، وكان حذوه سهم رسول الله ﷺ، الذي كان أصابه في سهم عاصم بن عدي.

بديعاً وفقهاً عجباً في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ باللام، ولم يقل ذلك في التامى والمساكين، وقال: وللرسول، وقال في أول السورة: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وقال في آية الفئء: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ ولم يقل: رسوله، وكل هذا لحكمة، وحاشا لله أن يكون حرف من التنزيل خالياً من حكمة. وقال أبو عُبيد في كتاب الأموال: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْضَ خَيْبَرَ أَثْلَاثًا أَثْلَاثًا، السُّلَالِمَ وَالْوُطَيْحَ وَالْكُتَيْبَةَ، فإنه تركها لنواب المسلمين وما يعرفوهم، وفي هذا ما يقوي أن الإمام مَخَيَّرَ في أرض العنوة إن شاء قسمها أخذاً بقول الله سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية فيجريها مجرى الغنيمة، وإن شاء وقفها كما فعل عمر - رضي الله عنه - أخذاً بقول الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاستوعبت آية الفئء جميع المسلمين، ومن يأتي بعدهم، فسمي آية القرى قِيًّا وسمي الأخرى غنيمة، فدل على افتراقهما في الحكم، كما افترقا في التسمية، وكما اختلف الفقهاء في هذه المسألة على أقوال منهم: مَنْ يرى قَسَمَ الْأَرْضِ كما فعل النبي ﷺ بخيبر، وهو قول الشافعي، ومنهم من يراها وقفاً على المسلمين لَبَيْتِ مالهم، ومنهم من يقول بتخيير الإمام في ذلك، فكَذَلِكَ افترق رأيي

ثم قَسَمَ رسولُ الله ﷺ الكَتِيبَةَ، وهي وادي خاص، بين قرابته وبين نسائه، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها، فقسم رسولُ الله ﷺ لفاطمة ابنته مائتي وَسَق، ولعلي بن أبي طالب مائة وَسَق، ولأسامة بن زيد مائتي وَسَق، وخمسين وَسَقًا من نوى، ولعائشة أم المؤمنين مائتي وَسَق، ولأبي بكر بن أبي قُحافة مائة وَسَق، ولعقيل بن أبي طالب مائة وَسَق وأربعين وَسَقًا، ولبني جعفر خمسين وَسَقًا، ولربيعه بن الحارث مائة وَسَق، وللصُّلْت بن مَخْرَمَة وابنيه مائة وَسَق، وللصُّلْت منها أربعون وَسَقًا، ولأبي نَبِقة خمسين وَسَقًا ولرُكَّانة بن عبد يزيد خمسين وَسَقًا، ولقَيْس بن مَخْرَمَة ثلاثين وَسَقًا، ولأبي القاسم بن مَخْرَمَة أربعين وَسَقًا، ولبنات عُبَيْدَة بن الحارث وابنه الحُصَيْن بن الحارث مائة وَسَق، ولبني عُبيد بن عبد يزيد ستين وَسَقًا، ولابن أوس بن مَخْرَمَة ثلاثين وَسَقًا، ولمِسْطَح بن أثانة وابن إلياس خمسين وَسَقًا، ولأُم رُمَيْثَة أربعين وَسَقًا، ولنُعَيْم بن هند ثلاثين وَسَقًا، ولُبْحَيْنَة بنت الحارث ثلاثين وَسَقًا، ولعُجَيْر بن عبد يزيد ثلاثين وَسَقًا، ولأُم الحَكَم ثلاثين وَسَقًا، ولجُمَانَة بنت أبي طالب ثلاثين وَسَقًا، ولابن الأزقم خمسين وَسَقًا، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وَسَقًا، ولحمْنَة بنت جَحْش ثلاثين وَسَقًا، ولأُم الزبير أربعين وَسَقًا، ولضباعة بنت الزبير أربعين وَسَقًا، ولابن أبي حُنَيْس ثلاثين وَسَقًا، ولأُم طالب أربعين وَسَقًا، ولأبي بضره عشرين وَسَقًا، ولثَمِيلَة الكَلْبِي خمسين وَسَقًا، ولعبد الله بن وَهَب وابنتيه تسعين وَسَقًا، لابنيه منها أربعين وَسَقًا، ولأُم حبيب بنت جَحْش ثلاثين وَسَقًا، ولمَلَكُو بن عُبْدَة ثلاثين وَسَقًا، ولنسائه ﷺ سبع مائة وَسَق.

قال ابن هشام: قَمَحٌ وشعير وتمر ونَوَى وغير ذلك، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر، ولهذا أعطاهم أكثر.

الصحابة عند افتتاح البلاد، فكان رأيُ الزُّبَيْرِ القَسَم، فكلَّم عُمَرُو بن العاصي حين افتتح مصر في قَسَمِهَا فكتب عُمَرُو بذلك إلى عُمَر بن الخطاب، فكتب إليه عمر: أن دَعُهَا، ولا تَقْسِمَهَا، حتى يجاهد منها حَبَلُ الحَبْلَة، وقد شرحنا هذه الكلمة في المَبْعَث قبل هذا بأجزاء، وكذلك استأمر عُمَرُو - رضي الله عنه - الصحابة في قَسَم أرض السَّوَاد حين افْتَتِحَتْ، فكان رأيُ عَلِيٍّ مع رأي عُمَرُو - رضي الله عنهما - أن يَقِفَهَا، ولا يَقْسِمَهَا، وأَرْضُ السَّوَادِ أولها من نُحُومِ المَوْصِلِ مدايحُ الماء إلى عِبَادَانٍ من السَّاحِلِ عن يَسَارِ دِجْلَة، وفي العَرَضِ من جِبَالِ حُلُوانَ إلى القَادِسِيَّةِ مُتَّصِلًا بِالْعَذِيبِ من أَرْضِ العَرَبِ، كذا قال أبو عُبَيْدٍ، وكانت العرب تقول: ذَلَعَ البَرُّ لِسَانَهُ فِي السَّوَادِ، لأن الأَرْضَ القَادِسِيَّةَ كَلَسَانِ فِي البَرِيَةِ دَاخِلٍ فِي سَوَادِ العِرَاقِ، حكاها الطبري.

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمع خبير:

قسم لهن مائة وسق وثمانين وسقًا، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقًا، ولأسامة بن زيد أربعين وسقًا، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقًا، ولأم رُمَيْثَةَ خمسة أوسق.

شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب.

وصاة الرسول عند موته:

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: لم يوص رسول الله ﷺ عند موته إلا بثلاث، أوصى للرّهاويين بجاذ مائة وسق من خبير، وللداريين بجاذ مائة وسق من خبير، وللسبائيين، وللأشعرين بجاذ مائة وسق من خبير، وأوصى بتفئذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة، وألا يترك بجزيرة العرب دينان.

ولما سار عمرُ إلى الشام، وكان بالجابية شاور فيما افتتح من الشام: أيقسمها؟ فقال له معاذ: إن قسمتها لم يكن لمن يأتي بغد من المسلمين شيء، أو نحو هذا، فأخذ بقول معاذ، فألح عليه بلالٌ في جماعة من أصحابه، وطلبوا القسم، فلما أكثروا، قال: اللهم اكفني بلالاً وذويه، فلم يأت الحول، ومنهم على الأرض عين تطرف، وكانت أرض الشام كلها عتوة إلا مدينتها، فإن أهلها صالحوا عليها، وكذلك بيت المقدس فتحها عمر صلحاً بعد أن وجه إليها خالد بن ثابت الفهمي فطلبوا منه الصلح، فكتب بذلك إلى عمر، وهو بالجابية، فقدمها، وقبل صلح أهلها. وأرض السواد كلها عتوة إلا الحيرة فإن خالد بن الوليد صلح أهلها، وكذلك أرض بلقياً^(١) أيضاً صلح، وأخرى يقال لها: الليس. وأرض خراسان عتوة إلا ترمذ، فإنها قلعة مبيعة وقلاع سواها، وأما أرض مضر، فكان الليث بن سَعْدٍ قد افتتن بها مالا وعاب ذلك عليه جماعة منهم يحيى بن أيوب ومالك بن أنس، لأن أرض العتوة لا تُشترى، وكان الليث يزوي عن يزيد بن أبي حبيب، أنها فتحت صلحاً، وكلا الخبرين حق لأنها فتحت صلحاً أول، ثم انتكثت بعد، فأخذت عتوة، فمن ههنا نشأ الخلاف في أمرها، قاله أبو عبيد، وقد احتج من قال بالقسم في أرض العتوة بأن عمر لم يقف أرض السواد

(١) موضع بالنجف دون الكوفة.

أمر فذك في خبر خير:

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خير قذف الله الرعب في قلوب أهل فذك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خير، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصلحونه على النصف من فذك، فقدمت عليه رسلهم بخير، أو بالطائف، أو بعدما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكانت فذك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

تسمية النفر الدارين الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خير:

وهم بنو الدار بن هانيء بن حبيب بن ثمار بن لحم، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام: تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه، ويزيد بن قيس، وعرفة بن مالك، سمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

قال ابن هشام: ويقال: عزة بن مالك، وأخوه مران بن مالك.

قال ابن هشام: مزوان بن مالك.

قال ابن إسحاق: وفاكه بن نعمان، وجبلة بن مالك، وأبو هند بن بر، وأخوه الطيب بن بر، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله.

وغيرها حتى استطاب نفوس المفتّحين لها، وأعطاهم حتى أرضاهم، وزوّوا أن أم كرز البجليّة سألت سهم أبيها في أرض السّوداء، وأبت أن تتركه فنيثا، حتى أعطاها عمر راحلة وقטיפه حمراء وثمانين دينارًا، وكذلك زوّوا عن جرير بن عبد الله البجليّ في سهمه بأرض العراق نحوًا من هذا، وقال من يحتج للفريق الآخر: إنما ترصّى عمر جريرا، لأنه كان نقله تلك الأرض، فكانت ملكًا له، حتى مات، وكذلك أم كرز كان سهم أبيها نقلًا أيضًا، جاءت بذلك كلّ الآثار الثابتة والله المستعان.

أبو نبقة:

وذكر فيمن قسم له يوم خيبر أبا نبقة قسم له خمسين وسقًا، واسمه: علقمة بن المطّلب، ويقال: عبد الله بن علقمة، وقال أبو عمر: هو مجهول، وقال ابن الفريسي: أبو نبقة بن المطّلب بن عبد مناف، واسم أبي نبقة: عبد الله، ومن ولده: محمد بن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبي نبقة، ومن ولده: أبو الحسين المطّليّ إمام مسجد رسول الله ﷺ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نبقة بن المطّلب بن عبد مناف.

فكان رسولُ الله ﷺ، كما حدَّثني عبد الله بن أبي بكر، يبعث إلى أهل خيبر عبدُ الله بن رَواحةَ خارصًا بين المسلمين ويهود، فيُخَرِّصُ عليهم، فإذا قالوا: تعدّيت علينا؛ قال: إن شئتم فلکم، وإن شئتم فلنا، فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض.

وإنما خَرَصَ عليهم عبدُ الله بن رَواحةَ عامًا واحدًا، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله، فكان جبار بن صخر بن أمية ابن خنساء، أخو بني سلمة، هو الذي يخرص عليهم بعد عبد الله بن رَواحة.

فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسًا في معاملتهم، حتى عدّوا في عهد رسولِ الله ﷺ على عبد الله بن سهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني الزهري عن سهل بن أبي خثمة؛ وحدَّثني أيضًا بشير بن يسار، مولى بني حارثة، عن سهل بن أبي خثمة قال: أصيب عبد الله بن سهل بخيبر، وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمرًا، فوجد في عين قد كسرت عنقه، ثم طُرح فيها؛ قال: فأخذوه فغيّبوه، ثم قدّموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له شأنه، فتقدّم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل، ومعه ابنا عمه حويصة ومحيصة ابنا مسعود، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًا، وكان صاحبَ الدم، وكان ذا قدم من القوم، فلما تكلم قبل ابني عمه، قال رسولُ الله ﷺ: «الكُبرُ الكُبر».

أم الحكم:

وذكر فيهم أم الحكم، وهي بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباعة، هكذا قال: أم الحكم، والمعروف فيها أنها أم حكيم، وكانت تحت ربيعة بن الحارث، وأما أم حكم فهي بنت أبي سفيان، وهي من مسلمة الفتح، ولولا ذلك لقلت: إن ابن إسحق إياها أراد، لكنها لم تشهد خيبر، ولا كانت أسلمت بعد.

أم رمثة وغيرها:

وذكر فيمن قسم له أم رمثة، ولا تُعرف إلا بهذا الخبر، وشهدها فتح خيبر. وذكر بُحينة بنت الحارث. وبُحينة تصغير: بخنة، وهي نخلة معروفة، قاله أبو حنيفة، ولفظها من البُحونة، وهي جُلَّة التمر، وهي أم عبد الله ابن بُحينة الفقيه، وهو ابن مالك بن القشب الأزدي.

قال ابن هشام: ويقال: كَبُرَ كَبْرٌ - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت؛ فتكلم حُوَيْصَة ومُحَيَّصَة، ثم تكلم هو بعد، فذكروا لرسول الله ﷺ قتل أصحابهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «أَتَسْمُون قَاتِلَكُمْ ثُمَّ تحلفون عليه خمسين يمينًا فنُسَلِّمَهُ إليكم؟» قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم؛ قال: «أفيحلفون بالله خمسين يمينًا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ثم يبرؤون من دمه؟» قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم قال: فوداه رسول الله ﷺ من عنده مائة ناقة.

قال سهل: فوالله ما أنسى بكرة منها حمراء ضربتني وأنا أخوزها.

قال ابن إسحق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن عبد الرحمن بن بُجَيْد بن قَيْظِي، أخي بني حارثة، قال محمد بن إبراهيم: وأيم الله، ما كان سهل بأكثر علماً منه، ولكنه كان أسن منه؛ وإنه قال له: والله ما هكذا كان الشأن! ولكن سهلاً أوهم، ما قال رسول الله ﷺ احلفوا على ما لا علم لكم به ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار: إنه قد وجد قتيل بين أيديكم فدوه، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً. فوداه رسول الله ﷺ من عنده.

قال ابن إسحق: وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بُجَيْد، إلا أنه قال في حديثه: دوه أو ائذنوا بحرب. فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً؛ فوداه رسول الله ﷺ من عنده.

القسم للنساء من المغنم:

وفي قسمه لهؤلاء النساء حُجَّةٌ للأوزاعي لقوله: إن النساء يُقَسَّم لهنَّ مع الرجال في المغازي، وأكثر الفقهاء لا يرون للنساء مع الرجال قسماً، ولكن يُرَضَّخُ لهن من المغنم أخذاً بحديث أم عطية قالت: كنا نغزو مع النبي - ﷺ - فنُداوي الجرحى، ونُمرِّض المَرْضَى ويُرَضَّخُ لنا من المغنم.

المصافحة والمعانقة:

فصل: وذكر قدوم أصحاب السفينة من أرض الحبشة، وفيهم جعفر بن أبي طالب، وأن النبي ﷺ التزمه وقبل بين عينيه، وقد احتج بهذا الحديث الثوري على مالك بن أنس في جواز المعانقة، وذهب مالك إلى أنه خصوص بالنبي ﷺ، وما ذهب إليه سُفْيَانُ من حمل الحديث على عمومهم أظهر، وقد التزم النبي ﷺ زيد بن حارثة، حين قدم عليه من مكة.

عمر يُجلي يهود خيبر:

قال ابن إسحاق: وسألت ابن شهاب الزهري: كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم، حين أعطاهم النخل على خَزْجها، أثبت ذلك لهم حتى قُبِضَ، أم أعطاهم إيَّاهَا للضرورة من غير ذلك؟.

فأخبرني ابنُ شهاب: أن رسولَ الله ﷺ افتتح خيبرَ عَنوةً بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله عزَّ وجلَّ على رسول الله ﷺ، خَمَسها رسولُ الله ﷺ وقَسَمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسولُ الله ﷺ، فقال: «إن شئتم دفعتم إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقرُّكم ما أقركم الله»، فقبلوا، فكانوا على ذلك يعملونها. وكان رسولُ الله ﷺ يبعث عبدَ الله بن رَواحة، فيقسم ثَمَرها، ويعِدُّ عليهم في الخَرَص، فلما توفَّى اللهُ نبيَّهُ ﷺ، أقرَّها أبو بكر رضي الله تعالى عنه، بعد رسول الله ﷺ بأيديهم، على المُعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ، حتى تُوفي؛ ثم أقرَّها عمر رضي الله عنه صَدْرًا من إمارته. ثم بلغ عُمَرُ أن رسولَ الله ﷺ قال في وَجَعِه الذي قبضه الله فيه: «لَا يَجْتَمِعُنَّ بجزيرة العرب دينان»؛ ففحص عُمَرُ ذلك، حتى بلغه الثُبْتُ، فأرسل إلى يهود، فقال: «إن الله عزَّ وجلَّ قد أذن في جلائكم»، قد بلغني أن رسولَ الله ﷺ قال: «لَا يَجْتَمِعُنَّ بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به، أنْفِذْه له، ومن لم يكن عنده عهد

وأما المصافحةُ باليد عند السلام ففيها أحاديثٌ منها قوله عليه السلام: «تمام تحيُّتكم المصافحة»^(١)، ومنها حديثٌ آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينة صافَّحوا الناس بالسلام، فقال النبي ﷺ: «إن أهل اليمن قد سئوا لكم المصافحة»، ثم نَدَبَ إليها بلفظٍ لا أذكره الآن غير أن معناه: تنزل عليها مائة رَحْمَةٍ تسعون منها للباديء، وعن مالكٍ فيها روايتان: الإباحة والكراهة، ولا أدري ما وَجَه الكراهية في ذلك.

ولد جعفر والنجاشي:

وكان جعفر قد وُلِدَ له بأرض الحَبَشَةِ محمدٌ وعونٌ وعبدُ الله، وكان النَجَّاشي قد وُلِدَ له مولودٌ يوم وُلِدَ عبدُ الله، فأرسل إلى جَعْفَرٍ يَسْأَلُه: كيف أَسْمَيْتَ ابنَكَ؟ فقال: أَسْمَيْتُهُ عبدَ الله، فسمى النجاشي ابنَه عبدَ الله، وأرضعته أسماء بنتُ عُمَيْسٍ امرأةَ جَعْفَرٍ مع ابنها عبدِ الله، فكانا يَتَوَصَّلَانِ بتلك الأُخوة.

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٣١) وأحمد (٤٣٢/٨) وابن أبي شيبة (٤٣٢/٨).

من رسول الله ﷺ من اليهود، فليتجهز للجلاء»، فأجلى عمرُ من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخير نتعاهدها، فلما قَدِمْنَا تَفَرَّقْنَا في أموالنا، قال: فَعُدِّي عَلَيَّ تحت الليل، وأنا نائم على فراشي، فَعُدَّتْ يَدَايَ من مِرْفَقَيَّ، فلما أصبحت استصرخ علي صاحباي، فأتاني فسألاني: من صَنَعَ هذا بك؟ فقلت: لا أدري؛ قال: فأصلحاً من يَدَيَّ، ثم قَدِمَا بي على عمر رضي الله عنه، فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ، كان عامِل يهودَ خير على أنا نخرجُهم إذا شئنا، وقد عَدُوا على عبد الله بن عمر، فَعَدُّوا يديه، كما قد بلغكم، مع عَدُوهم على الأنصارِ قبله، لا نَشْكُ أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخير فليلحق به، فإني مُخرج يهودَ، فأخرجهم.

قسمة عمر لوادي القرى بين المسلمين:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن مَكْنَف، أخي بني حارثة، قال: لَمَّا أخرج عمرُ يهودَ من خيبرَ ركب في المهاجرين والأنصار، وخرج معه جَبَّار بن صخر بن أمية ابن خنساء، أخو بني سَلَمَةَ، وكان خارصَ أهل المدينة وحاسبهم - ويزيد بن ثابت، وهما قَسَمَا خيبرَ بين أهلها، على أصل جماعة السُّهْمَانِ، التي كانت عليها.

وكان ما قَسَمَ عمر بن الخطاب من وادي القُرَى؛ لعثمانَ بن عَفَّانَ خَطَرُ، ولعبد الرحمن بن عوف خَطَرُ، ولعمرَ بن أبي سَلَمَةَ خَطَرُ، ولعامر بن أبي ربيعة خَطَرُ، ولعمرو بن سُراقَةَ خَطَرُ، ولأشيمَ خَطَرُ.

قال ابن هشام: ويقال: ولأسلم ولبني جعفر خَطَرُ، ولمُعَيْقِب خَطَرُ، ولعبد الله بن الأرقم خَطَرُ، ولعبد الله وعُبَيْدُ الله خَطَرَانِ، ولابن عبد الله بن جَحْش خَطَرُ، ولابن

ضبط أجنادين:

وذكر عمرو بن سعيد، وأنه استشهد بأجنادين، هكذا تَقَيَّد في الأصل بكسر الدال وفتح أوله، وكذا سمعت الشيخَ الحافظَ أبا بكر ينطق به، وقَيَّدناه عن أبي بكر بن طاهر عن أبي علي الغساني: إجنادين بكسر أوله وفتح الدال. وقال أبو عبيد البكري في كتاب مُعْجَم ما استعجم: أَجْنَادَيْنَ بفتح أوله، وفتح الدال، وقال: كأنه تشنية أجناد.

البُكَيْرُ خَطَرٌ، ولمُعْتَمِرُ خَطَرٌ، ولزَيْدُ بنِ ثَابِتٍ خَطَرٌ، ولأَبِي بنِ كَعْبٍ خَطَرٌ، ولمُعَاذُ بنِ عَفْرَاءٍ خَطَرٌ، ولأَبِي طَلْحَةَ وَحَسَنُ خَطَرٌ، ولجَبَّارُ بنِ صَخْرٍ خَطَرٌ، ولجَابِرُ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ رِثَابٍ خَطَرٌ، ولمَالِكُ بنِ صَغَصَعَةَ وَجَابِرُ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو خَطَرٌ، ولابنُ حُضَيْرٍ خَطَرٌ، ولابنُ سَعْدٍ بنِ مُعَاذٍ خَطَرٌ، ولِسَلَامَةُ بنِ سَلَامَةَ خَطَرٌ، ولعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ ثَابِتٍ وَأَبِي شَرِيكَ خَطَرٌ، ولأَبِي عَنَسٍ بنِ جَبْرِ خَطَرٌ، ولمُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ خَطَرٌ، ولعِبَادَةُ بنُ طَارِقٍ خَطَرٌ.

قال ابن هشام: ويقال: لقتادة.

قال ابن إسحاق: ولجُبَيْرُ بنِ عَتِيكَ نَضْفُ خَطَرٌ، ولابنُ الحَارِثِ بنِ قَيْسٍ نَصَفُ خَطَرٌ، ولابنُ حَزْمَةَ والضَحَّاكُ خَطَرٌ، فهذا ما بلغنا من أمر خَيْرٍ ووادي القَرَى ومقاسمِها. قال ابن هشام: الخَطَرُ: النَّصِيبُ. يقال: أَخْطَرُ لي فلان خَطَرًا.

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام: وذكر سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ عن الأَجْلَحِ، عن الشَّعْبِيِّ: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ يومَ فَتَحَ خَيْبَرَ، فَقَبِلَ رسولُ الله ﷺ بينَ عَيْنَيْهِ، والتزمه وقال: ما أدري بأيِّهما أنا أُسْرُ: بفتح خَيْرٍ، أم بقدوم جعفر؟

القادسية ويوم الهرير:

وذكر عَمْرُو بنُ عَثْمَانَ التَّيْمِيُّ، وأنه قُتِلَ بالقَادِسيَّةِ مع سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ والقَادِسيَّةِ آخرُ أرضِ العربِ، وأوَّلُ أرضِ السَّوَادِ، وفي أَيَّامِهَا قُتِلَ رُسُومُ مَلِكِ الْفُرْسِ في يومٍ من أَيَّامِهَا يُسَمَّى يومَ الْهَرِيرِ، وكان قد أَقْبَلَ بِالْفِيلَةِ، وجموعٌ لم يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا، والمسلمونَ في عَدَدٍ دُونَ الْعُشْرِ من عددِ المَجُوسِ فكان الظَّفَرُ للمسلمينَ، وكان الأميرُ عليهم سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَخَبَرُهَا طَوِيلٌ يشتملُ على أعاجيبٍ من فَتَحَ اللهُ تعالى على هذه الأُمَّةِ استقصاها سَيْفُ بنِ عُمَرَ في كتابِ الفُتُوحِ، ثم الطَّبْرِي بعده، وَسُمِّيَتْ القَادِسيَّةُ بِرَجُلٍ مِنَ الْهَرَّةِ، وكان كِشْرَى قد أَسْكَنَ بها اسمَهُ: قَادِسٌ، وقيل: وَسُمِّيَتْ بِقَوْمٍ نَزَلُوهَا مِنْ قَادِسٍ، وَقَادِسٌ بِخُرَّاسَانَ، وأما القَادِسُ في لغةِ العربِ فَمِنْ أَسْمَاءِ السَّفِينَةِ.

عن بعض القادمين من الحبشة

فصل: وذكر فيمن قدم من أرضِ الْحَبَشَةِ هِشَامُ بنُ أَبِي حُدَيْفَةَ بنِ الْمُغِيرَةِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ مَخْرُومٍ، واسمُ أَبِي حُدَيْفَةَ مُهَشَّمٌ، وذكر الواقدي هِشَامًا. هذا فيمن قدم

قال ابن إسحاق: وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين، فقدم بهم عليه، وهو بخير بعد الحديبية.

من بني هاشم بن عبد مناف: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية، وابنه عبد الله بن جعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة. قُتل جعفر بمؤتة من أرض الشام أميرًا لرسول الله ﷺ، رجل.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد - قال ابن هشام: ويقال: هُمَيَّة بنت خلف - وابناه سعيد بن خالد، وأمه بنت خالد، ولدتهما بأرض الحبشة. قُتل خالد بمَرْج الصُّفَر في خلافة أبي بكر الصديق بأرض الشام؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرَّث الكناني، هلكت بأرض الحبشة. قُتل عمرو بأجنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أحiche:

ألا ليت شعري عنك يا عمرو سائلاً إذا شَبَّ واشتدَّت يداه وسلُحاً
أتترك أمر القوم فيه بلبال تكشف غيظاً كان في الصدر مَوْجِحا

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص، حين أسلما وكان أبوهما سعيد بن العاص هلك بالظُرَيْبة، من ناحية الطائف، هلك في مال له بها:

ألا لَيتَ مَيتًا بِالظُّرَيْبَةِ شَاهِدُ لما يَفْتَرِي فِي الدِّينِ عَمْرُو وَخَالِدُ
أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا يُعِينان مِن أَعْدائنا مَن نُكَايدُ

من الحبشة غير أنه قال فيه: هاشم، ولم يذكره موسى بن عُقْبَةَ، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة.

وذكر فيمن قدم من الحبشة عبد الله بن خُذَافَةَ، وأنه الذي أرسله النبي ﷺ إلى كِسْرَى.

وذكر أيضًا سَلِيط بن عمرو، وأنه كان رسول رسول الله ﷺ إلى هُوْدَةَ بن علي الحنفي صاحب اليمامة.

فأجابه خالد بن سعيد، فقال:

أخي ما أخي لا شاتمٌ أنا عِزُّهُ ولا هو من سُوءِ المَقالةِ مُقْصِرُ
يقولُ إذا اشتدَّت عليه أُمُورُهُ ألا لَيْتَ مَيْتًا بالطَّرِيبَةِ يُنْشَرُ
فدَع عَنْكَ مَيْتًا قد مَشَى لسبيلِهِ وأقْبَلَ على الأدنى الذي هو أَفْقَرُ

ومُعَيِّقِيب بن أبي فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المُسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، حليف آل عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَي: الأسود بن نوفل بن حُوَيْلِد. رجل.

ومن بني عبد الدار بن قُصَي: جَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحْبِيل، معه ابناه عمرو بن جَهْم وخُزَيْمة بن جَهْم، وكانت معه امرأته أُم حَرَملة بنت عَبْدِ الأسود هَلَكْتَ بأَرْض الحَبشة، وابناه لها. رجل.

ومن بني زُهْرة بن كِلاب: عامر بن أبي وقَّاص، وعُتْبة بن مسعود، حليف لهم من هُذَيْل. رجلان.

ومن بني تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب: الحارث بن خالد بن صَخْر، وقد كانت معه امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيْلة، هَلَكْتَ بأَرْض الحَبشة. رجل.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب: عثمان بن ربيعة بن أَهْبَان. رجل.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب، مَخْمِيَّة بن الجَزْء، حليف لهم من بني زُبَيْد، كان رسول الله ﷺ جعله على خُمُس المسلمين. رجل.

ومن بني عَدِي بن كعب بن لُؤَي: مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة. رجل.

ومن بني عامر بن لُؤَي بن غالب: أبو حاطب بن عَمْرُو بن عبد شمس؛ ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس، معه امرأته عَمْرَة بنت السُعْدِي بن وَقْدَان بن عَبْدِ شمس. رجلان.

فأما كِسْرَى فهو أَبْرَوَيْز بن هُزْمَز بن أَنُو شَرْوَان، وَمَعْنَى أَبْرَوَيْزَ المَطْفَرُ فيما ذكر المسعودي، وهو الذي كان غلب الروم؛ فأنزل الله في قصتهم: ﴿أَلَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ﴾ وأدنى الأرض هي بَصْرَى وفِلَسْطِينُ، وَأَذْرِعَاتُ من أرض الشام، قاله الطبري.

ومن بني الحارث بن فهران بن مالك: الحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيط. رجل.
وقد كان حُمِلَ معهم في السَّفِينَتَيْنِ نساءً من نساء من هلك هنالك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السَّفِينَتَيْنِ، فجميع من قَدِمَ في السَّفِينَتَيْنِ إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلاً.

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يقدّم إلا بعد بدر، ولم يحمل النجاشي في السَّفِينَتَيْنِ إلى رسول الله ﷺ، ومن قدم بعد ذلك، ومن هلك بأرض الحبشة، من مهاجرة الحبشة:

من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عبيد الله بن جحش بن رثاب الأسدي، أسد خزيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وابنته حبيبة بنت عبيد الله، وبها كانت نُكِّتُ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكان اسمها رَمْلَة.

خرج مع المسلمين مهاجرين، فلما قَدِمَ أرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام، ومات هنالك نصرانياً، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، قال: خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مُسْلِمًا، فلما قدم أرض الحبشة تعصّر، قال: فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال: فتحنّا وصأصأتم، أي قد أبصرنا وأنتم تَلْتَمِسُونِ البصر ولم تُبْصِرُوا بعد. وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلاً: أي أنا قد فتحنّا أعيننا فأبصرنا، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا، وأنتم تلتمسون ذلك.

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبد الله، رجل من بني أسد بن خزيمة، وهو أبو أمية بنت قيس التي كانت مع أم حبيبة؛ وامرأته بركة بنت يسار، مولاة، أبي سفيان بن حرب، كانتا ظفّري عبيد الله بن جحش، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة. رجلا.

من رسل النبي إلى الملوك والرؤساء:

وذكر أبو رِفَاعَةَ وَثِيمةُ بن موسى بن الفُراتِ، قال قَدِمَ عبدُ الله بن حُذَافَة على كِسْرَى قال: يا مَعْشَرَ الْفُرْسِ إنكم عَشْتُمْ بأحلامكم لعدّة أيامكم بغير نبيّ، ولا كتاب، ولا تملُك من الأرض إلّا ما في يديك، وما لا تملك منها أكثر، وقد ملك قبلك ملوك أهلُ دُنيا وأهلُ

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ: يزيد بن زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، قُتل يوم حُنين مع رسول الله ﷺ شهيداً، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد، هلك بأرض الحبشة. رجلان.

ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: أبو الروم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ وفراس بن النضر بن الحارث بن كَلدة بن عَلَقمة بن عبد مناف بن عبد الدار. رجلان.

ومن بني زهرة بن كلاب بن مُرة: المُطلب بن أزهر بن عبد عَوْف بن عبد (بن) الحارث بن زهرة، معه امرأته زَملة بنت أبي عوف بن ضُبيرة بن سعيد بن سَعْد بن سهم، هلك بأرض الحبشة، ولدت له هنالك عبد الله بن المُطلب فكان يقال: إن كان لأوّل رجل ورث أباه في الإسلام رجل.

ومن بني تميم بن مرة بن كعب بن لؤيٍّ: عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تميم، قُتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقاص. رجل.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرة بن كعب: هَبَّار بن سُفيان بن عبد الأسد، قُتل بأجنادين من أرض الشام، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛ وأخوه عبد الله بن سُفيان، قُتل عام اليزموك بالشام، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يشك فيه أقتل ثم أم لا؛ وهشام بن أبي حذيفة بن المُغيرة، ثلاثة نفر.

آخرة، فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا، وضَيَّع أهل الدنيا حظَّهم من الآخرة، فاختلَفوا في سَعْيِ الدنيا، واستَوَوْا في عَدَلِ الآخرة، وقد صَغُرَ هذا الأمرُ عندك أنا أتيناك به، وقد والله جاءك من حَيْثُ خِفْتُ، وما تَصْغِيرُكَ إِيَّاهُ بالذي يدفعه عنك، ولا تكذيبُك به بالذي يُخْرِجُكَ منه، وفي وَقْعَةٍ ذِي قَارٍ على ذلك دليل، فأخذ الكتابَ فَمَرَّقه، ثم قال: لي مُلْكٌ هَنِيءٌ لا أخشى أن أُغْلَبَ عليه، ولا أَشَارَكَ فيه، وقد مَلَكَ فرعونُ بني إسرائيل، ولستم بخير منهم، فما يمنعني أن أملككم، وأنا خير منه، فأما هذا المُلْكُ، فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب، وأنتم أولئك تَشْبَحُ بطونكم، وتَأْبَى عيونكم، فأما وَقْعَةُ ذِي قَارٍ، فهي بِوَقْعَةِ الشَّامِ. فانصرف عنه عبد الله. وإنما خَصَّ النبي ﷺ - عبد الله بن حُذَافَةَ بإرساله إلى كسرى، لأنه كان يتردد عليهم كثيراً ويختلِفُ إلى بلادهم، وكذلك سَلِيطُ بن عَمْرٍو وكان يختلف إلى اليمامة، قال وَثِيمَةُ: لما قدم سَلِيطُ بن عمرو العامري على هُوْدَةَ، وكان كسرى قد تَوَجَّه، قال: يا هُوْدَةُ إنك سَوَدْتُكَ أَغْظَمَ حَائِلَةً، وأرواحُ في النار، وإنما السيدُ من مُنَّعٍ بالإيمانِ ثم رُوِدَ التَّقْوَى، وإن قوماً سَعِدُوا بِرَأْيِكَ فلا تَشَقَّ به، وإني آمرك بخير مأمور به، وأنْهَكَ عن شَرِّ

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب: حاطب بن الحارث بن مَعمر بن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن جُمَح، وابناه محمد والحارث، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل هَلَك حاطب هنالك مُسَلِّمًا، فَقَدِمَت امرأته وابناه، وهي أُمهما، في إحدى السَّفِينَتَيْنِ؛ وأخوه حُطَّاب بن الحارث، معه امرأته فُكَيْهَة بنت يَسَار هَلَك هنالك مُسَلِّمًا، فَقَدِمَت امرأته فُكَيْهَة في إحدى السَّفِينَتَيْنِ؛ وسُفَيان بن مَعمر بن حَبِيب، وابناه جُنَادَة وجابر، وأُمهما معه حَسِينَة، وأخوهما لأُمهما شُرَحْبِيل ابن حَسِينَة؛ وهَلَك سُفَيان وهَلَك ابنه جُنَادَة وجابر في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه. ستة نفر.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَب: عبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم الشاعر، هَلَك بأرض الحبشة، وقَيْس بن حُذَافَة بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم؛ وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم، قُتِل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصَّدِيق رضي الله عنه، وعبد الله بن حُذَافَة بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم، وهو رسولُ (رسول) الله ﷺ إلى كسرى، والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي، ومَعمر بن الحارث بن قيس بن عَدِي، وبِشْر بن الحارث بن قيس بن عَدِي، وأخ له من أُمه، من بني تميم، يقال له سعيد بن عمرو، قُتِل بأجنادين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وسعيد بن الحارث بن قَيْس، قُتِل عام اليزموك في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، والسائب بن الحارث بن قيس، جُرح بالطائف

مَنْهِي عَنْهُ، أَمَرَكَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنهَكَ عَنْ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ، فَإِنْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ الْجَنَّةَ وَفِي عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ النَّارَ، فَإِنْ قَبِلْتَ نِلْتَ مَا رَجَوْتَ، وَأَمِنْتَ مَا خِفْتَ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كَشْفُ الْغِطَاءِ، وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ، فَقَالَ هَوْدَةُ: يَا سَلِيطَ سَوْدَنِي مَنْ لَوْ سَوَّدَكَ شَرَفْتُ بِهِ، وَقَدْ كَانَ لِي رَأْيٌ اخْتَبَرْتُ بِهِ الْأُمُورَ، فَفَقَدْتَهُ فَمَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِي هَوَاءٌ، فَاجْعَلْ لِي فُسْحَةً يَرْجِعُ إِلَيَّ رَأْيِي، فَاجِيبْكَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: وَمَنْ شِغَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى كَسْرَى وَقَدُومِهِ عَلَيْهِ:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ كَسْرَى فَرِيَسَةً	لَأَوَّلِ دَاعٍ بِالْعِرَاقِ مُحَمَّداً
تَقَاذِفَ فِي فُجْشِ الْجَوَابِ مُصَغَّرَا	لَأَمْرِ الْعَرِيبِ الْخَائِضِينَ لَهُ الرَّدَى
فَقُلْتُ لَهُ: أَزِيدُ، فَإِنَّكَ دَاخِلٌ	مِنَ الْيَوْمِ فِي الْبَلَوَى وَمُنْتَهَبٌ عَدَا
فَأَقْبِلْ وَأَذْبِرْ حَيْثُ شِئْتَ، فَإِنَّا	لَنَا الْمُلْكُ فَنَبْطُ لِلْمُسَالَمَةِ الْيَدَا
وَالْأَفْأَمْسِكُ قَارِعَا سِنَّ نَادِمٍ	أَقَرُّ بِذُلِّ الْخَرْجِ أَوْ مِثِّ مُوَحِّدَا
سَفِهَتْ بِتَمْزِيْقِ الْكِتَابِ، وَهَذِهِ	بِتَمْزِيْقِ مُلْكِ الْفُرْسِ يَكْفِي مَبْدَا

مع رسول الله ﷺ، وقُتل يوم فُخْل في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، ويقال: قُتل يوم خيبر، يُشكَّ فيه، وعمير بن رثاب بن حذيفة بن مِهْشَم بن سعد بن سهم، قُتل بعَيْنِ التمر مع خالد بن الوليد، مُنْصَرَفَةً من اليمامة، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. أحد عشر رجلاً.

ومن بني عدي بن كعب بن لُؤَيٍّ: عُرْوَةُ بن عبد العزَّى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدي بن كعب، هلك بأرض الحبشة، وعدي بن نُضلة بن عبد العزَّى بن حُرْثَان، هلك بأرض الحبشة. رجлан.

وقد كان مع عدي ابنه الثُعمان بن عدي، فقَدِمَ الثُعمان مع من قَدِمَ من المسلمين من أرض الحبشة، فبقي حتى كانت خلافة عمر بن الخطَّاب، فاستعمله على مَيْسان، من أرض البَصْرة، فقال أبياتا من شعر، وهي:

ألا هل أتى الحسناء أن حليها	بمَيْسان يُسْقَى في زُجاجٍ وحَنَمٍ
إذا شئتُ عَثْنِي دَهاقِينُ قَرْيَةٍ	ورقاصَةٌ تجذو على كل منسِمٍ
فإن كنت نذمانِي فبالأكبر اسقني	ولا تَسْقِنِي بالأصغر المُتَثَلِّمِ
لعلَّ أميرَ المؤمنين يسوؤه	تَنادُمُنا في الجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

وقال هُوذة بن علي في شأن سَلِيط:

أتاني سَلِيطُ والحوادثُ جَمَّةُ	فقلت لهم: ماذا يقول سَلِيطُ؟
فقال التي فيها عَلَيَّ غَضاضَةٌ	وفيهَا رَجَاءٌ مُطْمِعٌ وقُئُوطُ
فقلت له: غاب الذي كنت أجتلي	به الأمرَ عني فالصُّعودُ هُبُوطُ
وقد كان لي والله بالغ أمره	أبا النُّضِرِ جَأَشُ في الأمورِ رَبيطُ
فأذهبه خَوْفُ النبيِّ مُحَمَّدٍ	فَهَوْدَةٌ فَهُ في الرجالِ سَقِيطُ
فأجمع أمري من يَمِينٍ وشَمَالٍ	كَأني رُدُودٌ لِلنُّبَالِ لَقِيطُ
فأذهب ذاك الرأي إذ قال قائل	أتاك رسولٌ للنبيِّ خَبِيطُ
رسولُ رسولِ الله رَاكِبٌ ناضِح	عليه من أَوْبَارِ الحِجَازِ غَبِيطُ
سَكَرَتْ وَدَبَّتْ في المَفَارِقِ وَسَنَّةُ	لها نَفْسٌ عَالِي الفؤادِ غَطِيطُ
أحاذر منه سَوْرَةَ هاشِمِيَّةَ	فوارسُها وَسَطُ الرِّجالِ عَبِيطُ
فلا تَغْجَلْنِي يا سَلِيطُ فإننا	نَبادرُ أَمْرًا والقَضَاءُ مُحِيطُ

فلما بلغت أبياته عمر، قال: نعم والله، إن ذلك ليسوءني، فمن لقيه فليُخبره أني قد عَزَلْتُهُ، وعَزَلَهُ. فلما قَدِمَ عليه اعتذر إليه وقال: والله يا أمير المؤمنين، ما صنعت شيئاً ممّا بلغك أني قَلْتُهُ قَطًّا، ولكني كنت امرأ شاعراً، وجدت فضلاً من قول، فقلت فيما تقول الشعراء، فقال له عمر: وأيم الله، لا تعملُ لي على عمل ما بقيتُ، وقد قَلْتُ ما قلت.

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر: سَلِيط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدَّ بن نصر بن مالك بن حِجْل بن عامر، وهو كان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى هُذَلةَ بن عليّ الحَنَفِي باليمامة. رجل.

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: عثمان بن عبد عَنَم بن زُهَيْر بن أبي شَدَاد، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث بن فِهْر، وعِيَاض بن زُهَيْر بن أبي شَدَاد. ثلاثة نفر.

فجميع من تخلف عن بَذْر، ولم يَقْدِم على رسولِ الله ﷺ مَكَّة، ومن قَدِمَ بعد ذلك، ومن لم يحمل النجاشي في السَّفَيتَين، أربعة وثلاثون رجلاً.

وهذه تسمية جملة من هَلَكَ منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة:

من بني عبد شمس بن عبد مناف: عُبيد الله بن جَحْش بن رثاب، حليف بني أُمَيَّة، مات بها نَضْرَانِيًّا.

ومن بني أسد بن عبد العُزَي بن قُصَي: عمرو بن أُمَيَّة بن الحارث بن أسد.

ومن بني جُمح: حاطب بن الحارث، وأخوه حَطَّاب بن الحارث.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبد الله بن الحارث بن قَيْس.

ومن بني عدي بن كعب بن لُؤَيٍّ: عُرُوة بن عبد العُزَي بن حُرْثان بن عوف، وعَدِي بن نَضْلة. سبعة نفر.

ومن أبنائهم، من بني تَيْم بن مِرَّة: موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر. رجل.

وسنذكر بقية إرسال النبي ﷺ إلى الملوك، وما قالوا، وما قيل لهم فيما بعد إن شاء الله.

مهاجرات الحبشة:

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء، من قَدِمَ مِنْهُنَّ ومن هَلَكَ هنالك ستُّ عشرة امرأة، سوى بناتهنَّ اللاتي وُلِدْنَ هنالك، من قَدِمَ مِنْهُنَّ ومن هَلَكَ هنالك، ومن خرج به معهنَّ حينَ خَرَجْنَ.

من قُرَيْش، من بني هاشم: رُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ.

ومن بني أُمَيَّة: أُم حَبِيبَةَ بنت أبي سُفْيَانَ ومعها ابنتُها حَبِيبَةُ، خرجت بها من مَكَّة، وَرَجَعَتْ بها معها.

ومن بني مخزوم: أُم سَلَمَةَ بنت أبي أُمَيَّة، قدمت معها بزينب ابنتها من أبي سَلَمَةَ ولدتها هنالك.

ومن بني تَيْم بن مُرَّة: رَيْطَةُ بنت الحارث بن جُبَيْلَةَ، هَلَكَتْ بالطريق، وبنَتان لها كانت ولدتَهما هنالك عائِشَةُ بنت الحارث وزينب بنت الحارث هَلَكْنَ جميعاً، وأخوهنَّ موسى بن الحارث، من ماء شربوه في الطريق، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك، فلم يبق ولدها غيرُها، يقال لها: فاطمة.

ومن بني سَهْم بن عمرو: رَمْلَةُ بنت أبي عَوْف بن ضُبَيْرَةَ.

ومن بني عدي بن كعب: لَيْلَى بنت أبي حَثْمَةَ بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: سودة بنت زَمْعَةَ بن قيس، وسهلة بنت سُهَيْل بن عمرو، وابنة المَجْلُل، وعمرة بنت السَّعْدِي بن وقدان، وأُم كُلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو.

حديث النوم عن الصلاة^(١):

وذكر حديث نوم رسول الله - ﷺ - عن الصلاة مَقْفَلَةً من خَيْرٍ، وهذه الرواية أَصَحُّ من قول من قال: كان ذلك في غَزَاة حُنَيْنٍ، ومن قال في روايته للحديث كان ذلك عام الحُدَيْبِيَّة، فليس ذلك بمخالفٍ للرواية الأولى، وأما رواية ابن إسحاق للحديث عن الزُهْرِي عن سَعِيد بن المُسَيَّب مُرْسَلًا، فهكذا رواه مالكٌ وأكثرُ أصحاب الزُهْرِي، ورواه عنه صالح بن أبي الأَخْضَر، وقال فيه عن أبي هُرَيْرَةَ: قاله التِّرْمِذِيُّ، وقال أبو داود: قد رواه

(١) انظر مسلم (٦٨٠) وأبو داود (٤٣٦/٤٣٥) والترمذي (٣١٦٢) والنسائي (٢٩٥/١) وابن ماجه (٦٩٧) ومالك (١٤/١).

ومن غرائب العرب: أسماء بنت عُمَيْس بن النُعمان الحُثُعمية، وفاطمة بنت صَفْوان بن أُمَيَّة بن مُحَرَّر الكِنَانية، وفُكَيْهة بنت يسار، وبركة بنت يسار، وحَسِنة، أُم شُرَحْبِيل ابن حَسَنَة.

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة.

ومن بني هاشم: عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب.

ومن بني عبد شمس: محمد بن أبي حُدَيْفة، وسعيد بن خالد بن سَعِيد، وأخته أمة بنت خالد.

ومن بني مخزوم: زينب بنت أبي سَلَمَة بن الأسد.

ومن بني زهرة: عبد الله بن المُطَّلَب بن أَزهر.

ومن بني تيم: موسى بن الحارث بن خالد، وأخواته عائشة بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث.

الرجال منهم خمسة: عبد الله بن جعفر، ومحمد بن أبي حُدَيْفة، وسعيد بن خالد، وعبد الله بن المُطَّلَب، وموسى بن الحارث.

ومن النساء خمس: أمة بنت خالد، وزينب بنت أبي سَلَمَة، وعائشة وزينب وفاطمة، بنات الحارث بن خالد بن صخر.

أيضًا عن الزُّهري مُسْنَدًا يونس بن يزيد ومَعْمَرُ من طريق أبان العطار عن مَعْمَرٍ عنه، وكذلك رواه الأَوْزَاعِي مُسْنَدًا أيضًا، وذكر فيه هو وأبان العَطَّارُ أَنَّهُ أَذَّنَ، وأقام في تلك الصلاة حين خرج من الوادي، ولم يذكر الأَذَانُ من رِوَاة الحديث إلَّا قليل.

عمرة القضاء

في ذي القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من عمير، أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجبًا وشعبان ورمضان وشوالاً، يبعث فيما بين ذلك في غزوه وسراياه ﷺ. ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمرًا عمرة القضاء، مكان عمرته التي صدّوه عنها.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عوف بن الأضبط الديلي.

ويقال لها عمرة القصاص، لأنهم صدّوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست، فاقترض رسول الله ﷺ منهم، فدخل مكة في ذي القعدة، في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه، من سنة سبع.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤].

عمرة القضية^(١)

ويروى أيضًا: عمرة القضاء، ويقال لها: عمرة القصاص، وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] وهذه الآية فيها نزلت، فهذا الاسم أولى بها، وسميت عمرة القضاء، لأن النبي ﷺ قاضى قريشًا عليها، لا

(١) انظر البداية (٢٢٦/٤) الطبري (١٠٠/٣) الطبقات (٨٧/١/٢) الكامل (١٠٦/٢) المنتظم (٣٠٤/٣) الاكتفاء (٢٧٢/٢) الواقدي (٧٣١/٢) أنساب الأشراف (١٦٩/١) ابن حزم (٢٦٣) الزاد (٣٧٠/٣) وانظر البخاري (١٤١/٥).

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه في عُمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قُريش بينها أن محمداً وأصحابه في عُسرة وجَهد وشدة.

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم، عن ابن عباس، قال: صَفَّوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع بردائه، وأخرج عَصَدَه اليمنى، ثم قال: «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوَّة»، ثم استلم الرُكن، وخرج يُهزِزُ ول يُهزول أصحابه معه، حتى إذا واره البيت منهم، واستلم الركن اليماني، شى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هروك كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرَها. فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم. وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحَيِّ من قُريش للذي بلغه عنهم، حتى إذا حجَّ حِجَّة الوداع فلزمها، فمضت السنة بها.

لأنه قَضَى العُمرة التي صُدَّ عن البيت فيها، فإنها لم تك فَسَدَتْ بصدِّهم عن البيت، بل كانت عُمرة تامة مُتَقَبَّلة، حتى إنهم حين حَلَقُوا رُؤُوسَهُم بِالْحِلِّ احتملتها الريحُ فألْقَتْها في الحرم، فهي مَعْدُودَةٌ في عُمَرِ النَّبِيِّ - ﷺ - وهي أربع: عُمرة الحُدَيْبِيَّة، وعُمرة القَضَاء، وعُمرة الجِعْرَانَةِ، والعُمرة التي قرنَها مع حَجِّه في حِجَّة الوداع، فهو أصحُّ القولين أنه كان قارناً في تلك الحِجَّة وكانت إحدى عُمَرِهِ عليه السلام في شِوَال كذلك رَوَى عَزُورُهُ عن عائشة، وأكثر الروايات أنهن كُنَّ كُلُّهن في ذي القعدة إلا التي قَرَنَ مع حَجِّه، كذلك رَوَى الزُّهْرِيُّ، وانفرد مَعْمَرُ عن الزُّهْرِيِّ بأنه عليه السلام كان قارناً، وأن عُمَرَهُ كُنَّ أربعا بعُمرة القرآن.

وأما حِجَّاته عليه السلام فقد رَوَى التِّرْمِذِيُّ أنه حجَّ ثلاث حِجَّات بُثْنين بمكة، وواحدة بالمدينة وهي حِجَّة الوداع^(١)، ولا ينبغي أن يُضاف إليه في الحقيقة إلا حِجَّة الوداع، وإن كان حجَّ مع الناس إذ كان بمكة كما رَوَى الترمذي، فلم يكن ذلك الحجَّ على سنة الحجِّ، وكمالهِ، لأنه كان مغلوباً على أمرهِ، وكان الحجُّ منقولاً عن وقته، كما تقدَّم في أول الكتاب، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية، ويؤخرونه في كل سنة أَحَدَ عَشَرَ يَوْماً، وهذا هو الذي منع النَّبِيَّ - ﷺ - أن يحُجَّ من المدينة، حتى كانت مكة دارَ إسلام، وقد كان أراد أن يحُجَّ مَقْفَلَهُ من تَبُوك، وذلك بِإِثْرٍ فَتَحَ مكة بيسير، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحُجُّون، ويطوفون عِراءَ فأخَّرَ الحجَّ، حتى نَبَذَ إلى كُلِّ ذي عَهْدٍ عَهْدَهُ، وذلك في

(١) أخرجه الترمذي (٨١٥) وابن ماجه (٣٠٧٦).

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول:

خَلُّوا بني الكُفَّار عن سَبِيلِهِ خَلُّوا فكلُّ الحَير في رسولِهِ
يا ربِّ إني مُؤمِّنٌ بِقِيلِهِ أعرف حَقَّ الله في قَبُولِهِ

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ على تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ على تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عن مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عن خَلِيلِهِ

قال ابن هشام:

نحن قتلناكم على تأويله

السنة التاسعة، ثم حجَّ في السنة العاشرة بعد أمحاء رُسُوم الشرك، وأنجَسَ سِيرَ الجاهلية؛ ولذلك قال في حجة الوداع: «إن الزمانَ قد استدار كَهَيْئَتِهِ يومَ خَلَقَ اللهُ السَّمَلَاتِ والأَرْضَ»^(١).

حكم العمرة:

والعمرة واجبة في قول أكثر العلماء، وهو قول ابن عمر وابن عباس، وقال الشَّعْبِيُّ: ليست بواجبة، وذكر عنه أنه كان يقرؤها: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» [البقرة: ١٩٦] بالرَّفْع لا يعطفها على الْحَجِّ. وقال عطاء: هي واجبة إلا على أهل مكة، ويكره مالك أن يَعْتَمِرَ الرجلُ في العام مرارًا، وهو قول الحَسَنِ وابنِ سيرين، وجمهور العلماء على الإباحة في ذلك، وهو قول عليّ وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد قالوا: يَعْتَمِرُ الرجلُ في العام ما شاء.

تفسير شعر عمار:

وذكر قول عبد الله بن رَوَاحَةَ وهو أَخَذَ بِخَطَامِ ناقَةِ رسول الله ﷺ:

خَلُّوا بني الكُفَّارِ عَن سَبِيلِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ على تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ على تَنْزِيلِهِ^(٢)

(١) أخرجه البخاري (٨٣/٦) ومسلم في القسامة (٢٩) وأبو داود (١٩٤٧ - بتحقيقي) وأحمد (٣٧/٥) والبيهقي (١٦٦/٥).

(٢) انظر الفتح (٣٨٤/٧).

إلى آخر الأبيات، لعُمَار بن ياسِر في غير هذا اليوم، والدليل على ذلك أن ابن رَوَاحَةَ إنما أراد المُشْرِكِينَ، والمُشْرِكُونَ لم يُقْرَؤْا بالتَنْزِيلِ، وإنما يُقْتَلُ على التَّأْوِيلِ من أقرَّ بالتَنْزِيلِ.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح، عن عطاء بن أبي رباح ومجاهد أبي الحجاج، عن ابن عباس: أنَّ رسولَ الله ﷺ تزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بنتَ الحَارِثِ في سفره ذلك وهو حَرَامٌ، وكان الذي زَوَّجَهُ إِيَّاهَا العَبَّاسُ بن عبد المَطْلَبِ.

قال ابن هشام: وكانت جعلت أمرها إلى أختها أُمَ الفَضْلِ، وكانت أُمُ الفَضْلِ تحت العَبَّاسِ، فجعلت أُمُ الفَضْلِ أمرها إلى العباس، فزَوَّجَهَا رسولُ الله ﷺ بِمَكَّةَ، وأصَدَقَهَا عن رسول الله ﷺ أربع مائة درهم.

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا، فَأَتَاهُ حُوَيْطُبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بن أبي قَيْسٍ بن عبد وَدِّ بن نصر بن مالك بن حِجْلٍ، في نفر من قُرَيْشٍ، في اليوم الثالث، وكانت قُرَيْشٌ قد وُكِّلَتْه بإخراج رسولِ الله ﷺ من مَكَّةَ؛ فقالوا له: إِنَّهُ قد انقَضَى أَجْلُكَ، فأخرج عَنَّا؛ فقال النبي ﷺ: «وما عليك لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، وصنعنا

ويُروى اليوم تَضَرُّبُكُمْ على تأويله بسكون الباء، وهو جائز في الضرورة نحو قول امرئ القيس:

فاليوم أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ

ولا يبعد أن يكون جائزًا في الكلام إذا اتصل بضمير الجمع، فقد روي عن ابن عمرو أنه كان يقرأ «يَأْمُرُكُمْ وَيَنْصُرُكُمْ» وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر، كما قال ابن هشام، قالهما يوم صَفَيْنَ، وهو اليوم الذي قُتِلَ فيه عَمَارُ، قتله أبو الغادية الْفَزَارِيُّ وابنُ جَزْءٍ اشتركا فيه.

حكم الزواج للمحرم^(١):

فصل: وذكر تزَوُّجَ رسولِ الله - ﷺ - لمَيْمُونَةَ بنتِ الحَارِثِ الْهَلَالِيَّةِ، وأُمُّهَا هِنْدُ بنتُ عَوْفِ الْكِتَابِيَّةِ إلى آخر قصتها، وفيه أن «حُوَيْطُبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى، قال للنبي ﷺ في اليوم الثالث: أَخْرِجْ عَنَّا، وقد كان أراد أن يَبْتَنِي بِمَيْمُونَةَ في مَكَّةَ، ويصنعَ لهم طعامًا، فقال له

(١) انظر البخاري (٣٩٢/٧) ومسلم (١٤١٠) وأبو داود (١٨٤٤) والترمذي (٨٤٢) والنسائي (١٩١/٥) وانظر الزاد (٣/٣٧٢).

لكم طعاماً فحضرتموه؟» قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنا. فخرج رسول الله ﷺ، وخلف أبا رافع مولاة على ميمونة، أتاه بها بسرف، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة.

خُوَيْطَبُ: لا حاجة لنا بطعامك فاخرجُ عنا، فقال له سعد: يا عاضاً يَظَرِ أُمَّهُ أَرَضُكْ وَأَرْضُ أُمِّكَ؟ هي دونه؟! فأسكته النبي ﷺ، وخرج وفاء لهم بشزطهم، وابتنى بها بسرف، ويسرف^(١)، كانت وفاتها رضي الله عنها حين ماتت، وذلك سنة ثلاث وستين، وقيل: سنة ست وستين، وصلى عليها ابنُ عباس، ويزيدُ بن الأصم، وكلاهما ابنُ أُختٍ لها، ويقال: فيها نزلت: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] في أحد الأقوال، وذلك أن الخاطب جاءها، وهي على بغيرها، فقالت: البعيرُ وما عليه لرسولِ الله ﷺ. واختلف الناس في تزويجه إياها أكان مُحَرِّمًا أم حَلَالًا، فَرَوَى ابنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا مُحَرِّمًا، واحتج به أهلُ العراق في تجويز نكاح المُحَرِّمِ، وخالفهم أهلُ الحجاز، واحتجوا بنهيهِ عليه السلام عن أن «يُنِكَحَ الْمُحَرِّمُ أَوْ يَنْكَحَ»، وزاد بعضهم فيه: أَوْ يَخْطُبُ^(٢) من رواية مَالِكٍ، وعارضوا حديث ابنِ عَبَّاسٍ بحديث يزيد بن الأصم أن النبي ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وهو حَلَالٌ^(٣) وخرج الدَّارَقُطْنِيُّ والترمِذِيُّ أيضًا من طريق أبي رافع أن النبي ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ، وهو حَلَالٌ^(٤). وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ من طريقٍ ضعيف عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا وهو مُحَرَّمٌ كرواية ابن عباس. وفي مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضي الله عنها، قالت: «تَزَوَّجَ رسولُ الله ﷺ - وهو مُحَرَّمٌ، واختَجَمَ، وهو مُحَرَّمٌ»^(٥)، وإن لم تذكر في هذا الحديث مَيْمُونَةَ، فنكاحها أرادت، وهو حديث غريب، وخرج البخاري حديث ابن عباس، ولم يعلِّله هو، ولا غيره، وَرَوَى عن سعيد بن المسيب أنه قال: غلط ابن عباس أو قال وهم، ما تَزَوَّجَهَا النبي ﷺ إِلَّا وهو حَلَالٌ^(٦)، ولما أجمعوا عن ابن عَبَّاسٍ أَن النبي ﷺ - تَزَوَّجَهَا مُحَرَّمًا، ولم ينقل عنه أحدٌ من المحدثين غير ذلك استغربتُ استغرابًا شديدًا ما رواه الدَّارَقُطْنِيُّ في السُّنَنِ من طريق أبي الأسود يَتِمُّ غُرُورَةً، ومن طريق مَطَرِ الْوَرَّاقِ عن عِكْرِمَةَ عن ابنِ عَبَّاسٍ أَن النبي ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ، وهو حَلَالٌ، فهذه الروايةُ عنه موافقةٌ لرواية غيره، فقف عليها، فإنها غريبة عن ابن عباس، وقد كان من شيوخنا رحمهم الله مَنْ يتأَوَّلُ قول ابنِ عَبَّاسٍ: تَزَوَّجَهَا مُحَرَّمًا، أي:

(١) انظر الخبر في الطبقات (١٢٣/٢٠/٢) وشرح المواهب (٢٥٣/٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٠٩) وأبو داود (١٨٤١) والترمذي (٨٤٠) والنسائي (٢٩٢/٥) وابن ماجه (١٩٦٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٨٤١) وأحمد (٣٩٣/٦). (٤) أخرجه الدارقطني (٣١٣/٢).

(٥) أخرجه البخاري (١٦٧/٢).

(٦) أثر سعيد بن المسيب عند أبي داود (١٨٤٥) بتحقيقي.

قال ابن هشام: فأنزل الله عز وجل عليه، فيما حدثني أبو عبيدة: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ زُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني خير.

في الشهر الحرام، وفي البلد الحرام، وذلك أن ابن عباس رجل عربي قصيح، فتكلم بكلام العرب، ولم يُرد الإحرام بالحج، وقد قال الشاعر:

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحَرِّمًا وَدَعَا فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ مَخْذُولًا

وذلك أن قتله كان في أيام التشريق، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس، أو لا.

ذكر غزوة مؤتة

في جمادى الأولى سنة ثمان، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة.

قال ابن إسحاق: فأقام بها بقيّة ذي الحجة ووليّ تلك الحجّة المشركون، والمحرم وصفرًا وشهري ربيع، وبعث في جمادى الأولى بغنّه إلى الشام الذين أُصيبوا بمؤتة.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسولُ الله ﷺ بغنّه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

فتجهّز الناسُ ثم تهيّئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودّع الناسُ أمراء رسولِ الله ﷺ وسلّموا عليهم. فلما ودّع عبدُ الله بنُ رواحة من ودّع من

غزوة مؤتة^(١)

وهي مهموزة الواو، وهي قرية من أرض البلقاء من الشام، وأما المؤتة بلا همزٍ، ففَصَرَبٌ من الجُنُونِ، وفي الحديث أن النبي - ﷺ - كان يقول في صلاته: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونَفَخِهِ ونَفْثِهِ»^(٢). وفسره راوي الحديث، فقال: «نَفْثُهُ: الشَّعْرُ، ونَفَخُهُ: الكِبَرُ، وَهَمْزُهُ: المَوْتَةُ».

(١) انظر البداية (٢٤١/٤) الطبري (٣٦/٣) الطبقات (٩٢/٢/١) المنتظم (٣١٨/٣) الواقدي (٧٥٥/٢) الاكتفاء (٢٧٥/٢) الواقدي (٧٥٥/٢) الزاد (٣٨١/٣) ابن سيّد الناس (١٥٣/٢) شرح المواهب (٢٦٧/٢) البخاري (٣٩٣/٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٤/٥) وابن حبان (٤٤٣ - موارد) وعبد الرزاق (٢٥٨٩).

أمرأ رسول الله ﷺ بكى؛ فقالوا: ما يُبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صِابة بكم، ولكنني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله عزَّ وجلَّ، يذكر فيها النار ﴿وإن منكم﴾ إلا واردةا كانَ على رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فلست أدري كيف لي بالصُّدْر بعد الورود، فقال المسلمون: صَجِبْكم الله ودفع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين؛ فقال عبدُ الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وضربة ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزُّبْدَا
أو طَعْنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجَهَّزَةً بحَرْبة تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدا
حتى يُقال إذا مَرُّوا على جَدثي أرشده الله من غَارٍ وقد رَشَدَا

قال ابن إسحاق: ثم إن القوم تهيئوا للخروج، فأتى عبدُ الله بن رواحة رسولَ الله ﷺ فودَّعه، ثم قال:

فثَبَّتَ الله ما آتاك من حَسَنِ تَثَبَّيْتُ موسى ونَصْرًا كالذي نُصروا
إني تفرستُ فيكَ الخيرَ نافِلَةً الله يعلم أنني ثابتُ البَصَرِ
أنتُ الرُّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوافِلَهُ والوجهُ منه فقد أزرى به القَدْرُ

تفسير ﴿وإن منكم﴾ إلا واردةا:

ذكر في هذه الغزوة قول عبد الله بن رَوَاحَةَ حين ذكر قول الله تعالى: ﴿وإن منكم﴾ إلا واردةا﴾ [مريم: ٧١] فلست أدري كيف لي بالصُّدْر بعد الورود، وقد تكلم العلماء فيها بأقوال، منها أن الخطاب متوجّه إلى الكفار على الخصوص، واحتجّ قائلوا هذا "مقالة بقرأة ابن عباس: وإن منهم إلا واردةا، وقالت طائفة: الورود ههنا هو الإشراف عليها ومُعَايَنَتِها، وحَكُّوا عن العرب: ورَدْتُ الماء، فلم أشرب. وقالت طائفة: الورود ههنا هو المُرُورُ على الصُّرَاطِ، لأنه على مَتْنٍ جَهَنَّمَ أعادنا الله منها، وروي أن الله تَبَارَكَ وتَعَالَى يجمع الأولين والآخرين فيها، ثم ينادي مناد: خذِي أصحابَكَ ودَعِي أصحابي، وقالت طائفة: الورود أن يأخذ العبدُ بخطئِها، وقد يكون ذلك في الدنيا بالحُمَيَّاتِ، فإن النبي ﷺ، قال: «الحُمَى كَبِيرٌ من جَهَنَّمَ، وهو حَظٌّ كل مؤمنٍ من النار»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٢٥٢/٥) والبخاري في التاريخ (٦٣/٧) والطحاوي في المشكل (٦٨/٣) والبيهقي في الآداب (٩٥٠ - بتحقيق). وقيل إن الورود هو: الإشراف فقط وليس الدخول فيها - تحلة القسم - كما في قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾. فموسى عليه السلام لم يدخل في الماء أو البشر، وإنما أشرف على ماء مدين..

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات:

أنت الرسولُ فمن يُحرَم نوافله والوجهُ منه فقد أزرى به القدرُ
فثبت الله ما آتاك من حسنٍ في المرسلين ونصرًا كالذي نُصروا
إني تفرست فيك الخير نافلةً فراسةً خالفت فيك الذي نظروا
يعني المشركين؛ وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحق: ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رواحة:

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتُهُ فِي التُّخْلِ خَيْرَ مُشِيعٍ وَخَلِيلٍ
ثم مضوا حتى نزلوا معان، من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، في مائة ألف من الزوم، وانضم إليهم من لحم وجذام والقَيْن وبَهراء ويلي مائة ألف منهم، عليهم رجل من بلي ثم أحد إراشة، يقال له: مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له.

قال: فشجع الناس عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن التي تكرهون، للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة لا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة. فمضى الناس، فقال عبد الله بن رواحة في محبسهم ذلك:

جلبنا الخيل من أجبا وفرع تغر من الحشيش لها العُكُومُ

شرح شعر ابن رواحة:

وذكر شعر عبد الله بن رواحة وفيه:

تغر من الحشيش لها العُكُوم

تغر: أي يجمع بعضها إلى بعض، والعُكُوم: جمع عِكم^(١).

(١) العُكُوم: ما شُدَّ وجمع به.

حَدَوْنَاهَا مِنَ الصُّوَانِ سِبْتًا أزلْ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
 أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ فأَعْقَبَ بَعْدَ فترتها جُمُومُ
 فَرُخْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوِّمَاتُ تَنَقَّسُ فِي مَنَاخِرِهَا السُّمُومُ
 فَلَا وَابِي مَابَ لَنَأْتِيَنَّهَا وإنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
 فَعَبَّأْنَا أَعْنَتَهَا فَجَاءَتْ عَوَابِسَ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ
 بِذِي لَجَبٍ^(١) كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَرْتُ قَوَانِسُهَا^(٢) النُّجُومُ
 فَرَاضِيَّةُ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسْنَتَهَا فَتَنَكَّحُ أَوْ تَتِيمُ^(٣)

وفيه:

من الغبار لها بريم

البريم: خيَطٌ تَحْتَزُمُ بِهِ الْمَرَأَةُ، وَالْبَرِيمُ أَيْضًا: لَفِيفُ النَّاسِ، وَأَخْلَاطُهُمْ، وَيُقَالُ: هُمُ بَرِيمَانٍ، أَي: لَوْثَانِ مُخْتَلِطَانِ.

وفيه:

أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ

قال الشيخ أبو بحر: مَعَانٍ بضم الميم، وجدته في الأصلين، وأصلحه علينا القاضي - رحمه الله - حين السماع: مَعَانٍ بفتح الميم، وهو اسم مَوْضِعٍ، وذكره البكري بضم الميم، وقال: هو اسم جَبَلٍ، وَالْمَعَانُ أَيْضًا: حَيْثُ تُخْبَسُ الْخَيْلُ وَالرُّكَابُ، وَيَجْتَمِعُ النَّاسُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْعَثُ النَّظَرِ، أَوْ مِنَ الْمَاءِ الْمَعِينِ، فَيَكُونُ وَزْنُهُ فَعَالًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَوْنِ، فَيَكُونُ وَزْنُهُ مَفْعَلًا، وَقَدْ جَنَسَ الْمَعْرِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَقَالَ:

مَعَانٌ مِنْ أَحَبَّبْنَا مَعَانًا تُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهَا الْقِيَانِ
 وقوله:

فَرَاضِيَّةُ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا

أي: الْمَعِيشَةُ الْمَرْضِيَّةُ، وَبَنَاهَا عَلَى فَاعِلَةٍ، لِأَنَّ أَهْلَهَا رَاضُونَ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى صَالِحَةٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ طَرَفٌ مِنَ الْقَوْلِ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

(٢) قَوَانِسُهَا: أَعْلَى بِيضَاتِ الدَّرُوعِ.

(١) لَجَبٌ: طَرِيقٌ وَاسِعٌ.

(٣) تَتِيمٌ: يَتِيمٌ يَتَّقِلُ الرِّجَالَ.

قال ابن هشام: «ويُروى: جلبنا الخيل من آجام قُرح»، وقوله: «فعبأنا أعتتها» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مُردفي على حَقِيبة رَحْله، فوالله إنه ليسير ليلة إذا سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أذيتني وحملت رَحلي	مسيرة أربع بعد الجساء
قشائك أنعم وخلاك دَم	ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني	بأرض الشام مُستهي الثواء
وردك كل ذي نسب قريب	إلى الرحمن مُنقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بغل	ولا نخل أسافلها رواء

وقوله: وَخَلَاكَ دَمٌ، أي: فارقك الدَم، فليست بأهل له، وقد أحسن في قوله:

قَشَائِكَ أَنْعَمَ وَخَلَاكَ دَمٌ

بعد قوله: إذا بَلَّغْتَنِي، وأحسن أيضًا مَنْ اتَّبَعَهُ في هذا المعنى، كقول أبي نواس:

وإذا المَطِيُّ بنا بَلَّغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ
وكقول الآخر^(١):

نَجَوْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ رَحْلَةٍ يَا نَاقُ إِن قَرَّبْتَنِي مِنْ قُتْمٍ
وقد أساء الشَّمَاخُ حيث يقول:

إذا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَاشْرَقِي بَدَمَ الْوَتِينِ

ويذكر عن الحسن بن هانئ أنه كان يَسْتَوُّهُ إذ ذكر هذا البيت، وذكر مُهْلِهْلُ بن يَمُوت بن المزرع عن أبي تَمَامٍ أنه قال: كان الحسن يَسْتَوُّ الشَّمَاخَ، وأنا ألعنه من أجل قوله هذا.

وقول النبي ﷺ للغفارية: بئس ما جَزَيْنِيهَا يَشُدُّ الغرضُ المُتَقَدِّمُ، ويشهد لصحته.

وقوله: مستهي الثَّوَاء: مُسْتَفْعِلٌ مِنَ النِّهَايَةِ والانتهاء، أي: حيث انتهى مَثْوَاهُ، ومن رواه: مُسْتَهِي الثَّوَاء، أي: لا أريد رجوعًا.

(١) هو داود بن سليم التميمي. انظر الأماشي للقالبي (١٢٩/٢).

فلما سمعتهنّ منه بكيت. قال: فَخَفَّقَنِي بِالذُّرَّةِ، وقال: ما عليك يا لُكْعُ أن يرزقني الله شهادةً وترجع بين شُغْبَتِي الرَّخْل!

قال: ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز:

يا زَيْدُ زَيْدَ الْيَغَمَلَاتِ الذَّبْلِ تطاول اللَّيْلُ هُدَيْتَ فَاَنْزِلِ

لقاء الرّوم:

قال ابن إسحاق: فمضى الناس، حتى إذا كانوا بِخُومِ الْبَلْقَاءِ لقيتهم جموع هِرَقْلَ، من الرّوم والعرب، بقرية من قُرَى البلقاء يقال لها: مَشَارِفُ، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعباً لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذرة، يقال له: قُطْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عُباية بن مالك.

قال ابن هشام: ويقال: عُبَادَةُ بْنُ مَالِكٍ.

وقوله:

حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوْءَانِ سِبْتًا

أي: حَذَوْنَاهَا نِعَالًا مِنْ حَدِيدٍ جَعَلَهُ سِبْتًا لَهَا، مَجَازًا^(١). وَصَوْنٌ مِنَ الصَّوْنِ، أي: يصون حوافرها، أو أخفافها، إن أراد الإِبِلَ، فهو فَعَالٌ مِنَ الصَّوْنِ، فقد كانوا يَحْذُونُهَا السَّرِيحَ وهو جلد يصون أخفافها، وأظهر من هذا أن يكونَ أراد بالصَّوْنِ يَبِيسُ الْأَرْضِ، أي: لَا سِبْتَ لَهُ إِلَّا ذَلِكَ، ووزنه فَعْلَانٌ من قولهم: نَخَلَةٌ حَاوِيَةٌ أَي: يَابِسَةٌ، وأنشد أبو علي:

قَدْ أُوبِيتَ كُلُّ مَاءٍ فَهِيَ صَاوِيَةٌ [مهما تُصِيبَ أَفَقًا مِنْ بَارِقٍ تَشِمُ]

ويشهد لمعنى الصَّوْنِ هنا قول النابغة الذبياني:

يَرَى وَقَعَ الصَّوْنَانِ حَدٌّ نُسُورِهَا [فَهْنٌ لِبَاطٍ كَالصَّعَادِ الدَّوَابِلِ]

وعَيْنُ الْفِعْلِ فِي صَوْنٍ وَلاَمُهُ وَاوُ، وَأَدْخَلَ صَاحِبُ الْعَيْنِ فِي بَابِ الصَّادِ وَالْوَاوِ وَالْيَاءِ هَذَا اللَّفْظَ، فَقَالَ: صَوِيٌّ يَصُوي: إِذَا يَبَسَ، وَنَخَلَةٌ صَاوِيَةٌ، وَلَوْ كَانَ مِمَّا لَامُهُ يَاءٌ، لَقِيلَ: فِي صَوْنٍ صَيَّانٍ، كَمَا قِيلَ: طَيَّانٌ وَرَيَّانٌ، وَلَكِنْ لَمَّا انْقَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً مِنْ أَجْلِ الْكَسْرِ تَوَهَّمُ الْحَرْفُ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ.

(١) سِبْتًا لَهَا: يَعْنِي النِّعَالُ السَّبْتِيَّةُ، وَهِيَ نَعَالٌ تُصَنَعُ مِنَ الْجِلْدِ الْمَدْبُورِغِ.

مقتل ابن حارثة:

قال ابن إسحاق: ثم التقى الناس واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براءة رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم.

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها. حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فَعَقَرَهَا، ثم قاتل القوم حتى قُتِل. فكان جعفرُ أوَّل رجل من المسلمين عَقَرَ في الإسلام.

وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد، قال: حدّثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مُؤتة قال: والله لكانني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عَقَرَهَا ثم قاتل حتى قُتِل وهو يقول:

يا حبّذا الجئةً واقترباها طيّبةً وبارداً شرباها
والرؤم رومٌ قد دنا عذابها كافرةً بعيدةً أنسابها
عليّ إن لاقيتها ضرابها

وقول عبد الله:

هَلْ أَنْتَ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَةِ

النُّطْفَةِ: القليلُ في الماء، والشَّنَةُ: السَّقاء البالي، فيوشكُ أن تُهراقَ النُّطْفَةُ، ويَنَحْرق السَّقاء، ضَرَبَ ذلك مَثَلًا لِنَفْسِهِ فِي جَسَدِهِ.

عقر جعفر فرسه ومقتله

وأما عَقَرُ جَعْفَرٍ فَرَسَهُ، ولم يَعِبْ ذلك عليه أحدٌ، فدلَّ على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدو، فيقاتل عليها المسلمين، فلم يَدْخُلْ هذا في باب النُّهْيِ عن تعذيب البهائم، وقيلها عَبَثًا غير أن أبا داودَ خَرَجَ هذا الحديث، فقال: حدّثنا الثَّقَلِيُّ قال: حدّثنا محمد بن مَسْلَمَةَ عن محمد بن إسحاق عن ابن عِيَاد يعني: يحيى بن عبّاد عن أبيه عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَيْر، قال: حدّثني أبي الذي أرضعني، وهو أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغَزَاة عَزَاة مُؤتة، قال: «والله لكانني أنظر إلى جَعْفَرٍ حين اقتحم عن فرسٍ له شَقْرَاء فَعَقَرَهَا، ثم قاتل القوم حتى قُتِل»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٧٣) والبيهقي في الكبرى (٨٧/٩) وأبو نعيم في الحلية (١١٨/١).

قال ابن هشام: وحَدَّثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فَقَطَّعت، فأخذه بشماله فَقَطَّعت، فاحتضنه بَعْضُديهِ حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. ويقال: إن رجلاً من الرُّوم ضربه يومئذ ضربة، فقطعه بنصفين.

قال أبو داود: وليس هذا الحديث بالقوي، وقد جاء فيه نَهْي كثير عن أصحاب النبي ﷺ.

وذكر قول النبي ﷺ في جعفر: «فأثابه الله بذلك جَنَاحَيْنِ في الجنة يطير بهما حيث شاء»^(١). وَرَوَى عِكْرَمَةُ عن ابن عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عليه وقال: «دخلتُ الجنة البارحة، فرأيتُ جعفرًا يطير مع الملائكة، وجناحاه مُضَرَّجَانِ بِالدَّمِ»^(٢). وعن سَعِيد بن المُسَيَّب، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مِثْلُ لي جَعْفَرٌ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بن رِوَاخَةَ في خيمة من دَرٍّ على أُسْرَةٍ، فرأيتُ زَيْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ وفي أعناقِهِمَا صُدُودٌ، ورأيتُ جعفرًا مُسْتَقِيمًا. فقيل لي: إنهما حين غَشِيَهُمَا الموتُ أَعْرَضَا بوجوههما، ومضى جعفر، فلم يُغْرَضْ»^(٣)، وسمع النبي ﷺ - فاطمة حين جاء نعي جعفر تقول: وأعماءه، فقال: على مِثْلِ جَعْفَرٍ، فَلَتَبْتُكَ البواكي. وكان أبو هريرة يقول: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا بعد رسولِ الله ﷺ أَفْضَلُ من جَعْفَرٍ. وقال عبد الله بن جعفر: كنت إذا سألت عليًّا حاجةً، فمَنَعَنِي أُقْسِمُ عليه بِحَقِّ جَعْفَرٍ فيعطيني»^(٤).

معنى الجناحين:

ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يَسْبِقُ إلى الوهم على مثل جَنَاحِي الطائر وريشه، لأن الصورة الآدمية أشرفُ الصُّورِ، وأكملُها، وفي قوله عليه السلام: «إن الله خَلَقَ آدَمَ على صُورَتِهِ»^(٥) تَشْرِيفٌ له عَظِيمٌ، وحاشا لله من التشبيه والتمثيل، ولكنها عبارة عن صِفَةِ مُلْكِيَّةٍ وقوة رُوحَانِيَّةٍ، أُعْطِيَهَا جعفرُ كما أُعْطِيَتْهَا الملائكةُ، وقد قال الله تعالى

(١) أخرجه الحاكم (٢١٠/٣).

(٢) أخرجه الحاكم (١٩٦/٣) والطبراني (١٠٦/٢) والبخاري في شرح السنة (٧/١٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩٥٦٢) عن سعيد بن المسيب مرسلًا. وفيه ابن جدعان وهو ضعيف.

(٤) من المقرر في عقيدة المسلم أن من حلف بغير الله فقد أشرك، وعليه فلا يجوز أن يحلف المسلم فيقول مثلاً: بحق فلان عليك، أو بحق ما بيننا من أخوة وما شابه ذلك، وعليه فلا تصح هذه الرواية عن علي أو عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه مسلم في البر والصلة (١١٥) وأحمد (٢٤٤/٢) والحميدي (١١٢٠). وانظر الفتح (٣/١١).

استشهاد جعفر وابن رواحة :

قال ابن إسحق: وحديثي يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، قال: فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أَفَسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلُتْ لَتَنْزِلُنَّ أَوْ لَتُكْرِهِنَّ
 إن أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدَّوْا الرُّنَّةَ ما لي أراكِ تَكْرِهينَ الْجَنَّةَ
 قد طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هل أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ

لموسى: ﴿اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٣] فعبر عن العضدِ بالجَنَاحِ توسعاً، وليس ثم طيران، فكيف بمن أُعطي القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به إذا: أن يوصف بالجنح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير، ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمُعَايَنَةِ، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أُولَى أَجْنِحَةٍ مِّثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: ١] فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا، ولم يرَ طائر له ثلاثة أجنحة، ولا أربعة، فكيف بستمائة جناح، كما جاء في صفة جبريل عليه السلام، فدلّ على أنها صفات لا تنضبُ كقيمتها للفكر، ولا ورد أيضاً في بيانها، خبر، فيجب علينا الإيمان بها، ولا يفيدنا علماً إعمال الفكر في كقيمتها، وكل امرئ قريب من مُعَايَنَةِ ذلك.

فإما أن يكون من الذين «تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»، وإما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكة، وهم باسطوا أيديهم: «أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ».

فضل ابن رواحة :

وأما عبدُ الله بن رواحة فقد ذكر ابن إسحق ما ذكر من فضائله.
 وذكر قوله للنبي ﷺ:

فثبتت الله ما آتاك من حسنٍ تثبيت موسى ونَصْرًا كالذي نُصِرُوا
 وروى غيره أنه عليه السلام قال له: قل شعراً تقتضيه اقتضاباً، وأنا أنظر إليك، فقال من غير رواية:

إني تَفَرُّسْتُ فيك الخيرَ

وقال أيضاً:

يا نَفْسُ إِلَّا تُقَتِّلِي مَوْتِي هذا جِمام المَوْتِ قد صَلَّيْتُ
وما تَمَّيْتُ فقد أُعْطِيتِ إن تفعلي فغلهما هُديتِ

يريد صاحبيه: زيداً وجعفرًا؛ ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعزق من لحم فقال: شدّ بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسةً، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدّم، فقاتل حتى قُتل.

عمل خالد:

ثم أخذ الراية ثابتٌ بن أقرم أخو بني العجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس.

تنبؤ الرسول بما حدث:

قال ابن إسحاق: ولمّا أصيب القوم قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني: «أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً؛ ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً»؛ قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيّرت وجوه الأنصار، وظنّوا أنه قد كان في عبد الله بن رِوَاحَةَ بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبدُ الله بن رِوَاحَةَ، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً»؛ ثم قال: «لقد رُفِعوا إليّ في الجَنَّةِ، فيما يرى النائم، على سُرُرٍ من ذهب، فرأيت في سرير عبدِ الله بن رِوَاحَةَ أزوَرَّارًا عن سريري صاحبيّه، فقلت: عمّ هذا؟ فقيل لي: مَضِيّا وتردّد عبدُ الله بعض التردّد، ثم مضى».

حزن الرسول على جعفر:

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن أمّ عيسى الخزاعية، عن أمّ جعفر بنت محمد بن أبي طالب، عن جدّتها أسماء بنت عميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ، وقد دبّغت أربعين منّا - قال ابن هشام: ويروى:

الآبيات، حتى انتهى إلى قوله:

فَشَبَّتِ اللهُ ما آتَاكَ مِنْ حَسَنِ

فقال له النبي ﷺ: «وَأَنْتَ فَبَتَّكَ اللهُ يا ابن رِوَاحَةَ».

أربعين مئة - وعجنت عجيني، وغسلت بنيّ وذهبتهم ونظفتهم. قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «اثني بني جعفر»، قالت: فأثيتهم بهم، فتشمّمهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم، أصيبوا هذا اليوم». قالت: ففُتّمت أصبح، واجتمعن إلي النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: «لا تُغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»^(١).

وحَدَّثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: لما أتى نعي جعفر عَزَفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن. قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله، إن النساء عَنَيْنَا وفَتَّنَا، قال: «فارجع إليهن فأسكِتهن». قالت: فذهب ثم رجع، فقال له مثل ذلك - قال: «تقول وربما ضرّ التكلّف أهله» - قالت: قال: فاذهب فأسكِتهن، فإن أبينَ فاحثٌ في أفواههنّ التراب، قالت: وقلت في نفسي: أبعدك الله! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطيع رسول الله ﷺ قالت: وعرفت أنه لا يقدر على أن يَخْثي في أفواههنّ التراب.

قال ابن إسحق: وقد كان قُطبة بن قَتادة العُدَريّ، الذي كان على مَيمنة المسلمين، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله، فقال قُطبة بن قَتادة:

طعنتُ ابنَ رافلةَ بنِ الإِرا ش برُمح مضى فيه ثم انْحَطَمَ
ضربتُ على جِيدِهِ ضَرْبَةً فمال كما مال غصنُ السَّلَمِ
وسُقنا نساء بني عمّه غداة رُقُوقَيْنِ^(٢) سَوَقَ النِّعَمِ

قال ابن هشام: قوله: «ابن الإِراش» عن غير ابن إسحق.

والبيت الثالث عن خَلاد بن قُرة؛ ويقال: مالك بن رافلة.

فضل زيد:

وأما زَيْدٌ فقد تقدّم التعريف به ويُجْمَلَة من فضائله في أحاديث المَبْعَثِ، وحَسْبُكَ بذكر الله له باسمه في القرآن، ولم يُذكر أحدٌ من الصَّحابةِ باسمه سواه، وقد بيّنا الثُّكَّةَ في ذلك في كتاب التَّعْرِيفِ والأعلام، فَلْيُنْظَرْ هنالك.

(١) أخرجه أحمد (٣٧٠/٦) والبيهقي في الدلائل (٣٧٠/٤).

(٢) رُقُوقين: أي سبايا.

قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً، قد قالت لقومها من حدس - وقومها بطن يقال لهم: بنو غنم - أنذرکم قوماً خُزراً - ينظرون شُزراً، ويقودون الخيل تثرى، ويهريقون دماً عَكْراً. فأخذوا بقولها، واعتزلوا من بين لحم؛ فلم تزل بعدُ أثري حدس. وكان الذين صلُّوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة، بطن من حدس، فلم يزالوا قليلاً بعدُ. فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً.

كيف تلقى الجيش؟!

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: لما دنوا من حول المدينة تلقَّاهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون، قال: ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسولُ الله ﷺ مُقبل مع القوم على دابة، فقال: «خذوا الصبيان فأحملوهم، وأعطوني ابنَ جعفر». فأتى بعد الله فأخذه فحملة بين يديه. قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون: يا قُزار، فررتُم في سبيل الله؟ قال: فيقول رسولُ الله ﷺ: «ليسوا بالقُزار، ولكنهم الكُزار إن شاء الله تعالى».

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض آل الحارث بن هشام: وهم أخواله، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قال: قالت أم سلمة لامرأة سَلَمَة بن هشام بن العاص بن المُغيرة: ما لي لا أرى سَلَمَة يحضر الصلاة

رجوع أهل مؤتة

فصل: وذكر رجوع أهل مؤتة، وما لقوا من الناس، إذ قالوا لهم: يا قُزار، قَرَزْتُم في سبيل الله، ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبي ﷺ - نَحْنُ الْقَرَارُونَ يا رسول الله؟ فقال: «بل أنتم الكَرَارُونَ»، وقال لهم: «أنا فِتْنَتُكُمْ»^(١)، يريد: أن مَنْ قَرَزَ مُتَحَيِّزاً إلى فِتْنَةِ المسلمين، فلا حَرَجَ عليه، وإنما جاء الوعيد فيمن قَرَزَ عن الإمام، ولم يتحيز إليه، أي: لم يلجأ إلى حَوَزَتِهِ، فيكون معه، فالْمُتَحَيِّزُ مُتَفَيِّعِلٌ من الحَوَزِ، ولو كان وزنه مُتَفَعِّلاً، كما يظن بعض الناس لِقِيل فيه: مُتَحَوِّز. وروى أن عَمَرَ رضي الله عنه حين بلغه قتل أبي عُبَيْد بن مَسْعُودٍ وأصحابه في بعض أيام القَادِسِيَّة، قال: هَلَا تَحَيَّزُوا إلينا، فإنَّا فِتْنَةٌ لكل مُسْلِمٍ.

(١) أخرجه أبو داود والترمذي (١٧١٦) وأحمد (١١١/٢) وابن سعد (١٠٧/١/٤) وسعيد بن منصور (٢٥٣٩) وانظر الفتحة (٥٦/١١).

مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فُرَار، فَرَزْتُمْ في سبيل الله، حتى قعد في بيته فما يخرج.

شعر قيس في الاعتذار عن تفهقر خالد:

قال ابن إسحق: وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخَاشَاتِهِ بالناس وانصرافه بهم، قَيْسُ بن المُسَحَّر اليعمري، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس:

فوالله لا تَنفَكُ نفسي تَلُومني	على مَوْقفي والخيَل قابعة قُبُل
وَقَفْتُ بها لا مُسْتَجِيرًا فَنافِذًا	ولا مانِعًا مَن كان حُمَ له القَتْل
على أنني آسَيْتُ نَفْسي بخالِدٍ	ألا خالِدٌ في القوم لَيْسَ له مِثْل
وجاشت إليَّ النفسُ من نحو جعفر	بمؤْتة إذ لا يَنْفَع النابِلُ النَّبْل
وضُمَّ إلينا حَجَزَتَيْهِم كِلَيْهِمَا	مهاجِرَةٌ لا مُشْرَكُونَ ولا عُزْل

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره، أن القوم حاجزوا^(١) وكرهوا الموت، وحقَّق انحياز خالد بمن معه.

وذكر ابن إسحق مُخَاشَاةَ خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة. والمُخَاشَاةُ: المُحَاجَزَةُ، وهي: مُفَاعَلَةٌ من الحَشْيَةِ، لأنه خشي على المسلمين لقلَّة عددهم، فقد قيل: كان العدو مائتَيْ ألفٍ من الرُّوم، وخمسين ألفًا من العرب، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين، وفي قول ابن إسحق: وكان العدو مائة ألفٍ وخمسين ألفًا، وقد قيل: إن المسلمين لم يبلغ عددهم في ذلك اليوم ثلاثة آلاف، ومن رواه: حاشى بالحاء المهملة، فهو من الحَشَى، وهي الناحية، وفي رواية قاسم بن أَصْبَغ عن ابن قُتَيْبَةَ في المعارف أنه سُئِلَ عن قوله: حَاشَى بهم، فقال: معناه: انحاز بهم، وشعر قطبة بن قتادة يدلُّ على أنه قد كان ثَمَّ ظَفَرٌ وَمَغْنَمٌ لقوله:

وَسُقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَمِّهِ عَدَاةَ رُقُوقَيْنِ سَوَوْقِ النُّعَمِ

وفي هذا الشعر أنه قتل رئيسًا منهم وهو مالك بن رافلة، وقد اختلف في ذلك كما ذكر ابن إسحق، فقال ابن شِهَاب: فأخذ خالدُ الرَايَةَ حتى فَتَحَ الله على المسلمين، فأخبر أنه قد كان ثَمَّ فَتْحٌ، وفي الرَايَةَ الأخرى حين قيل لهم: يا فُرَارُ، دليلٌ على أنه قد كان ثَمَّ مُحَاجَزَةٌ، وَتَرَكُ للقتال، حتى قالوا: نحن الفُرَارُونَ، فقال لهم النَّبِيُّ ﷺ ما تقدَّم، فالله أعلم.

(١) حاجزوا: أي نفروا.

قال ابن هشام: فأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه: أُمِرَ المسلمون عليهم خالد بن الوليد، ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى قفل إلى النبي ﷺ.

شعر حسان في بكاء قتلى مؤتة

قال ابن إسحق: وكان مما بُكِيَ به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت:

تَأْوِينِي لَيْلٌ بِيَشْرِبُ أَغْسَرُ	وَهُمْ إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ مُسْهِرُ
لِذِكْرِي حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةٌ	سَفَوْحًا وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّذْكَرُ
بَلَى إِنْ فَقْدَانُ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ	وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَضْبِرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا	شَعُوبٌ وَخَلْفًا بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلَا يُبْعَدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا	بِمُؤْتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا	جَمِيعًا وَأَسْبَابُ الْمَنِيَّةِ تَخْطُرُ
غَدَاةً مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ	إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ أَزْهَرُ

طعام التعزية وغيرها:

فصل: وذكر أن رسول الله - ﷺ - أمر أن يُضَنَّ لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامٌ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم، وهذا أصل في طعام التعزية وتُسَمِّيهِ الْعَرَبُ الْوَضِيْمَةَ، كما تُسَمَّى طعام الغرس الوليمة، وطعام القادم من السفر: التَّقِيَّةُ، وطعام البناء الوَكِيْرَةُ، وكان الطعام الذي صُنِعَ لآلِ جَعْفَرٍ فيما ذكر الزبير، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال: فَعَمَدَتْ سَلَمَى مَوْلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى شَعِيرٍ، فَطَحَنَتْهُ، ثُمَّ آدَمَتْهُ بَزِيْتُ، وَجَعَلَتْ عَلَيْهِ فُلْفُلًا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَكَلْتُ مِنْهُ، وَحَسَنِي النَّبِيُّ ﷺ مَعَ إِخْوَتِي فِي بَيْتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

من شعر حسان في رثاء جعفر

وذكر قول حسان يَرْثِي جَعْفَرًا:

تَأْوِينِي لَيْلٌ بِيَشْرِبُ أَغْسَرُ

أَغْسَرُ: بِمَعْنَى: عَسِرَ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿يَوْمَ عَسِيرٌ﴾ [القمر: ٨]، وَفِيهِ أَيْضًا: ﴿عَسِيرٌ﴾ وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ، فَمَنْ قَالَ: عَسِرَ [يَعْسُرُ] قَالَ: عَسِيرٌ بِالْيَاءِ، وَمَنْ قَالَ: عَسِرَ يَعْسُرُ، قَالَ فِي الْأِسْمِ: عَسِيرٌ وَأَعْسَرُ، مِثْلُ حَقِيقٍ وَأَحْمَقُ.

أَغْرُ كَضْوَاءِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَبِي إِذَا سِيمَ^(١) الظُّلَامَةَ مَجْسَرٍ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالٍ غَيْرِ مُوسَدٍ لِمُعْتَرِكٍ فِيهِ قَنَا مُتَكَسِّرٍ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابَهُ جِنَانٌ وَمَلْتَفُ الْحَدَائِقِ أَخْضَرِ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَفَاءً وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمُ عَزٍّ لَا يَزْلَنَ وَمَفْخَرُ
هُمُ جِبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ رِضَامٌ^(٢) إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَقْهَرُ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرِ

وفي هذا الشعر قوله:

بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ: جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرِ
الْبَهَالِيلُ: جَمْعُ بَهْلُولٍ، وَهُوَ الرِّضَى الْوَجْهِ مَعَ طَوْلٍ.

وقوله: منهم أحمد المتخير، فدعا به بعض الناس لما أضاف أحمد المتخير إليهم، وليس بعيب؛ لأنها ليست بإضافة تعريف، وإنما هو تشريف لهم حيث كان منهم، وإنما ظهر العيب في قول أبي نواس:

كَيْفَ لَا يَدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ
لأنه ذكر واحدًا، وأضاف إليه، فصار بمنزلة ما عيب على الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ
وكان حَيَّانُ أَسَنَ مِنْ جَابِرٍ، وَأَشْرَفَ، فغضب على الأعشى حيث عرفه بجابر، واعتذر إليه من أجل الرُّوِي، فلم يقبل عذره، ووجدت في رسالة المهلهل بن يَمُوت بن المزرع، قال: قال علي بن الأضرَف، وكان من رُواة أَبِي نُوَّاسٍ قال: لما عمل أبو نواس:

أَيُّهَا الْمُتَنَابُ عَلَى عُفْرِهِ

أنشدنيها فلما بلغ قوله:

كَيْفَ لَا يَدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ
وقع لي أنه كلام مُسْتَهْجَنٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، إِذْ كَانَ حَقُّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنْ يُضَافَ

(٢) رضام: صخور عظيمة.

(١) سيم: أثار.

وحمزة والعبّاس منهم ومنهم عَقِيلٌ وماء العود من حيث يُغَصَّر
بهم تُفَرِّجُ اللَّأْوَاءُ^(١) في كلِّ مَأْزِقٍ عَمَاسٍ^(٢) إذا ما ضاق بالناس مَصَدَّر
هُمُ أَوْلِيَاءُ الله أنزَلَ حُكْمَهُ عليهم وفيهم ذا الكتاب المُطَهَّر

شعر كعب في بكاء قتلى مؤتة

وقال كعب بن مالك:

قَامَ الْعُيُونُ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ سَحَا كَمَا وَكَفَ الطَّبَابُ الْمُخْضِلُ

إليه، ولا يُضَافُ إلى أَحَدٍ، فقلت له: أعرفت عيبَ هذا البيت؟ قال: ما يعيبه إلا جاهل بكلام العرب، وإنما أردت أن رَسُولَ الله - ﷺ - من القبيل الذي هذا الممدوح منه، أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر دين الإسلام:

وما زال في الإسلام من آلِ هاشم دعائِمُ عَزْ لا تُرَامُ وَمَفْخَزُ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيِّزُ
وقوله:

بِهِمْ تُفَرِّجُ اللَّأْوَاءُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ عَمَاسُ

المَأْزِقُ: الْمَضِيقُ من مَضَائِقِ الحرب والخصومة، وهو من أَرْقَتُ الشَّيْءَ إِذَا ضَيَّقْتَهُ، وفي قِصَّةِ ذِي الرُّمَّةِ، قال: سمعت غلاماً يقول لِغُلَمَةٍ، قد أَرِقْتُمْ هَذِهِ الْأَوْقَةَ حَتَّى جَعَلْتُمُوهَا كَالْمِمْ، ثم أدخل مَنَجِمَهُ، يعني: عَقَبَةَ فِيهَا، فَتَنَجَّنَجَ، حَتَّى أَفْهَقَهَا، أَي: حَرَّكَه حَتَّى وَسَّعَهَا. وَالْعَمَاسُ: الْمَظْلَمُ، وَالْأَعْمَسُ: الضَّعِيفُ الْبَصَرِ، وَحُفْرَةُ مُعْمَسَةٍ، أَي: مُعْطَاةٌ، قال الشاعر:

فَإِنَّكَ قَدْ غَطَّيْتَ أَزْجَاءَ هُوَّةٍ مُعْمَسَةٍ لَا يُسْتَبَانَ ثَرَابُهَا
بشوبِك في الظُّلَمَاءِ، ثم دَعَوْتَنِي فَجِئْتُ إِلَيْهَا سَادِرًا لَا أَهَابُهَا
أنشده ابن الأَنْبَارِيِّ في خبر لَزْرَارَةَ بنِ عُدْسٍ.

حول شعر كعب

وذكر شعر كَعْبٍ وفيه:

سَحَا كَمَا وَكَفَ الطَّبَابُ الْمُخْضِلُ

(٢) عَمَاس: مظلم.

(١) اللَّأْوَاءُ: الشدة.

فِي لَيْلَةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ هُمُومُهَا طَوْرًا أَخْنُ وَتَارَةً أَتَمَلَّمَل
 وَاعْتَادَنِي حُزْنٌ قَبِيتُ كَأَنِّي بِنَاتِ نَعَشٍ وَالسَّمَاءِ مُوَكَّل
 وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَى مِمَّا تَأْوِيَنِي شِهَابٌ مُدْخَل
 وَجَدَا عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمًا بِمُؤْتَةٍ أَسْنَدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
 صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِتْنَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْعَمَامُ الْمُسْبِل
 صَبَرُوا بِمُؤْتَةٍ لِلإِلَهِ تُفَوِّسُهُمْ حَذَرَ الرَّدَى وَمَخَافَةَ أَنْ يَنْكُلُوا
 فَمَضَوْا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ فُتِقُ^(١) عَلَيْهِنَ الْحَدِيدُ الْمُرْقَلُ
 إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَفْعَرٍ وَلِوَائِهِ قُدَّامَ أَوْلَاهِمَ فَنِغَمَ الْأَوَّلِ

الطَّبَابُ: جمع طِبَابِيَّة، وهي سِير بين خَرَزَتَيْنِ فِي الْمَزَادَةِ، فإذا كَانَ غَيْر مُحَكَّم وَكَفَّ
 مِنْهُ الْمَاءُ، وَالطَّبَابُ أَيْضًا: جمع طَبِيَّة، وهي شَقَّةٌ مُسْتَطِيلَةٌ.
 وَقَوْلُهُ: طَوْرًا أَخْنُ. الْخَيْنُ بِالْخَاءِ الْمَنْقُوطَةُ حَيْنٌ بِكَاءٍ، فإذا كَانَ بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ،
 فَلَيْسَ مَعَهُ بَكَاءٌ وَلَا دَمْعٌ.

الاستقاء للقبور عند العرب:

وقوله:

وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْعَمَامُ الْمُسْبِلِ

يَرَدُّ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّمَا اسْتَسْقَتْ الْعَرَبُ لِقُبُورِ أَحِبَّتِهَا لِتَخْصَبَ أَرْضُهَا فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى
 الْإِنْتِقَالِ عَنْهَا لِمَطْلَبِ النَّجْعَةِ فِي الْبِلَادِ. وَقَالَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الدَّلَائِلِ: فَهَذَا كَعَبٌ يَسْتَسْقِي
 لِعِظَامِ الشُّهَدَاءِ بِمُؤْتَةٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ:

سَقَى مُطْغِيَّاتِ الْمَخْلِ جُودًا وَدِيمَةً عِظَامُ ابْنِ لَيْلَى حَيْثُ كَانَ رَمِيمُهَا

فَقَوْلُهُ: حَيْثُ كَانَ رَمِيمُهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مُقِيمًا مَعَهُ، وَإِنَّمَا اسْتَسْقَاؤُهُمْ لِأَهْلِ الْقُبُورِ
 اسْتِرْحَامٌ لَهُمْ، لِأَنَّ السَّقْيَ رَحْمَةٌ، وَضَدُّهَا عَذَابٌ.

وقوله: كَأَنَّهُمْ فُتِقُ، جمع: فَنِيْق، وهو الْفَخْل، كما قَالَ الْآخَرُ، وَهُوَ طَخِيم:

مَعِيَ كُلُّ قَضْفَاضِ الرَّدَاءِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا سَرَّتْ فِيهِ الْمُدَامُ فَنِيْقُ

(١) فتق: أي كأنهم أصحاب راحة ونعيم بعد كرب وشدة.

حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعَفَرُ حَيْثُ التَّقَى وَغُثُ^(١) الصُّفُوفِ مَجْدَلُ
 فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لِفَقْدِهِ وَالشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ وَكَادَتْ تَأْفِلُ
 قَزَمَ عَلَا بُنْيَانِهِ مِنْ هَاشِمٍ قَزَعَا أَشَمَّ وَسُودَذَا مَا يُنْقَلُ
 قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الْإِلَهِ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
 فَضَلُّوا الْمَعَاشِيرَ عِزَّةً وَتَكْرُمًا وَتَعَمَّدَتْ أَحْلَامُهُمْ مَنْ يَجْهَلُ
 لَا يُظْلِقُونَ إِلَى السَّفَاهِ حُبَاهُمْ وَيُرَى خَطِيبُهُمْ بِحَقِّ يَفْصِلُ
 بَيْضُ الْوُجُوهِ تَرَى بُطُونٌ أَكْفَهُمْ تَنْدَى إِذَا اعْتَذَرَ الزَّمَانُ الْمُمَجِّلُ
 وَيَهْدِيهِمْ رِضَى الْإِلَهِ لِحَلْقِهِ وَبَجَدَهُمْ نُصْرَ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ

وقوله:

فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لِفَقْدِهِ وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ وَكَادَتْ تَأْفِلُ

قوله: حق، لأنه إن كان عنى بالقمر رسول الله ﷺ، فجعله ثمرًا، ثم جعله شمسًا،
 فقد كان تغير بالحزن لفقد جعفر، وإن كان أراد القمر نفسه، فمعنى الكلام ومغزاه حقٌّ
 أيضًا، لأن المفهوم منه تعظيم الحزن والمصاب، وإذا فهم مغزى الشاعر في كلامه، والمبالغ
 في الشيء فليس بكذب، ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «أما أبو جهنم فلا يضع عصاه عن
 عَاتِقِهِ»^(٢)، أراد به المبالغة في شدة أدبه لأهله، فكلامه كله حقٌّ - ﷺ - وكذلك قالوا في
 مثل قول الشاعر [طَفِيلُ الْعَنَوِي]:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضْرِيَّةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ، أَوْ فَطَرَتْ دَمًا

قال: إنما أراد فعلنا فعلًا شنيعةً عظيمة، فضرب المثل بهتك حجاب الشمس، وفهم
 مقصده، فلم يكن كذبًا، وإنما الكذب أن يقول: فعلنا، وهم لم يفعلوا، وقتلنا وهم لم
 يقتلوا.

(١) الوعث: كل أمر شديد شاق.

(٢) أخرجه مسلم في الطلاق (٤٧/٣٦) وأبو داود والنسائي والترمذي (١١٣٤) ومالك في الموطأ (٥٨١) والشافعي في مسنده (٢٧٤) وأحمد (٤١٢/٦).

شعر حسان في بكاء جعفر بن أبي طالب

وقال حسان بن ثابت يكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

ولقد بكيث وعزّ مُهلِك جَعْفَرٍ	حَبَّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
ولقد جَزَعَتْ وقلت حين نُعِيَتْ لي	مَنْ لِلجِلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظَلُّهَا
بالبِضْرِ حينَ تُسَلَّ من أغمادها	ضَرْبًا وَأَنهَالِ الرِّمَاحِ وَعَلَّهَا
بعدَ ابنِ فاطِمَةَ المُبارِكِ جَعْفَرٍ	خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلُّهَا
رُزْءًا ^(١) وَأَكْرَمَهَا جَمِيعًا مُخْتَدًا	وَأَعَزَّهَا مُتَّظِلًّا وَأَذَلُّهَا
للحَقِّ حينَ يَنُوبُ غَيْرَ تَنَحُّلٍ	كَذِبًا وَأَنذَاهَا يَدًا وَأَقْلُّهَا
فُحْشًا وَأَكْثَرَهَا إِذَا مَا يُخْتَدَى	فَضْلًا وَأَبْذَلَهَا نَدَى وَأَبْلُّهَا
بِالْعُرْفِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ لَا مِثْلُهُ	حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

من شعر حسان في رثاء جعفر

وذكر أبيات حسان، وفي بعضها تضمين، نحو قوله: وأذَلُّها، ثم قال في أول بيت آخر: لِلْحَقِّ، وكذلك قال في بيت آخر: وأقْلُّها، وقال في الذي بعده: فُحْشًا، وهذا يسمّى التَّضْمِينُ.

وذكر قدامة في كتاب نَقْدِ الشُّعْرِ أَنَّهُ عَنِيَ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ، وَلَعَمْرِي إِنَّ فِيهِ مَقَالًا، لِأَنَّ آخِرَ الْبَيْتِ يَوْقِفُ عَلَيْهِ، فَيُوْهِمُ الذَّمَّ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: وَأَذَلُّهَا، وَكَذَلِكَ، وَأَقْلُّهَا، وَقَدْ غَلَبَ الزُّبَيْرِيُّ عَلَى الْمُخَبِّلِ السَّعْدِيِّ، وَاسْمُهُ: كَعْبٌ بِكَلِمَةِ قَالِهَا الْمُخَبِّلُ أَشْعَرُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا قَالَ يَهْجُوهُ:

وَأَبُوكَ بَذَرَ كَانَ يَنْتَهِزُ الْخُضْيَ وَأَبِي الْجَوَادُ رَبِيعَةُ بْنُ قَيْسٍ
وَصَلَ الْكَلَامَ بِقَوْلِهِ: وَأَبِي، وَأَدْرَكَهُ بُهْرٌ أَوْ سُغْلَةٌ، فَقَالَ لَهُ الزُّبَيْرِيُّ: فَلَا بَأْسَ إِذَا،
فَضَحِكَ مِنَ الْمُخَبِّلِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرِيُّ، وَإِذَا كَانَ هَذَا مَعِينًا فِي وَسْطِ الْبَيْتِ، فَأَخْرَجَ أَنْ
يُعَابَ فِي آخِرِهِ، إِذَا كَانَ يُوْهِمُ الذَّمَّ، وَلَا يَنْدَفِعُ ذَلِكَ الْوَهْمَ إِلَّا بِالْبَيْتِ الثَّانِي، فَلَيْسَ هَذَا مِنَ
التَّخْصِيصِ عَلَى الْمَعْنَى وَالتَّوَقُّفِ لِلْإِعْتِرَاضِ.

(١) رزءًا: أي مصابًا.

شعر حسان في بكاء ابن حارثة وابن رواحة:

وقال حسان بن ثابت في يوم مؤتة يبكي زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة:

عين جودي بدمعك المنزور	واذكري في الرخاء أهل القبور
واذكري مؤتة وما كان فيها	يوم راحوا في وقعة التغوير
حين راحوا وغادروا ثم زيد	نغم مأوى الضريك ^(١) والمأسور
حب خير الأنام طرا جميعا	سيد الناس حبه في الصدور
ذاكم أحمد الذي لا سواه	ذاك حزني له معا وسروري
إن زيدا قد كان مينا بأمر	ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودي للخزرجي بدمع	سيدا كان ثم غير نزور
قد أتانا من قتلهم ما كفانا	فبحزن نبيت غير سرور

وقول حسان:

عين جودي بدمعك المنزور

النز: القليل، ولا يحسن ههنا ذكر القليل، ولكنه من نزلت الرجل إذا ألحجت عليه، ونزلت الشيء إذا استنفذته، ومنه قول عمر - رحمه الله - نزلت رسول الله - ﷺ - الأصح فيه التخفيف، قال الشاعر:

فخذ عفو من تهواه لا تنزرنه فعند بلوغ الكدر ثق المشارب

وقوله:

يوم راحوا في وقعة التغوير

هو مضدر غوزت إذا توسط القائلة من النهار، ويقال أيضا: أغور فهو مغور، وفي حديث الإفك: مغورين في نحر الظهيرة، وإنما صحت الواو في مغور، وفي أغور من هذا، لأن الفعل بني فيه على الزوائد، كما يبنى استخوذ، وأغيلت المرأة، وليس كذلك أغار على العدو، ولا أغار الحبل.

(١) الضريك: الأحمق.

وقال شاعر من المسلمين ممن رَجَع من غزوة مُؤتة:

كَفَى حَزْنًا أَنِي رَجَعْتُ وَجَعَفَرُ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فِي رَمْسٍ أَقْبَرُ
قَضَوْا نَحْبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا لَسَبِيلَهُمْ وَخُلِفْتُ لِلْبَلَوَى مَعَ الْمُتَغَبَّرِ
ثَلَاثَةٌ رَهْطٌ قُدُّمُوا فَتَقَدَّمُوا إِلَى وَرْدٍ مَكْرُوهٍ مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرُ

شهداء مؤتة:

وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة:

من قريش، ثم من بني هاشم: جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيد بن حارثة رضي الله عنه.

ومن بني عدي بن كعب: مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة.

ومن بني مالك بن حنبل: وهب بن سعد بن أبي سرح.

ومن الأنصار ثم من بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة، وعبد بن قيس.

ومن بني غنم بن مالك بن النجار: الحارث بن الثعمان بن أساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم.

ومن بني مازن بن النجار: سراقه بن عمرو بن عطية ابن خنساء.

قال ابن هشام: وممن استشهد يوم مؤتة، فيما ذكر ابن شهاب.

من بني مازن بن النجار: أبو كليب وجابر، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول، وهما لأب وأم.

ومن بني مالك بن أفضى: عمرو وعامر، ابنا سعد بن الحارث بن عبد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى.

قال ابن هشام: ويقال: أبو كلاب وجابر، ابنا عمرو.

وذكر فيمن استشهد بمؤتة أبا كليب بن أبي صغصعة. وقال ابن هشام: فيه أبو كلاب، وهو المعروف عندهم، وقال أبو عمر: لا يعرف في الصحابة أحد يقال له: أبو كليب.

ذكر الأسباب الموجبة للمسير إلى مكة وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بَعَثَهُ إلى مُؤْتَةِ جَمَادَى الآخِرَةِ وَرَجَبًا .
ثم إن بني بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانَةَ عَدَّتْ عَلَى خُرَاعَةٍ ، وَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ بِأَسْفَلِ
مَكَّةَ يُقَالُ لَهُ : الْوَتِيرُ ، وَكَانَ الَّذِي هَاجَ مَا بَيْنَ بَنِي بَكْرٍ وَخُرَاعَةٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْحَضْرَمِيِّ ،
وَأَسَمُهُ مَالِكُ بْنُ عَبَّادٍ - وَحَلَفَ الْحَضْرَمِيُّ يَوْمَئِذٍ إِلَى الْأَسْوَدِ بْنِ رَزْنٍ - خَرَجَ تَاجِرًا ، فَلَمَّا
تَوَسَّطَ أَرْضَ خُرَاعَةٍ ، عَدَّوْا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا مَالَهُ ، فَعَدَّتْ بَنُو بَكْرٍ عَلَى رَجُلٍ مِنْ خُرَاعَةٍ
فَقَتَلُوهُ ، فَعَدَّتْ خُرَاعَةُ قَبِيلَ الْإِسْلَامِ عَلَى بَنِي الْأَسْوَدِ بْنِ رَزْنٍ الدَّيْلِي - وَهُمْ مَخْرُجُ بَنِي كِنَانَةَ
وَأَشْرَافُهُمْ - سَلَمَى وَكُلْثُومَ وَذُؤَيْبَ - فَقَتَلُوهُمْ بِعَرَفَةَ عِنْدَ أَنْصَابِ الْحَرَمِ .
قال ابن إسحاق: وحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ ، قَالَ : كَانَ بَنُو الْأَسْوَدِ بْنِ رَزْنٍ
يُؤَدُّونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَيْتِينَ دَيْتَيْنِ ، وَتُؤَدَّى دِيَّةٌ دِيَّةً ، لِفَضْلِهِمْ فِينَا .

بدء فتح مكة^(١)

ذَكَرَ فِي الْأَسْوَدِ بْنِ رَزْنٍ الْكَتَنَانِي بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو بَحْرٍ أَنَّ أَبَا الْوَلِيدِ
أَصْلَحَهُ : رَزْنًا بِكَسْرِ الرَّاءِ ، قَالَ : وَالرَّزْنُ ، تُفْرَعُ فِي حَجَرٍ يَمْسُكُ الْمَاءَ ، وَفِي كِتَابِ الْعَيْنِ :
الرَّزْنُ أَكْمَةُ تَمْسِكُ الْمَاءَ ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ ، وَذَكَرَ أَنَّ بَنِي رَزْنٍ مِنْ بَنِي بَكْرٍ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ :
الدَّيْلُ ، وَقَدْ أَشْبَعْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ ، وَمَا قَالَهُ اللَّغَوِيُّونَ وَالنَّسَابُونَ ، وَذَكَرْنَا هُنَاكَ
كُلَّ دَيْلٍ فِي الْعَرَبِ ، وَكُلَّ دَوْلٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

(١) انظر البداية والنهاية (٢٧٨/٤) والطبري (٣٨/٣) الطبقات (٩٦/١/٢) الكامل (١١٦/٢) الاكتفاء
(٢٨٧/٢) الواقدي (٧٨/٢) المنتظم (٣٢٤/٣) ابن حزم (٢٦٧) شرح المواهب (١٩١/١) أنساب
الأشراف (١٧٠/١) الزاد (٣٩٤/٣) والبخاري (١٤٥/٥) .

قال ابن إسحق: فبينما بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صلح الحُدَيْبية بين رسول الله ﷺ وبين قُرَيْش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم، كما حدثني الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، وغيرهم من علمائنا: أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قُرَيْش وعهدهم فليدخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قُرَيْش وعهدهم، ودخلت خُزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده.

قال ابن إسحق: فلما كانت الهُدنة اغتنمها بنو الدَّيْل من بني بَكْرِ من خُزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منه ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رَزَن، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الدَّيْل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بني بكر تابعه حتى يَبْتَ خُزاعة وهم على الوَتِير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت بني بكر قريش بالسلام، وقاتل معهم من قُرَيْش مَنْ قاتل بالليل مستخفياً، حتى حازوا خُزاعة إلى الحَرَم، فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكر: يا نُوْفَل، إنَّا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال: كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون، في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؛ وقد أصابوا منهم ليلة يَبْتُوهم بالوتير رجلاً يقال له منبه، وكان منبه رجلاً مفؤوداً خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، وقال له منبه: يا تميم، انج بنفسك، فأما أنا فوالله إني لميِّت، قتلوني أو تركوني لقد أنبت فؤادي، وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا مَنبها فقتلوه، فلما دخلت خُزاعة مكَّة، لجؤوا إلى دار بُدَيْل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له رافع؛ فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن مَنبته.

شعر تميم في الاعتذار من فراره عن منبه

لَمَّا رَأَيْتَ بَنِي نَفَاةٍ أَقْبَلُوا	يَغْشَوْنَ كُلَّ وَتِيرَةٍ وَحِجَابٍ
صَخْرًا وَرَزْنًا لَا عَرِيبَ سِوَاهُمْ	يُزْجُونَ كُلَّ مُقْلَصٍ خِثَابٍ
وَذَكَرْتُ دَخْلًا عِنْدَنَا مُتَقَادِمًا	فِي مَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَخْبَابِ

حول شعر تميم

وذكر شعر تميم بن أسد، وفيه:

يُزْجُونَ كُلَّ مُقْلَصٍ خِثَابٍ

وَنَشَيْتَ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهِمْ
وَعَرَفْتَ أَنْ مَنْ يَخْشَفُوهُ يَشْرُكُوا
قَوْمَتْ رِجَالًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا
وَنَجَوْتُ لَا يَنْجُو نَجَائِي أَحَقَبُ
تَلَحَّى وَلَوْ شَهِدْتُ لَكَانَ نَكِيرُهَا
الْقَوْمُ أَعْلَمَ مَا تَرَكْتُ مُتَبِّهَا
وَرَهْبْتُ وَقَعَ مُهْتَدٍ قَضَاب
لَحْمًا لِمُجْرِيَةِ وَشَلَوْ غَرَاب
وَطَرَحَتْ بِالْمَثْنِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي
عِلْجٌ أَقْبُ مَشْمَرِ الْأَقْرَابِ
بَوْلًا يَبْلُ مَشَافِرَ الْقَبْقَابِ
عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ فَاسَالِي أَصْحَابِي

قال ابن هشام: وتروى لحبيب بن عبد الله (الأعلم) الهذلي وبنيته: «وذكرت دخلاً عندنا متقادماً» عن أبي عبيدة، وقوله: «خناب» و «علاج أقب مشمر الأقراب» عنه أيضاً.

شعر الأخرز في الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن إسحق: وقال الأخرز بن لُعط الديلي، فيما كان بين كنانة وخزاعة في تلك الحرب:

أَلَا هَلْ أَتَى قُضْوَى الْأَحَابِيشِ أَنَا
رَدَدْنَا بَنِي كَنْبٍ بِأَفُوقٍ^(١) نَاصِلِ

الْخِتَابُ: الطويل من الخيل، وقع ذلك في الجَمَهَرَة، ويقال: الْخِتَابُ: الواسع المَنْخَرَيْنِ، وَالْخِتَابَةُ جَانِبُ الْأَنْفِ، وفي العين: الْخِتَابُ الرَّجُلُ الضَّخْمُ، وهو الْأَحْمَقُ أَيْضًا، وَالْمُقْلَصُ من الخيل الْمُنْضَمُّ الْبَطْنِ والقوائم، وإن قلت: الْمُقْلَصُ بكسر اللام، فهو من قَلَصْتُ الْإِبِلَ إِذَا شَمَرْتُ، قاله صاحبُ العين.

وفيه: ظِلُّ عُقَابٍ، وهي الرَّايَةُ، وكان اسمُ رَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ - الْعُقَابُ، والدليل على أنه يقال لكل راية عُقَابٌ قَوْلُ قَطْرِ بْنِ الْفُجَاءَةِ وَيُكْنَى أَبَا نَعَامَةَ رئيس الخوارج:

يَا رَبِّ ظِلُّ عُقَابٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهَا
مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالِ تَجَلَّدُ
وفيه: يَبْلُ مَشَافِرِ الْقَبْقَابِ، الْقَبْقَابُ: أراد به الْفَرْجَ، وَالْقَبْقَبُ وَالْقَبْقَابُ: الْبَطْنُ أَيْضًا.

حول شعر الأخرز

وذكر قول الأخرز، وفيه:

قَفَاثُورَ حَفَّانِ النَّعَامِ الْجَوَائِلِ

(١) أفوق: عظيم.

وَعِنْدَ بُذَيْلٍ مَخْبِيسًا غَيْرَ طَائِلٍ
شَقَيْنَا النُّفُوسَ مِنْهُمْ بِالْمَنَاصِلِ
نَفَخْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْبٍ بَوَابِلَ^(٢)
أَسْوَدَ تَبَارَى فِيهِمْ بِالْقَوَاصِلِ^(٣)
وَكَانُوا لَدَى الْأَنْصَابِ أَوَّلَ قَاتِلِ
قَفَا تَوْرَ حَفَانُ النِّعَامِ الْجَوَافِلِ^(٤)

حَبَسْنَاهُمْ فِي دَارَةِ الْعَبْدِ رَافِعِ
بِدَارِ الدَّلِيلِ الْآخِذِ الضَّيْمِ^(١) بَعْدَمَا
حَبَسْنَاهُمْ حَتَّى إِذَا طَالَ يَوْمُهُمْ
نُذِبْخَهُمْ ذَبَحَ الثُّيُوسَ كَأَنَّا
هُمْ ظَلَمُونَا وَاعْتَدَوْا فِي مَسِيرِهِمْ
كَأَنَّهُمْ بِالْجِزْعِ إِذْ يَطْرُدُونَهُمْ

قَفَاتُورٌ، يعني: الجَبَلُ، وَقَفَا ظَرْفٌ لِلْفِعْلِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَقَالَ: قَفَاتُورٌ، وَلَمْ يَنْوُنْ لِأَنَّهُ اسْمٌ عَلَّمٌ مَعَ ضَرُورَةِ الشَّعْرِ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذَا فِيمَا قَبْلَ، وَلَوْ قَالَ: قَفَاتُورٌ بِنَصْبِ الرَّاءِ، وَجَعَلَهُ غَيْرَ مُنْصَرِفٍ، لَمْ يَبْعُدْ، لِأَنَّ مَا لَا تَنْوِينَ فِيهِ، وَهُوَ غَيْرُ مُغَرَّبٍ بِأَلِفٍ وَلامٍ، وَلَا إِضَافَةٍ، فَلَا يَدْخُلُهُ الْخَفْضُ لِثَلَاثِ شَيْبِهِ مَا يُضَيِّقُهُ الْمُتَكَلِّمُ إِلَى نَفْسِهِ، وَقَفَاتُورٌ بِهَذَا اللَّفْظِ تَقَيَّدَ فِي الْأَصْلِ، وَظَاهِرٌ كَلَامُ الْبَرَقِيِّ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ بِقَاتُورٌ، لِأَنَّهُ قَالَ: الْفَاتُورُ سَبِيكَةُ الْفُضَّةِ، وَكَأَنَّهُ شَبَّهَ الْمَكَانَ بِالْفُضَّةِ لِنَقَاتِهِ وَاسْتِوَاثِهِ، فَإِنْ كَانَتْ لِرَوَايَةٍ كَمَا قَالَ، فَهُوَ اسْمٌ مُوَضِّعٌ، وَالْفَاتُورُ: خِوَانٌ مِنْ فُضَّةٍ، وَيُقَالُ: إِبْرِيقٌ مِنْ فُضَّةٍ، قِيلَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ جَمِيلٍ:

وَصَدْرَ كَفَاتُورِ اللَّجَيْنِ وَجِيدٌ

وَفِي قَوْلِ لَيْلِدٍ:

حَقَائِبُهُمْ رَاحَ عَتِيقٌ وَدَزَمَكَ وَوَيْسَكَ وَفَاتُورِيَّةٌ وَسُلَاسِلُ

وَكَمَا قَالَ الْبَرَقِيُّ: أَلْفَيْتُهُ فِي نَسْخٍ صَحِيحَةٍ سَوَى نُسخَةِ الشَّيْخِ، وَإِنْ صَحَّ، مَا فِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ، فَهُوَ كَلَامٌ حُذِفَ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ: قَفَا فَاتُورٌ، وَحَسُنَ حَذْفُ الْفَاءِ الثَّانِيَةِ، كَمَا حَسُنَ حَذْفُ اللَّامِ الثَّانِيَةِ فِي قَوْلِهِمْ: عَلَمَاءُ بَنِي فُلَانٍ، لَا سَيِّمًا مَعَ ضَرُورَةِ الشَّعْرِ، وَتَرَكَ الصَّرْفَ، لِأَنَّهُ جَعَلَهُ اسْمَ بُقْعَةٍ، وَمَنْ الشَّاهِدُ عَلَى أَنَّ فَاتُورَ اسْمٌ بُقْعَةٍ قَوْلُ لَيْلِدٍ:

وَيَوْمَ طَعَنْتُمْ فَاسْمَعَدْتُمْ وَفُودَكُمْ بِأَجْمَادِ فَاتُورِ كَرِيمِ مُصَابِرِ

أَيُّ: أَنَا كَرِيمُ مُصَابِرٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْبَكْرِيُّ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ اخْتِلَافًا، وَقَالَ: هُوَ اسْمُ جَبَلٍ يَعْنِي فَاتُورٌ، وَقَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ:

حَيُّ مَحَاضِرُهُمْ شَتَّى وَجَمْعُهُمْ دَوْمُ الْإِيَادِ، وَفَاتُورٌ إِذَا انْتَجَعُوا

(٢) وابل: كثير العدد.

(٤) الجوافل: الهاربة.

(١) الضييم: الظلم.

(٣) قواصل: سيوف قاطعة.

بديل يرد على الأخر

فأجابه بُذَيْل بن عبد مَنَاة بن سَلَمَة بن عمرو بن الأَجَب، وكان يقال له: بديل ابن أُمّ أَصْرَم، فقال:

تَفَاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ وَلَمْ نَدْعُ
أَمِنْ خِيْفَةِ الْقَوْمِ الْأَلَى تَزْدَرِيهِمْ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَخْبُو حِبَاءَنَا
وَنَحْنُ صَبَخْنَا بِالثَّلَاةِ دَارَكُمْ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا بَيْنَ بَيْضٍ وَعَثْوِدٍ
وَيَوْمَ الْعَمِيمِ قَدْ تَكَفَّتْ سَاعِيَا
أَنَّ أَجْمَرْتَ فِي بَيْتِهَا أُمُّ بَعْضِكُمْ
كَذِبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمْ
لَهُمْ سَيِّدًا يَنْدُوهُمْ غَيْرَ نَافِلٍ^(١)
تُجِيزُ الْوَتِيرَ خَائِفًا غَيْرَ آيِلٍ
لَعَقْلٍ وَلَا يُخْبِي لَنَا فِي الْمَعَايِلِ
بِأَسْيَافِنَا يَسْبِقُنْ لَوْمَ الْعَوَاذِلِ
إِلَى حَيْفٍ رَضَوَى مِنْ مَجَرِّ الْقَنَابِلِ
عُبَيْسٌ^(٢) فَجَعَلَنَاهُ بِجَلْدٍ حُلَا حِلٍ^(٣)
بِجُعْمُوسِيهَا^(٤) تَنْزُونَ أَنْ لَمْ تُقَاتِلِ
وَلَكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِي بَلَابِلٍ^(٥)

وقال لبيد:

وَلَدَى الثُّعْمَانِ مِنِّي مَوْطِنٌ بَيْنَ قَائُورٍ أَقَاقٍ فَالِدَخْلُ
وَحَقَّانُ الثَّعَامِ: صِغَارُهَا، وَهُوَ مَرْفُوعٌ لِأَنَّهُ خَيْرٌ كَأَنَّ.

حول شعر بديل

وذكر شعر بُذَيْل ابن أُمّ أَصْرَم، وفيه: غير آيل، هو فاعل من آل إذا رجع، ولكنه قلب الهمزة التي هي بدل من الواو ياء، لثلاثاً تجتمع همزتان، وكانت الياء أولى بها لانكسارها. وفيه ذكر عُيَيْسٍ، ووقع في بعض روايات الكتاب عُيَيْسٍ بالياء المنقوطة بواحدة من أسفل.

وفيه:

إِنَّ أَجْمَرْتَ فِي بَيْتِهَا أُمُّ بَعْضِكُمْ بِجُعْمُوسِيهَا.....

(٢) عبيس: طالع الوجه شجاع. اسم رجل.

(٤) الجعموس: النخل العذرة.

(١) نافل: أي أخذ من الغنائم.

(٣) حلاحل: أسباد.

(٥) بلابل: شدة الهموم.

قال ابن هشام: قوله: «غير نافل»، وقوله: «إلى خيف رضى» عن غير ابن إسحق.

شعر حسان في الحرب بين كنانة وخزاعة:

قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت في ذلك:

لحا الله قوما لم ندع من سراتهم لهم أحدا يندوهم غير ناقب
أخضيت جمار مات بالأمنس نؤفلاً متى كنت مفلاًحاً عدو الحقائق

شعر عمرو الخزاعي للرسول يستنصره وردّه عليه

قال ابن إسحق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكان في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي، ثم أحد بني كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ وسلم المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس، فقال:

يا ربّ إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا^(١)
قد كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ تَنْزِعْ يَدًا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا وادعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدًا

أي: رَمَتْ به بِسُرْعَةٍ، وهو كناية عن ضَرْبٍ من الْحَرْبِ يَسْمُجُ وَضْفُهُ.

حول شعر عمرو بن سالم

وذكر أبيات عمرو بن سالم، وفيها:

قد كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا

يريد: أن بني عبد مناف أمهم من خزاعة، وكذلك: قُصِيَّ أُمُّهُ: فاطمة بنت سغد الخزاعية، والوُلْدُ بمعنى الوَلَدِ.

وقوله: ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا، هو من السَّلَمِ لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد، غير أنه، قال: رَكْعًا وسُجْدًا، فدلّ على أنه كان فيهم من صَلَّى لله، فَقُتِلَ، والله أعلم.

(١) الأتلد: صاحب الجاه.

فيهم رسول الله قد تجزدا
 في قَيْلَق كالبحر يَجْري مُزِيداً
 وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَزَعَمُوا أَن لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 هُمْ بَيِّتُونَا بِالْوَتِيرِ^(٢) هُجْدَا^(٣)
 يقول: قَتَلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا.

قال ابن هشام: وَيُرْوَى أَيْضًا:

فانصر هداك الله نصرًا أيدا

قال ابن هشام: وَيُرْوَى أَيْضًا:

نحن ولدناك فكنت ولدا

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم»^(٤). ثم عرض
 لرسول الله ﷺ عَنَانٌ مِنَ السَّمَاءِ، فقال: «إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ».

وذكر فيه الوَتِير، وهو اسم ماء معروف في بلاد خَزَاعَةَ، والوَتِيرُ في اللغة الوَزْدُ
 الأبيض، وقد يكون منه بَرِّيٌّ، فمحتمل أن يكون هذا الماء سُمِّيَ به، وأما الورد الأحمر فهو
 الْحَوْجَمُ ويقال: للورد كُلُّه جَلٌّ قاله أبو حنيفة، وكأن لفظ الْحَوْجَم من الحجمة وهي حُمْرَةٌ
 في العَيْنَيْنِ، يقال: منه رجل أَخَجَمٌ.

ما قال عمر لأبي سفيان ومعناه:

وذكر قول عمر رضي الله عنه: فوالله لو لم أَجِدْ إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ به، وهو كلام
 مفهوم المعنى، وقد تقدّم أن مثل هذا ليس بكَذِبٍ، وإن كان الذَّرُّ لا يقاتل به، وكذلك قولُ
 عُمَرَ في حديث الموطأ: «والله ليمرن به ولو على بَطْنِكَ»^(٥)، يعني الجَدُولَ، وهو من هذا
 القبيل لا يُعَدُّ كَذِبًا، لأنه جرى في كلامهم كالمثل.

(١) ترتدا: عبس.

(٢) الوتير: الأرض البيضاء.

(٣) هجداً: نائم أو قائم يصلي.

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير (٢٢٢/١) بإسناد ضعيف.

(٥) مالك في الموطأ (٣٣١).

ابن ورقاء يشكو إلى الرسول بالمدينة:

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خُزاعة حتى قَدَموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قُريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مَكَّة، وقد قال رسولُ الله ﷺ للناس: «كأنكم بأبي سُفيان قد جاءكم ليشُدَّ العقد، ويزيد في المدة». ومضى بُدَيْل بن ورقاء وأصحابه حتى لَقُوا أبا سُفيان بن حرب بعُسفان، قد بعثه قريش إلى رسولِ الله ﷺ، ليشُدَّ العقد، ويزيد في المدة، وقد رَهَبوا الذي صنعوا. فلما لقي أبو سُفيان بُدَيْل بن ورقاء، قال: من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ وظنَّ أنه قد أتى رسولَ الله ﷺ؛ قال: تَسِيرت في خُزاعة في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي، قال: أَوْ مَا جئتَ محمدًا؟ قال: لا؛ فلما راح بُدَيْل إلى مَكَّة، قال أبو سُفيان: لئن جاء بُدَيْل المدينة لقد عَلف بها الثوى فأتى مَبْرَك راحلته، فأخذ من بعرها ففَتَّه، فرأى فيه الثوى، فقال: احلف بالله لقد جاء بُدَيْل محمدًا.

أبو سُفيان يحاول المصالحة

ثم خرج أبو سُفيان حتى قَدِم على رسولِ الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أُمِّ حَبِيبَةَ بنت أبي سُفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسولِ الله ﷺ طَوَّته عنه، فقال: يا بُنَيَّةُ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رَغِبْتَ به عني؟ قال: بل هو فراش رسولِ الله - ﷺ - وأنت رجل مُشْرِكٌ نَجَس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسولِ الله ﷺ؛ قال: والله لقد أصابكِ يا بُنَيَّةُ بعدي شرٌّ. ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ فكلَّمه، فلم يردَّ عليه شيئًا، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلَّمه أن يُكَلِّم له رسولَ الله ﷺ؛ فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عُمَرَ بن الخَطَّاب فكلَّمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسولِ الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذُرَّ لجاهدtkم به. ثم خرج فدخل على عليِّ بن أبي طالب رضوانَ الله عليه، وعنده فاطمة بنتُ رسولِ الله ﷺ ورضي عنها، وعندها حسنُ بن عليٍّ، غلامٌ يَدِبُ بين يديها، فقال: يا عليٍّ، إنك أَمَسُّ القومِ بي رَحِمًا، وإنني قد جئتُ في حاجة، فلا أرجعن كما جئتُ خائِبًا، فاشفع لي إلى رسولِ الله، فقال: وَيَحَكَّ يا أبا سُفيان! والله لقد عَزَمَ رسولُ الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلِّمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابْنَتَةُ مُحَمَّدٍ، هل لك أن تأمري بُنَيَّكَ هذا فيُجِيرَ بين الناس، فيكون سَيِّدَ العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنَيَّ ذاك أن يُجِيرَ بين الناس، وما يُجِيرُ أحدٌ على رسولِ

شرح قول فاطمة لأبي سُفيان

وذكر قول فاطمة: والله ما بلغ بُنَيَّ أن يُجِيرَ بين الناس، وقد ذكر أبو عبيد هذا مُخْتَجًا

الله ﷺ، قال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ، فانصحنني؛ قال: والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيّد بني كِنانة، فقم فأجز بين الناس، ثم الحق بأرضك؛ قال: أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظنّه، ولكني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إني قد أجزت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قُريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئتُ محمداً فكلّمته، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئتُ ابن أبي قُحافة، فلم أجد فيه خيراً، ثم جئتُ ابن الخطّاب، فوجدته أدنى العدو.

قال ابن هشام: أعدى العدو.

قال ابن إسحق: ثم جئتُ عليّاً فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يعني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبِمَ أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت؛ قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك، فما يُغني عنك ما قلت. قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك.

به على من أجاز أمان الصّبيّ وجوّاره، ومن أجاز جوّار الصّبيّ إنما أجازَه إذا عَقَلَ الصّبيّ، وكان كالمُراهِق.

وقولها: ولا يُجِير أحدٌ على رسول الله، وقد قال عليه السلام: «يجير على المسلمين أدناهم»^(١)، فمعنى هذا - والله أعلم - كالْعَبْد ونحوه يجوز جوارّه، فيما قلّ، مثل أن يُجِير واحداً من العدو، أو نفرًا يسيرًا، وأمّا أن يجير على الإمام قَوْمًا يريد الإمام غزوهم وحربهم، فلا يجوز ذلك عليهم، ولا على الإمام، وهذا هو الذي أرادت فاطمة - رضي الله عنها - والله أعلم، وأمّا جوار المرأة وتأمينها فجازز عند جماهير الفقهاء إلّا سَخَنُونَ وابن المَاجِشُون، فإنهما قالا: هو موقوف على إجازة الإمام، وقد قال عليه السلام لأُم هانئ: «قد أجزنا من أجزت يا أُم هانئ»^(٢)، ورُوي معنى قولهما عن عَمْرُو بن العاصي وخالد بن الوليد. وأمّا جوار العبد، فجازز إلّا عند أبي حنيفة، وقول النبي ﷺ يجير على المسلمين أدناهم يدخل فيه العبد والمرأة.

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٧) والبيهقي (٩٥/٩) والطحاوي (٩١/٢) والعقيلي (٣٤٤/٢).
(٢) أخرجه البخاري (١٠٠/١) ومسلم في المسافرين (٨٢) وأبو داود (٢٧٦٣) وأحمد (٣٤١/٦) والدارمي (٢٣٥/٢) ومالك (١٥٢) والحاكم (٥٣/٤٥/٤) وابن الجارود في المتقى (١٠٥٥) وانظر الفتح (٤٦٩/١).

الرسول ﷺ بعد لفتح مكة:

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ؛ فقال: أي بُنية: أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم، فتجهز، قال: فأين ترينه يُريد؟ قالت: (لا) والله ما أدري. ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتَّهيؤ، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْعَثَهَا فِي بِلَادِهَا. فتجهز الناس.

حسان يحرض الناس:

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس، ويذكر مُصاب رجال خُزاعة:

عَنَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بَطْحَاءَ مَكَّةِ	رِجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُحَزَّرُ رِقَابُهَا
بَأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسْلُوا سَيُوفَهُمْ	وَقَتْلَى كَثِيرٍ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا
أَلَا لَيْتَ شُعْرِي هَلْ تَنَالَنِّ تُضْرَتِي	سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَخُزْءُهَا وَعُقَابُهَا
وَصَفْوَانُ عَوْذَ حَنٍّْ مِنْ شُفْرِ اسْتِهِ	فَهَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عَصَابُهَا
فَلَا تَأْمَنُنَا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ	إِذَا احْتَلَيْتَ ضَرْقًا وَأَعْصَلَ ^(١) نَابُهَا
وَلَا تَجْزَعُوا مَنَّا فَإِنَّ سَيُوفَنَا	لَهَا وَقَعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بِأُيُهَا

قال ابن هشام: قول حسان:

بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم

يعني قريشًا؛ «وابن أم مجالد» يعني عكرمة بن أبي جهل.

كتاب حاطب إلى قريش

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره

حاطب بن أبي بلتعة وما كان في كتابه

فصل: وذكر كتاب حاطب إلى قريش، وهو حاطب بن أبي بلتعة مولى عبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى، والبلتعة في اللغة التطرف، قاله أبو عبيد، واسم أبي

(١) أعصل: اشتد.

من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسيرَ إلى مكة كتب حاطبُ بن أبي بلتعة كتابًا إلى قُريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم محمدُ بن جعفر أنها من مُزَيْنَةَ، وزعم لي غيره أنها سارة، مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها جُفلاً على أن تبْلُغه قريشًا، فجعلته في رأسها ثم قَتلت عليه قُرونها، ثم خرجت به؛ وأتى رسولُ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليّ بن أبي طالب والزُبَيْر بن العوّام رضي الله عنهما، فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم، فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيْفَةِ، خليقة بني أبي أحمد، فاستنزلاها، فالتمساه في رَحْلِها، فلم يجدا شيئًا، فقال لها عليّ بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ﷺ ولا كُذِبنا؛ ولتُخرجنَا هذا الكتابَ أو لنكشفنَكَ، فلما رأت الجِدَّ منه، قالت: أعرض؛ فأعرض، فحلّت قُرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدعته إليه، فأتى به رسولُ الله ﷺ. فدعا رسولُ الله ﷺ حاطبًا، فقال: «يا حاطب، ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله، ما غيّرت ولا بدّلت، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم

بِلَتَعَةٍ، عُمُرُو، وهو لَخْمِيّ، فيما ذكروا، ومن دُرَيْتِه: زيادُ بن عبد الرحمن [بن زياد] الأندلسي الذي رَوَى المَوْطَأَ عن مالك، وهو زياد شَبْطُون، وكان قاضي طُلَيْطَلَةَ، وكان شَبْطُونُ زَوْجًا لَأُمِّه، فَصُرِفَ به رحمه الله، وقد قيل: إنه كان في الكتاب أن النبي ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسَّيْلِ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه مُنْجِزٌ له ما وَعَدَهُ، وفي تفسير [يحيى] بن سَلَام أنه كان في الكتاب الذي كتبه حاطب أن النبي ﷺ محمداً قد نَقَرَ إمّا إليكم وإمّا إلى غيركم، فعليكم الحَذَرُ.

تصحيف هشيم لخاخ:

وذكر أن عليّ بن أبي طالب والزُبَيْر والمِقْدَاد أدركوها بروضة خاخ بخاءين منقطتين، وكان هُشَيْمٌ يرويهِ: حَاج بالحاء والجيم، وهو مما حُفِظَ من تَصْحِيفِ هُشَيْم، وكذلك كان يروي: سَدَادًا من عُون [بن أبي سَدَاد] بفتح السين والمغيرة بن أبي بُزْدَةَ يقول فيه: بَزَزَةٌ بالزاي وفتح الباء في تَصْحِيفِ كثير، وهو مع ذلك ثَبُتَ مُتَّفَقٌ على عَدَالَتِهِ، على أن البخاري، قد ذكر عن أبي عَوَانَةَ أيضًا أنه قال فيه: حَاج كما قيل عن هُشَيْم، فإله أعلم، وفي هذا الخبر من رواية الشيباني أن عائشة قالت: دخل عليّ أبو بكر وأنا أُعْزِلُ حِنْطَةً لَنَا، فسألني، وذكر باقي الحديث، وفيه من الفقه أَكْثَرُهم للَبُرِّ، وإن كان أَغْلَبَ أحوالهم أَكْلُ الشعير، ولا يقال: حِنْطَةٌ إِلَّا للَبُرِّ.

عليهم. فقال عمر بن الخطاب، يا رسول الله، دَغْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «وما يُدْرِيكَ يا عمر، لعلَّ الله قد أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر»؛ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غَفَرْتُ لَكُمْ. فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾... إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَهُ﴾... إلى آخر القصة. الممتحنة.

تفسير «تلقون إليهم بالمودة»:

فصل: وذكر قول الله عزَّ وجلَّ في حاطب «تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ» أي: تَبْذُلُونَهَا لَهُمْ، ودخولُ الباء وخروجُها عند الفراء سَوَاءً، والباء عند سيبويه لا تُزَادُ فِي الْوَاجِبِ، ومعنى الكلام عند طائفةٍ من البصريين: تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ النَّصِيحَةَ بِالْمَوَدَّةِ، قال الثَّعَالِيُّ: معناه تُخْبِرُونَهُمْ بما يُخْبِرُ بِهِ الرَّجُلُ أَهْلَ مَوَدَّتِهِ، وهذا التقدير إن نفع في هذا الموضع لم يَنْفَعْ فِي امْتِلِاقِ قَوْلِ الْعَرَبِ: أَلْقَى إِلَيْهِ بوسادة أو بثوب، ونحو ذلك، فيقال: إِذَا إِنَّ أَلْقَيْتَ تَنْقَسِمَ قَسْمَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ تُرِيدَ وَضَعَ الشَّيْءِ فِي الْأَرْضِ، فتقول: أَلْقَيْتَ السَّوْطَ مِنْ يَدِهِ، ونحو ذلك، والثاني: أَنْ تُرِيدَ مَعْنَى الرَّمْيِ بِالشَّيْءِ، فنقول: أَلْقَيْتَ إِلَى زَيْدٍ بِكَذَا: أَرْمَيْتُهُ بِهِ، وفي الآية إنما هو إلقاء بكتاب، وإرسال به، فعبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَوَدَّةِ لِأَنَّهُ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْمَوَدَّةِ، فَمَنْ ثُمَّ حَسُنَتْ الْبَاءُ لِأَنَّهُ إِسْرَالٌ بِشَيْءٍ فَتَأَمَّلْهُ.

قتل الجاسوس:

وفي الحديث دليلٌ على قَتْلِ الْجَاسُوسِ، فَإِنَّ عُمَرَ - رضي الله عنه - قال: دَغْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فقال له النبي ﷺ: «وما يُدْرِيكَ يا عُمَرُ لعلَّ الله أطلع إلى أصحابِ بَدْرٍ»^(١)، الحديث، فعلقَ حُكْمَ الْمَنْعِ مِنْ قَتْلِهِ بِشَهَادَةِ بَدْرٍ، فدلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ، وَلَيْسَ بِبَدْرِيٍّ أَنَّهُ يُقْتَلُ. زاد البخاري في بعض روايات الحديث، قال: فاغزورقت عينا عمر - رضي الله عنه - وقال: الله ورسوله أعلم، يعني حين سمعه يقول في أهل بَدْرٍ ما قال، وفي مُسْنَدِ الْحَارِثِ أَنَّ حَاطِبًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتُ عَزِيرًا فِي قُرَيْشٍ، وَكَانَتْ أُمِّي بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَحْفَظُونِي فِيهَا، أَوْ نَحْوَ هَذَا، ثُمَّ فَسَّرَ الْعَزِيرَ، وَقَالَ: هُوَ الْغَرِيبُ.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٧/٧) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤) وأبو داود (٢٦٥٠) - بتحقيق (الترمذي (٣٣٠٢) وأحمد (٨٠/١).

خروج الرسول في رمضان:

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني محمد بن مُسلم بن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة بن مَسْعُود، عن عبد الله بن عباس، قال: ثم مضى رسولُ الله ﷺ لسَفَره، واستخلف على المدينة أباؤهم، كُلُّهُمْ بن حُصَيْن بن عُتْبَة بن خَلْف الغفاري، وخرج لَعَشْر مَضِينَ من رمضان، فصام رسولُ الله ﷺ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكُدَيْد، بين عَسْفان وأَمَج أَفْطَر.

قال ابن إسحاق: ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران في عشرة آلاف من المُسلمين، فسَبَّعت سُليم، وبعضهم يقول: أَلُفَّت سُليم، وأَلُفَّت مُزَيْنَة. وفي كُلِّ القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه منهم أحد، فلما نزل رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظهران، وقد عُمِيَت الأخبار عن قُرَيْش، فلم يأتهم خبرُ عن رسولِ الله ﷺ، ولا يَدْرُونَ ما هو فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سُفيان بن حَزْب، وحكيم بن حِزام، وبُذَيْل بن وَزْءَاء، يَتَحَسَّسُونَ الأخبار، وينظرون هل يجدون خبرًا أو يسمعون به، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسولَ الله ﷺ ببعض الطريق.

قال ابن هشام: لقيه بالجُحفة مُهاجرًا بعياله، وقد كان قبل ذلك مُقِيمًا بمَكَّة على سِقَايته، ورسولُ الله ﷺ عنه راضٍ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزهري.

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المُغيرة قد لقا رسولَ الله ﷺ أيضًا بِنَيْق العُقَاب، فيما بين مَكَّة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلَّمته أُم سَلَمَة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمّتك

عن عبد الله بن أبي أمية:

وذكر قول النبي - ﷺ - لَأُم سَلَمَة حين استأذنته في أخيها عبد الله بن أمية: وأما ابن عمّتي وصهرّي فهو الذي قال لي بمَكَّة ما قال، يعني حين قال له: والله لا آمنك بك حتى تَتَّخِذَ سُلْمًا إلى السماء، فَتَعْرُجَ فيه، وأنا أنظرُ ثم تأتي بصُكِّ وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله قد أرسلك، وقد تقدّمت هذه القصة.

وعبدُ الله بن أبي أمية هو أخو أُم سَلَمَة لأبيها، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، وأُم سَلَمَة أمُّها عاتكة بنتُ جَذَل الطَّعَانِ، وهو عامر بن قَيْس الْفِرَاسِيِّ، واسم أبي أمية حُذَيْفَة وكانت عنده أربع عَوَاتِك، قد ذكرنا منهن ههنا ثِنْتَيْن.

وصهره؛ قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهرتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُني له. فقال: والله ليأذنن لي أو لأخذن بيدي بني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً؛ فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رَقَ لهما، ثم أذن لهما، فدخلا عليه، فأسلما.

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه، فقال:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلَ رَايَةً	لَتَغْلِبَ خَيْلُ آلَاتِ خَيْلِ مُحَمَّدٍ
لِكَالْمُدْلِجِ ^(١) الْحِيرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ	فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدِي وَأُهْتَدَى
هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَالَنِي	مَعَ اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ
أَصْدَ وَأَنَّى جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ	وَأَدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ
هُمْ مَا هُمْ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهِوَاهُمْ	وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلَمُّ وَيُقَنَّدُ
أُرِيدُ لَأَرْضِيَهُمْ وَلَسْتُ بِلَائِطٍ ^(٢)	مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ
فَقُلْ لَتَقِيْفَ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا	وَقُلْ لَتَقِيْفَ تِلْكَ: غَيْرِي أَوْعِدِي
فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامَرًا	وَمَا كَانَ عَنْ جَرٍّ لِسَانِي وَلَا يَدِي

عن أبي سفيان بن الحارث وابنه وقصيدته:

وقول أبي سفيان بن الحارث: أو لأخذن بيدي بُني هذا، ثم لنذهبن في الأرض. لم يذكر ابن إسحق اسم ابنه ذلك، ولعله أن يكون جعفرًا، فقد كان إذ ذاك غلامًا مُدْرِكًا، وشهد مع أبيه حُنينًا، ومات في خلافة معاوية، ولا عقب له.

وذكر الزبير لأبي سفيان ولذا يُكنى أبا الهجاج في حديث ذكره لا أدري: أهو جعفر أم غيره، ومات أبو سفيان في خلافة عمر رضي الله عنه، وقال عند موته: لَا تَبْكُنْ عَلَيَّ، فَإِنِّي لَمْ أَنْتَظِفْ بِخَطِيئَةٍ منذ أسلمت، ومات من ثُلُولِ خَلْقِهِ الْحَلَّاقِ فِي حَجٍّ فَقَطَعَهُ مَعَ الشَّعْرِ فَتَرَفَ مِنْهُ، وقيل في اسم أبي سفيان: الْمُغِيرَةُ، وقيل: بل المغيرة أخوه، قال القتيبي: إخوانه: المغيرة ونوفل وعبد شمس وربيعة بنو الحارث بن عبد المطلب.

(٢) لائط: ملعون.

(١) مدليج: أي سائر ليلًا.

قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ نَزَائِعَ جَاءَتْ مِنْ سَهَامٍ وَسُرْدَدٌ^(١)
قال ابن هشام: ويروى «وَدَلَّنِي عَلَى الْحَقِّ مِنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله: «ونالني مع الله مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ» ضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ»^(٢).

قصة إسلام أبي سفيان على يد العباس

فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ، قال العباس بن عبد المطلب، فقلت: واصباح قُرَيْشٍ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مَكَّةَ عَثَوْتُ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ، إنه لهلاك قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ. قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجتُ عليها. قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعلِّي أجد بعضَ الحطَّابَةِ أو صاحبَ لبنٍ أو ذا

وزن فععل:

وقوله:

نَزَائِعَ جَاءَتْ مِنْ سَهَامٍ وَسُرْدَدٍ

على وزن فعَالٍ بفتح الفاء، وسُرْدَدٍ بضم أوله وإسكان ثانيه هكذا ذكره سيبويه ويعقوب، ويفتح الدال ذكره غيرهما، وهما موضعان من أرض عَكٍّ، وذلك أن سيبويه من أصله أنه ليس في الكلام فُعَلَلٌ بالفتح، وحكاه الكوفيون في جُنْدَبٍ وسُرْدَدٍ، وغيرهما، ولا ينبغي أيضًا على أصل سيبويه أن يمتنعَ الفتحُ في سُرْدَدٍ، لأن إحدى الدالين زائدة من أجل الضعيف، وإنما الذي يمتنع في الأبنية مثل جعفر بضم أوله وفتح ثانيه، فمثل سُرْدَدٍ والسُّودَدِ والحوَلَلِ جمع حائل، وما ذكره بعضهم من طُخْلَبٍ وَيَرْفَعُ وَجُودَرٍ، فهو دخيل في الكلام، ولا يُجعل أصلاً، ولا يمتنع أيضًا جُنْدَبٍ بفتح الدال، لأن النون زائدة.

عود إلى أبي سفيان

وكان أبو سفيان رَضِيَ رسول الله ﷺ - أرضعتها حَلِيمَةُ، وكان آلف النَّاسَ له قبل النبوة لا يفارقه، فلما نُبِّئَ كان أبعدَ النَّاسِ عنه، وأهجاهم له إلى أن أسلم، فكان أَصَحُّ النَّاسِ إيمانًا، وألزمهم له ﷺ، ولأبي سفيان هذا قال النبي ﷺ: «أَنْتَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، كَمَا قِيلَ: كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا»^(٣)، وقيل: بل قالها لأبي سفيان بن حربٍ، والأول أصح.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٢٨).

(١) سردد: دروع.

(٣) الفراء: الحمار الوحش.

حاجة يأتي مكة، فيُخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليُخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عتوة. قال: فوالله إني لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبي سُفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان وأبو سُفيان يقول: ما رأيت كالأيلة نيرانًا قط ولا عسكرًا قال: يقول بُدَيْل: هذه والله خُزاعة حَمَشَتْها الحرب. قال: يقول أبو سُفيان: خُزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها؛ قال: فعرفت صوته؛ فقلت: يا أبا حنظلة فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم؛ قال: ما لك؟ فذاك أبي وأمي؛ قال: قلت: وَنَحْكَ يا أبا سُفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصْبَحْ قُرَيْشٍ والله. قال: فما الحيلة؟ فذاك أبي وأمي؛ قال: قلت والله لئن ظُفِر بك ليضربنَّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسولَ الله ﷺ فاستأمنه لك؛ قال: فركب خلفي ورجع أصحاباه؛ قال: فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سُفيان على عجز الدابة، قال: أبو سُفيان عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد، ثم خرج يَشْتَدُّ نحو رسولِ الله ﷺ، وركضتُ البغلة، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء قال: فافتحمت عن البغلة، فدخلت على رسولِ الله ﷺ، ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سُفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْد ولا عهد،

وقول بُدَيْل: حَمَشَتْهُم الحرب، يقال: حَمَشْتُ الرجل إذا أغضبتَه، وحَمَشْتُ النارَ أيضًا إذا أوقدتها، ويقال: حَمَشْتُ بالسِّين.

عن إسلام سُفيان بن حرب:

وذكر عَبْدُ بن حميد في إسلام أبي سُفيان بن حَرْبٍ أن العباس لما احتمله معه إلى قُبَيْتِه، فأصبح عنده، رأى الناس وقد ثاروا إلى ظُهورهم، فقال أبو سُفيان: يا أبا الفضل ما للناس!! أأَمِرُوا فِيَّ بِشَيْءٍ؟ قال: لا، ولكنهم قاموا إلى الصلاة، فأمره العباس فتوضأ، ثم انطلق به إلى النبي ﷺ، فلما دخل عليه السلام في الصلاة كَبُرَ فَكْبَرُ النَّاسِ بتكبيره، ثم ركع فركعوا، ثم رفع فرفعوا، فقال أبو سُفيان: ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا، ولا فارس الأكارم، ولا الزوم ذات القُرُون بأطوَحَ منهم له، وفي حديث عَبْدُ بن حميد أن أبا سُفيان قال للنبي ﷺ، حين عرض عليه الإسلام: كيف أصنع بالعُزَّى؟ فسمعه عمر رضي الله عنه من وراء القُبّة، فقال له: نَحْرًا عليها، فقال له أبو سُفيان: وَنَحْكَ يا عمر!! إنك رجل فاجشٌ دعني مع ابن عمي، فإيَّاه أَكَلَمُ.

فَدَعَنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنِي قَدْ أَجَرْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ دُونِي رَجُلٌ؛ فَلَمَّا أَكْثَرَ عَمْرُ فِي شَأْنِهِ، قَالَ: قُلْتُ: مَهْلًا يَا عَمْرُ، فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا، وَلَكِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ؛ فَقَالَ: مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأَتْنِي بِهِ»، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي، فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدَ، قَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! أَمَا هَذِهِ وَاللَّهِ فَإِنْ فِي النَّفْسِ مِنْهَا حَتَّى الْآنَ شَيْئًا. فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ! أَسْلَمَ وَاشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرِبَ عُنُقَكَ. قَالَ: فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَأَسْلَمَ، قَالَ الْعَبَّاسُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يَحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مِنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ، حَتَّى تَمَرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فِيرَاهَا». قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي، حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ.

عرض الجيش:

قَالَ: وَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ، يَقُولُ: مَا لِي وَلِسُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمَرَّ الْقَبِيلَةُ يَقُولُ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، يَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ، حَتَّى نَفَدَتِ الْقَبَائِلُ، مَا تَمَرَّ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا يَسْأَلُنِي عَنْهَا، فَإِذَا أَخْبَرْتَهُ بِهِمْ، قَالَ: مَا لِي وَلِبَنِي فَلَانٍ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ.

وَذَكَرَ قَوْلَ أَبِي سُفْيَانَ: لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْعَدَاةَ عَظِيمًا، وَقَوْلَ الْعَبَّاسِ لَهُ: إِنَّهَا النَّبُوءَةُ، قَالَ شَيْخُنَا أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا أَنْكَرَ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ أَنْ ذَكَرَ الْمَلِكَ مُجَرَّدًا مِنَ الثَّبُوتِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ دَخُولِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِلَّا فَجَائِزُ أَنْ يُسَمَّى مِثْلَ هَذَا مُلْكًا، وَإِنْ كَانَ لِنَبِيِّ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي دَاوُدَ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ [ص: ٢٠] وَقَالَ سُلَيْمَانُ: ﴿وَوَهَبْ لِي

قال ابن هشام: وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

قال الحارث بن جِلْزَةَ الشكري:

ثم حُجِرَا أعني ابن أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ

يعني الكتيبة، وهذا البيت في قصيدة له، وقال حَسَّان بن ثابت الأنصاري:

لَمَّا رَأَى بَذْرًا تَسِيلُ جِلَاهُ بِكُتَيْبَةِ خَضْرَاءٍ مِنْ بَلْخَزَرَجٍ

وهذا البيت في أبيات له قد كتبناها في أشعار يوم بدر.

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصار، رضي الله عنهم، لا يرى منهم إلا الحَدَق من الحديد، فقال: سبحان الله: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار؛ قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة، والله يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك الغداة عظيمًا، قال: قلت: يا أبا سُفيان، إنها النبوة. قال: فنعم إذن.

أبو سُفيان يحذّر أهل مكة:

قال: قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لکم به، فمن دخل دار أبي سُفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عُتبة، فأخذت بشاربه، فقالت: اقتُلُوا الْحَمِيَّتَ الدَّيْسَمَ الْأَخْمَسَ، قُبَحَ

مُلْكًا [ص: ٣٥] غير أن الكراهية أظهر في تسمية حال النبي ﷺ مُلْكًا لما جاء في الحديث أن النبي ﷺ خَيْرُ بَيْنٍ أن يكون نبيًا عَبْدًا، أو نبيًا مَلِكًا، فالتفت إلى جبريل، فأشار إليه أن تَوَضَّعَ، فقال: بل نبيًا عَبْدًا أَشْبَعَ يَوْمًا، وأجوع يَوْمًا، وإنكار العباس على أبي سُفيان يقوِي هذا المعنى، وأمر الخلفاء الأربعة بعده يكره أيضًا أن يُسَمَّى مُلْكًا، لقوله عليه السلام في حديث آخر: «يكون بعده خُلَفَاءُ، ثم يكون أمراء، ثم يكون ملوك، ثم جَبَابِرَةٌ»، ويروى: ثم يعود الأمر بِرَزِيئًا، وهو تصحيف، قال الخطابي: إنما هو بِرَزِييَ، أي: قَتَلَ وَسَلَبَ.

قول هند عن أبي سُفيان:

وقول هند: اقتُلُوا الْحَمِيَّتَ الدَّيْسَمَ الْأَخْمَسَ. الْحَمِيَّتُ: الزُّقُ، نسبته إلى الضُّخْمِ والسَّمَنِ، والأَخْمَسُ أيضًا الذي لا خير عنده، من قولهم: عام أَخْمَسُ إذا لم يكن فيه مَطَرٌ، وزاد عَبْدُ بن حميد في حديثه أنها قالت: يا آل غَالِبٍ اقتُلُوا الْأَخْمَقَ، فقال لها أبو سُفيان:

من طليعة قوم! قال: وليكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبيل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تُغني عنا دارك، قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فنفرت الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

وصول النبي ﷺ إلى ذي طوى:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته مُعْتَجِزًا بِشُقَّةٍ بُزِدَ حَبْرَةَ حَمْرَاءَ، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عُشُونَهُ لِيَكَادِ يَمَسُّ واسطة الرخل.

إسلام والد أبي بكر

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة من أصغر ولده: أي بُنْيَّة، اظهري بي على أبي قبيس، قالت: وقد كُفَّ بصره، قالت: فأشرفت به عليه، فقال: أي بُنْيَّة، ماذا تَرَيْنِ؟ قالت: أرى سَوَادًا مجتمعا، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مُقْبِلًا ومُذْبِرًا، قال: أي بُنْيَّة، ذلك

والله لَتُسْلِمَنَّ أو لأَضْرِبَنَّ عُنُقَكِ، وفي إسلام أبي سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عِدَّتِهَا، ثم اسْتَقَرَّأ على نكاحهما وكذلك حَكِيم بن جِرَّام مع امرأته حُجَّةً للشافعي، فإنه لم يفرق بين أن تُسْلِمَ قبله، أو يسلم قبلها، ما دامت في العدة. وُفِرَّقَ مالُكُ بين المسألتين على ما في الموطأ وغيره.

إسلام أبي قحافة

وذكر إسلام أبي قحافة، واسمه: عُمَامُ بن عَامِرٍ، واسم أمه: قَيْلَةُ بنت أذاة.

وقوله لبنت له: وهي أصغر ولده، يريد والله أعلم أصغر أولاده الذين لُصِبَ به، وأولادهم، لأن أبا قحافة لم يعيش له ولد ذَكَرٌ إلا أبو بكر، ولا تُعْرَفُ له بنت إلا أُمُ قُرُوءَ التي أنكحها أبو بكر رضي الله عنه من الأشعث بن قيس، وكانت قبله تحت تميم الداري، فهي هذه التي ذكر ابن إسحاق والله أعلم. وقد قيل: كانت له بنت أخرى تُسَمَّى قُرَيْبَةَ تَزَوَّجَهَا قَيْسُ بن سَعْدِ بن عُبَادَةَ، فالمذكورة في حديث أبي قحافة هي إحدى هاتين على هذا، والله أعلم.

الوازع، يعني الذي يأمر الخيل ويتقدّم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، قالت: فقال: قد والله إذن دُفِعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطّط به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، قالت: وفي عنق الجارية طَوْقٌ من وَرَقٍ، فتلقّاها رجل فيقتطعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ فِيهِ؟» قال أبو بكر: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ أَنْتَ، قال: فَأَجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ» فَأَسْلَمَ، قالت: فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَعَامَةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ»، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي، فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ، قالت: فقال: أَيُّ أُخْتَيْهِ، احتسبي طوقك، إِنَّ الْأَمَانَةَ فِي النَّاسِ الْيَوْمَ لَقَلِيلٌ.

وفي الحديث: وكان رأسه ثَعَامَةٌ، والثَّغَامُ من نبات الجبال، وهو من الجَنَبَةِ، وأشدّ ما يكون بياضاً إذا أمحلّ، والحليُّ مثله يُشَبَّه به الشَّيْبُ، قال الرازي:

وَلَمَّتِي كَأَنَّهَا حَلِيَّةٌ

حكم الخضاب:

وقول النبي ﷺ - في شَيْبِ أَبِي قُحَافَةَ «غَيِّرُوا هَذَا»^(١) من شَعْرِهِ، هو على النَّذْبِ، لا على الْوُجُوبِ، لما دلّ على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يُغَيَّرْ شَيْبُهُ، وقد رَوَى من طريق أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ خَضَبَ. وقال مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ: إِنَّمَا كَانَتْ شَيْبَاتٍ يَسِيرَةً يَغَيِّرُهَا بِالطَّبِيبِ. وقال أَنَسٌ: لَمْ يَبْلُغِ النَّبِيُّ ﷺ حَدَّ الْخِضَابِ، وفي البخاري عن عثمان بن مَوْهَبٍ قَالَ: أَرَأَيْتَ أُمَّ سَلَمَةَ شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وفيه أيضًا عن ابن مَوْهَبٍ قَالَ: بَعَثَنِي أَهْلِي بِقَدَحٍ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ: وَفِيهِ أَطْلَعْتُ فِي الْجُلُجُلِ فَرَأَيْتُ شَعْرَاتٍ خُمْرًا، وَهَذَا كَلَامٌ مُشْكِلٌ وَشَرَحَهُ فِي مُسْنَدٍ وَكِيعَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ: كَانَ جُلُجُلًا مِنْ فِضَّةٍ صُنِعَ صِيوَانًا لَشَعْرَاتٍ كَانَتْ عَنْدهُمْ مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فإن قيل: فهذا يدلّ على أنه كان مَخْضُوبَ الشَّيْبِ، وقد صحّ من حديث أَنَسٍ وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يَخْضِبَ إِنَّمَا كَانَتْ شَعْرَاتٍ تُعَدُّ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٠٤ بتحقيق) والنسائي (١٣٨/٨) وأبو عوانة (٧٤/٢) والبيهقي في الآداب (٧٢١ - بتحقيقي) وأحمد (٣٤٩/٦) وابن حبان (١٧٠٠ - موارد).

جيوش المسلمين تدخل مكة

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني عبد الله بن أبي نَجِيع أن رسول الله ﷺ حين فَرَق جيشه من ذي طُوًى، أَمَرَ الزَّبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدَى، وكان الزَّبير على الْمُجَنَّبَةِ اليسرى، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء.

فالجواب: أنه لما تُوفِّي خَضَب مَنْ كان عنده شيء من شَعْرِهِ تلك الشعرات ليكونَ أبقى لها، كذلك قال الدَّارِقُطْنِي في أسماء رجال الموطأ له، وكان أبو بكر يَخْضِبُ بِالْحِجَاءِ: وَالكَتَمِ، وكان عمر يَخْضِبُ بِالصُّفْرِ، وكذلك عُثْمَانُ وعبدُ الله بن عُمَرَ، وكان فيهم من يَخْضِبُ بِالْخِطْرِ، وهو الْوَسْمَةُ، وأما الصُّفْرَةُ، فكانت من الْوَرَسِ، أو الْكُرْكُم وهو الزَّعْفَرَانُ، والْوَرَسُ يَنْبُت بِالْيَمَنِ يقال لجَيْدِهِ: بِادِرَةِ الْوَرَسِ، ومن أنواعه: الْعَسْف والحَبَشِيُّ وهو آخره، ويقال من الْحِجَاءِ: حَتًّا شَيْبَهُ وَرَقَّتْهُ، وجمع الْحِجَاءِ حِثَّان على غير قياس، قال الشاعر:

ولقد أزوج بِلَمَّةٍ فَيَنَائِي سَوْدَاءَ قَد رُوِيَتْ مِنَ الْحِثَّانِ

من كتاب أبي حنيفة، وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق في شَيْبِ أَبِي قُحَافَةَ: وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ، وأكثرُ العلماء على كراهة الْخِضَابِ بِالسَّوَادِ من أجل هذا الحديث، ومن أجل حديث آخر جاء في الوعيد والنهي لمن خَضَبَ بِالسَّوَادِ، وقيل: أَوَّلُ من خَضَبَ بِالسَّوَادِ فَرَعَوْنُ، وقيل: أَوَّلُ من خَضَبَ به من العربِ عبدُ الْمُطَّلَبِ، وَتَرَخَّصَ قومٌ في الْخِضَابِ بِالسَّوَادِ منهم محمد بن عليّ، وَرُوِيَ عن عُمَرَ أَنَّهُ قال: أَخْضَبُوا بِالسَّوَادِ، فإنه أَتَى للعدوِّ، وَأَحَبُّ للنساء. وقال ابن بَطَّال في الشرح: إذا كان الرَّجُلُ كَهَلًا لم يبلغ الهرمَ جاز له الْخِضَابُ بِالسَّوَادِ، لأن في ذلك ما قال عمر رضي الله عنه من الْإِزْهَابِ على الْعَدُوِّ والتَّحَبُّبِ إلى النِّسَاءِ، وأما إذا قَوَّسَ واحْدَوْدَبَ فحينئذ يُكْرَهُ له السَّوَادُ، كما قال رسولُ الله ﷺ - في أبي قحافة: «عَبَرُوا شَيْبَهُ، وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ».

كداء وكدى

فصل: وذكر كَدَاءَ بفتح الكاف والمدّ، وهو بأعلى مَكَّةَ، وكُدَى وهو من ناحية عَرَفَةَ، وبمكة موضعٌ ثالث يقال: كَدَا بضم الكاف والقصر، وأشدوا في كَدَاءٍ وكُدَى:

أَفْقَرْتُ بَعْدَ عَبْدِ شَمْسٍ كَدَاءَ فَكُدَيْتُ فَالْرُكْنَ وَالْبَطْحَاءَ

والبيث لابن قيسِ الرُّقَيَّاتِ يذكرُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بن عبدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّينَ رَفَعَ سُهَيْلُ بن عمرو.

المهاجرون وسعد

قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أن سعدًا حين وجه داخلا، قال: اليوم يوم المَلْحَمَة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَة، فسمعها رجلٌ من المهاجرين - قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب - فقال: يا رسول الله: اسمع ما قال سعد بن عبادَة، ما نأمن أن يكون له في قُرَيْشِ صَوْلَة، فقال رسولُ الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «أدركه، فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها».

موقف إبراهيم بكداء:

وبكداء وَقَفَ إبراهيم عليه السلام حين دعا لذريته بالحرم، كذلك رَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عن ابن عَبَّاسٍ، فقال: ﴿فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ فاستجيب دعوته، وقيل له: أَذْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: يَأْتُوكَ، وَلَمْ يَقُلْ: يَأْتُونِي، لِأَنَّهَا اسْتِجَابَةٌ لِدَعْوَتِهِ، فَمِنْ ثَمَّ - وَاللهُ أَعْلَمُ - اسْتَحَبَّ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَى لِمَكَّةَ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ كَدَاءٍ، لِأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي دَعَا فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بِأَنْ يَجْعَلَ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ.

موقف الرسول ﷺ من سعد

فصل: وذكر نزع الراية من سعد حين قال: اليوم يوم المَلْحَمَة. وزاد غير ابن إسحاق في الخبر أن ضِرَارَ بْنَ الْخَطَّابِ قال يومئذ شعرا حين سمع قول سعد استعطف فيه النبي ﷺ على قريش، وهو من أجود شِعْرِ لَهُ:

يَا نَبِيَّ الْهُدَى إِلَيْكَ لَجَا حَـ	يَا قُرَيْشَ، وَلَاتِ حِينَ لَجَاءِ
حِينَ صَافَتْ عَلَيْهِمْ سَعَةُ الْأَزْ	ضِ وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاءِ
والتَّقَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ عَلَى الْقَدِّ	يَوْمَ وَتَوَدُّوا بِالصُّنَيْلِمِ الصُّلَعَاءِ
إِنْ سَعْدًا يَرِيدُ قَاصِمَةَ الظُّهْرِ	رَ بِأَهْلِ الْحَجُّونِ وَالْبَطْحَاءِ
خَزَزَجِي لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الْعَيْدِ	ظَ رَمَانًا بِالنُّسْرِ وَالْعَوَاءِ
فَلَنْ أَقْحَمَ اللَّوَاءَ، وَنَادَى	يَا حُمَاةَ اللَّوَاءِ أَهْلَ اللَّوَاءِ
لَتَكُونَنَّ بِالْبِطَاحِ قَرِيشُ	بَفِئَةِ الْقَاعِ فِي أَكْفِ الْإِمَاءِ ^(١)

فحينئذِ انْتَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّايَة مِنْ سَعْدِ بْنِ عِبَادَة فِيمَا ذَكَرُوا، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَمَدَّ فِي هَذَا الشَّعْرِ الْعَوَاءَ، وَأَنْكَرَ الْفَارَسِيَّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ مَدَّهَا، وَقَالَ: لَوْ مَدَّتْ لَقِيلَ فِيهَا: الْعِيَاءُ، كَمَا

(١) انظر المواهب اللدنية (٤/ ٢٩٥).

كيد دخل الجيش مكة؟:

قال ابن إسحاق: وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه: أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد، فدخل من الليط، أسفل مكة، في بعض الناس، وكان خالد على المحبة اليمنى، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب. وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هنالك قبته.

الذين تعرّضوا للمسلمين:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر: أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسًا بالخدمة ليقاتلوا، وقد كان جماس بن قيس بن خالد، أخو بني بكر، يُعدّ سلاحًا قبل دخول رسول الله ﷺ، ويُصلح منه، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله إنني لأرجو أن أُخِدمَكَ بعضهم، ثم قال:

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عِلَّةٌ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَهُ
وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ

ثم شهد الخدمة مع صفوان وسهيل وعكرمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد، ناوشوهم شيئًا من قتال، فقتل كُرْز بن جابر، أحد بني محارب بن فهر، وخُنيس بن خالد بن ربيعة بن أضرَم، حليف بني مُنَقِّذ، وكانا في خيل خالد بن الوليد

قيل في: العَلَيَاء، لأنها ليست بصفة كالْعَشَوَاء، قال: وإنما هي مَقْصُورَةٌ كَالشَّرَوَى وَالْتَجْوَى، وغفل عن وجه ذكره أبو عليّ القالي، فإنه قال: عن مدّ العَوَاء فهي عنده فَعَالٌ من عَوَيْت الشيء إذا لَوَيْت ظَرْفَهُ، وهذا حسن جدًا لا سِيِّمًا، وقد صَحَّ مَدُّهَا فِي الشَّعْرِ الَّذِي تَقْدَمُ، وغيره، والأصحّ في معناها: أن العَوَاء من العَوَّة، والعَوَّة هي الدُّبُرُ، فكأنهم سَمَّوْهَا بِذَلِكَ، لأنها دُبُرُ الْأَسَدِ مِنَ الْبُرُوجِ.

خنيس بن خالد:

فصل: وذكر خُنَيْسَ بْنِ خَالِدٍ، وقول ابن هشام: خُنَيْسٌ من خَزَاعَةٍ، لم يختلفوا عن ابن إسحاق أنه خُنَيْسٌ بالخاء المنقوطة والنون، وأكثر من أَلَفٍ فِي الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ يقول: الصواب فيه: حُبَيْش بالخاء المهملة والباء والشين المنقوطة، وكذلك في حاشية الشيخ عن

فشذا عنه فسلكا طريقًا غير طريقه فقتلا جميعًا قُتل حُنَيْسُ بن خالد قبل كُرْز بن جابر،
فجعلهُ كُرْز بن جابر بين رجلية، ثم قَاتَلَ عنه حتى قُتل، وهو يَزْتَجِرُ ويقول:
قد علمت صَفْرَاءَ من بني فِهْرٍ نَقِيَّةَ الْوَجْهِ نَقِيَّةَ الصُّدْرِ
لأَضْرِبَنَّ الْيَوْمَ عَنْ أَبِي صَخْرٍ

قال ابن هشام: وكان حُنَيْسُ يُكْنَى أبا صَخْرٍ، قال ابنُ هشام: حُنَيْسُ بن خالد، من خُزَاعَةَ.

أبي الوليد أن الصواب فيه حُبَيْش، وأبوه خَالِدُ هو الْأَشْعَرُ بنُ حُنَيْفٍ، وقد رفعنا نسبَه عند ذكر أُم مَعْبِدٍ، لأنها بنته، وهو بالشين المنقوطة، وأما الْأَشْعَرُ بالسین المهملة، فهو الْأَشْعَرُ الْجُعْفِيُّ، واسمه: مَرْزُدُ بن عِمْرَانَ، وسُمِّي الْأَسْعَرُ لقوله:

فلا يَدْعُنِي قَوْمِي لَسَعِدِ بْنِ مَالِكٍ لئن أنا لمِ أَسْعَرَ عليهم وأُنْقِبِ
يعني بمالك: مَذْجَج.
وذكر الرُّجْز الذي لِكُرْز:

قد عَلِمْتُ صَفْرَاءَ من بني فِهْرٍ

أشار بقوله: صَفْرَاءَ إِلَى صُفْرَةِ الْخَلْقِ، وقيل: بل أراد معنى: قول امرئ القيس:
كَبُكْرُ مُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلٍ
وكقول الأعشى:

نُرْضِيكَ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ حُسْنِ مُحَالِطَةِ غَرَارَةٍ
حَمْرَاءَ غَذَوْتُهَا، وَصَفَرَ أءِ الْعَشِيَّةِ كَالْغَرَارَةِ

وقوله: من بني فِهْرٍ بكسر الهاء، وكذلك الصِّدْرُ في البيت الثاني، وأبو صَخْرٍ هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أَوْسَطَهُ ساكن، فإنَّ منهم من ينقل حركة لامِ الْفِعْلِ إِلَى عَيْنِ الْفِعْلِ في الوقف، وذلك إذا كان الاسمُ مَرْفُوعًا أو مَخْفُوضًا، ولا يفعلون ذلك في النُّصْبِ، وَعِلْلُهُ مُسْتَقْصَاةٌ فِي النُّحُو.

حول: لماذا وموتمة:

وذكر خَبَرُ جِمَاسٍ وَقَوْلَ امرأته له: لماذا تُعَدُّ السِّلَاحَ بِإِثْبَاتِ الْأَلِفِ، ولا يجوز حذفها من أجل تركيب ذَا مَعَهَا، والمعروفُ في ما إذا كانت استفهامًا مجرورة أن تحذف منها الألف، فيقال: لِمَ، وَبِمَ، قال ابن السراج: الدليلُ على أن ذَا جُعِلَتْ مع ما اسْمًا واحدًا أنهم اتفقوا على إثبات الألف مع حرف الجر، فيقولون: لماذا فعلت، وبماذا جئت، وهو معنى قول سيويه.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نَجِيج وعبد الله بن بكر، قالا: وأصيب من جُهينة سَلَمَة بن المِثْلَاء، من خيل خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثني عشر رجلاً، أو ثلاثة عشر رجلاً، ثم انهزموا، فخرج حماسٌ منهزماً حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلقي عليّ بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْحَنْدَمَةِ إِذْ فَرَ صَفْوَانٌ وَفَرَ عَكْرِمَةَ
وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُوتِمَةِ وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ

حول رجزي حماس:

وقوله:

وذو غِرَارَيْنِ سَرِيعِ السُّلَّةِ

بكسر السين هو الرواية، يريد الحالة من سَلُّ السيف، ومن أراد المصدر فَتَحَ.

وقوله:

وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُوتِمَةِ

يريد: المرأة لها أَيْتَامٌ، والأعراف في مثل هذا مُوتِمٌ مثل مُطْفِلٍ، وجمعها مِيَاتِمٌ، وقال ابن إسحاق في غير هذه الرواية: المُوتِمَةُ: الأسطوانة، وهو تفسير غريب، وهو أصح من التفسير الأول، لأنه تفسير راوي الحديث، فعلى قول ابن إسحاق هذا يكون لفظ المُوتِمَةِ من قولهم: وَتَمَ، وَأَتَمَ إذا ثَبَتَ، لأن الأسطوانة ثَبَتَ ما عليها، ويقال فيها على هذا مُوتِمَةٌ بالهمز، وتجمع مَاتَمَ، وموتمة بلا همز، وتجمع: مواتم.

وقوله: وَأَبُو يَزِيدَ بقلب الهمزة من أبو أَلْفَا ساكنة، فيه حجةٌ لَوُزْش [واسمه: عثمان بن سعيد بن عبد الله حيث أبدل الهمزة أَلْفَا ساكنةً، وهي متحركة، وإنما قياسُها عند النحويين أن تكون بَيْنَ بَيْنَ.

ومثل قوله: وَأَبُو يَزِيدَ، قول الفرزدق:

فَارَغَنِي فَرَاوَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعِ

وإنما هو هَنَّاكَ بالهمز وتسهيلها بَيْنَ بَيْنَ، فقلبها أَلْفَا على غير القياس المعروف في النحو، وكذلك قولهم في المِنْسَاءِ، وهي العصا، وأصلها الهمز، لأنها مِفْعَلَةٌ من نَسَأْتُ، ولكنها في التنزيل كما ترى، وَأَبُو يَزِيدَ الذي عنى في هذا البيت، هو سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو خطيبُ قريش.

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجُمَةٍ ضَرْبًا فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةٌ
لَهُمْ نَهْيْتُ خَلْفَنَا وَهَمَّهْمَةٌ لَمْ تَنْطَقِي فِي اللَّوَمِ أَذْنَى كَلِمَةٍ

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله: «كالموئمة» وتروى للرعاش الهذلي.

شعار المسلمين يوم الفتح:

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وخنين والطائف، شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله.

من أمر الرسول بقتلهم:

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين، حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يُقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر ستماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد، أخو بني عامر بن لؤي.

وقوله: لهم نهيت: النهيت: صوت الصّدر، وأكثر ما توصف به الأسد، قال ابن الأَسلَت:

كَأَنَّهُمْ أَسَدٌ لَدَى أَشْبُلٍ يَنْهَيْتَنَ فِي غَيْلٍ وَأَجْزَاعٍ
وَالْغَمْغَمَةُ: أصواتٌ غيرُ مفهومة من اختلاطها.

طرف من أحكام أرض مكة:

ونذكر هاهنا طَرَفًا من أحكام أرض مكة، فقد اختلف: هل افتتحها النبي ﷺ غَنَوَةً أو صُلْحًا، لبيتني على ذلك الحكم: هل أرضها ملك لأهلها أم لا؟ وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكة أن ينهي أهلها عن كِزاء دورها إذا جاء الحاج فإن ذلك لا يحل لهم. وقال مالك - رحمه الله - إن كان الناس لَيَضْرِبُونَ فَسَاطِيطَهُمْ بدور مكة لا ينهاهم أحد، وزوي أن دور مكة كانت تُدْعَى السَّوَابِ، وهذا كُلُّهُ منتزع من أصلين أحدهما: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] وقال ابن عمر وابن عباس: الحرم كُلُّهُ مسجد، والأصل الثاني: أن النبي ﷺ دخلها غَنَوَةً غير أنه من على

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتدَّ مشركاً راجعاً إلى قُريش، ففرَّ إلى عثمان بن عفَّان، وكان أخاه للرضاعة، فعُيِّبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأنَّ وأهل مكة، فاستأمن له: فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً، ثم قال: «نعم»؛ فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: «لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه». فقال رجل من الأنصار: فهلاً أومأت إلي يا رسول الله؟ قال: «إنَّ النبي لا يقتل بالإشارة».

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطَّاب بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفَّان بعد عمر.

قال ابن إسحق: وعبد الله بن خَطَل، رجل من بني تَيْم بن غالب: إنما أمر بقتله أنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدِّقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تَيْساً، فيصنع له طعاماً، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتدَّ مشركاً.

وكان له قَيْنَتان: فَرْتَنَى وصاحبتهما وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه.

أهلها بأنفسهم وأموالهم، ولا يُقاس عليها غيرها من البلاد، كما ظنَّ بعضُ الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجهين، أحدهما: ما خصَّ الله به نبيِّه، فإنه قال: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] والثاني فيما خصَّ الله تعالى به مكة فإنه جاء: لَا تَجْلُ عَنَائِمُهَا، وَلَا تُلْتَقِطُ لَقَطَتُهَا، وهي حرم الله تعالى وأمنه، فكيف تكون أرضها أرضَ خَزَاج، فليس لأحدٍ افْتَتَحَ بلدًا أن يَسْلُكَ به سَبِيلَ مكة، فأرضها إذا ودُورُها لأهلها، ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها، ولا يأخذوا منهم كِرَاءً في مساكنها، فهذا حكمها فلا عليك بعد هذا، فُتِحَتْ عَنَوَةٌ أو صُلْحًا، وإن كانت ظواهر الحديث أنها فُتِحَتْ عَنَوَةٌ.

الهذلي القتيل:

وذكر الهذليُّ الذي قُتِلَ، وهو واقف، فقال: أَقْدَ فَعَلْتُمُوهَا يَا مَعْشَرَ خَزَاعَةَ، وَرَوَى الدَّارِقُطَنِيُّ فِي السُّنَنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ قَاتِلَ مُسْلِمٍ بِكَافِرٍ لَقَتَلْتُ خِرَاشًا بِالْهَذَلِيِّ»^(١)، يعني بالهذلي: قَاتِلَ ابْنِ أَثْوَعٍ، وَخِرَاشٌ هُوَ قَاتِلُهُ، وَهُوَ مِنْ خَزَاعَةَ.

(١) أخرجه الدارقطني (٣/١٣٧ - بتحقيقي) والطبراني في الكبير (١٨/١١٠).

والْحَوِيرِثُ بْنُ نُقَيْدٍ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ قُصَيٍّ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِيهِ بِمَكَّةَ.

قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم، ابنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة، فنحس بهما الحويرث بن نقيد، فرمى بهما إلى الأرض.

قال ابن إسحاق: ومقيس بن حبابة [أو ضبابة، أو ضبابة] وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله، لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركاً وسارة، مولاة لبعض بني عبد المطلب، وعكرمة بن أبي جهل. وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام. فاستأمنت له من رسول الله ﷺ، فأمنه فخرجت في طلبه إلى اليمن، حتى أتت به رسول الله ﷺ، فأسلم. وأما عبد الله بن خطل، فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برة الأسلمي، اشتركا في دمع؛ وأما مقيس بن حبابة فقتله ثميلة بن عبد الله، رجل من قومه، فقالت أخت مقيس في قتله:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْزَى ثُمَيْلَةُ رَهْطَهُ
وَفَجَّعَ أَضْيَافَ الشِّتَاءِ بِمِقْيَاسِ
فَلَيْلُهُ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مِقْيَاسِ
إِذَا النُّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرَسْ

هل تعيد الكعبة عاصياً؟

فصل: وذكر قصة ابن خطل، واسمه: عبد الله، وقد قيل في اسمه: هلال، وقد قيل: هلال كان أخاه، وكان يقال لهما: الخطلان، وهما من بني تميم بن غالب بن فهر، وأن النبي ﷺ أمر بقتله، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة، ففي هذا أن الكعبة لا تعيد عاصياً، ولا تمنع من إقامة حد واجب، وأن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ إنما معناه الخبر عن تعظيم حُرمة الحرم في الجاهلية نعمة منه على أهل مكة، كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ إلى آخر الآية، [المائدة: ٩٧] فكان في ذلك قوام للناس، ومصلحة لذرية إسماعيل - ﷺ - وهم قُطَّانُ الْحَرَمِ، وإجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام حيث يقول: اجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وعندما قُتِلَ النَّبِيُّ ﷺ ابن خطل قال: «لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا»^(١)، كذلك قال يونس في روايته.

(١) أخرجه مسلم في الجهاد (٨٨) وأحمد (٤١٢/٣) والدارمي (١٩٨/٢) والطبراني (١٨٨/٧) وابن عساكر في تهذيبه (٦٣/٦).

وأما قَيْتَا بن خَطْل فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمنها. وأما سَارَة فاستؤمن لها فأمنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسًا في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها. وأما الحُوَيْرث بن نُقَيْذ فقتله علي بن أبي طالب.

أُم هانئ تؤمن رجلين

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مُرّة، مولى عَقِيل بن أبي طالب، أن أُم هانئ بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكّة، فرّ إليّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هُبَيْرَة بن أبي وَهَب المخزومي، قالت: فدخل عليّ بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو بأعلى مكّة، فوجدته يغتسل من جَفْنَة إنَّ فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشّح به، ثم صلّى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إليّ، فقال: «مرحبًا وأهلاً يا أُم هانئ، ما جاء بك؟» فأخبرته خبرَ الرجلين وخبر عليّ، فقال: «قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت، فلا يقتلنهما».

صلاة الفتح:

فصل: وذكر صلاة النبي ﷺ في بيت أُم هانئ، وهي صلاة الفتح، تُعرف بذلك عند أهل العلم، وكان الأمراء يصلونها إذا افتتحوا بلدًا. قال الطبري: صلّى سعد بن أبي وقاص، حين افتتح المدائن، ودخل إيوان كسرى، قال: فصلّى فيه صلاة الفتح، قال: وهي ثماني ركعات لا يُفصل بينّها، ولا تُصلّى بإمام، فبين الطبري سنّة هذه الصلاة وصفتها، ومن سنّها أيضًا أن لا يُجهر فيها بالقراءة، والأصل ما تقدّم من صلاة النبي ﷺ - في حديث أُم هانئ وذلك ضحى^(١).

أُم هانئ

وأُم هانئ اسمها: هِنْدُ تكنى بابنها هانئ بن هُبَيْرَة، ولها ابن من هُبَيْرَة اسمه يوسف، وثالث وهو الأكبر اسمه: جَعْدَة، وقيل: إيّاه عَنَتْ في حديث مالك، زعم ابن أُمي على أنه قاتل رجلًا أجزّته فلان بن هُبَيْرَة، وقد قيل في اسم أُم هانئ: فاختة.

(١) انظر البخاري (١٩٥/٦) ومسلم في المسافرين (٨٢) ومالك (١٥٢/١).

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة.

طواف الرسول بالكعبة:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمخجن في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد.

عبد الله بن سعد:

فصل: وذكر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي يكنى أبا يحيى، وكان كاتب النبي - ﷺ - ثم ارتد ولحق بمكة، ثم أسلم وحسن إسلامه، وعُرف فضله وجهاده، وكان على ميمنة عمرو بن العاصي حين افتتح مصر، وهو الذي افتتح إفريقية سنة سبع وعشرين، وغزا الأساود من الثوبة، ثم هادهم الهدنة الباقية إلى اليوم، فلما خالف محمد بن أبي حذيفة على عثمان - رضي الله عنه - اعتزل الفتنة، ودعا الله عز وجل أن يقبضه، ويجعل وفاته بأثر صلاة الصبح، فصلى بالناس الصبح، وكان يسلم تسليمتين عن يمينه، وعن شماله، فلما سلم التسليمة الأولى عن يمينه، وذهب ليسلم الأخرى، قبضت نفسه، وكانت وفاته بعسفان، وهو الذي يقول في حصار عثمان:

أرى الأمر لا يزداذ إلا تفاقما وأنصارنا بالمكثنين قليل
وأسلمنا أهل المدينة والهوى إلى أهل مصر والدليل دليل

نميلة:

وأما نميلة بن عبد الله الذي ذكره ابن إسحاق فهو ليثي أحد بني كعب بن عامر بن ليث، صحب رسول الله ﷺ، وشهد كثيرا من مشاهده وغزواته.

عن ابن نقيذ والقيتين:

وأما الحويرث بن نقيذ الذي أمر بقتله مع ابن خطل، فهو الذي نخس بزئب بنت رسول الله ﷺ حين أدركها، هو وهبار بن الأسود، فسقطت عن دابتها، وألقت جبينها.

وأما القينتان اللتان أمر بقتلهما، وهما سارة وقرنتى فأسلمت قرنتى، وأمنت سارة وعاشتا إلى زمن عمر رحمه الله، ثم وطئها قرس، فقتلها.

خطبته على باب الكعبة

قال ابن إسحق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يَدْعَى فهو تحت قَدَمَيَّ هاتين إلا سَدَانَةُ البيت وسِقَايَةُ الحاج، ألا وقتيلُ الخطأ شبه العمد بالسُّوط والعصا، ففيه الدِّيةُ مُغْلَظَةٌ، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهلية، وتعظُمها بالأبَاء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. الآية كلها. ثم قال: «يا معشر قريش، ما تُرَوْنَ أَنِي فاعل فيكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

إقرار الرسول عثمان بن طلحة على السدانة:

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحِجَابَةَ مع السُّقَايَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ؛ فقال رسولُ

عن الدييات في خطبة الرسول ﷺ^(١)

فصل: وذكر خطبة النبي - ﷺ - وفيها ذِكْرُ الدِّيَاتِ، وذكر قتيل الخطأ، وذكر شبه العمد وتغليب الدِّية فيه، وهي أن يُقْتَلَ القَتِيلُ بسُوطٍ أو عصا، فيموت، وهو مذهب أهل العراق: أَنَّ لَاقُودَ فِي شِبْهِ الْعَمْدِ، والمشهور عن الشافعي أن فيه الدِّيةَ مُغْلَظَةً أَثَلَاثًا، وليس عند فقهاء الحِجَازِ إِلَّا قُودٌ فِي عَمْدٍ فِي خَطِّ تَوْخَذَ أَخْمَاسًا عَلَى مَا فَسَّرَ الْفُقَهَاءُ. وهو قول الليث، وكذلك قال أهلُ الْعِرَاقِ إِنَّ الْقُودَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالسَّيْفِ، واحتجوا بِأَثَرِ يُرْوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا أَنَّ لَاقُودَ إِلَّا بِحَدِيدَةٍ، وَعَنْ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا أَيضًا: لَا قُودَ إِلَّا بِالسَّيْفِ، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا قُودَ إِلَّا بِحَدِيدَةٍ، وهو يدور على أَبِي مُعَاذِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَرْقَمَ، وهو ضعيف بإجماع، وكذلك حديث ابن مسعود يدور على الْمُعَلَّى بْنِ هِلَالٍ، وهو ضعيف مَثْرُوكُ الْحَدِيثِ، وكذلك حديث عَلِيٍّ لَا تَقُومُ بِإِسْنَادِهِ حُجَّةٌ، وَحُجَّةُ الْآخِرِينَ فِي أَنَّ الْقَاتِلَ يُقْتَلُ بِمَا قُتِلَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اغْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وحديث اليهودي الذي رَضَخَ رَأْسَ الْجَارِيَةِ عَلَى أَوْصَاحِ لَهَا، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرَضَّخَ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٤٧) وابن ماجه (٢٦٢٧) وأحمد (٦٥٣٣).

الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة؟» فدُعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بُرّ ووفاء».

قال ابن هشام: وذكر سُفيان بن عُيَيْنَةَ أن رسول الله ﷺ قال لعليّ: «إنما أعطيكُم ما تَرْزُؤُون لا ما تَرْزُؤُون».

طمس الصور التي بالبيت:

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صُورَ الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مُصَوَّرًا في يده الأُزْلَامُ يَسْتَقْسِمُ بها، فقال: «قاتلهم الله»، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام! ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] ثم أمر بتلك الصُور كلها فطُمِسَتْ.

دخول الكعبة والصلاة فيها

قال ابن هشام: وحدثني أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال، ثم خرج رسولُ الله ﷺ وتخلّف بلال، فدخل عبد الله بن عمر على بلال، فسأله: أين صلى رسولُ الله ﷺ؟ ولم يسأله كم صلى، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَلَ وجهه، وجعلَ الباب قِبَلَ ظهره، حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْرُ ثلاث أذرع، ثم يصلي يتوخّى بذلك الموضع الذي قال له بلال.

الصلاة في الكعبة

وأما دخوله عليه السلام الكعبة وصلاته فيها، فحديث بلالٍ أنه صلى فيها، وحديث ابن عباس أنه لم يُصَلِّ فيها، وأخذ الناسُ بحديث بلال، لأنه أثبت الصلاة وابن عباس نفى، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت، لا بشهادة النافي، ومن تأوّل قول بلالٍ أنه صلى، أي: دعا، فليس بشيء، لأن في حديث عمر أنه صلى فيها ركعتين، ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان، لأنه عليه السلام دخلها يوم النحر فلم يصَلِّ، ودخلها من الغد فصلى، وذلك في حجة الوداع، وهو حديث مروي عن ابن عمر بإسناد حسن، خرّجه الدارقطني^(١)، وهو من فوائده.

(١) أخرجه الدارقطني.

إسلام عتاب والحارث بن هشام

قال ابن هشام: وحدثني أن رسول الله ﷺ، دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذن، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال: عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيدًا ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لاتبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئًا: لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى، فخرج عليهم النبي ﷺ، فقال: «قد علمت الذي قُلتُم»، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، والله ما اطلع على هذا أحدٌ كان معنا، فنقول: أخبرك.

خراش وابن الأنوع:

قال ابن إسحاق: حدثني سعيد بن أبي سندر الأسلمي، عن رجل من قومه. قال: كان معنا رجل يقال له: أحمر بأسًا، وكان رجلًا شجاعًا، وكان إذا نام غطَّ غطيظًا مُنْكَرًا لا يخفى مكانه، فكان إذا بات في حيَّه بات مُعْتَنِرًا، فإذا بُيَّت الحي صرخوا يا أحمر، فيثور مثل الأسد، لا يقوم لسبيله شيء. فأقبل غزِيٌّ من هذيل يريدون حاضره، حتى إذا دنوا من الحاضر، قال ابن الأنوع الهذلي: لا تعجلوا عليَّ حتى أنظر، فإن كان في الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم، فإن له غطيظًا لا يخفى، قال: فاستمع، فلما سمع غطيظه مشى إليه

عن إسلام أبي سفيان وصاحبيه

فصل: وذكر كَسَرَ الأصنام، وطَمَسَ التَّمَاثِيلِ، ومقالة الحارث بن هشام حين اجتمع هو وأبو سفيان، وعتاب بن أسيد، فتكلموا فأخبرهم النبي ﷺ، كما أخبره جبريل عليه السلام بالذي قالوه، فصَحَّ بذلك يقينهم وحسن إسلامهم، وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر قال: لعن النبي ﷺ الحارث وأبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٨] قال: فتابوا بعدُ، وحسن إسلامهم^(١)، وروينا بإسنادٍ مُتَّصِلٍ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قال: خرج النبي ﷺ - على أبي سفيان، وهو في المسجد، فلما نظر إليه أبو سفيان قال في نفسه: ليت شِعْري بأي شيء غلبتني، فأقبل النبي ﷺ، حتى ضرب بيده بين كتفيه، وقال: «بالله غلبتك يا أبا سفيان»، فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله. مِنْ مُسْنَدِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أَسَامَةَ، وَرَوَى الزَّيْنَرُ

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٠٤).

حتى وضع السيف في صدره، ثم تحامل عليه حتى قتله، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم، فلما كان عام الفتح، وكان الغد من يوم الفتح، أتى ابن الأثويع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس، وهو على شراكه، فرأته خزاعة، فعرفوه، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جذر مكة، يقولون: أنت قاتل أحمر؟ قال: نعم، أنا قاتل أحمر فمه؟ قال: إذ أقبل خراش بن أمية مُشتملاً على السيف، فقال: هكذا عن الرجل، والله ما نظن إلا أنه يريد أن يُفرج الناس عنه. فلما انفرجنا عنه حمل عليه، فطعنه بالسيف في بطنه، فوالله لكأنني أنظر إليه وجشوته تسيل من بطنه، وإن عينيه لترتفان في رأسه، وهو يقول: أقد فعلتموها يا معشر خزاعة؟ حتى انجفع فوق. فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأديبه».

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن حزملة الأسلمي، عن سعيد بن المسيب، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية، قال: إن خراشاً لقتال، يعيبه بذلك.

بإسناد يرفعه إلى من سمع النبي ﷺ يمازح أبا سفيان في بيت أم حبيبة وأبو سفيان يقول له: تركتكَ، فتركك العرب، ولم تنتطح بعدها جماء ولا قرناء، والنبي ﷺ يضحك، ويقول: «أنت تقول هذا يا أبا حنظلة». وقال مجاهد في قوله جل وعز: «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة» [المتحنة: ٧] قال هي معاهدة النبي ﷺ لأبي سفيان. وقال أهل التفسير: رأى النبي ﷺ في المنام أسيد بن أبي العيص واليا على مكة مسلماً، فمات على الكفر، فكانت الرؤيا لولده عتاب حين أسلم، فولاه رسول الله ﷺ مكة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ورزقه كل يوم دزهمًا، فقال: «أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على دزهم»، الحديث، وقال عند موته: والله ما اكتسبت في ولايتي كلها إلا قميصاً معقداً كسوته غلامي كيسان، وكان قد قال قبل أن يُسلم وسمع بلالاً يُؤذن على الكعبة، لقد أكرم الله أسيداً، يعني: أباه أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه، وكانت تحت عتاب جويرية بنت أبي جهل بن هشام، وهي التي خطبها عليّ على فاطمة، فسق ذلك على فاطمة، فقال النبي ﷺ: «لا أذن ثم لا أذن، إن فاطمة بضعة مني»^(١)، الحديث، فقال عتاب: أنا أريحكم منها فتزوجها، فولدت له عبد الرحمن المقتول يوم الجمل، يروى أن عقاباً طارت بكفه يوم قتل، وفي الكف خاتمته، فطرحتها باليمامة في ذلك اليوم، فغرقت بالخاتم.

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٩٦) وأحمد (٣٢٦/٤) وابن ماجه (١٩٩٩).

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الخزاعي، قال: لما قديم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير، جئته، فقلت له: يا هذا، إنا كنا مع رسول الله ﷺ، حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مُشرك، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فقال: «يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك فيها دمًا ولا يغصد فيها شجرة، لم تحلل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة، غضباً على أهلها ألا: ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: أن رسول الله قاتل فيها، فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله، ولم يحلها لكم، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأديته، فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين: إن شاءوا قدم قاتله وإن شاءوا فعقله». ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتله خزاعة، فقال عمرو لأبي شريح: انصرف أيها الشيخ، فنحن أعلم بحرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالغ طاعة، ولا مانع جزية، فقال أبو شريح: إني كنت شاهداً وكنت غائباً، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهداً غائباً، وقد أبلغتُك، فأنت وشأنك.

أول من ودى يوم الفتح:

قال ابن هشام: وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْد بن الأكوخ، قتله بنو كعب، فوداه بمائة ناقة.

الحنفاء بنت أبي جهل:

وكانت لأبي جهل بنت أخرى، يقال لها: الحنفاء كانت تحت سهيل بن عمرو، يقال: إنها ولدت له ابنه أنس الذي كان يضعف^(١)، وفيه جرى المثل: أساء سمعاً فأساء إجابة ويقال: إنه نظر يوماً إلى رجل على ناقة يتبعها خرؤف فقال: يا أبت أذاك الخرؤف من تلك الناقة؟ فقال أبوه: صدقت هنذ بنت عتبة، وكانت حين خطبها قالت: إن جاءت منه حليلته بولد أحمقت، وإن أنجبته فعن خطإ ما أنجبته، وقد قيل في بنت أبي جهل: الحنفاء: إن اسمها صفيّة فالله أعلم.

(١) أي قليل الذكاء والفتنة.

الأنصار يتخوفون من بقاء النبي ﷺ في مكة:

قال ابن هشام: وبلغني عن يحيى بن سعيد: أن النبي ﷺ حين افتتح مكة ودخلها، قام على الصفا يدعو الله، وقد أهدت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: «ماذا قلتُمْ؟» قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النبي ﷺ: «معاذ الله المَحْيَا محياكم، والمَمَات مَمَاتكم».

كسر الأصنام:

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ [الإسراء: ٨١] فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع؛ فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب

إسلام الحارث بن هشام:

وقال الحارث بن هشام، وقد قيل له: ألا ترى ما يصنع مُحَمَّدٌ من كسر الآلهة، ونداء هذا العبد الأسود على الكعبة فقال: إن كان الله يكره هذا، فسيغيره، ثم حَسُنَ إسلامه رضي الله عنه بعد، وهاجر إلى الشام، فلم يزل جَاهِدًا مُجَاهِدًا، حتى استشهد هنالك رحمه الله.

إسلام بنت أبي جهل:

وأما بنتُ أبي جهل، فقالت حين سمعت الأذان على الكعبة، فلما قال المؤذن: أشهد أن مُحَمَّدًا رسولُ الله، قالت: عَمْرِي لقد أكرمك الله ورفع ذِكْرَكَ، فلما سمعت: حَيَّ على الصلاة، قالت: أُمَّا الصَّلَاةُ فَسُودِيهَا، ولكن والله ما تحبُّ قلوبنا مَنْ قَتَلَ الأَحِبَّةَ، ثم قالت: إن هذا الأمرَ لَحَقُّ، وقد كان الملكُ جاء به أبي، ولكن كَرِهَ مُخَالَفَةَ قَوْمِهِ ودينَ آبائه.

وأما أبو مَخْدُورَةَ الجَمَحِي، واسمه: سَلَمَةُ بن مِغِير، وقيل: سَمُرَةُ، فإنه لما سَمِعَ الأَذَانَ، وهو مع فُتَيْيَةٍ من قُرَيْشٍ خارج مكة أقبلوا يستهزؤون، ويحكون صوت المؤذن غَيْظًا، فكان أبو مَخْدُورَةَ من أحسنهم صوتًا، فرفع صوته مُسْتَهْزِئًا بالأذان، فسمعه النبي ﷺ، فأمر

قال ابن هشام: وحدثني أن فضالة بن عمير بن الملوّح الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: «أفضالة؟» قال: نعم فضالة يا رسول الله؛ قال: «ما كانت تحدث به نفسك؟» قال: لا شيء، كنت أذكر الله،

به فمثل بين يديه، وهو يظن أنه مقتول، فمسح النبي ﷺ ناصيته وصدره بيده، قال: فامتلاً قلبي والله إيماناً و يقيناً وعلمت أنه رسولُ الله، فألقى عليه النبي ﷺ - الأذان، وعلمه إياه، وأمره أن يؤذن لأهل مكة، وهو ابن ست عشرة سنة، فكان مؤذّنهم حتى مات ثم عَقِبَهُ بعده يتوارثون الأذان كابراً عن كابر، وفي أبي مَحْذُورَة يقول الشاعر:

أَمَّا وَرَبُّ الْكَفَبَةِ الْمَسْثُورَةِ وَمَا تَلَا مُحَمَّذٌ مِنْ سُورَةٍ
وَالنُّغَمَاتِ مِنْ أَبِي مَحْذُورَةٍ لَأَفْعَلَنَّ فَعَلَةً مَذْكُورَةٍ

هند بنت عتبة:

وأما هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان، فإن من حديثها يوم الفتح أنها بايعت النبي ﷺ، وهو على الصفا، وعمرُ دونه بأعلى العقبة، فجاءت في نسوة من قريش يُبَايِعُنَّ على الإسلام، وعمرُ يكلمهن عن رسول الله ﷺ، فلما أخذ عليهن أن لا يُشْرِكْنَ بالله شيئاً قالت هند: قد علمت أنه لو كان مع الله غيره لأعني عثاً، فلما قال: ولا يسرقن قالت: وهل تَسْرِقُ الحرّة، لكن يا رسول الله أبو سفيان رجلٌ مسيكٌ ربما أخذت من ماله بغير علمه ما يَصْلِحُ ولده، فقال النبي ﷺ: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»، ثم قال: «إنك لأنتِ هند؟» قالت: نعم يا رسول الله اغف عني، عفا الله عنك، وكان أبو سفيان حاضراً، فقال: «أنتِ في حلٍّ مما أخذت»، فلما قال: «ولا يزني»، قالت: وهل تزني الحرّة يا رسول الله، فلما قال: «ولا يغصينك في معروف»، قالت: بأبي أنت وأمي ما أكرمك، وأحسن ما دَعَوْتَ إليه، فلما سمعت: «ولا يقتلن أولادهن»، قالت: والله قد رَبَّيْنَاهُم صِغَارًا، حتى قتلتهن أنت وأصحابك بيدركبارًا، قال: فضحك عمرُ من قولها حتى مال^(١).

عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزبير:

فصل: وذكر حديث أبي شريح الخزازي، واسمه: خُوَيْلِدُ بن عمرو، وقيل: عمرو بن خُوَيْلِد، وقيل: كعب بن عمرو، وقيل: هانيء بن عمرو، قال: لما قدم عمرو بن الزبير

(١) أخرجه البخاري (٨٥/٧) ومسلم في الأفضية (٧) وابن ماجه (٢٢٩٣) وأحمد (٣٩/٦).

قال: فضحك النبي ﷺ، ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه؛ فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا. وانبعث فضالة يقول:

يَأْبَى عَلَيْنِكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ	قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لَا
بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكْسُرُ الْأَضْنَامُ	لَوْ مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ
وَالشُّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ	لِرَأَيْتَ دِينَ أَضْحَى بَيْنَنَا

مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير بمكة، هذا وهم من ابن هشام، وصوابه: عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية، وهو الأشدق، ويكنى أبا أمية، وهو الذي كان يسمى لطيم الشيطان، وكان جباراً شديد البأس، حتى خافه عبد الملك على مكة، فقتله بحيلة في خبر طويل، ورأى رجل عند موته في المنام قائلاً يقول:

وَلِلْعَاجِزِ الْمُؤْهِونِ وَالرَّأْيِ ذِي الْأَفَنِ	أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلْسَفَاهَةِ وَالْوَهَنِ
عَلَى قَدَمَيْهِ خَرَّ لِلْوَجْهِ وَالْبَطْنِ	وَلابن سَعِيدٍ بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ
إِلَيْهِ، فزارته الْمَنِيَّةُ فِي الْحِضْنِ	رَأَى الْحِضْنَ مُنْجَاةً مِنَ الْمَوْتِ فَالتَجَا

فقص رؤياه على عبد الملك، فأمره أن يكتُمها، حتى كان من قُتله ما كان، وهو الذي خطب بالمدينة على منبر رسول الله ﷺ فرعف حتى سال الدم إلى أسفله فعرِف بذلك معنى حديثه عليه السلام الذي يروى عنه: «كأنني بجبار من بني أمية يزحف على منبري هذا حتى يسيل الدم إلى أسفله»^(١)، أو كما قال ﷺ، فعرِف الحديث فيه، فالصواب إذا عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزبير، وكذلك رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق، وهكذا وقع في الصحيحين. ذكر هذا التنبيه على ابن هشام أبو عمر - رحمه الله - في كتاب الأجوبة عن المسائل المُستَغَرَّة، وهي مسائل من كتاب الجامع للبخاري تكلم عليها في ذلك الكتاب، وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائي في روايته من أجل أن عمرو بن الزبير، كان معادياً لأخيه عبد الله ومُعِيناً لبني أمية عليه في تلك الفتنة، والله أعلم.

أم حكيم بنت الحارث:

فصل: وذكر أم حكيم بنت الحارث، وكانت تحت عكرمة بن أبي جهل، وأنها اتبعته

(١) لا أصل له كما يبدو عليه واضحاً جلياً.

أمان الرسول لصفوان بن أمية:

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر، عن عروة بن الزبير، قال: خرج صفوان بن أمية يريد جُدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عُمير بن وهب يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيُد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه في البحر، فأمنه، صلى الله عليك؛ قال: «هو آمن»؛ قال: يا رسول الله، فأعطني آية يعرف بها أمانك؛ فأعطاه

حين فرّ من الإسلام، فاستأمنت له رسول الله ﷺ، واستشهد عكرمة بالشام، فخطبها يزيد بن أبي سفيان. وخالد بن سعيد، فخطبت إلى خالد، فتزوجها، فلما أراد البناء بها، وجموع الزوم قد احتشدت، قالت له: لو أمهلّت حتى يَفُضَّ الله جَمْعَهُم، قال: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جُموعهم، فقالت: دونك، فابتنى بها، فلما أصبح التقت الجموع وأخذت السيف من كُلِّ فَرِيقٍ مأخذها فقتل خالد، وقاتلت يومئذ أم حَكِيم، وإن عليها للرزع الخلق^(١)، وقتلت سبعة من الزوم بعمود القسطاط بقنطرة تسمى إلى اليوم بقنطرة أم حَكِيم وذلك في غزوة أجنادين.

دم ربيعة بن الحارث:

وذكر في خطبة النبي ﷺ: «ألا كُلُّ مَأْثَرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى، فهو تحت قدمي هاتين»^(٢)، وفي بعض روايات الحديث: وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث. كان لربيعة ابن قُتِل في الجاهلية اسمه آدم، وقيل: تَمَام، وهو ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، مات في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين.

حول التخيير بين القصاص وبين الدية:

فصل: وذكر في حديث ابن شُرَيْح قوله عليه السلام: «فمن قُتِل بعد مَقامي هذا، فأهلُه بخير النَّظَرَيْنِ. إن شاءوا قَدِم قاتله، وإن شاءوا فَعَقَلُه»^(٣)، وهو حديث صحيح، وإن اختلفت فيه ألفاظُ الرُّوَاةِ وظاهره على هذه الرواية أن وليَّ الدَّم، هو المخير إن شاء أخذ الدية، وهو العقل، وإن شاء قتل، وقد اختلف الفقهاء في فصل من هذه المسألة، وهو أن يختار وليُّ المقتول أخذ الدية، ويأبى القاتل إلا أن يُقْتَصَّ منه، فقالت طائفة بظاهر الحديث: ولا اختيار للقاتل، وقالت طائفة: يقتل القاتل، ولا يُجَبَّر على إعطاء المال، وتأولوا الحديث، وهي

(١) الخلق: الطيب. (٢) أخرجه مسلم في الحج (١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٥/٣) ومسلم في الحج (٤٤٥/٤٤٧) والترمذي (١٤٠٥) والنسائي (٣٨/٨)

وأبو داود (٤٥٠٥ - بتحقيقي) وابن ماجه (٢٦٢٤) والشافعي في مسنده (٢٤٣).

رسول الله ﷺ عِمَامَتَهُ التي دخل فيها مَكَّة، فخرج بها عُمَيْر حتى أدركه، وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان فِداكَ أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمانٌ من رسول الله ﷺ قد جئتُك به؛ قال: ويحك! اغْرُبْ عني فلا تكلِّمني؛ قال: أي صفوان فِداكَ أبي وأمي، أفضلُ الناس، وأبرُّ الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزُّه عزُّك، وشرفه شرفك، ومُلْكُه مُلْكُك؛ قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم: فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أُمْتُني، قال: «صدق»؛ قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين؛ قال: «أنت بالخيار فيه أربعة أشهر».

قال ابن هشام: وحدثني رجل من قُرَيْش من أهل العلم أن صفوان قال لِعُمَيْر: وَيَحْك! اغْرُبْ عني، فلا تكلِّمني، فإنك كذاب، إما كان صنع به، وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر.

رواية ابن القاسم، وقال بها طائفة من السَّلَف، وقال آخرون بظاهر الحديث، وهو قول الشافعي، وأشهب، ومُنشأ الاختلاف من الاحتمال في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] فاحتملت الآية عند قوم أن تكون مِنْ واقعةٍ على وَلِيِّ المقتول، ومن أخيه أي: مِنْ وَلِيِّ المقتول، أي: من دَيْتِه، وعُفِيَ له أي: يُسَّر له شيء من المال، واحتمل أن تكون مِنْ واقعةٍ على القاتل وعُفِيَ من العَفْو عن الدم، ولا خلاف أن المَتَّبِعَ بالمعروف، هو وَلِيُّ الدم، وأن المأمورَ بأداء بإحسانٍ هو القاتل، وإذا تدبَّرت الآية، عرفت مُنشأ الخلاف منها، ولاح من سِياقَةِ الكلام أي القولين أولى بالصواب.

وأما ما ذكرت من اختلاف ألفاظِ الثَّقَلِ في الحديث، فيحصرها سبعة ألفاظ:

أحدها: إما أن يُقْتَلَ وإما أن يُفَادِيَ.

والثاني: إما أن يُعْقَلَ أو يُقَاد.

الثالث: إما أن يُفَدِيَ وإما أن يُقْتَلَ.

الرابع: إما أن تُعْطَى الدِّيَةُ أو يُقَادَ أَهْلُ القَتِيل.

الخامس: إما أن يَغْفُو أو يُقْتَلَ.

السادس: يُقْتَلَ أو يُفَادَى.

السابع: من قَتَلَ مُتَعَمِّدًا دُفِعَ إلى أولياء المقتول، فإن شاءوا قَتَلُوا وإن شاءوا أخذوا الدِّيَةَ. خرَّجه الترمذي. ورواية ابن إسحاق في السيرة ثامنة، وفي بعض هذه الروايات قوة لرواية ابن القاسم، وفي بعضها قوة لرواية أشهب فتأملها.

إسلام عكرمة وصفوان:

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري: أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام وفاخته بنت الوليد - وكانت فاخنة عند صفوان بن أمية، وأم حكيم عند عكرمة بن أبي جهل - أسلمتا؛ فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله ﷺ لعكرمة فأمنه؛ فلحقته به باليمن، فجاءت به، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول.

إسلام ابن الزبيري وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: قال: رمى حسان ابن الزبيري وهو بنجران بيت واحد ما زاده عليه:

لا تَعْدَ مَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرَانٌ فِي عَيْشٍ أَحَدُ لَثِيمِ

فلما بلغ ذلك ابن الزبيري خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم، فقال حين أسلم:

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ^(١) مَا فَتَفْتُ إِذْ أَنَا بُورُ

إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سِنِّ الْعَيِّ وَمَنْ مَالٌ مَيْلُهُ مَثْبُورُ^(٢)

النهي عن اشتغال الصماء والاحتباء:

وخطبته عليه السلام أطول مما ذكره ابن هشام، وفيها من رواية الشيباني عن ابن إسحاق: «نَهَيْهِ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ، وَصَلَاةِ سَاعَتَيْنِ: يَعْنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ وَغُرُوبَهَا، وَأَنْ لَا يَتَوَارَثَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ، وَعَنْ لُبْسَتَيْنِ وَطُعْمَتَيْنِ»^(٣)، وَفُسْرَتَا فِي الْحَدِيثِ، فَقَالَ: اللَّبْسَتَانِ: اشْتِمَالُ الصَّمَاءِ، وَأَنْ يَخْتَبِيَ الرَّجُلُ وَلَيْسَ بَيْنَ عَوْرَتِهِ وَالسَّمَاءِ حِجَابٌ وَالطُّعْمَتَانِ: الْأَكْلُ بِالشَّمَالِ، وَأَنْ يَأْكُلَ مُتْبِطِحًا عَلَى بَطْنِهِ.

شعر ابن الزبيري

فصل: وذكر شعر ابن الزبيري: الزبيري: البعير الأزب^(٤) مع قصر، وفيه:

رَاتِقٌ مَا فَتَفْتُ إِذْ أَنَا بُورُ

(٢) مَثْبُور: هَالِك.

(١) رَاتِق: مَصْلَح.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٩٦/٢) وَابْنُ خَرِيزٍ (٣٢٢/٥) وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مَصْنَفِهِ (٤٦٣/٦).

(٤) الْبَعِيرُ الْأَزْبُ: كَثِيرُ الشَّعْرِ فِي الْوَجْهِ.

أَمَنْ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ التَّنْذِيرُ
إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيًّا مِنْ لُؤْيٍ وَكُلُّهُمْ مَغْرُورٌ
قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبَعْرَى أيضًا حين أسلم:

مَنَعَ الرُّقَادَ بِلَابِلٍ وَهُمُومٌ وَاللَّيْلُ مُغْتَلِجٌ ^(١) الرُّوَاقِ ^(٢) بِهِيمٍ ^(٣)
مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لَامِنِي فِيهِ فَيْتٌ كَأَنِّي مَخْمُومٌ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلْتُ عَلَى أَوْصَالِهَا عَيْرَانَةً ^(٤) سُرْحُ الْيَدَيْنِ عَشُومٌ ^(٥)
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمٌ
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَعْوَى خُطَّةٍ سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومٌ
وَأُمِدُّ أَسْبَابَ الرَّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ الْعَوَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشُومٌ
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَمَخْطِئِ هَذِهِ مُحْرُومٌ

قوله: فتقت يعني: في الدين، فكل إثم فُتِقَ وَتَمَزَّقَ، وكل تَوْبَةٍ، رَتَّقَ، ومن أجل ذلك قيل للتوبة: تَصُوحٌ من تَصَحَّتْ إِذَا خَطَّتْ، وَالتَّصَاحُ: الخِيْطُ، ويشهد لَصِحَّةِ هَذَا الْمَعْنَى قولُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ:

نُرْقِعُ ذُنْيَانَا بِتَمَزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى، وَلَا مَا نُرْقِعُ

وقوله: إِذْ أَنَا بُورٌ، أَي: هَالِكٌ، يُقَالُ: رَجُلٌ بُورٌ وَبَائِرٌ، وَقَوْمٌ بُورٌ، وَهُوَ جَمْعُ بَائِرٍ كَانَ الْأَصْلُ فِيهِ فُعْلٌ بِتَحْرِيكِ الْوَاوِ، وَأَمَّا رَجُلٌ بُورٌ، فَفُوزُهُ فُعْلٌ بِالسَّكُونِ، لِأَنَّهُ وَصِفَ بِالْمُضْذِرِ، وَمِنْهُ قِيلَ: أَرْضٌ بُورٌ مِنَ الْبَوَارِ، وَهُوَ هَلَاكُ الْمَرْغَى وَيُبْسُهُ.
وقولُ ابْنِ الزَّبَعْرَى:

وَاللَّيْلُ مُغْتَلِجُ الرُّوَاقِ بِهِيمٍ

الاعتلاج: شِدَّةُ وَقْوَةٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهَا. وَابْهِيمٌ: الَّذِي لَيْسَ فِيهِ لَوْنٌ يَخَالِطُ لَوْنَهُ.
وقوله: سُرْحُ الْيَدَيْنِ عَشُومٌ. الْعَشُومُ: الَّتِي لَا تَرُدُّ عَنْ وَجْهِهَا، وَيُرْوَى سَعُومٌ، وَهِيَ الْقُوَّةُ عَلَى السَّيْرِ.

(٢) الرواق: مقدم الليل.

(٤) عيرانة: راحلة.

(١) معتلج: ملتطم.

(٣) بهيم: لا ضوء فيه.

(٥) عشوم: شجاع مقدم.

مضت العداوة وانقضت أسبابها
 فاغفر فدى لك والدي كلاهما
 وعليك من علم المليك علامة
 أعطاك بعد محبة برهانه
 ولقد شهدت بأن دينك صادق
 والله يشهد أن أحمد مصطفى
 قَرَمَ عَلَا بُنْيَانِهِ مِنْ هَاشِمٍ
 قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

بقاء هبيرة على كفره وشعره في إسلام زوجه أم هانئ:

قال ابن إسحاق: وأما هُبيرة بن أبي وَهَبٍ المخزومي فأقام بها حتى مات كافراً،
 وكانت عنده أم هانئ بنت أبي طالب، واسمها هند، وقد قال حين بلغه إسلام أم
 هانئ:

أشأقتك هند أم أتاك سُؤَالُهَا
 وقد أَرَقْتُ في رأسِ حُضْنٍ مَمْنَعٍ
 وعاذلةً هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي
 وتَزْعُمُ أَنِي إِنْ أَطَعْتُ عَشِيرَتِي
 فَإِنِّي لِمِنْ قَرَمٍ إِذَا جَدُّ جَدُّهُمْ
 وَإِنِّي لِحَامٍ مِنْ وَرَاءِ عَشِيرَتِي
 وصارت بأيديها السيوف كأنها
 وإني لأقلَى الحاسدين وفعلهم
 وإن كلام المرء في غير كُتُوبِهِ
 فَإِنْ كُنْتَ قَدْ تَابَعْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ
 كذاك التوى أسبابها وانفتالها
 بنجران يسري بعد ليل خيالها
 وتغذّلني بالليل ضلّ ضلالها
 سأزدي وهل يُزدين إلا زيالها
 على أي حال أصبح اليوم حالها
 إذا كان من تحت العوالي مجالها
 مخاريق ولدان ومنها ظلالها
 على الله رزقي نفسها وعيالها
 لكاتبُ تَهْوِي ليس فيها نصالها
 وعطفت الأرحام منك جبالها

فكوني على أعلى سَجِيقٍ بهْضَبَةٍ مُلَمَلَمَةٍ غِبْرَاءِ يَنْبَسِ بِلَالِهَا
قال ابن إسحاق: ويروى:

وقطعت الأرحامَ منك حبالُها

عَذَّةٌ من شهد فتح مَكَّةَ من المسلمين:

قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مَكَّةَ من المسلمين عشرة آلاف. ومن بني سُلَيْمٍ سبع مائة، ويقول بعضهم: ألف؛ ومن بني غِفَارٍ أربع مائة، ومن أَسْلَمَ أربع مائة؛ ومن مُزَيْنَةَ ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قُرَيْشٍ والأنصار وحُلَفَائِهِمْ، وطوائف العرب من تَمِيمٍ وقَيْسٍ وأَسَدٍ.

شعر حَسَّانٍ في فتح مَكَّةَ

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حَسَّانٍ بن ثابت الأنصاري:

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ^(١) إِلَى عَذْرَاءَ^(٢) مَنَزَلُهَا خَلَاءُ
دِيَارُ مَنْ بَنَى الْحَسْحَاسِ قَفْرُ تُغْفِيهَا الرُّوَامِسُ^(٣) وَالسَّمَاءُ
وكَأَنْتَ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيَسُ خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ

حول شعر حَسَّانٍ

فصل: وذكر شعر حَسَّانٍ يوم الفتح وأوله:

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ

ذات الأصابع: موضع بالشام، والجِوَاءُ كذلك، وبالجِوَاءِ كان منزلُ الحارثِ بن أبي شَمِرٍ، وكان حَسَّانُ كثيرًا ما يَرُدُّ على مُلُوكِ عَسَّانٍ بالشام يمدحهم، فلذلك يذكر هذه المنازل.

وقوله: إِلَى عَذْرَاءَ، هي قرية عند دِمَشْقَ، فيها قُتِلَ حُجْرُ بن عَدِيٍّ وأصحابه.

وقوله: نَعَمٌ وَشَاءُ. التَّعَمُّ: الإِبْلُ، فإذا قيل: أنعام دخل فيها العَنَمُ والبَقَرُ والإِبْلُ. والشَّاءُ والشَّوِيُّ: اسمٌ للجميع كالضَّأْنِ والضَّيْنِ والإِبِلِ والإِئِيلِ، والمَغَزِ والمَعِيزِ، وأما الشَّاءُ، فليست من لفظ الشَّاءِ، لأن لام الفعل منها هاء. وبنو الحَسْحَاسِ: حَيٌّ من بني أَسَدٍ.

(٢) موضع قرب دمشق.

(١) الجِوَاءُ: موضع بالشام.

(٣) الروامس: القبور.

فَدَعْ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ

وقوله: الرّوَامِسُ والسَّمَاءُ، يعني: الرّيح والمطر. والسَّمَاءُ لفظٌ مشترك يقع على المطر، وعلى السَّماء التي هي السَّقْفُ، ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا

لأنه يحتمل أن يُريد مطر السَّماء، فحذف المضاف، ولكن إنما عرفناه من قولهم في جَمْعِهِ: سُمِّيَ وهم يقولون في جمع السَّماء: سَمَوَاتٍ وَأَسْمِيَّةٌ، فعلمنا أنه اسمٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ.

وقوله: وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ. الطَّيْفُ: مصدر طاف الخيالُ يَطِيفُ طَيْفًا، ولكن لا يقال للخيال: هو طَائِفٌ على وزن اسم الفاعل من طاف، لأنه لا حقيقة للخيال، فيرجع الأمر إلى أنه هو الطَّيْفُ، وهو تَوَهُّمٌ وَتَخَيُّلٌ، فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ لَهُ حَقِيقَةٌ قَلَّتْ فِيهِ: طَائِفٌ، وفي مَصْدَرِهِ: طَيْفٌ كما في التنزيل ﴿طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وقد قرئ أيضًا طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، لأن غُرُورَ الشَّيْطَانِ وأمانيه تُشَبِّهُ بالخيال، وما لا حقيقة له. وأما قوله: ﴿قَطَافٌ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [القلم: ١٩] فليس فيه إِلَّا اسمُ الفاعل دون المَصْدَرِ، لأن الذي طاف عليها له حقيقة، وهو فاعل معروف بالفعل، يقال: إنه جَبْرِيلُ عليه السلام، فتحصل من هذا ثلاثُ مَرَاتِبٍ: الخيالُ ولا حقيقة له، فلا يُعَبَّرُ عنه إِلَّا بالطَّيْفِ، وحديثُ الشيطانِ وَوَسْوَستُهُ، يقال فيه: طَائِفٌ وَطَيْفٌ، وكل طائف سوى هذين فهو اسمُ فاعل، لا يُعَبَّرُ عنه بطَيْفٍ، ولا بطوافٍ فقف على هذه التُّكْنَةِ فيه.

وقوله:

يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ

أي: يَسْهَرُنِي، فيقال: كيف يُسْهَرُ الطيفُ، والطيفُ حُلُمٌ في المنام؟.

فالجواب: أن الذي يُورِّقُه لوعةٌ يجدها عند زَوَالِهِ كما قال [حبيب بن أوس أبو تمام] الطائي:

ظَنَنْتِي تَقَنَّنُضَّتْهُ لَمَّا نَضَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكًا مِنَ الْحُلُمِ

ثم انثنى، وينا من ذِكْرِهِ سَقَمٌ باقٍ، وَإِنْ كَانَ مَغْسُولًا مِنَ السَّقَمِ

وقد أحسن في قوله من آخر الليل تنبيهًا على أنه سهر لَيْلَهُ كُلَّهُ، إِلَّا سَاعَةً جَاءَ الْخِيَالُ مِنْ آخِرِهِ، فَكَانَهُ مُسْتَرْقٍ مِنْ قَوْلِ حَسَّانَ:

أَوْخِيَالٌ إِذَا تَقَوَّمَ التُّجُومُ

لِشَعْنَاءٍ^(١) الَّتِي قَدْ تَيَّمَّمْتُهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءٌ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتِ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِنَّ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفِدَاءِ

ونظير قوله: يورقني، أي: يورقني بزواله عني قول البخاري:

أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ فَسَامَحْتُ بَوَضِلْ مَتَى تَطْلُبُهُ فِي الْجِدِّ تَمْنَعِ
وَوَلَّتْ كَانَ الْبَيْنَ يَخْلُجُ شَخْصَهَا أَوَانِ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَائِي وَأَضْلَعِي
وقوله:

لِشَعْنَاءٍ الَّتِي قَدْ تَيَّمَّمْتُهُ

شَعْنَاءُ الَّتِي يُشَبَّبُ بِهَا حَسَانٌ هِيَ بِنْتُ سَلَامَ بْنِ مِشْكَمِ الْيَهُودِيِّ، وَرُوي أَنَّهُ قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ، وَلَوْلَا أَنْ تُعَيَّرَ بِهَا شَعْنَاءُ ابْنَتِي لَتَبِعْتُهُ، وَقَدْ كَانَتْ تَحْتَ حَسَانٍ أَيْضًا امْرَأَةً اسْمُهَا شَعْنَاءُ بِنْتُ كَاهِنِ الْأَسْلَمِيَّةِ، وَلَدَتْ لَهُ أُمُّ فِرَاسٍ.
وقوله:

كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ

إِلَى آخِرِهِ، خَبِرَ كَأَنَّ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: كَأَنَّ فِي فَيْتِهَا خَبِيئَةً، وَمِثْلُ هَذَا الْمَحْذُوفِ فِي التَّكْرَارِ حَسَنٌ كَقَوْلِهِ:

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًّا

أي: إِنْ لَنَا مَحَلًّا، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ:

وَلَكِنْ زَنْجِيًّا طَوِيلًا مَسَافِرُهُ

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي صِفَةِ الدَّجَالِ: «أَعْوَرَ كَانَ عَيْنُهُ طَافِيَةً»^(٢)، أَي: كَانَ فِي عَيْنِهِ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ بَيِّنَاتٌ فِيهِ الْخَبَرُ وَهُوَ:

عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِنْ الثُّقَاجِ هَصَّرَهُ اجْتِنَاءُ

وَهَذَا الْبَيْتُ مَوْضُوعٌ لَا يُشَبِّهُ شَعْرَ حَسَانٍ وَلَا لَفْظُهُ.

(١) شعناء: بنت سلام بن مشكم اليهودي.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧/٣) ومسلم في كتاب الفتن (١٠٥) وأحمد (٢٠١/٣).

فَوَلَّيْهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا إِذَا مَا كَانَ مَعْتُ^(١) أَوْ لَحَاءُ^(٢)
وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرَكُنَا مُلُوكًا وَأُسْدًا مَا يُنْهِيهِنَا اللَّقَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَزَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ^(٣) مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
يُنَازِعُنَ الْأَعِنَّةَ مُضْغِيَّاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلَاطِمَاءُ

وقوله:

تَوَلَّيْهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا

أي: إن أتينا بما نلأم عليه صرفنا اللوم إلى الخمر واعتذرنا بالسُّكْرِ. والمَعْتُ: الضرب باليد، واللَّحَاءُ: المُلَاحَاةُ باللسان، ويروى أن حَسَنًا مَرَّ بِفَتْيَةٍ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ فِي الْإِسْلَامِ، فَنَهَاهُمْ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَقَدْ أَرَدْنَا تَرْكَهَا فُزِيَتْهَا لَنَا قَوْلُكَ:

وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرَكُنَا مُلُوكًا

فقال: وَاللَّهِ لَقَدْ قَلَّتْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا شَرِبْتُهَا مِنْذُ أَسْلَمْتُ، وَكَذَلِكَ قِيلَ: إِنْ بَعْضُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَالَ آخَرُهَا فِي الْإِسْلَامِ.

معنى التفضيل في شَرَكَمَا:

وفيهما يقول لأبي سُفْيَانَ:

فَشَرُّكُمَا لَخَيْرُكُمَا الْفِدَاءُ

وفي ظاهر اللفظِ بَشَاعَةٌ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ أَنَّ لَا يُقَالُ: هُوَ شَرُّهُمَا إِلَّا وَفِي كُلِّهِمَا شَرٌّ، وَكَذَلِكَ: شَرٌّ مِنْكَ، وَلَكِنْ سَبَّيْهِ قَالِ فِي كِتَابِهِ: تَقُولُ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ شَرٌّ مِنْكَ، إِذَا نَقَصَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ، وَهَذَا يَدْفَعُ الشَّنَاعَةَ عَنِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ، وَنَحْوُ مَنْ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «شَرُّ صُفُوفِ الرِّجَالِ آخِرُهَا»^(٤) يَرِيدُ: نُقْصَانًا حَظَّهُمْ عَنِ حَظِّ الْأَوَّلِ، كَمَا قَالَ سَبَّيْهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ التَّفْضِيلَ فِي الشَّرِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) المَعْتُ: الضرب باليد. *

(٢) اللحاء: من ملاحاة اللسان.

(٣) النقع: موضع قرب مكة.

(٤) أخرجه أحمد (٣٥٤/٢) وابن حبان (٣٨٥ - موارد) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٦/٢) وأبو عوانة (٣٧/٢).

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ يَلْطُمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ
فِيمَا تُغْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَالَا فَاضْبِرُوا لَجْلَادِ يَوْمٍ يُعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدُقُوهُ فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمْ الْأَنْصَارُ غُرَضَتْهَا الْإِلْقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ سَبَابُ أَوْ قِتَالُ أَوْ هَجَاءُ
فَنُحَكِّمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مُغْلَغَلَةً^(١) فَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ

يلطم أو يطم:

وفيها قوله في صفة الخيل:

يَلْطُمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ

قال ابن دُرَيْدٍ في الجمهرة: كان الخليلُ رحمه الله يروي بيت حَسَّانَ يُطْلَمُهُنَّ بِالْخُمْرِ، وَيَنْكِرُ يَلْطُمُهُنَّ ويجعله بمعنى: يُتَقَضُّ النساءُ بِخُمُرِهِنَّ ما عليهن من غُبَارٍ أو نحو ذلك، وَاتَّبَعَ بذلك ابنُ دُرَيْدٍ قوله: الطَّلْمُ ضَرْبُكُ حُبْرَةِ الْمَلَةِ بِيَدِكَ لِتَنْقُضَ ما عليها من الرَّمَادِ، وَالطَّلْمَةُ: الْحُبْرَةُ، ومنه حديث أبي هُرَيْرَةَ: مَرَرْنَا بِقَوْمٍ يُعَالِجُونَ طُلْمَةً لَهُمْ، فَتَقَرَّنَاهُمْ عَنْهَا، فَاقْتَسَمْنَاهَا، فَأَصَابَتْني مِنْهَا كِسْرَةٌ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ فِي بَلَدِي أَنَّهُ مَنْ أَكَلَ الْخَبْزَ سَمِنَ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ فِي عِطْفِي: هَلْ ظَهَرَ فِي السَّمَنِ بَعْدَ. ومما جاء في الحديث من هذا المعنى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رُؤِيَ يَمْسَحُ وَجْهَ قَرْيَسِهِ بِرَدَائِهِ، فَقَالَ: غُوِيَتْ اللَّيْلَةُ فِي الْخَيْلِ.

وفيها:

وَنُحَكِّمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا

(١) مغلغلة: أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد.

بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبدُ الدار سادَّتها الإماء
هَجَوْتُ محمداً وأجبتُ عنه وعندَ الله في ذاك الجزاءُ
أتهجوهُ ولستَ له بكُفءٍ فشرُّكما لخيركما الفداءُ
هَجَوْتُ مُباركاً برّاً حنيفاً أمينَ الله شيمتهُ الوفاءُ
أمنَ يهجو رسولَ الله منكم ويمدحه وينصره سواءُ؟
فإنَّ أبي ووالده وعِرضي لعرض محمد منكم وِقاءُ
لساني صارمٌ لا عيبَ فيه وبحري لا تُكدره الدلاءُ

قال ابن هشام: قالها حسان يوم الفتح، ويروى: «لساني صارم لا عتب فيه» وبلغني عن الزهري أنه قال: لما رأى رسولُ الله ﷺ النساءَ يَلْطِمُن الخيلَ بالخُمُرِ تبسم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

نُحَكِّم: أي نَرُدُّ ونَقْرَعُ، هو من حَكَمَةِ الدَّابَّةِ، وهو لجامها، ويكون المعنى أيضاً: نُفَجِّمُهُمْ ونُخْرِسُهُمْ، فتكون قوافينا لهم كالحَكَمَاتِ للدَّوَابِّ قال زهير:

قد أَخَكَمْتُ حَكَمَاتِ القَدِّ^(١) والأَبَقَا^(٢)

وفي هذه القصيدة: مَوْعِدُهَا كَدَاءٌ، وفي رواية الشيباني: يسيل بها كُدَيٌّ أو كَدَاءٌ.

وقد ذكرنا كُدَيًّا وكَدَاءً، وذكرنا معهما كُدَيٌّ، وزاد الشيباني في روايته أبياتاً في هذه القصيدة وهي:

وهاجت دُونَ قَتْلِ بني لُؤَيٍّ جَذِيمَةً إن قَتَلُهم شِفَاءُ
وَجَلَفُ الحارِثِ بن أبي ضَرَّارٍ وَجَلَفُ قُرَيْظَةٍ فينا سَوَاءُ
أولئك مَغْشَرُ أَلْبَوَا عَلِينَا ففي أَظْفَارِنَا مِنْهم دِمَاءُ
سَتُبْصِرُ كيف نَفْعَلُ بابنِ حَزْبٍ بِمَوْلَاكَ الذين هُمُ الرَّدَاءُ

(١) القَدِّ: السير يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ.

(٢) الأَبَقَى: القَنْب.

شعر أنس بن زنيم في الاعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم

قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زُنَيْمِ الدَّيْلِي يعتذر إلى رسول الله ﷺ ممن كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي:

<p>أَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَعْدًا بِأَمْرِهِ وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَحْتَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ^(١) نَائِلًا^(٢) وَأَكْسَى لُبُزْدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَكَ مُدْرِكِي تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَكَ قَادِرٌ تَعَلَّمْ بَأْنَ الرُّكْبِ رُكْبَ عَوَيْمِرٍ وَنَبِّؤْا رَسُولَ اللَّهِ أَتَى هَجَوْتُهُ سِوَى أَنَّنِي قَدْ قَلْتُ وَيْلُ أَمْ فِتْيَةٍ</p>	<p>بَلِ اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدِ أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُهْتَدِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرَّدِ وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلَفُونَ كُلَّ مُوْعِدِ فَلَا حَمَلْتُ سَوطِي إِلَيَّ إِذْ نَ يَدِي أَصِيبُوا بِنَخْسٍ لَا يَطْلُقُ وَأُسْعِدِ</p>
---	---

حول شعر أنس بن سليم

فصل: وذكر شعر أنس بن سليم الدَّيْلِي وفيه:

وَأَكْسَى لُبُزْدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ

الخال: من بُرُودِ الْيَمَنِ وهو من رَفِيعِ الثِّيَابِ، وَأَحْسَبُهُ سُمِّيَ بِالْخَالِ الَّذِي بِمَعْنَى الْخِيَلَاءِ كما قال زيد بن عمرو بن نفيل: البرُّ أَبْغِي لَا الْخَالَ، وفيه:

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ

وهذا البيت سقط من رواية أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْوَرْدِ، كَذَا أَلْفَيْتُهُ فِي حَاشِيَةِ كِتَابِ الشَّيْخِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمَعْنَاهُ مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَانِي يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ النَّابِغَةِ:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُنتَأَى عَنْكَ وَاسِعِ
خَطَاطِيفِ حُجْنٍ فِي جِبَالٍ مَتِيئَةٍ تَمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ تَوَازِعُ

(٢) نائلاً: كريم كثير العطاء.

(١) أسبغ: أتم.

أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
فَإِنَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًا
ذُؤِيبٌ وَكُنْثُومٌ وَسَلْمَى تَتَابَعُوا
وَسَلْمَى وَسَلْمَى لَيْسَ حَتَّى كَمِثْلِهِ
فَإِنِّي لَا دِينَأَ فَتَقْتُ^(٢) وَلَا دَمًا
كَفَاءَ فَعَزْتُ عَبْرَتِي وَتَبَلَّدِي
بِعَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةِ مَهْودٍ
جَمِيعًا فَإِلَّا تَدْمَعُ الْعَيْنُ أَكْمَدُ^(١)
وَإِخْوَتِهِ وَهَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبُدُ؟
هَرَقْتُ تَبَيَّنَ عَالِمَ الْحَقِّ وَاقْصِدْ

شعر بدليل في الرد على ابن زعيم:

فأجابه بُدَيْلُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ ابْنُ أُمِّ أَضْرَمَ، فَقَالَ:

بَكَى أَنَسُ رَزْنًا فَأَعْوَلَهُ الْبُكَاءُ
بَكَيْتَ أَبَا عَبْسٍ لِقُرْبِ دِمَائِهَا
أَصَابَهُمْ يَوْمَ الْخَنَادِمِ فِتْيَةٌ
هَنَالِكَ إِنْ تَسْفَحْ دَمُوعَكَ لَا تَلَمَّ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ كَالْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ، وَالْقِسْمُ الثَّانِي كَالْبَيْتِ الثَّانِي، لَكِنَّهُ أَطْبَعُ مِنْهُ، وَأَوْجَزُ. وَقَوْلُ النَّابِغَةِ كَاللَّيْلِ فِيهِ مِنْ حُسْنِ التَّشْبِيهِ مَا لَيْسَ فِي قَوْلِ الدَّيْلِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ يَسْمُجُ مِثْلُ هَذَا التَّشْبِيهِ فِي النَّبِيِّ ﷺ، لِأَنَّهُ نَوَّرَ وَهَدَى، فَلَا يُشَبَّهُ بِاللَّيْلِ، وَإِنَّمَا حَسُنَ فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ أَنْ يَقُولَ كَاللَّيْلِ، وَلَمْ يَقُلْ كَالصُّبْحِ، لِأَنَّ اللَّيْلَ تُزْهَبُ غَوَائِلُهُ، وَيُخَذَّرُ مِنْ إِدْرَاكِهِ مَا لَا يُخَذَّرُ مِنَ النَّهَارِ، وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الْأَنْدَلُسِيِّينَ هَذَا الْمَعْنَى، فَقَالَ فِي هَرَبِهِ مِنْ ابْنِ عَبَّادٍ:

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ
فَأَيْنَ مَفَرُّ الْمَرْءِ عَنْكَ بِنَفْسِهِ
تَشُدُّ بِأَقْصَاهَا عَلَيَّ الْأَنَامِلَا
إِذَا كَانَ يَطْوِي فِي يَدَيْكَ الْمَرَاحِلَا

وَهَذَا كُلُّهُ مَعْنَى مُنْتَزَعٌ مِنَ الْقِدْمَاءِ. رَوَى الطَّبْرِيُّ أَنَّ «مُوشِهَرَ بْنَ إِيرَجَ بْنَ أَفْرِيدُونَ بْنَ أَثْفِيانٍ» وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زَمَانِهِ أَعْنِي زَمَانَ مُوشِهَرَ قَالَ حِينَ عَقَدَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ فِي خُطْبَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْخَلْقَ لِلْخَالِقِ، وَإِنَّ الشُّكْرَ لِلْمُشْكَمِ، وَإِنَّ التَّسْلِيمَ لِلْقَادِرِ، وَإِنَّهُ لَا أَضْعَفَ مِنْ مَخْلُوقٍ طَالِبًا أَوْ مَطْلُوبًا، وَلَا أَقْوَى مِنْ طَالِبٍ طَلِبَتُهُ فِي يَدِهِ، وَلَا أَعْجَزَ مِنْ مَطْلُوبٍ هُوَ فِي يَدِ طَالِبِهِ».

(٢) فتقت: افترقت.

(١) الكمد: الحزن الشديد.

شعر بجير في يوم الفتح

قال ابن إسحق: وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح:

نَفَى أَهْلَ الْحَبْلَقِ^(١) كُلَّ فَجٍّ مُزَيْنَةُ عُذْوَةٌ وَيَنُوحُ خَفَافٌ
ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ التَّ بَيْتِ الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ
صَبَخْنَاهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ وَأَلْفٍ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ وَافٍ
نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضَرْبًا وَطَعْنَا وَرَشَقًا بِالْمَرِيْشَةِ اللَّطَافِ
نَرَى بَيْنَ الصَّفُوفِ لَهَا حَفِيْفًا كَمَا انْصَاعَ الْفُوقِ^(٢) مِنَ الرِّصَافِ

حول شعر بجير بن زهير

وأنشد لبجير بن زهير:

نَفَى أَهْلَ الْحَبْلَقِ كُلَّ فَجٍّ مُزَيْنَةُ عُذْوَةٌ وَيَنُوحُ خَفَافٌ
الْحَبْلَقُ: أرض يسكنها قبائل من مُزَيْنَةَ، وقَيْسٍ: وَالْحَبْلَقُ: الْعَنْمُ، الصَّغَارُ، ولعله أراد
بقوله: أَهْلَ الْحَبْلَقِ أَصْحَابَ الْعَنْمِ، وبنو عُثْمَانَ هم مُزَيْنَةُ وهم بنو عُثْمَانَ بْنِ لَاطِمٍ بْنِ أَدِ بْنِ
طَابِخَةَ، وَمُزَيْنَةُ أُمُّهُمْ بِنْتُ كَلْبٍ بْنِ وَبَرَةَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ حُلَوَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ، وَأَخْتُهَا:
الْحَوَاطِبُ الَّتِي عُرِفَ بِهَا مَاءُ الْحَوَاطِبِ الْمَذْكُورِ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَأَصْلُ الْحَوَاطِبِ فِي اللُّغَةِ:
الْقَدَحُ الضَّخْمُ الْوَاسِعُ، وَيَنُوحُ خَفَافٌ: بَطْنٌ مِنْ سُلَيْمٍ، وقوله:

ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ التَّ بَيْتِ الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ

فِي الْبَيْتِ مَدَاخِلَةٌ وَهُوَ انْتِهَاءُ الْقَسِيمِ الْأَوَّلِ فِي بَعْضِ كَلِمَةٍ مِنَ الْقَسِيمِ الثَّانِي، وَهُوَ
عَيْبٌ عِنْدَهُمْ إِلَّا فِي الْخَفِيفِ وَالْهَزَجِ، وَمَعْنَى الْخَيْرِ أَي: ذُو الْخَيْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ الْخَيْرُ
فَخَفَفَ، كَمَا يَقَالُ: هَيْنَ وَهَيْنَ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٠].

وقوله:

كَمَا انْصَاعَ الْفُوقِ مِنَ الرِّصَافِ

أَي: ذَهَبَ، وَالرِّصَافُ: عُصْبَةٌ تُلَوَّى عَلَى فَوْقِ السَّهْمِ، وَأَرَادَ بِالْفُوقِ الْفَوْقَ، وَهُوَ
غَرِيبٌ.

(١) الحبلق: اسم مكان يسكنه قبائل قيس ومزينة. (٢) الفواق: مشق رأس السهم.

فرحنا والجياد تجول فيهم
فأبنا غانمين بما اشتهينا
وأعطينا رسول الله منا
وقد سمعوا مقالتنا فهموا
بأرماح مقومة الثقاف
وآبوا نادمين على الخلاف
موائقنا على حسن التصافي
غداة الروع منا بانصراف
شعر ابن مرداس في فتح مكة:

قال ابن هشام: وقال ابن مرداس السلمي في فتح مكة:

منا بمكة يوم فتح محمد
نصروا الرسول وأشهدا أيامه
في منزل ثبتت به أقدامهم
الله مسكنه له وأذله
ألف تسهيل به البطاح مسوم
وشعارهم يوم اللقاء مقدم
ضنك^(١) كأن الهام فيه الحنتم^(٢)
حكم السيوف لنا وجد مزحم^(٣)
متطلع ثغر المكارم خضرم
عود الرياسة شامخ عرنيته^(٤)

إسلام عباس بن مرداس

قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مرداس، فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده، وهو حجر كان يقال له: ضمار، فلما

وذكر صاحب العين في الفواق صوت الصدر، وهو بالهمز في قول ابن الأعرابي، لأنه من ذوات الواو.

عباس بن مرداس والذين حرموا الخمر

وذكر عباس بن مرداس، ويكنى أبا الفضل، وقيل: أبا الهيثم، ومن ذريته عبد الملك بن حبيب فقيه الأندلس، ونسبه: عباس بن مرداس بن أبي عامر بن جارية بن عبد بن عباس بن رفاعة بن الحارث بن بثةة بن سليم السلمي كان أبوه حاجباً لحزب بن أمية، وقتلتهما الجن في خبر مشهور^(٥) وعباس ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، وحرمها أيضاً على نفسه قبل الإسلام أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، وقيس بن

(٢) الحنتم: الجرة الخضراء.

(٤) العرنين: الأنف.

(١) الضنك: الضيق.

(٣) مزحم: كثير الزحام.

(٥) تقدم الكلام غير مرة على خرافة خطف الجن للإنس.

حضر مرداس قال لعباس: أي بني، اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك، فبينا عباس يوماً عند ضمار، إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول:

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد
فحرق عباس ضمار، ولحق بالنبي ﷺ فأسلم.

عاصم، وقبل هؤلاء حَرَمُهَا عَلَى نَفْسِهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَوَرَقَةُ بْنُ تَوْفَلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَمِنْ قُدَمَاءِ الْجَاهِلِيَةِ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ.

وذكر في سبب إسلام عباس ما سمع من جَوَفِ الصنم الذي كان يعبد، وهو ضِمَارُ بكسر الراء وهو مثل حَذَامَ وَرَقَاشٍ، ولا يكون مثل هذا البناء إلا في أسماء المؤنث، وكانوا يجعلون ألَهَتَهُمْ إِنَاءًا كَاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ، لاعتقادهم الخبيث في الملائكة أنها بنات. وفي ضِمَارٍ لغة أهل الحجاز، وبنى تميم البناء على الكسر لا غير من أجل أن آخره راء، وما لم يكن في آخره راء كَحَذَامَ وَرَقَاشٍ، فهو مَبْنِيٌّ في لغة أهل الحجاز ومُعَرَّبٌ غير مَجْرِي في لغة غيرهم كذلك قال سيبويه.

وذكر ابن أبي الدنيا في سبب إسلام عباس حديثاً أسنده عن رجاله عن الزُّهْرِيِّ عن عبد الرحمن بن أنس السلماني عن عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ أَنَّهُ كَانَ فِي لِقَاحٍ لَهُ نِصْفُ النَّهَارِ، فَاطَّلَعَتْ عَلَيْهِ نَعَامَةٌ بِيضَاءَ عَلَيْهَا رَاكِبٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيَاضٌ فَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّمَاءَ كَفَتِ أَحْرَاسَهَا، وَأَنَّ الْحَرْبَ جَرَعَتْ أَنْفَاسَهَا، وَأَنَّ الْخَيْلَ وَضَعَتْ أَخْلَاسَهَا، وَأَنَّ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الْبُرِّ وَالتَّقَى يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ صَاحِبُ النَّاقَةِ الْقُضُوءِ. قَالَ: فَخَرَجْتُ مَرْغُوبًا قَدْ رَاعَنِي مَا رَأَيْتُ، وَسَعَيْتُ، حَتَّى جِئْتُ وَثَنًا لِي، يُقَالُ لَهُ: الضُّمَارُ كُنَّا نَعْبُدُهُ وَنُكَلِّمُ مِنْ جَوْفِهِ، فَكُنْتُ مَا حَوْلَهُ، ثُمَّ تَمَسَّحَتْ بِهِ، فَلِذَا صَاحِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِهِ:

قُلْ للقبائل من قُرَيْشٍ كُلِّهَا هَلَكَ الضُّمَارُ وَفَازَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
هَلَكَ الضُّمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مُدَّةً قَبْلَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِنَّ الَّذِي وَرِثَ الثُّبُوءَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي

قال: فَخَرَجْتُ مَذْعُورًا حَتَّى جِئْتُ قَوْمِي، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ، وَأَخْبَرْتَهُمُ الْخَبَرَ فَخَرَجَتْ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ قَوْمِي مِنْ بَنِي جَارِيَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا

شعر جعدة في يوم الفتح

قال ابن هشام: وقال جعدة بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكة:

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل لحين له يوم الحديد متاح
أتيحت له من أرضه وسمائه لتقتله ليلاً بغير سلاح
ونحن الألى سدت غزال خيولنا ولفنا سددناه وفجّ طلاح
خطرنا وراء المسلمين بجحفل ذوي عضد من خيلنا ورماح
وهذه الأبيات في أبيات له.

شعر بجيد في يوم الفتح:

وقال بجيد بن عمران الخزاعي:

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركام صحاب الهيدب المتراب
وهجرتنا في أرضنا عندنا بها كتاب أتى من خير ممل وكاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لنذكر ثاراً بالسيوف القواضب

رأني النبي ﷺ تَبَسَّم، وقال: «إلَيَّ يا عباسُ، كيف إسلامك؟» فقصصْتُ عليه القصةَ، فقال: صدقت، فأسلمت أنا وقومي.

شعر جعدة

فصل: وذكر في شِعْرِ جَعْدَةَ الْخُزَاعِيِّ غَزَالَ، وهو اسم طريق غير مصروف، وقال كُثَيْر في قصيدته المشهورة يذكر غَزَالَ:

أناديك ما حَجَّ الْحَجِيجُ وَكَبَّرَتْ بِفَيْفَا غَزَالٍ رُفْقَةً وَأَهْلَتْ
وكذلك لَفَتْ اسم موضع، وفي لَفَتْ يقول مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ:

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ وَقَدْ بَلَّغْنَا جِبَالَ الْجَوَزِ مِنْ بَلَدِ تَهَامِ
نزيعاً مُخْلِباً مِنْ أَهْلِ لَفَتْ لِحَيِّ بَيْنَ أَثْلَةٍ وَالنُّجَامِ

وقد تقدّم هذا البيتُ الأخيرُ في باب الهجرة.

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة ومسير علي لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق: وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة الرسايا تدعو إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيًا، ولم يبعثه مقاتلاً، فوطئ بني جذيمة، فأصاب منهم.

قال ابن هشام: وقال عباس بن مرداس السلمي في ذلك:

فإن تك قد أمرت في القوم خالدًا وقدمته فإنه قد تقدما

بجند هداه الله أنت أميره نصيب به في الحق من كان أظلما

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حنين، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيًا، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب: سليم بن منصور ومدلج بن مرة، فوطؤوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا.

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة، قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة! إنه خالد والله! ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبدًا. قال: فأخذه رجال من قومه، فقالوا: يا جحدم، أتريد أن تُسفِكَ دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح، ووُضِعَت الحَرْب وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد.

سرية خالد إلى بني جذيمة

وذكر سَريَّة خالد إلى بني جذيمة، وتعرف بغزوة الغميط، وهو اسم ماء لبني جَذِيمَة.

براءة الرسول ﷺ من عمل خالد:

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكَتِفُوا، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء، ثم قال: «اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد».

وذكر شعر امرأة، اسمها: سلمى، وفيه:

ومرأة حتى يتركوا البرك ضابحا

البرك: جماعة الإبل، وماصع: جالد وقاتل، وضابحا من الضبح، وهو نفس الخيل والإبل إذا عُييت، وفي التنزيل ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ وفي الخبر: من سمع ضبحة بليل، فلا يخرج مخافة أن يصيبه شر. قال الرازي:

نحن نطحنهم غداة الجمعين

بالضابحات في غبار الثقلين

نطحاً شديداً لا كنطح الطورين

والضبح والضبي مصدر ضبحت وضبيت أي: شويت وقلبت، قاله أبو حنيفة. قال: والمضابي والمضابح هو المقاتلي.

وذكر تبرأ النبي - ﷺ - مما فعل خالد^(١)، وهذا نحو مما روي عن عمر حين قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما: إن في سيف خالد رهقا. إن في سيف خالد رهقا فاقته، وذلك حين قتل مالك بن نويرة، وجعل رأسه تحت قدح حتى طبخ به^(٢)، وكان مالك ارتد، ثم راجع الإسلام، ولم يظهر ذلك لخالد، وشهد عنده رجلان من الصحابة يرجوعه إلى الإسلام، فلم يقبلهما، وتزوج امرأته، فلذلك قال عمر لأبي بكر: اقتله، فقال: لا أفعل لأنه متأول، فقال: اغزله، فقال: لا أعمد سيفا سله الله على المشركين، ولا أغزل واليا ولأه رسول الله ﷺ.

وذكر قول الرجل للمرأة: اسلبي حبيش على نقي العيش الثقد مصدر نفد إذا فني، وهو الثقاد، وحبيش مرخم من حبيشة.

(١) أخرج الحديث البخاري في صحيحه (٤٥/٨) وابن سعد في الطبقات (١٤٧/٢).

(٢) لا صحة لهذا الأثر عن خالد بن الوليد - سيف الله المسلول - رضي الله عنه وأرضاه وكم من خرافة وادعاءات كاذبة ألصقت بخالد وبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم، أنه حدّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي، قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي لَقِمتُ لَقْمَةً من حَيْسٍ، فالتذدّثُ طَعْمُها، فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتهَا، فأدخل عليّ يده فنزعه؛ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، هذه سرّية من سراياك تبعثها، فيأتيك منها بعض ما تحبّ، ويكون في بعضها اعتراض، فتبعث عليّا فيسهله.

قال ابن هشام: وحدّثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «هل أنكرَ عليه أحد؟» فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض زينة، فنّهّمه خالد، فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجع، فاشتدّت مراجعتهما؛ فقال عمر بن الخطاب: أما الأوّل يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة.

قال ابن إسحق: فحدّثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال: ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: يا عليّ، أخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فودّى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدني لهم مِبلَغَةَ الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا ودّاء، بقيت معه بقيّة من المال، فقال لهم عليّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقيّة من دم أو مال لم يؤدّ لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيكُم هذه البقيّة من هذا المال، احتياطاً لرسول الله ﷺ، مما يعلم ولا تعلمون، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال: «أصبت وأحسنّت». قال: ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه، حتى إنه لَيُرى مما تحت منكبّه، يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، ثلاث مرّات.

الاعتذار عن خالد:

قال ابن إسحق: وقد قال بعض من يعذر خالدًا إنه قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي، وقال: إنّ رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام.

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: لما أتاها خالد، قالوا: صَبَأْنَا صَبَأَنَا.

بين خالد وبين ابن عوف:

قال ابن إسحاق: وقد كان جَحْدَمُ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببني جَذِيْمَة: يا بني جَذِيْمَة، ضاع الضرب، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه. قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف، فيما بلغني، كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: عَمِلْتَ بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما تأرت بأبيك. فقال عبد الرحمن: كذبت، قد قتلت قاتل أبي، ولكنك تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شَرٌّ فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحمَدُ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ما أدركت غَدَوَةَ رجل من أصحابي ولا روحته».

بين قريش وبني جَذِيْمَة:

وكان الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زُهرة، وعُقَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن، ومع عُقَّان ابنه عثمان، ومع عوف ابنه عبد الرحمن، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جَذِيْمَة بن عامر، كان هلك، باليمن، إلى ورثته، فأدَّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولَقِيَهُمْ بأرض بني جَذِيْمَة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه، فقتل عوف بن عبد عوف، والفاكه بن المُغيرة، ونجا عُقَّان بن أبي العاص وابنه عثمان، وأصابوا مال الفاكه بن المُغيرة، ومال عوف بن عبد عوف، فانطلقوا به، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهَمَّت قُرَيْشُ بغزو بني جَذِيْمَة، فقالت بنو جَذِيْمَة: ما كان مصاب أصحابكم على مَلإٍ منا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نَعْقِلُ لكم ما كان لكم قَبْلَنَا من دم أو مال، فقبِلت قريش ذلك، ووضعوا الحرب.

شعر سلمى فيما بين جَذِيْمَة وقريش:

وقد قاتل من بني جَذِيْمَة، وبعضهم يقول: امرأة يقال لها سلمى:

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا	للاقت سُلَيْمٌ يومَ ذلك ناطحا
لماصعهم بُسْرٌ وأصحاب جَحْدَمِ	ومرأة حتى يتركوا البرك ضابحا

فكأئن ترى يوم العَمِيصاء من فتى أُصِيبَ ولم يَجْرَحْ وقد كان جارحا
أَلْظُتْ بِخُطَابِ الْأَيَّامِ وَطَلَّقَتْ عَدَائَتِي مِنْهُمْ مَنْ كَانَ نَاكِحَا
قال ابن هشام: قوله: «يُسْر» «وَأَلْظُتْ بِخُطَابِ» عن غير ابن إسحق.

شعر ابن مرداس في الرد على سلمى:

قال ابن إسحق: فأجابه عباس بن مرداس، ويقال: بل الجحاف بن حكيم السلمي:

دعي عنك تَقْوَالِ الضَّلَالِ كَفَى بِنَا لكِشِ الْوَغَى فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ نَاطِحَا
فخَالِدُ أَوْلَى بِالْتَّعَذُّرِ مِنْكُمْ عَدَاةٌ عَلَا تَهْجًا مِنَ الْأَمْرِ وَاضِحَا
مُعَانًا بِأَمْرِ اللَّهِ يُزْجِي إِلَيْكُمْ سَوَانِحُ لَا تَكْبُوهُ لَهُ وَيَوَارِحَا
نَعَوَا مَالِكًا بِالسَّهْلِ لَمَّا هَبَطْنَهُ عَوَابِسُ فِي كَابِي الْعُبَارِ كَوَالِحَا
فَإِنْ نَكُ أَتَكَلَّنَاكَ سَلَمَى فَمَالِكُ تَرَكْتُمْ عَلَيْهِ نَائِحَاتٍ وَنَائِحَا
الجحاف يرد على سلمى:

قال الجحاف بن حكيم السلمي:

شَهِدَنْ مَعَ النَّبِيِّ مَسْؤِمَاتٍ حُتَيْنًا وَهِيَ دَامِيَّةُ الْكِلَامِ
وَعَزُوهُ خَالِدٌ شَهِدَتْ وَجَرَتْ سَنَابِكُهُنَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
نَعْرُضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَهَا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَزَّ الْكُفَاةَ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمُهْرُ تَحْتِي إِلَى الْعَلَوَاتِ بِالْعُضْبِ الْحَسَامِ

حديث ابن أبي حدرد يوم الفتح

قال ابن إسحق: وحدثني يعقوب بن عُتْبَةَ بن الْمُغِيرَةِ بن الْأَخْنَسِ، عن الزُّهْرِيِّ، عن ابن أبي حدرد الأسلمي، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتى من بني جذيمة، وهو في سني، وقد جُمِعَتْ يداه إِلَى عُنُقِهِ بِرُمَّةٍ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى؟ فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرُمَّةِ، فقائدي إلى هؤلاء

شعر أبي حدرد

وَحَلِيَّةٌ وَالْخَوَانِقُ: مَوْضِعَانِ، وَالْوَدَائِقُ: جَمْعٌ وَدِيقَةٍ، وَهُوَ شِدَّةُ الْحَزِّ فِي الظَّهِيرَةِ،

النُشوة حتى أَقْصِي إِلَيْهِنَّ حَاجَةً، ثُمَّ تَرُدُّنِي بَعْدَ، فَتَصْنَعُوا بِي مَا بَدَأَ لَكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَيْسَ بِي مَا طَلَبْتَ. فَأَخَذَتْ بَرَمَّتَهُ فَقُدَّتْهُ بِهَا، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: اسْلَمِي حُبَيْشَ، عَلَى نَفْدٍ مِنَ الْعَيْشِ:

أَزَيْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بَحَلِيَّةً أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ
أَلَمْ يَكْ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِذْلَاجٌ^(١) السُّرَى وَالْوَدَائِقِ^(٢)
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعَا أَثِيْبِي بُوْدَ قَبْلَ إِحْدَى الصُّفَائِقِ
أَثِيْبِي بُوْدَ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ^(٣) التَّوَى وَيَنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ
فإِنِّي لَا ضَيِّعْتُ سِرَّ أَمَانَةٍ وَلَا رَاقٍ عَيْنِي عَنْكَ بَعْدَكَ رَائِقِ
سَوَى أَنْ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ عَنْ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ^(٤)

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر البيتين الآخِرَيْنِ منها له.

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس، عن الزهري عن ابن أبي حذرد الأسلمي قالت:

وَأَنْتَ فَحْيِيَّتُ سَبْعًا وَعَشْرًا وَثَرًا وَثَمَانِيًا تَثْرَى
قال: ثُمَّ انصرفتُ بِهِ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ.

سميت بذلك من الودق، لأن في ذلك الوقت يسيل لعابُ الشمس، وهو ما تراه العين كالسراب ونحوه، وقال الرّاجز:

وقام ميزانُ النهار، فاعتدل وسال للشمس لُعَابُ فَنَزَلَ
وقال: الأحول: يقال: وَدَقَ إِذَا دَنَا مِنَ الْأَرْضِ، وَيُقَالُ: هُوَ وَادَقَ السَّرَةَ إِذَا كَانَتْ مَائِلَةً إِلَى جِهَةِ الْأَرْضِ وَأَنْشَدَ:

وَإِذَا سُرَّأَتْ هـَا

فعلى هذا تكون الوديقة من وَدَقْتُ الشَّمْسُ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْأَفْقِ، فَاشْتَدَّ حَرُّهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) الودائق: شدة الحر.

(٤) التوامق: الأعبة.

(١) إدلاج: السير بالليل.

(٣) تشحط: تبغد.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبو فراس بن أبي سُبلَةَ الأسلمي، عن أشياخ منهم، عمن كان حضرها منهم، قالوا: فقامت إليه حين ضُربت عُتْقَه، فأكَبَتْ عليه، فما زالت تقَبِّله حتى ماتت عنده.

شعر جذيمي في الفتح:

قال ابن إسحاق: وقال رجل من بني جَذيمة:

جَزَى الله عنا مُدْلَجًا حيث أصبحت	جزاءة بُوسَى حيث سارث وحلّت
أقاموا على أَقْضاضنا يَفْسِمُونَهَا	وقد نَهَلَتْ فينا الرِّماح وعَلَّتْ
فوالله لَوْلا دينُ آلِ مُحَمَّد	لقد هربت منهم خِيُول فشَلَّتْ
وما ضَرَّهم أن لا يُعينوا كَتِيبَة	كرجل جرّاد أرسلت فاشمَعَلَّتْ
فإِما يَنْبِوا أو يثُوبوا لأَمْرِهم	فلا نحن نجزيهم بما قد أَضَلَّتْ

وهب يردّ على الجذيمي:

فأجابه وهب، رجل من بني ليث، فقال:

دَعَوْنَا إلى الإسلامِ والحقِّ عامرًا	فَمَا دَثَبْنَا في عامِرٍ إذ تَوَلَّتْ
وما دَثَبْنَا في عامِرٍ لا أبا لَهُم	لأنَّ سَفِهَت أحلامُهُم ثم ضَلَّتْ

وقال رجل من بني جَذيمة:

ليهنيء بني كَغْب مُقَدَّم خالد	وأصحابه إذ صَبَّحَتنا الكتائبُ
فلا تِرة يسعى بها ابن خُوَيْلِد	وقد كنتَ مكفياً لو أنك غائبُ
فلا قومنا يَنْهَوْنَ عنا غَوَاتُهُم	ولا الداء من يوم الغُميصاءِ ذاهبُ

شعر غلام جذمي هارب أمام خالد:

وقال غلام من بني جَذيمة، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهنّ من جيش خالد:

رَخِيْنَ أَذْيَالَ المُرُوطِ وازْبَعْنَ	مَشْيَ حَيَّاتٍ كأنَّ لم يُفْرَعْنَ
إن تُمْنَعِ اليَوْمَ نِساءً تُمْنَعْنَ	

وقوله: فَتَهَمَّه خَالِدٌ، أي: رَجَرَه، وَنَجَّهَه، وَرَوَى النَّسَائِيُّ في قِصَّة المرأة التي ماتت

ارتجاز بني مساحق حين سمعوا بخالد:

وقال غلّمة من بني جَذِيمة، يقال لهم: بنو مُسَاحِق، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم:

قد عَلِمْتَ صفراءَ بِنِضَاءِ الإِطْلِ يَحُورُهَا دُو ثَلَّةٍ وَدُو إِبِلِ
لَاغْنِيَنَّ الْيَوْمَ مَا أَغْنَى رَجُلٌ
وقال الآخر:

قد علمت صفراءُ تُلهي العِرسَا لا تملأُ الحَيَوزَ منها نَهَسَا
لَأُضْرِبَنَّ الْيَوْمَ ضَرْبًا وَغَسَا ضَرَبَ الْمُحَلِّينَ مَخَاضًا قُغَسَا
وقال الآخر:

أَقْسَمْتُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ الْبَنَانِ فِي عَدَاةٍ بَرْدَةٍ
جَهْمُ الْمُحَيَّا ذُو سِبَالٍ وَزْدَةٍ يُرْزَمُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَجَحْدَةٍ
ضَارٍ بِتَأْكَالِ الرِّجَالِ وَخُدَةٍ بِأَصْدَقِ الْغَدَاةِ مِنِّي نَجْدَةٍ

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى:

ثم بعث رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزَى، وكانت بَنَخْلَةً، وكانت بيتًا يعظّمه هذا الحيّ من قُرَيْش وكنانة ومُضَر كلها، وكانت سَدَنَتْهَا وَحُجَابُهَا بني شيبان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم، فلما سمع صاحبها السُّلَمِيُّ بمسير خالد إليها، علّق عليها سيفه، وأَسَدَ في الجبل الذي هي فيه وهو يقول:

أَيَا عَزٍّ شَدِي شَدَّةٌ لَا شَوَى لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمَرِي
يَا عَزٌّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا فَبُؤْثِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصُرِي
فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

مُكِبَّةٌ عَلَى الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَزْبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَافِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَزِيدَ النَّخْوِيِّ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً، قَالَ: فَغَنِمُوا وَفِيهِمْ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَسْتُ مِنْهُمْ، عَشَقْتُ امْرَأَةً فَلَحَقْتُهَا، فَدَعَوْنِي أَنْظُرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً، ثُمَّ اصْنَعُوا بِي مَا بَدَأَ لَكُمْ، قَالَ: فَإِذَا امْرَأَةٌ طَوِيلَةٌ أَدْمَاءٌ، فَقَالَ لَهَا: اسْلَمِي حَبِيشَ قَبْلِ نَقْدِ الْعَيْشِ، وَذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنَ الْقِطْعَةِ الْقَافِيَةِ أَوَّلَ هَذَا الْخَبَرِ نَاقِصِي الْوِزْنِ، وَبَعْدَهُمَا قَالَتْ: نَعَمْ قَدَيْتُكَ، فَقَدَّمُوهُ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ، فَشَهِقَتْ شَهَقَةً أَوْ

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة.

قال ابن إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان.

شَهَقَتَيْنِ، ثم ماتت، فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال النبي ﷺ: «أما كان فيكم رجلٌ رحيمٌ»^(١). خَرَجَهُ النَّسَوِيُّ فِي بَابِ قَتْلِ الْأَسَارَى مِنْ مُصَنَّفِهِ.

(١) أخرجه الطبراني (٣٧٠/١١) والبيهقي في الدلائل (١١٨/٥) وانظر الفتح (٥٨/٨).

غزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح

قال ابن إسحاق: ولما سمعتُ هوازنُ برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النَّضري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نَضْر وجُشَم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدوا من قيس عَيْلان إلا هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدوا منهم أحد له اسم، وفي بني جُشَم دُرَيْد بن الصَّمَّة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التَّيْمَن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخًا مُجَرَّبًا، وفي ثقيف سَيِّدان لهم. في الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مسعود بن مُعْتَب، وفي بني مالك: ذو الْخِمَار سُبَيْع بن الحارث بن مالك، وأخوه أحمر بن الحارث، وجماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّضري. فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس

ذكر غزوة حنين (١)

وحُتَيْنُ الذي عُرِف به الموضعُ هو: حُتَيْنُ بن قَانِيَة بن مِهْلَابِل كذا قال البكري، وقد قدمنا أنه قال في خَيْر مثل هذا أنه ابن قانية، فالله أعلم.

من البلاغة النبوية:

ويقال لها أيضًا: غَزَوَة أوطاس سَمَّيت بالموضع الذي كانت فيه الوقعة وهو من وَطَسَتْ الشيء وَطَسًا إذا كدَرته، وأثرت فيه. وَالْوَطِيسُ: نُقْرَة في حَجَرٍ توقد حوله النار، فيطبخ به

(١) انظر البداية (٣٢٢/٤) الطبري في تاريخه (٧١/٣) الطبقات (١٠٨/١/٢) الكامل (١٣٥/٢) المنتظم (٣٣١/٣) الاكتفاء (٣٢٢/٢) الواقي (٨٨٥/٣) شرح المواهب (٢٠٨/١) ابن حزم (٢٨٣) الزاد (٤٦٥/٣) ابن سيد الناس (١٨٧/٢) وانظر البخاري (١٥٣/٥).

اجتمع إليه الناس، وفيهم دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ فِي شَجَارٍ لَهُ يُقَادُ بِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: «بَئِیْ وَادٍ

اللحم، وَالْوَطِيسُ التَّنُورُ، وَفِي غَزْوَةِ أُوطَاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ حِمِيَّ الْوَطِيسُ»^(١)، وَذَلِكَ حِينَ اسْتَعْرَثَ الْحَرْبُ، وَهِيَ مِنَ الْكَلِمِ الَّتِي لَمْ يُسَبَقْ إِلَيْهَا ﷺ، فَمِنْهَا هَذِهِ، وَمِنْهَا: مَاتَ حَتَفٌ أَنْفَهُ، قَالَهَا فِي فَضْلِ مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ، قَالَ: ابْنُ عَتِيكَ: وَمَا سَمِعْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ يَعْنِي: حَتَفٌ أَنْفَهُ مِنْ أَحَدِ الْعَرَبِ قَبْلَهُ - ﷺ - وَمِنْهَا: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُخْرٍ مَرَّتَيْنِ»^(٢) قَالَهَا لِأَبِي عَزَّةَ الْجُمَحِيِّ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَدْ مَضَى حَدِيثُهُ.

ومنها: «لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنَزَانٌ»^(٣)، وَسَيَأْتِي سَبِيهُمَا.

ومنها: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي»^(٤)، قَالَهَا يَوْمَ حُنَيْنٍ أَيْضًا فِي حَدِيثٍ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ الْجَاهِظُ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ^(٥) عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ: لَمْ يَلْغُنَا مِنْ رَوَاغِ الْكَلَامِ مَا بَلَّغْنَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَغُلَطَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَنُسِبَ إِلَى التَّضْحِيفِ، وَإِنَّمَا قَالَ الْقَائِلُ: مَا بَلَّغْنَا عَنْ النَّبِيِّ، يَرِيدُ عَثْمَانَ الْبَتِّيَّ فَصَحَّفَهُ الْجَاهِظُ، وَالنَّبِيُّ - ﷺ - أَجَلُ مَنْ أَنْ يَخْلُطَ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْفُصَحَاءِ، حَتَّى يَقَالَ: مَا بَلَّغْنَا عَنْهُ مِنَ الْفَصَاحَةِ أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي بَلَّغْنَا عَنْ غَيْرِهِ، كَلَامُهُ أَجَلُ مَنْ ذَلِكَ، وَأَعْلَى، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ.

ابن الصمة والخنساء:

فصل: وذكر دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ الْجُسَمِيُّ أَحَدَ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، وَفِيهِ تَقُولُ الْخَنْسَاءُ حِينَ خَطَبَهَا: مَا كُنْتُ تَارِكَةً بَنِي عَمِّي، كَأَنَّهُمْ صُدُورُ الرِّمَاحِ وَمَرْتَتُهُ شَيْخًا مِنْ بَنِي جُشَمِ، وَهُوَ دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَلَقَمَةَ بْنِ خَزَاعَةَ بْنِ عَزِيَّةَ بْنِ جُشَمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، يَكْنَى أَبَا قُرَّةَ، وَيُرْوَى عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْ غَيْرِ رَوَايَةٍ زِيَادٍ يَقَالُ: كَانَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ سِتِينَ وَمِائَةٍ، وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ عَنْ اللَّيْثِ قَالَ: كَانَ دُرَيْدُ يَوْمُئِذٍ ابْنُ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ.

وقوله: فِي شَجَارٍ لَهُ، الشَّجَارُ: مِثْلُ الْهُودَجِ، وَفِي الْعَيْنِ: الشَّجَارُ خَشَبُ الْهُودَجِ.

(١) أخرجه مسلم في الجهاد (٧٦) وأحمد (٢٠٧/١) وعبد الرزاق (٩٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨/٨) ومسلم في الزهد (٦٣) وأبو داود (٤٨٦٢ - بتحقيقي) وابن ماجه (٣٩٨٢) وأحمد (١١٥/٢).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٨/١/٢) والخطيب في تاريخه (٩٩/١٣) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٧٥/١).

(٤) أخرجه مسلم وابن سعد في الطبقات (٥٨/١/٢) البيهقي في الدلائل (١٨٧/٣).

(٥) انظر البيان (١٨/٢).

أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: «نعم مَجَالُ الخيل! لا حَزَنُ صَرَسٍ، ولا سَهْلُ دَهِسٍ، ما لي أسمع رُعَاءَ البعير، ونُهَاقَ الحمير، وبُكَاءَ الصغير، ويُعَارَ الشَّاءِ؟» قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال: «أين مالك؟» قيل: هذا مالك ودُعي له، فقال: «يا مالك، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعده من الأيام. ما لي أسمع رُعَاءَ البعير، ونُهَاقَ الحمير، وبُكَاءَ الصغير، ويُعَارَ الشَّاءِ؟» قال: سَقَتِ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: «ولمَ ذاك؟» قال: أردت أن أجعل خَلْفَ كُلِّ رجلٍ منهم أهله وماله، لِيُقَاتِلَ عنهم، قال: «فَأَنْقَضَ به». ثم قال: رَاعِي ضَانٍ والله! وهل يَزُودُ المنهزمَ شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلَّا رجلٌ بسيفه ورُمحه، وإن كانت عليك فُضِخَتْ في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعبٌ وِكِلابٌ؟ قالوا: لم يشهدا منهم أحد، قال: «غاب الحدُّ والجِدُّ، ولو كان يومٌ غلاءٍ وِرْفعةٍ لم تغب عنه كعب ولا كِلاب، ولَوَدِدْتُ أَنَّكُمْ فعلتم ما فعلت كعبٌ وِكِلابٌ، فمن شهدا منكم؟» قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: «ذَانِكَ الجَدَّاعان من عامر، لا ينفعان ولا يضُرَّان، يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ بيضةً هوازن إلى نَحْوِ الخيل شيئًا، ازْفَعُهُم إلى مُتَمَنِّعٍ بلادهم وعُلِيَا قومهم، ثم أَلَقَ الصُّبَاءَ على مُتُونِ الخيل، فإن كانت له لَحَقَ بك مَنْ وراءك، وإن كانت عليك أَلْفَاكُ ذلك قد أحرزْتَ أهلك ومالك»، قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كِبِرْتَ وكَبِرَ عَقْلُكَ. والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لَأَكْبِتَنَّ على هذا السَّيْفِ حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لذريرد بن الصَّمَّةِ فيها ذِكْرٌ أو رأيٌ؛ فقالوا: أطعنك؛ فقال ذُريرد بن الصَّمَّةِ: هذا يوم لم أشهده ولم يُقْتَنِي:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبُ فِيهَا وَأَضْغُ
أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَغُ

قال ابن هشام: أنشدني غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله:

«يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ»

وقوله: فَأَنْقَضَ به، أي: صَوَّت، بلسانه في قَمِهِ من التَّقْيِضِ، وهو الصوت، وقيل: الإِنْقَاضُ بِالْإِضْغِغِ الوُسْطَى والإِنْهَامِ، كأنه يدفع بهما شيئًا وهو معنى قول البرقي.

وقوله: رَاعِي ضَانٍ، يُجْهَلُ بذلك، كما قال الشاعر:

أَضْبَحْتُ هُرَّةَ الرَّاعِي الضَّانَ أعجبه ماذا يُرِيْبُكَ مِنِّي رَاعِي الضَّانِ

وقال عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - لرجل: قم فما نَفَعَكَ صَدَاغٌ ولا رَاعِي ضَانٍ. والذَّرِيدُ في اللغة: تصغير أذرد، وهو تصغير الترخيم، والصَّمَّةُ: الشجاع، وجمعه: صِمَمٌ.

قال ابن إسحاق: ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فأكسروا جُفُون سيوفكم، ثم شُدُّوا شِدَّةَ رجل واحد.

قال: وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث: أن مالك بن عوف بعث عيونًا من رجاله، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم، فقال: ويلكم! ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلُق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما ردّه ذلك على وجهه أن مَضَى على ما يريد.

قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم. فانطلق ابن أبي حدرد، فدخل فيهم فأقام فيهم، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبي حدرد؛ فقال ابن أبي حدرد: «إن اكذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير مني، فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر».

استعارة أدرع صفوان:

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعا له وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك، فقال: «يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً»، فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: «بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك»، فقال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا

مالك بن عوف وابن حدرد:

وذكر مالك بن عوف النَّضْرِيَّ رئيس المشركين يوم حُتَيْن، وهو مالك بن عَوْف بن سَعْد بن ربيعة بن يَرْبُوع بن وائل بن دُهْمَان بن نَضْر بن مُعَاوية بن بَكْر بن هَوازِن النَّضْرِيَّ.

وذكر بعث النبي ﷺ - عبد الله بن أبي حدرد عينا إلى هَوازِن، وهو عبد الله بن سلامة بن سَعْد، وسلامة هو أبو حدرد، وهو من بني هَوازِن بن أسلم بن أَقْصى بن حارثة، وهم إخوة الأوس والخزرج، أعني بني أسلم بن أَقْصى، مات عبد الله سنة إحدى وسبعين، وهو العام الذي قُتِل فيه مُضْعَب بن الزُّبَيْر. شهد ابن أبي حدرد مع النبي ﷺ - الحُدَيْبِيَّةَ، وما بعدها، وفاته ما كان قبل ذلك.

أن رسول الله ﷺ سألَهُ أن يكفيهم حملها، ففعل. قال: ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس «على مكة أميراً على من تخلف عنه من^(١) الناس»، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن.

قصيدة ابن مرداس

فقال عباس بن مرداس السلمي:

أصابَتِ العامَ رِغْلاً غُولُ قَوْمِهِمْ وَسَطَ البيوتِ وَلَوْنُ الغُولِ أَلْوَانُ
يا لَهْفَ أُمِّ كِلَابٍ إِذْ تَبَيَّتُهُمْ خَيْلُ ابْنِ هَوْدَةَ لَا تُنْهَى وَإِنْسَانُ
لَا تَلْفُظُهَا وَشَدُّوا عَقْدَ دِمْتِكُمْ أَنْ ابْنَ عَمِّكُمْ سَعْدٌ وَدُهْمَانُ

حول قصيدة عباس النونية

وذكر شعر عباس وفيه: أصابَتِ العامَ رِغْلاً.

وهي قبيلة من سليم، وفي الحديث: «قَتَلَ رسول الله ﷺ شَهْرَيْنِ يَدْعُو عَلَى رِغْلٍ وَدُكْوَانَ وَعُصَيَّةً»^(٢)، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة.

وقوله:

خَيْلُ ابْنِ هَوْدَةَ لَا تُنْهَى وَإِنْسَانُ

إنسان: قبيلة من قيس، ثم من بني نَضْرٍ، قاله البرقي، وقيل: هم من بني جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ، ومن بني إنسان: شَيْطَانُ بْنُ مُذَلِّجٍ صَاحِبُ حَمِيدَةَ وَهِيَ قَرْسٌ لَهُ تَضَرَّبَ بِهَا الْعَرَبُ الْمَثَلُ فِي الشُّؤْمِ، فيقال أشأم من حميدة، وسبب ذلك خبر يطول، ذكره الأصبهاني في الأمثال.

سعد ودُهْمَانُ:

وسعدٌ ودُهْمَانُ ابْنَا نَضْرٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ، كَذَا وَجَدْتُهُ فِي بَعْضِ الْمُعَلَّقَاتِ، وَالْمَعْرُوفُ فِي قَيْسٍ: دُهْمَانُ بْنُ أَشْجَعِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ وَالِدُ نَضْرٍ بْنِ دُهْمَانَ الَّذِي عَاشَ

(١) ما بين القوسين ساقط من ط عبد الرحمن الوكيل.

(٢) أخرجه النسائي (٢/٢٠٣).

لن تَزْجِعُوها وإنْ كَانَتْ مُجَلَّلَةً ما دام في التَّعَمِّ المَأْخُوذُ أَلْبَانُ
شُعَاءُ جُلِّلَ من سَوَاتِهَا حَضَنُ وسال ذو شَوْعَرٍ منها وسُلُوَانُ
ليستْ بأَطْيَبَ مما يَشْتَوِي حَذَفُ إذ قال: كلُّ شِوَاءٍ العَيْرِ جُوفَانُ

مائة وتسعين سنة، حتى تقوم ظهره بعد انحناء، واسودَّ شعره بعد ابيضاض، فكان أعجوبة في العالم، وقال الشاعر:

لِنَضْرِ بن دُهْمَانَ الهُنَيْدَةَ عاشها وتسعين حَوْلًا ثم قُومَ فائِصَاتَا
وعاد سوادُ الرأسِ بعد ابيضاضه ولكنه من بعد ذلك قد ماتَا
وممن ذكر هذا الخبر أبو الحسن الدَّارِقُطْنِي رحمه الله.
وحَتَّى: اسم جَبَلٍ، ومنه المثل: أَتَجَدَّ مَنْ رَأَى حَتِيئًا.

وقوله: مِمَّا يَشْتَوِي حَذَفُ. الحَذَفُ: غَتَمَ سُودٌ صِغَارَ تكون باليمن، وفي الحديث: «سَوُوا صُفُوفَكُمْ، لَا تَخْلُكُمُ الشَّيَاطِينُ كَأَنَّهُا بَنَاتُ حَذَفٍ»^(١) يعني في الصَّفِّ في الصلاة، هكذا قال البرقي في تفسير هذا البيت، والذي أراد الشاعر: إنما هو رَجُلٌ، فلعله كان يسمى بحَذَفٍ، ولحَذَفُ هي الغَتَمُ السُّودُ التي ذكرنا.

وقوله: كُلُّ شِوَاءٍ العَيْرِ جُوفَانُ.

يقال: إنه شوي له غُرْمُولُ جِمَارٍ، فأكله في الشَّوَاءِ فوجده أجوفَ، وقيل له: إنه القُنْبُ، أي: وعاء القَضِيبِ، فقال: كُلُّ شِوَاءٍ العَيْرِ جُوفَانُ، فضرب هذا الكلامَ مَثَلًا، وقيل: كان فَرَارِيَّ وَتَغْلِييَّ وَكَلْبِيَّ اجتمعوا في سَرٍّ، وقد اشْتَوَوْا جِمَارَ وَخَشٍ، فغاب الفَرَارِي في بعض حاجاته، فأكل صاحبه العَيْرَ واختبأ له غُرْمُولُهُ، فلما جاء قالوا له: هذا خَبُونَا لك، فجعل يأكل، ولا يُسِغُهُ، فضحكا منه، فاخترط سَيْفُهُ، وقال: لَا قُتْلُكُمَا إِن لَمْ تَأْكُلَاهُ، فأبى أحدهما فضربه بالسيف، فأبان رأسه، وكان اسمه: مِرْقَمُهُ، فقال صاحبه طَاحَ مِرْقَمُهُ، فقال الفَرَارِي، وأنت إن لم تَلْقَمَهُ أراد: تَلْقُمُهَا، فَطَرَحَ حَرَكَ الهاء على الميم، وحذف الألف كما قد قيل في الحيرة أي رجال به أي بها، وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة:

لَا تَأْمَنَنَّ فَرَارِيًّا خَلَوَتْ بِهِ على قُلُوصِكَ، واكْتُنِبَهَا بِأَسْيَارِ
لَا تَأْمَنَّنَّه وَلَا تَأْمَنَنَّ بَوَائِقَهُ بعد الذي امْتَلَأَ أَيْرَ العَيْرِ في النَّارِ
أَطْعَمْتُمْ الضَّيْفَ غُرْمُولًا مُخَاتَلَةً فلا سَقَاكُمُ إِلَهِي الخَالِقُ الْبَارِي

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٣٤).

وفي هوازن قوم غير أن بهم
 فيهم أخ لو وقوا أو برّ عهدهم
 أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها
 أني أظن رسول الله صابحكم
 فيهم أخوكم سليم غير تارككم
 وفي عضادته اليمنى بنو أسد
 تكاد تزجف منه الأرض رهبتة
 داء اليماني فإن لم يغدروا خائوا
 ولو نهكناهم بالطعن قد لائوا
 مني رسالة نضح فيه تبيان
 جيشا له في قضاء الأرض أركان
 والمسلمون عباد الله غسان
 والأجربان بنو عنبس وذبيان
 وفي مقدمه أوس وعثمان

قال ابن إسحق: أوس وعثمان: قبيلة مزينة.

قال ابن هشام: من قوله: «أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها» إلى آخرها، في هذا اليوم، وما قبل ذلك في غير هذا اليوم، وهما مفاصلتان، ولكن ابن إسحق جعلهما واحدة.

ذات أنوط:

قال ابن إسحق: وحدثني ابن شهاب الزهري، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي، عن أبي واقد الليثي، أن الحارث بن مالك، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حنين، قال: وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها: ذات أنوط، يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوما. قال: فرأينا ونحن نسير مع

من كتاب الأمثال للأضبهاني. فهذا الفزاري هو حذف المذكور في البيت، والله أعلم.

وقوله:

والأجربان بنو عنبس وذبيان

سمّاهما بالأجربتين تشبيها بالأجرب الذي لا يقرب، وقال مجذوم من العرب:

بأيّ فعّال ربّ أوتيت ما أرى أظّل كائني كلّما فئت أجرب

أي: يُقرّ مني، وفي الخبر أن عمر لما نهى الناس عن مجالسة ضبيغ بن عسل كان كلّما حلّ موضعا تفرّق الناس عنه كأنه بعيد أجرب، ومن رواه الأجربان بضم النون، فهو جائز في كل اثنين متلازمين كالجلمين، يقال فيهما: الجلمان بضم النون، وكذلك القمران، وزوي أن فاطمة - رضي الله عنها - نادت ابنتها في ليلة ظلمة: يا حسنان يا حسنان بضم النون، قاله الهروي في الغريين.

رسول الله ﷺ سِدْرَةُ خُضْرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَابَاتِ الطَّرِيقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿إِنهَا السَّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ﴾^(١).

ثبات الرسول

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلنا وادي جُنين انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف حَطُوطٍ، إنما ننحدر فيه انحذارًا، قال: وفي عَمَايَةِ الصُّبْحِ، وكان القَوْمُ قد سبقونا إلى الوادي، فَكَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ وَمَضَائِقِهِ وَقَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّأُوا وَأَعَدُّوا، فوالله ما راعنا ونحن منحنون إلاّ الكتائبُ قد شَدَّوْا عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَأَنْشَمَرَ النَّاسُ رَاجِعِينَ، لَا يَلُوي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: «أين أيها الناس؟ هَلُمُّوا إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ». قال: فلا شيء، حَمَلَتِ الْإِبِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

الذين ثبتوا:

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن عبيد، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ.

أنا ابن عبد المطلب

فصل: وذكر قول النبي ﷺ - أين أيها الناس؟! أنا محمد، أنا رسول الله، وفي غير هذه الرواية:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(٢)

(١) أخرجه أحمد (٢١٨/٥) والطبراني (٢٧٥/٣) وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣) والحميدي في مسنده (٨٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧/٤) ومسلم في الجهاد (٧٨ - ٨٠) وأبو داود (٤٨٧) والترمذي (١٦٨٨) وأحمد (٢٦٤/١) والدارمي (١٦٦/١).

قال ابن هشام: اسم ابن أبي سُفيان بن الحارث جعفر، واسم أبي سُفيان المغيرة، وبعض الناس يَعَدُّ فيهم قُثم بن العباس، ولا يعد ابن أبي سُفيان.

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه، إذا أَدْرَكَ طَعَنَ برمحه، وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فأتبعوه.

الشماتة بالمسلمين:

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جُفأة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سُفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام لَمَعُ في كنانته. وصرخ جبلة بن الحنبل - قال ابن هشام: كَلْدَةُ بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطل السُّحْرُ اليوم! فقال له صفوان: اسكت فَصَّ الله فاك، فوالله لأن يَرُبَّنِي رجلٌ من قُريش أحب إلي من أن يَرُبَّنِي رجل من هوازن.

شعر حسان في هجاء كلدة:

قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت يهجو كَلْدَةَ:

رَأَيْتُ سَوَادًا مِنْ بَعِيدِ فِرَاعِنِي أَبُو حَنْبَلٍ يَنْزُو عَلَى أُمِّ حَنْبَلٍ
كَأَنَّ الَّذِي يَنْزُو بِهِ فَوْقَ بَطْنِهَا ذِرَاعُ قُلُوصٍ مِنْ نِتَاجِ ابْنِ عَزْهِلٍ

أُشَدُّنَا أَبُو زَيْدٍ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية، وكان أخا كَلْدَةَ لِأُمِّهِ.

وهو كلام موزون، وقد تقدّم الكلام في مثل هذا، وأنه ليس بشعرٍ حتى يقصد به الشعر. وللخطابي في كتاب الأعلام تنبيه على قوله: أنا ابنُ عبدِ المطلب، قال: إنما خصَّ عبدَ المطلب بالذكر في هذا المقام، وقد انهزم الناسُ تشبيهاً لنبوته، وإزالةً للشك لما اشتهر، وعُرف من رؤيا عبدِ المطلب المباشرة بالنبي ﷺ، وقد تقدّم ذكرها، ولَمَّا أنبأت به الأحبارُ والرُّهبانُ، فكانه يقول: أنا ذاك، فلا بد مما وَعِدْتُ به لئلا يَنْهَزمُوا عنه، ويظنُّوا أنه مقتول ومغلوب، فالله أعلم أراد ذلك رسوله أم لا.

شبية يحاول قتل الرسول

قال ابن إسحاق: وقال شبية بن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدار. قلت: اليوم أدرك ثأري من محمد، وكان أبوه قُتل يوم أُحد، اليوم أقتل محمدًا. قال: فأدزْتُ برسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتى تَغَشَّى فؤادي، فلم أطق ذاك، وعلمت أنه ممنوع مني.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل مكة، أن رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكة إلى حنين، ورأى كثرة من معه من جنود الله: «لن تُغْلَبَ اليومَ من قَلَّةٍ».

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أن رجلاً من بني بكر قالها.

الانتصار بعد الهزيمة:

قال ابن إسحاق: وحدثني الزُّهري، عن كثير بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب، قال: إني لَمَعَ رسول الله ﷺ آخِذٌ بِحَكْمَةٍ بَغْلَتُهُ الْبَيْضَاءُ قَدْ شَجَرَتْهَا بِهَا، قال: وكنت امرأً جَسِيمًا شَدِيدَ الصَّوْتِ، قال: ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: «أين أيها الناس؟» فلم أرَ الناسَ يَلُوءُونَ عَلَى شَيْءٍ، فقال: «يا عباس، اضْرُخْ، يا معشر الأنصار: يا معشر أصحاب السُّمَرَةِ»، قال: فأجابوا: لَيْتَكَ، لَيْتَكَ! قال: فيذهب الرجل ليثني بغيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ دِزْعَهُ، فيقذفها في عنقه؛ ويأخذ سيفه وترسه، ويقتحم عن بغيره، ويخلي سبيله، فيؤم الصوت، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ. حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، وكانت الدَّعْوَى أَوَّلَ ما كانت: يا لِلْأَنْصَارِ. ثم خَلَصَتْ أَخِيرًا: يا لِلْحَزَرَجِ. وكانوا صُبْرًا عِنْدَ الْحَرْبِ، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه. فنظر إلى مُجْتَلِدِ الْقَوْمِ وَهُمْ يَجْتَلِدُونَ، فقال: «الآنَ حَمِي الْوُطَيْسُ».

شبية ومحاولة قتل الرسول ﷺ

وذكر قصة شُبَيْبَةَ بن عُثْمَانَ حين أراد قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ، قال: فجاء شيء حتى تَغَشَّى فؤادي، وقد ذكر هذا الخبر أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ في تاريخه، قال شبية: اليوم آخذ بثأري، فجئت النبي ﷺ مِنْ خَلْفِهِ، فلما هَمَمْتُ بِهِ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقٌ مِنْ نَارٍ وَسُورٌ مِنْ حَدِيدٍ، قال: فالتفت إلي النبي ﷺ - وَتَبَسَّمَ، وَعَرَفَ الَّذِي أَرَدْتُ، فمسح صدري، وذهب عني الشُّكُّ، أو كما قال، ذهب عني بعض ألفاظ الحديث^(١).

(١) انظر الإصابة (ت ٣٩٤٠).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة يصنع ما يصنع، إذ هوى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه، فضرب عُرْقُوبِيَّ الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاري على الرجل، فضربه ضربة أطنَّ قَدَمَهُ بنصف ساقه، فانجعف عن رحله، قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ.

قال: والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ، وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو أخذ بثقر بغلته، فقال: «من هذا؟» قال: أنا ابن أمك يا رسول الله.

رأي أم سليم

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ التفت، فرأى أم سليم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها يبرد لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة، وقد خشيت أن يعزها الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام، فقال لها رسول الله ﷺ: «أم سليم؟» قلت: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل، فقال رسول الله ﷺ: «أو يكفي الله يا أم سليم؟» قال: ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بعتجه به. قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرُميصاء.

أم سليم والفرار يوم حنين

وذكر أم سليم وهي مليكة بنت ملحان، وقال في اسمها رُمَيْلَة، ويقال: سُهَيْلَة، وتعرف بالرُمَيْصَاء والرُمَيْصَاء لَرَمَصٍ كان في عينيها، وأبو طلحة بعلمها هو زيد بن سهل بن الأسود بن حزام وهو القاتل:

أنا أبو طلحة، واسمي: زيد وكل يوم في سلاجي صيد

وقول أم سليم: يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك.

شعر مالك بن عوف في الهزيمة

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ، حين وَجَّهَ إلى حُنين، قد ضَمَّ بني سُلَيْم الضَّحَّاك بن سَفْيَانَ الْكِلَابِي، فكانوا إليه ومعه، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يَزْتَجِرُ بفرسه:

أَقْدِمُ مُحَاجٍ إِنَّهُ يَوْمَ نُكُزْ	مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَخْمِي وَيَكُزْ
إِذَا أَضْيَعَ الصَّفُّ يَوْمًا وَالذُّبُرْ	ثُمَّ احْزَأْتُ ^(١) زُمَرُ بَعْدَ زُمَرْ
كَتَائِبُ يَكُلُ فِيهِنَّ الْبَصَرْ	قَدْ أَطْعَنَ الطَّعْنَةَ تَقْذِي بِالسُّبُرِ ^(٢)
حِينَ يَذُمُ الْمُسْتَكِينُ الْمُنْجَحِرْ	وَأَطْعَنُ النَّجْلَاءِ ^(٣) تَغْوِي وَتَهْزِرْ

إن قيل: كيف فر أصحاب رسول الله ﷺ عنه حتى لم يبق معه منهم إلا ثمانية، والفراؤ من الزحف من الكباثر، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل. قلنا: لم يجمع العلماء على أنه من الكباثر إلا في يوم بدر، وكذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله بن عمر وظاهر القرآن يدل على هذا، فإنه قال: ﴿وَمَنْ يُؤْمِدْ ذُبْرَهُ﴾ [الأنفال: ١٦] فيومئذ إشارة إلى يوم بدر، ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفارين يوم أُحُد وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥] وكذلك أنزل في يوم حنين: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥] وفي تفسير ابن سلام: وكان الفراؤ من الزحف يومَ بَدْرٍ من الكباثر، وكذلك يكون من الكباثر في مَلْحَمَةِ الرُّومِ الْكُبْرَى، وعند الدُّجَالِ، وأيضاً فإن المنهزمين عنه عليه السلام رجعوا لحينهم، وقاتلوا معه حتى فَتَحَ اللَّهُ عليهم.

حول رجز مالك

وقول مالك في وَجْهِهِ:

قَدْ أَطْعَنَ الطَّعْنَةَ تَقْذِي بِالسُّبُرِ

السُّبُرُ: جمع سابِر، وهو الْفَتِيلُ الذي يُسَبَّرُ به الْجُرْحُ أي: يُخْبَرُ.

(١) احزأْتُ: اجتمعت.

(٢) السُّبُر: الوجوه الحسنة. وقيل: الفتيل الذي يُسَبَّرُ به الجرح.

(٣) النجلاء: الواسعة.

لَهَا مِنَ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِرٌ تَفْهَقُ^(١) تَارَاتٍ وَحِينًا تَنْفَجِرُ
وَتَعْلَبُ الْعَامِلَ فِيهَا مُنْكَسِرٌ يَا زَيْدُ يَا ابْنَ هَمَّامٍ أَيْنَ تَفِرُ
قَدْ نَفِدَ الضَّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرُ قَدْ عَلِمَ الْبَيْضُ الطَّوِيلَاتِ الْخُمُرُ
أَتَيْ قَدْ أَمْثَالَهَا غَيْرُ غَمِرٍ^(٢) إِذْ تُخْرِجُ الْحَاصِنُ مِنْ تَحْتِ السُّنُرِ
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ أَيْضًا:

أَقْدِمُ مُحَاجٍ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ وَلَا تَغُرِّيكَ رَجُلٌ نَادِرَةٌ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ لَغَيْرِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ.

وقوله فِي الرَّجَرِ الْآخِرِ:

أَقْدِمُ مُحَاجٍ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ

وقول ابن هشام: هما لغير مالك في غير هذا اليوم، يعني يوم القادسية، وكانت الدولة فيه للمسلمين على الفُرس، والأسَاوِرَةُ: مُلُوكُ الْفُرسِ، وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رُسُومُ مَلِكِهِمْ دُونِ الْمَلِكِ الْأَكْبَرِ، وَكَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ: بِمِ سُمِّيَتِ الْقَادِسيَّةُ.

وذكر حديث أَبِي قَتَادَةَ فِي سَلْبِ الْقَتِيلِ^(٣)، قَالَ: فَاشْتَرَيْتُ بِمَنْيَةٍ مَخْرَفًا فَإِنَّهُ لِأَوَّلِ مَا لَ اعْتَقَدْتَهُ، يَقَالُ: اعْتَقَدْتُ مَالِي، أَيُ: اتَّخَذْتُ مِنْهُ عَقْدَةً، كَمَا تَقُولُ: ثُبْدَةٌ، أَوْ قِطْعَةٌ، وَالْأَصْلُ فِيهِ مِنَ الْعَقْدِ، وَأَنْ مِنْ مَلِكٍ شَيْئًا عَقَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْشَدَ أَبُو عَلِيٍّ [الْفَالِي]:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدُّهْرَ أَنْحَثَ صُرُوفُهُ عَلَيَّ وَأَوْدَتَ بِالذَّخَائِرِ وَالْعُقْدِ
حَذَفْتُ فُضُولَ الْعَيْشِ حَتَّى رَدَدْتُهَا إِلَى الْقُوْتِ خَوْفًا أَنْ أَجَاءَ إِلَى أَحَدِ

وَيُرْوَى: تَأَثَّلْتُهُ، وَهِيَ رَوَايَةُ الْمَوْطَأِ، وَيَقَالُ: مَخْرَفٌ بَفَتْحٍ الرَّاءِ وَكُسْرُهَا، وَأَمَّا كُسْرُ الْمِيمِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمِخْرَفِ، وَهِيَ الْآلَةُ الَّتِي تُخْتَرَفُ بِهَا التَّمْرَةُ أَيُ: تُجْتَنَى بَفَتْحِ الْمِيمِ مَعْنَاهُ الْبُسْتَانُ مِنَ النَّخْلِ، هَكَذَا فَسَّرُوهُ، وَفَسَّرَهُ الْحَرَبِيُّ، وَأَجَادَ فِي تَفْسِيرِهِ، فَقَالَ: الْمَخْرَفُ: نَخْلَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ نَخْلَاتٌ يَسِيرَةُ إِلَى عَشْرِ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، فَهُوَ بَسْتَانٌ أَوْ حَدِيقَةٌ، وَيَقْرَأُ مَا قَالَهُ

(١) تفهق: امتلأ.

(٢) غمر: غير مجرب.

(٣) أخرجه البخاري (١١٢/٤) ومسلم في الجهاد (٤١) وأبو داود (٢٧١٧) - بتحقيقه - والترمذي (١٥٦٢) والشافعي في مسنده (٢٢٣) ومالك في الموطأ (٤٥٤) والبيهقي في الكبرى (٦/٢٢٠).

من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حَدَّثَ عن أبي قتادة الأنصاري قال: وحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن نافع مولى بني غفار أبي محمد عن أبي قتادة، قال: قال أبو قتادة: رأيت يوم حُتَيْنَ رجلين يقتتلان: مسلمًا ومشرکًا، قال: وإذا رجل من المُشركين يريد أن يعين صاحبه المُشرك على المسلم. قال: فأتيته فضربت يده ففقطعتها، واعتنقني بيده الأخرى، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ریح الدم. ويروى: ریح الموت، فيما قال ابن هشام: وكاد يقتلني، فلولا أن الدم نزفه لقتلني، فسقط، فضربته فقتلته، وأجهضني عنه القتال، ومرّ به رجل من أهل مَكَّة فسلبه، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم، قال رسول الله ﷺ: «من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ»، فقلت: يا رسول الله، والله لقد قتل قَتِيلًا ذا سَلْبٍ، فأجهضني عنه القتال، فما أدري مَنْ استلبه؟ فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله، وسَلَبَ ذلك القَتيلَ عندي، فأرضيه عني مِنْ سَلْبِهِ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا والله، لا يرضيه منه، تُعْجِدُ إلى أُسَدٍ من أُسَدِ الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سَلْبُهُ! اردد عليه سَلْبَ قَتِيلِهِ، فقال رسول الله ﷺ: «صدق فاردد عليه سَلْبَهُ». فقال: أبو قتادة: فأخذته منه، فبعته، فاشتريت منه مَخْرَفًا، فإنه لأوَّلُ مالٍ اَعْتَقَدْتُهُ.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن أبي سلمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: لقد استلب أبو طلحة يوم حُتَيْنَ وحده عشرين رجلاً.

الحربي ما قاله أبو حنيفة، قال: المَخْرَفُ: مثل الخَرْوْفَةِ، والخَرْوْفَةُ: هي النخلة يخترقها الرجلُ لنفسه ولعِيالِهِ، وأنشد:

مثل المَخَارِفِ مِنْ خِيْلَانٍ أَوْ هَجَرًا

قال: ويقال للخَرْوْفَةِ: خَرِيفَةٌ أَيْضًا.

السلب للقاتل

وفي هذا الحديث من الفقه أن السَلْبَ للقاتل حُكْمًا شَرْعِيًّا جعل ذلك الإمام له، أو لم يجعله، وهو قول الشافعي، وقال مالك: إنما ذلك إلى الإمام له أن يقول بعد مَغَمَعَةِ الحرب: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غَرْضٌ آخر غير احتساب نفسه لله تعالى، وقد ذكرنا في غَرْوَةِ بدرٍ في هذه المسألة ما هو أكثر من هذا.

نزول الملائكة

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني أبي إسحاق بن يسار، أنه حَدَّث عن جُبَيْر بن مُطْعِم، قال: لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم، والناس يَقْتَتِلون مثل البِجَادِ الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مَبْثُوث قد ملأ الوادي، لم أَشْكُ أنها الملائكة، ثم لم يكن إلَّا هزيمة القوم.

هزيمة المشركين من أهل حنين:

قال ابن إسحاق: ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين، وأمكن رسوله ﷺ منهم، قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خَيْلُ الله خَيْلَ اللَّاتِ والله أَحَقُّ بِالْثُّبَاتِ

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر:

عَلَبَتْ خَيْلُ الله خَيْلَ اللَّاتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالْثُّبَاتِ

قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هوازن استَحَرَّ القتل من ثَقِيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، وكانت رايتهم مع ذي الخِمار فلما قُتِل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتِل.

قال ابن إسحاق: وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ قتله، قال: «أبعده الله! فإنه كان يُبَغِضُ قريشاً».

نزول الملائكة

وقول جُبَيْر بن مُطْعِم: لقد رأيت مثل البِجَادِ، يعني الكِسَاءَ، من النمل مَبْثُوثاً، يعني رآه ينزل من السماء. قال: لم أَشْكُ أنها الملائكة، وقد قدم ابنُ إسحاق قول الآخر: رأيت رجلاً بيضاً على خَيْلِ بُلُقٍ، وكانت الملائكةُ فأراهم الله لذلك الهوازني على صُورِ الخيل والرجال ترهيباً للعدو، ورأهم جُبَيْرٌ على صورة النمل المَبْثُوثِ إشعاراً بكثرة عددها، إذ النمل لا يُسْتَطَاعُ عَدُّها مع أن النَمْلَةَ يُضْرَبُ بها المثل في القُوَّة، فيقال: أقوى من النملة، لأنها تحمل ما هو أكبر من جِزْمِها بأضعاف، وقد قال رجلٌ لبعض الملوك: جعل الله قُوَّتَكَ قُوَّةَ النَّمْلَةِ، فأنكر عليه، فقال: ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلَّا النَّمْلَةُ، وهذا المثل قد ذكره الأصبهاني في كتاب الأمثال مَقْرُوناً بهذا الخبر، وقد أَهْلِكَ بالنمل أُمَّة من الأمم، وهم جُزْهُم.

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأحنس. أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامً له نصرانيّ أغرل، قال: فبينما رجل من الأنصار يسلب قَتلى ثقيف، إذ كشف العبدَ يسلبه، فوجده أغرل. قال: فصاح بأعلى صوته: يا معشر العرب: يعلم الله أن ثقيفًا غرل. قال المُغيرة بن شُعبة: فأخذت بيده، وخشيت أن تذهب عنا في العرب، فقلت: لا تقل ذلك، فذاك أبي وأمي، إنما هو غلام لنا نصراني. قال: ثم جعلت أكشف له عن القَتلى، وأقول له: ألا تراهم مختنين كما ترى!

قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمّه وقومه من الأحلاف، فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجلين: رجل من غيرة، يقال له: وهب، وآخر من بني كُبة، يقال له: الجلاح؛ فقال رسولُ الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح: «قُتل اليوم سيّد شباب ثقيف، إلّا ما كان من ابن هنيذة، يعني بابن هنيذة الحارث بن أويس.

رائية ابن مرداس

فقال عباس بن مرداس السلمي يذكر قارب بن الأسود وفِرَارَه من بني أبيه وذا الخمار وحَبْسه قومه للموت:

وَسَوْفَ - إِخَالُ - يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ	أَلَا مِنْ مُبْلَغٍ غَيْلَانَ عَنِّي
وَقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِكُمْمَا يَسِيرُ	وَعُرْوَةً إِنَّمَا أَهْدِي جَوَابًا
لَرَبِّ لَا يَضِلُّ وَلَا يَجُوزُ	بِأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُ رَسُولٍ
فَكَلَّ فَتَى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ	وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى

حول قصيدة ابن مرداس

فصل: وذكر قول عباس:

وسوف إخال يأتيك الخبيرُ

الفعل المستقبل: هو يأتيك، وإن كان حرفٌ سوف داخلًا على إخال في اللفظ، فإن ما يدلّ عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال:

وما أدري وسوف إخال أدري

وَبِئْسَ الْأَمْرُ أَمَرُ بَنِي قَسِيٍّ
أَصَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
فَجِئْنَا أَسَدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْجَمْعِ جَمَعَ بَنِي قَسِيٍّ
وَأَقْسِمُ لَوْ هُمْ مَكَّثُوا لَسِرْنَا
فَكُنَّا أَسَدَ لِيَّةٍ ثُمَّ حَتَّى
وَيَوْمَ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيْوَمٍ
قَتَلْنَا فِي الْعَبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ
وَلَمْ يَكْ ذُو الْخِمَارِ رَيْسَ قَوْمٍ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَايَا
فَأَقَلَّتْ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ حَرِيضًا^(٦)
وَلَا يُغْنِي الْأُمُورَ أَخُو الثَّوَانِي
أَحَانَهُمْ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ
بَنُو عَوْفٍ تَمِيحٍ^(٧) بِهِمْ جِيَادُ
فَلَوْلَا قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ
وَلَكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمَمُوهَا
أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جَدُودُ
فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الْإِسْلَامِ يُلْقَوْا

بَوَجٍّ^(١) إِذْ تُقْسِمَتِ الْأُمُورُ
أَمِيرٌ وَالِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةٌ تَسِيرُ
عَلَى حَنْقٍ^(٢) تَكَادُ لَهُ نَاطِيرُ
إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا
أَبْخَنَاهَا وَأَسْلِمَتِ لِنُصُورُ
فَأَقْلَعَ وَالدُّمَاءُ بِهِ تُمُورُ^(٣)
وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
عَلَى رَايَاتِهَا وَالْحَيْلُ زُورُ^(٤)
لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاقِبُ أَوْ مَكِيرُ^(٥)
وَقَدْ بَانَثَ لِمُبْصِرِهَا الْأُمُورُ
وَقُتِلَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرُ
وَلَا الْقَلِقُ الصُّرَيْرَةُ الْحَصُورُ
أُمُورُهُمْ وَأَقَلَّتِ الصُّفُورُ
أُهَيْنَ لَهَا الْفَصَافِصُ^(٨) وَالشَّعِيرُ
تُقْسِمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
عَلَى يُمْنٍ أَشَارَ بِهِ الْمُثِيرُ
وَأَحْلَامُ إِلَى عِزِّ تَصِيرُ
أَنْوَفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ

وذلك أن إخال في معنى: أظن، وليس يريد أنه يظن فيما يُستقبل، وإنما يريد أن يخال
الآن أن سيكون ذلك، وقوله:

فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا أنوف الناس ما سمر السмир

(١) الوج: السرعة.

(٢) حنق: تسيل.

(٣) تمور: ذو مكر وفطنة.

(٤) مكير: تسيل.

(٥) الحنق: الغيظ.

(٦) زور: مشددة بالأعنة.

(٧) حريضاً: لا يستطيع النهوض.

(٨) الفصافص: ضرب من الأعشاب.

وإن لم يُسَلِّمُوا فهُم أَذَانٌ بحرب الله ليس لهم نصيرُ
 كما حَكَّتْ بني سَعْدٍ وَحَزْبُ برَهْط بني عَزِيزَةٍ عَنَقْفِيرُ^(١)
 كَأَنَّ بني مُعَاوِيَةَ بنِ بَكْرِ إلى الإسلامِ ضَائِنَةٌ^(٢) نَحُورُ
 فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخَوُكُمْ وقد برَأَتْ مِنَ الإِخْنِ^(٣) الصُّدُورُ
 كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذْ جَاءُوا إِلَيْنَا مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السَّلَمِ عُورُ

أنوف الناس انتصب على الحال، لأنه نكرة لم يتعرف بالإضافة، لأنه لم يرد الأنوف بأعيانها، ولكن أشرفاً، وهذا كقوله:

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ

لأنه جعله كالقيد، ومثله ما ذكرناه قَبْلُ في: نصب غمائم الأبصار، على الحال، وليس هذا من باب ما منعه سيبويه حين قال معترضاً على الخليل: لو قلت مررت بقصير الطويل، تريد: مثل الطويل، لم يجز، والذي أراد الخليل هو ما ذكرناه في غير موضع من استعارة الكلمة على جهة التشبيه، نحو قيد الأوابد، وأنوف الناس تريد: أشرافهم، فمثل هذا يكون وَضْعاً لِلنَّكِرَةِ وحالاً من المعرفة، وقد ألحق بهذا الباب: له صَوْتُ صَوْتُ الحمار، على الصِّفَةِ، وضعفه سيبويه في الحال، وهو في الصِّفَةِ أَقْبَحُ، وإنما ألحقه الخليل بما تنكر، وهو مضاف إلى معرفة من أجل تكرر اللفظ فيه، فحسن لذلك.

وقوله: وَأُسْلِمَتِ النَّصُورُ. ذكر البرقي أن النَّصُور هاهنا جمع: ناصر، وليس هو عندي كذلك. فإن فاعلاً قَلَّ ما يجمع على فُعُول، وإن جُمِعَ فليس هو بالقياس المُطَرِّد، وإنما هم بنو نَضِرٍ من هَوَازِن رَهْطِ مالِك بن عَوْفِ النَّضِرِيِّ يقال لهم: النَّصُور، كما يقال لبني المَهْلَبِ: المَهَالِبَةُ، ولِبَنِي الْمُثَنِّرِ: المَثَاذِرَةُ، وكما يقال الأشْعَرُونَ، وهم بنو أَشْعَرَ بن أَدَد، وَالتَّوْنِيَّاتُ لبني تَوْنِتِ بن أَسَد.

جمع أخ وابن:

وقوله: إِنَّا أَخَوُكُمْ، جمع أخاً جمعاً مسلماً بالواو والنون، ثم حذفت النون للإضافة، كما أنشدوا:

وَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصْوَاتُنَا بَكَّيْنِ وَقَدْ بَيَّنَّا بِالْأَبِينَا

(٢) ضائنة: منقبضة.

(١) عتقير: عجوز داهية.

(٣) الإخن: العلل.

قال ابن هشام: غِيلان: غِيلان بن سَلَمَة الثقفي، وعُروَة: عروَة بن مسعود الثقفي.

مصرع دريد:

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجّه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف، وتبع خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

فأدرك ربيعة بن رُفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمّان بن عوف بن امرئ القيس، وكان يقال له ابن الدُّعْنَة وهي أمه، فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لدُّعَة فيما قال ابن هشام - دُرَيْد بن الصِّمَّة، فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه في شِجَار له، فإذا برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، وإذا هو دُرَيْد بن الصِّمَّة ولا يعرفه الغلام، فقال له دُرَيْد: ما تريد بي؟ قال أقتلك. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رُفيع السُّلَمي، ثم ضربه بسيفه، فلم يُغن شيئاً، فقال: بشس ما سلحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر الرجل، وكان الرجل في الشُّجار، ثم ضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإن كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْد بن الصِّمَّة، فربّ والله يوم قد منعك فيه نساءك. فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوق تكشّف، فإذا عجانه ويطون فخذه مثل القِرطاس، من ركوب الخيل أعراء؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً.

فقالت عمرة بنت دُرَيْد في قتل ربيعة دُرَيْداً:

لعمرك ما خَشِيتُ على دُرَيْدٍ	بَبَطْنِ سُمَيْرَةَ جَيْشِ العَنَاقِ
جَزَى عنه الإلهُ بني سُلَيْمٍ	وعَقَّتْهُمْ بما فَعَلُوا عَقَاقِ
وأشَقَّانا إذا قُذِّنا إليهم	دِمَاءُ خِيَارِهِمْ عند التَّلَاقِ
فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعَتْ عَنْهُمْ	وقد بَلَّغَتْ نَفْسُهُم التَّرَاقِ
ورُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقَتْ مِنْهُمْ	وأخْرَى قد فَكَّكَتْ مِنَ الوَثَاقِ
ورُبَّ مُنْوَهِ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ	أَجْنَبَتْ وقد دَعَاكَ بِلا رَمَاقِ

ويجوز أن يكون وَضَعَ الواحدَ موضعَ الجميع، كما تقدّم في قوله: أنتم الولدُ، ونحن

الولدُ.

فَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عِقُوبًا وَهَمًّا مَاعَ مِنْهُ مُخٌ سَاقِي
عَفَتْ آثَارَ خَيْلِكَ بَعْدَ أَيْنِ بِذِي بَقَرٍ إِلَى قَيْنِ الثُّهَاقِ
وَقَالَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ دُرَيْدٍ أَيْضًا:

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا فَظَلَّ دَمْعِي عَلَى السَّرْبَالِ يَنْجَدُرُ
لَوْلَا الَّذِي قَهَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمْ رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَغَبَ كَيْفَ تَأْتِمُرُ
إِذْنٌ لَصَبَّحَهُمْ غِبًّا وَظَاهِرَةً حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَاهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِيرُ

قال ابن هشام: ويقال اسم الذي قتل دُرَيْدًا: عبد الله بن قُتَيْع بن أَهْبَان بن ثَعْلَبَة بن رَبِيعَة.

مصرع أبي عامر الأشعري:

قال ابن إسحق: وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبَل أوطاسِ أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعض من انهزم، فناوشوه القتال، فرمى أبو عامر بسهم فقتل؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعري، وهو ابن عمه، فقاتلهم، ففتح الله على يديه، وهزمهم. فيزعمون أن سلمة بن دُرَيْد هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم، فأصاب ركبته، فقتله، فقال:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادِيرٍ لِمَنْ تَوَسَّمَةٌ
أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْمُسْلِمَةِ

وسمادير: أمه.

حال بني رثاب في المعركة:

واستحضر القتل من بني نَضْر في بني رِثَاب، فزعموا أن عبد الله بن قَيْس - وهو الذي يُقال له ابن العَوْرَاء، وهو أحد بني وَهَب بن رِثَاب - قال: يا رسول الله، هَلَكْتَ بنو رِثَاب، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ».

موقف قوم مالك بن عوف:

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في قَوَارِس من قومه، على ثَنِيَّةٍ من الطَّرِيق، وقال لأصحابه: قِفُوا حَتَّى تَمْضِيَ ضَعْفَاؤُكُمْ، وَتَلْحَقَ أَخْرَاكُم فَوْقَ هُنَاكَ حَتَّى

مَضَى مَنْ كَانَ لِحَقِّ بِهِمْ مِنْ مُنْهَزِمَةِ النَّاسِ؛ فَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فِي ذَلِكَ:

وَلَوْلَا كَرَّتَانِ عَلَى مُحَاجٍ لَضَاقَ عَلَى الْعَضَارِيطِ الطَّرِيقُ
وَلَوْلَا كَرُّ دُفْمَانَ بْنِ نَضَرَ لَدَى التَّخْلَاتِ مُنْدَفَعِ الشَّدِيقِ
لَأَبَتْ جَعْفَرُ وَبَنُو هِلَالٍ خَزَايَا مُحَقِّبِينَ عَلَى شُقُوقِ

قال ابن هشام: هذه الأبيات لمالك بن عوف في غير هذا اليوم. ومما يدلُّك على ذلك قولُ دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ فِي صَدْرِ هَذَا الْحَدِيثِ: مَا فَعَلْتَ كَغِبٍ وَكَلَابٍ؟ فَقَالُوا لَهُ: لَمْ يَشْهَدْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَجَعْفَرُ بْنُ كَلَابٍ. وَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ: «لَأَبَتْ جَعْفَرُ وَبَنُو هِلَالٍ».

قال ابن هشام: وبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثَّيِّئَةِ، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْنَ؟ فقالوا: نرى قومًا واضعي رماحهم بين آذان خيلهم، طويلةً بواؤهم؛ فقال: هؤلاء بنو سُليمان، ولا بأس عليكم منهم، فلما أقبلوا سلخوا بطن الوادي. ثم طلعت خيل أخرى تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْنَ؟ قالوا: نرى قومًا عارضي رماحهم، أغفلاً على خيلهم؛ فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم، فلما انتهوا إلى أصل الثَّيِّئَةِ سلخوا طريق بني سُليمان. ثم طلع فارس؛ فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْنَ؟ قالوا: نرى فارساً طويل الباد، واضعاً رمحه على عاتقه، عاصباً رأسه بملاءة حمراء، فقال هذا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَأَحْلَفَ بِاللَّاتِ لِيُخَالِطَنَّكُمْ، فَأَثْبَتُوا لَهُ. فلما انتهى الزُّبَيْرُ إِلَى أَصْلِ الثَّيِّئَةِ أَبْصَرَ الْقَوْمَ، فَصَمَدَ لَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ يُطَاعِنُهُمْ حَتَّى أَزَاحَهُمْ عَنْهَا.

شعر سلمة في فرارة:

قال ابن إسحق: وقال سلمة بن دُرَيْدٍ وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم:

نَسَيْتَنِي مَا كُنْتُ غَيْرَ مُصَابَةٍ وَلَقَدْ عَرَفْتُ عِدَاةَ نَعْفِ الْأَضْرَبِ
أَتَى مَنَعْتُكَ وَالرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ وَمَشَيْتُ خَلْفَكَ مِثْلَ مَشْيِ الْأَنْكَبِ
إِذْ فَرَ كُلُّ مُهَذَّبٍ ذِي لِمَةٍ عَنْ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمْ يَغْفِبِ

من وصف الزُّبَيْرِ:

وقوله في صفة الزُّبَيْرِ: طَوِيلُ الْبَادِ، أَي: الْفَخْرُ، وَالْبَدَدُ: تَبَاعُدُ مَا بَيْنَ الْفَخْرَيْنِ.

عود إلى حديث مصرع أبي عامر:

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه: أن أبا عامر الأشعريّ لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر؛ ثم حمل عليه آخر، فحمل عليه أبو عامر، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر. ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك، حتى قتل تسعة، وبقي العاشر، فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر، وهو يدعو إلى الإسلام، ويقول: اللهم اشهد عليه؛ فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليّ، فكفّ عنه أبو عامر، فأفلت؛ ثم أسلم بعد فحسّن إسلامه. فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شريد أبي عامر» ورمى أبا عامر أخوان: العلاء وأوفى ابنا الحارث، من بني جشم بن معاوية، فأصاب أحدهما قلبه، والآخر ركبته، فقتلاه ووليّ الناس أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلهما، فقال رجل من بني جشم بن معاوية يرثيها:

إِنَّ الرِّزِيَّةَ قَتَلَ الْعَلَاءِ	وَأَوْفَى جَمِيعًا وَلَمْ يُسْنَدًا
هُمَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ	وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدًا
هُمَا تَرَكَاهُ لَدَى مَغْرِكَ	كَأَنَّ عَلَى عِظْفِهِ مُجَسَدًا
فَلَمْ تَرَ فِي النَّاسِ مِثْلَيْهِمَا	أَقْلَّ عِثَارًا ^(١) وَأَزْمَى يَدًا

النهى عن قتل الضعفاء

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا: أن رسول الله ﷺ مرّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس مُتَقَصِّفُونَ عليها، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد؛ فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «أدرك خالدًا، فقل له: إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيقًا».

من أحكام القتال

وقوله في المرأة المقتولة: أدرك خالدًا، فقل: إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل وليدًا، أو امرأة، أو عسيقًا العسيف: الأجير، وهذا مُتَنَزِعٌ من كتاب الله تعالى، لأنه يقول: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقَاتِلُونَكُمْ» [البقرة: ١٩٠] فاقضى دليل الخطاب ألا تقتل المرأة إلا أن

(١) العثار: الزلل.

شأن الشيماء وبجاء:

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض بني سعد بن بكر: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بَجَادٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَلَا يَفْلِتَنَّكُمْ»، وكان قد أحدث حَدَثًا، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعَنُقُوا عليها في السِّياق، فقالت للمسلمين: تعلّموا والله أني لأخت صاحبكم من الرضاعة؛ فلم يصدّقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبيد السعدي، قال: فلما انتهي بها إلى رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله، إني أختك من الرضاعة؛ قال: «وما علامة ذلك؟» قالت: عَضَّةٌ عَضَضْتُهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مُتَوَزِّكُكَ؛ قال: فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها

تَقَابِلَ، وقد أخطأ من قاس مَسْأَلَةَ الْمُزْتَدَّةِ عَلَى هَذَا الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ الْمُرْتَدَّةَ لَا تُسْتَرْقُ وَلَا تُسَبَّى، كَمَا تُسَبَّى نِسَاءُ الْحَرْبِ وَذُرَارِيهِمْ، فَتَكُونُ مَالًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَنَهَى عَنْ قَتْلِهِنَّ لَذَلِكَ.

حكم رفع اليد في الدعاء:

وذكر فيمن استشهد أبا عامر، واسمُه: عُبَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ بْنِ حَصَّارٍ، وَهُوَ عَمُّ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَعْفَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ قُتِلَ رَافِعًا يَدَيْهِ جِدًّا، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ»^(١) ثَلَاثًا، وَفِيهِ مِنَ الْفَقْهِ رَفْعُ الْيَدَيْنِ فِي الدَّعَاءِ، وَقَدْ كَرِهَهُ قَوْمٌ، رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي الدَّعَاءِ، فَقَالَ: أَوْقَدْ رَفَعُوهَا؟ قَطَعَهَا اللَّهُ، وَاللَّهُ لَوْ كَانُوا بِأَعْلَى شَاهِقٍ مَا أَزْدَادُوا مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ قُرْبًا، وَذَكَرَ لِمَالِكٍ أَنَّ عَامَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ كَانَ يَدْعُو بِأَثَرِ كُلِّ صَلَاةٍ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، فَقَالَ: ذَلِكَ حَسَنٌ، وَلَا أَرَى أَنْ يَرْفَعَهُمَا جِدًّا. وَحُجَّةٌ مِنْ رَأْيِ الرَّفْعِ أَحَادِيثُ مِنْهَا مَا ذَكَرْنَاهُ آنَفًا، وَمِنْهَا حَدِيثُ تَقْدَمُ فِي سَرِيَّةِ الْعَمِيصَاءِ حِينَ رَفَعَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَدَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلِكُلِّ شَيْءٍ وَجْهٌ، فَمَنْ كَرِهَ، فَإِنَّمَا كَرِهَ الْإِفْرَاطَ فِي الرَّفْعِ كَمَا كَرِهَ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالدَّعَاءِ جِدًّا. قَالَ ﷺ: «أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا»^(٢)، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مَالِكٍ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ فِي رَفْعِ الْيَدَيْنِ.

(١) أخرجه البخاري (٤١/٤) ومسلم (١٩٤٤) وانظر الفتح (٤٢/٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩/٤) ومسلم في الذكر والدعاء (٤٤) وأحمد (٤٠٢/٤) والبيهقي في الصفات (٤٤٤ - بتحقيق) وفي الكبرى (١٨٤/٢).

رداءه، فأجلسها عليه، وخيرها، وقال: «إِنْ أُحْبِبْتَ فَعِنْدِي مُحَبَّةٌ مُكْرَمَةٌ، وَإِنْ أُحْبِبْتَ أَنْ أَمْتَعَكَ وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ فَعَلْتُ»؛ فقالت: بَلْ تَمْتَعْنِي وَتَرُدُّنِي إِلَى قَوْمِي، فَمَتَّعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا. فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلامًا له يقال له مكحول، وجارية، فزوّجت أحدهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية^(١).

قال ابن هشام: وأنزل الله عز وجل في يوم حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾... إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

شهداء يوم حنين:

قال ابن إسحق: وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين: من قريش ثم من بني هاشم: أيمن بن عبيد.

ومن بني أسد بن عبد العزى: يزيد بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد، جَمَحَ به فرس له يقال له: الجناح، فقتل.

ومن الأنصار: سُرَاقَةُ بن الحارث بن عدي، من بني العجلان.

ومن الأشعرين: أبو عامر الأشعري.

الحفنة وشاهت الوجوه:

فصل: ومما ذكر في غزوة حنين من غير رواية ابن إسحق الحفنة التي أخذها النبي ﷺ من البطحاء، وهو على بقلته، فرمى بها أوجه الكفار، وقال: «شاهت الوجوه»^(٢)، فانهزموا. والمستقبل من شاهت: تشاء، لأن وزنه فعل، وفيه أن البغلة خَصَّجَتْ به إلى الأرض حين أخذ الحفنة، ثم قامت به، وفسروا خَصَّجَتْ، أي: ضربت بنفسها إلى الأرض، وألصقت بطنها بالتراب، ومنه الحِصَاجُ، وهو زِقٌ مملوء قد أُسْنِدَ إلى شيء، وأميل إليه، والبغلة التي كان عليها يَوْمِيذ هي التي تُسَمَّى الْبَيْضَاءُ، وهي التي أهداها إليه فَرْوَةُ بْنُ نُفَائَةَ، وقد تقدّم ذكر الأخرى، واسمها: دُلْدُلٌ وَذِكْرُ من أهداها إليه.

نداء أصحاب الشجرة:

وذكر نداء العباس: يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ، وكان العباسُ صَيِّتًا جَهِيرًا.

(١) انظر أسد الغابة (٧٠٤٩) الإصابة (٣٣٥/٤).

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد (٨١) وأحمد (٣٠٣/١) والدارمي (٢٢٠/٢) والحاكم في مستدركه (١٦٣/١) (١٥٧/٣) وابن منصور (٢٩١٣) وانظر الفتح (١٦٩/٧) والطبري في تاريخه (٣٤/٢).

سبايا حنين يجمعون:

ثم جُمِعَتْ إلى رسولِ الله ﷺ سبايا حُنَيْنٍ وأموالُها وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغِفاريّ، وأمر رسولُ الله ﷺ وسلم بالسّبايا والأموال إلى الجفَرانة، فحَبِسَتْ بها.

شعر بجير يوم حنين:

وقال بُجَيْر بن زُهَيْر بن أَبِي سُلمَى في يوم حُنَيْن:

لولا الإلهُ وَعَبْدُهُ وَلَيْسْتُمْ
بالجِزَعِ يَوْمَ حَبَا لَنَا أَقْرَانَا
مِنْ بَيْنِ سَاعِ ثَوْبِهِ فِي كَفِّهِ
والله أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ
حين استخَفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جَبَانٍ
وَسَوَابِحُ يَكْبُورُ لِهَلَاذِقَانِ
ومَقْطَرٍ بِسَنَابِكٍ وَلِبَانٍ
وَأَذْلَهُمْ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ

قال ابن هشام: وَيَزُوي فيها بعضُ الرُّواة:

إِذْ قَامَ عَمَّ نَبِيُّكُمْ وَوَلِيُّهُ
أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ أَجَابُوا رَبَّهُمْ
يَدْعُونَ: لَكْتِيْبَةِ الْإِيْمَانِ
يَوْمَ الْعُرِيْضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

شعر لعباس بن مرداس في يوم حنين:

قال ابن إسحق: وقال عباس بن مرداس في يوم حُنَيْن:

إني والسَّوَابِحُ يَوْمَ جَمْعٍ
لَقَدْ أَحْبَبْتُ مَا لَقِيتُ ثَقِيفًا
هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمَعَ بَنِي قَسِيٍّ
وَصِرْمًا^(١) مِنْ هِلَالٍ غَادَرْتَهُمْ
وَلَوْ لَا قَيْنَ جَمَعَ بَنِي كِلَابٍ
رَكَّضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بُسٍّ
وما يَتْلُو الرَّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ
بِجَنْبِ الشَّعْبِ أَمْسٌ مِنَ الْعَذَابِ
فَقَتَلَهُمُ الَّذِي مِنَ الشَّرَابِ
وَحَكَّتْ بَرْكَهَا بِبَنِي رِثَابِ
بِأَوْطَاسٍ تُعَفِّرُ بِالشَّرَابِ
لَقَامَ نِسَاؤُهُمُ وَالنُّقْعَ كَابِي
إِلَى الْأَوْرَالِ تَنْحِطُ بِالنَّهَابِ

وأصحاب السُّمْرَةِ: هم أصحابُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ سُمْرَةً.

(١) الصرم: الجماعة.

بِذِي لَجَبٍ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ كَتِيبَتُهُ تَعَرَّضَ لِلضَّرَابِ

قال ابن هشام: قوله: «تُعَفَّرُ بالتراب»: عن غير ابن إسحاق.

ابن عَفِيف يَرِدُ عَلَى ابْنِ مَرْدَاسٍ:

فأجابه عطية بن عَفِيفِ النَّصْرِيُّ، فيما حَدَّثَنَا ابن هشام، فقال:

أَفَاجِرَةٌ رِفَاعَةٌ فِي حُتَيْنٍ وَعَبَّاسُ ابْنِ رَاضِعَةِ اللَّجَابِ

فإِنَّكَ وَالْفَجَارَ كَذَاتِ مِرْطٍ لَرَبَّتْهَا وَتَرْفُلُ فِي الْإِهَابِ

قال ابن إسحاق: قال عطية بن عَفِيفِ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ لَمَّا أَكْثَرَ عَبَّاسٌ عَلَى هَوَازِنٍ فِي يَوْمِ حُتَيْنٍ وَرِفَاعَةٍ مِنْ جُهَيْنَةٍ.

شعر آخر لعباس بن مرداس:

قال ابن إسحاق: وقال عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَيْضًا:

يَا خَاتِمَ الثُّبَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُدَاكَ

إِنَّ الْإِلَّاهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً فِي خَلْقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَاكَ

ثُمَّ الَّذِينَ وَقَفُوا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ جُنْدٌ بَعَثْتُ عَلَيْهِمُ الضُّحَاكَ

رَجُلًا بِهِ دَرَبُ السُّلَاحِ كَأَنَّهُ لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوُّ يَرَاكَ

يَغْشَى ذَوِي النَّسَبِ الْقَرِيبَ وَإِنَّمَا يَبْغِي رِضَا الرَّحْمَنِ ثُمَّ رِضَاكَ

أُنْسِيكَ أَنِي قَدْ رَأَيْتُ مَكْرَهُهُ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ^(١) يَذْمُغُ الْإِشْرَاكَ

الضُّحَاكُ بْنُ سُفْيَانَ:

فصل: وذكر الضُّحَاكُ بْنُ سُفْيَانَ الْكِلَابِيُّ، وهو الضُّحَاكُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابِ الْكِلَابِيِّ، يكنى أبا سعيد، وكان يقوم على رأس النَّبِيِّ - ﷺ - مُتَوَشِّحًا بِالسَّيْفِ، وكان يُعَدُّ وَحْدَهُ بِمِائَةِ فَارِسٍ، وكانت بنو سُلَيْمٍ يَوْمَ حُتَيْنٍ تَسْعِمَانَهُ، فأمره عليهم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وأخبره أنه قد تَمَمَّهَمْ بِهِ الْفَأْ، وإيَّاه أراد عباس بن مِرْدَاسٍ بقوله:

جُنْدٌ بَعَثْتُ عَلَيْهِمُ الضُّحَاكَ

(١) العجاجة: غبار المعركة.

طَوَّرَا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً
يَغْشَى بِهِ هَامَ الْكَمَاءِ^(٢) وَلَوْ تَرَى
وَبَنُو سُلَيْمٍ مُغْنِقُونَ أَمَامَهُ
يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ
مَا يَزْتَجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً
هَذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا
وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ أَيْضًا:

إِمَّا تَرَى يَا أُمَّ فَرْوَةَ خَيْلَنَا
أَوْهَى مُقَارَعَةَ الْأَعَادِي دُمَهَا
فَلَرَبُّ قَائِلَةٍ كَفَاهَا وَقَعْنَا
لَا وَقَدْ كَالْوَفْدِ الْأَلَى عَقَدُوا لَنَا
وَفَدَّ أَبُو قَطْنٍ حُزَابَةً مِنْهُمْ
وَالْقَائِدَ الْجَيْتَةَ الَّتِي وَفَى بِهَا
جَمَعَتْ بَنُو عَوْفٍ وَرَهْطُ مُخَاشِينَ
فَهَنَّاكَ إِذْ نُصِرَ النَّبِيُّ بِالْفِينَا
فُزْنَا بِرَأْيَتِهِ وَأَوْرَثَ عَقْدُهُ
وَعْدَانَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحُهُ
كَانَتْ إِجَابَتُنَا لِدَّاعِي رَبِّنَا

مِنْهَا مُعْطَلَةٌ نُقَادَ وَظُلَّعَ
فِيهَا نَوَافِدُ مِنْ جِرَاحٍ تَنْبَعُ
أَزَمَ الْحُرُوبِ فَيَسْرِبُهَا لَا يُفْزَعُ
سَبَبًا بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ لَا يُقْطَعُ
وَأَبُو الْغُيُوثِ وَوَاسِعُ وَالْمِقْنَعُ
تَسَعُ الْجَيْتَيْنِ فَتَمَّ أَلْفُ أَقْرَعُ
سِتًّا وَأَخْلَبَ مِنْ خُفَافٍ أَرْبَعُ
عَقْدَ النَّبِيِّ لَنَا لَوَاءٌ يَلْمَعُ
مَجْدَ الْحَيَاةِ وَسُودَدًا لَا يُنْزَعُ
بِبِطَاحِ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَزَّعُ
بِالْحَقِّ مَنَا حَاسِرٌ وَمُقْتَعُ

وقال البرقي: ليس الضُّحَاكُ بنُ سُفْيَانَ هَذَا الْكِلَابِيِّ، إِنَّمَا هُوَ الضُّحَاكُ بْنُ سُفْيَانَ السُّلَمِيِّ.

وذكر من غير رواية البكائي عن ابن إسحاق نسبَهُ مَرْفُوعًا إِلَى بُهْتَنَةَ بْنِ سُلَيْمٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو عُمَرَ فِي الصَّحَابَةِ إِلَّا الْأَوَّلَ، وَهُوَ الْكِلَابِيُّ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) الْكَمَاءُ: الْأَبْطَالُ.

(١) يَفْرِي: يَقْطَعُ.

فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخَيَّرَ سَزْدَهَا دَاوُدُ إِذْ نَسَجَ الْحَدِيدَ وَتُبَّعُ
 وَلَنَا عَلَى بَثْرِي حُنَيْنٍ مَوَكِّبُ دَمِغُ النُّفَاقِ وَهَضْبَةُ مَا تُقْلَعُ
 نُصِرَ النَّبِيُّ بِنَا وَكُنَّا مَعْشَرًا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَضُرُ وَنُنْفَعُ
 دُذْنَا غَدَاتِنْدِ هَوَازَنْ بِالْقَنَا وَالْخَيْلُ يَغْمُرُهَا عَجَاجُ يَسْطَعُ
 إِذْ خَافَ حَدَّهِمُ النَّبِيُّ وَأَسْنَدُوا جَمْعًا تَكَادَ الشَّمْسُ مِنْهُ تَخْشَعُ
 تُدْعَى بَنُو جُشْمٍ وَتُدْعَى وَسْطُهُ أَفْنَاءُ نَضُرٍ وَالْأَسِنَّةُ شُرْعُ
 حَتَّى إِذَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّمُ أَبْنِي سُلَيْمٍ قَدْ وَفَيْتُمْ فَارْفَعُوا
 رُخْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ أَجْخَفَ بِأَسْهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَحْرَزُوا مَا جَمَّعُوا
 وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ أَيْضًا فِي يَوْمِ حُثَيْنَ:

عَفَا مِجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتَالِغُ فَمِطْلًا أَرِيكَ قَدْ خَلَا فَالْمَصَانِعُ
 دِيَارٌ لَنَا يَا جُمْلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا رَخِي وَصَرَفَ الدَّارَ لِلْحَيِّ جَامِعُ
 حُبَيْبَةُ أَلُوْتُ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى لَبَيْنِ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ
 فَإِنْ تَبَتَّغِيَ الْكَفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ

قصيدة ابن مرداس العينية:

وذكر شِعْرَ عَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسٍ الَّذِي أَوَّلَهُ:

عَفَا مِجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتَالِغُ
 الْمِجْدَلُ: الْقَصْرُ، وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ اسْمٌ عَلَّمَ لَكَانَ.
 وَفِيهِ: فَمِطْلًا أَرِيكَ.

الْمِطْلُ: يُمَدُّ وَيُقْصَرُ، وَهِيَ أَرْضٌ تَعْقِلُ الرَّجُلَ عَنِ الْمَشْيِ، فَقِيلَ: إِنَّهَا مِفْعَالٌ مِنَ
 الطَّلْيِ وَهُوَ الْجَرِي يُطْلَى، أَيْ: تُعْقَلُ رِجْلُهُ، وَقِيلَ: إِنْ الْمِطْلَاءَ فِغْلَاءً مِنْ مَطَلْتُ إِذَا مَدَدْتُ،
 وَجَمَعَهُ: مَطَالٌ فِي الْأَمَالِي^(١):

أَمَّا تَسْأَلَانِ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَ الْجِمَى أَلَا قَسَقَى اللَّهَ الْجِمَى فَالْمَطَالِيَا

(١) انظر الأمالي (٢/١).

دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُهُمْ
فَجِئْنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمْ
نُبَايَعُهُ بِالْأَخْشَبَيْنِ وَإِنَّمَا
فَجُسْنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَثْوَةً
عَدْنِيَّةً وَالْحَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا
وَيَوْمَ حُتَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنُ
صَبْرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لَا يَسْتَفِرِّزْنَا
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا
عَشِيَّةَ ضَحَاكَ بْنُ سُفْيَانَ مَغْتَصِرٍ
نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا وَلَوْ نَرَى
وَلَكِنْ دِينَ اللَّهَ دِينَ مُحَمَّدٍ

خُزَيْمَةُ وَالْمَرَارِ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ رَائِعُ
يَدَ اللَّهِ الْأَخْشَبَيْنِ نُبَايَعُ
بِأَسْيَافِنَا وَالنُّفْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ
حَمِيمٌ وَإِنْ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ
إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنُّفُوسِ الْأَصَالِعُ
قِرَاعُ الْأَعَادِي مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ
لِوَاءِ كُحْدُرُوفٍ^(١) السَّحَابَةُ لَامِعُ
بَسِيفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ^(٢)
مَصَالَا^(٣) لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نَتَابِعُ
رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعُ

وفيه:

نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا، وَلَوْ نَرَى
يُرِيدُ أَنَّهُ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، وَسُلَيْمٌ مِنْ قَيْسٍ، كَمَا أَنَّ هَوَازِينَ مِنْ قَيْسٍ، كِلَاهُمَا ابْنُ
مَنْصُورِ بْنِ عِكْرَمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسٍ، فَمَعْنَى الْبَيْتِ: نَقَاتِلُ إِخْوَتَنَا، وَنَذُودُهُمْ عَنْ إِخْوَتَنَا مِنْ
سُلَيْمٍ، وَلَوْ نَرَى فِي حُكْمِ الدِّينِ مَصَالَاً مَفْعَلًا مِنَ الصَّوْلَةِ، لَكُنَّا مَعَ الْأَقْرَبِينَ هَوَازِينَ:
وَلَكِنْ دِينَ اللَّهَ دِينَ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِي الْهُدَى وَالشَّرَائِعِ
وفيه قوله:

دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُهُمْ
هَؤُلَاءِ وَفَدَ بَنِي سُلَيْمٍ وَفَدُوا عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ دَعَا قَوْمَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ،
فَذَكَرَ فِيهِمُ الْمَدَارَ السَّلْمِيَّ، وَوَاسِعَا السَّلْمِيَّ، وَخُزَيْمَةُ، وَهُوَ خُزَيْمَةُ بْنُ جَزِيٍّ أَخُو جِبَّانَ بْنِ
جَزِيٍّ، وَكَانَ الدَّارِقُطْنِيُّ يَقُولُ فِيهِ: جَزِيٍّ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالزَّايِ.

وفيها:

يَدَ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ نُبَايَعُ

(٢) كانع: قريب.

(١) خذروف: سريع السير.

(٣) مصالاً: اختياراً.

من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] أَقَامَ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مقام يده، كما قال - ﷺ - فِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ: «هُوَ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»^(١)، أَقَامَهُ فِي الْمُصَافَحَةِ وَالتَّقْبِيلِ مَقَامَ يَمِينِ الْمَلِكِ الَّذِي يُصَافَحُ بِهَا، لِأَنَّ الْحَاجَّ وَافَدَ عَلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَزَائِرَ بَيْتِهِ، فَجَعَلَ تَقْبِيلَهُ الْحَجَرَ مُصَافَحَةً لَهُ، وَكَمَا جُعِلَتْ يَمِينُ السَّائِلِ الْأَخْذَ لِلصَّدَقَةِ الْمُتَقَبَّلَةِ يَمِينُ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ تَرْغِيئًا فِي الصَّدَقَةِ، وَتَبْشِيرًا بِقَبُولِهَا، وَتَعْظِيمًا لِحُرْمَةِ مَنْ أُعْطِيَتْ لَهُ، فَإِنَّمَا أَعْطَاهَا الْمُتَصَدِّقُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ أَفَرَضَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] وَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا يَضَعُهَا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ يُرِيهَا لَهُ»^(٢) الْحَدِيثُ.

شعر عباس الكافي:

وقول عباس في الشعر الكافي:

إِنَّ الْإِلَّهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً فِي خَلْقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَّاكَ

معنى دقيق وغرض نبيل وَتَقَطَّنَ لِحِكْمَةِ نَبْوِيَّةٍ قَدْ بَيَّنَّاها فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ فِي تَسْمِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدًا وَأَخَمَدَ، وَأَنَّهُ اسْمٌ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ قَوْمِهِ قَبْلَهُ، وَأَنَّ أُمَّهُ أَمِرتُ فِي الْمَنَامِ أَنْ تَسْمِيَهُ مُحَمَّدًا، فَوَافَقَ مَعْنَى الْاسْمِ صِفَةَ الْمُسَمَّى بِهِ مُوَافَقَةً تَامَةً قَدْ بَيَّنَّا شَرْحَهَا هُنَالِكَ، وَلِلذَلِكَ قَالَ: بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً، لِأَنَّ الْبِنَاءَ تَرْكِيبٌ عَلَى أُسٍّ، فَأُسِّسَ لَهُ سُبْحَانَهُ مُقَدِّمَاتٍ لِثَبُوتِهِ مِنْهَا: تَسْمِيَتُهُ بِمُحَمَّدٍ قَبْلَ أَنْ يُوَلَدَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَدْرَجُهُ فِي مُحَامِدِ الْأَخْلَاقِ وَمَا تَحَبَّهُ الْقُلُوبُ مِنَ الشَّيْمِ، حَتَّى بَلَغَ إِلَى أَعْلَى الْمُحَامِدِ مَرْتَبَةً، وَتَكَامَلَتْ لَهُ الْمَحَبَّةُ مِنَ الْخَالِقِ وَالْخَلِيقَةِ، وَظَهَرَ مَعْنَى اسْمِهِ فِيهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَهُوَ اللَّبِنَةُ الَّتِي اسْتَمَّتْ بِهَا الْبِنَاءُ، كَمَا أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا كُلُّهُ مَعْنَى بَيْتِ عَبَّاسٍ، حَيْثُ قَالَ: إِنَّ الْإِلَّهَ بَنَى عَلَيْكَ الْبَيْتَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ (٣٢٨/٦) وَابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ (١٧/٢). وَفِيهِ إِسْحَاقُ بْنُ بَحْرٍ الْكَاهِلِيُّ مَثَّهَمٌ بِالْكَذْبِ وَالْوَضْعِ. فَالْحَدِيثُ بَاطِلٌ مَرْفُوعًا، وَرُؤْيٍ مُوقُوفًا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ قَتِيبَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (٩٧). وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ الْخَوْزِي وَهُوَ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ. وَانْظُرْ مُزِيدَ فَائِلَةَ وَبَيَانَ مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَجَزَاءُ اللَّهِ عَنَّا كُلَّ خَيْرٍ (٣٩٨/٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٤/٢) وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ (٣٣١/٢) وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي الصِّفَاتِ (٤٢٥) - بِتَحْقِيقِي.

وقال عباس بن مرداس أيضًا في يوم حُتَيْن:

تَقَطَّعَ باقِي وَضَلِ أُمُّ مُؤَمِّلٍ بعاقبة واستبدلت نيةً خلفا
وقد حَلَفْتُ بالله لا تَقَطَّعَ القُوَى فما صدقت فيه ولا برت الحلفا
خُفَافِيَّةٌ^(١) بَطْنُ العَقِيقِ مَصِيفُهَا وتحلّ في البادين وَجَرَةٌ^(٢) فالعُرُفا
فإن تَشَبَّعَ الكُفَّارَ أُمُّ مُؤَمِّلٍ فقد زودت قلبي على نأيها شغفا
وسوف يُنَبِّئُهَا الخَبِيرُ بأننا أبينا ولم نطلب سوى ربنا حلفا

الداماء والداماء:

وقوله: في العَيْنِيَّةِ الأخرى يصف الخيل:

أو هي مَقَارَعَةُ الأعادي دُمُهَا

يريد شَحْمَهَا، يقال: أذِمُّ قِدْرَكَ بِوَدِّكَ، وَدَمَمْتُ الشيءَ: طَلَيْتُهُ، ومنه: الدَّامَاءُ أحدُ جُحْرَةِ
الْيَرْبُوعِ، لأنه يَدُمُّ بابه بَقْشِرٍ رقيق من الأرض، فلا يراه الصائد، فإذا طُلِبَ من القاصعاء أو الرَّاهِطَاءِ
أو النَّافِقاءِ أو العائِقاءِ، وهي الأبواب الأخر نَطَحَ برأسه بابَ الدَّامَاءِ فخرقه، وأما الدَّامَاءُ
بالتخفيف، فهو البحر وهو فَعْلَاءٌ، لأنه يُهَمَزُ فيقال: دَأْمَاءُ، قاله أبو عبيد.

شعر عباس الفاوي:

وذكر شعر عباس الفاوي، وفيه:

بعاقبةٍ واستبدلت نيةً خلفًا

النية: من النوى وهو البُغد. وخُلْفًا يجوز أن يكون مَفْعُولًا من أجله أي: فعلت ذلك
من أجل الخُلْفِ، ويجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا للاستبدال، لأن استبدالها به خُلِفَ منها لما
وَعَدته به، ويقوي هذا البيت البيت الذي بعده:

وقد حَلَفْتُ بالله لا تَقَطَّعَ القُوَى

يعني: قُوَى الحَبْلِ، والحَبْلُ هنا: هو العهد، ثم قال:

فما صَدَقْتُ فيه، ولا بَرَّتِ الحَلْفَا

وهذا هو الخُلْفُ المتقدمُ ذِكرُهُ.

(٢) وجرة: حفرة تقع فيها الماشية.

(١) خفافية: نسبة إلى الخفين.

وَأَنَا مَعَ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
بِفَتْيَانِ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعِزَّةٍ
خُفَافٍ وَذُكْرَانٍ وَعَوْفٍ تَخَالِهِمْ
كَانَ النَّسِيجَ الشَّهْبَ وَالْبَيْضَ مُلْبَسٌ
بَنَا عَزُّ دِينِ اللَّهِ غَيْرَ تَنَحُّلٍ
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِرِوَاءِنَا
عَلَى شُخْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا
غَدَاةَ وَطِنِنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ
وَقَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَغْشَرُ أَلْفَا
أَطَاعُوا فَمَا يَغْضُونَ مِنْ أَمْرِ حَرْفَا
مَصَاعِبَ زَافَتْ^(١) فِي طَرُوفِهَا كُلفَا
أَسُودًا تَلَاَقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفَا^(٢)
وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِعْفَا
عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَخْلِيلِهَا خَطْفَا
إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا^(٣)
لَأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا صَرْفَا

وقوله:

وَقَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَغْشَرُ أَلْفَا

أي: وفيها ألفا ولم يستوفها غيرنا، أي: لم يستوف هذه العدة غيرنا من القبائل.

وقوله:

إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا

يجوز أن يكون جمع مزود وهو الوتد، كما قال الآخر يصف طغنة:

وَمُسْنَّةٌ كَاسْتَيْنِ الْخَزْوِ فِي قَدْ قَطَعَ الْحَبْلَ بِالْمِزْوِدِ

والخروف هاهنا في قول بعضهم: المهر، وقال آخرون: والفرس يسمى خروفا، ومعناه عندي في هذا البيت أنها صفة من خرفت الثمرة إذا جئتها فالفرس خروف للشجر والنبات، لا نقول: إن الفرس يسمى خروفا في علف اللغة، ولكن خروف في معنى أكل، لأنه يخرف، أي: يأكل، فهو صفة لكل من فعل ذلك الفعل من الدواب، ويجوز أن يكون في مرادها جمع مراد، وهو حيث تروذ الخيل تذهب وتجيء فمراد ومراد، مثل مقام ومقام، ومثار ومثار.

(٢) غصفاً: ماثلة.

(١) زافت: تمايلت وتبخترت.

(٣) عزفاً: أصوات الرياح.

بِمَعْتَرِكَ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمَ وَسَطَهُ
بِيبِضٍ نُطِيرُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا
فَكَائِنَ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مَلْحَبٍ
رِضًا اللَّهُ تَنْوِي لَا رِضَا النَّاسِ نَبْتَغِي
وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ أَيْضًا:
مَا بِأَلْ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِرٌ^(٣) سَهْرٌ
مِثْلُ الْحَمَاطَةِ^(٤) أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ^(٥)

وقوله:

لَنَا رَجْمَةٌ إِلَّا التَّدَاوُمُ وَالنُّقْفَا

يقال: مَا رَجِمُ رُجْمَةً، أَي: مَا تَبَسَّ بِكَلِمَةٍ، وَقَوَّسَ رُجُومًا، أَي: ضَعِيفَةَ الْإِزْنَانِ.

وقوله: إِلَّا التَّدَاوُمَ، أَي: يُدَمِّرُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَيَحْرُضُهُ عَلَى الْقَتْلِ وَالنُّقْفَا: كَسَرِ
الرُّؤُوسِ، وَنَاقَفَ الْحَنْظَلَةَ: كَاسَرَهَا وَمُسْتَخْرِجٌ مَا فِيهَا.

النسب إلى حروف المعجم وتصغيرها:

قال المؤلف: وإنما قلنا في هذه القصيدة وفي التي بعدها الْغَاوِيَّةُ وَالرَّائِيَّةُ، لِأَنَّ النِّسْبَ
إِلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ الَّتِي أَوَّخَرَهَا أَلِفٌ هَكَذَا، هُوَ بِالْوَاوِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ، وَفِي التَّصْغِيرِ
تُقَلَّبُ أَلْفُهَا يَاءً، تَقُولُ فِي تَصْغِيرِ بَاءٍ: بَيْيَّةٌ، وَخَاءٍ: خُيَّةٌ، وَمَا كَانَ آخِرُهُ حَرْفًا سَالِمًا مِنْ هَذِهِ
الْحُرُوفِ قُلِبَتْ أَلْفُهُ وَآوًا فِي التَّصْغِيرِ، فَتَقُولُ فِي الذَّالِ: ذُوَيْلَةٌ، وَفِي الضَّادِ: ضُوَيْدَةٌ،
وكَذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ، وَقِيَاسُ الْوَاوِ فِي النَّحْوِ أَنْ تُصَغَّرَ: أَوْيَّةٌ بِهَمْزَةٍ [فِي] أَوَّلِهَا.
القصيدة الراوية:

وقول عباس في القصيدة الراوية:

مِثْلُ الْحَمَاطَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ

الْحَمَاطَةُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ: مَا فِيهِ خُسُونَةٌ وَخُرُوشَةٌ وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: الْحَمَاطُ: وَرَقُ
التِّينِ الْجَبَلِيِّ. وَقَالَ أَيْضًا فِي بَابِ الْقَطَانِيِّ: الْحَمَاطُ: تِبْنُ الذَّرَّةِ، إِذَا ذُرِّيَتْ، وَلَهُ أَكَالٌ فِي

(٢) الكمأة: الأبطال.

(٤) الحماطة: حرقه في الحلق.

(١) النقفا: ضرب السيف.

(٣) عائر: فيها قذى.

(٥) الشفر: الشفاه.

عَيْنُ تَأْوِيهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرْقُ كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَاطِمَةٍ
 كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَاطِمَةٍ يَا بُغْدَ مَنَزِلٍ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ
 يَا بُغْدَ مَنَزِلٍ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ دَغْ مَا تَقْدَمُ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ
 دَغْ مَا تَقْدَمُ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ وَادُّكُزْ بِلَاءَ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا
 وَادُّكُزْ بِلَاءَ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا قَوْمٌ هُمْ نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا
 قَوْمٌ هُمْ نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا لَا يَغْرِسُونَ قَسِيلَ النَّخْلِ وَسَطَهُمْ
 لَا يَغْرِسُونَ قَسِيلَ النَّخْلِ وَسَطَهُمْ إِلَّا سَوَابِحَ كَالْعِقْبَانِ مَقْرَبَةً
 إِلَّا سَوَابِحَ كَالْعِقْبَانِ مَقْرَبَةً تَدْعَى خُفَافٌ وَعَوْفٌ فِي جَوَانِبِهَا
 تَدْعَى خُفَافٌ وَعَوْفٌ فِي جَوَانِبِهَا الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشُّرْكِ ضَاحِيَةً
 الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشُّرْكِ ضَاحِيَةً حَتَّى دَفَعْنَا وَقَتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمْ
 حَتَّى دَفَعْنَا وَقَتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمْ وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَأَنَّ مَشْهَدَنَا
 وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَأَنَّ مَشْهَدَنَا إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مَخْضَرًا بِطَائِنُهُ

الجَلْدِ. والعاثِر: كَالشَّيْءِ يَتَنَحَّسُ فِي الْعَيْنِ كَأَنَّهُ يَغُورُهَا، وَجَعَلَهُ سَهْرًا، وَإِنَّمَا السَّهْرُ الرَّجُلُ،
 لِأَنَّهُ لَمْ يَقْتَرِ عَنْهُ، فَكَأَنَّهُ قَدْ صَهِرَ، وَلَمْ يَنَمْ، كَمَا قَالَ آخِرُ فِي وَصْفِ بَرِّقٍ:

حَتَّى شَنَاهَا كَلِيلٌ مُوَهَّمًا عَمَلٌ بَاتَتْ طِرَابًا وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَنَمْ
 شَنَاهَا: شَاقَهَا، يُقَالُ: شَاءَ وَشَاءَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، أَيِ: شَاقَهَا، وَأَنْشَدَ:

وَلَقَدْ عَهِدْتُ تَشَاءَ بِالْأَظْمَعَانِ

فَتَأْمَلُهُ فَإِنَّهُ بَدِيعٌ مِنَ الْمَعَانِي.

وقوله: الصُّمَّانُ وَالْحَقَرُ: هُمَا مَوْضِعَانِ، وَإِلَيْهِ يَنْسَبُ أَبُو دَاوُدَ الْحَقَرِيُّ مِنْ أَهْلِ
 الْحَدِيثِ. وَالْعَكْرُ: جَمْعُ عَكْرَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الضَّخْمَةُ مِنَ الْمَالِ. وَعَكْرَةُ اللِّسَانِ أَيْضًا:
 أَصْلُهُ، وَمَا غَلِظَ مِنْهُ، وَعَكَدْتُهُ أَيْضًا بِالذَّالِ.

(١) الصُّمَّانُ: الصَّخُورُ الشَّدِيدَةُ.

تحت اللّواء مع الضحاك يقدّمنا
 في مازقٍ من مجرّ الحزبِ كلّكلها^(٢)
 وقد صَبَرْنَا بأَوْطاسٍ أَسِئْنَا
 حتّى تَأَوَّبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ
 فَمَا تَرَى مَعْشَرَ قُلُوبِ وَلَا كَثُرُوا
 وقال عَبَّاسُ بنِ مِرْدَاسٍ أيضًا:

يا أيُّها الرّجلُ الذي تَهْوِي به
 إمّا أَتَيْتَ عَلَى الثَّيْبِ فَقُلْ لَهُ
 يا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المِطْيَ وَمَنْ مَشَى
 وَجَنَاءُ^(٣) مُجَمَّرَةُ المَنَاسِمِ^(٤) عِزْمُسُ^(٥)
 حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطمَأَنَّ المَجْلِسُ
 فَوْقَ التَّرَابِ إِذَا تُعَدُّ الأَنْفُسُ

قصيدة عباس السينية:

وقوله في السينية:

وَجَنَاءُ مُجَمَّرَةُ المَنَاسِمِ عِزْمُسُ

وَجَنَاءُ: غليظة الوجنات بارزتها، وذلك يدل على غثور عينيها، وهم يصفون الإبل
 بغثور العينين عند طول السفار، ويقال: هي الوجنة في الآدميين، رَجُلٌ مُوجِنٌ وامرأة مُوجِنَةٌ،
 ولا يقال: وَجَنَاءُ. قاله يعقوب. ومُجَمَّرَةُ المَنَاسِمِ، أي: نكبت مَنَاسِمَهَا الجمار، وهي
 الحجارة، والعِزْمُسُ: الصخرة الصلبة، وتَشَبَّهَ بها الناقة الجلدة، وقد يريد بمُجَمَّرَةٍ أيضًا أن
 مناسمها مجتمعة مُنْضَمَّةٌ، فذلك أقوى لها، وقد حكى أجمرت المرأة شَعْرَهَا إِذَا ظَفَرَتْه
 وأجمر الأمير الجيش أي: حبسه عن القبول قال الشاعر:

مَعَاوِيَ إمّا أَنْ يُجَهِّزَ أَهْلُنَا
 إِلَيْنَا، وإمّا أَنْ نَزُوبَ مَعَاوِيَا
 أَّاَجْمَرْتَنَا إِجْمَارَ كَسَرَى جُنُودِهِ
 وَمَثْنَيْنًا حتّى نَسِينَا الأَمَانِيَا

(١) الخدر: أجمة الأسد.

(٢) وجناه: عظيمة الوجنات.

(٣) المناسم: الخدين.

(٤) عزمس: ناقة قوية.

(٥) كلكلها: غمارها..

إِنَّا وَفَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْتَنَا
 إِذْ سَأَلَ مِنْ أَفْنَاءِ بُهْتَةٍ كُلُّهَا
 حَتَّى صَبَّخْنَا أَهْلَ مَكَّةَ قَيْلَقًا
 مِنْ كُلِّ أَغْلَبٍ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ
 يُرَوِّي الْقَنَاةَ إِذَا تَجَاسَّرَ فِي الْوَعَى
 يَغْشَى الْكُتَيْبَةَ مُغْلِمًا وَبِكْفِهِ
 وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا
 كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً
 نَمْضِي وَيَخْرُسُنَا الْإِلَهُ بِحِفْظِهِ
 وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمَنَاقِبِ مَحْبِسًا
 وَعَدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شِدَّةً
 وَالْخَيْلُ تُقَدِّعُ^(١) بِالْكُمَاةِ وَتُضْرَسُ
 جَمْعٌ تَظَلُّ بِهِ الْمَخَارِمُ^(٢) تَرْجُسُ
 شُهَبَاءَ يَقْدُمُهَا الْهُمَامُ الْأَشْوَسُ^(٣)
 بِيضَاءَ مُحْكَمَةِ الدِّخَالِ وَقَوْنُسُ^(٤)
 وَتَخَالُهُ أَسَدًا إِذَا مَا يَغْبِسُ
 عَضْبُ^(٥) يَقْدُ بِهِ وَلَذَنْ مِدْعَسُ^(٦)
 أَلْفُ أُمْدٍ بِهِ الرَّسُولُ عَرْنَدَسُ^(٧)
 وَالشَّمْسُ يَوْمُئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمَسُ
 وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَائِعٍ مِنْ يَخْرُسُ
 رَضِيَ الْإِلَهُ بِهِ قَنِعَمُ الْمَخْبِسُ
 كَفَّتِ الْعُدُوَّ وَقِيلَ مِنْهَا يَا أَحْبِسُوا

وقوله:

كانوا أمام المؤمنين دريئة

الدريئة: الحلقة التي يتعلم عليها الرمي، أي: كانوا كالدريئة للرماح وقوله:

والشمس يومئذ عليهم أشمس

يريد: لمعان الشمس، في كل بيضة من بيضات الحديد، والسيوف، كأنها شمس، وهو معنى صحيح وتشبيه مليح.

وفيهما قوله:

والخيل تُقَرِّعُ بِالْكُمَاةِ وَتُضْرَسُ

أي: تضرب أضراسها بالألجم. تقول: ضرسته، أي: ضربت أضراسه، كما تقول: رأسته، أي: أصبت رأسه.

(٢) المخارم: الطرق الجبلية.

(٤) القونس: بيضة الدرع.

(٦) مدعس: طعان.

(١) تقدع: تدفع.

(٣) الأشوس: البطل وجمعها: أشاوس.

(٥) عضب: حديد الرمح.

(٧) عرندس: أسد ضخم.

تَدْعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَاوَةِ بَيْنِنَا تُذِي تَمَدُّ بِهِ هَوَازِنُ أَيْبَسُ
 حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ غَيْرُ تَعَاقُبِهِ السَّبَاعُ مُفَرَّسُ
 قال ابن هشام: أنشدني خلف الأحمر قوله: «وقيل منها يا أخيسوا».

قال ابن إسحق: وقال عباس بن مرداس أيضًا:

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَضَبٍ لَهُ بِالْفِ كَمِيٍّ لَا تُعَدُّ حَوَاسِرُهُ
 حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرَّمْحِ رَايَةً يَذُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهُ
 وَنَحْنُ خَضَبْنَاهَا دَمًا فَهُوَ لَوْنُهَا غَدَاةَ حَنِينٍ يَوْمَ صَفْوَانٍ شَاجِرُهُ
 وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ مَيِّمَةً لَهُ وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللَّوَاءِ وَشَاهِرُهُ
 وَكُنَّا لَهُ دُونَ الْجُنُودِ بِطَائَةِ يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ وَنُشَاوِرُهُ
 دَعَانَا فَسَمَّانَا الشُّعَارَ مُقَدِّمًا وَكُنَّا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَنْ يُنَاكِرُهُ
 جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ نَبِيِّ مُحَمَّدًا وَأَيْدِهِ بِالنُّضْرِ وَاللَّهُ نَاصِرُهُ
 قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «وكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ» إِلَى آخِرِهَا، بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشُّعْرِ، وَلَمْ يَعْرِفِ الْبَيْتَ الَّذِي أَوَّلُهُ:

حملنا له في عامِلِ الرَّمْحِ رَايَةً

وأنشدني بعد قوله:

وكان لنا عَقْدُ اللَّوَاءِ وَشَاهِرُهُ

ونحن خَضَبْنَاهُ دَمًا فَهُوَ لَوْنُهُ

قال ابن إسحق: وقال عباس بن مرداس أيضًا:

مَنْ مُبْلِغِ الْأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا^(١)
 دَعَا رَبُّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَخَذَهُ فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
 سَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قُدَيْدًا مُحَمَّدًا يَوْمَ بَنَّا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُحْكَمًا
 تَمَارَوْا^(٢) بَنَّا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا مَعَ الْفَجْرِ فُتْيَانًا وَغَابًا مُقَوَّمَا

(١) يمما: توجه.

(٢) تماروا: شكوا.

على الخَيْلِ مشدودًا علينا دُرُوعُنَا
 فَإِنَّ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا
 وَجُنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذُلُونَهُ
 فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَرْتَ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا
 بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللَّهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ
 حَلَفْتُ بِمِيْنَا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ
 وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدَمُوا
 وَبِثْنَا بِنَهْيِ الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ
 أَطْعَمَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
 يَضِلُّ الْحِصَانُ الْأَبْلَقُ الْوَرْدُ وَسَطُهُ
 سَمَوْنَا لَهُمْ وَرَدَ الْقَطَا زَفُّهُ ضَحَى
 لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّةً
 إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلِّ رَأَيْتَ طِمْرَةً^(٣)
 وَقَدْ أَخْرَزْتَ مَنَا هَوَازُنُ سَرَبِهَا
 وَرَجَلًا كَدْفَاعِ الْإِيْتِ عَرْمَرَمًا^(١)
 سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا
 أَطَاعُوا فَمَا يَغْضَوْنَهُ مَا تَكَلَّمَا
 وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
 تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
 فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمًا
 وَحُبَّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمُقَدَّمَا
 بَنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحَرَّمَا
 وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلٌ يَلْمَلَمَا
 وَلَا يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوَّمَا^(٢)
 وَكُلَّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدْ اخْجَمَا
 حُنَيْنًا وَقَدْ سَالَتْ دَوَافِعُهُ دَمًا
 وَفَارَسَهَا يَهْوِي وَرُمَحًا مُحْطَمًا
 وَحُبَّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُخْرَمَا

قصيدة عباس الميمية:

وقوله: في كلمته الميمية: وفيهم مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا.

يريد: وفي سُلَيْمٍ مَنْ اغْتَرَى إِلَيْهِمْ مِنْ خُلَفَائِهِمْ، فَتَسَلَّمْ بِذَلِكَ، كما تقول: تَقَيَّسَ الرجلُ، إِذَا اغْتَرَى إِلَى قَيِّسٍ. أنشد سيبويه:

وَقَيِّسَ عَيْنَلَانَ وَمَنْ تَقَيَّسَا

(١) عرمرما: جيش كبير.

(٢) يسوما: أي يوسم بعلامة.

(٣) طمرة: الفرس طويل القوائم.

شعر ضمضم في يوم حنين

قال ابن إسحاق: وقال ضَمَضَم بن الحارث بن جُشَم بن عَبد بن حبيب بن مالك بن عَوْف بن يَقْظَة بن عَصِيَّة السُّلَمِي في يوم حُنَيْن، وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحَكَم بن خالد بن الشَّريد، فقتل به مِخْجَنًا وابن عم له، وهما من ثقيف:

نحن جَلَبْنَا الخيلَ من غير مَجْلَبِ إلى جَرَشٍ من أهل زِيَان والغَمِ
نُقْتَلُ أشبالَ الأسود ونبتغي طَوَاغِي كَانَتْ قَبْلَنَا لم تُهدمِ
فإن تَفَخَّرُوا بابن الشَّريد فلأنني تركتُ بوجٍ مَاتَمًا بعدَ مَاتَمِ
أبائَهُما بابن الشَّريد وعَرَّه جَوَارِكُكُمْ وكان غيرَ مُدَمِّمِ
تُصِيبُ رجالاً من ثقيف رِمَاخُنَا وأسيافُنَا يَكْلِمُنَّهُمْ كلَّ مَكْلَمِ
وقال ضَمَضَم بن الحارث أيضًا:

أَبْلَغُ لَدَيْكَ ذَوِي الحَلَالِ آيَةً لا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِمَارِ
بَغْدَ التي قَالَتْ لَجَاةَ بَيْتِهَا قد كُنْتُ لو لَبِثَ الغَزِيُّ بِدَارِ
لَمَّا رَأَتْ رجالاً تَسْقَعُ لَوْنَهُ وَغَرُ المَصِيفَةِ والعِظَامِ عَوَارِي
مُسْطَ العِظَامِ تراه آخِرَ لَيْلِهِ مُتَسَرِّبًا فِي دِزْعِهِ لِعَوَارِ
إذا لا أزالُ على رِحَالِهِ نَهْدَةً جَزْدَاءَ تُلْحِقُ بِالنُّجَادِ إِزَارِي

حول قصيدة ضمضم بن الحارث

وأنشد لضَمَضَم بن الحارث، وهو ممن شهد حُنَيْنًا مع المسلمين، وكان ينبغي لأبي عَمَرَ رحمه الله أن يذكره في الصُّحَابَةِ، لأنه من شَرْطِهِ، فلم يفعل، وقد أنشد له ابن إسحاق ما يدل على أنه منهم لقوله:

يَوْمًا على أَثَرِ النُّهَابِ وَتَارَةً كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مع الأنصارِ

يعني: فرسه، وكذلك لم يذكر أبو عَمَرَ ضَمَضَم بن قَتَادَةَ العُجَلِي، وله حديث مشهور في قدومه على النبي ﷺ، وذلك أنه قال له: يا رسول الله إني قد تزوجت امرأة فولدت لي غُلامًا أسود، فقال له النبي ﷺ -: «هل لك من إِبِلٍ»، فقال: نعم^(١) والحديث مشهور،

(١) الحديث. أخرجه البخاري (٦٨/٧) ومسلم (١١٣٧) وأبو داود (٢٢٦٠) - بتحقيقه - والترمذي (٢١٢٨) والنسائي (١٧٨/٦) وابن ماجه (٢٠٠٢ - ٢٠٠٣) وأحمد (٢٣٩/٢).

يَوْمًا عَلَى أَثَرِ النَّهَابِ وَتَارَةً كَتَبَتْ مُجَاهِدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ
وَزُهَاءَ كُلِّ خَمِيلَةٍ أَزْهَقْتُهَا مَهَلًا تَمَهُلُهُ وَكُلَّ خَبَارِ
كَيْمَا أَغْتَرِ مَا بَهَا مِنْ حَاجَةٍ وَتَوَدُّ أَنِّي لَا أَؤُوبُ فَجَارِ

رثاء أبي خراش لابن العجوة

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي أَبُو عبيدة قال: أُسِرَ زُهَيْرُ بْنُ الْعَجْوَةِ الْهَذَلِيُّ يَوْمَ حَنِينٍ، فَكُتِفَ، فَرَأَاهُ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ، فَقَالَ لَهُ: أَأَنْتَ الْمَاشِي لَنَا بِالْمَغَايِظِ؟ فَضْرَبَ عُنُقَهُ؛ فَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ يَزِيدِيهِ، وَكَانَ ابْنُ عَمَةٍ:

عَجَفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ بَذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ
طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ لَيْسَ بِجَنِّدِرٍ إِذَا اهْتَزَّ وَاسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ الْحَمَائِلُ
تَكَادُ يَدَاهُ تُسَلِّمَانِ إِزَارَهُ مِنْ الْجُودِ لَمَّا أَذْلَقَتْهُ الشَّمَائِلُ
إِلَى بَيْتِهِ يَاوِي الضَّرْبُكُ إِذَا شَتَا وَمُسْتَنْبِحُ بَالِي الدَّرِيسَيْنِ عَائِلُ

غير أنه لم يُسَمَّ بِاسْمِهِ فِي الصَّحِيحِينَ، وَسَمِّيَ فِي بَعْضِ الْمُسْنَدَاتِ، وَذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَنِيِّ فِي الْمُبْتَهَمَاتِ، وَذَكَرَ عَبْدُ الْغَنِيِّ فِي الْحَدِيثِ زِيَادَةَ حَسَنَةَ قَالَ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَنِي عِجْلٍ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَجَائِزُ مِنْ عِجْلٍ، فَسُئِلْنَ عَنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي وَلَدَتِ الْغَلَامَ الْأَسْوَدَ، فَقُلْنَ: كَانَ فِي آبَائِهَا رَجُلٌ أَسْوَدٌ.

شعر أبي خراش

وَذَكَرَ شِعْرَ أَبِي خِرَاشٍ، وَاسْمُهُ: خُوَيْلِدُ بْنُ مُرَّةَ شَاعِرٍ إِسْلَامِي مَاتَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنْ نَهْشِ حَيَّةٍ نَهَشَتْهُ، كَانَ سَبَبُهَا أَضْيَافٌ نَزَلُوا بِهِ، وَخَبَرَهُ بِذَلِكَ عَجِيبٌ، وَلَهُ فِيهِ شِعْرٌ. وَالْخِرَاشُ: وَسَمٌ لِإِبِلٍ يَكُونُ مِنَ الصَّدْعِ إِلَى الذَّقْنِ: فَقَوْلُهُ:

تَكَادُ يَدَاهُ تُسَلِّمَانِ إِزَارَهُ مِنْ الْجُودِ لَمَّا أَذْلَقَتْهُ الشَّمَائِلُ

يُرِيدُ: أَنَّهُ مِنْ سَخَائِهِ، يُرِيدُ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنْ إِزَارِهِ لِسَائِلِهِ، فَيُسَلِّمُهُ إِلَيْهِ، وَأَلْفَيْتُ بِخَطِّ أَبِي الْوَلِيدِ الْوَقْشِيِّ: الْجُودَ هَاهُنَا، وَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَبِهَذِهِ الرُّتْبَةِ: السَّخَاءُ، وَكَذَلِكَ فَسَّرَهُ الْأَضْمَعِيُّ وَالطَّوْسِيُّ، وَأَمَّا عَلَى مَا وَقَعَ فِي شِعْرِ الْهَذَلِيِّ، وَفُسِّرَ فِي الْغَرِيبِ الْمُصَنَّفِ، فَهُوَ الْجَوْعُ وَمَوْضِعُهُ فِي الشَّعْرِ الْمَذْكُورِ يَتْلُو قَوْلَهُ: تَرْوِّحَ مَقْرُورًا.

وَفِي الْغَرِيبِ رِدَائِهِ بَدَلَ إِزَارِهِ.

تَرْوِجَ مَقْرُورًا وَهَبْتَ عَشِيَّةَ
فَمَا بَالُ أَهْلِ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا
فَأَقِمَّ لَوْ لَا قِيَّتَهُ غَيْرَ مُوثِقٍ
وَأَنْتَ لَوْ وَاجَهْتَهُ إِذْ لَقِيْتَهُ
لَظُلٌّ جَمِيلٌ أَفْحَشَ الْقَوْمِ صِرْعَةً
فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ ثَابِتٍ
وَعَادَ الْفَتَى كَالشُّنْخِ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
وَأَصْبَحَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ كَأَنَّمَا
فَلَا تَخْسَبِي أَنِّي نَسَبْتُ لِيَالِيَا
إِذِ النَّاسِ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِغَيْرَةٍ
لَهَا حَدَبٌ تَحْتَهُ فَيُؤَانِلُ
وَقَدْ بَانَ مِنْهَا اللَّؤْذَعِيُّ الْخُلَاجِلُ
لَأَبْكَ بِالنُّعْفِ الضُّبَاغُ الْجِيَانِلُ
فَنَازَلْتَهُ أَوْ كُنْتَ مَمَّنْ يُنَازِلُ
وَلَكِنْ قِزْنَ الظَّهْرِ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ
وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلَاسِلُ
سَوَى الْحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَاحَ الْعَوَازِلُ
أَهَالٌ عَلَيْهِمْ جَانِبَ الثَّرْبِ هَانِلُ
بِمَكَّةَ إِذْ لَمْ نَعُدْ عَمَّا نُحَاوِلُ
وَإِذْ نَحْنُ لَا تُثْنِي عَلَيْنَا الْمَدَاخِلُ

وقوله:

ولكن قِزْنَ الظَّهْرِ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ

قِرْنٌ بِالْقَافِ: جَمْعُهُ: أَقْرَانٌ، وَيُرْوَى:

ولكن أَقْرَانَ الظَّهْرِ مَقَاتِلُ

مَقَاتِلُ: جَمْعُ مِقَاتِلٍ بِكَسْرِ الْمِيمِ، مِثْلُ مِخْرَبٍ مِنَ الْحَرْبِ، أَيْ: مَنْ كَانَ قِزْنَ ظَهْرِهِ،
فَإِنَّهُ قَاتِلٌ وَغَالِبٌ.

وقوله يصف الريح:

لَهَا حَدَبٌ تَحْتَهُ فَيُؤَانِلُ

بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَقَعَ فِي الْأَصْلِ، وَقَدْ يَسْمَى انْحِدَارُ الْمَاءِ وَنَحْوُهُ حَدَبًا، فَيَكُونُ هَذَا
مِنْهُ، وَإِلَّا فَالْحَدَبُ بِالْحَاءِ الْمَنْقُوطَةِ أَشْبَهُ بِمَعْنَى الْبَيْتِ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: رِيحٌ حَدَبَاءُ كَانَ بِهَا
خَدَبًا، وَهُوَ الْهَوْجُ.

ابن عوف يعتذر عن فراره

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره:

مَنَعَ الرَّفَادَ فَمَا أَغْمَضُ سَاعَةً نَعَمْ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُحَضَّرَمُ
سَائِلُ هَوَازِنَ هَلْ أَضُرُّ عَدُوَهَا وَأَعَيْنُ غَارَمَهَا إِذَا مَا يَغْرَمُ
وَكَتِيبَةَ لَبَسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ فِتْنَتَيْنِ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمُلَامُ
وَمُقَدِّمِ تَغْيَا الثُّفُوسِ لَضِيقِهِ قُدَمْتُهُ وَشُهُودُ قَوْمِي أَغْلَمُ
فَوَرَدْتُهُ وَتَرَكْتُ إِخْوَانًا لَهُ يَرْدُونَ غَمْرَتِهِ وَغَمْرَتُهُ الدَّمُ
فَإِذَا انْجَلَتْ غَمْرَاتُهُ أَوْرَثَنِي مَجْدَ الْحَيَاةِ وَمَجْدَ غُنْمٍ يُقَسَمُ
كَلَّفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ أَغْلَمُ مَنْ أَعَثُّ وَأُظْلَمُ
وَحَذَلْتُمُونِي إِذْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا وَحَذَلْتُمُونِي إِذْ تُقَاتِلُ خَثْعَمُ
وَإِذَا بَنَيْتَ الْمَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ لَا يَسْتَوِي بَانٍ وَآخَرُ يَهْدِمُ
وَأَقْبَ مِخْمَاصِ الشِّتَاءِ مُسَارِعُ فِي الْمَجْدِ يَنْمِي لِلْعُلَى مُتَكَرِّمُ
أَكْرَهْتُ فِيهِ أَلَّةَ يَزْنِيَّةٍ سَخْمَاءُ يَقْدُمُهَا سِنَانُ سَلْجَمُ
وَتَرَكْتُ حَنْتَهُ تَرْدُ وَلِيَّهِ وَتَقُولُ لَيْسَ عَلَيَّ فُلَانَةٌ مُقَدَّمُ
وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرَّمَاكِ مُدْجَجًا مِثْلَ الدَّرِيئَةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ

هوازني يذكر إسلام قومه:

قال ابن إسحاق: وقال قائل في هوازن أيضًا، يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه:

أَذْكُرُ مَسِيرَهُمْ لِلنَّاسِ إِذْ جَمَعُوا وَمَالِكُ فَوْقَهُ الرِّيَاضُ تَخْتَفِقُ

من شعر مالك بن عوف

وذكر في آخر بيت من شعر مالك بن عوف:

مِثْلُ الدَّرِيئَةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ

الدريئة: الحلقة التي يتعلم عليها الطعن، وهو مهموز، وتُستحلُّ بالحاء المهملة، وقع في الأصل، وفي غيره: تُسْتَحَلُّ بالحاء مُعْجَمَةً، وهو أظهر في المعنى من الخلال، وقد يكون لِتُسْتَحَلَّ وَحْيُهُ مِنَ الْحَلِّ إِذْ بَعْدَهُ تُشْرَمُ، وكلاهما قريب في المعنى.

ومالك مالك ما فوقه أحد
حتى لقوا الباس حين الباس يقدمهم
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحدا
نمت نزل جبريل بنصرهم
منا ولو غير جبريل يقاتلنا
وفاتنا عمر الفاروق إذ هزموا
يوم حنين عليه التاج ياتلق
عليهم البيض والأبدان والدرق
حول النبي وحتى جثه الغسق
من السماء فمهزوم ومغتنق
لمنعنا إذن أسياقنا العتق
بطعنة بل منها سرجه العلق

جشمية ترثي أخويها:

وقالت امرأة من بني جشم ترثي أخوين لها أصيبا يوم حنين:

أعيني جودا على مالك
هُما القاتلان أبا عامر
هما تركاه لدى مجسد
معا والعلاء ولا تجمدا
وقد كان ذا هبة أزيدا
يئوئ نزيقا وما وسدا

أبو ثواب يهجو قريشا:

وقال أبو ثواب زيد بن صخر، أحد بني سعد بن بكر:

ألا هل أتاك أن غلبت قريش
وكنا يا قريش إذا غضبنا
وكنا يا قريش إذا غضبنا
فأضبخنا تسوقنا قريش
فلا أنا إن سئلت الخسف أب
سينقل لحمها في كل فج
هوازن والخطوب لها شروط
يجيء من الغضاب دم عبيط
كأن أنوفنا فيها سعوط
سياق العير يخذوها التبيط
ولا أنا أن ألين لهم نشيط
وتكتب في مسامعها القوط

ويروى «الخطوط»، وهذا البيت في رواية أبي سعد.

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثواب زياد بن ثواب. وأنشدني خلف الأحمر قوله:

يجيء من الغضاب دم عبيط^(١)

(١) عبيط: أي طري.

وَأَخَرَهَا بَيْتًا عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

ابن وهب يرد على ابن أبي ثواب :

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم ، ثم من بني أسيد ، فقال :

بَشُرْطِ اللَّهِ نَضْرِبَ مَنْ لَقِينَا
وَكُنَّا يَا هَوَازْنَ حِينَ نَلْقَى
بَجَمْعِكُمْ وَجَمْعَ بَنِي قَسِي
أَصَبْنَا مِنْ سَرَاتِكُمْ وَمِلْنَا
بِهِ الْمُلْتَاكَ مُفْتَرِشٌ يَدَيْهِ
فَإِنْ تَكُ قَيْسُ عَيْلَانَ غَضَابَا

شعر خديج في يوم حنين :

وقال خديج بن العوجاء النضري :

لَمَّا دَنَوْنَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَائِهِ
بِمَلْمُومَةٍ شَهْبَاءَ لَوْ قَدَفُوا بِهَا
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَنِي سَرَاتِهِمْ
إِذْ مَا لَقِينَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ

رَأَيْنَا سَوَادًا مِنْكَرِ اللَّوْنِ أَخْصَفَا
شَمَارِيخَ مِنْ عُرْوَى إِذْ عَادَ صَفْصَفَا
إِذْ مَا لَقِينَا الْعَارِضَ الْمُتَكَشِّفَا
ثَمَانِينَ أَلْفًا وَاسْتَمَدُّوا بِخَنْدَفَا

ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان

ولما قَدِمَ قُلُ ثَقِيفِ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصَنَعُوا الصنائعَ للقتال.

غزوة الطائف (١)

ذكر بعضُ أَهْلِ النَّسَبِ أَنَّ الدَّمُونَ بنَ الصَّدِيفِ، واسمُ الصَّدِيفِ: مَلِكُ بنِ مالِكِ بنِ مُرْتَعِ بنِ كِنْدَةَ من حَضْرَمَوْتِ أَصابَ دَمًا من قومه، فلاحقَ بِثَقِيفٍ، فأقامَ فِيهِمْ، وقالَ لَهُمْ: أَلَا ابْنِي لَكُمْ حائِطًا يُطِيفُ ببلَدِكُمْ، فبناه، فَسُمِّيَ بهِ الطائفُ، ذَكَرَهُ الْبَكْرِيُّ هَكَذَا قالَ: وإِنما هُوَ الدَّمُونَ بنُ عُبَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ دَفْقَلٍ، وَهُوَ مِنَ الصَّدِيفِ، وَلَهُ ابْنانِ أَدْرَكَ النَّبِيُّ - ﷺ - وبِإِيعاءِهِ، اسمُ أَحَدِهِما: الْهَمِيلُ، وَالْأُخَرُ: قَبِيصَةُ، وَلَمْ يَذْكُرْهُما أَبُو عُمَرَ فِي الصَّحَابَةِ، وَذَكَرْهُما غَيْرُهُ..

وذكر أَنَّ أَصْلَ أَعْنابِها أَنَّ قَيْسَ بنَ مُثَنِّ، وَهُوَ ثَقِيفٌ أَصابَ دَمًا فِي قومه أَيْضًا، وَهُمْ إِيَادٌ فَفَرَ إِلَى الْحِجَازِ، فَمَرَ بِأَمْرٍ يَهُودِيَّةٍ فَأَوْتَهُ، وَأقامَ عِنْدَها زَمَانًا، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْها، فَأَعْطَتْهُ قُضْبًا مِنَ الْحُبْلَةِ وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَغْرِسَها فِي أَرْضٍ وَصَفَتْها لَهُ، فَأَتَى بِلادَ عَدَوَانَ، وَهُمْ سَكَّانُ الطائفِ فِي ذَلِكَ الزَّمانِ، فَمَرَ بِسُخَيْلَةٍ جاريةِ عامِرِ بنِ الظَّرِيبِ الْعَدَوَانِيِّ، وَهِيَ تَرعى غَنَمًا، فَأَرادَ سِبْأَها، وَأَخَذَ الْغَنَمَ، فَقَالَتْ لَهُ: أَلَا أَدْلُكَ عَلَى خَيْرٍ مِمَّا هَمَمْتَ بِهِ، أَقْصِدْ إِلَى سَيِّدِي وَجَاوِرِهِ فَهُوَ أَكْرَمُ النَّاسِ، فَأَتاهُ فَزَوَّجَهُ مِنْ بِنْتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ عامِرٍ، فَلَمَّا جَلَّتْ عَدَوَانُ عَنْ الطائفِ بِالْحُرُوبِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَها أَقامَ قَيْسٌ، وَهُوَ ثَقِيفٌ، فَمِنْهُ تَناسَلُ أَهْلُ الطائفِ، وَسُمِّيَ: قَيْسًا بِقِسْوَةِ قَلْبِهِ حِينَ قَتَلَ أَخاهُ أَوْ ابْنَ عَمِّهِ، وَقِيلَ: سُمِّيَ ثَقِيفًا لِقَوْلِهِمْ فِيهِ: ما أَثَقَفَهُ حِينَ ثَقِفَ عامِرًا حَتَّى أَمِنَهُ وَزَوَّجَهُ بِنْتَهُ.

(١) انظر البداية (٣٤٤/٤) الطبري (٨٢/٣) الطبقات (١١٤/١/٢) المنتظم (٣٤١/٣) الواقدي (٢٢/٣) ابن حزم (٢٩٠) الزاد (٤٩٥/٣) والبخاري (١٥٦/٥).

ولم يشهد حُنيَّنا ولا خِصارَ الطائف عروة بن مسعود، ولا غَيَّلان بن سَلَمَة، كانا
بجُرَش يتعلَّمان صنعة الدَّبَابات والمَجَانيق والضُّبور.

وذكر بعضُ المفسرين وجهًا آخر في تسميتها بالطائف، فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه في سورة «ن» حيث يقول: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩]. قال: كان الطائف جبريل عليه السلام اقلعها من موضِعها، فأصبحت كالضَّريم، وهو الليل، أصبح موضعها كذلك، ثم سار بها إلى مكَّة، فطاف بها حَوْل البيت، ثم أنزلها حيث الطائف اليوم، فسُمِّيَتْ باسم الطائف الذي طاف عليها، وطاف بها، وكانت تلك الجنة بضروان على فراسخ من صنَعَاء، ومن ثَمَّ كان الماء والشجر بالطائف دون ما حولها من الأرضين، وكانت قصَّة أصحاب الجنة بعد عيسى ابن مريم صَلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلم بيسير، ذكر هذا الخبر النقاش وغيره^(١).

فإن قيل: فإذا كان ثقيف هو قَيْسِي بن مُنْبِي، كما قال ابن إسحق وغيره، فكيف قال سيبويه حاكياً عن العرب: ثقيف بن قَيْسِي، فجعله ابنًا لِقَيْسِي؟

قيل: إنما أراد سيبويه أن الحَيَّ سُمِّيَ ثقيفًا، وهم بنو قَيْسِي، كما قالوا: باهلة بن أَعْصَر، وإنما هي أمهم، ولكن سُمِّيَ الحَيُّ بها، ثم قيل فيه: ابنُ أَعْصَر، كذلك قالوا: ثقيف بن قَيْسِي على هذا، ويُقَوَّى هذا أن سيبويه إنما قال حاكياً: هؤلاء ثقيف بن قَيْسِي.

آلات الحرب المستعملة في الطائف:

فصل: «وذكر تعلَّم أهل الطائف صنعة الدَّبَابات والمَجَانيق والضُّبور. الدَّبَابَة: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبّون بها إلى الأسوار لينقبوها، والضُّبور: مثل رؤوس الأسفاط يتقى بها في الحرب عند الانصراف، وفي العين: الضبر: جلود يغشى بها خشب يتقى بها في الحرب. وفي الحديث عن الزهري أن الله تبارك وتعالى حين مسح بني إسرائيل قردة مسح رمانهم المظ، وبرهم الذرة، وعنبهم الأراك، وجوزهم الضبر، وهو من شجر البرية وله ثمر كالجوز لا نفع فيه، فهذا معنى آخر غير الأول، وقال أبو حنيفة في الضبر: إنه كالجوز ينور ولا يطعم. قال: ويقال: أظل الظلال: ظل الضبرة وظل التنعيمة، وظل الحجر، قال: وورقها كدار كثيفة، فكان ظلها لذلك ألقى كثيف، وأما المظ الذي تقدّم ذكره في الحديث فهو ورمال البر ينور، ولا يثمر، وله جلنار كما للرمال يمتص منه المذخ، وهو غسل كثير يشبع من امتصه حتى يملأ بطنه، ذكره أبو حنيفة من النبات»^(٢).

(١) أقوال تفتقر إلى الدليل الصحيح ليقوم بها.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ط. عبد الرحمن الوكيل رحمه الله تعالى.

ثم سار رسولُ الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين؛ فقال كعب بن مالك، حين أجمع رسولُ الله ﷺ السيرَ إلى الطائف:

شعر كعب

قَضَيْنَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ رَنْبٍ	وَحَيْبَرَ ثُمَّ أَجَمَمْنَا السُّيُوفَا
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	بَسَاحَةِ دَارِكُمْ مِمَّا أَلُوفَا
وَنَشْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ	وَتُضْبِحُ دُورَكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ	يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمْعُثُمْ	لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُزْهَفَاتٍ	يُزِرُّنَ الْمُضْطَلِّينَ بِهَا الْخُتُوفَا
كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا	قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَثِيفَا
تَخَالُ جَدِيَّةُ الْأَبْطَالِ فِيهَا	غَدَاةُ الزُّخْفِ جَادِيًا مَدُوفَا ^(١)

وأما المجانيق: فمعروفة وهي أعجمية عربتها العربُ. قال كُرَاعٌ: كُلُّ كَلِمَةٍ فِيهَا جِيمٌ وَقَافٌ، أَوْ جِيمٌ وَكَافٌ فَهِيَ أَعْجَمِيَّةٌ، وَذَلِكَ كَالْجَوَالِقِ وَالْجَوْلِقِ وَجَلَقَ وَالْكَيْلَجَةِ وَهِيَ مَكِّيَالٌ صَغِيرٌ، وَالْكَفْجَلَارُ وَهِيَ الْمَغْرَقَةُ وَالْقَنْجُ وَهُوَ الْحَجَلُ وَمَا كَانَ نَحْوَ ذَلِكَ، وَالْمِيمُ فِي مِنْجَنِيْقٍ أَصْلِيَّةٌ عِنْدَ سَبْيُوهِ وَالنُّونُ زَائِدَةٌ، وَلِذَلِكَ سَقَطَتْ فِي الْجَمْعِ.

حول شعر كعب

وذكر شعر كعب وفيه:

وكم من معشر ألبوا علينا

أي جمعوا، وصميم الجذم مفعول بألبوا، وفيه يصف السيوف:

كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَثِيفَا

العقائِق: جمع عَقِيقَةٍ، وَهُوَ الْبَرْقُ تَنَقَّقَ عَنْهُ السَّحَابُ.

وقوله: لَمْ تُضْرَبْ كَثِيفًا، جَمْعُ كَثِيفَةٍ، وَهِيَ صَحِيفَةٌ مِنْ حَدِيدٍ صَغِيرَةٍ، وَأَصْلُ الْكَثِيفِ: الضَّيْقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(١) مدوفاً: خليطاً.

أَجِدُّهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ
يُخْبِرُهُمْ بَأْنَا قَدْ جَمَعْنَا
وَأْنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَخْفٍ
رَثِيسُمُ النَّبِيِّ وَكَانَ ضَلْبًا
رَشِيدَ الْأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وَعِلْمٍ
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السَّلَمَ نَقْبَلْ
وَإِنْ تَأْبُوا تُجَاهِذْكُمْ وَنَصْبِرْ
نَجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا
تُجَاهِذُوا لَا تُبَالِي مَنْ لَقِينَا
وَكَمْ مِنْ مَغْشَرٍ أَلْبُوا عَلَيْنَا
أَتُونَا لَا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً
بِكُلِّ مَهْثَدٍ لَيْنِ صَقِيلٍ
لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى
وَتُنْسَى اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَوَدَّ
فَأَمَسُوا قَدْ أَقْرُوا وَاطْمَأَنَّنُوا

مِنْ الْأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا
عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالتُّجَبِ الطُّرُوفَا^(١)
يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صُفُوفَا
نَقِيَّ الْقَلْبِ مُضْطَبِّرَا عَزُوفَا^(٢)
وَجَلَمٍ لَمْ يَكُنْ نَزَقًا خَفِيفَا
هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَوْوَفَا
وَنَجْعَلُكُمْ لَنَا عَضْدًا وَرِيفَا
وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفَا
إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانَا مُضِيفَا
أَاهَكُنَا التَّلَادَ^(٣) أَمْ الطَّرِيفَا^(٤)
صَمِيمَ الْجِذْمِ^(٥) مِنْهُمْ وَالْحَلِيفَا
فَجَدَّعْنَا الْمَسَامِعَ وَالْأَنْوَفَا
يَسْدُقُهُمْ بِهَا سَوْقًا عَنِيفَا
يَقُومُ الدِّينَ مَعْتَدَلًا حَنِيفَا
وَنَسْلُبُهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوفَا^(٦)
وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفَا

(١) الطُروف: النادر المستحسن.

(٢) العزوف: الابتعاد.

(٣) التلاد: المقيم بالمكان قديمًا.

(٤) الطريفا: المقيم بالمكان حديثًا.

(٥) الجذم: القطع.

(٦) الشنوف: ما يعلق بالأذن من خُلِي.

كنانة يرد على كعب

فأجابه كِنَانَةُ بن عبد يَالِيلَ بن عمرو بن عُمَيْر، فقال:

مَنْ كَانَ يَبْغِينَا يُرِيدُ قِتَالَنَا فَإِنَّا بَدَارِ مَغْلَمٍ لَا نَرِيْمُهَا
وَجَدْنَا بِهَا الْآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى وَكَانَتْ لَنَا أَطْوَاؤُهَا^(١) وَكُرُومُهَا
وَقَدْ جَرَّبْنَا قَبْلُ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحَلِيمُهَا
وَقَدْ عَلِمْتُ إِنْ قَالَتْ الْحَقُّ أَنَّنَا إِذَا مَا أَبَتْ صُغْرُ^(٢) الْخُدُودِ نُقِيمُهَا
نُقَوِّمُهَا حَتَّى يَلِينَ شَرِيْسُهَا وَيُعْرِفُ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ ظُلُومُهَا

شعر كنانة

وذكر شعر كِنَانَةَ بن عَبْدِ يَالِيلِ الثَّقَفِيِّ، وفيه:

وكانت لنا أطواؤها وكُرُومُهَا

الأطواء: جمع طَوِيٍّ، وهي البئر، جُمِعَتْ على غير قياس تَوَهَّمُوا سُقُوطَ يَاءٍ فَعِيلٍ مِنْهَا
إِذْ كَانَتْ زَائِدَةً.

وفيها:

وَقَدْ جَرَّبْنَا قَبْلُ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ

إِنَّمَا قَالَ هَذَا جَوَابًا لِلْأَنْصَارِ، لَأَنَّهُمْ بَنُو حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ، وَعَمْرُو
هُوَ مُزَيْقِيَاءُ، وَعَامِرٌ هُوَ مَاءُ السَّمَاءِ، وَلَمْ يُرَدْ أَنْ الْأَنْصَارَ جَرَّبَتْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ
إِخْوَتَهُمْ، وَهُمْ خُزَاعَةٌ لَأَنَّهُمْ بَنُو رَبِيعَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ فِي أَحَدِ الْقَوْلِينَ، وَقَدْ
كَانُوا حَارِبُوهُمْ عِنْدَ نَزُولِهِمْ مَكَّةَ، وَقَالَ الْبُكْرِيُّ فِي مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ: إِنَّمَا أَرَادَ بَنِي عَمْرُو بْنِ
عَامِرٍ بَنِي صَعْصَعَةَ، وَكَانُوا مُجَاوِرِينَ لِثَقِيفٍ وَأُمَّهُمْ عَمْرَةُ بِنْتُ عَامِرٍ بَنِي الطَّرِبِ الْعَدَوَانِيِّ،
وَأُخْتُهَا زَيْنَبُ كَانَتْ تَحْتَ ثَقِيفٍ، وَأَكْثَرُ قَبَائِلِ ثَقِيفٍ مِنْهَا، وَكَانَتْ ثَقِيفٌ قَدْ أَنْزَلَتْ بَنِي
عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ فِي أَرْضِهِمْ لِيَعْمَلُوا فِيهَا، وَيَكُونَ لَهُمُ النَّصْفُ فِي الزَّرْعِ وَالثَّمَرِ، ثُمَّ إِنْ ثَقِيفًا
مَنْعَتْهُمْ ذَلِكَ، وَتَحَصَّنُوا مِنْهُمْ بِالْحَائِطِ الَّذِي بَنَوْهُ حَوْلَ حَاضِرِهِمْ، فَحَارِبَتْهُمْ بَنُو عَمْرُو بْنِ
عَامِرٍ، فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُمْ بِشَيْءٍ، وَجَلَّوْا عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ كِنَانَةُ:

وَقَدْ جَرَّبْنَا قَبْلُ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ

(١) أطواؤها: محصولها. وقيل: آبارها. (٢) صعر: أصحاب السلطان.

كَلَوْنَ السَّمَاءَ زَيَّنَتْهَا نُجُومُهَا
إِذَا جُرَدَتْ فِي غَمْرَةٍ لَا تَشِيْمُهَا

عَلَيْنَا دِلَاصٌ^(١) مِنْ ثَرَاثٍ مُحَرَّقٍ
تُرَفُّهُهَا عُنَا بِبَيْضِ صَوَارِمٍ

قصيدة شداد في المسير إلى الطائف:

قال ابن إسحق: وقال شداد بن عارض الجُشمي في مَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلى الطائف:

وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
وَلَمْ يُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ
يَظْعَنُ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

لَا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إِنْ اللَّهُ مُهْلِكُهَا
إِنْ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْتَغَلَتْ
إِنْ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلُ بِلَادَكُمْ

الطريق إلى الطائف:

قال ابن إسحق: فسلك رسولُ الله ﷺ على نَخْلَةِ الْيَمَانِيَّةِ، ثم على قَرْنٍ، ثم على الْمُلَيْحِ، ثم على بُحْرَةِ الرُّغَاءِ مِنْ لَهْيَةٍ، فابتنى بها مسجدًا فصلَّى فيه.

قال ابن إسحق: فحدَّثني عمرو بن شعيب: أنه أقاد يومئذ ببُحْرَةِ الرُّغَاءِ، حين نزلها، بدم، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام، رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هَذِيلٍ، فقتله به؛ وأمر رسولُ الله ﷺ، وهو بِلَيْثَةٍ، بحصن مالك بن عوف فهُدِمَ، ثم سلك في طريق يقال لها: الضَّبِيقَةُ، فلما توجَّه فيها رسولُ الله ﷺ سأل عن اسمها، فقال: «ما اسمُ هذه الطريق؟» فقيل له: الضَّبِيقَةُ، فقال: «بل هي اليُسْرَى»، ثم خرج منها على نَحْبٍ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها: الصَّادِرَةُ، قَرِيبًا مِنْ مَالِ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَنْ تَخْرُجَ، وَإِذَا أَنْ تُخْرِبَ عَلَيْكَ حَائِطُكَ»؛ فأبى أَنْ يَخْرُجَ، فأمر رسولُ الله ﷺ بإخراجه.

ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى نزل قَرِيبًا مِنَ الطَّائِفِ، فضرب به عسكره، فَقَتِلَ بِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَسْكَرَ اقْتَرَبَ مِنْ حَائِطِ الطَّائِفِ، فَكَانَتِ النَّبْلُ تَنَالُهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا حَائِطَهُمْ، أَغْلَقُوهُ دُونَهُمْ؛ فَلَمَّا أُصِيبَ أُولَئِكَ الْفَرُّ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ وَضَعَ عَسْكَرَهُ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِالطَّائِفِ الْيَوْمَ، فَحَاصَرَهُمْ بَضْعًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً.

البيت ذكره البكري في خبر طويل لخصته.

(١) دلاص: دروع لينة.

قال ابن هشام: ويقال سَنَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ.

قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أُم سَلَمَة بنت أبي أُمَيَّة، ضرب لهما قُبَّتَيْن، ثم صَلَّى بين القُبَّتَيْن. ثم أقام، فلما أَسْلَمْتُ ثَقِيفَ بَنَى عَلَى مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عمرو بن أُمَيَّة بن وهب بن مُعْتَب بن مالك مسجداً، وكانت في ذلك المسجد سارية، فيما يَزْعُمُونَ، لا تَطْلُع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سُمِعَ لها نَقِيسٌ، فحاصروهم رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقَاتَلَهُمْ قِتَالاً شَدِيداً، وتَرَامَوْا بِالثُّبُلِ.

أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِالْمَنْجَنِيقِ

قال ابن هشام: ورماهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَنْجَنِيقِ. حَدَّثَنِي مَنْ أَثَقَ بِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوَّلُ مَنْ رَمَى فِي الْإِسْلَامِ بِالْمَنْجَنِيقِ، رَمَى أَهْلَ الطَّائِفِ.

يَوْمُ الشَّدْحَةِ:

قال ابن إسحاق: حتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الشَّدْحَةِ عِنْدَ جِدَارِ الطَّائِفِ، دَخَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ دَبَابِيَةٍ، ثُمَّ زَحَفُوا بِهَا إِلَى جِدَارِ الطَّائِفِ لِيَخْرِقُوهُ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سِكِّكَ الْحَدِيدِ مُحَمَّاةٌ بِالنَّارِ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالثُّبُلِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رِجَالاً، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفٍ؛ فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ.

أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِالْمَنْجَنِيقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ^(١)

فصل: وذكر حِصَارِ الطَّائِفِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ رَمَى بِالْمَنْجَنِيقِ فِي الْإِسْلَامِ النَّبِيُّ ﷺ.

قال المؤلف: وَأَمَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ: فيذكر أَنَّ جَذِيمَةَ بَنَ مَالِكِ بْنِ فَهْمٍ بَنَ غَنَمِ بْنِ دَوْسٍ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْأَبْرَشِ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِالْمَنْجَنِيقِ، وَكَانَ مِنْ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ، وَكَانَ يُرْعَفُ بِالْوَضَّاحِ، وَيَقَالُ لَهُ أَيْضًا: مُنَادِمُ الْفَرَقْدَيْنِ، لِأَنَّهُ رَبًّا بِنَفْسِهِ عَنْ مُنَادِمَةِ النَّاسِ، فَكَانَ إِذَا شَرَبَ نَادِمُ الْفَرَقْدَيْنِ عُجْبًا بِنَفْسِهِ، ثُمَّ نَادِمَ بَعْدَ ذَلِكَ مَالِكًا وَعَقِيلًا اللَّذَيْنِ يَقُولُ فِيهِمَا مُتَمِّمُ [بَنِ نُؤَيْرَةَ] يَرِثِي أَخَاهُ مَالِكًا:]

وَكُنَّا كُنْذُمَائِي جَذِيمَةَ حِقْبَةَ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا
وَيُذَكَّرُ أَيْضًا أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَوْقَدَ الشَّمْعَ.

(١) انظر الطبقات لابن سعد (٢/١٥٩).

بين أبي سُفيان وثقيف:

وتقدم أبو سُفيان بن حَزْب والمُغيرةُ بن شُعْبة إلى الطائف، فناديا ثقيفًا: أنْ أُمْنونا حتى نكلّمكم، فأمنوهما، فدَعَوْا نساءً من نساء، من قُرَيْش وبني كِنانة ليخرجن إلهما، وهما يخافان عليهنَّ السَّباء، فأبَيْنَ، منهنَّ: آمنَةُ بنت أبي سُفيان، كانت عند عُرْوَةَ بن مسعود، له منها داود بن عُرْوَة.

قال ابن هشام: ويقال إن أُمَّ داود ميمونة بنت أبي سُفيان، وكانت عند أبي مُرَّة بن عُرْوَة بن مسعود، فولدت له داود بن أبي مُرَّة.

قال ابن إسحاق: والفِرَاسِيَّةُ بنت سُويد بن عمرو بن ثعلبة، لها عبد الرحمن بن قارب، والفقيمية أُمَيَّةُ بنت الناسيء أُمَيَّةُ بن قُلْع؛ فلما أبين عليهما، قال لهما ابن الأسود بن مسعود: يا أبا سُفيان ويا مُغيرة، ألا أدلكما على خير مما جئتما له، إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علمتما، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف، نازلًا بواذٍ يقال له: العقيق، إنه ليس بالطائف مال أبعد رِشاء، ولا أشدُّ مُؤَنَّةً، ولا أبعدُ عمارة من مال بني الأسود، وإن محمدًا إن قطعه لم يُغمر أبدًا، فكَلَّمَاهُ فليأخذ لنفسه، أو ليدعُ الله والرحم، فإنَّ بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجهل؛ فزعموا أن رسولَ الله ﷺ تركه لهم.

غيلان بن سلمة:

وذكر حُلَيِّ بادية بنت غِيلَانَ، وهو غِيلَانُ بن سَلَمَةَ الثَّقَفِيّ، وهو الذي أسلم، وعنده عَشْرُ نِسْوَةٍ، فأمره النبي ﷺ أن يُمَسِكَ أربعًا، ويُفارق سائرهنَّ^(١)، فقال فقهاء الحجاز: يختار أربعًا، وقال فقهاء العراق: بل يُمَسِكَ التي تزوّج أولًا، ثم التي تليها إلى الرابعة، واحتجَّ فقهاء الحجاز بأن النبي ﷺ لم يَسْتَفْصِلْ إِيتهنَّ تزوّج أولًا، وتركه للاستفصال دليلٌ على أنه مُخَيَّرٌ حتى جعل الأصوليون منهم هذا أصلًا من أصول العموم، فقال أبو المعالي في كتاب البُرْهان: ترك الاستفصال في حكايات الأخوال مع الاحتمال يتنزّل منزلة العموم في المقال، كحديث غِيلَانَ. وغِيلَانُ هذا هو الذي قَدِمَ على كسرى، فسأله أيّ ولده أحبّ إليه؟ فقال غيلان: الغائب حتى يقدّم، والمريض حتى يُفِيق، والصغير حتى يَكْبُر، فقال له كسرى: ما غذاؤك في بلدك؟ قال: الخبز. قال: هذا عَقْلُ الخبز، تفضيلًا لعقله على عقول أهل الزور،

(١) أخرجه حديثه الترمذي والبيهقي (١٨١/٧) والشافعي في مسنده (٢٧٤) والبغوي في شرح السنة (٨٩/٩) وابن حبان (١٣٧٨ - موارد) - انظر تلخيص الحبير للمحافظ ابن حجر (٣/١٧٠ - بتحقيق).

تفسير أبي بكر لرؤيا الرسول:

وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفاً: يا أبا بكر، إني رأيت آتي أهديت لي قُبَّةً مملوءة زينداً، فنقرها ديك، فهراق ما فيها. فقال أبو بكر: ما أظن أن تُدرك منهم يوماً ما تريد. فقال رسول الله ﷺ: وأنا لا أرى ذلك.

سبب ارتحال المسلمين:

ثم إنَّ خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُلَمية، وهي امرأة عثمان، قالت: يا رسول الله، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حليّ بادية ابنة غيلان بن سلمة، أو حليّ الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف.

ونسب المبرد هذه الحكاية مع كسرى إلى هُوَذَة بن عَليّ الحَنَفِيّ، والصحيح عند الإخباريين ما قدمناه، وكذلك قال أبو الفرج.

بادية بنت غيلان:

وأما بادية ابنته، فقد قيل فيها: بادية بالنون والصحيح بالياء، وكذلك زوي عن مالك، وهي التي قال فيها هيثم المخنث لعبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله عليكم الطائف، فإني أدلك على بادية بنت غيلان، فإنها تُقبِلُ بأزبع وتُدبر بِشمان، فسمعه النبي ﷺ، فقال: «قاتلك الله لقد أمعنت النظر، وقال: لا يدخلن هؤلاء عليكن»^(١) ثم نفاه إلى روضة خاخ، فقيل: إنه يموت بها جوعاً فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس، ويُزوي في الحديث زيادة لم تقع في الصحيح بعد قوله: وتُدبر بِشمان مع ثغر كالأقحوان، إن قامت ثنث، وإن قعدت تَبَثَّ^(٢)، وإن تكلمت تَعَثَّ، يعني من الغثّة، والأصل تَعَثَثَ، فقلبت إحدى النونين ياء، وهي هيفاء، شَمُوع نجلاء كما قال قيس بن الخطيم:

بَيْضَاءُ قَرْعَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا	كَأَنَّهَا خُوطُ بَائَةٍ قَصِفُ
تَنْتَرِقُ الطَّرَفُ، وَهِيَ لَا هَيْةَ	كَأَنَّهَا شَفَّ وَجْهَهَا تُزَفُّ
تَنَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَلِذَا قَا	مَت رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْغَرِفُ

(١) أخرجه البخاري (١٩٨/٥) والبيهقي في الكبرى (٢٢٣/٨) وفي الدلائل (١٦٠/٥) والحميدي (٢٩٧) وانظر الفتح (٤٣/٨) (٣٣٣/١٠).

(٢) تبثت: أي فرجت رجلها لضخم ركبها.

فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: «وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة؟» فخرجت خويلة، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ، فقال: ما حديث حدثتني خويلة، زعمت أنك قلت؟ قال: «قد قلت»؛ قال: أو ما أذن لك فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا». قال: أفلا أودن بالرحيل؟ قال: «بلى». قال: فأذن عمر بالرحيل.

عينه بن حصن

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج: ألا إن الحي مقيم. قال: يقول عيينة بن حصن: أجل، والله مَجْدَةٌ كرامًا، فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ! فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفًا معكم، ولكنني أردت أن يفتح

وفي هذا البيت صَحَف ابنُ دُرَيْدٍ أعني قوله: تَغْتَرِقُ، فقال هو بالعين المهملة، حتى هُجِيَ بذلك، فقيل:

أَلَسْتُ قَدَمًا جَعَلْتَ تَغْتَرِقُ الـ طَرَفَ بَجَهْلٍ مَكَانَ تَغْتَرِقُ
وَقُلْتُ: كَانَ الْخِبَاءُ مِنْ أَدَمٍ وَهُوَ جِبَاءٌ يُهْدَى وَيُضْطَدَّقُ

وكان صَحَفَ أيضًا قول مُهْلَهْلٍ، فقال فيه: الخِبَاءُ، وبإدابة هذه كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، فولدت له جُوَيْرِيَّةُ وهي امرأة المِسُور بن مَخْرَمَةَ.

المخشون الذين كانوا بالمدينة:

وكان الْمُخَشُّونَ على عهد رسول الله ﷺ أربعة: هَيْتُ هذا، وَهَرِمٌ ومَاتِعٌ، وإنه، ولم يكونوا يُزْتَوْنَ بالفَاحِشَةَ الْكُبْرَى، وإنما كان تَأْنِيْهِمْ لِيْنَا فِي الْقَوْلِ وَخِضَابًا فِي الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ كَخِضَابِ النِّسَاءِ، وَلَعِبًا كَلْعِبِهِنَّ، وربما لَعِبَ بَعْضُهُمْ بِالْكَرَّجِ، وفي مراسيل أبي داود أن عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَأَى لَاعِبًا يَلْعَبُ بِالْكَرَّجِ، فقال: «لولا أني رأيت هذا يُلْعَبُ به على عهد النبي - ﷺ - لَنَفَيْتُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ»^(١).

عينه

وذكر عَيْنَةُ بن حِصْنٍ، واسمه: حُذَيْفَةُ، وإنما قيل له: عَيْنَةُ لِشَرِّ كَانَ بَعِينَهُ.

(١) أخرجه أبو داود في مراسيله (٣٩).

محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أئططها، لعلها تلد لي رجلاً، فإن ثقيفاً قوم مناكير.

ونزل على رسول الله ﷺ في إقامته ممن كان محاصراً بالطائف عبيد، فأسلموا، فأعتقهم رسول الله ﷺ.

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

قال ابن إسحق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مكرم، عن رجال من ثقيف، قالوا: لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد، فقال رسول الله ﷺ: «لا، أولئك عتقاء الله»^(١)؛ وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلفة.

قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحق من نزل من أولئك العبيد.

شعر الضحّاك وموضوعه:

قال ابن إسحق: وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمزوان بن قيس الدؤيبى، وكان قد أسلم، وظاهر رسول الله ﷺ على ثقيف، فزعمت ثقيف، وهو الذي تزعم به ثقيف أنها

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

وذكر العبيد الذين نزلوا من الطائف، ولم يُسمهم، ومنهم أبو بكرّة نُفيع بن مسروح تدلّى من سور الطائف على بكرّة، فكنى أبا بكرّة، وهو من أفاضل الصحابة، ومات بالبصرة، ومنهم الأزرق، وكان عبداً للحارث بن كلفة المتطبّب، وهو زوج سُميّة مولاة الحارث أمّ زياد بن أبي سفيان، وأمّ سلمة بن الأزرق، وبنو سلمة بن الأزرق، ولهم صيتٌ وذكُرٌ بالمدينة، وقد انتسبوا إلى غسان، وغلط ابن قتيبة في المعارف، فجعل سُميّة هذه المذكورة أمّ عمار بن ياسر، وجعل سلمة بن الأزرق أخا عمار بن ياسر لأُمّه، وقد ذكر أن الأزرق خرج من الطائف، فأسلم وسُميّة قد كانت قبل ذلك بزمان قتلها أبو جهل، وهي إذ ذاك تحت ياسر أبي عمار، كما تقدّم في باب المبعث، فتبيّن غلط ابن قتيبة ووهمه، وكذلك قال أبو عمر الثمري كما قلت. ومن أولئك العبيد: المُنبعث، وكان اسمه المضطجع، فبدّل النبي ﷺ اسمه، وكان عبداً لعثمان بن عامر بن مُعَتَب.

ومنهم يُحَسُّ الثّبال، وكان عبداً لبعض آل يسار.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٥٩/٥).

من قيس: أن رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس: «خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه»، فلقى أبي بن مالك القُشَيْرِيّ، فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله، فقام في ذلك الضحّاك بن سُفْيَانَ الْكِلَابِيّ، فكلّم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان، وأطلق لهم أبي بن مالك، فقال الضحّاك بن سُفْيَانَ في شيء كان بينه وبين أبي بن مالك:

أَتَنَسَى بِلَائِي يَا أَبَيَّ بْنَ مَالِكٍ غداة الرسول مُعْرِضٌ عَنْكَ أَشْوَسُ
يقودك مَرْوَانُ بْنُ قَيْسٍ بِحَبْلِهِ ذليلاً كما قِيدَ الذَّلُولُ الْمُخَيَّسُ
فَعَادَتْ عَلَيْكَ مِنْ ثَقِيفٍ عِصَابَةٌ متى يَأْتِيهِمْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا
فَكَانُوا هُمُ الْمَوْلَى فَعَادَتْ حُلُومُهُمْ عليك وقد كَادَتْ بِكَ النَّفْسُ تِيَأُسُ

قال ابن هشام: «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحق.

الشهداء في يوم الطائف:

قال ابن إسحق: هذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف:

من قُرَيْشٍ، ثم من بني أُمَيَّةَ بن عبد شمس: سعيد بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّةَ، وعُزْفُطَةُ بن جُنَّابٍ، حليفٌ لهم، من الأسد بن الغوث.

قال ابن هشام: ويقال: ابن حُباب.

قال ابن إسحق: ومن بني تَيْمٍ بن مُرَّةَ: عبد الله بن أبي بكر الصديق، رُمي بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومنهم: وَرْدَانُ جَدُّ الْفُرَاتِ بن زَيْد بن وَرْدَانَ، وكان لعبد الله بن رَبِيعَةَ بن خَرْشَةَ، وإِبْرَاهِيمُ بن جَابِرٍ، وكان أيضاً لِحَرْشَةَ، وجعل النبي ﷺ - وَلَاءَ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ لِسَادَتِهِمْ، حين أسلموا. كل هذا ذكره ابن إسحق في غير رواية ابن هشام.

وذكر أبو عمر فيهم نَافِعُ بن مَسْرُوحٍ، وهو أخو نُفَيْعِ أَبِي بَكْرَةَ، ويقال فيه وفي أخيه ابن الحارث بن كَلْدَةَ.

وذكر ابنُ سَلَامٍ فيهم نَافِعًا مَوْلَى غَيْلَانَ بن سلمة الثقفي، وذكر أن ولّاه رجع إلى غَيْلَانَ حين أسلم وأحسبه وَهَمًا من ابن سَلَامٍ، أو مِمَّنْ رواه عنه، وإنما المعروفُ نافع بن غَيْلَانَ، والله أعلم.

ومن بني مخزوم: عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، ومن رمية رُمِيَهَا يومئذ.
ومن بني عدي بن كعب: عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.
ومن بني سهم بن عمرو: السائب بن الحارث بن قيس بن عدي، وأخوه
عبد الله بن الحارث.

ومن بني سعد بن ليث: جُلَيْحَة بن عبد الله.
واستشهد من الأنصار: من بني سلمة: ثابت بن الجَدْع.
ومن بني مازن بن النجار: الحارث بن سهل بن أبي صغصعة.
ومن بني ساعدة: المنذر بن عبد الله.
ومن الأوس: رُقَيْم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية.
فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً، سبعة من
قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث.

قصيدة بجير في حنين والطائف

فلما انصرف رسولُ الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحِصار، قال بُجَيْر بن
زُهَيْر بن أبي سُلَمَى يذكر حُتَيْناً والطائف:
كانت عِلَالَة يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ وغداة أوطاسٍ ويومَ الأبرقِ

من نسب بجير بن زهير:

وذكر شعر بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبي سُلَمَى، واسم أبي سُلَمَى: رَبِيعَة، وهو من بني
لاطِم بن عُثْمَانَ، وهي مُزَيْنَة، عرفوا بأمتهم، وقد قدمنا أنها بنت كلب بن وَبَرَة، وأن أختها
الحوأب، وبها سُمِّي ماء الحَوأب، وعُثْمَان هو ابن أَد بن طابخة.

حول شعر بجير

وقوله:

كانت عِلَالَة يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ
هذا من الإقواء الذي تقدّم ذكره، وهو أن ينقُص حَزَقًا من آخر القَسِيم الأوّل من
الكامل، وهو الذي كان الأَصْمَعِي يسمّيه المُقْعَد.

جَمَعَتْ بَاغَوَاءِ هَوَازُنْ جَمَعَهَا
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَامًا وَاحِدًا
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لَكَيْمَا يَخْرُجُوا
تَرْتَدَّ حَسْرَانَا إِلَى رَجْرَاجَةٍ
مَلُومَةٍ خَضِرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا
مَشْيَ الضَّرَاءِ عَلَى الْهَرَّاسِ كَأَنَّا
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَخَصَّنَتْ
جُدُلٌ تَمَسُّ فُضُولَهُنَّ نَعَالِنَا
فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمَتَمَرِّقِ
إِلَّا جِدَارَهُمْ وَبِطْنِ الْخَنْدَقِ
فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِبَابٍ مُغْلَقٍ
شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْمَنَابِيا فَيَلْقِي
حَصْنًا لَظْلٌ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ
قُدْرُ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِي
كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتَرَفْرِقِ
مَنْ نَسَجَ دَاوُدَ وَآلٍ مُحَرَّقِ

وقوله: كانت عُلاَّة. العُلاَّة: جَزْيٌ بعد جَزْيٍ، أو قِتَالٌ بعد قِتَالٍ، يريد: أن هَوَازُنْ جمعت جَمَعَهَا عُلاَّةً في ذلك اليوم، وحذف التنوين من عُلاَّة ضرورةً، وأضمر في كانت اسمها، وهو القصة، وإن كانت الرواية بخفض يوم، فهو أولى من التزام الضُّرورة القبيحة بالنَّصْب، ولكن أَلْفَيْتُهُ في النسخة المقيدة، وإذا كَانَ اليومُ مخفوضًا بالإضافة جاز في عُلاَّة أن يكون منصوبًا على خبر كان، فيكون اسمها عائداً على شيء تقدّم ذكره، ويجوز الرفع في عُلاَّة مع إضافتها إلى يوم على أن تكون كان تامةً مكتفيةً باسم واحد، ويجوز أن تجعلها اسمًا علمًا للمصدر مثل بَرَّة وفجارٍ، وينصب يومٌ على الظرف كما تقيد في النسخة.

وقوله: تَرْتَدَّ حَسْرَانَا، جمع: حَسِير وهو الكَلِيلُ. والرَّجْرَاجَةُ: الكَتِيبَةُ الضَّخْمَةُ من الرَّجْرَجَةِ، وهي شِدَّةُ الحركة والاضطراب. وَفَيَلَقُ: من الْفَلَقِ، وهي الداهية. وَالْهَرَّاسُ: شَوْكٌ معروف والضَّرَاءُ: الكلاب، وهي إذا مَشَتْ فِي الْهَرَّاسِ ابتغت لأيديها موضعًا، ثم تضع أرجلها في موضع أيديها، شَبَّه الخيل بها. وَالْقُدْرُ: الْوَعُولُ الْمُسَيَّئَةُ. وَالنَّهْيُ: الْغَدِيرُ، سَمِيَ بذلك، لأنه ماء نَهَاءَ ما ارتفع من الأرض عن السَّيْلَانِ فوقف.

وقوله: جُدُلٌ: جمع جَذَلَاءَ، وهي الشديدة القَتْلِ، ومن رَوَاه: جَذِلٌ، فمعناه: ذات جَذِلٍ.

وقوله: وَآلٍ مُحَرَّقٍ يعني عُمَرَ بن هِنْدٍ مَلِكَ الْحِيرَةِ، وقد تقدّم في أول الكتاب سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بِمُحَرَّقٍ، وفي زمانه وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فيما ذكروا - والله أعلم.

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دُخْنا حتى نزل الجعفرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبْي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعَن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأَتِ بِهِمْ»^(١).

ثم أتاه وفد هوازن بالجعفرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبْي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى ما عدته.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو: أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أضلّ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا، من الله عليك. قال: وقام رجل من هوازن، ثم أخذ بني سعد بن بكر، يُقال له: زهير، يكنى أبا صرد، فقال: يا رسول الله،

دخنا ومسح ظهر آدم

فصل: وذكر انصراف النبي ﷺ عن الطائف على دُخْنا. ودُخْنا هذه هي التي خُلِق من تُرْبها آدم صلي الله على نبينا وعليه، وفي الحديث: «إن الله خلق آدم من دُخْنا، ومسح ظهره بِنُغْمَان الْأَزْأَكِ»^(٢) رواه ابن عباس، وكان مسح ظهر آدم بعد خروجه من الجنة باتفاق من الروايات، واختلفت الرواية في مسح ظهره، فروي ما تقدّم، وهو أصح، وروي أن ذلك كان في سماء الدنيا قبل هبوطه إلى الأرض، وهو قول السدي، وكلتا الروايتين ذكرهما الطبري.

وقوله: حتى نزل الجعفرانة، بسكون العين فيها هو أصح الروايتين، وقد ذكر الخطابي أن كثيرًا من أهل الحديث يشددون الرءاء، وقد ذكر أن المرأة التي نُقِضت غَزْلُها من بعد قُوّة كانت تُلقَّب بالجعفرانة، واسمها: زَيْطَةُ بنت سَعْد، وأن الموضع يسمّى بها، والله أعلم.

حول قول زهير أبي صرد:

فصل: وذكر زهيرًا أبا صرد، وقوله للنبي ﷺ: ولو أنا ملَخْنَا للحارث بن أبي شمر،

(١) أخرجه البخاري (٣٦/٨) ومسلم في الجهاد (١٧٧٨) وأحمد (٣/٣٤٣) والترمذي (٣٩٣٧) وابن سعد في الطبقات (١٥٩/٢).

(٢) لا صحّة له.

إنما في الحظائر عَمَّاتِك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنَّ يكفُلُنك، ولو أنا مَلَحْنَا للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

قال ابن هشام: ويروى: ولو أنا مَلَحْنَا الحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله، خَيْرَتُنَا بين أموالنا وأحسابنا، بل تَرُدُّ إلينا نساءنا وأبنائنا، فهو أحبُّ إلينا؛ فقال لهم: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيك عند ذلك، وأسأل لكم»، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «وأما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم». فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو قُرَازَةَ فلا. وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال: يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وَهْتُمُونِي.

أو للنعمان بن المنذر، وقد تقدّم في أول الكتاب التعريف بالحارث والنعمان، ومَلَحْنَا: أَرْضَعْنَا، والمِلْحُ: الرضاع قال الشاعر:

فلا يُبْعِدُ الله رَبَّ العِيبِ	دِ والمِلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَةَ
هَمْ المَطْعِمُو الضَّيْفِ شَحْم السَّنَا	م والكاسِرُ والليلَةُ البَارِدَةُ
وَهُمْ يَكْسِرُونَ صُدُورَ القَنَا	بِالْخَيْلِ تُطْرَدُ أَوْ طَارِدَةُ
فإن يكن الموتُ أفتناهم	فَلِلمَوْتِ مَا تَلِدُ الوَالِدَةُ

وأما زُهَيْرُ الذي ذكره فهو ابن صُرْدٍ يُكْنَى أبا صُرْدٍ، وقيل: أبا جَزُولٍ، وكان من رؤساء بني جُشَم، ولم يذكر ابن إسحاق شعره في النبي ﷺ ذلك اليوم في رواية البكائي وذكره في رواية إبراهيم بن سعد عنه وهو:

أَمْسُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللهِ فِي كَرَمٍ فإنك المرءُ نرجوه وننتظر

فقال رسول الله ﷺ: «أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان سيث فرائض، من أول سبي أصييه، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم».

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي: أن رسول الله ﷺ أعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه جارية، يقال لها: زينة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطى عثمان بن عفان جارية، يقال لها: زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان، وأعطى عمر بن الخطاب جارية، فوها لعبد الله بن عمر ابنه.

أَمْثُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ	مُمَزَّقٌ شَمَلُهَا فِي دَهْرِهَا غَيْرُ
يَا خَيْرَ طِفْلٍ وَمَوْلُودٍ وَمُنْتَحَبٍ	فِي الْعَالَمِينَ إِذَا مَا حُصِّلَ الْبَشَرُ
إِنْ لَمْ تَذَارِكْهُمْ نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا	يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ
أَمْثُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا	إِذْ فُوكَ تَمْلَأُ مِنْ مَخْضِهَا الدَّرَرُ
إِذْ كُنْتَ طِفْلًا صَغِيرًا كُنْتَ تَرْضَعُهَا	وَإِذَا يَزِيدُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
لَا تَجْعَلْنَا كَمَنْ شَالَتْ نِعَامَتُهُ	وَاسْتَبَقِيَ مِنَّا مِنْهُ مَعْشَرُ زُهْرُ
يَا خَيْرَ مَنْ مَرَحَتْ كُمْتُ الْجِيَادِ بِهِ	عِنْدَ الْهَيَاجِ إِذَا مَا اسْتَوْقَدَ الشَّرَرُ
إِنَّا لَنَشْكُرُ آلَاءَ وَإِنْ كُفِرَتْ	وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مُدْخَرُ
إِنَّا نَوْمِلُ عَفْوًا مِنْكَ تُلَيْسُهُ	هَذِي الْبَرِيَّةُ إِذْ تَغْفُو وَتَنْتَصِرُ
فَاغْفِرْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاجِبُهُ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظُّفَرُ

من أحكام السبايا:

فصل: وذكر رد السبايا إلى هوازن، وأنه من لم تطب نفسه بالرد عوّضه مما كان بيده، واستطاب نفوس الباقيين، وذلك أن المقاسم كانت قد وقعت فيهم، ولا يجوز للإمام أن يُمَنَّ على الأسرى بعد القسم، ويجوز له ذلك قبل المقاسم، كما فعل النبي ﷺ - بأهل خيبر حين من عليهم، وتركهم عملاً للمسلمين في أرضهم التي افتتحوها عنوة، كذلك قال أبو عبيد، قال: ولا يجوز للإمام أن يُمَنَّ عليهم، فيردّهم إلى دار الحرب، ولكن على أن يؤدوا الجزية، ويكونوا تحت حكم المسلمين، قال: والإمام مخير في الأسرى بين القتل والفداء والمن والاسْتِزْقَاقَ والفداء بالنفوس لا بالمال كذلك، قال أكثر الفقهاء هذا في الرجال، وأما الذراري والنساء، فليس إلا الاستِزْقَاقَ، أو المُفَادَاةَ بالنفوس دون المال كما تقدّم.

قال ابن إسحاق: فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمَح، لِيُصْلِحُوا لي منها، ويهيئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيها إذا رجعت إليها. قال: فخرجت من المسجد حين فَرَعْتُ، فإذا النَّاسُ يَشْتَدُونَ؛ فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: ردَّ علينا رسولُ الله ﷺ نساءنا وأبنائنا؛ فقلت: تلکم صاحبُکم في بني جُمَح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها، فأخذوها.

وذكر الجارية التي أُعْطِيَهَا عبد الله بن عمر، وأنه بعث بها إلى أخواله من بني جُمَح لِيُصْلِحُوا له منها كي يصيها، وهذا لأنها كانت قد أسلمت، لأنه لا يجوز وَطْءَ وَثْنِيَّةٍ ولا مَجُوسِيَّةٍ بِمَلِكٍ يَمِينٍ، ولا بنكاح حتى تُسَلِّمَ، وإن كانت ذات زَوْج، فلا بد أيضًا من استبْرأها، وأما الكتابيات، فلا خلاف في جوازِ وَطْئِهنَّ بِمَلِكٍ يَمِينٍ، وقد رُوي عن طائفة من التابعين منهم عمرو بن دينار إباحةَ وَطْءِ المَجُوسِيَّةِ والوثنية بِمَلِكٍ يَمِينٍ، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنُ﴾ [البقرة: ٢٢١] تحريم عام إِلَّا ما خَصَّصَتْهُ آيَةُ المائدة من الكتابيات، والنكاح يقع على الوطء بالعقد والمَلِكِ.

حول سبي حنين:

وكان سبْيُ حُنَيْنٍ ستَّةَ آلافِ رَأْسٍ، وكان النبي ﷺ - قد وَلَّى أبا سُفْيَانَ بن حرب أمرهم، وجعله أَمِيئًا عليهم، قاله الزبير، وفي حديث آخر ذكره الزبير بإسناد حَسَنٍ أن أبا جَهْم بن حَذِيفَةَ العَدَوِيِّ كان على الأنفال يوم حُنَيْنٍ، فجاء خالدُ بن البرصاء، فأخذ من الأنفال زمامَ شَعْرِ فمانعه أبو جَهْم، فلما تمانعا ضربه أبو جَهْم بالقَوْسِ فَشَجَّهُ مُنْقَلَةً^(١)، فاستعدى عليه خالدُ رسولُ الله ﷺ - فقال له: خذ خمسين شاةً ودَّعْه، فقال: أَقْذِنِي منه، فقال: خذ مائة، ودَّعْه، فقال: أَقْذِنِي منه، فقال: خذ خمسين ومائة ودَّعْه، وليس لك إِلَّا ذلك، ولا أَقْصُكَ مِنْ وَالٍ عَلَيْكَ، فَقَوِّمَتِ الخُمُسُونَ والمائة بخمسينَ عَشْرَةً فَرِيضَةً من الإبل، فمن هنالك جعلت دِيَّةُ الْمُنْقَلَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ فَرِيضَةً.

إعطاء المؤلف قلوبهم من الغنائم:

فصل: وأما إعطاء رسول الله ﷺ المؤلف قلوبهم من غنائم حُنَيْنٍ حتى تكلمت الأنصارُ في ذلك، وكثرت منهم القالة، وقالت: يُعْطِي صَنَائِدَ الْعَرَبِ ولا يُعْطِينَا، وأسيأنا نَقْطُرُ من دمائهم، فللعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال: أحدها أنه أعطاهم من خُمُسِ الخُمُسِ، وهذا القول مَزْدُودٌ لأن خُمُسَ الخُمُسِ مِلْكٌ له ولا كلام لأحد فيه.

(١) المنقلة: الشجة أو الضربة التي تنقل العظم.

قال ابن إسحاق: وأما عُيَيْنَةُ بن حِصْن، فأخذ عَجُوزًا من عجائز هِوَازَن، وقال حين أخذها: أرى عَجُوزًا إني لأَحْسِبُ لها في الحَيِّ نَسَبًا، وعسى أن يعظُمَ فِدَاؤُها فلما ردَّ رسولُ الله ﷺ السَّيَّابَا بَسْتَ فرائض، أباي أن يرُدَّها، فقال له زُهَيْرُ أَبُو صُرَد: خُذْها عنك، فوالله ما فُؤوها بِنَارِدٍ، ولا تُذْيِئُها بِنَاهِدٍ، ولا بطنها بوالِدٍ، ولا زَوْجُها بواجِد، ولا دَرُها بَمَكِيدٍ. فردَّها بِسَتْ فرائض حين قال له زُهَيْر ما قال؛ فزَعَمُوا أن عُيَيْنَةَ لَقِيَ الْأَقْرَعَ بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنك والله ما أَخَذْتَها بِضَاءٍ غَرِيرَةٍ، ولا نَصَفًا وَثِيرَةٍ.

القول الثاني: أنه أعطاهم من رأس الغنيمة، وأن ذلك خُصُوصٌ بالنبي ﷺ لقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] وهذا القول أيضًا يرده ما تقدّم من نسخ هذه الآية، وقد تقدّم الكلام عليها في غزوة بدر، غير أن بعض العلماء لهذا القول بأن الأنصار لما انهزموا يوم حُتَيْنٍ فأيد الله رسولَه وأمدَه بملائكته، فلم يرجعوا حتى كان الفتح، ردَّ الله تعالى أمرَ المغنم إلى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيئًا وقال لهم: «أَلَا تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أن يذهبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رَحَالِكُمْ»، فطِيبَ نَفُوسَهُمْ بذلك بعد ما فعل ما أمر به.

والقول الثالث: وهو الذي اختاره أبو عُبَيْدٍ أن إعطاءهم كان من الخُمُس حيث يرى أن فيه مصلحةً للمسلمين.

فصل: ومما لم يذكر ابن إسحاق يوم حُتَيْنٍ أن خالد بن الوليد أثقل بالجراحة يومئذ، فاتاه النبي ﷺ يقول: «مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى رَحْلِ خَالِدٍ حَتَّى دُلُّ عَلَيْهِ»، فوجده قد أسند إلى مؤخرة رحله، فنفت على جُرْجِه قَبْرِيءَ^(١)، ذكره الكشي.

وصف عَجُوزِ ابن حصن:

فصل: وذكر عُيَيْنَةُ بن حِصْن، وقولَ زُهَيْرِ بنِ صُرَدٍ له في العَجُوزِ التي أخذها: ما فُؤوها بِنَارِدٍ، ولا تُذْيِئُها بِنَاهِدٍ، ولا دَرُها بَمَكِيدٍ، ويقال أيضًا: بِنَاكِدٍ، يريد: ليست بِغَزِيرَةٍ الدَّرُ، والثَّقُودُ التُّكْدُ: الغزيرات اللَّبَنُ، وأحسبه من الأضداد، لأنه قد يقال أيضًا نَكَدَ لِبُئْها إذا نقص، قاله صاحب العين، والصحيح عند أكثرهم أن التُّكْدَ هي القليلات اللبن من قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾ [الأعراف: ٥٨] وأن المُكْدَ بالميم هي الغزيرات اللَّبَنُ، قال ابن سراج، لأنه من مَكْدٍ في المكان إذا أقام فيه، وقد يقال أيضًا: نَكَدَ في معنى مَكَدَ، أي: ثَبَّت.

(١) أخرجه أحمد (٣٥١/٨٨/٤) والحميدي (٨٩٧) والبيهقي في الدلائل (١٤٠/٥).

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل»^(١)، فأُتي مالكٌ بذلك، فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر براحلته فهيئت له، وأمر بفرس له فأُتي به إلى الطائف، فخرج ليلاً، فجلس على فرسه، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحبس، فركبها، فلحق برسول الله ﷺ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم:

ما إن رأيت ولا سمعتُ بمِثْلِهِ	في النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدِي	وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدِ
وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا	بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدٍ
فَكَأَنَّهُ لَيْتَ عَلَى أَشْبَالِهِ	وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه؛ وتلك القبائل: ثُمَالَةُ، وَسَلِمَةُ،

الأقرع بن حابس:

وذكر الأقرع بن حابس، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه بعد، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] أفي كل عام يا رسول الله؟ قال: «لو قُلْتُهَا لَوَجِبَتْ»^(٢)، وهو الذي قال للنبي ﷺ حين أقطع أبيض بن حَمَالٍ الماء الذي بمارب: أتدري ما أقطعته يا رسول الله؟ إنما أقطعته الماء العِدَّ، فاسترجعه النبي ﷺ -^(٣) وهو حديث مشهور، غير أنه لم يُسمَّ قائل هذا الكلام فيه إلا الدارقطني في روايته، وزاد فيه أيضاً: قال أبيض: على أن يكون صدقة مني يا رسول الله على المسلمين، فقال: «نعم»، وأما نسب الأقرع بن حابس، فهو ابن حابس بن عقال بن محمد بن سُفْيَانَ بن مُجَاشِع [بن دارم] التميمي المَجَاشِعِيُّ الدَّارِمِيُّ، وأما عُيَيْنَةُ، فاسمه: حُذَيْفَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَذْرِ الْفَزَارِيِّ، وقد تقدّم ذكره.

مالك بن عوف:

فصل: وذكر تولية النبي ﷺ مالك بن عوف على ثُمَالَةَ وبنِي سَلِمَةَ وَفَهْم. وثمانية هم

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٩٨/٥).

(٢) أخرجه مسلم في الحج (٤١٢) والدارقطني (٢٧٩/٢) - بتحقيقي - والحاكم (٤٧٠/١).

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى والدارقطني.

وفهم، فكان يُقاتل بهم ثقيفًا، لا يخرج لهم سَرْخٌ إلا أغار عليه، حتى ضَيَّقَ عليهم؛ فقال أبو مِخْجَن بن حَبِيب بن عمرو بن عُمَيْرِ الثَّقَفِيِّ:

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ثُمَّ تَغَزَوْنَا بَنُو سَلِمَةَ
وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمْ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَةِ
وَأَتَوْنَا فِي مَنَازِلِنَا وَلَقَدْ كُنَّا أُولَى نَقِمَةٍ

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من ردِّ سبايا حُنين إلى أهلها، ركب، واتَّبعه الناس يقولون: يا رسول الله، أقسِمَ علينا قَيْتَنَا من الإبل والغنم، حتى ألْجَأْتَهُ إلى شجرة، فاخْتِطَفَتْ عنه رداءه؛ فقال: أدُّوا عليَّ ردائي أيُّها النَّاسُ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجرِ يَهَامَةَ نَعْمًا لقسمته عليكم، ثم ما أَلْفَيْتُمُونِي بخيلاً ولا جباناً ولا كَذَّاباً، ثم قام إلى جنبِ بَعِيرٍ. فأخَذَ وَبَرَةً من سَنَامِهِ، فجعلها بين أَضْبَعَيْهِ، ثم رفعها، ثم قال: أيُّها النَّاسُ، والله مالي من قَيْتِكُمْ ولا هذه الْوَبْرَةُ إِلَّا الْخُمْسُ، وَالْخُمْسُ مردود عليكم. فأدُّوا الْخِيَاطَ وَالْمُخَيِّطَ، فَإِنَّ الْعُلُولَ يكون على أهلِهِ عَارًا ونَارًا وشَنَارًا يومَ الْقِيَامَةِ. قال: فجاء رجل من الْأَنْصَارِ بِكُبَّةٍ من خُيُوطِ شَعْرٍ، فقال: يا رسول الله، أَخَذْتُ هذه الْكُبَّةَ أَعْمَلُ بِهَا بَرْذَعَةَ بَعِيرٍ لِي دَبِيرٍ؛ فقال: أما نصيبِي منها فلك! قال: أُمَّا إِذْ بَلَغْتَ هذا فلا حاجةَ لِي بِهَا، ثم طَرَحَهَا من يده.

بنو أسلم بن أَخَجَنِ أُمُهُمْ: ثُمَالَةُ، وقول أبي مِخْجَنِ فِيهِ:

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ثُمَّ تَغَزَوْنَا بَنُو سَلِمَةَ

هكذا تَقَيَّدَ في النسخة بكسر اللام، والمعروف في قبائل قَيْسٍ: سَلَمَةُ بِالْفَتْحِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْأَزْدِ، فَإِنَّ ثُمَالَةَ الْمَذْكُورِينَ مَعَهُمْ حَيٌّ مِنَ الْأَزْدِ وَفَهُمْ مِنْ دَوْسٍ، وَهُمْ مِنَ الْأَزْدِ أَيْضًا، وَأُمُهُمْ: جَدِيدِلَّةٌ وَهِيَ مِنْ عَطْفَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ غَيْلَانَ، عَلَى أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ فِي الْأَزْدِ سَلَمَةُ إِلَّا فِي الْأَنْصَارِ، وَهُمْ مِنَ الْأَزْدِ وَسَلَمَةُ أَيْضًا فِي جُعْفَى هَمْ، وَسَلَمَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ذُهَلٍ بْنِ مُرَّانٍ بْنِ جُعْفَى، وَسَلَمَةُ فِي جُهَيْنَةَ أَيْضًا سَلَمَةُ بْنُ نَضْرٍ بْنِ عَطْفَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ وَجُعْفَى مِنْ مَذْجِجٍ، وَجُهَيْنَةُ مِنْ قُضَاعَةَ.

وَأَمَّا مِخْجَنُ، فَاسْمُهُ: مَالِكُ بْنُ حَبِيبٍ، وَقِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غَيْرَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ قَيْسِ الثَّقَفِيِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَسَبُ أَخَجَنٍ عِنْدَ ذِكْرِنَا لَهَبٍ بْنِ أَخَجَنٍ قَبْلَ بَابِ الْمَبْعَثِ.

وَذَكَرَ أَبَا السَّائِلِ بْنِ بَعْكُكْ، وَاسْمُهُ: حَبَّةُ أَحَدِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَكَانَ شَاعِرًا وَحَدِيثُهُ مَعَ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ حِينَ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا مَذْكَورٌ فِي الصَّحَاحِ.

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عَقِيل بن أبي طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبَةَ بن ربيعة، وسيفه متلَطَّخ دَمًا، فقالت: إني قد عرفت أنك قد قتلت، فماذا أصبت من غنائم المشركين؟ فقال: دونك هذه الإبرة تَخِيطِينَ بها ثِيَابَكَ، فدفعها إليها، فسمع مُنَادِي رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شيئًا فليردّه، حتى الخِياط والمُخِيط». فرجع عَقِيل، فقال: ما أَرَى إِبْرَتَكَ إِلَّا قد ذهبت، فأخذها، فألقاها في الغنائم.

قال ابن إسحق: وأعطى رسول الله ﷺ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ، وكانوا أشرافًا من أشراف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حَكِيم بن حِزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلْدَةَ، أخا بني عبد الدار مائة بعير.

قال ابن هشام: نُصِرَ بن الحارث بن كَلْدَةَ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضًا. قال ابن إسحق: وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سُهَيْل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حُوَيْطِب بن عبد العزى بن أبي قَيْس مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثَّقُفِي، خليف بني زُهْرَةَ مائة بعير، وأعطى عُيَيْنَةَ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بَذْر مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير. وأعطى مالك بن عوف النَّضْرِي مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المئين.

وأعطى دون المائة رجالًا من قُرَيْش، منهم مَخْرَمَةُ بن نوفل الزُهْرِي، وعُمَيْر بن وهب الجُمَحِي، وهشام بن عَمْرُو أخو بني عامر بن لُؤَيٍّ، لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفت أنها دون المائة، وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنَكَّةَ بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السَّهْمِيَّ خمسين من الإبل.

قال ابن هشام: واسمه عدي بن قيس. قال ابن إسحق: وأعطى عباس بن مِزْدَاس أَبَاعَرَ فسَخِطَها، فعاتب فيها رسول الله ﷺ، فقال عباس بن مِزْدَاس يُعَاتِبُ رسول الله ﷺ:

كَأَنَّ نَهَابًا تَلَا فَيَنْتُهَا	بَكَرَتِي عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرِ
وَيَقَاطِي الْقَوْمَ أَنْ يَزُقُّدُوا	إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ
فَأَصْبَحَ نَهَبِي وَنَهَبُ الْعُبَيْدِ	بَيْنَ عَيْنَيْتِ وَالْأَقْرَعِ

وقد كنت في الحزبِ ذا تُذَرِّإِ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعِ
إِلَّا أَفَائِلَ أُعْطِیْتُهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَزْبَعِ
وما كَانَ حِضْنٌ وَلَا حَابِسٌ يفوقَانِ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ
وما كنتُ دون امرئٍ منهما وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُزْفَعِ
قال ابن هشام: أنشدني يونس النخوي:

فَمَا كَانَ حِضْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسٍ فِي الْمَجْمَعِ
قال ابن إسحق: فقال رسول الله ﷺ: «اذهبوا به، فاقطعوا عني لسانه»^(١)، فأعطوه
حتى رَضِيَ، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ.
قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم: أن عباس بن مرداس أتى رسول
الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أنت القاتل ﷺ:

«فأصبح نَهْيِي ونَهْبُ الْعُبَيْدِ بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَعُيَيْنَةَ؟»

فقال أبو بكر الصديق: بين عُيَيْنَةَ وَالْأَفْرَعِ؛ فقال رسول الله ﷺ: «هما واحد»؛
فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩].

قول النبي ﷺ لمرداس:

فصل: وذكر قول النبي ﷺ لعباس بن مرداس أنت القاتل: فأصبح نَهْيِي ونَهْبُ الْعُبَيْدِ
بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَعُيَيْنَةَ^(٢)؟

فقال أبو بكر الصديق: بين عُيَيْنَةَ وَالْأَفْرَعِ، فقال رسول الله ﷺ: «هما واحد»، يعني
في المعنى، وأما في الفصاحة، فالذي أُجْرِيَ على لسانه ﷺ هو الأفصح في تنزيل الكلام
وترتيبه، وذلك أن الْقَبْلِيَّةَ تكون بِالْفَضْلِ نحو قوله تعالى: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾
[النساء: ٦٩] وتكون بِالرُّتْبَةِ نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى، فقدم اليهود
لمجاورتهم المدينة، فهم في الرتبة قبل النصارى، وَقَبْلِيَّةٌ بِالزَّمَانِ نحو ذكر التَّوْرَةِ والإنجيل
بعده ونوحًا وإبراهيم، وَقَبْلِيَّةٌ بِالسَّبَبِ، وهو أن يَذْكُرَ ما هو علَّةُ الشيء وَسَبَبُ وجوده، ثم
يُذَكِّرُ الْمُسَبَّبَ بعده، وهو كثير في الكلام مثل أن يَذْكُرَ معصيةً وعقابًا أو طاعةً وثوابًا فالأجود
في حكم الْفَصَاحَةِ تقديم السبب.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٨٣/٥) والطبري في تاريخه (١٧٥/٢).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٨٣/٥).

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم في إسناده، عن ابن شهاب الزهري، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عُتْبَةَ، عن ابن عباس، قال: بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حَيِّن.

من بني أُمَيَّة بن عبد شمس: أبو سُفْيَان بن حرب بن أُمَيَّة، وطلّيق بن سُفْيَان بن أُمَيَّة، وخالد بن أُسَيْد بن أَبِي الْعَيْص بن أُمَيَّة.

ومن بني عبد الدار بن قَصِيّ: شَيْبَة بن عثمان بن أَبِي طَلْحَة بن عبد العُزَى بن عثمان بن عبد الدار، وأبو السَّنَابِل بن بَعْكُك بن الحارث بن عَمِيلَةَ بن السَّبَّاق بن عبد الدار، وعِكرمة بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدار.

ومن بني مخزوم بن يقظة: زُهَيْر بن أَبِي أُمَيَّة بن المَغيرة، والحارث بن هشام بن المَغيرة، وخالد بن هشام بن المَغيرة، وهشام بن الوليد بن المَغيرة، وسُفْيَان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والسَّائِب بن أَبِي السَّائِب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني عديّ بن كَعْب: مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلَة، وأبو جَهْم بن حُذَيْفَة بن غانم.

ومن بني جَمَح بن عمرو: صفوان بن أُمَيَّة بن خلف، وأَحِيحَة بن أُمَيَّة بن خَلَف، وعمير بن وهب بن خَلَف.

ومن بني سَهْم: عديّ بن قيس بن حذافة.

ومن بني عامر بن لؤي: حُوَيْطِب بن عبد العُزَى بن أَبِي قَيْس بن عبد وَدّ هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيْب.

ومن أفناء القبائل: من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة: نوفل بن معاوية بن عروة بن صَخْر بن رَزْن بن يَعْمَر بن ثَفَّالَة بن عديّ بن الدَّيْل.

القبليّة بين الأقرع وعيينة:

والأقرع وعُيَيْنَة من باب قَبْلِيَّة المَرْتَبَة، وَقَبْلِيَّة الفَضْل، أما قَبْلِيَّة الرُّتْبَة فإنه من خِندِف، ثم من بني تميم، فهو أقرب إلى النبي ﷺ من عُيَيْنَة، فترتب في الذكر قَبْلَه، وأما قَبْلِيَّة الفَضْل، فإن الأقرع حَسَن إسلامه وعُيَيْنَة لم يزل مَعْدُودًا في أهل الجَفَاء حتى ارتدَّ وأَمَن بِطَلْحِيحَة، وأخذ، أسيرًا فجعل الصَّبِيَّان يقولون له - وهو يساق إلى أبي بكر - وَنَحْكَ يَا عَدُوّ

ومن بني قَيْس، ثم من بني عامر بن صعصعة، ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بني عامر بن ربيعة: خالد بن هُوَذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحرملة بن هُوَذَة بن ربيعة بن عمرو.

ومن بني نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع.

ومن بني سُلَيْم بن منصور: عباس بن مِزْداس بن أَبِي عامر، أخو بني الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيْم.

ومن بني غطفان، ثم من بني فزارة: عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُدَيْفَة بن بدر.

ومن بني تميم ثم من بني حنظلة: الأقرع بن حابس بن عِقال، من بني مجاشع بن دارم.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن قائلًا قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله، أعطيت عُيَيْنَة بن حِصْن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركتم جُمَيْل بن سُرَاقَة الضُّمَرِي! فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفس محمد بيده لَجُعَيْل بن سُرَاقَة خيرٌ من طِلَاع الأرض، كُلُّهم مثل عُيَيْنَة بن حِصْن والأقرع بن حابس، ولكني تألفتُهما لِيُسْلِمَا، ووَكَلْتُ جُعَيْل بن سُرَاقَة إلى إسلامه»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عُبَيْدة بن محمد بن عَمَّار بن يَاسِر، عن مِقْسَم أَبِي القاسم، مَوْلَى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتَلِيد بن كلاب اللَّيْثِي، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلِّقًا نعلَه بيده، فقلنا له: هل حَضَرَت رسول الله ﷺ حين كَلِمَة التَّمِيمِي يومَ حُنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني

الله ارتَدَدَت بعد إيمانك، فيقول: والله ما كنت آمنت، ثم أسلم في الظاهر، ولم يزل جافيًا أحمق حتى مات، وبخسبك تسمية النبي ﷺ له: «الأحمق المطاع» ومما يذكر من جَفَائِه أن عمرو بن مَعْدِي كَرِب نزل به ضيفًا، فقال له عُيَيْنَة: هل لك في الخمر نَتَادُم عليها؟ فقال عمرو: أَلَيْسَتْ مُحَرَّمَةً في القرآن؟ فقال عُيَيْنَة: إنما قال: فهل أنتم مُتَّهِنُونَ، فقلنا نحن: لا، فَشَرَبَا.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٨٣/٥).

تميم، يقال له: ذو الْخُوَيْصِرَةِ، فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد قد رأيتُ ما صنعتُ في هذا اليوم؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «أجل، فكيف رأيتُ؟» فقال: لم أركَ عَدَلْتُ؛ قال: فغَضِبَ النبيُّ ﷺ، ثم قال: «وَيْحَكَ! إذا لم يكن العَدْلُ عندي، فعند مَنْ يكون؟!» فقال عمر بن الخطَّاب: يا رسول الله، ألا أقتله؟ فقال: «لا، دَعُهْ فإنه سيكون له شِيعَةٌ يتعمَّقُونَ في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السَّهْمُ من الرِّمِيَّةِ، يُنْظَرُ في التَّضَلُّ، فلا يوجد شيء، ثم في القِدْح، فلا يوجد شيء، ثم في الفُوقِ، فلا يوجد شيء، سَبَقَ الْفَرْتُ والدَّم».

قال ابن إسحق: وحدثني محمد بن علي بن الحسين أو جعفر بمثل حديث أبي عُبَيْدة، وسماه ذا الْخُوَيْصِرَةِ.

شعر حَسَّان في جرمان الأنصار

قال ابن إسحق: وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيع، عن أبيه بمثل ذلك.

قال ابن هشام: ولما أعطى رسولُ الله ﷺ ما أعطى قريش وقبائل العرب، ولم يعطِ الأنصارَ شيئاً، قال حَسَّان بن ثابت يعاتبه في ذلك:

حديث ذي الخويصرة^(١):

وذكر حديثَ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيِّ، وما قال فيه النبي عليه السلام وفي شيعته، وقال في حديث آخر: «يَخْرُجُ من ضِئْضِئِهِ قَوْمٌ تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وصيامكم إلى صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ من الدين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرِّمِيَّةِ» الحديث، فكان كما قال - ﷺ - وظهر صدقُ الحديث في الخوارج، وكان أولهم من ضِئْضِئِي ذلك الرجل، أي: من أَصْلِهِ، وكانوا من أهل نَجْدٍ التي قال فيها النبي ﷺ: «مِنْهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»، فكان بدؤهم من ذِي الْخُوَيْصِرَةِ، وكان آيتهم ذُو الثُّدَيَّةِ الذي قَتَلَهُ علي رضي الله عنه، وكانت إحدى يديه كَثْدَيِ المرأة، واسم ذِي الثُّدَيَّةِ نافع، ذكره أبو داود، وغيره يقول اسمه: حَزْرُقُوص [بن زهير] وقول أبي داود أصحُّ، والله أعلم.

شعر حَسَّان في عتابه ﷺ

وذكر شعر حَسَّان وفيه:

(١) أخرجه البخاري (٢١/٩) ومسلم والبيهقي (١٧١/٨).

زَادَتْ هُمُومٌ فَمَاءَ الْعَيْنِ مُنْحَدِرٌ
وَجَدَا بِشْمَاءَ إِذْ شَمَاءُ بَهْكَنَةٌ
دَغَ عَنْكَ شَمَاءُ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا
وَأَبَ الرُّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ
عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَارِحَةٌ
سَمَاهُمُ اللَّهُ أَنْصَارًا بَنَضْرِهِمْ
وَسَارِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا
وَالنَّاسَ أَلْبَ عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا
نَجَالِدُ النَّاسَ لَا نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ
وَلَا تَهَرَّ جُنَاءُ الْحَرْبِ نَادَيْنَا
كَمَا رَدَدْنَا بَبْدِرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّغْفِ مِنْ أَحَدٍ
فَمَا وَنَيْنَا وَمَا خِفْنَا وَمَا خَبَرُوا

سَحَا إِذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دَرَرُ
هَيْفَاءُ لَا دَنْنَ فِيهَا وَلَا خَوَرُ
نَزَرًا وَشُرٌّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزَرُ
لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَّدَ الْبَشَرُ
قُدَّامَ قَوْمٍ هُمْ آوَا وَهُمْ نَصَرُوا
دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُّ
لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا
إِلَّا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ
وَلَا تُضَيِّعُ مَا تُوجِي بِهِ السُّورُ
وَنَحْنُ حِينَ تَلَطَّى نَارُهَا سُعُرُ
أَهْلُ التَّفَاقِ وَفِينَا يُنْزَلُ الظُّفَرُ
إِذْ حَزَبَتْ بَطْرًا أَحْزَابَهَا مُضَرُ
مِنَّا عِشَارًا وَكَلَّ النَّاسُ قَدَ عَثَرُوا

قال ابن هشام: حدثني زياد بن عبد الله، قال: حدثنا ابن إسحاق: قال: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لَقَدْ لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ، لَمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفِيءِ الَّذِي أَصَبْتَ، فَسَمْتُ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قِبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ. قال: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قال: يا رسول الله، مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي، قال: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ». قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحَظِيرَةِ قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم،

هَيْفَاءُ لَا دَنْنَ فِيهَا وَلَا خَوَرُ

الدَّنَنُ: الْعَذْرُ وَالتَّقْلُ، وَالدَّنِينُ الْمَخَاطُ، وَالدَّنَنُ أَيْضًا أَلَّا يَنْتَقِطَ حَيْضُ الْمَرْأَةِ، يَقَالُ: امْرَأَةٌ دَنَاءٌ، وَلَوْ رُوي بِالْدَالِ الْمَهْمَلَةِ لَكَانَ جَيِّدًا أَيْضًا، فَإِنَّ الدَّنَنَ بِالْدَالِ هُوَ قِصَرُ الْعُنُقِ وَتَطَامُنُهَا، وَهُوَ عَيْبٌ. وَابْتِهَاجُهَا: الضَّخْمَةُ.

فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «يا معشر الأنصار! ما قاله بلغتنني عنكم، وجدّة وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله، وعالّة فأغناهم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم!» قالوا: بلى، الله ورسوله أمّن وأفضّل، ثم قال: «ألا تُجيبونني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المَن والفضل. قال ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتُم ولصدقتُم: آتينا مُكذّبا فصدقناك، ومُخذّولا فنصّرنك، وطريداً فأوتيناك، وعائلاً فأسّيناك. أو جدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاةٍ من الدنيا تألّفت بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم؟ فوالذي نفسُ محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شُعباً وسلكت الأنصارُ شُعباً، لسلكتُ شُعبَ الأنصار. اللَّهُمَّ ازحِم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار».

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرّقوا.

حول عتاب النبي للأنصار:

فصل: وذكر قول النبي - ﷺ - للأنصار: «ما قاله بلغتنني عنكم وجدتموها في أنفسكم، هكذا الرواية: جدّة والمعروف عند أهل اللغة: مَوْجِدَة إذا أردت الغضب، وإنما الجِدّة في المال.

وقوله عليه السلام: في لُعاةٍ من الدنيا تألّفت بها قومًا، ليسلموا. اللُعاةُ بقلّة ناعمة، وهذا نحو من قوله عليه السلام: «المالُ حُلوةٌ خَصِرَة»^(١)، واللُعةُ من هذا المعنى، وهي المرأة المليحة العفيفة، واللُغْلُغُ: السَّرَابُ، ولُعاةُ: بصيْضه.

جعيل بن سراقه:

وذكر جُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ، وقول النبي - ﷺ - فيه: ووكلتُ جُعَيْلَ بْنَ سُرَاقَةَ إلى إسلامه. نسب ابنُ إسحاق جُعَيْلاً إلى ضَمَرَة، وهو معدود في غِفَارٍ، لأن غِفَاراً، هم بنو مُلَيْلِ بْنِ ضَمَرَة من بني لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ. وأما حديث التَّوَيْمِيِّ الذي قال للنبي ﷺ

(١) أخرجه الطبراني (٣٥٠/١٩) وأبو نعيم في الحلية (٦٤/٢) والحميدي (٧٤٠) وعبد الرزاق (٦٩٦٢) بلفظ «الدنيا» وانظر (٢٤٦/١١).

عمرة الرسول من الجعرانة واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان:

اعتماد الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة:

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمرًا، وأمر ببقايا الفيء فحُيسَ بمَجَنَّةَ، بناحية مَرِّ الظُّهْرَانِ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته انصرف راجعًا إلى المدينة واستخلف عَتَّابَ بنَ أُسَيْدٍ على مكة، وخَلَفَ معه مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، يفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن، وأَتَعَ رسول الله ﷺ ببقايا الفيء.

قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال: لما استعمل النبي ﷺ عَتَّابَ بنَ أُسَيْدٍ على مكة رزقه كل يوم درهمًا، فقام فخطب الناس، فقال: أيها الناس، أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهمًا كل يوم، فليست بي حاجة إلى أحد.

وقت العمرة:

قال ابن إسحاق: وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في بقية ذي القعدة أو في ذي الحجة.

قال ابن هشام: وقَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة لست ليالٍ بقين من ذي القعدة فما زعم أبو عمرو المدني.

حين أعطى المؤلف قلوبهم: لم أرك عدلت، فغضب النبي ﷺ، ثم قال: «إذا لم يكن العدل عندي، فعند من يكون؟» وقال أيضًا: «إني أرى قسمة ما أريد بها وجه الله»، فقال ﷺ: «أيا مئني الله في السماء، ولا تأمئوني»، أو كما قال ﷺ، فالرجل هو ذو الخويصرة، كذلك جاء ذكره في الحديث.

ويذكر عن الواقدي أنه قال: هو خُرْقُوصُ بن زُهَيْرِ السَّغْدِيِّ من سَعْدِ تميم، وقد كان لَحُرْقُوصٍ هذا مشاهد محمودة في حَزْبِ العِراقِ مع الفُرسِ أيامَ عُمر، ثم كان خارجيًا، وفيه يقول نحيبة الخارجي:

حتى ألاقى في الفِرْدَوْسِ خُرْقُوصًا

ولذلك قال فيه النبي ﷺ: «إنه سيكون من ضيضيئه قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم»، وذكر صفة الخوارج، وليس ذو الخويصرة هذا ذا التَّدْيَةِ الذي قتله عليٌّ بالنَّهر، وأن ذلك اسمه نافع، ذكره أبو داود، وكلام الواقدي حكاه ابن الطلاع في الأحكام له.

قال ابن إسحاق: وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه، وحجّ بالمسلمين تلك السنة عتّاب بن أسيد، وهي سنة ثمان، وأقام أهل الطائف على شيزكهم وامتناعهم في طائفهم، ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع.

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ من مُنَصَّرَفِهِ عن الطائف كتب بُجَيْر بن زُهَيْر بن أَبِي سُلْمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهَيْر يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ رِجَالاً بِمَكَّةَ، مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَيُؤْذِيهِ، وَأَنَّ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ شُعْرَاءِ قُرَيْشٍ، ابْنُ الزُّبَيْرِ وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ، قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ، فَطِرْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجُ إِلَى نَجَاتِكَ مِنَ الْأَرْضِ؛ وَكَانَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ قَدْ قَالَ:

فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَنَحَكَ هَلْ لَكَ؟	أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ ذَلِكَ	فَبَيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ
عَلَيْهِ وَمَا تُلْفِي عَلَيْهِ إِبَا لَكَ	عَلَى خُلُقِي لَمْ أَلْفِ يَوْمًا أَبَا لَهُ
وَلَا قَائِلَ إِمَّا عَشْرَتَ لَعَا لَكَ ^(١)	فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ
فَأَنْهَلَكَ ^(٢) الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ ^(٣)	سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً

قال ابن هشام: ويُروى «المأمور». وقوله: «فبين لنا» عن غير ابن إسحاق.

شعر بجير وكعب ابني زهير

فصل: وذكر قصّة بُجَيْر بن زُهَيْر بن أَبِي سُلْمَى، واسم أَبِي سُلْمَى: ربيعة بن رِيَّاح أحد بني مُزَيْنَةَ.

وفي شعر كعب إلى أخيه بجير:

سَقَاكَ بِهِ الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً

ويُروى: المحمود في غير رواية ابن إسحاق، أراد بالمحمود: محمدًا - ﷺ - وكذلك المأمون والأمين كانت قريش تسمي بهما النبي ﷺ قبل النبوة.

(١) لعاً لك: كلمة تقال للعائر، وهي دعاء له أن يقوم.

(٢) النهل: الشرب الأول. (٣) العلك: الشرب الثاني.

وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر وحديثه:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً	فهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَ
شَرِبْتُ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأَسَا رَوِيَّةً	فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
وخالفتُ أسبابَ الهدى واتَّبعته	على أيِّ شيءٍ وَنَبَّ غَيْرَكَ ذَلِكَ
على خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ أُمًّا وَلَا أَبَا	عليه وَلَمْ تُذْرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ
فإنَّ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسَفٍ	ولا قَائِلٍ إِمَّا عَشَرْتُ لَعَا لَكَ

قال: وبعث بها إلى بُجَيْر، فلما أَتَتْ بُجَيْرًا كَرِهَ أَنْ يَكْتُمَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فأنشده إِيَّاهَا، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لما سَمِعَ «سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ». صدق وإنه لَكَذُوبٌ، أَنَا الْمَأْمُونُ: ولما سَمِعَ: «على خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ أُمًّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ» قال: أَجَلٌ، لَمْ يُلَفِ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ.

ثم قال بُجَيْرُ لكَعْب:

مَنْ مُبْلِغٌ كَغَبَا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي	تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَخْزَمُ
إِلَى اللَّهِ (لَا الْعُزَّى وَلَا اللَّاتِ) وَخَذَهُ	فَتَنْجُو إِذَا كَانَ التَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ	مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهَرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دَيْنُهُ	وَدَيْنُ أَبِي سُلَمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

وقوله لِأَخِيهِ بُجَيْرٍ:

على خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ أُمًّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ، وَلَمْ تُذْرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ، لِأَنَّ أُمَّهُمَا وَاحِدَةٌ، وَهِيَ كَبْشَةُ بِنْتُ عَمَّارِ السُّحَيْمِيَّةِ فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ.

وقوله: إِمَّا عَشَرْتُ لَعَا لَكَ، كَلِمَةٌ تَقَالُ لِلْعَاثِرِ دَعَاءٌ لَهُ بِالْإِفَالَةِ، قَالَ الْأَغَشِيُّ:

فَالْتَّغَسُ أَذْنَى لَهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَعَا لَهَا وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدٍ:

فَلَا لَعَا لِبَنِي فَعْلَانِ إِذْ عَثَرُوا

وقول بُجَيْرٍ:

وَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دَيْنُهُ

قال ابن إسحاق: وإنما يقول كعب: «المأمون»، ويقال: «المأمور» في قوله ابن هشام: لقول قريش الذي كانت تقوله لرسول الله ﷺ.

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية

قال ابن إسحاق: فلما بلغ كعبًا الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به مَنْ كان في حاضره من عَدُوّه، فقالوا: هو مقتول: فلما لم يجد من شيء بُدًا، قال قصيدته التي يمدح فيها رسولَ الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به

روايةً مستقيمة، وقد رواه القالي، فقال: وهو لا شيء غيره، وفُسِّرَ على التقديم والتأخير أراد: ودين زهير غيره، وهو لا شيء. ورواية ابن إسحاق أبعد من الإشكال وأصح، والله أعلم.

وكعب هذا من فحول الشعراء هو وأبوه زُهَيْرٌ، وكذلك ابنه عُقْبَةُ بن كَعْبِ بن زُهَيْرٍ يُعْرَفُ عُقْبَةُ بِالْمُضَرَّبِ، وابن عُقْبَةَ الْعَوَّامُ شاعرٌ أيضًا، وهو الذي يقول:

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ تَغْيِّرُ بَعْدَنَا مَلَا حَةُ عَيْنِي أَمْ عَمِرُوا وَجِيدُهَا
وَهَلْ بَلَيْتَ أَثْوَابُهَا بَعْدَ جِدَّةٍ أَلَا حَبْدٌ أَخْلَافُهَا وَجَدِيدُهَا
ومما يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَجَادُ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ:

لَوْ كُنْتُ أَغْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لِأَعْجَبَنِي سَغْيُ الْفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَهُ الْقَدَرُ
يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُذَكِّرُهَا فَالْتَفُسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُنْتَشِرُ
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لَا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَثَرُ
وقوله:

إِنْ كُنْتُ لَا تَزْهَبُ دُمِّي لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ
فَاخْشَ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ فَبِكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا الْقَائِلِ
فَالسَّامِعُ الدَّمُ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعَمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكِلِ
مِقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعَ مِنْ مُنْخَدِرِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى دَمِهِ دَمُوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

قصيدة بانث سعاد

وذكر قصيدته:

من عدوه، ثم خرج حتى قَدِم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جُهينة، كما ذُكر لي، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صَلَّى الصبح، فصَلَّى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله، فقم إليه فاستأمنه. فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ، حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زُهَيْر قد جاء لِيَسْتَأْمِنَ منك تائبًا مُسْلِمًا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتُك به؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»؛ قال: أنا يا رسول الله كعب بن زُهَيْر.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أَضْرِب عنقه؛ فقال رسول الله ﷺ: «دعه عنك، فإنه قد جاء تائبًا، نازعًا (عما كان عليه)» فقال: فغضب كعبٌ على هذا الحي من الأنصار، لِمَا صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلَّا بخير، فقال في قصيدته التي قال حين قَدِم على رسول الله ﷺ:

بِأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَثْبُولٌ^(١) مَتَّيْمٌ^(٢) إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولٌ^(٣)
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ^(٤) غَضِيضٌ^(٥) الطَّرْفِ مَكْحُولٌ
هَيْفَاءُ^(٦) مُقْبِلَةً عَجَزَاءُ^(٧) مُذْبِرَةٌ لَا يُشْتَكَى قِصَرُ مِنْهَا وَلَا طَوْلُ
تَجْلُو^(٨) عَوَارِضَ^(٩) ذِي ظَلَمٍ^(١٠) إِذَا ابْتَسَمْتَ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ^(١١) بِالرَّوْحِ^(١٢) مَغْلُولُ
شَجَّتْ بِذِي شَيْمٍ مِنْ مَاءٍ مَخْنِيَةٍ^(١٣) صَافٍ بِأَبْطَحٍ^(١٤) أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ^(١٥)

بِأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَثْبُولُ

وفيها قوله: شَجَّتْ بِذِي شَيْمٍ.

يعني: الخَمَرُ، وَشَجَّتْ كُسِرَتْ مِنْ أَعْلَاهَا لِأَنَّ الشَّجَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الرَّأْسِ، وَالشَّيْمُ

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) مثبول: هالك. | (٢) متيم: أي مُعَبَّد. |
| (٣) مكبول: مقيد. | (٤) أعن: الظبي الصغير. |
| (٥) غضيض: فاتر الطرف. | (٦) هيفاء: ضامرة البطن. |
| (٧) عجزاء: عظيمة العجيزة. | (٨) تجلو: تصقل. |
| (٩) العوارض: الأسنان. | (١٠) الظلم: شدة بريق الأسنان. |
| (١١) منهل: مسقى. | (١٢) الروح: الخمر. |
| (١٣) مخنية: منتهى الوادي. | (١٤) أبطح: موضع سهل. |
| (١٥) مشمول: هبت عليه ريح الشمال. | |

تَنْفِي الرِّيحِ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ من صَوْبٍ غَادِيَةٍ بِيضٍ يَعَالِيلُ^(١)
فَيَا لَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ بَوْعُهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولُ
لَكُنْهَا خُلَّةً قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا فَجَعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا بَلَّوْنَ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ
وَمَا تَمْسُكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ إِلَّا كَمَا يُنْسِكُ الْمَاءُ الْغُرَابِيلُ
فَلَا يَغُرُّكَ مَا مَثَتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَخْلَامَ تَضْلِيلُ

الْبَرْدُ، وَأَفْرَطَهُ: أَي: مَلَأَهُ. وَالْبِيضُ الْيَعَالِيلُ: السَّحَابُ، وَقِيلَ: جِبَالٌ يَنْحَدِرُ الْمَاءُ مِنْ
أَعْلَاهَا، وَالْيَعَالِيلُ أَيْضًا: الْغُذْرَانُ، وَاحِدُهَا يَغْلُولُ؛ لِأَنَّهُ يُعِيلُ الْأَرْضَ بِمَائِهِ.

وقوله:

يَا وَيَحَهَا خُلَّةً قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا

أَي: خِلَطَ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ الَّتِي وَصَفَهَا بِهَا مِنَ الْوَلَعِ وَهُوَ الْخُلْفُ،
وَالْكَذِبُ، وَالْمَطْلُ، يُقَالُ: سَاطَ الدَّمُ وَالشَّرَابُ إِذَا ضَرَبَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وَقَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ:

صُمُوتٌ إِذَا مَا زَيْنَ الصُّمُتِ أَهْلَهُ وَفَتَاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ
وَعَى مَا حَوَى الْقِرَاءَنَ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ وَسَيْطَتُ لَهُ الْآدَابُ بِاللَّحْمِ وَالدَّمِ

وَالْغُولُ: الَّتِي تَنْتَرَى بِاللَّيْلِ. وَالسُّغْلَاءُ مَا تَرَى بِالنَّهَارِ مِنَ الْجَنِّ، وَقَدْ أَبْطَلَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ حُكْمَ الْغُولِ حَيْثُ قَالَ: «لَا عَذْوَى وَلَا غَوْلٌ»^(٢)، وَلَيْسَ يَعَارِضُ هَذَا مَا رُوِيَ مِنْ
قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا تَغَوَّلَتِ الْغِيلَانُ فَازْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْأَذَانِ»^(٣)، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي
أَيُّوبَ مَعَ الْغُولِ حِينَ أَخَذَهَا، لِأَنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا غَوْلٌ إِنَّمَا أَبْطَلَ بِهِ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ
تَقُولُهُ مِنْ أَخْبَارِهَا وَخُرَافَاتِهَا مَعَهَا».

(١) اليعاليل: الرغبة التي تملو الماء.

(٢) أخرجه مسلم في السلام (١١٤) وأحمد (٣٢٨/١) وأبو داود (٣٩١٢) - بتحقيقي) والبيهقي (١٣٥/٧) وانظر الفتوح (١٥٨/١٠).

(٣) «ضعيف». أخرجه أحمد (٣/٣٠٥/٣٨٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥١٧) وعبد الرزاق (٩٣٥٢) وأورده الذهبي في الميزان (٦٤٠٤).

كانت مواعيدُ عُرُقوبٍ لها مثلاً
 أزجو وآملُ أنْ تَذنو مَوَدَّتَها
 أَمَسْتُ سَعادُ بأرضٍ لا يُبلِّغها
 ولنْ يُبلِّغها إلا عَذافِرَةُ^(٢)
 من كلِّ نَضَاحَةٍ^(٥) الذَفْرَى^(٦) إذا عَرِقتْ
 تَرْمِي الغُيُوبَ بَعَيْنِي مُفَرِّدٍ لَهَقِ
 ضَخْمٌ مُقْلَدُها فَنَمٌ مَقِيدُها
 غَلْبَاءٌ وَجَنَاءٌ عُلُكُومٌ مُذَكَّرَةٌ
 وَجِلْدُها مِن أَطُومٍ ما يُؤَيِّسُه
 وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ
 وما إخالَ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ
 إلا العِتاقُ النَّجِيباتِ المَراسيلُ^(١)
 لها على الأَيْنِ^(٣) إِزْقَالَ وَتَبْغِيلُ^(٤)
 عُرَضَتْها^(٧) طامِسُ^(٨) الأعلامِ مَجْهُولُ
 إذا تَوَقَّدَتِ الجِزْأَنُ والمِيلُ
 في خَلْقِها عن بناتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ
 في دَقِّها سَعَةً قَدَامُها مِيلُ
 طَلَحَ بَضَاحِيَةِ المِثْنَيْنِ مَهْزُولُ

وقوله:

كانت مواعيدُ عُرُقوبٍ لها مثلاً

هو: عُرُقُوبُ بن صَخْرٍ من العَمَالِيقِ الذين سَكَنوا يَثْرِبَ، وقيل: بل هو من الأوسِ والخَزْرجِ، وقصَّته في إخلاف الوعد مشهورة حين وَعَدَ أخاه بَجَنًا تُخْلَعُ له وَغَدًا من بعد وَغَدٍ، ثم جَدَّها لَيْلًا، ولم يُعْطِه شيئًا.

والتَّبْغِيلُ: ضرب من السَّيرِ سَرِيعٍ، والجِزْأَنُ جمع حَزَنٍ وهو ما غَلِظَ من الأرضِ. والمِيلُ ما اتَّسع منها:

وقوله: ترمي النَّجَادَ، وأنشده أبو علي: تَرْمِي الغُيُوبَ، وهو جمع غَيْبٍ، وهو ما غار من الأرض، كما قال ابنُ مِقْبَلٍ:

لَزُمَ الغُلامِ وَراءَ الغَيْبِ بالحجر

وقوله:

حَزَفَ أبوها أخوها من مُهَجَّنَةٍ وَعَمَّها خالها قَوْدَاءَ شِنْغَلِيلٍ

-
- (١) المراسيل: السريعة.
 (٢) الأَيْن: الإعياء.
 (٣) نَضَاحَةٌ: يرشح عرقها.
 (٤) عَذافِرَةُ: الشيء يُقَوَّى عليه.
 (٥) المراسيل: السريعة.
 (٦) الإزقال والتبغيل: ضربان من السير.
 (٧) العرضة: الشيء يُقَوَّى عليه.
 (٨) طامس: متغير.

حَزَفَ أَخُوها أَبُوها مِنْ مُهَجَّةٍ
يَمْشِي القُرْأُ عَلَيْها ثُمَّ يُزْلِقُها
عَبْرانَةً قُدِثَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرْضِ
كَائِمًا فَاتَ عَيْنِيها وَمَذْبَحُها
تَمُرٌّ مِثْلَ عَسِيبِ النُّخْلِ ذَا خُصَلٍ
قَنَواءَ فِي حُرْتَيْها لِلْبَصِيرِ بِها
تَخْذِي عَلَى يَسَرَّاتٍ وَهِيَ لاجِقَةٌ
سُمْرِ العُجَايَا^(١) يَتَرَكْنَ الحَصَى زِيَمًا^(٢)

وَعُمُّها خالِها قَوْداءَ شِمْلِيلٍ
مِنْها لَبانٌ وَأَقْرابُ زَهالِيلٍ
مِزْقُها عَنْ بَناتِ الزُّورِ مَفْتُولُ
مِنْ خَطْمِها وَمِنْ اللَّخَيْنِ بِزَطِيلٍ
فِي غارِزٍ لَمْ تَخَوْنَهُ الأَحالِيلُ
عَثَقَ مُبِينٌ وَفِي الخَدَيْنِ تَسْهِيلُ
ذَوابِلِ مَسْهُنِ الأَرْضِ تَحْلِيلُ
لَمْ يَقِهِنَّ رُؤُوسَ الأَكْمِ تَنْعِيلُ

القَوْداءُ: الطَّويلَةُ العُنُقِ. والشِّمْلِيلُ: السَّريعة. والحَزَفُ: الناقَةُ الضامِر.

وقوله: مِنْ مُهَجَّةٍ، أَي: مِنْ إِبِلٍ مُهَجَّةٍ مُسْتَكْرمة هِجانٍ.

وقوله: أَبُوها أَخُوها أَي: إِنِهما مِنْ جِنسٍ واحِدٍ مِنَ الكَرَمِ، وَقِيلَ: إِنِها مِنْ فَخْلٍ حَمَلَ
عَلَى أُمِّه فَجاءَتْ بِهذه الناقَةِ، فَهو أَبُوها وَأَخُوها، وَكانَتْ لِلناقَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ هَذِهِ بَنَتٍ أُخْرَى
مِنْ الفَحْلِ الأَكْبَرِ، فَعَمُّها خالِها عَلَى هَذَا، وَهو عِنْدَهُمْ مِنْ أَكْرَمِ النَّتاجِ، والقَوْلُ الأوَّلُ ذَكَرَهُ
أَبُو عَلِيٍّ القَالِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

وقوله: أَقْرابُ زَهالِيلٍ، أَي: خَواصِرُ مُلَسَّ، واحِدُها: زُهْلُولٌ وَالبِزَطِيلُ: حَجَرٌ طَوِيلٌ،
ويقال: لِلْمِعْوَلِ أَيْضًا: بِزَطِيلُ.

وقوله:

ذَوابِلِ وَقْعُها الأَرْضِ تَحْلِيلُ

تَحْلِيلُ، أَي: قَلِيلٌ. يُقال: ما أَقامَ عِنْدنا إِلَّا كَتَحْلِيلِ الأَلْيَةِ، وَكَتَحْلَةِ المَقْسِمِ، وَعَلَيْهِ
حَمَلُ ابْنِ قُتَيْبَةَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ: «لَنْ تَمْسَهُ النَّارُ إِلَّا تَحْلَةً الْقَسَمِ»، وَغَلَطَ أَبَا عبيدٍ حَيْثُ
فَسَّرَهُ عَلَى الْقَسَمِ حَقِيقَةً. قال القُتَيْبِيُّ: لَيْسَ فِي الأَيَةِ قَسَمٌ لِأَنَّهُ قال: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُها»
[مريم: ٧١] وَلَمْ يَقْسِمِ. قال الخُطَّابِيُّ: هَذِهِ غَفْلَةٌ مِنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ فَإِنَّ فِي أَوَّلِ الأَيَةِ: «فَوَزَيْكَ
لَتَخْشَرَنَّهُمُ وَالشَّيَاطِينَ» وَقَوْلُهُ: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُها» داخِلٌ تَحْتَ القِسْمِ المُتَقَدِّمِ.

(١) العُجَايَا: جَمْعُ عَجايا: وَهي عَظْمةٌ بِالحافِرِ. (٢) زِيَم: مَنكَسَر.

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقَدْ عَرِقَتْ
يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْجِزْبَاءُ مُضْطَجِدًا
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ
شَدُّ النَّهَارِ ذِرَاعًا عَنِطِلٍ نَصَفَ
نَوَاحِي رِخْوَةِ الضَّبْعَيْنِ^(١) لَيْسَ لَهَا
تَفْرِيرُ اللَّبَانِ بِكَفِّئِهَا وَمِذْرَعُهَا
تَسْعَى الْعَوَاةَ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمْ

وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ
كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشُّمُسِ مَمْلُوءُ
وُزُقِ الْجَنَادِبِ يَرْكُضُنَ الْحَصَا قِيلُوا
قَامَتْ فَجَاوِبُهَا تُكْدُ مَثَاكِيلُ
لَمَّا نَعَى بِكُرْهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ
مُشَقَّقُ عَنْ تَرَاقِيهِهَا رَعَابِيلُ^(٢)
إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَمَى لَمَقْتُولُ

وقوله: بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ. الْقُورُ: جمع قَارَةٍ، وهي الْجَارَةُ السُّودُ. وَالْعَسَاقِيلُ هنا السَّرَابُ، وهذا من المَقْلُوبِ، أَرَادَ وَقَدْ تَلَفَّعَتِ الْقُودُ بِالْعَسَاقِيلِ.

وفيهما قوله:

تَمْشِي الْعَوَاةُ بِجَنَبَيْهَا، أَي: بِجَنَبَيْ نَاقَتِهِ.

عن القول والقيـل إعرابًا ومعنى:

وقوله:

إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَمَى لَمَقْتُولُ

وَيُزَوَى: وَقِيلَهُمْ، وهو أحسن في المعنى، وأولى بالصواب؛ لأن القِيلَ هو الكلام المَقُولُ فهو مُبْتَدَأٌ، وقوله: إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَمَى لَمَقْتُولُ: خبرٌ، تقول: إِذَا سئِلْتَ مَا قِيلَكَ؟ قِيلِي: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، فَقَوْلُكَ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ هُوَ الْقِيلُ، والقَوْلُ مصدر كَالطَّحْنِ وَالذَّبْحِ، والقِيلُ اسْمٌ لِلْمَقُولِ كَالطَّحْنِ وَالذَّبْحِ بِكسر أوله، وإنما حَسُنَتْ هذه الروايةُ، لأنَّ القَوْلَ مصدرٌ فيصير: إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَمَى فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ فِيهِ، فيبقى المبتدأ بلا خَبَرٍ إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ المَقُولَ هُوَ القَوْلُ عَلَى المَجَارِ، كَمَا يُسَمَّى المَخْلُوقُ خَلْقًا، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ﴾ [الزخرف: ٨٨] فِي مَوْضِعِ البَدَلِ مِنَ الْقِيلِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦] مُتَنَصِّبٌ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ، فَهُوَ فِي مَوْضِعِ البَدَلِ مِنْ قِيلًا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَدَّقَ مِنْ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] أَي: حَدِيثًا مَقُولًا، وَمِنْ هَذَا البابِ مَسْأَلَةٌ مِنَ النُّحُو ذَكَرَهَا سَيِّبُونَهُ، وَابْنُ السَّرَاجِ فِي كِتَابِهِ، وَأَخَذَ الْفَارَسِيُّ مِنْهُمَا، أَوْ مِنْ ابْنِ السَّرَاجِ، فَكَثِيرًا مَا يَنْقُلُ مِنْ كِتَابِهِ بِلَفْظِهِ غَيْرَ أَنَّهُ أَفْسَدَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، وَلَمْ

(١) الضبعين: لحمنا العضدين.

(٢) رعايل: قطع متفرقة.

وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ أَمْلُهُ
فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَالِكُمْ
كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
تُبُثُّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَغْطَاكَ نَافِلَةً الـ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ
لَظَلَّ يَزْعَعُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زِعْهُ

لَا إِلَهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْفُوعُ
فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُوعُ
يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذْبَاءِ مَخْمُوعُ
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُوعُ
قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظُ وَتَفْصِيلُ
أُذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ
مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ
فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ

يفهم ما أراد بها، وذلك أنهما قالوا: إذا قلت أول ما أقول: إني أحمد الله، بكسر الهمزة، فهو على الحكاية، فظنَّ الفارسيُّ أنه يريد على الحكاية بالقول، فجعل إني أحمد الله في موضع المفعول بأقول، فلما بقي له المبتدأ بلا خبر تكلف له تقديرًا لا يعقل، فقال: تقديره أول ما أقول: إني أحمد الله موجود أو ثابت، فصار معنى كلامه: إلى أن أول هذه الكلمة التي هي إني أحمد الله موجود أي: أول هذه الكلمة موجود، فأخراها إذا معدوم، وهذا خلف من القول، كما ترى، وقد وافقه ابنُ جني عليه، رأيت في بعض مسائله، قال: قلت لأبي عليٍّ لم لا يكون: إني أحمد الله في موضع الخبر، كما تقول: أول سورة أقرأها: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أو نحو هذا ولا يحتاج إلى حذف خبر، قال: فسكت ولم يجد جوابًا، وإنما معنى هذه المسألة أول ما أقول، أي: أول القيل الذي أقوله إني أحمد الله على حكاية الكلام المَقُول، وهذا الذي أراد سيبويه، وأبو بكر بن السراج، فإن فتحت الهمزة من أن صار معنى الكلام أول القول لا أول القيل، وكانت ما واقعة على المصدر، وصار معناه: أول قولِي الحمد إذ الحمد قولٌ ولم يُبين مع فتح الهمزة كيف حمد الله، هل قال: الحمد لله بهذا اللفظ، أو غيره، وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه، بأنه قال: إني أحمد الله بهذا اللفظ، أو غيره وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه، بأنه قال: إني أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر، فقف على هذه المسألة، وتدبرها إعرابًا ومعنى، فقل: من أحكمها وحسبك أنَّ الفارسيَّ لم يفهم عَمَّن قبله، وجاء بالتخليط المتقدم، والله المستعان.

فَلَهُوَ أَخَوْفٌ عِنْدِي إِذْ أَكَلْتُمُهُ
 مِنْ ضَيْغَمٍ بَضْرَاءَ الْأَرْضِ مَخْدَرُهُ
 يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا
 إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ
 مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعِ الْجَوْنِ نَافِرَةً
 وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخْوَثَقَةً
 إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
 فِي غَضَبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَتْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
 شُمُ الْعِرَانِيِّنَ أَبْطَالُ لَبُوسُهُمْ
 بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا تَخَلُّقُ

وَقِيلَ إِنَّكَ مَنَسُوبٌ وَمَسْئُولٌ
 فِي بَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلٌ
 لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَغْفُورٌ خَرَادِيلُ
 أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُوبٌ
 وَلَا تَمْشِي بِوَادِيهِ الْأَرَاغِيلُ
 مُضْرَجُ الْبَرْزِ وَالذُّزَانِ مَأْكُولٌ
 مُهَيَّذٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مَسْلُوبٌ
 بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُؤُلُوا
 عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلَ مَعَاذِيلُ
 مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ
 كَأَنَّهَا خَلَقَ الْقَفْعَاءُ مَجْدُولُ

عود إلى بانث سعاد:

والخراديل: القطع من اللحم، وفي الحديث في صفة الصُّرَاطِ: فمنهم المُوَبَّقُ بَعْمَلِهِ، ومنهم الْمُخَرَّدَلُ، أي: تُخَرِّدَلُ لَحْمُهُ الْكَلَالِيْبُ الَّتِي حَوْلَ الصُّرَاطِ، سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول: تلك الْكَلَالِيْبُ هِيَ الشَّهَوَاتُ، لَأَنَّهَا تَجْذِبُ الْعَبْدَ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى سِوَاءِ الصُّرَاطِ، فَتُمَثِّلُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ.

وقوله: بَضْرَاءَ الْأَرْضِ. الصُّرَاءُ: مَا وَارَكَ مِنْ شَجَرٍ، وَالْخَمَرُ: مَا وَارَكَ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْرِهِ.

وقوله: بِوَادِيهِ الْأَرَاغِيلُ، أي: الرُّجَالَةُ، قيل: إِنَّهُ جَمْعُ الْجَمْعِ، كَأَنَّهُ جَمْعُ الرُّجُلِ، وَهُمْ الرُّجَالَةُ عَلَى أَزْجَلٍ، ثُمَّ جَمْعُ أَزْجَلًا عَلَى أَزَاجِلٍ، وَزَادَ الْيَاءُ ضَرُورَةً. وَالذُّزُسُ: الثُّوبُ الْخَلْقُ. وَالْقَفْعَاءُ: شَجَرَةٌ لَهَا ثَمَرٌ كَأَنَّهُ جِلْقٌ.

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - حِينَ أَنْشَدَهُ كَعَبُ:

إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَيَّذٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مَسْلُوبٌ

نظر إلى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر.

لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرُ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبُ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ
لَا يَقَعُ الطُّغْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

قال ابن هشام: قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله ﷺ المدينة
وبيته: «حَزَفَ أَخُوها أَبوها» وبيته: «يَمْشِي الْقَرَاد» وبيته «عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ»، وبيته: «تُمِرُّ مِثْلَ
عَمِيبِ الثُّخْلِ»، وبيته: «تَقْرِي اللَّبَان» وبيته: «إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا» وبيته: «وَلَا يَزَالُ بَوَادِيه»:
عن غير ابن إسحاق.

استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم:

قال ابن إسحاق: وقال عاصم بن عُمر بن قَتَادَةَ: فلما قال كعبُ: «إِذَا عَرَّدَ السُّودُ
التَّنَابِيلُ»، وإنما يريدنا مغشَر الأنصارِ، لِمَا كَانَ صَاحِبِنَا صَنَعَ بِهِ مَا صَنَعَ، وَخَصَّ
الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَدْحَتِهِ، غَضِبَتْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ؛ فَقَالَ
بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ يَمْدُحُ الْأَنْصَارَ، وَيَذْكُرُ بِلَاءَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَوْضِعَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ:

مَنْ سَرَّهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْتَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَرِقُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
الْمُكْرِهِينَ السُّمَهْرِيَّ بِأَذْرِعِ كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ
وَالثَّائِرِينَ بِأَغْيَنِ مُخَمَّرَةِ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَنْبَارِ

وقوله:

ليس لهم عن حياض الموت تهليل
التهليل: أي يتكص الرجل عن الأمر جُبْنًا.

وقوله في الأنصار:

صَرَبُوا عَلَيَّا يَوْمَ بَذْرِ ضَرْبَةٍ

بنو علي: هم بنو كِنَانَةَ، يقال لهم: بنو عَلِيٍّ لِمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَأَرَادَ:
ضَرَبُوا قُرَيْشًا لِأَنَّهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ.

وقوله: إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ: جَمَعَ تَنَابَالٍ وَهُوَ الْقَصِيرُ، وَقَوْلُهُ: عَرَّدَ، أَي: هَرَبَ.
قال الشاعر:

يَعْرُدُّ عَنْهُ صَحْبُهُ وَصَدِيقُهُ وَيَنْبُشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ

والبائعينَ تُفَوِّسُهُمْ لِنَبِيِّهِمْ
وَالْقَائِدِينَ النَّاسَ عَلَى أَذْيَانِهِمْ
يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسْكَاً لَهُمْ
دَرَبُوا كَمَا دَرَبْتَ بِبَطْنِ خَفِيَّةٍ
وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ
ضَرَبُوا عَلَيَّا يَوْمَ بَذْرِ ضَرْبَةً
لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ
قَوْمٌ إِذَا خَوَّتِ الثُّجُومُ فِئَتَهُمْ
فِي الْغُرِّ مِنْ غَسَّانٍ مِنْ جُرْثُومَةٍ
لَلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانَتِي وَكَرَارِ
بِالْمَشْرِفِي وَبِالْقَنَا الْخَطَارِ
بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنْ الْكُفَّارِ
غُلِبَ الرِّقَابُ مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوَارِي
أَضْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَعْفَارِ
دَانَتْ لَوْفَعَتَيْهَا جَمِيعُ نِزَارِ
فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي
لِلطَّارِقِينَ الثَّارِلِينَ مَقَارِي
أَغَيْتَ مَخَافِرَهَا عَلَى الْمِنْقَارِ

قال ابن هشام: ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده: «بانث سعاد فقلبي اليوم متبول»: لولا ذكرت الأنصار بخير، فإنهم لذلك أهل، فقال كعب هذه الأبيات، وهي في قصيدة له.

علة السواد في أهل اليمن وشرح بيت لحسان:

وجعلهم سوداً لما خالط أهل اليمن من السودان عند غلبة الحبشة على بلادهم، ولذلك قال حسان في آل جفنة:

أولاد جَفْنَةَ حَزَلْ قَبْرَ أَبِيهِمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

يعني بقوله: من الطراز الأول، أن آل جَفْنَةَ كانوا من اليَمَن، ثم اسْتَوْطَنُوا الشام بعد سَيْلِ الْعَرَمِ، فلم يخالطهم السودان كما خالطوا مَنْ كان من اليمن، من الطراز الأول الذي كانوا عليه في ألوانهم وأخلاقهم.

وقوله: حول قبر أبيهم، أي: إنهم لعِزُّهُمْ لم يَجْلُوا عن منازلهم قَطَّ، ولا فارقوا قبر أبيهم.

مدح آخر لكعب:

ومما أجاد فيه كعب بن زُهَيْرٍ قوله يمدح النبي ﷺ:

تَخْدِي بِهِ النَّاقَةَ الْأَدْمَاءُ مُغْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَذْرِ جَلَى لَيْلَةِ الظُّلَمِ

قال ابن هشام: وذكر لي عن علي بن زيد بن جُذعان أنه قال: أنشد كعب بن زهير رسول الله ﷺ في المسجد:

«بأنت سعاد فقلبي اليوم متبول»

فَفِي عَطَافَيْهِ أَوْ أَثْنَاءِ بُزْدَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينِ وَمِنْ كَرَمِ

غزوة تبوك في رجب سنة تسع

التهيو لتبوك:

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبلي، قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب، ثم أمر الناس بالتهيو لغزو الروم وقد ذكر لنا الزهري ويزد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة، وغيرهم من علمائنا، كلّ حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض: أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه

غزوة تبوك^(١)

سُمِّيَتْ بعين تبوك، وهي العين التي أمر رسول الله - ﷺ - الناس ألا يَمَسُّوا من مائها شيئاً، فسبِق إليها رجلان، وهي تَبِضُ بشيء من ماء، فجعلوا يدخلان فيها سَهْمَيْنِ ليكثر ماؤُها، فسبَّهما رسول الله ﷺ، وقال لهما: «ما زلتما تبوكانها منذ اليوم»^(٢) فيما ذكر القتيبي، قال: وبذلك سُمِّيَت العينُ تبوك، والتبوك كالتَّقْشِ والحفر في الشيء، ويقال منه: بالك الحماز الأثانَ يَبُوكها إذا نَزَا عليها.

ووقع في السيرة: فقال: «مَنْ سَبَقَنَا إلى هذا؟» ف قيل له: يا رسول الله، فلان وفلان وفلان، وقال الواقدي: فيما ذكر لي، سبقه إليها أربعة من المنافقين مُعْتَبُ بن قُشَيْر، والحارث بن يزيد الطائي، ووديعه بن ثابت، وزيد بن لُصَيْب.

(١) انظر البداية (٢/٥) الطبري (١٠٠/٣) الطبقات (١١٨/١/٢) الكامل (١٤٩/٢) المنتظم (٣٦٢/٣)

الواقدي (٩٨٩/٣) شرح المواهب (٦٢/٣) الزاد (٥٢٦/٣) ابن سيد الناس (٢/٢١٥).

(٢) انظر الفتح (١١١/٨).

بالتَّهْيُؤَ لغزو الرُّوم، وذلك في زَمَانٍ من عُسرةِ النَّاسِ، وشِدَّةِ من الحرِّ، وجذبٍ من البلاد: وحين طابت الثَّمار، والنَّاسُ يُحِبُّونَ المَقَامَ في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشُّحُوصَ على الحال من الزَّمان الذي هم عليه؛ وكان رسولُ الله ﷺ قَلَمًا يخرج في غزوةٍ إلا كَتَى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يَضُمُّدُ له، إلا ما كان من غزوةِ بَبُوكَ، فإنه بَيَّنَّها للنَّاسِ، لِبُعدِ الشُّقَّةِ، وشِدَّةِ الزَّمان، وكثرةِ العدوِّ الذي يَضُمُّدُ له، ليتأهب النَّاسُ لذلك أَهْبَتَه، فأمر النَّاسَ بِالجِّهَازِ، وأخبرهم أنه يريد الرُّومَ.

شأن الجَدِّ بن قيس:

فقال رسولُ الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجَدِّ بن قيس أحد بني سَلِمة: «يا جَدِّ، هل لك العَامَ في جِلَادِ بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله، أو تأذُن لي ولا تَفْتِنِي؟ فوالله لقد عَرَفَ قومي أنه ما من رجلٍ بأشدَّ عَجَبًا بالنِّساءِ مِنِّي، وإنِّي أخشى إن رأيتُ نِساءَ بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسولُ الله ﷺ وقال: «قد أذنتُ لك». ففي الجَدِّ بن قيس نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. أي إن كان إنما خشي الفتنة من نِساءِ بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر، بتخلُّفه عن رسولِ الله ﷺ، والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ﴾.

المنافقون المبطون:

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تَنْفِرُوا في الحرِّ، زهادة في الجهاد، وشكًا في الحقِّ، وإرجافًا برسولِ الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضَحَّكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢].

وذكر الجَدِّ بن قيس، وقول النبي ﷺ له: «يا جَدِّ هل لك العَامَ في جِلَادِ بني الأصفر»^(١)، يقال: إن الرُّومَ قيل لهم بنو الأصفر، لأن عيصو بن إسحق كان به صُفْرَةً، وهو جَدُّهم، وقيل: إن الرُّومَ بن عيصو هو الأصفر، وهو أبوهم، وأمه نَسْمَةُ بنت إسماعيل، وقد ذكرنا في أوَّل الكتاب مَنْ وَلَدَتْ من الأمم، وليس كلُّ الرُّوم من ولد بني الأصفر، فإن الرُّومَ الأوَّلَ هم فيما زعموا من ولد يُونَانَ بن يَافِثِ بن نُوحٍ، والله أعلم بحقائق هذه الأشياء وصحتها.

(١) انظر الترمذي (٣٧٠٢) وأحمد (٦٣/٥).

شعر الضحَّاك في تحريق بيت سويلم:

قال ابن هشام: وحدثني الثقة عمن حدثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جده، قال: بلغ رسول الله ﷺ، أنَّ ناسًا من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلَم اليهودي، وكان بيته عند جاسوم، يُتَّبَطُونَ النَّاسَ عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوكَ، فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يُحْرِقَ عليهم بيت سُوَيْلَم، ففعل طلحة. فافتَحَ الضُّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه، فَأَقْلَتُوا. فقال الضحَّاك في ذلك:

كَادَتْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَارُ مُحَمَّدٍ يَشِيْطُ بِهَا الضُّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقٍ
وَزَلْتُ وَقَدْ طَبَّقْتُ كِبْسَ سُوَيْلَمٍ أَنْوَأُ عَلَى رَجُلِي كَسِيرًا وَمِرْقِي
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُوذُ لِمِثْلِهَا أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرِقُ

حضُّ أهل الغنى على النفقة:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ جَدَّ في سفره، وأمر الناس بالجهاز والائِكْمَاشِ، وحضُّ أهل الغنى على التَّفَقَّةِ والحُمْلَانِ في سبيل الله، فَحَمَلَ رَجَالٌ من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة، لم يُنْفِقْ أَحَدٌ مثْلَهَا.

قال ابن هشام: حدثني من أثق به: أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العُسْرَةِ في غزوة تَبُوكَ ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارضَ عن عثمان، فإنني عنه راضٍ»^(١).

قصة البكائين والمعذرين والمتخلفين:

قال ابن إسحاق: ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ، وهم البكَّاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف: سالم بن عُمَيْرٍ، وعُلبَةُ بن زيد، أخو بني حارثة، وأبو لَيْلَى عبد الرحمن بن كَعْبٍ، أخو بني مازن بن النَّجَّارِ،

وذكر يونسٍ بِأَثَرِ حَدِيثِ الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ عن عَبْدِ الحمِيدِ بن بَهْرَامٍ عن شَهْرٍ بن حَوْشَبٍ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عَثَمٍ أن اليهود أتوا النبي ﷺ يوماً، فقالوا: يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشَّام، فإن الشَّامَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وأَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ، فَصَدَّقَ

(١) انظر البداية (٤/٥) والكنز (٣٨٤٢) وجمع الجوامع (٩٧٨٨) والإرواء (١/٢٣١).

وعمر بن حُمام بن الجُموح، أخو بني سَلَمَة، وعبد الله بن المغفل المُرَني - وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله الفَزاري. فاستحملوا رسول الله ﷺ، وكانوا أهل حاجة، فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فتولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون.

قال ابن إسحاق: فبلغني أن ابن يامين بن عُمير بن كعب النُضري لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغفل وهما يبيكان، فقال: ما بيكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه؛ فأعطاهما ناضحًا له، فارتحلاه، وزودهما شيئًا من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وجاء المعذرون من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم الله تعالى. وقد ذكر لي أنهم نفر من بني غفار.

ثم استتب برسول الله ﷺ سفره، وأجمع السير، وقد كان نفر من المسلمين أبطأ بهم النية عن رسول الله ﷺ، حتى تخلفوا عنه، عن غير شك ولا ارتياب: منهم: كعب بن مالك بن أبي كعب، أخو بني سَلَمَة، ومُرة بن الربيع، أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية، أخو بني واقف، وأبو خيثمة، أخو بني سالم بن عوف. وكانوا نفر صدق، لا يتهمون في إسلامهم.

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري.

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوذي عن أبيه: أن رسول الله ﷺ استعمل على المدينة، مخرجه إلى تبوك: سباع بن عُرْفطة.

المنافقون المتخلفون:

قال ابن إسحاق: وضرب عبد الله بن أبي معه على جدة عسكره أسفل منه، نحو دُباب، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين. فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرئب.

النبي - ﷺ - ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ أنزل الله تعالى عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة ﴿وإن كادوا ليستفزوك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافاك﴾ - إلى قوله -: ﴿تخويل﴾ [الإسراء: ٧٦، ٧٧].

إرجاف المنافقين بعلي:

وَحَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، عَلَى أَهْلِهِ، وَأَمَرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ، فَأَرْجَفَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ، وَقَالُوا: مَا خَلَفَهُ إِلَّا اسْتِقْلَالًا لَهُ، وَتَحَقُّقًا مِنْهُ. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ، أَخَذَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ سِلَاحَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجُرْفِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، زَعَمَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَفْتَنِي أَنْكَ اسْتَقْلَلْتَنِي وَتَحَقَّقْتَ مِنِّي؛ فَقَالَ: «كَذِبُوا، وَلَكِنِّي خَلَفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ، أَفَلَا تَرْضَى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، فَارْجَعَ عَلِيٌّ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَفَرِهِ^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَّانة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول لعلي هذه المقالة.
قال ابن إسحاق: ثم رجع علي إلى المدينة، ومضى رسولُ الله ﷺ على سفره.

قصة أبي خيثمة:

ثُمَّ إِنَّ أَبَا خَيْثِمَةَ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيَّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهُمَا فِي حَائِطِهِ، قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً، وَهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا. فَلَمَّا دَخَلَ، قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ، فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الضَّحَى وَالزَّيْحِ وَالْحَرِّ، وَأَبُو خَيْثِمَةَ فِي ظِلٍّ بَارِدٍ، وَطَعَامٍ مَهِيًّا، وَامْرَأَةٍ حَسَنَاءَ، فِي مَالِهِ مَقِيمٌ، مَا هَذَا بِالنَّصَفِ! ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَيَّا لِي زَادًا، فَفَعَلْتَا. ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ. وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثِمَةَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ الْجَمْحَنِيُّ فِي الطَّرِيقِ، يَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَتَرَا فَقَا، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ تَبُوكَ، قَالَ أَبُو خَيْثِمَةَ لِعُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ: إِنَّ لِي ذَنْبًا، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَخْلُفَ عَنِّي حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَفَعَلَ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ، قَالَ النَّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثِمَةَ»؛

فَأَمَرَهُ بِالرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَالَ: فِيهَا مَخْيَاكَ، وَفِيهَا مَمَاتُكَ، وَمِنْهَا تَبْعُثُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَتِمُّ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨، ٧٩] فَارْجَعَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) انظر البخاري (٨٦/٨) ومسلم (٢٤٠٤).

فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ؛ فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خيثمة». ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر؛ فقال له رسول الله ﷺ خيرا، ودعا له بخير.

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعرا، واسمه مالك بن قيس:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافَقُوا أَتَيْتُ الَّتِي كَانَتْ أَعْفَى وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَى يَدِي لِمُحَمَّدٍ فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْمًا وَلَمْ أَغْشَ مَخْرَمَا
تَرَكْتُ خَضِيبًا فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً صَفَايَا كِرَامًا بُسْرَهَا قَدْ تَحَمَّمَا
وَكُنْتُ إِذَا شَكَ الْمَنَافِقُ أَسْمَحْتُ إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

مرور النبي ﷺ بالحجر:

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحجر نزلها، واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تشرّبوا من مائها شيئا، ولا تتوضّؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاغلقوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئا، ولا يخرج منكم الليلة إلا ومعه صاحب له»، ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنق على مذهبه؛ وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح، حتى طرحته بجبلي طييء. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه». ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طييء، فإن طيئا أهدته لرسول الله ﷺ حين قَدِمَ المدينة.

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، وقد حدّثني عبد الله بن أبي بكر أن قد سمى له العباس الرجلين، ولكنه استودعه إياهما، فأبى عبد الله أن يسميهما لي.

قال ابن هشام: بلغني عن الزهري أنه قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالحجر سجد ثوبه على وجهه، واستحّ راحلته، ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون، خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

قال ابن إسحاق: فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكّوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا

فأمره جبريل، فقال: سل ربك، فإن لكل نبي مسألة، وكان جبريل عليه السلام له ناصحا، وكان محمد ﷺ له مطيعا، فقال: ما تأمرني أن أسأل؟ قال: «قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ

رسولُ الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى اِزْتَوَى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون التّفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمّه وفي عشيرته، ثم يلبسُ بعضهم بعضاً على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسولِ الله ﷺ حيث سار؛ فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمطرت حتى اِزْتَوَى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويحك، هل بعد هذا شيء! قال: سحابةٌ مارة.

مقالة ابن اللّصيت:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسولَ الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسولِ الله ﷺ رجل من أصحابه، يُقال له: عُمارة بن حزم، وكان عَقِيْباً بذريّاً، وهو عمّ بني عمرو بن حزم، وكان في رَحْله زيد بن اللّصيت القَيْثَقاعي، وكان منافقاً.

قال ابن هشام: ويقال: ابن لُصيب، بالباء.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، قالوا: فقال زيد بن اللّصيت، وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسولِ الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبيّ، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسولُ الله ﷺ وعمارة عنده: إن رجلاً قال: هذا محمّدٌ يخبركم أنه نبيّ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علّمني الله وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمائها، فانطلقوا حتى تأتونني بها، فذهبوا، فجاءوا بها. فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لَعَجِب من شيء حدّثناه رسولُ الله ﷺ آنفاً، عن مقالة قائل أخبره الله

صِدْقٍ وأخرجني مُخْرَجٍ صِدْقٍ واجعل لي من لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿١﴾ وهؤلاء نزلن عليه في رَجْعَتِهِ من تَبُوكُ^(١).

(١) أخرجه الترمذي.

عنه بكذا وكذا، للذي قال: زيد بن لُصَيْت؛ فقال رجل ممن كان في رحل عُمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عُمارة على زيد يجافي عنقه ويقول: إليّ عباد الله، إن في رحلي لداهيّة وما أشعر، أخرج أيّ عدوّ الله من رحلي، فلا تضحّبنِي.

قال ابن إسحق: فزعم بعضُ الناس أن زيدًا تاب بعد ذلك؛ وقال بعضُ الناس: لم يزل مُتَهَمًا بِشَرٍّ حتّى هلك.

إبطاء أبي ذرّ

ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائرًا، فجعل يتخلّف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتّى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذرّ، وأبطأ به بغيره؛ فقال: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»؛ وتلوّم أبو ذرّ على بغيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمّله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسولِ الله ﷺ ماشيًا. ونزل رسولُ الله في بعض منازلِه، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «كن أبا ذرّ». فلما تأمّله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذرّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «رحم الله أبا ذرّ يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده».

إبطاء أبي ذرّ

فصل: وذكر أبا ذرّ الغفاري، وإبطاءه. واسمُه: جُنْدُب بن جُنَادَة، هذا أصح ما قيل فيه، وقد قيل فيه: بَرِير بن عَشْرِقَة، وجُنْدُب بن عَبْد الله، وابن السكن أيضًا.

وقول النبي ﷺ: «كن أبا ذرّ»^(١)، وفي أبي خَيْثَمَة: «كن أبا خَيْثَمَة»^(٢)، لفظه لفظ الأمر، ومعناه الدعاء، كما تقول: أسلّم سَلَمَكَ الله.

إعراب كلمة وحده:

وقوله في أبي ذرّ: «رحم الله أبا ذرّ يمشي وحده، ويموت وحده»^(٣)، أي: يموت

(١) أخرجه الحاكم (٥٠/٣) والبيهقي في الدلائل (٢٢٢/٥) والطبري في تاريخه (١٧٤/٢) البخاري (٨٦/٨).

(٢) أخرجه البخاري (٨٦/٨) ومسلم في التوبة (٥٣) والبيهقي في الدلائل (٢٢٣/٥) والطبري في تاريخه (٢٢/٢) والطبراني في الكبير (٣٨/٦) وانظر الفتح (١١٩/٨).

(٣) أخرجه الحاكم (٥٠/٣).

وقال ابن إسحاق: فحدثني بُرَيْدَةُ بْنُ سَفْيَانَ الْأَسْلَمِيُّ، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نفى عثمانُ أبا ذرٍّ إلى الرَبْدَةِ، وأصابه بها قدره، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأته وغلّامه، فأوصاهما أن اغسلاني وكفّناني، ثم ضَعاني على قارعة الطريق، فأولَ رَكْبٍ يمرُّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ، فأعينونا على دفنِهِ. فلما مات فعلا ذلك به. ثم وضعاه على قارعة الطريق: وأقبل عبدُ الله بن مسعود في رَهْطٍ من أهل العراق عُمَارَ، فلم يرْغهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الإبل تَطْوُها، وقام إليهم الغلام. فقال: هذا أبو ذرٍّ صاحب رسولِ الله ﷺ، فأعينونا على دفنِهِ. قال: فاستهلَّ عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسولُ الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُنبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْهُ، ثم حدّثهم عبد الله بن مسعود حديثه، وما قال له رسولُ الله ﷺ في مسيره إلى تبوك.

تخذيّل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم:

قال ابن إسحاق: وقد كان رَهْطٌ من المنافقين، منهم ودِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع، حلف لبني سلمة، يقال له: مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ - قال ابن هشام: ويقال: مَحْشِيٌّ - يُشِيرُونَ إلى رسولِ الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أنحسبون جلاّد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً! والله لكأنا بكم غداً مُقَرَّنِينَ في الحبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ: والله لو دذتُ أني أقاضِي على أن يُضرب كل رجل مئاً مائة جَلْدَةٍ، وإنّا نَنفَلِتُ أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه.

وقال رسولُ الله ﷺ - فيما بلغني - لَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: «أدرك القوم، فإنهم قد اخترقوا، فسلمهم عما قالوا، فإن أنكروا فقتل: بلى، قلتُم كذا وكذا». فانطلق إليهم عُمَارُ، فقال ذلك لهم: فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال ودِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبِها: يا رسول الله، إنما كنّا نخوض ونلعب؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]. وقال مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يُعْلَمَ بمكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر.

منفرداً، وأكثر ما تستعمل هذه الحال لنفي الاشتراك في الفعل نحو كلمني زيدٌ وحده، أي: منفرداً بهذا الفعل، وإن كان حاضراً معه غيره، أي: كلمني خصوصاً، وكذلك لو قلت:

الصلح مع صاحب أيلة:

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تَبُولَ، أتاه يُحْنَةُ بن زُؤَبَةَ، صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح، فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتابًا، فهو عندهم.

كتاب الرسول لصاحب أيلة:

فكتب لِيُحْنَةَ بن زُؤَبَةَ:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أَمَنَةٌ مِنَ الله ومحمد النبي رسول الله ﷺ لِيُحْنَةَ بن زُؤَبَةَ وأهل أيلة، سَفَنَهُمْ وسيَّارتَهُمْ في البرِّ والبحر: لهم ذَمَّةُ الله، وذَمَّةُ محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حَدَثًا، فإنه لا يحول ماله دُونَ نفسه، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يُمنَّعوا ماء يَرِدُونَهُ، ولا طريقًا يُريدونه، من برٍّ أو بحر.

كَلِمَتُهُ من بينهم وَخَذَهُ، كان معناه خصوصًا كما قرره سيبويه، وأما الذي في الحديث، فلا يتقدَّر هذا التقدير، لأنه من المحال أن يموت خصوصًا، وإنما معناه: مُتَقَرِّدًا بذاته، أي: على حَدِّثِهِ، كما قال يونس، فقول يونس صالح في هذا الموطن، وتقدير سيبويه له بالخصوص يصلح أن يُحْمَلَ عليه في أكثر المواطن، وإنما لم يتعرَّف وَخَذَهُ بالإضافة، لأن معناه كمعنى لا غير، ولأنها كلمة تُنبِئُ عن نَفْيِ وَعَدَمٍ، والعَدَمُ ليس بشيء فضلًا عن أن يكون مُتَقَرِّفًا مُتَعَيِّنًا بالإضافة، وإنما لم يُشْتَقَّ منه فِعْلٌ، وإن كان مصدرًا في الظاهر لما قدَّمناه من أنه لفظ ينبئ عن عَدَمٍ وَنَفْيٍ، والفعل يدلُّ على حَدِّثٍ وزمانٍ، فكيف يشقُّ من شيء ليس بحديث إنما هو عبارة عن انتفاء الحديث عن كل أحد إلا عن زيد، مثلاً إذا قلت: جاءني زيد وَخَذَهُ، أي: لم يَجِءْ غيرَه، وإنما يقال: انعدم وانتفى بعد الوجود لا قَبْلَهُ، لأنه أمر مُتَجَدِّد كَالْحَدِّثِ، وقد أَطْبَقْنَا في هذا الغرض، وردناه بيانًا في مَسْأَلَةِ سُبْحَانَ الله وبحمده وشرحها.

أجأ وسلمى:

فصل: وذكر الرجل الذي طرحته الريح بجَبَلَيْ طَيِّيءَ، وهما أجأ وسلمى وعُرف أجأ بأجأ بن عبد الحَيِّ كان صُلِبَ في ذلك الجَبَلِ، وَسَلَمَى صُلِبَتْ في الجَبَلِ الآخر، فعرف بها، وهي سَلَمَى بنت حَامٍ فيما ذكر والله أعلم.

أَكِيدِر

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أَكِيدِر دُومة، وهو أَكِيدِر بن عَبد الملك، رجل من كِنْدَةَ كان ملكًا عليها، وكان نصرانيًا، فقال رسول الله ﷺ لخالد: «إنك ستجده يصيد البَقَر». فخرج خالد، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مُقَمَّرَةٍ صائفة، وهو على سَطْحٍ له، ومع امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قَطُّ؟ قال: لا والله! قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد. فنزل فأمر بفرسه، فأُسْرِجَ له، وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ يقال له: حَسَّان. فركب، وخرجوا معه بمطاردهم. فلما خرجوا تلقىتهم خيلُ رسول الله ﷺ، فأخذته، وقتلوا أخاه؛ وقد كان عليه قَبَاءٌ من دِيبَاجٍ مُخَوَّصٍ بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قَبَاءَ أَكِيدِر حين قدم به على رسول الله ﷺ، فَجَعَلَ المسلمون يَلْمِسُونَهُ بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن مُعَاذٍ في الجنة أحسن من هذا».

أَكِيدِر والكتاب الذي أرسل إليه

فصل: وذكر كتابه لأَكِيدِر دُومة. وودُومة بضم الدال هي هذه، وعرفت بدُومِي بن إسماعيل فيما ذكروا، وهي دُومة الجَنْدَلِ، ودُومة بالضم أُخْرَى، وهي عند الحِجْرة، ويقال لما حولها: التَّجْف، وأما دُومة بِالْفَتْح فأخرى مذكورة في أخبار الرُّدَّة.

وذكر أنه كتب لأَكِيدِر دُومة كتابًا فيه عهدٌ وأمانٌ، قال أبو عبيد: أنا قرأته، أتاني به شيخٌ هنالك في قُضَيْمٍ، والقُضَيْمُ الصَّحِيفَةُ، وإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّدٍ رسول الله لأَكِيدِر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دُومة الجَنْدَلِ وأكنافها، إن لنا الضَّاحِيَةَ من الضُّخْل والبُورِ والمَعَامِي، وأَغْفَالَ الأرض والحَلَقَةِ والسِّلَاح والحَاظِرِ والجِصْنَ ولكم الضَّامِنَةُ من التُّخْلِ والمَعِين من المَغْمُور لا تُغْدُلُ سَارِحَتُكُمْ، ولا تُعْدُّ فَارِدَتُكُمْ ولا يُخْظَرُ عليكم النباتُ، تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزَّكَاةَ بحَقِّها، عليكم بذلك عهدُ الله والميثاق، ولكم بذلك الصدقُ والوفاء. شهد الله، ومَنْ حَضَرَ من المسلمين» الضَّاحِيَةُ: أطرافُ الأرضِ، والمَعَامِي: مَجْهُولُهَا، وأَغْفَالُ الأرض: ما لا أَثَرَ لهم فيه من عمارة أو نحوها، والضَّامِنَةُ من التُّخْلِ: ما داخل بَلَدَهُمْ، ولا يُخْظَرُ عليكم النباتُ، أي: لا تُمْنَعُونَ من الرُّغْيِ حيث شئتم، ولا تُغْدُلُ سَارِحَتُكُمْ، أي: لا تُخْشَرُ إلى

قال ابن إسحاق: ثم إن خالدًا قدم أُكَيْدِرَ على رسول الله ﷺ، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، ثم خَلَّى سبيله، فرجع إلى قريته، فقال رجل من طييء: يقال له بُحَيْرُ بن بُجْرَةَ، يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد: إنك ستجده يصيد البقر، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته، لتصديق قول رسول الله ﷺ:

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
فَمَنْ يَكُ حَائِدًا عَنْ ذِي تَبَوُّكٍ فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجِهَادِ

فأقام رسول الله ﷺ بتَبَوُّكٍ بضعة عشرة ليلة، لم يُجاوزها ثم انصرف قافلًا إلى المدينة.

حديث وادي المشقق ومائه:

وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَلْ، ما يُزوي الراكب والراكبين والثلاثة، بواد يُقال له: وادي المُشَقَّق؛ فقال رسول الله ﷺ: «من سَبَقَنَا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئًا حتى نَأْتِيَهُ». قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه؛ فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه، فلم ير فيه شيئًا. فقال: «من سَبَقَنَا إلى هذا الماء؟» ف قيل له: يا رسول الله، فلان وفلان؛ فقال: «أولم أنهم أن يستقوا منه شيئًا حتى أتاه؟» ثم لعنهم

المُصَدِّق وإنما أَخَذَ منهم بعض هذه الأرضين مع الحَلَقَةِ، وهي السلاح، ولم يفعل ذلك مع أهل الطائف حين جاؤوا تائبين، لأن هؤلاء ظهر عليهم وأخذ ملكهم أَسِيرًا، ولكنه أبقى لهم من أموالهم ما تضمَّنه الكتاب، لأنه لم يقاتلهم، حتى يأخذهم غَنَوةً كما أخذ خَنِيْرَ، فلو كان الأمر كذلك لكانت أموالهم كلها للمسلمين، وكان له الخيار في رقابهم كما تقدَّم ولو جاؤوا إليه تائبين أيضًا قبل الخروج إليهم، كما فعلت ثَقِيفُ ما أَخَذَ من أموالهم شيئًا.

الكتاب إلى هرقل:

ولم يذكر ابن إسحاق في غزوة تَبَوُّكٍ ما كان من أمر هرقل، فإن النبي ﷺ - كتب إليه من تبوك مع دِخْيَةَ بن خَلِيفَةَ، ونصه مذكور في الصَّحاح مشهور، فأمر هرقل مُناديًا ينادي: ألا إن هِرَقْلَ قد آمن بمحمد وأتبعه، فدخلت الأجناد في سلاحها، وأطافت بقصره تريد قتله، فأرسل إليهم: إني أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم، فقد رَضِيت عنكم فَرَضُوا عنه، ثم كتب كتابًا، وأرسله مع دِخْيَةَ يقول فيه للنبي - ﷺ - إني مُسْلِمٌ، ولكني مَغْلُوبٌ على أمري، وأرسل إليه بهدية، فلما قرأ النبي ﷺ كتابه، قال: «كذب عدو الله ليس بمسلم، بل هو على نَصْرَانِيَّتِهِ».

رسولُ الله ﷺ، ودعا عليهم. ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصبّ في يده ما شاء الله أن يصبّ ثم نَضَحَ به، ومَسَحَ بيده، ودعا رسولُ الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو له، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إنَّ له حَسًّا كحَسِّ الصواعق، فشرب الناس، واستقوا حاجتهم منه. فقال رسولُ الله ﷺ: «لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعنَّ بهذا الوادي، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه».

قيام الرسول على دفن ذي الجادين:

قال: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث، قال: قُمت من جوف الليل، وأنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: فرأيت شُعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو الجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسولُ الله ﷺ في حفرة، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه، وهو يقول: أذنيا إليّ أخاكما، فدَلِّياهُ إليه، فلما هياهُ لَشِقُّهُ قال: اللهم إني أُمسيت راضيًا عنه، فارض عنه. قال: يقولُ عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة.

موقفه ﷺ من بعض الهدايا:

وقيل: هديته، وقسمها بين المسلمين، وكان لا يقبل هدية مُشْرِكٍ مُحَارِبٍ، وإنما قبل هذه لأنها فَيءٌ للمسلمين، ولذلك قسمها عليهم، ولو أتنه في بيته كانت له خالصة، كما كانت هدية المُقَوِّس خالصة له، وقبلها من المُقَوِّس؛ لأنه لم يكن مُحَارِبًا للإسلام، بل كان قد أظهر الميل إلى الدخول في الدين، وقد ردَّ هدية أبي براءٍ مَلَاعِبِ الأسيئة، وكان أهدى إليه فَرَسًا، وأرسل إليه: إني قد أصابني وَجَعٌ أحسبه قال: يقال له: الدَّيْلَةُ^(١)، فابْعَثْ إليّ بِشَيْءٍ أُنْدَاوِي به، فأرسل إليه النبي ﷺ - بِعُكَّةٍ^(٢) عَسَلٍ، وأمره أن يَسْتَشْفِي به ورَدَّ عليه هديته، وقال: «إني نُهيْتُ عن زيد المشركين»^(٣)، وبعضُ أهل الحديث ينسب هذا الخبر لعامر بن الطفيل عَدُوَّ الله، وإنما هو عمُّ عامر بن مَالِكٍ. وقوله عليه السلام عن زَيْدٍ^(٤) المشركين، ولم يقل: عن هديتهم يدلُّ على أنه إنما كره مَلَايَنَتَهُمْ ومُدَاهَنَتَهُمْ، إذا كانوا حَرْبًا، لأن الزَيْدَ مُشْتَقٌّ من الزُّبْد، كما أن المُدَاهَنَةَ مُشْتَقَّةٌ من الدُّهْن، فعاد المعنى إلى معنى اللَّيْنِ والمَلَايَنَةِ، ووجود الجِد في حَرْبِهِم والمُحَاشَنَةِ. وقد ردَّ هدية عياض بن حَمَّاد

(١) الديلة: خراج يظهر بالجوف.

(٢) العُكَّة: وعاء من جلد.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي (١٥٧٧) والطبراني (٣٦٤/١٧) وانظر الفتح (٢٣١/٥).

(٤) الزيد: العطاء.

لِمَ سُمِّيَ ذُو الْبِجَادِينَ؟

قال ابن هشام: وإنما سُمِّيَ ذُو الْبِجَادِينَ، لأنه كان يَنَازِعُ إلى الإسلام، فيمنعه قومه من ذلك، ويُضَيِّقُونَ عليه، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره، والِبِجَاد: الكساء الغليظ الجافي، فَهَرَبَ منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قَرِيبًا منه، شَقَّ بجاده باثنين، فَاتَّزَرَ بواحد، واشتمل بالآخر ثم أتى رسولَ الله ﷺ، فقليل له: ذُو الْبِجَادِينَ لذلك، والِبِجَاد أيضًا: المِسْح، قال ابن هشام: قال امرؤ القيس:

كَأَن أَبَانَا فِي عَرَانِينَ وَذَقَهُ كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزْمَلٍ

المُجَاشِعي قبل أن يُسَلِّمَ، وفيها قال: إني نُهِيتُ عن زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ. وأهدى إلى أَبِي سُفْيَانَ عَجْوَةً وَاسْتَهْدَاهُ أَدَمًا فَأَهْدَاهُ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَلَى شِرْكَهَ الْأَدَمِ، وذلك في زمنِ الْهُذَنَةِ التي كانت بينه وبين المسلمين في صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وقد رُوِيَ أَنِ هِرْقَلُ وَضَعَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الذي كتب إليه في قِصْبَةٍ مِنْ ذَهَبٍ تَعْظِيمًا لَهُ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَتَوَارَثُونَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ فِي أَرْفَعِ صَوَانٍ، وَأَعَزُّ مَكَانٍ حَتَّى كَانَ عِنْدَ «إِذْفُونَش» الَّذِي تَغَلَّبَ عَلَى طُلَيْطَلَةَ، وَمَا أَخَذَهَا مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، ثُمَّ كَانَ عِنْدَ ابْنِ بَنْتَهَ الْمَعْرُوفِ «بِالسُّلَيْطِينَ» حَذَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ حَدَّثَهُ مِنْ سَأَلَهُ رُؤَيْتَهُ مِنْ قَوَادِ أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ يَعْرِفُ بَعْدَ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: فَأَخْرَجَهُ إِلَيَّ فَاسْتَعْبَرْتُهُ وَأَرَدْتُ تَقْيِيلَهُ، وَأَخَذَهُ بِيَدِي، فَمَنْعَنِي مِنْ ذَلِكَ صِيَانَةً لَهُ وَضَنًا بِهِ عَلَيَّ. ويقال: هِرْقَلُ وَهِرْقَلُ.

حول قصّة البكائين:

فصل: وذكر البكائين، وذكر فيهم عُلبَةُ بْنُ زَيْدٍ، وفي رواية يونس أن عُلبَةَ خَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ بَكَى، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْجِهَادِ، وَرَغَبْتَ فِيهِ، ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي، مَا أَتَقَوَّى بِهِ مَعَ رَسُولِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَتَصَدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي بِهَا فِي مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ» ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟» لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَلْيَقُمْ، وَلَا يَتَزَاهَدُ مَا صَنَعَ هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟» فَقَامَ إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبَشِرْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ كُتِبَ فِي الزَّكَاةِ الْمُتَقَبَّلَةِ»^(١). وَأَمَّا سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغْفَلِ، فَرَأَاهُمَا يَامِيزُ بْنُ كَعْبٍ يَبْكِيَانِ، فَرَوَدَهُمَا، وَحَمَلَهُمَا، فَلَحَقَا بِالنَّبِيِّ ﷺ.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢١٩/٥) وانظر الإصابة (٤٩٣/٢).

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري، عن ابن أكيمة الليثي، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحُصَيْن، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة، يقول: غَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريباً من رسول الله ﷺ، وألقى الله علينا النعاس فطَفِقْتُ أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة رسول الله ﷺ، ففَزَعَنِي دنوها منه، مخافة أن أصيب رجله في العَرَزِ، فطَفِقْتُ أُحَوِّزُ راحلتي عنه، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق، ونحن في بعض الليل، فزاحمت راحلتي راحلة رسول الله ﷺ ورجله في العَرَزِ، فما استيقظت إلا بقوله: «حَسَنٌ»، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. فقال: «سر»، فجعل رسول الله ﷺ يسألني عَمَّنْ تخلف عن بني غفار، فأخبره به؛ فقال وهو يسألني: «ما فعل الثَّغَرُ الحُمُرُ الطُّوالُ الثُّطاطُ». فحدَّثته بتخلفهم. قال: «فما فعل الثَّغَرُ السود الجعاد القصار؟» قال: قلت: والله ما أعرف هؤلاء منا. قال: «بلى الذين لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدَخٍ؛ فتذكَّرتهم في بني غفار، ولم أذكُرْهم حتى ذكرْتُ أم لهم رَهْطٌ من أسلم كانوا حُلَفاءَ فينا»، فقلت: يا رسول الله، أولئك رَهْطٌ من أسلم، حلفاء فينا؛ فقال رسول الله ﷺ: «ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأً نَشِيطاً في سبيل الله؟ إن أعزَّ أهلي عليَّ أن يتخلف عني المهاجرون من قُرَيْشٍ والأنصارُ وغفارٌ وأُسْلَمٌ».

معنى كلمة حسن:

فصل: وقوله خَبَرًا عن أبي رهم: أصابت رجلي رجل رسول الله ﷺ ورجله في العَرَزِ فما استيقظتُ إلا بقوله: «حَسَنٌ. العَرَزُ للرجل كالركاب للسرَّج»، وحسن: كلمة تقولها العرب عند وجود الألم، وفي الحديث أن طَلْحَةَ لما أصيبت يده يوم أُحُدٍ، قال: حسن، فقال النبي - ﷺ - لو أنه قال: ينسم الله، يعني مكان حسن، لدخل الجنة، والناس ينظرون، أو كَلَامًا هذا معناه، وليست حسن باسم ولا بفعل، إنها لا مَوْضِعٌ لها من الإعراب، وليست بمنزلة صه، ومه، ورؤيد، لأن تلك أسماء سُمِّيَ الفعل بها وإنما حسن صوت كالأين الذي يُخْرِجُه المتألم نحو آه، ونحو قول الغراب: غلَّقِي، وقد ذكرنا قبل في أف وجهين، أحدهما: أن تكون من باب الأصوات مَبْنِيَّة، كأنه يحكي بها صوت التَّفَخُّع، والثاني أن يكون مَعْرِفَةً مثل تَبَا يُرَادُ به الوَسْخُ.

وقوله: السُّودُ الثُّطاطُ جمع: نَطَطٌ، وهو الذي لا لَحْيَةَ له. قال الشاعر:

كَهَامَةِ الشَّيْخِ الِیْمَانِي الثُّطَطُ

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إننا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإننا نحب أن تأتينا، فتصلي لنا فيه؛ فقال: «إني على جناح سفر، وحال شغل»، أو كما قال ﷺ: «ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه».

فلما نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف، ومغن بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، أخا بني العجلان، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرّماه. فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي. فدخل إلى أهله، فأخذ سعة من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرّماه وهدماه، وتفرّقا معه عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾... إلى آخر القصة.

ونحو منه: السَّطَا، ومن المحدثين من يرويه: الشُّطَا، وأحسبه تَضْحِيْفًا.

وقوله: شبكة شَدَخ: موضع من بلاد غِفَار.

أصحاب مسجد الضرار

فصل: وذكر المنافقين الذين اتخذوا مَسْجِدًا ضِرَارًا.

وذكر فيهم جارية بن عامر، وكان يُعرَف بِحَمَارِ الدار، وهو جارية بن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَاف.

وذكر فيهم ابنته مُجَمِّعَا، وكان إذ ذاك غلامًا حَدَثًا قد جمع القرآن فقدموه إمامًا لهم، وهو لا يعلم بشيء من شأنيهم، وقد ذكر أن عمر بن الخطَّاب في أيامه أراد عزله عن الإمامة، وقال: أليس بإمام مسجد الضرار، فأقسم له مُجَمِّع أنه ما علم شيئًا من أمرهم، وما ظنَّ إلا الخير، فصدقه عَمْرُ، وأقرّه، وكانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول الله - ﷺ - كلهم يصلون بأذان بلال، كذلك قال بكير بن عبد الله الأشج فيما روى عنه أبو داود في مراسيله، والدارقطني في سنّته، فمنها مَسْجِدُ رَاتِج، ومَسْجِدُ بني عبد الأشهل، ومسجد بني عمرو بن مَبْدُول، ومسجد جُهَيْنَةَ وأُسْلَم، وأحسبه قال: ومسجد بني سلمة،

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذَام بن خالد، من بني عُيَيْد بن زَيْد، أحد بني عمرو بن عَوْف، ومن داره أخرج مسجد الشَّقَاق، وتُعَلَّبَة بن حاطب من بني أُمَيَّة بن زيد، ومُعْتَب بن قُشَيْر، من بني ضُبَيْعَة بن زيد، وأبو حَبِيبَة بن الأَزْعَر، من بني ضُبَيْعَة بن زيد، وعَبَاد بن حُنَيْف، أخو سَهْل بن حُنَيْف، من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مُجَمِّع بن جارية، وزَيْد بن جارية، ونُبَيْل بن الحَارِث، من ضُبَيْعَة، وبخزج، من بني ضُبَيْعَة، وبِجَاد بن عثمان، من بني ضُبَيْعَة، وودِيعَة بن ثابت، وهو من بني أُمَيَّة بن زيد رهط أبي لُبَابَة بن المُنْذِر.

وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومةً مسماة: مسجد بتبوك، ومسجد بئِنَّة مَذْرَان، ومسجد بذات الزَّرَاب، ومسجد بالأخْضَر، ومسجد بذات الخطْمِي، ومسجد بالأء، ومسجد بطَرْف البُثْرَاء، من ذنب كَوَاكِب، ومسجد بالشَّق، شِقُّ تَارَا، ومسجد بذِي الحِيفَة، ومسجد بَصْدَر حَوْضِي، ومسجد بالحِجْر، ومسجد بالصَّعِيد، ومسجد بالوادي، اليوم، وادي القُرَى. ومسجد بالرُّقعة من الشَّقَة، شِقَة بني عُذْرَة، ومسجد بذِي المَرْوَة، ومسجد بالفَيْفَاء، ومسجد بذِي حُثْب.

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين في غزوة تبوك

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك، ومُرارة بن

وسائرهما مذكور في السُّنَنِ، وذكر ابن إسحق في المساجد التي في الطريق مسجداً بذِي الحِيفَة، كذا وقع في كتاب أبي بَحرٍ بالخاء مُعْجَمَة، ووقع الحِيفَة بالجيم في كتاب قُرَيْء على ابن أبي سراج، وابن الإقيلي وأحمد بن خالد.

عن الثلاثة الذين خُلفوا^(١)

فصل: وذكر الثلاثة الذين خُلفوا، ونَهَى الناس عن كلامهم، وإنما اشتدَّ غضبه على مَنْ تَخَلَّف عنه ونَزَلَ فيهم من الوعيد ما نَزَلَ حتى تاب الله على الثلاثة منهم، وإن كان الجهاد من فُرُوض الكِفَايَة، لا من فُرُوض الأعيان، لكنه في حَقِّ الأَنْصَار كان فرضٌ عَيْنٍ، وعليه بايعوا النبي ﷺ، أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَ الْحَنْدَقِ، وهم يَزْتَجِرُونَ:

نحن الذين بايعوا مُحَمَّدًا على الجِهَادِ مَا بَقِيَْنَا أَبَدًا

(١) انظر البخاري (٨٦/٨) ومسلم في التوبة (٢٧٦٩).

الربيع، وهلال بن أمية؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا تكلّمُن أحدًا من هؤلاء الثلاثة»، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يَخلفون له ويعتذرون، فصَفَحَ عنهم رسول الله ﷺ ولم يعذرهم الله ولا رسوله. واعتزل المسلمون كلام أولئك نفر الثلاثة.

حديث كعب عن التخلف:

قال ابن إسحق: فذكر الزهريّ محمد بن مسلم بن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن أباه عبد الله، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره، قال: سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وحديث صاحبيه، قال: ما تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط، غير أنني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحدًا تخلف عنها، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد غير قريش، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبه، وحين توائفنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت غزوة بدر هي أذكر في الناس منها. قال: كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعتا في تلك الغزوة، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى غيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، واستقبل غزو عدو كثير، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبطه وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ، يعني بذلك الديوان، يقول: لا يجمعهم ديوان مكتوب.

قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحي من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت شمار وأجبت الظلال، فالناس إليها صغر؛ فتجهّز رسول الله ﷺ، وتجهّز المسلمون معه، وجعلت أغدو لأنجهز معهم، فأرجع ولم أقض حاجة، فأقول في نفسي، أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمر الناس بالجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أنجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف، لأنهم خرجوا لأخذ غير، ولم يظنوا أن سيكون قتال، فكذلك كان تخلفهم عن رسول الله ﷺ في هذه الغزاة كبيرة لأنها كالتكتل لبيعتهم، كذلك قال ابن بطال رحمه الله في هذه المسألة: ولا أعرف لها وجهاً غير الذي قال، وأما

بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفرط الغزو، فهممت أن أرتحل، فأدركهم، وليتني فعلت، فلم أفعل، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، فطففت فيهم، يحزنني أنني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه بُزْدَاهُ، والنظر في عَظْفِيهِ؛ فقال له معاذ بن جبل: بش ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً؛ فسكت رسول الله ﷺ.

فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك، حضرني بَئِي، فجعلت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سَخْطَةِ رسول الله ﷺ غداً وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي؛ فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أطل قادمًا زاح عني الباطل، وعرفت أنني لا أنجو منه إلا بالصدق، فأجمعت أن أصدقه، وصبح رسول الله ﷺ المدينة، وكان إذا قَدِم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وأيمانهم، ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جثت فسلمت عليه، فتبسم تبسم المغضب، ثم قال لي: «تعاله»، فجئت أمشي، حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك؟» قال: قلت: إني يا رسول الله، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أنني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كذباً لترضين عني، وليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديثاً صدقاً تجد علي فيه، إني لأرجو عُقْبَايَ من الله فيه، ولا والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدقت فيه، فقم حتى يقضي الله فيك»، فقممت، وثار معي رجال من بني سلمة، فأتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما

الثلاثة فهم كَعْبُ بن مالك بن أبي كعب، واسم أبي كعب عَمْرُو بن القَيْن بن كَعْب بن سَوَاد بن عَنَم بن كَعْب بن سَلَمَةَ بن سَعْدِ بن عَلِي بن أَسَد بن سَارِدَةَ بن يَزِيد بن جُشَم بن الحَزْرَج الأنصاري السلمي، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، [وقيل: أبا بشير] أمه: ليلى بنت زَيْد بن ثَعْلَبَةَ من بني سَلَمَةَ أيضاً، وهلال بن أمية، وهو من بني واقف، ومُرَاة بن رَيْبَةَ، ويقال: ابن الرِّبِيع العُمري الأنصاري من بني عُمَر بن عَوْف.

اعتذر به إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسولِ الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا بي حتى أردتُ أن أرجع إلى رسولِ الله ﷺ، فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا أحدٌ غيري؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل مقالتك، وقيل لهما مثل ما قيل لك؛ قلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العنمري، من بني عمرو بن عوف، وهلال بن (أبي) أمية الواقفي؛ فذكروا لي رجلين صالحين، فيهما أسوة، فصمت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة، من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي نفسي والأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما، وأما أنا فكنْتُ أَشْبَ القوم وأجلدهم، فكنْتُ أخرج، وأشهد الصلوات مع المسلمين، وأطوف بالأسواق، ولا يكلمني أحد، وأتى رسول الله ﷺ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي، هل حرَّكَ شَفْتيه بردَ السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفتُ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين، مشيتُ حتى كوّرت جدار حائط أبي قتادة. وهو ابن عمي، وأحبُّ الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردَّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلم أني أحبُّ الله ورسوله؟ فسكت. فعدت فناشدته، فسكت عني، فعدت فناشدته فسكت عني، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى، ووثبت فتسوّرت الحائط، ثم غدوت إلى السوق، فبينما أنا أمشي بالسوق، إذا نَبْطِي يسأل عني من نَبْط الشام، مما قَدِم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلّ على كَعْب بن مالك؟ قال: فجعل الناس يُشيرون له إليّ، حتى جاءني، فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان، وكتب كتاباً في سرقة من حرير، فإذا فيه: «أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نوابك. قال: قلت حين قرأتها: وهذا من البلاء أيضاً، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجلٍ من أهل الشرك. قال: فعمدتُ بها إلى ثور، فسَجَرْتَه بها. فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتي، فقال: إن رسولَ الله ﷺ يأمرُك أن تعتزل امرأتك، قال: قلت: أطلقها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إليّ صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك،

زاح عني الباطل:

فصل: وذكر قول كعب: زاح عني الباطل، يقال: زاح وانزاح: إذا ذهب، والمصدر زُبُوحاً وزَيْحَاناً، إحداهما عن الأضمعي، والأخرى عن الكسائي.

فكوني عندهم حتى يَقْضِيَ الله في هذا الأمر ما هو قاض. قال: وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له، أفكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يَقْرَبَنَّكَ»؛ قالت: والله يا رسول الله ما به من حَرَكَة إلَيَّ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوّفت على بصره. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ لامرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؛ قال: فقلت: والله لا أستأذنه فيها، ما أدري ما يقول رسول الله ﷺ لي في ذلك إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب، قال: فلبثنا بعد ذلك عشر ليال، فأكمل لنا خمسون ليلة، من حين نَهَى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، ثم صليت الصبح، صبح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا، على الحال الذي ذكر الله مَنَّا، قد ضاقت علينا الأرض بما رُحِبَتْ، وضاقت عليّ نفسي، وقد كنت ابتليت خِيمة في ظهر مبلغ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على فهو سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء الفَرَج.

قال: وأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يُبْشِرُونَا، وذهب نحو صاحبي مبشرون، وركض رجل إلى فرسا. وسعى ساع من أسلم، حتى أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشّرني، نزعت ثوبي، فكسوتهما إياه بشارة، والله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، ثم انطلقت أتيم رسول الله ﷺ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة، يقولون: لِيَهْنِكَ توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله، فحيّاني وهنّاني، ووالله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة.

وقوله: فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهنّني، فكان كعب يراها له، فيه: جواز السرور بالقيام إلى الرجل كما سُرَّ كعب بقيام طلحة إليه، وقد قال عليه السلام في خَبَرِ سعد بن مُعَاد: «قوموا إلى سيّدكم»^(١)، وقام هو ﷺ إلى قوم، منهم: صَفْوَانُ بن أمية حين قدم عليه، وإلى عدي بن حاتم، وإلى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وغيرهم، وليس هذا بمعارض لحديث معاوية عنه - ﷺ - أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا

(١) أخرجه البخاري (٨١/٤) ومسلم في الجهاد (٦٤) وأبو داود (٥٢١٥) - بتحقيقي) والترمذي (٨٥٦) وأحمد (٢٢/٣).

قال كعب: فلما سلمتُ على رسولِ الله ﷺ قال لي، ووجهه يَبْرُقُ من السرور: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذُ ولدتك أمُّك»، قال: قلت: أَمِنَ عندك يا رسولَ الله أم من عند الله؟ قال: «بل من عند الله». قال: وكان رسولُ الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكُنَّا نعرف ذلك منه. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسولَ الله، إن من توبتي إلى الله عزَّ وجلَّ أن أنخلع من مالي، صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسولُ الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك». قال: قلت: إني مُنْسَك سَهْمِي الذي بخير: وقلت: يا رسولَ الله، إن الله قد نَجَّاني بالصدق، وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدث إلاَّ صدقًا ما حييت، والله ما أعلم أحدًا من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ لرسولِ الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلاني الله، والله ما تعددت من كذبة منذ ذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

وأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا...﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ - ١١٩].

قال كعب: فوالله ما أنعم الله عليَّ نعمةً قطَّ بعد أن هداني للإسلام كانت أعظمَ في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ يومئذ، أن لا أكون كذبتُه، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شرًّا ما قال لأحد، قال: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا يَكْسِبُونَ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِنَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦].

مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ^(١) وَيُرْوَى: يَسْتَجِمُّ لَهُ الرِّجَالُ؛ لَأَن هَذَا الْوَعِيدَ إِنَّمَا تَوَجَّهَ لِلْمُتَكَبِّرِينَ، وَإِلَى مَنْ يَغْضَبُ، أَوْ يَسْخَطُ أَلَّا يُقَامَ لَهُ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: يَقَامُ إِلَى الْوَلَدِ بَرًّا بِهِ، وَإِلَى الْوَلَدِ سُورًا بِهِ، وَصَدَقَ هَذَا الْقَائِلُ، فَإِنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُومُ إِلَى أَبِيهَا ﷺ بَرًّا بِهِ، وَكَانَ هُوَ ﷺ يَقُومُ إِلَيْهَا سُورًا بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَكَذَلِكَ كُلُّ قِيَامٍ أَثْمَرَهُ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالسُّرُورُ بِأَخِيكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَالْبَرُّ بِمَنْ يَحِبُّ بَرَّهُ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ خَارِجٌ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ وَاللَّهِ أَعْلَمُ.

(١) أخرجه أحمد (١٠٠/٤) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٧) وأبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢١٩/١).

قال: وكُنَّا خُلَفَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حِينَ خَلَفُوا لَهُ فَعَذَرَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا، حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ مَا قَضَى، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾.

وليس الذي ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا، وإرجائه أمرنا عمن حلف له، واعتذر إليه، فقبل منه.

أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف.

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ، كما يتحدث قومه: إنهم قاتلوك، وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم. قال ابن هشام: ويقال: من أبصارهم.

قال ابن إسحاق: وكان فيهم كذلك محببًا مطاعًا، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه، لمنزلة فيهم؛ فلما أشرف لهم على عليّة له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رمّوه بالنبل من كلّ وجه، فأصابه سهم فقتله. فتزعّم بنو مالك أنه قتله رجل منهم، يُقال له: أوس بن عوف، أخو بني سالم بن مالك، وتزعّم الأحلاف أنه قتله رجل منهم، من بني عتاب بن مالك، يقال له: وهب بن جابر، فقليل

إسلام ثقيف

فيه قول النبي ﷺ في عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ حِينَ قُتِلَ: مثله كمثل صاحب ياسين في قومه، يحتمل قوله ﷺ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين، الذي قال لقومه: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ فقتله قومه، واسمه حَبِيبُ بْنُ مُرِّيٍّ، ويحتمل أن يريد صاحب إِلْيَاسَ، وهو الْيَسَعَ، فإن إلياس يقال في اسمه: ياسين أيضًا، وقال الطبري: هو إلياس بن يَاسِينَ، وفيه قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠] فالله أعلم؛ وقد بيّنّا في التعريف والإعلام معنى إلياس وإلياسين وآل ياسين بيانًا شافيًا، وأوضحنا خطأ قول من قال إن إلياسين جمع كالأشعرين، وضعف قول من قال: إن ياسين هو محمد ﷺ، فليُنظر هنالك.

لَعْرُوة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنونني معهم، فدفنوه معهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إن مثله في قومه لَكُمْثَلٌ صاحب ياسين في قومه».

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرًا، ثم إنهم ائْتَمَرُوا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.

حدّثني يعقوب بن عُثْبَةَ بن المُغِيرَةَ بن الأَخْنَسِ: أن عَمْرَو بن أُمَيَّة، أخا بني عِلَاج، كان مُهاجِرًا لعبد يالِيل بن عمرو، الذي بينهما سِيء، وكان عمرو بن أُمَيَّة من أَذْهَى العرب، فَمَشَى إلى عبد يالِيل بن عمرو، حتى دخل داره، ثم أرسل إليه أن عَمْرَو بن أُمَيَّة يقول لك: أخرج إليّ، قال: فقال عبدُ يالِيلَ للرسول: وَيْلَكَ! أَعَمَّرُوا أَرْسَلَكَ إليّ؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفًا في دارك، فقال: إن هذا الشيء ما كنت أظنّه، لَعَمْرُو كان أَمْنَع في نفسه من ذلك، فخرج إليه، فلما رآه رَحَّبَ به، فقال له عمرو: إنه

زوج عروة:

وكانت تحت عُرْوَةَ مَيْمُونَةَ بنت أبي سُفْيَان، فولدت له أبا مَرْءَةَ بن عُرْوَةَ، وبنت أبي مَرْءَةَ هي: ليلى امرأة الحسين بن عَلِيٍّ عليهما السلام ولدت للحُسَيْنِ عَلِيًّا الأكبر قتل معه بالْطُفْ^(١)، وأما عليّ الأَصْبَعَرُ فلم يُقْتَلْ معه، وأُمُّه: أم وَلَدٍ، واسمها سُلَاقَةُ، وهي بنت كِسْرَى بن يَزْدَجِرْدَ، وأختها الْعَزَالُ هي أم أبي بَكْرِ بن عبد الرحمن بن الحارِبِ بن هِشَام.

حول هدم اللات:

فصل: وذكر إسلام ثقيف وعدم طاغيتهم، وهي اللات، وأن المُغِيرَةَ وأبا سُفْيَانَ هما اللذان هَدَمَاها وذكر بعض مَنْ أَلْفَ في السَّيْرِ أن المغيرة قال لأبي سُفْيَانَ حين هدمها: ألا أَضْحِكُكَ من ثقيف؟ فقال: بَلَى، فأخذ المِغْوَلُ، وضرب به اللات ضَرْبَةً، ثم صاح وَخَرَّ على وجهه، فَازْتَجَّتْ الطائِفُ بالصِّيَاحِ سُرُورًا بأن اللات قد صَرَعَتِ المغيرة، وأقبلوا يقولون: كيف رأيتموها يا مُغِيرَةُ دُونَكُهَا إن اسْتَطَعْتَ، ألم تَعْلَمْ أنها تُهْلِكُ مَنْ عاداها، وَنَحْكُمُ ألا تَرَوْنَ ما تَصْنَعُ؟ فقام المغيرة يضحك منهم، ويقول لهم: يا خُبَنَاءُ والله ما قَصَدْتُ إِلَّا أَلْهَزَأَ بكم، ثم أقبل على هَدْمِهَا، حتى اسْتَأْصَلَهَا، وأقبلت عجائزُ ثَقِيفٍ تَبْكِي حَوْلَهَا، وتقول: أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ، إِذْ كَرِهُوا المِصَّاعَ، أي: أسلمها اللَّثَامُ حين كَرِهُوا الْقِتَالَ.

(١) الطف: موضع بالكوفة.

قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، قد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحريهم طاقة، فانظروا في أمركم: فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها، وقال بعضهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع، فاتمروا بينهم، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً، كما أرسلوا غزوة، فكلّموا عبدَ ياليلَ بن عمرو بن عمير، وكان سنّ عروة بن مسعود، وعرضوا ذلك عليه، فأبى أن يفعل، وخشي أن يصنع به إذا رجع كما صنّع بغزوة. فقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجلاً، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، وشريحيل بن غيلان بن سلمة بن معتب، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان، أخا بني يسار، وأوس بن عوف، أخا بني سالم بن عوف، وتميم بن خزشة بن ربيعة، أخا بني الحارث. فخرج بهم عبد ياليل، وهو نأب القوم وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنّع بغزوة بن مسعود، لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه..

فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قناة ألقوا بها المغيرة بن شعبة، يرعى في نوبة ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رغيته نوباً على أصحابه ﷺ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفين، وضبر يشتد، ليبشر رسول الله ﷺ بقدمهم عليه، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام، بأن يشترط لهم رسول الله ﷺ شروطاً، ويكتبوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ، حتى أكون أنا أحدثه؛ ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ، فأخبره بقدمهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه، فزّوج الظهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية، ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده، كما يزعمون، فكان خالد بن سعيد بن العاص، هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ، حتى اكتتبوا كتابهم. وكان

فقه حديث كتاب النبي لثقيف:

فصل: وذكر كتابه ﷺ لثقيف، وذكره أبو عبيد كما ذكره ابن إسحق، وذكر فيه شهادة عليّ وابنيه الحسن والحسين، قال: وفيه من الفقه شهادة الصبيان، وكتابة أسمائهم قبل البلوغ، وإنما تُقبل شهادتهم إذا أدوها بعد البلوغ، وفيه من الفقه أيضاً شهادة الابن مع شهادة أبيه في عقد واحد.

خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يَطْعَمُونَ طعامًا يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة، وبأبى عليهم حتى سألوا شهرًا واحدًا بعد مَقْدَمِهِمْ، فأبى عليهم أن يدعها شيئًا مستقى، وإنما يزيدون بذلك فيما يُظهرون أن يتَسَلَّمُوا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرائعهم ويكرهون أن يُروَعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام: فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمُغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أما كسر أوثانكم بأيديكم فسُعْفِيكُمْ منه، وأما الصلاة، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه»، فقالوا: يا محمد، فسُنْؤُتِكُهَا، وإن كانت دناءة.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أُمِرَ عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنًا، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلُّم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إني قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلَّم القرآن.

قال ابن إسحاق: وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي، عن بعض وفدهم. قال: كان بلال يأتينا حين أسلمنا وضمنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان، بفطرننا وسَحُورنا من عند رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسحور، وإنا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد تركت رسول الله ﷺ يتسَحَّر، لتأخير السحور، ويأتينا بفطرننا، وإنا لنقول: ما نرى الشمس كلَّها ذهبت بعد. فيقول: ما جئتمكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده في الجفنة، فيلتقم منها.

قال ابن هشام: بَقَطُورنا وسَحُورنا.

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي هند، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير، عن عثمان بن أبي العاص، قال: كان من آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ حين بعثني

وذكر في الكتاب: وَجَاء، وأنه حَرَامٌ عِضَاهُ وَشَجَرُهُ، يعني حَرَامًا على غير أهله كتحريم المدينة ومكة. وَوَجَّ هي أرض الطائف، وهي التي جاء فيها الحديث: إن آخر وَطَاءَةٍ وَطِئَهَا الرَّبُّ بَوَجٍّ، ومعناها عند بعضهم: آخر غَزْوَةٍ وَوَقَعَةٍ كانت بأرض العرب بَوَجٍّ، لأنها آخِرُ غَزَوَاتِهِ - ﷺ - إلى العرب، وقد قيل في معنى الحديث غير هذا، مما ذكره القُتَيْبِيُّ، ونحن نضرب عن ذكره، لما فيه من إبهام التشبيه، والله المُسْتَعَانُ.

على ثقيف أن قال: يا عثمان، تجاوز في الصلاة، واقدّر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير، والصغير، والضعيف، وذا الحاجة.

قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم، وتوجّهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة، في هدم الطاغية، فخرجوا مع القوم، حتى إذا قَدِموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يُقدّم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: أدخل أنت على قومك؛ وأقام أبو سفيان بماله بذئ الهذم؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول، وقام قومه دونه، بنو مَعْتَب، خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أُصيب عروة، وخرج نساء ثقيف حُسْرًا يَتَكِن عليها ويقلن:

لَتُبَكَّيَنَّ دُقَّاعَ أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ

لَمْ يُخَسِّنُوا الْمِصَاعُ

قال ابن هشام: «لَتَبَكَّيَنَّ» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهَا لك! آهَا لك! فلما هدمها المغيرة، وأخذ مَالَهَا وَحُلِيِّهَا أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع، ومالها من الذهب والجَزَع.

وقد كان أبو مُلَيْح بن عروة وقارب بن الأسود قَدِمَا على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف، حين قُتل عروة، يريدان فراق ثقيف، وأن لا يجامعاهم على شيء أبدًا، فأسلما؛ فقال لهما رسول الله ﷺ تولّيا من شئتما؛ فقالا: نتولى الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «وخالكما أبا سفيان بن حرب»، فقالا: وخالنا أبا سفيان بن حرب.

وج:

وقد قيل في وَجٍّ هي الطائف نفسها، وقيل: هو اسم لوادٍ بها، وَيَشْهَد لهذا القول قول أُمَيَّة بن الأَسْكَر:

إِذْ يَبْكِي الْحَمَامُ بِبَطْنِ وَجٍّ على بيضاته بَكْيَا كِلَابًا
وقال آخر:

أَتُهْدِي لِي الْوَعِيدِ بِبَطْنِ وَجٍّ كأنني لا أراك ولا تَرَانِي
وقد ألفت في نسخة الشيخ وجا بتخفيف الجيم والصواب تشديدها كما تقدّم وقال أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت:

إِنْ وَجًّا وَمَا يَلِي بَطْنَ وَجٍّ دَارُ قَوْمِي بِرَبْوَةِ وَزْثُوقِ

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية، سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضي عن أبيه عروة دينًا كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال له قارب بن الأسود، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه، وعروة والأسود أخوان لأب وأم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الأسود مات مشركًا». فقال قارب لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ولكن تصل مسلمًا ذا قرابة، يعني نفسه، إنما الدين عليّ، وإنما أنا الذي أطلب به، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية، فلما جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عروة والأسود دينهما، فقضى عنهما.

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد، النبي، رسول الله، إلى المؤمنين: إن عَصَا وَجٍّ وَصِيْدَهُ لَا يُغْضَدُ، من وَجْد يفعل شيئًا من ذلك، فإنه يُجْلَدُ وتُنَزَعُ ثيابه، فإن تعدّى ذلك فإنه يُؤْخَذُ فيبلغ به إلى النبي محمد، وإن هذا أمر النبي محمد، رسول الله».

وكتب خالد بن سعيد: بأمر الرسول محمد بن عبد الله، فلا يتعدّه أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ.

حَجَّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ سَنَةَ تِسْعٍ وَإِخْتِصَاصِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِتَأْدِيَةِ أَوَّلِ بَرَاءَةٍ عَنْهُ وَذِكْرِ بَرَاءَةٍ وَالْقِصَصِ فِي تَفْسِيرِهَا

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحج من سنة تسع، ليقيم للمسلمين حجتهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجتهم، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين.

وسُمِّيَتْ وَجًّا فيما ذكروا بِوَجِّ بْنِ عَبْدِ الْحَيِّ مِنَ الْعَمَالِقَةِ، ويقال: وَجٌّ، وَأَجٌّ بالهمزة، قاله يعقوب في كتاب الإبدال، وكتابه ﷺ لأهل الطائف أطول مما ذكره ابن إسحاق بكثير، وقد أورده أبو عبيد بكماله في كتاب الأموال.

إِنْزَالُ سُورَةِ بَرَاءَةٍ

كان رسول الله ﷺ حين قَدِمَ مِنْ تَبُوكَ، فَذَكَرَ مُخَالَطَةَ الْمُشْرِكِينَ لِلنَّاسِ فِي حَجَّتِهِمْ، وَتَلْبِيَّتِهِمْ بِالشُّرْكِ وَطَوَافِهِمْ عُرَاةَ بِالْبَيْتِ، وَكَانُوا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَطُوفُوا كَمَا وَلِدُوا بِغَيْرِ

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصدّ عن البيت أحدٌ جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهدًا عامًا بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب خصائص، إلى آجال مسماة، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك، وفي قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون، منهم مَنْ سَمِيَ لنا، ومنهم مَنْ لم يُسَمَّ لنا، فقال عز وجل: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي لأهل العهد العام من أهل الشرك ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾: أي: بعد هذه الحجّة ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: العهد الخاص إلى الأجل المسمى ﴿ثُمَّ لَمْ يَظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾: يعني الأربعة التي ضرب لهم أجلاً ﴿فَاقتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصُرُواهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم ﴿اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

التياب التي أذنوا فيها، وظلّموا، فأمنسك - ﷺ - عن الحجّ في ذلك العام، وبعث أبا بكر رضي الله عنه - بسورة براءة لِيُنْبِذَ إلى كل ذي عهد عهده من المشركين إلّا بعض بني بكر الذين كان لهم عهدٌ إلى أجل خاص، ثم أردف بعلي رضي الله عنه، فرجع أبو بكر للنبي ﷺ، وقال: يا رسول الله هل أنزل في قرآن؟ قال: «لا»، ولكن أردت أن يبلغ عني مَنْ هُوَ من أهل بيتي، قال أبو هريرة: فَأَمَرَنِي عَلِيٌّ - رضي الله عنه - أَنْ أَطُوفَ فِي الْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى بِبِرَاءةٍ، فكنت أصبح حتى صَحَلَ خَلْقِي، فقبل له: بم كنت تنادي؟ فقال: بأربع: إلّا يدخل الجنة إلّا مؤمن، وإلّا يحجّ بعد هذا العام مشرك، وإلّا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد، فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له، وكان المشركون إذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلي: سَتَرُونَ بعد الأربعة أشهر، بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك إلّا الطعن والضرب، ثم إن الناس في ذلك المدة رَغِبُوا في الإسلام حتى دخلوا فيه طَوْعًا وَكَرْهًا، وحجّ رسول الله ﷺ في العام القابل، وحجّ المسلمون، وقد عاد الذين كلّه واحدًا لله ربّ العالمين.

ثم قال: ﴿كَيفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم في الحرمه، ولا في الشهر الحرام ﴿عَهْدَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وهي قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية، إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نَقْضُهَا إِلَّا هَذَا الْحَيِّ من قريش؛ وهي الدليل من بني بكر بن وائل، الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم. فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدته ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿كَيفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: أي: المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ﴿لَا يَزُقُّوْا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض المفردات:

قال ابن هشام: الإلّ: الحلف. قال أوس بن حَجَر، أحد بني أُسَيْد بن عمرو بن تميم:

لولا بنو مالك والإلّ مَرْقَبَةٌ ومالك فيهمُ الآلاءُ والشُّرفُ
وهذا البيت في قصيدة له وجمعه: آلال، قال الشاعر:
فلا إلّ من الآلالِ بَيْنِي وبينكمُ فلا تَأْلَنَ جُهدا
والذِّمَّةُ: العهد. قال الأجدع بن مالك الهمداني، وهو أبو مسروق بن الأجدع
الفقيه:

وكان علينا ذِمَّةٌ أن تُجَاوِزَا من الأرض مغروفاً إلينا ومُنْكَرَا
وهذا البيت في ثلاثة أبيات له وجمعه: ذِم. ﴿يُزْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَزُقُّونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ أَي: قد اعتدوا عليكم ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي
الدِّينِ وَتُفْضَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وأما النداء في أيام التَّشْرِيفِ بأنها أيامُ أكل وشُرْبٍ، وفي بعض الروايات أكل وشرب
وبعَال^(١)، فإن الذي أمر أن يُنادي بذلك في أيام التشريق هو كَعْب بن مالك وأوس بن

(١) بعال: أي مباشرة الزوجة.

اختصاص الرسول عليًا بتأدية براءة عنه:

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني حَكِيم بن حَكِيم بن عَبَّاد بن حُنَيْف، عن أَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بن عَلِيٍّ رضوان الله عليه، أَنه قال: لما نزلت براءة على رَسُولِ الله ﷺ، وقد كان بعث أَبا بكر الصِّدِّيقَ لِيُقيم للناس الحَجَّ، قيل له: يا رَسُولَ الله لو بعثت بها إلى أَبِي بكر، فقال: «لا يُوْذِي عني إِلَّا رجل من أَهل بيتي»، ثم دعا عَلِيَّ بن أَبِي طالب رضوان الله عليه، فقال له: «أخرج بهذه القِصَّة من صدر براءة، وأذِّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بِمَنى: أَنه لا يدخل الجَنَّةَ كافر، ولا يحجُّ بعد العام-مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُريَان، ومن كان له عند رَسُولِ الله ﷺ عهد فهو له إلى مدَّته»، فخرج عَلِيٌّ بن أَبِي طالب رضوان الله عليه على ناقَة رَسُولِ الله ﷺ العُضْبَاء، حتَّى أدرك أَبا بكر بالطريق، فلما رآه أَبُو بكر بالطريق، قال: أُمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضى. فأقام أَبُو بكر للناس الحَجَّ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحَجَّ، التي كانوا عليها في الجاهلية، حتَّى إذا كان يوم النحر، قام عَلِيٌّ بن أَبِي طالب رضي الله عنه، فأذَّن في الناس بالذي أمره به رَسُولُ الله ﷺ، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجَنَّةَ كافر، ولا يحجُّ بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُريَان، ومن كان له عند رَسُولِ الله ﷺ عهد فهو له إلى مدَّته، وأجلُّ الناس أربعة أشهر من يوم أذَّن فيهم، ليرجع كلُّ قوم إلى ماأنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمُشرك ولا ذمَّة إِلَّا أحد كان له عند رَسُولِ الله ﷺ عهد إلى مدَّة، فهو له إلى مدَّته. فلم يحجَّ بعد ذلك العام مُشرك، ولم يطف بالبيت عُريَان. ثم قَدِّما على رَسُولِ الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أَهل الشرك من أَهل العهد العام، وأهل المدَّة إلى الأجل المسمَّى.

ما نزل في الأمر بجهاد المشركين:

قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أَهل الشرك، ممن نقض من أَهل العهد الخاص، ومن كان من أَهل العهد العام، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أَجلاً إِلَّا أَن يعدَّو فيها عاد منهم، فيقتل بعْدائه، فقال: «إِلَّا تُقَاتِلُون قَوْمًا نَكُتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا

الْحَدَّثَانِ، وفي الصحيح أَن زَيْد بن مَرْبَعٍ ويقال فيه أَيضًا: عبد الله بن مَرْبَعٍ كان ممن أُمِرَ أَن يُنَادِيَ بِذلك، ورُوي مثل ذلك عن بَشْرِ بن سَحِيم العِفَارِيِّ، وقد رُوي أَن حُذَيْفَةَ كان المُنَادِي بِذلك، وعن سعد بن أَبِي وقاصٍّ أَيضًا، وبلال، ذكر بعض ذلك البَرَّار في مُسْنَدِهِ، وقد قيل في قوله تعالى: «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ» أَنه أراد ذا الْحِجَّةَ والمُحَرَّم من ذلك العام، وأنه

بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْخَسَوْهُمْ فَالَلَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ ﴿أَي: من بعد ذلك﴾ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ
أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا
الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: وليجة: دخيل، وجمعها: ولائج؛ وهو من وَلَجَ يَلِجُ: أي: دخل
يدخل، وفي كتاب الله عز وجل: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: أي: يدخل،
يقول: لم يتخذوا دخيلاً من دونه يُسْرُونَ إليه غير ما يظهرون، نحو ما يصنع المنافقون،
يظهرون الإيمان للذين آمنوا ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ قال الشاعر:

واعلم بأنك قد جُعِلْتَ وليجةً ساقوا إليك الحثف غير مشوب

ما نزل في الرد على قريش بادعائهم عمارة البيت:

قال ابن إسحاق: ثم ذكر قول قريش: إنا أهل الحرم، وسقاة الحاج، وعمار هذا
البيت، فلا أحد أفضل منا، فقال: ﴿إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾:
أي: إن عمارتكم ليست على ذلك، وإنما يَغْمُرُ مساجد الله أي: من عمرها بحقها ﴿مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾: أي: فأولئك
عمارها ﴿فَعَسَى أَوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ وعسى من الله: حق.

ثم قال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

جعل ذلك أجلاً لِمَنْ لا عَهْدَ له من المشركين، ومن كان له عَهْدٌ جُعِلَ له أربعة أشهر أولها
يوم النحر من ذلك العام، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ قيل: أراد حين الحج، أي أيام
الموسم كلها، لأن نداء علي بن أبي طالب ببراءة كان في تلك الأيام.

ما نزل في سورة براءة:

فصل: وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في سورة براءة في غَزْوَةِ تَبُوكَ، وأهل التفسير
يقولون إن آخرها نزل قَبْلَ أولها، فإن أول ما نزل منها:

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ ثم نزل أولها في تَبْدِ كُلِّ عَهْدٍ إِلَى صاحبه كما تقدم.

ما نزل في الأمر بقتال المشركين:

ثم القصة عن عدوهم، حتى انتهى إلى ذكر حنين، وما كان فيه، وتوليهم عن عدوهم، وما أنزل الله تعالى من نَصْرَةٍ بعد تخاذلهم، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وذلك أن الناس قالوا: لتقطعن عَنَّا الأسواق، فلتهكَن التجارة، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق، فقال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: من وجه غير ذلك ﴿إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: أي: ففي هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق، فعرضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب، من الجزية.

وقوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ فيه أقوال: قيل معناه: شُبَّانًا وشُيُوخًا، وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل أصحاب شغل وغير ذي شغل، وقيل: رُكْبَانًا وَرَجَالًا.

عن الأجدع بن مالك:

وأُشْدَ شاهدًا على أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ للأجدع بن مالك والد مسروق بن الأجدع، وقد غيَّرَ عُمر رضي الله عنه اسم الأجدع، وقال: الأجدع: اسم شيطان، فسماه عبد الرحمن ويكنى مسروق أبا عائشة.

وقوله في البيت: يصطادك الوَحْدَ، أي: يصطاد بك، وأراد بالوَحْد: الثَّور الوحشي.

وقوله: بِشَرِيحِ بَيْنِ الشَّدِّ والإيضاع، يقال: هما شريحان، أي: مختلفان، وقبل هذا البيت بأبيات في شعر الأجدع:

أَسْأَلْتَنِي بِرُكَائِبِي وَرَحَالِهَا وَنَسِيتِ قَتْلَى فَوَارِسِ الْأَرْبَاعِ

وذكره أبو علي [القالبي] في الأمالي^(١)، فقال: وسألتني بالواو، وقد خطئوه، وقالوا: إنما هو أسألتني. وفوارسُ الأرباع قد سمعهم أبو علي في الأمالي، وذكر لهم خبرًا.

إعطاء الجزية عن يد:

وذكر قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وقيل فيه أربعة أقوال أيضًا:

(١) الأمالي للقالبي (١/٢٣).

ما نزل في أهل الكتابين:

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشرِّ والفِرية عليه، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

ما نزل في النسيء:

ثم ذكر النسيء، وما كانت العرب أحدثت فيه. والنسيء ما كان يُحَلَّ ما حرَّم الله تعالى من الشهور، ويُحرَّم مما أحلَّ الله منها، فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: لا تجعلوا حرامها حلالاً، ولا حلالها حراماً: أي: كما فعل أهل الشرك ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ الذي كانوا يصنعون ﴿زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوْاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

ما نزل في تبوك:

ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تناقل المسلمين عنها، وما أعظموا من غزوة الروم، حين دعاهم رسولُ الله ﷺ إلى جهادهم، ونفاقٌ من نفاق من المنافقين، حين دُعوا إلى ما دُعوا إليه من الجهاد، ثم ما نَعَى عليهم من إحدائهم في الإسلام، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾، ثم القصة إلى

أحدها: أن يؤذيها الذمُّ بنفسه، ولا يرسلها مع غيره.

الثاني: أن يؤذيها قائماً، والذي يأخذها قاعداً.

الثالث: أن معناه: عن قَهْرٍ وإذْلالٍ.

الرابع: أن معناه عَنْ يَدِ مَنُكُم، أي: إنعام عليهم بحَقْنِ دمائهم، وأخذِ الجزية منهم بدلاً من القتل، كل هذه الأقوال مذكورة في كتب المفسرين، ولفظ الآية يتناول جميع هذه المعاني، والله أعلم.

ومعنى قوله تعالى: في هذه الآية ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ وإن كان أهل الكتاب يُصدَّقون بالآخرة، فمعناه فيما ذكر ابن سلام أن أهل الكتاب لا يقولون بإعادة الأجساد ويقولون إن الأزواح هي التي تُبعث دون الأجساد.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾.

ما نزل في أهل النفاق:

ثم قال تعالى لنبية ﷺ، يذكر أهل النفاق: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُوكُمْ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: أي: إنهم يستطيعون ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾... إلى قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَتْعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أوضعوا خلالكم: ساروا بين أضعافكم، فالإيضاع: ضرب من السير أسرع من المشي؛ قال الأجدع بن مالك الهمداني:

يَضْطَادُكَ الْوَجْدَ الْمُدِلَّ بِشَاوِهِ بِشَرِيحِ بَيْنِ الشَّدِّ وَالْإِيضَاعِ
وهذا البيت في قصيدة له.

عود إلى ما نزل في أهل النفاق:

قال ابن إسحاق: وكان الذين استأذنوه من ذوي الشرف، فيما بلغني، منهم: عبد الله بن أبي ابن سلول، والجد بن قيس؛ وكانوا أشرافاً في قومهم، فنبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه، فيفسدوا عليه جنده، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم، وطاعة فيما يدعونهم إليه، لشرفهم فيهم. فقال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدْ ابْتِغَاوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: من قبل أن يستأذنوك، ﴿وَقَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: أي: ليُخَذَّلُوا عَنْكَ أَصْحَابُكَ وَيَرْدُوا عَلَيْكَ أَمْرُكَ ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَفْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، وكان الذي قال ذلك. فيما سُمي لنا، الجد بن قيس، أخو بني سلمة، حين دعاه رسول الله ﷺ إلى

من المعذرين:

وذكر في المعذرين: خُفَّاف بن إيماء بن رَحْضَةَ، ويقال فيه: رَحْضَةُ بالضم ابن خربة، وكان له ولأبيه إيماء، ولجده رَحْضَةُ صحبة. مات خُفَّاف في خلافة عُمَرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان إماماً لبني غِفَّارٍ.

جهاد الزوم. ثم كانت القصة إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأَ أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَّوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: أي: إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم.

ما نزل في ذكر أصحاب الصدقات:

ثم بين الصدقات لمن هي وسمى أهلها، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

ما نزل فيمن آذوا الرسول:

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبي ﷺ، فقال: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وكان الذي يقول تلك المقالة، فيما بلغني، نبتل بن الحارث أخو بني عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنما محمد أذن، من حدته شيئاً صدقه. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: يسمع الخير ويصدق به.

ثم قال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُزْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾، وكان الذي قال وديعة بن ثابت، أخو بني أمية بن زيد، من بني عمرو بن عوف، وكان لذي عُفَيَّ عنه، فيما بلغني: مُحْشَنُ بْنُ حُمَيْرٍ الْأَشْجَعِيُّ، حليف بني سلمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾... إلى قوله: ﴿مِنْ وَلِيِّيَ وَلَا تَنْصِرُ﴾. وكان الذي قال تلك المقالة الجلّاس بن سويد بن صامت، فرفعها عليه رجل كان في حجرة، يقال له: عُمير بن

وذكر ابن عقيل صاحب الصّاع الذي لَمَزَهُ المنافقون، واسمه جَنْجَاثٌ وقد قيل في صاحب الصّاع إنه رِفَاعَةُ بْنُ سَهْلٍ.

سعد، فأنكرها وحلف بالله ما قالها، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع، وحسنت حاله وتوبته، فيما بلغني.

ثم قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وهما من بني عمرو بن عوف.

ثم قال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وكان المطَّوِّعون من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدي أخا بني العجلان، وذلك أن رسول الله ﷺ رَغِبَ في الصدقة، وحضَّ عليها، فقام عبد الرحمن بن عوف، فتصدَّق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم بن عدي، فتصدَّق بمائة وسق من تمر، فلمزوهما وقالوا: ما هذا إلا رياء، وكان الذي تصدَّق بجهدِه أبو عقيل أخو بني أنيف، أتى بصاع من تمر، فأفرغها في الصدقة، فتضحكوا به، وقالوا: إن الله لَغَنِي عن صاع أبي عقيل.

ثم ذكر قول بعضهم لبعض، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد وأمر بالسَّير إلى تبوك، على شدة الحرِّ وجذب البلاد، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا﴾... إلى قوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾.

ما نزل بسبب صلاة النبي على ابن أبي:

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني الزهري عن عُبَيْد الله بن عبد الله بن عقبة، عن ابن عباس، قال: سمعتُ عمر بن الخطَّاب يقول: لما توفي عبد الله بن أبي، دُعِيَ رسولُ الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه؛ فلما وقف عليه يُريد الصلاة تحوَّلت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أَتُصَلِّي على عدوِّ الله عبد بن أبي ابن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أعدَّد أيامه، ورسول الله ﷺ يتبسَّم حتى إذا أكثرت قال: يا عمر آخر عني، إني قد خَيرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غُفِرَ له، لزدت. قال ثم صَلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فُرِغ

منه . قال : فَعَجِبْتُ لِي وَلَجُرَأْتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُهُ أَعْلَم . فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا سِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ما نزل في المستأذنين :

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطُّوْلِ مِنْهُمْ﴾ ، وكان ابن أبي من أولئك ، فَنَعَى اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَذَكَرَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ . . . إلى آخر القصة . وكان المعذرون ، فيما بلغني نفرًا من بني غِفَارٍ ، مِنْهُمْ خُفَافُ بْنُ أَيْمَاءَ بْنِ رَحْضَةَ ، ثُمَّ كَانَتِ الْقِصَّةُ لِأَهْلِ الْعُدْرِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ وَهُمْ الْبُكَاءُ وَن .

ثم قال تعالى : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَالْخَوَالِفُ : النِّسَاءُ . ثُمَّ ذَكَرَ حَلْفَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَاعْتَذَارَهُمْ ، فَقَالَ : ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ .

ما نزل فيمن نافق من الأعراب :

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، فَقَالَ : ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ : أَي : مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ نَفَقَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فَقَالَ : ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ .

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار:

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وفضلهم، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إليهم، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان، فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَيَمُنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾: أي: لجؤا فيه، وأبوا غيره ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، والعذاب الذي أوعدها الله تعالى مرتين، فيما بلغني: غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسبة، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذي يُردون إليه، عذاب النار والخلد فيه. ثم قال تعالى: ﴿وَأَخْرُوجْهُمْ مُرْجُوعُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، وهم الثلاثة الذين خُلِفُوا، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم. ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا... الخ. القصة ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾. ثم كان قصة الخبر عن تبوك، وما كان فيها إلى آخر السورة.

وكانت براءة تُسمى في زمان النبي ﷺ وبعده المبغثرة، لما كشفت من سرائر الناس. وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

شعر حسان الذي عدّد فيه المغازي

وقال حسان بن ثابت يُعدّد أيام الأنصار مع النبي ﷺ ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه:

قال ابن هشام: وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا وَمَعَشَرًا إِنْ هُمْ عُمُوا وَإِنْ حُصِلُوا

قصيدة حسان الميمية

فصل: وذكر كلمة حسان الميمية^(١) وفيها:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا

وَحَسَانٌ لَيْسَ مِنْ مَعَدٍّ، وَلَكِنْ أَرَادَ: أَلَسْتُ خَيْرَ النَّاسِ، فَأَقَامَ مَعَدًّا لِكثرتها مقام النَّاسِ.

(١) بل هي اللامية، فلعله تصحيف أو سهو.

قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ
وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ أُحُدٍ
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتِثَارِ بِهِمْ
وَذَا الْعُشَيْرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمْ
وَيَوْمَ وَذَانَ أَجَلُوا أَهْلَهُ رَقَصَا
وَلَيْلَةَ طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ
وَعَزْوَةَ يَوْمَ نَجِدْ ثُمَّ كَانَ لَهُمْ
وَلَيْلَةَ بَحْنَيْنِ جَالِدُوا مَعَهُ
وَعَزْوَةَ الْقَاعِ فَرَّقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ
وَيَوْمَ بُوَيْعٍ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ
وَعَزْوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ
وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ
بِالْبَيْضِ تَزَعَشَ فِي الْإِيمَانِ عَارِيَةً
وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
وَسَاسَةَ الْحَزْبِ إِنْ حَزَبٌ بَدَتْ لَهُمْ
أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ
مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمْ

قال ابن هشام عجز آخرها بيتًا عن غير ابن إسحق.

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ فَلَمَّا أَتَى الْإِسْلَامَ كَانَ لَنَا الْفَضْلُ

مع الرسول فما أَلُوا^(١) وما خَذَلُوا
منهم ولم يَكُ فِي إِيْمَانِهِمْ دَخَلُ^(٢)
ضَرْبُ رَصِيْنٍ كَحَزَرِ النَّارِ مُشْتَعِلُ
على الْجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا نَكَلُوا
مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ^(٣)
بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنُ^(٤) وَالْجَبَلُ
لِلَّهِ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا
مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّفْلُ
فِيهَا يَعْلَمُهُمْ^(٥) بِالْحَزْبِ إِذْ نَهَلُوا^(٦)
كَمَا تُفَرِّقُ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسْلُ
على الْجِلَادِ فَآسَوْهُ وَمَا عَدَلُوا
مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجَلُوا
يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَنْبِسلُ بَطْلُ
تَغَوَّجَ فِي الضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدُلُ
إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأَوَّلُ
حَتَّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفْلُ
قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَتَّصِلُ
وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قُتِلُوا

(٢) الدخل: الشك.

(٤) الحزن: الأرض الصعبة.

(٦) النهل: الشراب.

(١) أَلُوا: قصرُوا.

(٣) الأسل: الرماح.

(٥) عَلَمُهُمْ: سقاهم.

وأكرمنا الله الذي ليسَ غيره
 بتَضَرِّ الإلهِ والرَّسُولِ ودينه
 أولئك قَوْمِي خَيْرُ قَوْمِكَ بأشرهم
 يَرُبُّونَ بالمعروفِ معروفٍ من مَضَى
 إذا اخْتَبَطُوا لم يُفَجِّشُوا في نديهم
 وإن حازبوا أو سالموا لم يُشَبِّهوا
 وجارهم مُوفٍ بعَلِيَاءِ بيته
 وحاملهم مُوفٍ بكلِّ حَمَالَةٍ
 وقائلهم بالحقِّ إن قالَ قائلٌ
 ومنا أميرُ المُسلمينَ حَيَاتِهِ
 إلهَ بأيَّامٍ مَضَّتْ ما لها شَكْلُ
 وألبَسَنَاهُ اسْمًا مَضَى ما له مِثْلُ
 فما عُدَّ من خَيْرِ فَقَوْمِي له أَهْلُ
 وليسَ عليهم دُونَ مغروفهم قَفْلُ
 وليسَ على سَوَالِهِم عِنْدَهُم بُخْلُ
 فحَزَبَهُم حَتَفٌ وسِلْمَهُم سَهْلُ
 له ما ثَوَى فينا الكرامةُ والبذلُ
 تحمَّلَ لا عُزْمٌ عليها ولا خَذْلُ
 وجِلْمَهُم عَوْدٌ وحُكْمَهُم عَذْلُ
 ومَنْ غَسَلَتْهُ مِن جَنَابَتِهِ الرُّسُلُ

قال ابن هشام: وقوله: «وألبسناه اسماً» عن غير ابن إسحق.

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

قَوْمِي أَوْلَئِكَ إِنْ تَسَالَى
 عِظَامُ الْقُدُورِ لِأَيْسَارِهِمْ
 يُؤَاسُونَ جَارَهُمْ فِي الْغِنَى
 كِرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمَ
 يَكْبُوتُونَ فِيهَا الْمُسِنَّ السِّنِمَ
 وَيَحْمُونَ مَوْلَاهُمْ إِنْ ظَلِمَ

وفيهما:

ونادِ جَهَارًا وَلَا تَخْتَشِمِ

وفيهما رَدٌّ على من زعم أن الحِشْمَةَ لا تكون إلا بمعنى الغَضَبِ وأنها مما يضعها الناسُ غير موضعها، وقد جاء عن ابن عباس: لكل طاعم حِشْمَةً، فابْدُؤوه باليمين، وفي الحديث المرفوع: لا يَرْفَعَنَّ أَحَدُكُمْ يده عن الطعام قبل أَكْيَلِهِ، فإن ذلك مما يَخْشِمُهُ، وأنشد أبو الفَرَجَ لمحمد بن سير، وإن كان ليس مثل حَسَّان في الحجة:

في انْقِبَاضِ وَحِشْمَةٍ فإِذَا
 أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا
 جالستُ أَهْلَ الْوَقَاءِ وَالْكَرَمِ
 وقلت ما شئتَ غَيْرَ مُخْتَشِمِ

فَكَانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِيهِمْ
 مُلُوكًا عَلَى النَّاسِ، لَمْ يُغْلَبُوا
 فَاتَّبَعُوا بَعَادَ وَأَشْيَاعَهَا
 بِيَثْرِبَ قَدْ شَيْدُوا فِي التَّخِيلِ
 تَوَاضَعَ قَدْ عَلَّمَتَهَا الْيَهُو
 وَفِيمَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقِطَا
 فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَثْقَالِنَا
 جَنَّبْنَا بِهِنَّ جِيَادَ الْخَيْو
 فَلَمَّا أَنَاخُوا بِجَنْبِي صِرَارَ
 فَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ مَعْجِ الْخَيْو
 فَطَارُوا سِرَاعًا وَقَدْ أَفْزَعُوا
 عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ فِي الصِّيَا
 وَكُلَّ كُمَيْتٍ مُطَارِ الْفُؤَادِ
 عَلَيْهَا فَوَارِسٌ قَدْ عَوَّدُوا
 مُلُوكَ إِذَا عَشَّمُوا فِي الْبِلَا
 فَأَبْنَا بِسَادَاتِهِمِ وَالنِّسَاءِ
 وَرَثْنَا مَسَاكِينَهُمْ بَعْدَهُمْ
 فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولُ الرَّشِيدَ
 قُلْنَا صَدَقْتَ رَسُولَ الْمَلِكِ
 فَنَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ الْإِلَهِ
 فَلِإِنَّا وَأَوْلَادُنَا جُئْتُهُ
 فَنَحْنُ أَوْلَئِكَ إِنْ كَذَّبُوكَ

وفيهما قوله:

وكانوا ملوكًا، ولم يملكوا
 فيه شاهد لما قاله ابن قتيبة في تفسير كجلة القسم، وخلافه لأبي عبيد، وقد قدمنا
 قولهما فيما تقدم من شرح قصيدة كعب بن زهير.

وناد بما كُنتَ أَخْفَيْتَهُ نداءً جهازا ولا تَكْتَتِمَ
فصار الغواة بأسيا فهم إليه يظنون أن يُخْتَرَمَ
فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا نجالدُ عنه بُغَاءَ الأُمَمِ
بكلِّ صَقِيلٍ لَهُ مَنِعةٌ رقيقِ الذُّبابِ عَضُوضٍ خَذِمَ
إذا ما يَصَادِفُ صُومَ العِظَا م لم يثُبْ عنها ولم يَثْلُمَ
فذلك ما وَرَثْنَا القُرُو مُ مَجْدًا تَلِيدًا وَعِزًّا أَشْمَ
إذا مَرَّ نَسْلٌ كَفَى نَسْلُهُ وغادرَ نَسْلًا إذا ما انْقَصَمَ
فَمَا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لَنَا عَلَيْهِ وَإِنْ خَاصُ فَضْلِ النِّعَمِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته:

فكأنوا مُلُوكًا بِأَرْضِيهِمْ يُنادُونَ غَضَبًا بِأَمْرِ غُشْمِ

وأنشد ابن قُتَيْبَةَ:

إذا عَصَفَتْ رِيحٌ فَلَيْسَ بِقَائِمٍ بِهَا وَتَدُّ إِلَّا تَحَلَّةٌ مُقْسِمِ
وأنشد أيضًا:

قليلًا كَتَخْلِيلِ الأَلَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ

البيت.

وقوله: وعِزًّا أَشْمُ، هو كقول العَرَبِ: عِزَّةٌ قَعَسَاءٌ، يريد: شَمَاءٌ، لأن الأَفْعَسَ الذي يَخْرُجُ صدرُهُ ويدخل ظهره، وقد فَسَّرَه المُبَرِّدُ غير هذا التفسير، وبيت حَسَّانٍ يشهد لما قلناه، إنما هو الشَّمَمُ الذي يوصف به ذو العِزَّة، فوصفت العِزَّةُ به مَجَازًا.

تفسير سورة النصر:

فصل: وذكر سورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، وتفسيره لها في الظاهر خلاف ما ذكره ابن عباس حين سأله عمرُ عن تأويلها، فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها نبيّه عليه السلام بانقضاء أجله، فقال له عمر: ما أعلم منها إلا ما قلت. وظاهر هذا الكلام يدلُّ على ما قاله ابنُ عباس وعمر؛ لأن الله تعالى لم يقل: فاشْكُرْ رَبِّكَ، واخْوِذْهُ، كما قال ابنُ إسحاق: إنما قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فهذا أمرٌ لنبيّه عليه السلام بالاستعداد للقاء ربه تعالى والتوبة إليه، ومعناها الرجوع عَمَّا كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين، إذ قد فرغ من ذلك، وتم مُرادُه فيه، فصار جوابُ إذا مِنْ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

وأنشدني:

بيشرب قد شيدوا في النخيل حصونا ودجن فيها النعم
وبيته:

«وكل كَمِيت مطار الفؤاد»

عنه.

ورأيت الناس يَدْخُلون في دين الله أَفْوَاجًا ﴿مَحذُوفًا﴾. وكثيرًا ما يجيء في القرآن الجواب محذوفًا، والتقدير: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فقد انقضى الأَمْرُ، ودنا الأَجَلُ، وحان اللقاء، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، ووقع في مُسْنَدِ الْبَزَّارِ مُبَيَّنًا مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ فقال فيه: فقد دنا أَجَلُكَ فَسَبِّحْ، هذا المعنى هو الذي فهمه ابنُ عباس، وهو حذف جواب إذا، وَلَمَّا يَتَّبِعْ لَهُ هَذِهِ التُّكْتَةُ حُسِبَ أَنَّ جَوَابَ إِذَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: فَسَبِّحْ، كما تقول: إذا جاء رمضانُ فصُومْ، وليس في هذا التأويل من المُشَاكَلَةِ لما قبله ما في تأويل ابن عباس فتدبَّره، فقد وافقه عليه عُمَرُ رضي الله عنه، وَحَسِبُكَ بِهِمَا فَهَمَّا لِكِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالفاء على قول ابن عباس رابطة للأمر بالفعل المحذوف، وعلى ما ظهر لغيره رابطة لجواب الشرط الذي في إذا.

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة: أن ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود.

انقياد العرب وإسلامهم:

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تَرِئُص بالإسلام أمرَ هذا الحي من قريش، وأمر رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشًا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك، وكانت

قدوم الوفود على رسول الله ﷺ

وفد عبد القيس^(١):

من أصح ما جاء في هذا الباب حديثُ وفد عبد القيس، وهم الذين قال لهم رسول الله ﷺ: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ غَيْرِ خَزَائِيَا وَلَا نَدَامَى»^(٢)، وقد تكرر حديثهم في الصحيحين دون تسمية أحدٍ منهم، فمنهم أشج عبد القيس، وهو المُنْذِر بن عائذ، قال له النبي ﷺ: «إِنْ

(١) انظر الطبقات (٦٤/٢/١) الطبري (١٣٦/٣) المنتظم (٣٨٢/٣) الزاد (٦٠٥/٣) والبخاري (١٢٠/١) ومسلم في الإيمان (١٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٠/١) ومسلم في الإيمان (٢٤) وابن خزيمة في صحيحه (٣٠٧) والطبراني في الكبير (٢٢٥/١٢) وانظر الفتح (١٢٩/١).

قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوخها الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عز وجل، أفواجاً، يضربون إليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبية ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾: أي: فاحمد الله على ما أظهر من دينك، واستغفره إنه كان تواباً.

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات:

رجال الوفد:

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب، فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميمي، في أشراف بني تميم، منهم الأقرع بن حابس التميمي، والزبيرقان بن بدر التميمي، أحد بني سعد، وعمرو بن الأهتم، والخباب بن يزيد.

فيك خلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والآفة، ومنهم أبو الوازع الزارع بن عامر وابن أخته مطر بن هلال العنزي.

ولما ذكروا للنبي ﷺ أنه ابن أختهم قال: ابن أخت القوم منهم. ومنهم: ابن أخي الزارع، وكان مجنوناً، فجاء به معه ليدعوه له النبي ﷺ - فمسح ظهره، ودعا له فبريء لحينه، وكان شيخاً كبيراً فكسي جَمَلاً وشَبَاباً، حتى كان وجهه وجه العذراء، ومنهم الجهم بن قثم لما نهاهم النبي عليه السلام عن الشرب في الأوعية وحذرهم ما يقع في ذلك من الجراح، وأخبرهم أنهم إذا شربوا المُنْكَرَ عَمَدَ أحدهم إلى ابن عمه، فجرحه، وكان فيهم رجل قد جرح في ذلك وكان يخفي جرحه ويكتمه، وذلك الرجل هو جهم بن قثم، عجبوا من علم النبي عليه السلام بذلك، وإشارته إلى ذلك الرجل.

ومنهم: أبو خَيْرَةَ الصُّبَاخِي من بني صُبَّاح بن لُكَيْز من حديثه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لعبد القيس»^(١)، وأنه زَوَّدَهُم الأَرَكَ يَسْتَاكُون به، ومنهم: مَزِيدَةُ العَضْرِي جَدُّ هُودِ بن عبد الله بن سعد بن مَزِيدَةَ، وعلى هُود يدور حديثه في الثمر البرني، وأنه دواء، وليس فيه داء، ومنهم: قَيْسُ بن النُّعْمَان ذكره أبو داود في كتاب الأشربة، فهذا ما بلغني من تَسْمِيَةِ مَنْ وَقَدَ على النبي ﷺ في وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ.

(١) أخرجه البخاري (١٩٨/٥) ومسلم (١٩٤٤) والبيهقي في الدلائل (١٥٣/٥).

شيء عن الحتات:

قال ابن هشام: الحتات وهو الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين؛ بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وبين أبي ذر الغفاري والمقداد بن عمرو البهراني، وبين معاوية بن أبي سفيان والحتات بن يزيد المجاشعي، فمات الحتات عند معاوية في خلافته، فأخذ معاوية ما ترك ورأته بهذه الأخوة، فقال الفرزدق لمعاوية:

أبوكَ وعمِّي يا معاويَ أوزنا ثرائنا فيختاز الثراث أقراره
فما بالُ ميراثِ الحتات أكلته وميراثِ حزبٍ جامدٍ لك ذائبه
وهذان البيتان في أبيات له.

سائر رجال الوفد:

قال ابن إسحاق: وفي وفد بني تميم: نعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم، أخو بني سعد، في وفد عظيم من بني تميم.

قال ابن هشام: وعطارد بن حاجب، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، والأقرع بن حابس، أحد بني دارم بن مالك، والحتات بن يزيد، أحد بني دارم بن مالك، والزبرقان بن بدر، أحد بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وعمرو بن الأهتم، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وقيس بن عاصم، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث.

قال ابن إسحاق: ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وقد كان الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنيئا والطائف.

وذكر في الوفود الحتات بن يزيد وقول الفرزدق لمعاوية فيه:

فما بالُ ميراثِ الحتات أكلته

البيت، وبعده في غير سيرة ابن إسحاق:

فلو أن هذا كان في غير ملككم لبؤت بها أو غصص بالماء شاربها

فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجراته: أن اخرج إلينا يا محمد، فأذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرُك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: «قد أذنت لخطيبكم فليقل»^(١)، فقال عطارد بن حاجب، فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن، وهو أهلُه، الذي جعلنا مملوكًا، ووهب لنا أموالاً عظيمة، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عددًا، وأيسره عُدَّة، فَمَن مِثْلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فَمَن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نعرف بذلك.

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا. ثم جلس.

شرح صاحب الحلة:

وذكر فيهم عطارد بن حاجب بن زُرارة، وهو صاحب الحلة التي قال فيها النبي ﷺ: «إنما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له [في الآخرة]»^(٢) وقول عمر رضي الله عنه: أتكسوني هذه، وقد قلت في حلة عطارد ما قلت، وكان سبب تلك الحلة أن حاجب بن زُرارة أبا عطارد كان وفد على كسرى ليأخذ منه أمانًا لقومه ليقرَّبوا من ريف العراق لجذب أصاب بلادهم، فسأله كسرى زهنا ليستوثق بها منهم، فدفع إليه قوسه رهينة فاستخمه الملك وضجك منه، فقيل له: أيها الملك إنهم العرب لو رهنك أحدهم تبتة ما أسلمها غدًا فقبلها منه كسرى، فلما أخضبت بلادهم انتشروا راجعين إليها، وجاء حاجب يطلب قوسه، فعند ذلك كساه كسرى تلك الحلة التي كانت عند عطارد المذكورة في جامع الموطأ. ذكره ابن قتيبة في المعارف أو معناه، وفي الموطأ أن عمر رضي الله عنه - كسا الحلة أخا له مشركًا بمكة، قال ابن الحذاء: كان أخاه لأُمه، واسمه: عثمان بن حكيم الثقفي، وهو جد سعيد بن المسيب لأُمه، هكذا ذكر في تسمية رجال الموطأ، وغلط من وجهين، أحدهما أنه قال: كان أخا عمر لأُمه، وإنما هو أخو زيد بن الخطاب لأُمه أسماء بنت وهب بن أسد بن

(١) أخرجه أحمد (٣٩٤/١) والبيهقي في الدلائل (١٣/٤) وابن عساكر في تهذيبه (١١٠/١) (٣/٣٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢) ومسلم في اللباس (٨٦/٩) وأبو داود (١٠٧٦) والنسائي (٩٦/٣) وابن ماجه (٣٥٩١) وأحمد (٢٠/٢) ومالك (٩١٧) والبيهقي في الأدب (٦٠٩ - بتحقيقي) وانظر الفتح (٣٧٣/٢) (٢٣٢/٥) (١٠/٢٩٦/٤١٤).

كلمة ثابت في الرد على عطار

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس، أخي بني الحارث بن الخزرج: قم، فأجب الرجل في خطبته. فقام ثابت، فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه وأتممه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس حسباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعلاً. ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منه منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا سيرة. أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

خُزَيْمَةُ، وأما أُمُّ عُمَرَ فهي حَنْتَمَةُ بنت هاشم بن المغيرة [بن عبد الله بن مخزوم]، والغلط الثاني أنه جعله ثقيفياً وإنما هو سُليمي وهو عثمان بن حكيم بن أمية بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم، هكذا نسبه الزبير وبنته أم سعيد، ولدت سعيد بن المسيب.

نسب ابن الأَهم:

وذكر فيهم عمرو بن الأَهم ونسبه، واسم الأَهم: سُمَيُّ بن سنان، وهو جد شبيب بن شينة وخالد بن صفوان الخطيبين البليغين، وسُمَيُّ بن سُمَيِّ بالأَهم، لأن قيس بن عاصم ضربه فَهَمَ فاه.

عن كرسي الله

وذكر خطبة ثابت بن قيس، وفيها وسع كُرسِيه علمه، وفيه ردُّ على من قال: الكرسي هو العلم، وكذلك من قال هو القدرة، لأنه لا توصف القدرة والعلم بأن العلم وسعها، وإنما كُرسِيه ما أحاط بالسموات والأرضين، وهو دون العرش كما جاءت به الآثار، فعلمه سُبحانَه قد وسع الكُرسِي بما حواه من دقائق الأشياء وجلالها وجَمَلِها وتَفَاصِيلِها، وقد قيل: إن الكرسي في القرآن هو العرش، وهو قول الحسن، وفي هذا الحديث ما يكاد أن يكون حجةً لهذا القول، لأنه لم يُرد أن العلم وسع الكُرسِي، فما دونه على الخصوص، دون ما فوقه، فجائز أن يريد به العرش، وما تحته والله أعلم. فإن صحت الرواية عن ابن عباس أن

شعر الزُّبرقان في الفخر بقومه

فقام الزُّبرقان بن بدر، فقال:

نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حَيَّ يُعَادِلُنَا مِثْلُ الْمُلُوكِ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعَزِّ يُتَّبَعُ
وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمَنَا مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ
بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سُرَاتُهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوِيًّا ثُمَّ تَضْطَنِعُ

الكرسي هو العلم، فَمُؤَوَّلَةٌ، كأنه لم يقصد تفسيرَ لفظ الكُرسيِّ، ولكن أشار إلى أن معنى العلم والإحاطة يفهم من الآية، لأن الكُرسيِّ الذي هو عند العرب موضع القدمين من سَرِيرِ الْمُلْكِ إِذَا وَسِعَ مَا وَسِعَ، فقد وسعه علمُ الْمَلِكِ وَمُلْكُهُ وَقُدْرَتُهُ، ونحو هذا، فليس في أن يسع الكُرسيُّ ما وَسِعَهُ مدحٌ وثناءٌ على الْمَلِكِ سُبْحَانَهُ، إِلَّا مِنْ حَيْثُ تَضَمَّنَ سِعَةَ الْعِلْمِ وَالْمُلْكِ، وَإِلَّا فَلَا مَدْحُ فِي وَضْعِ الْكُرْسِيِّ بِالسَّعَةِ، وَالْآيَةُ لَا مَحَالَةَ وَارِدَةً فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ لِلْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَتَوَدُّهُ حَفَظُ مَخْلُوقَاتِهِ كُلِّهَا، وَهُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَقَرَى الطَّبْرِي قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَاحْتَجَّ لَهُ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَتَوَدُّهُ حَفَظُهُمَا﴾، وَأَنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي الْعِلْمَاءَ كَرَّاسِيًّا. قَالَ: وَمِنْهُ سَمِيَتْ الْكُرَّاسُ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ وَتَجَمَّعَ مِنَ الْعِلْمِ، وَأَنشَد:

تَحْفُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ وَغُضْبَةٌ كَرَّاسِيٍّ بِالْأَخْدَاطِ حِينَ تَثُوبُ
أَي: عَالَمُونَ بِالْأَحْدَاثِ.

شعر الزبرقان

وذكر شعر الزُّبرقان، وَأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُنْكِرُ الشَّعْرَ لَهُ، وَذَكَرَ الْبَرْقِي أَنَّ الشَّعْرَ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمُتَقَرِّي، وَكَانَ الزُّبُرْقَانُ يُرْفَعُ لَهُ بَيْتٌ مِنْ عَمَائِمَ وَثِيَابٍ، وَيُنْضَخُ بِالزَّرْعَرَانِ وَالطَّيِّبِ، وَكَانَتْ بَنُو تَمِيمٍ تَحْجِجُ ذَلِكَ الْبَيْتَ. قَالَ الشَّاعِرُ، وَهُوَ الْمُخَبِّلُ السَّعْدِيُّ، وَاسْمُهُ كَغُبِّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ قَيْتَالٍ:

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولًا كَثِيرَةً يَحْجُونَ سِبَّ الزُّبُرْقَانِ الْمَرْعَرَا
وَالسَّبُّ: الْعِمَامَةُ، وَأَحْسِبُهُ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ:

بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سُرَاتُهُمْ

البيت. وليس السُّرَاةُ جَمْعُ سَرَى كَمَا ظَنُّوا، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا تَقُولُ ذُرُوتُهُمْ وَسَنَامُهُمْ، وَسَرَاةُ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ، وَقَدْ أَوْضَحْنَاهُ فِيمَا مَضَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَالزُّبُرْقَانُ مِنْ أَسْمَاءِ

فَنَنْحَرِ الْكُومَ عُبْطًا فِي أُرُومَتَنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبَعُوا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيِّ نُفَاجِرُهُمْ إِلَّا اسْتَفَادُوا فَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
فَمَنْ يُفَاجِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفُهُ فَيَزْجَعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا أَبِينَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ تَرْتَفَعُ
قال ابن هشام: ويروى:

مَنَا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُقْسَمُ الرِّيحُ

ويروى:

مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانَا ثُمَّ نُتْبَعُ

رواه لي بعض بني تميم، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها للزبرقان.

شعر حسان في الردّ على الزبرقان

قال ابن إسحاق: وكان حسان غائبًا، فبعث إليه رسول الله ﷺ. قال حسان: جاءني رسوله، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول:

مَنْعْنَا رَسُولُ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَشَطْنَا عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمٍ
مَنْعَنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ
بَبَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَتَرَاؤُهُ بِجَايِبَةِ الْجَوْلَانِ وَشَطِّ الْأَعَاجِمِ

القمر. قال الشاعر:

نُضِيءُ بِهِ الْمَنَابِرُ حِينَ يَرْقَى عَلَيْهَا مِثْلُ ضَوْءِ الزُّبْرِقَانِ
وَالزُّبْرِقَانُ أَيضًا: الْخَفِيفُ الْغَارِضِينَ، وَكَانَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَسْمَاءَ: الزُّبْرِقَانُ وَالْقَمَرُ وَالْحَصَيْنِ، وَثَلَاثُ كُنَى: أَبُو الْعَبَّاسِ، وَأَبُو شَذْرَةَ، وَأَبُو عِيَّاشٍ، وَهُوَ الزُّبْرِقَانُ بْنُ بَذْرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ خَلْفٍ بْنِ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ بْنِ تَمِيمٍ.

شعر حسان في الردّ على الزبرقان في الميمية والعينية

وقول حسان:

بَبَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَتَرَاؤُهُ

هل المجد إلا السُّودُّ العَوْدُ والنَّدَى وجاء المُلوكُ واحتمالُ العِظائمِ

قال: فلما انتهيتُ إلى رسولِ الله ﷺ، وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضت في قوله، وقلت على نحو ما قال. قال: فلما فرغ الزُّبرقان، قال رسولُ الله ﷺ لحسان بن ثابت: «قُمْ يا حسان، فأجب الرجلَ فيما قال». فقام حسان فقال:

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فَهْرِ وإخوتهم	قد بَيَّئُوا سُئَةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بهم كُلُّ مَنْ كانت سَريرته	تَقْوَى الإلهِ وكلُّ الخيرِ يَضْطَنِعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ	أو حَاوَلُوا النُّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ	إِنْ لَخَلَاتِقُ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ	فكَلَّ سَبَقٌ لَأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَزِقُّعُ النَّاسَ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ	عند الدِّفاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا

يريد: بيتُ شَرَفُهُمْ مِنْ عَسَّانَ وهم ملوك الشام، وهم وسط الأعاجم، والبيت الحَرِيدُ: المنفردُ عن البيوت، كما انفردت عَسَّانُ، وانقطعت عن أرض العرب، وكان حسان يضرب بلسانه أَرْزَبَةً أَنْفِهِ هو وابنه وأبوه وجَدُّه، وكان يقول: لو وضعتُه يعني لسانه على حَجَرٍ لَفَلَّقَهُ، أو على شَجَرٍ لَحَلَّقَهُ، وما يسرني به بِقَوْلٍ مِنْ مَعَدٍّ.

وقول حسان: يخاض إليه السُّمُّ والسَّلْعُ.

السَّلْعُ: شَجَرٌ مر. قال أُمَيَّةُ [بن أبي الصَّلْت]:

عُشْرٌ مَا وَفَوْقَهُ سَلْعٌ مَا عَائِلٌ مَا، وعالت الْبَيْقُورَا^(١)

يريد أنهم كانوا إذا اسْتَسَقَوْا فِي الْجَاهِلِيَّةِ رَبَطُوا السَّلْعَ وَالْعُشْرَ فِي أَذْنَابِ الْبَقَرِ.

وقوله: شَمَعُوا، أي: ضَحِكُوا وَمَزَحُوا. قال الشاعر [المتنخل الهذلي] يصف الأضياف:

وَأَبْدَوْهُمْ بِمَشْمَعَةٍ وَأَثْنِي بِجُهْدِي مِنْ طَعَامٍ أَوْ بَسَاطِ

وفي الحديث: مَنْ تَتَبَعَ الْمَشْمَعَةَ شَمِعَ اللَّهُ بِهِ. يريد مَنْ ضَحِكَ مِنَ النَّاسِ وَأَفْرَطَ فِي الْمَزْحِ.

(١) البيقورا: اسم جمع للبقرة.

إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ
 أَعْقَةً ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفْتُهُمْ
 لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
 إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ
 نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبُهَا
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ
 كَانَهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ
 حُذِّ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
 فَإِنَّ فِي حَزْبِهِمْ فَاتَرُكْ عِدَاوَتَهُمْ
 أَكْرِمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ
 أَهْدَى لَهُمْ مِذْحَتِي قَلْبٌ يُوَاوِزُهُ
 فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنْشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ:

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
 تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

شعر آخر للزبرقان:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ: أَنَّ الزَّبْرَقَانَ بْنَ بَدْرٍ
 لَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ قَامَ فَقَالَ:

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا
 بَأْنَا قُرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
 وَأَنَا نَذُودُ الْمُعَلِّمِينَ إِذَا انْتَحَوْا
 وَأَنْ لَنَا الْمِزْبَاعَ فِي كُلِّ غَارَةٍ
 إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ
 وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كِدَارٌ
 وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَضْيَدِ الْمُتَفَاقِمِ
 نُغَيِّرُ بَنَجِدَ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ

وقوله:

أَوْ وَازِنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا

أي: ارتفعوا، يقال: مَتَعَ النَّهَارُ إِذَا ارْتَفَعَ.

شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

هلِ المجد إلا السُودُذُ العَوْدُ والندى
نَصَرْنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
بَحْيٍ حَرِيدٍ أَضْلُهُ وَثَرَاؤُهُ
نَصَرْنَاهُ لِمَا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا
جَعَلْنَا بَيْنِنَا دُونَهُ وَبَيْنَاتِنَا
وَنَحْنُ ضَرْبِنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمِهَا
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَرَكُمُ
هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّنِ دِمَائِكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نَدَاً وَأَسْلِمُوا

وجاء المُلُوكُ واحتمال العَظَائِمِ
على أَنفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ
بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
وَطَبْنَا لَهُ نَفْسًا بِقِيءِ الْمَغَانِمِ
على دينِهِ بِالْمُرْهَقَاتِ الصُّوَارِمِ
وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
يَعُودُ وَبِالْأَعْدَاءِ ذِكْرُ الْمَكَارِمِ
لَنَا خَوْلٌ مَا بَيْنَ ظَهْرٍ وَخَادِمِ
وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
وَلَا تَلْبَسُوا زِيًّا كَزِي الْأَعَاجِمِ

إسلامهم وتجويز الرسول إياهم:

قال ابن إسحق: فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوائزهم.

شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان

وقول حسان:

وطَبْنَا لَهُ أَنْفَسًا بِقِيءِ الْمَغَانِمِ

يريد: طيب نفوسهم يوم حُتِنِ حين أعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم، ولم يُعطِ الأنصار شيئاً.

شعر ابن الأَهم في هجاء قيس لتحقيقه إياه

كان عمرو بن الأَهم قد خَلَفَه القوم في ظهرهم، وكان أَصغَرَهُم سِنًا، فقال قيس بن عاصم، وكان يُبغضُ عمرو بن الأَهم: يا رسول الله، إنه قد كان رجل منا في رجالنا، وهو غلام حَدَث، وأزرى به، فأعطاه رسولُ الله ﷺ مثل ما أعطى القوم، فقال عمرو بن الأَهم حين بلغه أن قيسًا قال ذلك يهجوهُ:

ظَلِلْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَضْذُقْ وَلَمْ تُصِبِ
سُدْنَاكُمْ سُودَدًا رَهَوًا وَسُودَدُكُمْ بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُفْعٍ عَلَى الذَّنْبِ

قال ابن هشام: بقي بيت واحد تركناه، لأنه أذعن فيه.

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

شرح قول ابن الأَهم لابن عاصم

فصل: وذكر قول عمرو بن الأَهم لقيس بن عاصم:

ظَلِلْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُنِي عِنْدَ النَّبِيِّ فَلَمْ تَضْذُقْ وَلَمْ تُصِبِ

الْهَلْبَاءُ: فَعْلَاءٌ مِنَ الْهَلْبِ وَهُوَ الْحَشِيشُ مِنَ الشَّعْرِ، يُقَالُ مِنْهُ: رَجُلٌ أَهْلَبٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ فِي مُشْكِلَةٍ نَزَلَتْ: هَلْبَاءُ زَبَاءَ ذَاتٍ وَبَرٍّ، كَأَنَّهُ أَرَادَ بِمُفْتَرِشِ الْهَلْبَاءِ، أَيِ: مُفْتَرِشًا لِحَيْتِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِمُفْتَرِشِ الْهَلْبَاءِ، يَعْنِي امْرَأَةً. وَقِيلَ: الْهَلْبَاءُ، يَرِيدُ بِهَا هَاهُنَا دُبُرَهُ، فَإِنْ كَانَ عَنْ امْرَأَةٍ، فَهُوَ نَضْبٌ عَلَى النَّدَاءِ.

ما نزل في وفد تميم من الحجرات:

وذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى فيهم في سورة الحجرات، وقد كان عَمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ اِخْتَلَفَا فِي أَمْرِ الزُّبُرِقَانِ وَعَمَرُ بْنُ الْأَهَمِّ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِتَقْدِيمِ الزُّبُرِقَانِ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِتَقْدِيمِ عَمَرُ بْنُ الْأَهَمِّ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ فَكَانَ عَمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَلَّمَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَكْلِمُهُ إِلَّا كَأَخِي السَّرَارِ.

إن من البيان لسحرا:

وفي هذا الوفد جاء الحديث أن رجلين قديما من نجد فخطبا، فعجب الناس لبيانهما،

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بني عامر

بعض رجال الوفد:

وقدّم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم.

تدبير عامر للغدر بالرسول:

فقدّم عامر بن الطفيل عدو الله، على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم، قال: والله لقد كنت أليت أن لا أنهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد: إذا قدّمنا على الرجل، فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف، فلما

فقال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرا»^(١)، وأدخله مالك في باب ما يؤذم من القول، من أجل أن السحر مذموم شراً، وغيره يذهب إلى أنه مدح لهما بالبيان واستماله القلوب كالسحر، وكان من قولهما. إن عمرو قال للنبي ﷺ في الزبرقان: إنه مطاع في أذنيه سيد في عشيرته، فقال الزبرقان: لقد حسدني يا رسول الله لشرفي، ولقد علم أفضل مما قال. قال: فقال عمرو: إنه لزمر المرأة ضيق العطن لثيم الخال، فعرف الإنكار في وجه رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أقبح ما علمت، ولقد صدقت في الأولى وما كذبت في الثانية، فحيث قال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرا»، وقوله: لثيم الخال، قيل: إن أمه كانت من بهلة، قاله ابن ثابت في الدلائل، وقد أنكر هذا عليه، وممن أنكره عليه أبو مزران بن سراج، فالله أعلم، لأن أهل النسب ذكروا أن أم الزبرقان عكيلة من بني أقيش، وعكل وإن كانت تجتمع مع تميم في أذ بن طابخة لكن تميماً أشرف منهم، ولا سيما بني سعد رهط الزبرقان، فلذلك جعله عمرو لثيم الخال.

خبر عامر وأربد

فصل: وذكر خبر عامر بن الطفيل وأربد، وأن أربد قال لعامر: ما هممت بقتل محمد إلا رأيتك بيني وبينه أفأقتلك؟! وفي غير رواية ابن إسحاق: إلا رأيت بيني وبينه

(١) أخرجه أبو داود (٥٠١١ - ٥٠١٢ - بتحقيقي) وأحمد (٢٦٣/٤) ومالك (٩٨٦) والحاكم (٦١٣/٣) وانظر الفتح (٢٠١/٩) (٢٣٧/١٠).

قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: يَا مُحَمَّدُ، خَالِنِي، قَالَ: «لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَوْمَنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ». قَالَ: يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي. وَجَعَلَ يَكْلُمُهُ وَيَنْتَظِرُ مِنْ أَرْبَدُ مَا كَانَ أَمْرُهُ بِهِ فَجَعَلَ أَرْبَدُ لَا يُحِيرُ شَيْئًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَى عَامِرٌ مَا يَصْنَعُ أَرْبَدُ، قَالَ يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي قَالَ: «لَا، حَتَّى تَوْمَنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ». فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّكَ عَلَيْكَ خَيْلًا وَرِجَالًا، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ». فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَامِرُ لَأَرْبَدُ: وَيْلَكَ يَا أَرْبَدُ أَيْنَ مَا كُنْتُ أَمْرًاكَ بِهِ؟ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ هُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي عَلَى نَفْسِي مِنْكَ. وَأَيْمُ اللَّهِ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا. قَالَ: لَا أَبَالُكَ! لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ، حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسِّيفِ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه:

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر، أَعْدَّةُ كَغْدَةِ الْإِبِلِ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ!

قال ابن هشام: ويقال: أَعْدَّةُ كَغْدَةِ الْإِبِلِ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ.

سُورًا مِنْ حَدِيدٍ وَكَذَلِكَ فِي رَوَايَةِ غَيْرِهِ، قَالَ عَامِرُ: لَأَمْلَأَنَّكَ عَلَيْكَ خَيْلًا جُرْذًا، وَرِجَالًا مُرْذًا، وَلَأَرْبِطَنَّ بِكُلِّ نَخْلَةٍ فَرَسًا، فَجَعَلَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَضْرِبُ فِي رُؤُوسِهِمَا وَيَقُولُ: اخْرُجَا أَيُّهَا الْهَجْرَسَانِ، فَقَالَ لَهُ عَامِرُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فَقَالَ: أَحْضِرْ بَنَ سِمَاكِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَبُوكَ كَانَ خَيْرًا مِنْكَ، فَقَالَ: بَلْ أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ أَبِي، لِأَنَّ أَبِي كَانَ مُشْرِكًا، وَأَنْتَ مُشْرِكٌ. وَذَكَرَ سَبِيحُ قَوْلِ عَامِرٍ: أَعْدَّةُ كَغْدَةِ الْبَعِيرِ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ، فِي بَابِ مَا يَنْتَضِبُّ عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ الْمَتْرُوكِ إِظْهَارُهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَعْدُدْ غُدَّةً، وَالسَّلُولِيَّةُ امْرَأَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَلُولَ بْنِ صَغَصَعَةَ وَهُمْ بَنُو مُرَّةَ بْنِ صَغَصَعَةَ، وَسَلُولُ أُمَّهُمْ، وَهِيَ بِنْتُ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَغَصَعَةَ، فَلِذَلِكَ اخْتَصَّهَا لِقَرَبِ النَّسَبِ بَيْنَهُمَا، حَتَّى مَاتَ فِي بَيْتِهَا. وَأَمَّا أَشْعَارُ لَبِيدٍ فِي أَرْبَدُ ففِيهَا قَوْلُهُ:

تَطِيرُ عَدَائِدُ الْأَشْرَاكِ شَفْعًا وَوَثَرًا وَالزَّعَامَةُ لِلْغُلَامِ

موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفي عامر:

قال ابن إسحق: ثم خرج أصحابه حين وازوه، حين قَدِمُوا أرض بني عامر شاتين، فلما قَدِمُوا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلى عبادة شيء لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فخرج بعد مقاتلته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة، فأخَرَقَتْهُمَا. وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأُمِّهِ.

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، قال: وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد: ﴿اللَّهُ يَغْلُمُ مَا تَخْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]... إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

قال: المَعْقَبَاتُ: هي من أمر الله يحفظون محمداً. ثم ذكر أربد وما قتله الله به، فقال: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ١٣] إلى قوله: ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

شعر لبيد في بكاء أربد:

قال ابن إسحق: فقال لبيد يبكي أربد:

ما إِنْ تُعَدِّي الْمَنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ
أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْحُتُوفَ وَلَا	أَزْهَبُ نَوْءَ السُّمَاكِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنٍ هَلَّا بِكِيتِ أَرْبَدَ إِذْ	قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِي كَبَدٍ
إِنْ يَشْتَبُوا لَا يُبَالِ شَغَبَتُهُمْ	أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدِ
خَلَوْ أَرِبُّ وَفِي خِلَاوَتِهِ	مُرَّ لَطِيفُ الْأَخْشَاءِ وَالْكَبَدِ
وَعَيْنٍ هَلَّا بِكِيتِ أَرْبَدَ إِذْ	أَلَوْتُ رِيَاخَ الشِّتَاءِ بِالْعَصَدِ

الرَّعَامَةُ: الرِّبَاسَةُ، وقيل: أراد بِالرَّعَامَةِ هُنَا بَيِّضَةَ السِّلَاحِ، وَالْأَشْرَاكُ: الشُّرَكَاءُ، وَالْعَدَائِدُ: الْأَنْصِبَاءُ مَأْخُودٌ مِنَ الْعَدَدِ، ويقال: إِنْ أَرْبَدَ حِينَ أَصَابَتْهُ الصَّاعِقَةُ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ١٣] يعني أربد والله أعلم. وعامر وأربد يجتمعان في جَعْفَرِ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَأُمُّهُمَا وَاحِدَةٌ، وَسَائِرُ شَعْرِ لَبِيدَ فِي أَرْبَدَ مَرْغُوبٌ عَنِ الْإِسْتِغَالِ بِشَرْحِهِ بِنَاءً عَلَى أَصْلِنَا الْمَتَقَدِّمَ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

وَأَضْبَحَتْ لَاقِحًا مُصْرَمَةً
أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ غَابَةِ لَحِمٍ
لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا
الْبَاعِثُ النُّوْحَ فِي مَاتِمِهِ
فَجَعَنِي الْبَرَقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْـ
وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا
يَعْفُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسُّوَالِ كَمَا
كُلَّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ
إِنْ يُغَبِّطُوا يُهَبِّطُوا وَإِنْ أُمِرُوا

حَتَّى تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمُدِّ
ذُو نَهْمَةٍ فِي الْعُلَا وَمُنْتَقِدٍ
لَيْلَةً تَمْشِي الْجِيَادُ كَالْقِدَدِ
مِثْلَ الظُّبَاءِ الْأُبْكَارِ بِالْجِرْدِ
فَارَسَ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النَّجْدِ
جَاءَ نَكِيبًا وَإِنْ يَعُدُّ يَعْدِ
يُنْبِتُ غَيْثَ الْكَرْبِيعِ ذُو الرِّصْدِ
قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْعَدَدِ
يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالنَّفْدِ

قال ابن هشام: بيته: «والحارب الجابر الحريب» عن أبي عبيدة، وبيته: «يعفو على الجهد»: عن غير ابن إسحق.

قال ابن إسحق: وقال لبيد أيضًا يبكي أزيد:

وَمَانَعُ ضَيْمِهَا يَوْمَ الْخِصَامِ
تُقَسِّمُ مَالُ أَزَيْدَ بِالسَّهَامِ
وَوِثْرًا وَالزُّعَامَةَ لِلْعُلَامِ
وَقُلٌّ وَدَاعُ أَزَيْدَ بِالسَّلَامِ
وَكَانَ الْجَزُعُ يُحْفَظُ بِالنُّظَامِ

أَلَا ذَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْمَحَامِي
وَأَيَقَنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا
تُطِيرُ عَدَائِدَ الْأَشْرَاكِ شَفْعًا
فَوَدَعَ بِالسَّلَامِ أَبَا حَرْنِيزٍ
وَكُنْتُ إِمَامًا وَلَنَا نِظَامًا

عن لبيد:

على أَنَّ لَبِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَعَاشَ فِي الْإِسْلَامِ سِتِّينَ سَنَةً، لَمْ يَقُلْ فِيهَا بَيْتَ شِعْرِ، فَسَأَلَهُ عَمْرُو عَنْ تَرْكِهِ الشَّعْرَ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَقُولَ شِعْرًا بَعْدَ أَنْ عَلَّمَنِي اللَّهُ الْبَقْرَةَ وَأَلَّ عِمْرَانُ، فَزَادَهُ عَمْرُو فِي عَطَائِهِ خَمْسِمِائَةَ دِرْهَمٍ، مِنْ أَجْلِ هَذَا الْقَوْلِ، فَكَانَ عَطَاؤُهُ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَلَمَّا كَانَ مُعَاوِيَةُ، أَرَادَ أَنْ يَنْقُصَهُ مِنْ عَطَائِهِ الْخَمْسِمِائَةَ، وَقَالَ لَهُ: مَا بَالُ الْعِلَاوَةِ فَوْقَ الْفُؤْدَيْنِ؟ فَقَالَ لَهُ لَبِيدُ: الْآنَ أَمُوتُ، وَتَصِيرُ لَكَ الْعِلَاوَةُ وَالْفُؤْدَانِ، فَرَقَّ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَتَرَكَهَا لَهُ، فَمَاتَ لَبِيدُ إِثْرَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ قَالَ بَيْتًا وَاحِدًا فِي الْإِسْلَامِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجْلِي حَتَّى أَكْتَسَيْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سِرْبَالًا

وَأَزِيدُ فَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا
 إِذَا بَكَرَ النِّسَاءَ مُرَدَّفَاتِ
 فَوَاءَلْ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ أَتَاهُ
 وَيَحْمَدُ قَدَرُ أَزِيدَ مَنْ عَرَاهَا
 وجَارُتُهُ إِذَا حَلَّتْ لَدَيْهِ
 فَإِنْ تَفْعُدْ فَمُكْرَمَةٌ حَصَانٌ
 وهل حُدِّثَتْ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا
 وَإِلَّا الْفَرْقَدَيْنِ وَآلَ نَعِشِ
 قال ابن هشام: وهي في قصيدة له.

قال ابن إسحق: وقال لبيد أيضًا يبيكي أربد:

أَنعَ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أَزِيدَا
 يُخْذِي وَيُعْطِي مَالَهُ لِيُحْمَدَا
 السَّابِلَ الْفَضْلِ إِذَا مَا عُدَدَا
 رَفَهَا إِذَا يَأْتِي ضَرِيكَ وَرَدَا
 يَزْدَادُ قُرْبًا مِنْهُمْ أَنْ يُوعَدَا
 غِبًّا وَمَالًا طَارِفًا وَوَلَدَا
 وقال لبيد أيضًا:

لَنْ تُفْنِيَا خَيْرَاتِ أَزْ
 قُولَا هُوَ الْبَطْلُ الْمُحَا
 وَيَصُدُّ عَنَّا الظَّالِمُ
 يَدَ فَابِكِيَا حَتَّى يَعُودَا
 مَيَّ حِينَ يَكْسُونَ الْحَدِيدَا
 بَيْنَ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ صِيدَا

وفد جرش:

فصل: وذكر وفد جرش، وأن خثعم صوّث إليها حين حاصرهم صرد بن عبد الله، وأنشد:

حتى أتينا حميرًا في مصانعها وجَمَعَ خَثْعَمٌ قَدْ صَاعَتْ لَهَا التُّدُرُ

فَاغْتَاقَهُ رَبُّ الْبَرِّيّ
عِ إِذْ رَأَى أَنْ لَا خُلُودًا
فَلَوَى وَلَمْ يُوجَعْ وَلَمْ
يُوصَبْ وَكَانَ هُوَ الْفَقِيدَا
وَقَالَ لِبَيْدٍ أَيْضًا:

يُذَكِّرُنِي بِأَزِيدَ كُلِّ خَضَمٍ
أَلَدٌ تَخَالُ خُطَّتُهُ ضِرَارَا
إِذَا اقْتَصَدُوا فَمُقْتَصِدٌ كَرِيمٌ
وَأَنْ جَارُوا سَوَاءَ الْحَقِّ جَارَا
وَيَهْدِي الْقَوْمَ مُطْلَعًا إِذَا مَا
دَلِيلُ الْقَوْمِ بِالْمَوْمَةِ حَارَا

قال ابن هشام: آخرها بيتًا عن غير ابن إسحق.

قال ابن إسحق: وقال لبَيْدٍ أَيْضًا:

أَصْبَحْتُ أُمِّيَّيَ بَعْدَ سَلْمَى بْنِ مَالِكٍ
وَبَعْدَ أَبِي قَيْسٍ وَعُرْوَةَ كَالْأَجْبِ
إِذَا مَا رَأَى ظِلَّ الْغُرَابِ أَضْجَهُ
حِذَاذَا عَلَى بَاقِي السَّنَاسِنِ وَالْعَصْبِ

قال ابن هشام: وهذان البيتان في أبيات له.

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحق: وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، يُقال له: ضَمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ.

وَيُرْوَى حُمَيْرًا بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، وَفِي حِمِيرٍ حَمِيرِ الْأَذْنَى، وَهُوَ حِمِيرُ بْنُ الْعَوْثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ شُدَدِ بْنِ زُرْعَةَ وَهُوَ حِمِيرُ الْأَضْغَرُ بْنُ سَبَأِ الْأَضْغَرِ بْنِ كَعْبِ كَهْفِ الظُّلَمِ بْنِ زَيْدِ الْجُمُهورِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَاِئِلَ بْنِ الْعَوْثِ بْنِ حَيْدَانَ بْنِ قَطَنِ بْنِ عَرِيبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ الْهَمَيْسَعِ بْنِ حِمِيرِ الْأَكْبَرِ وَهُوَ الْعَرَنْجَجُ، وَقَالَ الْأَبْرَهِيُّ: وَهُوَ مِنْ عِلْمَاءِ حَمِيرٍ بِالنِّسْبِ وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى أَبْرَهَةَ بْنِ الصُّبَّاحِ الْحَمِيرِيِّ فِي حِمِيرِ الْأَذْنَى الْمَبْدُوءِ بِذِكْرِهِ حِمِيرٌ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ تَصِحُّ رِوَايَةُ الْخَاءِ الْمَنْقُوطَةِ، وَمَنْ رَوَاهُ بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ فَهُوَ تَصْغِيرُ حِمِيرٍ تَصْغِيرُ التَّرْخِيمِ، وَالْعَرَنْجَجُ فِي لُغَةٍ: حِمِيرُ الْعَتِيقِ.

حديث ضمام

فصل: وذكر حديث ضمام بن ثعلبة، وهو الذي قال فيه طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ: جَاءَنَا أَعْرَابِي مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرِ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، وَلَا يَقْفَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَلِذَا هُوَ

سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه:

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن الوليد بن نُوَيْفِع عن كُريب، مولى عبد الله بن عباس، عن ابن عباس، قال: بعث بنو سعد بن بكر ضِمَامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه، وأناخ بغيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه؛ وكان ضِمَامُ رجلاً جَلْدًا أشعر ذا غَدِيرَتَيْن، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب». قال: أمحمد؟ قال: «نعم»؛ قال يا ابن عبد المطلب، أني سائلك ومُعَلِّظ عليك في المسألة، فلا تَجِدَنَّ في نفسك، قال: لا أجد في نفسي، فُسِّلَ عما بدا لك. قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: «اللهم نعم»؛ قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لا نُشْرِك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آبائنا يعبدون معه؟ قال: «اللهم نعم»، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك أن نصلِّي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهم نعم»؛ قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة. الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها، يَتَشُدُّه عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله؛ وسأؤدِّي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف إلى بغيره راجعاً. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن صدق ذو العقِيصَتَيْن دخل الجنة».

يَسْأَلُ عن الإسلام، الحديث، رواه مالك في الْمُوطَأَ عن عَمِّه عن جَدِّه عن طَلْحَةَ، وقد تَرَجَّم عليه أبو داود لما فيه من دُخُولِ الْمُشْرِكِ الْمَسْجِدَ^(١).

وذكر معه حديث الْيَهُودِ حين دَخَلُوا الْمَسْجِدَ، وذكرُوا أن رجلاً منهم، وامرأة زَنِيَا، وقال به الشافعي، وكره مالك دخول الذَّمِّي الْمَسْجِدَ، وخصَّص أبو حنيفة الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ﴾ [التوبة: ٢٨] الآية، وتعلق مالك بالعلَّة التي نهت عليها الآية، وهي التَّنَجِّيس، فَعَمَّ الْمَسَاجِدَ كُلَّهَا.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨) جمعه.

قال: فأتى بغيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قَدِمَ على قومه، فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بثست اللات والعزى! قالوا: مه يا ضمام اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون! قال: ويلكم! إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال: يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوفاد قومٍ كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس.

قال ابن هشام: الجارود بن بشر بن المعلّى في وفد عبد القيس وكان نصرانياً.

قال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتهم، عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، ورغبه فيه، فقال: يا محمد، إنني قد كنت على دين، وإنني تارك ديني لدينك، أفترضن لي ديني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «نعم، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه» قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحُمَْلان، فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه». قال: يا رسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضوَالٌ من ضوَالِ الناس: أفنتبَلِّغُ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا، إياك وإياها، فإنما تلك حَرَقُ النار».

حول حديث الجارود

فصل: وذكر الجارود العبدي، وهو بشر بن عمرو بن المعلّى، يُكنى أبا المُنْذِرِ، وقال الحاكم: يُكنى أبا عِيَاثٍ وأبا عِتَابٍ، وسُمِّيَ الجَارُودَ، لأنه أغار على قومٍ من بَكْرِ، فَجَرَّدَهُم قال الشاعر:

وَدُسَّاهُمْ بِالْخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا جَرَّدَ الْجَارُودُ بَكْرَ بْنِ وَائِلٍ

موقفه من قومه في الردة:

فخرج من عنده الجارود راجعًا إلى قومه، وكان حسن الإسلام، صُلِّبًا على دينه، حتى هلك وقد أدرك الردة، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع العُرور بن المنذر بن الثُّعْمان بن المنذر، قام الجارود فتكلم، فتشهد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام فقال: أيُّها الناس، إني أشهد إن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأكفر من لم يشهد.

قال ابن هشام: يُروى: وأكفي من لم يشهد.

إسلام ابن ساوى:

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العَبْدي، فأسلم فحَسُن إسلامه ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردة أهل البَحْرين، والعلاء عنده أميرًا لرسول الله ﷺ على البَحْرين.

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدِم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة، فيهم مُسَيْلِمة بن حَبِيب الحنفي الكذاب.

قال ابن هشام: مُسَيْلِمة بن ثُمَامَة، ويكنى أبا ثُمَامَة.

وذكر في آخر حديث الجارود العُرور بن الثُّعْمان بن المنذر، وكان كِسْرَى حين قُتِل الثُّعْمان صَيَّر أمر الحيرة إلى هانيء بن قَبِيصَة الشَّيباني، ولم يبق لآل المنذر رَسْم ولا أمرٌ يذكر حتى كانت الردة، ومات هانيء بن قَبِيصَة فأظهر أهل الردة أمر العُرور بن الثُّعْمان، واسمه: المنذر، وإنما سُمِّي العُرور، لأنه غَرَّ قومه في تلك الردة، أو غَرَّوه واستعانوا به على حَزْبهم فُقُتِل هنالك، وزعم وثيمة بن موسى أنه أسلم بعد ارتداده، والله أعلم.

وفد بني حنيفة ونسب مسيلمة^(١)

فصل: وذكر وفد بني حنيفة، واسم حنيفة أُنَال بن لُجَيْم بن سَعْد بن عَلِي بن بَكْر بن وائل مع مُسَيْلِمة على النبي ﷺ، وهو مُسَيْلِمة بن ثُمَامَة بن كَبِير بن حُبَيْب بن الحارث بن عُبْد الحارث بن هِفَان بن ذُهَل بن الدُول بن حنيفة يكنى أبا ثُمَامَة، وقيل: أبا هارون، وكان

(١) انظر البداية (٤٥/٥) المتنظم (٣٨٢/٣) الطبري (١٣٧/٣).

قال ابن إسحق: فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم من بني النجّار، فحدّثني بعض علمائنا من أهل المدينة: أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه. معه عسيب من سَعَف النخل في رأسه خوصات؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ؛ وهم يسترونه بالثياب، كلّمه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه».

يسمى بالرحمن فيما روي عن الزهري قبل مولد عبد الله والد رسول الله - ﷺ - وقُتل وهو ابن مائة وخمسين سنة، وكانت قرينش حين سمعت بسم الله الرحمن الرحيم، قال قائلهم: دق فوك، إنما تذكر مسيلمة رَحْمَانَ الْيَمَامَةِ، وكان الرَّحَالُ الْحَنْفِي، واسمه نَهَار بن عُنفوة، والعُنفوة يابس الحلي، وهو نبات، وذكره أبو حنيفة، فقال فيه: عُثُوْ بالثاء المثناة، وقال: هو يابس الحلي، والحلي: النَّصِي، وهو نبت - قدم في وفد اليمامة على النبي ﷺ فأمن وتعلّم سُورًا من القرآن، فرآه النبي - ﷺ - يومًا جالسًا مع رجلين من أصحابه، أحدهما فُرات بن حيّان، والآخر: أبو هريرة، فقال: «ضُرْسُ أَحَدِكُمْ فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدٍ»^(١)، فما زالا خائفين حتى ازنّد الرَّحَالُ، وآمن بمسيلمة وشهد زورًا أن النبي - ﷺ - قد شرّكه معه في النبوة، ونسب إليه بعض ما تعلّم من القرآن، فكان من أقوى أسباب الفتنه على بني حنيفة، وقتله زيد بن الخطّاب يوم اليمامة، ثم قتل زيد بن الخطّاب سلّمه بن صبيح الحنفي، وكان مسيلمة صاحب نيزوجات^(٢) يقال: إنه أول من أدخل البيضة في القارورة، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص، وكان يدّعي أن ظبيّة تأتيه من الجبل، فيحلب لبنها، وقال رجل من بني حنيفة يرثيه:

لَهْفِي عَلَيْنِكَ أَبَا ثَمَامَةَ لَهْفِي عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ
كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيهِمْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَةِ

وكذب بل كانت آياته منكوسة، ثقل في بئر قوم سألوه ذلك تبرّكًا فملّح ماؤها، ومسح رأس صبي فقريّ قرعًا فاحشا، ودعا لرجل في ابنين له بالبركة، فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في البئر، والآخر قد أكله الذئب، ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه، فايضت عيناه.

(١) أخرجه مسلم في الجنة (٤٤) والترمذي (٢٥٧٩) وأحمد (٢/٣٣٤) بلفظ: «خرس الكافر في النار»
نعوذ بالله من النار ومن حرّ النار.

(٢) ضرب من السحر والدجل.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا. زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وخلفوا مُسَيْلِمَةَ في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلفنا صاحبًا لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: أما إنه ليس بشركم مكانًا، أي: لحفظه ضيعة أصحابه، وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ.

مؤذنا مسيلمة وسجاح:

واسم مؤذنه: حُجَيْر، وكان أول ما أمر أن يذكر مُسَيْلِمَةَ في الأذان توقف، فقال له مُحَكَّم بن الطُّفَيْل: صرَّح حُجَيْر، فذهبت مثلاً. وأما سَجَاح التي تَنَبَّأت في زمانه وتزوجها، فكان مؤذنها جَنَبَةُ بن طَارِق، وقال القَتَيْبِيُّ: اسمه: زُهَيْر بن عَمْرٍو، وقيل: إن شُبَيْت بن رَبِيعٍ أذن لها أيضًا، وتكنى أُم صَادِرٍ، وكان آخر أمرها أن أسلمت في زمان عَمْرٍو، كل هذا من كتاب الواقدي وغيره. وكان مُحَكَّم بن طُفَيْل الحَنَفِيُّ، صاحب حَرْبِه ومُدَبِّر أمره، وكان أشرف منه في حَنِيفَةٍ، ويقال فيه: مُحَكَّم ومُحَكَّم، وفيه يقول حَسَّان بن ثابت:

يا مُحَكَّم بن طُفَيْلٍ قد أُتِيحَ لَكُمْ لِيْلُهُ دُرٌّ أَبْيَكُم حَيَّةَ الْوَادِي

وقال أيضًا:

يَخْبِطُن بِالْأَيْدِي حِيَاضَ مُحَكَّم

امراة مسيلمة:

وقوله ابن إسحاق: انزلوا، يعني وفد بني حَنِيفَةَ بدارِ الحَارِث. الصواب: بنت الحَارِث، واسمها: كَيْسَةُ بنت الحَارِث بن كُرَيْز بن حَبِيب بن عَبْدِ شَمْس، وقد تقدَّم في غزوة قُرَيْظَةَ الكلام على كَيْسَةَ: وكَيْسَةُ بالتخفيف، وأنها كانت امراة لمُسَيْلِمَةَ قبل ذلك، فلذلك أنزلهم بدارها وكانت تحت مُسَيْلِمَةَ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر، وذكرنا هنالك أن الصواب ما قاله ابن إسحاق أن اسم تلك المرأة زَيْنُب بنت الحَارِث، كذا وقع في رواية يونس عن ابن إسحاق، والمذكورة هاهنا كَيْسَةُ بنتُ الحَارِث، وإياه عن رسول الله ﷺ حين خَطَبَ، فقال: أُرِيتُ في يدي سوارين من دَهَبٍ فكرهتهما، فنفخت فيهما فطارا فأولتُهما كَذَابُ الْيَمَامَةِ والعَنَسِي، صاحب صنعاء، فأما مُسَيْلِمَةَ فقتله خالد بن الوليد، وأفنى قومه قتلاً وسَبِيًا.

مسعود العنسي:

وأما مسعود بن كَعْب العَنَسِي، وَعَنَسٌ من مَذْجِج، فاتبعته قبائل من مَذْجِج واليمن

قال: ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ: وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم، وقال: إني قد أشركت في الأمر معه. وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكركموني له: أما إنه ليس بشركم مكاناً؛ ما ذاك إلا لما كان يعلم أنني قد أشركت في الأمر معه، ثم جعل يشجع لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: «لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى» وأحلّ لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي، فأضفقت معه حنيفة على ذلك، فالله أعلم أي ذلك كان.

على أمره، وغلب على صنعاء، وكان يُقال له ذو الخمار، ويلقب: عَيْهَلَة، وكان يدّعي أن سحيقاً وشريقاً يأتيانه بالوحي، ويقول: هما ملكان يتكلمان على لساني، في خدع كثيرة يُزخرف بها، وهو من ولد مالك بن عَنَس، وبنو عَنَس جُشَمٌ وجُشِيمٌ ومالك وعامر وعَمْرُو، وعزيز ومعاوية وعَتِيكَة وشَهَابٌ والقِرْيَة ويّام ومن ولد يّام بن عَنَس عَمّار بن ياسر، وأخواه عبد الله وحُوَيْرِثُ ابنا ياسر بن عُمَر بن مالك، قتله فَيْرُوز الدَّيْلَمِي، وقيس بن مَكْشُوح وذاذُوَيْهِ رَجُلٌ من الأبناء دَخَلُوا عليه من سِرْبٍ صنعته لهم امرأة كان قد غَلَبَ عليها من الأبناء، فوجدوه سَكْرَانٌ لا يَغْقِلُ من الخمر، فخبطوه بأسيا فهم وهم يقولون:

صَلَّ نَبِيٌّ مَاتَ وَهُوَ سَكْرَانٌ وَالنَّاسُ تَلْقَى جُلُوهُمْ كَالذَّبَّانِ

النور والنار لَدَيْهِمْ سَيَّانٌ

ذكره الدُّوَلَابِي، وزاد ابن إسحق في رواية يونس عنه أن امرأته سَقَتَهُ البَنَجَ في شَرَابِهِ تلك الليلة، وهي التي اخْتَفَرَتِ السُّرْبَ للدخول عليه، وكان اغْتَضَبَهَا، لأنها كانت من أجمل النساء، وكانت مُسْلِمَةً صالحة، وكانت تُحَدِّثُ عنه أنه لا يغتسل من الجَنَابَةِ، واسمها المَرْزُبَانَةُ، وفي صورة قتله اخْتِلَافٌ.

وقوله ﷺ: «أَرَيْتُ سِوَايْنِ من ذَهَبٍ، فنفختهما فطارا»، قال بعض أهل العلم بالتعبير: تأويل نفخه لهما أنهما بريحو قَتِلَا، لأنه لم يغزهما بنفسه، وتأويل الذهب أنه زُخْرَفٌ، فدلّ لفظه على زُخْرَفَيْهِمَا، وكذبهما، ودلّ الإِسْوَارَانِ بلفظهما على مَلِكَيْنِ لأن الأساورة هم الملوك، ومعناهما على التضييق عليه لكون السَّوَارِ مُضَيَّقًا على الذُّرَاعِ.

قدوم زيد الخيل في وفد طيء

إسلامه وموته:

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفد طيء، فيهم زيد الخيل، وهو سيدهم؛ فلما انتهوا إليه كلّموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام، فأسلموا، فحسّن إسلامهم، وقال رسول الله ﷺ، كما حدّثني من لا أتهم من رجال طيء؛ ما ذُكر لي رجلٌ من العرب بفضل، ثم جاءني، إلّا رأيته دون ما يُقال فيه، إلّا زيد الخيل: فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه، ثم سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقطع له قيدًا وأرضين معه، وكتب له بذلك. فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعًا إلى قومه؛ فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حُمَى الْمَدِينَةِ»، فإنه قال: قد سمّاه رسول الله ﷺ باسم غير الحمى،

زيد الخيل

فصل: وذكر زيد الخيل، وهو زَيْدُ بن مُهلَهل بن زَيْد بن مُثَبِّب، يكتى: أبا مُكْنِف الطائي، واسم طيء أدّ، وقيل له: زَيْدُ الْخَيْلِ لخمس أفراس، كانت له، لها أسماء أعلام ذهب عني حفظها الآن.

وذكر قوله ﷺ: «إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حُمَى الْمَدِينَةِ».

أسماء الحمى:

قال الراوي: ولم يُسمّها باسمها الحُمى، ولا أُمّ مَلْدَم، سمّاهَا باسم آخر ذهب عني، والاسم الذي ذهب عن الراوي مِنْ أَسْمَاءِ الْحُمَى، هو أُمّ كُلبَة، ذكر لي أن أبا عُبَيْدَةَ ذكره في مَقَاتِلِ الْفَرَسَانِ، ولم أَرَهُ، ولكن رأيت الْبَكْرِي ذكره في باب أفرده من أسماء البلاد، ولها أيضًا اسمٌ سِوَى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ ذكره ابن دُرَيْدٍ في الْجَمْهَرِ، قال: سَبَاط، من أسماء الحُمى على وزن رَقَاشٍ، وأما أُمّ مَلْدَم، فيقال: بِالذَّالِ، وبِالذَّالِ ويكسر الميم وفتحها، وهو [من] الدِّم وهو شِدَّةُ الضَّرْبِ، ويحتمل أن يكون أُمّ كُلبَة هَذَا الْاسْمُ مُعَبَّرًا مِنْ كُلبَة بِضَمِّ الْكَافِ، وَالْكُلبَةُ شِدَّةُ الرُّغْدَةِ، وَكُلُّبُ الْبَرِّ مَدَائِدُهُ، فَهَذِهِ أُمّ كُلبَة بِالْهَاءِ، وَهِيَ الْحُمَى، وَأما أُمّ كُلبِ، فَشَجَرَةٌ لَهَا نَوْرٌ حَسَنٌ، وَهِيَ إِذَا حُرِّكَتْ أَتَتْ شَيْءً، وَزَعَمَ أَبُو حَنِيفَةَ أَنَّ الْغَنَمَ إِذَا مَسَّتْهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقْرُبَ الْغَنَمَ لِيلَتِهَا تِلْكَ مِنْ شِدَّةِ إِتْنَانِهَا.

خير زيد في رواية أخرى:

وذكر في خبر زيد الخيل في رواية أبي علي البغدادي ما هذا نصّه: خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ طَيْءٍ يَرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَقُودًا، وَمَعَهُمْ زَيْدُ الْخَيْلِ، وَوَزَرَ بْنِ سُدُوسٍ التَّبْهَانِي وَقَبِيصَةُ بْنُ

وغير أم مَلَدَم، فلم يثبتته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له: فَرْدَة، أصابه الحُمى بها فمات، ولما أحسَّ زيد بالموت قال:

أَمُرْتُ جَلَّ قَوْمِي الْمَشَارِقَ غُدُوَّةً وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةٍ مَنْجِدٍ

الْأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ جُوَيْنٍ الْجَزْمِيُّ، وَهُوَ النَّصْرَانِي، وَمَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبِيرٍ بْنِ أَفْلَتَ بْنِ سُلَيْسَةَ وَقُعَيْنَ بْنِ خُلَيْفِ الطَّرِيفِيِّ رَجُلٌ مِنْ جَدِيدِلَةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي بَوْلَانَ، فَعَقَلُوا رَوَاحِلَهُمْ بِفَنَاءِ الْمَسْجِدِ، وَدَخَلُوا، فَجَلَسُوا قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - حَيْثُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّبِيُّ - ﷺ - إِلَيْهِمْ، قَالَ: «إِنِّي خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْعَزَى، وَلَانِهَا، وَمَنْ الْجَمَلُ الْأَسْوَدُ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمِمَّا حَازَتْ مَنَاعُ، مِنْ كُلِّ ضَارٍ غَيْرِ نَفَاعٍ، فَقَامَ زَيْدُ الْخَيْلِ، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ خَلْقًا وَأَحْسَنِهِمْ وَجْهًا وَشَعْرًا، وَكَانَ يَرْكَبُ الْفَرَسَ الْعَظِيمَ الطَّوِيلَ فَتَخَطَّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ جِمَارٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَى بِكَ مِنْ سَهْلِكَ وَحَزْنِكَ، وَسَهْلٌ قَلْبُكَ لِلْإِيمَانِ»، ثُمَّ قَبَضَ عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ: أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ بْنِ مُهْلَلٍ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ لَهُ: «بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا زَيْدُ مَا خُبِّرْتُ عَنْ رَجُلٍ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا خُبِّرْتُ عَنْهُ غَيْرَكَ»^(١)، فَبَايَعَهُ، وَحَسَّنَ إِسْلَامَهُ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا عَلَى مَا أَرَادَ، وَأَطْعَمَهُ قُرَى كَثِيرَةً، مِنْهَا: قَيْدٌ، وَكَتَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَوْمِهِ إِلَّا وَزَرَ بْنَ سُدُوسٍ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَرَى رَجُلًا لَيْمَلِكُنْ رِقَابَ الْعَرَبِ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَمْلِكُ رَقَبَتِي غَرَبِي أَبَدًا، ثُمَّ لَحِقَ بِالشَّامِ، وَتَنَصَّرَ وَحَلَقَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا قَامَ زَيْدٌ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ - ﷺ، قَالَ: أَيُّ فِتْنَةٍ لَمْ تَدْرِكْهُ أَمْ كُلْبَةٌ، يَعْنِي: الْحُمَى، وَيُقَالُ: بَلْ قَالَ: إِنْ نَجَا مِنْ آجَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ زَيْدٌ حِينَ انْصَرَفَ:

أُنَيْخْتُ بِآجَامِ الْمَدِينَةِ أَرْبَعًا وَعَشْرًا يُغْنِي فَوْقَهَا اللَّيْلَ طَائِرٌ
فَلَمَّا قَضَتْ أَصْحَابُهَا كُلُّ بُغْيَةٍ وَخَطَّ كِتَابًا فِي الصَّحِيفَةِ سَاطِرٌ
شَدَّدْتُ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَشَلِيلَهَا مِنْ الدَّرْسِ وَالشَّعْرَاءِ وَالْبَطْنِ ضَامِرٌ

الدَّرْسُ: الْجَرْبُ. وَالشَّعْرَاءُ: ذُبَابٌ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فِي حَدِيثِهِ: وَأَهْدَى زَيْدٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَخْدُومًا وَالرُّسُوبَ، وَكَانَا سِنْفَيْنِ لِيَصْنَمَ بَلَى الْفَلَسِ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا قَدَّمَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ يُفْضِلُهُ قَوْمُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ (١٠٩/٤) وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَهْذِيبِهِ (٣٧/٦) وَانْظُرْ ابْنَ الْجَوْزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ (١٢٩/٧).

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لِعَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرَ مِنْهُمْ يَجْهَدُ

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كُتبه، التي قطع له رسول الله ﷺ، فحرقتها بالنار.

أمر عدي بن حاتم:

وأما عدي بن حاتم فكان يقول، فيما بلغني: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكنت امرأة شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمزباع، فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي، لما كان يُصنع بي. فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي، وكان راعياً لإبلي: لا أبالك، أعد لي من إبلي أجماً ذلاً سماناً، فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأذني، ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة، فقال: يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد، فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: فقلت: فقرب إلي أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: أَلْحَقْ بأهل ديني من النصارى بالشام فسلكُ الجَوشية، ويقال: الحوشية، فيما قال ابن هشام - وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر، فلما قَدِمَت الشام أقمت بها.

وتخالفني خيل لرسول الله ﷺ، فُتْصِب ابنة حاتم، فيمن أصابت، فقَدِم بها على رسول الله ﷺ في سبایا من طیء، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، قال: فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد، كانت السبایا يُحَبَسْنَ فيها، فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جَزَلَة، فقالت: يا رسول الله، هَلْكَ الوالد، وغاب الوافد، فأمُتْ علي، مَنْ الله عليك. قال: «وَمَنْ وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم. قال: «الفار من الله ورسوله؟» قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يثست منه، فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلّميه؛ قال: فقمت إليه،

زَيْد، فَإِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حَمَى الْمَدِينَةِ فَلَا مَرَّ مَا هُوَ. وقوله:

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لِعَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرَ مِنْهُمْ يَجْهَدُ

وبعده:

فليت اللواتي عُدْنِي لَمْ يَعُدْنِي وليت اللواتي غَبْنَ عَنِّي شَهْدِي

فقلت: يا رسول الله، هَلِكِ الوالد، وغاب الوافد فامتنن عليّ، من الله عليك؛ فقال ﷺ: «قد فعلتُ، فلا تعجلني بخروج حتى تجدي من قومك من يكون له ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني». فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلمه، فقليل: عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدم ركب من بلّي أو قُضاة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت: فجنث رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدِمَ رَهْط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحَمَلَنِي، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قَدِمَت الشام.

قال عديّ: فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظَليمة تَصُوب إليّ تؤمنا، قال: فقلت ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسحلت تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقيّة والدك عورتك، قال: قلت: أيّ أختي، لا تقولي إلّا خيرًا، فوالله ما لي من عُذر، لقد صنعتُ ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا تَرين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تُلحق به سريعًا، فإن يكن الرجل نبيًا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكًا فلن تَذَل في عزّ اليمن، وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

إسلام عديّ

قال: فخرجتُ حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسَلَّمْتُ عليه، فقال: «مَنْ الرجل؟» فقلت: عديّ بن حاتم؛ فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه، إذ لَقِيته امرأة ضعيفة كبيرة،

قدوم عديّ بن حاتم^(١)

وهو عديّ بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن حُشْرَج بن امرئ القيس بن عديّ بن ربيعة بن جَزُول بن ثعلب بن عمرو بن العَوْث بن طيء يكنى أبا ظريف، وحديث إسلامه صحيح عجيب خرّجه الترمذي، وأخته التي ذكر إسلامها أحسب اسمها سَفَانة، لأنني وجدت في خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سَخَانة قالت: فأخذ حاتم عديًّا يُعَلِّله من الجوع، وأخذت أنا سَفَانة، ولا يعرف لعديّ ولدا نقرض عقبه، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم، ذكره القُتَيْبِيُّ، ولا يعرف له بنتٌ إلّا سَفَانة، فهي إذا هذه المذكورة في السيرة والله

(١) له ترجمة في الإصابة (٤٩٨/٢) الاستيعاب (١٧٨١/٣) تاريخ الصحابة (١٠٥١) الطبقات (٢٢/٦) التهذيب (١٦٦/٧).

فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تُكَلِّمُه في حاجتها؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك؛ قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم مَخْشُوءَةً لَيْفًا، فقفها إليّ؛ فقال: اجلس على هذه، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: «إيه يا عدي بن حاتم! ألم تك رُكُوسِيًّا؟» قال: قلت: بلى، (قال): «أو لم تكن تسيّر في قومك بالميزباع؟» قال: قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يكن يَحِلُّ لك في دينك»؛ قال: قلت: أَجَلٌ والله، وقال: وعرفت أنه نبيّ مُرْسَلٌ، يعلم ما يُجْهَلُ، ثم قال: «لعلك يا عدي إنما يَمْنَعُكَ من دُخُولِ في هذا الدين ما تَرَى من حاجتهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ المَالُ أن يَفِيضَ فيهم حتى لا يُوجَدَ من يأخذه؛ ولعلك إنما يَمْنَعُكَ من دُخُولِ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيّة على بغيرها (حتى) تزور هذا البيت، لا تخاف؛ ولعلك إنما يَمْنَعُكَ من دُخُولِ فيه أنك ترى أن المُلْك والسلطان في غيرهم، وأيّم الله ليوشكن أن تسمع بالقُصُور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم»؛ قال: فأسلمت.

وقوع ما وعد به الرسول عديًا:

وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكوننّ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسيّة على بغيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت، وأيّم الله لتكوننّ الثالثة، لَيَفِيضَنَّ المَالُ حتى لا يُوجَدَ من يأخذه.

قدوم فروة بن مسيك المرادي:

قال ابن إسحق: وَقَدِمَ فَرَوَةُ بن مُسَيْك المُرَادِي على رسول الله ﷺ مفارقًا لملوك كِنْدَةَ، ومباعدًا لهم، إلى رسول الله ﷺ.

وقد كان قُبَيْل الإسلام بين مُرَاد وهَمْدَان وقعة، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا، حتى أَثَخَنُوهُمْ في يوم كان يقال له: يوم الرُّدْم، فكان الذي قاد هَمْدَان إلى مراد الأجدع بن مالك في ذلك اليوم.

أعلم، وأم حاتم: عِنَبَةُ بنتُ عَفِيف [بن عمرو بن عبد القيس] كانت من أكرم الناس وهي التي تقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ مَا عَضَّنِي الْجَوْعُ عَضَّةً فَالَيْتُ إِلَّا أَحْرِمَ الدَّهْرَ جَائِعًا
وَالسَّقَانَةُ: الدَّرَّة، وبها كان يُكْنَى حاتم.

قال ابن هشام: الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حريم الهمداني.

قال ابن إسحق: وفي ذلك اليوم يقول قروة بن مُسَيِّك:

مَرَزْنَا عَلَى لُفَاءٍ وَهَنْ خَوْصٍ	يَنَازَعْنَ الْأَعْنَةَ يَنْتَحِينَا
فَإِنْ نَغْلِبْ فَعَلَّابُونَ قِدْمَا	وَإِنْ نُغْلَبْ فغَيْرُ مُغْلَبِينَا
وَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ	مَنَائِنَا وَطُغْمَةُ آخِرِينَا
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ	تَكُرُّ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينَا
فَبَيْنَا مَا تُسَرِّبُهُ وَتَرْضَى	وَلَوْ لَيْسَتْ غَضَارَتُهُ سَنِينَا
إِذْ انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَاتُ دَهْرٍ ^(١)	فَالْقَيْتُ الْأَلَى غُبَطُوا طَحِينَا
فَمَنْ يُغْبِطُ بَرْنِبَ الدَّهْرِ مِنْهُمْ	يَجِدُ رَنْبَ الزَّمَانِ لَهُ خُتُونَا
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَنْ خَلَدْنَا	وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَنْ بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكَ سَرَوَاتٍ ^(٢) قَوْمِي	كَمَا أَفْنَى الْقُرُونُ الْأَوَّلِينَا

قال ابن هشام: أول بيت منها، وقوله: «فإن نغلب» عن غير ابن إسحق.

قدوم قروة على الرسول وإسلامه:

قال ابن إسحق: ولما توجه قروة بن مُسَيِّك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة، قال:

لَمَّا رَأَيْتُ مَلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ	كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجْلَ عَرَقَ نَسَائِهَا
قَرْنْتُ رَاحِلَتِي أَوْثُمَ مُحَمَّدَا	أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة:

أرجو فواضله وحسن ثنائها

قال ابن إسحق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال له رسول الله ﷺ، فيما بلغني: «يا قروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرِّدْم؟» قال يا رسول الله: من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الرِّدْم لا يسوؤه ذلك! فقال رسول الله ﷺ له: «أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً».

(٢) سرورات: السادة.

(١) كرات الدهر: مرة بعد مرة.

واستعمله النبي ﷺ على مراد وزُيِّنَدَ وَمَذَجَجَ كُلَّهَا، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد:

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد، فأسلم؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المُرَادِيّ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس، إنك سيّد قومك، وقد ذُكِرَ لنا أن رجلاً من قريش يقال له: محمد قد خرج بالحجاز، يقول إنه نبيّ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عليك، وإذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فأبى عليه قيس ذلك، وسفّه رأيه، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ، فأسلم، وصدّقه، وآمن به.

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عَمْرًا، وتحطّم عليه، وقال: خالفني وترك رأيي؛ فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك:

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَعْمَا	ءَأْمَرًا بِإِدْيَا رَشْدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللِّ	بِوَالْمَغْرُوفِ تَتْعِدُهُ
خَرَجْتُ مِنَ الْمُنَى مِثْلَ الـ	حُمَيْرِ غَرَزِهِ وَتَدُهُ
تُمْنَانِي عَلَى فَرَسٍ	عَلَيْهِ جَالِسًا أَسْدُهُ
عَلَيَّ مُفَاضَّةً كَالنُّهْـ	ي أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدْدُهُ
تَرْدِ الرُّمَحِ مُنْثَنِي السُّـ	نَانِ عَوَائِرًا قِصْدُهُ
فَلَوْلَا قِيَّتَنِي لَلْقِيـ	تُ لَيْتًا فَوْقَهُ لِبَدُهُ
تُلَاقِي شَنْبَةً شَتْنِ الـ	بَرَاثِنِ نَاشِزًا كَتَدُهُ
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنُ	تَيْمَمِهِ فَيَغْتَضُدُهُ
فِي أَخْذِهِ فَيَرْفَعُهُ	فِي خَفِضِهِ فَيَقْتَصِدُهُ
فَيَذْمُغُهُ فَيَخْطُمُهُ	فِي خَضَمِهِ فَيَزْدُرْدُهُ
ظَلُومِ الشَّرْكِ فَيَمَّا أَحـ	رَزَتْ أَثْيَابَهُ وَيَدُهُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة:

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صُنْعَا ءَ أَمَرَا بَيِّنًا رَشْدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّـ هِ تَأْتِيهِ وَتَتَّعِدُهُ
فَكُنْتُ كَذِي الْحُمَيْرِ غَرَّ رُهُ مَمَّا بِهِ وَتَدُهُ
لم يعرف سائرهما.

ارتداده وشعره في ذلك:

قال ابن إسحاق: فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيدة وعليهم فروة بن مسيك. فلما توفى رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معد يكرب، وقال حين ارتد:

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرَوَةَ شَرًّا مُلْكُ حِمَارًا سَافَ مُنْخَرُهُ بِثَقْرِ
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خَبَثٍ وَعَذْرِ

قال ابن هشام: قوله: «بثقر» عن أبي عبيدة.

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة:

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كندة، فحدثني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً من كندة، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده وقد رَجَلُوا جُمَمَهُمْ وَتَكَحَّلُوا، وعليهم جُبُّ الْجَبَرَةِ، وقد كَفَّفُوها بِالْحَرِيرِ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «ألم تُسَلِّمُوا؟» قالوا: بلى، قال: «فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟» قال: فشَقَّوه منها، فَأَلْقَوْه.

ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله: نحن بنو آكل المُرَارِ، وأنت ابن آكل المُرَارِ، قال: فتبسَّم رسول الله ﷺ، وقال: ناسِبُوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، وربيعه بن الحارث، وكان العباس وربيعه رجلين، تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب، فسُئِلَا مِمَّنْ هُمَا؟ قالَا: نحن بنو آكل المُرَارِ، يَتَعَزَّزَانِ بِذَلِكَ، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً. ثم قال لهم: لا، بل نحن بنو النَّضَرِ بن كنانة، لا نَقْفُو أُمَّنَا، ولا نَنْتَفِي مِنْ أَيْبِنَا، فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يا معشر كندة؟ والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين.

قال ابن هشام: الأشعث بن قيس من ولد آكل المُرار من قبَل النساء، وآكل المُرار: الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتَع بن معاوية بن كِنْدِيّ، ويقال كِنْدَة، وإنما سُمِّي آكل المُرار، لأن عمرو بن الهَبُولَة الغَسَّاني أغار عليهم، وكان الحارث غائبًا، فغتم وسبى، وكان فيمن سبى أُم أناس بنت عوف بن مُحَلَّم الشَّيباني، امرأة الحارث بن عمرو، فقالت لعمرو في مسيره: لكأني برجل أذلّم أسود، كأن مشافره مشافر بعير آكل مُرَارٍ قد أخذ برقبتك، تعني: الحارث، فسُمِّي آكل المُرار، والمُرار: شجر. ثم تبعه الحارث في بني بكر بن وائل، فلحقه، فقتله، واستنقذ امرأته، وما كان أصاب. فقال الحارث بن جِلْزَة اليَشْكُرِيّ لعمرو بن المُنذر وهو عمرو بن هند اللخمي:

وَأَقْذَنَّاكَ رَبَّ غَسَّانَ بِالْمُنْثِ لِذِرِ كَرَهَا إِذْ لَا تُكَالِ الدَّمَاءُ

لأن الحارث الأعرج الغَسَّاني قتل المُنذر أباه، وهذا البيت في قصيدة له. وهذا الحديث أطول مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه ما ذكرت من القُطْع. ويقال: بل آكل المُرار حُجر بن عمرو بن معاوية، وهو صاحب هذا الحديث، وإنما سُمِّي آكل المُرار، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجرًا يقال له: المُرار.

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي^(١):

إسلامه:

قال ابن إسحاق: وقَدِم على رسولِ الله ﷺ صُرْدُ بن عبد الله الأزديّ، فأسلم، وحسُن إسلامه، في وفد من الأزديّ، فأمره رسولُ الله ﷺ على من أسلم من قومه. وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قِبَل اليمن.

قتاله أهل جرش:

فخرج صُرْد بن عبد الله يسير بأمر رسولِ الله ﷺ، حتى نزل بِجَرَش، وهي يومئذ مدينة معلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضَوّت إليهم خَفْعَم، فدخلوها معهم حين سَمِعوا بسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريبًا من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له: شُكْر، ظنَّ أهل جَرَش أنه إنما

(١) انظر الطبقات (٧١/٢/١) البداية (٨٤/٥) الطبري (١٣٠/٣) المتظم (٣٨١/٣).

ولَّى عنهم منهزمًا، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عَطَفَ عليهم، فقتلهم قتلاً شديداً.

إخبار الرسول وافدي جرش بما حدث لقومها:

وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران؛ فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشيةً بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: «بأيِّ بلاد الله شُكِر؟» فقام إليه الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: كُشْر؛ وكذلك يسميه أهل جُرش، فقال: «إنه ليس بكُشْر، ولكنه شُكْر»؛ قالوا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: «إن بُدِّنَ الله لثُخْر عنده الآن»، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما! إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله ﷺ، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما؛ فقاما إليه، فأسألاه ذلك، فقال: اللهم ارفع عنهم، فخرجوا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرْد بن عبد الله، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

إسلام أهل جرش:

وخرج وفد جُرش حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ، فأسلموا، وَحَمَى لهم حِمَى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة وللمثيرة، بقرة الحَزْث، فمن رعاة الناس فمالهم سُخْت. فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد: وكانت خَتَمَ تُصِيب من الأزد في الجاهلية، وكانوا يَغْدُونَ في الشهر الحرام:

يا غَزَوَةٌ ما غَزَوْنَا غَيْرَ خَائِبَةٍ	فيها الْبِغَالُ وفيها الْخَيْلُ وَالْحُمُرُ
حتى أَتَيْنَا حُمَيْرًا في مَصَانِعِهَا	وَجَمْعُ خَتَمٍ قد شَاعَتْ لها التُّذُرُ
إذا وَضَعْتُ غَلِيلًا كُنْتُ أَحْمِلُهُ	فَمَا أَبَالِي أَذَانُوا بَعْدُ أَمْ كَفَرُوا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم:

قدوم رسول ملوك حمير:

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ كتابُ ملوك حِمَيْر، مَقْدَمَهُ من تَبُوك، ورسولهم إليه بإسلامهم، الحارث بن عبد كُلال، وتُعَيْم بن عبد كُلال. والتُّغَمَانُ قِيلَ ذِي رُعَيْنَ وَمَعَاظِرَ

وَهَمْدَان؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ زُرْعَةُ ذُو يَزْنَ مَالِكُ بْنُ مَرَّةَ الرَّهَآوِي بِإِسْلَامِهِمْ، وَمُفَارَقَتِهِمُ الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ.

كتاب الرسول إليهم:

فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ النَّبِيِّ، إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، وَإِلَى نَعِيمِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، وَإِلَى الثُّعْمَانِ، قِيلَ ذِي زُعَيْنَ وَمَعَاذَ وَهْمْدَانِ. أَمَّا بَعْدُ ذَلِكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مُتَقَلِّبًا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ، فَبَلَّغَ مَا أُرْسَلْتُمْ بِهِ، وَخَبَرْنَا مَا قَبْلَكُمْ، وَأَنْبَأْنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهِدَاهُ، إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقِمْتُمْ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمْسَ اللَّهِ، وَسَهَمَ الرَّسُولِ وَصَفِيهِ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ، عَشْرَ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ نِصْفَ الْعَشْرِ: وَأَنَّ فِي الْإِبِلِ الْأَرْبَعِينَ ابْنَةَ لَبُونٍ، وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ، وَفِي كُلِّ خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ، وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ؛ وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ، جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ؛ وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحِدَاهَا شَاةٌ، وَأَنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ؛ فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَمَنْ أَذَى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ، وَظَاهَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، وَإِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ؛ وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ، فَإِنَّهُ لَا يَزِدُّ عَنْهَا، وَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى، حَرَّ أَوْ عَبْدًا، دِينَارٌ وَافٍ، مِنْ قِيَمَةِ الْمَعَافِرِ أَوْ عِيَّوْضِهِ ثِيَابًا، فَمَنْ أَذَى ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَمَنْ مَنَعَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ أَرْسَلَ إِلَى زُرْعَةِ ذِي يَزْنَ أَنْ إِذَا أَتَاكُمْ رُسُلِي فَأَوْصِيَكُمْ بِهِمْ خَيْرًا: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، وَمَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ نَمِرٍ، وَمَالِكُ بْنُ مَرَّةَ، وَأَصْحَابُهُمْ وَأَنْ أَجْمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْجِزْيَةِ مِنْ مَخَالِفِكُمْ، وَأَبْلِغُوها رُسُلِي، وَأَنْ أَمِيرَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِيًا. أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ مُحَمَّدًا يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ إِنْ مَالِكُ بْنُ مَرَّةَ الرَّهَآوِي قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّكَ أَسْلَمْتَ مِنْ أَوَّلِ حَمِيرٍ، وَقَتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَبْشُرْ بِخَيْرٍ وَأَمْرِكَ بِحَمِيرٍ خَيْرًا، وَلَا تَخُونُوا وَلَا تَخَاذِلُوا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ وَلِيُّ غَنِيِّكُمْ وَفَقِيرِكُمْ، وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَا

تَحَلَّ لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يُزَكَّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل، وإن مالَكَا قد بَلَغَ الخَبَرَ، وَحَفِظَ الغَيْبَ، وَأَمَرَكُم بِهِ خَيْرًا، وَإِنِّي قد أُرْسَلْتُ إِلَيْكُم مِن صَالِحِي أَهْلِي وَأُولِي دِينِهِمْ وَأُولِي عِلْمِهِمْ، وَأَمَرَكُم بِهِمْ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ مَنْظُورٌ إِلَيْهِمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وصية الرسول معاذًا حين بعثه إلى اليمن:

بعث الرسول معاذًا على اليمن وشيء من أمره بها:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حَدَّثَ: أن رسول الله ﷺ حين بَعَثَ مُعَاذًا، أوصاه وَعَهْدَ إِلَيْهِ، ثم قال له: «يَسِّرْ وَلَا تَعَسِّرْ، وَبَشِّرْ وَلَا تَنْفَرْ، وَإِنَّكَ سَتَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، يَسْأَلُونَكَ مَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ فَقُلْ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، قال: فخرج معاذ، حتى إِذَا قَدِمَ الْيَمَنَ قام بما أمره به رسول الله ﷺ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَتْ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجِ الْمَرْأَةِ عَلَيْهَا؟ قَالَ: وَيَحْكُ! إِنْ الْمَرْأَةَ لَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، فَأَجْهَدِي نَفْسَكَ فِي آدَاءِ حَقِّهِ مَا اسْتَطَعْتَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ إِنْكَ لَتَعْلَمُ مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ. قَالَ: وَيَحْكُ! لو رَجَعْتَ إِلَيْهِ فَوَجَدْتَهُ تَنْشَعِبُ مَنْخَرَاهُ قِيحًا وَدَمًا، فَمَصَصْتَ ذَلِكَ حَتَّى تُذْهِبَهُ مَا أَذَيْتَ حَقَّهُ.

إسلام فروة بن عمرو الجذامي

إسلامه:

قال ابن إسحاق: وبعث فروة بن عمرو النافرة الجذامي، ثم الثفائي، إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للرؤم على مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْعَرَبِ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ مُعَانَ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ.

حبس الرّوم له وشعره في محبسه:

فلما بلغ الرّوم ذلك من إسلامه، طَلَبُوهُ حَتَّى أَخَذُوهُ، فَحَبَسُوهُ عِنْدَهُمْ، فَقَالَ فِي مَحْبَسِهِ ذَلِكَ:

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقِرْوَانِ

حديث فروة «معنى قرو»

وذكر ابن إسحاق حديث فَرْوَةَ وَقَوْلَهُ:

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقِرْوَانِ

صَدَّ الْخِيَالُ وَسَاءَهُ مَا قَدْ رَأَى وَهَمَمْتُ أَنْ أُغْفِي وَقَدْ أَبْكَانِي
لَا تَكْخِلَنَّ الْعَيْنَ بَعْدِي إِثْمًا سَلَمَى وَلَا تَدِينُ لِلْإِثْيَانِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَبَا كُبَيْشَةَ أَنِّي وَسَطَ الْأَعِزَّةِ لَا يُحْصِ لِسَانِي
فَلَيْتَن هَلَكْتُ لَتَفْقِدُنَّ أَخَاكُم وَلَسَنَ بَقِيْتُ لَتَعْرِفَنَّ مَكَانِي
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ
فلما أجمعت الزَّومَ لصلبه على ماءٍ لهم، يقال له: عَفْرَاءُ بِفَلَسْطِينِ، قال:

أَلَا هَلْ أَتَى سَلَمَى بِأَنْ حَلِيلَهَا عَلَى مَاءِ عَفْرَاءٍ فَوْقَ إِحْدَى الرُّوَاهِلِ
عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَخْلُ أُمَهَا مُشْدَبَةً أَطْرَافَهَا بِالْمَنَاجِلِ
مقتله:

فزعم الزهريُّ بن شهاب، أنهم لما قَدَّمُوهُ لِيَقْتُلُوهُ. قال:
بَلِّغْ سَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنِّي سَلَمُ لِرَبِّي أَغْظَمِي وَمَقَامِي
ثم ضربوا عنقه، وصلبوه على ذلك الماء، يرحمه الله تعالى.

الْقَرْوَانُ: يجوز أن يكون جَمْعُ قَرْوٍ، وهو حوض الماء مثل صِنَوَانٍ، ويجوز أن يكون جمع: قَرْيٍ مثل صُلَيْبٍ وَصُلْبَانٍ. وَأَصْحُ مَا قِيلَ فِي الْقَرْوِ: إِنَّهُ حُوْنِضٌ مِنْ خَشَبٍ تُسْقَى فِيهِ الدَّوَابُّ، وَتَلِغُ فِيهِ الْكِلَابُ، وَفِي الْمَثَلِ: مَا فِيهَا لِأَعْيِ قَرْوٍ، أَي: مَا فِي الدَّارِ حَيَوَانٌ، وَأَرَادَ: بِلَاعِي قَرْوٍ، لِأَعْيِ قَرْوٍ، وَقَلْبَ الْقَافِ الْأُولَى يَاءَ لِلتَّضْعِيفِ.

إبدال آخر حرف في اسم الفاعل:

وَحَسَنَ ذَلِكَ أَنَّهُ اسْمُ فَاعِلٍ، وَقَدْ يُبَدِّلُونَ مِنْ آخِرِ حَرْفٍ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ يَاءً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ تَضْعِيفٌ، كَقَوْلِهِمْ فِي الْخَامِسِ: خَامِيهِمْ، وَفِي سَادِسِهِمْ سَادِيهِمْ، وَكَذَلِكَ إِلَى الْعَاشِرِ، وَنَحْوُ مِنْهُ: مَا أَنْشَدَ سَيِّئُوهُ.

وَلِضْفَادِي جَمُّهُ نَقَانِئُ

أَي: لِضَفَادِعِ جَمِّهِ، وَأَنْشَدَ:

مِنْ الثُّعَالِي وَوَحَزْ مِنْ أَرَانِيهَا

أَرَادَ الثُّعَالِبَ وَأَرَانِيهَا، وَإِذَا كَانَ هَذَا مَعْرُوفًا فَلَا عَيْ قَرْوٍ أَحَقُّ أَنْ يُقْلَبَ آخِرُهُ يَاءً كَرَاهَةً لِاجْتِمَاعِ قَافَيْنِ.

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار إليهم دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم^(١)

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنَجْران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يُقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فأقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم. فخرج خالد حتى قَدِم عليهم، فبعث الرُكبان يَضْرِبون في كلِّ وَجْه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيُّها الناس، أسلموا تسلموا. فأسلم الناس، ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ، من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمت فيهم، وقبلت منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم. وإني قَدِمْتُ عليهم فدعوتهُم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم رُكباناً، قالوا: يا بني الحارث، أسلموا تسلموا، فأسلموا ولم يُقاتلوا، وأنا مُقيم بين أظهرهم،

وذكر قُدوم وفد كِنْدَةَ، وفيه قوله عليه السلام: «لَا تَقْفُوا أُمَّنَا، وَلَا تَنْتَفِي مِنْ أَيْبِنَا»^(٢)، وفي هذا ما يدل على أن الأشعث قد أصاب في بعض قوله: نحن وأنت بَنُو أَكِلِ المُرَّارِ، وذلك أن في جَدَّاتِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ القَبِيلِ، منهن: دَعْدُ بنت سُرير بن ثَعْلَبَةَ بن الحارث الكِنْدِيِّ المذكور، وهي أُم كِلَابِ بن مُرَّة، وقيل: بل هي جَدَّةُ كِلَابِ أُم أمه هند، وقد ذكر ابن إسحاق هُنَا هَذِهِ، وأنها ولدت كِلَاباً.

قُدوم وفد بني الحارث بن كعب

ذكر فيهم يزيد بن عبد المَدَانِ، واسم عَبْدِ المَدَانِ عَمْرُو بن الدِّيَّانِ، والدِّيَّانُ اسمه: يزيد بن قَطْنِ بن زِيَادِ بن الحارثِ بن مَالِكِ بن زَبِيعَةَ بن كَعْبِ بن الحارثِ بن كَعْبِ الحارثي.

(١) انظر البداية (٨٨/٥) الطبري (١٢٦/٣) الطبقات (٧٢/٢/١) المتظم (٣٧٩/٣).

(٢) أخرجه الطبراني (٣٢١/٢) وانظر الفتوح (٢٨٣/١٣).

أمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وستة النبي ﷺ حتى يكتب إليّ رسول الله ﷺ. والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالمجيء:

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تُقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدكم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

قدوم خالد مع وفدكم على الرسول:

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحُصَيْن ذي العُصَّة، ويزيد بن عبد المَدان، ويزيد بن المحجَّل، وعبد الله بن قُرد الزِيادي؛ وشَداد بن عبد الله القَناني، وعمرو بن عبد الله الضَّبَّاي.

وذكر فيهم أيضًا ذا العُصَّة، واسمه الحُصَيْن بن يَزِيد بن شَدادِ الحارِثي، وقيل له: ذو العُصَّة، لِعُصَّةٍ كانت في حَلْقِهِ لا يكاد يبين منها، وذكره عُمر بن الخطَّاب يومًا، فقال: لا تُزاد امرأة في صدَّقِها على كذا وكذا، ولو كانت بنت ذي العُصَّة.

وذكر فيهم عَمْرُو بن عبد الله الضَّبَّاي، وهو ضَبَّابٌ بكسر الضاد في بني الحارث بن كعب بن مَذْلِج، وضَبَّابٌ أيضًا في قُرَيْشٍ وهو ابن حُجَيْر بن عَبد بن مَعِيص بن عامر أخو حَجَر بن عَبد، وفي حَجَرٍ وحُجَيْرٍ يقول الشاعر:

أَنْبِئْتُ أَنَّ عُوَاةَ مِنْ بَنِي حَجَرٍ وَمِنْ حُجَيْرٍ بَلَا ذَنْبٍ أَرَاغُونِي
أَغْنُوا بَنِي حَجَرٍ عَنَا غَوَاتِكُمْ وَيَا حُجَيْرُ إِلَيْكُمْ لَا تُبْزِرُونِي

والضَّبَّابُ في بني عامر بن صَفْصَعَةَ، وهم ضَبَّابٌ ومُضِيبٌ وحَسَلٌ وحَسِيلٌ بنو معاوية بن كِلَابٍ، وأما الضَّبَّابُ بالفتح، ففي نسب النابغة الذُّبْيَانِي ضَبَّابٌ بن يَزْبُوع بن غَيْظٍ، وأما الضَّبَّابُ بالضم فزَيْدٌ ومنجا ابنا ضَبَّابٍ من بني بَكْرِ، ذكره الدَّارِقُطْنِي.

حديث وفدهم مع الرسول:

فلما قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ فرَأَهم، قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟» قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب، فلما وقفوا على رسولِ الله ﷺ سلَّموا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله؛ قال رسولُ الله ﷺ: «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأتِي رسول الله»، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «أنتم الذين إذا رُجروا استقدموا؟» فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المَدان: نعم، يا رسول الله، نحن الذين إذا رُجروا استقدموا، قالها أربع مرار؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «لو أن خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم»؛ فقال يزيد بن عبد المَدان: أما والله ما حَمِدناك ولا حمدنا خالداً، قال: «فمن حَمِدتم؟» قالوا: حمدنا الله عزَّ وجلَّ الذي هدانا بك يا رسول الله؛ قال: «صدقتم». ثم قال رسول الله ﷺ: «بِمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: لم نكن نغلب أحداً؛ قال: «بلى، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم»؛ قالوا: كنا نغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نَفْتَرِق، ولا نبداً أحداً بظلم؛ قال: «صدقتم»، وأمر رسولُ الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَيْن.

فرجع وفدُ بني الحارث إلى قومهم في بَقِيَّة من شَوال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى تَوَفَّى رسول الله ﷺ، ورحم وبارك، ورضي وأنعم.

بعث الرسول عمرو بن حزم بعهدہ إليہم:

وقد كان رسولُ الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدُهم عمرو بن حزم، ليفقَّهم في الدين، ويعلمهم السنَّة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عَهدہ، وأمره فيه بأمره. «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا بيان من الله ورسوله، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم، حين بعثه إلى اليمن، أمره بتَقوى الله في أمره كُلِّه، فإن الله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشِّر الناس بالخير، ويأمرهم به، ويُعَلِّم الناس القرآن، ويفقَّهم فيه، وينهى الناس، فلا يمسَّ القرآن إنسان إلا وهو

طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم، والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشد عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم، ونهى عنه، فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ويشر الناس بالجنة ويعملها، ويُنذر الناس النارَ وعملها، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته، وما أمر الله به، والحج الأكبر: الحج الأكبر، والحج الأصغر: هو العمرة؛ وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوبًا يشني طرفيه على عاتقيه؛ وينهى الناس أن يحتبى أحد في ثوب واحد يُفضي بفرجه إلى السماء، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هنج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله، ودعا إلى القبائل والعشائر فلْيُفْطَرُوا بالسيف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهمهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله، وأمر بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والسجود والخشوع، ويُغسل بالصبح، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مذبذبة، والمغرب حين يقبل الليل، لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل، وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الزواج إليها، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عُشْرُ ما سَقَت العين وسقت السماء، وعلى ما سَقَى العُزْبُ نصف العُشْر، وفي كلّ عشر من الإبل شاتان، وفي كلّ عشرين أربع شياه، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جدع أو جدعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيرًا فهو خير له، وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلامًا خالصًا من نفسه، ودان بدين الإسلام، فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُردُّ عنها، وعلى كلّ حالم: ذكر أو أنثى، حرّ أو عبد، دينار وافي أو عوضه ثيابًا.

فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منع ذلك، فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا، صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

قدوم رفاعة بن زيد الجذامي

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه:

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ في هُدنة الحُدَيْيَةِ، قبل خيبر، رِفاعَةُ بن زَيْد الجُذامِيّ ثم الضَّبْيِيّ، فأهدى لرسول الله ﷺ غلامًا، وأسلم، فَحَسُنَ إسلامُهُ، وكتب له رسول الله ﷺ كتابًا إلى قومه. وفي كتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد. إني بعثته إلى قومه عامَّة، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين». فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا، ثم ساروا إلى الحَرَّة: حَرَّة الرُّجلاء. ونزلوها.

قدوم وفد همدان

أَسماؤهم وكلمة ابن نمط بين يدي الرسول:

قال ابن هشام: وقَدِمَ وفد هَمْدان على رسول الله ﷺ، فيما حَدَّثني من أثنى به، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدي، عن أبي إسحق السَّيِّعي، قال: قَدِمَ وفد هَمْدان على رسول الله ﷺ - منهم: مالك بن نَمَط، وأبو ثَوْر، وهو ذو المِشعار، ومالك بن أَيْقَع وضمَامُ بن مالك السَّلْمانِي وعَمِيرَةُ بن مالك الخارِفِيّ، فَلَقُوا رسولَ الله ﷺ مَرْجَعَهُ من تبوك وعليهم مَقْطُعات الحَبِرات. والعمائم العَدْنِيَّة، برحال المِيس على المَهْرِيَّة والأزْحِيَّة ومالك بن نَمَط ورجل آخر يَرْتَجِزان بالقوم، يقول أحدهما:

هَمْدَانُ خَيْرُ سَوْقَةٍ وَأَقْيَالٍ لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ أَمْثَالُ
مَحَلُّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الْأَبْطالُ لَهَا إْطَابَاتٌ بِهَا وَآكَالُ

وفود رفاعة

فصل: وذكر وفود رفاعة الضَّبْيِيّ، وأنه أهدى لرسول الله ﷺ غلامًا، وذلك الغلام هو الذي يقال له: مِذْعَم، وقع ذكره في الموطأ.

وذكر وفد هَمْدان، ومالك بن نَمَط الهَمْدَانِيّ الذي يقال له: ذو المِشعارِ، وكُنْيَتُهُ: أَبُو ثَوْرٍ وقع في النُّسخة، وفي أكثر النُّسخ: وأبو ثَوْرٍ بالواو، كأنه غيره، والصواب سقوط الواو، لأنه هو هو، وقد يخرج إثبات الواو على إضمار، هو، كأنه قال: وهو أبو ثور ذو المِشعارِ، وقد ذكره ابن قُتَيْبَةَ، فقال في غريب الحديث: مالك ذو المِشعارِ، وذكره أبو عَمَر فقال: هو

ويقول الآخر:

إِلَيْكَ جَاوَزْنَ سَوَادَ الرَّيْفِ فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ
مُخَطَّمَاتٍ بِجِبَالِ اللَّيْفِ

فقام مالكُ بْنُ نَمَطٍ بين يديه، فقال: يا رسول الله نَصِيَّةٌ مِنْ هَمْدَانٍ، مِنْ كُلِّ حَاضِرٍ وَبَادٍ، أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوصِ نَوَاجٍ، مُتَّصِلَةٌ بِجِبَالِ الْإِسْلَامِ، لَا تَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، مِنْ مِخْلَافِ خَارِفٍ وَيَّامٍ وَشَاكِرِ أَهْلِ السُّودِ وَالْقُودِ، أَجَابُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ، وَفَارَقُوا آلِهَاتِ الْأَنْصَابِ عَهْدَهُمْ لَا يُنْقَضُ مَا أَقَامَتْ لَعْلَعٌ، وَمَا جَرَى الْيَغْفُورُ بِصُلْعٍ.

فكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتابًا فيه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ، لِمِخْلَافِ خَارِفٍ وَأَهْلِ جَنَابِ الْهَضْبِ وَحِقَافِ الرَّمْلِ، مَعَ وَفِدَاهَا ذِي الْمِشْعَارِ مَالِكِ بْنِ نَمَطٍ وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ فِرَاعَهَا وَوِهَاطَهَا، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ، يَأْكُلُونَ عِلَاقَهَا وَيَزْعَوْنَ عَافِيَهَا، لَهُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَامُ رَسُولِهِ، وَشَاهِدُهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ». فقال في ذلك مالكُ بْنُ نَمَطٍ:

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي فَخْمَةِ الدُّخَى وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلَدَدٍ
وَهُنَّ بِنَا خُوصٌ طَلَاتُحُ تَغْتَلِي بِرُكْبَانِهَا فِي لَاحِبٍ مُتَمَدَدٍ

ذُورِ الْمِشْعَارِ يَكْتَى: أَبُو ثَوْرٍ، وَفِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مِخْلَافِ خَارِفٍ وَيَّامٍ وَأَهْلِ جَنَابِ الْهَضْبِ وَحِقَافِ الرَّمْلِ مَعَ وَفِدَاهَا ذِي الْمِشْعَارِ مَالِكِ بْنِ نَمَطٍ»، فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاوَ فِي قَوْلِهِ: وَأَبُو ثَوْرٍ ذُو الْمِشْعَارِ لَا مَعْنَى لَهُ.

وقوله: عَلَيْهِمْ مُقَطَّعَاتُ الْجِبَرَاتِ: الْمُقَطَّعَاتُ مِنَ الثِّيَابِ فِي تَفْسِيرِ أَبِي عُبَيْدٍ، هِيَ الْقِصَارُ، وَاحْتِجَّ بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي صَلَاةِ الضُّحَى إِذَا انْقَطَعَتِ الظُّلَالُ، أَيْ: قَصُرَتْ، وَيَقُولُهُمْ فِي الْأَرَاكِيزِ: مُقَطَّعَاتٌ، وَخَطَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي هَذَا التَّأْوِيلِ، وَقَالَ: إِنَّمَا الْمُقَطَّعَاتُ الثِّيَابُ الْمَخِيطَةُ كَالْقُمُصِ وَنَحْوِهَا، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا تُقَطَّعُ وَتُقَصَّلُ ثُمَّ تُخَاطُ، وَاحْتِجَّ بِحَدِيثِ رَوَاهُ عَنْ بَعْضِ وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَفِيهِ أَنَّهُ خَرَجَ وَعَلَيْهِ مُقَطَّعَاتٌ يَجْرُهَا، فَقَالَ لَهُ شَيْخٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ: لَقَدْ رَأَيْتُ أَبَاكَ، وَكَانَ مُشْمَرًا غَيْرَ جَرَّارٍ لثِيَابِهِ، فَقَالَ لَهُ الْفَتَى: لَقَدْ هَمَمْتُ بِتَقْصِيرِهَا، فَمَنْعَنِي قَوْلُ الشَّاعِرِ فِي أَيْبِكَ:

قَصِيرِ الثِّيَابِ فَاجِشْ عِنْدَ ضَيْفِهِ لَشَرِّ قَرْنِشٍ فِي قَرْنِشٍ مُرْكَبَا

على كل فتلاء الذراعين جَسْرَةً تَمُرُّ بِنا مَرَّ الهَجَفِ الحَفِيدِ
 حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِثْنَى صَوَادِرَ بِالرَّكْبَانِ مِنْ هَضْبٍ قَزْدِ
 بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مُصَدِّقٌ رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مَهْتَدِي
 فَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَشَدُّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ
 وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُزْفِ جَاءَهُ وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرِفِي الْمَهْدِ

ذكر الكذابين مسلمة الحنفي والأسود العنسي:

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذابات مُسَلِّمة بن حبيب باليمامة في حنيفة، والأسود بن كعب العنسي بصنعاء.

رؤيا الرسول فيهما:

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار، عن أبي سعيد الخُدَري، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: «أيُّها الناس، إني قد رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها، ورأيت في ذراعيّ سوارين من ذهب، فكرهتهما، فنفضتهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة».

حديث الرسول عن الدجالين:

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كلهم يدعي النبوة»^(١).

خروج الأمراء والعَمال على الصدقات:

الأمراء وأسماء العَمال وما تولّوه:

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ قد بعث أمراءه وعَماله على الصدقات، إلى كلِّ ما أوطأ الإسلام من البُلدان، فبعث المهاجرَ بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء،

والظاهرُ في قوله عليهم مُقَطَّعاتُ الجِزَراتِ ما قاله ابن قُتيبة، ولا معنى لوضفها بالقَصَرِ في هذا الموطن. والمهرية منسوبة إلى مهرة بن حيدان بن الحاف بن قُضاعة. والأرخبية:

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٤ - ٤٣٣٥ - بتحقيق) وأحمد (٤٥٠/٢) والبغوي في شرح السنة (٤٠/١٥).

فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث زيادة بن لبید، أخا بني بياضة الأنصاري، إلى حضرموت وعلى صدقاتها؛ وبعث عدي بن حاتم على طييء وصدقاتها، وعلى بني أسد، وبعث مالك بن ثورية - قال ابن هشام: اليربوعي - على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران، ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم.

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه:

وقد كان مسيلمة بن حبيب، قد كتب إلى رسول الله ﷺ: «من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله: سلام عليك، أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقریش نصف الأرض ولكن قریشا قوم يعتدون.

فقدّم عليه رسولان له بهذا الكتاب.

قال ابن إسحاق: فحدثني شيخ من أشجع، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لها حين قرأ كتابه: «فما تقولان أنتما؟» قالا: نقول كما قال، فقال: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما».

ثم كتب إلى مسيلمة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من حمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين».

منسوبة إلى أزحَب بَطْن من هَمْدَان. ويام هو يام بن أضي، وخارف بن الحارث بَطْنان من هَمْدَان يُنسب إلى يام: زُبَيْد [بن الحارث بن عبد الكريم] اليامي المحدث، وأهل الحديث يقولون فيه: الأيامي: والفِرَاع: ما علا من الأرض. والوَهَاط: ما انخفض منها، واحدها: وهط، ولَغَلَع: اسم جبل. والصُّلُع: الأرض الملساء. والخَفِيدُ: ولد النعامة. والهَجَف: الصَّخْم.

وذكر حديث عمرو بن مغد يكرِب، وقيس بن مكشوح.

وذكر في الشعر:

ثَلَاقِ شَنْبَةً شَثْنِ الْـ بَرَاثِنِ نَاشِزًا قَدَدَـ

أَلْفَيْتُ بَخَطَ الشُّيْخِ أَبِي بَحْرٍ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ قَالَ: قَالَ الْقَاضِي: لَا أَعْرِفُ شَنْبَةً الْآنَ،
وَلَعَلَّهُ تَلَاقٍ شَرٌّ نَبْتًا، وَجَزَمَ تُلَاقٍ لِمَا فِي قَوْلِهِ:
فَلَوْ لَا قَيْتَنِي مِنْ قُوَّةِ الشَّرْطِ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ: إِنْ لَا قَيْتَنِي تُلَاقٍ.

حجة الوداع

تجهز الرسول واستعماله على المدينة أبا دجانة:

قال ابن إسحاق: فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة، تجهز للحج، وأمر الناس بالجهاز له.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة.

قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، ويقال: سباع بن عُرْفُطَةَ الغفاري.

حجة الوداع^(١)

ذكر فيها حديث عائشة وقولها: فأهْلَلْنَا بِالْحَجِّ وما نذكر إلا أمرَ الحجِّ، وهذا يدل على أنهم أفردوا، وقد بين ذلك جابرٌ في حديثه أن رسول الله ﷺ أفرد الحجِّ، وهذا هو الصحيح في حديث جابر، وقد رُوِيَ من طُرُق فيها لِيْنٌ عن جابر أنه قال قَرَنَ رسولُ الله ﷺ بين الحجِّ والعُمرة، وطاف لهما طَوَافًا واحدًا، وسعى لهما سَعْيًا واحدًا، رواه الدارقطني^(٢)، ورُوِيَ أيضًا أن جابرًا قال: حجَّ رسولُ الله ﷺ ثلاثَ حِجَّاتٍ، حِجَّتَيْنِ قَبْلَ الهجرة، وحِجَّتَهُ الَّتِي قَرَنَهَا بِعُمْرَتِهِ^(٣)، وأما حديثُ ابن عباس فصحيح، وقال فيه: «طاف رسولُ الله ﷺ عن

(١) انظر البداية (٩٩/٤) المتنظم (٥/٤).

(٢) أخرجه الدارقطني (٢٥٩/٢) - بتحقيقي) وأخرجه مسلم من الحج (١٨٢) من ابن عمر مرفوعًا.

(٣) أخرجه الترمذي (٨١٥) وابن ماجه (٣٠٧٦).

ما أمر به الرسول عائشة في حيضها:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدي وأشراف من أشراف الناس، أمر الناس أن يجللوا بعُمرة، إلا من ساق الهدي؛ قالت: وحضت ذلك اليوم، فدخل علي وأنا أبكي، فقال: «ما لك يا عائشة؟ لعلك نفست؟» قالت: قلت: نعم، والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر؛ فقال: «لا تقولن ذلك، فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت». قالت: ودخل رسول الله ﷺ مكة، فحل كل من كان لا هدي معه، وحل نسائه بعُمرة، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير، فطرح في بيتي، فقلت: ما هذا؟ قالوا: ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر، حتى إذا كانت ليلة الحَضبة، بعث بي رسول الله ﷺ مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التَّنعيم، مكان عُمرتي التي فاتتني.

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن حفصة بنت عمر، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يجللن بعُمرة، قلن: فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا؟ فقال: «إني أهديت ولبذت، فلا أحل حتى أنحر هديي».

حجته وعُمَرته طوافاً واحداً^(١)، وقد اختلف عن علي، فروي عنه أنه طاف عنهما طوافين، ولم يختلف عنه أنه كان قارئاً، وكذلك حديث عمران بن حصين، في أنه عليه السلام كان قارئاً، وأما حديث أنس فصريح فيه بأنه كان قارئاً، وقال: ما تعدونا إلا صنياناً سمعت رسول الله ﷺ يصرخ بهما جميعاً يعني الحج والعُمرة^(٢)، فاختلفت الروايات في إحرام رسول الله ﷺ كما ترى: هل كان مفرداً أو قارئاً، أو مُتمتّعاً، وكلها صحاح إلا من قال: كان مُتمتّعاً، وأراد به أنه أهل بعُمرة، وأما من قال: تمتع رسول الله - ﷺ - أي: أمر بالتمتع، وفسخ الحج بالعُمرة، فقد يصح هذا التأويل، ويصح أيضاً أن يُقال: تمتع إذا قرن، لأن القرآن ضرب من المُتعة لما فيه من إسقاط أحد السَّفرين. والذي يرفع الإشكال حديث البخاري^(٣)

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨٨) والترمذي (٩٤٧). وقد أورد الإمام ابن القيم في الزاد (١٠٧/٢) أكثر من عشرين دليلاً في القرآن فانظره هناك.

(٢) أخرجه مسلم في الحج (١٢٣٠) والنسائي (١٥٠/٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣/٣١٠).

موافاة علي في قفوله من اليمن رسول الله في الحج:

به ما أمر الرسول عليًا من أمور الحج:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيع: أن رسول الله ﷺ كان بعث عليًا رضي الله عنه إلى نجران، فلقاه بمكة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها، فوجدها قد حلت وتهيأت، فقال: ما لك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعمره فحللنا. ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله ﷺ: «انطلق فطف بالبيت، وحل كما حل بأصحابك». قال: يا رسول الله إني أهلت كما أهلت؛ فقال: «ارجع فاحلل كما حل أصحابك»؛ قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرم: اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ؛ قال: «فهل معك من هذي؟» قال: لا. فأشركه رسول الله ﷺ في هذيه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ، حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنهما.

أنه أهل بالحج، فلما كان بالعقيق أتاه جبريل، فقال له: إنك بهذا الوادي المبارك، فقل: لَبَّيْكَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ مَعًا، فقد صار قاريًا بعد أن كان مُفْرِدًا، وصح القولان جميعًا، وأمره لأصحابه أن يَفْسَخُوا الحجَّ بِالْعُمْرَةِ خُصُوصَ لَهُمْ، وليس لغيرهم أن يفعلوه، وإنما فعل ذلك لِيُذْهِبَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ فِي تَخْرِيمِهِمُ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، فكانوا يرون الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، ويقولون: إِذَا بَرَأَ الدُّبَيْرُ^(١)، وَعَقَا الْأَثَرُ، وَانْسَلَخَ صَفَرُ حَلَّتِ الْعُمْرَةُ لِمَنْ اعْتَمَرَ، وَلَمْ يَفْسَخْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَجَّه كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُهُ، لِأَنَّهُ سَاقُ الْهَذْيِ، وَقَلَّدَهُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَذْيَ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦] وقال حين رأى أصحابه قد شقَّ عليهم خلافه: لو اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، وَلَمَّا سَقْتُ الْهَذْيَ^(٢)، قَالَ شَيْخُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا نَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا هُوَ أَسْهَلُ، وَأَزْفَقُ، لَا عَلَى تَرْكِ مَا هُوَ أَفْضَلُ، وَأَوْفَقُ، وَذَلِكَ لَمَّا رَأَى مِنْ كَرَاهَةِ أَصْحَابِهِ لِمَخَالَفَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ سَاقُ الْهَذْيِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا طَلَحَهُ بَنُ غَيْبِ اللَّهِ، فَلَمْ يَحِلَّ حَتَّى نَحَرَ، وَعَلَيَّ أَيْضًا أَتَى مِنَ الْيَمَنِ وَسَاقُ الْهَذْيِ فَلَمْ يَحِلَّ إِلَّا بِإِخْلَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) الدبر: جرح يكون في ظهر البعير.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦/٢) ومسلم في الحج (١٤١١) وأبو داود (١٧٨٤ - بتحقيقي) والنسائي (١٤٣/٥) وأحمد (٢٥٣/١).

شكا علياً جنده إلى الرسول لانتزاعه عنهم حللاً من بز اليمن:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن زكاة، قال: لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة، تعجل إلى رسول الله ﷺ، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله عنه. فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل؛ قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ. قال: فانتزع الحلل من الناس، فردّها في البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صُنع بهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب، وكانت عند أبي سعيد الخدري، عن أبي سعيد الخدري، قال: اشتكى الناس علياً رضوان الله عليه، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعتة يقول: أيها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يشكي^(١).

خطبة الرسول في حجة الوداع:

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ على حجّه، فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجّهم، وخطب الناس خطبته التي بيّن فيها ما بيّن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربّكم، فيسألکم عن أعمالکم، وقد بلغت، فمن كان عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل رباً موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا رباً، وإن رباً عبّاس بن عبد المطلّب موضوع كله، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول

وقوله عليه السلام في خطبة الوداع^(٢): وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم في رمضان، وتسميه: رجباً من رجب الرجل ورجبته إذا عظّمته، ورجبت النخلة إذا دَعَمْتُهَا، فبيّن عليه السلام أنه رجب مُضَرَ لا رجب ربيعة، وأنه

(١) أخرجه أحمد (٨٦/٣) والحاكم (١٣٤/٣). (٢) انظر البيهقي (٥/١٥١).

دمائكم أضع دُمُ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مُسترضعاً في بني ليث، فقتلته هذيل فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أما بعد أيّها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكئنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رَضِيَ به بما تُحقِّرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، أيّها الناس: إن التَّسْيءَ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ، يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا، لِيُؤَاطِثُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ. إن الزَّمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السموات والأرض، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُمٌ، ثلاثة متوالية؛ وَرَجَبٌ مُضَرٌّ، الذي بين جُمادَى وشُعْبَانَ. أما بعد أيّها الناس، فإن لكم على نسائكم حقًّا، ولهنَّ عليكم حقًّا، لكم عليهنَّ أن لا يوطئنَ فُرُشَكُمْ أحداً تَكْرَهُونه، وعليهنَّ أن لا يأتينَ بفاحشةٍ مبينةٍ، فإن فعلن فإنَّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنَّ في المَضَاجِعِ وتَضْرِبوهنَّ ضَرْبًا غير مُبْرَحٍ، فإن انتهين فلهنَّ رزقهنَّ وكُسوتهنَّ بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهنَّ شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمات الله، فاعقلوا أيّها الناس قَوْلِي، فإنِّي قد بَلَّغْتُ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً، أمراً بيّناً، كتابَ الله وسنَّةَ نبيه. أيّها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلَّمْنَ أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحلَّ لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه؛ فلا تظلمُنَّ أنفسكم، اللهم هل بلغت؟

فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهم اشهد».

اسم الصارخ بكلام الرسول وما كان يردده:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة، ربيعة بن أمية بن خلف. قال: يقول له رسولُ الله ﷺ: «قل يا أيّها الناس، أن رسولَ الله ﷺ يقول: هلا تدرون أيّ شهر هذا؟» فيقول لهم، فيقولون: الشهر الحرام، فيقول: قل لهم: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا»؛ ثم يقول: قل: «يا أيّها الناس، إن رسولَ الله ﷺ يقول: هل تدرون أيّ بلد هذا؟» قال: فيصرخ به،

الذي بين جُمادَى وشُعْبَانَ وقد تقدّم تفسيره قوله: إن الزَّمانَ قد استدارَ، وتقدّم اسمُ ابن أبي ربيعة المُسترضع في هذيل، وأن اسمه آدم، وقيل: تمام، وكان سَبَبَ قَتْلِهِ حَرْبُ كانت بين قبائل هذيل تفاذفوا فيها بالبحجارة فأصاب الطفلَ حَجَرٌ وهو يخبو بين البيوت، كذلك ذكر الزُّبير.

قال: فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقول: قل لهم: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة بلدكم هذا». قال: ثم يقول: قل: «يا أيّها الناس، أن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أيّ يوم هذا؟» قال: فيقوله لهم. فيقولون: يوم الحج الأكبر؛ قال: فيقول: قل لهم: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا».

رواية ابن خازنة عما سمعه من الرسول في حجة الوداع:

قال ابن إسحاق: حدّثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري، عن عمرو بن خازنة قال: بعثني عتّاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ، وإن لغامها ليقع على رأسي، فسمعتة وهو يقول: «أيّها الناس، إن الله قد أدّى إلى كلّ ذي حقّ حقّه، وإنه لا تجوز وصيّة لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، ومن ادّعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرّفاً ولا عدلاً».

بعض تعليم الرسول في الحج:

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نجيح: أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة، قال: «هذا الموقف، للجبل الذي هو عليه، وكل عرفة موقف». وقال حين وقف على فُزَح صبيحة المزدلفة: «هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف». ثم لما نحر بالمنحر يميناً قال: «هذا المنحر، وكلّ منى منحر». فقضى رسول الله ﷺ الحجّ وقد أراهم مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجّهم: من الموقف، ورمي الجمار، وطواف بالبيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حرّم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحجّ بعدها.

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق: ثم قفل رسول الله ﷺ، فأقام بالمدينة بقيّة ذي الحجة والمحرم وصفر، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه،

بعث أسامة

وأمر رسول الله ﷺ أسامة على جيش كثيف، وأمره أن يغيّر على أبنى صباخا، وأن يحرف. وأبنا، هي القرية التي عند مؤتة حيث قُتل أبوه زيد، ولذلك أمره على خدّاته سيّته

وأمره أن يُوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهّز الناس، وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون.

خروج رسول الله إلى الملوك

تذكير الرسول قومه بما حدث للحواريين حين اختلفوا على عيسى

قال ابن هشام: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

ليُذرك ثأره، وطعن في إمارته أهل الرّيب، فقال رسول الله ﷺ: «وايم الله إنه لخليق بالإمارة، وإن كان أبوه لخليقاً بها»^(١)، وإنما طعنوا في إفرته، لأنه مولى مع خدانة سيئه، لأنه كان إذ ذاك ابن ثمان عشرة سنة، وكان رضي الله عنه أسود الجلدة، وكان أبوه أبيض صافي البياض، نزع في اللون إلى أمه بركة، وهي أم أيمن، وقد تقدّم حديثها، وكان رسول الله ﷺ يُحبّه ويمسح خشمه، وهو صغير بثوبه، وعثر يوماً فأصابه جرح في رأسه، فجعل رسول الله ﷺ يمسح دمه ويمسحه، ويقول: «لو كان أسامة جارية لحلّيناها، حتى يُرغب فتها»^(٢)، وكان يسمى الحبّ من الحبّ.

عدّة الغزوات:

وذكر ابن إسحق عدّة الغزوات، وهي ست وعشرون، وقال الواقدي: كانت سبعة وعشرين، وإنما جاء الخلاف، لأن غزوة خيبر اتصلت بغزوة وادي القرى، فجعلها بعضهم غزوة واحدة، وأما البعوث والسرايا فقليل: هي ست وثلاثون كما في الكتاب، وقيل: ثمان وأربعون وهو قول الواقدي، ونسب المسعودي إلى بعضهم أن البعوث والسرايا كانت ستين. قاتل رسول الله ﷺ في تسع غزوات، وقال الواقدي: قاتل في إحدى عشرة غزوة، منها الغابة ووادي القرى والله أعلم.

إرسال رسول الله ﷺ إلى الملوك

الحواريون

ذكر فيه إرسال عيسى ابن مريم الحواريين، وأصح ما قيل في معنى الحواريين أن

(١) أخرجه البخاري (٢٩/٥) ومسلم (ص ١٨٨٤) وأحمد (٢٠/٢) والبيهقي (١٢٨/٣) وانظر الفتح (٨٦/٧) (١٥٢/٨) (١٧٩/١٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤١/٣/٤) وابن ماجه (١٩٧٦) وأحمد (١٣٩/٦) وابن عساكر (٣٩٨/٢).

قال ابن إسحق: حدثني من أثق به عن أبي بكر الهذلي قال: بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التي صدَّ عنها يوم الحديبية، فقال: «أيها الناس، إن الله قد بعثني رحمة وكافة، فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم»؛ فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثًا قريبًا فرضي وسليم، وأما من بعثه مبعثًا بعيدًا فكره وجهه وتناقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتناقلون وكل واحد منهم يتكلّم بلغة الأُمّة التي بُعث إليها»^(١).

الْحَوَارِيُّ هُوَ الْخُلَصَانُ، أَي: الْخَالِصُ الصَّافِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنَ الْحَوَارِيِّ، وَالْخُور، وَقَوْلِ الْمَفْسِرِينَ هُوَ: الْخُلَصَانُ كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ، أَنْشَدَ أَبُو حَنِيفَةَ:

خَلِيلِي خُلَصَانِي لَمْ يُبْقِ حُسْهًا مِنْ الْقَلْبِ إِلَّا عَوْدًا سَبَبًا لَهَا
قال: وَالْعَوْدُ مَا لَمْ تُذَرِكْهُ الْمَاشِيَةُ لارتفاعه، أَوْ لِأَنَّهُ بِأَهْدَافٍ، فَكَأَنَّهُ قَدْ عَاذَ مِنْهَا.

معنى المسيح ونهايته:

وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِي مَعْنَى الْمَسِيحِ عَلَى كَثَرَةِ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ الصُّدِّيقُ بِلَغْتِهِمْ، ثُمَّ عَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ. وَكَانَ إِرْسَالُ الْمَسِيحِ لِلْحَوَارِيِّينَ بَعْدَ مَا رُفِعَ وَصُلِبَ الَّذِي شُبِّهَ بِهِ، فَجَاءَتْ مَرْيَمُ الصُّدِّيقَةُ وَالْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَتْ مَخْجُونَةً، فَأَبْرَأَهَا الْمَسِيحُ، وَقَعَدْنَا عِنْدَ الْجَذَعِ تَبْكِيَانِ، وَقَدْ أَصَابَ أُمُّهُ مِنَ الْحُزَنِ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُ عِلْمُهُ إِلَّا اللَّهُ، فَأَهْبَطَ إِلَيْهِمَا، وَقَالَ: عَلَيَّ مَ تَبْكِيَانِ؟ فَقَالَتَا: عَلَيْكَ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَقْتُلْ، وَلَمْ أَضْلُبْ، وَلَكِنْ اللَّهُ رَفَعَنِي وَكَرَّمَنِي، وَشَبَّهَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْرِي، أَبْلَغَا عَنِي الْحَوَارِيِّينَ أَمْرِي، أَنْ يَلْقَوْنِي فِي مَوْضِعٍ كَذَا لَيْلًا، فَجَاءَ الْحَوَارِيُّونَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، فَإِذَا الْجَبَلُ قَدْ اشْتَعَلَ نُورًا لِنُزُولِهِ بِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى دِينِهِ وَعِبَادَةِ رَبِّهِمْ، فَوَجَّهَهُمْ إِلَى الْأُمَمِ الَّتِي ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ، ثُمَّ كَسَى كُسُوَةَ الْمَلَائِكَةِ، فَعَرَجَ مَعَهُمْ، فَصَارَ مَلَكِيًّا إِنْشِيًّا سَمَائِيًّا أَرْضِيًّا^(٢).

(١) فِيهِ مَجْهُولٌ وَهُوَ مَرْسَلٌ أَيْضًا.

(٢) لَا صَحَّةَ لِقِصَّةِ كِسْوَةِ الْمَلَائِكَةِ وَعُرُوجِهِ وَكَوْنِهِ أَصْبَحَ مَلَكِيًّا وَإِنْشِيًّا سَمَائِيًّا أَرْضِيًّا، بَلْ فِي هَذَا مِثَابَهَةٌ لِقَوْلِ - النَّصَارَى عَلَيْهِمُ لَعْنَتُ اللَّهِ التَّمَتَالِيَّةُ - أَنَّ الْمَسِيحَ نَصَفَهُ لَاهُوتٌ وَنَصَفَهُ نَاسُوتٌ، وَانْظُرْ فِي قِصَّةِ دَفْنِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ كَذَبٍ. كِتَابُ «مَنْ دَحْرَجَ الْحَجَرَ» لِأَحْمَدَ دِيدَانَ حَفَظَهُ اللَّهُ وَآمَنَعَهُ بِهِ.

.....

فصل: وذكر في الأمم: الأُمَّة الذين يأكلون الناس، وهم من الأساودة فيما ذكره الطبري.

أسطورة زريب:

وذكر في الحَوَارِيِّين زُرَيْب بن بَرْثُمَلِي وهو الذي عاش إلى زمن عُمَرَ وسمع نَضْلَةَ بن معاوية أَدَانَهُ في الجبل فكَلَّمَهُ، فإذا رجل عَظِيمُ الخَلْقِ رأسه كدُور الرِّحَى، فسأل نَضْلَةَ والجيش الذين كانوا معه عن رسول الله ﷺ، فقالوا: قُبِضَ، وعن أبي بكر، فقالوا: قُبِضَ، ثم سألهم عن عُمَرَ، فقالوا: هو حَيٌّ، ونحن جيشُهُ، فقال لهم: «أقرءوه مني السَّلامَ ثم أمرهم أن يبلغوا عنه وصايا كثيرة، وأن يُحَذَّرَ النَّاسَ من خِصال إذا ظهرت في أُمَّةٍ محمدٍ، فقد قرب الأمر، ومنها لبس الحرير، وشرب الخمر، وأن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء».

وذكر فيها أيضًا المعازِفَ والقِيَانَ وأشياءَ غير هذه، فقالوا له: مَنْ أنتَ يرحمك الله؟ فقال زُرَيْبُ بن بَرْثُمَلِي حَوَارِيٌّ عيسى ابن مَرْيَمَ عليه السلام دعوتُ الله أن يُخَيِّنِي، حتى أرى أُمَّةً محمد، أو نحو هذا الكلام، وقد أردت الخلوص إلى أُمَّةٍ محمد ﷺ، فلم أستطع، حال بيني وبينه الكفار^(١).

وذكر الدَّارَقُطَنِي في هذا الحديث من طريق مالك بن أنس مرفوعًا أن عمر قال لنضلة إن لقيتَه فأقرئه مني السَّلامَ، فإن رسولَ الله ﷺ قال: «إن بذلك الجبلَ وصِيًّا من أوصياءِ عيسى عليه السلام، والخبر بهذا مشهورٌ عنه»^(٢)، وفيه طولٌ فاختصرناه، ويقال: إنه الآن حَيٌّ. ومن قال: إن الخَضِرَ وإليَّاسَ قد ماتا، فمن أصله أيضًا أن زُرَيْبًا قد مات، لأنهم يحتجُّون بالحديث الصحيح: إلى رأس مائة سنةٍ، لا يبقى على الأرضَ مَمَّنْ هو عليها أحدٌ.

(١) خرافة لا أصل لها، هذا وقد كان هو أفضل منه بل أفضل الخلق - محمد ﷺ - فكيف بمن هو دونه، وقيل مثل هذا عن الخضر وأنه لا زال حيًّا حتى اليوم وأنه يجتمع في غار حراء مع إلياس وأنه يفعل كذا وكذا. وكل هذا وأكثر إنما هو من وضع زنادقة الصوفية وفضيلهم..

(٢) مشهور شهرة الباطل والغلال.

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم:

فبعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام. فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، ملك الروم؛ وبعث عبد الله بن خُذَّافَةَ السَّهْمِيِّ إلى كَسْرَى، ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المُقَوْقِس، ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جَنْقَر وَعِيَاد ابْنَي الْجُلَنْدِيِّ الْأَزْدِيِّينَ، مَلِكَيْ عُمان، وبعث سَلِيط بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤي، إلى ثمامة بن أثال، وهُوَذَّة بن علي الحنفيين، ملكي اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي، ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ملك تخوم الشام.

قال ابن هشام: بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الجُمَيْري، ملك اليمن.

قال ابن هشام: أنا نسيت سليطاً وثمامة وهُوَذَّة والمنذر.

رسوله إلى النجاشي وقيصر^(١):

فصل: وذكر إرسال عمرو بن أمية إلى النجاشي، وقد قدمنا ذكر ما قال وما قيل له، وكذلك ذكرنا خبر سليط مع هُوَذَّة^(٢)، وما قال له، وخبر عبد الله بن خُذَّافَةَ مع كَسْرَى^(٣)، وكلامه معه، ونذكر هنا بقية الإرسال، وكلامهم فمنهم: دحية بن خليفة الكلبي، فقدم دحية على قيصر، وقد ذكرنا معنى هذا الاسم، أعني اسم دحية، واسم قيصر فيما مضى من الكتاب، فلما قدم دحية على قيصر، قال له: «يا قيصر أرسلني إليك من هو خير منك، والذي أرسله هو خير منه ومنك، فاسمه بذل، ثم أجب بضح، فإنك إن لم تذل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تنصف، قال: هات، قال: هل تعلم أكان المسيح يُصَلِّي؟ قال: نعم، قال: فإني أدعوك إلى من كان المسيح يُصَلِّي له، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى، وبشر به عيسى ابن مريم بعده، وعندك من ذلك إثارة من علم تكفي من العيان وتشفى من الخبر، فإن أجبت

(١) انظر كتابه ﷺ إلى النجاشي وقيصر في صحيح مسلم في الجهاد (١٧٧٤) والمنتظم (٢٧٥/٣) وأحمد (٢٦٢/١).

(٢) انظر ابن سيد الناس (٢٩٩/٢) وشرح المواهب (٣٥٥/٣).

(٣) انظر ابن سيد الناس (٢٦٢/٢) وشرح المواهب (٣٤٠/٣) وانظر البخاري (٩٦/٨).

كانت لك الدنيا والآخرة، وإلا ذهبت عنك الآخرة وشورك في الدنيا، واعلم أن لك رباً يَفْصِمُ الْجَبَابِرَةَ، وَيَغَيِّرُ النَّعْمَ، فأخذ قيصرُ الكتابَ فوضعه على عينيه ورأسه وقَبَله، ثم قال: أما والله ما تركت كتاباً إلا وقرأته، ولا عالماً إلا سألته، فما رأيت إلا خَيَرًا، فأَمَهْلَنِي حتى أنظر مَنْ كان المسيحُ يُصَلِّي له، فإن أكره أن أُجِيبَكَ اليومَ بأمرٍ أرى غَدًا ما هو أحسن منه، فأزجَع عنه، فَيُضِرَّنِي ذلك، ولا ينفعني، أقم حتى أنظرَ، فلم يلبث أن أتاه وفاةُ رسولِ الله - ﷺ - وفي غزوةِ تَبُوكَ بقيةُ حديثِ قَيْصَرَ، فانظره هنالك.

رسوله إلى المقوقس^(١):

وأما حَاطِبُ فَقَدِم على المُقَوِّسِ، واسمه: جُرَيْجُ بن مِيْنَاءَ، فقال له: «إنه قد كان رجُلٌ قبلك يزعم أنه الرَّبُّ الأعلى، فأخذه الله نَكَالَ الآخِرَةِ، والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتَبَرِ بغيرك، ولا يَغْتَبِرْ بك غيرك، قال: هات، قال: إن ذلك دِينًا لَن تَدْعَهُ إلا لما هو خَيْرٌ منه، وهو الإسلام، الكافي به الله فَقَدْ ما سِوَاهُ. إن هذا النبي - ﷺ - دعا الناسَ، فكان أشَدَّهم عليه قُرَيْشٌ، وأعداهم له يَهُودُ، وأقربهم منه النصاري، ولَعَمْرِي ما بَشَارَةُ موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد - ﷺ - وما دعاؤنا إِيَّاكَ إلى القرآن إلا كدعائك أَهْلَ التَّوَرَةِ إلى الإنجيل، وكُلُّ نَبِيٍّ أدرك قومًا فَهَمَّ من أُمَّتِهِ فَالْحَقُّ عليهم أن يُطِيعوه، فأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا نَنُهَاكَ عن دين المسيح، ولكن نَأْمُرُكَ به» قال المُقَوِّسُ: «إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزْهُودٍ فيه، ولا يَنْهَى إلا عن مَرْغُوبٍ عنه، ولم أجده بالساحر الضَّالِّ، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الحَبِّ والإخبار بالثَّجْوَى، وسأُنظر فأهدي للنبي ﷺ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ القِنْطِيَّةَ، واسمها: مَارِيَّةُ بنتُ شَمْعُون، وأختها معها، واسمها سِيرِين وهي أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن حَسَّان بن ثَابِت، وغلامًا اسمه مَأْبُور، وبغلة اسمها دُلْدُلٌ، وكُسوة، وقدحًا من قَوَارِيرٍ كان يشرب فيه النبي ﷺ، وكتبته.

رسوله إلى المنذر بن ساوى^(٢):

وأما العَلَاءُ بن الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِم على المُنْذِرِ بن سَاوِي فقال له: «يا مُنْذِرُ إنك عظيمُ العقل في الدنيا، فلا تَصْغُرَنَّ عن الآخرة، إن هذه المَجُوسِيَّةَ شَرٌّ دين ليس فيها تَكْرَمُ العرب،

(١) انظر ابن سيّد الناس (٢٦٥/٢) شرح المواهب (٣٤٨/٣) الطبقات (١٦/٢/١) الطبري (٢/٢٤٥) المتظم (٣/٢٧٤).

(٢) انظر ابن سيّد الناس (٢٢٦/٢) شرح المواهب (٣/٣٥٠).

ولا علم أهل الكتاب، يَنْكَحُونَ ما يُسْتَحْيَا من نِكَاحه، ويأكلون ما يُتَكْرَّم على أكله، ويعبدون في الدنيا نَارًا تَأْكُلُهُمْ يوم الْقِيَامَةِ، ولستَ بعديم عَقْلٍ، ولا رأي، فانظُر: هل ينبغي لمن لا يَكْذِبُ أَنْ لا تُصَدِّقَهُ، ولمن لا يخونُ أَنْ لا تَأْتِمَنَهُ، ولمن لا يُخْلِفُ أَنْ لا تَتَّقَ به، فإن كان هذا هَكَذَا، فهو هذا النبي الأُمِّي الذي والله لا يستطيع دُو عَقْلٍ أَنْ يقول: ليت ما أمر به نَهَى عنه، أو ما نَهَى عنه أَمَرَ به، أو لَيْتَ زاد في عَفْوِهِ، أو نقص من عقابه، إن كان ذلك منه على أُمْنِيَةِ أهلِ العقل وفكر أهلِ البَصَرِ».

فقال المنذِرُ: قد نظرتُ في هذه الأمر الذي في يدي، فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم، فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أُمْنِيَةُ الحياة وراحة الموت، ولقد عجبت أُمَسٍ، ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يَرُدُّه، وإن من إعْظَامٍ مَنْ جاء به أَنْ يُعْظَمَ رسوله، وسأُنظر.

مفتاح الجنة^(١):

فصل: ومما وقع في السيرة في حديث العلاء قول النبي عليه السلام له: «إِذَا سُئِلْتَ عَنْ مُفْتَاَحِ الْجَنَّةِ فَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وفي البخاري: قيل لوهب: أليس مفتاحُ الجنة لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فقال: بلى، ولكن ليس من مُفْتَاَحِ إِلَّا وَلَهُ أَسْنَانٌ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِّحَ لك، وإلَّا لم يُفْتَحَ لك، وفي رواية غيره: أن ابن عَبَّاسٍ ذكر له قول وهب، فقال: صَدَقَ وهبٌ، وأنا أخبركم عن الأسنان ما هي، فذكر الصَّلَاةَ والزكاة وشرائع الإسلام.

عمرو الجَلْنَدِيُّ^(٢):

وأما عمرو بن العاصي، فقدم على الجَلْنَدِيِّ، فقال له: يا جَلْنَدِيُّ إنك وإن كنت مِنَّا بعيدًا، فإنك من الله غير بعيد، إن الذي تفرَّد بِخَلْقِكَ أَهْلٌ أَنْ تُفَرِّدَهُ بِعِبَادَتِكَ، وأن لا تُشْرِكَ به مَنْ لَمْ يُشْرِكْهُ فَيْكَ، واعلم أنه يَمِينُكَ الذي أَحْيَاكَ، وَيَعِيدُكَ الذي بَدَأَكَ، فانظر في هذا النبي الأُمِّي الذي جاء بالدنيا والآخرة، فإن كان يريد به أَجْرًا فامنعهُ، أو يميل به هَوًى قَدَعَهُ، ثم أنظر فيما يجيء به: هل يُشَبِّه ما يجيء به النَّاسُ، فإن كان يشبههُ، فَسَلِّهِ الْعِيَانَ، وَتَخَيَّرْ عليه في الخبر، وإن كان لا يُشَبِّهُهُ فاقبل ما قال، وَخَفْ ما وَعَدَ، قال الجَلْنَدِيُّ: إنه والله لقد دلّني على هذا النبي الأُمِّي أنه لا يأمر بخير إِلَّا كان أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ

(١) انظر الخطيب (٤٣٥/٨) وابن عساكر (٣٣٠/٥) وابن عدي في الكامل (٤/١٣٥٦).

(٢) انظر ابن سيد الناس (٢/٢٦٧) شرح المواهب (٣/٣٥٢) الزاد (٣/٦٩٣).

به، ولا يَنْهَى عن شَرِّ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ تَارِكٍ لَهُ، وَأَنَّهُ يَغْلِبُ فَلَا يَنْظُرُ، وَيُغْلِبُ فَلَا يَضْجَرُ وَأَنَّهُ يَفِي بِالْعَهْدِ، وَيُنْجِزُ الْمَوْعُودَ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ سِرٌّ قَدْ أُطْلِعَ عَلَيْهِ يُسَاوِي فِيهِ أَهْلُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

شجاع وجبله:

وَأَمَّا شُجَاعُ بْنُ وَهَبٍ، فَقَدِمَ عَلَى جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَمِ، وَهُوَ جَبَلَةُ بْنُ الْأَيْهَمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْمِرٍ، وَجَبَلَةُ، وَهُوَ الَّذِي أَسْلَمَ ثُمَّ تَنَصَّرَ مِنْ أَجْلِ لَطْمَةِ حَاكِمٍ فِيهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَكَانَ طَوْلُهُ اثْنَيْ عَشَرَ شِبْرًا، وَكَانَ يَمْسَحُ بِرَجْلَيْهِ الْأَرْضَ، وَهُوَ رَاكِبٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا جَبَلَةُ إِنْ قَوْمَكَ تَقَلُّوا هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ مِنْ دَارِهِ إِلَى دَارِهِمْ، يَعْنِي: الْأَنْصَارَ، فَأَوْوَهُ، وَمَنْعُوهُ، وَإِنْ هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ لَيْسَ بِدِينِ آبَائِكَ، وَلَكِنْ مَلَكَتِ الشَّامَ وَجَاوَرَتْ بِهَا الرُّومَ، وَلَوْ جَاوَزْتَ كِسْرَى دِنْتَ بِدِينِ الْفُرْسِ لِمَلِكِ الْعِرَاقِ، وَقَدْ أَفَرَّ بِهَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ مَنْ إِنْ فَضَّلْنَاهُ عَلَيْكَ لَمْ يُغْضِبْكَ، وَإِنْ فَضَّلْنَاكَ عَلَيْهِ لَمْ يُزْهِكْ، فَإِنْ أَسْلَمْتَ أَطَاعَتْكَ الشَّامُ وَهَابَتْكَ الرُّومُ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا كَانَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلِكَ الْآخِرَةُ، وَكَنتَ قَدْ اسْتَبَدَلْتَ الْمَسَاجِدَ بِالْبَيْعِ، وَالْأَذَانَ بِالنَّاقُوسِ، وَالْجُمُعَ بِالشَّعَانِينِ^(١)، وَالْقِبْلَةَ بِالصُّلَيْبِ، وَكَانَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرَ وَأَبْقَى، فَقَالَ لَهُ جَبَلَةُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ أَجْمَعُوا عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ اجْتِمَاعَهُمْ عَلَى خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ، وَلَقَدْ سَرَّنِي اجْتِمَاعُ قَوْمِي لَهُ، وَأَعْجَبَنِي قَتْلُهُ أَهْلَ الْأَوْتَانِ وَالْيَهُودِ، وَاسْتَبْقَاؤُهُ النَّصَارَى، وَلَقَدْ دَعَانِي قَيْصَرٌ إِلَى قِتَالِ أَصْحَابِهِ يَوْمَ مُؤْتَةَ، فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ، فَانْتَدَبَ مَالِكُ بْنُ نَافِلَةَ مِنْ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ فَقَتَلَهُ اللَّهُ، وَلَكِنِّي لَسْتُ أَرَى حَقًّا يَنْفَعُهُ، وَلَا بَاطِلًا يَضُرُّهُ وَالَّذِي يَمْدُنِي إِلَيْهِ أَقْوَى مِنَ الَّذِي يَخْتَلِجُنِي عَنْهُ، وَسَأَنْظُرُ.

المهاجر وابن كلال:

وَأَمَّا الْمُهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَدِمَ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، وَقَالَ لَهُ: يَا حَارِثُ إِنَّكَ كُنْتَ أَوَّلَ مَنْ عَرَّضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ، فَحُطِّثْتَ عَنْهُ، وَأَنْتَ أَعْظَمُ الْمُلُوكِ قُدْرًا، فَإِذَا نَظَرْتَ فِي غَلْبَةِ الْمُلُوكِ، فَانْظُرْ فِي غَالِبِ الْمُلُوكِ، وَإِذَا سَرَّكَ يَوْمُكَ فَخَفَ عَدُّكَ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَكَ مُلُوكٌ ذَهَبَتْ آثَارُهَا وَبَقِيَتْ أَخْبَارُهَا، عَاشُوا طَوِيلًا، أَمَلُوا بَعِيدًا وَتَزَوَّدُوا قَلِيلًا، مِنْهُمْ مَنْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ النَّقْمُ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الرَّبِّ الَّذِي إِنْ أَدْرَتْ الْهُدَى لَمْ

(١) الشعانين: عيد من أعياد النصارى عليهم اللعنة.

يَمْنَعُكَ، وإن أَرَادَكَ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْكَ أَحَدٌ، وأَدْعُوكَ إِلَى النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ، وَلَا أَقْبَحَ مِمَّا يَنْهَى عَنْهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ رَبًّا يُمِيتُ الْحَيَّ وَيُخْيِي الْمَيِّتَ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، فَقَالَ الْحَارِثُ: قَدْ كَانَ هَذَا النَّبِيُّ عَرَضَ نَفْسِهِ عَلَيَّ فَخَطُّنْتُ عَنْهُ، وَكَانَ دُخْرًا لِمَنْ صَارَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَمْرُهُ أَمْرًا سَبَقَ، فَحَضَرَهُ الْيَأْسُ وَغَابَ عَنْهُ الطَّمَعُ، وَلَمْ يَكُنْ لِي قَرَابَةٌ أُحْتَمِلُهُ عَلَيْهَا، وَلَا لِي فِيهِ هَوًى أَتَّبِعُهُ لَهُ، غَيْرَ أَنِّي أَرَى أَمْرًا لَمْ يُؤَسِّسْهُ الْكَذِبُ، وَلَمْ يَسْنِدْهُ الْبَاطِلُ. لَهُ بَذَّةٌ سَارَ، وَعَاقِبَةٌ نَافِعَةٌ، وَسَأَنْظُرُ. وَمِمَّا قَالَهُ دِخْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ فِي قُدُومِهِ عَلَى قَيْصَرَ:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَائِبِهَا	قَدِمْتُ عَلَى قَيْصَرَ
فَقَدَرْتَهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ	ح وَكَانَتْ مِنَ الْجَوْفَرِ الْأَخْمَرِ
وَتَدْبِيرِ رَبِّكَ أَمْرَ السَّمَاءِ	وَالْأَرْضِ فَأَغْضَى وَلَمْ يُنْكِرْ
وَقُلْتُ: تَقَرَّرَ بِبُشْرَى الْمَسِيحِ	ح، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ، قُلْتُ: أَنْظُرِ
فَكَانَ يُقَرَّرُ بِأَمْرِ الرَّسُولِ	لِ فَمَالَ إِلَى الْبَدَلِ الْأَعْوَرِ
فَشَكُّ وَجَاشَتْ لَهُ نَفْسُهُ	وَجَاشَتْ نَفُوسُ بَنِي الْأَصْفَرِ
عَلَى وَضْعِهِ بِيَدِهِ الْكِتَابِ	بَ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَالْمَنْخِرِ
فَأَصْبَحَ قَيْصَرُ مِنْ أَمْرِهِ	بِمَنْزِلَةِ الْفَرَسِ الْأَشْقَرِ

يُرِيدُ بِالْفَرَسِ الْأَشْقَرِ مِثْلًا لِلْعَرَبِ يَقُولُونَ:

أَشْقَرُ إِنْ يَتَقَدَّمَ يَنْحَرُ وَإِنْ يَتَأَخَّرَ يُفْقَرُ
وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ سَيْفِهِ الْعِدَا إِنْ اسْتَقْدَمَتْ نَحْرُ، وَإِنْ جَبَّاثُ عَقْرُ

وَفِي حَدِيثٍ دِخْيَةُ مِنْ رِوَايَةِ الْحَارِثِ فِي مُسْنَدِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: «مَنْ يَنْطَلِقْ بِكِتَابِي هَذَا إِلَى قَيْصَرَ وَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَقَالُوا: وَإِنْ لَمْ يَقْتُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأِنْ لَمْ يَقْتُلْ»، فَانْطَلِقْ بِهِ رَجُلٌ يَعْنِي دِخْيَةَ^(١)، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَّانَ (١٦٢٨ - مَوَارِد).

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله:

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ الْمَصْرِيُّ: أَنَّهُ وَجَدَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُ مَنْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْبِلْدَانِ وَمُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَمَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ بَعَثَهُمْ. قَالَ: فَبَعَثَتْ بِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابِ الزَّهْرِيِّ فَعَرَفَهُ؛ وَفِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَكَافَّةً؛ فَأَدَاؤُنِي يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ، وَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ كَمَا اخْتَلَفَ الْحَوَارِيُّونَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»، قَالُوا: وَكَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ؟ قَالَ: «دَعَاهُمْ لِمِثْلِ مَا دَعَوْتَكُمْ لَهُ، فَأَمَّا مَنْ قَرَّبَ بِهِ فَأَحَبَّ وَسَلَّم، وَأَمَّا مَنْ بَعَدَ بِهِ فَكْرَهُ وَأَبَى، فَشَكَا ذَلِكَ عِيسَى مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَأَصْبَحُوا وَكُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ».

أسماء رُسُل عيسى:

قال ابن إسحاق: وَكَانَ مَنْ بَعَثَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ وَالْأَتْبَاعِ، الَّذِينَ كَانُوا بَعْدَهُمْ فِي الْأَرْضِ: بُطْرُسُ الْحَوَارِيُّ، وَمَعَهُ بُولُسُ، وَكَانَ بُولُسُ مِنَ الْأَتْبَاعِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ، إِلَى رُومِيَّةٍ، وَأَنْدِرَائِسُ وَمَنْتَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَأْكُلُ أَهْلُهَا النَّاسُ، وَثُومَاسُ إِلَى أَرْضِ بَابِلَ، مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ؛ وَفِيلِيسُ إِلَى أَرْضِ قَرْطَاجَةَ، وَهِيَ إِفْرِيْقِيَّةٌ، وَيُحَنَسُ إِلَى إِفْسُوسَ، قَرْيَةُ الْفِتْيَةِ، أَصْحَابُ الْكَهْفِ، وَيَعْقُوبُ إِلَى أَوْرَاشَلِيمَ، وَهِيَ إِثْلِيَاءُ، قَرْيَةُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَابْنُ ثَلْمَاءَ إِلَى الْأَعْرَابِيَّةِ، وَهِيَ أَرْضُ الْحِجَازِ، وَسَيِّمُنُ إِلَى أَرْضِ الْبَرِيرِ، وَيَهُوذَا، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ، جُعِلَ مَكَانُ يُوْدُسَ.

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَاثِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلَبِيِّ: وَكَانَ جَمِيعُ مَا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً، مِنْهَا غَزْوَةُ وَدَّانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بُوَاطٍ، مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَى، ثُمَّ غَزْوَةُ الْعُسَيْنَةِ، مِنْ بَطْنِ يَثْبُجَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الْأُولَى، يُطْلَبُ كُزَزُ بْنُ جَابِرٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى، الَّتِي قَتَلَ اللَّهُ فِيهَا صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ، حَتَّى بَلَغَ الْكُدْرَ، ثُمَّ غَزْوَةُ السَّوِيقِ، يُطْلَبُ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ غَطَفَانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ ذِي أَمْرِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَخْرَانَ، مَعْدَنُ بِالْحِجَازِ، ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ؛ ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي

التَّضِير، ثم غزوة ذات الرِّقَاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخِرَة، ثم غزوة دُومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قُرَيْظَة، ثم غزوة بني لُحْيَان، من هُدَيْل، ثم غزوة ذي قَرْد، ثم غزوة بني الْمُضْطَلِق من خُرَاعَة، ثم غزوة الحُدَيْيَّة، لا يريد قتالاً، فصَدَه المشركون، ثم غزوة خَيْبَر، ثم عُمرة القضاء، ثم غزوة الفَتْح، ثم غزوة حُثَيْن، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تَبُوك. قاتل منها في تسع غَزَوَات: بدر، وأحد، والخندق، وقُرَيْظَة، والمُضْطَلِق، وخَيْبَر، والفتح وحُثَيْن، والطائف.

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه ﷺ وسراياه ثمانياً وثلاثين، من بين بَغِثٍ وسَرِيَّةٍ: غزوة عُبَيْدَة بن الحارث أسفل من ثُبَيْيَّة ذي المَرْوَة، ثم غزوة حَمْزَة بن عبد المطلب ساحل البحر، من ناحية العيص؛ وبعض الناس يقدم غَزَوَة حمزة قبل غزوة عُبَيْدَة؛ وغزوة سعد بن أبي وقاص الحَرَارَ، وغزوة عبد الله بن جَحْش نَخْلَة، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدَة، وغزوة محمد بن مَسْلَمَة كَعْب بن الأشرف، وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثَد العَنُوي الرجيع، وغزوة المُنْذِر بن عمرو بِثَر مَعُونَة، وغزوة أبي عُبَيْدَة بن الجَرَّاح ذا القَصَّة، من طريق العراق، وغزوة عمر بن الخطَّاب ثُرْبَة من أرض بني عامر، وغزوة علي بن أبي طالب اليَمَن، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي، كَلْب لَيْث، الكَدِيد، فأصاب بني الملوَّح.

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوَّح:

شأن ابن البرصاء:

وكان من حديثها أن يعقوب بن عُتْبَة بن المغيرة بن الأخنس، حدَّثني عن مُسلم بن عبد الله بن حُبَيْب الجُهَنِيِّ، عن المُنْذِر، عن جُنْدَب بن مَكِيَّة الجُهَنِيِّ، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي، كَلْب بن عوف بن لَيْث، في سرية كنت فيها،

غزوة عمر^(١)

فصل: وذكر غَزَوَة عَمَر إلى ثُرْبَة، وهي ثُرْبَة بفتح الرّاء أرض كانت لَخَنَعَم وفيها جاء المثل: صادف بطئه بَطْن ثُرْبَة، يريدون الشَّيْب والخِصْب. قال البكري: وكذلك: عَرْنَة بفتح الرّاء يعني التي عند عَرَفَة.

(١) انظر الطبري (٢٢/٣) الطبقات (٨٥/١/٢) الكامل (١٠٦/٢) الواقدي (٧٢٢/٢) المنتظم (٣٠١/٣).

وأمره أن يَشْنُ الغارةَ على بني المَلُوح، وهم بالكديد، فخرجنا، حتى إذا كنا بِقَدِيدٍ لقينا الحارث بن مالك، وهو ابن البَرْصاء الليثي، فأخذناه، فقال: إني جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ، فقلنا له: إن تك مسلماً فلن يَضِيرَكَ رِبَاطُ ليلة، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك، فشددناه رِبَاطاً، ثم خَلَفْنَا عليه رجلاً من أصحابنا أسود، وقلنا له: إن عازَّكَ فاحتزَّ رأسه.

بلاء ابن مكيث في هذه الغزوة:

قال: ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس، فكنّا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيثة لهم، فخرجت حتى آتيت تلاً مُشرقاً على الحاضر، فأسندت فيه، فعلوت على رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إني لمنبطح على التل، إذ خرج رجل منهم من خِبايئه، فقال لامرأته: إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومي، فانظري إلى أوعيتك هل تَفْقدين منها شيئاً، لا تكون الكلاب جرّت بعضها، قال: فنظرت، فقالت: لا، والله ما أفقد شيئاً، قال: فناوليني قوسي وسهمين، فناولته، قال: فأرسل سهماً، فوالله ما أخطأ جنبي، فأنزعه، فأضعه، وثبّت مكاني، قال: ثم أرسل الآخر، فوضعه في مَنَكبي، فأنزعه فأضعه، وثبّت مكاني. فقال لامرأته: لو كان ربيثة لقوم لقد تحرك، لقد خالطه سَهْمَاي لا أبالك، إذا أصبحت فابتغيهما، فحُذِيهما، لا يَمْنَعُهما عَلَيَّ الكلاب. قال: ثم دخل.

نجاء المسلمين بالنعم:

قال: وأمهلناهم، حتى إذا اطمأنوا وناموا، وكان في وجه السحر شتاً عليهم الغارة، قال: فقتلنا، واستقنا النعم، وخرج صريخ القوم، فجاءنا دهم لا قبيل لنا به، ومضينا بالنعم، ومَرَزْنَا بابن البَرْصاء وصاحبه، فاحتملناهما معنا، قال: وأدركنا القوم حتى قربوا منا، قال: فما بيننا وبينهم إلا وادي قُدِيد، فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى، من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوّة، ولا يقدر على أن يُجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، وإنّا لنسوقُ نَعْمَهُم، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز إلينا، ونحن نَحْدُوها سِراعاً، حتى قُتْنَاهُمْ، فلم يَقْدِرُوا على طلبنا.

شعار المسلمين في هذه الغزوة:

قال: فقدمنا بها على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني رجل من أسلم، عن رجل منهم: أن شِعار أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلة: أَمْتُ أَمْتُ. فقال راجزٌ من المسلمين وهو يَخْدُوها:

أبي أبو القاسم أن تَعَزِّي في خَضِلِ نَبَاتِهِ مُغْلَوْلِبِ
صَفَرِ أَعَالِيهِ كَلَوْنِ الْمِذْهَبِ

قال ابن هشام: ويروى: «كلون الذهب».

تم خبر الغزاة، وعُدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث.

تعريف بعدة غزوات:

قال ابن إسحاق: وغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بني عبد الله بن سعد من أهل قَدَك، وغزوة أبي العَوجاء السُّلَمِي أرض بني سُليم، أصيب بها هو وأصحابه جميعًا، وغزوة عُكاشة بن مِخْصَن الغَمرة، وغزوة أبي سَلَمَةَ بن عبد الأسد قَطَنًا، ماء من مياه بني أسد، من ناحية نَجْد، قُتِل بها مسعود بن عُروة، وغزوة محمد بن مَسَلَمَةَ أخِي بني حارثة، القَرطَاء من هَوَازن، وغزوة بَشِير بن سَعْد بني مُرَّة بِقَدَك، وغزوة بشير بن سعد ناحية خَيْبر، وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بني سُليم، وغزوة زيد بن حارثة جُدَام، من أرض حُشَيْن.

قال ابن هشام: عن نفسه، والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق: من أرض حُصَمَى.

غزوة زيد بن حارثة إلى جدام:

سببها:

قال ابن إسحاق: وكان من حديثها كما حدثني من لا آتهم، عن رجال من جُدَام كانوا عُلماء بها، أن رفاعَةَ بن زيد الجُدَامِي، لما قَدِم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يلبث أن قَدِم دِخِيَّة بن خَلِيفَةَ الكَلْبِي من عند قَيْنَصَر صاحب الرُّوم، حين بعثه رسولُ الله ﷺ إليه ومعه تجارة له، حتى إذا كانوا بوَادٍ من أوديتهم يقال له: شَنَار، أغار على دِخِيَّة بن خَلِيفَةَ الهَنْدُ بن عُوص، وابنه عُوص بن الهَنْدِ الضُّلَعِيَّان. والضُّلَعُ بطن من جُدَام، فأصابا كل شيء كان معه، فبلغ ذلك قومًا من الضُّبَيْب، رهط رفاعَةَ بن زيد، ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهَنْدِ

وابنه، فيهم من بني الضبيب الثُعمان بن أبي جعال، حتى لقوهم، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قرّة بن أشقر الضناوي ثم الضّلعيّ، فقال: أنا ابن لُبْنَى، ورمى الثُعمان بن أبي جعالٍ بسهم، فأصاب ركبته؛ فقال حين أصابه: خُذها وأنا ابن لُبْنَى، وكانت له أُم تُدعى لُبْنَى، وقد كان حَسّان بن مِلّة الضبيبيّ قد صحب دِخية بن خليفة قبل ذلك، فعلمه أُم الكتاب.

قال ابن هشام: ويقال: قرّة بن أشقر الضفاري، وخيَّان بن مِلّة.

تمكّن المسلمین من الكفار:

قال ابن إسحق: حدّثني من لا أتهم، عن رجال من جُذام، قال: فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه، فردّوه على دِخية، فخرج دحية، حتى قدّم على رسول الله ﷺ، فأخبره خبره، واستسقاء دم الهنيد وابنه، فبعث رسولُ الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة، وذلك الذي هاج غزوة زيد جُذام، وبعث معه جيشاً، وقد وجّهت غطفان من جُذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم، حين جاءهم رفاعة بن زيد، بكتاب رسول الله ﷺ، حتى نزلوا الحرّة، حرّة الرّجلاء، ورفاعة بن زيد بكراع ربّة، لم يعلم، ومعه ناس من بني الضبيب، وسائر بني الضبيب بوادي مدّان، من ناحية الحرّة، مما يسيل مُشرّفاً، وأقبل جيش زيد بن حارثة الأولاج، فأغار بالماقص من قبِل الحرّة، فجَمَعُوا ما وجدوا من مال أو ناس، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأجنف.

قال ابن هشام: من بني الأحنف.

شأن حَسّان وأنيف ابني مِلّة:

قال ابن إسحق في حديثه: ورجلان من بني الخصيب. فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بَقِيَاءَ مدّان ركب نفرٌ منهم، وكان فيمن ركب معهم حَسّان بن مِلّة، على فرس لسويد بن زيد، يُقال لها: العجاجة، وأنيف بن مِلّة على فرسٍ لمِلّة يُقال لها: رِغال، وأبو زيد بن عمرو على فرس يُقال لها: شَمِير، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش، قال أبو زيد وحسّان لأنيف بن مِلّة: كُفْ عَنَّا وانصِرِفْ، فإنّا نخشى لسانك، فوقف عنهما فلم يَبْعِدَا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتَوَثَّب، فقال: لأنا أضربُ بالرجلين منك بالفرسين، فأزخى لها، حتى أدركهما، فقالا له: أما إذا فعلت ما فعلت فكُفْ عَنَّا لسانك، ولا تشأنا اليوم، فتواصوا أن لا يتكلّم منهم إلّا حَسّان بن مِلّة، وكانت بينهم كِلِمَة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض، إذا أراد أحدهم أن يضرب

بسيفه قال: بُوري أو ثوري، فلما برزوا على الجيش، أقبل القوم ينتدرونهم، فقال لهم حسان: إنا قوم مسلمون، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم، فأقبل يسوقهم، فقال أنيف: بُوري، فقال حسان: مهلاً، فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان: إنا قوم مسلمون، فقال له زيد: فاقروا أم الكتاب، فقرأها حسان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش: أن الله قد حرم علينا ثغرة القوم التي جاءوا منها إلا من ختر.

قدومهم على الرسول وشعر أبي جمال:

قال ابن إسحاق: وإذا أخت حسان بن ملّة، وهي امرأة أبي وبرة بن عدي بن أمية بن الضبّيب في الأسارى، فقال له زيد: خذها، وأخذت بحقوقه، فقالت أم الفزّز الضلّعية، أننظلقون بيناتكم وتذرون أمهاتكم؟ فقال أحد بني الخصيب: إنها بنو الضبّيب وسيخرّ ألسنتهم سائر اليوم، فسمعها بعض الجيش، فأخبر بها زيد بن حارثة، فأمر بأخت حسان، ففكت يداها من حقوقه، وقال لها: اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكنّ حكمه، فرجعوا، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهما الذي جاءوا منه، فأمسوا في أهليهم، واستعتموا، ذوداً لسويد بن زيد، فلما شربوا عتمتهم، ركبوا إلى رفاعه بن زيد، وكان ممن ركب إلى رفاعه بن زيد تلك الليلة، أبو زيد بن عمرو، وأبو شماس بن عمرو، وسويد بن زيد، ويغجّة بن زيد، ويزدع بن زيد، وثعلبة بن زيد، ومخرّبة بن عدي، وأنيف بن ملّة، وحسان بن ملّة، حتى صبحوا رفاعه بن زيد بكرّاج ربة، بظهر الحرة على بئر هنالك من حرة ليلى، فقال له حسان بن ملّة: إنك لجالس تحلب المغزى ونساء جذام أسارى قد غرّها كتابك الذي جئت به، فدعا رفاعه بن زيد بجمل له، فجعل يشدّ عليه رحله وهو يقول:

هَلْ أَنْتَ حَيٌّ أَوْ تُنَادِي حَيًّا

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخي الخصبيّ المقتول، مبكرين من ظهر الحرة، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال؛ فلما دخلوا المدينة، وانتهوا إلى المسجد، نظر إليهم رجل من الناس، فقال: لا تنيخوا إيلكم، فتقطع أيديهنّ، فنزلوا عنهنّ وهنّ قيام: فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم، ألح إليهم بيده: أن تعالوا من وراء الناس فلما استفتح رفاعه بن زيد المئطّق، قام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، إن هؤلاء قوم سخرة، فردّدها مرتين، فقال رفاعه بن زيد: رحم الله من لم يخذلنا في يومه هذا إلا

خيرًا. ثم دفع رفاعه بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ الذي كان كتبه له. فقال: دونك يا رسول الله قديمًا كتابه، حديثًا غدره فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا غلام، وأغلن!» فلما قرأ كتابه استخبره فأخبروهم الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «كيف أصنع بالقَتْلَى؟» (ثلاث مَرَّات). فقال رفاعه: أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرم عليك حلالًا، ولا نُحلِّل لك حَرَمًا، فقال أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حيًّا، ومن قُتِل فهو تحت قَدَمي هذه. فقال له رسول الله ﷺ: «صدق أبو زيد، اركب معهم يا عليّ» فقال له عليّ رضي الله عنه: إن زيدًا لن يُطِيعني يا رسول الله، قال: «فخذ سيفي هذا»، فأعطاه سيفه، فقال عليّ: ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو، يقال له: مَكْحَال، فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبي وبر، يُقال لها: الشَّمِير، فأنزلوه عليها، فقال: يا عليّ، ما شأنني؟ فقال: ما لهم، عَرَفُوهُ فَأَخَذُوهُ، ثم ساروا فلقوا الجَيْشَ بَقِيَاءَ الْفَحْلَتَيْنِ، فأخذوا ما في أيديهم، حتى كانوا ينزعون لُبَيْدَ الْمَرْأَةِ من تحت الرحل، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم:

وَعَاذِلَةٌ وَلَمْ تَعْذُلْ بِطَبْ	ولولا نحنُ حُشٌّ بها السَّعِيرُ
تُدَافِعُ فِي الْأَسَارَى بَابَتَّيْهَا	ولا يُزَجَى لَهَا عِثْقُ يَسِيرِ
ولو وُكِلَتْ إِلَى عُوصٍ وَأَوْسٍ	لَحَارَ بِهَا عَنِ الْعِثْقِ الْأُمُورُ
ولو شَهِدَتْ رَكَائِبَنَا بِمُضِرٍ	تُحَاذِرُ أَنْ يُعَلَّ بِهَا الْمَسِيرُ
وَرَدْنَا مَاءً يَثْرِبَ عَنْ حِفَاطٍ	لَرَبْعٍ إِنَّهُ قَرَبَ ضَرِيرُ
بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَالسَّيْدِ نَهْدٍ	عَلَى اقْتَادِ نَاجِيَةِ صَبُورٍ
فِدَى لِأَبِي سُلَيْمَى كُلِّ جَيْشٍ	بِیَثْرِبٍ إِذْ تَنَاطَحَتِ الثُّحُورُ
غَدَاةً تَرَى الْمُجَرَّبَ مُسْتَكِينًا	خِلَافَ الْقَوْمِ هَامَتُهُ تَدُورُ

قال ابن هشام: قوله: «ولا يُزَجَى لَهَا عِثْقُ يَسِيرٍ». وقوله: «عن العِثْقِ الْأُمُورُ» عن غير ابن إسحق.

تَمَّتِ الْعَزَاةُ، وَغَدْنَا إِلَى تَفْصِيلِ ذِكْرِ السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ.

قال ابن إسحق: وغزوة زيد بن حارثة أيضًا الطَّرَفَ مِنْ نَاحِيَةِ نَخْلٍ. مِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ.

غزوة زيد بن حارثة بني فزارة ومُصاب أم قرفة:

بعض من أُصيب بها:

وغزوة زيد بن حارثة أيضًا وادي القرى، لَقِيَ به بني فَزَارَةَ، فَأُصِيبَ بها ناس من أصحابه، وازْتُث زيد من بين القتلى، وفيها أُصيب وَرد بن عَمْرٍو بن مَدَاش، وكان أحد بني سعد بن هُذَيْل، أصابه أحد بني بدر.

قال ابن هشام: سعد بن هُذَيْم.

معاودة زيد لهم:

قال ابن إسحاق: فلما قَدِم زيد بن حارثة ألى أن لا يمسّ رأسه غِسل من جَنابة حتى يغزوَ بني فَزَارَةَ؛ فلما اسْتَبَلَّ من جِراحته بعثه رسولُ الله ﷺ إلى بني فزارة في جيش، فقتلهم بوادي القرى، وأصاب فيهم، وَقَتْل قَيْسُ بن المُسَحَّر اليغمري مَسْعَدَةَ بن حَكَمَةَ بن مالك بن حُذَيْفَةَ بن بدر، وَأُسِرَتْ أُمُ قِرْفَةَ فاطمة بنت رَبِيعَةَ بن بدر، كانت عَجُوزًا كبيرة عند مالك بن حُذَيْفَةَ بن بدر، وبنت لها، وعبد الله بن مَسْعَدَةَ، فأمر زيدُ بن حارثة قَيْسَ بن المُسَحَّر أن يَقْتُل أُمَ قِرْفَةَ، فقتلها قتلاً عَنيفًا؛ ثم قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ بَابَةَ أُمُ قِرْفَةَ، وبابن مَسْعَدَةَ.

شأن أم قرفة:

وكانت بنت أُمُ قِرْفَةَ لَسَلَمَةَ بن عمرو بن الأكوع، كان هو الذي أصابها، وكانت في بيت شَرَف من قومها؛ كانت العرب تقول: لو كنت أعزّ من أُمُ قِرْفَةَ ما زدت. فسألها رسولُ الله ﷺ سَلَمَةَ، فوهبها له، فأهداها لخاله حَزَن بن وهب، فولدت له عبد الرحمن بن حَزَن.

شعر ابن المسحّر في قتل مسعدة:

فقال قيس بن المسحّر في قتل مسعدة:

سَعَيْتُ بَوَزِدٍ مِثْلَ سَعْيِ ابْنِ أُمِّهِ	وَإِنِّي بَوَزِدٌ فِي الْحَيَاةِ لَشَائِرِ
كَرَزْتُ عَلَيْهِ الْمُهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ	عَلَى بَطْلٍ مِنْ آلِ بَذْرِ مُغَاوِرِ
فَرَكَبْتُ فِيهِ قَعْصَبِيًّا كَأَنَّهُ	شِهَابٌ بِمَغْرَاةٍ يُدْكَى لِنَاطِرِ

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام:

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبرَ مرتين: إحداهما التي أصاب فيها اليسير بن رزام.
قال ابن هشام: ويقال ابن رازم.

مقتل اليسير:

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه، منهم عبد الله بن أنيس، حليف بني سلمة، فلما قَدِموا عليه كلموه، وقَرَّبُوا له، وقالوا له: إنك إن قَدِمْتَ على رسول الله ﷺ استعملك وأمرك، فلم يزلوا به، حتى خرج معهم في نفر من يهود، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كان بالقَرْقَرَةِ من خيبر، على ستة أميال، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ، ففطن له عبد الله بن أنيس، وهو يريد السيف، فافتحم به ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليسير بمِخْرَش في يده من شوَحْط، فأَمَّهُ، ومال كلَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله، إلَّا رجلاً واحداً أفلت على رجله؛ فلما قَدِم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شَجَّتِهِ، فلم تقَح ولم تُؤْذِهِ.

غزوة ابن عتيك خيبر:

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر، فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحَقِيق.

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سُفيان بن نُبَيْح الهذلي:

مقتل ابن نُبَيْح:

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سُفيان بن نُبَيْح، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلة أو بَعْرَنَة، يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه، فقتله.

قال ابن إسحاق: حدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر، قال: قال عبد الله بن أنيس: دعاني رسول الله ﷺ، فقال: «إنه قد بلغني أن ابن سُفيان بن نُبَيْح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بنخلة أو بَعْرَنَة، فأته فاقته». قلت: يا رسول الله، أنعتهُ لي حتى أعرفه. قال: «إنك إذا رأيته أذكرك الشَّيْطَان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له

قُسْغَرِيَّةَ». قال: فخرجت مُتَوَشِّحًا سَيْفِي، حتى دُفِعْتُ إليه وهو في طَعْنٍ يرتاد لهن منزلاً، وحيث كان وقت العصر؛ فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله ﷺ من القُسْغَرِيَّةِ، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاورة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أومي برأسي، فلما انتهيت إليه، قال: مَنْ الرَّجُلُ؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أجل، إني لفي ذلك. قال: فَمَشَيْتُ معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم خرجت، وتركت طعائنه مُنْكَبَّاتٍ عليه؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرأني، أفلح الوجه؛ قلت: قد قتلته يا رسول الله. قال: «صدقت».

إهداء الرسول عصا لابن أنيس:

ثم قام بي، فأدخلني بيته، فأعطاني عَصًا، فقال: أَمْسِكْ هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذا العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أمسكها عندي. قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فَتَسْأَلَهُ لِمَ ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العَصَا؟ قال: «آيَةُ بيني وبينك يوم القيامة. إن أقلَّ الناس المُتَخَصَّرُونَ يومئذٍ»، قال: فَقَرَنَهَا عبد الله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها فوضعت في كفنه، ثم دُفِنَا جميعاً^(١).

شعر ابن أنيس في قتله ابن نبيح:

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أنيس في ذلك:

تَرَكْتُ ابن ثَوْرٍ كَالْحَوَارِ وَحَوْلَهُ	نَوَائِحُ تَفْرِي كُلَّ جَنِبٍ مُقَدِّدٍ
تَنَاوَلْتُهُ وَالظُّغْنُ خَلْفِي وَخَلَقَهُ	بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنْدٍ
عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارِعِينَ كَأَنَّهُ	شِهَابٌ غَضَى مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدٍ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَنْجُمُ رَأْسَهُ	أَنَا ابنُ أَنَيْسٍ فَارِسًا غَيْرَ قُعْدُدٍ
أَنَا ابنُ الَّذِي لَمْ يُنْزَلِ الدَّهْرُ قَدْرَهُ	رَحِيبُ فَنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مُزْنَدٍ

(١) أخرجه أحمد (٤٩٦/٣) والبيهقي في الدلائل (٤٣/٤).

وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَا جِدَ حَنِيفَ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَكُنْتُ إِذَا هَمَّ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
تَمَّتِ الْغَزَاةُ، وَعُدْنَا إِلَى خَيْرِ الْبَعُوثِ.

غزوات أخرى:

قال ابن إسحاق: وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة مؤتة من أرض الشام، فأصيبوا بها جميعاً، وغزوة كعب بن عُمير الغِفاري ذات أطلاق، من أرض الشام، أصيب بها هو أصحابه جميعاً. وغزوة عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بدرِ بني العنبر من بني تميم.

غزوة عيَينة بن حصن بني العنبر من بني تميم:

وعد الرسول عائشة بإعطائها سيّناً منهم لتعتقه:

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم أناساً، وسبى منهم أناساً.

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن عليّ رَقَبَةً من ولد إسماعيل. قال: «هذا سَبْيُ بني العنبر يَقْدَمُ الْآنَ، فنعطيك منهم إنساناً فتعتقيه».

بعض من سبي وبعض من قُتل وشعر سلمى في ذلك:

قال ابن إسحاق: فلما قُدم بسبيهم على رسول الله ﷺ، ركب فيهم وفد من بني تميم، حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ، منهم زَيْعَةُ بن زُفَيْع، وسَبْرَةُ بن عمرو، والقَعْقَاعُ بن معبد، ووَزْدَانُ بن مُخَرِّز، وقَيْسُ بن عاصم، ومالك بن عمرو، والأقرع بن حابس، وفِرَاسُ بن حابس؛ فكلّموا رسول الله ﷺ فيهم، فأعتق بعضاً، وأقْدَى بعضاً، وكان ممن قُتل يومئذ من بني العنبر: عبدُ الله وأخوان له، بنو وهب، وشَدَادُ بن فِرَاس؛ وحَنْظَلَةُ بن دارم، وكان ممن سَبِيَ من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكاس بنت أَرِيٍّ ونَجْوة بنت نهد، وجُمَيْعَةُ بنت قَيْس، وعَمْرَةُ بنت مَطَر، فقالت في ذلك اليوم سَلَمَى بنت عَتَّاب:

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ عَدِيَّ بْنَ جَنْدَبٍ مِنَ الشَّرِّ مَهْوَاً شَدِيدًا كَثُودَهَا
تَكْتَفِيهَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغُيِّبَ عَنْهَا عِزُّهَا وَجُدُودَهَا

شعر الفرزدق في ذلك :

قال ابن هشام : وقال الفرزدق في ذلك :

وعندَ رسولِ الله قام ابن حابس بخُطّةٍ سَوَّارٍ إلى المَجدِ حازِمٍ
لَهُ أَطْلَقَ الأَسْرَى التي فِي جِبَالِهِ مُعَلَّلَةً أَغْنَاهَا فِي الشُّكَاكِيمِ
كَفَى أُمّهَاتِ الخَالِفِينَ عَلَيْهِمُ غَلَاءَ المُفَادِي أو سِيهَامَ المَقَاسِمِ
وهذه الأبيات في قصيدة له . وعديُّ بن جندب من بني العنبر ، والعنبر بن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرة :

مقتل مرداس :

قال ابن إسحق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث - أرض بني مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفاً لهم من الحُرقة ، من جُهَيْنَةَ ، قتله أسامة بن زيد ، ورجلٌ من الأنصار .

قال ابن هشام : الحُرقة ، فيما حدثني عبيدة .

قال ابن إسحق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهرنا عليه السلام ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله قال : فلم تَنزِعْ عنه حتى قتلناه ؛ فلما قَدِمْنَا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره ؛ فقال يا أسامة : « من لك بلا إله إلا الله ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تعوداً بها من القتل ، قال : « فمن لك بها يا أسامة ؟ » قال : فوالذي بعثه بالحق ما زال يردها عليّ حتى لوددت أنّ ما مضى من إسلامي لم يكن ، وأني كنت أسلمت يومئذ ، وأني لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرني يا رسول الله ، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً ، قال : « تقول بعدي يا أسامة ؟ » قال : قلت : بعدك ^(١) .

(١) أخرجه أبو داود (٦٤٣ - بتحقيقي) وأحمد (٢٠٧/٥) والبيهقي (١١٩/٨) وفي الدلائل له (٢٩٧/٤) وأبو عوانة (٦٧/١) .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

إرسال عمرو ثم إمداده:

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عُذرة، وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلي. فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام، يُقال له: السُّلْسَل. وبذلك سميت تلك الغزوة، غزوة ذات السلاسل؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر وعمر؛ وقال لأبي عبيدة حين وجهه: «لا تختلفا»؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قَدِم عليه، قال له عمرو: إنما جئت مدداً لي، قال أبو عبيدة: لا، ولكني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عبيدة رجلاً لَيِّنًا سهلاً، هَيِّئًا عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مدد لي، فقال أبو عبيدة: يا عمرو، وإن رسول الله ﷺ قال لي: «لا تختلفا، وإنك إن عصيتني أطعتك»، قال: فإني الأمير عليك، وأنت مدد لي، قال: فدونك. فصلَّى عمرو بالناس.

وصية أبي بكر رافع بن رافع:

قال: وكان من الحديث في هذه الغزاة، أن رافع بن أبي رافع الطائي، وهو رافع بن عميرة، كان يحدث فيما بلغني عن نفسه، قال: كنت امرأة نصرانيًا، وسميت سَرْجِس، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرَّمْل، كنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي

ذكر غزوة ذات السلاسل^(١)

والسَّلَاسِل: مِيَاةٌ واحِدُهَا سَلْسَلٌ وأن عَمْرُو بن العاصي كان الأميرَ يَوْمَئِذٍ، وكان عليه السلام أمره أن يسير إلى بلي، وأن أم أبيه العاصي كانت من بلي: واسمُها: سَلَمَى فيما ذكر الزبير، وأما أم عَمْرُو، فهي لَيْلَى تُلَقَّبُ بِالنَّابِغَةِ سُمِّيَتْ من بني جِلْآن بن عَتْرَةَ بن ربيعة.

وذكر في هذه السَّريَّةِ صُحْبَةَ رافع بن أبي رافع لأبي بكر، وهو رافع بن عُمَيْرَةَ ويقال فيه: ابن عُمَيْر، وهو الذي كَلَّمَهُ الذُّبُّ، وله شعر مشهُورٌ في تَكْلِيمِ الذُّبِّ له، وكان الذُّبُّ قد أغار على غنمه فاتبعه، فقال له الذُّبُّ: ألا أدلك على ما هو خَيْرٌ لك، قد بُعث نبيُّ الله، وهو يدعو إلى الله، فألحق به، ففعل ذلك رافع وأسلم.

(١) انظر الطبقات (١٣١/١/٢) أحمد (١٩٦/١) الزاد (٣٨٦/٣).

الرمل في الجاهلية، ثم أُغير على إبل الناس، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه، حتى أمر بذلك الماء الذي خَبأت في بيض النعام فأستخرجه، فأشرب منه، فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فقلت: والله لأختارن لنفسي صاحبًا، قال: فصحب أبا بكر، قال: فكننت معه في رَحله، قال: وكانت عليه عباءة له فَذَكِيَّة، فكان إذا نزلنا بسطها، وإذا ركبنا لبسها، ثم شَكَّها عليه بخلال له، قال: وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كَفَارًا: نحن نبايع ذا العَبَاءة! قال: فلما دنونا من المدينة قافلين، قال: قلت: يا أبا بكر، إنما صحبتك لينفعني الله بك، فانصحنى وعلمني، قال: لو لم تسألني ذلك لفعلت، قال: أمرك أن توحد الله ولا تُشرك به شيئًا، وأن تُقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ هذا البيت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبدًا. قال: قلت: يا أبا بكر، أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أحدًا أبدًا، وأما الصلاة فلن أتركها أبدًا إن شاء الله، وأما الزكاة فإن يك لي مال أودها إن شاء الله، وأما رمضان فلن أتركه أبدًا إن شاء الله، وأما الحجّ فإن أستطع أحجّ إن شاء الله تعالى، وأما الجنابة فساغتسل منها إن شاء الله، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يَشْرُفون عند رسول الله ﷺ وأعند الناس إلّا بها، فلم تنهاني عنها؟ قال: إنك إنما استجهدتني لأجهد لك، وسأخبرك عن ذلك، إن الله عزّ وجلّ بعث محمدًا ﷺ بهذا الدين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعًا وكرهًا، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ لله وجيرانه، وفي ذمّته، فإياك لا تُخَفِّر الله في جيرانه، فيتبعك الله في خُفرته، فإن أحدكم يُخَفِّر في جاره، فيظلّ ناتئًا عضله، غَضَبًا لجاره أن أصيب له شاة أو بعير، فالله أشدّ غضبًا لجاره قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلما قبض رسول الله ﷺ، وأمر أبو بكر على الناس، قال: قَدِمْتُ عليه، فقلت له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك، قال: فقلت له: فما حملك على أن تلي أمر الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بُدًا، خشيت على أمة محمد ﷺ الفرقة.

تقسيم عوف الأشجعي الجزور بين قوم:

قال ابن إسحاق: أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حَدَّث عن عوف بن مالك

وذكر في حديثه مع أبي بكر أنه أطعمه وعَمَرَ لحم جَزُورٍ، كان قد أخذ منها عَشِيرًا على أن يُجَزَّئها لأهلها، فقام أبو بكر وعمر فَتَقَيَّأ ما أَكَلَا، وقالَا: أَتَطْعِمُنَا مثلَ هذا، وذلك،

الأشجعي، قال: كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فصَجِبْتُ أبا بكر وعمر، فمررتُ بقوم على جُزُور لهم قد نَحَرُواها، وهم لا يقدرُون على أن يُعْضُواها، قال: وكنتُ امرأً لَبِيقًا جازرًا، قال: فقلت: أتعطوني منها عَشِيرًا على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذت الشفرتين، فجزأتها مكاني، وأخذت منها جزءًا، فحملته إلى أصحابي، فاطبخناه فأكلناه. فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أتى لك هذا اللحم يا عوف؟ قال: فأخبرتُهما خبره، فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيَّان ما في بطونهما من ذلك؛ قال: فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ، قال: فجئتته وهو يصلي في بيته؛ قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قال: «أعوفُ بن مالك؟» قال: قلت: نعم، بأبي أنت وأمي، قال: «أصاحب الجُزُور؟» ولم يزدني رسول الله ﷺ على ذلك شيئاً^(١).

والله أعلم أنهما كرها أجرة مجهولة، لأن العشير واحد الأغشار على غير قياس، يقال: بُزِمَةُ أَغْشَارٌ إذا انْكَسَرَتْ. ويجوز أن يكون العَشِيرُ بمعنى العُشْر كالشمين بمعنى الثمن، ولكنه عاملهم عليه قبل إخراج الجُزُور من جلدها، وقبل النظر إليها، أو يَكُونَا كرها جِزَارَةَ الجِزَار على كل حال والله أعلم.

حُرقة^(٢):

وذكر غزوة غالب بن عبد الله وَقَتْلَهُ مِرْدَاسَ بن نَهِيك من الحُرقة، وقال ابن هشام: الحُرقة فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حبيب: في يَشْكُرُ حُرقة بن ثعلبة، وحُرقة بن مالك كلاهما من بني حبيب بن كعب بن يَشْكُر، وفي قضاة: حُرقة بن جزيمة بن نَهْد، وفي تميم حُرقة بن زَيْد بن مالك بن حَنْظَلَة، وقال القاضي أبو الوليد: هكذا وقعت هذه الأسماء كلها بالقاء، وذكرها الدَّارِقُطْنِي كلها بالقاء.

أنساب:

وذكر غَزْوَةَ محمد بن مَسْلَمَةَ إلى القُرطاء^(٣)، وهم بنو قُرْطٍ وقُرَيْط، وقُرَيْطُ بنو أبي بكر بن كِلَاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة.

(١) رواه الطبراني في الكبير وفيه ربيعة بن الهرم ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله رجال الصحيح. قاله الهيثمي في المجمع (٩٧/٤).

(٢) انظر الطبقات (٨٦/١/٢) الكامل (١٠٦/٢) الواقدي (٧٢٦) المنتظم (٣٠٣/٣).

(٣) انظر البداية (١٧٨/٤) الطبقات (٦١/١/٢) الطبري (٦٤١/٢) الكامل (٩٢/٢) المنتظم (٢٥٤/٣) =

وذكر حَيَّان بن مِلَّة، وهو حَسَّان بن مِلَّة، وكذلك قاله في موضع آخر من الكتاب، وهو قول ابن هشام.

وذكر سَعْد بن هُذَيْم، وإنما هو سَعْد بن زَيْد بن لَيْث بن سَوْد بن أَسْلَم بن الْحَاف بن قُضَاعَةَ، وإنما نُسِبَ إلى هُذَيْم، لأن هُذَيْمًا حَضَنَهُ، وهو عَبْدُ حَبْشِي.

حديث أم قُرَّة^(١):

التي جرى فيها المثل: أَمْنَعُ من أُمِّ قُرَّةَ، لأنها كانت يُعَلَّقُ في بيتها خمسون سَيْفًا [لخمسین فارسًا] كُلُّهُمْ لها ذُو محرم، واسمها فاطمة بنت حُذَيْفَةَ بن بَذْرِ كُنِيَتْ بابنها قُرَّةَ، قتله النبي عليه السلام فيما ذكر الواقدي.

وذكر أن سائر بنيها، وهم تِسْعَةٌ قُتِلُوا مع طُلَيْحَةَ بن بُرَاخَةَ في الرِّدَّةِ وهم حَكَمَةُ وَخَرْشَةُ وَجَبَلَةُ وَشَرِيكَ وَالْأَنانَ وَزَمْلٌ وَخَصِيْنٌ وذكر باقيهم.

وذكر أن قُرَّةَ قُتِلَتْ يوم بُرَاخَةَ أيضًا، وذكر عن عبد الله بن جعفر أنه أنكر ذلك، وهو الصحيح كما في هذا الكتاب، وذكر الدُّوْلَابِيُّ أن زَيْدَ بن حارثة حين قتلها ربطها بفرسين، ثم رَكَّضَا بها حتى ماتت، وذلك لَسَبِّهَا رسولَ الله ﷺ. وذكر المرأة التي سألتها رسول الله ﷺ من سَلَمَةَ وهي بنت أُمِّ قُرَّةَ، وفي مصنف أبي داود، وخرَّجه مسلم أيضًا أن النبي ﷺ قال لِسَلَمَةَ: «هَبْ لي المرأة يا سَلَمَةُ، لله أبوك»، فقال: هي لك يا رسول الله فَقَدَى بها أسيرًا كان في قريش من المسلمين، وهذه الرواية أصح، وأحسن من رواية ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رسول الله ﷺ وَهَبَهَا لِخَالِهِ بِمَكَّةَ، وهو خَزَنُ بن أَبِي وَهَبٍ بن عائذ بن عِمْران بن مَخْزُوم، وفاطمة جدَّة النبي ﷺ أم أبيه هي بنت عَمْرُو بن عائذ، فهذه الخُثُولَةُ التي ذكر، وقُتِلَ عبد الرحمن بن حزم باليمامة شهيدًا، وخَزَنُ هذا هو جَدُّ سعيد بن المُسَيَّب بن خَزَنٍ، وَمَسْعَدَةُ الذي ذكر في هذا الحديث أنه قتل هو ابن حَكَمَةَ بن حُذَيْفَةَ بن بدر، وسَلَمَةُ الذي كانت عنده الجارية، قيل هو سَلَمَةُ بن الْأَكْوَعِ، واسم الْأَكْوَعِ: سِنَانٌ، وقيل: هو سَلَمَةُ بن سَلَامَةَ بن وَهْبٍ، قاله الزبير.

= الواقدي (٥٥١/٢).

(١) انظر خبر سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه في الطبقات (٦٥/١/٢) الطبري (٦٤٢/٢) الكامل (٩٤/٢) المتظم (٢٦٠/٣) الواقدي (٥٦٤/٢).

غزوة ابن أبي حدرد بطن إضم وقتل عامر

ابن الأضبط الأشجعي:

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن القَعْقَاع بن عبد الله بن أبي حدرد، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِضْمَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ وَمُحَلَّمُ بْنُ جَثَامَةَ بْنِ قَيْسٍ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضْمَ، مَرَّ بَنَا عَامِرُ بْنُ الْأَضْبُطِ الْأَشْجَعِيُّ، عَلَى تَعُودٍ لَهُ، وَمَعَهُ مُنَبِّعٌ لَهُ وَوُطْبٌ مِنْ لَبَنٍ. قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ بَنَا سَلَّمَ عَلَيْنَا بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلَّمُ بْنُ جَثَامَةَ، فَقَتَلَهُ لَشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَأَخَذَ مُنَبِّعَهُ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، نَزَلَ فِينَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤].. إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

قال ابن هشام: قرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ لهذا الحديث.

ابن حابس وابن حصن يختصمان في دم ابن الأضبط إلى الرسول:

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: سمعت زياد بن ضَمِيرَةَ بْنِ سَعْدِ السُّلَمِيِّ يَحَدِّثُ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، وَكَانَا شَهِدَا حُنَيْنًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: صَلَّى بَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظَّهْرَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَجَلَسَ تَحْتَهَا، وَهُوَ بِحُنَيْنٍ، فَقَامَ إِلَيْهِ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَحُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرٍ، يَخْتَصِمَانِ فِي عَامِرِ بْنِ أَضْبُطِ الْأَشْجَعِيِّ: عُيَيْنَةُ يَطْلُبُ بَدْمَ عَامِرٍ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ رَئِيسُ

غزوة أبي حدرد

وذكر غزوة أبي حدرد، واسمه: سلمة بن عُمَيْرٍ، وقيل: عُيَيْدَةُ بْنُ عَامِرٍ.

وذكر قَتْلَ مُحَلَّمِ بْنِ جَثَامَةَ، وَخَبْرَهُ فِي غَيْرِ رَايَةٍ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ مُحَلَّمُ بْنُ جَثَامَةَ مَاتَ بِحَمَصٍ فِي إِمَارَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَمَّا الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ الْآيَةُ: ﴿لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ [النساء: ٩٤] والاختلاف فيه شديد، فقد قيل: اسْمُهُ فُلَيْتٌ وَقِيلَ: وَهُوَ مُحَلَّمٌ كَمَا تَقَدَّمَ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْبُقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو، وَقِيلَ: فِي أَسَامَةَ، وَقِيلَ: فِي أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَاخْتَلَفَ أَيْضًا فِي الْمَقْتُولِ فَقِيلَ: مِزْدَاسُ بْنُ نَهْيَكٍ، وَقِيلَ: عَامِرُ الْأَضْبُطِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. كُلُّ هَذَا مَذْكُورٌ فِي التَّفَاسِيرِ وَالْمُسْنَدَاتِ.

عَطْفَان، والأقرع بن حابس يدفع عن محَلِّم بن جَثَّامة، لمكانه من خندف، فتداولوا الخصومة عند رسول الله ﷺ، ونحن نسمع، فسمعنا عُيَيْنَةَ بن حِصْن وهو يقول: والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحُرْقة مثل ما أذاق نسائي، ورسول الله ﷺ يقول: «بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا، وهو يأبى عليه»، إذا قام رجلٌ من بني ليث، يقال: له مُكَيِّثِر، قصير مَجْمُوع - قال ابن هشام: مُكَبِّتَل - فقال: والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القَتِيلَ شَبْهاً في غُرَّةِ الإسلام إلا كَعَنَمٍ وردت فَرُمَيْتٌ أولاهَا، فَفَنَرَّتْ أخراها، أُسْنَنَ اليوم، وَغَيَّرَ غَدًا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يده. فقال: «بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا». قال: فقبلوا الدية. قال: ثم قالوا: أين صاحبكم هذا، يستغفر له رسول الله ﷺ؟ قال: فقام رجل آدم صَرَبٌ طويل، عليه حُلَّةٌ له، قد كان تهيأً للقتل فيها: حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له: «ما اسمك؟» قال: أنا محَلِّم بن جَثَّامة، قال: فرفع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: «اللهم لا تغفر لمحلِّم بن جَثَّامة» ثلاثاً. قال: فقام وهو يتلقى دمه بفضل رداءه. قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا: إنا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا^(١).

موت مُحَلِّم وما حدث له:

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري، قال: قال رسول الله ﷺ حين جلس بين يديه: «أَمُنْتَهُ بالله ثم قتلته!» ثم قال له المقالة التي قال: قال: فوالله ما مكث محَلِّم بن جَثَّامة إلا سَبْعًا حتى مات، فلفظته - والذي نفس الحسن بيده - الأرض، ثم عادوا له، فلفظته الأرض، ثم عادوا فلفظته؛ فلما غَلِبَ قَوْمُهُ عمدوا إلى صُذَيْن، فسَطَحُوهُ بينهما ثم رَضُمُوا عليه الحجارة حتى وارَّوهُ. قال: فبلغ رسول الله ﷺ شأنه، فقال: والله إن الأرض لتطابق على من هو شرّ منه، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُزْمٍ ما بينكم بما أراكم منه^(٢).

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٠٣ - بتحقيقي) وأحمد (١٠/٦) والبيهقي (١١٦/٩) والطبراني في الكبير (٥٢/٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٠) والطحاوي في المشكل (٢٥٨/٤).

قال ابن إسحاق: وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حَدَّثَ: أن عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ وقَيْسًا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم، يا معشر قَيْس، مَنَعْتُمْ رسول الله ﷺ، قَتِيلًا يستصلح به الناس، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته، أو أن يغضب الله عليكم بغضبه؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتُسْلِمُنَّهُ إلى رسول الله ﷺ فليضنن فيه ما أراد، أو لآتين بخمسين رجلًا من بني تميم يشهدون بالله كلهم. لَقُتِلَ صاحبكم كافرًا، ما صُلِّيَ قط، فلأُطْلِنَ دمه؛ فلما سمعوا ذلك، قبلوا الدية.

قال ابن هشام: محلّم في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق، وهو محلّم بن جثّامة بن قَيْس اللّيثي.

قال ابن إسحاق: ملجّم، فيما حدّثناه زياد عنه.

غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمي:

سببها:

قال ابن إسحاق: وغزوة ابن أبي حدرد الأسلمي الغابة.

وكان من حديثها فيما بلغني، عَمَنَ لا أَتَهُم، عن ابن أبي حدرد، قال: تزوّجت امرأة من قومي، وأصدقته مائتي درهم، قال: فجئت رسول الله ﷺ أسْتَعِينَهُ على نِكَاحي؛ فقال: «وكم أصدقت؟» فقلت: مائتي درهم يا رسول الله، قال: «سبحانه الله، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم، والله ما عندي ما أعينك به»^(١). قال: فلبثت أيامًا، وأقبل رجل من بني جُشَم بن معاوية، يقال له: رفاعة بن قَيْس، أو قيس بن رفاعة، في بطن جُشَم، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يريد أن يجمع قَيْسًا على حرب رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم في جُشَم وشرف. قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين، فقال: «اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم». قال: وقَدِمَ لنا شارقًا عجفاء، فحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفًا حتى دَعَمَهَا الرجلُ من خلفها بأيديهم، حتى استقلت وما كادت، ثم قال: «تَبَلَّغُوا عليها وَاعْتَقِبُوهَا».

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣٣/٤).

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبي حردرد من فيء استعان به على الزواج:

قال: فخرجنا ومعنا سلاحنا من الثَّبل والسيوف، حتى إذا جئنا قريبًا من الحاضر عُشَيْشِيَّةً مع غروب الشمس. قال: كَمَنْتُ في ناحية، وأمرت صاحبي، فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم؛ وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كَبُرَتْ وشددت في ناحية العسكر فكَبِّرا وشدَّا معي. قال: فوالله إننا لذلك ننتظر غِرَّة القوم، أو أن نُصيب منهم شيئًا. قال: وقد غشنا اللَّيل حتى ذهبت فُخمة العشاء، وقد كان لهم راع قد سَرَح في ذلك البلد، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه قال: فقام صاحبهم ذلك رفاعَةُ بن قيس، فأخذ سَيْفَه، فجعله في عنقه، ثم قال: والله لأتَّبِعَنَّ أثر راعينا هذا، ولقد أصابه شرٌّ، فقال له نفر مَمَّن معه: والله لا تذهب، نحن نَكْفِيكَ؛ قال: والله لا يذهب إلا أنا؛ قالوا: فنحن معك؛ قال: والله لا يتبعني أحد منكم قال: وخرج حتى يمرَّ بي. قال: فلما أمكنني نفحته بسهمي، فوضعت في فواده. قال: فوالله ما تكَلَّم، ووثبت إليه، فاحتززت رأسه. قال: وشددت في ناحية العسكر، وكَبُرَتْ، وشدَّ صاحباي وكَبِّرا. قال: فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه، عندك، عندك، بكلِّ ما قدروا عليه من نساءهم وأبنائهم، وما خَفَّ معهم من أموالهم. قال: واستقنَّا إبلاً عظيمة، وغمًّا كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ. قال: وجئت برأسه أحمله معي. قال: فأعانني رسولُ الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرًا في صدَاقِي، فجمعتُ إليَّ أهلي.

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل^(١):

شيء من وعظ الرسول لقومه:

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن إرسال العِمامة من خلف الرجل إذا اغتَمَّ، قال: فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم: كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومُعَاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد

(١) انظر البداية (٩٢/٤) الطبري (٥٦٤/٢) الطبقات (٤٤/١/٢) الواقدي (٤٠٢/١) المنتظم (٢١٥/٣) الدلائل (٣٨٩/٣) السيرة الحلبية (٣٦٢/٢) الشامية (٤٨٤/٤) أنساب قريش (١٦٤/١) ابن حزم (١٨٤) عيون الأثر (٧٥/٢) النوري (١٦٢/١٧).

الْخُذْرِي، وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
 ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «أَحْسَنُهُمْ
 خَلْقًا»؛ قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ قَالَ «أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَأَحْسَنُهُمْ اسْتِعْدَادًا لَهُ قَبْلَ
 أَنْ يَنْزَلَ بِهِ، أَوْلَئِكَ الْأَكْيَاسُ»، ثُمَّ سَكَتَ الْفَتَى، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا
 مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا نَزَلَ بَكُمْ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: إِنَّهُ لَمْ تَظْهَرِ
 الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُغْلِنُوا بِهَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي
 أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا؛ وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشَدَّةِ الْمُؤْنَةِ
 وَجَوْرِ السُّلْطَانِ؛ وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، فَلَوْلَا الْبِهَائِمُ
 مَا مُطِرُوا؛ وَمَا نَقَضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذَ
 بَعْضُ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ؛ وَمَا لَمْ يَخْكَمْ أَثْمَتُهُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ وَتَجْبِرُوا فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ
 اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ»^(١).

تأثير ابن عوف واعتمامه:

ثُمَّ أَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَنْ يَتَجَهَّزَ لَسَرِيَةٍ بَعَثَهُ عَلَيْهَا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ اعْتَمَ
 بِعِمَامَةٍ مِنْ كَرَابِيسِ سُودَاءَ، فَأَدْنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ، ثُمَّ نَقَضَهَا، ثُمَّ عَمَّمَهَا بِهَا، وَأَرْسَلَ
 مِنْ خَلْفِهِ أَرْبَعَ أَصَابِعَ أَوْ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا يَا ابْنَ عَوْفٍ فَاعْتَمَ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ
 وَأَعْرَفُ»، ثُمَّ أَمَرَ بِبِلَالٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ اللَّوَاءَ. فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى، وَصَلَّى عَلَى
 نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذْهُ يَا ابْنَ عَوْفٍ، اغْزُوا جَمِيعًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا
 تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، فَهَذَا عَهْدُ اللَّهِ وَسِيرَةُ نَبِيِّهِ فَيْكُمْ». فَأَخَذَ
 عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ اللَّوَاءَ.

قال ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل.

غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر:

نقاد الطعام وخبر دابة البحر:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن
 جدّه عبادة بن الصامت، قال: بعث رسولُ الله ﷺ سَرِيَّةً إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ، عَلَيْهِمْ أَبُو

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) والحاكم (٥٤٠/٤) وأبو نعيم في الحلية (٣٣٣/٨).

عُبَيْدَةُ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَزُوْدُهُمْ جَرَابًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ بِقُوْتِهِمْ إِيَّاهُ، حَتَّى صَارَ إِلَى أَنْ يَعْذَهُ عَلَيْهِمْ عَدَدًا. قَالَ: ثُمَّ نَفِدَ التَّمْرُ، حَتَّى كَانَ يُعْطِي كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةً. قَالَ: فَفَقَسَمَهَا يَوْمًا بَيْنَنَا. قَالَ: فَفَقَضْتُ تَمْرَةً عَنْ رَجُلٍ، فَوَجَدْنَا فَقْدَهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ. قَالَ: فَلَمَّا جَهَدْنَا الْجُوعَ أَخْرَجَ اللَّهُ لَنَا دَابَّةً مِنَ الْبَحْرِ، فَأَصْبَنَّا مِنْ لَحْمِهَا وَوَدَكِهَا، وَأَقْمَنَّا عَلَيْهَا عَشْرِينَ لَيْلَةً، حَتَّى سَمْنَا وَابْتَلَلْنَا، وَأَخَذَ أَمِيرُنَا ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهَا، فَوَضَعَهَا عَلَى طَرِيقِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَجْسَمِ بَعِيرٍ مَعْنَا، فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَجْسَمَ رَجُلٍ مَنَا. قَالَ: فَجَلَسَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَخَرَجَ مِنْ تَحْتِهَا وَمَا مَسَّتْ رَأْسَهُ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرْنَاهُ خَبَرَهَا، وَسَأَلْنَاهُ عَمَّا صَنَعْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ أَكْلِنَا إِيَّاهُ، فَقَالَ: رَزَقَ رِزْقَكُمْوهُ اللَّهُ^(١).

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه:
قدومه مكة وتعزف القوم عليه:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَمِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ بُعُوثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَرَايَاهُ بَعَثَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا حَدَّثَنِي مِنْ أَثَقَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، بَعْدَ مَقْتَلِ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ وَأَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ الْأَنْصَارِيُّ فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا مَكَّةَ وَحَبَسَا جَمْلِيهِمَا بِشُعْبٍ مِنْ شُعَابِ يَأْجُجٍ، ثُمَّ دَخَلَا مَكَّةَ لَيْلًا، فَقَالَ جَبَّارُ لِعَمْرُو: لَوْ أَنَا طُفْنَا بِالْبَيْتِ وَصَلَّيْنَا رَكَعَتَيْنِ؟ فَقَالَ عَمْرُو: إِنْ الْقَوْمُ إِذَا تَعَشَّوْا جَلَسُوا بِأَفْنِيتِهِمْ، فَقَالَ: كَلَّا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ عَمْرُو: فَطُفْنَا بِالْبَيْتِ، وَصَلَّيْنَا، ثُمَّ خَرَجْنَا نُرِيدُ أَبَا سُفْيَانَ، فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَمْشِي بِمَكَّةَ إِذْ نَظَرَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَعَرَفَنِي، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ: وَاللَّهِ إِنْ قَدِمَهَا إِلَّا لَشَرٍّ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: النَّجَاءُ، فَخَرَجْنَا نَشْتَدُّ، حَتَّى أَصْعَدْنَا فِي جَبَلٍ، وَخَرَجُوا فِي طَلْبِنَا، حَتَّى إِذَا عَلَوْنَا الْجَبَلَ يَتَسَوَّوْنَ مَنَا، فَرَجَعْنَا، فَدَخَلْنَا كَهْفًا فِي الْجَبَلِ، فَبَتْنَا فِيهِ، وَقَدْ أَخَذْنَا حِجَارَةً فَرَضَمْنَاهَا دُونَنَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا عَدَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُودُ فَرَسًا لَهُ، وَيُخْلِي عَلَيْهَا، فَغَشَّيْنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: إِنْ رَأَى صَاحِبَنَا، فَأَخَذْنَا فَقَتَلْنَا.

قتله أبا سفيان وهربه:

قَالَ: وَمَعِيَ خِنْجَرٌ قَدْ أَعَدَدْتَهُ لِأَبِي سُفْيَانَ، فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ، فَأَضْرَبُهُ عَلَى ثَدْيِهِ ضَرْبَةً، وَصَاحَ صَيْحَةً أَسْمَعَ أَهْلَ مَكَّةَ، وَأَرْجِعُ فَأَدْخُلُ مَكَانِي، وَجَاءَهُ النَّاسُ يَشْتَدُّونَ وَهُوَ بِآخِرِ

(١) أَخْرَجَ أَحْمَدُ (٣/٣٧٨) وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ (٨٦٦٨).

رَمَقَ، فقالوا: من ضربك؟ فقال: عمرو بن أميَّة، وغلبه الموت، فمات مكانه، ولم يدلُّ على مكاننا، فاحتملوه. فقلت لصاحبي، لما أمسينا: النَّجاء، فخرجنا ليلاً من مَكَّة نريد المدينة، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خُبَيْب بن عدي، فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمِثْية عمرو بن أميَّة، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أميَّة، قال: فلما حاذَى الخَشْبة شدَّ عليها، فأخذها فاحتملها، وخرجاً شديداً، وخرجوا وراءه حتى أتى جُرْفًا بِمَهْطٍ مَسِيلٍ يَأْجِجُ، فرمى بالخَشْبة في الجُرْف، فغَيَّبه الله عنهم، فلم يقدروا عليه، قال: وقلت لصاحبي: النَّجاء النِّجاء، حتى تأتي بعيرك فتقعدَ عليه، فإني سأشغَلُ عنك القومَ، وكان الأنصاري لا رُجْلة له.

قتله بكرًا في غار:

قال: ومضيتُ حتى أخرج على ضَنَجان ثم أَوَيْتُ إلى جَبَل، فأدخل كَهْفًا، فبينما أنا فيه، إذ دخل عليَّ شيخ من بني الدَّيْل أعور، في غُثَيْمة له، فقال: مَنِ الرجل؟ فقلت: من بني بَكْر، فمن أنت؟ قال: من بني بَكْر، فقلت: مَرَحَبًا، فاضطجع، ثم رفع عقيرته، فقال:

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَا دَانٍ لِدِينِ الْمُسْلِمِينَ

فقلت في نفسي: ستعلم، فأمهلتها، حتى إذا نام أخذتُ قوسي، فجعلت سيِّئها في عينه الصَّحيحة، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم، ثم خرجت النَّجاء، حتى جثت العَرَج، ثم سلكت رَكُوبَةً، حتى إذا هبطت النَّقِيع إذا رجلان من قُرَيْش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عَيْنًا إلى المدينة ينظران ويتحسَّسان، فقلت: اسْتَأْسِرَا، فأبَيَا، فأرمني أحدهما بسهم فأقتله، واستأْسر الآخرُ، فأوثقه رباطًا، وقَدِمْتُ به المدينة.

سرية زيد بن حارثة إلى مدين:

بعثه هو وضميرة وقصة السبي:

قال ابن هشام: وسرية زيد بن حارثة إلى مدين. ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن، عن أمه فاطمة ابنة الحسين بن عليٍّ عليهم رضوان الله، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضَمِيرَة مولى عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سَبِيًّا من أهل مِيناء، وهي السواحل، وفيها جُمَاع من الناس، فبيعوا،

فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: «مَا لَهُمْ؟» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَرَّقَ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَبْعُوهُمْ إِلَّا جَمِيعًا».

قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عَفَك:

سبب نفاق أبي عَفَك:

قال ابن إسحاق: وغزوة سالم بن عُمير لقتل أبي عَفَك، أحد بني عمرو بن عوف ثم من بني عُبيدة، وكان قد نجم نفاقه، حين قتل رسولَ الله ﷺ الحارث بن سُوَيد بن صامت، فقال:

لَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا وَمَا إِن أَرَى	مِنَ النَّاسِ دَارًا وَلَا مَجْمَعًا
أَبْرَ عُهُودًا وَأَوْفَى لِمَنْ	يُعَاقِدُ فِيهِمْ إِذَا مَا دَعَا
مِنْ أَوْلَادٍ قَلِيلَةٍ فِي جَمْعِهِمْ	يَهْدُ الْجِبَالَ وَلَمْ يَخْضَعَا
فَصَدَّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ	حَلَالٌ حَرَامٌ لِشَيْءٍ مَعَا
فَلَوْ أَنَّ بِالْعِزِّ صَدَقْتُمْ	أَوِ الْمُلْكِ تَابَعْتُمْ تُبْعَا

قتل ابن عمير له وشعر المزيرية:

فقال رسول الله ﷺ: «من لي بهذا الخبيث؟» فخرج سالم بن عُمير، أخو بني عمرو بن عوف، وهو أحد البكائين، فقتله، فقالت أُمَامَةُ الْمُزِيرِيَّةُ فِي ذَلِكَ:

تُكَذِّبُ دِينَ اللَّهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدًا	لَعَمْرُ الَّذِي أَمْنَاكَ أَنْ يَنْسُ مَا يُمْنِي
حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً	أَبَا عَفَكٍ خُذَهَا عَلَى كِبَرِ السَّنِ

غزوة عمير بن عدي الخطمي لقتل عصماء بنت مروان:

نفاقها وشعرها في ذلك:

وغزوة عُمير بن عدي الخطمي عَصْمَاءَ بِنْتِ مَرْوَانَ، وهي من بني أُمَيَّةَ بن زيد، فلما قُتِلَ أَبُو عَفَكٍ نَافَقَتْ، فَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بن الحارث بن القُضَيْلِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: وَكَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي خَطْمَةٍ، وَيُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ بن زيد فقالت تعيب الإسلام وأهله:

بَاسَتْ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّسِيبِ	وَعَوْفٍ وَبَاسَتْ بَنِي الْخَزَرَجِ
------------------------------------	--------------------------------------

أَطْعَمْتُمْ أَتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْجِجٍ
تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤُوسِ كَمَا يُرْتَجَى مَرَقِ الْمُنْضَجِ
أَلَا أَنْفَ يَنْتَفِي غِرَّةُ فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِي

شعر حسان في الرد عليها:

قال: فأجابها حسان بن ثابت، فقال:

بئس وائيل وبئس وإقِف وَخَطْمَةُ دُونَ بَنِي الْخَزَرَجِ
مَتَى مَا دَعَتْ سَفَهَا وَنَحَهَا بَعُولَتِهَا وَالْمَنَايَا تَجِي
فَهَزَّتْ فَتَى مَا جِدَا عِرْقَهُ كَرِيمُ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
فَضَرَجَهَا مِنْ نَجِيعِ الدِّمَا بَعْدَ الْهُدُوءِ فَلَمْ يَخْرَجِ

خروج الخطمي لقتلها:

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «أَلَا آخِذٌ لِي مِنْ ابْنَةِ مِرْوَانَ؟» فَسَمِعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ الْخَطْمِيُّ، وَهُوَ عِنْدَهُ؛ فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَرَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا فَقَتَلَهَا، ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ قَتَلْتُهَا. فَقَالَ: «نَصَرْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ»، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ شَأْنِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَثْرَانٌ».

شان بني خطمة:

فَرَجَعَ عُمَيْرٌ إِلَى قَوْمِهِ، وَبَنُو خَطْمَةَ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ مُوجِّهٌ فِي شَأْنِ بِنْتِ مِرْوَانَ، وَلَهَا يَوْمئِذٍ بَنُونَ خَمْسَةٌ رِجَالٌ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا بَنِي خَطْمَةَ، أَنَا قَتَلْتُ ابْنَةَ مِرْوَانَ، فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ. فَذَلِكَ الْيَوْمُ أَوَّلُ مَا عَزَّ الْإِسْلَامُ فِي دَارِ بَنِي خَطْمَةَ، وَكَانَ يَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهِمْ فِيهِمْ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ، وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى الْقَارِيءُ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ أَوْسٍ، بْنُ ثَابِتٍ، وَأَسْلَمَ، يَوْمَ قَتَلْتُ ابْنَةَ مِرْوَانَ، رِجَالٌ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ، لَمَّا رَأَوْا وَخْزِيمَةَ مِنَ عَزِّ الْإِسْلَامِ.

أسر ثمامة بن أثال الحنفي وإسلامه والسرية التي أسرت ثمامة بن أثال الحنفي

إسلامه:

بلغني عن أبي سعيد المَقْبُري عن أبي هريرة أنه قال: خرجت خيل لرسول الله ﷺ، فأخذت رجلاً من بني حنيفة، لا يشعرون من هو، حتى أتوا به رسول الله ﷺ، فقال: «أندرون من أخذتم، هذا ثُمَامَةُ بن أَثَالِ الحَنَفِيِّ، أحسنوا إِسَارَه». ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: «اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه»، وأمر بِلِقْحَتِهِ أَنْ يُغْدَى عليه بها وَيُرَاح، فجعل لا يقع من ثمامة موقعاً ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول: «أسلم يا ثمامة»، فيقول: «إنها يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تردّ الفداء فسَلْ ما شئت، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم قال النبي ﷺ يوماً: «أطلقوا ثمامة»، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع، فتطهر فأحسن طهوره، ثم أقبل فبايع النبي ﷺ على الإسلام؛ فلما أمسى جاءوه بما جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام، فلم ينل منه إلّا قليلاً، وباللّفة فلم يُصب من حلابها إلّا يسيراً، فعجب المسلمون من ذلك، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «مّمّ تعجبون؟ أمين رجل أكل أوّل النهار

ثمامة بن أثال

وذكر ابن إسحق ثُمَامَةُ بن أَثَالِ الحَنَفِيِّ وإسلامه، وقد خرّج أهل الحديث حديث إسلامه، وفيه قال للنبي - ﷺ -: «إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تُرِدِ الْمَالَ تُعْطَهُ»، فقال عليه السلام: «اللَّهُمَّ أَكَلَةً مِنْ جَزْوِرٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ دَمِ ثُمَامَةَ»، فأطلقه، فتطهر وأسلم، وحسن إسلامه، ونفع الله به الإسلام كثيراً، وقام بعد وفاة رسول الله ﷺ مقامًا حميدًا حين ارتدت اليمامة مع مُسَيْلِمَةَ، وذلك أنه قام فيهم خطيبًا، وقال: يا بني حنيفة أين عَزَبَتْ عقولكم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذُّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ أين هذا من يا ضِفْدَعُ نَقِيٍّ كما تَنْقِيَنَّ لَا الشُّرَابَ تُكْثِرِينَ، وَلَا الْمَاءَ تَمْنَعِينَ^(١)، مما كان يَهْذِي به مُسَيْلِمَةُ، فأطاعه منهم ثلاثة آلاف، وانحازوا إلى المسلمين، فَقَتَّ ذلك في أَعْضَادِ حَنِيْفَةٍ. وذكر ابنُ إسْحَاقَ أنه الذي

(١) العجب كل العجب أن تبدأ وزارة «الثقافة» في «مصر» الحبيبة بنشر هذيان ودجل وشعوذة مسيلمة الكذاب تحت عنوان ودعوى «التنوير» فلا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

في مَعَى كَافِرٍ، وأكل آخر النهار في مَعَى مسلم! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المسلم يأكل في مَعَى واحد.

خروجه إلى مَكَّة وقصته مع قريش:

قال ابن هشام: فبلغني أنه خرج مُعْتَمِرًا، حتى إذا كان بينطن مَكَّة لَبَّى، فكان أَوَّل من دخل مَكَّة يَلْبِي، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اخترت علينا، فلما قَدَموه لضربوا عنقه؛ قال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لَطْعَامكم، فخلَّوه، فقال الحنفي في ذلك:

وَمِنَّا الَّذِي لَبَّى بِمَكَّة مُغْلِبًا بِرَغْم أَبِي سُفْيَانَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ

حُدِّثَ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حين أسلم، لقد كان وجهك أَبْغَضُ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، ولقد أَصْبَحَ وهو أَحَبُّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ. وقال في الدين والبلاد مثل ذلك.

ثم خرج مُعْتَمِرًا، فلما قدم مَكَّة، قالوا: أَصَبَّوْتَ يَا ثَمَام؟ فقال: لا، ولكنني أَتَبَعْتُ خَيْرَ الدِّينِ، دِينَ مُحَمَّدٍ، ولا والله لا تصل إليكم حَبَّةٌ مِنَ الْيَمَامَةِ حتى يأذن فيها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة، فَمَنَعَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا إِلَى مَكَّة شَيْئًا، فكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ تَأْمُرُ بِصَلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّكَ قَدْ قَطَعْتَ أَرْحَامَنَا، وَقَدْ قَتَلْتَ الْأَبَاءَ بِالسَّيْفِ، وَالْأَبْنَاءَ بِالْجُوعِ، فكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ أَنْ يَخْلِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَمْلِ.

قال في النبئي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ [وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءِ]»^(١) الحديث، وقال: أَبُو عُبَيْدٍ هُوَ أَبُو بَصْرَةَ الْغِفَارِيُّ، وَفِي مُسْنَدِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ أَنَّهُ جَهَّجَاهُ [بْنِ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حَرَامٍ] الْغِفَارِيُّ، وَفِي الدَّلَائِلِ أَنَّ اسْمَهُ نَضْلَةُ، وَقَدْ أَمْلَيْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ نَحْوًا مِنْ كُرَّاسَةٍ رَدَدْنَا فِيهِ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ، وَبَيَّنَّا مَعْنَى الْأَكْلِ وَالسَّبْعَةِ الْأَمْعَاءِ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ وَرَدَّ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ عَامٌ، وَأَتَيْنَا فِي ذَلِكَ بِمَا فِيهِ شِفَاءٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَقَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: ذَا دَمٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ: ذَا دِمٍّ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٩٢/٧) وَمُسْلِمٌ فِي الْأَشْرِبَةِ (١٨٢/١٨٤/١٨٥) وَالتِّرْمِذِيُّ (١٨١٨) وَابْنُ مَاجَةَ (٢٣٥٩/٢٣٥٧/٢٣٥٨) وَأَحْمَدُ (٢١/٢) وَالدَّارِمِيُّ (٩٩/٢) وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١٣٣/٨) وَالتُّطَاوِيُّ فِي الْمَشْكَلِ (٤٠٧/٢) وَالْحَمِيدِيُّ (٦٦٩) وَانْظُرِ الْفَتْحَ (٥٣٨/٥٣٦/٩).

سرية علقمة بن مجزز:

سبب إرسال علقمة:

وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز.

لما قُتل وقاص بن مجزز المُدَلّجي يوم ذي قرد، سأل علقمة بن مجزز رسول الله ﷺ أن يبعثه في آثار القوم، ليدرك ثاره فيهم.

دعابة ابن حذافة مع جيشه:

فذكر عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان، عن أبي سعيد الخدري، قال: بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز - قال أبو سعيد الخدري: وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق، أذن لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيه دعابة، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا، ثم قال للقوم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى؛ قال: أفما أنا آمركم بشيء إلا فعلتموه؟ قالوا: نعم، قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توابتكم في هذه النار؛ قال: فقام بعض القوم يحتجز، حتى ظن أنهم واثبون فيها، فقال لهم: اجلسوا، فإنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «من آمركم بمغصية منهم فلا تطيعوه»^(١).

ما زاده ابن هشام مما لم يذكره ابن إسحاق:

وذكر الشيخ الحافظ أبو بخر سُفْيَانُ بن العاصي رحمه في هذا الموضع، قال: نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبي سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه: وجدت بخط أخي قول ابن هشام: هذا مما لم يذكره ابن إسحاق هو غلط منه، قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمرو بن أمية عن عمرو بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكرياء عن ابن إسحاق، والقائل في الحاشية: وجدت بخط أخي هو أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم. وفي الكتاب المذكور قول أبي بكر المذكور في غزوة الطائف بعد قوله: فولدت له داود بن أبي مرة. إلى هاهنا انتهى سماعي من أخي، وما بقي من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١١٨/١/٢) وابن حبان (١٥٥٢ - موارد) وابن ماجه (٢٨٦٣) وابن أبي شيبة (٥٤٣/١٢) وابن عساکر (٣٥٥/٧) وانظر الفتح (٦٠/٨).

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مُجَزَّر رجع هو وأصحابه ولم يلق كيذاً.

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً

شأن يسار:

حدثني بعض أهل العلم، عمن حدثه، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: أصاب رسول الله ﷺ في غزوة محارب وبني ثعلبة عبداً يقال له: يسار، فجعله رسول الله ﷺ في لقاح له كانت ترعى في ناحية الجماء، فقدم على رسول الله ﷺ نفر من قيس كُبة من بجيلة، فاستوبثوا، وطلّحوا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها»، فخرجوا إليها.

قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم:

فلما صحوا وانطوت بطونهم، عدوا على راعي رسول الله ﷺ يسار، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللقاح. فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كُرز بن جابر، فلحقهم، فأتى بهم رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة ذي قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم.

غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن

وغزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرتين.

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد في جُند آخر، وقال: «إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب»^(١).

عن خبيب بن عدي:

وذكر سرية عمرو بن أمية وحلة لخبيب بن عدي من خشبته التي صلب فيها وفي مسند ابن أبي شيبه حسنة أنهما حين حلاه من الخشب التقيتهما الأرض.

وذكر ابن هشام مقتل العضماء بنت مزوان، وفي خبرها قال ﷺ: لا ينتطح فيها عزان، وكانت تسب رسول الله ﷺ، فقتلها بعلها على ذلك، فقال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه أحمد (٣٥٦/٥).

وقد ذكر ابن إسحق بَعَثَ خالد بن الوليد في حديثه، ولم يذكره في عِدَّة البعوث والسرّايا، فينبغي أن تكون العِدَّة في قوله: تسعة وثلاثين.

بعث أسامة بن زيد إلى أرض وهو آخر البعوث:

قال ابن إسحق: وبعث رسولُ الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يُوطىء الخيل تُخوم البلقاء والداروم، من أرض فلسطين فتجهّز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرين الأولون.

قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

«اشهدُوا أَنَّ دَمَهَا هَذَرٌ»^(١). قال الدَّارِقُطْنِيُّ: من هاهنا يقوم أصلُ التَّسْجِيلِ في الفقه، لأنه قد أشهد على نفسه بِإِمضَاءِ الْحُكْمِ، ووقع في مُصَنَّفِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ أَنَّهَا كَانَتْ يَهُودِيَّةً، وَكَانَتْ تَطْرَحُ الْمَحَائِضَ فِي مَسْجِدِ بَنِي خَطْمَةَ، فَأَهْدَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَمَهَا، وَقَالَ: «لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عِزْرَانٌ».

(١) أخرجه الدارقطني (٣/ ١١٢ - بتحقيقي) والبيهقي (٧/ ٦٠) (١٠/ ١٣١).

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

بدء الشكوى^(١):

قال ابن إسحاق: فبينما الناس على ذلك ابتدىء رسول الله ﷺ بشكواه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدىء به من ذلك، فيما ذكر لي، أنه خرج إلى بقيع العرقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدىء بوجعه من يومه ذلك.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن عمر، عن عبيد بن جبير، مولى الحكم بن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مؤيَّبة، مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: «يا أبا مؤيَّبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي»، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنيء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»؛ ثم أقبل عليّ، فقال: «يا أبا مؤيَّبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». قال: فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، قال: «لا والله يا أبا مؤيَّبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه.

(١) انظر البداية (٢٢٣/٥) الطبري (٢٢٦/٢) المتظم (١٤/٤) الطبقات لابن سعد (٣٦/١/٢) والحاكم (٥٦/٣) وأحمد (٤٨٩/٣) وأبو نعيم في الحلية (٢٧/٢) والنسائي (٣٧/١).

تمريضه في بيت عائشة:

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: واراأساه، فقال: «بل أنا والله يا عائشة واراأساه». قالت: ثم قال: «وما ضررك لو مُت قبلي، فقمْتُ عليك وكفنتك، وصلَّيت عليك ودفنتك؟» قالت: قلت: والله لكأنني بك، لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي، فأعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسَّم رسولُ الله ﷺ، وتتام به وجعه، وهو يدور على نسائه حتى استعزَّ به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهنَّ في أن يمرض في بيتي، فأذنَّ له^(١).

(١) أخرجه البخاري (١٥٥/٧) وابن ماجه (١٤٦٥) والدارمي (٣٨/١) وأحمد (٢٢٨/٦) والبيهقي (٣٧٨/٣) والطبري في تاريخه (٢٢٦/٢) والبداية (٢٢٤/٥).

ذكر أزواجه ﷺ

أمهات المؤمنين:

أسماءهن:

قال ابن هشام: وكنّ تسعاً: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأمّ سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وسودة بنت زمعة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رثاب، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفية بنت حيي بن أخطب، فيما حدّثني غير واحد من أهل العلم.

زواجه بخديجة

وكان جميع من تزوّج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة: خديجة بنت خويلد، وهي أول من تزوّج، وزوجه إياها أبوها خويلد بن أسد، ويقال: أخوها عمرو بن خويلد، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة، فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلّهم إلا إبراهيم، وكانت قبله

ذكر أزواج النبي عليه السلام

خديجة رضي الله عنها

قد تقدّم في مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن، وذكر هاهنا خديجة، وأنها كانت عند أبي هالة، وكانت قبله عند عتيق بن عائذ، قال ابن أبي حنيفة: ولدت لعتيق عبد مناف، وكان اسم أبي هالة هند بن زُرارة بن النَّبَّاش وقيل: بل أبو هالة هو زُرارة، وابنه هند، مات هند في طاعون البصرة.

عند أبي هالة بن مالك، أحد بني أُسَيْد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار، فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة، وكانت قبل أبي هالة عند عُتَيْق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، فولدت له عبد الله، وجارية.

قال ابن هشام: جارية من الجواري، تزوجها صَيْفِي بن أبي رفاعه.

زواجه بعائشة

وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها المدينة، وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها، زوجه إياها أبوها أبو بكر، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم.

عن عائشة

ومما نزيده هنا في ذكر عائشة، أنها كانت تُكْنَى أُمَ عَبْدِ اللَّهِ، رَوَى ابن الأعرابي، في المعجم حديثاً مرفوعاً أنها أسقطت جَنِينًا من رسول الله - ﷺ - فُسِّمِي: عبد الله، فكانت تُكْنَى به، وهذا الحديث يدور على داود بن المُحَبَّر وهو ضعيف، وأصح منه حديث أبي داود أن رسول الله ﷺ قال لها: «تَكُنِّي بَابِنِ أَخِيكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ»^(١)، وَيُرَوَّى بِابْنِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، لأنها كانت قد اسْتَوْهَبَتْهُ مِنْ أَبِيوَيْهِ، فكان في حجبها يدعوها، أُمًّا، ذكره ابنُ إسحاق وغيره، وأصح ما رَوِيَ في فضلها على النساءِ قولُه عليه السلام: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى الطَّعَامِ»^(٢)، وأراد الثريدَ باللحم، كذا رواه مَعْمَرٌ في جامعهِ مُفَسَّرًا عَنْ قَتَادَةَ، وَأَبَانَ يَرْفَعُهُ، فقال فيه كفضل الثريد باللحم، ووجه التفضيل من هذا الحديث أنه قال في حديث آخر: «سَيِّدُ إِدَامِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اللَّحْمُ»^(٣)، مع أن الثريدَ إِذَا أُطْلِقَ لَفْظُهُ، فَهُوَ ثَرِيدُ اللَّحْمِ، وَأُنْشِدَ سَبِيحَتُهُ:

إِذَا مَا الْخُبْزُ تَأْدِيهِ بِلَحْمٍ فَذَكَ أَمَانَةَ اللَّهِ الثَّرِيدُ

خديجة وعائشة ومريم:

ولولا ما تقدّم من الحديث المخصّص لخديجة بالفضل عليها حيث قال: والله ما أبدلني الله خيرًا منها، لقلنا بتفضيلها على خديجة، وعلى نساء العالمين، وكذلك القول في

(١) أخرجه أبو داود (١٠٧/٦) وأحمد (١٠٧/٦) والبيهقي (٣١٠/٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٠/٤) ومسلم في فضائل الصحابة (٨٩) والترمذي (٣٨٨٧).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٨٦/٣) وانظر الفتح (٥٥٦/٩).

زواجه بسودة:

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي، زوجه إياها سَلِيط بن عمرو، ويقال: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسل، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم.

قال ابن هشام: ابن إسحق يخالف هذا الحديث، يذكر أن سَلِيطاً وأباً حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت.

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسل.

زواجه بزينب بنت جحش

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية. زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش، وأصدقها رسولُ الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانت قبله عند زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾.

زواجه بأم سلمة

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، واسمها هند؛ زوجه إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها، وأصدقها رسولُ الله ﷺ فراشاً حشوه ليف، وقدحاً

مَرِيَمَ الصُّدَيْقَةَ، فإنها عند كثير من العلماء نَبِيَّةٌ نَزَلَ عَلَيْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَحْيِ، وَلَا يُفَضَّلُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ غَيْرُهُمْ، وَمَنْ قَالَ: لَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً، وَجَعَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿اصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] مَخْصُوصًا بِعَالَمِ زَمَانِهَا، فَمَنْ قَوْلَهُ: إِنَّ عَائِشَةَ وَخَدِيجَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي سَائِرِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِنَّهُنَّ أَفْضَلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَنَزَعُوا فِي تَصْحِيحِ هَذَا الْمَذْهَبِ بِمَا يَطُولُ ذِكْرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَارِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي فَاطِمَةَ: هِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ.

أم سلمة

وذكر أم سلمة، وأن رسول الله ﷺ أصدقها مِجَشَّةً، وهي الزَّحْيُ. ومنه سمي الجَشِيشُ. وذكر مع المِجَشَّةِ أشياء لا تعرف قيمتها، منها جَفَنَةٌ وَفِرَاشٌ. وفي مسند البزار

وَصَحْفَة، وَمَجْشَّة؛ وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ، فَوُلِدَتْ لَهُ سَلَمَةُ وَعَمْرٌ وَزَيْنَبُ وَرَقِيَّةٌ.

زواجه بحفصة:

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَفْصَةَ بِنْتَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، زَوْجَهُ إِيَّاهَا أَبُوهَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ مِائَةَ دِرْهَمًا، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ.

زواجه بأم حبيبة:

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَاسْمُهَا رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، زَوْجَهُ إِيَّاهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَهُمَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَأَصْدَقَهَا النَّجَاشِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ مِائَةَ دِينَارًا، وَهُوَ الَّذِي كَانَ خَطَبُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ الْأَسَدِيِّ.

زواجه بجويرية

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جُؤَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الْخُزَاعِيَّةَ، كَانَتْ فِي سَبَايَا بَنِي الْمُضْطَلِقِ مِنْ خِزَاعَةٍ، فَوَقَعَتْ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ الْأَنْصَارِيِّ، فَكَاتَبَهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينَهُ فِي كِتَابَتِهَا، فَقَالَ لَهَا: «هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟» قَالَتْ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ؟» فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَتَزَوَّجَهَا.

ذَكَرَ قِيَمَتَهَا، قَالَ أَنَسٌ: أَصْدَقَهَا مَتَاعًا قِيَمَتُهُ عَشْرَةُ دِرَاهِمٍ، قَالَ الْبَزَارِيُّ: وَيُرْوَى أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا.

جويرية

وَذَكَرَ جُؤَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ مُسَافِعِ بْنِ صَفْوَانَ الْخُزَاعِيِّ وَقَالَ: أَسْلَمَ الْحَارِثُ، وَأَسْلَمَ ابْنَاهُ، وَلَمْ يُسَمِّهَمَا، وَهُمَا الْخَارِثُ بْنُ الْحَارِثِ وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، وَذَكَرَهُ الْبَخَارِيُّ.

زينب بنت جحش

وَذَكَرَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَأَنَّ أَخَاهَا أَبَا أَحْمَدَ هُوَ الَّذِي أَنْكَحَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهَذَا خِلَافَ مَا ثَبَّتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهَا كَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى صَوَاحِبِهَا، وَتَقُولُ: «زَوَّجَكُنْ أَهْلُوكُنْ» -

قال ابن هشام: حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة.

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق، ومعه جُويرية بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقَدِم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بيعين منها، فغَيَّبهما في شُعب من شعاب العقيق، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أَصَبْتُم ابنتي، وهذا فِداؤها، فقال رسول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غَيَّبْتَ بالعقيق في شُعب كذا وكذا؟» فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، صَلَّى الله عليك، فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله تعالى، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبي ﷺ، ودَفَعَت إليه ابنته جُويرية، فأسلمت وحُسِّن إسلامها، وخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربع مائة درهم، وكان قبل رسول الله ﷺ عند ابن عم لها يقال له: عبد الله.

قال ابن هشام: ويقال اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس، فأعتقها وتزوجها، وأصدقها أربع مائة درهم.

زواجه بصفية:

وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حُيي بن أخطب، سبأها من خيبر، فاصطفأها لنفسه، وأولم رسول الله ﷺ وليمة، ما فيها شحم ولا لحم، كان سويقًا وتمراً، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق.

من رسول الله ﷺ وزوجني ربُّ العالمين من قَوْزٍ سَنَعَ سَمَوَاتٍ^(١) وفي حديث آخر أنه لما نزلت الآية ﴿وَزَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] قام رسول الله ﷺ - ﷺ - فدخل عليها بغير إذن ولم يذكر ابن إسحق في أزواج رسول الله ﷺ شَرَفِ بنت خَلِيفَة أخت دِخْيَة بن خَلِيفَة الكلبي، وذكرها غيره، ولم تُقِمْ عنده إلا يَسِيرًا حتى ماتت وكذلك العالية بنت ظَبْيَان [بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] ذكرها غيره في أزواج رسول الله ﷺ. وكذلك وَسْنَى بنت الصَّلْتِ تزوجها ثم خَلَى سَبِيلَهَا، ويقال فيها: سَنَّا بنت أَسْمَاء بنت

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧/١٣ - فتح) والترمذي (٣٢١٠).

زواجه بميمونة:

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن خزن بن بحير بن هزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي؛ ويقال: إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بغيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

ويقال: إن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ زينب بنت جحش، ويقال: أم شريك، غزية بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي، ويقال: بل هي امرأة من بني سلمة بن لؤي، فأرجأها رسول الله ﷺ.

زواجه زينب بنت خزيمة:

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تُسمى أم المساكين، لرحمتها إياهم، ورقتها عليهم، زوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالي، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث، وهو ابن عمها.

عذتهن وشأن الرسول معهن:

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله ﷺ إحدى عشرة، فمات قبله منهن ثنتان: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة. وتوفي عن تسع قد ذكرناهن في أول هذا الحديث؛ وثنتان لم يدخل بهما: أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضاً، فمتعها وردّها إلى أهلها، وعمرة بنت يزيد الكلابية، وكانت حديثه عهد بكفر؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ، استعازت من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «منيع عائذ الله»، فردّها إلى أهلها، ويقال: إن التي استعازت من رسول الله ﷺ كندية بنت عم

الصِّلَت. ومنهن أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية اتفقوا على تزويج النبي ﷺ إياها، واختلفوا، في سبب فراق النبي ﷺ لها. وكذلك قيل في: شراف بنت خليفة: إنها هلك قبل أن يدخل بها، فالله أعلم.

لأسماء بنت النعمان، ويقال: إن رسول الله ﷺ دعاها، فقالت: إنا قوم نُؤْتِي ولا نأتي؛ فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها.

تسمية القرشيات منهن:

الْقُرَشِيَّاتُ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ سِتْ: خديجة بنت خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي بن كلاب بن مَرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ؛ وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحافة بن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تيم بن مَرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب؛ وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رباح بن رزاح بن عدي بن كَعْب بن لُؤَيّ، وأُم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مَرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ؛ وأُم سَلَمَة بنت أبي أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مَرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ؛ وسودة بنت زَمْعَة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤَيّ.

تسمية العربيات وغيرهن:

والعربيات وغيرهن سبع: زينب بنت جحش بن رثاب بن يَغَمَر بن صَبْرَة بن مَرَّة بن كَبِير بن غَنَم بن دُودان بن أسد بن خُزَيْمَة؛ ومَيْمُونَة بنت الحارث بن حَزَن بن بَحِير بن هُزَم بن زُوَيْبَة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عِيلان؛ وزَيْنَب بنت خزيمة بن

وذكر خَوْلَة، ويقال فيها: خُوَيْلَة، ذُكِرَتْ فِيمَنْ تَزَوَّجَهُمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُقَالُ: هِيَ الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

وفاة رسول الله ﷺ:

ذَكَرَ خُرُوجَهُ ﷺ فِي مَرَضِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَأَنْ أَبَا بَكْرٍ كَانَ الْإِمَامَ، وَأَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْتُمُّ بِهِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُرْسَلٌ فِي السِّيَرَةِ، وَالْمَعْرُوفُ فِي الصَّحَاحِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَالنَّاسُ يَصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَلَكِنْ قَدْ رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ مِنْ طَرِيقٍ مُتَّصِلٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ الْإِمَامَ يَوْمَئِذٍ، وَاخْتَلَفَ فِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا مَاتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُؤَمَّهُ رَجُلٌ

(١) انظر الزاد (١/١٠٥).

الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وجُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخُزاعية، ثم المُصطلقية، وأسماء بنت النعمان الكندية؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية.

غير العربيات:

ومن غير العربيات: صفية بنت حُيي بن أخطب، من بني النضير.

تمريض رسول الله في بيت عائشة:

مجيئه إلى بيت عائشة:

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَتْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ: أَحَدُهُمَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَرَجُلٌ آخَرٌ، عَاصِبًا رَأْسَهُ، تَخَطَّ قَدَمَاهُ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتِي.

قال عُبيد الله، فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ الْآخَرِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

شدة المرض وصب الماء عليه:

ثم عُمر رسولُ الله ﷺ، واشتدَّ به وجعه، فقال: «هَرِّيقُوا عَلَيَّ سَبْعَ قَرَبٍ مِنْ آبَارِ شَتَى، حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْهَدَ إِلَيْهِمْ». قَالَتْ: فَأَقْعَدْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ بِنْتِ عَمْرِ، ثُمَّ صَبَبْنَا عَلَيْهِ الْمَاءَ حَتَّى طَفِقَ يَقُولُ: «حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ».

من أُمَّتِهِ^(١)، وذكر أبو عُمَرَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا أَنَّهُ سَاقَهُ عَنْ زَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُزَسَّلًا، وَقَدْ أَسْنَدَهُ الْبَزَارُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَمَرَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَفِي مَرَاثِيلِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - مَرَضَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ صَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْهَا يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَسَامَةَ وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ حَتَّى صَلَّى خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ، فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَرَضَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، وَهُوَ غَرِيبٌ، وَفِيهِ أَنَّ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ كَانَ أَسَامَةَ، وَالْمَعْرُوفُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَفِيهِ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ.

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٤٤/٦).

كلمة للنبي واختصاصه أبا بكر بالذكر:

قال ابن إسحاق: وقال الزهري: حدثني أيوب بن بشير: أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد، واستغفر لم، فأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: «إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله». قال: ففهمها أبو بكر، وعرف أن نفسه يريد، فبكى وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فقال: «على رسلك يا أبا بكر»، ثم قال: «انظروا هذه الأبواب اللآلئة في المسجد، فسدوها إلا بيت أبي بكر، فإني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه»^(١).

قال ابن هشام: ويروى: إلا باب أبي بكر.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبي سعيد بن المعلّى: أن رسول الله ﷺ، قال يومئذ في كلامه هذا: «فإني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده»^(٢).

أمر الرسول بإنفاذ بعث أسامة:

وقال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامة بن زيد، وهو في وجهه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمر غلاماً حَدَثًا على جِلَّةِ المهاجرين والأنصار.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلت في إمارته لقد قلت في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقاً لها»^(٣).

(١) انظر البخاري (٧٣/٥) والترمذي (٣٦٦٠) والطبري في تاريخه (٢٢٧/٢) والفتح (١٦٥/١) (٥٦٩/١٠).

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (١ - ٧/٥) والترمذي (٣٦٥٩) وابن ماجه (٩٣).

(٣) انظر الطبقات (٣٧/١/٢) (٤٧/١/٤) (٤١/٢/٢) والفتح (٨٧/٧).

قال: ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش الناس في جهازهم، واستعز برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُزفَ، من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، وتنام إليه الناس، وثقل رسول الله ﷺ، فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ.

وصية الرسول بالأنصار:

وقال ابن إسحق: قال الزهري: وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ: «يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرًا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيتها لا تزيد، وإنهم كانوا عييتي التي أويت إليها، فأحسنوا إلى مُحْسِنهم، وتجاوزوا عن مُسِيئهم»^(١).

قال عبد الله: ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته، وتنام به وجعه، حتى غمِر.

شأن اللدود

قال عبد الله: فاجتمع إليه نساء من نسائه: أم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عميس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يلدّه، وقال العباس: لألدّه، قال: فلّدوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ، قال: «مَنْ صَنَعَ هذا بي؟» قالوا: يا رسول الله، عمك، قال: «هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض»، وأشار نحو أرض الحبشة؛ قال: «ولم فعلتم ذلك؟» فقال عمه العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال: «إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقدفني به، لا يَبْقُ في البيت أحدٌ إلّا لُدَّ إلّا عَمِي، فلقد لِدَّت ميمونة وإنها لصائمة»، لقسم رسول الله ﷺ، عقوبة لهم بما صنعوا به.

حديث العباس

فصل: وذكر حديث العباس، وأنه قال: لألدّه، فلّدوه، وحسبوا أن به ذات الجنب، ففي هذا الحديث أن العباس حضره ولّدَه مَعَ من لُدَّ. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَبْقَيْنَ أحدٌ بالبيت إلّا لُدَّ إلّا عَمِي العباس، فإنه لم يَشْهَدْكم»^(٢)، وهذه أصح من

(١) أخرجه أحمد (٢٤١/٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٧/٦) ومسلم في السلام (٨٥) والترمذي (٢٠٥٣).

رواية ابن إسحق وإنما لدّوه لأنه عليه السلام قد قال في القُسط^(١): فيه سَبْعَةُ أَشْفِيَةٍ يُلَدُّ به من ذات الجَنْب، وَيُسَعِّطُ به من العُدْرَةِ، ولم يذكر الحَمْسَةَ. قال ابنُ شِهَابٍ: فنحن نستعمله في أَدْوِيَّتِنَا كُلِّهَا لَعَلَّنَا نَصِيحُهَا، واللَّدود في جَانِبِ الفم مِنْ دَاخِلِهِ يُجْعَلُ هُنَاكَ الدَّوَاءُ وَيُحَكُّ بِالْإِصْبَعِ قَلِيلًا.

وقوله: في ذات الجَنْبِ: ذاك دَاءٌ ما كان الله ليقْذِفَنِي به، وقال في هذا الحديث من رواية الطبري له: أنا أكرم على الله من أن يقْذِفَنِي بها، وفي رواية أخرى: وهي من الشيطان، وما كان الله لِيُسَلِّطَهَا عَلَيَّ. وهذا يدلُّ على أنها من سَيِّئِ الأسقام التي تَعُوذُ النَّبِيُّ عليه السلام منها في دعائه حيث يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجُنُوِّ والجُدَامِ وسَيِّئِ الأسقام»^(٢)، وإن كان صاحبُها من الشهداء السَّبْعَةِ، ولكنه عليه السلام قد تَعُوذُ مِنَ الْعَرَقِ وَالْحَرَقِ، مع قوله عليه السلام: «الغريقُ شهيدٌ، والحريقُ شهيدٌ»^(٣). وقد ذكر أن أسماء بنت عُمَيْسٍ هي التي لَدَّتْه فَالله أعلم. والوجع الذي كان بالنبي عليه السلام فَلَدُّهُ هو الوجع الذي يُسَمَّى خَاصِرَةً، وقد جاء ذكره في كتاب الثُّدور من الْمُوطَّأ، قال فيه: فأصابتنِي خَاصِرَةً، قالت عائشة: وكثيرًا ما كان يصيبُ رسول الله ﷺ، الخَاصِرَةُ. قالت: ولا نُهْتَدِي لاسم الخَاصِرَةِ، ونقول: أخذ رسول الله ﷺ، عِزْقٌ في الكُلَيْتَةِ. وفي مُسْنَدِ الحارث بن أبي أسامة يرفعه إلى النبي عليه السلام، قال: «الخَاصِرَةُ عِزْقٌ في الكُلَيْتَةِ إِذَا تَحَرَّكَ وَجَعَ صاحِبَهُ دَوَاؤُهُ الْعَسَلُ بِالماءِ الْمُحَرَّقِ»^(٤)، وهو حديث يرويه عبدُ الرحيم بن عَمْرٍو عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ، وعبد الرحيم ضعيفٌ مذكور عند المحدثين في الضعفاء، ولكن قد رَوَتْ عَنْهُ جماعةٌ منهم.

وقول أبي بكر رضي الله عنه: هذا يوم بنتِ خَارِجَةَ يا رسولَ الله بنتُ خَارِجَةَ اسمها: حَبِيبَةُ، وقيل: ملكية، وخارجةٌ هو ابنُ زَيْدِ بن أبي زُهَيْرٍ، وابن خارجة هو زَيْدُ بن خَارِجَةَ الذي تكلَّم بعد الموت فيما رَوَى ثِقَاتُ أَهْلِ الْحَدِيثِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، وذلك أَنَّهُ مَاتَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ، فَلَمَّا سُجِّيَ عَلَيْهِ سَمِعُوا جَلْجَلَةً فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ، فَقَالَ: أَحْمَدُ أَحْمَدُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ صدق صدق، وأبو بكر الصَّدِيقُ الضَّعِيفُ فِي نَفْسِهِ الْقَوِيُّ فِي أَمْرِ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، صدق صدق، عُمَرُ بن الخطَّاب، الْقَوِيُّ الْأَمِينُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ صدق

(١) القسط: ضرب من أنواع البخور طيب الرائحة.

(٢) أخرجه النسائي (٢٧٠/٨) وعبد الرزاق (١٩٦٣٤).

(٣) انظر مسلم في الإمامة (١٦٥) وأحمد (٣١٠/٢).

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٧٧٠/٥).

دعاء الرسول لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق، عن محمد بن أسامة، عن أبيه أسامة بن زيد، قال: لما نُقِلَ رسولُ الله ﷺ هبطتُ وهبط الناس معي إلى المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ، وقد أَضْمِتَ فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فأعرف أنه يدعو لي.

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب الزهري: حدثني عبيد بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان رسولُ الله ﷺ كثيرًا ما أسمعُه يقول: «إِنَّ الله لم يقبض نبيًا حتى يُخَيِّرْهُ». قالت: فلما خُضر رسولُ الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة»، قالت: فقتل: إذا والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: إن نبيًا لم يقبض حتى يُخَيِّرَ.

صدق، عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت ستان، أتت الفتى، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة وسيأتيكم خبرُ بثر أريس، وما بثر أريس^(١). قال سعيد بن المسيّب: ثم هلك رجل من بني خُطْمَة فسُجِّي بثوب، فسمعوا جَلْجَلَةً في صدره ثم تكلم، فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق، وكانت وفاته في خلافة عثمان رضي الله عنه وقد عرض مثل هذه القصة لربيع بن جراح أخِي رُبَيْعِي بن جراح، قال رُبَيْعِي: مات أخِي فَسَجَّيْنَاهُ، وجلسنا عنده، فبينما نحن كذلك إذ كشف الثوب عن وجهه، ثم قال: السلام عليكم، قلنا: سبحان الله!! أبعد الموت؟ قال: إني لقيت رَبِّي فَتَلَقَانِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبٌّ غَيْرُ غَضَبَانٍ، وكساني ثيابًا خضرًا من سُندُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ؛ أسرعوا بي إلى رسول الله ﷺ - فإنه قد أقسم أن لا يبرح حتى آتِيَه وأدركه، وإن الأمر أهون ما تذهبون إليه فلا تَغْتَرُوا، ثُمَّ والله كأنما كانت نفسه حَصَاةً فَأَلْقَيْتُ فِي طَسْتٍ^(٢).

آخر كلمة تكلم بها عليه السلام

فصل: وذكر أن آخر كلمة تكلم بها عليه السلام: اللهم الرفيق الأعلى، وهذا مُنتزِع من قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فهذا هو الرفيق الأعلى، ولم يقل: الرفقاء،

(١) بثر أريس: بثر قرية من مسجد قباء.

(٢) قصة تفتر إلى الدليل الصحيح الذي يعتضدها ويقوّيها.

صلاة أبي بكر بالناس:

قال الزُّهري: وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر، أن عائشة قالت: لما استُعِزَّ برسول الله ﷺ قال: «مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس». قالت: قلت: يا نبي الله، إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال: «مروه فليصل بالناس». قالت: فعدت بمثل قلبي، فقال: «إنكن صواحب يوسف فمروه فليصل بالناس»، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أنني كنت أحب أن يُصْرَفَ ذلك عن أبي بكر، وعرفت أن الناس لا يُحِبُّون رجلاً قام مقامه أبداً، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان، فكنت أحب أن يُصْرَفَ ذلك عن أبي بكر.

لما قَدَمناه في هذا الكتاب مما حَسَنَ ذلك، مع أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد، فهذه آخر كلمة تكلم بها عليه السلام، وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن، لأنه قال: «مع الذين أنعم الله عليهم» وهم أصحاب الصراط المستقيم، وهم أهل لا إله إلا الله، قال الله تعالى: «أهلينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم» ثم يَبَيِّن في الآية المتقدمة مَنْ الذين أنعم الله عليهم فذكرهم، وهم الرفيق الأعلى الذي ذكرهم رسول الله - ﷺ - حين خُبِرَ فاختار، وبعض الرواة يقول عن عائشة في هذا الحديث: فأشار بأضْبُعِهِ، وقال: في الرفيق، وفي رواية أخرى أنه قال: «اللَّهُمَّ الرفيق»^(١)، وأشار بالسَّبَابَةِ، يريد: التوحيد، فقد دخل بهذه الإشارة في عُموم قوله عليه السلام: «مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢)، ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة، ولو لم يُشْرَ، ولكن ذكرنا هذا لثلاً يقول القائل: لم لَمْ يكن آخر كلامه: لا إله إلا الله، وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مُسْتَرْضِعٌ عند حَلِيمَةٍ أن قال: «الله أكبر، رأيتُ ذلك في بعض كتب الواقدي».

وأما آخر ما أَوْصَى به عليه السلام بأن قال: «الصلاة وما ملَكَتْ أيمانكم حُرُكٌ لها لسانه وما يكادُ يبين»^(٣)، وفي قوله: «مَلَكَتْ أيمانكم قولان»: قيل: أراد الرُّقُقَ بِالْمَمْلُوكِ، وقيل: أراد الزُّكَاةَ، لأنها في القرآن مقرونة بالصلاة، وهي من مِلْكِ اليمين، قاله الخطابي.

وقول عائشة رضي الله عنها: فمن سَفَّهِي وَحَدَاثَةِ سَنِي أَنَّهُ قُبِضَ فِي جِجْرِي فَوَضَعَتْ رَأْسَهُ عَلَى الْوِسَادَةِ، وقمت أَلْتَدِمُ مع النِّسَاءِ. الالْتِدَامُ: ضَرْبُ الْحَدِّ بِالْيَدِ، ولم يدخل هذا في

(١) انظر البخاري (١٨/٦) ومسلم (١٨٩٤) وأحمد (٨٩/٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وأحمد (٢٣٣/٥) والبيهقي في الصفات (٩٩ - بتحقيقي).

(٣) أخرجه أبو داود وابن ماجه (١٦٢٥ / ٢٦٩٧ / ٢٦٩٨) وأحمد (١١٧/٣).

قال ابن إسحاق: وقال ابنُ شهاب: حدّثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، قال: لما استعزَّ رسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين، قال: دعاه بلال إلى الصلَاة، فقال: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بالنَّاسِ». قال: فخرجت فإذا عمر في الناس. وكان أبو بكر غائبًا؛ فقلت: قُمْ يا عمر فصلِّ بالنَّاسِ. قال: فقام، فلما كَبُرَ، سمع رسولُ الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلًا مُجَهَّرًا، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون». قال: فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلَاة، فصلَّى بالنَّاسِ. قال: قال عبد الله بن زَمعة: قال لي عمر: ويحك، ماذا صنعت بي يا ابن زَمعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلَّا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صلَّيت بالنَّاسِ. قال: قلتُ: والله ما أمرني رسولُ الله ﷺ بذلك، ولكني حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلَاة بالنَّاسِ.

اليوم الذي قبض الله فيه نبيه

قال ابن إسحاق: وقال الزهري: حدّثني أنس بن مالك: أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ، خرج إلى النَّاس وهم يصلُّون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسولُ الله ﷺ، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحًا به، وتفرَّجوا، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم؛ قال:

التحريم، لأن التحريم إنما وقع على الصُّراخ والتَّوابع، ولُعِنَت الخارقة والحالقة والصالقة وهي الرافعة لصوتها، ولم يذكر اللُذْم لكنه، وإن لم يذكره، فإنه مكروه في حال المصيبة، وتركه أحمد إلَّا على أَحْمَدَ ﷺ:

فَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَخْزَعُ

متى تُوفي رسول الله؟

واتفقوا أنه تُوفي - ﷺ - يوم الاثنين إلَّا شيئًا ذكره ابن قُتَيْبَةَ في المعارف: الأربِعاء، قالوا كلهم: وفي ربيع الأول، غير أنهم قالوا، أو قال أكثرهم في الثاني عشر من ربيع، ولا يصح أن يكون تُوفي ﷺ إلَّا في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لإجماع المسلمين على أن وَفَقَةَ عَرَفَةَ في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، وهو التاسع من ذي الحِجَّة، فدخل ذو الحِجَّة يوم الخميس، فكان المحرَّم إما الجمعة وإما السبت، فإن

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُرُورًا لَمَّا رَأَى مِنْ هَيْئَتِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ هَيْئَةٍ مِنْهُ تِلْكَ السَّاعَةَ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ وَانْصَرَفَ النَّاسُ وَهُمْ يَرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَفْرَقَ مِنْ وَجَعِهِ، فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ حِينَ سَمِعَ تَكْبِيرَ عُمَرَ فِي الصَّلَاةِ: «أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ». فَلَوْلَا مَقَالَةُ قَالِهَا عُمَرُ عِنْدَ وَفَاتِهِ، لَمْ يَشْكُ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنَّهُ قَالَ عِنْدَ وَفَاتِهِ: «إِنْ اسْتَخْلَفَ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مِنْهُ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنْ أَتْرَكْتَهُمْ فَقَدْ تَرَكْتَهُمْ مِنْهُ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. فَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا، وَكَانَ عُمَرُ غَيْرَ مَتَّهِمٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَاصِبًا رَأْسَهُ إِلَى الصُّبْحِ، وَأَبُو بَكْرٍ يَصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَفَرَّجَ النَّاسُ، فَعَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَصْنَعُوا ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْكَصَ عَنْ مُصَلَّاهُ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ظَهْرِهِ، وَقَالَ: «صَلِّ بِالنَّاسِ»، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ، فَصَلَّى قَاعِدًا عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَكَلَّمَهُمْ زَافِعًا صَوْتَهُ، حَتَّى خَرَجَ صَوْتُهُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ، سُعِرَتِ النَّارُ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَمَسَّكُونَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ، إِنِّي لَمْ أَجِلْ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ، وَلَمْ أُحَرِّمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ».

قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَلَامِهِ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أَرَاكَ قَدْ أَصْبَحْتَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ كَمَا تُحِبُّ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ بِنْتَ خَارِجَةً، أَفَأَتِيهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ.

كَانَ الْجُمُعَةُ، فَقَدْ كَانَ صَفَرُ إِثْمَانَ السَّبْتِ وَإِمَا الْأَحَدُ، فَإِنْ كَانَ السَّبْتُ، فَقَدْ كَانَ رَبِيعُ الْأَحَدِ أَوْ الْاِثْنَيْنِ، وَكَيْفَا دَارَتْ الْحَالُ عَلَى هَذَا الْحِسَابِ، فَلَمْ يَكُنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ بِوَجْهِهِ، وَلَا الْأَرْبَعَاءُ أَيْضًا كَمَا قَالَ الْفُتَيْبِيُّ، وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ وَأَبِي مِخْنَفٍ أَنَّهُ تَوَقَّى فِي الثَّانِي مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ كَانَ خِلَافَ أَهْلِ الْجُمْهُورِ فَإِنَّهُ لَا يَبْعَدُ أَنْ كَانَتْ الثَّلَاثَةُ الْأَشْهُرُ الَّتِي قَبْلَهُ كُلِّهَا مِنْ تِسْعَةِ وَعِشْرِينَ، فَتَدْبِرُهُ، فَإِنَّهُ صَحِيحٌ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا تَفْطَنَ لَهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ لِلْخَوَّازِمِيِّ أَنَّهُ تَوَفَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا أَقْرَبُ فِي الْقِيَاسِ بِمَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ وَأَبِي مِخْنَفٍ.

شأن العباس وعلي:

قال ابن إسحاق: قال الزهري: وحَدَّثني عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عباس، قال: خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ «قال: أصبح بحمد الله بارئاً، قال: فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا علي، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ، كما كنت أعرفه في وجه بني عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا، أمرناه فأوصى بنا الناس. قال: فقال له علي: إني والله لا أفعل، والله لئن مُنعناه لا يؤتينا أحد بعده.

فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتدَّ الضُّحاء من ذلك اليوم.

سواك الرسول قبيل الوفاة

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني يعقوب بن عتبة، عن الزُّهري، عن عروة عن عائشة، قال: قالت: رجع إلي رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجرِي، فدخل علي رجلٌ من آل أبي بكر، وفي يده سِواك أخضر. قال: فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظراً عرفت أنه يريد، قالت: فقلت: يا رسول الله، أتحب أن أعطيك هذا السِّواك؟ قال: «نعم»، قالت: فأخذته فمضغته له حتى ليَّنته، ثم أعطيته إيَّاه، قالت: فاستنَّ به كأشد ما رأيتَه يستنَّ بسِواكِ قط، ثم وضعه، ووجدت رسول الله ﷺ

السِّواك

فصل: وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها ناولته السِّواك حين رأته ينظر إليه، فاستاك به، وفيه من الفقه: التَّنْظُفُ والتَّطَهُّرُ للموت، ولذلك يُستحب الاستِحْدَاذُ لمن استشعرَ القتل أو الموت كما فعل حُبَيْبٌ، لأن الميِّتَ قادمٌ على ربِّه، كما أن المصلِّي مُتَّاجٍ لربِّه، فالنظافة من شأنهما، وفي الحديث: «إن الله نظيفٌ يُحبُّ النظافة»، خرَّجه الترمذي، وإن كان معلول السند، فإن معناه صحيح، وليس التنظيف من أسماء الربِّ، ولكنه حسنٌ في هذا الحديث، لازدواج الكلام، ولقرب معنى النظافة من معنى القدس، ومن أسمائه سبحانه: القدوس، وكان السِّواك المذكور في هذا الحديث من عَسِيبٍ نخِلٍ فيما روى بعضهم،

يُنْقَل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شَخَص، وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة»، قالت: فقلت: خُيِّرْت فاخترت والذي بعثك بالحق. قالت: وقُبِض رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد. قال: سمعت عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ بين سَخري ونَخري وفي ذُولتي، لم أظلم فيه أحدًا، فَمِنْ سَفْهِي وَحَذَائَةِ سِنِّي أن رسول الله ﷺ قُبِض وهو في حَجري، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدم مع النساء، وأضرب وجهي.

والعربُ تَسْتَأْكَ بالعَسِيبِ^(١)، وكان أَحَبَّ السُّوَاكِ إلى رسولِ الله - ﷺ - ضَرْعُ الْأَرَاكِ، واحداها صَرِيعٌ وهو قضيب ينطوي من الْأَرَاكِ حتى يبلغ التراب، فيبقى في ظِلِّهَا فهو أَلْيَنُ فَرْعِهَا.

ومما رُوي من قول عائشة - رضي الله عنها - في معنى قولها: بين سَخري ونَخري، أنها قالت: قبض رسول الله ﷺ بين حَافَتَيْي وَدَافَتَيْي، فَالْحَافَتَةُ الثُّغْرَةُ، وَالدَّافِتَةُ: تحت الدُّفَنِ، ويقال لها: الثُّوْنَةُ أيضًا. ورُوي أيضًا: بين شَجري - بالشين والجيم - ونَخري، وسئل عَمَارَةُ بن عقيل عن معناه، فشَبَّكَ بين أصابع يديه، وضمَّها إلى نحره.

وَعُغِّلَ عليه السلام حين قبض من بَثْرِ لسعد بن خَنِيْمَةَ يقال لها: بَثْرُ الْغُرْسِ.

كرامات ومعجزات:

فصل: وذكر أنهم كُلُّمُوا حين أرادوا نزع قميصه للغسل، وكلهم سمع الصوت، ولم ير الشخص، وذلك من كراماته ﷺ، ومن آيات نُبُوَّتِهِ بعد الموت، فقد كان له عليه السلام كراماتٌ وَمُعْجَزَاتٌ في حياته، وقبل مولده وبعد موته. ومنها ما رواه أبو عَمْرٍ رحمة الله في التمهيد من طُرُقٍ صَحَاح: «أن أهل بيته سَمِعُوا وهو مُسَجَّى بينهم قائلًا يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أهل البيت إن في الله عِوَضًا من كل تالف، وَخَلْفًا من كل هالك، وَعِزًّا من كل مُصِيبَةٍ، فاصبروا واخْتَصِبُوا، إن الله مع الصابرين، وهو حَسْبُنَا، ونعم الوكيل. قال: فكانوا يَرَوْنَ أَنَّهُ الْخَضِرُ صَلَّى الله على نَبِيِّنَا وعليه^(٢)» ومن ذلك أيضًا أن الفضل بن عباس كان يُعَسِّلُهُ هو وَعَلِيٌّ، فجعل الفضل وهو يَصُبُّ الماء يقول: أَرَحْنِي أَرَحْنِي، فلإني

(١) العسب: جريد النخل.

(٢) تقدّم الكلام على خرافة بقاء الخضر حيًا حتى وفاة النبي ﷺ، ومن باب أولى بقاءه حيًا حتى اليوم كما يعتقد عوام الصوفية.

مقالة عمر بعد وفاة الرسول

قال ابن إسحاق: قال الزهري: وحدثني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: لما تُوفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب، فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد تُوفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات؛ والله ليرجعَنَّ رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات.

أجد شيئاً يَنْتَزِلُ على ظَهري. ومنها أنه عليه السلام لم يظهر منه شيء مما يظهر من الموتى، ولا تَغَيَّرَتْ له رائحة، وقد طال مُكثُهُ في البيت قبل أن يُدْفَنَ، وكان موته في شهر أَيْلُولَ، فكان طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا، وإن كان عمه العباس قد قال لعلي: إن ابن أخي مات لا شَكَّ، وهو من بني آدم يَأْسُنُ كما يَأْسُونُ، فواروه. وكان مما زاد العباسُ يَقِيْنًا بموته عليه السلام أنه كان قد رأى قبل ذلك ببَيسِيرٍ كأنَّ القَمَرَ رُفِعَ من الأرض إلى السماء بأشْطَانٍ، فَقَضَّهَا على نَبِيِّ الله ﷺ، فقال له: «هو ابنُ أخيك». وَرَوَى يونسُ بن بكير في السِّيرة أن أُم سَلَمَةَ قالت: وضعتُ يدي على صَدْرِ رسولِ الله - ﷺ - وهو مَيِّتٌ فَمَرَّتْ عَلَيَّ جُمُوعٌ لا أَكُلُ ولا أَتَوَضَّأُ إِلَّا وَجَدْتُ رِيحَ الْمَسْنِكِ من يَدِي، وفي روايته أيضًا: أن عَلِيًّا نُودِيَ، وهو يُعَسِّلُهُ أن ازْفَعَ طَرْفَكَ إلى السماء. وفيها أيضًا أن عَلِيًّا والفضل حين انْتَهَيَا في الغَسَلِ إلى أسفله سَمِعُوا مُنَادِيًا يقول: لا تَكْشِفُوا غُزْرَةَ نَبِيِّكُمْ عليه السلام.

موازنة بين عمر وبين أبي بكر

وأما جَزَعُ عمر رضي الله عنه وقوله: والله ما مات رسول الله ﷺ، وَلَيَزِجَعَنَّ كما رَجَعَ موسى عليه السلام، حتى كَلَّمَهُ أبو بكر رحمه الله، وَذَكَرَهُ بِالْأَيَّةِ، فَعَقِرَ حَتَّى سَقَطَ إلى الأرض، وما كان من ثَبَاتِ جَاشِ أَبِي بكر وقوته في ذلك المقام، ففيه ما كان عليه الصَّدِيقُ رضي الله عنه من شِدَّةِ التَّأَلُّهِ، وتعلُّقِ القلبِ بالإله، ولذلك قال لهم: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. ومن قُوَّةِ تَأَلُّهِهِ - رضي الله عنه - حين أَجْمَعَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ على رَدِّ جَيْشِ أُسَامَةَ حين رَأَوْا الرِّدَّةَ قَدْ اسْتَعْرَثَتْ نَارَهَا، وَخَافُوا على نِسَاءِ الْمَدِينَةِ وَذُرَارِيهَا، فقال: والله لو لعبت الكلابُ بِخَلَاخِلِ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ، مَا رَدَدْتُ جَيْشَنَا أَنْفَذَهُ رسولُ الله - ﷺ - وكَلَّمَهُ عمرُ وأبو عُبَيْدَةَ، وسالِمُ مولى أبي حُذَيْفَةَ، وكان أَشَدَّ شيءٍ عليه أن يُخَالِفَ رَأْيَهُ رأيَ سَالِمٍ، فكلَّموه أن يدعَ للعربِ زَكَاةَ ذلك العام تَأْلُفًا لهم حتى يتمكن له الأمرُ، فقد كان رسولُ الله - ﷺ - يتألفهم، وكَلَّمَهُ عمرُ أن

موقف أبي بكر بعد وفاة الرسول

قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وهو يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسول

يُولِّي مكان أَسَمَةَ مَنْ هو أَسَنُ مِنْهُ، وأجلدُ، فأخذ بلحية عُمَرَ، وقال له: يا ابن الخطّابِ أتأمرني أن أكونَ أَوَّلَ خَالٍ عَقْدًا عَقَدَهُ رسولُ الله - ﷺ - والله لأن أحرَّ من السماء إلى الأرض، فتخطفني الطيرُ أحبَّ إليَّ من أن أُمالككم على هذا الرأي، وقال لهم: والله لو أفرِذْتُ من جميعكم لقاتلتهم وخدي حتى تُنفِرَ سَالِفَتِي، ولو منعوني عَقْلًا، لجاهدْتهم عليه، أو في شَكِّ أنتم، إنَّ وَعْدَ الله لَحَقٌّ. وإن قوله لَصِدْقٌ، وَلَيُظْهِرَنَّ الله هذا الدين، ولو كره المشركون. ثم خرج وحده إلى ذي الْقَصَّةِ^(١) حتى اتبعوه، وسمع الصوت بين يديه في كل قبيلة ألا إن الخليفة قد تَوَجَّه إليكم الهَرَبُ الهَرَبُ، حتى اتصل الصوت من يومه ببلاد جَمِيرٍ، وكذلك في أكثر أحواله رضي الله عنه، كان يلوح الفَرْقُ في التَّأَلُّه بينه وبين عُمَرَ رضي الله عنهما، ألا ترى إلى قوله حين قال النبي ﷺ: «سمعتك وأنت تخفص من صوتك» يعني في صلاة الليل، فقال: قد أسمعت مَنْ ناجيت، وقال للفاروق: سمعتك وأنت ترفع من صوتك، فقال: كي أطرُد الشَّيْطَانَ، وأوقظ الوَسْطَانَ. قال عبدُ الكَرِيم بن هَوَازِن القُشَيْرِي، وذكر هذا الحديث: انظروا إلى فَضْلِ الصَّدِيقِ على الْفَارُوقِ، هذا في مقام الْمُجَاهَدَةِ، وهذا في بَسَاطِ الْمُشَاهَدَةِ، وكذلك ما كان منه يوم بَدْرٍ، وقد ذكرنا مقالته للنبي عليه السلام ذلك اليوم، وهو معه في الْعَرِيشِ، وكذلك في أمر الصَّدَقَةِ حين رَغِبَ رسولُ الله ﷺ - فيها، فجاء عمر بنُضَفٍ ماله، وجاء الصَّدِيقُ بجميع ماله، فقال له النبي عليه السلام: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: الله ورسوله^(٢)، وكذلك فعله في قَسَمِ الْفَيْءِ حين سوَّى بين المسلمين، وقال: هم إخوة، أبوهم الإسلام، فهم في هذا الْفَيْءِ أَسْوَةٌ، وأَجُورُ أَهْلِ السَّوَابِقِ على الله. وفضل عُمَرَ في قَسَمِ الْفَيْءِ بعضُهم على بعضٍ على حسب سَوَابِقِهِمْ، ثم قال في آخر عُمَرِهِ: لئن بقيتُ إلى قَابِلٍ لَأُسَوِّينَ بين الناس، وأراد الرجوع إلى رأي أبي بكرٍ، ذكره أبو عُبَيْدٍ رضي الله عنه، وعن جميع أصحاب رسول الله - ﷺ --

ما حدث للصحابة عقب وفاته ﷺ

ومن ذلك ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة أن النبي ﷺ لما

(١) مكان على بريد من مكة.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٥) والحاكم (٤١٤/١) والبيهقي (١٨١/٤) وابن أبي عاصم (٥٩٧/٢).

الله ﷺ مُسَجَّى فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، عَلَيْهِ بُزْدُ جَبْرَةَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَشَفَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ
الله ﷺ. قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبَ اللهُ
عَلَيْكَ فَقَدْ ذَقْتَهَا، ثُمَّ لَنْ تَصِيبَكَ بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَدًا. قَالَ: ثُمَّ رَدَّ الْبُزْدَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ
الله ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَمَرُ يَكْلُمُ النَّاسَ، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ يَا عَمْرُ، أَنْصِتْ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ،
فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ لَا يُنْصِتُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَهُ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَتَرَكُوا
عَمْرُ؛ فَحَمَدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ
اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فَبُضِضَ، وَارْتَفَعَتِ الرِّثَّةُ وَسَجَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَلَائِكَةُ، دُهِشَ النَّاسُ، وَطَاشَتْ عَقُولُهُمْ
وَأَفْجَمُوا، وَاخْتَلَطُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ خُبِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَصْمِتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَ إِلَى أَرْضٍ، فَكَانَ
عَمْرُ مِمَّنْ خُبِلَ وَجَعَلَ يَصِيحُ، وَيَخْلَفُ: مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - وَكَانَ مِمَّنْ أُخْرِسَ
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ حَتَّى جَعَلَ يَذْهَبُ بِهِ وَيُجَاءُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ كَلَامًا، وَكَانَ مِمَّنْ أَقْعَدَ: عَلِيٌّ،
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَرَكَاءَ، وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُتَيْسٍ، فَأُضْضِيَ حَتَّى مَاتَ كَمَدًا، وَبَلَغَ
الْخَبْرُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ بِالسُّنْحِ، فَجَاءَ وَعَيْنَاهُ تَهْمُلَانِ، وَزَقَرَاتُهُ تَتَرَدَّدُ فِي صَدْرِهِ،
وَعُصَصُهُ تَرْتَفِعُ كَقَطْعِ الْجِرَّةِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ، جَلَدَ الْعَقْلَ وَالْمَقَالَةَ، حَتَّى
دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ - فَأَكْبَّ عَلَيْهِ، وَكَشَفَ وَجْهَهُ وَمَسَحَهُ وَقَبَّلَ جَبِيْنَهُ، وَجَعَلَ يَبْكِي،
وَيَقُولُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
مِنَ الثُّبُوتِ، فَعَظُمْتَ عَنِ الصُّفَةِ، وَجَلَلْتَ عَنِ الْبُكَاءِ، وَخَصَصْتَ حَتَّى صِرْتَ مَسْلَاةً، وَعَمِمْتَ
حَتَّى صِرْنَا فِيكَ سَوَاءً، وَلَوْ أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَارًا لَجَدْنَا لِمَوْتِكَ بِالنَّفُوسِ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ
عَنِ الْبُكَاءِ لَأَنْقَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْنِ، فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفْيَهُ فَكَمَدٌ وَإِذْنَانِ يَتَحَالَفَانِ لَا
يَبْرَحَانِ، اللَّهُمَّ أَبْلِغْهُ عَنَّا، أَذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدٌ عِنْدَ رَبِّكَ، وَلِتَكُنْ مِنْ بَالِكَ، فَلَوْلَا مَا خَلَفْتَ مِنْ
السَّكِينَةِ، لَمْ نَقُمْ لِمَا خَلَفْتَ مِنَ الْوَخْشَةِ، اللَّهُمَّ أَبْلِغْ نَبِيَّكَ عَنَّا، وَاحْفَظْهُ فِينَا، ثُمَّ خَرَجَ لِمَا
قَضَى النَّاسُ غَمَرَاتِهِمْ، وَقَامَ خَطِيْبًا فِيهِمْ بِخُطْبَةٍ جُلُّهَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - ﷺ - وَقَالَ
فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَاتَمُ
أَنْبِيَائِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ، وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا شَرَعَ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ، وَأَنَّ
الْقَوْلَ كَمَا قَالَ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ
مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ تَقَدَّمَ

قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ؛ قال: وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم؛ قال: فقال أبو هريرة: قال عمر والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فَعَقِرْتُ حتى وقعت إلى الأرض ما تَحْمِلُنِي رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات.

لكم في أمره، فلا تَدْعُوهُ جزعًا، وأن الله تبارك وتعالى قد اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ عليه السلام ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه، وخَلَفَ فيكم كتابه وَسُئِلَ نَبِيَّه، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَتَكَرَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥] وَلَا يَشْغَلْكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ وَلَا يَلْفِتْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وَعَاجِلُوا الشَّيْطَانَ بِالْخِزْيِ تُعْجِزُوهُ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ فَيَلْحَقَ بِكُمْ. فلما فرغ من حُطْبَتِهِ، قال: يَا عُمَرُ أَنْتَ الَّذِي بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُ عَلَى بَابِ نَبِيِّ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ: مَا مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ يَوْمَ كَذَا: كَذَا، وَكَذَا، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فقال عمر: والله لَكَاثِي لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ الْآنَ لِمَا نَزَلَ بِنَا، أَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ لَا يَمُوتُ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ، وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ رَسُولَهُ. وقال عمر فيما كان منه:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّكَ مَيِّتٌ	ولكنما أَبْدَى الَّذِي قَلْبُهُ الْجَزَعُ
وَقُلْتُ يَغِيبُ الْوَحْيُ عَنَّا لِفَقْدِهِ	كما غاب موسى، ثم يرجع كما رَجَعَ
وَكَانَ هَوَايَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ	وليس لَحْيِي فِي بَقَا مَيِّتٍ طَمَعُ
فلما كَشَفْنَا الْبُرْدَ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ	إِذَا الْأَمْرُ بِالْجَزَعِ الْمَوْهَبِ قَدْ وَقَعَ
فَلَمْ تَكُ لِي عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حِيلَةٌ	أَرُدُّ بِهَا أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْقَدَعِ
سِوَى آدَنَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ	وما آدَنَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِهِ يَقَعُ
وقد قلت مِنْ بَعْدِ الْمَقَالَةِ قَوْلَةٌ	لَهَا فِي خُلُقِ السَّامِتِينَ بِهِ بَشَعُ
أَلَا إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ	إِلَى أَجَلٍ وَافِي بِهِ الْوَقْتُ فَانْقَطَعَ
نَدِينٌ عَلَى الْعَلَاءِ مِنَّا بِدِينِهِ	وَتُعْطَى الَّذِي أُعْطِيَ، وَتَمْنَعُ مَا مَنَعَ
وَوَلَّيْتُ مَخْزُونًا بَعِينَ سَخِينَةً	أَكْفَكَيْفَ دَمْعِي وَالْفَوَازُ قَدْ انْصَدَعُ
وَقُلْتُ لِعَيْنِي: كُلُّ دَمْعٍ دَخَرْتَهُ	فَجُودِي بِهِ إِنْ الشَّجِيءُ لَهُ دُفَعُ

وفي هذا الخبر أَنَّ عمر قال: فَعَقِرْتُ إِلَى الْأَرْضِ، يَعْنِي حِينَ قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ مَا قَالَ، يُقَالُ: عَقَرَ الرَّجُلُ إِذَا سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ قَامَتِهِ، وَحَكَاهُ يَغْفُوبُ عَقَرَ بِالْفَاءِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَفْرِ.

أمر سقيفة بني ساعدة:

تفرق الكلمة:

قال ابن إسحاق: ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقيّة المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أسيد بن حُصَير، في بني عبد الأشهل، فأتى آت إلى أبي بكر وعمر، فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم، ورسول الله ﷺ في بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلقت دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، حتى ننظر ما هم عليه.

ابن عوف ومشورته على عمر بشأنبيعة أبي بكر:

قال ابن إسحاق: وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار، أن عبد الله بن أبي بكر، حدثني عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عوف قال: وكنت في منزله بمنى أنتظره، وهو عند عمر في آخر حِجَّة حجَّها عمر، قال: فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر، فوجدني في منزله بمنى أنتظره، وكنت أقرئه القرآن، قال ابن عباس، فقال لي عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فُلْتَة فُتِمَتْ. قال: فغضب عمر، فقال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحدّثهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصِبُوهم أمرهم، قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رِعاة الناس وِعَوَّانهم، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك، حين تقوم في الناس، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطيّر بها أولئك عنك كل مطير، ولا يعوها، ولا يَضَعوها على مواضعها، فأهل حتى تقدّم المدينة فإنها دار السنة، وتخلص بأهل الثقة وأشرف الناس فنقول ما قلت بالمدينة متمكّنًا، فيعي أهل الفقه مقالتك، ويضعوها على مواضعها، قال: فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

وهو التراب، وصوّب ابن كيسان الروایتين، وقالت عائشة - رضي الله عنها - توفي رسول الله ﷺ: فلو نزل بالجبال الصُّمّ ما نزل بأبي لهَاضَها، ازتَدَّت العربُ واشترأبَ التَّفَاقُ، فما

قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرّواح حين زالت الشمس، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى رُكن المنبر فجلست حذوه تمسّ رُكبتي ركبته، فلم أنشُب أن خرج عمرُ بن الخطّاب، فلما رأيته مُقبلاً، قلت لسعيد بن زيد: ليقولنّ العشيّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف؟ قال: فأنكر عليّ سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذّنون، قام فأتني على الله بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإنني قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لي أن أقولها، ولا أدري لعلّها بين يديّ أجلي، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فلا يحلّ لأحد أن يكذب عليّ؛ إن الله بعث محمداً، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعلمناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالتّاس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، وإذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: ﴿لَا تَزْعُبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كَفَرٌ بِكُمْ أَنْ تَزْعَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ﴾ ألا إن رسول الله ﷺ قال: «لا تُطروني كما أطري عيسى ابن مريم، وقولوا: عبيد الله ورسوله»^(١)؛ ثم إنه قد بلغني أن فلاناً قال: والله لو قد مات عمر بن الخطّاب لقد بايعت فلاناً، فلا يغرنّ امرأ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت قلّة فتئت، وإنها قد كانت كذلك إلّا أن الله قد وقى شرّها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه تَغِرّة أن يقتلا، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيّه ﷺ أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلّف عثا عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر:

اختلفوا في ثُفْطَةٍ إلّا طار أبي بحظّها وعَنائِها، ويروى في بُفْطَةٍ بالباء، قاله الهَرَوِيُّ في الغريبن، وفسره بالأمعة، ونحوها، واستشهد بالحديث في الثُّهْي عن بُقْط الأرض، وهو أن يُقْطَع شَجَرُهَا فتَحْذُ بُقْعاً للزّرع، وبُقْطُهَا ضَرْبٌ من المُخَابَرَةِ قد فسره.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٤/٤) ومسلم في القدر (٣٤) وأخرجه أحمد (٢٣/١) والبيهقي في الدلائل (٢٩٧/١) وانظر الفتح (٤٧٨/١٠).

انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلاً صالحاً، فذكروا لنا ما تمالأ عليه القوم، وقال: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قالوا: فلا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم. قال: قلت: والله لنأتيتهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزْمَلٌ فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عُبادة، فقلت: ما له؟ فقالوا: وجع. فلما جلسنا تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دَفَّتْ دافّة من قومكم، قال: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلّم، وقد زوّرت في نفسي مقالة قد أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحَذِّ، فقال أبو بكر: على رِسلك يا عمر، فكرهت أن أغضبه، فتكلّم، وهو كان أعلم مني وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلّا قالها في بديهة، أو مثلها أو أفضل، حتى سكت؛ قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً؛ وقد رضيْتُ لكم أحد هذين الرجلين؛ فبايعوا أيّهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يُقَرِّبني ذلك إلى إثم، أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

قال قائل من الأنصار: أنا جُذِلُها المَحَكُّ وعَذِيْقُها المُرَجَّب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال: فكثرت اللَّعَطُ، وارتفعت الأصوات، حتى تخوّفت الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عُبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عُبادة: قال: فقلت: قتل الله سعد بن عُبادة.

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر في طريقهما إلى السقيفة:

قال ابن إسحق: قال الزهري: أخبرني عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة، والآخر معن بن عديّ، أخو بني العجلان. فأما عويم بن ساعدة، فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]؟

فقال رسول الله ﷺ: «نعم المزمع منهم عويم بن ساعدة»^(١)؛ وأما مغن بن عدي، فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل، وقالوا: والله لو دُفنا أنا متنا قبله، إنا نخشى أن نفتن بعده. قال معن بن عدي: لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقته ميتا كما صدقته حيا؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر، يوم مسيلمة الكذاب.

خطبة عمر قبل أبي بكر عند البيعة عامة:

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، قال: حدثني أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدا عهد إلي رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا؛ يقول: يكون آخرنا وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله الله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في النار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة.

خطبة أبي بكر:

فتكلم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوتي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشية في قوم قط إلا عظمهم الله بالبلاء؛ أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدرة وما معه

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢/ ٣١).

غيري، قال: وهو يحدث نفسه، ويضرب وحشي قدمه بذرته، قال: إذا التفت إليّ، فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما كان حملني على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم؛ قال: فإنه والله، إن كان الذي حملني على ذلك إلاّ أنني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيَبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت.

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه:

من تولى غسل الرسول:

قال ابن إسحاق: فلما بويح أبو بكر رضي الله عنه، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا: أن عليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ، هم الذين ولّوا غسله، وأنّ أوس بن خوليّ، أحد بني عوف بن الخزرج، قال لعليّ بن أبي طالب: أنشدك الله يا عليّ وحظنا من رسول الله ﷺ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل فجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، فأسنده عليّ بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه وكان أسامة بن زيد وشقران مولا، هما اللذان يصبّان الماء عليه، وعليّ يغسله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلّكه به من ورائه، لا يُفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وعليّ يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيّا وميتا! ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت.

كيف غسل الرسول؟

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبّاد، عن عائشة، قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه. فقالوا: والله ما ندري، أنجرّد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرّد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقي الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلاّ ذقته في صدره، ثم كلّهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبيّ وعليه ثيابه، قالت: فقاموا إلى

رسول الله ﷺ، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلُّكونه والقميص دون أيديهم.

تكفين الرسول:

قال ابن إسحاق: فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كُفِّن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبُرْد حَبْرَة، أُدرج فيها إدراجًا، كما حدَّثني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدِّه علي بن الحسين والزهري، عن علي بن الحسين.

حفر القبر:

قال ابن إسحاق: وحدَّثني حسين بن عبد الله عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَح كحفر أهل مكَّة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة، فكان يُلحِد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة. اللهم خز لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحِد لرسول الله ﷺ.

دفن الرسول والصلاة عليه

فلما فُرِغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وضع في سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه. فقال قائل: ندفنه في مسجده وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قُبِض نبيٌّ إلَّا دُفِن حيث يُقْبَض»^(١)، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي تُوفي عليه، فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يُصَلُّون عليه أرسالاً، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد.

كيف صَلِّي على جنازته عليه السلام؟

ذكر ابن إسحاق وغيره أن المسلمين صَلُّوا عَلَيْهِ أَفْذَادًا، لَا يُؤْتُهُمْ أَحَدٌ، كلما جاءت طَائِفَةٌ صَلَّتْ عليه، وهذا خصوصٌ به ﷺ، ولا يكون هذا الفعل إلَّا عن توقيف، وكذلك رُوِيَ أَنَّهُ أَوْصَى بِذَلِكَ، ذكره الطَّبْرِيُّ مُسْتَدًّا، ووجه الفقه فيه أن الله تبارك وتعالى افترض

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٨) والترمذي (١٠١٨) بنحوه والبيهقي في الدلائل (٢٦٠/٧) وانظر الفتح (٥٢٩/١).

ثم دُفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء.

الصلاة عليه بقوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وحكم هذه الصلاة التي تضمنتها الآية ألا تكون بإمام، والصلاة عليه عند موته داخله في لفظ الآية، وهي مُتَنَاوِلَةٌ لها، وللصلاة عليه على كل حال، وأيضًا فإن الرب تبارك وتعالى، قد أخبره أنه يُصَلِّي عليه وملائكته، فإذا كان الرب تعالى هو المصلي والملائكة قُبَل المؤمنين، وجب أن تكون صلاة المؤمنين تَبَعًا لصلاة الملائكة، وأن تكون الملائكة هم الإمام، والحديث الذي ذكرته عن الطبري فيه طول، وقد رَوَاهُ الْبَزَّازُ أيضًا من طريق مُرَّة عن ابن مُسْعُود، وفيه أنه حين جمع أهله في بَيْت عائشة - رضي الله عنها - أنهم قالوا: فمن يُصَلِّي عليك يا رسول الله؟ قال: فَهَلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا، فبكينا وبكى النبي - ﷺ - فقال: «إِذَا غَسَلْتُمُونِي، وَكَفَنْتُمُونِي، فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي، ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً، فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ يَصَلِّي عَلَيَّ جَلِيسِي وَخَلِيلِي جَبْرِيلُ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ جَنُودِهِ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْمَعِهَا، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا، تَسْلِيمًا، وَلَا تُؤْذُونِي بِتَرْكِيَّةٍ، وَلَا ضُجَّةٍ، وَلَا رَنَّةٍ، وَلِيبدأ بالصلاة علي رجال بيتي ثم نساؤهم، وأنتم بعد اقروا أنفسكم السلام مني، ومن غاب من أصحابي فاقرءوه مني السلام، ومن تابعكم بعدي على ديني، فاقرءوه مني السلام، فإني أشهدكم أنني قد سلّمت على من تابعني على ديني من اليوم إلى يوم القيامة»، قلت: فمن يُدْخِلُكَ قَبْرِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرٍ يَرُونَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ»^(١).

موته عليه السلام كان خطبًا كالْحَا:

فصل: وكان موته عليه السلام خَطْبًا كَالْحَا، وَرُزْءًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَادْحَا، كَادَتْ تُهْدُ لَهُ الْجِبَالُ، وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ، وَتَكْشِفُ الْتُّيَرَاتُ، لَانْقِطَاعِ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَفَقْدِ مَنْ لَا عَوْضَ مِنْهُ، مَعَ مَا آذَنَ بِهِ مَوْتُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنَ الْفِتَنِ السُّخْمِ، وَالْحَوَادِثِ الْوُهِمِ، وَالْكَرْبِ الْمُذْلِمَةِ، وَالْهَزَازِ الْمُضْلِعَةِ، فَلَوْلَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ السَّكِينَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَسْرَجَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ الْيَقِينِ، وَشَرَحَ لَهُ صُدُورَهُمْ مِنْ فَهْمِ كِتَابِهِ الْمُبِينِ لَانْقَضَتْ الظُّهُورُ، وَضَاقَتْ عَنِ الْكَرْبِ الصُّدُورُ، وَلِعَاقَهُمُ الْجَزَعُ عَنْ تَذْيِيرِ الْأُمُورِ، فَقَدْ كَانَ الشَّيْطَانُ أَطْلَعَ إِلَيْهِمْ رَأْسَهُ، وَمَدَّ إِلَى إِغْوَاثِهِمْ مَطَامِعَهُ، فَأَوْقَدَ نَارَ الشُّنَّانِ، وَنَصَبَ رَايَةَ الْخِلَافِ، وَلَكِنْ أَبَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نَوْرَهُ، وَيُعْلِيَ كَلِمَتَهُ، وَيُنْجِزَ مَوْعِدَهُ، فَاطْفَأَ نَارَ الرَّدَّةِ، وَحَسَمَ قَادَةَ الْخِلَافِ وَالْفِتْنَةَ عَلَى يَدِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَوْلَا أَبُو بَكْرٍ لَهْلَكَ أُمَّةٌ

(١) أخرجه الحاكم (٦٠/٣) والطبري في تاريخه (٢/٢٢٨).

دفن الرسول:

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني عبد الله بن أبي بكر، عن امرأته فاطمة بنت عُمارة، عن عُمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة رضي الله عنها: جوف الليل من ليلة الأربعاء.

محمد عليه السلام بعد نبيها، ولقد كان مَنْ قدم المدينة يومئذٍ من الناس إذا أشرفوا عليها سمعوا لأهلها ضَجيجًا، وللبكاء في جميع أرجائها عَجيجًا، حتى صَحَلَتِ الحُلُوق، ونَزَفَتِ الدموعُ، وحقَّ لهم ذلك، ولمن بعدهم، كما روي عن أبي ذُؤَيْب الهذلي، واسمه: حُوَيْلِد بن خالد، وقيل: ابن مُحَرَّر قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ عليلٌ فاستَشَعَرَتْ حُرُنَا وبِثْ بأطولِ ليلة لا يَنْجَابُ دَيْجُوزُها، ولا يطلع نورُها، فظلمت أقاسي طولها، حتى إذا كان قُرْبَ السَّحَرِ أَغْفَيْتُ، فهتف بي هاتف، وهو يقول:

خَطْبُ أَجَلٍ أَنَاخَ بِالْإِسْلَامِ بَيْنَ النُّخِيلِ وَمَعْقِدِ الْآطَامِ
قُبِضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعِيوُنَا تُذِرِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بِالنُّسْجَامِ

قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي قَرْعًا، فنظرت إلى السماء، فلم أرَ إِلَّا سَعْدَ الدَّابِيحِ، فتفاءلت به ذبحًا يقع في القَرْبِ، وعلمت أن النبي - ﷺ - قد قُبِضَ، وهو مَيّتٌ من عِلَّتِهِ، فركبت ناقتي وسرت، فلما أصبحتُ طلبت شيئًا أَرْجُرُ به، فَعَنَ لي شَيْهَمٌ، يعني: الْفُنُقْدُ قد قُبِضَ على صِلٍ، يعني: الْحَيَّةُ، فهي تَلْتَوِي عليه، والشَّيْهَمُ يَقْضُمُها حتى أكلها، فَرَجَزْتُ ذلك، وقلت: شَيْهَمٌ شَيْءٌ مُهِمٌ، والتَّوَاءُ الصَّلُّ التَّوَاءُ النَّاسِ عن الحق على القائم بعد النبي ﷺ، ثم أَكَلَ الشَّيْهَمُ إِيَّاهَا غَلْبَةً القائم بعده على الأمر. فَحَثَّثْتُ ناقتي، حتى إذا كُنْتُ بِالْغَابَةِ رَجَزْتُ الطائِرَ فَأخبرني بوفاته، وَنَعَبَ غَرَابٌ سَانِحٌ فنطق مثل ذلك، فتعوذت بالله من شَرِّ ما عَنَ لي في طريقي، وقدمت المدينة ولها ضَجِيجٌ بالبكاء كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ، إذا أهلوا بِالْإِخْرَامِ، فقلت: مَهْ؟ فقالوا: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، فجئت المسجد فوجدته خاليًا، فأتيت رسولَ الله ﷺ، فأصَبْتُ بابه مُرْتَجًا، وقيل: هو مُسَجَّى فدخلا به أهله، فقلت: أين الناس؟ فقيل: في سَقِيفَةِ بني سَاعِدَةَ، صاروا إلى الأنصار، فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بكر وعُمَرَ وأبا عُبَيْدَةَ بنَ الْجَرَّاحِ وسالمًا وجماعةً من قريش، ورأيت الأنصار فيهم سَعْدُ بنَ عُبَادَةَ، وفيهم شعراؤهم حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ وَكَعْبُ بنُ مَالِكٍ وَمَلَأُ منهم، فأويت إلى قُرَيْشٍ، وتكلمت الأنصارُ، فأطالوا الخطابَ وأكثروا الصَّوَابَ وتكلم أبو بكر رضي الله عنه، فَلِلَّهِ ذَرُهُ مِنْ رَجُلٍ لا يُطِيلُ الكلامَ ويعلم مواضع فصلِ الخطابِ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامعٌ إِلَّا انْقَادَ له، ومال إليه، ثم تكلم عُمَرُ، رضي الله عنه، بعده دون كلامه، ومدَّ يده، فبايعه وبايعوه، ورجع أبو بكر، ورجعت معه. قال أبو ذؤيب: فشهدت الصلاة على مُحَمَّدٍ ﷺ، وشهدت

من تولى دفن الرسول:

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس،
وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ.

دفعته، ثم أنشد أبو ذؤيب يكي النبي ﷺ:

لما رأيتُ النَّاسَ فِي عَسَلَانِهِمْ	من بين مَلْحُودٍ لَهُ وَمُضْرِحٍ
مُتَبَادِرِينَ لِشَرْجَعٍ بَأَكْفُهُمْ	نَصُّ الرِّقَابِ لِفَقْدِ أَبْيَضِ أَزْوَاجِ
فَهَنَّاكَ صَرْتُ إِلَى الْهَمُومِ، وَمَنْ يَبِثْ	جَارَ الْهَمُومِ يَبِيتُ غَيْرَ مُرَوَّحِ
كَسَفَتْ لِمَصْرَعِهِ النُّجُومُ وَبَذَرَهَا	وَتَزَعَزَعَتْ أَطَامُ بَطْنِ الْأَبْطَحِ
وَتَزَعَزَعَتْ أَجْبَالُ يَثْرِبَ كُلُّهَا	وَنَخِيلُهَا لِحُلُولِ خَطْبِ مُفْدِحِ
وَلَقَدْ رَجَزْتُ الطَّيْرَ قَبْلَ وَفَاتِهِ	بِمُصَابِهِ، وَرَجَزْتُ سَعْدَ الْأَذْبَحِ

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يكي رسول الله ﷺ:

أَرِثْتُ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ	دَلِيلُ أَخِي الْمَصِيبَةِ فِيهِ طَوْلُ
وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا	أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمْتَ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ	عَشِيَّةٌ قِيلَ: قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
وَأَضَحَّتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاهَا	تَكَادَ بَنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ
فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِينَا	يَرْوَحُ بِهِ وَيَغْدُو جَبْرَيْلُ
وذَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ	نَفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَرِبَتْ تَسِيلُ
نَبِيٍّ كَانَ يَجْلُو الشُّكَّ عَنَا	بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
وَيَهْدِينَا فَلَا نَخْشَى ضَلَالَا	عَلَيْنَا وَالرُّسُولُ لَنَا دَلِيلُ
أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَاكَ عَذْرُ	وَلَنْ لَمْ تَجْزَعِي، ذَاكَ السَّبِيلُ
فَقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ	وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرُّسُولُ

ولما تُوفي رسول الله ﷺ ودفن ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ورجعت
فاطمة إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها، فقالت:

° اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ
شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ
أَسْفَا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرُّجْفَانِ

وقد قال أوس بن خُولي لعلّي بن أبي طالب: يا عليّ، أنشدك الله، وحظنا من رسول الله ﷺ، فقال له: انزل، فنزل مع القوم وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله ﷺ في حُفْرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، دفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً.

قال: فدُفنت مع رسول الله ﷺ.

أحدث الناس عهداً بالرسول:

وقد كان المُغيرة بن شُعْبة يدّعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ يقول: أخذت خاتمي، فألقيته في القبر، وقلت: إن خاتمي سقط مئّي، وإنما طرحته عهداً لأمس رسول الله ﷺ، فأكون أحدث الناس عهداً به ﷺ.

قال ابن إسحق: فحدثني أبي إسحق بن يسار، عن مِقْسم، أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال: اعتمدت مع عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم

وَلَتَبْكِهِ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانٍ	فَلْيَبْكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا
وَالْبَيْتِ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ	وَلْيَبْكِهِ الطَّوْدُ الْمَعْظَمُ جَوْه
صَلَّى عَلَيْكَ مُنْزَلُ الْقُرْآنِ	يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْمُبَارَكِ ضَوْؤُهُ
مَا وَسَّدُوكَ وَسَادَةَ الْوَسْنَانِ	[نَفْسِي فِدَاؤُكَ مَا لِرَأْسِكَ مَائِلًا]

الاختلاف في كفنه:

فصل: وأما الاختلاف في كفنه عليه السلام كم ثوباً كان، وفي الذين أدخلوه قبره ونزلوا فيه، فكثير، وأصح ما روي في كفنه أنه كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بَيْضَ سَحُولِيَّةٍ^(١)، وكانت تلك الأثواب من كُرْسُفٍ^(٢)، وكذلك قميصه عليه السلام كان من قُطْنٍ، ووقع في السيرة من غير رواية البُكَائِي أنها كانت إزاراً ورداء، وَلُفَافَةً، وهو موجود في كتب الحديث وفي الشُّرُوحات، وكانت اللَّبْنُ التي نُصِّدَت عليه في قبره تَسْعُ لَبَنَاتٍ.

وذكر ابن إسحق فيمن أَلَحَّه شُقْرَانُ مولاه، واسمه: صالح، وشهد بدرًا، وهو عبد قبل أن يُعْتَقَ، فلم يُسْهِم له، انقرض عقبه فلا عَقِبَ له.

(١) سحولية: نسبة إلى سحول، قرية باليمن. (٢) الكرسف: الفطن.

هانيء بنت أبي طالب، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكب له غِسل، فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا حسن، جئنا نسألك عن أمر نحَب أن نخبرنا عنه؟ قال: أظنَّ المُغيرة بن شُعبة يحدثكم أنه كان أحدث النَّاس عهدًا برسول الله ﷺ. قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك؛ قال: كذب، قال: أحدث النَّاس عهدًا برسول الله ﷺ فتمَّ بن عباس.

خميسة الرسول:

قال ابن إسحق: وحدثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عائشة حدَّثته، قالت: كان على رسول الله ﷺ خميسة سوداء حين اشتدَّ به وجعه، قالت: فهو يضعها مرَّة على وجهه، ومرَّة يكشفها عنه، ويقول: قاتل الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يَحْذَرُ من ذلك على أمته.

قال ابن إسحق: وحدثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: «لا يُترك بجزيرة العرب دينان».

افتتان المسلمين بعد موت الرسول:

قال ابن إسحق: ولما تُوفي رسول الله ﷺ عَظُمَت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول: لما تُوفي رسول الله ﷺ ارتبَّت العرب، واشراَّبَت اليهودية والنصرانية، ونَجَم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المَطيِّرة في الليلة الشَّاتية، لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

قال ابن هشام: حدَّثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكَّة لما تُوفي رسول الله ﷺ همَّوا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك حتى خافهم عتَّاب بن أسيد، فتواری، فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يَزِد الإسلام إلا قوَّة، فمن رابنا ضَرَبْنَا عُنقه، فتراجع النَّاس وكَفُّوا عَمَّا همُّوا به، وظهر عتَّاب بن أسيد.

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطَّاب: «إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تدمه».

شعر حسان بن ثابت في مريته الرسول:

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ، فيما حدثنا ابن هشام، عن أبي زيد الأنصاري:

بَطِينَةَ رَسَمٍ لِلرُّسُولِ وَمَعَهْدُ	مُنِيرٌ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمُدُ
وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ	بِهَا مُنِيرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَضَعُدُ
وَوَاضِحُ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمِ	وَرَبَّعَ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجَرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطُهَا	مَنْ اللَّهُ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا	أَتَاهَا الْبَلَى فَالْآيَ مِنْهَا تَجَدُّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسَمَ الرُّسُولِ وَعَهْدَهُ	وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي الثَّرْبِ مُلْحَدُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرُّسُولَ فَاسْعَدْتُ	عُيُونَ وَمَثَلَهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعَدُ
يُذَكِّرُنَ آلاءَ الرُّسُولِ وَمَا أَرَى	لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَتَنْفُسِي تَبْلُدُ
مُفْجَعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ	فَظَلْتُ لِآلَاءِ الرُّسُولِ تُعَدُّ
وَمَا بَلَّغْتُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَشِيرَهُ	وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَالْتُ وَقَوْفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُهِدَهَا	عَلَى طَلَلِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرُّسُولِ وَبُورِكَتْ	بِلَادُ تَرَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ لَخَدُّ مِنْكَ ضَمْنٌ طَيِّبًا	عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدُ
تَهِيلُ عَلَيْهِ الثَّرْبُ أَيْدٍ وَأَعْيُنِ	عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حَلْمًا وَعَلَمًا وَرَحْمَةً	عَشِيَّةَ عَلْوَةِ الثَّرَى لَا يَوْسَدُ
وَرَاخُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيَّهُمْ	وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْهُمْ ظُهُورُ وَأَعْضُدُ

وذكر ابن إسحق مرآتي حسان في النبي ﷺ، وليس فيها ما يُشكل فنشره، وقد رثاه كثير من الشعراء وغيرهم، وأكثرهم أفحهم المصاب عن القول، وأعجزتهم الصفة عن التأبين، ولن يبلغ بالإطناب في مدح ولا رثاء في كنه محاسنه عليه السلام ولا قدر مصيبة فقده على أهل الإسلام، فصلى الله عليه وعلى آله صلاة تتصل مدى الليالي والأيام، وأحله أعلى مراتب الرحمة والرضوان والإكرام، وجزاه عنا أفضل ما جرى به نبيًا عن أمته، ولا خالف بنا عن ملته، إنه وليُّ الطُّولِ والفضل والإنعام، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

يَبْكُونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ
تَقْطَعُ فِيهِ مَنْزِلَ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَذُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقُّ جَاهِدًا
عَفْوٌ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ
فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُوزُوا عَنِ الْهَدْيِ
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنِي جَنَاحَهُ
فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ الثُّورِ إِذْ غَدَا
فَاصْبَحَ مُحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَزْمِ وَحَشًا بِقَاعُهَا
قِفَارًا سِوَى مَغْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لَفَقْدِهِ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحَشَتْ
فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةٍ
وَمَا لِكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النُّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعُولِي
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
أَعَفٌّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ
وَأَبْدَلُ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ
وَأَكْرَمُ صَيْتًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَمْتَعَ ذِرَوَاتِ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا
وَأَثْبَتَ قَرْعًا فِي الْقُرُوعِ وَمَنْبَتًا

وَمَنْ قَدْ بَكَتُهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةً يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ
وَقَدْ كَانَ ذَا ثُورٍ يَغُورُ وَيُنْجَدُ
وَيُنْقَدُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشَدُ
مَعْلَمٌ صَدَقَ إِنْ يُطِيعُوهُ يُسْعَدُوا
وَإِنْ يُخْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
فَمِنْ عِنْدِهِ تَنَسِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ
ذَلِيلٌ بِهِ تَهْجُ الطَّرِيقَةُ يُقْصَدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
إِلَى كَنْفٍ يَخْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
إِلَى ثُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ
يُبَكِّيهِ حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ
لَعْنِيَّةٌ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تُعْهَدُ
فَقِينٌ يُبَكِّيهِ بِلَاطٌ وَعَرْقَدُ
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
دِيَارٌ وَعَرْصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلَدُ
وَلَا أَعْرِفُنكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَجْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يُتَعَمَّدُ
لَفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ
إِذَا ضَنَّ مِغْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُثْلَدُ
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسْوَدُ
دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشِيدُ
وَعُودًا غِذَاءَ الْمَزُنِّ فَالْعُودُ أَغِيدُ

رَبَّاهُ وَلَيْدًا فَاسْتَتَمَ تَمَامُهُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
أَقُولُ وَلَا يُلْقَى لِقَوْلِي عَائِبٌ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَارِعًا عَنْ ثَنَائِهِ
مَعَ الْمُضْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جَوَارَهُ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَبِضًا، يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ مُمَجِّدُ
فَلَا الْعِلْمُ مَخْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
لِعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
وَفِي تَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

مَا بِالْ عَيْنِكَ لَا تَبْنَامُ كَأَنَّمَا
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيَا
وَجْهِي يَقِيكَ التُّزْبُ لَهْفِي لَيْتَنِي
بَأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا
أُقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا
فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيْبًا
يَا بِكَرَ أَمْنَةِ الْمِيَارِكِ بِكَرْهَا
ثُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِّيَّةِ كُلِّهَا
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَتَبَيَّنَا
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا
وَاللَّهُ أَسْمِعِ مَا بَقِيَتْ بِهَالِكِ
يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَضْبَحُوا
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ
صَلَّى إِلَهُهُ وَمَنْ يَحْفَ بِعَرْشِهِ

كُحِلَتْ مَا قِيَهَا بِكُخْلِ الْأَزْمَدِ
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعِدِ
غُيْبَتْ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ
فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي
مُتَلَذِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولِدِ
يَا لَيْتَنِي صُبِّحَتْ سَمُّ الْأَسْوَدِ
فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
مَخْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمِ الْمَخْتَدِ
وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةً بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ
مَنْ يُهْدِ لِلثُّورِ الْمُبَارِكِ يَهْتَدِي
فِي جَنَّةِ ثَنَنِي عُيُونِ الْحُسَدِ
يَاذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّودِ
إِلَّا بِكَيْنَتْ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ
سُودًا وَجُوهُهُمْ كُلُّونِ الْإِثْمِدِ
وَقُضُولِ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ نَجْهَدِ
أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ
وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت يكي رسول الله ﷺ:

نَبَّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحَرًا
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَخْلِي وَرَاجِلَتِي وَرَزَقَ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْمَطَرَا
أَمْ مَنْ تُعَاتِبُ لَا تُخْشَى جِنَادَعَهُ إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا
كَانَ الضِّيَاءُ وَكَانَ الثُّورَ تَثْبَعُهُ بَعْدَ الْإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعُ وَالْبَصَرَا
فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمُلْحِدِهِ وَغَيْبُوهُ وَالْقَوَا فَرْقَهُ الْمَدَرَا
لَمْ يَتْرُكْ اللَّهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ أَثْنَى وَلَا ذَكَرَا
ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي التُّجَارِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَدِ قَدَرَا
وَأَفْتَسِمَ الْفِيءُ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَبَدَّدُوهُ جِهَارًا بَيْنَهُمْ هَدَرَا

وقال حسان بن ثابت يكي رسول الله ﷺ أيضًا:

أَلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادِ
تَاللهِ مَا حَمَلْتُ أَثْنَى وَلَا وَضَعْتُ مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
وَلَا بَرًّا لِلَّهِ خَلَقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ أَوْفِي بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ
مِنْ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكِ الْأَمْرِ ذَا عَدْلِ وَإِزَادِ
أَمْسَى نَسَاؤُكَ عَطَلْنَ الْبُيُوتَ فَمَا يَضُرُّنَّ فَوْقَ قَفَا سِثْرِ بَأْوَنَادِ
مِثْلَ الرِّوَاهِبِ يَلْبَسُنَّ الْمَبَاذِلَ قَد أَيْقَنَ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النُّعْمَةِ الْبَادِي
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الضَّادِي

قال ابن هشام: عجز البيت الأول من غير ابن إسحق.

«الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه وحوله وقوته تحقيق «الروض الأنف» شرح سيرة سيّد ولد آدم وخاتم المرسلين - محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا. اللهم اغفر لي تقصيري وخطئي وجهلي وكل ذلك عندي، اللهم احشرنى والمسلمين تحت لواء صاحب هذه السيرة العطرة الزكية - محمد ﷺ - اللهم اجعله شفيعي في الآخرة يا أرحم الراحمين. آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك. «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«خاتمة التحقيق»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ثم أما بعد:

قدّمت بين يديك أخي المسلم - رحمني الله وإياك - سيرة خاتم المرسلين وسيد ولد آدم ولا فخر - محمد صلى الله عليه وآله وسلم -. وقد قام على طبعها ونشرها علّم من أعلام الدعوة في العالم الإسلامي: الأستاذ محمد علي بيضون - صاحب دار الكتب العلمية - وكم من كتاب إسلامي قدّمه لنا مبتغيًا الأجر من الله تعالى. وأدعو الله عزّ وجلّ أن يجعل أعمالنا صالحة خالصة لوجهه تعالى وفي ميزان حسناتنا يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).

والدعوة إلى الله تعالى تكون بالقول تارة، وتكون بالفعل تارة أخرى، وتكون بالتنبيه والتلميح تارة أخرى و(كلّ يعمل على شاكلته). ويقول ﷺ: (كلّ ميسر لما خلق له) متفق عليه. وقد يكون الفعل أبلغ في وقت من القول، وفي آخر يكون القول أبلغ. قال بعضهم: «فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل». ومن لم يستطع القول أو الفعل فعليه بالدعوة تنبيهًا وتلميحًا وإشارة إلى ما ينفع المسلم في دينه ودنياه وآخرته من عالم عامل، أو كتاب نافع، وهذا ما يقوم به أصحاب دور النشر الإسلامية و(إنما الأعمال بالنيات) متفق عليه.

وقد تصدّى للدعوة في زمننا الحاضر دُعاة لبسوا العمام والمسوح يُلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون، زَيّنوا للناس المنكر وبَغَضُوا إلى الناس المعروف حتى أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ولكن الله تعالى يقيض دائماً لهذه الأمة مَنْ يبيّن للناس زيف ادّعاءهم ودعواهم، وإن لاقى في ذلك ما يلاقي:

قد عُرف المنكر واستُنكر	المعروف في أيماننا الصعبة
وصار أهل العلم في هدة	وصار أهل الجهل في رتبة

فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربة

لا تنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربية^(١)

واليوم (الاثنين ١٣ ربيع الأول - ٢٩ يولية)^(٢) تحتفل الأمة الإسلامية بالمولد النبوي الشريف. وهي بدعة صليبية نَحَا فيها المسلمون منحاهم، وقد تقدم في أول الكتاب اختلاف أهل السَّير في تاريخ مولده ﷺ.

وفي كل عام يخرج علينا أصحاب العمام في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة بما يأت به الأولون، فنسمع من القصص والأحاديث و«الحكايات» المنسوبة كذبًا وبهتانًا وزورًا إلى رسول الله ﷺ ما يشيب له الوليد من هول ما افتروا، وما كان ﷺ في حاجة إلى الكذب له، والكذب له كالكذب عليه ومن كذب عليه متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار.

فالحذر الحذر أخي المسلم من دعاة الكذب والتزوير والإفك، وها هي سيرة المصطفى ﷺ بين يديك بيضاء نقية، بينت لك الصحيح فيها من الضعيف [أو حاولت] فعضّ عليها وأودعها قلبك وعقلك وفؤادك.

بقي أن أشير لك بإيجاز على أكثر القصص والأحاديث انتشارًا بين صفوف الدعاة والعامّة ولا أصل لها. [تقدّم الحديث على أكثرها وبقي القليل منها مما يرد في نص كتاب ابن هشام].

١ - إطلاق النبي ﷺ على السنة التي توفي فيها عمّه وزوجه [خديجة]: عام الحزن. لا أصل له.

٢ - قول الرسول ﷺ لأسرى قريش: «ما ترون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «أذهبوا فأنتم الطلقاء». لا أصل له. وقد تقدّم أنه معضل.

٣ - ازدهار أرض حليلة السعدية بعد أن كانت مجدبة يابسة ببركته ﷺ. إسناد القصة ضعيف جدًا. فمداره على محمد بن إسحق. وقد تقدم بيان حاله في المقدمة وفي ثانيا الكتاب [للتذكير] وبيان ضعفه.

٤ - قصة صعود النبي ﷺ شواحق الجبال مُحاولًا التردّي منها، لما فتر عنه الوحي، وتبدّى جبريل عليه السلام له في صفحة السماء قائلاً: يا محمد إنك رسول الله حقًا.

(١) ابن القيم (بدائع الفوائد: ٢٣٤/٣). (٢) وكان هذا بقدر الله تعالى.

٥ - قصة نسج العنكبوت خيوطه على الغار عند الهجرة، وكذا بناء الحمامتين عشهما على بابه. لا صحة لها.

٦ - استقبال الأنصار للنبي ﷺ وإنشادهم: طلع البدر علينا. لا صحة لها.

٧ - قول الحباب بن المنذر للنبي ﷺ في غزوة بدر: «أرأيت هذا المنزل أمّنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أم هو الرأي والمشورة...» تقدم في الكتاب وفيه ابن إسحق وقد تقدم بيان ضعفه وفيه مجاهيل مع إرساله.

٨ - حديث (ما هممت بشيء مما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين...) أخرجه الحاكم بسند ضعيف.

٩ - حديث (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس...) فيه محمد بن عمر هو الواقدي - متروك مع سعة علمه - كما تقدم بيان حاله في المقدمة.

١٠ - أمره ﷺ من قبل جبريل عليه السلام بالهجرة والآن ينام في فراشه - مداره على ابن إسحق. تقدم بيان حاله. وفي بعض طرقة الواقدي وهو كذاب.

١١ - حديث (يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني...) ضعيف.

إلى غير ذلك مما قد بيّنته ونبّهت عليه في ثنايا الكتاب.

بقي أن أقول: إنني حاولت جاهدًا أن أقف بك على صحيح السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، موجزًا القول حتى لا أشرد بك عما تقرأه. فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه. أَدْعُو الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَلَوْجْهَهُ الْكَرِيمَ خَالصًا وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ). آمين.

وكتبه مجدي بن منصور بن سيد الشورى

القاهرة. مدينة السلام. في ١٣ ربيع الأول ١٤١٧

الفهرس

٣	غزوة ذي قرد
٥	أسماء أفراس المسلمين
٦	قتلى المشركين
٧	تقسيم الفاء بين المسلمين
٨	امراة الغفاري وما نذرت مع الرسول
٨	حول النذر والطلاق والعتق
١٣	غزوة بني المصطلق
١٤	تحريم دعوى الجاهلية
١٧	موقف عبد الله من أبيه المنافق ودلالته
١٩	حول حديث جويرية «ملاحة ومليح»
٢٣	حديث الإفك
٣٠	القرآن وبراءة عائشة
٣٣	ابن المعطل يهّم بقتل حسان
٣٩	غزوة الحديبية
٤٨	بيعة الرضوان
٤٨	حول المصالحة
٥٠	عليّ يكتب شروط الصلح
٥٠	حكم المهاجرات
٥٣	الذين شهدوا على الصلح
٥٤	الإحلال
٥٤	المحلّقون والمقصرون

٥٥	ذكر البيعة
٥٥	ذكر مَنْ تَخَلَّف
٥٦	ذكر كَفَّ الرسول عن القتال
٥٧	ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح
٥٨	قتل أبي بصير للعامري ، ومقالة الرسول في ذلك
٦٢	أمر المهاجرات بعد الهدنة
٦٥	غزوة خيبر
٧٠	ما نهى عنه الرسول ﷺ في خيبر
٧٣	شأن بني سهم
٧٣	مقتل مرحب اليهودي
٧٥	مقتل ياسر أخي مرحب
٧٦	شأن عليّ يوم خيبر
٧٧	صفية أم المؤمنين
٧٩	بقية أمر خيبر
٧٩	صلح خيبر
٨٣	الشاة المسمومة
٨٤	رجوع الرسول إلى المدينة
٨٥	أبو أيوب يحرس الرسول ﷺ ليلة بنائه بصفية
٨٦	حديث المرأة الغفارية
٨٨	شهداء خيبر
٩٠	أمر الحجاج بن علاط السلمي
٩٥	ذكر مقاسم خيبر وأموالها
٩٨	ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خيبر
٩٨	وُصاة الرسول عند موته
١٠٢	عمر يُجلي يهود خيبر
١٠٣	قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين
١٠٤	ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة
١١٢	مهاجرات الحبشة
١١٤	عمرة القضاء
١٢٠	ذكر غزوة مؤتة
١٢٦	إمارة جعفر ومقتله

١٢٩	عمل خالد
١٢٩	تنبؤ الرسول بما حدث
١٢٩	حزن الرسول على جعفر
١٣١	كيف تلقى الجيش؟
١٤٠	شهداء مؤتة
١٤١	ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة
١٤٨	ابن ورقاء يشكو إلى الرسول بالمدينة
١٤٨	أبو سفيان يحاول المصالحة
١٥٠	الرسول ﷺ يعدّ لفتح مكة
١٥٣	خروج الرسول في رمضان
١٥٥	قصة إسلام أبي سفيان على يد العباس
١٥٩	إسلام والد أبي بكر
١٦١	جيوش المسلمين تدخل مكة
١٦٢	المهاجرون وسعد
١٦٣	كيف دخل الجيش مكة
١٦٣	الذين تعرّضوا للمسلمين
١٦٦	شعار المسلمين يوم الفتح
١٦٦	مَنْ أقرّ الرسول بقتلهم
١٦٩	أم هانئ تؤمّن رجلين
١٧٠	طواف الرسول بالكعبة
١٧١	خطبته على باب الكعبة
١٧٢	دخول الكعبة والصلاة فيها
١٧٣	إسلام عتاب والحارث بن هشام
١٧٥	أول مَنْ ودي يوم الفتح
١٧٦	الأنصار يتخوفون من بقاء النبي ﷺ في مكة
١٧٦	كسر الأصنام
١٧٩	أمان الرسول لصفوان بن أمية
١٨١	النهي عن اشتغال الصماء والاحتباء
١٨٤	عدّة مَنْ شهد فتح مكة من المسلمين
١٩٣	إسلام عباس بن مرداس
١٩٦	مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة

١٩٧	براءة الرسول ﷺ من عمل خالد
١٩٨	الاعتذار عن خالد
٢٠٠	حديث ابن أبي حدرد يوم الفتح
٢٠٣	مسير خالد بن الوليد لهدم العزى
٢٠٥	غزوة حنين
٢٠٨	استعارة أدرع صفوان
٢١٢	ثبات الرسول
٢١٣	الشماتة بالمسلمين
٢١٤	شبية يحاول قتل الرسول
٢١٤	الانتصار بعد الهزيمة
٢١٨	مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ
٢١٩	نزول الملائكة
٢٢٣	مصرع دريد
٢٢٤	مصرع أبي عامر الأشعري
٢٢٦	النهي عن قتل الضعفاء
٢٢٧	شأن الشيماء وبجاد
٢٢٨	شهداء يوم حنين
٢٢٩	سبايا حنين يُجمعون
٢٤٤	رثاء أبي خراش لابن العجوة
٢٤٦	ابن عوف يعتذر عن فراره
٢٤٩	ذكر غزوة الطائف
٢٥٠	آلات الحرب المستعملة في الطائف
٢٥٤	الطريق إلى الطائف
٢٥٥	أول مَنْ رَمَى بِالْمَنْجَنِقِ
٢٥٦	بين أبي سفيان وثقيف
٢٥٧	تفسير أبي بكر لرؤيا الرسول
٢٥٧	سبب ارتحال المسلمين
٢٥٩	العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف
٢٦٠	الشهداء في يوم الطائف
٢٦٣	أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها
٢٧٦	حول عتاب النبي للأنصار

٢٧٧	اعتماد الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة
٢٧٧	وقت العمرة
٢٧٨	أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف
٢٨٠	قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية
٢٨٨	استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم
٢٩١	غزوة تبوك
٢٩١	التهيو لتبوك
٢٩٢	المنافقون المشبطون
٢٩٣	حضّ أهل الغنى على النفقة
٢٩٣	قصة البكّائين والمعذرين والمتخلفين
٢٩٥	إرجاف المنافقين بعليّ
٢٩٥	قصة أبي خيشمة
٢٩٦	مرور النبي ﷺ بالحجر
٢٩٧	مقالة ابن اللّصيت
٢٩٨	إيطاء أبي ذر
٢٩٩	تخذيل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم
٣٠٠	الصلح مع صاحب أيلة
٣٠١	أكيدر والكتاب الذي أرسل إليه
٣٠٢	حديث وادي المشقق ومائه
٣٠٣	قيام الرسول على دفن ذي الجادين
٣٠٣	موقفه ﷺ من بعض الهدايا
٣٠٤	لِمَ سُمّي ذا الجادين؟
٣٠٤	حول قصة البكّائين
٣٠٥	أبو رهم في تبوك
٣٠٦	أصحاب مسجد الضرار
٣٠٧	أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين في غزوة تبوك
٣١٣	إسلام ثقيف
٣١٤	حول هدم اللّات
٣١٥	فقه حديث كتاب النبي لثقيف
٣١٨	حجّ أبي بكر بالناس
٣٢١	اختصاص الرسول عليًا بتأدية براءة عنه

٣٢١ ما نزل في الأمر بجهاد المشركين
٣٢٣ ما نزل في الأمر بقتال المشركين
٣٢٤ ما نزل في أهل الكتابين
٣٢٤ ما نزل في النسيء
٣٢٤ ما نزل في تبوك
٣٢٦ ما نزل في ذكر أصحاب الصدقات
٣٢٦ ما نزل فيمن آذوا الرسول
٣٢٧ ما نزل بسبب صلاة النبي على ابن أبي
٣٢٨ ما نزل في المستأذنين
٣٢٩ ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار
٣٣٥ قدوم الوفود على رسول الله ﷺ
٣٣٨ صياحهم بالرسول وكلمة عطار
٣٣٩ كلمة ثابت في الرد على عطار
٣٣٩ عن كرسي الله
٣٤٦ قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بني عامر
٣٤٧ موت عامر بدعاء الرسول عليه
٣٤٨ موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفي عامر
٣٥١ قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر
٣٥٣ قدوم الجارود في وفد عبد القيس
٣٥٤ قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب
٣٥٨ قدوم زيد الخيل في وفد طييء
٣٦١ إسلام عدي
٣٦٢ قدوم فروة بن مسيك المرادي
٣٦٤ قدوم عمرو بن معديكرب في أناس من بني زبيد
٣٦٥ قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة
٣٦٦ قدوم صرد بن عبد الله الأزدي
٣٦٧ إسلام أهل جرش
٣٦٧ قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم
٣٦٨ كتاب الرسول إليهم
٣٦٩ إسلام فروة بن عمرو الجذامي
٣٧١ قدوم وفد بني الحارث بن كعب

٣٧٢	كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالمجيء
٣٧٢	قدوم خالد مع وفدهم على الرسول
٣٧٣	حديث وفدهم مع الرسول
٣٧٣	بعث الرسول عمرو بن حزم بعهدة إليهم
٣٧٥	قدوم رفاعة بن زيد الجذامي
٣٧٧	خروج الأمراء والعُمَّال على الصدقات
٣٨٠	حجة الوداع
٣٨٢	موافاة عليّ في قفوله من اليمن رسول الله في الحج
٣٨٣	خطبة الرسول في حجة الوداع
٣٨٥	بعض تعليم الرسول في الحج
٣٨٥	بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
٣٨٦	خروج رسول الله إلى الملوك
٣٨٩	أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم
٣٩٤	ذكر جملة الغزوات
٣٩٥	ذكر جملة السرايا والبعوث
٣٩٥	غزوة عمر
٣٩٦	نجاء المسلمين بالتَّعم
٣٩٦	شعار المسلمين في هذه الغزوة
٣٩٨	تمكّن المسلمين من الكفار
٤٢٢	غزوة عليّ بن أبي طالب إلى اليمن
٤٢٤	ابتداء شكوى رسول الله ﷺ
٤٢٥	تمريضه في بيت عائشة
٤٢٦	ذكر أزواجه ﷺ
٤٣١	عدّتهنّ وشأن الرسول معهنّ
٤٣٢	وفاة رسول الله ﷺ
٤٣٣	تمريض رسول الله ﷺ في بيت عائشة
٤٣٤	كلمة للنبيّ واختصاصه أبا بكر بالذكر
٤٣٥	وصيّة الرسول بالأنصار
٤٣٦	شأن اللدود
٤٣٧	دعاء الرسول لأسماء بالإشارة
٤٣٧	آخر كلمة تكلم بها عليه السلام

٤٣٨ صلاة أبي بكر بالناس
٤٣٩ متى توفي رسول الله ؟
٤٤١ سيواك الرسول قبيل الوفاة
٤٤٢ كرامات ومعجزات
٤٤٣ مقالة عمر بعد وفاة الرسول
٤٤٤ ما حدث للصحابه عقب وفاته ﷺ
٤٤٨ خطبة عمر عند بيعة أبي بكر
٤٥٠ خطبة أبي بكر
٤٥١ جهاز رسول الله ﷺ ودفنه
٤٥١ مَنْ تولى غسل الرسول
٤٥١ كيف غُسل الرسول ؟
٤٥٢ تكفين الرسول
٤٥٢ دفن الرسول والصلاة عليه
٤٥٢ افتتان المسلمين بعد موت الرسول
٤٦٢ خاتمة التحقيق